
Sociology



مجلة العلوم الاجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد07 ديسمبر 2018



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

ديسمبر 2018

الـــعـــدد السابع (07)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.
- أن يكون المقال في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.
- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.
- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، المؤلف(السنة) ، عنوان الكتاب؟، ط(الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد، أما المقال: للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة(الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

تصدر مجلة العلوم الاجتماعية كما عودتكم دائما مرة أخرى بمزيد من البحوث المتميزة والدراسات الحديثة التي تحاول أن تضفي طابعا خاصا على المعرفة، ولعل التنوع والثراء الذي حمله هذا العدد يؤكد ذلك الإتجاه الذي تسلكه المجلة نحو البحث العلمي كفضاء علمي يستقطب الكثير من الباحثين من أكاديميين، أساتذة، باحثين، طلبة دكتوراه، متمرسين، من أجل نشر آخر أبحاثهم كل حسب مجاله وتخصصه الذي ينتمي إليه.

إن تكامل العلوم لا يمكن أن ينكره أحد، ذلك أنها تشتغل كلها من أجل خدمة الإنسانية جمعاء، وهو ما جعل حقول المعرفة تتزاوج هنا في مجال العلوم الاجتماعية نحو تلقيح المعرفة لإنتاج معرفي راق، يرقى لتطلعات الباحثين سواء الناشرين أو القراء والمهتمين الذي تعد مجلة العلوم الاجتماعية قبلة ينهل منها الكثير، خاصة وأنها يوما بعد يوم تسير بخطى ثابتة نحو العالمية، وهو الهدف المنشود.

إن صدور أي عدد بالرغم من أنه ليس بالأمر الهين، إلا أن تظافر جهود الكثير خاصة خبراء المجلة الدوليين ساهم في بلورة المجلة كما هي عليه، فتميز الأبحاث ودقتها وموضوعيتها وتنوع مقارباتها النظرية وأطروحاتها الفكرية لدليل واضح على تبني المجلة لسياسة علمية قائمة على الحوار الإنساني بمنهجه العلمي في ظل إرتقاء المعرفة.

إننا ندعو من هذا المقام كل الباحثين للإستفادة من كل ما ينشر من أبحاث ودراسات ضمن المجلة كونها أبحاث تستدعي الكثير من التمعن لأنها تعالج الكثير من القضايا الاجتماعية في إطار تكاملي متشابك ومتشعب في نفس الوقت.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 07 ديسمبر 2018

فهرس المحتويات

صفحة

الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع وأشكال الوصم -مدينة الرباط نموذجا-.

The dynamic identity of the child in street situation and the -forms of stigma -Rabat as a case study-

هاجر بوزيد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس- المغرب.

ملخص: يتناول هذا المقال إشكالية الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع وكيفية تمفصلها مع أشكال الوصم، ذلك أن الدينامية الهوياتية هي تلك السيرورة التي تدمج تفكك التصور السابق للطفل حول ذاته وتشكل في المقابل تصور جديد، وبما أن ولوج الطفل للشارع، واتخاذه من هذا الأخير فضاء للعيش الدائم، قد يشكل عنصرا مهما في خلخلة وتفكيك تصوره حول ذاته، باعتباره حدثا يشكل منعطفا بيوغرافيا في المسار الشخصي للطفل، والانتقال إلى مرحلة ثانية ضمن هذه السيرورة، وهي بناء هوية اجتماعية جديدة للطفل ناجمة بالأساس عن الإطار الجديد للعيش (الشارع)، والتفاعلات التي تقام ضمن هذا الفضاء بين الطفل والآخرين (أفراد المجتمع ومجموعة الأقران والمجموعات الأخرى المتواجدة في الشارع) بالإضافة إلى التأويلات المقدمة لسلوكات وممارسات الطفل، لقد تم تحليل هذه الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع بالاستناد على إطار نظري تحليلي في حقل السوسيولوجيا وهو التفاعلية الرمزية، وقد مكننا هذا التموقع النظري من تحليل المعطيات الميدانية المحصل عليها انطلاقا من مقابلات (نصف موجهة) أنجزت مع أطفال في وضعية الشارع، وقد شملت هذه الدراسة المنجزة في مدينة الرباط عينة تضم أربعة أطفال وطفلة.

الكلمات المفتاحية: الطفل في وضعية الشارع، الهوية الاجتماعية، الدينامية الهوياتية، الوصم.

Abstract: This article discusses the dynamic identity of the child in street situation and how it is separated from the forms of stigma, The dynamic identity is the process that merges the dissociation of the child's previous perception of himself and therefore forms a new one, since the child makes of the street a place to his permanent life would be an intrinsic component in the dissociation of his or her perception of himself or herself, It is an incident that constitutes a biographical turn in the child's personal path and hence the child builds a new social identity, which is the result of the new space of life, the street, and the interactions with other people in the same space, such as peers and different members of society, in addition to the previous interpretations of the child's behaviors. The dynamic identity of the child in the street situation was analyzed based on the interactive symbolism, as an analytical theoretical framework in the field of sociology, which enabled us to analyze data obtained by means of semi-structured interviews with children in the street situation. This study included a sample of four male children and one female child in Rabat.

Keywords: child in street situation, social identity, dynamic identity, stigma.

مقدمة:

إذا كان علم النفس سباقا في تناول موضوع الطفل والطفولة من الناحية السيكولوجية، مع الوقوف عند الخصائص المميزة لهذه المرحلة العمرية، فإن حقل السوسيولوجيا الفركوفوني لم يولي اهتمام لنفس الموضوع إلا في بداية القرن العشرين (Sirota Regine، 2006، ص13)، ويرجع السبب الكامن وراء تأخر اهتمام الباحثين بموضوع الطفل من المنظور السوسيولوجي إلى لا مرئيته وتهميش هذه الفئة العمرية في الحياة الاجتماعية، مما أدى إلى تهميشها أيضا من طرف الجماعة العلمية المنتمية لهذا الحقل.

وقد بينت بعض الإنتاجات العلمية في حقل التاريخ أن كل مرحلة تاريخية معينة تتميز بتفضيل فئة عمرية عن باقي الفئات الأخرى، وهذا ما أكده المؤرخ الفرنسي فليب أريس (Philippe Aries) في مؤلفاته، بحيث عمل هذا الباحث على التنقيب في التاريخ الاجتماعي لبعض المجتمعات في القرون الوسطى، وخلص إلى أنه لم يكن الحديث في هذه الحقبة عن الطفولة والطفل، بمعنى غياب هذا الأخير من الحياة الاجتماعية، ويتجلى هذا الغياب في انعدام أحاسيس اتجاه الطفل ومصطلحات لتعيين هذه الفئة، بحيث يلج الطفل العوالم الخاصة بالراشدين، وبالتالي يعيش حياتهم، أي يتقاسم معهم الألعاب والحياة المهنية نفسها (Flandrin Jean-Louis، 1964، ص323)، ولم يكن هناك وعي وتوافق جماعي في هذه الحقبة حول خصوصية مرحلة الطفولة وتميزها عن باقي الفئات الأخرى ـ خصوصا الراشدين، فبمجرد تجاوز الطفل للسنوات الأولى يلج مباشرة عالم الراشدين دون عبور عتبات وقطع أشواط ـ على شكل طقوس المرور تُعلّم مراحل ودورة الحياة- وقد امتد هذا المزج ـ حسب هذا المؤرخ ـ بين الطفل والراشد حتى نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، بحيث عرفت هذه الفترة بروز تمييز واضح بين الفئتين، يتجلى في ظهور إحساس اتجاه الطفولة، من خلال تدليل (mignotage) والوعي ببراءتها وهاجس التربية (Flandrin Jean-Louis، 1964، ص324).

أضفى إسهام هذا المؤرخ حول موضوع الطفل والطفولة شرعية ـ بالمعنى العلمي ـ للسوسيولوجيين الفرنكوفونيين، في دراستهم للموضوع نفسه من منظور البناء الاجتماعي، من خلال جرد مختلف الشروط التي أدت إلى خلق مكانة مميزة للطفل في بعض المجتمعات، وأدى اهتمامهم المتنامي بهذا الموضوع إلى انبثاق حقل سوسيولوجيا الطفل ـ في العالم الفرنكوفوني ـ، بالإضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بظهور مجموعة من المؤسسات التي تعتني بموضوع الطفل وتربيته، بحيث لم تعد هذه الخاصية حكرا على أعضاء الأسرة فقط كما كان في السابق، بل تم تجاوز هذه الأخيرة وضم أشكال أخرى مثل المدرسة والعدالة (Sirota Regine، 1998، ص11)، وقد تطور الإطار القانوني الخاص بهذه الفئة، ونخص بالذكر الإعلان العالمي للحقوق الطفل سنة 1989، الذي أسهم في نشر توافق حول الطفولة، على الأقل في المجتمعات الغربية (Mekboul Sahra Neyrand Gerard، 2014، ص12)، لكنه في المقابل ساهم وفق تصور الباحث ريكاردو لوكشيني (Riccardo Lucchini) في خلق نموذج خاص بالطفولة في المجتمعات الغربية وجعله معيارا كونيا تتبناه مجموعة من المجتمعات بالرغم من تناقضه ـ أحيانا ـ مع الشكل السائد للطفولة، ومنه نستشف أهمية هذه الشروط المذكورة آنفا في جعل الطفل يحظى

بمكانة مهمة في بعض المجتمعات، أو داخل بعض الطبقات الاجتماعية من نفس المجتمع، وتتجلى هذه المكانة في تشكل وعي جماعي بأهمية هذه المرحلة مع بروز نموذج معياري يحدد ويُعرف الطفل والطفولة، وإذا كانت بدايات تشكل حقل سوسيولوجيا الطفل ارتبطت بالكشف عن العوامل الكامنة وراء اكتساب الطفل لمكانة مهمة داخل الأسرة وفي المجتمع ككل، مع إبراز التمثلات الاجتماعية حول هذه الفئة، فإن الأبحاث الراهنة والمنتمية لنفس الحقل، تميزت بالتنوع من حيث المواضيع المتناولة، كالتركيز على الاختلافات القائمة بين هذه الفئة، على مستوى الجنس وكذا الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الطفل، وأدت غزارة الإنتاجات داخل هذا الحقل إلى بلورة وتطوير مجموعة من المفاهيم والمفردات من قبيل "الطفل ـ الفرد" (L'enfant – individu)، وتعني؛ توفر الطفل على مجموعة من الحقوق كغيره من الأفراد، ثم "الطفل المستهلك" (L'enfant- consommateur) وتحيل هذه الأخيرة على خلق حاجيات وسوق للطفل، بفعل العولمة الاقتصادية التي لم تستثن أية فئة أو شريحة اجتماعية، وفي المقابل، نجد مفردة أخرى وهي "الطفل الضحية" (L'enfant victime) (FAPEO rapport، 2008، ص13-14) والتي تستوعب مجموعة من الحالات التي يُنظَر فيها للطفل كضحية لظروف متعددة، وقد يتعلق الأمر بالأطفال في وضعية الشارع أو المنقطعين عن الدراسة أو الأطفال المزاولين لأنشطة مهنية في سن مبكرة.

تتنوع المواضيع المنتمية لهذا الحقل المعرفي ـ سوسيولوجيا الطفل والطفولة، نظرا لاختلاف السياق والواقع الاجتماعي الخاص بهذه الفئة، ومن بين التيمات التي استرعت اهتمام الباحثين ـ خصوصا الدارسين للمجتمعات النامية ـ وهو موضوع الأطفال في وضعية الشارع، ويعتبر هذا الأخير ظاهرة عالمية وحضرية بامتياز، لكونها تغيب بشكل نسبي في المجال القروي، وبالرغم من بُعدها العالمي، بمعنى تواجد الأطفال في وضعية الشارع في العديد من الدول، إلا أن أسبابها تبقى نسبيا محلية كما تثير اهتمام الباحثين من حقول معرفية مختلفة.

أولا. إشكالية الدراسة:

لقد تم تناول موضوع الطفل في وضعية الشارع ـ سوسيولوجيا في المجتمع المغربي من طرف العديد من الباحثين، البعض منهم أمدنا بصورة واضحة عن الأسباب الكامنة وراء تواجد الطفل بصفة دائمة في الشارع، والمتمثلة في الانعكاسات التي ترتبت عن سياسة التقويم الهيكلي التي نهجها المغرب في الثمانيات من القرن الماضي، والتي سعت إلى تحقيق التوازنات الاقتصادية على حساب الخدمات الاجتماعية(محمد مومن، 2010، ص8)، دون إغفال عوامل أخرى منها ما يرتبط بالهجرة القروية نحو بعض المدن المغربية مما أسهم في تكوين أحياء شبه حضرية أو هامشية ينحدر منها هؤلاء الأطفال (عبد الله هرهار، 2009، ص114)، بالإضافة إلى التغير الحاصل في البنية الأسرية داخل المجتمع المغربي، بمعنى الانتقال من أسرة ممتدة تعرف تعايش ثلاثة أجيال تحت سقف واحد إلى أسرة نواتية تضم جيلين، الآباء والأطفال، الأمر الذي أدى إلى حصر التدخل ـ التربية والمراقبة إزاء الطفل في أفراد أسرته الصغيرة.

إلا أن دراستنا لهذا الموضوع تختلف عن مجموعة من الأبحاث ـ سواء المشار إليها سابقا أو غيرها ـ نظرا لابتعادنا أثناء ملامستنا لظاهرة الأطفال في وضعية الشارع عن رصد المحددات

الماكرو والميكرو التي تفيد فهم وتفسير الأسباب الناجمة عن التواجد المستمر للطفل في الشارع، أو الاهتمام بالجانب المؤسساتي، بمعنى التعرف عن كيفية إعادة إدماجهم اجتماعيا من طرف مؤسسات الرعاية الاجتماعية، بل على خلاف هذا؛ انصب اهتمامنا على الطفل وجعلناه وحدة أساسية في تحليل وفهم جزء من هذه الظاهرة، لاسيما وأننا نرمي للإلمام بالدينامية الهوياتية التي يمر منها الطفل ومدى تمفصلها مع أشكال الوصم، وقادنا الهدف من الدراسة التعرف على الدينامية الهوياتية للطفل ـ إلى اعتبار الطفل فاعلا اجتماعيا، بمعنى رصد مختلف الاستراتيجيات التي يتم تطويرها من قبله بهدف تدبير الوضعية التي يعيشها.

أسئلة الدراسة:

ما هي استراتيجيات البقاء المتبعة من قبل الأطفال في وضعية الشارع؟

ما هي العناصر المُسهِمة في تفعيل الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع؟

ما هي أشكال الوصم التي يعرفها الطفل في وضعية الشارع؟

ثانيا. الإطار النظري والمفاهيمي:

لقد تبنينا إطارا نظريا تحليليا في هذه الدراسة وهو التفاعلية الرمزية، ونعلل هذا الاختيار بسببين أساسيين: يتعلق الأول بمحاولة تموقعنا ضمن إطار نظري سوسيولوجي يتلاءم مع طرحنا وكيفية تناولنا لهذا الموضوع، أما السبب الثاني يكمن في السبل والإمكانيات التي يتيحها هذا التوجه النظري لتحليل سلوكات الفرد في بعدها الدينامي، بما أن الفرد يعتبر داخل هذا التيار التفكيري مكونا أساسيا للفهم والتحليل، وقد ساعدنا هذا التموقع النظري على تحليل مختلف التفاعلات التي يقيمها الطفل مع الآخرين(مجموعة الأقران وأفراد المجتمع وموظفين في المؤسسات الاجتماعية والشرطة)، والوقوف عند الكيفية التي ينهجها الطفل في تقديم ذاته للآخرين، وأيضا كيفية إسهام هؤلاء في تغيير تصوره حول ذاته.

يهتم هذا الاتجاه النظري بالعلاقات الملموسة ما بين الأفراد، كما أن العالم الاجتماعي لا يوجد بشكل مسبق على شكل بنية ينبغي التكيف معها، بل يتشكل ويعاد تشكيله باستمرار من خلال التفاعلات التي تتضمن لتأويلات متبادلة تثير تعديلا للفاعلين، وبالتالي يرفض رواد هذا الاتجاه دراسة وتحليل سلوكات الأفراد باعتبارها نتيجة لمكونات خارجية (David Le Breton، 2004، ص6)، بل على خلاف هذا، يقوم هذا التيار النظري على فكرة أساسية مفادها استدماج أفراد المجتمع للنظام الثقافي السائد ضمنه، والذي يبرز في سيرورة التفاعل التي ينجم عنها تشكل هويتهم، فهذه الأخيرة تبنى من خلال التفاعلات التي يقيمها الفرد مع الآخرين، التي تعمل على تعديل التمثل الذي يحملونه عن ذاتهم، ومنه يعتبر هذا التوجه النظري الفرد كفاعل يتفاعل مع المكونات الاجتماعية عوض فرد فاعل (agent) سلبي خاضع للبنيات الاجتماعية بفعل الهابتوس (habitus) أو قوة النسق أو الثقافة التي ينتمي إليها (Le Breton David، 2004، ص46-47).

1.مفهوم الهوية:

لقد تم تعريف هذا المفهوم من وجهات نظر متعددة ومتنوعة، ولعل هذا ما يطرح لدى الباحثين صعوبات أثناء تناولهم واشتغالهم بهذا المفهوم، فضلا عن استيعابه وإحالته على جملة من

المكونات، كالحديث عن الهوية الشخصية والهوية الجماعية والهوية الاجتماعية ثم الهوية الثقافية، إلا أننا في هذه الدراسة اشتغلنا بمفهوم الهوية الاجتماعية، وقد شغل هذا الأخير اهتمام مجموعة من الباحثين في حقل السوسيولوجيا، باعتباره عنصرا أساسيا في فهم سلوك الأفراد، ونعرض في هذا الصدد لبعض المقاربات السوسيولوجيا التي تناولت هذا المفهوم من زوايا مختلفة.

المنظور الدوركايمي: ميز السوسيولوجي الفرنسي إميل دوركهايم (E .Durkheim) بين الهوية الفردية والهوية الاجتماعية، لكنه في المقابل لم يعمل على توضيح الاختلافات القائمة بينهما من خلال تبيين هذا الفرق وتطعيمه بمعطيات ميدانية مستقاة من الواقع الاجتماعي الذي عاصره، وما يسميه دوركهايم بـ "الكائن الاجتماعي" هو نتاج للتربية، بمعنى"تنشئة اجتماعية ممنهجة للجيل الشاب"، وبهذا تصبح الهوية الاجتماعية نتيجة لعملية تمرير مجموعة من العناصر تشمل: المعتقدات الدينية وممارسات أخلاقية وتقاليد وطنية أو مهنية وآراء جماعية، وهذا التمرير الممنهج يخص الطفولة ويكتمل ـ وفق تصور دوركهايم مع ولادة ثانية تتعلق بـ "كائن اجتماعي"(Dubar Claude،1992، ص505-506)، وباختصار، فالطرح الدوركايمي للهوية الاجتماعية يقوم على عنصر أساسي وهو التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الفرد من طرف مجموعة من المؤسسات المتواجدة في المجتمع والتي تتولى هذه المهمة، وتم تجاوز هذا الطرح نظرا لانتماء الفرد لمجموعة من العوالم الاجتماعية، وهذا الانتماء يكسبه هويات اجتماعية متعددة، وفي بعض الأحيان متقاطعة، ولعل هذا ما يدافع عنه مؤيدي الطرح المتعدد للهوية في مقابل التوجه الذي يعتبرها وحيدة (unique).

المنظور الفيبري: تقوم هذه المقاربة في تناولها لمفهوم الهوية الاجتماعية على استحضار الفعل الاجتماعي الصادر من طرف الفرد، والدور الذي يلعبه في تشكل الهوية، لكونها تعتبر هوية الفاعلين الاجتماعيين عبارة عن تأثيرات نابعة من أنساق الفعل، وبهذا تصبح هوية هؤلاء نتيجة مؤقتة لدينامية، ومن ثمة فهذه المقاربة تؤكد أهمية التفاعل القائم بين الأفراد، وإسهامه في إنتاج دلالات ومعاني ذاتية يُسهِم الفاعلون الاجتماعيون في بلورتها وإضفائها على فعلهم الموجه للآخر (Dubar Claude، 1992، ص508).

منظور بير بورديو: يختلف هذا المنظور عن التقليدين السابقين لكونه يرجع عملية بناء الهوية من طرف الأفراد إلى السيرورة الاجتماعية، والتي يمكن تحليلها ـ الهوية ـ كنتاج لمجموعة من الشروط الاجتماعية الموضوعية، وأيضا للتطلعات الفردية الذاتية (Dubar Claude، 1992، ص506).

تتضح إذن الاختلافات القائمة بين هذه المقاربات السوسيولوجيا في تناولها لمفهوم الهوية الاجتماعية، ويرجع هذا الاختلاف إلى تموقع كل باحث ابستمولوجيا، فإذا كان الطرح الدوركايمي يقوم على فكرة أهمية الدور الذي يلعبه المجتمع ـ عن طريق مؤسساته ـ في تشكيل هوية أفراده، فإن الطرح الثاني يركز على الفرد باعتباره فاعلا اجتماعيا ينتج أفعالا اجتماعية موجهة للآخر تسهم في بناء هويته، في حين تدمج المقاربة الثالثة عنصرين تعتبرهما أساسين في تشكيل هوية الفرد، وهما المجتمع والفرد ـ الفاعل (agent) حسب تعبير بيير بورديو، ولا يمكن

اختزال تعريف هذا المفهوم (الهوية الاجتماعية) في هذه المقاربات دون الإشارة إلى الإسهام الكبير الذي قدمه السوسيولوجي إرفنغ غوفمان (Erving Goffman) من خلال تمييزه بين الهوية الافتراضية، التي يقصد بها هوية من أجل الآخر، في مقابل هوية اجتماعية حقيقية، بمعنى هوية من أجل الذات (Goffman Erving، 1975، ص12)، والتي تتشكل ـ الهوية الاجتماعية وفق منظور هذا الباحث من خلال التفاعلات التي يقيمها الفرد، بحيث يعتبر التفاعل عنصرا مهما في بناء وإعادة بناء الهوية الاجتماعية.

حصر غوفمان مفهوم الهوية الاجتماعية في التمثل الذي يحمله الفرد حول ذاته، ويشهد هذا الأخير تطورا وتغيرا مستمرا لكونه مشروطا بالتفاعلات التي يقيمها الفرد، ومنه يدمج هذا الباحث بين الهوية والتمثل الذي نحمله حول ذواتنا، بحيث تصبح الهوية الاجتماعية تحيل على التصور الفرد حول ذاته، والذي يرجع في الأصل إلى تصورات وتمثلات الآخرين حوله، التي تقوم بتعديلات على المستوى الهوياتي الخاص به، وبالتالي تُسهم في تشكيل تصور جديد حول ذاته.

2.مفهوم الوصم:

يحيل مفهوم الوصم على مجموعة من الخصائص والميزات التي يُنظر إليها من طرف أعضاء المجتمع كما يقيمونها بشكل سلبيي، وقد تناول إرفنغ غوفمان (Erving Goffman) هذا المفهوم في كتابه الشهير الذي يحمل عنوان: "الوصم الاستعمالات الاجتماعية للإعاقات" (Stigmate les usages sociaux des handicaps) بحيث عمل على تحديد مفهوم الوصم والكشف عن طبيعته وأشكاله واستراتجياته، وعرف هذا الباحث الوصم بأنه تلك السمة السلبية التي تطلق على الفرد (Goffman Erving، 1975، ص13)، وتتضمن دلالة سلبية من منظور أفراد المجتمع، وبهذا يصبح الفرد الحامل لهذه السمة أو سمات يعيش تمييزا وإقصاء لكونه يصنف ضمن خانة الأشخاص غير العاديين (الموصومين)، نظرا للتداول الاجتماعي السلبي لهذه الخصائص، وهذا ما يجعل الشخص الحامل لهذه السمات مصنفا ضمن الفئات الموصومة فضلا عن توفره على هوية اجتماعية غير مرغوب فيها، وقد ميز هذا الباحث بين ثلاثة أنواع من الوصم (Rogel Thierry، 1997، ص54):

النوع الأولى: الوصم الجسدي الناجم عن شكل وهيئة الجسد، كالإعاقة الجسدية.

النوع الثاني: الوصم المتعلق بالخصائص الفردية، أو بماضي الأفراد، كالفئات التي تعاني من أمراض عقلية أو مدمني الكحول أو السجناء.

النوع الثالث: الوصم القبلي يرتبط بالعرق أو الدين أو الجنسية، كما أنه يمرر عبر الأجيال.

وقد تمت إعادة بناء هذا المفهوم الوصم كنتيجة لتوظيفه المكثف من طرف مجموعة من الباحثين، بحيث أصبح يستوعب جوانب متعددة من الواقع الاجتماعي المدروس من طرفهم، كربطه ببعض الأمراض الفيزيولوجية أو العقلية أو بالفقر والإقصاء الاجتماعي والبطالة، ويرجع تعدد واختلاف الوضعيات التي يتم ربطها بالوصم باختلاف المعايير والمثل والقيم بين المجتمعات والتي تُسهم في رسم الحدود بين ما هو عادي الفئات والأفراد العاديين وما يشكل انحرافا عن هذه المعايير بمعنى الفئات الموصومة ولعل هذا ما يفسر أن الأشخاص الموصومين في مجتمع ما، قد

لا تشكل تلك السمات أو الخصائص التي جعلت منهم كذلك في مجتمع آخر الذي لا يدرج هذه السمات ضمن إطار غير عادي أو غير مألوف ويقيمها اجتماعيا على أنها انحراف عن المعايير والقيم السائدة.

3.مفهوم "الطفل في وضعية الشارع":

إن تحديد مفهوم "الطفل في وضعية الشارع" يثير صعوبات كبيرة نظرا لتداوله واستعماله المكثف من طرف العديد من الفاعلين، كوسائل الإعلام والقطاعات الحكومية وغير الحكومية، مما أدى إلى بروز تعريفات متعددة ومختلفة أحيانا لنفس المفهوم، نظرا لاختلاف وجهات النظر بين مستعمليه، وبالتالي انبثاق فهم متعدد ومختلف لهذه الفئة كل من موقعه، إلا أننا حاولنا التعامل بحذر مع هذا المفهوم، وهذا الحذر ناجم بالأساس عن كثرة تداوله، وأيضا عن الرؤية السوسيولوجية المشكلة حول موضوع الطفل.

أشرنا سابقا أن بروز موضوع الطفل ضمن هذا التخصص ـ السوسيولوجيا ـ ارتبط بمجموعة من الشروط التي أسهمت في إكسابه مكانة مزدوجة، بمعنى في المجتمع ووسط الجماعة العلمية، وبالرغم من أن الملامسة الحديثة لموضوع الطفل إلا أنه لا ينبغي غض النظر وتجاهل تطرق بعض السوسيولوجين المؤسسين لنفس الموضوع، كالتعريف الذي قدمه كل من دوركهايم وبويسون (Durkheim.Buisson) للطفولة باعتبارها مرحلة النمو، بمعنى مرحلة لم ينمو فيها الطفل بعد على المستوى الفيزيولوجي والأخلاقي (Sirota Regine، 1998، ص10)، وبهذا تحيل الطفولة على التكوين الأخلاقي للطفل الذي يتجلى في تربيته وتعليمه وفق القيم والمعايير الخاصة بمجتمعه.

في حين، يُعرف مفهوم الطفل في وضعية الشارع سواء بالاستناد على أبعاد تحليلية، بمعنى التركيز على المحددات الكامنة وراء تواجد الطفل في الشارع وتحليلها، مما يسهم في بلورة تعريف تحليلي، أو على خلاف هذا يتم اللجوء إلى أبعاد وصفية لإنتاج تعريف ذو ميزة توصيفية يضم خصائص المعيش اليومي الخاص بهذه الفئة، وقد عمل الباحث ريكاردو لوكشيني (Riccardo Lucchini) على بلورة نموذج مثالي خاص بالأطفال في وضعية الشارع بالاستناد إلى معطيات ميدانية، يهدف من خلاله فهم العلاقة التي تربط الطفل بفضاء الشارع الذي يتواجد فيه، وهذا النموذج عبارة عن نسق (طفل-الشارع) يضم تسعة أبعاد تتفاعل فيما بينها، وهي كالآتي: الفضاء، الزمن، تناقض شارع/أسرة، البعد العلائقي الاجتماعي (sociabilite)، الأنشطة في الشارع، تنشئة اجتماعية/ ثقافة فرعية، هوية، محفزات، النوع (Riccardo Lucchini، 1998، ص350-351)، والملاحظ أن هذا النسق الذي يحتوي على تعريف ضمني للطفل في وضعية الشارع يقدم للباحثين أداة وصفية وتحليلية لرصد معيش وتجربة هؤلاء الأطفال في الشارع دون فصلها عن وضعيتهم السابقة، بمعنى في أسرهم، كما يمكن الاستناد إلى هذا النسق (طفل-الشارع) بغية فهم المحددات الكامنة وراء التواجد المستمر للطفل في الشارع، بما أنها قد تشكل عوامل كابحة لامتناع خروج الطفل من هذا الفضاء.

ثالثا. منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة حول الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع وأشكال الوصم على المنهج الكيفي، وبشكل خاص على مقابلات نصف موجهة مع مجموعة من الأطفال في وضعية الشارع بمدينة الرباط، ويرجع سبب اختيارنا لهذه التقنية دون غيرها إلى جملة من الأسباب، منها ما يتعلق بالأهداف المتوخاة من هذا البحث والتي حصرناها في التعرف على الدينامية الهوياتية للطفل وكيفية تمفصلها مع أشكال الوصم إزاءه، وبهذا قادتنا طبيعة موضوعنا وهدفه إلى اعتماد هذه التقنية ـ المقابلة النصف الموجهة بغية جمع المعطيات الميدانية.

لم نتقيد بأسئلة موجهة ومصاغة مسبقا، بل عملنا على وضع مجموعة من الأسئلة نصف مفتوحة في دليل المقابلة، ومرد ذلك توسيع هامش حرية التعبير للمشاركين في الدراسة في إطار الأسئلة المطروحة عليهم، علاوة عما سبق فقد اشتغلنا بدليل مقابلة ذو خاصية دينامية، بمعنى عملنا على إضافة مجموعة من الأسئلة إلى دليل المقابلة برزت أثناء قيامنا بالمقابلات، وقد سمحت لنا هذه التقنية بالإجابة عن الأسئلة المطروحة في هذه الدراسة، بحيث أنجزنا أربع مقابلات مع أطفال ذكور ومقابلة واحدة مع طفلة[1]، واستند انتقاؤنا للمشاركين على مجموعة من المعايير من بينها: السن؛ حيث حصرنا هذا الأخير في أربعة عشر سنة وحرصنا على أن لا يتجاوز الطفل هذا السن، بالإضافة إلى معيار آخر يتعلق بالإقامة المستمرة في الشارع، أي الطفل المتخذ من فضاء الشارع مكانا للعيش الدائم بدل اعتباره مجالا لممارسة بعض الأنشطة (كالتسول والتجارة) والعودة مساء إلى أسرته.

من بين الخصائص المميزة للمشاركين في هذه الدراسة هو اختلاف أعمارهم، بحيث تعمدنا عدم توحيد السن، بغية جعله عاملا تفسيريا لسلوك الطفل ونظرة أفراد المجتمع إليه، والخاصية الثانية ترتبط بالمدة التي قضاها الطفل في الشارع، باعتبارها عنصرا مفسرا لمجموعة من المهارات والاستراتيجيات المبلورة من قبل هذه الفئة، وقد قمنا بعقد مقارنات بين المشاركين مستندين إلى تباين مدة عيشهم في الشارع.

خصائص المشاركين:

	الجنس	السن	مدة الإقامة في الشارع
المشاركة رقم (1)	أنثى	13 سنة	سنة واحدة
المشارك رقم (2)	ذكر	10 سنة	ستة أشهر
المشارك رقم (3)	ذكر	12 سنة	سنتان
المشارك رقم (4)	ذكر	12 سنة	أربعة أشهر
المشارك رقم (5)	ذكر	14 سنة	سنة وبضعة أشهر

اعتمدنا على التحليل الموضوعاتي للمعطيات الميدانية المحصل عليها، وعملنا على تفكيك المتون المجمعة الخاصة بكل مشارك، ووضع الموضوعات التي برزت من داخل هذه المتون في

[1] كنا نرغب في إجراء مقابلات أخرى مع طفلات في وضعية الشارع إلا أننا لم نصادف إلا طفلة واحدة أثناء ترددنا على شوارع مدينة الرباط بغية القيام بالبحث الميداني، وهذا يرجع في اعتقادنا إلى العدد القليل للطفلات اللواتي

جداول تركيبية تضم كل من التيمات البارزة وأجوبة المشاركين في هذه الدراسة، وتم تحليل هذه التيمات ومتنها بالاستناد إلى مقولات نظرية، كما قمنا بتحليل عرضاني بغية الوصول إلى الخصائص المشتركة/المختلفة بين المشاركين.

رابعا. الطفل واستراتيجيات البقاء:

اعتبرنا الطفل في وضعية الشارع فاعلا اجتماعيا يطور مجموعة من الاستراتيجيات لتدبير الوضعية التي يعيشها، وبهذا نكون قد جانبنا المنظور الذي ينزع من الطفل هذه الخاصية ويجعله فردا سلبيا اتجاه المشاكل والصعوبات التي يواجهها داخل هذا الفضاء، على خلاف هذا تبين أن الطفل في وضعية الشارع يبلور مجموعة من الاستراتيجيات التي تصبح جزء لا يتجزأ من طبيعة معيشه اليومي، سواء للحصول على قوته أو المواد المخدرة التي يستهلكها أو الدفاع عن نفسه لصد مجموعة من المخاطر التي تصادفه في فضاء الشارع.

ومن خلال المقابلات التي أجريناها، اتضح لنا أن لكل طفل استراتيجياته الخاصة في تلبية احتياجاته، والملاحظ أنها مشتركة بين البعض، بحيث يشكل نشاط التسول خاصية يتقاسمها جميع المشاركين للحصول على حاجياتهم من مأكل وملبس وعلاج، بالموازاة مع هذا النشاط، يتم أيضا نهج طرق أخرى للحصول على الموارد، كبيع المناديل أو تقديم خدمات مقابل السجائر أو مبلغ مالي زهيد.

وتُفسَّر هذه الدينامية في الأنشطة التي يمارسها الطفل من خلال خصائص المجال الذي يتواجد فيه، بمعنى يصبح الحيز المجالي محددا للأنشطة التي يزاولها الطفل كما هو الشأن بالنسبة للمشارك (رقم5 انظر الجدول) الذي يقوم بمساعدة المسافرين على حمل أمتعتهم مقابل مبلغ مالي، فهذا الطفل يمارس هذا النشاط نظرا لتواجده بصفة شبه دائمة بالقرب من محطة الحافلات، على خلاف المشارك (رقم2) الذي يقوم باقتناء المناديل والتوجه إلى أحياء معينة لبيعها (كحي أكدال وحي الرياض)، فاختياره لهذه الأحياء دون غيرها يرجع إلى خصائصها، أي كونها نقط جذب للأفراد نظرا للمراكز الترويحية والتجارية التي تتوفر عليها.

ومنه نستشف أن لخصائص المجالات، بمعنى الموارد التي تتيحها للطفل، دورا حاسما في جذبه أو تواجده فيها، هذه الموارد قد تكون مادية، بيع مناديل أو خدمات أو التسول، وكذلك رمزية، أي خلق علاقات اجتماعية مع بعض الأفراد في الشارع، كما هو الشأن بالنسبة لهذا المشارك (رقم 3) الذي استطاع نسج علاقات مع بعض أصحاب المقاهي والصيدليات، يقدمون له الأكل والأدوية عند مرضه، ويكمن المحدد في تشكيل شبكة علائقية داعمة في المدة التي قضاها هذا المشارك في الشارع والتي تقارب سنتين، بحيث استطاع من خلالها خلق علاقات اجتماعية ساندة.

لاحظنا كذلك مدى صعوبة حصول الطفل على الموارد من أكل وملبس والمواد المخدرة التي يستهلكها، كما هو الحال بالنسبة لهذا المشارك (رقم4) الذي كشف عن العراقيل التي يواجهها بغية حصوله على الموارد التي يحتاجها، تجعله ينتقل من نشاط التسول إلى نشاط آخر عندما لا

يعشن بشكل مستمر في الشارع بالمقارنة مع الأطفال الذكور، بحيث معظمهن يتخذن من الشارع فقط مكانا للقيام بأنشطة (مثل التسول أو بيع المناديل) طيلة النهار والعودة مساء إلى أسرهن.

يتوفر على أي مورد، كمساعدة تجار السجائر بالتقسيط مقابل مبلغ مالي بسيط، ويمكن تفسير هذه الصعوبة التي يواجهها هذا الطفل بالمدة التي قضاها في الشارع والتي لا تتجاوز بضعة أشهر، بمعنى أنه لم يكتسب بعد مجموعة من المهارات التي تمكنه من توفير حاجياته، على خلاف باقي المشاركين الذين استطاعوا اكتساب مهارات بحكم مدة تواجدهم في الشارع.

وتتجلى هذه المهارات التي يكتسبها الطفل في خلق شبكة اجتماعية داعمة وتطوير قاموس لغوي يضم ألفاظ وتعبيرات يستعطف بها أفراد المجتمع ويستجديهم، وقد تطرق السوسيولوجي ريكاردو لوكشيني (Riccardo Lucchini) للمهارات التي يطورها الطفل في وضعية الشارع والتي تتعلق بالبقاء، وعلى رأسها فن التدبير (debrouille) والتفاوض (Riccardo Lucchini، 2001، ص78)، بحيث تعتبر القدرة على التفاوض عنصرا حاسما في حصول الطفل على المساعدة، وتكتسب هذه المهارة كلما قضى الطفل مدة طويلة في الشارع، كما تعد هذه الأخيرة محددا في تطويره لمهارة تدبير وضعية الشارع، والتي تتجلى في العثور على مكان آمن للنوم (الذي يمكن تغييره حسب الأوضاع) وموارد أخرى.

ومن دون شك فإن لجنس الطفل خصوصياته، ويتضح هذا في مجموعة من الاستراتيجيات التي تتبعها المشاركة (رقم1) للحصول على الموارد وأيضا مواجهة المشاكل التي تتعرض لها في فضاء الشارع، والتي تختلف طبيعتها وحدتها حسب جنس الطفل، وتزاول هذه الطفلة نشاط التسول لكسب الموارد التي تحتاجها، ومنه تقاسمها النشاط نفسه وباقي الأطفال، إلا أنها تختلف عنهم في اختيارها لفضاء معين (حي أكدال) داخل مدينة الرباط، تمارس فيه جميع أنشطتها من تسول وأكل ونوم، بمعنى أن حركيتها محصورة في هذا المجال على خلاف الأطفال الآخرين، ويمكن تفسير عدم تنقل هذه الطفلة بين مجالات مدينة الرباط بالتمثل الذي تحمله حول هذا الحي (أكدال)، بحيث تعتبره مكانا آمنا تقطنه طبقة اجتماعية ميسورة مما يمكنها من الحصول على الموارد بسهولة.

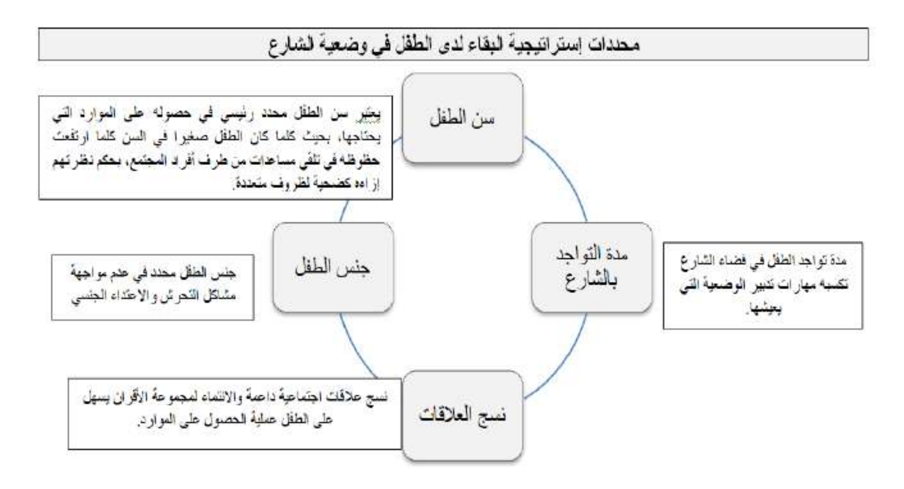
وتواجه هذه الطفلة مجموعة من المشاكل والتي يرجع أصلها إلى طبيعة جنسها، ولعل من أبرزها المحاولات المتكررة للتحرش بها وكذا الاعتداء عليها جنسيا، سواء من طرف الأطفال المتواجدين في الشارع أو أفراد آخرين، ولصد هذه المحاولات تنهج هذه المشاركة مجموعة من الاستراتيجيات من قبيل: وضع وشاح فوق رأسها وارتداء جلباب أثناء قيامها بالتسول، ويعتبر هذا الأسلوب في اللباس إستراتيجية لإخفاء جميع معالم الأنوثة[2]، التي قد تشكل حسب هذه المشاركة مثيرا قد يجذب محاولات الاعتداء عليها جنسيا.

يمكن تلخيص تطوير استراتجيات البقاء المتبعة من قبل الأطفال في وضعية الشارع في مجموعة من المحددات التي تم استنتاجها من خلال هذه الدراسة، بحيث عملنا على وضع هذه المحددات المتوصل إليها في خطاطة تفسيرية، وهي كالآتي:

---

[2] معالم الأنوثة حسب المعايير السائدة في المجتمع المغربي.

هاجر بوزيد، 2018



خامسا. الدينامية الهوياتية للطفل:

نقصد بالدينامية الهوياتية هي تلك السيرورة التي تدمج عملية تفكك تصور حول الذات وبناء في المقابل تصور جديد، ولرصد هذه الدينامية الهوياتية عند المشاركين لابد من الوقوف عند العوامل المُسهمة في تفعيلها، والتي ترتبط بتغيير إطار العيش ليصبح فضاء الشارع، فهذا العنصر يشكل منعطفا بيوغرافيا في المسار الشخصي للطفل، كما يترتب عنه تفكك التصور الذي يحمله الطفل حول ذاته، ومنه فهذه الدينامية الهوياتية ناجمة بالأساس عن اتخاذ الطفل من فضاء الشارع مكانا للعيش المستمر، بالإضافة إلى التفاعلات التي يقيمها مع الآخرين ـ أفراد المجتمع ومجموعة الأقران، التي قد تسهم في بناء وتأكيد أبعاد الهوية الجديدة، بمعنى التصور الجديد حول ذات، باعتبار التفاعل هو تلك اللحظة التي يفقد فيها الفرد استقلالية تصوره والولوج إلى مجال التأثير المباشر واللحظي للأشخاص (Le Breton David، 2004، ص107).

إن تحليل الدينامية الهوياتية الخاصة بالطفل في وضعية الشارع تقتضي الوقوف عند الأبعاد المشكلة لها، والتي يمكن حصرها في ثلاثة أبعاد، يتعلق البعد الأول بتغيير إطار العيش، في حين يرتبط الثاني بالندوب (cicatrices) في أجساد المشاركين، أما البعد الثالث والأخير يتعلق بتأكيد أبعاد الهوية الاجتماعية الجديدة من طرف الآخرين، وتُسهم هذه الأبعاد في رصد وتحليل السيرورة التي يمر منها الطفل، وفيما يلي تفصيل كل بُعد على حدة:

البعد الأول: يُسهم تغيير فضاء العيش ليحل محله الشارع في تحول التصور الذي يحمله الطفل حول ذاته بمقارنته مع تصوره السابق، بمعنى قبل ولوجه للشارع، ليصبح تمثلا يستند إلى مجموعة من النعوت التي يوظفها المشاركون لتعريف ذواتهم من قبيل: **شَمْكَارْ وولد الزنقة**

ومْقَطَّعْ[3]، إلا أن النعت الأكثر تداولا بينهم هو نعت **شَمْكَارْ**[4]، وتستوعب هذه النعوت حمولة ودلالة اجتماعية سلبية، فهذا التصور الذي يحمله الطفل حول ذاته يموقعه ضمن خانة الأفراد المنحرفين عن المعايير الاجتماعية، إلا أن هذا التموقع قبل أن يكون ذاتيا، بمعنى صادرا عن الطفل، فهو نتيجة للتفاعلات التي يقيمها مع الآخرين وأيضا التأويلات التي يقدمها هؤلاء لمختلف المشاهد (Goffman Erving، 1973، ص238) تضم أنشطة يمسرحها الطفل في فضاء الشارع والتي تؤدي حتما إلى تصنيفه ضمن هذه الفئة **شَمْكَارْ** ليصبح فيما بعد تصنيفا ذاتيا يقوم به الطفل.

ومن ثمة، لا يمكن فهم تحول تصور الطفل لذاته بمعزل عن التفاعلات التي يقيمها، ويعد هذا المكون عنصرا أساسيا وتفسيريا لتغيير تمثله حول ذاته، والانتقال من طفل "عادي"[5] إلى "طفل غير عادي"، بمعنى خارج مكانه الطبيعي (الوسط الأسري)، والجدير بالذكر أن الحدود القائمة بين الطفل العادي وغير العادي في المجتمع المغربي هي نتيجة تراكم مجموعة من الشروط التي أسهمت في خلق نموذج معياري مصاغ اجتماعيا لـ"الطفل العادي" بمعنى هو ذلك الطفل الذي يتوفر على روابط أسرية/مؤسساتية، ومن بين الشروط التي أدت إلى بروز هذا النموذج، نشير إلى انخفاض عدد الأطفال للأسرة الواحدة وظهور المدرسة الحديثة التي استأصلت ونزعت هذه الفئة من عالم الراشدين وتعميم التمدرس، بالإضافة إلى ظاهرة التمدن المكثفة التي شهدتها بعض المناطق في السنوات الأخيرة، إلا أن هذه الشروط لم تمس جميع الطبقات الاجتماعية بنفس الوتيرة (Boudoudou Mohamed, Chekroun Mohamed، 1986، ص109-111)، بمعنى أن هناك اختلاف في تعريف هذه الفئة (الأطفال) بين الطبقات الاجتماعية داخل المجتمع نفسه.

البعد الثاني: يعتبر الجسد المكون الأكثر تجسيدا للهوية لكونه يترجمها كما يعكس التصور الذي يحمله الفرد حول ذاته، وقد يسهم في إثبات وتأكيد التحول الهوياتي، وتتوفر أجساد المشاركين في هذه الدراسة على ندوب (cicatrices) سواء على مستوى الذراع أو اليد أو الرجل أو الوجه، وقد يكون هذا الفعل ناجما عن الطفل، خصوصا عندما يكون تحت تأثير المواد المخدرة التي يستهلكها، أو عن اعتداء من طرف أشخاص آخرين، لكن لا تهمنا من الناحية السوسيولوجية حيثيات التعرض للاعتداء أو الكيفية التي اقتُرِف بها هذا الفعل من طرف الطفل، بقدر ما تهمنا الدلالة التي تحملها هذه الندوب، والتي تكمن في التحول الهوياتي.

---

[3] هذه الكلمات باللهجة العامية المغربية يوظفها أفراد المجتمع إزاء الأشخاص الذين يقومون بسلوكات مثل السرقة والعيش الدائم في الشارع واستهلاك المواد المخدرة (وفق تصور المشاركين)، ويتم تقييمها اجتماعيا على أنها انحراف.

[4] شَمْكَارْ: لفظ باللهجة العامية المغربية ذو حمولة اجتماعية سلبية نظرا لارتباطه بمجموعة من الممارسات كاستهلاك المواد المخدرة واتخاذ الشارع مكانا للعيش الدائم، حسب تعبير المشاركين، وتعتبر هذه الممارسات غير مقبولة اجتماعيا كما تتنافى مع المعايير السائدة في المجتمع.

[5] توظيفنا لهذه العبارة ناجم بالأساس عن الوصف الذي قدمه المشاركون في هذه الدراسة عندما طلبنا منهم الحديث وتعريف ذواتهم قبل الولوج إلى الشارع بصفة دائمة، وقد عبروا كالتالي: "كنا أطفال عاديين قبل الولوج والعيش المستمر في الشارع".

فهذه الندوب في أجساد الأطفال تلعب دورا مهما في تفكك تصورهم السابق حول ذواتهم، وبناء تصور هوياتي جديد يتميز بابتعاده عن نموذج الطفل والطفولة في المجتمع المغربي، وبالتالي تجسيده للانحراف بالمعنى الاجتماعي عن هذا المعيار، ويقدم الطفل هذه الندوب بطريقتين مختلفتين حسب محاوريه والوضعيات، بحيث عندما يتعلق الأمر بأفراد المجتمع ينحو الطفل في هذه الحالة إلى إخفائها والاستعانة بخطابات مشحونة بكلمات وعبارات تجعل منه ضحية في أعين الآخرين بهدف إثارة شفقتهم، أو تقديمها كوصمة ونتيجة للظروف التي ألقت به في الشارع، في حين عندما يتعلق الأمر بالمجموعات المتواجدة في الشارع بما فيها مجموعة الأقران، يميل الطفل إلى تقديم الندوب في جسده كدليل على المدة الطويلة التي قضاها في الشارع والتجربة التي خاضها، وبالتالي تصبح مصدر فخر ونزع للاعتراف من طرف هذه المجموعات، ومنه تستوعب هذه العلامات في الجسد دلالة مزدوجة، فهي من جهة تجعل انحرافه ـ بالمعنى الاجتماعي ـ مرئيا وبالتالي تصنيفه ضمن فئة المنحرفين، ومن جهة أخرى تكتسي حمولة إيجابية تتجلى في الاعتراف والوقار الذي تضفيه على صاحبها وسط الجماعات المتواجدة في الشارع.

البعد الثالث: يتم تأكيد أبعاد الهوية الاجتماعية المبنية من طرف الآخر، سواء تعلق الأمر بأفراد المجتمع أو المجموعات المتواجدة في الشارع ـ بما فيها مجموعة الأقران-، ويتجلى هذا التأكيد في تبني الطفل وتوظيفه لمجموعة من النعوت (**شَمْكَارْ وولد الزنقة ومْقَطَعْ**) الصادرة من طرف هؤلاء لوصف ذاته، كما يتقاسم نفس الهوية الاجتماعية المشكلة مع مجموعة الأقران، ويتضح هذا في توظيف صيغة "**نحن شَمْكَارَ**"، فهذه العبارة تحيل على تصنيف ذاتي يقوم به الطفل ضمن خانة " **شَمْكَارَ**" والذي يعود في الأصل إلى تصنيف ناجم عن الآخر، بحيث يتم استدماجه ليصبح تصنيفا ذاتيا يقوم على جدلية "نحن" في مقابل "هم"، أي تشكيل ورسم حدود فاصلة بين هويتهم الاجتماعية وهوية الآخرين.

فالتصور الذي يحمله الطفل في وضعية الشارع حول ذاته هو تصور يتم التعبير عنه بصيغة "نحن" لتعريف ذاته وأيضا الأطفال الآخرين الذين يعيشون نفس الوضعية، ومن الصعب حصر هذه الهوية الاجتماعية المبنية في إطار سلبي، بالرغم من الحمولة السلبية التي تتوفر عليها مختلف النعوت والألقاب الموظفة إزاءهم، وهذا راجع إلى المقارنات التي يعقدها المشاركون مع باقي الفئات الاجتماعية الأخرى، وذلك من خلال استنادهم إلى قيم وخصائص مقبولة اجتماعيا لتقييم هويتهم، وبهذا تصبح هوية الأطفال في وضعية الشارع تتموقع بين ما هو سلبي وإيجابي حسب المقارنة التي يعقدونها مع الآخر"هم"، وتصير هويتهم الاجتماعية إيجابية عند مقارنتها مع المجموعات الأخرى المتواجدة في الشارع، والتي يطلق عليها المشاركون اسم "**شَمْكَارِا لكبار**"[6]، فتقييمهم الإيجابي لهويتهم يستند إلى مجموعة من الخصائص التي تتوفر عليها كلا المجموعتين، والتي تضم سلوكات وأنشطة داخل فضاء الشارع، بحيث ركز المشاركون على فعل السرقة، باعتبار أن هذه الخاصية تنعدم في مجموعتهم وحاضرة بقوة ضمن المجموعة الأخرى **شَمْكَارِا لكبار** بل تعتبر نشاطها الرئيسي.

[6] يوظف الأطفال هذا اللقب للإشارة إلى مجموعة من الأشخاص الراشدين الذين يتخذون من الشارع مأوى لهم.

وسرعان ما تتحول هذه الهوية الاجتماعية التي يتم تقييمها إيجابيا إلى هوية اجتماعية سلبية خصوصا عندما تتم مقارنة خصائصها مع الآخر "هم" وحصره في فئة الأطفال، بحيث ينطلق المشاركون في عملية التقييم هذه من خصائص تشمل طبيعة معيشهم اليومي ومظهرهم الخارجي وتفكك الرابط الأسري بالإضافة إلى سلوكات أخرى كتعاطيهم للمواد المخدرة، فهذه الخصائص تجعلهم يقيمون هويتهم بشكل سلبي عند مقارنتها بالأطفال الآخرين.

سادسا. أشكال الوصم واستراتيجياته:

يعتبر الطفل في وضعية الشارع موضوعا للوصم يتجلى في الألقاب والنعوت التي يوظفها أفراد المجتمع لوصف هذه الفئة، فضلا عن استيعابها لدلالة اجتماعية سلبية فهي تعكس أيضا النظرة الموصومة التي يحملها هؤلاء إزاء الأطفال، وبالتالي تُسهم في تصنيفهم ضمن خانة الأطفال غير العاديين، بالنظر للمعايير والقيم المبنية اجتماعيا والتي ترسم الحدود بين الطفل العادي والطفل غير العادي، بحيث يستدمج الأطفال هذه النعوت والتصنيفات الصادرة من طرف الآخر، ويتجلى بشكل واضح في توظيفها للمناداة بين بعضهم البعض، بمعنى هناك تطبع معها، ويمكن تفسير هذا التطبع باعتباره نتيجة لسيرورة التنشئة الاجتماعية التي خضعوا لها وبالرغم من عدم اكتمالها، إلا أنهم تلقوا أثناء تواجدهم مع أسرهم مجموعة من المثل والقيم التي تُسهم في خلق حدود بين الفئات والممارسات المقبولة اجتماعيا، مما يقودهم إلى استدماج هذه النظرة الموصومة والتطبع مع النعوت الموجهة نحوهم، ولعل هذا ما يجعلهم يدافعون عن فكرة كونهم أطفال غير عاديين، واستبطانهم لهذه الفكرة يقودهم إلى تطوير استراتيجيات تعد قاسما مشتركا بينهم.

ويكمن الهدف من هذه الاستراتيجيات المتبعة في التقليل من حدة الوصم الصادر من طرف الآخر والمتبنى من قبل الأطفال، بحيث ينهج هؤلاء إستراتيجيتين: ترتبط الأولى باختيار فضاءات معينة للعيش، لكون انتقاء الطفل لمكان دون آخر يحتكم إلى الموارد التي يتيحها الحيز المجالي، ومن بينها البحث عن فضاء لا يُسهم في مضاعفة الوصم الذي يحمله، وبالرغم من دينامية الطفل في الشارع بمعنى عدم استقراره في مكان معين إلا أن حركيته في المجال العام مشروطة بالموارد التي يتيحها وكذا تمثله للفضاءات والأفراد المترددين عليها، بحيث يعتبر تمثل الطفل للمجال محددا حاسما في الاستقرار فيه.

وتتضمن شهادات جميع المشاركين لألفاظ من قبيل "**نقية** و**نظيفة**" لوصف خاصية الحيز المجالي الذي يشغلونه والذي يتم تملكه من قبلهم[7]، وفي المقابل يتم وصف الفضاءات الأخرى غير المتردد عليها داخل نفس المدينة بتوظيف لفظ **متسخ**، فتقطيع فضاءات المدينة بتوظيف هذين اللفظين (نظيف/متسخ) يعكس تصوراتهم للمجلات والأفراد المترددين عليها، وهذا ما يجبرهم على الابتعاد عن المجالات التي يتمثلونها بشكل سلبي والتي قد تضاعف وصمهم، بمعنى

---

[7] تبين لنا، أن جميع المشاركين في هذه الدراسة يتملكون الحيز المجالي الذي يخصصونه للنوم، ويتجلى هذا التملك في ما هو مادي، بمعنى وضع الأغراض الخاصة بهم في هذا المكان، كما لا يمكن أن يشغله شخص آخر إلا في حالات نادرة، وأيضا على المستوى الرمزي أي بناء علاقة حميمية مع هذا المكان.

الوصم الذي يحملونه ووصم المجال، وفي المقابل ينقب الطفل على فضاء غير موصوم وفق تمثله ـ للتقليل من حدة الوصم الذي يحمله.

أما بالنسبة للإستراتجية الثانية والتي يمكن استنتاجها من خلال الوقوف عند الوضعيات التفاعلية التي تجمع بين الأطفال وأفراد المجتمع، بحيث يوظف المشاركون خطابا يجعل منهم ضحايا لظروف متعددة من بينها تفكك الرابط الأسري ووضعية الفقر التي يعيشونها، وتحليل هذا الخطاب الموظف من قبلهم يجعلنا نرصد مجموعة من الألفاظ والعبارات التي يتضمنها والتي يرجو الأطفال من خلالها إثارة شفقة الآخرين والتقليل من حدة النظرة الموصومة الصادرة من طرفهم، ومنه يوظف هذا الخطاب بغية الحصول على الموارد التي يحتاجونها (النقود أو الأكل أو السجائر) وأيضا كسلوك يرجى منه كسب تعاطف الآخر مع الوضعية التي يعيشونها، ويمكن تفسير هذه الإستراتيجية التي ينهجها الطفل في وضعية الشارع من خلال الاستعانة بتصور إرفنغ غوفمان حول الاستراتيجيات التي يطورها الأفراد الموصومون بغية عدم إقصائهم من المحيط الاجتماعي، ومن بين هذه الاستراتجيات اللجوء إلى فكرة الضحية لكي يحظى بتعاطف الأفراد "العاديين" (Thierry Rogel، 1997، ص57)، وينهج الأفراد الموصومون هذه الإستراتيجية، أي تبني وكذا الدفاع عن كونهم ضحايا، بغية تغيير تموقهم وأيضا النظرة الموجهة إليهم، لكي تصبح نظرة شفقة تتيح لهم إمكانية الاندماج في المحيط الاجتماعي عوض النظرة الموصومة التي تقصيهم من مجالات الحياة الاجتماعية.

خاتمة:

تم تحليل وفهم من خلال هذه الدراسة الميدانية الدينامية الهوياتية للطفل في وضعية الشارع، والتي نعني بها تفكك تصوره السابق حول ذاته قبل ولوجه للشارع ـ وتشكل هوية اجتماعية جديدة، بحيث تم تحليل هذه السيرورة عبر رصد المكانيزمات الكامنة وراء تفعيلها، والتي ترتبط بمجموعة من المكونات المسهمة في بناء تصور جديد حول ذات طفل، ومن بينها؛ تغيير فضاء العيش وتعويضه بالشارع، ويعتبر هذا الحدث عنصرا مهما في تفكك تصور الطفل حول ذاته، فضلا عن إسهامه في تفعيل دينامية هوياتية ناجمة بالأساس عن هذا الإطار الجديد للعيش وأيضا التفاعلات التي يقيمها الطفل مع الآخرين (مجموعة الأقران والمجموعات المتواجدة في الشارع وأفراد المجتمع)، وينجم عن هذه الوضعيات التفاعلية التي يكون الطفل طرفا فيها تبنيه للتعريف الصادر من قبلهم، وهذا التعريف لا يتفاوض الطفل بشأنه على اعتبار أنه يعي جيدا تماثله مع الوضعية التي يعيشها، لهذا نجده ينطلق من النعوت والألقاب (**شَمْكَار**) الموظفة إزاءه لتعريف ذاته.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى العوامل المسهمة في نقل التصور الصادر من طرف الآخر وجعله تصورا متبنى من قبل الطفل، ومن بينها وعيه بتطابق هذا التصور مع الخصائص التي يحملها، والمتمثلة في الندوب في جسده وسلوكاته داخل فضاء الشارع، ولا تقف سيرورة تشكل هوية الطفل عند تبنيه للتعريف الصادر عن الآخر، بل على خلاف هذا يتم تأكيد أبعاد الهوية الاجتماعية المبنية من طرف الآخرين، وقد تبين لنا أنه من الصعب حصر هذا التصور المبني في إطار سلبي أو إيجابي، لكونه يشترط بالمقارنات التي يعقدها الطفل، بحيث تصبح

هويته إيجابية عندما يقارن خصائصها مع المجموعات المتخذة من فضاء الشارع مكانا للعيش المستمر، خصوصا الراشدين منهم "**شمكارة لكبار**"، وذلك باستناده إلى مجموعة من الخصائص التي يتم تقييمها ـ اجتماعيا ـ بشكل إيجابي، وبالتالي فاختلاف خصائص هويتهم تجعل الطفل يثمن تصوره حول ذاته ويقيمه إيجابيا، إلا أنها تصير سلبية ـ الهوية الاجتماعية ـ عندما يقارن المشاركون خصائصها مع الأطفال "العاديين".

تأسيسا عما سبق، تبين لنا أن الطفل في وضعية الشارع يشكل موضوعا للوصم نظرا لانحرافه عن النموذج المبني اجتماعيا للطفل والطفولة في المجتمع المغربي، ويترجم هذا الوصم في نظرة أفراد المجتمع وسلوكاتهم إزاء هذه الفئة، ويعد استدخال الطفل لهذه النظرة الموصومة عنصرا مهما في تطويره لاستراتيجيات ترمي إلى التقليل من حدة الوصم، عوض إخفائه لكون جميع معالم انحرافه باتت مرئية، ومن بين هذه الاستراتيجيات تنقيب الطفل على فضاءات غير موصومة"**نقية**" وفق تمثله، والتي تزيح احتمال مضاعفة الوصم، بمعنى الوصم الذي يحمله ووصم المجال، بالإضافة إلى بلورته لخطاب يعرض فيه وضعيته كنتيجة لظروف متعددة وخارجة عن إرادته، وذلك بهدف التفاوض حول النظرة الموصومة الصادرة عن الآخرين والتقليل من حدتها.

وقد تعرفنا من خلال هذه الدراسة على مختلف الاستراتيجيات المطورة من طرف الأطفال في وضعية الشارع، سواء تعلق الأمر باستراتيجيات البقاء، والتي تحتكم إلى محددات من قبيل: سن الطفل ومدة تواجده في الشارع ونسج علاقات اجتماعية داعمة داخل نفس الفضاء ثم جنس الطفل، وتعتبر هذه المحددات المشار إليها عنصرا حاسما في تدبير الطفل لوضعية الشارع، بما فيها الحصول على الموارد التي يحتاجها وأيضا صد مختلف المشاكل والصعوبات التي تعترضه داخل فضاء الشارع، كما تم تسليط الضوء على الاستراتيجيات التي ينهجها المشاركون في الدراسة بغية التقليل من حدة الوصم، بحيث يطور هؤلاء إستراتيجيتين، ترتبط الأولى باختيار فضاءات للعيش غير موصومة وفق تصورهم، في حين تتعلق الإستراتيجية الثانية بتطوير خطاب يرجى من خلاله استعطاف أفراد المجتمع، ويكمن الهدف من جرد هذه الاستراتيجيات في تسليط الضوء على جانب مهم أغفل في العديد من الدراسات والأبحاث يكمن أساسا في ملامسة هذا الموضوع باعتبار الطفل فاعلا اجتماعيا، مع الوقوف عند كيفية تدبيره لوضعية الشارع التي يعيشها والتي تقوده إلى تطوير مجموعة من الاستراتيجيات، فجل الدراسات السابقة تناولت الأسباب الملقية بالطفل في الشارع ومختلف المشاكل التي تعترضه داخل هذا الفضاء، وبالتالي جعلت منه سواء بشكل ضمني أو صريح ـ ضحية لمجموعة من الشروط المتظافرة، كما سلبته إمكانية الفعل.

قائمة المراجع:

1. مومن محمد(2010)، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، ط2، طوب بريس، الرباط، المغرب.
2. هرهار عبد الله(2009)، من التشرد إلى الانحراف: سوسيولوجيا الطفل في وضعية الشارع، مجلة إضافات، ع8، تصدر عن: مركز دراسات الوحدة العربية.
3. Chekroun, Mohamed et Boudoudou, Mohamed(1986), Définition Sociale de l'enfance et de l'enfant : condition sociales de production de la légitimité

sociale de la mise au travail des enfants au Maroc, Revue Bulletin économique et sociale du Maroc, N157, Maroc.
4. David, Le Breton(2004), l'interactionnisme symbolique, 1ere Édition, PUF, Paris, France.
5. Dubar, Claude(1992), Formes identitaire et socialisation professionnelle, Revue française de sociologie, Vol 33, N33-4.
6. Flandrin, Jean-Louis (1964), Enfance et société, Ph. Ariès, *L'enfant et la vie familiale sous l'ancien régime*, Revue *Annales. Economies, Sociétés, Civilisations*, N2.
7. Goffman, Erving(1973), la mise en scène de la vie quotidienne la présentation de soi, les Editions de Minuit, Paris.
8. Goffman, Erving(1975), Stigmate les usages sociaux des handicaps, Les Editions de Minuit, Paris.
9. Lucchini, Ricardo(1998), L'enfant de la rue: réalité complexe et discours réducteurs, Revue Déviance et société, Vol 22, N4.
10. Lucchini, Riccardo(2001), Carrière, identité et sortie de la rue: le cas de l'enfant de la rue, Revue Déviance et Société, Vol 25, N1.
11. Neyrand, Gerard et Mekboul, Sahra(2014), Corps sexué de l'enfant et normes sociales la normativité corporelle en société néolibérale, Edition Erés, Toulouse, France.
12. Sirota, Régine(1998), l'émergence d'une sociologie de l'enfance : évolution de l'objet, évolution du regarde, Education et Sociétés, N2.
13. Sirota Régine(2006), Éléments pour une sociologie de l'enfance, Editions PUR.
14. Thierry, Rogel(1997), Sociologie La Stigmatisation, DEES 107 /Mars, En linge: http://www.afrosantelgbt.org/wp-content/uploads/2014/03/10.pdf. Consulté le 20-09- 2018.
15. Fédération des Associations de Parents de l'Enseignement Officie(2008), L'évolution de la place de l'enfant dans la société, En linge:https://www.fapeo.be/wp-content/analyses/archives/Place_enfant_societe.pdf. Consulté le 10/10/2018.

التحديات التي تواجه المرأة العاملة في القطاع الخاص

Challenges that Faces Women Working in the Private Sector

أ.حنان شعشوع محمد الشهري، جامعة الملك عبد العزيز–المملكة العربية السعودية.

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على التحديات التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية من خلال إلقاء الضوء على الجوانب الآتية: معرفة خصائص المرأة العاملة في المراكز التجارية، والكشف عن أهم التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في هذا المجال، وكذلك الكشف عن أهم التحديات الاقتصادية التي تواجه المرأة العاملة، كما هدفت الدراسة إلى تقديم بعض المقترحات للتغلب على تلك التحديات، ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي وقد صممت استبانة تم تطبيقها على عينة مكونة من (400) عاملة في بعض المراكز التجارية بجده تم اختيارها بالطريقة العشوائية العنقودية، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية: إن أكثر من نصف العينة تتراوح أعمارهن من (29-20 عام) وأن الغالبية العظمى منهن غير متزوجات يحملن مؤهل تعليمي ثانوي، كما أنهن يتقاضين رواتب تتراوح ما بين (2500 إلى 4500 ريال)، كما بينت الدراسة أن النسبة الغالبة منهن يعملن في وظيفتي بائعة تجزئة ومحاسبة مبيعات لديهن خبرة وظيفية أقل من سنة، بالإضافة إلى أنهن ينتمين إلى أسر ذات دخل اقتصادي متدن، كما بينت النتائج أن العاملات يواجهن أحيانا بعض التحديات الاجتماعية من أهمها النظرة السلبية وتعدم تقبل بعض أفراد المجتمع لعملهن بسبب العادات والتقاليد السلبية، بالإضافة إلى معاناتهن من صراع الأدوار نتيجة التعارض بين متطلبات العمل والأسرة، وضعف العلاقات الاجتماعية مع الأقارب والصديقات بسبب الانشغال بالعمل، كما أظهرت النتائج أن أهم التحديات الاقتصادية التي تواجه العاملات أحيانا تتمثل في تدني الأجور وغياب الأمن الوظيفي في ظل عدم وجود راتب تقاعدي، أما عن ظروف العمل فقد بينت النتائج افتقار مكان العمل للاستراحات الخاصة بالعاملات ولأماكن حضانة الأطفال.

وبناء على ذلك، توصلت الدراسة إلى بعض التوصيات منها: تحسين ظروف عمل المرأة في المراكز التجارية مع تطوير أنظمة التأمينات الاجتماعية والصحية وأنظمة التقاعد، وتهيئة فرص تدريبية تتناسب وطبيعة العمل في المراكز التجارية بما يحقق نمو الموظفة المعرفي وتمكينها من مواجهة متطلبات العمل المتجددة، بالإضافة إلى توفير دور الحضانة ورياض الأطفال لأبناء العاملات في المراكز التجارية أو بالقرب منها مستوفية للشروط الضرورية من حيث القائمين عليها أو القوانين المعمول بها لرعاية الأطفال.

الكلمات المفتاحية: عمل المرأة، التحديات الاجتماعية، المراكز التجارية.

Abstract: This study aimed to identify the challenges that faces Saudi woman working in shopping centers. The objectives of the study are following on aspects: Features of woman working in shopping centers, finding out the most significant economic and social challenges facing the

woman. In addition, the study aimed to present certain suggestions to overcome the challenges she faces. In order to achieve the study objectives, the study adopted the analytical descriptive method. A questionnaire was designed and applied on a (400) female laborer sample was selected randomly from (8) shopping centers in Jeddah. The study concluded the following findings: the age of more than half of the sample varies from (20 to 29) years. The majorities of them are not married and have secondary education certificate. They are paid salaries between (2500 to 4500) SAR. The study showed that the majority of the sample are working as a retail salesperson and sales accountants with job experience less than one year. In addition, they belong to families with low economic income. The findings showed that women face sometimes some social challenges including the negative view and non-acceptance by individuals of the community to their work due to negative traditions and customs also they are suffering from the struggle as a result of the conflict role between work requirements and family tasks. In addition, weakness of social relations with relatives and friends because of being busy with work. Moreover, the findings showed that the most significant economic challenges facing female workers sometimes are the low salaries, absence of job security in view of lack to pension salary. With regard to work conditions, the findings showed severe lack of rest rooms and nurseries for their children in the work place.
Accordingly, the study concluded certain recommendations including: improving the conditions of woman work in shopping centers, providing training opportunities suiting work in shopping centers so as to achieve cognitive development for workers and enable them to meet the requirements of work. In addition, the study recommend nurseries of children inside shopping centers or at nearby place.

مقدمة:

لقد أصبحت المسألة النسائية في المجتمعات المعاصرة موضوعا للحوار والبحث على صعد ومستويات متعددة وانطلاقا من عدة تخصصات ومنظورات وزوايا وتحليل تعود إلى وضعية المرأة في سياق خصوصيات كل مجتمع من جهة، كما ترتبط من جهة أخرى بما غدا يشهده الراهن الكوني المعولَم من تسارع في مستجدات التطور والتوجهات الفكرية والحضارية.

وقد بدأ الاهتمام بقضايا المرأة في القرن التاسع عشر وعلى امتداد القرن العشرين إلى أن جاءت الألفية الثالثة، حيث استحوذت قضايا المرأة ووضعها وموقعها من قضايا العمل والتنمية المستدامة على حيز كبير من أهداف الألفية الإنمائية التي وضعتها الأمم المتحدة، ففي ثمانينات القرن العشرين تنامت المنظمات والحركات النسائية المستقلة بهدف نهضة وتطوير دور المرأة في التنمية، وشهدت انعقاد عدة مؤتمرات دولية كان لها الأثر الأكبر في تبني خطاب تمكين المرأة بهدف مشاركة المرأة في التنمية والعمل والاستقلال والاعتماد على الذات، وخلال هذا العقد كان هناك تحول واضح نحو الشراكة في النشاط الاقتصادي وفي عملية التنمية، واتخذت تدابير ترمي إلى منح المرأة المساواة في فرص التعليم والتدريب والعمل، ولا شك أن هذا التوجه فرض نفسه على البلدان العربية كغيرها من بلدان العالم وبخاصة النامية منها.

هذا وترتبط قضية تمكين المرأة بالتنمية البشرية بشكل عام، فالمرأة جزء لا يتجزأ من المجتمع الإنساني وهي تؤدي دورا أساسيا في تطويره وتنميته، وحيث إن التنمية أصبحت تعني "عملية توسيع الخيارات أمام الناس لضمان حياة كريمة" فإن مفهوم التنمية البشرية قد اتسع ليشمل أبعادا أساسية هي: التمكين، والتعاون، والإنصاف، والاستدامة، والأمن(سبيكة النجار، 1997، ص117).

وبذلك فإن اندماج المرأة في النشاط الاقتصادي وارتفاع نسبة مشاركتها في سوق العمل يؤدي إلى تحقيق العديد من المكاسب الاقتصادية، منها الحصول على فرص التوظيف التي تؤمن لها مصدرا دائما للدخل، كذلك تحقيق الاستغلال الأمثل للموارد البشرية المتاحة على المستوى القومي، مما يؤدي للوصول إلى معدلات النمو الاقتصادي المستهدفة، ورفع القدرة التنافسية للمرأة في سوق العمل في ظل اقتصاديات السوق والخصخصة والعولمة وتخفيض معدلات البطالة، كما تعتبر المشاركة الاقتصادية للمرأة ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة(محيي مسعد، 2010، ص2).

وفي الوقت الحاضر تولي المجتمعات العربية اهتمامًا كبيرًا ببناء نهضتها وتقدمها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية كافة، وتحقيق رفاهية أبنائها وسعادتهم وتحسين مستوى حياتهم، وذلك من خلال وضع الاستراتيجيات والخطط التنموية واستثمار طاقات ابنائها جميعًا في مختلف التخصصات، ومن هنا فإن الحديث عن إشراك العنصر النسائي في جميع مجالات التنمية ومراحلها أصبح من الأمور الضرورية والملّحة للتطور المجتمعي.

وفي المملكة العربية السعودية أصبح الاهتمام بقضايا المرأة وتمكينها أولوية متقدمة في فكر القيادة السعودية، حيث تحتل قضية تمكين المرأة موقفا متقدما من بين شواغل الفكر التنموي الاجتماعي والاقتصادي الحديث من منطلق الإيمان بأهمية الدور الذي يمكن أن تؤديه المرأة في خدمة وطنها ودفع مسيرته التنموية إلى الأمام، وقد كان التطور الذي طرأ على أوضاع ودور النساء مكونا أساسيا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للمملكة العربية السعودية في مختلف القطاعات(غادة الطريف، 2014، ص107-108)

ومع تصاعد قوة الحركة التنموية في المملكة خصصت خطط التنمية منذ الخطة الأولى وانتهاء بخطة التنمية العاشرة (2015-2019) ضمن أهدافها العامة تمكين المرأة وزيادة إسهامها

في مجالات التنمية المختلفة وتوسيع فرص العمل أمامها وكذلك تطوير الخدمات المساندة والتسهيلات اللازمة لتمكينها من أداء دورها الاقتصادي(وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية العاشرة، 2015-2019) وتنفيذا لما جاء في خطط التنمية شرعت الدولة قواعد وقوانين ناظمة لتمكين المرأة اقتصاديا من أهمها ما يتعلق بتنظيم عمل المرأة وإتاحة العديد من الفرص في مجالات العمل المختلفة ووضع الضوابط والآليات المطلوبة لذلك .

بناءً على ما تقدم، وفي ظل المعطيات الاجتماعية التي تميز واقع المرأة في المملكة من جهة وأهمية المشاركة الاقتصادية للمرأة في العملية التنموية من جهة أخرى، يناقش هذا البحث الوضع الراهن لواقع المرأة العاملة في المراكز التجارية والتحديات المواجهة بهدف الإصلاح والتطوير المستقبلي.

مشكلة الدراسة:

للمرأة السعودية دور كبير وفعال في مختلف جوانب الحياة، فما أنجزته وحققته منذ بدء التعليم الرسمي للبنات في المملكة سنة 1380هـ، وفي ظل الإمكانات التي وفرتها الدولة والتخصصات العديدة التي توفرها الجامعات للمرأة، بدأت أعداد الخريجات السعوديات تتزايد عاما بعد عام سواء من الجامعات أو الكليات، وبدأت مشكلة توفير العمل المناسب لهن تظهر كقضية تحتاج للمعالجة العقلانية، وهذا ما ركزت عليه خطة التنمية الخامسة (1415-1410ه) حيث أكدت أنه على الرغم من التوسع المشهود الذي حققته وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات والجامعات، إلا أنه توسع يفتقد مراعاة التخطيط الشامل لتنمية الموارد البشرية السعودية فالإحصاءات التعليمية تشير إلى النمو الكبير في أعداد الخريجات وتوقع استمرار الوضع في المستقبل مما يستوجب وقفة متأنية خاصة وأن برامج التعليم الجامعي للفتاة لا زالت في مراحلها الأولية آنذاك(مريم الشهراني، 1996، ص2).

وفي ضوء ذلك، جاءت التوجهات المستقبلية لخطط التنمية اللاحقة بمنح أهمية خاصة للمرأة، كما في خطة التنمية الثامنة التي جعلت من أساسها الاستراتيجي الثاني ينصب على (الاهتمام بشؤون المرأة وتطوير قدراتها، وإزالة المعوقات أمام مشاركتها في الأنشطة التنموية في إطار ما تقتضي به القيم والتعاليم الإسلامية) وقد تم ترجمة مثل هذه التوجهات والخطط التنموية من خلال التشريعات والقوانين التي تنظم عمل المرأة السعودية بصدور قرار عام 2005م والمتضمن خطة وطنية متكاملة للقوى النسائية العاملة في السعودية تتولاها وزارة العمل بالاشتراك مع وزارة الاقتصاد والتخطيط لتحديد الاحتياجات الفعلية للقوى النسائية (وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية الثامنة، 2005-2009م)، وأيضا زيادة معدلات المشاركة في سوق العمل ودعم فرص التمكين الاقتصادي للمرأة السعودية وفقا لما جاء في خطة التنمية التاسعة(وزارة الاقتصاد والتخطيط، خطة التنمية التاسعة، 2010- 2014)

وفي السنوات الأخيرة، استدعت خصوصية المجتمع السعودي اهتماما بتوظيف المرأة للقيام بأعمال معينة أوجبت عوامل مجتمعية تشغيلها فيها، ومن ذلك توظيفها للعمل في محلات بيع المستلزمات النسائية وذلك تنفيذا لقرار قصر العمل في هذه المحلات على المرأة السعودية(الأمر الملكي رقم أ/121 والصادر بتاريخ 1432/7/2هـ)، وقد وفقت وزارة العمل في تخطيطها لتنفيذ

هذا المشروع الاستراتيجي عندما اعتمدت على تنفيذ المشروع على مراحل عدة مراعية في ذلك التدرج المنتظم في عملية التحول بما في ذلك مراعاة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية.

وإذ نلمس توفر معطيات وقوانين أساسية لتمكين المرأة من الإسهام الإيجابي في هذا العمل، إلا أن هناك بعض التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة، تتمثل بثقافة المجتمع السعودي المرتبطة بالعمل حيث نجد تصنيف المهن على أساس القيمة الاجتماعية للمهنة فالمكانة الاجتماعية للفرد ترتبط بقيمة المهنة التي يمارسها، إلى جانب عدم تقدير دور المرأة التنموي والنظرة الدونية لعملها على اعتبار أنها تعمل في أماكن مختلطة، بالإضافة إلى التحديات الاقتصادية كتدني الأجور وضعف الحوافز وغيرها.

من هنا جاءت هذه الدراسة للوقوف على واقع تمكين المرأة للعمل في المراكز التجارية في بعديه الاقتصادي والاجتماعي، اعتمادا على تحليل الإشكالية في هذين البعدين وما يظهر من تحديات، أملا في الوصول إلى استراتيجية لمعالجة هذه التحديات وتحقيق اندماج أفضل للمرأة السعودية في سوق العمل وفي عملية التنمية.

أهمية الدراسة:

تكمن الأهمية العلمية لموضوع الدراسة من أهمية الموضوع ذاته لجهة بعده المعرفي (العلمي) حيث يشكل هذا الموضوع رافدا معرفيا مهما في ميادين هامة في علم الاجتماع ألا وهي علم الاجتماع الاقتصادي وعلم اجتماع التنمية ودراسات المرأة، والتي باتت موضوعاتها تعالج أهمية تمكين المرأة والدور الهام الذي من الممكن أن تلعبه في التنمية المستدامة إذا ما شاركت في لعب هذا الدور بفاعلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تعد هذه الدراسة تلبية لاحتياج علمي سيما وأنها تعتبر من الدراسات النادرة التي تناولت واقع عمل المرأة في المراكز التجارية والتحديات التي تواجهها، ومن هنا تساهم هذه الدراسة في توفير بيانات علمية حديثة ومتعمقة تساعد الباحثين والمختصين في العلوم الاجتماعية وخاصة في مجال سوق العمل على فهم واقع تمكين المرأة العاملة في المراكز التجارية كمنطلق لدراسات مستقبلية في هذا المجال بما يسهم في تحقيق التراكم المعرفي والعلمي، وتتماشى هذه الدراسة مع توجهات خطة التنمية العاشرة (1437-1441هـ) فيما يتعلق بتوسيع مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي وتطوير الخدمات المساندة والتسهيلات اللازمة لتمكينها من أداء دورها الاقتصادي والاجتماعي بفاعلية، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة ومن خلال نتائجها وتوصياتها تسعى إلى تقديم تصور مستقبلي مأمول من خلال التوصيات والمقترحات للتغلب على التحديات التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية والنهوض بمستواها بما يتوافق مع استحقاقات التقدم والحداثة في عالم اليوم، وذلك من خلال مساعدة صانعي القرار الخاص بالمرأة على صياغة السياسات والاستراتيجيات والبرامج التي تأخذ في الاعتبار تحسين أوضاع المرأة الموظفة في هذا المجال وتفعيل مشاركتها في عملية التنمية والتغلب على التحديات التي تحد من تمكينها، وأخيرا توفر هذه الدراسة التغذية الراجعة feed back للعاملات ورؤسائهن للاستفادة من النتائج والتوصيات بهدف تحسين أوضاعهن الاجتماعية والاقتصادية.

أهداف الدراسة:

-تحليل طبيعة التحديات التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية.

ويتفرع من هذا الهدف الرئيسي مجموعة من الأهداف الفرعية على النحو التالي

-معرفة خصائص المرأة العاملة في المراكز التجارية.

-الكشف عن التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية.

-الكشف عن التحديات الاقتصادية التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية.

مصطلحات الدراسة:

التحدياتChallenges :

التعريف العلمي: هي تطورات أو متغيرات أو مشكلات أو صعوبات أو عوائق نابعة من البيئة المحلية أو الإقليمية أو العالمية، كما تعرف بأنها تغيرات إما إيجابية يجب التماشي معها لإحداث التغيير والتطور وإما سلبية يجب الوقوف عليها وتفاديها حتى لا تشكل عائق أمام تحقيق الهدف(هدى سليمان، 2014، ص3).

التعريف الإجرائي: يقصد بالتحديات في هذه الدراسة كل ما يشكل عائقا أو صعوبة أمام المرأة الموظفة في المراكز التجارية من شأنه أن يصعّب عليها أدوارها الاجتماعية أو أدائها الوظيفي بشكل طبيعي وبالتالي يؤثر على دورها في عملية التنمية، وقد تم تصنيفها إلى:

التحديات الاجتماعية: يقصد بها التحديات التي تفرزها الأسرة والمجتمع والظروف الاجتماعية التي تحكم المرأة العاملة وتتمثل في: (النظرة الاجتماعية السلبية، التعارض بين متطلبات العمل والمتطلبات الأسرية، ضعف العلاقات الاجتماعية).

التحديات الاقتصادية: وهي المشكلات الإدارية والاقتصادية التي تواجه العاملات وتشمل: (تدني الأجور ونقص الحوافز، بيئة العمل الداخلية).

المرأة العاملة Working Woman:

التعريف العلمي: هي المرأة التي تقوم بالالتحاق بأحد مراكز العمل الحكومية منها أو الخاصة في أوقات محددة في اليوم أو الأسبوع نظير مبلغ مالي معين ومحدد(محمد عقله، 2000، ص277)، وتعرفها كاميليا عبد الفتاح بأنها المرأة التي تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر مقابل عملها وهي تقوم في الوقت نفسه بدورين أساسيين في الحياة دور ربة البيت ودور الموظفة(عبد الفتاح، 1984، ص110).

التعريف الإجرائي: يقصد بالمرأة العاملة في إطار الدراسة الحالية كل امرأة تعمل موظفة في قطاع المراكز التجارية بجده، سواء كانت بائعة أو محاسبة أو موظفة خدمة عملاء أو مشرفة متجر، مقابل أجر محدد تتقاضاه على ما تقوم به من جهد في مجال عملها، بالإضافة إلى أدوارها الأخرى كزوجة وأم أو ابنه.

المراكز التجاريةShopping Malls :

التعريف العلمي: تعرف بأنها عبارة عن مراكز تسويقية مجمعة في مبنى واحد أو عدة مباني متصلة لتقديم خدمات تسويقية متكاملة، وكذلك يمكن تعريفها بأنها أسواق تجارية ضخمة بطوابق

ومحلات متعددة تتيح الفرصة لكل الأفراد بالتسوق بكل سهولة ويسر لأنها منطقة واحدة مغلقة غير مكشوفة تكون دافئة شتاء ومكيفة صيفا. (فهد الخطيب، 2009م، ص 49)

التعريف الإجرائي: يقصد بالمراكز التجارية في السياق الحالي المراكز الحديثة المغلقة التي يقصدها المستهلك في مدينة جده إما للتسوق أو للترفيه والمتعة أو غيرها من الأنشطة -تعرف بالمولات-، وتوفر فرص عمل للمرأة السعودية وفقا لأنظمة وشروط وزارة العمل السعودية.

الأسلوب المنهجي للبحث:

بما أن موضوع هذه الدراسة ينطوي على الكشف عن التحديات التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية والذي يعتبر من الموضوعات الجديدة في المجتمع السعودي ولاختلاف طبيعة الدور الذي تؤديه المرأة في هذا العمل والظروف المحيطة به، الأمر الذي يحتاج إلى وصف وتحليل وتفسير واف والتطرق إلى جميع جوانبه وتحليلها كما وكيفا، لذلك اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يعد من أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملائمة للواقع الاجتماعي وخصائصه، وكذلك يعتبر الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع، إذ من خلاله نتمكن من الإحاطة بكل أبعاد هذا الواقع محددة على خريطة تصف وتصور بكل دقة كافة ظواهره وسماته، كما يستهدف الوصف تحقيق عدد من الأهداف هي: جمع المعلومات الدقيقة عن جماعة أو مجتمع أو ظاهرة من الظواهر، صياغة عدد من التعميمات أو النتائج العامة، وضع مجموعة من التوصيات والقضايا العلمية.

وبالنظر إلى الخصائص العامة التي تميز بها مجتمع الدراسة، فمدينة جده بوصفها مدينة كبيرة تضم عدد كبير من المراكز التجارية، وحرصا منا على أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الأصل (مدينة جده) قدر الإمكان، إضافة إلى ارتكاز البحث أساسا على المركز التجاري بمدينة جده ولصعوبة الحصول على قوائم اسمية أو إحصاءات رقمية دقيقة عن الموظفات في هذه المراكز، اعتمدنا على اختيار العينة بالطريقة العشوائية العنقودية Cluster Random Sample وذلك انسجاما مع القواعد الإحصائية المتعارف عليها في سحب العينات وتماشيا مع غايات البحث وإمكانياته وذلك من خلال سحب عينة عشوائية (8) مراكز تمثل (20%) من مجتمع الدراسة (40) مركز - تم الاعتماد على قائمة المراكز التجارية الصادرة من أمانة محافظة جده- بعد ذلك تم سحب عينة عشوائية تمثل (30%) من قائمة المحلات التابعة للمراكز المختارة، وتم تطبيق الدراسة على الموظفات في تلك المحلات حيث بلغ مجموع الموظفات النهائي (400) موظفة.

الجدول التالي يوضح ذلك:

المركز التجاري	عدد المحلات	عدد الموظفات
مجمع العرب	55	71
عزيز مول	52	65
الصيرفي مول	16	28
روشانا مول	14	21
الياسمين مول	32	86
السلام مول	53	77
فلامنجو مول	18	34
ساوث مول	10	18
المجموع	250	400

أداة الدراسة:

تم استخدام أداة الاستبيان بالاعتماد على الطرق العلمية الصحيحة لتصميمه التي انطلقت من أساس نظري معرفي يحقق الترابط بين النهج العلمي في الاستقصاء والواقع الاجتماعي للمرأة مجال البحث مع الأخذ في الاعتبار مقاييس الصدق والثبات لضمان جودة وصحة ودقة المعلومات التي يراد جمعها، تكون الاستبيان من ثلاثة أجزاء كالتالي:

الجزء الأول: البيانات الأولية: وهي تتضمن الأسئلة المتعلقة بالبيانات الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية لأفراد عينة الدراسة، والتي شملت: العمر، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي، الدخل الشهري، المسمى الوظيفي، سنوات العمل.

الجزء الثاني: التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة الموظفة في المراكز التجارية ويتكون من (3) أبعاد وهي كالتالي: البعد الأول: النظرة الاجتماعية ويتكون من (5) فقرات ، البعد الثاني: صراع الأدوار ويتكون من (5) فقرات، البعد الثالث: العلاقات الاجتماعية ويتكون من (5) فقرات.

الجزء الثالث: التحديات الاقتصادية التي تواجه المرأة الموظفة في المراكز التجارية ويتكون من بعدين كالتالي: البعد الأول: الأجور والحوافز ويتكون من (6) فقرات ، البعد الثاني: بيئة العمل الداخلية ويتكون من (6) فقرات. وقد استخدمت الباحثة مقياس ليكرت (Likert) خماسي التدرج (دائما- غالبا- أحيانا- نادرا- أبدا) وذلك لتحديد درجة الموافقة على التحديات المواجهة. كما اعتمدت الباحثة على برامج (SPPS) في عملية التحليل الإحصائي لعرض النتائج في جداول وأشكال إحصائية توضح التكرار والنسب المئوية لمختلف متغيرات ومحاور البيانات والدراسة.

نتائج الدراسة:

أولا: الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للمرأة السعودية العاملة في المراكز التجارية.

-أوضحت النتائج أن غالبية الفتيات الموظفات (65,5%) منهن بالفئة العمرية (من 20 إلى 29عام) وهذه النتيجة متوقعة نظرا لأن معدلات النشاط الاقتصادي للمرأة السعودية ترتفع في فئات السن الشابة، كما نلاحظ من خلال خصائص المبحوثات تدني نسبة العاملات في الفئات العمرية الأكبر (من 40 عام فأكثر) حيث بلغت نسبتهن (2%) فقط ويعزى ذلك إلى عدم الرغبة في العمل وقضاء فترات دوام طويلة خارج المنزل وترى المرأة نفسها بهذا العمر غير مهيأة لذلك.

-أظهرت النتائج أن أكثر من نصف الفتيات الموظفات (57,3%) غير متزوجات، وربما يعزى ذلك إلى ميل الفتيات قبل الزواج إلى العمل من أجل إثبات الذات والشعور بالاستقلالية وتحقيق عائد مادي من خلال العمل، أما بعد الزواج ومع ازدياد العمر والنضج وزيادة الأعباء الأسرية ربما يقل حضور المرأة في ميدان العمل (الغير حكومي) بشكل خاص نظرا لعدم توفر الأمان الوظيفي حيث تفضل المرأة الاستقرار في المنزل والعناية بالأسرة، كما يمكن تفسير ارتفاع نسبة الغير متزوجات إلى أن الرجل في المجتمع السعودي قد يتردد في الزواج من المرأة العاملة في المراكز التجارية ذلك لأن عملها يتطلب قضاء فترات طويلة خارج المنزل تمتد إلى الليل مما قد

يؤثر على دورها التقليدي في تربية الأطفال وتحمل المسؤوليات المنزلية من وجهة نظر بعض الرجال.

-بينت النتائج كذلك أن غالبية الموظفات في المراكز التجارية مستواهن التعليمي ثانوي بنسبة بلغت (52,8%) وهذا مؤشر إيجابي إلى حد ما فالتعليم يعتبر مهم في سوق العمل لأنه يمكن المرأة من الحصول على التدريب والتطوير واتساع الأفق وزيادة الوعي لمواكبة التطورات المختلفة.

-أوضحت النتائج أن النساء الموظفات يتقاضين رواتب تراوحت ما بين (2500 إلى 4500) بإجمالي نسبة بلغت (90,25%) أي أن معظمهن يتقايضن رواتب في الحد الأدنى (2500 ريا ل) و(4500 ريا ل) كحد أعلى ويعود ذلك إلى طبيعة العمل في المراكز التجارية فالشركات المشغلة لهؤلاء العاملات تعطي للموظفة راتب ثابت لا يزيد عن (5000 ريال) .

-إضافة لذلك بينت نتائج الدراسة أن نسبة مرتفعة من الموظفات يعملن في وظيفتي بائعة تجزئة ومحاسبة مبيعات (كاشيرة) بإجمالي نسبة (82,3%)، ويعزى ذلك إلى طبيعة العمل في المراكز التجارية الذي يتطلب وجود أكثر من بائعة وأكثر من محاسبة في المحل الواحد ومن ثم فإن نسبة التواجد بها يكون كبيرا مقارنة بالأصناف المهنية الأخرى.

-بينت النتائج كذلك أن عدد سنوات عمل أغلب المبحوثات (أقل من سنة) بنسبة (56%) ولعل التبرير المنطقي لهذه النتيجة يكمن في صغر العمر الوظيفي للمرأة السعودية العاملة في المراكز التجارية وحداثة دخولها هذا القطاع الذي لم يكن يشكّل في البداية عامل جذب للمرأة السعودية إلى سوق العمل، بسبب الرفض الاجتماعي لعمل المرأة في المراكز التجارية في بدايته فلم يتقبل المجتمع هذه الفكرة حينما طرحت قبل سنوات، أما مؤخرا فقد زاد إقبال الفتيات على هذا العمل نتيجة للظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة في الوقت الحالي.

ثانيا. التحديات الاجتماعية التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية.

نلاحظ أن فئة من المبحوثات أفدن بأنهن غالبا ما يواجهن نظرة سلبية من قبل البعض حيث كانت الإجابات على ذلك بمتوسط (3,33)، وتؤكد هذه النتيجة على ما تم التوصل إليه في الدراسة النظرية من حيث أن قبول عمل المرأة يضعف ويقوى حسب وعي الفرد وتحضره وتطوره، وقد تؤثر بعض الأعراف المحددة الخاصة بالنوع الاجتماعي التي تأثرت بدورها بالعوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية على حرية المرأة في العمل حيث تعتمد الأعراف الاجتماعية بشكل كبير على وجهات النظر التقليدية التي تتحدد بدور الرجل في الإنفاق المادي وأن ترعى المرأة شؤون الأسرة وهذا يتفق مع مدخل التنشئة الاجتماعية الذي يرى أن قضية التحيز ضد المرأة في سوق العمل يعود إلى عملية التنشئة الاجتماعية للفرد منذ طفولته وذلك من خلال تحديد الدور الاجتماعي لكل من الذكر والأنثى خلال مراحل التنشئة الاجتماعية، ووفقا لتقسيم العمل على أساس النوع بناء على تفسيرات النظرية فالمكان الطبيعي للمرأة هو المنزل بينما يكلف الرجل بالقيام بالأنشطة الاقتصادية داخل التنظيمات الرسمية المختلفة في المجتمع.

-أظهرت النتائج أنه أحياناً ما يواجه الموظفات في المراكز التجارية صراع أدوار بين المتطلبات الأسرية والأعباء الوظيفية حيث بلغ المتوسط العام لهذا البعد (3.38)، حيث أفدن بأن أوقات

الدوام الطويلة تقف عائقا أمام واجباتهن وأمام مشاركتهن في الأنشطة الأسرية، وبالتالي يعانين من بعض المشاكل الأسرية بسبب ذلك، وتعزو الباحثة هذه النتيجة إلى الضغوطات التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية للموازنة بين المسؤوليات المنزلية ومسؤوليات العمل، فهي تعمل لساعات طويلة على فترتين مضافا إليها وقت الذهاب والإياب لاشك أنها تعود متعبة وربما لا تستطيع القيام بالواجبات المنزلية، حيث أن أعباء الأسرة واحتياجاتها ملقى على عاتق المرأة بالدرجة الأولى، لأن ثقافة التعاون والمشاركة بين الرجل والمرأة في العمل المنزلي لا توجد في مجتمعنا بشكل صريح وواضح، فالرجل يعتقد بأن المسؤوليات المنزلية شأن يخص النساء فقط، وهذا يتفق مع توجهات النظرية النسوية الماركسية التي ترى النساء بأنهن منتجات بالدرجة الأولى، فالعمل المنزلي يظل باستمرار مسؤولية النساء، وهنا تؤكد الماركسيات أن خروج المرأة للعمل غير كاف لإعطائها حريتها ما دام عملها داخل المنزل موضوعا ذا خصوصية وواجبا عليها لهذا تظل النساء يقمن بجهد وظيفي مضاعف.

-اتضح من خلال النتائج أن العمل في المراكز التجارية يكسب العاملات مهارات في التواصل مع الآخرين بصورة دائمة وهذا مؤشر إيجابي وجيد يعزز من تمكينهن اجتماعيا نظرا لطبيعة العمل في المراكز التجارية الذي يتضمن التواصل الدائم مع المشترين والتعامل الشخصي مع أغلب الفئات سواء ذكور أو إناث ومن مختلف الأعمار والطبقات بشكل مستمر مما يؤدي إلى تنمية مهارات الإقناع والتأثير واكتساب الكثير من المهارات الاجتماعية وهي كلها مهارات تتزايد احتمالات توافرها بارتفاع المستوى التعليمي، وكما بينت النتائج السابقة فإن معظم المبحوثات يحملن مؤهل تعليمي (ثانوي وجامعي) مما يؤكد أن فرصة الاستفادة من التفاعل مع الآخرين أكبر، كذلك بينت النتائج أن التنسيق يوجد غالبا بين الموظفات لإنجاز العمل وهذا ينعكس إيجابا على أداء وإنتاج الموظفة ذلك أن التنسيق والانسجام والتعاون بين الموظفات تمثل عوامل مساهمة في خلق الشعور بالرضى المرتبط أساسا بشعور العاملات بالانتماء، والشعور بالرضى ناجم عن حاجة كل فرد إلى التعاون والتضامن من أجل تحقيق هدف لا يتم إلا عبر قيام كل فرد من أفراد المجموعة المهنية بمهام معينة من أجل اكتمال الهدف هذا إلى جانب المركز الاجتماعي الذي تحتله العاملة إذ تشعر بأن لها قيمة ومكانة داخل مجموعة العمل، أما فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية مع الأقارب فقد تأثرت سلبا بصورة غالبة وبمتوسط بلغ (3.48) بسبب الانشغال بالعمل وتعزو الباحثة ضعف العلاقات الاجتماعية مع الأقارب إلى طول ساعات العمل فالوظيفة تستدعي الدوام على فترتين (صباحية ومسائية) بالنسبة لغالبية مفردات العينة كما أشارت النتائج السابقة وبالتالي تعود المرأة العاملة للمنزل في وقت متأخر من المساء بعد ساعات عمل طويلة حيث تستهلك طاقتها ونشاطها إلى أبعد الحدود فلا تستطيع تأدية واجباتها الاجتماعية نحو الأقارب وبالتالي تفضل رعاية أسرتها قبل قيامها بدورها الاجتماعي، كما أن طابع العلاقات الاجتماعية مع الصديقات يضعف أحيانا وتعزو الباحثة هذه النتيجة –أيضا- للسبب السابق المذكور أعلاه والعائد لعدم توفر الوقت.

ثالثا. التحديات الاقتصادية التي تواجه المرأة العاملة في المراكز التجارية.

-تشكل الأجور والحوافز تحدي اقتصادي يواجه الموظفات في كثير من الأحيان يتمثل هذا التحدي في قلة الرواتب مقارنه بما يبذلنه من جهد وما يقضينه من ساعات في الدوام مما يؤدي إلى التفكير بترك العمل حيث بلغ المتوسط العام للإجابات (3.3) ويمكن تفسير ذلك بأن الأجور والمزايا التي يحصل عليها العاملين تلعب دورا أساسيا في دفعهم إلى زيادة إنتاجيتهم وولائهم للمنظمة وعدم التفكير بتركها لذلك فإن الاهتمام بتحديد الأجر العادل ووضع سياسة رشيدة للأجور والحوافز يعتبر من عوامل نجاح أي منظمة لأن الأجر لا يقتصر دوره على إشباع الحاجات المادية وإنما يمتد ليعطي الشعور بالأمن وليرمز للمكانة الاجتماعية كما أن الفرد ينظر للأجر كرمز لتقدير أهميته كشخص منتج أما المميزات المقدمة من قبل الإدارة فقد أثبتت النتائج أنها تكون متوفرة أحيانا حيث نجد انقسام العاملات أعضاء العينة المستجوبة في الإجابة عن هذه الفقرة، فبعض الإدارات توفر بدل مواصلات ومكافآت تشجيعية في حين لا توفرها بعض الإدارات الأخرى وهو ما يفسر لنا اختلاف سياسة الشركات والإدارات الموظفة لهؤلاء العاملات في حين نجد أنه نادرا ما توفر الإدارات رواتب بعد التقاعد عن العمل وهذه النتيجة واقعية نظرا لطبيعة العمل في القطاع الخاص حيث انعدام الأمان الوظيفي.

-ومن التحديات الاقتصادية أيضا عدم توفر أماكن خاصة لهن في أوقات الاستراحة بمتوسط بلغ (3.36) وكذلك الإرهاق الذي يعانين منه أحيانا بسبب ساعات العمل الطويلة إضافة إلى الملل الذي ينتابهن بسبب طبيعة العمل الروتينية بمتوسط بلغ (3.28) وأحيانا بسبب تعدد المهام وكثرة الأعباء الوظيفية على اعتبار أن البعض منهن يلتحقن بالعمل في المراكز التجارية –التحاقهن ربما لا يعبر عن اختيار واع بقدر ما تفرضه الحاجة المادية - الذي لا يرتبط بتخصصاتهن العلمية أو ميولهن أو قدراتهن مما يجعلهن غير مقتنعات بالعمل الذي يؤدينه لذلك يكون التزامهن الوظيفي مجرد إحساس بالواجب الملقى عليهن مما يقتل في نفوسهن الحماس والمبادرة والابتكار ويشعرهن بالرغبة في الانتهاء من الواجبات المفروضة عليهن بأي شكل كان-هذا ما لمسناه جليا أثناء قيامنا بالبحث الميداني- وتفسير ذلك أنه كلما كانت درجة التنوع في مهام العمل عالية كلما زاد الرضا عن العمل والحماس له والإقبال عليه والعكس صحيح، كما أن تنوع مهام العمل يقلل الملل النفسي والرتابة الناشئة عن تكرار أداء مهمة واحدة لمرات كثيرة، وهذه النتيجة تلتقي مع النظرية النسوية الماركسية التي أكدت على أنه غالبا ما يتم توظيف النساء في الوظائف الأكثر مللا، كما تتفق مع ما جاء في نظرية سوق العمل الثنائي التي أكدت على أن النساء يتركزن غالبا في القطاع الثانوي الذي لا يتطلب مستوى عالي من الخبرة والمهارة والإبداع ويغلب عليه تدني مستوى الأجور وسوء وضع العمل وغياب الأمن الوظيفي، كما أكدت النتائج أن عدم توفر أماكن لحضانة الأطفال داخل المراكز التجارية يشكل تحدي حقيقي للموظفات المتزوجات لأن نقص دور الحضانة المناسبة لرعاية أطفال الموظفات يعتبر عاملا مساعدا على تشتت طاقتهن النفسية لانشغالهن بأطفالهن طوال فترة الدوام وهذا يؤثر سلبا على جودة إنتاجيتهن.

توصيات الدراسة: في ضوء ما أسفرت عنه نتائج هذه الدراسة ومناقشتها تعرض الباحثة فيما يلي بعض التوصيات:

-تشجيع الفتيات على الانخراط في سلك التدريب والتعليم المهني بهدف إعدادهن للمهن الحديثة بما يسهم في تعزيز مشاركتهن في التنمية الاقتصادية التي تشهدها المملكة.

-تحسين ظروف عمل المرأة في المراكز التجارية مع تطوير أنظمة التأمينات الاجتماعية والصحية وأنظمة التقاعد.

-توفير دور الحضانة ورياض الأطفال لأبناء العاملات في المراكز التجارية مستوفية للشروط الضرورية من حيث القائمين عليها أو القوانين المعمول بها لرعاية الأطفال.

-نظرا إلى أهمية وحداثة الموضوع نقترح إجراء المزيد من الدراسات والبحوث المستقبلية ذات عمق تحليلي حول تطوير عمل المرأة في المراكز التجارية، كأن يتم عمل دراسات لمعرفة وجهة نظر أرباب العمل وأصحاب الشركات المشغلة وإدارات المراكز التجارية نحو ظاهرة التأنيث والتحديات المواجهة.

قائمة المراجع:

1. الخطيب، فهد سليم(2009). العوامل المؤثرة على اختيار المجمعات التجارية الكبرى من وجهة نظر المستهلك الأردني، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، العدد الأول: 46-68
2. سليمان، هدى توفيق(2014). التحديات الاجتماعية في الوطن العربي في الألفية (العقد الجديد)، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية 24-26 نوفمبر، الرياض- المملكة العربية السعودية.
3. الشهراني، مريم محمد(1996). مدى إسهام المرأة السعودية المؤهلة في الوظائف المتاحة وإمكانية زيادة الفرص الوظيفية المناسبة لها في القطاعين العام والخاص، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
4. الطريف، غادة عبد الرحمن(2014). معوقات تمكين المرأة السعودية في سوق العمل، مستقبل التربية العربية، العدد 88: 11-108.
5. عقله، محمد(2000). نظام الأسرة في الإسلام، عمّان، مؤسسة الرسالة الحديثة.
6. مسعد، محيي محمد(2010). حق التمكين الاقتصادي للمرأة في مصر، المؤتمر العلمي الدولي لكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية (حقوق المرأة في مصر والدول العربية) الاسكندرية-مصر.
7. النجار، سبيكة(1997). الرؤية الأهلية لاستراتيجية التنمية، ندوة المرأة والتنمية، مركز معلومات المرأة والطفل، من 8-9 نوفمبر، البحرين.
8. وزارة الاقتصاد والتخطيط، وثيقة خطة التنمية الخمسية (التاسعة)، http://www.mep.gov.sa

الأطفـــال فـــي وضعيـــة الشـــارع بالمغرب محاولة لرصد مغريات الشارع وفهم نمطية المؤسسة

Marginalized street Childen and the challenge of temptations and understanging of the institutions norms

د.الباز جعفر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، المغرب

ملخص: تزخر شوارع المدن الكبرى في المغرب، والصغرى أيضا، بأعداد كبيرة من الأطفال، ينامون في الطرقات، ويكسبون قوت يومهم إما بالتسول أو بالنصب والاحتيال، كما يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية، ويتعرضون لأبشع أنواع الاستغلال والعنف. وأمام هذا الوضع الخطير الذي تشكله ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع،قمنا برصد بعض العوامل الدافعة لخروج هؤلاء الأطفال إلى الشارع وفهم نمطية المؤسسة المكلفة برعايتهم اجتماعيا ونفسيا وفي خضم هذا التناقض البنيوي قمنا بهذه الدراسة الميدانية من أجل رصد مغريات الشارع التي تدفع بهذه العينة من الأطفال البقاء في الشارع والبقاء فيه بصفة دائمة وفي الوقت نفسه فهم نمطية المؤسسة كنسق وتوجهاتها كتنظيم من خلال عدد كبير من التفاعلات الرمزية بين الأطفال من جهة ومن جهة أخرى بين الأطر التربوية.

الكلمات الافتتاحية: نمطية المؤسسة، الشارع، الطفل، وضعية الشارع.

Abstract: There are a lot of children sleeping the Streets of Morocco's major cities as well as and the smaller ones. They are earning their day by begging or engaging in delinquent activities, been faced with social and psychological problems and the worst forms of exploitation and violence. In light of this dangerous situation, which is the phenomenon of homeless children, we have witnessed some of the factors driving the exit of these children to the street and understanding of the concerned institution entrusted with social and psychological care of children. In the midst of this structural contradiction In the midst of this structural contradiction, we conducted this field study to monitor the temptations of the street that lead the sample of children to stay in the street and stay there permanently. At the same time, they understand the organization as a model and its orientation as an organization through a large number of symbolic interactions between children on the one hand Between educational frameworks.

Keywords: stereotype enterprise, street, child, street situation.

مقدمة:

تعد ظــاهرة الأطفال في وضعية الشارع، من الظواهر الاجتماعية التي تعاني منها كافة الدول المتقدمة صناعيا، وإن كان شيوعها في دول العالم الثالث أكثر وضوحا، وتأثيراتها الاجتماعية أشد تأثيرا على مستوى العلاقات الاجتماعية مسببة بشكل مباشر أو غير مباشر مشكلات اجتماعية، سبب ظهورها يرجع إلى مجموعة من العوامل السوسيو الاقتصادية ترتبط ببعضها البعض بمقتضى علاقات جدلية. لذلك يمكننا القول أنه لا يوجد عامل واحد فقط مسؤول عن خروج الأطفال إلى الشارع، بل هناك عوامل متعددة، وكل عامل يعد سببا ونتيجة ومؤثرا ومتأثرا به في الوقت ذاته.

كما تعتبر الحياة في الشارع واقعا اجتماعيا متغيرا، قد تدفع الطفل إلى ارتكاب الجنح والمخالفات،ونهج أسلوب العنف كوسيلة للعيش والتعايش. كما تغريه على رفض الإيداع بالمؤسسة لأسباب مرتبطة بمغريات الشارع من جهة ونمطية المؤسسة من جهة أخرى.

وتعددت المفاهيم الواصفة للأطفال في وضعية الشارع: من أطفال في وضعية صعبة، وأطفال في خلاف مع القانون وأطفال في خطر، وأطفال في وضعية إقصاء وما إلى ذلك. كما تبين من خلال المعاينة الميدانية أن الأطفال في وضعية الشارع أعمارهم مختلفة،وضعيتهم الاجتماعية متغيرة، قد يقضون نهارهم في الشارع ويعودون إلى أسرهم في الليل، وهناك أطفال لا يعودون إلي أسرهم؛ والسبب راجع إلى مجموعة من العوامل النفسية والسوسيو اقتصادية، وهناك العوامل المرتبطة بتفكك الروابط الأسرية. تتطرق هذه الدراسة إلى معالجة موضوع اجتماعي نسعى من خلال تناوله إلى دراسة ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع.و في بداية الدراسة سنرصد الظاهرة ونفهم بعض متغيراتها الاجتماعية والنفسية دون أن ننسى التطرق لنمطية المؤسسة كتدبير من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي لفائدة هذه الفئة من الأطفال، وبين المحورين نجد محور هروب الأطفال من المؤسسة لأسباب لها علاقة بمغريات مجتمع الشارع كنسق.

1. في مدلول الطفــل في وضعية الشـــارع:

في سنة **1993**،عرفت **منظمة اليونيسيف** الأطفال في وضعية الشارع: أنهم أطفال يعيشون فـــي الشارع، هربوا مـــن أسرهم، ولا يزالون على علاقة مع أسرهم، لكن يقضون أغلب اليوم وبعض الليالي في الشارع، أما **هيئة الأمم المتحدة،** فقد عرفت الطفل في وضعية الشــــارع بأنه أي طفل، بنت أو ولـد أصبح الشارع سكنه، مصدر رزقه الأساسي، يفتقد للحماية والرعاية، في حين ذهب بعض العاملين في حقل رعاية الطفولة إلى التمييز بين فئتين من الأطفال: الأطفال الذين يعيشون في الشارع أي الذين يتصف وجودهم في الشارع بالاستمرارية والأطفال الذين يعيشون على الشارع أي الذين يمارسون مهنا في الشارع، ولكنهم في الوقت نفسه، على اتصال بأسرهم يقضون جزءا من اليوم في سكن يجمعهم مع الأسرة (بوزيان راضية،2008، ص9).

ونظرا لشمولية المفهوم، قدمت مجموعة من العاملين الاجتماعيين تعريفا للأطفال في وضعية الشارع، فعلى الرغم من عدم توفره على المقاييس والمعايير المرتبطة بالواقع، فهو تعريف حدد لنا سن الأطفال في وضعية الشارع ما بين 3 و18 سنة، كما أضافوا في تعريفهم، أن الطفل في

وضعية الشارع يعيش خارج إطار الحماية، لا يحتفظ بعلاقاته مع أسرته، طريقة عيشه تختلف عن الآخرين من الأطفال.

وفي نفس السياق قدم **الدكتور محمد الدريج** تعريفا عن الطفل في وضعية الشارع بأنه كل طفل قاصر، أصبح الشارع له محلا لإقامته المعتاد، ولا يجد حماية كافية(محمد الدريج، 1998، ص126).

ومن خلال التعريفات المشار إليها أعلاه، نستنتج أن الأطفال في وضعية الشارع لا تستطيع أسرهم تلبية حاجياتهم الأساسية، سواء المادية, كالغذاء، والملبس, والمأوى، والحاجيات النفسية كالأمن والاطمئنان، أو حاجيات التفتح العقلي مثل التعليم.ومن هنا نستنتج أن تحديد مفهوم الأطفال في وضعية الشارع يعتمد على بعدين: أولها درجـــــة الارتباط بالأسرة وثانيها بمقدار الانحراف وطبقا لذلك فان الطفل في وضعية الشارع هو من لا يتفق سلوكه مع المعايير العامة في المجتمع ويكون اعتماده على تحقيق احتياجاته بعيدا عن الأسرة أو من يقوم مقامها (رضوى فرغلي، 2012، ص20-21)، من خلال الممارسة الميدانية تبين لنا أن البعدين غير متلازمين بشكل بنيوي، لأننا عاينا أطفال يعيشون في الشارع مدة طويلة على الرغم من ارتباطهم بأسرهم ارتباطا آمنا لكن السبب في خروجهم الشارع له علاقة بالرفقة السيئة والبحث عن النموذج. في حين هناك عينة أخرى من الأطفال قد تكيفوا مع واقع مجتمع الشارع بكل تمثلاته، يزورون أسرهم في المناسبات والأعياد،يمارسون أنشطة غير مهيكلة من أجل تلبية حاجياتهم لكن وحسب أقوالهم " لم نعد مدمنين على أي مخدر "، إن قراءة في هذه المفاهيم تضعنا أمام التساؤل التالي: ما هو واقع الأطفال في وضعية الشارع بالمغرب؟ وما هي المغريات المباشرة وغير المباشر التي تدفع الأطفال للبقاء بصفة دائمة في مجمع الشارع ؟ فالإجابة علي هذه الأسئلة صيغت ضمن نتائج هذه الدراسة التي استقصت الواقع الاجتماعي وجمع البيانات من أدبيات البحث العلمي والميدان والتي يمكننا تلخيصها في العناصر اللاحقة.

2. رصد مخـــــاطر الشــــارع ومغريـــــــاته الاجتماعية والثقافية:

يـــعد الشارع فضاء متوحشا، إذ هو المكان الذي تتكاثف فيه الانفعالات الجماعية واليومية، فهو مزدحم ومليء بالأخطار والحوادث، وفي الوقت نفسه مسرح للإبداع والبحث عن هوية جديدة. كما يوفر للطفل فرصا كبيرة للربح، قد يستغلها بذاته أو من خلال تشجيع وتوجيه أو تنظيم من آخرين، بالإضافة إلى شعوره بالحرية. ففي الشارع يشبع الطفل حاجاته وغرائزه المكبوتة، كغريزة حب الاستطلاع وغريزة الشعور بالاستقلالية.

ووسط الأقران والجماعة يحس الأطفال بالحماية، كما يحصل على أسماء شهرة، قد يحبها أو لا يحبها، لكنها في الغالب تُستعار من شخصيات وهمية؛ هذه الأسماء تُخلق بغرض التمويه أو فرض الذات، وفي الوقت نفسه لإثارة الخوف. ونضيف أن الشارع -كفضاء- يوفر فرصا للعب والترفيه، لكن دون إتباع القواعد الخاصة بأي لعبة، فالمهم هو اللعب لغرض اللعب، ومما لا شك فيه، فالتواجد في الشارع كمحل للإقامة، يحتاج إلى إستراتيجيات للبقاء والتعايش مع هذا القدر الكبير من التنوع والتباين في العلاقات والأفراد والمشكلات والمخاطر.

إن الأطفال في وضعية الشارع يعانون أوضاعا غير مستقرة، ويعيشون ظروفا صعبة، تتصف بالقسوة وعدم الأمن، وهم ضحايا العنف والاستغلال بجميع أنواعه، وفي الوقت نفسه يوفر لهم -الشارع- الشعور بالحرية ويتيح لهم إشباع حاجاتهم ورغباتهم المكبوتة دون رقيب أو حسيب. فالحياة في الشارع توفر لهم إمكانية المغامرة وتحقيق غريزة حب الاستطلاع. كما يحققون نضجا مبكرا لكثرة التجارب ومواجهة الحياة بمفردهم دون مرافق، فالشارع نسق اجتماعي من شأنه أن يعلم الطفل كما جاء على لسان أحد الأطفال عندما سألته حول إيجابيات الشارع أجابني بكل ثقة في النفس الشارع مدرسو دون معلم، فخروج الطفل إلى الشارع والعيش وسط دهاليزه وبين البؤر السوداء الخاصة به، والتحاقه بجماعة الرفاق يدفعه تدريجيا للبحث عن هوية جديدة.

في البداية، يحصل الطفل على اسم شهرة، لا يبالي إذا نودي عليه به، حيث يتم إطلاق هذه الألقاب بين الأطفال بغرض التمويه، والانفلات من الوصم الاجتماعي. وفي الوقت نفسه يلبسون ألبسة متميزة، ويتكلمون لغة خاصة، وتتكون عندهم خبرة التعايش والتواصل مع الآخر.

يعد الشارع، إذن،(محمد عباس نور الدين، 2004، ص89)، كمتنفس للطفل بعد أن أصبح الجو الأسري روتينيا ومغلقا يشعره بالملل، يغلب عليه طابع السلطوية المبالغ فيها. وفي الشارع دائما يتحرر الطفل من ذلك الجو، ويقيم علاقات مع أقرانه أو مع من يكبرونه سنًّا، كما يمكنه الحصول على فرص اللعب والترفيه بكل أنواعه، دون التقيد بقواعد أو ضوابط؛ فهو يلعب بغرض اللعب وإشباع حاجته ليس إلا.

وبناء على كل ما سبق، يعد الشارع المأوى الذي يتخذه الأطفال محلا لإقامتهم الدائمة أو المؤقتة؛ أثناء الليل يتغير شكل الشارع، فيعود آخر المتأخرين أدراجهم إلى بيوتهم، كما يغادره المترددون عليه نهارا ليتركوه للسكان الأصليين: الأطفال في وضعية الشارع.

عموما، أثبت مجموعة من الباحثين أن الحالة النفسية للطفل في وضعية الشارع تكون صعبة جدا لأنها تتسم باضطرابات نفسية واجتماعية، وتوصف بالخطيرة لما تخلفه من آثار سلبية على نفسيته. ومن أهم هذه الدراسات، والتي تبناها العديد من الأساتذة الباحثين في العالم العربي، كمنهاج لفهم سلوك المشردين، دراسة كل من **جانيت وواغنر Janet et Wegnar**، وكذلك دراسة **كولمان Colman** 1992، لقد اتفقوا جميعا أن الأطفال في وضعية الشارع يعانون من سوء التوافق (**معناه هو عجز الفرد عن إقامة حالة توازن وانسجام بينه وبين نفسه وبينه وبين بيئته**)، والقلق وعدم الاحترام وتقدير الذات. بالإضافة إلى آثار أخرى نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-مظاهر العدوانية والعنف.

-تفشي سلوك الاستجداء.

-الحقد على الذات وعلى الناس، النزعة إلى الإجرام.

ونضيف أن الاتجاه العالمي قد اهتم أيضا بمشكلة الأطفال في وضعية الشارع، وحث الدول على أن تقرر في تشريعاتها الداخلية اعتبار الأطفال ضحايا وليسوا جناة، فحين يكون الطفل في

الشارع، فهو محروم من كل الحقوق، ومعرض بمعدل الضعفين للإصابة بالأمراض التنفسية والمعدية، والعنف والاستغلال الجنسي والاقتصادي.

لكن، على الرغم من المجهودات المبذولة من طرف الدول، فما يزال كثير من العنف الموجه ضد الأطفال خفيا، لأن الطفل يخاف بطش مرتكب العنف عليه، باعتبار الشارع وسطا عدوانيا بامتياز، فلا يُتصور ألّا يتعرض أي طفل، اختار الشارع محلا للإقامة، لأي شكل من أشكال العنف، وألا يدفع ضريبة البقاء فيه. والخوف، حسب رأي الأستاذ **مبارك ربيع**، يعد بمثابة رد فعل من أجل البقاء، واستثمار أقصى لقدرات الكائن للوقوف في وجه المخاطر(مبارك ربيع، 2001، ص136)، ومن المخاطر التي يواجهها الطفل في وضعية الشارع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-حوادث السير.
-العنف من قبل الكبار.
-القبض من قبل الشرطة.
-الإصابة بالأمراض المعدية والمنتقلة جنسيا.
-الإصابة بالعاهات.

بالإضافة إلى إمكانية الإصابة ببعض المشاكل النفسية كإصابتهم بالقلق والاكتئاب والهلوسة، علاوة على السلوك العدواني على النفس واتجاه الغير.

إن تكيّف الطفل في وضعية الشارع مع وسط الشارع -الأكثر عدائية- أمر ضروري، ويشكل فعل الخوف محركه الأساس، وللتدليل على هذا، سأورد أمثلة من ردود أفعال غريبة، لاحظتُها خلال المعاينة الميدانية، صدرت عن بعض الأطفال في وضعية الشارع، فحين تقترب من أحدهم وتريد التحدث إليه، وبمجرد ما ترفع يدك إما لتغيير وضعية أو رغبة في الحصول على شيء أو توضيح أمر، يخاف وتبدو عليه حالة من الذعر أو الاضطراب. لأنه وحسب التجربة، قد تعرض مسبقا للعديد من السلوكات العدوانية من ضرب واستغلال جنسي يصعب نسيانها، كما عاش العديد من المخاوف خلفت وراءها ندوبا نفسية عميقة، وانفعالات قاسية تقوم عليها ردود أفعال في المستقبل.

وحسب وجهة نظر عالم النفس **ألفرد أدلر Alfred Adler** فإن العدوان هو تعبير عن إرادة القوة. أما **سيجموند فرويد SigmundFreud** فيعبر عن العدوانية بأنها أي سلوك واع شعوري ناتج عن غريزة الموت التي افترض وجودها (عبد الرحمان بن عبد الله الصبيحي، 2003، ص64)، أما العدوان بالنسبة للأطفال في وضعية الشارع فهو نوع من تأكيد الذات أو حماية لها، في حين تصبح الإساءة الجنسية، بالنسبة لهم، أمرا معتادا، بل أكثر من ذلك مثيرة للذة، فحين يعتاد الطفل على الإساءة الجنسية، يصبح ذلك أمرا طبيعيا له، وواقعا ينبغي الرضوخ له، ومن ثم يعجز عن البوح بهذا النوع من المعاناة بمعدلات أكبر، مقارنة بالإساءة الانفعالية والبدنية.

فالجنس بالنسبة للأطفال في وضعية الشارع، هو ضريبة البقاء، لدرجة تصبح معها الإهانات اللفظية أو الاعتداء البدني، أكثر جرحا لكرامتهم وأسوأ تأثيرا من الاعتداء عليهم جنسيا. كما

تحدث الممارسات الجنسية بالتراضي بينهم، أو يتبادلونها مع الغير مقابل امتيازات مادية أو هدايا (رضوى فرغلي، 2012، ص93)، لذا، فإن بعض الأطفال لا يشعرون بالذنب تجاه هذه الممارسات الجنسية الشاذة.

وقد أظهرت دراسة **نشأت حسن حسين (بعنوان: ظاهرة أطفال الشوارع دراسة ميدانية في نطاق القاهرة الكبرى سنة 1998)** أن % 94 من الأطفال في الشارع تعرضوا إما للاغتصاب، أو لمحاولات الاغتصاب. وقد لاحظ الباحث خلال هذه الدراسة، أن معظم الأطفال في وضعية الشارع كانوا غالبا ما يتحدثون عن العلاقات الجنسية دون حرج، وقد عزز الباحث ملاحظاته بتصريح أحد الأطفال بقوله: **"الكبار يمارسون الجنس على الصغار وحين يكبر الصغير يمارس الجنس على من هو أصغر منه"**.

إن ظروف التواجد بالشارع، من شأنه أن يدفع بالطفل في وضعية الشارع إلى تطوير أساليبه في التعامل مع مشكلات هذا الفضاء، ما يساعده على الاندماج داخل الجماعة، والتعايش مع التنوع السائد في العلاقات بين أفراد المجموعة، فالطفل في وضعية الشارع لا يعيش بمفرده، بل يعيش في مجتمع له علاقاته وقيمه، وبه قنوات للتعلم وتقوية القدرات ووسائل الترهيب والترغيب؛ مجتمع مواز للمجتمع الأصلي الرسمي بضوابطه الاجتماعية وقيمه وتقاليده.

وبعد هذا الاستعراض لمخاطر الشارع ومغرياته، فقد أتيح لنا التعرف على آراء هؤلاء الأطفال حول وضعيتهم الاجتماعية، وكذلك معرفة تطلعاتهم للمستقبل من وجهة نظرهم، ومن خلال المقابلات الفردية التي أجريت مع الأطفال تبين أن هناك تباين واختلاف في الرؤى والأجوبة، فمنهم من هم راضون عن وضعيتهم لقدرتهم على التعايش، وكسب المال وإشباع الرغبات،ومنهم من يشعر بالخوف والاغتراب وعدم الرضا لما يتعرض له من عنف واعتداءات بدنية وجنسية. أما عن تطلعاتهم فهي لا تختلف عن حاجاتهم، فهم يرغبون في العودة إلى أسرهم، وتعلم حرفة، ومنهم من يرغب في ترويض نفسه والتخلي عن تعاطي المخدرات والسرقة، لكن منهم من لا يرغب في الخروج من الشارع، بمعنى أن تطلعاتهم المستقبلية منعدمة وغير واضحة بسبب الحرية، والقدرة على الحصول على المال والإدمان على المخدرات.

وتعد الحرية هي السبب المباشر والفعلي في رفض الأطفال في وضعية الشارع الإيداع بالمؤسسات واختيار الشـــــارع كمحل للإقامـــــــــة، بالنسب لهم،الشارع مدرسة دون معلم،هذه الحقيقة غير قابلة للجدل،حيث إن الشارع أكسب الطفل وعلمه جميع الأشكال الدفاعية، مكنه من العديد من مهـــــــــارات العيش والتعايش، كما أتاح له فرصة إبرام صداقات حميمية، وتلبية جميع رغباته بكل حرية. والتحرر من عدة مبادئ وقيم وقوانين قد يرونها زائدة، مزيفة، تطبق بطريقة عشوائية، فالحرية شعار الحياة في الشارع، هي الوجود، محدد من محددات التواجد بالشارع، وبمجرد إيداعهم –الأطفال في وضعية الشارع- بالمؤسسة، فإن هذا الشعور بالحرية يصبح مقيدا بالمبادئ والقيم والقانون الداخلي، هذا التقييد المشروط، يجعل الطفل غير مرتاح، ليس بطفل حر،يهرب بمجرد ما تتحين له الفرصة من أجل الحصول على الحرية، يقول **سارتر "أننا لا ندرك ذواتنا إلا من خلال اختياراتنا، وليست الحرية سوى كون اختياراتنا دائما غير مشروطة "**، إلى جانب الحرية كعامل للتواجد في الشارع، هناك عامل ربح المال، هذا

العامل يعد من مغريات البقاء في الشارع. لأن الطفل بإمكانه أن يحصل على مكانة تراتبية داخل الجماعة في الشارع، مما يجعله يحصل على المال إما بالاستجداء أو بالسرقــة، أما العامل الثالث، فإنه يتعلق بالإدمان على المخدرات، ولفهم مشكلة الإدمان لدى الأطفال في وضعية الشارع فلابد من التعرف على كل من(عبد الرحمان محمد العيسوي، 2011، ص121): **ظاهرة التحمل والإعتقادية، وظاهرة المعاناة** من أعراض الانسحاب، أي انسحاب العقار المخدر من متناول يد المدمن و فوق كل ذلك يلزم التعرف على الأسباب التي تدفع الأطفال للإدمان. يلجأ الطفل في وضعية الشارع إلى المخدرات، اعتقادا منه أنها تسبب السعادة واللذة من تجربة التعاطي نفسها أو تذوق مذاق المخدر، أو أنها تخفف عنه ضغوط الحياة والمشاكل الأسرية، وهو اعتقاد خاطئ لأنها تزيد الطين بلة، وتضيف مشاكل أخرى يصعب مقاومتها أو قهرها، كارتفاع ضغط الدم وزيادة درجة حرارة الجسم، والشعور بالشك والريبة في نوايا الآخرين، والسلوك الشــاذ والمتكرر،والهلاوس القوية أو الواضحة ، والتعصب الزائد إلى جانب العنف، أو السلوك العنيف وسرعة ضربات القلب مع احتمال الوفاة(عبد الرحمان محمد العيسوي، 2011، ص126)، هذا بالفعل ما وقع،حيث سجل مجتمع الشارع وفاة العديد من الأطفال بسبب تعاطيهم كمية كبيرة من المخدرات نذكر هنا حالة الطفل الذي وجد جثة هامدة في إحدى الأماكن المهجورة بل الأبشع هو نهش الكلاب بعض أعضاء جثته والسبب هو تناوله كمية متنوعة من المخدرات (الحشيش، الدليو، الخمر...).

3. العوامـــــل المؤثرة في خروج الأطفـــال إلى الشـــارع:

ترجع ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع إلى مجموعة من العوامل الاجتماعية التي ترتبط بعضها في علاقات نسقية، لذلك يمكننا القول أنه لا يوجد عامل واحد مسؤول عن خروج الأطفال إلــى الشارع، بل هناك عوامل متعددة نذكر منها .

العامل السوسيو–اقتصادي: يـــعد الاقتصاد دعامة أساسية في تحقيق التنمية والبناء الاجتماعي لكل بلد. يمتلك قوة وتأثيرا على مختلف مؤسسات المجتمع وقطاعاته الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية، بل ساهم وفق دراسات في تفريخ مجموعة من الظواهر الاجتماعية بسبب سوء توزيع الثروات ومبدأ تحرير السوق، ومن خلال هذين العاملين تزايد معدل البطالة ، ارتفعت نسبة الفقر لدرجة عجز مجموعة من العائلات على تلبية حاجيات أطفالهم مما يفرض عليهم – الأطفال - القيام بأدوار اجتماعية لا تتلاءم سنهم ولا هيئتهم البدنية مما يدفعهم إلى البحث عن بدائل، عن نسق آخر من شأنه الاستجابة لرغباتهم النفسية والاجتماعية على الرغم من خطورته وأقصد هنا نسق مجتمع الشارع، حيث بدأنا نلمح أطفالا يفترشون الكارطون، ينامون في الأماكن العمومية ينعتون بالأطفال في وضعية الشارع.

كيف يمكننا الربط بين العولمة كنظام و الأطفال في وضعية الشارع كظاهرة ؟

لقد عرف العالم تحولات اقتصادية واجتماعية وثقافية بشكل ملفت للجدل والنقاش، بسبب تحرير السوق،الذي يعد من أبرز مؤشرات العولمة، حيث واجهت الكثير من المفارقات بين القبول والرفض، من طرف العديد من الدول . فالبعض يرى قبول العولمة، ومحاولة الاستفادة من ميزاتها وجوانبها الإيجابية، والبعض الآخر ردها في جوانب أخرى تتعارض مع المبادئ

والأصول والهيمنــــــة(محمد عبد الفتاح محمد، 2009، ص77)، كما تسببت العولمة في انقسام مجتمعات العالم الثالث إلى شريحتين: شريحة تكيفت واستوعبت في الوقت نفسه مقتضيات العولمة وقيمها ومعاييرها، وشريحة عريضة من المجتمع، تتحايل على العيش لتوفير الحد الأدنى وضمان الاستمرار في الحياة، وهناك تأكيد على ضرورة التعامل مع العولمة كنظام، ورفضها جملة وتفصيلا يعنى التأخر والتخلف، كل هذا يدعونا إلى القول بأن إفرازات العولمة وتحرير السوق، تسببت في تزايد حدة الفقر ودمرت القيم الاجتماعية. فمع عصر العولمة وغول السوق، ومبدأ البراغماتية فـــي العلاقات، انعكست سلبا على إجبار الأسر - فلذات أكبادها - على الخروج من المدرسة والاشتغال في الأعمال الهامشية والاعتماد على أنفسهم في مواجهة متطلبات حياتهم وحاجات أسرهم، وقد أظهرت نتائج الأبحاث، أن عمل الأطفـــال مرتبط بوضعية عمل الأب، فإذا كان من الباعة المتجولين فالوضع يفرض في كثير من الأحيان أن يقضي الأطفال معظم وقتهم في الشارع، مما يألفون معه الشارع ويرتبطون بمغرياته ارتباطا بنيويا.

إن العولمة أدت إلى اتساع فجوة الفقر في العالم بسبب التوزيع غير العادل للثروات. فالبلدان الغنية تسيطر على 80 في المائة من إجمالي الدخل العالمي،في حين نجد أن 60 مليون عربي يعانون الأمية،و73 مليون عربي يعيشون تحت مستوى خط الفقر،مع وجود 10 ملايين عربـــي لا يحصلون على الغذاء الكافي(قيرة إسماعيل،2001، ص141)، وفي بعض الحالات قد يلجأ رب الأسرة إلى العنف، إما تفريغا لشحنة الخيبة أو الفقر، وإما رغبة منه في الحصول على النفع المادي.لقد خلصت دراسة حدية **المصطفى** في كتابه تنشئة وهوية **socialisation et identité.** إلى أن الآباء ينظرون إلى أبنائهم كمشاريع استثمارية للمستقبل(بسيمة الحقاوي، 2006، ص46)، خاصة في الأوساط المحرومة، حيت تكون الحاجة أكثر حدة وآنية وتفرض الاستثمار المبكر.كما أثبتت بعض الدراسات أن الأوساط المحرومة لا تستطيع إلا أن تمارس العنف والتعسف (بسيمة الحقاوي، 2006، ص48)، لأنها نفسها تعاني من ضغوط وقبضة السلطة الاجتماعية ولذلك تعيد إنتاجــه.

فالأسرة المنتمية إلى الطبقات المحرومة، هي أكثر الأسر فرضا للأدوار الاجتماعية على الأبناء دون أي حوار أو ترك هامش لحرية الاختيار، مما سيضطر معه الطفل إلى اختيار الشارع كمحل للإقامة على الرغم من خطورته.

أمام تزايد عدد سكـــان في المدن الكبرى،وظهور تقسيمات للمكـــان والسكـــان، حسب المستوى الاقتصادي والانتماء السوسيو- ثقافي، برزت تفاعلات اجتماعية جديدة وليدة الوضع الجديد للمجـــال ،لها علاقة بنيوية بالعلاقات الموجودة بين التزايد السكاني وفضاء المدن وظهور بعض السلوكات المعادية للمجتمع،حيث تضيق المساكن، وترتفع كثافة السكان، فيظهر نوع من القلق السيكولوجي والعاطفي وتتكون حالة تأهب لرد الفعل(بسيمة الحقاوي، 2006، ص58)، إن هذه المتغيرات السوسيو- اقتصادية ناتجة عن عوامل مجالية ذات أبعاد اجتماعية، وذات أثار على سيرورة الحياة بصفة عامة، وعلى تنشئة الأطفال بصفة خاصة. إن التعرف على هوية المكان من شأنه أن يهدد هوية الأنا، فعندما يضيق البيت بأهله، فإن الملجأ الوحيد يبقى هو

أزقة الحي، واللعب طوال النهار، ومرافقة الشباب دون رقيب، أمـــــام هذا الوضع الاجتماعي غير المستقر، قد يصبح الطفل وبشكل تدريجي طفل في وضعية غير مستقرة وهشة.

في الآونة الأخيرة أصبحت ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع مظهرا من مظاهر تخلف المجتمع، وبحسب الاقتصاديين فالتخلف مرتبط لا محالة بتفكك البنيات الاقتصادية، وتبديد الثروات، وسوء استغلالها، أما الاجتماعيون فيرون التخلف بأنه راجع بالدرجة الأولى إلى الانفجار السكانـي، وفقدان التوازن بين السكان والموارد المتوفرة، فترتفع نسبة البطالة.

وفي الواقع المغربي، نجد غالبية الأسر المحرومة تدفع أبنائها للعمل لمساعدتها ماديا. وتعلم حرفة بدل التعليم الأكاديمي. فخروج الطفل إلى ميدان الشغل في سن مبكرة وضعية مجبرة لا مخيرة، تحت ضغط عائلي، فعمل الطفل أصبح مرتبطا بنيويا بوضعية أسرته الاجتماعية و الاقتصادية خصوصا في الوسط القروي، بعد الهجرة إلى المدينة(بسيمة الحقاوي، 2006، ص69): وأمام هذا المعطى، نجد أنفسنا أمام نوعين من الأطفال في ميدان الشغل: النوع الأول يكون قد قطع صلته بأسرته كليا أو جزئيا، وخرج إلى الشارع معتمدا على نفسه ومجهوده الخاص في العيش، وهو يعتبر شكلا من أشكال التعبير عن بؤس بلدي **Misere municipale** كمـــا أسمته **ريكورت أورتيكا Ricaurte Ortega** حيث يكون العمل وسيلة للبقاء وليس هدفا في حد ذاته بالرغم من حياته الهامشية يقوم الطفل بأنشطة وممارسات يختلط فيها اللعب بالشطارة في التصرف الضرورية للعيش(بسيمة الحقاوي، 2006، ص69)، وهذا النوع من الحياة " العملية " المحصور في بعض الأنشطة كمسح الأحذية ، بيع كلينيكس، مسح زجاج السيارات" ليس أكثر من ممارسات ترتبط بحياة الطفل في الشارع، أما النوع الثاني من الأطفال، فيتعلق الأمر بالذين أودعهم آباؤهم في معمل أو مرآب أو غيره لتعلم صنعة أو حرفة، وفي غالب الأحيان لا يستطيع الطفل الاستمرار، بحكم أن العلاقة التي تكون بينه وبين رب العمل علاقة عمودية،متسلطة، تجعل رب العمل يقوم باعتداءات لفظية، وأحيانا يمارس الضرب على الطفل المتعلم، فلا يطول به المطاف حتي ينغمس في دهاليز الشارع ومتاهاته من جديد.

العامل المرتبط بتلاشي الروابط الأسرية: تعد الأسرة أول مؤسسة اجتماعية ينشأ فيها الفرد ويترعرع. فالعلاقة بين الوالدين لها بالغ الأثر على حياة الطفل داخل وخارج الأسرة، فإذا كانت هذه العلاقة مبنية على الحب والاحترام، شعر الطفل بالأمن، أما إذا كانت مبنية على الكره والصراع والعنف، فسوف يشعر بعدم الاستقرار.

وفي نفس السياق انتهت بعض الدراسات السوسيولوجية والنفسية أن الطفل يتأثر بأسرته، كما أثبتت الاختبارات كذلك أن الطفل إذا تعذر عليه إقامة علاقات عاطفية مع والديه، فإنه يتعذر عليه إقامة علاقات اجتماعية مع غيره، فحب الابن للأبوين هو أول شرط يشعره بالأمن، كما تحدث الكثيرون عن التأثيرات النفسية للأم على الطفل. يعد بيت الطفل الأسري - حتى وإن كان غير مناسب-، أفضل من أية مؤسسة أخرى من مؤسسات الرعاية الاجتماعية، والتي تتصف بفقدان الدفء والعلاقات الحميمية بين الطفل ووالديه، وفي حالة حرمان الطفل من رعاية أمه وخاصة عندما ينشأ في مؤسسة، يهبط مستوى نموه، وكلما طال البقاء في المؤسسة زاد الهبوط في مستويات النمو(محمد مومن، 2007، ص60)، فالأسرة هي الإطار الأول والعامل الدائم

الفاعلية لاستمرارية سيرورة التنشئة الاجتماعية، وإن كانت قد فقدت أو تخلت عن بعض وظائفها التربوية لمؤسسات اجتماعية أخرى، بسبب التحولات التي تعرض لها المجتمع في هذا القرن. كما تعرضت – الأسرة - لهجوم بعض الإيديولوجيات التي اعتبرتها مؤسسة للضغط والتعسف. حيت اقترح الماركسيون أن تتولى الدولة أمر الأطفال، وأن تسحب مهمة الرعاية من أيدي الأسرة لأنها تكرس نظام الملكية والوراثـــة(بسيمة الحقاوي، 2006، ص43).

لكن هذه الرؤية الإيديولوجية كالعديد من المبادئ الماركسية ، مخالفة للنظرة البشرية، فإلغاء الأســـرة، هو إلغاء للمجتمع ككل ، كما قال **كونت comte " المجتمع البشري يتكون من أسر لا من أفراد** "(بسيمة الحقاوي، 2006، ص43)، تمثل الأسر المجتمع وتحمل معاييره وقيمه، وتتبنى إتجاهاته وتقوم في نفس الوقت بدور الوساطة بين المجتمع والأبناء، بتنشئتهم على تلك المعايير والقيم، وأن أي انحراف أو خلل يصيب أدوار الأسرة من شأنه أن يؤثر على التنشئة الاجتماعية للأطفـــــــال.

حاليا، أصبحنا نشاهد تعدد الأنماط الأسرية، فهناك نمط العائلات النووية التي تتكون من الأب والأم والأطفال غير المتزوجين، وهناك أيضا العائلات متعددة النوايا، وهي عبارة عن مجموعة من العائلات النووية، ولكل واحدة استقلالها الذاتي، وفي نفس الصدد الخاص بالمتغيرات الأسرية، فقد أنتجت ما يسمى بالعائلات غير المكتملة، والتي أصبحت تزايد بمرور الأعوام وهي العائلات المكونة من المطلقين أو من الأرامل أو عائلات العمال المهاجريـــــــــــــن(محمد جسوس، 1982، ص62).

لا أحد ينكر بأن الأسر المغربية عرفت عدة تحولات في وظائفها، لكن الجدل قائم، فهناك رأي يبارك هذه التحولات، ورأي آخر غير مؤيد لها. ويرى أصحاب الرأي الأول، بأن هذه التحولات إيجابية، بحيث كانت للأسرة سابقا سلطة مطلقة على الطفل، في حين سلطتها حاليا تقلصت إلى أبعد الحدود، وخاصة سلطة الأب على الأبناء، وأن الأسرة المعاصرة اليوم، لم تعد ممتدة ومتمركزة حول الأب، بل تحولت إلى أسرة نووية، بينما يرى أصحاب الرأي الثاني بأن التحولات التي عرفتها الأسرة، خاصة على مستوى تقلص سلطاتها، قد حولتها من مؤسســـــة تربوية إلى مؤسسة للسكنى والاستهلاك فقط . باعتبار أن الأسرة الحديثة فقدت سيطرتها على الطفل ، ومن ثمة أصبحت عاجزة عن القيام بدورها التربوي(محمد مومن، 2007، ص73**)**.

4. الطفل في وضعية الشارع ونمطية المؤسسة:

تعد مؤسسات الرعـــاية الاجتماعية اليوم عبارة عن وحدة اجتماعية، تمارس ضمنها تأثيرات متبادلة، وتتشكل عبرها نسق من العلاقات التواصلية التي تتأرجح بين التواصل الفعال والتنافر، علاقات غالبا ما يسيطر عليها الأحكام المسبقة، أصبحت عملية التواصل داخل المؤسسات فنا وفلسفة اجتماعية للإدارة والتسيير وتحقيق الأهداف، فهي بمثابة بنيات الاستقبال والحماية الاجتماعية للأطفال في وضعية صعبة أو في وضعية إقصاء، سواء كانت هذه الوضعيات بصفة دائمة أو بصفة مؤقتة.

عرفت مؤسسات الرعايـــة الاجتماعية رغم مهامها النبيلة وأهدافها الإنسانية وأنشطتها الهادفة، تغييرات، وواجهت صعوبات متعددة الأبعاد،سواء من حيث الأعداد أومــــن حيث

التخصص بحسب الفئات أو من حيث بلوغ الأهداف وتحقيق الإنجازات، وأخيرا من حيث تقييم الأثر على الفرد والمجتمع. ورغم الدور النبيل لهذه المؤسسات، فإنها مازالت تواجه صعوبات وتحديات على مستوى مجالات التدخل ، أو على مستوى الحكامة والهندسة الاجتماعية،مما دفع بوزارة التضامن والأسرة والتنمية الاجتماعية،الاستناد في تدبير الشأن المؤسساتي لمؤسسات الرعاية الاجتماعية علـــى القانون14- 05 الذي أصبح يحدد شروط فتح مؤسسات الرعاية الاجتماعية وطرق تدبيرها، الصادر في 30 شوال 1427، 22 نونبر 2006.

خلال الستينات والسبعينات فتح نقاش كبير حول مدى قدرة مؤسسات الرعاية الاجتماعية على توفير الرعـاية المناسبة للطفل، ومدى تلبية حاجياته ومراعاة حقوقه، بحيث تبين آنذاك بأن الطفـل قد يعاني وهو داخل المؤسسات نوعا من العزلة والانطواء، والبعض الآخر يجد صعوبة في المشاركة في المجموعات، في حين هناك شريحة من الأطفال ليست لديها رغبة في متابعة الدراسة، وترفض رفضا مصرحا به أو غير مصرح به الذهاب إلى المدرسة. لذلك قامت مجموعة من الدول الأوروبية بالبحث عن خيارات بديلة، تعطي فرصا أفضل للطفل – فاقد الرعاية الوالدية – على الاندماج الاجتماعي، وبدأ الاهتمام أكبر بالأسرة ودورها في التنشئة الاجتماعية، هذا التوجه جاء نتيجة عدد من التطورات الأساسية، فمن جهة، بينت الدراسات أن رعاية الأطفال في المؤسسات له أثار سلبية على صحة ونمو الأطفال، ومن جهة أخرى، توقف عمل مجموعة من مؤسسات الرعاية عن تقديم الخدمات بسبب عجزها المادي. وأمام هذه الكوارث، فكرت هذه الدول في إتباع إجراءات معينة والبحث عن حلول تمكن الطفل من البقاء في حضانة والديه، أو أحد أقاربه، أو لدى الأسر البديلة بالنسبة للأطفال فاقدي الرعاية، إلا أنه وعلى الرغم من فتح باب مؤسسات الرعاية الاجتماعية، وتقديم الخدمات المناسبة وتلبية الحاجيات لفئات الأطفال المحرومة، فالهدف لا يضمن بألا يتعرض الأطفال المودعين بهذه المؤسسات للعنف والاستغلال، أمام هذا الوضع الخاص بمؤسسات الرعاية الاجتماعية، بدأت العديد من الدول في أوروبا بوضع تشريعات خاصة برعاية الأطفال فاقدي الرعاية الوالدية، وتدعيم النموذج الأسري والمناداة بالاستغناء عن المؤسسات الاجتماعية، وبذل الجهود في الجانب الوقائي لمنع انفصال الأطفال عن أسرهم، بما في ذلك دعم الأسر البيولوجية، وتحسيسها للقيام بدورها في تربية فلذات أكبادها ورعايتهم وفق تعاليم ديننا الحنيف، وديباجة المواثيق والتشريعات الدولية والوطنية.وقد نتج عن هذا النهج توجها جديدا نحو ما يعرف بعملية التخلي عن المؤسسة، الذي نال دعما كبيرا من منظمات وهيئات عالمية ، مثل البنك الدولي ومنظمات الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي، وبمراجعة الدراسات والتقارير حول تجارب الدول المختلفة، يمكننا التأكيد على ضرورة البحث عن بدائل للرعاية، وأن تكون الرعاية المؤسسية هي السبيل الأخير وليس الحل الأسهل، أما بالنسبة للدول العربية، كانت رعاية الأطفال تتم بطريقة الأسرة الممتدة من جانب الأم والأب، أما في حالة فقدان الطفل كلا الوالدين، فهناك إجراءات وترتيبات لوضع الطفل في أسرة الأقارب المناسبة حسب سنه وجنسه، وكان اللجوء إلى مؤسسات الرعاية يكون في أضيق الحدود حيت يقتصر على الأطفال مجهولي النسب. لكن مع التغييرات الاجتماعية والاقتصادية، وارتفاع معدل الهجرة من البادية إلى المدينة، أدت الوضعية إلى ارتفاع

عدد الأطفال المحرومين من الأسرة، وبرزت ضرورة تقنين التعامل مع هذه العينة من الأطفال.فبدأ دور الأسر الممتدة والأقارب يتضاءل،ويفقد صلاحياته لفائدة مؤسسات الرعاية الاجتماعية. فالمؤسسة تحاول أن توفر لهؤلاء الأطفال الجو الجماعي، وتساعدهم على نموهم الانفعالي والنفسي الاجتماعي، فمن خلال الجماعة يشعرون بالأمن والانتماء، بالإضافة إلى استمتاعهم بالأنشطة المختلفة التي من خلالها يكتشفون قدراتهم، وينمون مهاراتهم إضافة إلى ما يتلقونه داخل المؤسسة من خدمات علاجية لمشكلاتهم السلوكية والإنحرافية على أيدي متخصصين فنيين في هذا العمل، كما أن المؤسسة تقوم بتدريبهم مهنيا من خلال الأوراش المختلفة داخل المؤسسة أو خارجها(محمد سلامة محمد غباري، 1989، ص175).

تعتبر الحياة داخل مؤسسات الرعاية الاجتماعية بمثابة سلسلة متشابكة ، فبقدر ما حققته من نتائج في إدماج الأطفال أسريا واجتماعيا، بقدر ما هناك أطفال مازالوا يستفيدون من الرعاية والتكفل، على الرغم من تجاوزهم سن الرشد القانوني أي 18 سنة .

5. أهم النتائج المتوصل إليها:

في هذه الدراسة، حاولنا الاقتراب من الواقع الاجتماعي والثقافي والنفسي لظاهرة الأطفال في وضعية الشارع، وسعينا إلى أن تكون جميع النتائج صادقة في تقديم حقيقة ظروف عيش الأطفال في الشارع، وما يرتبط بذلك من مظاهر ثقافية وتصورات اجتماعية.

من هذه الدراسة، توصلنا إلى عدد من الاستنتاجات التي تزاوج بين المقاربة النظرية والمعاينة الميدانية في سياق مغربي بكل مكوناته الاجتماعية، واللسانية والنفسية. فالعمل الميداني مكننا من الاستنتاج أن ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع ظاهرة عالمية ذات جذور تاريخية لها ارتباط بمجموعة من المتغيرات والتناقضات السوسيو ثقافية، أسهمت في ارتفاع حجمها مجموعة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية، إلى جانب العولمة وتلاشي الروابط الأسرية دون أن نغفل المؤثرات الجسدية والنفسية.

وقد اعتمدت الدراسة البحث الميداني بمدينة الدار البيضاء، بصفتها أكبر المدن المغربية ومحطة توافد عدد كبير من الأطفال من جميع أنحاء المغرب. وفي خضم هذه القضايا التي يثيرها موضوع دراستنا، اعتمدنا مقاربة تشاركية في جمع البيانات والمعلومات، وفي نفس الوقت اعتمدنا على نتائج عدد من الممارسات المؤسساتية والجمعوية الميدانية في المجال المبحوث فيه.

قمنا في بداية الدراسة، بدراسة ميدانية هادفة لعدد من الإحصاءات تخص عينات من الأطفال، عبر دراسة الفئات العمرية التي تتراوح أعمارها ما بين 12 و18 سنة من مجتمع أصلي، غير محددة. ولقد تم الاتصال بها بشكل عشوائي وبأماكن مختلفة. غالبية الأطفال في وضعية الشارع تنحدر من المدن الكبرى، بالإضافة إلى المدن الصغرى وخصوصا البوادي التي تعاني من الفقر، وقلة فرص العمل، تركوا أسرهم، إما بسبب العنف الأسري، وإما بسبب البحث عن عمل للمساهمة في تلبية الحاجات الأسرية. لكن الواقع فرض عليهم الإقامة في الشارع، والبحث عن الحماية بدل البحث عن عمل، وأصبحوا يمتهنون مهنا غير مهيكلة، أشهرها التسول بنسبة 75

بالمائة، لأنه نشاط لا يتطلب رأسمال، فقط يحتاج إلى بعض الكفاءات والخبرات لنيل عطف المارة.

وتساءلنا، في نفس الوقت، عن أشكال العنف التي يستعملها طفل في وضعية الشارع، وكيف يوظفها تعبيرا علائقيا مع الآخر. وجاءت الأجوبة متنوعة، تحدد كل أشكال وتجليات العنف النفسية والاجتماعية واللغوية والجسدية، مع رصد لكل أنواع التواصل السائدة بين الأطفال في وضعية الشارع بكل مستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية والتداولية. وبناءً على ذلك حاولنا الاشتغال أكثر على الدقة والوضوح في طرح الفرضيات.

في الفرضية الأولى، طرحنا سبب رفض الطفل الإيداع بالمؤسسة، فكانت النتيجة أن مرجعيته في هذا الرفض مرجعية ثابتة ومتغيرة في نفس الوقت. فالشارع مدرسة دون معلم، حيث إنه أكسب الطفل وعلمه مهارات الحياة، وجميع الأشكال الدفاعية. كما أتاح له فرصة إبرام صداقات حميمية. لكن بمجرد إيداعه بالمؤسسة – بغض النظر عن الطريقة- تصبح حريته مقيدة بالقانون الداخلي، هذا التقييد المشروط يدفع بالطفل إلى الهروب من المؤسسة طمعا في استعادة الحرية، إلى جانب عامل الحرية، هناك عوامل أخرى مرتبطة بربح المال والإدمان على المخدرات أو ما يعبر عنها الأطفال ب"البلية"، بالفعل، إن الحياة في الشارع حياة خارج إطار الحماية، وفتح العديد من المؤسسات ليس حلا؛ فالحل حسب رأي غالبية الأطر التربوية هو الاشتغال مباشرة مع الطفل، في المكان الذي يعيش فيه، وسار مجموعة من المسؤولين في القطاع الحكومي والمجتمع المدني في نفس الاتجاه، وإن اختلفت فيه أجوبتهم:

ج1: ضرورة الاهتمام بالوسط الطبيعي والاشتغال مباشرة مع الأطفال في الشارع.

ج2: القضاء على الفقر والبطالة والفوارق الطبقية.

ج3: وضع رؤية حكومية جديدة.

وفي الفرضية الثانية، قمنا بطرح مجموعة من الأسئلة لها علاقة بالأسلوب اللغوي السائد في مجتمع الشارع، والمعايير الثقافية التي يرفضها طفل الشارع. فتوصلنا إلى ما يلي: لجوء الطفل إلى أسلوب العنف الحركي والعنف الجسدي، كبديل عن الحوار التفاعلية، سببه راجع إلى الوضع الأسري الذي كان يعيش فيه، وانتماؤه لأسرة فقيرة لغويا ينعدم فيها الحوار، وعند ولوجه إلى المدرسة يصعب عليه التجاوب مع البرامج التعليمية، فيتسرب تدريجيا إلى أن ينضمّ إلى زمرة الشارع.

يعد هذا التحرر من المعايير الثقافية، مشجعا للأطفال في وضعية الشارع على خلق لغة خاصة مقننة ومشفرة، لاكتساب شرعية جديدة. أما عن نتائج الفرضية الثالثة والأخيرة، وجدت أن المؤسسة تتكلم عن الطفل كأنها تملكه، وأخرى لديها اعتقاد أنها تملك التجربة.

خاتمة:

وهكذا يمكن القول إن ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع ظاهرة متغيرة ومتجددة، وحتى تستطيع مؤسسات الرعاية الاجتماعية مسايرة هذا التغيير والتجديد، بات من اللازم البحث والاشتغال بمقاربة القرب والتدخـــل من أجل الحماية، والتواصل مع هذه العينة من الأطفال وفق تحركاتها. وخصوصا ونحن على علم بأن الطفل في وضعية الشارع يعيش خارج إطار

الحماية.فأمام غياب أي تدخل رسمي وفعال من طرف الجمعيات والمؤسسات غير الحكومية، وحماية هؤلاء الأطفال من أخطار الشارع، وإعادة إدماجهم اجتماعيا وأسريا ، فسوف تتعرض هذه الشريحة من الأطفال إلى الاستغلال من طرف فئات اجتماعية أخرى في أعمال إجرامية وإنحرافية، فـي الآونة الأخيرة، بدأنا نلاحظ شوارع المدن الكبرى والصغيرة في المغرب ، زاخرة بأعداد كبيرة من الشباب، يكسبون قوت يومهم إمـــــا بالتسول، أو بالنصب والاحتيال ، يمتهنون مهنا غير مهيكلة، يعانون من مشكلات اجتماعية ونفسية، يتعرضون لأبشع أنـواع الاستغلال والعنف، هؤلاء الشباب كانوا صغارا لكن مــع مرور الوقت كونوا مجتمعا كبيرا له خصوصياته السوسيو- ديموغرافية، لم يعد يستفيد من خدمات مؤسسات الرعاية الاجتماعية، بل أصبح يحقق رغباته النرجسية بطريقة عدوانية وعنفية، في الوقت نفسه معرضون أكثر لمجموعة من المؤثرات والمغريات التي من شأنها أن تغرس في عقولهم أفكارا منحرفة، وكذا استقطابهم واستغلال ميولاتهم المتعددة والمختلفة من أجل القيام بأفعال غير إنسانية ومتطرفة.

قائمة المراجع:

1. أحمد أوزي(2004)، سيكولوجية العنف، عنف المؤسسة ومأسسة العنف، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

2. بسيمة الحقاوي(2006)، التسول في المغرب من الآباء إلى الأبناء، مقاربة نفسية، اجتماعية، ط1، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء، المغرب.

3. رضوى فرغلي(2012)، أطفال الشوارع، الجنس والعدوانية دراسة نفسية، ط1، مكتبة دار العربية للكتاب، القاهرة، مصر.

4. راضية بوزيان(2008)، أطفال الشوارع في الجزائر، دراسة سوسيولوجية نفسية لظاهرة أطفال الشوارع وسبل مواجهتها، ع37، م علوم إنسانية، الجزائر.

5. محمد الدريج(1998)، الأطفال في وضعية صعبة،سلسلة شهرية، المعرفة للجميع، ع25، المغرب

6. محمد جسوس(1982)، التطورات العائلية والتنشئة الاجتماعية للطفل المغربي، ع1، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس الرباط، المغرب.

7. محمد عباس نور الدين(2003)، أطفال الشوارع، رؤية نقدية، اجتماعية وتربوية للظاهرة بأبعادها المختلفة،ع11، م3، مجلة الطفولة والتنمية،المغرب .

8. محمد مومن(2007)، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب، ط1، دراسة ميدانية بالرباط وسلا، المغرب.

9. مصطفى حجازي(2007)، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، ط1، معهد الإنماء العربي بيروت، لبنان.

10. نجاة مجيد(2001)، منارة قوارب الشارع مقاربة جديدة لإشكالية الشارع، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب.

11. Groupe de pédagogie et d’animation sociale(2006) ,l’enfant dans la rue, guide méthodologique, en Pologne.

سؤال الحضارة في النظرية الدائرية تطبيقات حول ابن خلدون وشبنغلر وتوينبي

Question of civilization in circular theory Applications about Ibn Khaldun, Oswald Spengler and Arnold Toynbee.

د. الكبار عبد العزيز، جامعة تلمسان-الجزائر.

د. صغير حياة، جامعة تلمسان-الجزائر

ملخص: يهدف هذا المقال إلى إبراز أهمية النظرية الدائرية في دراسة مفهوم الحضارة، ويركز على الجانب التاريخي والفلسفي والاجتماعي من هذه النظرية، ويقوم هذا المقال أيضا باختيار ثلاثة نماذج من المفكرين البارزين والمنتمين لها وهم: ابن خلدون وأوسوالد شبنغلر وأرنولد توينبي، كما يبين هذا المقال من حيث المضمون والنتائج نقاط التشابه والاختلاف بين هؤلاء المفكرين الثلاثة الذين تزامنوا مع سياقات تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية مختلفة ومتميزة، ويظهر الأسس النظرية والمنهجية التي يرتكز عليها هؤلاء المفكرين في تحليل نشأة وتطور وانهيار الحضارات منها: مبدأ المشابهة بين عمر الإنسان وعمر الحضارة، ومبدأ الحتمية الذي يشكل قانونا يمكن تعميمه على كافة الحضارات الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، النظرية الدائرية، التحدي والاستجابة، العصبية، الصفوة، المدنية، التحول الاجتماعي، مبدأ المشابهة، مبدأ الحتمية.

Abstract: This article aims to highlight the importance of circular theory in the study of the concept of civilization, and focuses on the historical, philosophical and social aspects of this theory. This article also picks out three models of prominent thinkers and Belonging to: Ibn Khaldun, Oswald Spengler and Arnold Toynbee.

This article shows in terms of content and results points of similarities and differences between these three thinkers who coincided with different historical, social, political and economic contexts different and distinct, and shows the theoretical and methodological foundations on which these thinkers are based on in the analysis of the origin, development and collapse of civilizations, as: The principle of similarity between the age of man and the age of civilization, and the principle of determinism, which constitutes a law that can be universally applied to all human civilizations.

Key words: Civilization, Circular theory, Challenge and response, assabiya, elite, Civil society, Social transformation, The principle of similarity, The principle of determinism.

مقدمة:

يعد مفهوم الحضارة من الإشكاليات التي تعددت حولها النظريات، ومن القضايا التي درسها العديد من المفكرين والفلاسفة، حيث بحثوا في ماهيتها وأسباب نشأتها وتطورها وعوامل انهيارها وكشفوا عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تلحقها، إن الحضارة في مفهومها العام عند الفلاسفة وعلماء الاجتماع والأنتروبولوجيا هي كل ما ينتجه الإنسان من خيرات مادية أو معنوية(حسين مؤنس، 1998، ص150 وألبرت أشقيتسر، 1960، ص34).

وتتمثل هذه النظريات في نظرية العناية الإلهية، التي هيمنت ولفترة زمنية طويلة على التفسير التاريخي للحضارات، وتتجلى هيمنة هذا الفكر التيولوجي في مجتمعات الشرق القديم والمجتمع اليوناني وفي القرون الوسطى، حيث تتصور أن الآلهة مصدر لنشوء الحضارات وتطورها، وتشكلت بعدها نظرية التقدم التي ارتبطت بعصر التنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر، وتقوم على الفكر العلمي والاستدلال العقلي، إذ تعتقد أن الحضارة يصنعها الإنسان وليست الإرادة الإلهية.

وانبثقت عن هذه الرؤية التاريخية والفلسفية مفهوم البطل في التاريخ الذي يتميز بمقومات شخصية منها العبقرية والمعرفة اللتين تمكنانه من قيادة المجتمع وبناء حضارته، وتذهب النظرية الوضعية إلى القول بأن الحضارات قد مرت بثلاثة مراحل متعاقبة تتمثل في المرحلة اللاهوتية والمرحلة المتافيزيقية والمرحلة الوضعية (العلمية)، وترى الماركسية أن نشأة الحضارات يرتد إلى العامل الاقتصادي المادي، وأن التناقض بين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في البنية التحتية يؤدي إلى التغير الاجتماعي والسياسي والحضاري.

تعتبر النظرية الدائرية من بين هذه النظريات التي بحثت في مشكلة الحضارة، واهتمت بدراسة وظيفتها والبنيات التي تتشكل منها، والمراحل التي تمر بها والأسباب التي تؤدي إلى نشأتها وتطورها وانهيارها، ويمثل هذا الاتجاه العلامة ابن خلدون (1406-1332)، وجيوناني فيكو Vico (1688-1744) ومالك بن نبي(1905- 1973)، وأسوالد شبنغلر Oswald Spengler (1880- 1936) وأرنولد توينبي Arnold Toynbee (1889 - 1975) وهؤلاء المفكرين رغم الخلاف الذي نلحظه بينهم في تصورهم للحضارة سواء على مستوى الرؤية أو المنهج، يتفقون على مسلمة نظرية قوامها أن المجتمع يتبع مسارا دوريا متتابعا، وأن مراحل حياة الدولة أو الحضارة تشبه مراحل حياة الإنسان، أي دورة تبدأ بالميلاد أو النشأة وتنتهي بالموت أو الفناء، وتضم النظرية الدائرية اتجاهات كثيرة منها: التفسير الواقعي بشقيه التاريخي والاجتماعي عند ابن خلدون والتفسير البيولوجي عند شبنغلر ومبدأ التحدي والاستجابة عند توينبي.

ويختلف تصور شكل هذه الدورة بين أعلامها، ونستشف هذا الاختلاف عند فيكو حيث يقول:" **فالحركة الدائرية لا يعني أن مسار التاريخ يدور حول ذاته، ولكنها حركة حلزونية لكون التاريخ لا يعيد نفسه على النمط نفسه، ولكنه يأتي بصورة، وشكل مخالف لما مضى، وأن التاريخ في تجدد دائم والتعاقب فيه لا يسمح بالتنبؤ"**(مفدي الزيدي، 2006، ص10).

ويقصد فيكو بالحركة الدائرية أن الحضارة في نشأتها وتطورها وانهيارها ليست بمثابة عجلة تدور حول نفسها، وإنما حركة تتجدد فيها الأحداث التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية

والاقتصادية، وأن التاريخ لا يعيد إنتاج هذه الأحداث بالكيفية نفسها، بل تتخذ أشكالا ومظاهر مختلفة.

التحليل:

يقوم تحليل مضمون هذا المقال باختيار ثلاثة نماذج من المفكرين المنتمين للنظرية الدائرية في فلسفة الحضارة منهم ابن خلدون وأوسوالد شبنغلر وأرنولد توينبي الذين ساهموا بقسط كبير في التأسيس نظريا ومنهجيا لهذه النظرية، وتمثلت هذه المساهمة العلمية والفلسفية في الإجابة عن أسباب نشأة وتطور وانهيار الحضارات الإنسانية.

1.**ابن خلدون:**

يشكل فكر ابن خلدون قارة معرفية قائمة بذاتها، فقد كان ملما بمعارف كثيرة، يحلل ويفحص مبادئ كل علم ويناقش فروضه ومنهجه، حريصا على إبراز الارتباط الوثيق بين المعرفة والمجتمع، بين تطور العلوم وتطور الهيئة الاجتماعية(محمد عابد الجابري، 1985، ص296).

وإذا أمعنا النظر في مقدمته أمكن القول: إنها قفزة نوعية في الفكر العربي الإسلامي، فقد أحدث ابن خلدون القطيعة المعرفية بين الذاتية والموضوعية، وبين الأيديولوجية والسياسة والعلم، وتحول فكره إلى نسق علمي متكامل، هذه المقدمة نتاج تجربة سياسية ومعاناة شخصية. لقد فشل بن خلدون في تحقيق طموحه السياسي فاتجه إلى التاريخ، فتحولت مطامحه السياسية إلى مطامح علمية: خاض بن خلدون تجربة سياسية واجتماعية واسعة غنية مكنته من الإطلاع على دقائق الحياة البشرية بمختلف جوانبها، فأكسبه ذلك معرفة حقيقية بالظواهر الاجتماعية على اختلاف أنواعها معرفة تجريبية بكيفية حدوثها وعوامل تطورها وأشكال ترابطها وتداخلها(محمد عابد الجابري، 2007، ص54-55).

إن أول قفزة معرفية قام بها ابن خلدون تمثلت في نقده للمؤرخين، ولم يكن هذا النقد صادرا من خلفية أيديولوجية أو سياسية، بل عن وعي ذاتي وإدراك عقلاني يقومان على الرغبة والحاجة إلى تحديد قيمة التاريخ، والارتقاء بها من مجال السرد القصصي إلى العلم الذي يعتمد النظر والتحقيق والتحليل والتفسير، أي أنه وضع بعض القواعد المنهجية في سياق تصوره عن الواقع التاريخي وعن المعرفة الصحيحة: **"يعد ابن خلدون قد سبق الغربيين في موضوع فلسفة التاريخ حيث طرح آراء حضارية لتفسير التاريخ تحمل في ثناياه معنى ظاهري وآخر باطني حقيقي، وأن الظاهري عبارة عن رسائل سريعة وروايات وسرد للأحداث والأخبار تبدو للقارئ وكأنها يصعب الربط بين أجزائها، والمعنى الباطني يقوم على دراسة الظاهرة التاريخية وإخضاعها للتحليل والتمحيص والتدقيق للتأكد من صحتها أوزيفها، ومن هنا نرى أنها نظرة تميل إلى العلمية، هذا فضلا عن الطروحات التي قدمها حول قيام الحضارات وسقوطها في نشوء الدولة وسقوطها، وعلى هذا الأساس عده البعض من كبار فلاسفة التاريخ الأوائل"**(مفدي الزيدي، 2006، ص6).

لقد أدرك ابن خلدون أن الحوادث التاريخية تجسيد وتعبير عن ظواهر اجتماعية. كان صاحب المقدمة يعي بأن فكره يتحرك في حدود علم جديد هو"علم العمران"، وهذا الاكتشاف الجديد لهذا العلم – بحسب ابن خلدون - يختلف عن علوم أخرى كالخطابة والسياسة المدنية. إنه علم جديد

مستقل بذاته تتوفر فيه الشروط المطلوبة في كل علم. يقول بن خلدون: **"إنه ذو موضوع وهو العمران والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا"**(ابن خلدون، 1987، ص38).

وقد اتضح له أن حركة التاريخ الإسلامي عبارة عن حركة انتقال دائرية من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة، واتضح له أن العصبية هي المحرك لهذه الدورة البدوية- الحضرية، ومن هنا - بالنسبة لهذا المفكر -كانت جميع الوقائع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تتحدد في نشأتها وتطورها بالعصبية وتأثيراتها الكبيرة في نهاية المطاف(محمد عابد الجابري، 2007، ص186).

كان ابن خلدون يطمح إلى تفسير ظاهرة اجتماعية تجلت وبوضوح في الظواهر العمرانية ككل، وبكيفية خاصة قيام الدول وسقوطها، لقد طرح بكل وضوح مشاكل المجتمع العربي الحضاري، مشاكل ماضيه وحاضره ومستقبله، وذلك على ضوء رصده لعدة ظواهر عمرانية واجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ومحاولته تفسير كل منها، وتحديد دورها في تشكيل الحضارة العربية الإسلامية، وحركة التاريخ العربي كله، وللتدليل على صحة هذا التصور فإن تركيز بن خلدون على اختيار عناوين وفصول دقيقة ومحددة لمقدمته تعبر بجلاء عن وقائع وأحداث اجتماعية شديدة الارتباط بالسياق العام ومعطياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الذي تزامن معه هذا المفكر، ومفاصل لنظريته في التاريخ الإسلامي إلى عهده(محمد عابد الجابري، 1985، ص323).

إن مقدمة ابن خلدون تعبير صادق عن أزمات المجتمع العربي الإسلامي، وعن تناقضاته في سياق تاريخي تميز بالضعف والانحطاط، بل وإنها تجيب عن مشكلات العالم الإسلامي في المرحلة الراهنة، و تكمن علمية هذا المفكر في منهجه العلمي وعقليته التي تجاوزت عصره وهو يمر بفترة تاريخية حاسمة تتمثل في مرحلة الانحطاط والانهيار فقد: **"ابتكر ابن خلدون منهجا جديدا يقوم على استقراء واقع عصره، ومجتمعه، معتمدا في ذلك على ملاحظاته، ومشاهداته وخبراته، لقد نحا منحى تجريبيا، إذ لاحظ حياة وسلوك الجماعات التي عاش بين ظهرانيها، واستقرأ القوانين التي تحكمها من خلال مقارنته للظواهر الاجتماعية التي لاحظها داخل المجتمع، وفي المجتمعات الأخرى"**(أزاد أحمد علي وآخرون، 2004، ص47).

عاش ابن خلدون فترة تاريخية عصبية ارتبطت بفترة انحطاط العالم الإسلامي، فلم يكن متشائما من هذه الحالة، التي كان يعاني منها العالم الذي ينتمي إليه، بل كان فيلسوفا ومؤرخا وعالم اجتماع يتأمل ظاهرة الانحطاط، ويحاول تفسير إشكالية هيمنت على كل تفكيره وقد تمثلت في: لماذا انهارت الحضارة العربية الإسلامية بعد ما أن حققت تطورا كبيرا امتد لقرون طويلة؟

نظر ابن خلدون إلى المجتمع الإنساني نظرة تحليلية، واهتم أساسا بظاهرة الدولة ببحث أسباب انهيارها بعد ازدهارها، وقد خصص قسما كبيرا من المقدمة للبحث في موضوع الدولة من جميع جوانبه، فتصور أن الدولة ظاهرة تاريخية واجتماعية، وذهب إلى القول بأن كل عمران وكل دولة أو مجتمع مدني يتطور من مرحلة إلى مرحلة أخرى إلى أن يصل إلى غايته، وهو عمره أو أجله الطبيعي.

واكتشف أن العصبية هي محرك التاريخ، والعامل الذي يسهم في عملية التحول الاجتماعي، والانتقال بالدولة من مرحلة تاريخية اجتماعية إلى مرحلة أخرى، أي الانتقال من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة، ويقصد ابن خلدون بالعصبية رابطة اجتماعية ونفسية تربط أفراد جماعة ما، وتقوم هذه الرابطة على النسق القرابي وخاصة رابطة الدم والنسب، حيث تقوى وتشتد هذه الرابطة عندما يهدد هذه الجماعة خطر خارجي يقول ابن خلدون: **"وذلك أن صلة الرحم طبيعي في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر منذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها"**(ابن خلدون، 1987، ص128).

توصل ابن خلدون من خلال دراسته الاجتماعية حول الدولة، ومعرفة أسباب ازدهارها وانهيارها إلى صياغة قانون اجتماعي يتمثل في أن الدولة تمر بثلاثة مراحل هي: مرحلة الميلاد، ومرحلة النضج، ومرحلة الانهيار، وتأتي هذه المراحل متعاقبة ومتتالية بنفس المراحل التي يمر بها الإنسان من مرحلة الطفولة إلى النضج ثم الشيخوخة والهرم، وتصور أن كل مرحلة من هذه المراحل يعمرها جيل يستغرق أربعين سنة، وقدر عمر الدولة في حركتها الحضارية بمائة وعشرين سنة يقول ابن خلدون:**" إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمارا ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء"**(ابن خلدون، 1987، ص170).

ولكل جيل من هذه الأجيال صفاته ومميزاته الخلقية وأنماطه السلوكية، وتتمثل هذه الأجيال في ما يلي:

الجيل الأول: ويمثله جيل البداوة ويتميز بصفات منها: الخشونة، والبسالة، والافتراس، والتوحش، والحشمة تجمعهم رابطة العصبية، فهم أشد استمساكا بها. هذا الجيل يعود إليه الفضل في تأسيس الدولة: **"الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم موهوب والناس لهم مغلوبون"**(ابن خلدون، 1987، ص170).

الجيل الثاني: ينتقل هذا الجيل من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة حيث تتشكل الدولة ويتحقق الملك، فينتقل المجتمع من الحياة البدوية الخشنة أو من العمران البدوي إلى الحياة المتمدنة أو العمران الحضري، وفي هذا الطور يزول جانب من قوة الجيل الأول، ويفقد أهل الدولة الكثير من صفاته: **"والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن**

ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول"(ابن خلدون، 1987، ص171).

الجيل الثالث: وفي هذا الطور ينسى أهل الدولة عمر البداوة، ويفقدون القوة والحمية وتتحول الأمجاد عندهم إلى مظاهر وهذه السلوكات والظواهر المرضية التي تصيب هذا الجيل هي علامات على السقوط، وانهيار الدولة فينتهي أمرها كما ينتهي أمر الكائن الحي: **"وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبنقوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة**(ابن خلدون، 1987، ص171).

يعد ابن خلدون إذن، مكتشفا لفكرة الدورة الحضارية التي استلهمها منه كثير من المؤرخين والفلاسفة نذكر من بينهم توينبي وشبنغلر ومالك بن نبي، ونستشف في مقدمته عدة قضايا ترتبط بمجال علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم التاريخ وعلم السياسة، ولكن حتى لا نقع في مظنة المبالغة والتعميم يجب أن نعترف بأنه ليس كل ما قاله بن خلدون صوابا، والاعتقاد بأنه لم يترك ثغرة واحدة في مقدمته يشكل نظرة تفتقد للروح العلمية، لأنه ما من فكر بشري، سواء استمد من مصادر دينية أو وضعية يكون عرضة للخطأ والصواب لأن الفكر البشري نسبي، ومتجدد ومستمر.

يمكن وعلى هذا الأساس رصد بعض الثغرات في مقدمة ابن خلدون، إذ لا نشاطره الرأي في تصغيره لحجم الحضارة وتضييق مداها، والحكم القاسي على قيمة نتائجها، فقد نظر إلى الجانب السلبي من الحضارة، حيث بالغ في إحاطتها بالترف، وبالغ كثيرا في رصد ما يترتب عن هذا الترف من آثار سلبية، فالتفنن في كل أنواع الترف والنعيم لا يؤدي بالضرورة إلى زوال الدولة، ولكن الذي يضعف البشر هو سوء استخدامهم لنعيم الحضارة.

وتتلخص هذه الظاهرة فيما يسميه المؤرخون بسيطرة أدوات الحضارة على الإنسان بدلا من سيطرته عليها، وتسمى هذه الحقيقة من حقائق الحضارة بالقبض، أي القدرة على التحكم في الأشياء والمصطلح في علم الاجتماع هو **maniabilité** ومن دون هذا القبض لا يستطيع الإنسان الإفادة من أي أداة من أدوات الحضارة توضع بين يديه(حسين مؤنس، 1998، ص157).

لكن على الرغم من كل الانتقادات التي قدمت لابن خلدون إلا أنه يعد مكتشفا ومؤسسا للنظرية الدائرية في فلسفة التاريخ والحضارة التي استلهم منها كثير من المفكرين . يقول مالك بن نبي:**" إن ابن خلدون كان يمكن أن يكون أول من أتيح له أن يصوغ قانون الدورة الحضارية لولا أن مصطلح عصره قد وقف به عند ناتج معين من منتوجات الحضارة، ونعني به الدولة، وليس عند الحضارة نفسها"**(مالك بن نبي، 1987، ص71).

كما أنه وضع قواعد منهجية ومعرفية شبيهة بتلك التي نستشفها عند عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركايهم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع، حيث يشير ابن خلدون في مقدمته إلى تلك العوائق المعرفية التي يقع فيها المؤرخ ويشير إلى تجاوزها بالاعتماد على النقد والخبرة والتجارب والاستقراء، وقد استطاع تحديد القوانين الموضوعية التي تتحكم في حركة التاريخ

ونشأة وتطور وانهيار الدول والحضارات، يبقى فقط أن نؤكد بأن نظرية ابن خلدون حول الحضارة تعبر عن سياق تاريخي وسياسي واجتماعي واقتصادي محدد كان يمر به العالم الإسلامي في فترة عصر الانحطاط، أي فترة القرن الرابع عشر ميلادي لذلك كانت مفاهيمه ومنهجه وأفكاره ورؤيته لوقائع وأحداث عصره انعكاسا لها وتعبيرا عن مأساة أمة وصلت إلى درجة التقهقر والانهيار.

2- شبنغلر:

يصف الكثير من الباحثين فلسفة شبنغلر بأنها فلسفة تشاؤمية، ويرتد هذا التشاؤم إلى انهيار طبقة النبلاء على يد الطبقة العاملة، و هيمنة التيار المادي، وسيادته في المجتمعات الأوروبية، حيث انهارت تقاليد وأعراف النبالة. هذه العوامل كلها قد دفعت به للهجوم والثورة على المادية البورجوازية والاشتراكية، ومحاربة العقل، والنفور منه، فاحتقر العقل الغربي كما تصوره وقدسه معاصروه، إذ كان يرى أن هذا العقل نفسه هو الذي يقود حضارة الغرب إلى الدمار(حسين مؤنس، 1998، ص305).

يعد شبنغلر من أنصار نظرية الدولة الحضارية، ويتفق مع بن خلدون في تشبيه نمو الحضارات وتطورها وأفولها بنمو الكائن الحي وتدرجه في مراحل نموه من طفولة وشباب ثم شيخوخة، وميز بوضوح بين الحضارة والمدنية، فالحضارة عنده انبعاث روحي لجماعة من الناس يربطهم مفهوم متقارب للوجود، فينعكس ذلك على ألوان نشاطهم المختلفة في الفن والدين والفلسفة والسياسة والحرب والاقتصاد وبالتالي فكل جماعة اجتماعية تتميز عن جماعة أخرى، وبعبارة أخرى فالحضارة في شعب من الشعوب هي الزخم الروحي، وليس البعد الداخلي والتيار الدافع للحركة والتقدم والتجديد والتوسع، إنها الروح العامة الحية التي تحرك الشعب وتدفعه في جميع اتجاهاته الفكرية والفنية والعسكرية والعلمية. أما المدنية فهي مجموعة الأشياء المبتكرة كالمؤسسات والقوانين والتقنيات والأشكال الجامدة والمتحركة التي خلقتها الحضارة(حسين محمد سبيتي، 1996، ص102).

ويتصور أنه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل، أي أن كل حضارة تمثل كيانا مستقلا عن كيان حضارة أخرى، ولكل حضارة شخصيتها المتميزة ونظرتها الخاصة للحياة، فقد تستعمل الحضارات نفس الكلمات وقد يكون لها نفس المفاهيم والنظم ولكن هذه المعاني كلها تختلف من حضارة إلى أخرى.

ويذهب إلى القول بأن النخبة هي التي تصنع التاريخ، فالزخم الحضاري هو الزخم المنطلق من الرجال العظام الذين يحركون الشعوب بقوة في اتجاهات دينية وسياسية وعسكرية، وما يلحق التاريخ من تقدم وتجديد يعود بالدرجة الأولى للصفوة من الناس.

قام شبنغلر بانتقاء سبع من الحضارات قصد دراستها ومقارنتها وتتمثل هذه الحضارات السبع في: الحضارة المصرية القديمة، والحضارة البابلية، والحضارة العربية، والحضارة الغربية، والحضارة الهندية، والحضارة الصينية، والحضارة المكسيكية. وحدد فصولا أربعة لكل حضارة من هذه الحضارات. وتتمثل هذه الفصول في:

فصل الربيع: يتمثل في حقبة البطولة، حقبة الأساطير وشعر الملاحم حيث يتغنى الناس بالشجاعة والبطولة كحقبة هوميروس في تاريخ حضارة اليونان، وحقبة القرون الوسطى من تاريخ الحضارة الغربية.

فصل الصيف**:** وتتجلى في حقبة القيادة المتوثبة الطموح، إنها حقبة ظهور وازدهار الدولة المدنية في الحضارة الأبولونية الإغريقية.

فصل الخريف**:** تبدأ الحضارة في هذا الفصل بفقدان منابعها الروحية حيث تظهر البوادر الأولى للشيخوخة وتبدو الحضارة منهكة ومرهقة.

فصل الشتاء**:** تفقد الحضارة روحها المبدعة وتصبح مدنية ويكون أفضل ما تقدمه في هذه الحقبة تطبيق العلوم على الصناعة وإنشاء المعاهد التقنية(أوسوالد شبنغلر، دس، ص766-767).

نخلص من خلال عرض نظرية شبغلر أن الحضارة تخضع لمبدأ الحتمية، أو المصير التاريخي، وأن المدنية هي أعلى مراتب الحضارة وعلامة من علامات سقوطها ، وأن كل حضارة تتجه عبر مراحل تطورها إلى مصيرها المحتوم وهو الفناء. كما أكد على أن لكل شعب من الشعوب عاداته وتقاليده وأعرافه وقيمه التي تميزه وتحدد مصيره التاريخي، وتقوم الأجيال اللاحقة باكتساب هذا التراث وتوارثه جيلا بعد جيل.

تعرضت نظرية الحضارة عند شبنغلر لمجموعة من الانتقادات أهمها أن هذا الفيلسوف تصور أن الحضارة الإنسانية قامت على أساس الحضارة الغربية وبسقوطها ينهار العالم برمته، ورفض مبدأ التثاقف الحضاري بين الشعوب والمجتمعات الإنسانية والتفاعل بينها، وكشف بعض المفكرين عن النزعة العرقية التي تجلت في فلسفة شبنغلر والتي تدعم الحركات النازية والفاشية ذلك أنه اعتبر الجنس الألماني الشعب الوحيد الذي يمتلك القدرة على الإبداع والتفوق يقول مفدي الزيدي:**" قال المفكر الألماني شبنغلر بالدعوة إلى الأفكار التسلطية العنصرية في ألمانيا، وأن ألمانيا لكي تنجو وتكسر الطوق لانحطاطها ليس أمامها اختيار إلا إذا انكفأت وتقوقعت على ذاتها، واسترحت واستلهمت القبائل البروسية العرقية، وهذه الأفكار عنصرية استمدتها من تراثهم القومي"**(مفدي الزيدي، 2006، ص05).

واطلع مالك بن نبي على نظرية الحضارة عند شبنغلر، وكشف عن هذه النزعة العرقية التي تحصر القدرة على التغيير في نخبة من جنس معين وطبقة معينة حيث وجد العامل العنصري في هذه النظرية حيث يقول: **"وهكذا نجد في هذه النظرية العامل العنصري يتسرب على يد شبنغلر إلى المذاهب التاريخية، وهو العامل الذي سوف يتاح لدوره التاريخي فيما بعد، أن يحقق اكتماله المنهجي في المدرسة الهتلرية على يد روزنبغ"**(مالك بن نبي، 1987، ص71).

3-توينبي:

درس توينتي ما كتبه شبنغلر، واقتبس منه بعض الحقائق والمعطيات التاريخية، فقد كان توينبي ذا رغبة في إنجاز دراسة في التاريخ على نمط شبنغلر الذي يعتبر فيلسوفا ومؤرخا رفع عن كاهل المؤرخين حملا ثقيلا تجلى في كتابه الباهر والحزين "انهيار الحضارة الغربية"، ولكن يبدو أن توينبي ليس متفائلا ولا هو يميل إلى التشاؤم بالنسبة للغرب، إنما يتصور أن نهايته

محتومة ولا مفر منها كما قال شبنغلر، وإن كانت نظرة توينبي متميزة في رصده لمراحل وعوامل نشأة انهيار الحضارة.

اطلع تويتبي على أهم الحضارات القديمة والوسيطة وقد ساعده في ذلك دراسته العميقة للغتين اليونانية واللاتينية قبل أن يدرس التاريخ والحضارة، كما درس بإتقان وإمعان إحدى وعشرين حضارة ست منها نشأت أساسا من المجتمعات الأولية (الأصلية) وهي: الحضارة المصرية، والصينية، والماياتية، والسومرية، والمينونية، والهندية. ويطلق على بقية الحضارات الأخرى مصطلح **" الحضارة المشتقة"** أي تلك الحضارات التي انبثقت من الحضارات الأصلية(نورة خالد السعد، 1997، ص87-88).

وهو يتفق مع شبنغلر في القول بأن كل حضارة تمر بثلاث مراحل هي: مرحلة الميلاد ومرحلة النمو ومرحلة الانهيار غير أنه لا يحدد عمرا معينا لكل حضارة كما تصور بن خلدون ولم يستخدم الفصول الأربعة التي حددها شبنغلر لوصف مراحل الحضارة.

كان توينبي معجبا بما كتبه شبنغلر، ويتفق معه في المراحل التي تمر بها الحضارة إلا أنه لا يقبل منه الفكرة القائلة بأن حضارة شعب معين هي حضارة معزولة، تأتي وتذهب لوحدها من دون أن ترتبط بغيرها من الحضارات محافظة على روحها، فقد انتقد توينبي هذه الفكرة وشدد في كتابه" دراسة التاريخ" على أن الحضارات تتبادل علاقة التأثير والتأثر، وعلى الأخذ والتكامل والتقدم الفكري والتقني والديني خلال تطورها. إن توينبي لا يؤمن بالحضارة المعزولة لشعب من الشعوب، فكل الحضارات تقع في عمليات تزاوج وتلاقح وتكامل(حسين محمد سبيتي، 1996، ص147).

إذا كان توينبي يتفق مع شبنغلر في نقاط معينة ويختلف معه في نقاط أخرى، فكيف يفسر توينبي نشأة وانهيار الحضارات؟

يتصور توينبي أن الحضارة تقوم نتيجة التحدي والاستجابة، ويعني بمفهوم التحدي وجود ظروف صعبة تواجه الإنسان في بناء حضارته، وعلى قدر مواجهة الإنسان لهذه الظروف تكون استجابته إما ناجحة إذا تغلب على هذه المصاعب أو استجابة فاشلة إذا عجز في تجاوزها(رأفت غنيني الشيخ، 1988، ص177).

ويؤكد توينبي أن الظروف الصعبة التي تتحدى قدرة الإنسان وتدفع به للعمل على تكوين الحضارة تتمثل إما في بيئة طبيعية أو ظروف بشرية **:" إن الحضارات نشأت في أراض جرداء، فالظروف الطبيعية الصعبة هي التي تدفع الإنسان نحو التحضر ، وتتمثل الظروف الصعبة في البيئة الطبيعية والظرف البشرية فهما تحديان يستثيران الإنسان ، وأن تحدي الوسط البشري ويتمثل في العدوان الخارجي من دولة مجاورة ، أو جماعة ، ويشكل العدوان غزوا مما يكون حافزا لقيام حضارة وتحدث الاستجابة من خلال طرد الغازي أو الغزاة والتخلص من القوة الضاغطة والانتقام والقصاص منه أو منهم"**(مفدي الزيدي، 2006، ص06).

ولكن إذا كانت الطبيعة تتحدى الإنسان باستمرار فمن يواجه هذا التحدي؟

يعتقد توينبي أن الذين يردون على هذا التحدي هم صفوة من الناس، يمثلون فئة خاصة من العباقرة والرجال العظام والمخترعين والمكتشفين والمبدعين، يمتلكون القدرة والإرادة للرد عمليا

على جميع أنواع تحديات البيئة الطبيعية. وعلى هذا الأساس فالحركة التاريخية عند توينبي لا ترتد إلى الظروف الجغرافية أو إلى الجنس البشري، بل إنها تتم نتيجة لنوع من التفاعل بينهما أي أن الإنسان يتحرك للعمل الحضاري إذا وجد في ظروف تضطره إلى ذلك، وبالتالي فالحضارات تقوم نتيجة التحدي والاستجابة.

وفي سياق حديثه عن مبدأ التحدي والاستجابة ودورهما في تشكيل وبناء الحضارات يتطرق توينبي إلى عوامل تفكك وانهيار الحضارات، إذ يرى أن الحضارة تنحل وتنهار عندما يصاب الإنسان بالعجز عن التحدي، وعن عدم استجابته لمعطيات البيئة، فالعجز عن التحدي بداية للانحلال والموت الحضاري ، والتنازل عن الدور الحضاري والاعتراف بسيطرة المحيط الخارجي، وبذلك يصبح الإنسان فريسة سهلة للعوامل الطبيعية الخارجية، وفريسة سهلة أيضا لباقي الشعوب والحضارات التي تغزوه، وتحاول ابتلاعه.

ويرجع توينبي أيضا الانهيار الحضاري إلى إخفاق الأقلية المبدعة، وعدم قدرتها على السيطرة والتحكم على المجتمع، فتتحول إلى أقلية مسيطرة، فيفقد أفراد المجتمع ثقتهم بها، ويشتد الصراع بينهما، فيضطر هؤلاء الأفراد إلى الخروج عن طاعتها ومقاومتها، ونتيجة فقدان الثقة بين أقلية المجتمع الحاكمة وأغلبية المحكومين تتفكك وحدة المجتمع ويحدث الانهيار(نورة خالد السعد، 1997، ص90-91).

يعتبر المؤرخ توينبي الذي تزامن مع الأزمات العالمية، واهتم بدراسة وتقييم الحضارات القديمة والحديثة من بين أبرز المفكرين المعاصرين الذين أسسوا رؤية فلسفية وتاريخية في تفسير أسباب تشكل الحضارات الإنسانية وانهيارها، وترتبط هذه الرؤية بمفهومين متكاملين يتبادلان التأثير والتأثر وهما: التحدي والاستجابة اللذين يعطيان لنظرية الحضارة عند هذا المفكر خصوصيتها وتميزها عن باقي نظريات دورة الحضارة. كما أن هذه الرؤية استبعدت النزعة العرقية التي تعتقد أن الحضارات تقوم على أساس العرق الجنسي، ولم يكن هذا المؤرخ متحيزا للحضارة الغربية أو الفكر القومي الذي تجلى بوضوح عند الفيلسوف شبنغلر وعدد كبير من فلاسفة الألمان.

نتائج الدراسة:

تعد النظرية الدائرية في فلسفة الحضارة من بين أبرز النظريات التي أعطت تفسيرا وتحليلا متميزا حول نشأة وتطور وانهيار الحضارات الإنسانية، حيث يقوم هذا التحليل والتفسير على منطلقات نظرية ومنهجية منها: الاعتماد على مبدأ المشابهة بين سير مراحل حياة الكائن البشري، والحضارات، فالحضارة تشبه الإنسان فهما يمران بمراحل متعاقبة من النمو إلى التطور والازدهار ثم الانهيار والفناء، أي أن هذه النظرية ذات نزعة تطورية.

وتقوم هذه النظرية على مبدأ الحتمية الذي يحكم دورة الحضارات، أي أن هذا المبدأ يشكل قانونا وتعميما ينطبق ويشمل جميع الحضارات البشرية، ولكن ينبغي أن نستثني من هذا القانون المفكر مالك بن نبي الذي تصور أن الحضارة لا تزول وأنه بالإمكان إعادة البناء الحضاري شريطة أن يحدث الإنسان تغييرا على ذاته وينتج رأسماله المفاهيمي ويهذب سلوكياته. وهنا يجب أن نؤكد أن ابن خلدون كان له حق السبق في اكتشاف النظرية الدائرية في فلسفة التاريخ

والحضارة، ويعترف له بذلك كثير من المفكرين والمؤرخين وعلماء الاجتماع الغربيين والمسلمين.

لقد هيمنت النزعة التشاؤمية على بعض فلاسفة النظرية الدائرية وخاصة عند أوسوالد شبنغلر وأرنولد توينبي فقد تبين لهما أن الحضارة الغربية التي عرفت تطورا كبيرا على جميع المستويات والأصعدة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية، وصارت نموذجا ومقياسا حضاريا لتطور وازدهار الحضارات الأخرى، تنتقل إلى مرحلة الانهيار نتيجة عوامل مختلفة منها الابتعاد عن القيم الروحية والأخلاقية، وتلاشي الروابط الاجتماعية، وعدم المساواة بين الأفراد، وغياب دور النخب السياسية والعلمية في التجديد والإبداع، نشوب النزاعات، وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية.

خاتمة:

ساهمت النظرية الدائرية في تشكيل منظومة معرفية تقارب من خلالها أسباب نشأة وتطور وانهيار الحضارات، واستلهمت من العلوم الطبيعية وخاصة من البيولوجيا وعلم وظائف الأعضاء مبدأ المشابهة بين مراحل عمر الإنسان وعمر الحضارات، وارتبطت هذه النظرية بالواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي المعيش فكانت نظرية تاريخية وفلسفية واقعية وليست مثالية.

ويبرز دور هذه المقاربة على الرغم من الانتقادات التي وجهت لها في تشكل نظريات معاصرة، تجاوزت البحث في نشأة وتطور وانهيار الحضارات، وطرح إشكالية جديدة مرتبطة بحوار الحضارات ونهاية التاريخ التي تزعمها المفكر فرانسيس فوكا ياما، الذي تحدث عن انتصار الرأسمالية والقيم التي تنشدها من حرية ومساواة وديمقراطية، ودافع عن قدرتها في أن تصبح البديل والنموذج الحضاري الذي يجب أن يتبناه العالم برمته.

وبرزت في نفس السياق التاريخي والاقتصادي والاجتماعي نظرية صراع الحضارات للمفكر الأمريكي صموئيل هنتنغتون(1927- 2008) الذي طرح في كتاباته مسألة الصدام والصراع بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية حيث، يرى أن المجتمعات الإسلامية تملك عناصر مادية ومعنوية قادرة على مواجهة تحديات الحضارة الغربية، وركز هذا المفكر على الإسلام واعتبره المعضلة الكبيرة التي تعترض هيمنة الحضارة الغربية، ولعبت هذه النظرية دورا كبيرا في نشأة النظام العالمي الجديد، أو النيو- ليبرالية، أو ما يسمى في المرحلة الراهنة بالعولمة.

قائمة المراجع:

1. ابن خلدون(1987)، المقدمة، ط7، دار القلم، بيروت، لبنان.
2. ألبرت أشقيتسر(1960)، فلسفة الحضارة، تر: عبد الرحمان بدوي، زكي نجيب محمود، مكتبة الإسكندرية.
3. أزاد أحمد علي وآخرون(2004)، الفكر الاجتماعي الخلدوني، المنهج والمفاهيم والأزمة المعرفية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
4. أوسوالد شبنغلر(دس)، تدهور الحضارة الغربية، ج1، تر:أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، بيروت.

5. حسين مؤنس(1998)، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ط2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
6. حسين محمد سبيتي(1996)، أعلام فلسفة التاريخ، ط5، المكتب العالمي للطباعة والنشر والتوزيع.
7. محمد عابد الجابري(1998)، نحن والتراث. قراءات في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
8. مالك بن نبي(1987)، شروط النهضة، ط4، تر: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.
9. محمد عابد الجابري(2007)، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط8، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
10. رأفت غنيني الشيخ(1988)، فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع.
11. نورة خالد السعد(1997)، التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي، دراسة في بناء النظرية الاجتماعية، ط1، دار السعودية للنشر والتوزيع.

التعددية الدينية كحل للتعايش السلمي

Religious Pluralism as a Solution to Peaceful Coexistence

أ.أكرم بلخيري جامعة وهران2- الجزائر

ملخص: تعاني الأمة الإسلامية من أزمات على مستويات عدة، سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ذلك ما يتجلى من خلال الصراعات والحروب التي نشأت في قلب الأمة الإسلامية منذ عهود قريبة وما يزال الوضع مترديا إلى اليوم، ولعل الانتماءات المذهبية والدينية كانت من أهم العوامل التي أذكت نار الصراع وأججت حمية الفوضى والاقتتال، وأحدثت شرخا عميقا في جسد الأمة، ولا يمكن لأحد أن ينكر ذلك الحضور القوي لإشكالية الصراع الطائفي والمذهبي بين السنة والشيعة والذي ينبني على استحضار صراعات تاريخية قديمة تحولت من الطابع السياسي إلى الطابع العقدي.

في هذا السياق ظهرت مشاريع فكرية حاولت تجاوز هذه الأوضاع من خلال طرح فكرة التعايش المشترك والتسامح تحقيقا للوحدة الإسلامية بغرض تجاوز التخلف واللحاق بالركب الحضاري من جهة و من جهة أخرى التصالح مع مختلف الأطياف والمذاهب ومنحهم جميعا الحق، والحرية في ممارسة تدينهم على الكيفية التي يريدون، ومن بين هذه المشاريع الجديرة بالاهتمام على ما – نعتقد- مشروع المفكر الإيراني عبد الكريم سروش في كتابه من الصراط إلى الصراطات المستقيمة، ومحمد عمارة في كتابه الإسلام والتعددية ،الاختلاف والتنوع في إطار الوحدة، وكتاب التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي كل هذه المشاريع سعت إلى تقبل الأخر وعدم إقصائه. هذه التعددية التي تمنح الحرية الفكرية والعقائدية لكل طرف مما يعزز من الناحية العملية منح الأخر حق الوجود، كما نصت عليه المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في حرية الأفراد في التفكير وحق تغيير ديانتهم وعقيدتهم وحرية التعبير عنها وممارسة شعائرهم دون أن يسبب ذلك أي حساسية، وهذا ما من شأنه أن يفسح المجال أمام فضاء من التسامح والتعايش السلمي بين مختلف مكونات الأمة الإسلامية من أقصى شرقها إلى أقصى غربها بعيدا عن التعصب والدغمائية، فهي تجعل العقل ألتعددي عقلا غير متعصب وغير الدغمائي من خلال تبسيطها للحقيقة على كافة الأطراف وتمنح الحق لكل طرف في عالم المعرفة الدينية.

إذن التعددية رهان ملح ومطلوب يفرضه الواقع الذي يعيش احتقانا طائفيا لا يستحضر صورة الأخر إلا تحت عنوان الدم والقتل تعني الاعتراف بوجود تنوع في الانتماء الديني في مجتمع واحد أو دولة تضم مجتمع أو أكثر.

الكلمات المفتاحية: التعددية الدينية، الإنحصارية، التعايش السلمي.

Abstract: The Islamic Ummah suffers from crises at various levels, political, economic, social and cultural. This is manifested in the conflicts and wars that have arisen in the heart of the Islamic Ummah since the recent era, and the situation continues to deteriorate to this day. Religious

and sectarian affiliations were among the most important factors that fueled the conflict. The chaos and fighting have caused a deep rift in the body of the nation. No one can deny that strong presence of the problematic sectarian and sectarian conflict between Sunnis and Shiites, which is based on the invocation of ancient historical conflicts that have changed from political to sectarian.

In this context, there have been intellectual projects that tried to overcome these situations by proposing the idea of co-existence and tolerance in order to achieve Islamic unity in order to overcome backwardness and catch up on the one hand and reconcile with different sects and sects and grant them all the right and freedom to practice their religion on how they want, Among these projects worthy of attention on what we think - the project of the Iranian thinker Abdul Karim Sroush in his book from the path to the straight conditions, and Mohammed Amara in his book Islam and pluralism, diversity and diversity in the framework of unity, and the book of religious pluralism look at the crystal doctrine All these projects sought to accept and not exclude others.

This pluralism confers the intellectual and ideological freedom of each party, which in practice enhances the right to exist, as enshrined in Article 18 of the Universal Declaration of Human Rights, in the freedom of individuals to think, to change their religion and belief, to express their religion, This will open the way for a space of tolerance and peaceful coexistence among the various components of the Islamic Ummah from the extreme east to the far west away from fanaticism and demagogy. It makes the pluralist mind a non-fanatic and non-demagogic mind by simplifying the truth on all sides and granting the right to each party. The world of religious knowledge.

Therefore, plurality is an urgent and required gamble imposed by the reality that is living in sectarian tension that does not evoke the image of the other except under the heading of blood and murder means recognizing the diversity of religious affiliation in one society or one or more societies.

Key word: pluralism, conservatism, peaceful coexistenc.

مقدمة:

عانت المجتمعات الإنسانية من ويلات الحروب لأزمنة طويلة كان سبب فيها واحد يتجدد في كل مرة بوجه جديد فكان الصرع يحتدم بين أصحاب المذاهب والعقائد المختلفة بل حتى داخل الديانة الواحدة بين طائفة وطائفة مناقضة فكان الدين في أغلب الأحيان هو المغذي لهذه الصراعات داخل الكنائس أو خارجها.

فكان ظهور التعددية الدينية في أوربا بمثابة رد فعل لحالة الكنيسة الكاثوليكية السائدة في أوربا قبل الثورة الصناعية ومن المعروف أن الكنيسة كانت في تلك الفترة تمارس أنواعا عديدة من الاضطهاد الديني والانغلاق والممارسة القهرية للمعرفة.

لم تقتصر الكنيسة الكاثوليكية على الانغلاق وقطع الحوار الديني والمعرفي مع الآخرين، بل مارست هذا السلوك داخل الإطار المسيحي أيضا وتاريخ الكنيسة الكاثوليكية في هذه الفترة حافل بمشاهد كثيرة من الاضطهاد الديني والمعرفي حيث أدى هذا السلوك الديني في أوربا إلى ردود أفعل قوية كان من بينها حركة الإصلاح الديني التي نتج منها الانشطار الكبير الذي قاده مارتن لوثر وكالفن في المسيحية ومنها ظهور نظرية التعددية الدينية.

إذ تؤكد التعددية الدينية على توزع الحقائق في التجربة الدينية للبشرية جمعاء، وأن الخلاص ليمكن احتكاره فقط على دعاة الأديان بل بالإنصات العميق لبعضهم البعض والسكون إلى السلام الوجداني الداخلي والتعايش السلمي بين مختلف الأطياف وبين مختلف الأديان من أجل غلق الطريق أمام دعاة الإنحصارية والوثوقية التي ترى أن دينا واحد هو الذي يتمتع بالحقانية التامة وأن سائر الأديان وإن كان لها نصيب من الحقانية إلا أنها ليست حقا مطلقا هذا الصراع والخلاف بين دعاة التعددية والإنحصارية في سعيهم لتحقيق السكون والتعايش السلمي ولد وجهات نظر كثيرة ومتنوعة ما دفعنا إلى طرح السؤال لماذا يعد تحقيق تعددية دينية على أرض الواقع تأسيسا للتعايش السلمي؟ ثم كيف نظر كلا من جون هيك وعبد الكريم سروش إلى التعددية الدينية وجعلى منها مبدأ أساسيا لتحقق التعايش؟ لماذا غابت قيم التسامح في أوساط المسلمين رغم وصايا ديننا الكريم؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عنه في متن هذا المقال.

لكن قبل الخوض في موضوعنا هذا لابد من التأصيل ألمفاهيمي كما هو معهود في البحوث العلمية، لذلك ارتأينا أن نقف على مجموعة من المفاهيم ذات الصلة بمفهوم التعددية أو بمفاهيم مناقضة لها، على اعتبار أن الشيء بنقيضه يدرك، فمن الإشكاليات الفلسفية التي تقوم على مفهوم أو مفاهيم خاصة مسألة العلاقة بين الواحد والمتعدد التي شغلت الفكر الإنساني منذ البدايات ألأولى للتفلسف، لذلك سوف نقف على مفهوم الواحد والتعدد في الاصطلاح لما لتحليل المفاهيمي من أهمية في عملية الفهم.

مفهوم الواحد:

يعتبر البحث في المفهوم العام لمصطلحات الواحد والمتعدد من القضايا التي يصعب تحديد مفهوم دقيق ومشترك لها، وذلك نظرا لتعدد معانيها حسب اختلاف وتنوع ميادين استعمالها فهي لا تقتصر على المباحث الفلسفية فحسب بل تتجاوزها إلى المسائل الدينية والعلمية، وبالتالي فمدلول الكلمتين يختلف حسب مجال توظيفهما وهو ما يجعلنا نشير منذ البداية أن طرحهما في

السياق الفلسفي لابد أن يحمل طابع خاصا ومتميز عن المجالات الأخرى، فاستعمالهما ينطلق أساسا من العلاقة القائمة بينهما، حيث لا نستطيع تحديد المفهوم الفلسفي الدقيق للمصطلحين إلا في سياق عام ثم تحديد المفهوم الديني للمصطلحين.

فمهموم الواحد في اللغة يطلق على عدة معاني، فهو يطلق على الكائن بذاته من جهة مبدأ الوجود أو الفكر وهو رقم يدل على الوحدة "والواحد والأحد هو اسم يدل على الحد الأول من متوالية الأعداد الطبيعية، ويطلق كذلك على ما يكون وأحدا بأي معنى هذه الكلمة (اندري لالاند، دس، ص1493)**.**

وفي اللغة نشير بيه مجازا للتعبير "عن الله الذي هو لا متكثر بل واحد (عماد الدين الجبوري، 1972، ص22) من هنا فإن مفهوم ألواحد ارتبط عموما بالتعبير عن الفردانية التي لا تنقسم كذات الله، أو كالعدد في اللغة الرياضية فهو أول الأعداد الصحيحة الموجبة

ويعرفه جميل صليبا في معجمه "هو ما لا ينقسم إلى جزئيات بأن يكون تصوره مانعا من وقوع الشركة فيه، وهو الواحد بالشخص ووحدته هي الوحدة الشخصية أو ينقسم إلى جزئيات، وهو الواحد لا بالشخص، وأنه كثير له جهة واحدة، فهو واحد من وجه أي من حيث هو هو، أي من حيث المفهوم وكثير من جهة ألانطباق على الأفراد، ووحدته لا بالشخص (جميل صليبا، دس ص105، 106).

من خلال هذا التعريف نجد أن مفهوم الواحد له معنيين، فهو إما أن يكون مرادفا للبسيط الغير مركب، فهو واحد بذاته لا يقبل القسمة والتجزئة، والمعنى الثاني يطلق الواحد على كثيرين من جهة ما هو ذو وحدة متماسكة فيكون واحدا بالتركيب إلا أنه لا ينقسم بالفعل إلى وحدات مختلفة إلا إذا فقد مقوماته، كالذات الإنسانية فهي كل غير منقسم فهو واحد من جهة أنه كل شيء وليس بشيء منها، فيطلق الواحد على الأحد أي على ما لا نظير له في ذاته وهو وصف الله تعالى، فيقال هو الواحد وهو الأحد لاختصاصه بالأحادية، فلا يشاركه غيره.

أما في الاصطلاح فالواحد هو ما لا يقبل الانقسام والتجزئة وهو واحد في ذاته وصفاته وهو الله تعالى (اندري لالاند، دس، ص1493)، ويؤكد اندري لالاند على أن الواحد هو البسيط الغير مركب وهو الله تعالى، في مقابل المتعدد الذي هو المتجزئ المتكثر يشترك في صفاته مع غيره كالإنسان والحيوان وغيرها من المخلوقات

مفهوم الإنحصارية:

يرتبط مفهوم الواحد بعدة مفاهيم ومصطلحات أخرى ذات صلة وثيقة به أهمها الإنحصارية التي هي ظاهرة دينية تقوم أساسا على التقوقع على الذات أو الانحصار داخل مذهب أو اتجاه ديني معين.

فالانحصارية الدينية هي المذهب السائد فعلا على مستوى أديان العالم، والذي كانت له كلمة الفصل في القرون بل الألفيات الماضية، فهو يرى أن الحقيقة والخلاص وكذلك النجاة والسعادة ألدنيوية والأخروية موجودتان في دين واحد فقط لا غير ولعل كلمات من قبيل **قوله تعالى: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ"** آل عمران الآية85 أو من

قبيل **لا أحد يمكنه أن يصل إلى الأب إلا عن طريقي أنا** أو لا صالح خارج ألكنيسة في الديانة المسيحية إنما هي تعبر عن هذا التوجه الانحصار والحصري(حيدر حب الله، 2002، ص26).

فالانحصارية الدينية هي التي ترى أن الحقيقة والسعادة والفوز يكمن في إتباع دين واحد معين وأن كل المخالفين لذلك الدين لن يتمكنوا من تحقيق السعادة والفوز بالجنة وأنهم من المستضعفين والمعذورين، وأن كثرة الأديان والمعتقدات تعبر عن غياب طريق الحق.

إن هذه الإنحصارية لا تكون بين الأديان فقط، بل قد تكون داخل الدين الواحد، فمثلا الصراع الذي حدث ولا يزال يحدث بين الفرق والمذاهب الإسلامية (السنة، الشيعة، الوهابية، المعتزلة) وما حدث كذلك في بين المذاهب المسيحية (البروتستانت والكاثوليك والارثودوكس) من صراع وانغلاق كل مذهب على نفسه.

هذه الإنحصارية أدت في كثر من الأحيان إلى التطرف الديني الذي أدى بدوره إلى الصراع والحروب فأجج نار الفتنة، وسبب التنافر الطائفي والعقدي، من أجل إثبات أحقية معتقد معين دون معتقد آخر، هذا التطرف الذي يمحق كل ما يمكن أن يسمح بتعددية رحبة.

مفهوم التعددية:

من خلال هذا التعريف لمفهوم الواحد يمكننا أن نقول أنه مفهوم مقابل للتعدد، الذي يعرف في الغالب على أنه عناصر قابلة للعد، ويعرفه عبد الرزاق الفاشاني:"أنه سمة يتضمن عناصر مختلفة قابلة للعد لكنها غير معدودة بالضرورة، ولا تعدادها قابل للاكتمال، فهو كل متجزئ متكثر يشترك في وجوده مع غيره كالإنسان والحيوان والكواكب وغيرها من المخلوقات(عبد الرزاق الفاشاني، 2005، ص86).

كما ورد مفهوم للعدد في"تاج العروس من جواهر القاموس"العدد هو الكمية المتآلفة من الوحدات فيختص بالمتعدد في ذاته، وعلى هذا فالواحد ليس بعدد لأنه غير متعدد إذ أن التعدد، هو الكثرة (محمد ابن محمد عبد الرزاق الحسيني، دس، ص353).

والتعددية اسم مؤنث منسوب إلى العدد، مصدر صناعي من التعدد، فالتعددية نقيض الأحادية والياء التي تختم بها الكلمة هي ياء النسبة.

إذن فالتعددية هي ما يقابل الوحدانية من حيث المفهوم، أما من الناحية الاجتماعية التطبيقية الدينية نجد أن التعددية يقابلها الفردانية الإنحصارية القائلة بأن المؤمنين بدينهم هم وحدهم يدخلون الجنة.

بعد هذا العرض لمفهوم التعدد بصفة عامة نخصص الحديث عن التعددية الدينية بصفة خاصة وجذورها التاريخية لنعود إلى الإرهاصات الأولى لظهور فكرة التعددية الدينية والأسباب التي مهدت لظهورها.

وعليه فان مصطلح التعددية الدينية من المصطلحات التي لا نجد لها أصلا لغويا نظريا، إلا أن هذا المصطلح مأخوذا من البيئة الغربية فهو تحت مسمى pluralismreligious وهو بهذا المعنى يتضمن خاصية رئيسية هي الحرص على التطبيق الحي للمواطنة في صورها الكبرى لأن هذه الخاصية في حد ذاتها تتضمن أمرين الأول هو الاعتراف بتعددية المعتقدات الدينية داخل وطن ما دون صراع ديني أو مذهبي، أما الأمر الثاني فهو التعايش السلمي بين أصحاب هذه

المعتقدات، فهي "الاعتراف برسمية التعدد، والتنوع في الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية(عبد الكريم سروش، 2009، ص5).

الجذور التاريخية لمفهوم التعددية:

يجمع أغلب الباحثين على أن مفهوم التعددية الدينية ظهر أول مرة في الصراعات القائمة بين أرباب الديانات فكان يطلق على الشخص الذي يتولى عدة مناصب في الكنيسة "لكنه بصورة تدريجية أخذ يكتسب مضمونا فلسفيا فما بعد فصار البلورالي يعني الشخص الذي يميل أو يرحب بالتعدد والكثرة في أي مجال فكري أو ثقافي(حيدر حب الله، دس، ص20).

ففي القرن الثامن عشر كان المجتمع الأوروبي قد أعياه الصراع المذهبي والديني والعرقي فوقع تفطنا فكريا ودينيا اصطلح عليه بالتعددية الدينية والتي تزامنت مع الإصلاح الديني، والتي أسست نظريا في العقيدة المسيحية والتي تدعو إلى التسامح مع الأديان غير المسيحية، هذا ما جعلها تمثل عنصرا من عناصر التجديد الديني أو الليبرالية الدينية التي حدثت في المسيحية البروتستانتية في القرن التاسع عشر بقيادة بعض الفلاسفة أمثال شلاير ماخر وغيره، والتي اشتهرت فيما بعد بالبروتستانتية الليبرالية.

غير أن فكرة التعددية الدينية لم يروج لها علماء الغرب وحدهم في العصر الحديث بل كان لرجال الدين الهنود دورا مهم في إرساء أسس التعددية ومن هؤلاء "رام موهن راي مؤسس حركة براهما ساماج (أي المجتمع الإلهي) الذي كان هندوكيا ثم تعلم الايمان بوجود إله من ألمصادر الإسلامية، وهو يؤمن كل الإيمان بوحدانية الإله وبتساوي الأديان كلها(كمال طيرشي، 2015، ص7) فكان غرضه هو تحقيق الوحدة والتعايش مع أصحاب الديانات الأخرى.

وبعده كان لتجربة الصوفي البنغالي سري راما كريشتنا دورا مهم في إعطاء دفعة للتعددية بعد أن أقر بأن الاختلافات بين الأنظمة والطرق الروحية ما هي إلا اختلاف في التعبير فقط، فكل الأديان توصل الإنسان إلى غاية واحدة، بالإضافة إلى مفكرين آخرين أمثال سينس سوامي مهاتما غاندي، وغيرهم وهذا راجع إلى تركيبة المجتمع الهندي الذي يتألف من ديانات ومعتقدات مختلفة فالهند أكثر دول العالم تعددية في المعتقد الديني.

لقد كانت لتلك الجهود الهندية، دورا مهم في تبيئة الأرضية التي انطلق منها الغرب الأوروبي في تأسيسه لنوع جديد من التعايش الذي يقوم على أنقاض الحكم الكنسي حيث كان الاضطهاد الديني على أشده مما أدى إلى حروب دينية بفعل السلطة الدينية الحاكمة، والتي كان يمتد تدخلها حتى في الأمور الدنيوية متجاوزة الأمور الدينية.

من هنا كانت التعددية الدينية بمثابة جسر نجاة لأوروبا من تلك الصراعات البينية، والحروب الخارجية بدعوى الحق المقدس والأرض المقدسة.

من هذا المنطلق ذهب الفيلسوف الأماني شلاير ماخر إلى أن الدين لب وقشور، أما الب فهو الانسلاخ عن الذات والعروج إلى الله، وأما القشور فهي سائر ما في الدين من تعاليم والأحكام والطقوس، وكل الأديان على هذه الطريقة، فليس المهم كيف نصل إلى الله بل الأهم هو أن نصل إلى معرفة الذات الإلهية، فكل الأديان تتفق في التوحيد والعودة إلى الله، لكن تختلف في الأحكام والتعاليم، فكان هذا هو أول أساس وضعه شلاير ماخر للانفتاح على الأخر والتعددية في الديانة

المسيحية مزعزعا بذلك ومقوضا النظرية السائدة في وقته وهي النظرية الإنحصارية والانغلاقية على دين واحد لنيل الخلاص.

التعددية الدينية عند جون هيك:

انتقلت هذه النظرة إلى جون هيك فيما بعد والذي أخذ منها الأسس الأولى لنظرية التعددية الدينية أو البلورالية والتي بنى على أساسها انفتاحيه وقبوله للأخر، فانتهى إلى أن جميع الأديان والمذاهب جميعا تحتفظ بجوهر الدين، والتعليمات الدينية، على اختلافها تخدم وتحقق وتفعل هذا الجوهر في حياة الإنسان على درجات مختلفة. (محمد مهدي الآصفي، دس، ص591) فكان الاتجاه إلى الله والوصول إليه هو الدين، بغض النظر عن هذا الإله سواء أكان واحدا أو مجردا أو ثالوث متكثر أو بشرا.

وعلى هذا يقدم جون هيك تعريفا للتعددية الدينية فيقول:"التعددية الدينية هي وجهة النظر القائلة بأن الأديان العالمية الكبرى، إنما هي بمثابة تصورات وأفهام متنوعة عن الحقيقة الإلهية الخفية العليا الواحدة واستجابات مختلفة للحقيقة النهائية المطلقة، أو الذات العليا من خلال ثقافات الناس المختلفة، وأن تحول الوجود الإنساني من محورية الذات إلى محورية الحقيقة يحدث في كل الأديان كأديان خاطئة و قومية أو ضالة أو هادية أو الحديث عنها كنظام وأفكار ومعان متنافسة، بل الأديان عبارة عن تقاليد وعلاقات دينية تطورت داخل تيارات الحياة البشرية، وفي سياق تاريخ الجماعات الإنسانية لتعبر عن التنوع في أشكال الفكر، والتعدد في الطابع البشري. (وجيه قانصو، دس، ص117) ففي هذا التعريف يرى هيك أن الاختلاف والتباين بين الديانات يرجع إلى اختلاف ثقافة الناس واختلاف فوهمهم، لذلك تعددت طرق اتجاههم إلى الله فاختلاف الطرق لا يعني اختلاف المعبود فكل دين يتصل بالحقيقة من جانب ما، "لذلك يرى هيك من الضروري احداث تغييرات جذرية في نظام الوعي الديني تصل في عمقها إلى زعزعت الكثير من الثوابت اللاهوتية وتتطلب فهما جديد لكثير من مفردات الدين والإيمان فهما يدعم الفرضية القائلة بأن أديان العالم الكبرى هي استجابات متنوعة لحقيقة إلهية واحدة وليس الاختلاف بينها إلا اختلافا ظرفيا نابع من ظروف الثقافة واللغة والعادات داخل التكوين الحضاري الذي يحضن كل دين(وجيه قانصو، دس، ص61) لقد كان غرض هيك من قبول الأخر واحتواء كل ثقافات وديانات العالم تحت غطاء التعددية الدينية يهدف إلى ضمان التعيش السلمي بين الأديان والطوائف في المجتمع وفي هذا الصدد يقول محمد كيشانة:"إن الهدف من وراء نشر نظرية التعددية هو الخروج بالبشر من دائرة الصراع المذهبي والخلافات والعنف الذي يجتاح العالم بصور شتى وألوان مختلفة"(محمد كيشانة، 2015، ص11).

فهي دعوة إلى الاعتراف والإقرار بوجود التنوع الديني والطائفي الذي يتمثل بتكتلات دينية متباينة الاعتقادات والأفكار ودعوة للتعامل مع هذا التنوع بلا نفي أو اقصاء أو حكم عليه بكفر أو بدعة بشرط أن لا يكون التكتل اقصائيا، فان لم يكن اقصائيا محاربا نافيا غيره فانه يدعو للتسامح معه، وقبوله كمصدر إثراء وتنوع مع ما تحمله هذه الطوائف والتكتلات من آراء تخالف العقل والإنسانية، فأصول العقائد ليس من السهل التنازل عنها عند الجميع "وأن الحرية والتعددية هي الدواء الأهم، وهي وحدها التي تكفل لكل الناس أن يعبدوا ربهم وأن يختاروا من يمثلهم بحرية

ويحكموا على سلوكه وكذلك خطابه بحرية أيضا، ما يعني أن معركة الحرية هي الأهم ونعني بها الحرية من الاستبداد الداخلي ومن التبعية الخارجية في أن واحد والأخيرة لا تقل أهمة عن الأولى بل هي مرتبطة بها ارتباط وثيقا في واقع الحال"(كمال طير شي، 2015، ص6).

لقد كان هدف جون هيك إقامة أساس من التعايش السلمي في ضل الصراعات والتناحرات القائمة فحاول إرساء ثلاثة أنواع من التعددية:

أولها التعددية الأخلاقية أو المعيارية، وتعني أن يتعامل جميع الناس وفق المبادئ والأصول الإنسانية والأخلاقية التي تتفق حولها جميع الأديان دون النظر إلى ديانة أو معتقد محدد.

ثانيها وهي تعددية الخلاص وتعني أن جميع أتباع الديانات غير المسيحية ستنال الخلاص مثلما يناله المسيحي، فمادام تعدد الخلاص ممكنا عند باقي الأديان يصبح تعدد الأخلاق أيضا ممكنا لذلك وجب على المسيحي أن يعامل غير المسيحي بأخلاق التسامح والعطف.

وثالثها التعددية المعرفية أو الحقانية، والتي تعني أن جميع الأديان تتضمن في باطنها نوعا من الحقانية المتساوية مع بعضها.

إن المقصود من التعددية الدينية هو تعدد الأديان والمعتقدات في بيئة معينة والقدرة على إرساء ألاحترام المتبادل داخل هذه التعددية وما ينشأ عنها من اختلافات:"وعليه كان لابد من ضرورة الإيمان بتحقيق سبل التعايش السلمي بعيدا عما هو من شأنه تكدير السلم المجتمعي وعليه فان مفهوم التعددية الدينية هنا يقوم على أساس الاعتراف بالأخر وعدم إقصاءه تحت أي صورة من صور الاقصاء والعمل على تطبيق مبدأ المساواة بين الجميع تحت مظلة القانون، وعليه فلا يكون القيد الفكري على الاخر بديلا عن حرية التفكير، كما لا يكون العنف بديل الحوار، أو أن يكون الاكراه سبيلا لضياع سبل الاقناع(محمد كيشانة، 2015، ص13).

إن تعدد البشر وتعدد فوهمهم وتنوع قراءتهم للكون واختلف درجات حبهم لله، واتخاذ كل فردا منهم طريقا معينا للوصول إليه يفتح المجال للتعدد العرقي والطائفي، هذا التعدد الذي يجرنا في أغلب الأحيان إلى الصراع والتقاتل من أجل تحقيق الرؤية الأحادية، أو إثبات أحقية اتجاه، معين عن اتجاه أخر، من هنا وجب على التعدد أن يكون تعدد منفتح يضمن اللحمة المتنوعة تحت راية التعايش والتوافق.

التعددية الدينية عند عبد الكريم سروش:

غير أن أصدأ نظرية التعددية الدينية لم تسمع في العالم العربي إلا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد احتكاك أبنا الأوطان العربية بالثقافات الغربية من خلال انضمام بعضهم إلى الجامعات الغربية، فلعبت الأفكار ولأطروحات النابعة عن التعددية الدينية دورها في التأثير على هؤلاء النخب، بالإضافة إلى المساهمات الصوفية الباطنية الغربية الذين أعلنوا إسلامهم، فظهر الكثير من داعات التعددية الدينية من هؤلاء سيد حسين نصر، محمد محمود، محمد عمارة، "كما كان أول من أثار التعددية الدينية في إيران هو الدكتور ميمندي نجاد في النص الثاني من القرن العشرين(الشيخ جعفر السبحاني، 2000، ص9) وعبد الكريم سروش الذي تبنى رأي جون هيك فكان التطابق بين أفكاره وأفكار هيك وضحا جلي فنجده يركز على ضرورة فهم الدين والتجربة الدينية في كتابه الصراطات المستقيمة والذي استهله بقول محي الدين ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهباني
وبت لأوثان وكعبة طائف وألوح توراة ومصحف قران
ادين بدين الحب انى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني(عبد الكريم سروش 2009، ص2).

فالمتأمل لعنوان الكتاب "الصراطات المستقيمة" بدل الصراط المستقيم، والقصيدة التي افتتح بها عبد الكريم سروش كتابه يفهم مباشرة أنها دعوة صريحة للتعدد وقبول الأخر لكن هذا كان موجودا أصلا في الإسلام من خلال ما دعى إليه من تقبل وتعايش مع أصحاب الديانات الإلهية غير الإسلامية، إذن كيف نتقبل الأخر؟ هو ما أراد سروش أن يبينه في هذا الكتاب.

يرى سروش أن كل إنسان له تجربته الدينية التي تصلح في جوهرها أن تكون دينا فيقول:"أن كل التجارب عبارة عن وحي، غاية الأمر أن الوحي ذو مراتب دانية ومراتب عالية وأحيانا يقترن مع العصمة وأخرى لا تقترن معها وهناك ما يختص بالنحل وما يختص بالإنسان من العرفاء والأنبياء والشعراء فكلها تمثل تجارب دينية وباطنية وكلها تحتاج إلى تفسير، وفي الحقيقة أنه لا توجد لدينا تجربة خام أو تجربة محضة، ويرى الفيلسوف البريطاني استس أن البوذيين رغم كونهم يفقدون نظريات في دائرة الإلوهية ولا يعبدون الله ظاهرا بل يعبدون الأوثان، إلا أنهم يعيشون التجربة الإلهية في قلوبهم أي ليس لهم نظرية عن الله إلا أنهم يمتلكون تجربة عن الله وهذه نقطة مهمة جدا ولا بد من الالتفات إليها في أجواء التجربة الدينية(عبد الكريم سروش، 2009 ص13).

من خلال هذا النص لعبد الكريم سروش نجده يعتبر أن كل تجربة دينية عبارة عن دين، وأن صحة كل دين تقاس بمدى صحة تجربته الدينية، وأن كثرة وتعدد التجارب البشرية دليل على التعددية الدينية، كما ساوى سروش بين تجربة العرفاء والأنبياء والشعراء، وساوى بين البوذيين وغرهم من أصحاب الديانات السماوية، فكانت دعوته للتسامح والتعايش بين مختلف الديانات ومختلف المتدينين، ذلك أن كل دين يحمل في باطنه جوانب من الحقيقة.

لذلك يقول أن الواقع ذو أبعاد والحقيقة ذات بطون، ولذلك يتعدد الحق ويتنوع "فالحق هنا بالنسبة إلى دين معين أو اتجاه معين لا الحق المطلق، ولذلك يكون المسيح نبيا للمسيحين، ومحمد نبيا للمسلمين وهنا نصل إلى تعدد الحقائق مع ثبات إله واحد هذا ما يبرر الاعتراف بالتعددية وهذا يعني أيضا أن الحقانية مقترنة بالعقلانية والهداية بدورها مقترنة بالحقانية والسعادة بالهداية هنا شرع التعدديون بالاستدلال على صحة مدعاهم والبرهنة على سلامة نظريتهم واستندوا بذلك على مقولة أن الواقع ذو بطون أو حيرة أللسان، تنوع التفاسير للتجارب الدينية، قبول النص لتفاسير متعددة، بالإضافة إلى مفاهيم من قبيل العقلانية، الهداية، جوهر الدين، أللسان، السعادة الفلاح(عامر عبد زيد، 2015، ص34).

إن تعددية عبد الكريم سروش نظرية معرفية في الدين وفي باب حقانية الأديان والمتدينين، تكشف عن حادثة طبيعية تعكس في طياتها حقانية كثيرا من الأديان، وأن كثيرا من المتدينين

محقين في اعتناقهم لدينهم فنحن كعرب ومسلمين نعيش فوق بحر من التنوع العرقي والديني والمذهبي والطائفي.

تقوم التعددية عند سروش على دعامتين أحداهما التنوع في الفهم، والثانية التنوع في تغير التجارب الدينية، لذى يفرق سروش بين الدين الذي وصفه بالخالد، وبين المعرفة الدينية التي يعتبرها متغيرة متحولة ونسبية فهي معرفة الناس لهذا الدين وفهمهم له، كما هي معرفة تخضع لصيرورة التاريخ وتخضع لحيثيات اجتماعية.

إن القول بالتعددية الدينية يرسخ فكرة التعددية في الإسلام وتدعمها وتقضي على المنهج الاصطفائي الذي تؤمن به العديد من المذاهب الدينية، والفرق الكلامية في الإسلام والذي تحكم من خلاله على ضلال الفرق المخالفة لها، ويبرر سروش ما ذهب إليه في القول بالتعددية أن أول من رسخ مفهوم التعددية هو الله سبحانه وتعالى عندما أرسل رسل وأنبياء متعددين إلى أقوام وشعوب مختلفين ويدعو سروش في كتبه ومقالاته إلى الحوار بين الأديان والمذاهب والأفكار والابتعاد عن الإنحصارية والانغلاقية التي يمارسها أصحاب الديانات المختلفة الذين يدعون أنهم على حق وأن كل من خالفهم فهو على ضلالة بل عليهم الانفتاح على كل الصراطات فالصراطات إلى الله بقد الصراطات من الله إلى العباد، فالله واحد والخلائق كثيرة والسر في التنوع والتعدد في إيماننا بالله نفسه هو دليل على أن الله أراد أن يسلك إليه عباده طرق متعددة، لأن توحيد ذلك المسلك في طريق واحد هو نقصان من الذات الواحدة وتحيزها لجهة واحدة في حين هو في كل مكان خلقه حتى في الذوات الإنسانية.

اهتم سروش بالمعرفة الدينية التي اعتبر أنها ليست كاملة بل تكتمل دائما، كما ركز اهتمامه على التعددية الدينية في العالم وأعطى الأحقية للمتدينين في اعتقادهم فأي سبيل أتبع يؤدي إلى الحق ولو بجزء، فالمتجه إلى الحق لم يخطئ على الإطلاق كما تقول الحكمة الإسبانية الساعة المعطلة تماما تصيب الوقت مرتين في اليوم.

إن التعددية والكثرة في مجال الأخلاق والقيم متجذرة في واقع الإنسانية فهو اختلاف جميع التجارب البشرية، ولا وجود لبرهان يقرر هذا التعارض والتباين بل الحاكمية هنا للعلة والسبب الذي يفتح مجالا للاختيار وعليه فالبلور آلية القيمية تقدم لنا كل فرد خاص من الإنسان، ولا يتعلق كمال نوع بنوع أخر أو مثال وقدوة له فهي تحقيق لنوع من التوحيد يسعى لاكتشاف الذات الأصلية والحرية الخاصة وهو ما يؤدي إلى تعددية واقعية(عصام بو شربة، 2015، ص55).

إن دعوة سروش للتعددية الدينية ضمن ما يسمى بعلم الكلام الجديد هي دعوة إلى إعادة قراءة التراث قراءة معاصرة وأكثر انفتاح متوسلة في ذلك أحدث المناهج التي توصلت إليها علوم الإنسان والمجتمع، هذا من جهة ومن جهة أخرى هي دعوة لوقف الفتن والصراعات التي شهدها ويشهدها العالم الإسلامي بوجه عام والعالم العربي بوجه خاص، من أجل هدف واحد ووحيد هو استتباب السلم والسلام والتعايش السلمي داخل الأوطان العربية فلا فرق بين شيعي وسني وحنبلي واشعري، إلا بما قدمه من عمل يبتغي به ذات الله عز وجل، ولا فرق بين مسيحي ويهودي ومسلم إلا بما قدمه من عمل للوصل إلى ذات الله، فكل هذه الديانات تتفق على أن المعبود هو الله لكن الطريق إليه يختلف من دين إلى آخر.

لقد انتشرت في عصرنا الراهن حروب ونزاعات بين الفرق والمذاهب الدينية على اختلاف الونها لكن بإعمال العقل كان بالإمكان تجنب كل هذه الويلات، وذلك عن طريق قبول الأخر وإدراك بأن جميع الأديان على حق وأن لأصحابها الحرية في ممارستها على الكيفية التي يريدون، فلكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق في حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وله حرية التعبير عنها سواء بالتعليم أو الممارسة أو إقامة الشعائر ومراعاتها سواء كان ذلك منفردا أو في جماعة سرا أو علانية، ومن الطبيعي إذن أن تكون هناك تعددية إذا ما أقررنا بحرية العبادة والتدين هذا الإقرار سيقودنا حتما إلى مجتمعات حديثة تستحق أن يحل فيها الصلح، والوئام بدل أن تسيطر عليها الحروب والنزعات والخصومات المذهبية والعقائدية(سعيد عبيدي، 2015، ص61).

ما يعني أن أحد أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الصراعات سواء داخل العالم العربي أو الإسلامي، إنما يعود إلى غياب العقلانية وعدم تكييفها تربويا واجتماعيا، لذلك فانه من الضروري محاولة تجاوز الطابع اللاعقلاني الذي تتميز به بعض المجتمعات العربية والإسلامية، هذا التجاوز من شأنه أن يضفي طابع الانفتاح والتعددية في الأوساط التي تتميز بالإثنية الدينية أو العرقية.

لقد أراد عبد الكريم سروش أن يؤسس التعددية الدينية على أبعاد معرفية وقيمية، "وعليه يمكن القول أن نظرية التعددية الدينية تحتاج إلى تقريب أكثر وتسخير جهود أكبر لمناقشتها كموضوع ملح ومطلوب يفرضه الرهان الذي يعيش احتقانا طائفيا لا يستحضر صورة الأخر إلا تحت عناوين الدم والقتل لذى فان التعددية طرح مغاير ومتجاوز(عصام بو شربة، 2015، ص60).

إن طرح التعددية الدينة على الساحة الفكرية جعل الكثير من دعاة الإنحصارية يشنون حربا شعوا ضدها فهم يرون أن دينهم وعقيدتهم هي وحدها الكفيلة بتحقيق سعادة الإنسان والوصول به إلى الجنة، فنجدهم يقرون بالتعددية في الظاهر لكن في البطن يرفضون أي دين يمكن أن يكون مساويا لدينهم، وعلى الرغم من علمهم وإيقانهم أن الإسلام مثلا دعى ويدعو إلى الانفتاح والتعايش بين الديانات وتقبل الأخر وحسن معاملته وخير دليل على ذلك معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم لليهودي الذي كان يضع قمامته أمام بيته إلا أنهم يقرون بهذه التعددية ظاهريا فقط، وكذلك بالنسبة للمسيحية واليهودية.

موقف محمد عمارة وحيد حب الله من التعددية الدينية:

لقد دافع محمد عمارة عن التعددية الدينية التي تقوم على أساس التعايش السلمي والتي تلغي كل أشكال الظلم من الأخر، أو تخلي المرء عن معتقداته في سبيل إرضاء الأخر، فالتسامح إنما يكون من باب التعامل الإنساني الذي يشترك فيه جميع البشر من بيع وشراء وأخذ وعطاء، أما المعتقدات والديانات فلابد أن يحكمها الاحترام المتبادل من جميع الأطراف، لذلك فان تحقيق التعايش والتآخي في مجتمع متعدد الطوائف والأديان يحتاج إلى شحن الإنسان بشعور أنه جزء من عالم أعم وأشمل ولأن ارتباطه وثيق مع من حوله بروابط تاريخية وجغرافية ومعيشية مشتركة فكلما زادت هذه الرابطة زاد الأمن والاطمئنان.

من هنا يكون البعد الاجتماعي أساس جديد نحو دفع الحالة الفكرية والاجتماعية إلى الأمام فيما من شأنه أن يصب في صالح الفكر والثقافة والدين والحياة(حفيظ اسليماني، 2015، ص49).

هكذا توضح التعددية الدينية أسس التعامل مع الأخر وقبوله كأمر واقع وعليه، فمادام الدين قد دعا إلى احترام الأخر فما على الإنسان إلا الامتثال إلى لتعاليم هذا الدين بعيدا عن التعصب والعنف وبعيدا عن تقييد حرية الآخر.

ومن خلال الإطلاع على كتاب التعددية الدينية لحيدر حب الله نجده يجمل مجموعة من الأهداف التي تسعى التعددية الدينية لتحقيقها نذكر منها:

-تدعو التعددية الدينية إلى الحرية الفكرية والعقائدية من خلال تقبلها لديانات واعتقادات الآخر فالحرية هي الأساس الذي تقوم عليه التعددية.

-أنها تلغي الإنحصارية ولانغلاقية وتفتح أبواب الحوار والتساهل والتسامح.

-التعددية تفتح الحوار بين الأديان السماوية وغير السماوية وبين الفرق والمذاهب.

-التعددية تلغي التعصب والدغمائية لأنها تطرح الحقيقة على كافة الأطراف وتعتبر أن لكل طرف حظ ونصيب، ولا يمكن أن يحتقر الحقيقة طرف واحد فهي نزعة ضد التشدد والتعصب.

-تمنح التعددية الدينية المعذورية للآخرين بما أدلو به مما يجعلها إحساس إنسانيا يستبعد الشعور القائل أن الأخر هو الجحيم.

-تعمل التعددية على توسيع فرص الفوز بالجنة وترفض بالتالي احتكار جماعة معينة الجنة.

خاتمة

في الختام يتضح لنا من خلال هذه الورقة البحثية أن التعددية الدينية كممارسة واقعية ظاهرة قديمة قدم الإنسان ونلاحظها في محطات تاريخية كثيرة من ديانات الهنود القديمة وتسامحهم وعيشهم في سلم ووئام وصولا إلى الدين الإسلامي الذي مثل محطة هامة في تجسيد مفهوم التعددية، ولعلني هنا أذكر معاملات النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه من جهة، ومن جهة أخرى مع أصحاب الأديان السماوية الأخرى، وكتب التاريخ الإسلامي تسرد لنا في هذا المجال قصصا كثيرة عن تسامح النبي ودعوته للتسامح والتعايش السلمي.

لكن هذه المعاملات وللأسف الشديد غابت بغيب النبي صلى الله عليه وسلم وغياب صحابته رضوان الله عليهم فبظهور أول مشكلة عند المسلمين وهي مشكلة الإمامة التي كانت ذات طابع سياسي، لكن سرعان ما صبغة بصبغة دينية لتتحول إلى مشكلة دينية وعقدية وسياسية فتحت باب التناحر والتقاتل بين المسلمين، فكانت الفرقة والاختلاف والتعصب هي النتيجة الوحدة التي جنها المسلمين، فكل فرقة تدعي الخلاص لنفسها رغم أن كلها في دين واحد هو الدين الإسلامي فغاب مبدأ التسامح وقبول الأخر والتعايش معه وزاد من حدت التعصب ضد أصحاب الديانات غير الإسلامية، كل هذا أدخل المسلمين في حالة انغلاق وتعصب وصراع طائفي وديني، غيب ويغيب مبادئ التعايش والسلم والانفتاح وقبول الآخر.

وفي الضفة المقابلة لم يكن واقع لحال عند المسيحيين أفضل منه عند المسلمين فما يقال عن الإسلام يقال عن المسيحية التي انقسمت إلى فرق ومذاهب تصارعت فيما بينها لسنين طويلة لم يجني منها الإنسان إلا الأم والدم والفرقة والتشتت وغابت السعادة والجنة ولعبت فيها الكنيسة

دورا الممول والمنظم للحملات العسكرية ضد الفرق التي انشقت منها وضد الديانات المناوئة لها وكالعادة لعبة السياسة دورها في إشعال وتأجيج الصراعات بين بني البشر.

وستمر واقع الحال على حاله إلى العصر الحديث أين أراد البعض من مفكريه إعطاء شحنة ودفعة جديدة لمفهوم التعدد الذي يؤسس للتعايش السلمي والتسامح بين الديانات السماوية والغير سماوية وداخل الديانة سماوية نفسها وعودة الإنسان إلى طبيعته الإنسانية التي تقوم على التسامح، فكانت التعددية الدينية فكرة تدعو إلى التعايش السلمي، وتقبل الأخر، وتعايش المسلم والمسيحي واليهودي على أرض واحدة يقبل كل واحدا منهم الأخر دون مساومة أحدهم الأخر في معتقده، ودون أن يقصي أحدهم الأخر، كما أنها تدعو لأن يعيش أفراد فرق متنوعة في الدين الواحد على وفاق وانسجام دون أن يجرم أحدا الأخر أو يكفره.

فالتعددية الدينية هي دعوة لحرية المعتقد، وإلغاء التعصب والانحصار، فكل دين له جانب من الحق والصواب في جوانبه وأن على الإنسان أن يتحلى بالأخلاق الإنسانية التي توصله إلى الله فالله واحد والطرق إليه متنوعة، كما أنها دعوة صريحة للتسامح والتساهل وفتح باب الحوار بين الديانات السماوية وغير السماوية وضد كل تعصب ودغمائية.

غير أن هذه النظرة قوبلت بالرفض من طرف بعض المتشددين ولانحصاريين في العالم الإسلامي والعربي والمسيحي على أنها دعوة للخروج عن الدين مرتكزين في ذلك على تفسيريهم وفهمهم المغلق لآيات القران في مثل قوله تعالى:وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" آل عمران الآية 85، فهمهم لهذه الآية جعلهم يلغون الأخر بل وحتى داخل الدين الإسلامي نفسه فمن لا يكون على مذهبهم أو من لا يفهم فهمهم لهذه الآية فهو خارج عن الدين، وفي المسيحية أيضا كان هذا هو الحال.

لقد ظهرت جهود كثيرة حول التعددية الدينية ذكرنا منها في هذا البحث جون هيك في المسيحية وعبد الكريم سروش في الإسلام، الأول يدعو إلى تعددية رحبة وإلى انفتاح المسيحيين على غيرهم من أصحاب الديانات السماوية، ولأخر يدعو إلى إعادة فهم وقراءة معاني القران قراءة حديثة ومعاصرة وإعادة قراءة التراث بمناهج معاصرة هذه القراءة التي من شأنها أن تدعو للتسامح والانفتاح على أصحاب الديانات الأخر، والتسامح المسلمين فيما بينهم.

إن نظرية التعددية الدينية تحتاج إلى اهتمام أكبر، وتسخير جهد أكبر لمناقشتها والالتفاف حولها كموضوع ملح يفرض نفسه، ويفرضه الوضع الراهن الذي يعيش احتقانا طائفيا في الكثير من الدول التي تعاني من هذه الصراعات ولا تستحضر صور الأخر إلا تحت عناوين الدم والقتل من أجل تحقيق مشروع المصالحة مع الذات ومع الأخر والعيش المشترك معه، لنتمكن بعدها من الحديث عن تعددية رحبة وتعايش سلمي.

قائمة المراجع:

1.أندري لالاند(دس)، موسوعة لالاند الفلسفية، ج1، منشورات عويدات، بيروت.
2.الشيخ جعفر السبحاني(2000)، التعددية الدينية نقد وتحليل، مجلة التوحيد ع105.
3.جميل صليبا(دس)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية،ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
4.حفيظ اسليماني(2015)، قراءة في كتاب التعددية الدينية نظرة في المذهب البلورالي لحيد حب الله، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

5.حيد حب الله(2000)، التعددية الدينية نظرية في المذهب البلورالي، ط1، غدير للدراسات والنشر بيروت لبنان.
6.سعيد عبيدي(2015)، في نقد التعددية الدينية عند محمد عمارة، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
7.عامر عبد زيد(2015)، التعددية الدينية وتجليتها عند عبد الكريم سروش، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
8.عبد الرزاق الفاشاني(2005)، اصطلاحات الصوفية، دار الكتاب العلمية، بيروت.
9.عصام بوشربة(2015)، التعددية الدينية أبعادها المعرفية والقيمية قراءة في كتاب الصراطات المستقيمة قراءة جديد لنظرية التعددية الدينية لعبد الكريم سروش، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
10.عماد الدين الجبور(1972)، الله والإنسان، ط1، المؤسسة العربية للدراسة والنشر.
11.عبد الكريم سروش(2009)، الصراطات المستقيمة، ط1، قراءة جديدة لنظرية التعددية الدينية، ترجمة أحمد القبانجي، منشورات الجمل، بيروت.
12.كمال طيرشي(2015)، فلسفة التعددية الدينية، ملف بحثي صادر عن مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
13.محمد ابن محمد عبد الرزاق الحسيني(دس)، تاج العروس من جوهر القاموس، دار الهداية.
14.محمد مهدي الاصفي، (دس)، مقال التعددية الدينية ع4 ? http// iramarb.com/default.asp page=view article est artileid=591.
15.وجيه قانصو(دس)، التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، المرتكزات المعرفية واللاهوتية، الدار العربية للعلوم، المركز الثقافي العربي.

الدلالة الهرمينوطيقية لأنطولوجيا العمل الفني بين هيدغر وغادامير

The Hermeneutic significance of the ontology of the artwork between Heidegger and Gadamer.

د.سرير أحمد بن موسى، جامعة وهران 02-الجزائر

ملخص: يهدف هذا البحث إلى الانفتاح على أصالة وتميّز القراءة الهرمينوطيقية للعمل الفنّي، لكلّ من مارتن هيدغر وتلميذه هانز جورج غادامير، باعتماد طريق المقارنة كخيار منهجي، يسمح بإبراز نقاط التقاطع والاختلاف بين القراءتين، قصد تجاوز التصوّر الشائع الذي يعتبر تأويلية غادامير في "الحقيقة والمنهج" مجرّد نسخ ومحاكاة لتأويلية هيدغر في "أصل العمل الفني".

إنّ التقاطع بين غادامير وهيدغر على المستوى الميتودولوجي (اعتماد المنهج الفينومينولوجي المدعوم بمقاربة تأويلية)، وعلى المستوى التاريخي والأركيولوجي (تاريخ وأركيولوجيا المفاهيم)، لا يلغي أصالة وتمايز القراءتين على مستوى الأهداف والمقاصد.

الكلمات مفتاحية: الفينومينولوجيا، الهرمينوطيقا، الأنطولوجيا، الفن، الحقيقة، هيدغر، غادامير.

Abstract: The research aims to openes to the originality and distinctiveness of the Hermeneutic reading of the artwork at Martin Heidegger and his student Hans Georg Gadamer ,by choosing the method of comparison as a methodological option , allows to highlight the points of intersection and difference between the two readings, in order to overcome the common perception who believe that Gadamer's interpretation of "truth and method" is a simulation of Heidegger's interpretation of the " artwork originals.

The intersection between Gadamer and Heidegger at the methodological level (the adoption of the phenomenological approach supported by an Hermeneutic approach), and at the historical and archeological level (the history and archeology of concepts) does not exclude the originality and differentiation of the readings at the level of goals and intentions.

Keywords: Phenomenology, Hermeneutic, Ontology, Art, Truth, Heidegger, Gadamer.

مقدمة:

سؤال العلاقة بين الفلسفة والفن كان دوما سؤالا ملتبسا، نتيجة تباين المواقف الفلسفية بشأن طبيعة الممارسة الفنية وتقدير وظيفتها وقيمتها، وتتراوح هذه المواقف بين التعالي على الفن واستصغاره وإبعاده عن مجال الحقيقة (الرؤية الأفلاطونية) من جهة، والإعلاء من شأنه كخيار ابستيمولوجي للكشف عن الحقيقة من جهة ثانية.

وفي سياق المواقف الداعية إلى إعادة تأهيل الخطاب الفلسفي على قاعدة الفن من منظور فينومينولوجي هرمينوطيقي، في مقابل تنامي البراديغم الميتودولوجي لعلوم الطبيعة، البراديغم الذي يختزل الفن في علاقة ذات بموضوع على حساب بعده الإنساني الأنطولوجي تندرج القراءة الهرمينوطيقية للعمل الفني لكلّ من مارتن هيدغر (1976-1889) وتلميذه هانز جورج غادامير (2002-1900)، ونظرا للرّوابط التي تجمع بين فكر هيدغر وفكر غادامير، والتي قد توحي لأوّل وهلة بتبعية القراءة الغاداميرية للعمل الفني لوجهة نظر هيدغر، فإنّنا سنحاول من خلال هذه الدراسة البحث عن مدى أصالة وتميّز القراءتين عبر اعتماد طريقة المقارنة كخيار منهجي يسمح بإبراز نقاط التقاطع والاختلاف بين القراءتين، وسنركّز في ذلك على الباب الأوّل من كتاب "الحقيقة والمنهج" الذي يتناول فيه غادامير تأويل العمل الفني، ونقابله بمحاضرة هيدغر "أصل العمل الفني " المنشورة في كتابه "متاهات".

فإذا كانت القراءة الغاداميرية للعمل الفني تابعة للسياق الأنطولوجي الذي رسمه أستاذه هيدغر، والمتمثّل في انتزاع العمل الفني من الذّاتية وإقامة صلته بالحقيقة، وإذا كانت القراءتين – قراءة هيدغر وغادامير- تدينان للموروث الفينومينولوجي ولفكر فلهايم دلتاي، فهل معنى ذلك أنّ تأويلية غادامير للعمل الفني هي مجرّد امتداد لتأويلية هيدغر؟ وإذا كان من الثابت أنّ غادامير يدين بالكثير لأستاذه هيدغر، وأنّه لم يبيّن لنا ما الذي أخذه عنه فيما يخصّ هرمينوطيقا العمل الفنّي، فهل هذا مدعاة لأن نخلص إلى أنّ غادامير لم يقم سوى بتبنّي التصوّر الهيدغيري؟

للإجابة على هذه التساؤلات، وقصد إبراز مدى أصالة القراءتين، وأهمّية هرمينوطيقا العمل الفنّي وصلته بالحقيقة، فإنّنا نراهن في ذلك على تحقيق الأهداف التالية:

-مجاوزة الرؤية الشائعة التي ترى أن القراءة الهرمينوطيقية الغاداميرية للعمل الفني هي مجرّد نسخة من تأويلية هيدغر.

-الكشف عن البعد الأنطولوجي والابستيمولوجي للعمل الفنّي.

-إبراز دور المنهج الفينومينولوجي والهرمينوطيقي في التعاطي مع المنتوج الفنّي.

-الانفتاح على دور وأهمّية التجربة الفنّية كخيار منهجي بديل عن النموذج المنهجي الوضعي، للبحث عن الحقيقة في مجال الفلسفة والعلوم الإجتماعية.

1.التقاطع الميتودولوجي والإرث الفينومينولوجي الهرمينوطيقي المشترك بين هيدغر وغادامير:

يرتكز فكر هيدغر على المقاربة الفينومينولوجية، وقد أعلن عن ذلك في "الوجود والزمان" بقوله: "مع السؤال المباشر لمعنى الوجود، البحث يتناول المسألة الأساسية للفلسفة بصفة عامة، لكن نمط هذه المعالجة فينومينولوجي(Martin Heidegger , 2005 ,p42).

والفينومينولوجيا تتحدّد بوصفها منهجا وطريقة، فتجيب عن سؤال كيف؟ كيف يتمظهر الشيء الذي نبحث عنه؟ وكيف نتناوله انطلاقا من نمط تمظهره هذا؟ ما هو مقصود بواسطة الفينومينولوجيا هو: الظاهرة **Le phénomène**، أي ما يظهر انطلاقا من ذاته(جمال محمد أحمد سليمان، 2009، ص85).

الفينومينولوجيا إذن دعوة للعودة إلى الملموس، إلى الأشياء ذاتها **Revenir aux choses elles mêmes** وذلك في مقابل الميتافيزيقا الكلاسيكية المجرّدة والفارغة(من حيث كونها تفرض بنية على موضوع)، الفينومينولوجيا تهدف إلى الكشف عمّا هو معطى، فالمنهج الفينومينولوجي يهدف إلى وصف الأشياء أو الظواهر كما تتبدّى من تلقاء ذاتها، أو في ماهيتها وليس عبر ما تمليه الذات من تصوّرات ذاتية.

لكن إذا كانت الظاهرة هي ما يظهر كما يظهر انطلاقا من ذاته، فما الحاجة إلى ممارسة الفينومينولوجيا؟ جواب هيدغر هو أن ما هو ظاهرة (ظاهر) يمكن في نفس الوقت أن يكون متخفّيا بواسطة ظاهريته ذاتها. وعند هذه النقطة بالذات تتضاعف الطريقة الفينومينولوجية بضرورات هرمينوطيقية، فالظاهرة لكونها ما يظهر، فإنها تختفي بفعل كلّية وجودها(انتشارها الكلّي) على منوال قصّة الرّسالة المسروقة للنّاقد الأمريكي Edgar Allan Poe التي يتمّ إخفاؤها في مكان ظهورها (فهي غير مرئية لأنها تختفي في فعل ظهورها ذاته)، وفي معنى قريب الدازاين (الآنية) يرى ذاته مأخوذا في عالم من المعنى، وهذه الألفة ذاتها هي ما يجعل له هذا المعنى غريبا. من هذا المنطلق تكون الهرمينوطيقا إضافة مشروعة، وضرورية لتوضيح هذا المعنى الذي أصبح بعيدا بفعل قربه. فإذا كانت الظاهرة هي ما يظهر نفسه لنفسه، وأنّه في هذا الظهور ذاته تسكن غرابتها، فإنّ الهرمينوطيقا لا تصبح مجرّد وظيفة مكمّلة، بل نمط التحقّق النّقدي للفينومينولوجيا، وفي هذا السياق يؤكّد بول ريكور" أنّ الفينومينولوجيا تبقى افتراض الهرمينوطيقا المتعذّر تجاوزه، لكن من جهة أخرى ليس بوسع الفينومينولوجيا أن تطبّق برنامجها المتعلّق بالتشكّل دون أن تشكّل نفسها في هيأة تأويل ما لحياة الأنا"(بول ريكور، 2001، ص43). وبهذا المعنى يمكن القول بأنّ الفينومينولوجيا بدون هرمينوطيقا عمياء، والهرمينوطيقا بدون فينومينولوجيا جوفاء.

يظهر إذن أنّ هيدغر لجأ في تأسيس مشروعه الفلسفي الأنطولوجي إلى المنهج الفينومينولوجي المدعوم بالمقاربة الهرمينوطيقية بهدف إعادة إحياء سؤال الوجود.

وإذا رجعنا إلى مشروع غادامير كما تجلّى في كتاب "الحقيقة والمنهج"، فإنّنا سنقف لاشكّ على الإرث الهيدغيري في هذا المشروع، ويتجلّى ذلك في الاهتمام الذي يوليه لما يسمّيه "ظاهرة هرمينوطيقية"، والمفهومين هنا يحيلان مباشرة إلى الركيزتين المنهجيتين في فكر هيدغر، حيث يقول: "الظاهرة الهرمينوطيقة ليست أساسا مشكلة منهج على الإطلاق"(هانز جورج غادامير، 2007، ص36)، الظاهرة الهرمينوطيقية تحدّد في نظره الفهم ما قبل تأمّلي **Pré-réflexive** الذي نملكه عن العالم، فالتجربة التي أقوم بها متعدّدة ولا يمكن أن تختزل إلى تجربة الوجه للوجه مع الموضوعات الحسّية كما تحدّد ذلك في العلوم الطبيعية، البراديغم

الميتودولوجي لعلوم الطبيعة يتّجه نحو إخفاء علاقة الذات مع نمط آخر من الواقع، هو الواقع الإنساني.

ليس الموضوع L'objet هو المعطى المادي فقط، بل أيضا المعطيات التكوينية للذّات، والمتمثّلة في العلاقة مع الذات، مع الآخر أو مع التاريخ. موضوعية براديغم علوم الطبيعة ليست إلاّ موضوعية لأحد البراديغمات، فهي لا تمثّل إلاّ رؤية جزئية وليست النّمط الوحيد لمقاربة الواقع. وإذا حصرنا مجال الحقيقة في حقل الموضوعية الفيزيائية، فإنّنا نمتنع عن تفكّر الحقيقة خارج ما يتجاوز هذا المجال "...تهتمّ بحوثنا بتلمّس تجربة الحقيقة التي تتعالى على حقل المنهج العلمي أينما وجدت تلك التجربة، وتهتمّ بالبحث في شرعيتها"(هانز جورج غادامير، 2007، ص28).

يحاول غادامير ضمن هذا المنظور أن يأخذ بعين الاعتبار التاريخانية L'historicité الخاصة بالذات. وهي تعني أنّ الذات مأخوذة مسبقا في عالم من الدلالة، وهو المحدّد القبلي الذي ينسج الفهم الذي يمكن أن يكون لها عن العالم، يتعلّق الأمر إذن بتوضيح هذا النوع من الظواهر، وهذا التوضيح أو التفسير يجري وفق نمط هرمينوطيقي (الهرمينوطيقا الفلسفية).

ما يلاحظ هنا هو أنّ المسألة تتعلّق بالظاهرة، من حيث أنّني مشكّل تاريخيا، وأنّ هذه التاريخانية تعطى وتتقدّم للنّظر لذاتها بذاتها. لكن كما هو الأمر عند هيدغر هذا الحضور المسبق للمعنى أصبح متخفّيا بواسطة طابعه الشّرطي ذاته. فمن حيث هو يمثّل قواعد علاقتي أو تشكيلي للعالم يبقى في الغالب غير مدرك، ذلك لأنّه يتجلّى أكثر في بعده العملي منه كمدرك نظري.

إنّ اهتمام غادامير سينصبّ إذن أوّلا على العلاقة العملية التي يقيمها الإنسان مع العالم. ومن هنا الأهمّية التي يحضى بها الطّابع العملي للمنتوج الفنّي المعماري مثلا. ما يدخل في تحديد إبداع منتوج من هذا النّوع هو أيضا فعل إدماجه المتناسق في مشهد طبيعي. "البناء يجب أن يخدم نمط حياة، ويتكيّف مع معطيات طبيعية ومعمارية"(هانز جورج غادامير، 2007، ص152)، وهذا يعني أنّ علاقة الإنسان بالمنتوج الفني ليست علاقة نظرية مباشرة، مجرّدة من أيّة شروط مادية، بل محدّدة أيضا عمليا. فمن بين شروط البنية المتحكّمة في تصوّر بناية معمارية يسكن هدف عملي خالص في شكل فهم مسبق لنمط النّشاط الذي يسجّل ضمنه، والذي يوجّه النّشاط الإبداعي.

تصوّر غادامير هذا حول فهم قبل معرفي للعالم يمكن ربطه بما قدّمه هيدغر حول العلاقة اليومية للدازاين(الآنية) بالمحيط، ففي اتّصاله العادي مع المحيط يعتبر الدازاين الموجودات في هذا العالم على نمط الوجود الأداة (الذي قاد الإنسان إلى النشاط العملي)، أي على شكل معنى حاضر مسبقا دائما لكنّه غير مطروح كموضوع للفكر، فالدازاين يملك معرفة عملية بالعالم، معرفة تتعلّق بالوضعية التي غالبا ما تبقى غير معروفة بتأمّل ووضوح.

يبدو واضحا إذن أنّ ثمّة صلة قرابة بين فكر غادامير وفكر هيدغر من حيث طابعهما الفينومينولوجي والهرمينوطيقي.

هذا ونضيف إلى ما سبق التشابه على المستوى الميتودولوجي بين المفكّرين. إذ نلمس عند هيدغر اهتمام خاص بالطّابع التاريخي للمفاهيم، فالطريقة التي يوظفها في "أصل العمل الفني" وفي "في ماهية الحقيقة" أو حتّى في "الوجود والزمان" طريقة تقوم على أشكلة الأجوبة التقليدية

أوّلا، ثمّ تقديم الإجابة الملائمة للكشف عمّا تمّ تعتيمه وحجبه في هذا التراث (مفهوم الوجود، الحقيقة، الفن...الخ). ففي معرض بحثه عن أصل العمل الفنّي يعيد هيدغر النّظر في أجوبة التّراث الفلسفي حول الشّيء والحقيقة، معتبرا أنّ الفنّ يكشف عن حقيقة الشّيء أي حقيقة الوجود، لأنّ حقيقة الشيء في الفنّ لا تتحدّد بالمطابقة مع الوجود الخارجي بل بالانكشاف والتجلّي (Julien Peronnet, 2010).

هذا النّمط المنهجي نجده أيضا عند غادامير، ففي محاولته الكشف عن الإخفاء الذي يمارسه تراث ما على بعض المفاهيم، نجده يعمل على تحديد مفهوم الرّوح تحديدا إيجابيا لكونها حدّدت بصورة سلبية في التراث عندما قيست بالعلوم الدّقيقة، تماما مثلما يؤوّل الدازاين وقائعيا انطلاقا من العلاقة التي يقيمها مع الموجودات التي تحيط به، بنفس الكيفية تفهم علوم الرّوح بطريقة خاطئة وفق نظرة العلوم الدّقيقة.

إذن نشاط هيدغر الايتيمولوجي(التأثيل اللغوي كما يسميه طه عبد الرحمن(طه عبد الرحمن، 1999، ص289) يظهر اللاّمفكّر فيه، أجزاء الحقيقة المنضّدة والمصفّفة في اللغة، وغادامير يمارس "أركيولوجيا" المفاهيم عبر وضعها في سياق نشأتها، مع الإشارة إلى ما لحقها من انزلا قات في المعنى والتبعات المترتّبة عن ذلك(إظهار الإبستيمي التي تنتمي إليها). كما نسجّل إلى جانب ذلك لدى الاثنين نقد للنزعة الذاتية، عند هيدغر من خلال هدم وتفكيك التصوّر الميتافيزيقي الذي يعتبر الأشياء واللغة مجرّد أدوات (Zeug)، وتأويل الإنسان لذاته كذات سيدة على ذاتها ومتحكّمة في ما تقيم علاقة معه، وعند غادامير من خلال نقد النزعة الذاتية الإستتيقية(كانط)(Julien Peronnet, 2010).

أمّا فيما يتعلّق بموضوع العمل الفني فما هو مشترك بينهما هو قولهما بإمكانية إنتاج خطاب حول الفن، عبر إعادة قراءة الظاهرة الفنية ونقد الاستتيقا كتخصّص، وبالتالي تقديم تأويل جديد للعمل الفني.

في "أصل العمل الفني" يسائل هيدغر العلاقة التي يمكن إقامتها مع عمل فنّي، والشروط المألوفة التي يتقدّم إلينا ضمنها، في إطار ثقافة تصنيعية، ذلك أن الأعمال الفنية توجد في المتاحف والمعارض، لكن هل هي هنا فعلا من حيث هي أعمال كما هي ؟ ما هو موضوع مساءلة هنا بصفة ضمنية هو هذا الاهتمام بالفن من وجهة نظر استتيقية، أي النظرة الاستتيقية التي لا تقصد العمل الأصلي، بل شيء مجرّد(عمل مفصول عن أرضه الأصلية، عن شروط ولادته)، إنه مدرك كمجرّد موضوع، كشيء من الأشياء، ونقله وفك شفرته وتأويله ونقده لا ينصفه، بل بالعكس كلّ هذه الإجراءات الاستتيقية تمارس عليه نوع من العنف ولا تتفكّره في مكان ظهوره الخاص (فهي تساهم في اغترابه)، العمل الفني لا يأخذ مكانه إلاّ في عالمه، وهذا الأخير زال ولم يعد إلاّ مجرّد موضوع في المتحف، إنّ له حضورا ميّتا، حضور مجرّد موضوع وليس عملا كان له حضوره كوجود(كان عملا عندما لم يكن مفصولا عن عالمه)(Alain Boutot, 1995, P104)، وبعد بتره عن عالمه لا يمكن أن يتقدّم كعمل. وسنوضّح فيما بعد كيف يمكن في نظر هيدغر إعادة توطينه في هذه العلاقة لكي نسمح له من جديد لكي يتقدّم. ما يشير إليه هيدغر، هو أن هذا التصوّر للعمل الفنّي الذي يبدو أوّليا وبديهيا هو تصوّر منحرف،

لأن ما يقدّمه ليس الفن بل الشيء. نفس الطريقة نلمسها عند غادامير من خلال نقد الوعي الاستتيقي، وما يدينه غادامير هو "التمييز الاستتيقي"، أي تمييز البعد الجمالي عن كل العناصر الأخرى، وبالتالي فصله عن عالمه، هذا المفهوم يحدّد فعل الوعي الاستتيقي والذي هو الآخر ضحية افتراضاته المسبقة مثلما لدى هيدغر، كما أنه يدّعي بأنّه الإجراء الطبيعي لفهم العمل الفنّي، وغادامير يظهر العكس، فهو لا الطريقة الطبيعية ولا الطريقة المنسجمة للانتساب إلى الفن، ما يسمّيه غادامير الوعي الاستتيقي، هو هذا الوعي الذي لا يرى في العمل الفني إلاّ الشكل الجمالي، وبالتالي تجريده من جذوره ومن وسط حياته، أي من كلّ وظيفة يأخذ ضمنها معناه، أي تجريده من تاريخه، الاستتيقا إذن تعمل عبر التجريد، وتعتبر العمل الفني ذاته هو "العمل الفني الخالص"، ومعنى ذلك أن الوعي الاستتيقي يبني على نحو ما موضوعه، فهو لا يقصد العمل ذاته بل جانب منه، والذي لم يعد هو العمل ذاته.

إذن سواء بالنسبة لغادامير أو هيدغر، ما يؤسّس هذا الفكر أو الموضوع الذي تهتم به الاستتيقا ليس العمل الفني بل إعادة بنائه النظرية.

يتبيّن ممّا سبق أن ثمّة دين تدين به فلسفة غادامير لهيدغر، والمتمثّل في الإرث الفينومينولوجي والهرمينوطيقي، إضافة إلى الدّين الميتودولوجي المتمثّل في الاهتمام بالطابع التاريخي للمفاهيم. كما أظهر تحليل النقد الاستتيقي الغاداميري الانتساب المباشر للمنحى الهيدغيري. لكن رغم استعادة غادامير لبعض المفاهيم والحقول التأمّلية الهيدغيرية إلاّ أنّه متميّز في استعمالاتها، كيف ذلك؟.

2.غادامير وإعادة بناء الموروث الهيدغيري:

كيف تتأسّس فلسفة غادامير انطلاقا من مراجعة فكر هيدغر؟

نشير بداية إلى أن "الحقيقة والمنهج" ليس ملحقا ل"أصل العمل الفنّي"، فحقًّا أن غادامير يستوحي ويستلهم من فكر هيدغر، لكنّه متميّز من حيث المشاكل والقضايا التي يثيرها ويطرحها. في محاضرة هيدغر يتعلّق الأمر بتجديد سؤال الفن ضمن منظور نقد الاستتيقا، فبما أنّ طرق المنطق، الميتافيزيقا أو العلم هي طرق مسدودة لفهم حقيقة الوجود، فلا يبقى إذن إلاّ طريق الفنّ. يسائل هيدغر ماهية الفن وأصله، قصد تحديد إذا لم يكن الوجود متمظهرا بصورة أفضل في الفن، يتعلّق الأمر إذن برؤية أنطولوجية.

عند غادامير المسألة متعلّقة أيضا بنقد المقاربة الاستتيقية، لكن غايته ليست تحديد سؤال الفن، أو بالأحرى سؤال الفن ليس غاية بالنسبة له، بل إنّ اهتمامه ينصبّ على نتائج مثل هذا التحديد، ذلك أن مشروعه يرتبط بتبرير تجربة الحقيقة خارج البنى المفروضة من طرف علوم الطبيعة، وإعطائها المشروعية في مجال علوم الروح. هذه الطريقة تهدف إلى إثبات أن الحقيقة يمكن بلوغها في التجربة التي يمكن القيام بها أمام عمل فنّي، وهذا ما يتناوله في القسم الأول من "الحقيقة والمنهج"، لكن إذا كانت ثمّة حقيقة في الفن، فهذا يستلزم إعادة تحديد مجال الحقيقة ذاته، وبالارتكاز على هذه الفكرة يحاول في الجزء الثاني من المؤلّف إثبات أن الحقيقة تتجلّى أيضا في علوم الرّوح، من هنا يتضح الاختلاف بين الرؤيتين، فرؤية هيدغر تعتبر الفن غاية، بينما ينظر إليه غادامير باعتباره وسيلة، وهنا نتساءل: ما هي نتائج هذا التباين في المقصد والغاية؟.

لنركّز على مسألة الحقيقة ومن ورائها تلك المتعلّقة بالوجود، فالحقيقة تدرك عند هيدغر كانكشاف وظهور ولا تحجّب Dévoilement. في "الوجود والزمان" الذي يتعرّض فيه هيدغر إلى هدم التصوّر التقليدي للحقيقة، يحدّدها باعتبارها Aletheia. لكن ماذا يظهر العمل الفني ؟ مثال لوحة الحذاء للفنان "فان غوغVan Gogh(1853-1890) يوضّح هذه المسألة. في نظر هيدغر العمل الفني هو نمط وجود أداة الظهور للانكشاف، أمام الأداة الممثّلة، وجودها الخالص هو المعطى للظهور، نقيّ من كلّ "ضجيج" متطفّل، من كلّ علاقات الدلالة التي نقيمها معه في الحياة اليومية، أي أنّه غير مدرك من قبل الدازاين في إطار نمط الوجود اليومي (الوجود الأداة) الذي هو القلق Angoisse، كما نتمكّن من خلاله الدخول إلى المحيط Umwelt، يقول هيدغر " من الفتحة المظلمة المطلّة من داخل الحذاء تحملق خطوات الفلاّح المتعبة، وفي جلده نجد غنى الأرض، وفي نعله تلوح الوحدة في طريق الحقل عندما يجنح اللّيل، فنحن من خلاله نكاد ننصت إلى النداء الصامت للأرض، هذه الأداة تنتمي إلى الأرض ويحميها عالم الفلاّح ...وبذلك تتّضح السمة الأداتية للأداة، لا عن طريق ملاحظة الاستخدام الفعلي للحذاء، وإنّما من خلال تأمّلنا لوحة فان غوغ...فاللّوحة تتكلّم "(صفاء عبد السلام جعفر، 2000، ص62)، ما هو معطى هنا حسب هيدغر هو عالم الفلاّح كجزء من "الأرض"، انتماء الحذاء إلى حياته وتاريخه وشقائه هو الذي يحقّق وظيفته. ما تظهره اللّوحة هو حقيقة الأداة في علاقتها بالعالم، الموجود ينفتح في وجوده، يعود إلى نفسه تاريخيا(هانز جورج غادامير، 2007، ص227)، حجاج هيدغر هنا هو أن المظهر في اللّوحة هو مجرّد صورة لزوج حذاء، لكن المظهر ينقلب، فبدون اللّوحة الوجود الأداة لا يعطى للظهور، ومعنى ذلك أن الفكر ينصت إلى العمل الفني، وبالتالي ليس الفكر هو الذي يحدّد وجود العمل، بل العمل هو الذي يسمح له باكتشاف الوجود الأداة، لذا فإنّ للعمل الفني حمولة أنطولوجية.

العمل الفني إذن يفتح عالما، وهو بذلك حد Evénement مؤسّس يحملنا إلى مكان التأسيس هذا، إنه يعيد إخراج الأرض، الحجر الذي بني عليه، وهذا المجموع الذي يحضر يسمّيه هيدغر "أرض" Terre، العمل يقيم عالما انطلاقا من أرض، وهذا العالم يقود إلى الحضور، ولكن حضور كشيء ينسحب، يتقدّم ويعطى كشيء مغلق على ذاته. وفعّالية العمل تكمن في هذه المعركة بين العالم والأرض، إنها ارتقاء للحقيقة، لأن الحقيقة هنا نزاع، فهي حدث وكشف. الوجود إذن هو ما ينسحب، إنه العمق الذي يطفو منه الموجود " العمل الفني يجعلنا نرى "حقيقة" الحذاء والسمة الأدواتية للأداة تصل إلى وضوحها الحقيقي من خلال العمل الفني ومن خلاله فحسب...لوحة فان غوغ كشف عن ماهية الأداة...وهذا الكشف يسمّى عند اليونان أليثيا Aletheia ...وإذا ما حدث في العمل الفني كشف عن موجود ما، كشف عمّا يكون، وكيف يكون، فإن ذلك يعدّ بمثابة حدث، وهذا الحدث يعبّر عن الحقيقة"(هانز جورج غادامير، 2007، ص65).

أمّا بالنسبة لغادامير فإن رؤيته وإن كانت تندرج ضمن نفس السياق، إلاّ أنه متميّز في طرحه، في نقده لقدرة الاستتيقا على الإحاطة بالعمل الفني في فرديته الخاصة، وبعد إبرازه أسباب قصور هذه الرؤية يطرح رؤيته ونظرته لهذه التجربة. في مقابل النزعة الذاتية الاستتيقية التي تعود في

نظره إلى الايديولوجيا الاسمية للعلم الحديث يعتبر التجربة الفنية تجربة وجود، والذاتية ليس لها سوى دور ثانوي، فمن يقوم بتجربة جمالية "مأخوذ" بها على الطريقة التي تأخذنا بها اللّعبة. فعبر مفتاح اللّعبة يمكن ملاقاة العمل الفني، إذ اللّعبة تتميّز باستقلالها عن اللاّعبين، واللاّعب يؤخذ في اللّعبة حسب قواعدها، فاللّعبة هي التي تلعب Jouer c'est être jouer وعلى اللاّعب أن يفقد ذاته في اللّعبة، وأن تؤخذ بجدّية وهذا ينتمي إلى ماهية اللّعبة ولا يرتبط بوعي اللاّعب(هانز جورج غادامير، 2007، ص175).

اللعبة تمكّن من الانفتاح على واقع مستقلّ عن اللاّعبين، ونفس المسار يتمّ تفعيله في تجربة الفن، اللّعبة مثل الفن تتألّف من تمثيل Représentation، عالم ينفتح، واقع، كلّية مغلقة على ذاتها تفرض نفسها بكلّ قوّة وهذا ما يسمّيه غادامير بالتحويل بالعمل Transformation en œuvre، أي تغيير الحالة التي يلحقها الفن بالواقع، بخلاف ما يدّعيه علم الجمال من أن الفن يجرّدنا عن الواقع وينقلنا إلى عالم خيالي. العمل الفني يفصلنا لكي يعيد إدماجنا. الواقع في الفن ينقل إلى ما وراء ذاته، وهنا نلمس رنّة هيدغيرية. العمل الفني ليس مجرّد موضوع للمتعة الجمالية، إنّه عرض تمّ نقله إلى صورة لحقيقة الوجود بوصفه حدثا(عادل مصطفى، 2003، ص206).

وقصد إظهار وفق أي نموذج يتجلّى الواقع في العمل الفني، يقترح غادامير إعادة تعريف لمفهوم المحاكاة Mimesis، إذ من المعروف أن هذا المفهوم يحمل حمولة سلبية في التصوّر الأفلاطوني، حيث يشير إلى ما هو ناقص من حيث درجة الوجود، صورة الصورة، مجرّد نسخة(الفن محاكاة المحاكاة)، وغادامير يقلب هذا المنظور، فالمحاكاة في العمل الفني تجلب الواقع إلى الحضور(حضور الممثّل)، ومن هنا تكون تجربة الفن تجربة معرفة، بالمعنى الذي يكون فيه تعرّفا، إذ يقول:"لكن مفهوم المحاكاة يمكن أن يستخدم لوصف لعبة الفن إذا ما تذكّر المرء فقط المضمون المعرفي للمحاكاة، فالشيء يعرض هناك وهذه هي القضية المركزية في المحاكاة، فعندما يحاكي شخص ما شيئا، فإنّه يتيح لما يعرفه أن يوجد، وأن يوجد على النحو الذي عرفه به"(هانز جورج غاداميلر، 2007، ص186)، في العمل الفني نقف على ما هو ممثّل بعيدا عمّا هو عرضي، لا يتعلّق الأمر بمجرّد نقل للواقع باتّجاه إعادة إنتاجه، بل بالتعرّف، بمعرفة من جديد، وبالتالي معرفة أفضل "المحاكاة والتمثيل ليسا مجرّد تكرار، نسخة Copie إنّما هم معرفة للجوهر"(هانز جورج غادامير، 2007، ص188).

غادامير يعيد هنا تأويل النظرية الأفلاطونية للتذكّر مبيّنا أن الشيء لكي يظهر كما هو في الواقع، يجب أن يعرف من خلال إخراجه إلى النور بواسطة اللوغوس، فالعمل الفني يحملنا نحو إدراك الماهية، وبهذا المعنى يكتسب الواقع زيادة وجود Surcroit d'être (Jean Grondin, 2008 ,P52).

يبدو إذن أن الفن معرفة إضافية للواقع، ومن هذا الجانب يعتبر ارتقاء للحقيقة، العمل يتقدّم بكلّ استقلالية، يصبح تجربة أنطولوجية، وهنا تقارب في الحقل الاصطلاحي مع هيدغر، ففي العلاقات اليومية مع العالم، انشغالاتنا واهتماماتنا، علاقاتنا الأداتية اتجاهه، معنى الأشياء ذاته يتّجه نحو الغياب، ما يقوم به الفن هو أن يضعنا أمام حضور الموجودات، وهو ما يكسب "العمل

الفني" حمولة أنطولوجية للواقع الذي يمثّله، وهذا عبر فعل المحاكاة، وعند هذه النقطة يتقارب معجم غادامير مع معجم هيدغر (العالم، الانفتاح، العرض)، وفي الحالتين يتعلّق الأمر بتجربة أنطولوجية حاملة للحقيقة. لكن ما هو قانون الوجود عند غادامير؟ الوجود يلتمس خاصة في عبارة "زيادة وجود" وما طبيعة الحقيقة عنده ؟ وما علاقتها بالوجود؟، لقد لاحظنا أن الوجود بالنسبة لهيدغر هو العمق السرّي الذي تصدر عنه كلّ الموجودات، وحتى نتمثّل هذا المصطلح أكثر، نشير إلى أن العمل كما يقول هيدغر "يجلب الأرض" استخدام مصطلح الأرض هنا استعارة بالمعنى الذي تكون فيه الأرض، مثل المادة، تفرض نفس السمات مثلها مثل الوجود، فهي تمتلك سمكا غير قابل للاختراق رغم أنها معطاة للنظر، الوجود بهذا المعنى يسمح بانفتاح الموجود، ولكنه غير منفصل عن البعد ألانسحابي، إنّه احتياط يغرف منه الانكشاف، إنّه الأولي لكلّ ظهور، والأرض مثل الوجود تمتلك هذا البعد الغامض والمنسحب، شرط كلّ انبثاق. وخطأ الميتافيزيقا يكمن في تناولها الموجود كموضوع وليس الوجود الذي هو أوّلي. هذا بالنسبة لهيدغر أمّا غادامير فيحتفظ بالتصوّر الكلاسيكي للوجود، إذ الوجود عنده هو ما يوجد بعيدا عن كلّ منظور Perspective للانسحاب أو الاحتياط، ولهذا يمكن نعته بأنه واقعي أنطولوجي، وهو يظلّ هنا قريب من التقليد الميتافيزيقي منه إلى هيدغر، ثمّ إنه إذا كان هيدغر يبحث عن الحقيقي في السابق لكلّ ظهور، فإن غادامير يعتبر أن الحقيقة حاضرة في الواقع بصورة غامضة(مشوّشة) فيما يسميه هيدغر الموجود L'étant وهو ما تبرّره محاضرته المعنونة ب "تجلّي الجميل" التي تدلّ على معنى الظهور والتواصل المتجدّد دوما للحقيقة أو للجمال في الواقع الإنساني، فميزة العمل الفني هي عزل موضوع عن أعراض الواقع قصد تقديمه في شكل حقيقة زائدة، فالعمل هنا له أهمية معرفية.

خاتمة: نستنتج مما سبق عرضه أن رؤية غادامير تتقاطع مع تصور هيدغر في:

-الارتكاز على الطريقة الفينومينولوجية مدعومة بمقاربة هرمينوطيقية.

-التماثل من حيث الطريقة، تاريخ وأركيولوجيا المفاهيم.

-في موضوع الفن يلتقيان في نقد الاستتيقا، أي نقد معيارية التمايز الجمالي، حيث الفصل المصطنع بين الذات والموضوع، كما يلتقيان في اعتبارهما أن الإنسان لم يعد في مشهد الحقيقة هو الفاعل الحقيقي، بل الحقيقة ذاتها في تجلّيها من خلال وجود الإنسان هي الفاعل الحقيقي.

ومع ذلك "الحقيقة والمنهج" و "أصل العمل الفني" ليست لهما نفس الغاية، فبينما يطرح هيدغر مسألة تجديد سؤال الفن، ويرى في العمل الفني أسلوب مفضّل لولوج عالم الوجود، نجد غادامير يعيد النظر في الاستتيقا التقليدية ويطرح رؤية متناسقة للفن قصد التأسيس لعلوم الروح (العلوم الإنسانية) كطريق للمعرفة وبلوغ الحقيقة، فغادامير أعاد امتلاك مفاهيم معلّمه حول الحقيقة والوجود، إن حضور هيدغر ذاته هو الذي يشارك في حجبه وإخفائه.

قائمة المراجع:

1.بول ريكور(2001)، من النصّ إلى الفعل. أبحاث في التأويل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقية، ط1 عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر.

.2جان غراندن(2006)، المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ترجمة عمر مهيبل، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر.

3.جمال محمد أحمد سليمان(2009)، هيدغر، الوجود والموجود، دار التنوير، بيروت، لبنان.
4.صفاء عبد السلام جعفر(2000)، هرمينوطيقا "الأصل في العمل الفني" دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر.
5.طه عبد الرحمن(1999)، فقه الفلسفة 2، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
6.عادل مصطفى(2007)، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
7.هانز جورج غادامير(2007)، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم،علي حاكم صالح، ط1، دار أويا للطباعة والنشر، طرابلس، ليبيا.
83هانز جورج غادامير(2007)، طرق هيدغر، ترجمة حسن ناظم، علي حاكم صالح، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
9.Alain Boutot(1995), Heidegger, Que Sais Je ? , 3em édition, Presse universitaire de France ,Paris ,France.
10.Jean Grondin(2008), L'herméneutique (Que sais je ?) , 2em édition, Presse universitaire de France, Paris, France .
11.Julien Peronnet(2010), Gadamer, Heidegger et L'œuvre d'art ,Revue Philosophique Spater Heidegger . https://www.revue-klesis.org/pdf/4-J-Peronnet.pdf
12.Martin Heidegger(2005),être et temps, Traduction Emmanuel Martineau. Edition numérique.

عولمة العلاقات الأسرية وأثرها على الشخصية الاجتماعية

The Globalization of family Relationship and their impact on social personality

أ.د مليكة محمد عرعور، جامعة بسكرة-الجزائر

د.لخضر بن ساهل، جامعة باتنة-الجزائر

ملخص: لقد استحوذ العالم الرقمي على تفكير الإنسان المعاصر وحياته بكل تفصيلاتها الأساسية وحتى الهامشية منها، مما جعل الفرد في هذا المسار التفاعلي الرقمي استنزف كل جهده وزمنه في الحياة الاجتماعية المعاصرة، حيث ترتب عنه تحول وتغير في سيرورة العلاقات الاجتماعية بما فيها العلاقات الأسرية على جميع المستويات وبين مختلف الأفراد فيها، حيث أن كثير من الدراسات السوسيولوجية والنفسية تؤكد أن العلاقات الأسرية أصبحت تفتقد للحميمية والود والتعاطف، والسبب في نهاية المطاف غياب التفاعل الايجابي الحقيقي المؤسس على التلاقي الدائم والاهتمام المتبادل والحوار الصريح المبني على الثقة، نتيجة انشغال أفراد الأسرة بالتواصل العالمي من خلال العالم الرقمي، حيث ترتب عن التحول والتغير العلائقي الأسري تغير في بنية شخصية فاعليها صغار وكبار، إناث وذكور في علاقتها بالبنية الثقافية الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: تأثيرات العالم الرقمي، عولمة العلاقات الأسرية، العلاقات الأسرية الرقمية، الشخصية الاجتماعية الرقمية، الشخصية الاجتماعية المعاصرة.

Abstract :The digital world has dominated the thinking of modern man and his life in all its basic and even marginal details, which has made the individual in this digital interactive process exhausted all his time and effort in contemporary social life. This has resulted in a transformation and change in the process of social relations including family relations at all levels and Where many sociological and psychological studies confirm that family relationships are lacking in intimacy, affection and empathy, and ultimately the absence of genuine positive interaction based on permanent convergence, mutual interest and frank dialogue.

Based on trust, as a result of the preoccupation of family members with global communication through the digital world, where the transformation and change of family relativity has resulted in a change in the personal structure of young and old, male and female, in relation to the social and cultural structure.

keywords: The effects of the digital world, globalization of family relations, digital family relationships, digital social personality, contemporary social personality.

مقدمة:

تَعتمِد الأسرة نواة المجتمع وخليته الأساسية، أن سلامتها تمد المجتمع بالقوَّةُ والصلابة في موجهة التحديات الخارجية على الخصوص، وعليه فإنه تُعدّ الأسرةُ أوَّلَ أدواتِ الوصولِ إلى بناءِ اجَتمعِي مستقر ومتطوُّر في ذات الوقت، وبالتالي فقد اعتبرها علماء الاجتماع بأنها الحَجرُ الأساسُ في تكوين المجتمعاتِ الإنسانية ونشأتها، وتَكمُن أهميَّةُ الأسرةِ تحقيق الاستقرار النفسي والأمن الاجتماعي لأفرادها، ومنها صلاحُ المجتمعِ أو فساده في حالة عدم توفرهما، لذلك فقد صنفت من أولية الجماعات الاجتماعية التي تبني وتحددِ الهوية المستقرة لأفراد المجتمع ومن ثم للمجتمع برمته والتي تعكس في ذات الوقت التأسيسِ الصحيح لشخصية أفرادها، والذي يعد أهم مهمة لها من وجودها، والذي يعد جوهر وجودها ووجود سيرورة علاقاته الاجتماعية داخل وخارج الأسرة على جميع المستويات وبين مختلف الأفراد فيها، مما أفرز تغير كبير في أداء الأدوار المنوطة بالفرد في كل الجماعات الاجتماعية الموجودة في المجتمع وإحداها وأهمها الأسرة، على التزام كل فرد في الأسرة بالقيام بدوره داخلها الذي يعكس المكانة الاجتماع له، حيث تترتب عنه شبكة من علاقات اجتماعية في كل جماعة، تعد رأسماله الاجتماعي وصدره الخبراتي، الذي يعكس رصيده المعرفي الاجتماعي الذي يصقل شخصيته، ومن هنا فإن كل تغير يصيب الأسرة ويتغلغل في ثنايا تفاعلات الأفراد فيما بينهم يحدث تغيراً عميقاً في المجتمع.

إن التغيرات المترتبة عن استخدامات العالم الرقمي ووسائله عالية الجودة الاتصالية داخل الأسرة وبين أفرادها جعل الفرد في هذا المسار التفاعلي الرقمي مستنزفاً لكل جهده وزمنه في الحياة الاجتماعية الواقعية المعاصرة، حيث ترتب عنه تحول كبير في شبكة العلاقات الاجتماعية بما فيها الأسرة، حيث أن كثير من الدراسات السوسيولوجية والنفسية تؤكد أن العلاقات الأسرية أصبحت تفتقد للحميمية والود والتعاطف، والسبب في نهاية المطاف غياب التفاعل الايجابي الحقيقي المؤسس على التلاقي الدائم والاهتمام المتبادل والحوار الصريح المبني على الثقة، نتيجة انشغال أفراد الأسرة بالتواصل العالمي من خلال العالم الرقمي، حيث ترتب عن التحول والتغير العلائقي الأسري تغير في بنية شخصية فاعليها صغار وكبار، إناث وذكور في علاقتها بالبنية الثقافية الاجتماعية، وبالتالي تغير عميق في الأدوار التي تتخللها، بمعنى أن الأدوار الذي يؤديها أفراد الأسرة تغيرت بشكل كبر جداً وبالتالي فإنه قد تغيرت شخصية الأبناء التي تتبلور من احتكاك أفراد الأسرة بعضهم ببعض وإشباعهم لحاجات بعض البعض وتأثيرهم في بعضهم البعض، وبالتالي فتغلغل العالم الرقمي ووسائله في الحياة الأسرية وعلاقتها أثرت بشكل كبير على الشخصية الفرد الاجتماعية، وبالتالي فإنه لم تعولم المعارف، والعلوم، التجارة، الاقتصاد، السياسة فقط بل حتى الحياة الاجتماعية بكل قضاياها العامة والخاصة، من هذا المنطلق فقد أصبح لزاما على السوسيولوجية وعلماءها وباحثيها التقصي في هذه القضية أي الحياة الاجتماعية الافتراضية ومتطلباتها الاجتماعية وغيرها.

إشكالية الدراسة:

تعد الأسرة الحاضن الاجتماعي والنفسي الأول الذي يتلقى الفرد ويعمل على دمجه في المجتمع بكل ما يحتويه من تفاعلات وعلاقات وجماعات، حيث أن الأسرة هي وسط يتشكل في عمقه من

عدد من العلاقات القائمة بين أفراد وهم الزوج والزوجة والأبناء في غالب الأحيان، حيث يقصد بتلك العلاقات التي الارتباطات التي تقوم بين أدوار أولئك الأفراد، إذ أن تلك العلاقات تتبلور وتتشكل بناءً على طبيعة الاتصالات القائمة بينهم وطبيعة التفاعلات التي تقع بينهم، وعليه فإن أثر هذه الأخيرة أما محمود أو مذموم على الأفراد في الأسرة والأبناء التحديد لأنهم تحت تأثير الوالدين أو الأكبر سناً وخبرةً ووهم ذوي نضجاً نفسياً واجتماعياً ووجدانياً، حيث أن ذاك التأثير النضج يمكن من بناء شخصية متوازنة من جميع جوانبها، حيث أن تغيرات التي طال أداء الأدوار المنوط بالفاعلين داخل الأسرة نتيجة المستجدات العرفية العالمية المؤسسة على الرقمنة أي ما يعرف بالعولمة، فقد تسبب في تغير الكثير من جوانب العلائقية الأسرية، حيث الاستخدام المتواتر للأفراد لوسائل الرقمية ولفترات طويلة من النهار جعل من شبكة العلاقات الأسرية تفتقد للحميمية الدار على فقد بعض من الود والتعاطف بين الأفراد، والسبب في نهاية المطاف غياب التفاعل الايجابي الحقيقي المؤسس على التلاقي المباشر الدائم المؤدي إلى الحوار الصريح المبني على الثقة والاهتمام المتبادل، وهذا نتيجة ليس انشغال أفراد الأسرة بالتواصل العالمي من خلال العالم الرقمي بل سطوة هذا الاستخدام على جل وقت الأفراد، حيث ترتب عن التحول والتغير في شبكة العلاقات الأسرية في اهتمام الناضجين من أفراد الأسرة بالأفراد القصر أو الذي هم بحاجة ملحة ومستمرة في متابعة هؤلاء لمستجداتهم الحياتية وتجدد حاجاتهم مع مرور الأيام والسنون، مما يؤدي إلى تركم معارف غير منقحة وغير مراقبة في بنية شخصية فاعليها غير الناضجين انفعالياً وتفاعلياً في علاقتها بالبنية الثقافية الاجتماعية.

أجمع علماء النفس والاجتماع على الشخصية تعرف هي مجموعة من الصفات الجسدية والنفسية الموروثة والمكتسبة ومجموعة من القيم والتقاليد والعواطف تتفاعل مع بعضها البعض ونتيجة تأثير جملة من التي يتعرض لها الفرد في الحياة الاجتماعية بدأ من الأسرة كوسط أول وأساسي وصولاً إلى أوساط أخرى، بذلك فإن الشخصية الفرد تتكون من عدة عناصر هي الاستعدادات، الدوافع، الميول، العقل، العاطفة، الآراء والمعتقدات والأفكار، المشاعر والقدرات، وهي عناصر منها ما يولد مع الفرد كمعطيات فطرية تمكنه من الاستجابة للوسط اجتماعي ومنها ما ينشأ نتيجة وجوده في وسط اجتماعي معين، وبالتالي فإن تغيرات التي تحصل على المستوى العلائقي ومرده التغير الذي حصل في أدوار الفاعلين في الأسرة يؤدي بالضرورة إلى التغير في بناء شخصية الأفراد، من هذا المنطلق جاء هذا البحث لأجل إيجاد إجابة في السياق سوسيولوجية العلاقات الأسرية بعد التغيرات العولمة التي طرأت عليها وما تفرزه من بناءات لشخصية الأبناء في الأسرة.

أهداف الدارسة: لكل نشاط بحثي أهداف تكون نقطة الوصول وهي التي تحدد نجاح البحث، وعليه فإن هذه الدراسة السوسيولوجية تصبو لتحقيق الهداف الآتية:

-إلقاء الضوء على قوة العلاقات الاجتماعية الأسرية في بناء الأفراد.

-تحديد علاقة الدور ببناء شخصية الفاعلين في الأسرة

-توضيح العلاقة الوظيفية بين مستجدات العلاقات الاجتماعية الأسرية والشخصية الاجتماعية لأفرادها.

-تحديد مؤشرات الشخصية الاجتماعية.

1.ماهية الشخصية الاجتماعية:

تعد الشخصية من الموضوعات التي أبدع فيها علماء النفس، الاجتماع وحتى الانثروبولوجية كونها تشكل رأسمال المجتمع البشري الذي ينهض بالحضارات ويقف على تطور المجتمعات وتنامي العلوم، وبالتالي فإن الاهتمام بالشخصية كقضية محورية في العلوم الإنسانية والاجتماعية يبدأ من فهم هذا المصطلح أو الظاهرة.

1.1.**تعريفها:** لقد تعددت تعاريف مصطلح الشخصية بتعدد العلماء المهتمين بها وتعدد اتجاهاتهم وانتماءاتهم الفكرية، حيث يرى أحد التعاريف المذكورة الشخصية بأنها مجموعة من الصفات الجسدية النفسية (موروثة ومكتسبة) والعادات التقاليد والقيم والعواطف متفاعلة (Ralph Linton, 1977, p32-40) كما يراها الآخرون من خلال التعامل في الحياة الاجتماعية بما عنى أن الفرد يوجد في المجتمع دون شخصية وملامحها لكن يكون مزود بمجموعة من الاستعدادات الفطرية التي تأهله لتفاعل مع المجتمع، وبتوجيه من الفاعلين في الجماعات الاجتماعية وما تحمله تلك الجماعات من من موروث اجتماعي ثقافي تتشكل ملامح شخصية الفرد، وبالتالي يترتب عن طبيعة تلك الشخصية التكيف والاندماج الاجتماعي، من هذا المنطلق فقد اهتم علماء الاجتماع بهذا المصطلح اعتبروه أحد العناصر الأساسيّة للحقيقة الاجتماعيّة (غيث محمد عاطف، 1992، ص59)، فكان من أبرز هذه التعريفات عرّف بيسانز الشخصية على أنها العادات والأنماط والسمات الخاصّة بفرد معين(أحمد عبد الخالق، 1987، ص66)، والتي تَنتُج عن العوامل الوراثيّة البيولوجيّة والاجتماعيّة المُكتسَبة والثقافية التي تتباين بين الجماعات والمجتمعات، ومن هنا فإن شخصيات الأفراد تختلف بين الجماعات، وفي تعريف ثاني قدمه كلٌّ من أوجبرن وتيمكوف للشخصيّة على أنها حالة من " التوافق والتكامل النفسيّ والاجتماعيّ للسلوك الإنسانيّ "(جويدة حماش، 2007، ص67)، حيث يعُود ذاك التوافق إلى العادات، والاتجاهات، والآراء، والاستجابات المختلفة لكافة المثيرات الداخلية والخارجية، وهنا عادة ما توصف الشخصية بأنها مجموعة السمات التي تكوّن الكيان الذاتي للأفراد، والمتمثلة في السمات تختلف من شخص إلى آخر، والتي تمد الفرد بالتميز في السلوك التفكير، بناء العلاقات الاجتماعية والانتماء لجماعات مختلفة ومتعددة، وعليه فقد اجتمع في تحديد مدلول مفهوم الشخصية معنيين وهما: المهارات الاجتماعية والتفاعلية مع البيئة الخارجيّة (Ralph Linton, 1977, p43-45)، وهذا ما يبلور ما يعرف بالذكاء الاجتماعي، ومن ثم فإن الشخصية تختلف بين الأفراد في الجماعة الاجتماعية بدرجات الذكاء الاجتماعي الذي يتشكل من استجابة تفاعل المورث البيولوجي والاجتماعي، بحيث أن تلك الاستجابة توضع في قوالب مختلفة الطبيعة لكن منتظمة، منسقة، منسجمة ومتناغمة بدرجة كبيرة، مما دعي ببعض العلماء إلى تعريف الشخصية بأنها التنظيم الشخصيّ للفرد (غيث محمد عاطف، 1992، ص87-77)، حيث يحوي ذاك التنظيم على جميع أنماط الانفعالات النفسية والتفاعلات الاجتماعية التي تبلور أنماط سلوكيّة محددة تتطلبها المواقف الاجتماعية في الحياة الاجتماعية الواقعية، وبالتالي فإن الشخصية لها دور جلل في اختيار الفرد لطريقته الخاصة في تكيفه مع المعطيات اجتماعية والثقافية لجماعته وتفاعله مع الظروف التي تشكل بيئته

والاستجابة لمثيراتها (جويدة حماش، 2007، ص54-55)، وعليه فإن الكثير من علماء اجتماع والنفس صنفوا الشخصية إلى أنواع وأهمها وأكثر إثارة لاهتمام وهي الشخصية الاجتماعية.

تعارف بين جمهور علماء اجتماع أن الشخصية الاجتماعية تتمحور حول قدرة الفرد في الاندماج في جسم المجتمع وتكيف مع معطياته الاجتماعية والثقافية والتأثير في مختلف فاعليه (Dufrenne Mikel, 1953, p78-80)، بمعني أن الفرد الذي يتمتع شخصية اجتماعية له القدرة على الدخول في تفاعل اجتماعي مع بقية أفراد المجتمع بايجابية وفق ما تقتضيه البيئة الاجتماعية من أفعال، ومن ثمة فإن الشخصية الاجتماعية هي الشخصية التي من خلالها يكشف عن اندماجية الفرد في جماعته وتوافقه مع مختلف الأفراد ويتكيف مع مختلف التناقضات الاجتماعية والأهم يتأثر بها ويؤثر فيها، وبالتالي فإن الشخص الاجتماعي هو الشخص القادر على خلق علاقات مع الأفراد المحيطين (أحمد عبد الخالق، 1987، ص66) به أي من يملك رأسمال اجتماعي، وعليه فغالباً ما يكون الأشخاص الذي يمتلكون شخصية اجتماعية ما يدرجون في صنف الناجحين جدا في عملهم لأن قادرين على خلق جو من التناغم والانسجام بين أعضاء جماعة العمل أو أي جماعة أخرى، إذ لهم القدرة على امتصاص التفاعلات والمواقف السلبية، وعليه فإنهم في الغالب ما يتمتعون بحب الناس ويقدرون ظروف الآخرين، لذلك فهم محاطون بالعديد من الأشخاص المستعدين على تقديم لهم المساعدة والعون عند الحاجة، ومن هنا يمكن القول أن الشخصية الاجتماعية هي الفئة التي تمتلك رأسمال اجتماعي جيد.

2.1. مكوناتها: يحتوي البناء الوظيفي للشخصية عموماً على مكونات متكاملة، وتتمثل تلك المكونات في المكونات الجسمية، العقلية، المعرفية، الانفعالية والمكونات الاجتماعية(عثمان فراح عبد الغفار، 1977، ص45)، حيث ترتبط تلك المكونات ارتباطاً وظيفياً بعضها ببعض؛من ناحية ومن ناحية ثانية؛ ارتباطاً وثيقاً بحالة الاستقرار النفسي والاجتماعي في الجماعة الاجتماعية، بمعني أكثر تحديد أن الفرد في جماعاته الاجتماعية على اختلافها وتعددها يشعر بالاستحسان لما يقدمه من أدوار تفيد الآخرين ممن تربطه بهم علاقات اجتماعية ايجابية، وتتجسد تلك المكونات في الآتي:

المكونات الجسمية: وهي عبارة مورفولوجية الجسم الخارجي وهي التي تحدد مستوى كفاءة المهارات الحركية والنشاط الإجمالي للفرد في مختلف المواقف الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى وظائف الأعضاء والأجهزة الداخليّة (أحمد عبد الخالق، 1987، ص56) وهي تتمثل في الآتي:

المكونات العقلية المعرفية(عثمان فراح عبد الغفار، 1977، ص52): تتضمن وظائف العقل والدماغ، التي تحدد كفاءة القدرات العقليّة، والمهارات اللغويّة واللفظيّة، ومستوى الأداء للعمليّات العقليّة العليا.

المكونات الانفعالية(حامد زهران، 2005، ص67): تتمثل في طرق الاستجابة التي يتميّز بها الفرد اتجاه المثيرات الداخلية والخارجية المختلفة، بالإضافة إلى مستوى الاستقرار والثبات الانفعالي، ومدى انحصار هذه الانفعالات في دائرة العواطف والمشاعر.

المكونات الاجتماعية: هي المكونات التي ترتبط بشكل مباشر بأساليب التنشئة الأسريّة والاجتماعيّة في الوسط الاجتماعي الكبير بما يتضمنه المنزل، المدرسة ومحيط الأصدقاء وما

يتضمنه ذلك الوسط من علاقات اجتماعية (Dufrenne Mikel, 1953, p93)، بالإضافة إلى القيم والاتجاهات، وأدوار في المجتمع، بمعنى العلاقة القائمة بين مختلف الأفراد داخل مختلف الجماعات وأهمها الأسرة، تعد مصدراً للمعلومات التي تصقل شخصية (غيث محمد عاطف، 1992، ص124) الفرد وتمكنه من كيفية بناء علاقات مع الأخيرين وإبداء سلوكات تناسب المواقف المختلفة التي يعيشها في بيئته الاجتماعية وفق تأطير البناء القيمي والثقافي.

3.1. سمات الشخصية الاجتماعية: يتسم الشخص الاجتماعي بالعديد من السمات التي تجعله مميز وسطه الاجتماعي، حيث أن الشخص الاجتماعي يتميز عادة ما يحب الآخرين ويستمع إليهم جيدا ويشاركهم مشاكلهم ويسعى لتقديم المساعدة لإخراجهم من حلاقات اللاستقرار(أحمد عبد الخالق، 1987، ص96) هذا لأنه يعني أن تقديم المساعدة يكسب الفرد شأن كبير في وسطه الاجتماعي وانه نشأ على غرار الاهتمام بالغير، كما أن الفرد الذي يتمتع الشخصية الاجتماعية يعمل على زيادة ثقة الأفراد في أنفسهم(حامد زهران، 2005، ص86-88)، من خلال مدحهم والتركيز على الجوانب الإيجابية فيهم التي يتحلون بها، في مقابل يساعدهم على الكشف عن الجوانب السلبية في ذاته والتخلص منها، من ثم فإنه فرد يزيد من تفاؤلهم وإقبالهم على العمل والعطاء، كما أن الفرد الذي يتمتع شخصية اجتماعية يحب مشاركة الآخرين في أعمالهم، وبالتالي المشاركة قضاء في مصالح الناس، كما أن الفرد ذا شخصية اجتماعية يتميز بأنه متسامح جدا يعفو عن الأخطاء الآخرين في حقه(حامد زهران، 2005، ص90-91)، حيث أن نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الفرد لا تكون ايجابية مرضية بل يوجد منها السلبي الذي يعمل على كسر العلاقات وبتر الاتصال، وعليه فإن التسامح من ذوي الشخصية الاجتماعية يمكن من تجاوز الخلافات التي قد تحدث عن سوء الفهم أو سوء استيعاب الذرف الأخر.

4.1.عناصر الشخصية الاجتماعية: تتفرد الشخصية الاجتماعية عن بقية أنماط الشخصية التي حددها علماء النفس والاجتماع، هي عناصر نابعة في حقيقة المر من مكوناتها الأساسية السالفة الطرح، حيث أن أو عنصر الفرد يكون بحاجته لأجل التفاعل بايجابية في وسطه الاجتماعي مندمجاً فيه، مستوعباً لما يحدث فيه من تفاعلات وتتمثل في الرصيد المعرفي الاجتماعي الثقافي (غيث محمد عاطف، 1992، ص120)، ويجمع كل الخبرات الاجتماعية التي تأخذ مقام القيم والتقاليد التي استجمعا المجتمع خلال عهود طويلة في وعي الجماعة والذي تحوله بدورها إلى الفرد منذ نعومة أظافره، حيث أن أهم جماعة اجتماعية تقوم بذاك هي الأسرة بأساليب شتى، حيث أن دور ذلك الرصيد يمكن في تمكين الفرد من الاتصال والتواصل الاجتماعي لكسب الإمكانات والقدرات التي تمكنه من التفاعل مع الآخرين في بيئة اجتماعية معينة(أحمد عبد الخالق، 1987، ص49)، لأجل معرفة حاجات الأفراد والجماعات في المجتمع من منطلق دواره الاجتماعية وعلاقته بهم، وقد تزيد تلك القدرات أهمية اجتماعية لتصل إلى كونها مهارات الاجتماعية وعلى الخصوص الاحترام والتقدير الذي يحتله الفرد في جماعاته.

إن الفرد المتميز بشخصية اجتماعية يسهم بشكل كبير في تقديم الخدمة الاجتماعية من خلال جملة الأدوار التي يؤديها(جويدة حماش، 2007، ص138)، وهي أدوار كثيرة ومتقاطعة، حيث أن يوظف الفرد تلك المهارات الاجتماعية والرصيد المعرفي الاجتماعي في جعل دوره

الاجتماعي متميز وذا فاعلية، ومن هنا فإن الفرد حتى يواجه الصعوبات الاجتماعية التي تحول دون توظيف تلك المهارات وذاك الرصيد بكفاءة فإنه يتوجب عليه توفير العنصر الأخير والمتمثل في القوة الذاتية النابعة من تفاعل القدرات الفطرية ومعطيات المحيط الاجتماعي(أحمد عبد الخالق، 1987، ص99)، والتي تتمثل تلك القوة في الثقة بالنفس والجرأة على المجازفة وتحدي الصعاب.

5.1.العوامل الاجتماعية المؤثرة في الشخصية: تتأثر الشخصية الفرد عموماً سلباً وإيجاباً بالكثير من العوامل الداخلية والخارجية، لكن في هذا المقام التحليلي السوسيولوجي يتم التركيز على العوامل الخارجية فقط دون غيرها، ومن أهمها عاملين أولهما أساليب وطرق التنشئة الأسرية أو يعرف بين جمهور علماء الاجتماع بالتنشئة المباشرة (François de Singly, 2007, p88)، حيث تعمل الأسرة وما فيها من أفراد راشدين على تحويل الرصيد المعرفي الاجتماعي والثقافي الذي يكون الفرد القاصر بحاجته لأجل معرفة المجتمع وكيفيات التعامل في ثناياه ومع أفراده واستيعاب قضاياه وترتبها حسب أولوياته الحياتية، الموقفية والشخصية الخاصة(غيث محمد عاطف، 1992، ص194)، وبالتالي فإنه يظهر الأثر الكبير والعميق للأسرة في تكوين شخصية الفرد بما فيها الطابع الاجتماعي، حيث إنّها البيئة الأولى التي يحتكّ بها منذ ولادته، فيكتسب منها الكثير من القيم والأخلاق التي تتحول إلى المهارات والخبرات والأنماط السلوكيّة(وحيد أحمد عبد اللطيف، 2001، ص284)، التي تؤثّر سلبياً أو إيجابياً في شخصية الفرد، لكن قضية بناء شخصية الفرد، لا تتم بالفعل المقصود فقط أو المواقف الموجهة من تحذير أو تنبه أو أمر للقيام بأمر ما، كذلك طبيعة النسيج العلائقي الأسري (François de Singly, 2007 , p123) الذي عادة ما تكون فيه العلاقات تتأرجح بين القوة والضعف، حيث أن محاكاة الفرد لما يحدث من يحدث في الواقع الأسري والاجتماعي يجعله يتشرب من منابع إفرازات تلك العلاقات السائدة في الأسرة وبالتالي تؤثر في البناء التكوينيّ لشخصيّة الفرد، حيث تفرز الشخصية الأنانية أو المتغطرسة أو الاجتماعية(حامد زهران، 2005، ص199)، من ثم تختلف سمات الأفراد وشخصياتهم بالتفاعل المتبادل مع تلك الأنماط من العلاقات في البيئة الأسرية، خاصة في الوقت الراهن، حيث أصبحت العلاقات الأسرية متأثرة بدرجة كبيرة بالعالم الرقمي، مما يجعل تأثر شخصية الفرد ونموها يأخذ منحى مغاير في بناء شخصية اجتماعية.

من هذا المنطلق يرى المختصين علم النفس الشخصية أن الشخصية تركيبة معقدة من العناصر المتفاعلة فيما بينها لبناء شخصية اجتماعية متكاملة الوجود والأثر على الفرد وجماعته ومجتمعه، وبالتالي فإن فهم وجودها وتأثيراتها وتأثراتها بالبيئة الاجتماعية وما فيها من مكونات وخاصة العلاقات الاجتماعية والأسرية بالتحديد يتطلب قراءة استقرائية واستبطانية يتم فيها استنطاق ظاهرة الشخصية الاجتماعية من جوانبها النفسية، الثقافية والاجتماعية.

2.ماهية العلاقات الأسرية:

يعد نسيج العلاقات الأسرية من أهم الأنسجة الاجتماعية والأكثر تأثيراً في الفرد، وخاصة الفئة في مرحلة نمو الشخصية، لكن شبكة العلاقات الاجتماعية الأسرية تغيرت بشكل كبير جداً بعد الاستخدام الفج لوسائل التواصل الاجتماعي(Pierre Mercklé, **2013**, p**201**)، وتغلغل العالم

الافتراضي في حيثيات الحياة الاجتماعية وأدق تفاصيلها، من هنا فإن فهم بنية هذا النسيج وتركيبته ووظائفه وتأثيراته على الفرد في بناء شخصية، ولأجل ذلك، وجب إلقاء الضوء على حيثيات ماهية العلاقات الأسرية.

1.2. تعريفها: عرف علماء الاجتماع العلاقة الاجتماعية أمثال ماكس فيبر وجورج هومانز، أنتوني جينز، بأنها كل ارتباط تفاعلي ينشأ بين شخصين أو أكثر لتلبية حاجة عاطفية أو اجتماعية، أو تحقيق هدف اقتصادي أو تربوي أو ثقافي أو عسكري...الخ سواء أكان هذا الهدف نبيلا أم دنيئا (Martine Segalen, 2000, p178)، بمعنى أن العلاقة تنتج عن وجود هدف محدد أو حاجة ملحة عند أحد طرفي العلاقة والطرف المقابل له القدرة على إشباع تلك الحاجة وفق ما لديه من مكتسبات خاصة موروثة عن المجتمع تفاعلت مع الفطرة التي جبل عليها، كما عرفت العلاقات الاجتماعية بأنها " الروابط والآثار المتبادلة بين أفراد المجتمع والتي تنشأ نتيجة اجتماعيهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم بعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة واحدة "(غيث محمد عاطف، 1992، ص278) تصهر فيها المشاعر الخاصة بأطراف العلاقة اجتماعية نتيجة تواصلهم الدائم واحتكاكهم الذي يفرز تبادل الخبرات، المعارف الخاصة والعامة، التي تتحول إلى رصيد معرفي يعتمد عليه طرفي العلاقة الاجتماعية لفهم متطلبات الوجود المشترك المبني على العلاقة النشطة والتي يترتب عنها منافع لجميع أطراف العلاقة، ومنه فإن العلاقة الاجتماعية وهي " صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر، بحيث تكون لدى كل طرف صورة عن الأخر والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على حكم كل منهما على الأخر " (François de Singly, 2007 , p87) حيث أن تلك العلاقة تأخذ أشكال عدة بناءً على طبيعة الوسط ومنها الأسرة، وبالتالي فإن تتشكل العلاقات الاجتماعية الأسرية.

يقصد العلاقات الاجتماعية الأسرية بها تلك العلاقات التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء(سهير أحمد معوض، 2009، ص79)، حيث لكل فرد في الأسرة له مكانة معينة يؤدي من خلالها دور محدد له تأثيره في بقية الأفراد في الأسرة، حيث أنه من خلال ذلك الدور يحقق للآخرين هدف أو يشبع لهم حاجة، وبالتالي ينشأ الرابط الأسري ويقوى الرابط بزيادة الاعتماد وتبادل المنفعة، وفي تعرف أخر مقدم للعلاقات الأسرية يرى بأنها " طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة الذين يقيمون في منزل واحد "(سناء الخولي، 1974، ص68)، وبالتالي فإن العلاقة الأسرية هي علاقة تنشأ في حدود المكان الواحد وبالتحديد المنزل يحدث بينهم تفاعلات تتميز بالوُد والمحبة، وبالتالي فإن العلاقة الأسرية هي ارتباط عاطفي بالدرجة الأولى ونفعي بالدرجة الثانية (François de Singly, 2007, p77)، وبالتي فإن قوتها تعتمد على تحقيق هذين الأمرين كونها العلاقات الأسرية تقع بين الزوج والزوجة وبين الأبناء أنفسهم وبين الأبناء والآباء، وعليه فالعلاقات الأسرية ثلاث مستويات تختلف عن بعضها في طبيعة ودرجة الارتباط العاطفي والمنفعة الخاصة أو الذاتية، وفي السياق ولكن بصورة أكثر وضوح سوسيولوجية يرى التعريف الموالي أن العلاقات الأسرية هي " الروابط أو الآثار المتبادلة بين أفراد الأسرة الواحدة وهي روابط طبيعة تظهر وتنمو بنموهم ونمو مشاعرهم واحتكاكهم بعضهم البعض وتفاعلهم في بوتقة الأسرة، والتي يترب عنها قيام كل من الزوج

والزوجة والأبناء بأدوارهم"(Pierre Mercklé, 2013, p58) حيال بعضهم البعض بشكل اعتماداً متبادلاً متفاعلاً ومعتمد على الاتصال وطبيعة وسائله، وبالتالي فإن بتغير الأدوار الأسرية شكلا ومضموناً بتأثير من وسائل الاتصال الرقمية حدث تغير جوهري في العلاقات الاجتماعية الأسرية.

إن تغير العلاقات الاجتماعية الأسرية في المجتمع بدأت من التغيرات التي طرأت على الفرد ومن ثم الأسرة باعتبارهما آلية التغيير في المجتمع الكبير برمته(سناء الخولي،1974، ص186)، بمعنى أن التغيرات التي طرأت على الأسرة والعلاقات الأسرية نابع من تغيرات الفرد في تفكيره، دوافعه، واهتماماته، أهدافه، معارفه ...الخ من المحيط الضيق إلى مساحات زمنية ومكانية أوسع في عالم الافتراضي(لعليوات محمد، 2003، ص88) يفتقد للحواجز والموانع القانونية أو الأخلاقية أو القيمية، ومن ثم الحصول على إشباعات أكثر سعة وتحقيق اكبر قدر من الأهداف ممكن وأن تلك الاشباعات وتلك الانجازات أصبحت في متناول الجميع دون استثناء ودون عناء أو جهد وفي أقصر مدة زمنية، وبالتالي فقد غدت العلاقات الأسرية في العصر الراهن غير محصورة في البيت بل أصبح التفاعل يتم افتراضياً من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ليس اجتماعي مباشر وبالتالي العلاقات الأسرية في العصر الراهن فقد كثير من الحميمة والود المبني على قراءة ملامح الوجه واستنطاق المشاعر والأحاسيس، وملامسة اليد، والتقبيل والأحضان مما يجعلها أكثر ديمومة وقوة في مواجهة التحديات اليومية، والمشكلات الحياتية وتناقض المصالح والأهداف الأنانية...الخ في مقابل كسب خصائص أخرى، لم تبقى على الصورة التقليدية.

2.4. خصائصها: كسبت العلاقات الاجتماعية الأسرية في العصر الراهن الكثير من الخصائص الحديثة نتيجة الاستخدام الفج للوسائل الاتصال الرقمية في جميع مجالات الحياة دون استثناء الرسمية وغير الرسمية، والذي أدى بدوره إلى تغير كل القضايا ذات العلاقة المتعلقة بالفرد أو الجماعة، الرسمية وغير الرسمية، ومن أهم سمات العلاقات الاجتماعية الأسرية والتي تغيرات الآتي:

علاقة القوة: تعني كلمة القوة الصلبة والمتانة في مواجهة تحديات الحياة الاجتماعية اليومية (جويدة حماش، 2007، ص73) التي تواجه الجماعة الأسرية المكونة من عدد متشابك من العلاقات الاجتماعية، تعد العلاقات الاجتماعية الأسرية من أكثر العلاقات الاجتماعية قوة بالنظر إلى توافر أمرين أولهما الرابط الدموي بين أفراد الأسرة والواحدة والثاني الاتصال المباشر(François de Singly, 2007, p66)، حيث يرتب الأمر الأول أهمية الأفراد بالنسبة لبعضهم البعض التي يترتب عنها إلزامية القيام بما يجب القيام به في علاقته به (الأدوار في الأسرة)، في حين يعمل الأمر الثاني على قراء إيماءات الخارجية والتي تكشف عن انفعالات الوجدانية العاطفية للأشخاص الدالة على الرضا أو غيره ومن ثم يتم تبلور العلاقة، والمهم في هده الخاصية أنها أي القوة في العلاقة الأسرية متينة (سناء الخولي، 1974، ص101)، غير أن لما تحول الاتصال بين أفراد الأسرة الواحدة في الوقت الراهن إلى الافتراضي حيث يعتمد على

وسائل الاتصال الرقمي(لعليوات محمد، 2003، ص87) مما ترتب عنه غياب مفعولها المباشر وبالتالي قلت متانة العلاقة الأسرية وأصبحت علاقة هشة.

علاقة دائمة: تشير ديمومة العلاقة إلى وجود الرابط الدموي بوجود الأشخاص أنفسهم وعدم انقطاعه (Pierre Mercklé, 2013 , p53) وإن تباعدت المسافات بينهم أو قصرت لأن الرابط الدموي يتخلله الرابط الوجداني قوي ومتين، حيث يترتب عن هذين الرابطين أي الدموي والوجداني ديمومة العلاقة الاجتماعية الأسرية، والتي يترتب عه بدورها إلزامية قيام أطراف العلاقة بأدوارهم حيال بعضهم (وحيد أحمد عبد اللطيف، 2001، ص196) وهي جوهر العلاقة الاجتماعية الأسرية وبالتالي فإن العلاقة الأسرية دائمة الوجود ولا تزول إلا بزوال الشخص نفسه، حيث يترتب عنه زوال الدور الذي يقتضي القيام به الفرد اتجاه بقية أفراد الأسرة، لكن بوجود العالم الرقمي، حيث يتم التواصل من خلاله بين أفراد الأسرة لإشباع الحاجات ويكون تقصير في ذلك الإشباع.

علاقة مباشرة: تؤسس العلاقات الاجتماعية الأسرية على التفاعل المباشر(سناء الخولي، 1974، ص89) بين أفراد الأسرة والمواجهة الفردية بينهم في تحديد متطلبات الحياة الاجتماعية الأسرية وكيفية تحقيقها لأجل حياة اجتماعية مشتركة مستقرة لها القدرة على مواجهة تحديات الحياة الخارجية وما بها تناقضات قد لا يقدر الفرد بمفرده على مواجهتها، إضافة إلى أن التواصل المباشر يشعر الفرد بالاستئناس الأسري والدعم العاطفي(وحيد أحمد عبد اللطيف، 2001، ص109) الذي يعطيه يفرز عنده الكثير من القيم الاجتماعية أهمها الشعور بالانتماء لجماعة تحتويه وتذود عنه وتنمي فيه الشعور بالمشاركة في قضاياها وفي ذات الوقت الأمور الخاصة به، ومن ثمة تنشأ الدافعية وتشتد عند الفرد في القيام بالدور المنوط به في الجماعة الأسرية وتقديم العون لبقية أفرادها، غير أن دخول العالم الرقمي في حياة الفرد الخاصة، أصبحت هذه الأخيرة غير كذلك فأصبح القريب والغريب على حد السواء على اطلاع دائم بحيثيات الحياة التفاعلية للفرد (Pierre Mercklé, 2013, p91)، وبالتالي لم يعد الفرد الرقمي بحاجة ماسة للدعم الأسري في مقابل الدعم المتنوع ولأعداد كبيرة من الأفراد التي تزوده بالخبرات والآراء لمواجهة مشكلاته وفهم لصيرورة التحديدات.

علاقة عاطفية: إن أهم وظيفة تقوم بها الأسرة حيال أفرادها هي الوظيفة نفسية العاطفية، حيث تعمل على توفير العطف والرعاية والوجدانية الحبّ والحنان والسلام لهم (سهير أحمد معوض، 2009، ص117)، من خلال العيش بجوٍ هادئٍ آمنٍ، وخالٍ من التوتر أو القلق، وبالتالي تنشأ العلاقة الاجتماعية الأسرية على تنامي الروابط الوجدانية الطيبة بين أفراد الأسرة والواحدة ، وعليه فإن علماء الاجتماع أجمعوا على أن الأسرة تمد العلاقات المنشأة فيها بالقوة العاطفية التي تمكن الفرد من الإحساس بالإشباع العاطفي الذي يفرز عند أفرادها التوازن والاستقرار النفسي(وحيد، أحمد عبد اللطيف، 2001، ص121) الذي يمكنه من احتواء شخصية تتميز بالسلامة السلوكية في مختلف المواقف الاجتماعية الحياتية.

3.2. أهميتها: تكمن أهمية العلاقات الاجتماعية الأسرية في كونها الكيان الداخلي للأسرة، الذي يربط الوحدات البشرية المتمثلة الزوج والزوجة والأبناء وحتى الجدين، كما تربط الوحدات

الاجتماعية المتمثلة في الأدوار والمكانات الاجتماعية أولئك بعضها ببعض في كتلة تفاعلية تدعى الأسرة تتخللها شبكة من العلاقات الأسرية، حيث تلك الشبكة إلى مساعدة كافة أفراد الأسرة على الاندماج السوي (سهير أحمد معوض، 2009، ص87) في كافة الجماعات الاجتماعية غير الأسرة والتكيف معهم من خلال إمدادهم بالآليات المناسبة لذلك والتي تمكنهم من بناء شبكة علاقات اجتماعية مع الأفراد الذي ينتمون لتلك الجماعات، كذلك تعمل شبكة العلاقات الاجتماعية الأسرية على ترسيخ المبادئ الاجتماعية العامة، التي تعد قواعد عامة للتعاملات والسلوكات والتي تأخذ مقام القيم والخلاق(لعليوات محمد، 2003، ص48) وأهمها احترام الفرد وحرياته وتقدير القيم الاجتماعية للغير وكان مختلف في عقيدة أو إيديولوجية، كذلك من خلال شكة العلاقات الاجتماعية الأسرية يتحقق الشعور بالأمن والانتماء، الذي يؤكد الارتباط بالآخرين من داخل الأسرة وخارجها (لعليوات محمد، 2003، ص50) وبالتالي سلامة بنية الشخصية للأفراد الأسرة، كما أن البناء السليم للشخصية الذي تحققه العلاقات الاجتماعية الأسرية يمكن الفرد من اكتشاف جوانب كامنة في ذاته وفي شخصيته.

ومن هنا فإن كل الأهمية السالفة الذكر لشبكة العلاقات الاجتماعية الأسرية، تتمحور حول حقيقة واحدة أساسية حقيقة تتمثل في توحيد الجهود بين مختلف الفاعلين في الأسرة في بناء شخصية اجتماعية سليمة (جويدة حماش، 2007، ص127) لها من القدرة والمهارات والصفات مع يمكنها من التفاعل مع الآخرين بإيجابية وقوة في الوسط الاجتماعي الفسيح بكل تناقضاته واختلافاته البنائية والوظيفية، من هذا المنطلق العلاقات الاجتماعية كيان يتخلل الحياة الاجتماعية الموجودة في الجماعة الاجتماعية وإحداها الأسرة وبالتالي فإن الأسرة لا تقوم ولا يمكن القيام بوظائفها اتجاه الفرد داخلها والمجتمع الذي يحتويها التي من خلال استقرار شبكة العلاقات الاجتماعية الأسرية وقيامها بوظائفها.

3.أنواع العلاقات الأسرية:

طبقاً تحديدات التي قدمها علماء الاجتماع الأسرة فإن شبكة العلاقات الاجتماعية الأسرية تتضمن ثلاث أنواع من العلاقات الأساسية كلها لها علاقة بعضها ببعض وطيدة، لكن وفي نفس الوقت مختلفة عن بعضها البعض إلى حد بعيد جداً، وبالتالي فإن تأثيرها في بناء خصية الأفراد في الأسرة مبني على ارتباط العلاقات بعضها ببعض وعلى اختلافها الجوهري كذلك، وبالتالي فإن فهم ذلك التأثير يبدأ أولا من فهم الأنواع كل على حدا.

1.4. العلاقات الزواجية: تعد العلاقة الزواجية هي العلاقة الوحيدة التي تؤسس لوجود أسرة اجتماعية، هي رابط جنسي وجداني ينشأ بين رجل وامرأة عن طريق الزواج تتطور لتأخذ مكانها نفسياً عاطفياً وحتى اجتماعيا(Jean-Claude Kaufmann), 1993, p197)، وبالتالي يترتب عنه جملة من الحقوق والواجبات للكل من الطرفين، والتي صنفت من طرف علماء الاجتماع بالأدوار الزواجية، حيث أنه من خلال أداءهم لها تتوطد مشاعر المودة والرحمة والتعاطف بينهما التي تعزز الاستئناس، الذي ينقل عن طريق المحاكاة لبقية أفراد الأسرة، وبالتالي فإن العلاقة الزوجية التفاعل بين الزوجين والسلوك الذي يصدر عنهما حيال بعضهما(François de

Singly, 2007, p142)، ومن ثم هي ارتباط يحقق أهداف ومنافع الزواج وقد تتجاوز في تأثيرها الزوجين لتصل بالمحاكاة لبقية أفراد الأسرة.

من المنظور السوسيولوجي، إن العلاقة الزواجية تتجاوز في كينونها رابط جنسي وجداني بين رجل وامرأة لتصل قوتها إلى علاقة اجتماعية تحاكي دور هام يتجاوز في تأثيراته حدود الفاعلين أي الزوج والزوجة ليصل إلى مستويات علائقية أخرى داخل الأسرة وهي العلاقة الأبوة أو الأمومة وعلاقة الأخوة، بحيث أن كل طرف من تلك الأطراف هو كائن نفسي، اجتماعي وثقافي له، يتأثر ما يحدث في محيطة بشكل واعي وغير واعي ومباشر وغير مباشر(François de Singly, 2007, p110)، إذ كل ما يحدث من تفاعل بين الزوجين إيجابي أو سلبي، يعكس الاهتمام والعاطفة الايجابية القوية والتجاذب أو العكس ينقل تلقائياً من خلال التفاعل كذلك إلى تلك المستويات، وبالتالي تبعاً لتلك الحالة التفاعلية ينقل رصيد من المعارف الاجتماعية والثقافية يتخللها شحنات الوجدانية العاطفية (سهير أحمد معوض، 2009، ص149)، حيث يسهم هذا الرصيد في إعطاء قوة معينة للأفراد للقيام بأدوارهم الذي حددته جملة من القيم الاجتماعية الأسرية والتي على إثرها تتشكل تلك العلاقات أي علاقة الوالدية وعلاقة الأخوة (لعليوات محمد، 2003، ص79)، وفي ذات الوقت، تتشكل شخصية معينة عند الأفراد وخاصة الذي لم يكتمل نموه الوجداني العقلي والنفسي الاجتماعي.

إن التغيرات التي حدثت في الأسرة نتيجة تغلغل العالم الرقمي جعلت التفاعل افتراضي يتم عن طريق الآليات التواصل الاجتماعي، في تبادل المعلومات الخاصة والاهتمامات المتعلقة بالأولاد باعتبارهم محور اهتمام الزوجين القوي وتبادل الأحداث اليومية وبما تحمل من مسرات وتوترات، اتفاقات واختلافات، مما جعل كثير من المشاعر تخبو بين الزوجين، هذا إضافة إلى انخفاض درجة الاعتمادية المتبادلة بين الزوجين نتيجة وجود اعتماد موازية للزوجين كل على في العالم الافتراضي الذي يرفع الحرج في التواصل خاصة، اعتماداً مع أشخاص غير الزوج وفي القضايا الخاصة (**François de Singly, 2007, p119**)، بمعنى وجد تنفيس في غير الزوج، هذا أثر على أداء الزوجين لأدورهما اتجاه بعضهم البعض مما أفرز خلل في العلاقة الزوجية والتي تؤدي بدورها خلل في شبكة العلاقات الأسرة برمتها.

2.4. العلاقات الوالدية: تنشأ هذه العلاقة بمجرد الإنجاب، حيث يترتب عنه وجود الكائن البيولوجي ذا الملكات الفطرية والفاقد لكل قدرة في التعايش مع الغير والاعتماد على ذاته (سهير أحمد معوض، 2009: 39)، وبالتالي فإن دور الوالدين الكامن في العلاقة يتمثل في تحويل الفرد إلى كائن اجتماعي له من القدرات والمهارات الاجتماعية في التواصل والتعامل مع الغير والدخول معهم في تفاعل مستمر يمكنه من القيام بدوره الاجتماعي حيالهم، من هنا فإن العلاقة الوالدية تتشكل بشكل تدريجي عميق كلما تغلغل الوالدين في قيامهما في دورهما حيال الأبناء والتزاماً به تشكت علاقة ايجابية بين طرفي العلاقة أي الأبناء والآباء، وبالتالي فإنه من خلال علاقة الوالدية أي علاقة الآباء بالأبناء تتم عملية التنشئة الاجتماعية أو عملية التطبيع (Martine Segalen, 2000, p79) التي تعد أهم دور للوالدين اتجاه أبناءهم والذي من خلاله أي الدور تتشكل بنية الشخصية الخاصة بهم، حيث أن طبيعة العلاقة الوالدية تعكس أسلوب المعاملة

الوالدين لأبنائهم (سهير أحمد معوض، 2009، ص42)، حيث أنه إذ كان الأسلوب يدل على **القبول الوالدي فإن يتخلل العلاقة بالحب الذي يبديه الوالدين للطفل والتأييد في المواقف المختلفة، وهذا يؤدي إلى تكوين شخصية بعدد من السمات الشخصية المرغوب فيها لدى الطفل، أما إذا كان الأسلوب يدل على الرفض الوالدي للطفل فإنه العلاقة القائمة بينهما يتخللها الإهمال، العقاب البدني، ومن هنا فإن تتكون شخصية بعدد من السمات الشخصية غير المرغوب فيها اجتماعياً لدى الطفل.**

إن التغيرات التي حدثت في الأسرة كوحدة اجتماعية نتيجة تغلغل استخدامات الآليات التواصل الاجتماعي للعالم الرقمي، جعلت التفاعل افتراضي يسيطر على علاقة الآباء بأبنائهم، حيث يمضي الأبناء ساعات طويلة من اليوم متواصلين مع أقرانهم في تبادل المعلومات والأخبار والإطلاع على الجديد في مختف المجالات الحياتية العامة والخاصة وتبادل الاهتمامات وتوسيعها خاصة وأن العالم الافتراضي عالم مفتوح لا حدود له ولاستخداماته ويشبع فضول الأطفال والشباب وشغفهم (**François de Singly, 2007, p132**)، مما جعل الاحتكاك المباشر بين الآباء بأبنائهم طفيف وأن الرصيد المعرفي المأخوذ من الآباء ليس مصدره الآباء فقط وكذلك أن شطر كبير جدا مكتسبة الأبناء من تواصهم مع العالم الافتراضي، الذي يتنقل لهم كثير من المعارف الاجتماعية المختلفة عن واقعهم الاجتماعي والمختلفة المنبع، والتي قد تحدث تشوه في شخصية الأفراد داخل الأسرة.

3.4. العلاقات الأخوة: تنشأ علاقة الأخوة من تواجد طفلين فأكثر في الأسرة يعيشون فيها ويتلقون فيها مجموعة مختلفة من الخبرات خلال معيشتهم المشتركة (Martine Segalen, 2000, p79)، وتتميز العلاقات بين الأخوة بالإشباع العاطفي والشمول لجميع القضايا التي تشغل الأفراد، وهي علاقة تشبه إلى حد كبير علاقة الصداقة بين الغرباء إضافة إلى الرابط الدموي لأنها تتسم بكثير من الصراحة في التصرف والتعامل والوضوح والتحديد في الأهداف ومستويات الارتباط والتعاون داخل الأسرة (لعليوات محمد، 2003، ص55)، حيث ينبغي أن تُبنى على روح الودّ والتراحم والحب والتعاون وهذه مسؤوليّة الأبوين في غرس تلك المعاني في مدركات ووعي البناء منذ نعومة أظافرهم، وتتجسد تلك المسؤولية من تعلّم السلوك من الوالدين بالتوجيه المباشر أو محاكاتهم لتصرفات الوالدين في الحياة اليومية، وبالتالي فإن علاقة الأخوة علاقة التي يتخللها التعاون والتشارك والمحبة وتبادل الاهتمامات والانشغالات تغرس في شخصية الفرد منذ نعومة أظافرة (Éric Maigret, 2015, p95)، ومن ثم فإن الأخوة يؤدون أدوارهم حيال بعضهم البعض باهتمام وحرص، والعكس ذاته في حالة كان الوالدين فقدوا الاهتمام بأبنائهم أو توجيهه اهتماماتهم بإخوانهم، والمهم في الأمر أن علاقات الأخوة مستويات تتوزع على الأعمار، حيث أن مسؤوليات الأخوة الكبار ليس كالصغار، حيث تقسم الأدوار هنا حسب القدرات والمهارات الاجتماعية والخبرات الاجتماعية، كذلك مسؤوليات الأخوات ليس الأخوة الذكور، حيث تقسم الأدوار هنا حسب الجنس، وعليه فإن الدوار بين الإخوة تختلف ومن ثمة العلاقات المترتبة عنها تختلف كذلك، وبالتالي فإن كل دور أو علاقة من علاقات الأخوة لها دور عين عميق الأثر في

بناء شخصية الأفراد وصقلها وتحويل المهارات والخبرات الاجتماعية الضرورية لحياة اجتماعية مستقرة ومتوازنة.

إن التغيرات التي حدثت في الأسرة نتيجة تغلغل العالم الرقمي وتأثرت بها كل البنى العلائقية الأسرية جعلت التفاعل بين الأخوة افتراضياً؛ في كثير من المواقف الاجتماعية العامة والخاصة، داخل نطاق البيت أو أخارجه؛ يتم باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي(عباس مصطفى صادق، 2008، ص63)، مما جعل الاحتكاك المباشر بين الأخوة ضعيف إلى حد التلاشي في كثير من المواقف الحياتية، حيث فقدت علاقة الأخوة المرح واللعب والمعاكسات والمشاكسات التي تجعل الجو الأسري يعج بالحركة والضحك أو البكاء الذي يترتب عنه التقرب والتسامح ...الخ لينتقل البيت إلى حالة من الهدوء الدائم الذي ينم على الاغتراب النابع من الاختلاف الجوهري للجم المحولة والقيم السارية المفعول في الجماعة الأسرية (لعليوات محمد، 2003، ص33) وعدم التفاعل الاجتماعي السليم الذي يجعل المساعدة تتخلل رابطة الأخوة والعاطفة الفطرية السليمة أيضا، ومن هنا فإن علاقة الأخوة عند هذا الحد من الاغتراب فقدت الكثير من التأثير في قيامها بالدور المنوط بمكانات الإخوة حيال بعضهم البعض.

5.أثرها على الشخصية الاجتماعية:

مما سبق يتضح أن شبكة العلاقات الأسرية تأثر بشكل كبير في بناء الشخصية الاجتماعية لأفرادها من خلال نقل الخبرات ومهارات الاجتماعية التي تعد الرصيد الاجتماعي للأسرة، وبالتالي فإنه بتغير هذا الأخير تتغير بنية وقوة العلاقات الاجتماعية الأسرية وبالتالي تتغير مدلولات بنية الشخصية الاجتماعية في أهم عناصرها المتمثلة في الرصيد المعرفي الاجتماعي، المهارات الاجتماعية، وأخيرا القوة الذاتية.

1.5.الرصيد المعرفي الاجتماعي: يعد الرصيد المعرفي الاجتماعي أهم معطي اجتماعي يُبرز الاختلافات العميقة بين مختلف المجتمعات الإنسانية منذ القديم، وعليه فإن علماء السوسيولوجية والأنثروبولوجية إعتبره هو جملة المعارف العامة والخاصة للإنسان والعقيدة والفن والقانون والأخلاق والعادات والتقاليد وغيرها من القدرات التي يتحصل عليها المرء كعضو في جماعة (Ralph Linton, 1977, p92)، تشمل مجموعة الأفكار، والقيم، والمعتقدات، والتقاليد والعادات والأخلاق والنظم والمهارات، وطرق التفكير، وأسلوب الحياة، والعرف والفن والأدب والرواية ووسائل الاتصال والانتقال، وكل ما يتوارثه الإنسان عن غيره بدءً من الأسرة وما تحمله من علاقات اجتماعية يرتبط بها الفرد مع غيره من الأفراد، حيث أن تفعيل ذاك الرصيد يمكن حامله من بلوغ درجة مناسبة من الاحترام والتقدير في وسطه وحياته الاجتماعية.

لقد أصبح الفرد في العصر الراهن عصر الإعلام الرقمي أو الافتراضي يمتلك رصيد معرفي اجتماعي متنوع جداً، حاكاه من العلاقات الأسرية التي لم تؤدي أدوارها كما يجب في غربة وتنقيح الرصيد المعرفي الاجتماعي، بل نقلته وقد حمل في ثناياه عدم الاهتمام، مجوف من العواطف الدافئة، مفرغ من القيم الأصيلة للمجتمع، ومن ثم فإنه الرصيد الاجتماعي للفرد المعاصر يفتقد إلى التناغم والانسجام بين مضموناته وقد يتناقض في كثير من الأحيان تناقضاً غير مفهوم، غير مقبول وغير فاعل في تحديد السلوك المطلوب أو تحديد المطلوب من الفرد في

جماعته أصلاً وهو متواصل مع العالم الكبير المفتوح الحدود(عباس مصطفى صادق، 2008، ص71-78) الذي تذوب في خضم تفاعلاته السريعة المتغيرة تلك الجماعة الصغيرة وإن كانت مجتمع برمته، وهنا تقع شخصية الاجتماعية للفرد في حالة تشويش بين ما يجب القيام به لأجل إثبات جدارته وتحقيق قناعاته وتجسيد ثقته بنفسه، لأن هذه الأخيرة ليست مرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، حيث أن هذا الأخير لا يحتوي على الترابط الوجداني وتساند السلوكي الذي يعكس اهتمام الأفراد بعضهم ببعض، ومن هنا فإن شخصية الاجتماعية للفرد لم تعد اجتماعية حقيقية بل إفتراضية.

2.5.المهارات الاجتماعية: هي قدرة الفرد علي التفاعل مع الآخرين في البيئة الاجتماعية بطرق متعددة ًتعد مقبولة اجتماعياً وذات فائدة متبادلة، وهي القدرة علي إحداث التأثيرات المرغوبة في الآخرين والقدرة علي إقامة تفاعل اجتماعي ناجح معهم ومواصلة هذا التفاعل (Dufrenne Mikel, 1953, p141)، وقد حدد علماء الاجتماع الذين اهتموا بدراسة الشخصية الاجتماعية أبرع مستويات من المهارات التي تمكن الفرد الذي يتمتع بالشخصية الاجتماعية من التفاعل في الواقع الاجتماعي بجدارة، أولها المهارات الاجتماعية العامة، وتشمل السلوكيات المختلفة المقبولة اجتماعيا والتي يمارسها الفرد بشكل لفظي أو غير لفظي أثناء التفاعل مع الآخرين، أما الثانية فهي المهارات الاجتماعية الشخصية، ويقصد بها التعامل بشكل ايجابي مع الأحداث والمواقف الاجتماعية، أما الثالثة مهارات المبادرة التفاعلية وتتمثل في القدرة على المبادرة بالحوار، والمشاركة، والتفاعل، وفي هذه النقطة يتسم عمل المعلم الفعال بالمبادرة والنزول إلى الحياة الاجتماعية الواقعية، ويجب أن يكون لدية القدرة على التفاعل والقدرة على المبادأة بالحديث والقدرة على تقديم المساعدة، وأخيراً مهارة الاستجابة التفاعلية وتعكس القدرة على الاستجابة لمبادرات الغير من حوار أو شكوى أو طلب المساعدة أو المشاركة(أحمد عبد الخالق،1987، ص259) في مختلف الأنشطة الاجتماعية، وبالتالي فإن هذه المهارات عموماً تمكن الفرد ذا الشخصية الاجتماعية من الاندماج في أي جماعة دون معيقات والتكيف مع فاعليها دون حواجز فكرية أو سلوكية.

إن فقد الانسجام الفكري والثقافي للفرد، يترتب عنها فقده قوة الثبات والاستقرار في المواقف والقرارات، مما جعل الفرد متذبذب في قيامه بأدواره الاجتماعية المتعلقة بأفراد أسرته أو الجماعات الاجتماعية الأخرى التي ينتمي إليها الرسمية كمؤسسة العمل، الحزب ...الخ وغير الرسمية كهيئة الحي، جماعة النادي، جمعة المقهى...الخ، وقد فقد الفرد قدرته على التواصل مع غيره في العالم الاجتماعي الحقيقي الواقعي(بهاء الدين محمد مزيد، 2012، ص212-217)، حيث يرى أرائهم ساذجة بسيطة لا معنى لها، كما أن كثير ما تجد الحوار يتخلله الصراخ، الغضب، العنف وفي أحسن الأحوال الانسحاب في منتصف الحوار اعتراف منه بعدم قدرته على الإقناع أو الاقتناع، وهذا لدليل على فقدان مهارات المبادرة والاستجابة التفاعلية، كما يفقد الفرد المعاصر التعامل بايجابية مع الأحداث اليومية ومواقف الحياة الاجتماعية سواء بأنه يرفض الطرف الخصم جملة وتفصيلاً وإن كان على الحق، أو انه يناقش تلك الأحداث دون النظر إلى

جميع الأطراف المتضررة أو المستفيدة من الحدث، وهذا دليل على ضعف المهارات الاجتماعية العامة والشخصية.

3.5.القوة الذاتية: تشير القوة الذاتية إلى قوة الشخصية الاجتماعية الدالة على الألفة والمحبة والحضور القوي والهيبة وهي المكانة الاعتبارية في المجتمع (Pierre Mercklé, 2013, p113)، حيث الفرد ذا القوة الشخصية الاجتماعية باحترام كل شرائح وفئات المجتمع وثقتهم مما يجعله ذا حب اجتماعي ويتميز بالتفاف أفراد المجتمع حوله وتأييده في قراراته ومواقفه، مما يؤدي إلى توطيد التعاون وتبادل المنافع بين الأفراد وتعزز شراكة الحياة الاجتماعية، وبناءً عليه فان الفرد ذا الشخصية الاجتماعية يعيش حياة سهلة وسعيدة وبسلام ومحبة ورفاه ويسر وتكون سبل الحياة مفتوحة أمامه(حامد زهران، 2005، ص51-57) وإن واجهته صعوبات تكون له القدرة على تذليلها، ومن هنا تتشكل قوة الثقة بالنفس التي تعتبر سمة أساسية في الشخصية الاجتماعية في المجتمع وبين الأفراد في الواقع الاجتماعي الحقيقي، غير أن دائرة التفاعلات الاجتماعية تنوعت واتسعت لدرجة لم يعد السيطرة عليها أو تقويضها في الوقت الراهن(Éric Maigret, 2015, p117) الذي انتشرت فيه الرقميات العالم الافتراضي، حيث أن الفرد في المجتمع المعاصر أصبح ينهل المعارف من كل المنابع دون استثناء ويتشرب منها بقناعة أو دونها.

إن فقد الفرد القدرة على تفهم أفكار الآخرين، إضافة إلى فقد القدرة على إدارة الحوار في الجلسات الرسمية وغير الرسمية، إضافة إلى أن اللجوء في الحوار إلى الصراخ، الغضب، العنف أو تركه قبل الانتهاء دليل على ضعف الحجة أو ضعف القناعة أو الخوف من الدخول في تفعل يلزمه بايجابية موقفية يترتب عنه اتخاذ قرار وهو يعي عدم قدرته على المواجهة، وهذا يعني أن الفرد في المجتمع المعاصر الذي طغت على تفاعلاته الرقمنة والعالم الافتراضي(بهاء الدين محمد، 2012، ص163) يفتقد للشخصية الاجتماعية الرزينة دليل على ضعف قوته الذاتية وضعف ثقته بنفسه وعدم القناعة بالمكتسبات الفردية والمجتمعية خاصةً لأنه يرى أن هذه الأخيرة غير قادرة على مواكبة التطورات الحاصلة في العالم والتي على اطلاع بحيثياتها أو أنها تحدث تطوراً ما ناتج من كينونتها الثقافية الاجتماعية، حيث أنه في كثير من المواقف يقف لصف الرصيد المعرفي الاجتماعي الخاص بجماعته الاجتماعية وفي مواقف أخرى يتبنى الثقافة العالمية المكتسبة من العالم الافتراضي(Éric Maigret, 2015, p122-137)، أي أن الشخصية الاجتماعية للفرد المعاصر تقع في سلسلة من التناقضات تحول دون الوقوف المتوازن، بمعنى أن الفرد المعاصر له شخصية تتأرجح بين نموذجين ثقافيين متناقضين مما أفقده التوازن والتوافق النفسي والاندماج والتكيف الاجتماعي.

خاتمة

إن نتيجة المتوصل إليها بعد المعالجة المفهمية التصورية لجملة العلاقات المعرفية التصورية بين مصطلحي عولمة العلاقات الأسرية والشخصية الاجتماعية، ومؤشراتهم، مفادها أن الشخصية الاجتماعية التي يتمتع بها أفراد الأسرة هي وليدة تفاعلات الأفراد فيما بينهم وتفعيل خبراتهم الاجتماعية، وبما ان تفاعلات هؤلاء الأفراد أصبحت افتراضية فإنهم ومن ثم فإنهم

أصبحوا يتمتعون بشخصية اجتماعية افتراضية تستجيب لمثيرات المحيط العالمي والمجتمع الإنساني العالمي، كأن شخص في ألمانيا يتفاعل مع هدم البيوت في قرية السودان أو شخص في الجزائر يقدم خدمات لفئة من الشباب المهاجر السوري أو الشباب الأمريكي يتعاطفون مع مضطهدي بورما ...الخ، وبالتالي فإن الرصيد المعرفي الاجتماعي أصبح عالمي والمهارات الاجتماعية أصبحت رقمية، والتالي حتى قوة الشخصية الاجتماعية تنتعش من الألفة القائمة على الاتصال الرقمي، وتولد الاهتمام المشترك بالقضايا الخاصة المعممة والعامة المخصخصة، حيث أن كل القضايا أصبحت عامة حتى الخاصة منها والحميمية وتعرض على مواقع التواصل الاجتماعي وتناقش على الملأ وبالتالي لم يعد هناك أمور خاصة، هذا يعني أن الحضور الفرد العالم الافتراضي القوي للشخصية الاجتماعية الافتراضية ليست الحقيقية التي ذابت في ثنايا هذه الأخيرة، وهنا يمكن الجزم أن الشخصية الاجتماعية تحولت إلى الافتراضية من خلال محاكاة الفرد للعلاقات الأسرية الافتراضية أو المعولمة.

قائمة المراجع

1. أحمد عبد الخالق(1987)، الأبعاد الأساسية للشخصية، ط4، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
2. بهاء الدين محمد مزيد(2012) المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية، كتاب الوجوه نموذجاً، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
3. جويدة حماش،(2007)، بناء الشخصية(مقاربة في السرديات)، منشورات الأوراس، الجزائر.
4. حامد زهران(2005)، الصحة الفسية والعلاج النفسي، ط4، مصر، عالم الكتب.
5. ذياب فوزية(1966)، القيم والعادات الاجتماعية، القاهرة، دار الكتاب العربي
6. .سناء الخولي(1974)، الأسرة في عالم متغير، دار الهيئة المصرية، مصر.
7. سهير أحمد معوض(2009) علم الاجتماع الأسري، مركز التنمية الأسرية، السعودية.
8. عباس مصطفى صادق(2008) الإعلام الجديد، دار الشروق، عمان، الأردن.
9. عثمان فراح، عبد الغفار(1977)، الشخصية وعلم النفس الاجتماعي، القاهرة: دار النهضة العربية.
10. غيث محمد عاطف، (1992)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
11. لعليوات محمد(2003)، القيم والأعراف قراءة في التحولات الاجتماعية، ط1، بيروت، دار الواحة.
12. لمعايطة خليل عبد الرحمن(2000)، علم النفس الاجتماعي، عمان، دار الفكر.
13. وحيد أحمد عبد اللطيف(2001)، علم النفس الاجتماعي، عمان، دار المسيرة.

14.Dufrenne Mikel(1953), La personnalité de base. Un concept sociologique, PUF, VIII, Paris.

15.Éric Maigret(2015), *Sociologie de la communication et des médias*, edit Colin, Paris.

16.François de Singly(2007), Sociologie de la famille contemporaine, edit Armand Colin, 3e édit, Paris.

17.Jean-Claude Kaufmann(1993), Sociologie du couple, edit PUF, Paris.

18.Martine Segalen(2000), Sociologie de la famille, edit Armand Colin, Paris.

19.Pierre Mercklé(2013), Sociologie des réseaux sociaux, paris, edit la Découverte.

20. Ralph Linton(1977), Le fondement culturel de la personnalité, traduise par de Jean-Claude Filloux, edit Bordas, Paris.

التحضر وإشكالية المفهوم:
نحو آفاق علمية جديدة في دراسة علم الاجتماع الحضري

Urbanization and Conceptual Problem: Towards a New Scientific Perspective in the Study of Urban Sociology

أ. محمد بو النعناع، جامعة محمد الخامس بالرباط- المغرب

ملخص: يهدف هذا المقال إلى إعطاء نظرة عامة، دون أن تكون شاملة، عن قضية التحضر وإشكالية المفهوم، وذلك باعتماد مقاربة نظرية تحليلية تسعى إلى رصد وتحليل أهم المساعي النظرية التي حاولت تحديد ومقاربة مفهوم التحضر، مع إبراز البعد الإشكالي فيه، والذي يبرز من خلال ثلاث عناصر كبرى: أولا صعوبة تحديد المفهوم، ثانيا تعدد وتنوع الاتجاهات النظرية المتعلقة بالتحضر، ثالثا اختلاف مظاهر التحضر وطبيعة المجتمعات التي تعيش الظاهرة الحضرية.

كما سيحاول هذا العمل، استنادا إلى نوع من النقد والمقارنة، تحليل حدود وإمكانات مختلف التحديدات والتعاريف التي أعطيت لمفهوم التحضر، وذلك بغية الكشف عن قيمتها وطبيعة الوظيفة التي يمكن أن تؤديها داخل الخطاب السوسيولوجي الذي يهتم بقضايا المجتمعات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التحضر، الظاهرة الحضرية، الاستقرار الحضري، نشوء المدن.

Abstract: This article aims to give an overview, but not a comprehensive, about the issue of urbanization and the problem of concept. The second is the difficulty of defining the concept, the second is the multiplicity and diversity of the theoretical trends related to urbanization, and the third is the different manifestations of urbanization. And the nature of societies living in the urban phenomenon.

This work, based on a kind of critique and comparison, will attempt to analyze the limits and possibilities of the different definitions and definitions that have been given to the concept of urbanization in order to reveal their value and the nature of the job they can perform within the sociological discourse that deals with the issues of contemporary societies.

Keywords: urbanization, urban phenomenon, urban sedentarization.

مقدمة:

إن الحديث عن موضوع التحضر والكتابة حوله، هو في الواقع، محاولة قديمة قدم الحضارات الإنسانية. حيث شكلت المدينة موضوعا للتفكير والدراسة منذ القدم، "على اعتبار أن نمط الاستقرار الحضري نمط قديم"(مصطفى عمر التير، 1995، ص9).

ولذلك اهتم العلماء والمفكرون الاجتماعيون على اختلاف توجهاتهم الفكرية بتناول قضايا التحضر، كما استأثرت ظاهرة التحضر ونشوء المدن وتطورها، باهتمام عدد من الباحثين والدارسين قديما وحديثا، حيث الإهتمام بظروف وسياقات نشأة المدينة، وتحديد خصائصها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

بيد أن حقل الدراسات الحضرية لم يتحدد بوضوح حتى عهد قريب، حيث ستصبح المدينة مع الفترة الحديثة، موضوع اهتمام الكثير من الباحثين في تخصصات متعددة، وستظهر مجموعة من الدراسات التي اتخذت من المدينة موضوعا لها لخدمة حقول معرفية مختلفة وخاصة علم الاقتصاد والسياسة والجغرافيا والتاريخ.

غير أن الاهتمام السوسيولوجي بموضوع التحضر لن يتأتى إلا بعد قيام ما يعرف لدى الباحثين في علم الاجتماع "بمدرسة شيكاغو" وبالتالي تأسيس فرع جديد ومستقل يختص بميدان الدراسات الحضرية، دون أن ننسى أن التأسيس العلمي لدراسة الظاهرة الحضرية ابتدأ خصوصا مع الرواد الأوائل في علم الاجتماع، ويتعلق الأمر بكل من ابن خلدون وهيربرت سبنسر (Herbert Spenser) وأوگيست كونت (August Compte) وكارل ماركس (Karl Marx) في مرحلة أولى ثم ماكس فيبر (Max Weber) وإميل دوركايم (Emil Durkheim) وجورج سيمل (George Simmel) وغيرهم في مرحلة ثانية.

وبعد ذلك، أصبح التحضر يشكل موضوعا أساسيا لكل العلوم الاجتماعية مجتمعة، بحيث يصعب على علم بعينه فهم الواقع الحضري بمختلف جوانبه، وذلك راجع بالأساس إلى تعدد الإشكالات المرتبطة بالمجال الحضري وتشعبها، وهو ما أدى إلى تنوع واختلاف المداخل النظرية والمقاربات المنهجية التي تناولت الموضوع.

كما تباينت تبعا لذلك طرق تطبيق هذه المداخل والمقاربات على مختلف المجتمعات نظرا لتباين بنيتها ومستوياتها وتركيباتها الحضرية، لكن "تنوع هذه المداخل لا يعني نوع من العزلة العلمية بقدر ما يعني الثراء الفكري، خاصة إذا ما كان الاهتمام متعلقا بظاهرة معقدة متعددة الجوانب كالمدينة"(السيد الحسيني، 2000، ص5).

أولا: عن تحديد المفهوم

في ظلال الاعتبارات السابقة، سنحاول الآن إلقاء الضوء على مفهوم التحضر باعتباره مفهوما مركزيا في دراسة علم الاجتماع الحضري، فهو من أكثر المفاهيم التي شهدت تعاريف عدة في حقل الدراسات السوسيولوجية، حيث استخدم في مختلف الكتابات التي تناولت المجتمعات المعاصرة على عدة مستويات، سواء من حيث أنماط حياتها الاجتماعية أو من حيث بنائها الديموغرافي والاقتصادي.

كما أن تعدد وتنوع الزوايا التي نظر منها علماء الاجتماع في مقاربة موضوع التحضر، جعلت المفهوم عاما وغاضا وغير دقيق، بل مبهما أحيانا حتى في إجرائيته التحليلية. وهو ما دفع بأحد الباحثين المغاربة إلى القول بأن "الصعوبة الأولى التي يصادفها الدارس في علم الاجتماع الحضري هي غياب وغموض المصطلحات التي تتداول في هذه الدراسات"(بوشنفاتي بوزيان، 1988، ص7)، ولذلك نجد الباحث الفرنسي جاك ڤيرون (Jacques Veron) نفسه يقر في أحد أعماله حول التحضر في العالم بصعوبة تحديد مفهوم التحضر (Jacques Veron, 2006, p12-18).

ونحن في هذا المقام، وأمام استحالة إيجاد تعريف واف شامل ومانع لظاهرة التحضر، سوف نقتصر فقط على محاولة تقصي وتحليل بعض التعريفات الأساسية التي وردت في مجموعة من الكتابات، والتي بدت لنا مهمة في هذا الإطار.

وبداية، إن مفهوم التحضر جاء من الكلمة اللاتينية «Urbs» التي "كان الرومان يستخدمونها للدلالة على المدينة، وبخاصة مدينة روما"(هناء محمد الجوهري، 2009، ص13)، وفي اللسان العربي نجد لفظ "حضر" من الحضور نقيض المغيب، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، وهو المقيم في المدن والقرى، والحاضرة خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار". (ابن منظور، الأنصاري الإفريقي المصري، 2003، ص229-231)، ويضيف المنجد في اللغة والعلوم والآداب على مادة حضر كلمة "تحضر" وذلك في ذكره: "أن البدوي تشبه بأخلاق الحضر فتحضر"(محمود الكردي، 1986، ص30).

وفي معجم العلوم الاجتماعية نجد أن التحضر هو "الانتقال من الحياة الريفية إلى حياة الحضر، وهذا الانتقال قد يكون بسبب الهجرة، وفي هذه الحالة يتعين على الشخص أو الجماعة أن تتكيف مع النظم والقيم السائدة في المدينة، وقد يكون التحضر بسبب اتساع نطاق المدن، ووصول أساليب الحياة الحضرية إلى بعض المناطق الريفية. وفي هذه الحالة يكون الانتقال عادة تدريجيا من حياة الريف إلى حياة الحضر"(السيد محمد بدوي، 1975، ص123).

ولعل المعنى هنا واضح تمام الوضوح، ذلك أن التحضر يمكن أن يعني إما انتقال السكان إلى المناطق الحضرية واستقرارهم بها أو انتشار أنماط السلوك وأساليب التفكير الحضرية في المجالات القروية والبدوية، كما يمكن أن يعني التحضر عموما "كل استقرار يحققه الفرد في مكان ما بشرط أن يكون لأمد بعيد. ومن ثم كان مصطلح البداوة يعني بمعناه الضيق السعي من مكان لآخر وراء المرعى"(الكردي، دس، ص30).

وعلى هذا المستوى يمكن أن نعود إلى محمد بهضوض الذي يرى أن التحضر "يفيد معنى الاستقرار في مكان معين، ومزاولة مهنة أو عملا يتطلب الاستقرار، وبهذا المنظور كان الاستيطان الزراعي والعمل في الزراعة المستقرة أول علامة لتحضر الإنسان وبناء الحضارة الإنسانية(محمد بهضوض، 2012، ص15).

وعلى أية حال، فإن التحضر يطرح صعوبات أيضا فيما يتعلق بالتعاريف الموجودة الآن، "ويتم استخدام على نطاق واسع مصطلحات التحضر (Urbanisation) والتمدن (Urbanisme)، وأحيانا يتم استعمالها بشكل مترادف"(Ernest Bergel, 1955, p9).

ولئن كان الأمر كذلك فإنه بإمكاننا القول، إن مفهوم التحضر يرتبط بمجموعة من المصطلحات الأخرى القريبة منه، وهو ما يطرح صعوبات في التمييز بينها، حيث لاحظنا من خلال مجموعة من الكتابات أن مصطلحات مختلفة، تطلق على ظاهرة واحدة، غير أن الأمر في الحقيقة، يسترعي الانتباه إلى هذه المصطلحات والتمييز بينها، وتحديد مدلولاتها ومعانيها بكيفية واضحة قدر المستطاع.

وفي هذا الصدد، يورد إرنست بيرجل (E. Bergel) التمييز التالي: التمدن نستعمله لتحديد ظاهرة الإقامة بالمدن، بينما نستعمل التحضر لتحديد الطريقة المميزة للحياة التي ترتبط عادة مع الإقامة بالمدينة. وينظر بيرجل إلى التحضر "كعملية والتمدن كشرط أو مجموعة من الظروف، وبالتالي فإن التحضر هو مفهوم ديناميكي أما التمدن فهو ثابت"(Ernest Bergel, 1955, p9-10).

ولعل مما هو صريح في هذا التمييز، هو أنه يجعل التمدن شرطا أساسيا لحدوث عملية التحضر، والأوضح من ذلك أن بيرجل يعمد إلى اعتبار التحضر كعملية ديناميكية. وبالتالي، يجب أن نعتبر التحضر، حسب بيرجل دائما، "عملية تحويل المناطق القروية إلى مناطق حضرية، وهذه العملية لها تأثير عميق على التركيب الاقتصادي للسكان، حيث ينخفض عدد السكان الذين يشتغلون في الزراعة ويزداد عدد السكان الحضريين" "(Ernest Bergel, 1955, p11).

أما التمدن أو التحضر في التصور الخلدوني، هو حلقة من حلقات تطور العمران البشري، وتجسيد للانتقال من البداوة إلى الحضارة على أساس أن البدو أصل للحضر. ذلك أن «مفهوم الحضر في الفكر الخلدوني، يشمل أهل المدن والأرياف الذين يعيشون من ممارسة المهن أو من التجارة» (المصطفى طهر، 2012، ص315)، فالحضر حسب ابن خلدون معناه "الحاضرون، أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنمى وأرفه من أهل البدو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري ومعاشهم على نسبة وجدهم" (عبد الرحمان ابن خلدون، 2004، ص118)، وقد سبق ذلك قوله: "إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس، والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر" (عبد الرحمان ابن خلدون، 2004، ص118)، وفي ذلك إشارة إلى شروط وعوامل حصول التمدن والانتقال من البداوة إلى الحضر.

ثم إن لنا أن نلاحظ أن معجم المصطلحات الجغرافية يعتبر التمدن والتمدين كلمتان مترادفتان، ويقصد بهما بالمعنى الدقيق، "ظاهرة تطور المدن وتركز السكان فيها. وينجم عنهما مفهومان: تطور سكان المدن، وتحول المكان الريفي أو شبه الريفي إلى مكان مديني بتأثير النمو الديموغرافي والمساحي للمدينة"(بيار جورج، 1994، ص224).

ولا بأس أن نشير في هذا المقام، إلى أن مصطلح التمدين يختلف عن التمدن في مسألة أساسية وهي أن التمدين يمكن أن يطلق أيضا على عملية تزايد المدن من حيث العدد وعدد السكان والحجم والامتداد المجالي. كما يدل مصطلح التمدين على "شكل خاص لامتلاك المجال من طرف السكان مع العلم أن التجمعات السكنية هي نتيجة لضغط تمركز وكثافة مرتفعة نسبيا"(أحمد أكوال، 1997-1998، ص7).

ومجمل القول، يمكن التمييز بين معنيين جد مختلفين لمصطلح التمدين:

-التمركز المجال للساكنة انطلاقا من بعض الحدود والأبعاد والكثافة.

-انتشار لمجموعة من الأنساق والقيم والمواقف والسلوكات التي نسميها ثقافة حضرية.

وفي الواقع، يميز جيرالد بريز (Gerald Breese) هو الآخر بين ثلاثة مصطلحات أساسية: التحضر (Urbanisation) والاستيطان (Détribalisation) ثم الاستقرار (Stabilisation)، ويضيف أن التحضر حسب ميتشيل كلايد (Mitchell Clyde) هو ((فعل الانتقال إلى المدينة، وترك القرية والعمل في الحقول الزراعية، من أجل البحث عن عمل آخر يلائم الحياة الحضرية، وما يصاحب ذلك من تغيرات في العادات والسلوكيات المختلفة)) (Gerald Breese, 1969, p16).

وقد وصف عبد الرؤوف الضبع هذا التعريف بكونه "يتميز نوعا ما بالوضوح فهو يحتوي على جانبي التحضر الكمي والنوعي معا، وإن كان قد قصر الأمر على انتقال الفرد من القرية إلى المدينة، وذلك على اعتبار أنه الجانب الأكثر حدوثا في عملية التحضر"(عبد الرؤوف الضبع، 2003، ص13). وفي نفس الاتجاه يذهب إرنست بيرجل إلى القول، يجب أن نعتبر التحضر "عملية تحول المناطق القروية إلى المناطق الحضرية، وهي عملية لها تأثير عميق على التكوين الاقتصادي للسكان، حيث تقلل من السكان الذين يشتغلون في الزراعة على حساب السكان الحضريين"(Bergel, p11)، وههنا، يتضح أن بيرجل يختزل عملية التحضر في جانبين فقط، جانب مجالي وآخر اقتصادي.

وعلى هذا المستوى بالذات يمكن القول بأن التحضر، في حقيقته، هو أكثر من كونه عملية انتقال لمجموعة من الأفراد من البادية إلى المدينة أو التحول من العمل الزراعي إلى العمل الصناعي أو التجاري، ولكنه يتضمن تغيرات أساسية تشمل تفكير الناس وسلوكهم وقيمهم الاجتماعية، ومن ثم، فالتحضر ليس مجرد انتقال من مجال إلى مجال أو من مهنة إلى أخرى بقدر ما هو عملية تحول تشمل السلوك والقيم والاتجاهات والمعايير والممارسات الاجتماعية.

ولذلك، فقد نظر مجموعة من العلماء المحدثين في علم الاجتماع الحضري مثل لويس ويرث (Louis Wirth) وغيرهم، إلى التحضر من وجهة نظر مزدوجة. من حيث رؤيته كتمركز جغرافي للسكان والأنشطة (غير الزراعية) في موقع ذي شكل وحجم معينين، وفي الوقت نفسه ينظرون إلى التحضر باعتباره "انتشار جغرافي لأنماط القيم والسلوك الحضرية السائدة فضلا عن المؤسسات الحضرية القائمة"(محمد ياسر الخواجة، 2008، ص61)، الشيء الذي يلزم علينا الحديث عن "ثقافة حضرية بالمقارنة مع أخرى قروية أو بدوية أو ما شابه ذلك من الأنماط الثقافية الموجودة والممكنة"(بوزيان، دس، ص9).

ومن هنا فإن التحضر حسب ما يعرضه فيليب ماير (Philip Mayer) ما هو إلا "عملية تغير ثقافي يتضمن تغييرا في القيم والاتجاهات أو المواقف والسلوك واتجاه هؤلاء المهاجرين نحو التوافق والاتساق مع الأنماط الحضرية المحلية"(محمد أحمد غنيم، 1987، ص35)، ومن ثمة، فإن مسألة التحضر هي بالدرجة الأولى تمثل قضية حضارية أو ثقافية. وبالتالي فإن تعريفه "يجب أن يرتكز على تبيان الميكانيزمات التي تولد داخل أنساق اجتماعية، لأن الاعتبار لا يتجه في هذا الصدد إلى المكان أو الاعتبارات المكانية أو الجغرافية بل إلى الإنسان كمنتج لشكل حضاري معين"(بوزيان، دس، ص9).

وعندما نعود إلى جيرالد بريز نجد أنه يعرف التحضر بوصفه "عملية تغير كمي وكيفي معا تؤدي إلى تحولات كثيرة في خصائص وسمات ووظائف المجتمعات المحلية (المدن والبلدان). كما يرى أن فهم تلك العملية يستدعي ضرورة عقد المقارنات المختلفة في الدول المختلفة أو بين المراكز الحضرية المختلفة في البلد الواحد"(جيرالد بريز، دس، ص21).

وقد تعرض تعريف جيرالد بريز هذا لانتقاد لاذع من طرف الباحث عبد الرؤوف الضبع حيث أبرز أن التعريف "لم يتعرض لوسائل حدوث عملية التحضر ولم يتحدث عن طبيعة هذه التحولات وكيف يحدث التغير في هذه السمات والوظائف، ورغم ذلك فقد أوضح أحد الجوانب المهمة في التعريف وهو أنه يبرز صراحة المنهج المناسب لدراسة التحضر وهو المنهج المقارن"(الضبع، دس، ص13-14).

ثانيا: حول عناصر مقاربة مفهوم التحضر

إن التحضر في نظر البعض يعني سلوكا متميزا إزاء المكان. وهو عبارة عن تنظيم خاص للمكان، يعتمد على تصور عقلاني مسبق ويتميز هذا التصور بضرورته ووحدته، باعتباره "سلوكا يمكن أن يلاحظ في جميع الأماكن التي تتميز بخصائص معينة"(بوزيان، دس، ص8).

كما أن التحضر هو "تعبير مشخص عن نشاط اجتماعي حضاري يترجم تطور العلاقات الاجتماعية داخل مجتمع تاريخي معين"(بوزيان، دس، ص10).

ولعل ما يلفت النظر في هذا القول هو أنه يضيف عنصرا آخر لعملية التحضر وهو المكان، فأوضح أن عملية التحضر تجسد سلوكا وتصورا متميزا تجاه المكان الذي هو المدينة. كما توقف بوشنفاتي بوزيان عند نقطة هامة، هي تطور العلاقات الاجتماعية التي تكون نتيجة عملية التحضر. غير أن هذا المكان "ليس مهما في ذاته وإنما فيما ينشأ عليه من حياة اجتماعية واقتصادية وسياسية"(محمود الكردي، 2003، ص191).

والحال أن التحضر بناء على كل ما تقدم، يعني كما سبق أن أشرنا، إما انتقال السكان إلى المناطق الحضرية واستقرارهم بها أو انتشار أنماط السلوك وأساليب التفكير الحضرية في المناطق غير الحضرية. وعلى هذا الأساس، فإن "تحضر البدو يمكن أن يعني انتقال جماعات بدوية إلى المدن والمعيشة فيها وما يتضمنه ذلك من تغيرات في الحياة الاجتماعية والثقافية للبدو كما يمكن أن يعني انتشار طرق التفكير وأنماط السلوك الخاصة بالمناطق الحضرية نتيجة مؤثرات معينة مثل وسائل الاتصال" (صبحي حنا، دس، ص52)، فالبدو عندما "يتعرضون لعوامل تساعد على تحضرهم يمكن أن يستقروا أو يتوطنوا في أماكن معينة، وعندما يحدث

التحضر في المناطق المحيطة بهم، يمكن أن يساعد ذلك على جذب البدو إلى المناطق الحضرية والتوطن بها، وعندما يزداد تحضر المجتمع بصفة عامة فإنه عادة ما يفكر المسئولون بأكثر جدية في عملية استقرار الجماعات البدوية" (صبحي حنا، دس، ص52).

وعند الباحث الموريتاني محمد بباه بن محمد ناصر نجد أن التحضر، بشكل عام، يطلق على "جملة من العمليات التي تتضمن نمو المراكز الحضرية من حيث عدد السكان، وتوسع المجال، واستخدامات الأرض، وتطور أعداد المراكز وأحجامها وأشكالها المرفولوجية، وعلاقتها بأقاليمها، وعلاقة بعضها ببعض، وما يترتب على هذه العناصر من عمليات التغير التي تتعرض لها البيئة الحضرية"(محمد بباه بن محمد ناصر، 2006-2007، ص133).

وههنا، يبدو أن مسألة التحضر ما هي إلا "ظاهرة اجتماعية تمتاز بديناميكيتها وتحمل في مضمونها التغير الاجتماعي السريع، على اعتبار أن التحضر يحدث تغييرا اجتماعيا بنائيا ووظيفيا عميقا قد يأخذ بالمجتمع من حالة قريبة من التريف إلى التحضر"(زيدان عبد الباقي، 1974، ص10).

يضاف إلى ذلك، أن التحضر "ليس مجرد نتيجة للهجرة القروية والاستقطاب الحضري. وإنما هو نتيجة للتحولات الاقتصادية والتنازلات الاجتماعية المحددة والمدبرة من قبل سياسات التنمية" (Mohamed Ben Attou ET Ahmed Belkadi, 2014, p40).

وأكثر من ذلك، إن التحضر الآن كما يقول گوتمان (J. Gottmann)، هو ((عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية تعبر عن تطور في أساليب الحياة وتصورات المجتمع ودور الأفراد في عالم مليء بالتبدلات (modification))) (J.B. Racine, 1968, p255).

وبالتالي فالتحضر هو "مفهوم معنوي يعبر عن عملية ديناميكية تتكون من سلسلة من التغيرات الوظيفية والبنائية اللازمة لبقاء الكائن الحي ونموه"(عبد الباقي، دس، ص31).

وأيا ما كان جوهر الأمر، فإن مفهوم التحضر يحتاج إلى مزيد من التدقيق والتحديد العلمي، فهو مصطلح مازال فضفاضا وغير واضح الحدود والمدلولات، وله عدة تعريفات متداولة، وليس هناك اتفاق أو إجماع بين الباحثين والعلماء المتخصصين حول تعريف جامع مانع. وفي ظل هذا الأمر، يذهب كل من جورج كوراد (Georges Courade) وميشيل برونو (Michel Bruneau) إلى التأكيد على صعوبة تمييز الفعل الحضري (Le fait urbain) في العالم الثالث، ويذهبان إلى أن مصطلح التحضر، في الواقع، يشمل مظهرين متكاملين (Georges, Courade. et Michel, Bruneau, 1983, p 65):

-التحضر المادي الجغرافي، والمتمثل في التركز الجغرافي للسكان والأنشطة غير الزراعية في وسط حضري ذو شكل وحجم معينين.

-التحضر الشامل أو الاجتماعي، ويكمن في التوزيع الجغرافي للقيم والسلوكات والتنظيمات والمؤسسات الحضرية.

ويضيف إبراهيم سليمان مهنا على هذين الاتجاهين، اتجاه ثالث "يقوم على الجمع بين المظهرين الديموغرافي والاجتماعي معا، ويضيف إليهما مجموعة من العوامل والأبعاد المتصلة بالنمو الاقتصادي والتغير الاجتماعي، وأسلوب الحياة ونوعيتها، وأنماط التفاعل مع البيئة

ومنظومة القيم والمواقف الثقافية لأفراد المجتمع"(إبراهيم سليمان مهنا، 2000، ص11-12)، ولربما يكون هذا الاتجاه في اعتقادنا، هو الأقرب إلى تحديد مفهوم التحضر، لأنه بصراحة يوضح حقيقة ظاهرة التحضر في واقعها وفي حقيقتها الكلية. ومما هو ناصع الآن، أن التحضر يشمل بعدين أساسيين: بعد سكاني يكمن في انتقال السكان إلى الإقامة والعيش في المدينة، وجانب ثان يتمثل في تغير اجتماعي يصيب القيم والسلوكيات والعادات والمعايير الاجتماعية.

وعلى سبيل الختم، نجد جاك ڤيرون يذهب إلى أنه ((يمكن فهم الظاهرة الحضرية انطلاقا من ثلاث متغيرات رئيسية: معدل التحضر (أي نسبة سكان المناطق الحضرية ضمن مجموع السكان في المائة)، وكثافة السكان في المناطق الحضرية (أي العدد المذلق للأشخاص الذين يعيشون في المدن)، ومعدلات النمو الحضري (أي الزيادة السكانية في المناطق الحضرية). وهذه المتغيرات تعطي للتحضر في منطقة ما في العالم أو البلد صورا مختلفة، ولكن متكاملة)) (Veron, p21).

خلاصة:

وهكذا، نخلص في هذه الورقة البحثية إلى أن مفهوم التحضر من وجهة نظر سوسيولوجية خالصة، هو عملية تغير اجتماعي معقدة تحدث نتيجة عوامل عديدة، يشكل فيها الاستقرار والهجرة من خلال الانتقال من البداوة إلى الحضر أو من القرية إلى المدينة عناصر أساسية. وما يصاحب ذلك من دينامية حضرية متمثلة في نمو ديموغرافي وبروز أنشطة اقتصادية متنوعة ملائمة للحياة الحضرية، والتي تتأسس على بناء اجتماعي قائم على أدوار ومكانات وعلاقات اجتماعية معقدة ومركبة.

قائمة المراجع:

1. ابن خلدون، عبد الرحمان(2004). مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار الشرق العربي.
2. ابن منظور، الأنصاري الإفريقي المصري(2003). لسان العرب. المجلد الرابع عشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
3. الجوهري، هناء(2009). علم الاجتماع الحضري. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
4. الحسيني، السيد(2000). المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
5. الخواجة، محمد ياسر(2008). علم الاجتماع الحضري بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي. دار ومكتبة الإسراء.
6. التير، مصطفى عمر(1995). اتجاهات التحضر في المجتمع العربي. الدار البيضاء: المؤسسة العربية للنشر والإبداع.
7. الضبع، عبد الرؤوف(2003). علم الاجتماع الحضري قضايا وإشكالات. الإسكندرية: دار الوفاء الدنيا الطباعة والنشر.
8. الكردي، محمود(1986). التحضر دراسة اجتماعية: القضايا والمناهج. دار المعارف.
9. الكردي، محمود(2003). "المدينة وتجسيد مفهوم التحضر". في: دراسات في علم الاجتماع. تحرير أحمد زايد القاهرة: مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
10. بوزيان، بوشنفاتي(1988). في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصفيح. منشورات الحوار الأكاديمي. المحمدية: مطبعة فضالة.

11. بدوي، السيد محمد(1975). "كلمة تحضر" في: معجم العلوم الاجتماعية. تصميم ومراجعة إبراهيم مدكور. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
12. بريز، جيرالد(1972). مجتمع المدينة في البلاد النامية. ترجمة محمد محمود الجوهري. الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
13. بهضوض، محمد(2012). تحديات المدينة في المغرب سلا نموذجا. منشورات دار الأمان. الرباط: مطبعة الأمنية.
14. جورج، بيار(1994). معجم المصطلحات الجغرافية. ترجمة حمد الطفيلي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
15. طهر، المصطفى(2012). "قضايا التمدن والحضارة في الفكر الخلدوني". في: مجلة كلية الآداب ظهر المهراز. فاس. عدد مزدوج 18/17.
16. زيدان، عبد الباقي(1974). علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية. مكتبة القاهرة الحديثة.
17. كوال، أحمد(1998/1997). جدور التوسع العمراني: برشيد وضواحيه نموذجا. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع. مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس الرباط.
18. مهنا، إبراهيم سليمان(2000). التحضر وهيمنة المدن الرئيسية في الدول العربية. أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. سلسلة دراسات استراتيجية. العدد 44.
19. ناصر، محمد بباه بن محمد(2007/2006). من أزمة البادية إلى التحضر الفوضوي في موريتانيا نواكشوط نموذجا. بحث لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافية. مرقون بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة محمد الخامس. الرباط.
20. غنيم، محمد أحمد(1987). المدينة دراسة في الانثروبولوجيا الحضرية. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
21. Ben Attou, Mohamed. et Belkadi, Ahmed(2014). Guelmim-Oued Noun la ville, la tribu et le processus d’urbanisation. Université ibn Zohr. Agadir : Impression Négoce com.
22. Bergel, Egon Ernest(1955). Urban Sociology. New York: McGraw-Hill Book Company. ING.
23. Breese, Gerald(1969). Urbanisation et Tradition. traduction Marc André Bera. Paris : les éditions internationales.
24. Courade, Georges. et Bruneau, Michel. (1983). « Développement rural et urbanisation dans le tiers-monde ». in : Cah, ORSTOM, série, Science humaine, vol XIX, n° 1.
25. J.B. Racine(1968). « Géographie Urbain et Aménagement Urbain : Quelques aspects de la préparation et de la participation des géographes français à Faction ». in : Cahiers de géographie du Québec, vol. 12, n° 26. Document téléchargé le 5 Décembre 2015, 07:57. http://id.erudit.org/iderudit/020810ar
26. Veron, Jacques(2006), L’urbanisation du monde. Edition la Découverte. Paris.

آليات النـهوض بالعلوم الاجتماعية

Mechanisms for the advancement of social sciences

د.هاشمي بريقل، جامعة ابن خلدون تيارت-الجزائر

ملخص: لا يزال التوجه العلمي في دراسة العلوم الاجتماعية وتدريسها وتطبيقها في الجامعات والمؤسسات البحثية العربية منطلقاً من التوجهات العامة والنظريات السائدة في الغرب بصفة عامة، والتي تستند في الغالب الأعم إلى نظرة وضعية/إمبريقية ونظرياتها، وقبل ذلك بمناهجها وأدواتها البحثية إنما هي علوم عالمية تصدق وتنطبق بنفس الطريقة في كل مكان، دون إدراك واضح للحقيقة الثابتة في فلسفة العلوم والتي تقوم على أن تلك المناهج والأطر التصورية إنما هي مبنية على المنطلقات الإبستمولوجية المعرفية بل والمسلَمات الأنطولوجية الوجودية التي يقوم عليها، وذلك دون التعمق فيها وفحصها وتمحيصها، مما أدى بنا إلى الوصول لنتائج صحيحة ولكن في إطار خاطئ، ذلك أن النتائج البحثية مهما كانت دقتها إذا تم إنتاجها في نطاق أطر تصورية حصرت نفسها إبستومولوجيا –معرفياً- في مساحة محدودة من الظواهر وأغفلت مساحات جوهرية من العوامل المؤثرة والفاعلة في تحكم السلوك الإنساني، فإنها بهذا إنما تكون قد اختارت لنفسها السير في طريق مسدود، يعوق إسهامها في خدمة العلم وفي خدمة مجتمعاتها بشكل فاعل.

الكلمات المفتاحية: الآليات، العلوم، العلوم الاجتماعية، المنهج العلمي.

Abstract: The scientific orientation in the study, teaching and application of social sciences in Arab universities and research institutions is still based on the general orientations and theories prevailing in the West in general, which are often based on a position / empirical approach and theories. The method is everywhere, without a clear understanding of the established truth in the philosophy of science, which is based on the fact that these conceptual frameworks are based on the epistemological points of view and even the existential and existential mysteries on which they are based, The results of research, however accurate, if produced within conceptual frameworks, have confined themselves to epistemology in a limited area of phenomena and omitted substantial areas of influence and influence in the control Human behavior, they would have chosen to walk in a dead end, hindering their contribution to the service of science and in the service of their societies effectively

Keywords: Mechanisms, sciences, social sciences, scientific method

مقدمة:

للعلوم الاجتماعية والإنسانية دور مهم في جميع المجالات التنموية بالمجتمع، من خلال نشر المعرفة المتعلقة بسلوك البشر، وطرح القضايا والمسائل التي تهم الفرد والمجتمع، خاصة المعاصرة والمستجدة منها، للبحث والدراسة، مثل قضايا البيئة والتغير المناخي والاحتباس الحراري والعنف والإدمان والتغير الاجتماعي، وإيجاد الحلول العملية لها بما تقدمه من مبادئ ونظريات وأساليب عملية تطبيقية، وأهمية تعزيز التفاعل بين السياسات والعلوم المختلفة، باعتبارها امتدادا للحالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وذلك بهدف تحقيق التقدم والاستقرار والتنمية المستدامة للمجتمعات، فهي بحق - العلوم الاجتماعية - مُدانة ومرهونة في تطورها وازدهارها بجملة من الظروف المجتمعية الضرورية، كما تخبرنا بذلك مؤلفات وكتابات تاريخ العلوم، مدانة للاختيارات الثقافية الملائمة والتصورات الإيديولوجية المناسبة، زيادة على الأنظمة التربوية والمناهج التعليمية الراهنة والمستقبلية، فالمعادلة بين نجاعة هذه الظروف وفعالية هذه العلوم، أصبحت بمثابة الشرط الأساسي الذي تستند إليه بعض المجموعات الحضارية والقومية لتحقيق معادلة كبرى بين التطور الفكري العلمي والتقدم،وبالتالي لا يمكننا تصور وجود علوم اجتماعية متطورة ومتقدمة في ظل تدهور مجتمعي على المستوى الحضاري والمادي والاختلاف الثقافي.

إن التطرق -هكذا مواضيع وبحوث- للتجلّي عن الآليات والميكانيزمات للنهوض بالعلوم الاجتماعية في الوطن العربي في مجمل جوانبه وتشابك عناصره، يشكل موضوعا بالغ التعقيد والدقة، ويكتسب أهمية عميقة في المرحلة الراهنة، ويدفع معظم المشتغلين بالعلوم الاجتماعية للبحث في اشكالياتها ومدى إمكانياتها وقدرتها على ملامسة جوهر قضايانا وهمومنا المتنوعة، ليُختصر سؤالي حول معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت بابتعاد العلوم الاجتماعية وعدم فعاليتها وأخذ دورها الريادي في الوسط الاجتماعي ؟ وكذا البحث عن الشروط والمعيقات المؤدية لتقييد البحوث الاجتماعية ومناهجها و عدم مواكبتها للعصر، والتخلي عن موازاتها لما أحدثته العلوم الطبيعية من تقدم وازدهار في شتى المجالات؟

الانطلاقة البحتة..براغماتية مزيفة

إن التوهم بأن مناهج ونظريات العلوم الاجتماعية المنطلقة من النظرة الوضعية /الامبريقية ذات طبيعة عالمية إنما ينطلق من التصور "القديم" للعلم، ولفلسفة العلوم، الذي ورثناه من القرن التاسع عشر الميلادي، والذي لا يزال البعض في العالم العربي يتشبثون به، حتى بعد أن رجع عنه الكثيرون من كبار المشتغلين بتاريخ العلم وفلسفة العلوم، وذلك من بعد ما تبين لهم أن العلم والمنهج العلمي للبحث بالصورة التي انتهى إليها في القرن التاسع عشر، وردحا طويلا من القرن العشرين، إنما كان نتاجا لظروف تاريخية"**خاصة**" أعطته"**خصوصية**" تتنافى مع تهم "**عالمية العلم**" خصوصا فيما يتمثل ويتصل بدراسة وفهم السلوك الإنساني والعلاقات الاجتماعية(رجب، 2001، ص4-5).

لقد أدى تبني هذا المنهج العلمي للبحث (**استخدام الحواس وحدها كأداة للمعرفة العلمية**) إلى نجاح عظيم في دراسة الظواهر الطبيعية المادية (**التي يمكن مشاهدتها باستخدام الحواس**)، تلك

الظواهر التي يمكن إخضاعها بسهولة واضحة للمتطلبات الصارمة للتحكم التجريبي.. ولكن هذا النجاح الباهر قد أغرى المفكرين والعلماء الأوروبيين في القرن التاسع عشر ، بالدعوة إلى استخدام نفس هذا النوع من المنهج العلمي للبحث في محيط العلوم الاجتماعية، مدفوعين إلى ذلك بالرغبة في اجتياح آخر معقل من المعاقل التي كانت الكنيسة لا تزال تتحصن فيها، ألا وهو الرغبة في توجيه شؤون الإنسان والرغبة في القيادة الأخلاقية للمجتمعات وفق رؤيتها، استنادا إلى أن الإنسان كائن ذو طبيعة خاصة، تلعب النواحي الروحية غير المادية دورا مهما في سببية سلوكه، وباعتبار أن "الوحي" أو الإلهام الذي يظنون أنه لا يزال يتنزل على رجال الدين عندهم، هو المصدر الصحيح للمعرفة في هذا الجانب(رجب، 2001، ص6)، فالنزعة الوضعية الإمبريقية الحقيقية والغالبة التي اصطبغت بها العلوم الاجتماعية الحديثة التي تستبعد الوحي باعتباره مصدراً للمعرفة، اقتصاراً على شهادة الخبرة الحسية وحدها، إنما جاءت استجابة لتعسف الكنيسة في أوروبا واضطهادها للعلماء، وقد أدى هذا المنظور إلى تشويه خطير في محاولاتنا لفهم السلوك الإنساني والتي يُشار إليها الآن **بأزمة العلوم الاجتماعية المعاصرة.**

التبعية الفكرية للعلوم الاجتماعية:

مما يشير بوضوح إلى خطر المناهج والعلوم، حين تُقدَّم للدارسين المسلمين دون مراجعة أو تأصيل ما قاله رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي في افتتاحية المؤتمر العالمي الرابع المنعقد في السودان عام 1987م، حيث قال: « إن العلوم الإنسانية والاجتماعية التي جاوزت اليوم خارطتها العشرين علماً... بمقتضى توجيهاتها وقواعدها المختلفة، ووفقاً لتأثيراتها الثقافية، تصاغ عقلية الإنسان المعاصر مهما كان دينه، وهي كلها - بدون استثناء - من مبتكرات العقل الغربي الذي صاغها وبنيت مقدماتها بما يلائم فلسفته، فكره، ونظرته المركبة المعقدة إلى الكون والإنسان والحياة، وجعلها بحيث تلبي حاجاته هو..، دون نظر لحاجات أحد سواه.»

إن حتمية التبعية الفكرية للمجتمعات العربية، هي محصلة ونتاج للمناخ العام المتسم بالتبعية على كافة الأصعدة والمستويات: السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية، ويشير إلى بعض مظاهر التبعية وصورها البارزة، والمتمثلة باتجاه الدراسات الاجتماعية للاهتمام بقضايا نظرية وتطبيقية، لا تلامس جوهر قضايانا ومشكلاتنا، حيث تتجه نحو العقل والرؤية النقدية في مدى ملاءمتها لواقعنا الاجتماعي، بالإضافة إلى التبعية في لغة التعبير التي يعتبرها وثيقة الصلة بالتبعية في مضمون الفكر ذاته، وتبرز ظاهرة التبعية، في ميل كتابنا وباحثينا إلى نقل وقبول المقولات الاجتماعية الغربية، دون الانتباه إلى ما ترتكز عليه هذه المقولات من مسلمات، تشكلت في ظروف تاريخية، حضارية مختلفة عن ظروفنا وأوضاعنا، وأن الخطر في استيراد هذه القيم والميتافيزيقا الغربية باسم العلم.

ومما زاد من حجم المشكلة تلك الأخطاء التطبيقية والتي قامت بها بعض الحكومات العربية في نقل تجارب التنمية الغربية، من خلال عملية النقل السريعة، والرغبة في إيجاد منتج خاص بالعلوم الاجتماعية العربية، أصبحت ملاحقة ما تنتجه العقلية الغربية هي الهدف في حد ذاته، بغض النظر عما يتطلبه الواقع العربي المحلي من ناحية، وبغض النظر عن استيعاب هذه

المنتجات الغربية وفهم الأطر الزمنية والاجتماعية والفلسفية التي ظهرت من خلالها من ناحية أخرى.

مظاهر الأزمة ..وثقافتنا العربية !!؟

تبرز أزمة العلوم الاجتماعية حضاريا من خلال **حالة التخلف**- التي لم تنجح الكثير من الدول العربية الفقيرة في تجاوزها حتى الآن-، كما لم تنجح الكثير من الدول الغنية في بناء قاعدة حقيقة للتنمية في شتى المجالات، ورغم محاولات البعض منها البدء في ذلك، لكنها مازالت محاولات محدودة لا تتناسب مع حجم الإمكانات المالية الموجودة، فاللافت للنظر أن مسيرة المجتمعات العربية، كانت ومازالت تتم في كنف الدول الكبرى، ومن خلال توجهاتها، وأطرها المعروضة والمفروضة في الوقت ذاته، اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، وهو الأمر الذي انعكس بدرجة كبيرة على نشأة ونمو وتطور العلوم الاجتماعية في العالم العربي.

إن **بنية الثقافة العربية** ذاتها لا تساعد على عمل وتطور العلوم الاجتماعية، التي تحتاج إلى مناخ موات من الحرية والجدل والتسامح، فالثقافة العربية المعاصرة تتسم بمجموعة من السمات المعطلة لعمل العلوم الاجتماعية، فهي ثقافة راكدة ومتجذرة بنيويا تستقي عناصر بقائها من طول حالة الاستبداد السياسي وهيمنة دولة ما بعد الاستقلال من ناحية، ومن حالة الضعف الاقتصادي والحضاري التي تشهدها المجتمعات العربية منذ عقود طويلة من ناحية أخرى.

إن الثقافة العربية لتقف بالسلب من أي تقدم أو عمل تقوم به العلوم الاجتماعية، وذلك بسبب اتصافها باستشراء ثقافة الهيمنة والاستبداد، وتدعيم أنماطه، المتوارثة من جيل إلى جيل، ويتم استدراج هذه الطريقة نفسيا واجتماعيا، بحيث تشكل أطرا محددة للتعامل والسلوكيات والممارسات المختلفة، فلا يستطيع أيًّا كان تجاوزها أو العمل من أجل اختراقها، كذلك ضعف ثقافة احترام حقوق الإنسان والتسامح على المستوى الشعبي والاجتماعي.

تدني مستوى معظم الجامعات العربية، وضعف الأداء التدريسي بها، إضافة إلى الأعداد العربية الهائلة التي تستقبلها هذه الجامعات من المتقدمين لها سنويا، الأمر الذي لا يتناسب مع إمكانيات هذه الجامعات الاستيعابية والتمويلية، كما تأتي العلوم الاجتماعية في أدنى السلم التراتبي من ناحية تقييم الطلبة لها، والتصور الشعبي لمرتاديها والعاملين بها (www.albayan.ae/opinions/2007)، إضافة إلى بنية المشتغلين بالعلوم الاجتماعية، وذلك بإعادة تأسيسهم لجملة أخلاقيات وسلوكيات تأسست من خلال الأطر والتحولات السياسية والفترات الزمنية المختلفة، ضف إلى ما أنتجوه وتراكموا عليه، وإذا كان المشتغلون بالعلوم الاجتماعية لم ينجحوا في إنتاج مدارس نظرية يراكم من خلالها اللاحقون على من سبقوهم، فإنهم قد نجحوا في الحفاظ على خصائص مؤسساتهم المختلفة، على الأخص في جوانبها وملامحها السلبية، ولم ينجحوا في تطويرها والخروج من قيودها الصارمة.

يمكننا إبراز وإيجاز مظاهر أزمة العلوم الاجتماعية في ما يلي:

-التضارب النظري الضارب أطنابه في جميع فروع العلوم الاجتماعية دون استثناء، رغم مرور ما يزيد عن قرن من الزمن منذ إضفاء صفة"العلمية" الاجتماعية على بعض الفروع الأساسية لتلك العلوم.

-عجز المجتمعات المعاصرة عن مواجهة ذلك الطوفان المتزايد من المشكلات الاجتماعية، وتلك المعاناة البشرية التي فاقت كل حد، وذلك بالرغم من استناد المجتمعات المعاصرة في كثير من نظمها ومؤسساتها وسياساتها إلى ما أفرزته العلوم الاجتماعية من نتائج بحثية ونظريات(رجب، 2001، ص7).

-التوتر المستمر داخل المؤسسات الأكاديمية وبين الباحثين والسياسيين والممولين، فلا تنفك تصدر دراسات رصينة ترفد مدونة العلوم الاجتماعية بقراءات جديدة للعوامل(**إيديولوجية**) والتي تحكمت في أبحاث من سبقهم، وبقراءات جديدة للتاريخ، وهذه صيرورة مستمرة في تطور العلوم الاجتماعية.

-تهميش العلوم النظرية بالجملة ولا يتم استثمار المال والجهد فيها.

-اكتفاء الجامعات العربية بتدريس العلوم الاجتماعية في نطاق محدود ولكنها لا تنتجها أو تضيف إليها، وغالبا ما يملأ أقسامها وكلياتها طلاب لم يجدوا ما يدرسونه سواها.

-التقليد والمحاكاة لمراكز البحوث الغربية.

-استيراد مشروعات تنموية غير صالحة لطبيعة المجتمعات العربية.

-استيراد الأطر الفكرية المتعارضة مع طبيعة العقليات والبنيات العربية.

إعادة النظر..

إن النظرة الوضعية قد أصرت على أن العلوم الاجتماعية لكي تستحق اسم "علوم" أصلا، فلا بد لها من أن تسير في نفس الخطوط التي تسير عليها العلوم الطبيعية، من هنا فإننا نستطيع أن نرى مع **فيجل** أن **الوضعية** من حيث موقفها الإيديولوجي الأساسي إنما هي علمانية قاصرة على هذه الحياة الدنيا، ومعادية للدين وللبحث فيما وراء الوجود، وأن أهم شرط من شروط الوضعية إنما هو الالتزام الصارم بشهادة الملاحظة والخبرة الإنسانية، كما نستطيع أن نفهم ما أشار إليه **ليفي** من أن الأثر الدائم الذي تركه **كونت** يتمثل في أنه قد أنشأ توجها مضادا للدين، ولما وراء الوجود في فلسفة العلوم استمر معنا حتى الوقت الحاضر.

إن المنهج العلمي التقليدي للبحث في صورته المطبقة حاليا في العلوم الاجتماعية –والذي ينطلق من فلسفة للعلم تبلورت في القرن التاسع عشر في إطار دراسة الظواهر الطبيعية- لا يصلح في صورته تلك للتعامل الفعال مع الظواهر الإنسانية والاجتماعية، وأنه بذلك يعتبر من أهم الأسباب المؤدية إلى ضعف العلوم الاجتماعية، وأن تحقيق التقدم المنشود في تلك العلوم لا يمكن أن يتم إلا من خلال إعادة نظر جذرية في المسلمات **الانطولوجية "الوجودية" والابستمولوجية "المعرفية"**(رجب، 2001، ص8)، التي تقوم منهجية العلوم الاجتماعية عليها، **مع مراعاةٍ وإشراكٍ لمصدر الوحي الصحيح**، وذلك في ضوء التقويم النزيه لانجازات تلك العلوم حتى الآن من جهة، وفي ضوء التطورات الحديثة في فلسفة العلوم من جهة أخرى.

التهكم السياسي..وساعة الصفر

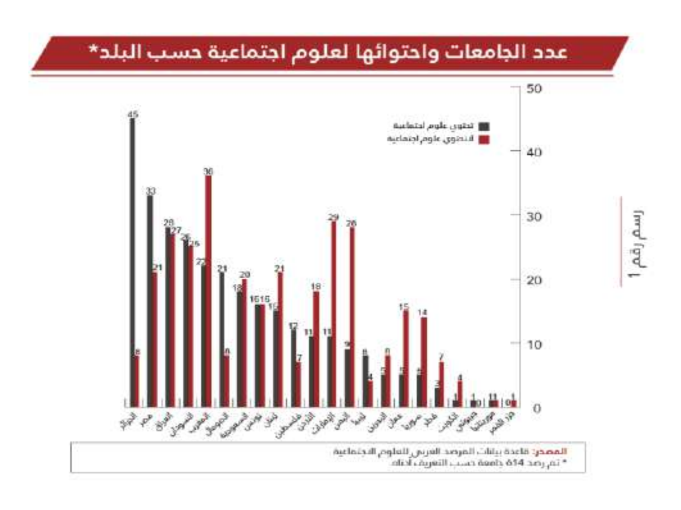
إن نظرة رجال السياسة والتكنوقراطيين والبيروقراطيين للعلوم الاجتماعية والإنسانية على العموم، هي نظرة ازدرائية مستسهلين تأليب الثقافة الشعبية عليها، بادعاء أن مردودها الفعلي غير واضح، فثمة محاولات متواصلة لتجهيل المجتمعات في ما يتعلق حتى بالحاجة العملية

الأداتية إلى هذه العلوم، في الإدارة ووضع السياسات والتخطيط والاقتصاد ومعالجة المشكلات الاجتماعية والنفسية المترتبة على نشوء المجتمعات الجماهيرية الحديثة(بشارة، 2018، ص7).

يتجلى ضيق ذرع السياسيين بالعلوم الاجتماعية أحيانا من خلال تعبيرها بعدم القدرة على التنبؤ، مثلا ثورات عام 2011 في العالم العربي، والحقيقة أنه ليست وظيفة العلوم الاجتماعية التنبؤ بسلوك الجماهير لكي تسهل على الحكام السيطرة عليها، ومن طبيعة حركة الشعوب العفوية أن يصعب التنبؤ بها، وعلى كل حال لو كان الحكام ومستشاروهم يقرؤون، لأدركوا أن دراسات اقتصادية وسياسية وديموغرافية كثيرة، حذرت من مغبة السياسات الاقتصادية النيوليبرالية المترافقة مع الفساد والاستبداد ، ولكن ليس من وظيفتها تحديد ساعة الصفر للانفجار كي يستعد الحكام لها(بشارة، 2018، ص12)، بمعنى أدق أن العلوم الاجتماعية لو تنبأت مثلا، وأعطت ساعة الصفر التي ينتظرها السياسيون والحكام، لأخذوا احتياطاتهم وتجهيزاتهم لصد ومنع ما سيحدث، وبالتالي لا يحدث أي شيء مما تنبأت به العلوم الاجتماعية ، وبالتالي سيشهر المتنطعون والمستهزئون أن العلوم الاجتماعية لا يمكنها ولا تستطيع التنبؤ حسب رأيهم، فالعلوم الاجتماعية حقيقة تعطي وتمنح تشخيصا ليس إلّا.

واقع...لابد منه

تتعدى نسبة الجامعات المشتملة على علوم اجتماعية بشكلها التقليدي، أكثر من نصف الجامعات في البلدان ذات التاريخ الجامعي الطويل نسبيا، كمصر والعراق والسودان وتونس، وقد يكون كثير من الدلالات المحتملة لدرجة حضور العلوم الاجتماعية، كالإقرار بدور ما لها في التكوين العلمي للمجتمع، أو إيجاد هامش لها كأسلوب من أساليب تقليد الجامعات العريقة في الغرب، أو إدخالها إلى المناهج كتجربة قابلة للتعديل من تجارب الحداثة، ولكن بشكل عام تبدو درجة حضور العلوم الاجتماعية في الجامعات مقبولة إلى حد ما، نظرا إلى صغر عمر معظم الجامعات العربية نسبيا، إذ أن 97% من الجامعات العربية تم إنشاؤها بعد العام 1950، بل إن 70% من الجامعات الموجودة حاليا لها وجود قبل العام 1991(بامية، 2015، ص16).



صعوبة العلوم الاجتماعية

يعتقد بعض الباحثين وصناع القرار في الوطن العربي بأن البحوث في العلوم الاجتماعية تأتي في مرتبة متدنية، ولا تحتل تلك الأهمية والمكانة التي تحتلها البحوث في مجال العلوم الطبيعية، رغم أن التقدم في المجالات الاجتماعية والإعلامية والثقافية والإنسانية والحضارية، لا يقل أهمية عن التقدم المادي، خاصة في المجتمع العربي صاحب الحضارة العريقة التي تمتد جذورها إلى آلاف السنين.

صعوبات تتعلق بالجوانب المنهجية:

هناك صعوبات ومشكلات تتعلق بالجوانب المنهجية المستخدمة في البحوث الاجتماعية، وقد حددها بعض أساتذة مناهج البحث والخبراء فيما يلي:

-قصور مجال العلوم الاجتماعية في بلورة نظريات خاصة بها حتى نهاية القرن العشرين ومع تشابك علوم متعددة في نطاقه، مما يجعله يعتمد على التطورات النظرية في هذه العلوم.

-صعوبة إجراء بعض التجارب سواء العملية أو البيئية في مجال العلوم الاجتماعية- بعكس الحال في العلوم الطبيعية ــ نظرا لتعدد المتغيرات المؤثرة في الظاهرة الاجتماعية موضع الدراسة، والصعوبات التي تصل إلى حد الاستحالة في بعض الحالات في ضبط هذه المتغيرات والتحكم في أكبر عدد منها.

-عدم استخدام المناهج المختلفة في دراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية، والاقتصار على استخدام منهج واحد، مما يؤدى إلى احتمال عدم إمكانية التوصل إلى المعلومات الصحيحة، وصعوبة التثبت من صحتها وصدقها ودلالتها.

-عدم توفير مقاييس دقيقة يمكن استخدامها في البحوث الاجتماعية بصفة خاصة.

-الأخطاء التي يحتمل أن تنتج، إما من تحيز الباحثين أو التفسير الخاطئ للمعلومات والبيانات والنتائج.

-النقص الواضح في العديد من البيانات والإحصائيات وعدم كفايتها.

-الحاجة إلى إجراء معظم نوعيات البحوث الاجتماعية بطريقة مستمرة وإعادة تطبيقها كل فترة زمنية، نظراً لعدم ثبات نتائج هذه البحوث لفترة طويلة وتأثرها بالمتغيرات العديدة التي تحدث في المجتمع.

كما يضيف الدكتور **عبد الله محمد زلطه** في كتابه حلقة البحث في الجامعات والمعاهد إلى ما يلي(زلطة، 2001، ص133):

-صعوبة قياس الرأي العام في الدول النامية بصفة عامة، والدول العربية بصفة خاصة، وذلك لصعوبة توافر مقومات هذا الرأي العام بمفهومه العلمي.

-بطء الباحثين، خاصة في المجالات الاجتماعية، في الوصول إلى نتائج ذات دلالات تفيد المخططين والممارسين الذين يحتاجون إلى نتائج سريعة تفيدهم في اتخاذ القرارات ورسم السياسات وممارسة العمل اليومي بما يحويه من مشكلات وقضايا.

-اتجاه بعض الباحثين في المجالات الاجتماعي والإعلامية، إلى استخدام الأساليب النمطية في معالجة بعض المشكلات البحثية والتصدي لها كما هي، دون التعمق في تحليلها والوصول إلى جذورها، وقصر المعالجة على الجوانب السطحية، مما يؤدى إلى الوصول لنتائج لا يعتد بها.

صعوبات في التطبيق العملي:

في إطار هذه المشكلات المنهجية، يحرص خبراء وأساتذة مناهج البحث على الحصر الدقيق لبعض الصعوبات التي تواجه البحوث الاجتماعية في التطبيق العملي، ويتمثل أهمها فيما يلي:

يرى **عاصم الأعرجى** أنه يمكن تصنيف المشاكل التي تواجه استخدام مناهج البحث العلمي في الدول النامية كما يلي:

نقص كميات ونوعيات المعلومات المطلوبة: يمكن أن يؤدى النقص الكمي أو / والنوعي في المعلومات المطلوبة في البحث إلى ارتكاب الخطأ في تشخيص المشكلة البحثية وقد يؤدى ذلك بدوره إلى أخطاء في الحلول المقترحة التي قد يأتي بها البحث المذكور.

نقص الثقة بمناهج البحث العلمي: يمكن أن يدفع العاملين من ذوى العلاقة إلى الامتناع عن الاستجابة الفعالة لمستلزمات البحث العلمي ومن إعطاء المعلومات المطلوبة للباحثين، وبالتالي إعاقة أو حتى إفشال العملية البحثية العلمية وبالطبع أن محدودية التجاوب مع عمليات البحث العلمي من قبل ذوى العلاقة يمكن أن تؤدى إلى أخطاء في التشخيص وأخطاء في العلاج.

نقص الإمكانات المادية والتكنولوجية: يعتبر معوقا إضافيا لعمليات البحث العلمي، فمحدودية الدعم المالي ومحدودية المعرفة يقودان عادة إلى عمليات بحثية هزيلة وإلى نتائج بحثية هزيلة.

مقاومة نشاطات البحث العلمي: المقاومة التي قد تتجسم بصيغة رفض التعاون مع الباحثين أو رفض تبنى وتنفيذ توصيات البحث يمكن أن تقود البحث العلمي إلى نتيجة الفشل. ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

-الاعتقاد بعدم وجود مشاكل حقيقة تستوجب تبنى وتنفيذ نتائج البحث العلمي.

-محدودية الثقة بإمكانية حل المشاكل عن طريق البحث العلمي.

-محدودية الثقة بالباحثين أنفسهم من حيث المقدرة على إيجاد حلول منطقية للمشاكل.

-الاعتقاد من قبل البعض أنهم أجدر وأصلح من الباحثين في حل المشاكل.

-الاعتقاد بأن منهجية البحث العلمي تصلح لحل مشاكل نظرية وليست صالحة لحل مشاكل تطبيقية.

-الاعتقاد بأن تنفيذ توصيات البحث العلمي من شأنها أن تزيد من المسؤوليات الوظيفية للعاملين.

كما يضيف الدكتور **عبد الله محمد زلطه** في كتابه حلقة البحث في الجامعات والمعاهد إلى ما يلي(زلطة، 2001، ص133):

-الفهم القاصر لوظيفة البحث العلمي وأهميته، إذ لا يزال الكثيرون ينظرون إلى البحث على أنه نوع من \"الترف\" وليس ضروري لتقدم المجتمع.

-سيطرة النزعة الفردية على المجال البحثي، وعدم اهتمام معظم مؤسسات التعليم العالي بفكرة البحث الجماعي الذي يشارك فيه فريق متكامل من الباحثين، سواء على مستوى أعضاء هيئة التدريس، أو على مستوى الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة.

-لاستخفاف بأهمية البحث العلمي، والسخرية من جهود المشتغلين في هذا المجال وعدم إعطائهم المكانة اللائقة التي يستحقونها من تقدير وتكريم.

-هناك العديد من القيود التي توضع أمام الباحثين، سواء بمنعهم من الإطلاع في المكتبات الجامعية إلا برسوم عالية لا يقدرون عليها، أو بعدم إتاحة ما يرغبون الإطلاع عليه من مراجع ودوريات بسهولة ويسر دون عناء، مما يثبط همة الكثيرين منهم، إضافة إلى إهدار الوقت والجهد في البحث عن المعلومات والبيانات اللازمة.

ضرورة الثورة العلمية:

لقد أدى التطوير الشامل لمناهج العلوم الطبيعية وما شملتها من تخصصات فرعية، إلى تثوير واضح في فلسفة العلوم الاجتماعية، والتي أصبحت الكتابات الحديثة فيها تتكلم اليوم عن "الفلسفة الجديدة" للعلوم الاجتماعية، تلك الفلسفة التي تبدأ من إعلان وفاة الوضعية على حد تعبير **فاي** الذي يبشر بحلول الظرفية أو التأطيرية محلها، وهي فكرة تقوم على أساس:"**التأكيد على أن كل نشاط معرفي، بما في ذلك العلم، إنما يتم في إطار وجهة للنظر تحددها الارتباطات والاهتمامات الفكرية والسياسية..**"(زلطة، 2001، ص20).

والثمرة المتوقعة لهذه الثورة التنظيرية أنها تسمح لنا بالاستفادة من البصائر المستمدة من الوحي في توجيه بحوثنا، باعتبار أن هذا المصدر يتفوق تفوقا كبيرا في احتمال الوصول إلى الحق، عن مجرد الاعتماد على خيال الباحث في الربط بين المشاهدات الواقعية المحققة وتفسيرها.

المنهج العلمي التكاملي.. المنهج السوروكيني:

بعد التحليلات لما قدمته الوضعية الامبريقية من مقدمات، ومسلمات وتنظيرات منهجية في مجال العلوم الطبيعية ، والذي تم فرضه وتطبيقه على العلوم الاجتماعية والإنسانية فرضا، متغاضين الطرف على الجانب الروحي المعنوي للحياة الإنسانية، وجب علينا فتح الباب أمام تبني نظرية معرفية ومنهج متوازن، يقترب مما أطلق علية **بيتريم سوروكين "النظرية التكاملية للحقيقة والواقع"** والتي تقوم على تكامل الحقائق المستمدة من" **الوحي - العقل - الحواس"** ويمكن إيجازها ما يلي:

-أن المنهج العلمي بصورته المطبقة تقليديا في العلوم الاجتماعية قد شكلته عوامل وظروف تاريخية(الصراع مع الكنيسة) وجغرافية (أوروبية) محددة انتهت به إلى نزعة وضعية امبريقية، لا تعتمد إلا على مشاهدات الحواس مصدرا للمعرفة العلمية الحقة، كما انتهت به إلى قطيعة كاملة مع الوحي، كمصدر ممكن للاستبصار بسلوك الإنسان، خصوصا في جوانبه غير المادية، التي تنتمي إلى عالم الغيب ، أي الجوانب الروحية.

-أن إهدار هذا القطاع الحيوي من مكونات الظاهرة الإنسانية، واستبعاد الوحي الصحيح وكل المعارف الدينية، كمصدر لمعرفة الإنسان، هي أسباب أساسية للصعوبات التي تواجهنا اليوم في فهم الإنسان والمجتمع وفي التضارب النظري الذي يعوق تقدم العلوم الاجتماعية.

-أن التطورات الحديثة في العلوم الطبيعية قد فتحت الطريق أمام فلسفة جديدة للعلم، وفلسفة جديدة للعلوم الاجتماعية، تتجاوز النزعات المادية التقليدية، وتتجه لإعطاء العوامل الذاتية العقلية والروحية في الإنسان مكانها الطبيعي كموضوعات للدراسة "العلمية".
-أن فهم العوامل الروحية غير المادية التي تنتمي إلى عالم الغيب يتطلب بالضرورة اعتماد "الوحي" الصحيح كمصدر علوي يقيني للمعرفة بهذا الجانب من تكوين الإنسان.

اقتراحات:

-وضع خطة للإصلاح المنهجي تنطلق من التصور الإسلامي للإنسان والكون والمجتمع.
-اعتماد الأطر التصورية المتصلة بالإنسان والمجتمع المستمدة من الكتاب والسنة الصحيحة لتحل محل خيال الباحث، أو لتضاف إليه كمصدر للتفسيرات التي تستخدم للربط بين الحقائق والتعميمات الواقعية عند بناء النظرية في العلوم الاجتماعية.

خاتمة

هل لنا أي عذر – كمسلمين- وكمشتغلين بالعلوم الاجتماعية في العالم الإسلامي، وأمامنا كتاب كريم لقوله تعالى**"لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"** (سورة فصلت، القران الكريم، الآية 42)، وأمامنا كنز من الأحاديث الشريفة التي بذل العلماء الثقاة- في تمحيصها- جهودا لا نظير لها، لتمييز الصحيح فيها من الغث والسقيم؟ إن هذين المصدرين للعلم والمعرفة يحويان بصائر تتصل بالإنسان والسلوك الإنساني والمجتمع الإنساني، يمكن أن تفتح آفاقا لا نهاية لها لتقدم العلوم الاجتماعية اليوم.

إن الإنسان- بالعقل الذي زانه به خالقه وبمنهج كتاب الله وسنته- وحده من يستطيع تطوير آليات العلوم الاجتماعية لإيصالها لما وصلت إليه العلوم الطبيعية، فلقد تطور عقل الإنسان خطوة خطوة، ونما الوعي مع إنتاج أشياء طبيعية واجتماعية معقدة، كما نمى بمعرفة القوانين التي تحكم الطبيعة والمجتمع، وكلما ازداد الإنسان وعياً كلما ازداد بعداً عن الحيوان وكلما صنع تاريخه بنفسه وبوعي، ولهذا أصبح العلم كله طبيعي واجتماعي ذا طابع اجتماعي، ونعني بذلك الدلالة الاجتماعية للعلم ولمسؤولية العلماء، كما نعني به حجم منتجات العمل ونفقاته من الموارد المادية والبشرية مما يضاعف من تبعية العلم للمجتمع، وبالتالي رصد الظاهرة الاجتماعية وتحويرها وتشخيصها والتحكم فيها لصالح الإنسان والمجتمع.

قائمة المراجع:

1. القران الكريم.
2. إبراهيم عبد الرحمن رجب(2001)، العلوم الاجتماعية الوضع الراهن وآفاق المستقبل، بحث قدم في المؤتمر الدولي للعلوم الاجتماعية وتنمية المجتمع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.
3. محمد بامية(2015)، التقرير الأول للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية، العلوم الاجتماعية في العالم العربي- أشكال الحضور- بيروت، لبنان.
4. عبد الله محمد زلطة(2001)، حلقة البحث في الجامعات والمعاهد العليا، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
5. عزمي بشارة(2018)، محاضرة بعنوان تحديات العلوم الاجتماعية والإنسانية في السياق العربي، ألقيت بمعهد الدوحة للدراسات العليا، قطر.
6. http://www.albayan.ae/opinions/2007-01-12 1.134467?ot=AMPPageLayout.

الفلسفة البراغماتية وعلم الاجتماع الحضري-نموذج مدرسة شيكاغو-
Pragmatic Philosophy and Urban Sociology - Chicago School Model –

مبارك ايت خليفة، جامعة محمد الخامس، المغرب

ملخص: لا أحد من المهتمين بالفكر الفلسفي عامة، وكذا بالعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، يمكنه إنكار المكانة الفكرية والفلسفية التي تحتلها البراغماتية كنظرية فلسفية وعملية، أو بالأحرى كمدرسة قائمة الذات، وذلك راجع بالأساس إلى الزخم المعرفي النظري والميداني الذي خلفته وراءها، والذي لازال بريقه ساطع إلى يوم الناس هذا. ولعل هذا كله هو الذي دفعنا كباحثين في علم الاجتماع للوقوف على هذه المدرسة محاولين تبيان تأثيرها على مدرسة أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي مدرسة شيكاغو، أو بالأحرى تأثيرها في علم الاجتماع الحضري بشكل عام، لذا نود من خلال هذه الورقة أن نبين بعض جوانب العلاقة بين الفكر البراغماتي والفكر السوسيولوجي في شخص مدرسة شيكاغو.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة البراغماتية، علم الاجتماع الحضري، مدرسة شيكاغو.

Abstract: No one interested in philosophical thought in general, as well as in social sciences, especially sociology, can deny the intellectual and philosophic position occupied by pragmatism as a philosophical and practical theory, or rather as a self-taught school, mainly due to the theoretical and field cognitive momentum that has left behind, People day this. Perhaps this is what prompted us as sociologists to find out about this school, trying to demonstrate its impact on another equally important school: the Chicago School, or rather its impact on urban sociology in general. In this paper, we would like to show some aspects of the relationship between pragmatism and sociological thought in urban sociology and discipline through the Chicago School.

Keywords: Pragmatic philosophy, Sociology Urban, Chicago School

مقدمة:

تعتبر البراغماتية من أبرز المذاهب الفكرية الفلسفية التي كان لها تأثير كبير في مجالات متعددة ولعل من أهمها علم الاجتماع، غير أن هذا المذهب البراغماتي لم يحظى باهتمام الباحثين والمفكرين في العلوم الانسانية بصفة عامة، مما جعله غير معروف بالشكل المطلوب وخاصة في العالم العربي، لكن ومع بداية القرن العشرين سيتخذ هذا المذهب الفلسفي مكانة أخرى مغايرة لما سبق، وخاصة من طرف السوسيولوجية، من قبيل سوسيولوجيا العمل، والصحة، والسوسيولوجيا الحضرية.

إذن لا أحد من المهتمين بالفكر الفلسفي عامة، وكذا بالعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، يمكنه إنكار المكانة الفكرية والفلسفية التي تحتلها البراغماتية كنظرية فلسفية وعملية، أو بالأحرى كمدرسة قائمة الذات، وذلك راجع بالأساس إلى الزخم المعرفي النظري والميداني الذي خلفته وراءها، والذي لازال بريقه ساطع إلى يوم الناس هذا، ولعل هذا كله هو الذي دفعنا كباحثين في علم الاجتماع للوقوف على هذه المدرسة محاولين تبيان تأثيرها على مدرسة أخرى لا تقل أهمية عنها؛ وهي مدرسة شيكاغو، أو بالأحرى تأثيرها في علم الاجتماع الحضري بشكل عام، لذا **فإشكال** هذه الورقة هو كالتالي: كيف أثرت الفلسفة البراغماتية في علم الاجتماع الحضري بصفة عامة ومدرسة شيكاغو على الخصوص؟، ومنه فإننا سنقف هنا على المحاور التالية:

المحور الأول: في الحاجة إلى ضبط المفاهيم:

يشكل تحديد المفاهيم الصعوبة الأولى التي يصادفها الباحث في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع على الخصوص؛ ويرجع ذلك بالأساس إلى غموض المصطلحات المتداولة في هذه الدراسات، وهذا الغموض قد يكون نتيجة لأسباب كثيرة ترتبط إما بإهمال تحديد تلك المفاهيم باعتبارها واضحة بذاتها، أو لصعوبة واستحالة تحديدها(بوشنفاتي، 1988، ص7)، لذلك غالبا ما يفضل الباحث في مثل هذه الدراسات، تجنب استعمال تلك المفاهيم والمصطلحات انتظارا منه اتضاح أمورها وحيثياتها، لذلك نصطدم في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلم الاجتماع على الخصوص، بجدار سميك عندما نحاول أن نبحث في تحديد المصطلحات المتداولة فيه. لكن هذا كله لن يمنعنا من الحديث عن تلك المفاهيم، ونخص بالذكر هنا كل من الفلسفة البراجماتية ومدرسة شيكاغو، هذين النمطين من التفكير وجدا لهما تربة خصبة في أرض الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك سنحاول أن نقف هنا على دلالتهما مع رصد خصائص ومعاني كل واحد منها، مع محاولة مساءلة السياق الذي فرضهما على الفكر الأمريكي خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين.

أولا: الفلسفة البرجماتية: المعنى والخصائص:

أولا يجب أن نشير إلى أننا لسنا بصدد التأريخ لمذهب كبير فرض ولازال نفسه على المفكرين والابستمولوجين، إنه المذهب البراغماتي، لأن ذلك ليس هدفنا من هذا العمل، لكننا سنحاول قدر الإمكان تقديم قراءة عامة وشاملة عن تلك المدرسة التي أثرت في الفكر الإنساني عامة.

لا أحد من المهتمين ينكر أن الولايات المتحدة الأمريكية خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت في بداية تشكيل الهوية والوعي بالذات، من خلال استثمار الإمكانات

الفكرية والثقافية، وخاصة بعد فترة الحرب الأهلية، حيث كان الفكر الفلسفي بشكل أوضح والفكر السوسيولوجي بشكل أقل، مجرد انعكاس -ولحقبة كبيرة- من الزمن للتأثيرات الأوروبية باختلاف ألسنها ومذاهبها، حيث كانت أوروبا في تلك اللحظة تعيش في نوع من التطور والتقدم الفكري وخاصة على المستوى الفلسفي، والمتأمل للساحة الفكرية الأمريكية خلال أوائل القرن التاسع عشر، يلاحظ أن الفلسفة لم تؤخذ في أي قرن من قرون عالمنا المتحضر بصورة جدية بقدر ما أخذت بها في الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل من رحم هذه المعاناة الفكرية والاجتماعية تم ميلاد نمط جديد من التفكير أخذ بمنهج جديد ومقاربة أخرى لتفسير وفهم الواقع المعيش، فشهد منتصف القرن التاسع عشر انتعاشا فلسفيا جاء رافضا للتقاليد الأوربية والأكاديمية السائدة، وجاء هذا كله على يد المهاجرين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانوا متأثرين بتطبيق نظريات علمية جديدة. من خلال إحداث قطيعة مع الفكر الفلسفي التقليدي والكلاسيكي، والنظر إلى الواقع الأمريكي نظرة أخرى مخالفة، وهذا ما تأت مع ركائز الفلسفة البرغماتية(تشالز بيرس، وليام جيمس، دون ديوي..).

إن مفهوم البراغماتية كنمط تفكير ليس من إنتاج الحقل السوسيولوجي بالمعنى الخاص للعبارة، وإنما تعود جذوره إلى تقاليد الفكر الفلسفي، كما أنه لا يمكن أن نتحدث عن برجماتية واحدة، بل إننا أمام أنماط مختلفة منها مثلا: البراغماتية الفلسفية(وليام جميس وجون ديوي)، والبرغماتية الألسنية والسوسيو-ألسنية من خلال أعمال كل من(سيرل، وغوفمان(ناشي محمد، 2014، ص7)، لكن رغم هذا التنوع على مستوى الفكر البراغماتي؛ إلا أنه يشترك كله في مبدأ عام واحد؛ وهو أن صحة الفكرة تعتمد على ما تؤديه الفكرة من نفع. وكان أول من أطلق عليها اسم "البراغماتية" المفكر الأمريكي "شارل بيرس"(1914-1834).

تحيل البراغماتية على كلمة مشتقة من اللفظ اليوناني"**Pragma**"، وتعني العمل، وقد عرفها معجم" ويبسترWebster" الشهير، بأنها تيار فلسفي أنشأه "بيرس" و"وليام جيمس"؛ يدعو إلى اعتبار كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العملية، بينما عرفها المعجم الفلسفي بأنها مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار، إنما هو في قيمة عواقبها عملا، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة والبراغماتي بوجه عام: "وصف لكل من يهدف إلى النجاح أو إلى منفعة خاصة" (مراد وهبة،1983، ص32)، بمعنى العملي والمنفعي هو أساس كل حقيقة ومعرفة، فالحقيقي هو النافع. وفي ذلك يقول "**بيرس**": إن فلسفتي يمكن وصفها بأنها محاولة فيزيائي أن يصور بنية الكون تصويرا لا يتعدى ما تسمح به مناهج البحث العلمي"، ولعل من بين مناهج البحث العلمي هنا، هو المشاهدة الميدانية والتجربة داخل الواقع المعيش، فليس التصورات الاستنباطية والتأملية هي مصدر المعارف والأفكار، بل على العكس من ذلك لابد من النزول إلى الميدان لبناء الأفكار، بهذا فكل ما يجعل للفكرة معنى كونها ذات نتائج عملية تترتب على تنفيذها، أما إذا كانت أمامك عبارة لا تعرف كيف تحولها إلى تجربة حسية كانت تلك العبارة بغير معنى، ولعل هذا هو الأساس المنطقي والمتودولوجي الذي بني عليه الفكر البراغماتي عامة، حيث حاولت إحداث قطيعة مع الفكر الفلسفي المثالي التقليدي، وخاصة الفلسفة الألمانية في شخص هيجل، رغم التأثر الذي كان ملحوظا به في مرحلة تأسيس الفكر البراغماتي، غير أنه

ظهر إحساس لدى رواد الفكر البراغماتي بضرورة تجديد العقلانية التقليدية والتجريبية الكلاسكية، حيث تبين ما يعتريهما من نواقص، فلم يعد التأمل العقلي الخالص كما كان مع ديكارت أو في مثالية هيجل، ولا حتى من بعد مع التوفيقية الكانطية (كانط)، بل حاولت البراغماتية إعادة الاعتبار للواقع من خلال تمحيص الفكرة واقعيا وما يقدمه المعنى من منافع عملية مباشرة. حيث يقول **"وليام جيمس"** في ذلك: إن الأفكار التي ينبغي أن نعتبرها صحيحة(...)، لهي تلك التي تقول لنا أي نوع من الوقائع نافع لنا وأيها ضار بالنسبة لنا، ينبغي أن نتوقع أو ننتظر أن هذه الأفكار، هي أول ما يجب على الإنسان السعي لإكتسابه. هنا يظهر أن امتلاك الحقيقة عوض أن يكون غاية في ذاته، يصبح وسيلة مقدمة يتوصل بها إلى إشباع حاجات حيوية أخرى"(W.James , 1968, p151).

إن البراغماتية إذن هي نمط معاصر من التفكير الفلسفي أحدث قطيعة ابستمولوجية إلى حد ما مع أنماط التفكير الفلسفي التقليدي، سواء العقلانية الكلاسيكية أو التجريبية الاختبارية الكلاسيكية كذلك، حيث وجدت في الولايات المتحدة الأمريكية أتباعا وأنصارا، بفعل الظروف والأحداث التي عاشتها أمريكا في تلك اللحظة، إن هذا الفكر الجديد نبع من رحم المجتمع الأمريكي، دون نسيان التأثيرات الخارجية في ذلك. رغم اتفاق مؤسسيه الأوائل "بيرس، جيمس، دوي" على مضمون البراغماتية والذي يربط الفكرة بالنتيجة، إلا أنهم اختلفوا حول النتائج العملية التي تعد مرضية وبالتالي معيارا للصدق والصحة. إذا كان" بيرس" وجيمس" بشكل أكبر ربطا الفكر والمعرفة بالنافع، حيث قال "جميس "في ذلك: الحقيقي هو النافع"، أما ديوي" بحث بشكل أخر في كيفية استثمار هذا الفكر في مجال التربية والديمقراطية، ونعلم بشكل كبير الإسهامات الكبرى لديوي في مجال التربية والديمقراطية، حيث يعتبر من أكبر رواد فلسفة التربية. فالبراغماتية كما قدمها"ديوي" هي النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة وموادها إنما تتحدد في حدود الاعتبارات العملية أو الغرضية؛ فليس هناك محل للقول بأن المعرفة تتحدد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الخالصة أو المجردة(محمد مهران رشوان، 1984، ص41)، وبهذا المعنى فهي اتجاه-كما سبق القول معنا- يقف مخالفا لركائز وغايات الفلسفات التأملية والعقلية الخالصة، ويجعل من الاعتبارات العملية أساسا له. فهي بهذا المعنى تنطلق من الواقع لتغير العالم، وليس الانطلاق من فرضيات لبناء نظريات تفسر الواقع، وهنا يمكن أن نستعير القول الشهير لدى "كارل ماركس" الذي يقول فيها:" كل الناس يهتمون بتفسير الواقع، ولكن أنا أهتم بتغير الواقع".

إن هذا الإختلاف حول النتائج التي تعد معيارا للصدق والمنفعة، دفعنا إلى ضرورة تبيان بعض أنواع الفلسفة البراغماتية حسب زاوية نظر روادها، فمثلا يمكن أن نتحدث عن:

البراغماتية الإنسانية: وترى أن كل ما يحقق الأغراض والرغبات الإنسانية فهو حق وصدق، وقد أخد بهذا المنحى"وليام جيمس" وخاصة في كتاباته حول الأخلاق والدين.

البراغماتية التجريبية: وترى أن الحق هو ما يؤدي إلى عمل، بمعنى التحقق على الواقع أو التحقق التجريبي.

البراغماتية الإسمية: هي عبارة عن صورة فرعية، للبراغماتية التجريبية، وترى أن نتائج الأفكار هي ما تتوقعه في صورة وقائع جزئية مدركة في الخبرات التي تحدث في المستقبل.

البراغماتية البيولوجية: أو بعبارة أخرى الرؤية البيولوجية للبراغماتية، وهي ترتبط بشكل كبير "بجون ديوي" وترى أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته، فالتأقلم والتكيف الناجح المؤدي إلى البقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار.

إن هذا التنوع على مستوى الغايات المشكلة للفلسفة البراغماتية يطرح من جهة ابستمولوجية وميتودولوجية ضرورة البحث والغوص في أصول هذه الفلسفة رغم صعوبة الأمر، لكن المتأمل لتاريخ البراغماتية كفكر فلسفي ظهر في أمريكا يمكن له أن يحدد بشكل جلي بعض منابعه الفكرية، وفي هذا الإطار يطرح المهتمين بالفكر البراغماتي إشكالية فلسفية تتعلق بصعوبة تحديد هوية البراغماتية، بمعنى أخر هل الفلسفة البراغماتية فلسفة أمريكية نابعة من رحم المجتمع الأمريكي؟ أم فلسفة لها جذورها التاريخية في الفكر الفلسفي القديم والحديث؟ ومحاولة منا الإجابة عن السؤال السابق نتقدم ببعض أصول الفلسفة البراغماتية في ما يلي:

أصول فلسفية: حاول بعض المهتمين إظهار أصالة الفلسفة البراغماتية، وذلك بإرجاعها إلى كثير من الفلاسفة بدءا بفلاسفة اليونان، مرورا بالفلسفة الحديثة وصولا إلى فلاسفة الفترة المعاصرة.

1. **السفسطائية**: ترك هذا التيار أثرا كبيرا في لحظة زمنية في الفكر اليوناني، حيث أقر السفسطائيون وخاصة كل من "بروتاغوراس وجورجياس"، بأن الخبرة الفردية الحسية تختلف من فرد إلى فرد أخر، لذلك كان لابد لهم من أن يصلوا إلى القول بأن الواقع هو ما يبدو عليه الفرد، وهذا عبر عنه "بروتاغوراس" قائلا: "الإنسان مقياس كل شيء". حيث شكل هذا القول مبدأ وركيزة أساسية في الفلسفة البراغماتية خاصة مع "وليام جيمس".

2. **أرسطو**: يعتبر أرسطو من الفلاسفة الكبار في الفلسفة بشكل عام، حيث ركز على الحس والتجربة بوصفها مكونا ضروريا في مكونات المعرفة، حيث تم إعادة الإعتبار للحس المشترك الذي أحدث "افلاطون" معه قطيعة عن طريق نظريته التأملية المتعالية.

3. **الابيقورية:** عندما نتحدث عن ابيقور، فإننا نتحدث عن مدرسة مهمة في تاريخ الفلسفة اليونانية وبعد ذلك في الفلسفة البراغماتية، خاصة عندما اعتبر ابيقور أن الحقيقة ليست مطلقة، بل تكمن أهميتها في إصلاح المعتقد بها وذلك بتخفيف الألم والمعاناة إلى أدنى حد والوصول بدل ذلك إلى أقصى حد من اللذة، وبالتالي فالتفلسف هو نشاط عملي عبر اختيار الوسائل المؤدية لتلك الغايات، وهذه المدرسة تعد بمثابة أوائل المبشرين بالبراغماتية.

لا ندعي أننا وقفنا أمام كل الأصول الفلسفية للفكر البراغماتي، لأن المقام هنا لا يسمح لنا بذلك، فالفكر البراغماتي له جذور فلسفية وكذا علمية عميقة، غير أن هناك من يرى أن الفلسفة البراغماتية فلسفة أمريكية خالصة، لذلك سنشير هنا وبشكل مختصر لذلك.

البراغماتية فلسفة أمريكية:

تعرفنا فيما سبق على بعض الجذور الفلسفية للفلسفة البراغماتية وخاصة في فلسفة اليونان، لكن إلى جانب ذلك يرى العديد من المهتمين بالفكر البراغماتي، أن هذا الأخير كان انعكاسا للحياة الأمريكية خلال القرن 19م، وذلك لما عرفته الحياة الأمريكية من تحولات وإعلاء لقيمة الفرد ومصالحه إلى أقصى درجاتها؛ فهي تعبر عن نظام يحرك الرأسمال والمادة. كما يرتبط ذلك بالتحولات الصناعية التي عرفتها الولايات المتحدة في تلك الفترة، حيت تم الرفع من مستوى

الفردانية على حساب العلاقات الحميمية والعاطفية، أو بمعنى أخر العلاقات الثانوية على حساب الأولية. وهذا النجاح العملي في دنيا الواقع الأمريكي أساس نظرية الحقيقة البراغماتية(مهران رشوان، 1984، ص74).

إن كل هذه التحولات التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال أواخر القرن التاسع عشر أثرت بشكل ملحوظ للعيان على جميع أنماط الفكر سواء منها الفلسفي أو العلمي، ولعل هذا هو ما سيؤدي إلى الاهتمام المتزايد من طرف الجامعات الأمريكية بالواقع؛ من خلال دراسته ومقاربته بمختلف النظريات والمقاربات العلمية، هذا الأمر كله يعكس زاوية نظرا المفكر الأمريكي الذي توجه بشكل كبير إلى الاهتمام بالتفرد والفرد في خلاف الجماعة أو الكل، بل حاولت معظم الجامعات الأمريكية إعداد تصورات نظرية ومنهجية للنزول إلى الميدان باعتباره مصدر المعطيات، ولعل هذا كله هو ما سيسهم وفق روح براغماتية في التقعيد لفرع مهم في علم الاجتماع وهو علم الاجتماع الحضري في شخص مدرسة شيكاغو.

ثانيا. مدرسة شيكاغو: السياق والخصائص:

لا أحد من المهتمين بالفكر السوسيولوجي ينكر أن السوسيولوجيا كعلم مستقل ظهر في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، غير أن هذا العلم حديث النشأة سيشهد بعد ذلك ولادة جديدة من رحم الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شهدت هذه الأخيرة تحولات مهمة مست كل البنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، هذا الأمر سيؤثر بشكل واضح على ظهور علم جديد يستمد جذوره وأساسه وروحه من أوروبا، لكن بطابع أمريكي خاص، إنه علم الاجتماع الحضري في شخص مدرسة شيكاغو، حيث أصبحت الجامعات مع هذه المدرسة ذات دور فعال في الحث على انجاز البحوث السوسيولوجية الميدانية التي تهم المدينة والتحضر وبإشكالاته المختلفة.

يمكن القول بأن علم الاجتماع الحضري قد استطاع تحويل المدينة بظواهرها إلى موضوع سوسيولوجي قائم الذات مع مدرسة شيكاغو، حيث كانت هذه الأخيرة امتدادا لبداية الاهتمام السوسيولوجي بالمدينة، الذي يمكن تشخيصه مع ثلة من ركائز الفكر السوسيولوجي وخاصة كل من دوركايم في حديثه عن التضامن الآلي والتضامن العضوي، إضافة إلى تقسيم العمل، دون نسيان "ماكس فيبر" الذي خصص كتابا لموضوع المدينة والتحضر، أما الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني "جورج زيمل" فقد قدم دراسة جد معمقة للحياة داخل المدينة، حيث تمركزت بحوث معظم رجالاتها على ما تعيشه المدن الأمريكية من تحولات في مجال الهجرة، التحضر السريع، العلاقات العرقية، الإجرام، التنقل...الخ.

من المؤكد أن نشأة هذه المدرسة، لم تكن من فراغ؛ بل هناك من جهة ما عرفته الولايات المتحدة الأمريكية من تحولات سوسيومجالية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهناك من جهة أخرى ما طرأ على ظروف العمل الجامعي الأكاديمي والبحث السوسيولوجي على الخصوص من تحديث وتجديد في الولايات المتحدة الأمريكية(المالكي ع.الرحمان،2015، ص66).

إن هذا التوجه الجديد الذي أخذت به الجامعة الأمريكية لم يكن وحده هو الفاعل أمام تطور مدرسة شيكاغو وبالتالي علم الاجتماع الحضري، بل ساهم الفكر السوسيولوجي الأوروبي السائد

أنداك(دوركايم، فيبر، زيمل)، كما كان للفكر الفلسفي البراغماتي السائد في أمريكا آنذاك تأثير واضح للعيان على توجهات وأهداف، بل ومناهج مدرسة شيكاغو، حيث لا أحد ينكر مدى مساهمة الفكر البراغماتي في التقعيد وتوحيد غايات وأهداف مدرسة شيكاغو.

إن هدفنا كما قلنا سابقا من هذه الورقة ليس الوقوف على كل المؤثرات التي ساهمت بشكل أو بأخر في مدرسة شيكاغو، وإنما غاياتنا تبيان الدور الحاسم الذي لعبه الفكر الفلسفي البراغماتي الأمريكي في تكوين وإرساء لبنات مدرسة شيكاغو.

المحور الثاني. الفلسفة البراغماتية ومدرسة شيكاغو: أية علاقة؟:

جاء في ذكرنا سابقا، أن الفكر الفلسفي البراغماتي ترعرع في أحضان الولايات المتحدة الأمريكية والذي يعبر لا محال عن واقع الحياة الأمريكية وما كانت عليه في تلك الفترة، هذا الواقع سيؤثر بشكل كبير على الفكر السوسيولوجي السائد فيها آنذاك.

إن الفلسفة البراغماتية تنطلق من أطروحة مفادها أن الأفعال الإنسانية تتضمن ثلاثة أبعاد أساسية لا يمكن الفصل بينها وهي: البعد البيولوجي، البعد السيكولوجي، البعد الأخلاقي، إن الفرد أثناء قيامه بأي فعل من الأفعال يسعى إلى تحقيق غاية ما ويستشعر أثناء انجازه لفعله أحاسيس وانعكاسات(المالكي ع.الرحمن،2015، ص78)، ولعل هذه الروح البراغماتية هي التي ستشكل الإطار المرجعي النظري والميتدولوجي لعلم الاجتماع الحضري الأمريكي، إن الفلسفة البراغماتية كمرجعية نظرية هي التي ستساعد في حل المشاكل الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والأخلاقية في مجتمع أمريكا، لذلك فمعظم رواد الفلسفة البراغماتية اعتبروا بأن المشاكل الاجتماعية سواء الحضرية أو غيرها؛ يجب التعامل معها بمناهج علمية ذات طابع واقعي وليس تأملي خالص، هذا هو الذي بدا جليا في مساهمات"جون ديوي" مثلا في مجال التربية والتعليم.

يبدو أن الفكر البراغماتي كفكر فلسفي ربط الفلسفة بالفعل؛ عبر الانخراط في حياة الناس والمعيش اليومي، وليس التأمل المجرد والخالص كما كان مع الفلسفة الألمانية المثالية مثلا، بل الفلسفة هي التي يجب أن تعيش في الواقع، هي التي تكون ذات التأثير الواضح على الحياة المعيشية، ولعل هذا التوجه الميداني لهذه الفلسفة هو ما ستأخذ به مدرسة شيكاغو بشكل واضح؛ فالفيلسوف حسب البراغماتية هو ذاك الذي ينخرط في حياة مدينته؛ يعيش همومها ويهتم بأمور بيئته، وبالعمل الاجتماعي الذي يرمي إلى التغير، ويقول في ذلك"اندرو ريك": إن زعماء مدرسة شيكاغو في مطلع القرن العشرين قد جعلوا من البراغماتية الفلسفة الاجتماعية للديمقراطية" (الان كولون، 2012، ص19)، وهكذا أصبحت البراغماتية أداة اجتماعية لكونها جد نشطة في حركة الإصلاح الاجتماعي،إذ إن إدراك الأفراد يتمثل من خلال فهم الأنشطة الاجتماعية المترابطة لأفعالهم وسيروراتها الاجتماعية.

هكذا إذن يبدو لنا جليا مدى التأثير الواضح للفلسفة البراغماتية على السوسيولوجية الحضرية في شخص مدرسة شيكاغو، فمعظم العلماء الأوائل لهذه المدرسة جعلوا من الفلسفة البراغماتية مرجعا نظريا يساعد في فهم وحل المشاكل والتحديات التي تعاني منها مدينة شيكاغو. فمن المعروف أن مدرسة شيكاغو جعلت الميدان مركزا مهما لها، بل أخذت من المدينة مختبرا

اجتماعيا ومجاليا لإجراء بحوثها، حيث استطاعت هذه المدرسة أن تقدم سلسلة واسعة من الدراسات النظرية والإمبريقية عن الحياة الحضرية، التي ارتكزت أساسا في مدينة شيكاغو بفعل الحركة البشرية المهمة التي عرفتها نتيجة ارتفاع معدلات الهجرة القادمة إليها من كل بقاع العالم، وما صاحب ذلك من مشاكل راحت ضحيتها العديد من الأجناس البشرية، فجاءت هذه المدرسة بجامعة شيكاغو في قسم علم الاجتماع الذي كان تحت رئاسة "روبرت بارك Robert Ezra Park"، الذي ألح على ضرورة النزول إلى الميدان لجمع المعطيات من خلال الملاحظة الشخصية الميدانية، حيث عبَر عن ذلك بنفسه قائلا: "عزمت على أن أخوض التجربة بنفسي...أن أفهم بنفسي مباهج الحياة ومآسيها(خلف مصطفى عبد الجواد،2002، ص264)، وفي هذا الصدد أشار "روبرت بارك" إلى أن المدينة ليست فقط مجالا تتجسد فيه الشوارع والمباني ووسائل المواصلات...ولا كمجموعة نظم إدارية ومصلحية من مدارس ومستشفيات ومحاكم...بل إنها فوق ذلك كله، تجسيد لنمط ثقافي منظم لعادات وسلوكيات متجذرة بين عناصر المجموعات المتحضرة(سلام محمد شكري، 2010، ص21)، وفي ذلك كتب عام 1916 للمجلة الأمريكية لعلم الاجتماع مقالا مهما يحمل عنوان "المدينة: اقتراحات لدراسة السلوك الإنساني في المحيط المديني"، حيث شدد فيه على ضرورة دراسة الحياة المدينية وثقافتها بواسطة عدد معين من التقنيات والوسائل الملائمة لظاهرة وموضوع الدراسة، حيث اعتبر المدينة بمثابة مكانا مناسبا لدراسة الحياة الاجتماعية، بمعنى أن فهم المدينة ودراستها وتحليلها، يعتبر عملا علميا وميدانيا لفهم ما يميز المجتمع الحضري المعاصر من مشاكل وتحديات، فالحياة في المدينة حسبه تُنتج طرقا جديدة للحياة ونماذج جديدة من التعاملات، وأنه على علماء الاجتماع أن يكتشفوا هذه الأشكال الجديدة من مدنهم بنفس الطريقة التي درس بها علماء الأنثربولوجيا القبائل البدائية(السيد عبد العاطي، 1993، ص56)، وفي نفس الاتجاه والمنحى سار معظم الرواد الأوائل لمدرسة شيكاغو "ارنست برجس، ولويس وريث..الخ"؛ حيث جعلوا من فلسفتهم فلسفة ميدانية، أو إن صح التعبير فلسفة الفعل والعمل، ولعل هذا ما يعكس لنا بشكل جلي التوجه الذي أخذت به غالبية جامعات أمريكا، فجعلت من العمل أساسا لها، وهذا ما يعكس روح الفلسفة البراغماتية. حيث أصبح التدخل في معظم مناحي الحياة وكل ما يجدي نفعا أساس البحث العلمي، وليس التأمل العقلي الخالص كما كان سائدا في أوروبا خلال القرن التاسع عشر والعشرين. إن هذا التأثير الواضح للفلسفة البراغماتية على توجه مدرسة شيكاغو يمكن تجسيده على شكلين أو نوعين:

أولا. على مستوى الغاية والأهداف: حيث أصبحت أهداف مدرسة شيكاغو أهدافا تدخلية نفعية بمعنى الكلمة، حيث تبحث فيما يمكن أن يجدي نفعا لأمريكا بغية تجاوز ما أصبحت تعاني منه معظم مدنها في تلك اللحظة.

ثانيا: على المستوى المنهجي الميتدولوجي، فإذا كانت الفلسفة البراغماتية تأخذ من الواقع مصدرا لها، فنفس الأمر مع مدرسة شيكاغو، جعلت الميدان مختبرا للأبحاث ومصدرا للمعطيات الأمبريقية التي ستسهم لا محال في بناء المجتمع المنشود، حيث أصبح الفرد مصدر المعلومة وغايتها.

إن هذه المستويات والأشكال وغيرها هي التي دفعتنا إلى القول بأن الفلسفة البراغماتية كفكر فلسفي يستمد روحه من الأصول الفلسفية الكبرى ومن واقع أمريكا، لها تأثير واضح للعيان على التوجه العملي والنظري لمدرسة شيكاغو، لذلك صح القول بأن الفلسفة البراغماتية شكلت المرجعية النظرية الفلسفية لعلم الاجتماع الحضري الأمريكي في شخص مدرسة شيكاغو، دون نسيان بطبيعة الحال العديد من المؤثرات الأخرى.

خلاصات واستنتاجات:

إن آخر ما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذه الورقة ؛ أن الفلسفة البراغماتية من بين أهم المذاهب الفلسفية الأمريكية التي كان ولازال لها تأثير واضح على مستوى الفكر الإنساني عامة وفي معظم مجالاته. ولعل هذا التأثير سيكون بشكل كبير على مدرسة أخرى تولدت من رحم المجتمع الأمريكي؛ ويتعلق الأمر بمدرسة شيكاغو التي كان لها تأثير واضح على مستوى الفكر السوسيولوجي عامة وعلم الاجتماع الحضري خاصة، وذلك التأثير واضح للعيان على مستوى الجانب المنهجي أولا، ثم على مستوى الأهداف والغايات التي تهدف إليها أبحاث مدرسة شيكاغو، هكذا إذن يبدو بأن كل من الفلسفة البراغماتية وعلم الاجتماع الحضري في شخص مدرسة شيكاغو تربطهما علاقة قوية؛ علاقة مجالية أولا بكونهما ظهرا في تراب أمريكية، وعلاقة ابستمولوجية وميتودلوجية ثانيا؛ بكونهما يهدفان معا إلى محاولة فهم الحياة الأمريكية من خلال معظم جوانبها باستعمال أدوات منهجية أكثر واقعية وميدانية.

قائمة المراجع:

1. أبو عباس عبد الإله(1980)، "أزمة المدينة العربية"، ط1، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت.
2. أنتوني غدنز(2001)، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم الدكتور فايز الصياغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت.
3. التير مصطفى عمر(1995)، "اتجاهات التحضر في المجتمع العربي"، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ليبيا.
4. السيد عبد العاطي(1993)، "علم الاجتماع الحضري، بين النظرية والتطبيق مشكلات نظرية"، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
5. الشرقاوي محمد عبد الله(1991)، "في الفلسفة العامة-دراسة ونقد"-، ط2، دار الجيل، بيروت، لبنان.
6. المالكي عبد الرحمان(2015)،"الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب"، ط1، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، كلية الآداب فاس، المغرب.
7. بوشنفاتي بوزيان(1988)، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب دراسة في البناء الإجتماعي لمدن الصفيح، ط1، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، المغرب.
8. ديوي جون (1960)، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، نيويورك.
9. زكرياء إبراهيم(1986)، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج1، مكتبة مصر، القاهرة.
10. عزمي إسلام(1980)، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت.
11. كرم يوسف(1969)، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5، دار المعارف، مصر.
12. جون سكوت(2009)، علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة عثمان محمد، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

13.سهيل إدريس(2009)، المنهل قاموس فرنسي-عربي، ط 40، دار الأدب للنشر والتوزيع، لبنان.
14.ماكس فيبر(2001)، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال مراجعة محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.
15.مهذان أمحمد(2013)، نظريات سوسيولوجية معاصرة، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب.

وَعْدَةُ الولي سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نـهار بتلمسان مقاربة تاريخية وسوسيولوجية

The Waada of Sidi Yahia Bensfia in the region of Ouled Nhar in Tlemcen: a historical and sociological approach

د.قويدر قيداري، كلية الآداب واللغات جامعة معسكر- الجزائر

ملخص: سنسعى من خلال هذه الدراسة للحديث عن الوَعْدَة (موسم تكريم الأولياء)، باعتبارها ظاهرة سوسيولوجية وأنثروبولوجية، تمثل مهرجانا شعبيا تتداخل فيها مظاهر الثقافة الشعبية (المادية واللامادية) بالمعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد والفنون الشعبية.. وهي تعرف في الذاكرة الشعبية الجزائرية أيضا، باسم (الزّردة أوالطَّعْمْ، الرَّكْبْ..).

وستتصف دراستنا بمقاربتين: مقاربة تاريخية؛ تبحث في أصول ظاهرة الوَعْدَة الخاصة بتكريم الولي سيدي يحي بن صفية في منطقة أولاد نهار الواقعة إلى الجنوب الغربي من مدينة تلمسان، على الحدود الجزائرية المغربية، ومقاربة سوسيولوجية ترصد بعض السلوكات الاجتماعية التي تتمظهر من خلالها.

دراستنا هذه نابعة من إدراكنا لأهمية مثل هذه الموضوعات المرتبطة بالمقدّس في المخيال الشعبي، ومن إدراكنا أيضا لضرورة إبراز بعض تأثيرات الشعائر الدينية والعرفية في السلوك الاجتماعي، بإمكاننا أن نشير هنا إلى دور الأعراف والممارسات الطقوسية، كما هو الأمر في الوعدة، في توجيهه سلوكات الأفراد داخل القبيلة وضبطها، لكن فهم هذه السلوكات ونسقيتها يحتاج إلى تحليلها بدقة وعمق، وتجاوز تجلياتها الظاهرة للوصول إلى كوامنها الخفية، والأسباب المستترة وراءها. هذا كله لا يتأتى إلا بالبحث في العلل التي أوجدت هذه الممارسات الشعبية والطقوس الدينية، والوظائف التي تؤديها في الحياة الاجتماعية. من هنا تأتي أهمية هذه المقاربة التاريخية والاجتماعية لوعدة الولي سيدي يحي بن صفية.

الكلمات المفتاحية: وَعْدَة، سيدي يحي بن صفية، أولاد نهار بتلمسان، تاريخية، سوسيولوجية.

Abstract: Though this study, we will study the Ouada (the tradition of celebration of the Saints) as a social phenomenon. The Ouada is a popular festival that brings together manifestations of popular culture, popular beleifs, customs, traditions and folklore. It is Know in the popular memory by the names of Zerda, Taam, and Raakb. In this research, we will analyze the historical and sociological dimension of the Ouada phenomenon that honors Saint Sidi Yahia Bensfia, which takes place in the region of Oulad Nhar locatd southwest of the tlemcen city, on the Algerian-Moroccan border.

Our study comes from our awareness of the importance of this type of subjects related to the sacred in the imagination of the popular, but also the need to highlight some of the effects of religious and customary rituals in social behavior. We can emphasize here the role of customs and ritual practices in the orientation and control of the behavior of individuals within the tribe. However, understanding these ritual behaviors and their norms requires a deep analysis that must go beyond immediate appearances and access hidden reasons. All this can only be done by examining the reasons for these popular practices and religious rites and their functions in social life. Thus, it is easy to demonstrate the importance of this historical and social approach of the Waada of Sidi Yahya Ben Safia Sidi.

Keywords: Ouada Sidi Yahia Bensfia, Oulad Nhar Tlemcen, historical, sociological**.**

مقدمة:

تشترك منطقة أولاد نهار بتلمسان على غرار كثير من الجهات الجزائرية في إحياء مواسم الصالحين "الوعدات" باعتبارها موروثا ثقافيا شعبيا مقدسا ومشتركا، وتعتبر هذه الممارسات الاجتماعية الشعبية المرتبطة بالمقدّس وما تفرزه من نظم اجتماعية وسلوكات شعبية من أهم الموضوعات التي شغلت بال الباحثين الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين قديما وحديثا، ولعل ذلك راجع إلى كون مثل هذه الطقوس الدينية المرتبطة بالفضاءات المقدسة (فضاء الولي تحديدا) تمثل أحد الأنساق الاجتماعية الكبرى التي تلعب دورا في تشكيل وبناء النسيج المجتمعي للمجموعات البشرية التقليدية وضبطه، بحيث تمكننا من فهم مكونات كثير من السلوكات الاجتماعية وأبعادها الثقافية.

ومثل هذه الممارسات الاجتماعية تناولتها مقاربات كثيرة ومختلفة: تاريخية، نفسية، أنثروبولوجية، أدبية، فولكلورية وذلك لتشعباتها واختلاف أبعادها وتداخل الممارسات فيها (Attitude) (هيئة التجلي) بأنواع التمثلات (Représentation) (هيئة الإضمار).

وسنقف من خلال هذه الدراسة على الأبعاد التاريخية لظاهرة الوعدة في منطقة أولاد نهار لمعرفة الخلفيات التي ساهمت في بلورتها واستمراريتها، ثم سنرصد الأبعاد الاجتماعية والثقافية التي تغذيها، وبعض الوظائف التي تؤديها، والتي تحقق لهذه المجموعة قوتها وتماسكها وهويتها لمواجهة مختلف الظروف والتغيرات الراهنة التي قد تساهم في تفكك هذا البناء الاجتماعي أو احتوائه.

1.التعريف بالمجال البشري والجغرافي للدراسة:

تستوطن قبيلة أولاد نهار الجنوب الغربي لولاية تلمسان الجزائرية، وهي قبيلة عربية إدريسية، تنحدر من ذرية سيدي يحيى بن عبد الرحمن المكنّى (بن صفية) -1529م/1610م- وذرية

أخويه سيدي أحمد وسيدي موسى، ممتزجة ببطون وفرق وأسر ذات أصل عربي وأمازيغي، تكونت منذ أواخر القرن 16م، واستوطنت الجزء السهبي للمنطقة والجزء الجبلي الممتد من جبل سانف، مرورا بجبل بني يعقوب وجبل تونزايت وما بينهما إلى المشاميش والمسيون، وهي المنطقة التي لا تزال تسكنها لحدّ الآن(الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/ 1364ه، ص25- 27/ قيداري قويدر، 2009، ص17-37).

يتصل نسب قبيلة أولاد نهار كما هو ثابت عندهم في بعض التقاييد المخطوطة والمتوارثة بينهم بالإمام إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الشأن قال عبد القادر الفاسي في تاريخه كتاب الأصول: " ومن أخيار الأشراف الولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحيى بن عبد الرحمن المكنى (بن صفية)، وهو جد أشراف أولاد نهار"(الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/ 1364ه، ص25).

هناك كتب كثيرة –توزعت بين المخطوطات والمصادر التاريخية والمراجع العربية والفرنسية- تعرضت لعمود النسب الشريفي لقبيلة أولاد نهار، سواء تلك التي ذكرته كاملا أو تلك التي تعرضت لبعض الحلقات منه، ولا يمكننا مجاراتها جميعا، وسنكتفي فقط بذكر بعضها على سبيل الذكر لا الحصر:

-الجيلاني بن عبد الحكم - المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحيى بن صفية- مطبعة بن خلدون، تلمسان ، (د.ط) ، 1364هـ،(ص26-27).

-أحمد بن محمد العشماوي – السلسلة الوافية والياقوتة الصافية- المأخوذة من كتاب : "مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب" (في أربعة كتب)، جمع وتأليف الشيخ بالهاشمي بن بكار، مطبعة بن خلدون، تلمسان، (د.ط)، 1961، (ص265- 268).

-محمد بن الحسن بن يحيى بن سيدي يحيى بن صفية- البستان الطيب في مناقب أبي يحيى وأبي الطيب- (مخطوط)، (ص 03).

التقاييد: وهي عبارة عن نسخ مخطوطة من مشجرات نسب أولاد نهار، توارثوها خلفا عن سلف، وهي لا تختلف مع المراجع الأساسية التي تناولت نسب أولاد نهار، كتب هذه التقاييد كما سمعها من عقلاء أولاد نهار وشيوخهم، السيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن الحبيب الجكني الرمضاني التندوفي، الإمام بمسجد العريشة آنذاك، وفي ذلك يقول: "أما بعد فهذه تقييدات التقطتها من التقاييد القديمة التي هي بأيدي أولاد سيدي يحيى بن صفية، والتي سمعتها من أفواه الثقاة منهم، والأخبار المتواترة بينهم والشائعة عندهم".

-Capitaine Noel, « Document Historique sur les tribus de l'annexe d'El aricha », B.S.G.O (Bulletin trimestriel de la société de la géographie et d'archéologie d'Oran), fondée en 1878, imprimerie L Fouque –Oran , Sep/Dec 1917, p 248-250.

-Jaque Berque : Ulemas fondateur de Maghreb 17ème siècle, Bibliothèque arabe sindebad , Paris , 1982, p57.

-أ. أحمد بن صفية، مشجرات نسب أولاد نهار، تلمسان، دراسات مخطوطة.

وحول منطقة أولادنهار بتلمسان يذكر الكاتب النقيب نوال (Capitaine Noel): أن الأمازيغ عمّروا هذه المنطقة في فترة ما قبل الإسلام، إذ يقول في هذا الشأن: " توجد في منطقة أولاد نهار آثارا لبناءات بربرية تبدو أنها تعود إلى ما قبل الإسلام، ولكن يصعب أن نحدد لها تواريخ حتى تقريبية، وتوجد هذه الآثار البربرية في المنطقة الجبلية موزعة في كل من جبال تنوشفي وتونزايت، ودشرة اليهودي، وبأعلى عين تادارت، وخليل، ودار الصنعة وسيدي الجيلالي، والمحجوب، وحاسي العابد، ومضيّل، والمشاميش، والمسيون، وجبل سيدي العابد، وسيدي المخفي، والصّيادة"(Sep/Dec1917Capitaine Noel, p237).

وقد ظلت هذه المنطقة معمّرة من قبل البربر الزناتيين، إلى غاية الفتح الإسلامي، حيث اعتنق سكانها الدين الإسلامي تدريجيا، بل أن عقبة بن نافع في ولايته الثانية بين سنتي 62-63هـ/681-683م فتح المغرب الأقصى معززا ومآزرا بفلول كثيرة من القبائل الزناتية المنتشرة في مناطق الحدود الجزائرية المغربية(إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، 1985، ص19).

وتأثرت منطقة أولاد نهار بالأحداث التاريخية التي عرفها المغربان الأوسط والأقصى على وجه الخصوص منذ العهود الإسلامية الأولى، نظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي الذي يتحكم في ملتقى منطقتين جبلية وسهبية، لهما أهميتهما في الحروب وفي حركة السكان، ويتحكم أيضا في ممر طبيعي يربط بين الشرق والغرب، وفي إحدى أهم الطرق التجارية بين تلمسان والصحراء، مما جعل هذه المنطقة تتميز بمسالك ومعابر استراتيجية استعملتها جيوش الدول المتحاربة (خاصة الزيانيين والمرينيين) خلال تلك العهود من تاريخ المغرب، وذلك لمرورها بمناطق منيعة وتحكمها في الجهات المحيطة بها.

وبذلك كانت منطقة أولاد نهار محطة للتخييم والإقامة والانتجاع للقبائل التي كانت تجوبها أثناء حركتها بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، كما كانت عرضة للصراعات والحروب التي كانت تقع بين دول المغرب العربي آنذاك لاسيما بين المرابطين والموحدين من جهة، وبين الزيانيين والمرينيين من جهة ثانية.

يقول إساعيلي مولاي عبد الحميد العلوي: في النصف الثاني من القرن11م انصهر مرة أخرى العنصر العربي بالعنصر الأصلي في بلدان الغرب الإسلامي بتوافد فصائل من قبائل بني هلال وبني سليم.. ولعل أهم القبائل العربية التي استوطنت جهتي غرب الجزائر وشرق المغرب- تنتسب إلى شعبتين أساسيتين، هما بنو هلال والمعقل(إسماعيلي مولاي عبد الحميد العلوي، 1985، ص68).

وقد قامت تلك القبائل العربية وفروعها المنحدرة منها بدور كبير وخطير في التاريخ السياسي والثقافي والحراك الاجتماعي والامتزاج الديمغرافي داخل المجال الجغرافي الذي استوطنته، ولا تزال بعض الفروع المنحدرة من تلك الشعبتين ممتزجة بالتركيبة الاجتماعية لقبيلة أولاد نهار ومحافظة على تسمياتها المعروفة، مثل العْمور وعياض.

2.سبب تسميتهم بـ "أولاد نهار":

ترجع تسمية القبيلة بـ "أولاد نهار" إلى حادثة وقعت لسيدي محمد بن أبي العطاء –الحلقة السابعة في عمود نسب سيدي يحيى بن صفية –جد أولاد نهار الحاليين-(سيدي يحيى بن صفية بن عبد الرحمن بن موسى بن ابراهيم بن ابراهيم بن محمد بن زيد –الملقب بـ نهار- بن سيدي محمد بن أبي العطاء) وقد تعرّضت لهذه الحادثة كثير من الدراسات بالشرح والتفصيل، لعلّ من أهمّها ما وجدناه مثبتا في خمسة دراسات، وبعض التقاييد التي تمكنّا من الاطلاع عليها، والتي اتفقت جميعها حول رواية واحدة في تعليلها لسبب التسمية.

وملخّص هذه الروايات: أن الجدّ الأعلى لسيدي يحيى بن صفية وهو سيدي محمد بن أبي العطاء كان عائدا من حجة لبيت الله الحرام، فسمع بخبره واصل بن وانزمار السويدي، وهو أحد كبار قطاع الطرق في منطقة السهوب فسار رفقة ألف فارس ليعترض سبيله وينهب ممتلكاته.

وأغار على بعض أملاك محمد بن أبي العطاء الذي كان منشغلا بالصيد بعيدا عن الرّبع (المحلة)، ولمّا رجع إلى محلّته لم يجد سوى الرعاة الذين أخبروه بما جرى فتتبّع آثارهم إلى أن التحق بهم، فانطلق نحو واصل بن وانزمار وفي أثره عدد من الفرسان من خيرة أبطال العرب وهو ينشد :

هْوَّلني شَوقْ احْبَابِي ∴ كَاتَمْ السَّــــر قْنُـــــــوطْ
مَكْنُـــو لِـــــــي دِرْعِــي ∴ والسّيفْ المَسقُــــــوطْ

فتبارز الرجلان ونشبت بينهما معركة حامية الوطيس في واد كان يسمى وادي اللوز، يقع شرق مدينة تيارت، انتصر فيها محمد بن أبي العطاء على خصمه، فقتله، وصار ينشد :

زُرتْ قَبـرْ النْبي العدنانـــي ∴ في طْريقْ مُولايَ سُبحانَـه
بْجَاهَهْ انْقذْني سُلطَــــــانـــي ∴ فلساني فصيح في رضـــاهْ
بسيفي قْتَلَتْ واصَل الكافر ∴ فصارْ في جهنَّم يا ويـلاهْ

فأصبح وادي اللّوز منذ ذلك اليوم يسمّى بـ- وادي نهار واصل- ويطلق عليه أحيانا نهر واصل، وهو رافد من روافد وادي الشلف، وفي ذلك اليوم (يوم المبارزة) وُلِدَ لسيدي محمد بن أبي العطاء ولد سمّاه زيدا وأطلق عليه لقب (نْهَار) تيمّنا وتبرّكا بانتصار أبيه على عدوّه واصل بن وانزمار في ذلك اليوم المشهود أو (النّهار) المعلوم، وعرف أولاده (أولاد زيد المكنّى بنهار) بعد ذلك بأولاد نهار، وأصبحت ذريته تحمل اسم أولاد نهار وصاروا لا يُعرفون إلاّ بها، وخاصة بعد ظهور الولي الصالح سيدي يحيى بن صفية.

ودفن زيد (المكنى بـ نهار) بعد موته بجوار أبيه في عين الفضّة (جبل راشد أو جبال العمور). (الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/ 1364ه، ص38-40/ أحمد بن محمد العشماوي، 1961، ص265-266./ خليفة بن عمارة، 2002، ص92/Jaques Berque , 1978, p336-337).

3. سيدي يحي بن صفية جد أولاد نهار:

ولد الشيخ سيدي يحيى بن عبد الرحمن المكنى بابن صفية سنة 935هـ الموافق لـ: 1529م، ونشأ في بيئة دينية، حيث درس في زاوية جده لأمه الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة اللغة

والعلوم الإسلامية، على أساس أن التصوف يقتضي التمسك المطلق بالقرآن والسنة في العقيدة والسلوك معا.

ثم واصل سيدي يحيى بن صفية دراسته بوادي (غِيرْ) في زاوية مولى السهول بالقرب من مدينة بوذنيب التي تقع إلى الشرق من مدينة الرشيدية بالمغرب الأقصى، وتخرّج على يد رئيسها الشيخ محمد بن عبد الرحمن السَّهلي، وتبعا لتوجيهات شيخه توجّه نحو الشمال لنشر العلوم التي درسها وترسيخ الطريقة الشاذلية التي اتّبعها.

فاستقر بجبال تلمسان (جبال بني سنوس)، وقد أخذت سمعته تتنامى بسرعة، حيث كثر تلاميذه ومريدوه وأتباعه، يقول الجيلاني بن عبد الحكم: "ولما استقر –سيدي يحيى- بالبلد واشتهر أمره في سائر الأقطار، أتته الناس من كل جهة أفواجا، وهرعت إليه من جميع النواحي والأصقاع للأخذ عنه وخدمته والجوار له، حتى تكونت منهم قبيلة ترحل برحيله وتنزل بنزوله، وكانوا ينتجعون بمواشيهم في فصل الشتاء والربيع إلى جهة الصحراء التي قدموا منها، ويرجعون إلى بلدهم التي صارت مأوى لهم ومسقطا لرؤوس ذرياتهم... وهكذا أصبحت زاوية سيدي يحيى بن صفية مزدهرة وعامرة وبلغت شأوا كبيرا(الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/ 1364ه، ص32-34).

ذلك أن الرباطات والزوايا الصوفية كان لها إشعاعها الخاص وتأثيرها المتميز في النسيج المجتمعي، ليس لطابعها الديني والتعبدي فحسب؛ بل للعلاقات الإنسانية والمنفعية التي كانت تنسجها بين روادها ومريديها، وللدور السياسي الذي كانت تقوم به أحيانا مع أو ضد السلطة.

ففي نظر واعتقاد من كان يلتزم بأية طريقة صوفية، فإنّ موقع الزاوية حيث يوجد شيخ الطريقة كان له حرمة فائقة وقدسية عظمى حتى بعد وفاة أصحابها، فكانت مأوى الزوار والمسافرين، وملجأ الضعفاء والمحتاجين، وقبلة المرضى والمصابين، وكانت أيضا مأمن العصاة والخائفين، ووجهة المتحاربين والمتخاصمين، ولكل هذه الخصائص كانت تدفع لها الصدقات والقربان والهبات، جلبا للمنفعة الآجلة والعاجلة وتوطيدا لوشائج التضامن والتكافل مع الآخرين(أحمد بن محمد العشماوي، 1961، ج2، ص151).

والثابت عند رجال التصوف أن المعرفة الربانية لا تنتقل أبا عن جد إلاّ نادرا، لأن الله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وقد رمز سيدي أحمد بن موسى الكرزازي (شيخ الطريقة الكرزازية، وصاحب زاوية كرزاز، ورفيق سيدي يحي بن صفية في الطريق الصوفي، وله شعر شعبي صوفي غزير ومشهور يُتغنى به كثيرا في حلقات الحضرة – السماع الصوفي- في الجنوب الغربي للجزائر) إلى ذلك المعنى بقوله:

السِّر سِـــــــــرّك يـــا رَبْ ∴ لمن اتريد أنت تعطيـه
لَوْ كَانْ سِرَّ الله لِلْبَيـعْ ∴ اللِّي اكْثَـر مَالُو يَشْرِيـــهْ
ومْنِيـــنْ جَـا بـالتَّسْلِيـــــم ∴ اللّي صْـدَقْ هُـو يَدِّيـــــهْ

والثابت أيضا أن سلوك هذا الفن يقتضي الاسترشاد بشيخ عارف على قيد الحياة، يقول الشيخ أبو حامد الغزالي: "فاعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته،

ويجعل مكانها خلقا حسنا، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته، ويكمل ريعه"(أبو حامد الغزالي، 1980، ص63).

وقد أراد الله بان يكون في الأرض شيخ ومريد، صاحب ومصحوب، تابع ومتبوع من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة:

وفي ذلك يقول بعضهم:

السَّر بالخْشُوع يْفِيـــــدْ .·. والذَّكْر للقَلبْ جْبِيــرَه

وإذا صْفَا قَلب المريد .·. الشَّيخْ يْوَرّيهْ المْرِيـرَهْ

النّاسْ في الغَيْباتْ تْزيدْ في العْلُومْ .·. وانْتَ الذَّنْبْ يْصُبْ عْليكْ كِي المْطَر

لَوْ كان عَنْدَكْ شَيَخْ تْجيك العْلُـــــوم .·. ومْنِين بْقَـــــــــــات لْرَايَك مَاكْ يَنْحْصَـرْ

ويصف الكاتب النقيب (Capitaine Noel) الجو العام في المنطقة المعنية بالدراسة قبل مجيء سيدي يحيى بن صفية بقوله : " كان مجتمع هذه المنطقة يعيش في فوضى، فيها تحل القوة محل القانون والعدالة، وكانت النفوس ناضجة لتقبّل نفوذ أي رجل تقي ورع ودَيّن، وفي هذه الظروف وفد على المنطقة الولي سيدي يحيى بن صفية جد أولاد نهار الحاليين"(Capitaine Noel, Sep/Dec 1917, p249-250).

وقد ارتبط اسم الولي الصالح سيدي يحي بن صفية بشخصيتين صوفيتين جزائريتين ذاع صيتهما واكتسحت طريقتهما كامل الجنوب الغربي للجزائر، وحتى مناطق من شرق المغرب الأقصى، هما: الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد المدعو "سيدي الشيخ"، وهو من قرابته(ابن خاله)، والشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، وقد قاسما الشيخين المذكورين الشيخ سيدي يحي رحلة السير إلى الله وطلب العلم على يد شيخهم سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي أحد الأولياء الراسخين في العلم والولاية، والذي أخذ بدوره عن الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الشريف الراشدي ثم الملياني، صاحب الكرامات الشهير ورجل السياسة الخطير وولي مليانة الموقر، الذي كان يعدّ طيلة قرون من أوتاد المغرب وأقطاب الطريقة الشاذلية في القرنين(15و16)، وهو من خريجي مدرسة تلمسان الفكرية أواخر ق 9هـ(مدرسة محمد بن يوسف السنوسي).

سيدي أحمد بن موسى الكرزازي: ولد سنة 1502م بكرزاز بالجنوب الجزائري وتوفي بها حوالي 1610م، بعد حياة قضاها متعبدا وزاهدا، ينتهي نسبه إلى الإمام إدريس بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلقى علوم اللغة العربية والفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن، والتصوف ومبادئ الطريقة الشاذلية على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي، أسس لأتباعه طريقة صوفية تعرف بـ "الكرزازية" نسبة لمنطقة كرزاز، أو "الموساوية" نسبة إليه. له ديوان شعري شعبي ضخم، لا يزال جانب مهم منه مخبوء في صدور فقراء الحضرة وأتباع الطريقة الموساوية الكرزازية(Louis Rinn, 1884, p342-547).

سيدي عبد القادر بن محمد المدعو سيدي الشيخ: هو جد أولاد سيدي الشيخ، وصاحب القصيدة المشهورة المسماة "الياقوتة"، ومؤسس الطريقة الشيخية، ولد حوالي 1533م، وتوفي سنة 1616 (Louis Rinn, 1884, p349-351).

ومما جاء في ياقوتته من معاني الحب والثناء والإجلال للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي نجتزئ هذه الأبيات:

فأوّلهم في الذكر شمس وجودنا ∴ وقطب نهى علومنا اللدنيّـــــــــــــــــــة

إليه انتهت رئاسة القوم فارتقى ∴ على صهوات المجد من غير مريّة

أبو عابد الإله يسمّى محمـــــدا ∴ إلى عابد الرحمن يعزى بنسبـــــــــــــــــة

عليه سلام الله ما ذرّ شـــــــارق ∴ وما غنّى طير باللغات الحنينـــــــــة

فعنه أخذنا أعني عن قمر الدّجى ∴ ورثنا طريق القوم دون ا استرابة(Millad Aissa, 1986, p35-37).

4. طريقته الصوفية:

لم يسعَ سيدي يحيى بن صفية إلى تأسيس طريقة صوفية خاصة به كما فعل من قبل أخويه في الطريق، الشيخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، وابن خاله سيدي عبد القادر بن محمد المدعو (سيدي الشيخ)، وإنما بقي ثابتا على طريقة شيخه محمد بن عبد الرحمن السهلي وملتزما بها؛ ألا وهي الطريقة الشاذلية، نسبة إلى مؤسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، ولقب الشاذلي نسبة إلى شاذلة، وهي قرية تقع في جبل زغوان جنوبي تونس، كان قد اعتكف في مغارة بها رفقة بعض مريديه. ولد الشاذلي بـ"غمارة" قرب مدينة سبتة بالمغرب الأقصى سنة 593هـ/1196م واشتغل بالعلوم الشرعية مذ كان صغيرا وأتقنها مع كونه ضريرا، وقد تتلمذ لشيخه العارف بالله عبد السلام بن مشيش، وتوفي رحمه الله بصحراء عيذاب ببلاد الصعيد عام656هـ/1258م(عبد العزيز بن عبد الله، 2001، ج2، ص62-70).

كما لم يجبر سيدي يحيى بن صفية أبناءه على اتّباع نفس الطريقة التي كان يسلكها، لذلك وجدنا ابنه سيدي الجيلالي يتبع مشربا روحيا آخر، وهي الطريقة القادرية، فسيدي يحيى بن صفية كان يؤمن بأن الطرق بعدد أنفاس البشر وكلها تصل إلى الله.

5. وفاة سيدي يحيى (بن صفية):

لم يزل سيدي يحيى بن صفية ينفع الناس بالقرآن الكريم وبتعليمهم المسائل الشرعية والمطالب الدينية والوعظ والإرشاد، وإقامة حلقات الذّكر فضلا عن انفراده للتعبد والتدبر والتهجد في خلواته الكثيرة، والتي من أهمها خلوته "في الصّيّادة" (منطقة سيدي الجيلالي)، وخلوته "بالعبادة" (جبل يقع إلى الجنوب الغربي من ضريحه الكائن بحوض بوغدو بلدية سيدي الجيلالي، جنوب تلمسان).

وكذلك إسهاماته في فضّ النزاعات بين الأفراد والأسر والقبائل وبعث روح الأمن والأمان في سكان المنطقة وما جاورها، فقد كان يمثل للجميع شخصية "كاريزماتية" رسمت ملامحها عوامل كثيرة، أولها: نسبه الشريفي من جهة والده (عبد الرحمن بن موسى)، ثانيها: نسبه البوبكري الصديقي (نسبة لأبي بكر الصديق) من جهة والدته (لالة صفية بنت سيدي سليمان بن أبي سماحة)، وثالثها: تخرجه على يد الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، وانتظامه بذلك في السلسلة الشاذلية الذائعة الصيت آنذاك رفقة ثلّة من أهل الولاية والصلاح كالشيخ سيدي أحمد بن

موسى الكرزازي، والشيخ سيدي عبد القادر بن محمد، هذا فضلا عن تقواه ومروءته وكراماته الكثيرة، التي تعرض لها صاحب المرآة الجلية بالتفصيل.

يقول الجيلاني بن الحكم مؤرخا لوفاة الولي سيدي يحي: "ومازال سيدي يحيى بن صفية على تلك الحالة المرضية والترقي في الدرجات والأسرار والنطق بالحكم الربانية ينهض حاله ويدل على الله مقاله، إلى أن توفاه الله واختاره لجواره راضيا في سنة 1018هـ الموافق لـ 1610م، ودفن رضي الله عنه ببلاده هذه بوادي بوغدو في جبل سيدي محمد السنوسي على بعد أربعة عشر ميلا (حوالي 15كلم) من سبدو، وعليه قبّة عظيمة يقصدها الناس للزيارة والتبرّك"(الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/ 1364ه، ص42).

6. التركيبة الاجتماعية لأولاد نهار:

التركيبة الاجتماعية لقبيلة أولاد نهار تتكون أساسا من أبناء الولي سيدي يحيى بن صفية وأخويه سيدي أحمد وسيدي موسى **(ويطلق عليهم أبناء الصّلب)**، وأتباعه الذين نزلوا بزاويته واستقروا عنده بذريتهم **(ويطلق عليهم أبناء القلب)**.

فلمّا استقر سيدي يحيى بن صفية في هذه المنطقة، واشتهر أمره أخذ الناس يفدون عليه للأخذ عنه، والنزول عنده، والالتياذ بجانبه، فبعضهم اختار المقام عنده بأهليهم وأولادهم، والبعض الآخر أخذ عنه العلم والعهد و مبادىء الطريقة الشاذلية ورجعوا إلى أوطانهم.

فأما من اختاروا المقام عند سيدي يحيى بن صفية، فإنّ ذريتهم تتنزل مع أولاده وأولاد أخويه سيدي أحمد وسيدي موسى، ويطلق عليهم بعض المشايخ اسم (**أولاد القلب**)؛ أي تجمعهم بالشيخ سيدي يحيى بن صفية وأخويه وذريتهم الأخوة الإسلامية والمحبة في الشيخ والانتساب إلى نفس الطريقة الصوفية، وقد كان الولي سيدي يحيى بن صفية كثيرا ما ينبه إلى عواقب القيام باتخاذ النسب الطيني ذريعة للتفرقة بين الجموع التي تلتف حوله، ويحذّر من مثل هذه الأفعال المنافية للتعاليم الإسلامية السمحاء(قيداري قويدر، 2009، ص83).

فالقبيلة لا تتحدد فقط بانحدارها من جد مشترك بقدر ما تتحدد بوحدة التسمية والمجال والعيش المشترك وفق نفس النمط من العادات والتقاليد والأعراف، والتراث المشترك، وممارسته بكل فخر واعتزاز، مع وحدة الهدف.

7. وَعْدَة "موسم تكريم" الولي سيدي يحيى بن صفية:

تهتم القبائل الجزائرية والطرق الصوفية على حد سواء بالمناسبات الدينية، وأهمها ذكرى المولد النبوي الشريف، وليلة القدر، وليلة الإسراء والمعراج، ورأس السنة الهجرية، كما تحتفل كل جهة بذكرى وليّها أو رجلها الصالح.

والأصل في إقامة المواسم الشعبية أو "الوَعْدات"أو "الطَّعْمْ" أو "الزَّرْدَات" أو "الرّكْبْ" كما يطلق عليها في بعض الجهات، في عرف الثقافة الشعبية للمنطقة المدروسة هو الاعتبار بسيرة الولي الصالح، والانتفاع بذكراه وتجربته الشخصية في سيره إلى الله، وكيف انتصر هذا الولي أو ذلك على النفس ووساوسها، والدنيا ومغرياتها والشيطان ومكائده والهوى ونوازعه، حيث أن السير إلى الله في عرف الصوفية يقتضي تجاوز أربع عقبات، يعبرون عنها شعرا:

إني بليتُ بأربع مـــــــا سُلّطـــــوا إلّا لأجـــل شقاوتي وعنـــائي

إبليس والدنيا ونفسي والهـــــوى كيف الخلاصُ وكلّهم أعدائي

وأيضا يتذاكرون ويتناقلون كيف تعامل هذا الولي الصالح مع الخلق بالحلم ونكران الذات والقدوة الحسنة ومع الخالق بالصبر والشكر والرضا والتسليم، وكيف عمل على توحيد الكلمة ونشر الفضيلة والبر والإحسان وإشاعة الأمن والأمان بين الجموع الملتفة حوله.

وظاهرة الوَعْدَة في المخيال الشعبي لأهل المنطقة هي فرصة للتجمع الشعبي (الأفراد، الأسر، العشائر والقبائل) لأجل تمتين أواصر التعارف: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] [الحجرات/13]، وتحقيق صلة الرحم بين الناس التي أوصى بها النبي عليه الصلاة والسلام، والتعاون على البر والتقوى وفض النزاعات والخصومات بين الناس، والانصراف إلى الله تعالى بذكره، والتعبد له والاستماع إلى القرآن الكريم، والانتفاع بوعظ رجال الدين من العلماء والفقهاء، إلى جانب إخراج الصدقات.

وإحياء هذه المواسم الشعبية (الوَعْدَات)، عادة إنسانية من أصل طبائع الأمم، ومناسبة هامّة من مناسبات الانتعاش الثقافي والنفسي والاجتماعي والتجاري والفُرجوي، وهي أيضا من أهم الشعائر والمناسبات التي تناولها الباحثون الاجتماعيون والأنتروبولوجيون بالدراسة والتحليل، وقد أجمع كثير منهم على أن هذه المواسم الشعبية، تتحقق من خلالها جوانب كثيرة، يمكننا إجمالها في أربعة نقاط: الجوانب الاجتماعية، الجوانب الدينية والثقافية، والجوانب الترويحية والفنية، الجوانب الاقتصادية والتجارية.

ووَعْدَة "موسم تكريم" الولي سيدي يحيى بن صفية لا تزال تمثل مهرجانا شعبيا، ومنبرا للكلمة الطيبة، والمواعظ الحسنة، وفضاء لتدارس سير الرجال من أهل الصلاح والتصوف والفضل، وساحة لإقامة حلقات الذكر والحضرة (السماع الصوفي)، بالإضافة إلى كونها أسواق تجارية تعمل على تنشيط الحركة الاقتصادية في المنطقة، كما يمكننا رصد بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية والترويحية التي تتحقق وتتمظهر في الكثير من السلوكيات والمشاهد والأنشطة أثناء إقامة هذا المهرجان الشعبي الضخم.

1.7 الأصول التاريخية لهذه التظاهرة الشعبية في المنطقة:

تقول الروايات المتواترة في منطقة أولاد نهار أن هذه التظاهرة الشعبية أو (الوَعْدَة)، أول ما بدأت كانت في شكل موعد يلتقي فيه أبناء شيخ القبيلة ووليّها سيدي يحيى بن صفية وأتباعه عند أبيهم وشيخهم سيدي يحيى بن صفية، بعد الانتهاء من الموسم الفلاحي، وذلك منذ أواخر القرن 16م.

وبعد وفاة سيدي يحيى بن صفية سنة 1610م، استمر هذا اللقاء أو التجمع ليتحول تدريجيا إلى موسم تكريمي سنوي يطلق عليه شعبيا (وعدة سيدي يحيى بن صفية) يحضرها أحفاده وأتباعه وافدين إليها من جهات مختلفة، ويحضرها معهم ممثلوا قبائل عديدة من الجزائر، وحتى من شرق المغرب الأقصى في فترات خلت، بالإضافة إلى مشاركة الهيئات الرسمية فيها منذ الاستقلال إلى يومنا هذا.

فهذه الاحتفالات الشعبية العامة (المواسم أو الوَعْدَات) في الحقيقة عبارة عن عادة جماعية مورست في مناسبة معينة، وشيئا فشيئا اتخذت صفة الممارسات الاجتماعية الرسمية، يمليها الشعور الجمعي، حيث تلتقي فيها الشعائر والطقوس والعادات والتقاليد والمراسيم والتراث الشعبي.

والعادة من العبث الاقتصار عند محاولة تفسيرها على إرجاعها إلى صورها القديمة وأصولها الغابرة، فالعادات الشعبية ظاهرة تاريخية ومعاصرة في نفس الوقت، وقد تبدو لنا في بعض الوقت خالية من المعنى، فهي تتعرض لعملية تغير دائم بتجدد الحياة الاجتماعية واستمراريتها(محمد الجوهري، 2006، ص38).

يقول الجيلاني بن عبد الحكم مؤرخا لهذه المناسبة الشعبية: "وقد جرت عادة ذريتهم –قبيلة أولاد نهار- ومن معهم، ممن لهم محبة في سيدي يحي بن صفية منذ توفي إلى الآن أن يعقدوا عليه احتفالا باهرا تذكارا له وتبرّكا به ويكون ذلك الاحتفال كل سنة في فصل الخريف، بموضع تربته، تجتمع فيه قبيلة أولاد نهار وغيرهم، ويضربون بيوتهم التي خفّ محملها، قرب ضريحه مفرّقة تحت الأشجار"(الجيلاني بن عبد الحكم، 1953م/1364ه، ص42).

ينتظم إذا هذا الاحتفال الموسمي في شهر سبتمبر من كل سنة –ويعقد أحيانا في شهر أوت استثناء – وذلك بعد انتهائهم من موسمهم الفلاحي وجمع حصائل سنتهم الفلاحية، وقبل الاستعداد للموسم الفلاحي الجديد، وكانت وعدة سيدي يحيى في الماضي تفتتح رسميا في منتصف الشهر القمري، واختيارهم هذا التوقيت لم يكن اعتباطا، فاكتمال البدر يكون في منتصف الشهر القمري، وبالتالي فهذا التوقيت يسمح لهم بالاستعانة بضوء القمر في احتفالهم، خاصة عند انعدام الكهرباء في الماضي.

2.7 الأبعاد السوسيولوجية في هذه التظاهرة الشعبية:

تساهم مثل هذه المناسبات الشعبية بدور بارز في تدعيم العلاقات الاجتماعية، فهي فرصة لتلاقي أفراد الوحدات الاجتماعية، وتوسيع شبكة العلاقات، وموعد يستغل لطرح كثير من الموضوعات التي تهمّ مجتمع المنطقة من قريب أو بعيد، فهو من هذا الجانب يمثل مؤتمرا شعبيا، يتدارس من خلاله أعيان أولاد نهار قضاياهم بشكل خاص وقضايا الوطن بشكل عام، كما يمثل رمزا لوحدة الهدف في الجماعة تجاه القضايا الخارجية، فهو يبرز بوضوح ذلك التماسك الاجتماعي القوي الذي يسود بين أهل المنطقة.

وهي أيضا (الوعدة) وسيلة من أنجح الوسائل لتأييد وتدعيم نظام الوحدات الاجتماعية واستمراريته، وفي مثل ذلك يقول روس (Ross) : - بأنها - "الرابطة التي تجمع شتات الجماهير وإذا انحلّت هذه الرابطة تفرقت الجماهير وصارت أمورها مضطربة"(فوزية ذياب، 1980، ص182).

والوَعْدَة في الأصل هي عادة اجتماعية، والعادة فيما يتصل بتعريفها ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الإنسانية، وهي حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الإنساني، نصادفها في كل مجتمع، تؤدي الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة، عند الشعوب البدائية، كما عند الشعوب المتقدمة ..وهي موجودة في المجتمعات التقليدية التي يتمتع فيها التراث بقوة قاهرة وإرادة مطلقة،

كما أنها استطاعت أن تحافظ على كيانها ووجودها في ظل مجتمعاتنا العلمانية المتطورة(محمد الجوهري، 2006، ص37).

وتعتبر وَعْدَة الولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحيى بن صفية أرضا خصبة لدراسة النسق القرابي الذي يتشكل على أساسه النظام الاجتماعي عند أولاد نهار، يتجلى ذلك بوضوح عند التوزيع الجغرافي للوحدات الاجتماعية (فرق القبيلة) في موضع الاحتفال، هذا التوزيع الثابت والمتوارث جيلا عن جيل، فحين تصل الوحدات الاجتماعية إلى مكان الاحتفال تتوزع على مناطق محددة خاصة بكل وحدة، حيث تنتشر فيها أسرها بفرسانها وخيولها ناصبة خيامها وما تحتاجه من لوازم، وتعرف هذه المناطق المخصصة في الذاكرة الشعبية لأهل المنطقة بـ (الحَجْرَوات) ومفردها (حْجِير)، وكل وحدة اجتماعية مطالبة ببناء خيمة كبيرة يتجمع فيها أعيانها لاستقبال الضيوف وإكرام الزوار الذين يفدون عليهم من كل ناحية.

ويمكننا تحديد طبيعة بنية النسق القرابي في قبيلة أولاد نهار أثناء هذا الموسم الشعبي أيضا من خلال ممارستهم لألعاب الفروسية؛ حيث تنفرد كل وحدة اجتماعية تجمعها القرابة الدموية بممارسة الفروسية دون الاختلاط بوحدات أخرى أساسا، ولكن يشترك معها فرسان آخرون من وحدات أخرى أو حتى من خارج القبيلة استثناء، وتشارك كل وحدة اجتماعية بكوكبة من الفرسان يصطلح على تسميتها شعبيا بـ (العَلفَة)، وقد لوحظ أن هذا السلوك يبعث نوعا من التنافس بين هذه الوحدات الاجتماعية، من أجل أداء جيد ومنسّق، يترجمه جمال الفرس، والانطلاقة المتوازية للفرسان، والانسجام العام عند إطلاق البارود.

ويؤكد شوقي عبد الحكيم أن إخضاع الممارسات الاجتماعية والثقافية في القبيلة للدراسة والبحث، يعين الباحث فعلا في فهم وتحليل البناء القرابي في علاقاته المتبادلة مع بقية الأنساق ويمكّنه من ضبطه، حيث يقول: "ولعل الملمح الأساسي لتقدّم الأنثروبولوجيا الاجتماعية منذ القرن الماضي كانت زيادة الانتباه إلى البناء أو النسق القرابي.. بالإضافة إلى كيفية تنظيم العائلات والعشائر والقبائل وبقية النظم والمعتقدات الطقوسية والدينية واللغوية؛ بل ويمكن القول بأنه حتى لعب الأولاد أو نظرية الألعاب التي كان "كروبير" أول من لفت الأنظار إلى أهميتها عام 1942 تساعد أكثر في إيضاح النسق القرابي"(شوقي عبد الحكيم، دس، ص248.)

الوحدات الاجتماعية (الفرق/العشائر) في قبيلة أولاد نهار شديدة التمسك ببعض القيم الثقافية الشعبية المتوارثة، خاصة تلك المرتبطة بجدهم الولي سيدي يحيى بن صفية أو الصادرة عنه بوجه أو بآخر، ومن بين تلك الأنماط الثقافية نذكر الرواية الشائعة والمأثورة عنه والمتداولة بين أبناء المنطقة بنوع من التقديس والاحترام، والتي تتخذ شكل الوصايا والتوجيهات، حيث نرى أنها أصلا لكثير من السلوكيات الاجتماعية في المنطقة بشكل عام، وفي مناسبة الوَعْدَة بشكل خاص.

الرواية المأثورة في منطقة أولاد نهار ملخصها: أنّ سيدي يحيى بن صفية اجتمع بأولاده الذين تشكل ذريتهم اليوم وحدات اجتماعية فاعلة (عشائر)، فذكر لكل واحد ما يناسب حاله وما قد يؤول إليه أمر ذريته من بعده، فقال لهم: محمد كريمكم ،الجيلالي بركتكم، عبد الرحمن قطبكم، أبو بكر فالكم عبد القادر هْبيلكم الشاذلي عِنايُتْكم، امْحمّد مُؤَذِّنْكم، بن طيبة في عَارْكم، وسكت عن الباقين، وهم الأخوين: أبو الطيب ويحيى اللذين أرسلهما خارج المنطقة (ذريتهما متواجدة في

المغرب الأقصى، تُكَون قبيلة معروفة يطلق عليها اسم اليحياويين)، والحاج أبو كورة الذي لم يعقّب، وأحمد الذي ربما يكون قد توفي قبل إعطائهم هذه الصفات(رواية كبار أعيان ومشايخ قبيلة أولاد نهار، ويذكرها أيضا صاحب كتاب المرآة الجلية، ص42)

وقيمة هذه الرواية تكمن فيما تعكسه على مستوى تقسيم العمل وتوزيع الأدوار والمهام والسلوكيات التي تقوم بها الوحدات الاجتماعية (العشائر)، خاصة أثناء موسم وعدة سيدي يحيى بن صفية، حيث تظهر جلية في تلك الصفات التي أصبحت مصدرا لنشاطات اجتماعية معينة، كالصفة التي اختص بها سيدي يحيى بن صفية ابنه أبو بكر وهي (الفأل)، فمنذ ذلك الوقت إلى اليوم صار أولاد نهار لا يفتتحون مهرجان الفروسية والبارود (ألعاب الفانطازيا) في موسمهم الشعبي هذا إلاّ بفرقة تنتمي إلى أولاد سيدي أبي بكر (المعروفين بأولاد سيدي عبد الله)، وهذا تيمّنا منهم وتبركا بالصفة التي منحها سيدي يحيى بن صفية لجد هذا البطن (الفرقة) عندما قال: (أبو بكر فَألْكُم).

ولذلك يَعتبر أولاد نهار أن افتتاح فرسان هذه الوحدة الاجتماعية بالضبط لمهرجان الفروسية، هو من باب فأل الخير عليهم وعلى موسهم الشعبي هذا، ومن ثم أصبح السلوك فعلا رسميا لا تحيد عنه القبيلة في كل مواسمها، وحدث أن افتتح مهرجان الفروسية في بعض المرات بكوكبات لا تنتمي إلى هذا البطن (أولاد سيدي عبد الله) فتعرضت لحوادث كانت أحيانا مؤلمة(من الروايات الشفوية المتداولة في المنطقة موضوع بالدراسة).

ومن بين الصفات المأثورة أيضا والتي صارت توجه السلوك الاجتماعي في هذا الموسم الشعبي، تلك التي اختصت بها فرقة أولاد سيدي مُحمد، حيث أصبح لهذه الفرقة شرف افتتاح عملية إكرام الناس الوافدين من كل فج عميق وإطعامهم، قبل غيرها من الوحدات الاجتماعية الأخرى، وذلك تأويلا للصفة التي منحها سيدي يحيى لجد هذه الفرقة حينما قال : مُحمد كْرِيمكُم.

ومن هنا أصبحت هذه الممارسات الاجتماعية شيئا فشيئا تتخذ طابع السلوك الشعبي الرسمي، وتتجاوب معها الوحدات الاجتماعية في منطقة أولاد نهار؛ بل وتزداد تمسكا واعتدادا بها، وتعتبرها حق الأحفاد وواجبهم نحو وصايا جدّهم سيدي يحيى بن صفية، لذلك يقبلون بهمّة عالية على تلك المهام والأدوار الموكلة بهم، كما أنها توضع في خانة كرامات سيدي يحي بن صفية السارية بعد موته.

وقد لخص محمد الجوهري السمات الرئيسة للعادة الاجتماعية(محمد الجوهري، 2006، ص39-40) والتي نرى أنها تنطبق تماما على ظاهرة الوعدة وما يصاحبها من سلوكات وعادات اجتماعية شعبية متجذرة في المنطقة:

-فليست هناك عادة اجتماعية خاصة بفرد واحد فقط، إنما العادة تظهر إلى الوجود حين يرتبط الفرد بآخرين ويأتي أفعالا تتطلبها منه الجماعة أوتحفزه عليها، حينئذ نكون فقط بصدد عادات اجتماعية أو شعبية. وظاهرة الوعدة لها امتداد عمودي وأفقي وتستمد سلطتها منهما؛ بمعنى أنها ضاربة بأطنابها في التاريخ؛ أي حضور الماضي المقدّس، ومتجذرة على مستوى كامل النسيج الاجتماعي والشعبي للمنطقة، وهي تعني القيم الجماعية أو تحقيق ذات الفرد داخل الكل.

-من خصائص العادة ثانيا أن تكون متوارثة أو مرتكزة إلى تراث يدعمها ويغذيها، وقد سبق وأن أوضح ريل Riehl أن السلوك يتحول إلى عادة عندما "يثبت من خلال عدة أجيال، ويتوسع وينمو، ومن ثم يكتسب سلطانا"، وفي هذا السياق تقوم تلك الرواية الشفوية –السالفة- والمأثورة عن الولي سيدي يحي بن صفية وتنهض دليلا على ذلك، فمثل هذه المأثورات الشعبية لها سلطة قوية على الضمير الجمعي لساكنة المنطقة، حيث ترسم الكثير من السلوكات الاجتماعية وتحددها لهم.

-والعادة الاجتماعية الشعبية تتطلب الامتثال الاجتماعي؛ بل الطاعة الصارمة، فهي في ذلك رائد للقانون، يقول توليس:"العادات متطلبات سلوكية تعيش على ميل الفرد لأنه يمتثل لأنواع السلوك الشائعة عند الجماعة، وكذلك على ضغط الرفض الجماعي لمن يخالفها". وهنا تظهر سلوكات اجتماعية كثيرة تعاقب وتتصدّى لهؤلاء الذين يتخلفون عن المشاركة في هذه التظاهرة الشعبية (الوَعْدَة) أو يشككون في قدسيتها، تصل أحيان إلى المقاطعة الجماعية والعزل لمن يصدر عنه ذلك.

-والعادة في الأخير ترتبط بظروف المجتمع الذي تمارس فيه، ونعني بهذا أنها مرتبطة بالزمن، مرتبطة بموعد أو مناسبة زمنية معينة، من هذا مثلا: العادات المرتبطة بتتابع فصول السنة، أوهي مرتبطة بمواقف أو أحداث معينة في حياة الفرد والمجتمع، وهذا الارتباط بزمان ومكان معينين هو دليل على القيمة الوظيفية العالية التي تتمتع بها العادات في المجتمع.

وهذه السمات المميزة الذي ذكرها محمد الجوهري هنا تتجسد بوضوح في هذه الظاهرة الشعبية موضوع الدراسة ("وَعْدَة سيدي يحي بن صفية") فهي ترتبط بزمن محدد؛ حيث يفتتح هذا المهرجان الشعبي رسميا في منتصف الشهر القمري، من شهر سبتمبر عادة، أومن شهر أوت استثناء، وهي تصادف الاحتفال الموسمي، الخاص بالموسم الفلاحي خاصة بعد جمع حصائل السنة الفلاحية، وقبل الاستعداد للموسم الفلاحي الجديد، وهي أيضا تتعلق بحدث شخصي، وفاة ولي المنطقة ورجلها الولي سيدي يحي بن صفية، وتقام في مجال جغرافي مقدس بالنسبة للمنطقة، إذ تضرب الخيام التي خف محملها وتمارس ألعاب الفروسية (الفانطازيا) بالقرب من ضريح سيدي يحي بن صفية وفي رحاب تربته التي ينظر إليها بكثير من القداسة والاحترام.

وحول وظائف الاحتفالات العامة (ومنها المواسم الشعبية)، ومدى تمسك الجماعات البشرية بالقيم الاجتماعية والثقافية المتعلقة بها، تعتبر فوزية ذياب أن الوظيفة الأكثر أهمية فيها: "هي النزول بقيم الجماعة من التجريد إلى الواقع، وتفسير ذلك هو أن الاحتفالات هذه تؤثّر في الأفراد فتجعلهم يتجاوبون عاطفيا مع ما تتضمنه من أفكار، وما تثيره من صور ذهنية"(فوزية ذياب، 1980، ص182).

فالإنسان على رأي محمد الجوهري: وحدة واحدة، ذو طبيعة اجتماعية متجانسة، وهو كحيوان اجتماعي يخضع دائما وأبدا لسطوة التراث، سواء اتسعت دائرة هذا الخضوع أو ضاقت، فهي قطعة من ذواتنا ومن واقع حياتنا، طالما كنا نعيش في مجتمع إنساني.. ومثل هذه العادات الاجتماعية الشعبية تؤدي في كل طور من أطوار حياة الجماعة وظيفة وتشبع حاجات ملحة، ومن البديهي أنها في أدائها لهذه الوظيفة في مجتمع معين (محدود بزمان معين وبمكان معين) –مثل

قبيلة أولاد نهار موضوع الدراسة- ترتبط بظروف هذا المجتمع وواقعه(محمد الجوهري، 2006، ص38).

ويساهم هذا الموسم الشعبي في الضبط الاجتماعي، بتدعيم العلاقات الاجتماعية داخل قبيلة أولاد نهار بتلمسان، لتقوية أواصر الروابط وتمتينها بين مختلف الفرق أو الوحدات الاجتماعية: وقد اتفق كل من رادكليف براون ودوركايم وأحمد الخشاب وعاطف غيث وفاروق اسماعيل على أهمية الشعائر في التعبير عن وحدة المجتمع، وتأكيد وتعميق القيم والمعتقدات، وتحقيق الضبط الاجتماعي بالحفاظ على تماسك النظام الاجتماعي عن طريق تقوية المشاعر والروابط والعواطف(منال عبد المنعم جاد الله، دس، ص91).

فمثل هذه الشعائر والطقوس المرتبطة بالمقدّس وما يصاحبها من احتفالية شعبية استعراضية، وما يتم فيها من تقسيم للعمل وتوزيع للأدوار المختلفة، تدل على تماسك المجموعات البشرية، ووسيلة لمد جسور التعارف بين الأفراد والجماعات وتقريب الفوارق، وهي أيضا رمز لوحدة الهدف داخل القبيلة.

3.7 أهمية هذه التظاهرة الشعبية في حفظ التراث الشعبي:

يعتبر موسم تكريم الولي الصالح سيدي يحيى بن صفية، أو كما يطلق عليه في الذاكرة الشعبية للمنطقة (الوَعْدَة) مهرجانا شعبيا متنوعا، تتمظهر من خلاله كثير من النشاطات التي تمتزج فيها الحركة بالكلمة، لتشكل مشهدا ثقافيا شعبيا أو (كرنفالا): الأدب الشعبي المتناقل من جيل إلى جيل، الخرافات والمعتقدات الشعبية، الأغاني والرقصات، التنظيم الاجتماعي، التنظيم الاقتصادي، القوانين العرفية، العادات، الفنون الشعبية.

ولعل من أبرز ملامح التراث الشعبي الأكثر حضورا في هذه المناسبة الشعبية، والتي تشهد تفاعلا كبيرا داخل النسيج المجتمعي في المنطقة، يمكننا الإشارة إلى ثلاثة أشكال من ألوان التعبير الشعبي:

-أغنية الصف النسوية الحركية الأدبية الناطقة.

-رقصة العلاوي باعتبارها فنا رجاليا حركيا راقصا.

-حلقات الحضرة باعتبارها فنا سماعيا صوفيا شعبيا.

تتداخل في هذا الموسم الشعبي المعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد مع الرقص الشعبي (رقصة العلاوي تحديدا)، وأغاني الصف، وحلقات الحضرة (السماع الصوفي)، وحلقات المدّاحين التي تخوض في سير الصالحين وخصال العارفين وبطولات المقاومين، وألعاب الفروسية والبارود (الفانطازيا)، لترسم هذه الفسيفساء في النهاية لوحة فنية عن ملامح الثقافة الشعبية بنوعيها (المادية واللامادية) في منطقة أولاد نهار.

مما سيؤهل مثل هذه المناسبات الشعبية لاستثمارها من زاويتين، زاوية علمية وأخرى سياحية:

بالنسبة للأولى: تعتبر هذه المناسبة أرضية خصبة للباحثين والأكاديميين المهتمين بالتراث الشعبي وقضايا علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بمختلف تخصصاتها(الاجتماعية، الدينية والثقافية...) للتعاطي مع التراث الشعبي بمختلف صنوفه وفنونه (جمعا وتصنيفا ودراسة

وتحليلا)، قصد حماية ما أمكن من هذا المعين الذي لا ينضب، وصيانة الذاكرة الشعبية من التلف والضياع، في زمن ينظر فيه كثير من الناس إلى هذا التراث نظرة ازدراء واستخفاف.

أما الثانية: فمثل هذه المناسبات الشعبية تلح على المهتمين بقضايا تطوير السياحة الوطنية، بضرورة استثمارها ثقافيا وإعلاميا، لاستقطاب السياح (داخليا وخارجيا) هذا من جهة، وتعريفهم بالذاكرة الشعبية للجزائريين من جهة أخرى، هذه الذاكرة التي كانت ولا زالت وستزال حامية حمى الشخصية الوطنية والهوية الحضارية بمختلف أبعادها الأمازيغية والعربية الإسلامية، ماضيا وحاضرا ومستقبلا.

3.8 أهم النائج المتوصل إليها: ترتبط هذه الممارسة الاجتماعية التي يطلق عليها في المنطقة المعنية بالدراسة اسم "الوعدة" بأربع مجالات حيوية:

-مجال جغرافي: تمثله المنطقة المعنية بالدراسة والواقعة إلى الجنوب الغربي لولاية تلمسان الجزائرية.

-مجال بشري: تمثله قبيلة أولاد نهار بمختلف تركيباتها الاجتماعية (أبناء القلب وأبناء الصلب)

-مجال زمني: مرتبط بالمواسم الشعبية التي تكون عادة مع بداية شهر سبتمبر، أي بعد جمع حصائل السنة الفلاحية والاستعداد للموسم الفلاحي الجديد، ويختتم بالأيام الفاضلة كيوم الجمعة.

-مجال مقدّس: مرتبط بضريح رجل القبيلة ووليها سيدي يحي بن صفية جد أولاد نهار ورمزيته في الذاكرة الشعبية.

والفرد حينما يقبل على مثل هذه الممارسات الجماعية ويتمسك بها فهو يسد بذلك حاجات نفسية ودنيوية ودينية، فهي إشباع نفسي وعقد اجتماعي وعقد ديني، باعتبار أن الفعل الشعائري في عرف الجماعة مرتبط بالمقدّس.

خاتمة:

يعتبر موسم "وعدة" الولي سيدي يحي بن صفية من أهم المواسم الشعبية وأشهر المناسبات الاجتماعية في منطقة أولاد نهار بتلمسان، بل في كل ربوع الجنوب الغربي لبلادنا، وهذا المهرجان الشعبي الضخم تتداخل فيه مجموعة من الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية والنفسية والاقتصادية والفرجوية الترويحية (ألعاب الفانطازيا).

توظيف القبيلة لمثل هذه المواسم الشعبية كأحد الطقوس الدورية يجدد التلاحم الاجتماعي كشكل من التنظيم الرقابي الذي يحمي القبيلة في بعدها الاجتماعي والثقافي والمجالي، وهي تضمن لمثل هذه المجموعات البشرية المحافظة على هويتها اللغوية والإثنية والتراثية، وتضمن أيضا استمراريتها وعدم تفككها (تواصل الأجيال).

قائمة المراجع:

1. بنعبد الله عبد العزيز(2001)، معلمة التصوف الإسلامي، ج2، ط1، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب.
2. الجوهري محمد(2006)، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، ط1، مصر.
3. الجيلاني بن عبد الحكم(1364ه)، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية، دط، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، الجزائر.

4. عبد الحكيم شوقي(دس)، الشعر الشعبي الفولكلوري عند العرب، دراسة ونماذج، ط7، دار الحداثة، بيروت، لبنان.
5. بن صفية أحمد(2005)، (مشجرات نسب أولاد نهار)، دراسات مخطوطة.
6. العشماوي أحمد بن محمد(1961)، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية، المأخوذة من كتاب: مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب(في أربعة كتب، جمع وتأليف الشيخ بالهاشمي بن بكار)، مطبعة بن خلدون، تلمسان، الجزائر.
7. العلوي إسماعيلي مولاي عبد الحميد(1985)، تاريخ وجدة وأنقاد في دوحة الأمجاد ، ج2/1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
8. بن عمارة خليفة(2002)، سيرة البوبكرية، أجداد أولاد سيدي الشيخ، ج1، ترجمة: محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، وهران، الجزائر.
9. الغزالي أبو حامد(1980)، أيها الولد المحبّ، تحقيق عبد الله أبو زينة، ط3، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
10. فوزية ذياب(1980)، القيم الاجتماعية، مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
11. قيداري قويدر(2009)، بستان الأزهار في سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار، دراسة تاريخية وأنثروبولوجية، ط1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
12. محمد بن الحسن بن يحيى بن سيدي يحيى بن صفية (دس)، البستان الطيب في مناقب أبي يحيى وأبي الطيب، (مخطوط).
13. عبد المنعم جاد الله منال،(دس)، التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
14. Capitaine Noel, Sep/Dec(1917), « Document Historique sur les tribus de l'annexe d'El aricha », B.S.G.O (Bulletin trimestriel de la société de la géographie et d'archéologie d'Oran), fondée en(1878) , imprimerie L Fouque – Oran ,Algérie.
15. Jaque Berque(1982) ,Ulemas fondateur de Maghreb 17ème siècle, Bibliothèque arabe sindebad , Paris.
16. Louis Rinn(1884), Marabouts et Khouan-Etude sur lislam en Algerie ; Adolphe Jourdan ;Librairie éditeurs-Alger.
17. Millad Aissa(1986), Alyaquouta , poème mystique de Sidi Cheikh- Essai d'édition critique et étude du texte selon la tradition Soufi, entreprise nationale du livre – Alger.

النكتة الشعبية ودلالتها في تفعيل القيم الاجتماعية ـنكت شعبية مختارة من الغرب الجزائري-

The popular joke and its significance in activating the social values-popular jokes selected from the Algerian West-

د.محمود بوكفوسة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان-الجزائر

ملخص: هذه الدراسة تحاول أن تسلط الضوء على موضوع النكتة الشعبية كشكل تعبيري شعبي، وما تثيره من دلالات اجتماعية تتعدى في باطنها الإمتاع والمؤانسة، لأنّها تحمل موقفا نقديا رافضا لموضوعها، فهي نص يدمّر مضمون شكله ليتحول نص النكتة عند المتلقي إلى خطاب نقدي أو صرخة يتجرد من طابعه الهزلي، ليصير إلى مجهود يبذله الإنسان كي يصبح وعيا من الناحية الفكرية يعلي من شأن القيمة الاجتماعية أو يلغيها ويرتفع بالإنسان وبمستواه السلوكي، لذلك حاولنا في هذه الدراسة تبيان كيفية إثارة النكتة الشعبية للقيم الاجتماعية من أجل تقويمها وإصلاحها إما بإبقائها أو إلغائها، ومذيلين ذلك بنكت شعبية ذات دلالات اجتماعية، لأنّ حضور القيم الاجتماعية كموضوع وتعدد تموقعها في هذه التعابير الشعبية المبدعة يجعل تحديد مستوى الأفراد الاجتماعي ووعيه في المجتمع متعدد المداخل، بحيث لا يمكن حصرها أو تحديدها في جانب معين أو ظاهرة بعينها، ولعلّ الاهتمام بالوعي الثقافي والاجتماعي للفرد في المجتمع وظهوره كقيمة في النكتة الشعبية أبرز هذه المداخل، فمن خلالها يتمكن للدارس معرفة وفهم بنية المجتمع ونظامه وإدراك مستواه الحضاري.

الكلمات المفتاحية: النكتة الشعبية، الدلالات الاجتماعية، خطاب نقدي، بنية المجتمع، تقويم القيم.
كتابة الفاصلة بشكل صحيح ،

Abstract: This study attempts to shed light on the subject of popular joke as a popular expression form, and the social implications it evokes that goes beyond the surface of enjoyment and solidarity, because it carries a critical stance rejecting its subject. It is a text that destroys the content of its form to turn to the text of joke on the recipient into a critical speech from its comic character, to a human effort to become intellectually aware of social value, or to negate it, and to raise man and his behavioral level. Therefore, In this study, we tried to show how popular joke is generated by social values in order to correct and reform them by either keeping them or eliminating them, this is because the presence of social values as a subject and the multiplicity of them in these popular expressions makes the definition of the level of social individuals and consciousness in the multidisciplinary society so that they cannot be limited or identified in a

specific aspect or phenomenon. In the community and its emergence as a value in the popular joke, the most prominent of these entries, through which the student can learn and understand the structure of society, its system, and awareness of the level of civilization.

Keywords: popular joke, social connotations, critical discourse, community structure, evaluating values.

مقدمة

إن النكتة الشعبية بوعيها الاجتماعي تمتاز بأسلوبها وبلاغتها التي تختلف عن أساليب الأدب الرسمي وبلاغته، لكنها تشكل مزاج الطبقات الشعبية، وتصور مشاعرها وتصف الحياة الاجتماعية التي طبعت ذوقها وتصوراتها بطابع البساطة والقناعة، لذلك من سمتها التعميم، فهي لا تهتم بالعقل والمنطق بل هي تكسير لهما لاحتوائها على عنصري المفاجأة والمفارقة، وأخذها الظاهرة على علاتها، ومن هنا نلمس في مواقفها الروح التقريرية والسذاجة والبساطة وروايتها باللغة العامية التي يخاطب من خلالها المبدع الشعبي الجماهير ويعبر عن حاجتهم الاجتماعية والنفسية، ويطمح إلى تصوير الطموح الشفاف والمغامرة الشريفة ومباركة الخطوات الناجحة لهم، ما جعلها تفعّل قيّما اجتماعية ذات دلالات في نفسية الفرد وتبيّن مدى وعيه بمجتمعه، كونها كاشفة كنه الشعب وأفكاره وعاداته وما يخامره من تطلعات وآمال، وبهذا التوصيف نعدَها من أقدر أشكال التعبير الشعبي استيعابا على ما يسود الحياة الاجتماعية من تناقض، وأوسعها تمثيلا لطبيعة الصراع الاجتماعي لما تحمله من استراتيجية تنفيسية ترفيهية فعَالة تتوخى من خلالها نقد السلوك وتعريته، ما جعل الفرد ينتج أفكارا من وحي خياله في شكل مرويات شفهية بسيطة في شكلها وعميقة في أفكارها، في شكل حكاية تنذرية مضحكة تمثل رؤية كاشفة عن المجتمع وتناقضاته.

1. النكتة الشعبية حتمية اجتماعية- ثقافية:

إن سمة شعبية النكتة لا اعتراض عليها بين الفئات الشعبية داخل المجتمع، لأنها تنشأ عندهم نتيجة إنسانية فردية أو جماعية، وأحيانا نجدها حديثة التكوين لكنّها انتشرت سريعا وبسهولة، فدلالتها الاجتماعية هي ما تضمن لها الذيوع والانتشار أكثر في الأوساط الشعبية، هذا ما يؤكد على أنّها من المأثورات الثقافية التي انتقلت شفاهة وتتوارثها الأجيال عن بعضها البعض في مختلف الطبقات الاجتماعية، ويتوقف مدلولها عند السياق الذي توظف فيه أو على القرائن الملابسة للمعنى، لذلك نجدها تتصف بالشفاهية والعراقة والواقعية واتصافها بالحسّ الجماعي، شأنها شأن أشكال التراث الشعبي" الذي هو نتاج الجماعة، الذي يتسم بطابع الشعبية في الابتكار والانتشار، فلكل فرد من أفراد الجماعة إضافة تضاف لرصيد غيره، أو تعديل لمعطيات إنتاج من سبقه"(السيد حافظ الأسود، 1985، ص275)، إن النكتة تمسَ جانبا من شعور تضرب على وتر حسّاس في نفوسهم، ومما جعلها تتميز عندهم بالمرونة والفكاهة، ويعبّرون فيها عن تجاربهم بكل صدق دون تحفظ، هي عندهم الملجأ الآمن من الضوابط الاجتماعية والتكاليف الاجتماعية التي تعيق الأفراد في ممارستهم الاجتماعية، يلجأون إليها كمنفَس للتعبير عن النفس البشرية في جميع

حالاتها وفي أعسر ظروفها وأيسرها، كما أن مكمن حضورها يظهر في تحركها بين الأفراد بكل حرية ولا تخضع لقانون محدد وقائلها يجد فيها الحرية، وخصوصا أن القانون الوضعي لا يجرم قائلها، السبب الذي جعل الفرد يتخذها سلاحا يسلّطه على فئات محددة وجد فيهم ضيقا اجتماعيا أو نفسيا.

إن النكتة الشعبية من خلال ما سبق، ظهرت في الأوساط الشعبية كحتمية مفروضة على الأفراد، فقد ظهرت كبديل يكشف أوجه التعسف والقمع وعدم احترام الأعراف والتقاليد ومحاولة ضرب كل من له يد في هذه العوامل الجائرة للمجتمع، قصد المحافظة على البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فهي تؤدي دورا اجتماعيا نفسيا وتقوم بدراسة " السلوك الاجتماعي المنظم الذي تحدده القوانين والعادات والقيّم الاجتماعية"(دينكن ميشل، 1976، ص48)، فالتنكيت بشكل عام يعتبر ظاهرة اجتماعية تتبلور من خلال تبلور البنى الاجتماعية، وتؤدي وظيفة أساسية في مختلف المظاهر بما في ذلك المظاهر السياسية.

إن الأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تستهدف الفرد الشعبي والتي صورتها النكتة الشعبية هي أصلا تصورات الجماعة المرددة لها، عبّرت عنها في شكل نكت هزلية مضحكة واقفة بالمرصاد لكلّ من يستهين بتقاليد المجتمع ويحاول أن يخرج عن معاييرها، فهي مازالت تؤدي وظائف منها تحقيق المواءمة النفسية والاجتماعية لدى تلك الجماعة في ظروف معينة بدرجات متفاوتة حسب تطور بنى المجتمع، ووفق وتيرة نموّه، في نسيج خيالي تبدعه الجماعة وتعتمد عليه في تحقيق التماسك الاجتماعي، ولعلَ هذه النكتة الشعبية تثبت مدى وعي المخيلة الشعبية بمن يستهين بتقاليد المجتمع ويخرج عن ثوابته حيث تقول: **قالَكْ خَطْرَة طَلَّابَة تَطْلَبْ في جامع مْعَمَّرْ بَالطُّلَالْبِيَّة وْدَايْمًا وْيَدُّولْهَا دْرَاهَمْهَا كِيشَايْفِينْهَا رِقِيقَة وَكْصِيرَة، خَطْرَة جَا وَاحَدْ مِيلْيَارْدَارْ فَالْهَا لُو كَانْ نَعْطِيكْ شَاكْ فِيهْ مَلْيَارْ شَا دِيرِي بِيهْ، فَاتْلَهْ نَبْنِي جَامَعْ وْ نَطْلَبْ فِيهْ وَحْدِي**(انظر الشرح رقم1)، هذه النكتة في متنها، تبيّن كيف أصبح التسول مصدرا للمال مربحا لا يمكن الاستغناء عنه، وأنّنا أصبحنا في مجتمع لا نفرق بين المتسول الحقيقي المحتاج من المحتال المدعي، فهي بهذا المحتوى نجدها تستهين بالمتسولين الرافضين لقيمة العمل والخارجين عن عادات المجتمع وتقاليده.

إنّ موقف الإنسان الشعبي وبكلّ ما يزخر به المجتمع من متناقضات، يمكن أن يتجسد بوضوح في النكتة الشعبية التي كان يردّدها، باعتبارها مرآة عاكسة لوعيه وتجربته ومبرّرة لنضاله ومواقفه من الظلم ومعاناته من الظلم الاجتماعي الذي سلّط عليه عبر وتيرة حياته وموقفه من الحضارة، وهذا ما يجسّده قول أحد الباحثين" إن الضحك عامل صراع يساعدنا على أن نجاهد في سبيل استبقاء الحياة الجماعية على ما هي عليه، لأنه يسمح لكل جماعة بأن تحافظ على كيانها في حدود تقاليدها وعرفها"(محمد أبو خضور، 1977، ص25)، وبه قد عرّف الفلاسفة أنّ الإنسان حيوان ضاحك لأنه لا مضحك إلا ما هو إنساني، وبأن النكتة الشعبية من أبرز أشكال الضحك لأنّها تكشف عن الوعي الشعبي الإنساني المدرك للمعتقدات والتصورات، ولأنّها مرآة للنسق الثقافي الإنساني السائد منه منذ بداية التفكير الإنساني وبحثه عن الموجودات، فهي ليست مستحدثة، قديمة قدم وجود الإنسان على الأرض " رافقت الضحكة الإنسان في عمره عبر

الزمان، رافقته تعبر عن حالاته النفسية، بطرق بدائية أولا، ثم بطرق مهذّبة، لكنّها بقيت تعبيرا بليغا توازي الكلمة "(محمد أمين فرشوخ، 1989، ص22)، لذلك وجدنا من سمتها لغتها الشعبية التي تعبر عن أفكار أصحابها وفق بيئتهم الاجتماعية المنتمين إليها.

عطفا على ما سبق، نجد أنّ النكتة الشعبية استطاعت أن تدمج الإنسان الشعبي بالغرب الجزائري وتجعله يعي كل ما يحيط به من متناقضات، وبها أصبح هذا الفرد الشعبي فرد الوعي واليقظة، وهذه النكتة تبيّن مدى تغيّر مفهوم الأسرة في مجتمع المدينة: **فَالَّكْ خَطْرَه مُعَلّمَة سَقْسَاتْ تلميذ في درس التربية المدنية، فَالَتْلَهْ فَهَّمْنِي شَاهِيَ لْعَايْلَة، فَالْهَا التلميذ لْعَايْلَة هي: بُويَا هو وزير المالية، وْمِيمْتِي هي وزيرة الداخلية، خُويَا لكْبِير هو وزير المواصلات، وخْتِي لَكْبِيرَة هي المستشارة، و خُوتِي لبقَاوْ الشعب المظلوم، وْأَنَا لْمَازُوزِي المخابرات**(أنظر الشرح رقم2) إنها تدلّ على مدى وعي الفرد بما يحصل أمامه من متغيرات ومستجدات مخالفة لبيئته، جاءت كرد مقنع لمن يريد الخروج عن قوانين المجتمع وعاداته، ويتجرد من كل مقوماته ويبقى عرضة لغزو ثقافي ينهش هويته، لعلّها بوظيفتها تحاول استبقاء حياة الجماعة متماسكة مسايرة لظروف العصر محافظة على قيمها وأعرافها، تسخر من الأطراف الاجتماعية المغايرة لها، فهي ضرورة وحتمية اجتماعية في المجتمع تحافظ على كيانه الاجتماعي، تقوم بوظيفة التصحيح والتقويم والنقد ومحاولة خلق جو جديد يتلاءم مع الجماعة.

وقد اهتم الإنسان الشعبي اهتماما بهذا الفن، وأخذ يردده عبر المواقع والظروف الاجتماعية، وفي لحظات شائكة من حياته، لأنّها كانت في نفسه بمثابة شعاع أمل، وحققت له التوازن النفسي والتعويض الشعوري، وهي تشكل تراكما ثقافيا وكمًّا هائلا يتضمن جزءا هامّا من عمق شخصيته، وعمق الذات الجماعية التي رددتها في الظروف المتأزمة لتحدد ما يجب أن يقع بدل ما وقع ، تشكل إسقاطا للواقع، وكلّ ذلك عن طريق الضحك الذي هو تعبير فيزيولوجي يعبر عن الذات الداخلية للإنسان الشعبي، وتعتبر أيضا شجون الأمل وتزيل الخوف وهموم الحياة.

إن النكتة الشعبية التي أبدعها الفرد الشعبي قد حافظت على كيان وجوده بصورة صادقة، وعبرت عن عواطفه بأمانة ونزاهة، فقد عبّرت عن وجدانه في بيئة جغرافية معينة وفي مرحلة حسّاسة من مراحل تاريخه، وهي تعتبر بذلك أثرا من آثار الأدب الشعبي" الذي هو تاريخ الفكر الجزائري غير المكتوب وهو يعكس بصورة واضحة وجها آخر من ملامح ثقافة وحضارة الشعب الجزائري الذي لم ندرسه"(التلي بن الشيخ، 1983، ص95)، فالنكتة الشعبية تحمل دلالات تكسب الفرد من خلالها تصورات وتخيلات ومضامين رمزية يحاول تفعيلها في المجتمع، وهي فن شعبي شفهي له أثر بليغ في نفسيته ويعتبر الوعاء الذي نحاكي به الواقع ونبرر به إخفاقاتنا ويساعدنا على الإفلات من سطوة المجتمع لنصنع من خلالها عالما متخيلا شبيها بعالم الحلم، نفرض من خلاله آراءنا وتبريراتنا، إنّه فن يتضمن نقدا أو إشاعة ضمنية لاذعة، والنقد يتضمن رغبة في الهدم لعيوب نراها قائمة ونتمنى أن تقوم أمورا أخرى مكانها أو لأمنيات نراها صعبة، ولحالات نراها عبثية مستحيلة، لأنّ النتيجة فيها تكون على غير المألوف في المقدمة، إذن هي النقد والهدم لبناء مجتمع قويم يسعى الفرد لتحقيقه والتعايش معه.

2. النكتة الشعبية مبررا نفسيا- اجتماعيا:

إنّ جذور النكتة الشعبية عموما ضاربة في أعنف الأزمنة وأعمق التاريخ، والمتفحص للشخصية الشعبية يجدها برزت على صفحة الزمن وهي تضحك وتسخر وتتهكم، ألهمتها عصور الشدة والرخاء منذ كان الأفراد يحملون على عاتقهم مسؤولية بناء المجتمع وتشييده، وترى **روزلين ليلى قريش** في أهمية المكان في إنشاء القصة الشعبية وتحويرها المحلي : "فالمكان الذي يؤثر في حياة الناس بالمناخ والموقع الجغرافي يشكل لسكانه ميولهم الغنائية واختياراتهم الفنية وأذواقهم الأدبية، كما تشكّل أحوال الإقليم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم وتكوين أخلاقهم وطبائعهم "(روزلين ليلى قريش، 1980، ص93) فالنكتة الشعبية كسرد قصصي تتأثر بالموقع الجغرافي الذي يكوَن الجانب الثقافي للشخصية.

وما هو معلوم، أن الشخصية الشعبية بالغرب الجزائري بحكم الانتماء الجغرافي لها، تبدو أنّها أميل إلى روح الدعابة والمرح والسخرية من روح الحزن العميق، فسخريتها ليست من النوع الحاد المرير الذي قد نجدها عند غيرها، إنّما سخريتها لاذعة لا تحمل طابع الحقد بل تحمل طابع التنكيت ومحاولة الإصلاح والتغيير، فهي شخصية تصوَب فكاهتها وسخريتها ودعابتها على كل شيء ويتخذها سلاحا على المنحرفين والشاذين والمتمردين من أفراد المجتمع لأن" كل تنكيت- ولو كان بسيطا- يعتبر لغة، وككل لغة فإنّها تبطن إفصاحا عن موقف إزاء ظاهرة أو واقعة اجتماعية"(محمد شقير، 2009، ص226) لذلك نجدها – النكتة - تعبر عن شدَة ارتباط الفرد الشعبي بفضائه الذي يعيش فيه ويحاول تشييده وبناءه، فقد يعبر من خلالها عن استيائه أو ارتياحه من ظاهرة منتشرة في بيئة أخذ موقفا منها، وكلّ ذلك بروح من الفكاهة والدعابة بغرض تقويم الاعوجاج والتنفيس عن الهموم، ولعلّ هذه النكتة أصدق تعبيرا ومبررا اجتماعيا بالغرب الجزائري ومدى ارتباطها ببيئتها التي أبدعتها في محاولتها التخفيف عن نفوس أفرادها وعن واقع بيئتهم: **قَالَّكْ خَطْرَة واحد سَقْصَى واحد: قَالَّهْ تَعْرَفْشْ قصر العدالة وِينْ جَايْ، هَيَّا رَدْ عْلِيهْ: القصر نَعَّرْفَهْ جَايْ لْهِيهْ، بَصَّحْ العدالة عُمْرِي ما سْمَعْتْ بها**(انظر الشرح رقم3)، فهذه النكتة تمثل أقصى النقد الاجتماعي، وتحاول الرفع من الوعي الاجتماعي للأفراد الشعبية عن طريق فرض الوجود واتخاذ المواقف بكشف المستور وتعريته.

النكتة الشعبية تعلّل أنّ الشخصية الشعبية بالغرب الجزائري شخصية عملية علمتها البيئة والتجربة، أي الجغرافيا والتاريخ، فهي لا تهرب من الواقع إلا في القليل النادر، فهي متمردة بالطبع، فإذا ما عجزت من تغيير الواقع فإنّها في النهاية ترضخ للأمر، إلاّ أنّها حينئذ تسخر منه للتعويض والتنفيس، ومن هنا تأتي شهرتها وشعبيتها المدوّية في إلقاء النكتة من باب التعويض كآلية من آليات الدفاع النفسي.

فضلا عن ذلك، فإنّ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية تعتبر من البواعث الأساسية لانتشار النكتة وشعبيتها بالمنطقة، فمظاهر الحياة السيّئة التي خيَم شبحها على جميع فئات المجتمع، والتي كانت بمثابة ابتلاء شديد للشخصية الشعبية، وثقل ثقيل ظلَ لفترات طويلة جاثما على نفسها ولا يدعها تستطيع التنفس إلا قليلا، فلجأ الفرد الشعبي بالغرب الجزائري إلى النكتة يتخذها سلاحا يواجه بها بؤس الحياة وجهامتها، ومرارة الواقع وعبئه، وشقاء الحرمان وألمه،

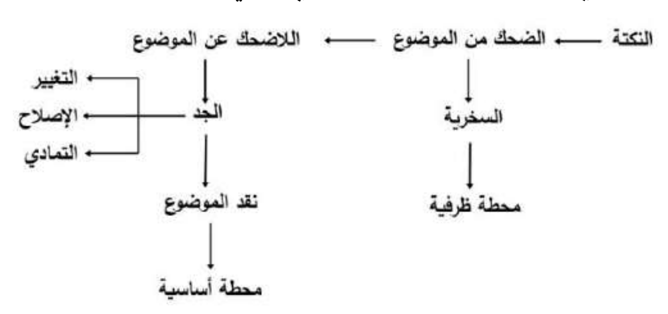
وقد كان ذلك نتيجة طبيعية لسلسلة من النكبات التي وقعت مثل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي شهدها الفرد الشعبي بالغرب الجزائري في الثمانينات والتسعينات ككثرة الطوابير التي شهدتها المنشآت الاقتصادية والخدماتية، خصوصا في الثمانينات وتسريح العمال في التسعينات وتدهور العامل البسيط وعدم تجانس دخله الشهري والقدرة الشرائية، هذا كلّه أدى إلى إنشاء نكت تتماشى وشعبية الفرد الشعبي، مما جعله يسلّط نكتا على عينة من الموظفين الحكوميين أمثال المعلم والطبيب والقاضي وسائق الحافلة والإمام والتاجر، ومنه ندرج هذه النكتة التي نعتت فئة المعلمين بظاهرة البخل نظرا لعدم تجانس دخلهم الشهري مع القدرة الشرائية: **قالَّكْ خَطْرَة بَطِيمَة فِيهَا غِيرْ المعلمين، وَاحَدْ لْمُعَلّمْ طَاحْ فِي مَرْتَهْ بِالسَّوْطْ، وْبْدَاتْ تْعَيَّطْ وَتَّوَّغْ وْجَارَهْ مْقَابْلَهْ دَّاهْ النِّيفْ عْلِيهَا وَدْخَلْ يْصَلَّحْ بِنَاتْهُمْ، فَالَّهْ يا جاري شَكَايْن بِنَتْكُمْ لْعَنْ الشيطان، فَالَّهْ جَارَهْ تْخَيَّلْ قَرْعَة زِيتْ تَاعْ زُوجْ يُوتْرُو كَمْلَتها في سِيمَانَة قَالَّهْ جَارَهْ الزَّاوَجْ عْلَاشْ كانت تْسَيَّقْ وْتْجَفَفْ بِهَا**(انظر الشرح رقم4)، شعبية هذه النكتة كانت نتيجة الاعتصار الاجتماعي الذي عاشه الفرد الشعبي في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، فالنكتة الشعبية عنده تنتج لحمة ثقافية قائمة على التضامن الاجتماعي العفوي والبديهي، فالأفراد حين يستمتعون بمعاني العيش إنّما يبدعون أدبا للعيش الاجتماعي القائم على الترويح والمؤانسة، يعبرون من خلاله عن السياسة الاجتماعية المسلّطة عليهم القاهرة لحقوقهم" لذا فالحياة السياسية ارتبطت بشكل وثيق بالضحك والفكاهة، بحيث كلّما تطورت أشكال الحكم وأساليبه إلا ورافق ذلك تطورا في أشكال الفكاهة والضحك، الشيء الذي يبدو من خلال الحياة السياسية الحديثة التي تبلوّرت فيها مظاهر وأشكال مختلفة للفكاهة السياسية"(محمد شقير، 2009، ص220) فمثل هذا الفن التعبيري المسلّط على الواقع يجعل الفرد يرفض هذا الواقع المرير ويعبر عنه بسخرية وتهكم، وهذا نفسه ما تؤكّده الدراسات الحديثة حين يصبح الضحك صورة من صور التعالي على الواقع.

ولا يخفى علينا، أن النكتة الشعبية تقوم بتحسيس الأفراد بضرورة تقويم أخلاقهم وإلزامهم على المحافظة والتمسك بتقاليدهم وعاداتهم، فهي تعمل على التماسك الاجتماعي وربط الصلة بين الأفراد وتعزيز انتمائهم الاجتماعي، وكل ذلك بطرق ذكية ورموز خفية مع إثارة المشاعر في شكل فكه مرن، فالفكاهة كما يصورها **جيرار جنيت**"مزيج بين الجد واللعب، ونفاذ البصيرة واللعبية والإنجاز الثقافي والتسلية "(عبد النبي ذاكر، 2000، ص15)، لأنّ من مميزاتها أنّها تنتقل من جيل إلى جيل، كما تنتشر بين الناس بشكل عفوي، مشافهة عن طريق الترميز والتلميح لأنّ" الرموز المستوحاة من الثقافة الشعبية هي العنصر الأهم في تكوين الهوية الجماعية للشعب وللأمة، وهي الجزء الأهم في الحفاظ على هذه الهوية وضمان استمراريتها وتعزيزها وتثبتها "(شريف كناعنة، 2011، ص133)، عكس الثقافة الرسمية هي من صنع النخبة أو الخاصة، وهي نتيجة تخطيط وتفكير واع، لا تنبع بشكل عفوي من روح المجتمع وكثيرا ما تكون عالمية، تحتاج إلى جهاز رسمي، تقوم عليه عادة السلطة المركزية من حكومة أو دولة، لنشرها أو تعميمها ونقلها من جبل إلى جيل.

ندرك مما سبق، أنّها وسيلة سهلة للتفكير الحر وللتعبير عن الآراء ونقد مظاهر الحياة التي لا تناسب الفرد نقدا رمزيا بقصد الإصلاح والتمهيد إلى تحرير المجتمع من الاضطهاد، ومنه هذه

النكتة التي نجد في ظاهرها التسلية والضحك أما باطنها فيحمل دلالات تقويم السلوك وإصلاحه: **وَحْدْ لْخَطْرَه بَزّْ سَقْصَى بُوْه، شَاُهَو لْفَرَقْ بَينْ القضاء والقدر والمصيبة، قَاّْله بُوهْ: رَحْنَا لَبْحَرْ نْعُومُو، وْغَرْقَتْ مُّكْ، هَذَا يْعَطْوُلَهْ قضاء وقدر مَا نَعْتَرَضْشْ عْلِيهْ، بَصَّحْ المصيبة لَوْ تطلع مُّكْ تَعْرَفْ تْعُومْ**(انظر الشرح رقم5)، العوم هنا، مقصود به أنّ المرأة أصبحت تتفن كل شيء وتمارس الأدوار وتتقاسمها مع الرجل وتنافسه فيها، فهي تعالج ظاهرة تسلط المرأة وتحول الأمور البيت في يدها مع تراجع دور الرجل، الذي كان قديما هو الآمر والناهي والزوجة تخدمه، ممّا يؤدي إلى انهيار العائلة وتقلّب الموازين فيها.

مما سبق نجد أن– النكتة الشعبية - متمثلة بلوحات من الحياة الاجتماعية تنبع حوادثها من الطبقات الشعبية لتبعث فيهم الأمل والمرح، وتحقق من وراء ذلك مقولة أو أداء نقد لاذع أو تنديد بظاهرة كالبخل والتسول والنفاق... فالنكتة " ظاهرها مرح وباطنها التنفيس من كبت اجتماعي نفسي من جهة ونقد المجتمع وسلوك بعض البشر من جهة أخرى"(سعيدي محمد، 1998، ص66) فهي اقتحام هذا الواقع وزلزلته بالمواجهة النقدية الساخرة من أجل تغييره، وبواسطتها نستطيع الكشف عن العيوب والانحرافات، وتعتبر كناقد اجتماعي تحاول أن تساعد أفراد المجتمع وتحسيسهم بالواقع المعيشي وإيقاظهم من غفلتهم وبث الوعي في نفوسهم وأذهانهم، فالنكتة تتحرك في نظر **سعيدي محمد** حسب المسار الدائري التالي:



الشكل 1 : المسار الدائري للنكتة
(سعيدي محمد، 1998، ص82)

خلال هذا المسار الدائري للنكتة يتضح لنا جليا، أنّ الخطاب الفكاهي في النكتة يركز كثيرا على محطّة أساسية متمثلة في نقد الموضوع وتعريته من أجل إصلاح الواقع وتغييره إلى الأحسن، وهذه المحطّة الأساسية هي الوجه الحقيقي الخفي لرصد الخطاب الفكاهي بغية تنبيه الفرد وبعث الحياة فيه من جديد، وما السخرية والترفيه إلا محطتان ظرفيتان يستعين بهما باعث النكتة قصد جلب اهتمام الأفراد وبعث جو من الفرجة ليعلي من مقام الاجتماع وما يدور حوله من موضوع، يتخذها وسيلة لنقد شرائح المجتمع الخارجة عن المألوف الاجتماعي وعاداته وتقاليده فهي" السيف المسلّط الذي تسلّطه الجماعة على رقاب الخارجين على معاييرها الجمعية، وكل من تحدثه نفسه بالخروج عن قوانين الجماعة وأساليب سلوكها"(محمد أبو خضور، 1977، ص25)، وهذا الفن الشعبي هو موقف ورأي اتجاه موضوع ما، ومن ثمة نقل هذا الموقف وهذا الرأي إلى

الآخرين وإحساسهم به، من أجل كشفه ومعرفة كنهه، وما يحتويه من عيوب ومفارقات اجتماعية مختلفة في ثوب خفي ترفيهي فكه.

إنّها بهذا الشكل، وما تثيره من ضحك تتعدى مستوى المؤانسة والإمتاع " فهي تحمل في طياتها موقفا ناقدا رافضا لموضوعها، فالنكتة نص يدمّر مضمون شكله"(سعيدي محمد، 1998، ص83)، إنّها تعمل على استبقاء الحياة الجماعية كما هي محافظة على عرفها وتقاليدها، تبحث عن الحلول الفاعلة للنظام الاجتماعي من أجل تقويمه وترسيخ المبادئ فيه، نجدها تتعرض لكلّ فئات المجتمع وشرائحه الحسّاسة بالنقد مثل المرأة والمعلم والإمام والمطلقة والبخيل، إنّنا نتوجه بالنكتة نحو الأقلّ شأنا والأكثر ضعفا، كما أننا نسخر من هؤلاء الذين كانوا يبدون لنا في البداية أكثر قوة وذكاء وثروة، ثم تبيّن لنا بعد ذلك أنّهم ليسوا كذلك، فــ " النكتة تظهر نوعا من التفوق الذاتي والإعجاب بالنفس أحيانا عندما ندرك وجود شيء ما أو شخص ما يتسم بالنقص وتجعلنا نشعر أحيانا بإعجاب مفاجئ من خلال قيامنا بمقارنة بين ما نحن عليه من تفوق وما عليه ذلك الشخص من نقص"(عبد الحميد شاكر، 2004، ص65) فعليه النكتة هي نوع من الإعجاب بالذات والفخر والتباهي الناتج عن إحساس مبهج بالتفوق من مبدعها.

وما يؤكد هذا، أن الإنسان الشعبي يلجأ إليها غالبا كوسيلة للتعبير عن استنكاره وعما يعانيه من جور وشقاء وأفظع أنواع العذاب، متضمنا فيها آراءه ومطالبه مكتسيا من خلالها لباس القصص البسيط العادي ووسيلة للتخفيف عن المكبوتات، هي بهذا المعنى يستعين بها لإزاحة المتاعب النفسية عن نفسه، وتقول **نبيلة إبراهيم** " ونرى الشعب، بدافع قواه الخلاقة، يخلق الشكل الأدبي الذي يخفّف عن نفسه بعض تصوراته المفزعة، وكأنّ عمله هذا بمثابة المأمن الذي يلجأ إليه من فزعه، وكل صنوف التعبير الأدبي الشعبي إنّما تهدف إلى تأكيد وجود الإنسان الشعبي في هذا الوجود المليء بالعناصر المهددة لحياته"(نبيلة إبراهيم، دس، ص248)،"فمن الوسائل الترفيهية التي يركن إليها الشعب النكتة الظرفية التي تشيع في النفس المتعة والأفراح عن ضيق المتاهات اليومية، ونرى أنّها تشير إلى علاقة الفرد بأخيه، بزوجه، بولده، بصديقه، بالضيف، بالغريب، فندرس فيها عادات أفراد الشعب في البيت والنادي، في السفر والمأتم والعرس، ونبحث فيها تصرفات الثّري والفقير والحلاّق والتاجر وغيرهم، وفي كل هذه الحالات نتمكن من دراسة طبائع الناس وما يتحكم فيهم من مفاهيم لا يحيدون عنها، وأيضا نرى المتغيرات التي يجهد الناس في إبدالها والاجتهاد فيها، مقلّدين أو صانعين ما يعتقدونه الأفضل.

3. مدى تفعيل النكتة الشعبية للقيم الاجتماعية:

إنّ الإنسان الشعبي يستعين بالنكتة لإزاحة المتاعب النفسية عن نفسه، والضحك الذي يصدر منها ما هو إلاّ هروب من المرارة التي تكشف عمّا في الطبيعة البشرية من خبث وسوء نية، ولم يكن الإنسان حيوانا ضاحكا إلاّ " أنّه أكثر الموجودات على الأرض شقاء وأعمقها ألما... وليس من شك في أنّ النفس المعذبة كثيرا ما تلتمس من الهزل ترويحا عن نفسها، فلا تكون الفكاهة بالنسبة إليها سوى منفذ للتنفيس عن آلامها، ولا تكون النكتة عندها سوى أداة للتهرب من الواقع الذي يرين على كاهلها"(محمد عبد الغني الشيخ، 1993، ص93)، فمن الوسائل الترفيهية التي يركن إليها الشعب النكتة الظرفية التي تشيع في النفس المتعة عن ضيق المتاهات اليومية، لأنّ كل

ما يثير الضحك والإمتاع يبقى مفضلا عند الناس، لذلك كان الطابع الواقعي الشعبي غالبا على النكتة الشعبية لأنها تسدّ احتياجات دوافع نفسية خفية تنشأ عن إحساس الإنسان الشعبي بعقبات تحول بينه وبين تحقيق رغباته.

تمدَ النكتة الفرد بالدعم النفسي، وتغذي فيه الميول الاجتماعي، وقوة التأثير في الآخرين وفرض الوجود الاجتماعي، تعدّ " سندا ثقافيا أصيلا يكشف عن مدى القدرة الذاتية للشعب، وخاصة عامته الذين يمثلون السواد الأعظم من الأمة، وعلى التكيف مع متطلبات الحياة ودواعيها بإنتاج ما يحتاجون إليه في مواجهة الصعوبات من أفكار ورؤى ومشاعر وفنون نابعة من مقوماتهم وخصوصياتهم، ملائمة لظروفهم وأحوالهم، ومنسجمة مع إمكاناتهم وقناعاتهم الخاصة"(أحمد زيادي، 2007، ص10) ما يجعلها من أرقى أشكال التعبير في الأدب الشعبي إبداعا وإحكاما، مشحونة بدلالات لتجدرها في وجدان الشعب ويتهافت الناس حولها إبداعا واستماعا، تفرض نفسها كنسق يغني الموروث الثقافي المحلي والقومي والإنساني.

النكتة كفن اجتماعي هي" شكل من أشكال الالتزام يضمن فيه الفنان نتاجه نقدا اجتماعيا داعما للتيارات التقدمية "(بول آرون، دينسن سان، جاك آلان قبالا، 2012، ص819) فنجد جلّ الأفراد قد وجدوا في صفحة الزمن وهم يضحكون، يسخرون ويتهكمون من كل ما هو غير اعتيادي غير طبيعي، لأن دراسة الجمهور في النكتة الشعبية ترتكز على الناحية غير المنظمة للسلوك الجمعي، وتقوم بالتخفيف من التوترات والأزمات بشكل ممتع ومبهج وفي وجود الآخرين بهدف تفعيل القيم وترسيخها بين الجماعة، ومنه هذه النكتة التي تحاول تفعيل قيمة تربية الصغار وبعث العطف فيهم: **خَطْرَة وَحْدْ لَمْرَة تْقَارَعْ في وَلْدْهَا في عيد الأم يَعْطِيهَا كَادِو، كِي دْخَلْ لَدَّارْ قَالَتْلْه يَا وْلِيدِي مَا نْسِيتْ وَالُو لْيُومْ، قَالْهَا شَا نْسِيتْ، قَالَتْلَهْ كَادُويَا، قَالْهَا يَامَّا، لْكَادُو شْرِيتَهْ بَصَّحْ عْطِيتَهْ لَلْخَدَّامَة لّي جَبْتِيهَا تْرَبّينِي فَنّْهَارْ.**(انظر الشرح رقم6) تهدف هذه النكتة إلى ترسيخ قيمة التربية وتفعيلها في المجتمع، فهي تكشف لنا مدى تراجع دور الأمّ التربوي داخل البيت، وكيف حلّ محله مؤسسات أخرى، وأصبح الصغار يجدون العطف في مربيات مستأجرات أكثر من الأمهات، وقد أضحى هذا التغير الوظيفي للتربية عصب المشكلة العاطفية لديهم.

وبما أنّ الأوساط الشعبية تختلف فيما بينها من حيث أشكالها وطرق تنظيمها والوظائف التي تقوم بها، وظهور النكت الخاصة بكل وسط اجتماعي دليل على ذلك، فأيّ تنكيت منه ما هو صغير الحجم، ومنه ما هو كبير الحجم، ومنه ما ينشأ بطرق متعمدة، إنّه يتأثر بالموقع الجغرافي الذي يكوّن الجانب الثقافي للشخصية، عكس أشكال التعابير الشعبية الأخرى التي يصعب تحديد الزمان والمكان فيها.

النكتة عكس هذه الأشكال نسبيا، حيث يمكن تحديد إطارها الثقافي والزماني والمكاني، وذلك بإرجاعها إلى أصولها الإبداعية الأولى، فنكت القدماء تختلف عن نكت المحدثين، ونكت أهل الجنوب تختلف عن نكت أهل الشمال، إنّها عملية تبادل مع وسط اجتماعي معين عن علاقات المجموعة من الأدوار والمراكز المرتبطة والذين يشتركون في قيم ومعتقدات معينة، بحيث يستطيعون تمييز أنفسهم عن الآخرين عن طريق عملية التنكيت، فمثلا النكت التي كان الأفراد يبدعونها في الثمانينيات في عهد الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد، والتي تدور حول سياسة

الحزب الواحد، ليتحول إبداعها في التسعينيات حول التعددية الحزبية والعشرية السوداء، هي ليست نفسها التي تلقى حاليا في عهد التكنولوجيا والتواصل الاجتماعي عبر الأنترنيت، فهذه النكتة التي انتشرت في الثمانينيات مثلا تختلف في فحواها عن نكت فترة الألفين: **قَالَّكْ خَطْرَه وَاحَدْ لْقَاوَهْ في لَارِي تَاعْ تْرُولِي يَبْكِي وِيْعَيَّطْ، وْكِي سَقْسَاوَهْ عْلَاشْ رَاكْ تَبْكِي خُويَا؟ قَالْهُمْ تْرُولِي فَاتْنِي وْرَاحْ عْلِيَّا وْنَسْكُنْ بْعِيدْ**(انظر الشرح رقم7)، هذه النكتة تعرضت للأزمة الخانقة الاجتماعية التي شهدتها الجزائر في الثمانينيات المتمثلة في أزمة النقل التي كانت ترهق الفرد الشعبي آنذاك، فمن خلال فحواها نستطيع أن نحدد إطارها الزماني التي نشأت فيه، وهي تختلف كل الاختلاف عن هذه النكتة التي تعبر على فترة ارتباط الواقع بالتكنولوجيا والعولمة في فترة الألفين حيث تقول هذه النكتة: **قَالَّكْ خَطْرَه مِيكْرُو تْزَوَّجْ مْعَ مِيكْرو بُورْتَابْلْ، مَنْ بَعْدْ لْمِيكْرُو طَلَّقْ لْمِيكْرُو بُورْتَابْلْ، أَيَّا جَا لْمِيكْرُو بُورْتَابْلْ قَالْ لَلْمِيكْرُو وَنْتَ كِي طَلَّقْتْنِي وْهَذَا سي دي (CD) لِي رَاهْ في كَرْشِي كِي نَدِيرْ لَهْ**(انظر الشرح رقم8).

وفي السياق ذاته نجد هذه النكتة: **قَالَّكْ خَطْرَه وَاحَدْ مْغَنْدَفْ، قَاتْلَهْ مَرْتَهْ فْلِيكْسِيلِي، كِي رَاحْ طَاكْسِي فُونْ قَالَّهْ عْطِينِي نِمِيرُو بَاشْ نَفْلِيكْسِيلَكْ، قَالْ أَنَا نْمَدّْ نِمِيرُو تَاعْ مَرْتِي هذا ما بْقَالِي، أَيَّا مَدّْلَهْ نِمِيرُو تَاعْ صَاحْبَهْ.**(انظر الشرح رقم9)، المتأمل لهاتين النكتتين يجدهما تشيران إلى عناصر أساسية للحياة الاجتماعية، وتدلان في الوقت نفسه عن مدى وعي الفرد بمستلزمات عصره وما يدور حوله من تطورات عصرية.

واعتبارا أنّ النكتة الشعبية من النصوص الشفهية، فأسلوبها الشفهي يعدَ تقنية اتصال أساسية، تساعد في كشف الحجاب وتظهر للمجتمع هويته الخاصة، تاريخه وحاضره فهي" نصوص آنية متكونة من صوت وجمهور مستقبل، لأنّ الكلمة الملفوظة هي الشرط الذي يربط القائل بالسامع"(الزاوي خديجة، 2012، ص173)، فالكلمة التي تقال جيدا وفي الوقت المناسب لها قيمة الفعل بحد ذاته، فهي تحمل وظيفة الاندماج الاجتماعي ووظيفة إعلامية تمرّر من خلالها معلومات على حساب السياق ووضعية النص الشفهي ووضعية تأثيرية وثقافية " لأنّ السيرورة التواصلية نتاج سلوك إنساني للشركاء دون أن نغفل الإكراهات النفسية لفعل الشراكة التي تحدث لا محالة توترات طبيعية تتجلى في صعوبة الاتصال، ولكن هذه التوترات تضفي في الآن نفسه تفاعلات حيوية على النشاط التواصلي بين أفراد الجماعة، وتحفزهم على الإبداع"(أحمد يوسف، 2004، ص76) لذلك يعدَ الإطار الاجتماعي ركيزة التفاعل، ولا غرو أن يجعله النموذج الارتكازي للتعبير، علما أنّ تحديد القيم من الموضوعات الحسّاسة ويعدَ بناء للمجتمع وتشييده، وهذا ما يسعى النكات إلى تحقيقه عن طريق إبداعهم النكت، وهذا الشكل يبين أنواع التفاعل الذي تحققه النكتة داخل المجتمع:



الشكل 2 : أنواع التفاعل الإجتماعي للنكتة الشعبية
(الشكل من تصميم البحث)

الضحك هو ترجمة لطبيعة الإحساس الإيجابي للإنسان إزاء ما يسمع وما يرى وما يحسّ، لذلك كان الطابع الواقعي الشعبي غالبا على النكتة الشعبية، كونها تسدّ احتياجات دوافع نفسية خفية تنشأ عن إحساس الإنسان الشعبي بعقبات تحول بينه وبين تحقيق رغباته، فهي سند ثقافي يتماشى مع متطلبات الحياة بإبداع ما يحتاجون إليه في مواجهة الصعوبات من أفكار ورؤى ومشاعر وفنون نابعة من مقوماتهم وخصوصياتهم، ملائمة لظروفهم وأحوالهم، ومنسجمة مع إمكاناتهم وقناعاتهم الخاصة، وذلك لما لها من أثر قوي في الثقافة الشعبية، تفرض نفسها كنسق يغني الموروث الثقافي المحلي والقومي والإنساني.

قد عكف مبدعو النكتة الشعبية داخل المنطقة بالغرب الجزائري يمارسونها ويؤلفونها، كونها تتماشى مع مزاج الإنسان الشعبي وبيئته الاجتماعية، لذلك اتخذت من المواقف الشعبية والحياة اليومية للأفراد داخل المجتمع مواضيع قصد معالجتها مستحضرة أشكال الفكاهة بين هزل وسخرية وتهكم، متكئة على الذكاء والقدرة على التعبير، وكل هذا بهدف تعرية الواقع المعيش المتمثل في مختلف الآفات التي يتخبط فيها المجتمع، خصوصا تلك الحقب التي مرّت عليه وأمضاها تحت الضغط السياسي والاجتماعي المسلطين عليه، فلهذا السبب نجدها بالغرب الجزائري حاضرة المقام منفَسة له، لم يسلم منها لا الساكن ولا المتحرك مرَة لاذعة مؤلمة ومرَة منفَسة وملطّفة للجوّ، اتخذها الفرد الشعبي في المنطقة مبررا يفعّل من خلالها قيّما اجتماعية ويبرّر اخفاقاته وزلاته الاجتماعية متخيلا بها العالم المتوقع الذي لم يقع.

ولعلَ شعبية النكتة وانتشارها بين الأوساط الشعبية ناتج من احترامها القيم الاجتماعية تارة وفي تجاوزها لها تارة أخرى، وذلك انطلاقا من مقاصد الناكت الشعبي في إبداعها ونظرته الخاصة للمجتمع، فضلا عن ذلك نجد أن الجماهير الشعبية تعلق أمالا وتطلعات على المبدع الشعبي في انتقاده للمجتمع، وكأنّه في نظرهم يساعد المؤسسات الرسمية للمجتمع المنوطة بالإصلاح والتوعية الشعبية، وهنا ممكن السّر في اهتمام الفرد الشعبي بالنكتة الشعبية إبداعا وتأليفا.

النتائج المتوصل إليها: من خلال ما سبق، ونحن نتتبع لمضامين النكتة الشعبية المتداولة بالغرب الجزائري ونتصفح موضوعاتها تجلّت لنا مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

-النكتة الشعبية قصاص غير مؤلم وأداة يستعملها الفرد لتأديب من يستهين بتقاليده.

-إن قراءة لأي نكتة شعبية فهي قراءة للاشعور.

-النكتة تفرض على دارسها الحضور العقلي حتى ينقّب عن مضمونها.
-إنّها تصوير للمصير الجمعي، حتى لو كان بطلها مفردا ولغتها محلية ضيقة.
-يمكن اعتبارها المؤشر الحقيقي للجماعة بما يخفيه من هموم وبؤس بطرق ذكية ورموز خفية.
-حضورها حتمية اجتماعية – ثقافية داخل النسيج الاجتماعي.
-هي بمثابة مبرر نفسي- اجتماعي مخفّفة لهموم الذات المحرومة، ومفعّلة لقيّم ويستعين بها الفرد عند شعوره بعدم التجانس بين نفسه والمجتمع.

الشرح:

1. معنى هذه النكتة أنّ متسولة تجلس أمام مسجد للتسول، ونظرا لضعفها يحتقرها كلّ المتسولين المتواجدين أمام ذلك المسجد، ويأخذون منها كلّ أموالها بالقوة، فصادفها رجل غني وأشفق على حالها، وقال لها: لو منحتك صكا بنكيا بقيمة ميليار ماذا تفعلين به، قالت له: أبني مسجدا وأتسول فيه بمفردي.(سمعت هذه النكتة من مدن متعددة منها سعيدة، وهران، غليزان من أشخاص كثيرين، لأن ظاهرة التسول منتشرة بكثرة بمنطقة الغرب الجزائري مما أدى على تداولها).

2. معنى هذه النكتة أن معلّمة تدرّس مادة التربية المدنية سألت تلميذا عن معنى العائلة فردّ قائلا: العائلة هي أنّ أبي يمثل وزير المالية، وأمّي تمثل وزيرة الداخلية، وأخي الكبير هو وزير المواصلات، أمّا أختي الكبيرة فهي المستشارة، أمّا باقي الإخوة هم الشعب المظلوم، أمّا أنا الصغير فيهم أمثل المخابرات.(النكتة سمعتها من طالب يحضر الماستر بجامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت يدعى عرباوي بوزيان حين كنت اشتغل أستاذا مؤقتا بنفس الجامعة).

3. معنى هذه النكتة أنّ عمارة خاصة بالمعلمين، أخذ معلم بخيل فيها يضرب زوجته وهي تصرخ، فقرر جاره أن يتدخل ويصلح بينهما وقال له: يا جاري رفقا بزوجتك، فلم هذا الضرب والصراخ؟ فقال له المعلم البخيل تصور يا جاري أنّ زوجتي قارورة الزيت أنهتها في أسبوع، فردّ عليه جاره متعجبا: وهل كانت تنظف بها الأرض؟.(سمعتها من أستاذ متقاعد يقطن مدينة سيدي بلعباس في لقاء خاص بالنقابة السناباست لأساتذة الثانوي وذلك تجديدا للمكتب الولائي بالولاية).

4. معنى هذه النكتة أنّ شابا سأل أحدهم عن مكان قصر العدالة، فردّ عليه قائلا القصر موجود هناك ولكن العدالة لم أسمع بها.(سمعتها من جماعة يقطنون حي البلاطو بوهران باعتبار أن قصر العدالة متواجد في حيهم).

5. معنى هذه النكتة أنّ ابنا سأل والده عن الفرق بين القضاء والمصيبة، فردّ عليه الوالد بمثال قائلا: هب أنّنا ذهبنا إلى البحر للسباحة وغرقت أمك، فهذا قضاء لا اعتراض عليه، أمّا إذا كانت أمّك تحسن السباحة فتلك هي المصيبة.(سمعتها من مدرب لرياضة الجيدو بمعسكر أثناء تحضير منافسة رياضية بالملعب الإفريقي).

6. معنى هذه النكتة أنّ أمّا انتظرت ابنها الصغير أن يقدم لها هدية المتعلقة بعيد الأم، وعندما دخل البيت قالت له يا بني العزيز أين هي هدبتي الخاصة بعيد الأم؟ فقال لها قد اشتريتها وقمت بتجهيزها ولكنّي قدمتها للمربية التي تعتني بتربيتي في النهار.(دونتها من امرأة في الستينيات

تقطن مدينة النعامة وأنا قاصد المركز الجامعي بالولاية صالحي أحمد هناك لقضاء أمور إدارية فيها).

7. معنى هذه النكتة أنّ شابا كان أمام موقف للحافلات يبكي بشدة، وعندما سئل عن سبب بكائه، أجابهم: إنّ الحافلة غادرت وذهبت عني وأنا أسكن بعيدا(سمعتها من شاب بمدينة تلمسان حين كنت طالبا أحضّر الدكتوراه وأذهب إلى تلمسان لمراجعة أموري حول الأطروحة مع أستاذي المشرف).

8. معنى هذه النكتة أنّ حاسوبا تزوج بحاسوب ناقل، وقام بعدها بتطليقه، فقال له الحاسوب الناقل رافضا للطلاق: أنت عندما طلقتني، فماذا أفعل أنا بالقرص المرن الذي في أحشائي(دونتها من شاب يعمل مشرف تربوي بالثانوية التي أدرس فيها).

9. معنى هذه النكتة أنّ رجلا غبيا طلبت منه زوجته أن يقوم بتعبئة مكالمة لهاتفها، عندما قصد محل التعبئة، طلب منه صاحب المحل تقديم رقم الهاتف للقيام بالعملية، فأخذ الرجل يحدث نفسه قائلا كيف يمكن أن أقدم لهذا الرجل الغريب رقم زوجتي؟، فقام بتقديم له رقم هاتف صديقه.(سمعتها من شابة تحضر ليسانس لغة فرنسية تقطن بمدينة البيض التقيتها بمدينة البيض بمناسبة إحياء وعدة الوالي سيدي الشيخ).

قائمة المراجع:

1.أحمد زيادي(2007)، الأحاجي الشعبية المغربية (مجالاتها وبنياتها ووظائفها ومقارناتها وخصائصها)، منشورات وزارة الثقافة.

2.أحمد يوسف(2004)، سيميائية التواصل وفعالية الحوار، المفاهيم والآليات، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر.

3.التلي بن الشيخ(1983)، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830-1945،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

4.السيد حافظ الأسود(1985)، التراث ودراسة الشخصية القومية، مجلة عالم الفكر، ع(1)، وزارة الإعلام والثقافة، الكويت.

5.الزاوي خديجة(2012)، فضاءات في أنثروبولوجيا الاتصال، مجلة الصورة والاتصال، ع(1) و(2). جامعة وهران، الجزائر

6.بول آرون، دينيسن سان، جاك آلان فيالا(2012)، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة محمد محمود، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

7.دينكن ميشل(1976) ، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد حسن، ط(2)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

8.وزلين ليلى قريش(1980)، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

9.سعيدي محمد(1998)، الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

10.شاكر عبد الحميد وآخرون(2004)، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، ط(1) ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة .

11.شريف كناعنة(2011)، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، تحقيق مصلح كناعنة، مواطن، رام الله، فلسطين.

12.عبد النبي ذاكر، استراتجيات الفكاهة في الرحلة العربية، مجلة دراسات، ع(10)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أغادير.

13.محمد أبو حضور(1977)، النكتة الصهيونية، دراسة نفسية اجتماعية، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق.

14.محمد أمين فرشوخ(1983)، أدب الفكاهة في لبنان، ط(1)، دار الفكر اللبناني.

15.محمد شقير(2009)، السخرية والسلطة من المأسسة إلى التجريم، إفريقيا الشرق، المغرب.

16.محمد عبد الغني الشيخ(1993)، النثر الفني في العصر العباسي الأول.

17.نبيلة إبراهيم(دس)، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط3، دار المعارف، القاهرة.

رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية الاجتماعية المستدامة

Social capital and its role in achieving sustainable social development

د.العربي حران، جامعة عمار ثليجي الأغواط- الجزائر

د.التونسي فائزة، جامعة عمار ثليجي الأغواط- الجزائر

ملخص: يذكر **"بوتنام"** في إحدى كتاباته أن "الجماعة التي يكون أعضاؤها جديرين بالثقة ويضعون ثقة بالغة في بعضهم البعض سوف تكون أكثر قدرة على الإنجاز بالمقارنة مع الجماعات الأخرى التي تفتقد للثقة بين أفرادها"، من هذا المنطلق ظهر مفهوم رأس المال الاجتماعي مع كتابات كل من **"أليكسيس دي توكفيل** Tocqviell "و**"ليدا هانيفان** lida Hanifan" وبالرغم من أصل مصطلح رأس المال الاجتماعي يرجع إلى القرن التاسع عشر إلا أن تطور هذا المفهوم إرتبط بثلاثة أكاديميين رئيسيين وهم **جيمس كولمان** james coleman ، **بيير بورديو** pierre bourdieu **وروبرت بوتنام** robert putnam، وفي العقدين الأخيرين تبنت الهيئات الدولية لمصطلح رأس المال الاجتماعي و دوره في الإنتاجية وتعزيز الثقة.

الكلمات المفتاحية: رأس المال الاجتماعي، العلاقات الاجتماعية، التنمية المستدامة، الفعل الاجتماعي، البناء الاجتماعي

Abstract: Putnam writes in one of his writings that "a group whose members are trustworthy and trust each other will be more capable of achievement than other groups that lack confidence among themselves.

From this point of view, the concept of social capital emerged with the writings of "Tocqviell" and "Lida Hanifan". Although the term social capital dates back to the 19th century, the development of this concept was linked to three main academics, James Coleman Pierre Bourdieu and Robert Putnam. In the last two decades, international organizations have embraced the term social capital, its role in productivity, the promotion of trust.

Keywords: Social capital, Social relations, Sustainable development, Social action - Social construction.

مقدمة:

تعتبر التنمية في فلسفتها مفهوم أخلاقي، فهي تعتمد على تغيير أنماط السلوك بحيث يتحمل الفرد مسؤولية الشعور بالآخرين من حوله وكذلك بمن سيأتي بعده، أما الإستدامة فهي بعد زمني، فالتنمية المستدامة محورها البيئة والإنسان وتوفير الحياة الأفضل له، ومع التطور العلمي والتكنولوجي أصبح المجتمع اليوم كالقرية الصغيرة بفعل ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة، لذلك كان لزاماً على الدول التغيير في الفكر الإنمائي لديها لمواكبة الركب الحضاري، بحيث يشمل ذلك التغيير جميع المجالات الاقتصادية والإجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية، وبما أن الإنسان يعتبر العنصر الفعال والأساسي في التنمية المستدامة والذي يؤثر بشكل مباشر على أشكال وبناءات وتراكمات رأس المال أصبح من الضروري الدراسة والبحث في أهم التنظيمات الإجتماعية التي يتكون منها المجتمع وترقيتها تنظيمها، وأهم الميكانيزمات التي تتحكم بها وذلك من أجل الحفاظ على نمو المجتمع وتطوره دون الإخلال بأمنه الإجتماعي، وذلك بالاستثمار في رأس المال الاجتماعي الفردي والجماعي والإنتاجية القيمية التي تعمل على وحدة وتماسك المجتمع، وكذا تفاعله توازنيا مع المجتمع العالمي في جميع سياقات، ومن هنا يمكننا طرح التساؤل التالي: كيف يساهم رأس المال الاجتماعي في تحقيق التنمية الإجتماعية المستدامة؟

1. تحديد مصطلحات الدراسة:

أ.مفهوم رأس المال الاجتماعي: ينطوي مفهوم رأس المال الاجتماعي على شقين رئيسيين: جانب رأس المال والجانب الاجتماعي، فرأس المال يشير أساساً إلى أن رأس المال الاجتماعي يتكون من خلال التراكم عبر فترات طويلة من الزمن، ومن هنا فمن الصعب تخيل أن يتكون رأس المال الاجتماعي بصورة وقتية أو سريعة لخدمة موقف مفاجئ أو حالة عارضة، ويشير الجانب الاجتماعي إلى حقيقة بديهية مؤداها أن رأس المال الاجتماعي لا يكون فردا بذاته كما هو الحال في رأس المال المادي أو البشري وإنما يتكون في إطار جماعة إجتماعية يرتضي الأفراد الانضمام لها من أجل إستغلال ما توفره العضوية في هذه الجماعة من مزايا ورصيد إجتماعي(إنجي محمد عبد الحميد، 2010، ص18).

ب. مفهوم التنمية المستدامة: قبل التطرق إلى تعريف التنمية المستدامة لا بد من التطرق إلى تعريف التنمية، والتي تعتبر "المنهج الذي تستطيع به الدول النامية عن طريق إستغلالها لمواردها البشرية في رفع المستوى المعيشي لغالبية الناس في مختلف المناطق، فالتنمية تهدف لتدعيم القدرة الذاتية للمجتمع و تحقيق الأهداف المحلية والقومية بالطرق المنهجية التي يستخدمها أخصائيون مدربون لتكفل مشاركة غالبية الناس بالموارد البشرية والمادية"(منال طلعت محمود، 2012، ص20).

والتنمية المستدامة هي تلك التنمية التي يديم إستمراريتها الناس أو السكان أما التنمية المستديمة فهي التنمية المستمرة أو المتواصلة بشكل تلقائي غير مكلف وفي العديد من الدراسات العربية المتخصصة أستخدم المصطلحين مترادفين فبعضهم قال التنمية المستدامة، وبعضهم الآخر يقول

التنمية المستديمة كترجمة لمصطلح إنجليزي(sustainabledevelopment) (عثمان محمد غنيم، ماجدة أحمد أبوزنط، 2006، ص14-23).

2. مكونات رأس المال الاجتماعي:

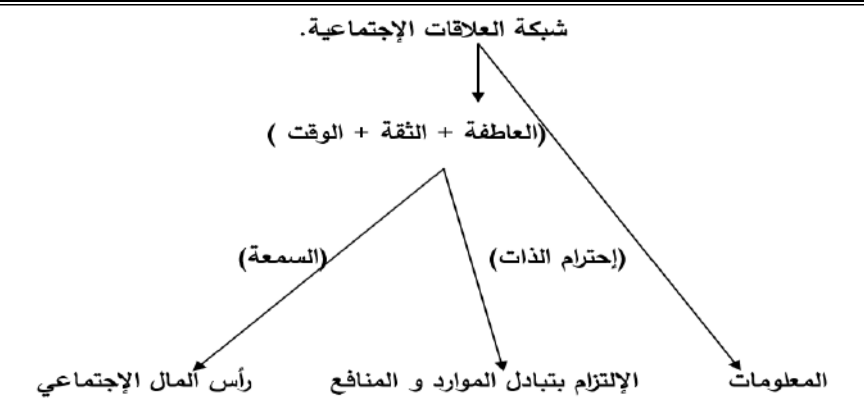
إن رأس المال الاجتماعي يمثل " الموارد الكامنة في البناء الاجتماعي، والتي يقوم أعضاء الجماعة بالحصول عليها، ونقلها من أفعال تعبيرية إلى أفعال غائية "(انجي عبد الحميد، 2004، ص109) أي نقلها من مجرد أفعال عادية تعبر عن الممارسات الاجتماعية العادية وتدعم الأوضاع الحالية ، إلى أفعال مقصودة موجهة إلى تحقيق غايات معينة وأوضاع أفضل، أي إن رأس المال الاجتماعي يتكون من ثلاثة مكونات رئيسية، هي : مجموعة من الموارد، بناء اجتماعي، أفعال.

بالنسبة لمجموعة الموارد، فهي أما موارد اجتماعية أو رمزية يستخدمها الفرد في ممارساته الاجتماعية، أما الفعل الاجتماعي، هو الطريقة التي يستخدم بها الفاعل هذه الموارد إيجابا أم سلبا، وذلك في إطار علاقات البناء الاجتماعي، وقدرته على تأسيس علاقات مع المجتمع تقوم على الجمعية والاندماج الاجتماعي(ياسر سليمان محمد سليمان، 2010، ص2).

ولقد تم تحديد ثلاثة عناصر أساسية تكون رأس المال الاجتماعي: وهي الأشخاص، قوة العلاقة بينهم، والموارد، أما الأول فيقصد به عدد من الأشخاص داخل شبكة العلاقات الاجتماعية، وهم على إستعداد لمساعدة بعضهم البعض عند الحاجة، والثاني هو قوة العلاقة بين الأشخاص، وهي ما يحدد مدى إستعدادهم للتعاون، والثالث هو الموارد التي يمتلكها الأفراد، سواء كانت موارد شخصية وتمثل رأس المال البشري، أو موارد إجتماعية وتشمل الروابط والعلاقات الاجتماعية التي يكونها الأفراد(انجي محمد عبد الحميد، 2010، ص113).

وخلاصة القول هنا أن العلاقات الاجتماعية القوية ، التي تؤسس على العاطفة والثقة وتبادل الموارد ومشاركتها-تدعيم الموارد وتحافظ عليها – تمثل رأس المال الاجتماعي ، يمكن للفرد تعبئته نحو تحقيق المنافع والعوائد الايجابية، أو تحقيق صعود رأسي داخل البنية الهيراركية للمجتمع ، ويمكن لنا تقديم هذه الفكرة عبر الشكل التالي :

شكل رقم (01):يوضح طبيعة العلاقات القوية وتبادل الموارد شبكة العلاقات الاجتماعية.



المصدر : (خالد كاظم أبو دوح ، 2014، ص179)

3. تنظيمات رأس المال الاجتماعي:

تعرف التنظيمات organization بأنها " وحدات إجتماعية، تقام وفقا لنموذج بنائي معين، لكي تحقق أهداف محددة وواضحة، وقد أصبح الإعتماد على التنظيمات لإشباع الحاجات المجتمعية ظاهرة عامة في المجتمع الحديث وينظر إلى التنظيمات بوصفها جماعات كبرى على درجة عالية من التنظيم والانتظام"هذه التنظيمات تسهل إنتاج رأس المال الاجتماعي وتساعد على تنمية المهارات القيادية المدنية التطوعية ، ويرى البعض إن أكثر تنظيمات رأس المال الاجتماعي تأثيرا هي التي يتم تكوينها عن طريق الروابط الاجتماعية غير الرسمية، كالأسرة، الدين، جماعات الجيرة ، وكلما خرج الفرد من هذه الدوائر أصبح أكثر حذرا واقل ثقة في المحيطين به(أنجي محمد عبد الحميد، 2010، ص172).

فرأس المال الاجتماعي يتواجد في جميع أنحاء المجتمع وفي جميع أنواع المنظمات، ومن تنظيمات رأس المال الاجتماعي الأسرة، المدرسة، المجتمعات المحلية، المجتمع المدني، الروابط العرقية، النوع الاجتماعي، المعطيات الجغرافية، دور الدين، فهذه التنظيمات تبنى معايير الثقة، وتساعد الناس على البقاء على مع بعضهم البعض، كما أنها تقدم الدعم العاطفي والشخصي، ويمكن تعرف وذلك على النحو التالي:

أ.الأسرة: إن الروابط بين الآباء والأبناء تكون إرتباطات قوية تؤدي إلى تحكم اجتماعي غير رسمي فعال كما تسمح بمراقبة نشاطات الشباب (Abada Teresa, 2009, p189)، ومن هنا فإن الأسرة هي المساهم الأول والرئيسي في تكوين قيم الفرد وعلاقته بالمجتمع ، ومدى ثقته في الآخرين ، كما تمثل محور العلاقات في المجتمع.

ب.التنظيمات الدينية : حيث يمثل الدين مصدرا لرأس المال الاجتماعي ، فالتعاليم السماوية تنطوي على مفاهيم تساعد على تراكم مفهوم رأس المال الاجتماعي مثل التكافل الاجتماعي مثل التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى، والدين قد لا يسهم في تكوين رأس المال الاجتماعي رابط يسهم في تنمية المجتمع، وإنما قد يسهم في أضعاف ثقة فئات المجتمع من أبناء

الديانات المختلفة في بعضهم البعض(أنجي محمد عبد الحميد، 2010، ص103)، وعلى العكس من ذلك الفئات ذات الديانة الواحدة يوجد فيما بينهم رأس المال الاجتماعي قوي.

جـ.الروابط العرقية: هي إتحاد أشخاص يتشاركون في الأعراف والثقافات لتحقيق الأهداف المشتركة، وهي من الممكن أن تسهم في تقوية الروابط الاجتماعية بين بعض الأفراد ولكنها في نفس الوقت من الممكن أن تعمل على عزل البعض الآخر، فالأفراد من ثقافات مختلفة عن جماعة معينة يتم عزلهم عن هذه الجماعة، ولا يتم تكوين علاقات قوية معهم، وذلك لإنخفاض الثقة فيهم، فالأهداف بينهم وبين هذه الجماعة تكون مختلفة .

ويظهر ذلك في الجماعات القبلية، حيث يتواجد بين أفراد القبيلة الواحدة عادات وتقاليد وأعراف مشتركة وبالتالي أهداف مشتركة ومستويات عالية من الثقة، وتكون العلاقات فيما بينهم قوية وإتاحة المعلومات فيما بينهم قوية وبالتالي تشكل الجماعات التي تربطها روابط عرقية أحد تنظيمات رأس المال الاجتماعي(خالد كاظم أبو دوح، 2014).

د.المجتمع المحلي: إن التفاعل الاجتماعي بين الجيران والأصدقاء يمكن إن يولد رأس المال الاجتماعي بما فيه من عمل من اجل المصلحة المشتركة، حيث تقوم المجتمعات بالتأثير على أعضائها ، ويميز المجتمع المحلي أشكال التنظيم الاجتماعي، وما يسوده من تقدير خاص للقيم والمعايير التي من شانها تدعيم الاتفاق و الاتصال بين الأفراد، وبالتالي زيادة معدلات الثقة وتقوية العلاقات فيما بين الأفراد مما يعزز من رأس المال الاجتماعي.

ه.المجتمع المدني: يضم مجموعة متنوعة من الهيئات والمنظمات كالأحزاب السياسية، النقابات العمالية والروابط والاتحادات المهنية، ويتسع هذا المفهوم ليشمل أيضا المنظمات غير الحكومية وقد يمتد ليشمل منظمات القطاع الخاص الملتزمة بمسؤولياتها المجتمعية ففيه تتكون أصول رأس المال الاجتماعي سواءاً كانت في شكل علاقات وروابط جمعية أم في شكل قيم جمعية تصب في تدعيم الثقة ، كما يتيح للأفراد الحوار والنقاش والتنظيم المستقل، ويحقق التواصل والاندماج في إطار أهداف عامة، ويعمل هذا التواصل على تدعيم علاقات الثقة الأفقية والراسية(أحمد زايد، 2011، ص12)، وهنا يتمثل رأس المال الاجتماعي في قدرة المجتمع على أساس الثقة المتبادلة والتعاون على تكوين جماعات جديدة متجاوزا الروابط الأسرية وصلات القربى ونشر ثقافة التطوع التي تساعد على ترسيخ قيمة المسؤولية الاجتماعية والالتزام، ويمكن تنمية رأس المال الاجتماعي وإنتاجه على مستوى المجتمع المدني، عن طريق العمل الجماعي التطوعي ومعرفة كيفية الاتصال بالآخرين مما يتيح بناء وتراكم الثقة الاجتماعية للجماعات والتنظيمات.

فالمجتمع المدني هو البيئة التي تتشكل فيها الصورة الايجابية لرأس المال الاجتماعي والمتمثلة في مزيد من الثقة في مؤسساته، وتكوين ثقافة المشاركة.

و.المدرسة: كأحد تنظيمات رأس المال الاجتماعي تمثل "تنظيم مجتمعي تتشكل الحياة الاجتماعية لأفراده أو للأعضاء المنتمين إليه من خلال علاقاتهم مع التنظيمات المجتمعية الأخرى ، وتكون بذلك المدرسة هي التنظيم المجتمعي الذي يتحقق من خلاله الأهداف المجتمعية للتعليم(سوزان محمد المهدي و رمضان أحمد عيد، 2002، ص102)، ومن خلال هذه العلاقات ومن خلال التعاون تكون المدرسة المزيد من رأس المال الاجتماعي.

ومما سبق يمكننا القول أن تنمية الإنسان المستدامة تعتمد بشكل كبير على مدى إنتماء الشخص إلى جماعة معينة والمتمثلة في الأسرة والمدرسة والجيران وجماعة الرفاق والروابط العرقية، أو تنظيمات، أو جمعيات، سواء كانت هذه الجمعيات دينية (المسجد)، أو نقابية أو خيرية أو حسب السن أو جمعيات القروض الدوارة تعمل على بناء رأس المال الاجتماعي لديه، وتكمن أهمية هذه التنظيمات في خدمة مجتمعها المحلي مما يعود بالنفع على المجتمع والنهوض به وتطويره كإنشاء المساجد والتي تعود بالمنافع وكذا التعليم، ولا يتحقق ذلك إلا بإنتشار ثقافة التطوع و القيم المدنية التي تعتبر مقوماً أساسياً لرأس المال الاجتماعي، حيث إن أفضل السبل لتراكم رأس المال الاجتماعي هو عندما توجد نظم مفتوحة تسمح بدخول أعضاء جدد حتى وإن كانوا مختلفين.

4. مقومات رأس المال الاجتماعي:

إن بناء رأس المال الاجتماعي ينبع من الشبكات والعلاقات الاجتماعية التي تتم بين الأفراد والتفاعل، والتسامح، والثقة والشعور بالأمان، لذلك يتم في هذا المكان تعريف مقومات رأس المال الاجتماعي والتي تتمثل في الثقة، الاندماج الاجتماعي، والقابلية الاجتماعية، الشرعية، القيم، المشاركة والتعاون، التسامح، التبادلية، الالتزام، ثقافة التطوع، وعملية التعليم.

أ.الثقة: فهي أساس العلاقات والتفاعلات اليومية، وهي أساسية لعلاقات التبادل، وتساعد على الإرتباط بين الأعضاء، كما أنها مرتبطة بالأفعال المنسقة للمجتمع وتجعل المجموعات قادرة على متابعة الاهتمامات الجماعية بكفاءة وفاعلية، وكلما توافرت المعايير والقيم والأخلاقيات والشفافية والألفة والمحاسبية، كلما توافرت الثقة بنوعيها الفردية والإجتماعية، وهذه الثقة كمقوم لرأس المال الاجتماعي تفسح الطريق لظهور مفهوم آخر وهو الاندماج الاجتماعي.

ب.الاندماج الاجتماعي: يتمثل في تطوير منظمات مدنية وتكوين علاقات بين الأفراد داخل هذه المنظمات، حيث إن رأس المال الاجتماعي يتمثل في هذا البناء الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية، إذ يتحدد بالقدرة على تنظيم وتنسيق أفعال الأفراد من أجل تحقيق أهداف مشتركة، فكلما إندمج أفراد المجتمع في بوتقة واحدة يتبلور لديهم الشعور بوجود المجتمع ،وترتب على ذلك قدرتهم على تعبئة مواردهم وأن يحققوا أقصى درجات الفائدة من أفعالهم(هاني خميس، 2008، ص14) وحتى يحدث الإندماج الاجتماعي فمن الضروري وجود القابلية الاجتماعية .

جـ.فالقابلية الاجتماعية: هي رغبة الأفراد في المنظمة على إخضاع الأهداف الفردية وما يصاحبها من أفعال إلى أهداف وأفعال جماعية، يعملون على إقرارها بشكل جماعي، والعنصر الرئيسي للقابلية الإجتماعية هو المشاعر الجماعية والقدرة على تنسيق النشاطات، ومهما يكن فإن رغبة الفرد من منظور القابلية الإجتماعية في المشاركة بالعمل الجماعي تعتمد بشكل جزئي على الإعتقاد بأن جهود الفرد ستفيد الجماعة بشكل مباشر ويستفيد الفرد بشكل غير مباشر(زكريا الدوري، 2009، ص320)

د.الشرعية: ويقصد بها حصول البناءات الاجتماعية على درجة عالية من تقبل المشاركين فيها، من خلال وجود ضوابط تحكم سلوك أعضائها، وتسهم في استمرار العلاقات الاجتماعية بين أفرادها وبالتالي تكوين رأس المال الاجتماعي، أما حينما تضعف قيمة الضوابط وتقل قدرتها

على السيطرة على سلوك المشاركين فإن ذلك معناه أن هذا البناء فقد شرعيته، فوجود الضوابط شرط لحدوث الشرعية ، وتقبل الأفراد للمشاركة في بناء ما، فهو مظهر لهذه الشرعية.
ه.القيم: يعتمد رأس المال الاجتماعي على القدرات الإنسانية وبنائه يرتبط ببناء هذه القدرات، والذي يتم عن طريق غرس وترويج قيم كالمشاركة والتعاون والمبادأة والمبادرة والإعتماد على الذات والعمل الجمعي، ويتم ذلك عن طريق برامج التعليم الرسمية والتعليم غير الرسمي ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية التي تسهم في بناء الشخصية التنموية بقيمها الايجابية وقدراتها الفاعلة(طلعت مصطفى السروجي، 2009، ص68).
و.المشاركة: ويقصد بها تبادل المعلومات والاستشارات ومن صورها التعاون والشراكة في صناعة القرار ، فتعميق ثقافة الشراكة والتعاون بين المواطنين في المجتمع ، تساعد في تنسيق الناس في تنظيمات أي تكوين رأس المال الاجتماعي(طلعت مصطفى السروجي، 2009، ص76).
ز.التسامح: ويعني قبول الآخر، وهو الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة، وقبول الرأي الأخر ، وتحمل الضغوط وهو يساعد في تكوين رأس المال الاجتماعي.
ح.التبادلية: تشير إلى قدرة الأفراد على العمل معاً من خلال تبادل الخبرات والمعلومات، وقدرة المنظمات على تسيير العلاقات التي تهيئ الفرصة لتبادل الحوارات البناءة والمعلومات بين الأفراد داخل المنظمة، مما يشجع روح التعاون فيما بينهم ونشر ثقافة الثقة، ويتم ذلك من خلال الندوات، وورش العمل والاستبيانات والدورات التدريبية، وتتضمن عملية التبادل مكونين هما: علاقات قوية بين الأفراد، على أن تكون هذه العلاقات قائمة على مبدأ إعتراف كل منهم بحقوق ملكية الأخر لما لديه من موارد، والثاني هو إنتقال الموارد من فرد إلى آخر نتيجة للتفاعل بينهما، وهو ما قد يفسر التفاعل على إيجاد نوع من الحراك الاجتماعي(أنجي محمد عبد الحميد، 2010، ص113)، وكلما إتسعت دائرة العلاقات والتبادلات بين الأفراد من خارج المستويات الضيقة (الأسرة) ، إزدادت درجة الموثوقية والتبادلية بين الأفراد (أنماط التبادل المتنوعة بينه)(صالح سليمان عبد العظيم، 2010، ص24)، مما يؤدي لتعاظم مستوى الثقة الموجودة في المجتمع، من خلال إستخدامه عبر الشبكات الاجتماعية المختلفة حيث تعمل على زيادة التنسيق والاتصال بين الأفراد.
ط.الالتزام: هو " حالة نفسية تتمثل في تمسك الفرد بمنظمته، وإقتناعه بأهدافها، الأمر الذي ينعكس على سلوكياته حيث يسعى لنجاح هذه المنظمة، ويبذل قصارى الجهد والالتزام لتحقيق ذلك".
ي.ثقافة التطوع والقيم المدنية: تعتبر مقوما أساسيا لرأس المال الاجتماعي حيث يتم ذلك من خلال عدة آليات منها التعريف بأنشطة المنظمات من خلال وسائل الإعلام والندوات والأنشطة والخدمات التي تقدمها هذه المنظمات، وكذلك عمل دورات تدريبية للتدريب على كيفية التطوع، وتسهيل إجراءات التسجيل للتطوع.
كما أشرنا سابقا إن بناء رأس المال الاجتماعي في جميع أنحاء العالم ينبع من تنظيمات مختلفة و متباينة داخل المجتمع وهي مبنية على مجموعة من الشبكات والعلاقات الاجتماعية التي تتم بين

الأفراد، لكن دوامها وإستمراريتها تضمنه جملة من المقومات متمثلة في الثقة التي تساعد الأفراد على البقاء على مع بعضهم البعض، كما أنها تقدم الدعم العاطفي والشخصي، الذي يعمل على إنصهار الأهداف الفردية وما يصاحبها من أفعال إلى أهداف وأفعال جماعية تساعد في إندماج الأفراد داخل هذه التنظيمات وإلتزامهم بالعمل مما يشجع على غرس وترويج قيم المشاركة وروح التعاون والمبادأة والمبادرة والاعتماد على الذات والعمل الجمعي في العمل وتنمية المشاعر الداخلية فيها، المرتبطة بالإمتنان والإحترام والصداقة، ويتم إنتاج هذه العلاقات بإستمرار من خلال التبادل (الهدايا والكلمات الرقيقة) الذي يشجع التعارف والإدراك المتبادل، والتبادل هنا يقوم بتحويل الأشياء المتبادلة وتحذير التعارف وتعمقه و بالتالي تنمية المجتمع.

5. رأس المال الاجتماعي ودوره في تنمية رأس مال البشري ومراكمته:

فيما سبق أشرنا إلى أن رأس المال الاجتماعي يمثل استثماراً في العلاقات الاجتماعية، بهدف تحقيق الربح والعوائد المختلفة في إطار الفضاء الاجتماعي، ولهذا فإن رأس المال الاجتماعي يمتلك تقاطعات مع مختلف الأشكال الأخرى لرأس المال(رأس المال الثقافي، رأس المال السياسي، رأس المال الديني)، لكن بخلاف الأنواع الأخرى فهو يرتبط بجملة العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع ومثله مثل رأس مال البشري فهو يتسم ببعض الأنشطة وليس جميعها، عبر سلسلة من الأهداف والغايات وقد يقوم بخلق مجموعة من الضوابط المجتمعية التي تعمل على تنمية الإنسان المستدامة، ومساعدة الفرد على تكوين ومراكمة وبناء رأس المال الاجتماعي، إضافة إلى تجسيده داخل المجالات المختلفة التي تتوزع داخل المجتمع مما يودي إلى نمو المجتمع وتطوره وكذا إحساس الإنسان بالأمن المجتمعي.

ولقد عرف " كولمان" رأس المال الاجتماعي من خلال وظائفه فهو لا يمثل وحدة بل وحدات متعددة تشترك جميعها في عنصرين متشابهين **الأول**: يتضمن بعض مظاهر البناء الاجتماعي، و**الثاني** أنها تسهل للأفراد إتمام بعض الأفعال، سواء كانوا أشخاص منفردين، أو مترابطين داخل بناء أو مؤسسة ما، ومثله مثل الأشكال الأخرى من رأس المال، فالرأس مال الإجتماعي يتسم بالإنتاجية ويتصل ببنية العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع (jemes colman, 1998, p302)، و من خلال إشارته إلى أن رأس المال الاجتماعي يسهل ممارسة بعض الأفعال والممارسات الاجتماعية خلال الحياة اليومية ، إلا أنه نبه إلى وجود نمطين من البناءات تسهل عملية تكوين رأس المال الاجتماعي وهما :

النمط الأول: تقارب الشبكات الاجتماعية التي تخلق الظروف المناسبة لظهور القوانين الفاعلة القادرة على ضبط السلوك وإرشاده ومواضع الثقة التي تسمح بتنامي الشعور بالالتزام.

النمط الثاني: ويحدده " كولمان " من خلال المنظمات عند تأسيسها تهدف إلى تحقيق أهداف معينة، ورغم ذلك يمكن لها أن تحقق أهداف أخرى كالعمل على تكوين رأس المال الاجتماعي (jemes colman,1998, p214).

وقد طرح " كولمان " بعد ذلك أشكال عديدة لرأس المال الاجتماعي، وهي على النحو التالي:

أ.الالتزامات و التوقعات :obligations and expectations: إذا فعل (A) شيئا إلى (B) ووثق أن (B) سوف يبادله ذلك أو يرده له في المستقبل، وأن ذلك يؤسس توقع عند الفرد (A)،

وإلتزام من جانب الفرد (B) للحفاظ على هذه الثقة في البيئة الاجتماعية ومستواها، والذي يتضمن قناعة الفرد بأن الإلتزامات التي يؤديها سوف ترد له ويتمثل هذا الشكل من الرأس مال الاجتماعي في نظام الجمعيات التي يدخلها مجموعة من الأفراد الذين يثقون في بعضهم البعض بدرجة عالية، ويتم جمع مبلغ من المال متساوي في بداية كل شهر، ويتم إعطائه لأحدهم، ثم الشهر التالي يتم جمع نفس المبلغ وإعطائه للثاني حسب آلية الترتيب التي اتفقوا عليها(خالد كاظم أبو دوح، 2014، ص117).

وهي كثيرة ومتنوعة في مجتمعنا هذا ونخص بالذكر الجمعيات مثلا ما بين الموظفين الذين يتقاضون أجور ثابثة أو ما تعرف بجمعية القروض الدوارة.

ب.حيازة المعلومات information potential: يمثل هذا لشكل من أشكال رأس المال الاجتماعي في القدرة على الحصول على المعلومات وحيازتها، تلك المعلومات الكامنة في العلاقات الاجتماعية، ومثل هذه المعلومات تكون هامة لأنها توفر أساس للفعل والعمل، ولقد أوضح كل من كاتز ولازار سفيلد كيفية عمل ذلك بالنسبة للنساء في جوانب عديدة من الحياة اليومية(خالد كاظم أبو دوح، 2014، ص118).

وأمثلة ذلك في مجتمعنا متعددة فعلى سبيل المثال لما تكون المرأة مهتمة بالطبخ و ذلك لإسعاد زوجها ولكنها لا تعرف التطورات الجديدة في الطبخ و تريد تجديد معلوماتها حول الطبخ فإنها تقوم باستشارة صديقاتها العارفات بذلك كمصدر للمعلومات ، و مثل هذه العلاقات تكون ذات قيمة من خلال المعلومات التي توفرها حيث أنها تعمل على التنمية الاجتماعية للمرأة.

جـ.الأعراف والجزاءات الفعالةnorms and effective sanctions: عندما يوجد العرف بشكل فعال فإنه يمنح سلطة شرعية وقوة كبيرة لرأس المال الاجتماعي، فالأعراف الفعالة تحد على سبيل المثال الجرائم الليلية في شوارع المدينة، و تمكن الأفراد من أن يعيشوا داخل منازلهم ولديهم إحساس بالأمان، وهذا الشكل لا يسهل أفعال معينة فحسب بل، ولكن أيضا يقيد أفعالا أخرى ويقيدها(خالد كاظم أبو دوح، 2014، ص118).

د.علاقات السلطة authority relation: وهي العلاقات التي بموجبها يتم نقل حقوق السيطرة والتحكم في بعض الأفعال من فرد أو مجموعة من الأفراد إلى فرد آخر، فعملية النقل هذه تراكم لدى الآخر رصيد من رأس المال الاجتماعي(خالد كاظم أبو دوح، 2014، ص119).

نستنتج أن "كولمان" حدد مجموعة من السمات والشروط البنائية التي تدعم موارد رأس المال الاجتماعي، و**هذه السمات** هي:

الانغلاق: فالشبكات الاجتماعية المغلقة يكون فيها الفاعلون على علاقات مباشرة وقوية ويسهل فيها ظهور الجزاءات والمعايير وتتراكم داخلها مستويات عالية من الثقة، كالمجتمعات القبلية والجماعات الإثنية في مجتمعنا التي تكون فيها العصبية القبلية قوية والتي تكلم عنها **ابن خلدون**.

الإيديولوجية: فبوجود إيديولوجية معينة داخل شبكة العلاقات الاجتماعية أو البناء الاجتماعي يلتف الأفراد حولها ويؤمنون بها، فالأفراد هنا يكونون على استعداد للفعل من أجل شيء ما أو فكرة ما.

الاستقرار: ينمو رأس المال الاجتماعي باستقرار العلاقات الاجتماعية التي تستمر عبر الزمن.

الاعتماد: ينمو رأس المال الاجتماعي باعتماد الأفراد على بعضهم البعض في أوقات مختلفة من الحياة كما تم الإشارة إليه في عنصر حيازة المعلومات و التوقعات.

يؤكد تراث علم الاجتماع على الربط بين رأس المال الاجتماعي وشبكات العلاقات الاجتماعية، ويكاد يكون هناك شبه إتفاق بين مختلف الباحثين الذين إهتموا بدراسة رأس المال الاجتماعي على هذا الإرتباط، إلا أنه ينبغي التأكيد هنا على أن شبكات العلاقات والروابط الاجتماعية هي بالأساس نتاج خطط الاستثمار – الفردي أو الجماعي – التي تهدف إلى إنتاج وإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية ، التي يمكن إستخدامها مباشرة على المدى القصير أو الطويل في تحويل العلاقات العارضة غير المباشرة (مثال علاقات الجيرة وزمالة العمل أو أي علاقة نسب) إلى علاقات تبدو هامة ومباشرة وقوية، تضمن دوامها وإستمراريتها وتنمية المشاعر الداخلية منها المرتبطة بالإمتنان والإحترام والصداقة على عكس بعض السلوكيات كسوء الظن والحساسية كثرة اللوم والكبر والغضب التي تعتبر من أكثر السلوكيات التي تنخر العلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

6. الاستثمار الفردي و الجماعي في رأس المال الاجتماعي:

يمكن التمييز بين إتجاهين في دراسة رأس المال الاجتماعي بالاعتماد على محك مستوى تحليل العائدات أو المردودات الناتجة عن عمليات الاستثمار في رأس المال الاجتماعي ، وذلك على النحو التالي(خالد كاظم أبو دوح ، 2014، ص99):

أ.الاستثمار الفردي في رأس المال الاجتماعي: أحسن إستثمار للفرد في رأس المال الاجتماعي هو الأفكار التي قدمها " **بيرت** " فيما يتصل بالأوضاع والمواقع التي يشغلها أفراد الشبكات الاجتماعية، وأن مثل هذه الأوضاع تخلق العديد من المميزات التنافسية، لأنها تزود شاغليها بالمعلومات والموارد الكامنة فيها، والتي من غير الممكن الوصول إليها في أوضاع ومواقع أخرى، بمعنى أن لكل موقع أو وضع إجتماعي موارده التي تقتصر عليه (jemes colman, 1998, p22) وتعرف " نظرية بيرت " بنظرية " الثقوب البنائية " structural holes ، ومحور هذه النظرية يدور حول إحصاء الفرد للربح والفائدة، وأن هذه العملية تحمل بعدين، **البعد الأول** يتصل بالاستثمار، ويتصل **الثاني** بالعائدات، وذلك بالإعتماد على أن هناك مجموعة من الفرص البنائية التي قد تتاح للفرد، ويستطيع من خلالها الوصول للموارد والاستثمار فيها بما يحقق له الربح.

ويصف " بيرت " جوهر نظريته بقوله: " كل فاعل له أهداف يريد أن يحققها وذلك في ظل كوابح بنائية اجتماعية، والفاعل يجد نفسه في بناء اجتماعي، وهذا البناء الاجتماعي هو الذي يحدد أوجه التشابه الاجتماعي بين الأفراد، وينمط بدوره تصوراتهم للفرص أو المزايا التي يحصلون عليها عن طريق الاختيار بين الأفعال المتباينة، وفي الوقت ذاته يكبح البناء الإجتماعي الفاعلين – بدرجات متفاوتة في قدرتهم على القيام بأفعالهم، وفي نهاية الأمر تكون الأفعال التي قام بها الفاعلون دالة مشتركة لسعيهم إلى تحقيق مصالحهم في حدود قدراتهم، حيث يحدد البناء الاجتماعي أنماط مصالح الفاعلين وقدراتهم، وأخيرا فان الأفعال التي يقوم بها الفاعلون في ظل

كوابح بنائية اجتماعية يمكن أن تغير من البناء الاجتماعي نفسه ، وهذا التغير من شانه أن يخلق قيودا جديدة يواجهها الفاعلون داخل البناء(مصطفى خلف، 2009، ص466).

هنا قد ينتج التفاوت في توزيع رأس المال الاجتماعي بين الأفراد من خلال عمليتين هما: الأولى وهي النقص والعجز في رأس المال الاجتماعي، والثانية النقص والعجز في العوائد والأرباح المتراكمة عبر الاستثمار في رصيد الفرد من رأس المال الاجتماعي.

ب.الاستثمار الجماعي في رأس المال الاجتماعي: ويعنى به الكيفية التي تعمل بها الجماعات لتكوين رأس المال الاجتماعي ومراكمته، وطريقة الإستثمار في هذا الرصيد الذي تم مراكمته، بالشكل الذي يحقق تحسين مستوى حياة أفراد الجماعة ونوعيتها، وذلك على أساس إن رأس المال الاجتماعي هو منتج جماعي بالدرجة الأولى، يتخذ شكل تبادلات متكررة بين أعضاء الجماعة ، ويتم تعزيز هذه التبادلات من خلال صور مختلفة من التقدير والإدراك المتبادل بين أعضاء الجماعة الواحدة، بالإضافة إلى اتفاق أعضاء الجماعة الواحدة على مجموعة من الالتزامات المتبادلة.

فالجماعة هي أساس حصول الفرد على أية مزايا اجتماعية أو اقتصادية، وإنتماء الفرد للجماعة هو سبيله للحصول على مجموعة الموارد والمهارات التي تكون في حيازة أفراد أخريين، ليس هذا فحسب بل إن وضع الفرد في المجتمع يتحدد من خلال قوة جماعته التي ينتمي إليها ويقودها، فكلما كانت الجماعة قوية وذات نفوذ، كلما استطاع أعضائها تحقيق مكاسب مادية وغير مادية(أنجي محمد عبد الحميد، 2010، ص32).

يتخذ رأس المال الاجتماعي هنا شكلاً إجتماعيا، لأنه يتصل بالجوانب التي تمكن أعضاء الجماعة من التواصل الفعال والعمل الجمعي على تحقيق الأهداف المشتركة، ويستند على مكونين رئيسيين، الأول هو الشبكات الجمعية الحديثة التي تقوم على التواصل والإختيار العقلاني والثقة، والثاني هو المعايير الإجتماعية الحديثة كالحرية والتسامح والتعايش والتعاون مع الأخريين، ويستطيع أفراد الجماعة تطوير هذه المنظومة العقلانية الرشيدة عبر السعي الجاد نحو تحقيق مصالحهم، حيث تميل أفعال الأفراد على نحو دائم نحو تعظيم المنفعة الفردية، ويتوصل الأفراد أثناء سعيهم نحو تعظيم منافعهم عبر الإختيار الحر الإرادي، إلى أهمية بناء " تنظيم إجتماعي للثقة "وهنا يتحول الفعل العقلاني الفردي إلى فعل جماعي ونسقي، يقوم على التواصل والترابط، يعمل رأس المال الاجتماعي وفق هذا الاتجاه وكأنه آلية التواصل والترابط، التي تعمل على خلق أشكال كثيفة من الثقة المتبادلة يتم على ضوءها تكوين الإلتزامات الأخلاقية التي تربط ذوات الأفراد سويا(jemes colman, 1998, p22).

فرأس المال الاجتماعي هو قدرة جماعية ، تنشأ من إنتشار الثقة في المجتمع أو في أجزاء معينة منه، ويمكن أن يتجسد في أصغر جماعة إجتماعية أساسية وهي الأسرة، كما يتجسد في أكبر الجماعات وهي الأمة، وفي جميع الجماعات التي تقع بينهما، ويتم تكوين رأس المال الإجتماعي ونشره عبر الآليات الثقافية، مثل الدين، أو التقاليد، أو العادات التاريخية، ويشير العلماء إلى أنه يمكن تفسير نشأة الجماعات الإجتماعية نتيجة لقيام عقد طوعي بين أفراد أجروا حساباً عقلانياً مفاده إن التعاون هو لمصلحتهم الذاتية في المدى الطويل، ومن هذا المنطق فالثقة

ليست ضرورية للتعاون، إذ يمكن للمصلحة الذاتية التي تتسم ببعد النظر مقرونة بالآليات القانونية مثل العقود أن تعوض غياب الثقة، وتسمح للغرباء أن يؤسسوا معا منظمة تعمل لغرض مشترك ، ويمكن تشكيل الجماعات في أي وقت على أساس المصلحة الذاتية(فوكوياما فرنسيس، 1998، ص42)).

وتكوين رأس المال الاجتماعي للجماعة يمكن أن يظهر داخل الجماعات الأثينية أو القرابية ، خاصة في تلك المجتمعات التي تشكل العائلة أو الأسرة أو القبيلة أو صلات القرابة أساس للمشاركة والثقة، كما يمكن أن يظهر داخل الجماعات المدنية الحديثة، خاصة في تلك المجتمعات التي تتسم بالشركات الطوعية، والتي تعمل على إخراج الأفراد من دوائرهم القرابية Allan) Cigler Mark R.Joslyn, 2002, p20) وعلى هذا الأساس يمكن للروابط القرابية أو الأثينية أن تكون مصدر من مصادر رأس المال الاجتماعي، حيث التأثير على أسلوب تنشئة الأفراد، واليات تشكيل وعيهم وتصوراتهم، وربط الأفراد ببعضهم البعض، ومن ثم ربطهم أو عزلهم عن المجتمع المحيط، كما تستطيع هذه الروابط أن تحشد الموارد وتعبئتها لخدمة أهداف محددة، وتساهم أيضا في إتاحة المزيد من الفرص أمام أعضائها لتحقيق الأهداف المشتركة.

ومنها يمكننا القول إن أحسن إستثمار للفرد في رأس المال الاجتماعي هو الأوضاع و المواقع التي يشغلها أفراد الشبكات الاجتماعية والتي تخلق العديد من المميزات التنافسية، لأنها تزود شاغليها بالمعلومات والموارد الكامنة فيها التي تساعده في تحقيق أهدافه وإنتهاز الفرص والمزايا في حدود قدراته نتيجة للضغوط التي قد يتعرض لها داخل المجتمع، هذا بالنسبة للفرد أما بالنسبة للمجتمع فقد تساهم الثقة وحرية الإختيار وتوفر الرغبة في خلق روح التعاون بين الأفراد ويقصد بها تبادل المعلومات والاستشارات ومن صورها التعاون والشراكة في صناعة القرار، فتعميق ثقافة الشراكة والتعاون بين المواطنين في المجتمع، تساعد في تنسيق الناس في تنظيمات، أي تكوين رأس المال الاجتماعي، والتعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية يساعد على بناء رأس المال الاجتماعي، ويعتمد نجاح هذه المنظومة على الجهود التي يكمل بعضها البعض، فهناك أدوارا مختلفة يمكن أن يلعبها كل طرف بحيث لا تتكرر الجهود أو تتحول إلى مصادمات، ولا يتم ذلك إلا من خلال الثقة وحرية الاختيار وتوفر الرغبة الحقيقية بين الأطراف في التعاون.

نتائج الدراسة:

تطرقنا خلال مقالنا هذا إلى مقاربة نظرية لمفهوم رأس المال الاجتماعي ودوره في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمع، وكما أشرنا سابقا إن بناء رأس المال الاجتماعي في جميع أنحاء العالم ينبع من تنظيمات مختلفة ومتباينة داخل المجتمع: كالأسرة، المدرسة، المجتمعات المحلية، المجتمع المدني، الروابط العرقية ، النوع الاجتماعي، المعطيات الجغرافية، دور الدين، وقد طرح " كولمان "بعد ذلك أشكال عديدة لرأس المال الاجتماعي والمتمثلة في الإلتزامات والتوقعات، حيازة المعلومات، الأعراف والجزاءات الفعالة، علاقات السلطة، وهي مبنية على مجموعة من الشبكات والعلاقات الاجتماعية التي تتم بين الأفراد، لكن دوامها وإستمراريتها تضمنه جملة من المقومات متمثلة في الثقة التي تساعد الأفراد على البقاء مع بعضهم البعض، كما أنها تقدم الدعم العاطفي والشخصي لهم، وتعمل على تذويب الأهداف الفردية وما يصاحبها من

أفعال إلى أهداف وأفعال جماعية تساعد في إندماج الأفراد داخل هذه التنظيمات وإلتزامهم بالعمل مما يشجع على غرس وترويج قيم المشاركة وروح التعاون والمبادأة والمبادرة والإعتماد على الذات والعمل الجمعي في العمل وتنمية المشاعر الداخلية فيها، المرتبطة بالإمتنان والإحترام والصداقة، ويتم إنتاج هذه العلاقات بإستمرار من خلال التبادل(الهدايا والكلمات الرقيقة) الذي يشجع التعارف والإدراك المتبادل، وبالتالي تنمية المجتمع.

ورغم الاتفاق حول المعنى السابق لدى العديد من منظري رأس المال الاجتماعي، إلا أن الإختلاف جاء حول المستوى الذي يتم عنده تحليل عوائد الإستثمار في رأس المال الاجتماعي، فهناك من تحدث عن رأس المال الاجتماعي كمورد فردي وسمة للأفراد ويعتبر أن أحسن إستثمار للفرد في رأس المال الاجتماعي الأوضاع والمواقع التي يشغلها أفراد الشبكات الاجتماعية والتي تخلق العديد من المميزات التنافسية ، لأنها تزود شاغليها بالمعلومات والموارد الكامنة فيها التي تساعده في تحقيق أهدافه وإنتهاز الفرص والمزايا في حدود قدراته نتيجة للضغوط التي قد يتعرض لها داخل المجتمع وقد ينتج التفاوت في توزيع رأس المال الاجتماعي بين الأفراد من خلال عمليتين هما: الأولى وهي النقص والعجز في رأس المال الاجتماعي، والثانية النقص والعجز في العوائد والأرباح المتراكمة عبر الاستثمار في رصيد الفرد من رأس المال الاجتماعي، هذا بالنسبة للفرد، وهناك من يتعامل مع رأس المال الاجتماعي كمورد جماعي، ويحاول رصده والتنظير له من خلال هذا المستوى، فقد إعتبر أن الثقة و حرية الإختيار وتوفر الرغبة قد يساهمون في خلق روح التعاون بين الأفراد، فتعميق ثقافة الشراكة والتعاون بين المواطنين في المجتمع، تساعد في تنسيق الناس في تنظيمات، أي تكوين رأس المال الاجتماعي، والتعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية يساعد على بناء رأس المال الاجتماعي، ويعتمد نجاح هذه المنظومة على الجهود التي يكمل بعضها البعض، فهناك أدوارا مختلفة يمكن أن يلعبها كل طرف بحيث لا تتكرر الجهود أو تتحول إلى مصادمات، ولا يتم ذلك إلا من خلال الثقة وحرية الإختيار وتوفر الرغبة الحقيقة بين الأطراف في التعاون.

خاتمة:

إن الإستثمار في الرأسمال الإجتماعي يعتبر أحد أهم متطلبات التنمية المستدامة للفرد والمجتمع، ولا يعد الإستثمار في الرأسمال الاجتماعي إستثماراً فقط في الموارد الكامنة للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، بل إستثماراً كذلك في الثقة المهدورة بين الناس، فكلما إنظم الأفراد إلى تنظيمات مجتمعية معينة كلما طوروا لأنفسهم قيم مشتركة تنمي روح المسؤولية الإجتماعية لديهم إزاء تطوير أنفسهم ومجتمعهم إلى الأحسن، وكلما تحولت حالات الشك عندهم إلى ثقة، والتي نلمح فقدانها في أغلب الأصعدة بين الناس إذ أصبحت من مظاهر الحياة المعاصرة فقد أصبح الإنسان يثق في أشياء مجردة ولا يثق في غيره، فإبتعاد الإنسان عن صور الممارسات اليومية الشاذة يعمل على تعزيز التمكين والتنمية بالنسبة للفرد من خلال تعميق قيم المواطنة و تعزيز الثقة بالنفس، ولما للرأس المال الإجتماعي من دور في تحقيق التنمية الإجتماعية المستدامة للمجتمع فلقد ظهرت العديد من القضايا المرتبطة بنظرية رأس المال الاجتماعي، مثل تعريف رأس المال الاجتماعي، وقياسه، وتدويره، والتفاوت بين الأفراد في رصيد رأس المال الاجتماعي

وتفسيرات ذلك، ودوره في عملية التنمية في مختلف الأصعدة، وعلاقته بالديمقراطية ونظم الحكم كأحد ميكانزمات الإستقرار الإجتماعي.

قائمة المراجع:

1.أحمد أبو زيد(2010) ، توظيف رأس المال الإجتماعي، مستقبليات، مجلة العربي، ع615، تصدر عن وزارة الإعلام، القاهرة وبيروت ودمشق والرباط، الكويت.

2.أحمد زايد(2011)، الإستثمار الإجتماعي، مقاربة سوسيولوجية للمفهوم، المؤتمر السنوي الثالث عشر للإستثمار الإجتماعي ومستقبل مصر، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة.

3.أنجي محمد عبد الحميد(2010)، دور المجتمع المدني في تكوين رأس المال الإجتماعي "دراسة حالة للجمعيات الأهلية في مصر، مجلة سلسلة أبحاث ودراسات، ع1، المركز المصري للحقوق الإقتصادية والإجتماعية، القاهرة، مصر.

4.أنجي عبد الحميد(2004)، عرض كتاب رأس المال الإجتماعي نحو نظرية في البناء والفعل الإجتماعي، المجلة الإجتماعية القومية، م41، ع2، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية، القاهرة، مصر.

5.خالد كاظم أبو دوح(2014)، رأس المال الإجتماعي آفاق جديدة في النظرية الإجتماعية، الدار الهندسية، القاهرة، مصر.

6.سوزان محمد المهدي، رمضان احمد عيد(2002)، التنظيمات الشعبية وتحقيق الشراكة المجتمعية في التعليم دراسة مقارنة في الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا وبلجيكا وإمكانية الإستفادة منها في مصر، مجلة التربية والتنمية السنة العاشرة، ع26، جامعة جنوب الوادي، الغردقة، مصر.

7.صالح سليمان عبد العظيم(2010)، الإمارات العربية المتحدة بين الماضي والحاضر ، دراسة سوسيولوجية في كيفية إعادة تشكيل رأس المال الإجتماعي، مجلة حوليات الآداب والعلوم الإجتماعية، الرسالة 314، ع30، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، الكويت.

8.عثمان محمد غنيم، ماجدة أحمد أبوزنط(2006)، التنمية المستديمة، دار صفاء، عمان، الأردن.

9.فوكوياما فرنسيس (1998)، الثقة، الفضائل الإجتماعية وتحقيق الازدهار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

10.مصطفى خلف (2009)، نظرية علم الإجتماع المعاصر، دار المسيرة ، عمان، الأردن.

11.منال طلعت محمود(2012)، الموارد البشرية وتنمية المجتمع المحلي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.

12.هاني خميس(2008)، رأس المال الإجتماعي، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، القاهرة، مصر.

13.زكريا مطلك الدوري، أحمد علي صالح(2009)، إدارة التمكين وإقتصاديات الثقة من منظمات أعمال الألفية الثالثة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

14.طلعت مصطفى السروجي(2009)، رأس المال الإجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، مص.

15.ياسر سليمان محمد سليمان(2010)، محددات توزيع رأس المال الإجتماعي في القرية المصرية – دراسة وصفية، رسالة دكتوراه منشورة، قسم الإجتماع، كلية الآداب، جامعة المنيا.

16.Abada.Teresa, Tenkorang ,Eric (2009) , Pursuit of University Education among the Children of Immigrants in Canad The Roles of Parental Human Capital and Social Capital ،Journal of Youth Studies ،issue 2.

17.Allan Cigler. Mark R Joslyn (2002) , The Extensiveness Of Group Membership And Social Capital، . Vol.55 ،.No1، The Impact On Political Tolerance Attitudes . Political Research Quarterly.

18.Coleman , James (1990), Foundations Of Social Theory, Harvard University Press , Cambridge, Mass.

معضلة الهوية الثقافية للاجئين السوريين في تركيا، وآليات تفعيل سياسات الدمج الإجتماعي.

The dilemma of the cultural identity of the Syrian refugees in Turkey, and the mechanisms for activating social integration policies.

أ.محفوظ عيس، باحث دكتوراه، جامعة أمحمد بوقرة بومرداس-الجزائر

ملخص: لقد طرحت قضايا اللجوء في تركيا للمواطنين السوريين هربا من الحرب وتداعياتها، عديد التحديات الاجتماعية والثقافية، بحيث أصبح الحديث عن وجود معضلة الهوية الثقافية والاجتماعية، من منطلق تأزم واقع اللاجئين السوريين في البحث عن مقومات البقاء والعيش الكريم، ومحاولة بناء هوية مشتركة لتحقيق الإنسجام الإجتماعي والتواصل الثقافي والحضاري مع المجتمع التركي.

الكلمات المفتاحية: المجتمع التركي، اللاجئين السوريين، معضلة الهوية الثقافية.

Abstract: The issue of asylum in Turkey has been presented to the Syrian citizens to escape the war and its aftermath, the many social and cultural challenges, so that the talk about the existence of the dilemma of cultural and social identity has become a reality in the search for survival and decent living Cultural relations with Turkish society.

Key words: Turkish society, Syrian refugees, the dilemma of cultural identity.

مقدمة:

تعتبر أزمة اللاجئين السوريين من أسوء الأزمات الإنسانية التي عرفها العالم المعاصر، إذ نتج عن الحرب الأهلية التي تعرفها سوريا منذ 2011 إلى اليوم، نزوح داخلي وتهجير خارجي قسري للسكان، إلى دول الجوار الإقليمي السوري، فكان لتركيا أكبر حصة في استضافة اللاجئين السوريين بحكم قواسم حدود الجغرافيا، والبينة الاجتماعية التي على أساسها بنيت تركيبة المجتمع التركي، وقد شكل التدفق البشري للشعب السوري على الحدود التركية – السورية، طلبا للجوء وهربا من الحرب وتداعياتها،عديد التحديات الاجتماعية والثقافية، التي فرضت على اللاجئ السوري ضرورة التأقلم مع الظروف الجديدة في البلد المستقبل له، من خلال العمل على تجاوز معيقات الدمج الاجتماعي في المجتمع التركي، وهذا انطلاقا من السعي إلى إيجاد تفعيل أدوات التعايش والانسجام الاجتماعي، في صياغة القواسم الاجتماعية المشتركة، والتي تعبر عن الهوية الثقافية والاجتماعية للفرد السوري في محاولة انخراطه في المجتمع التركي، وتحقيق كرامته في العيش الكريم.

بالتالي نحاول دراسة مختلف التحديات الاجتماعية والثقافية التي تعيق الاندماج الاجتماعي للاجئ السوري في المجتمع التركي، ثم نتطرق إلى الخصائص البيئة الاجتماعية في تركيب المجتمع السوري والمجتمع التركي، والتي تبرز من خلالها القواسم المشتركة في بناء الهوية الثقافية لكلا المجتمعيين، ثم تناول أبرز أدوات الدمج الاجتماعي التي تبنتها الحكومة التركية في تعاملها مع اللاجئين السورين لتخفيف من معاناتهم، وتعزيز انتمائهم الثقافي والاجتماعي داخل المجتمع التركي.

مشكلة البحث:

إن الحرب الأهلية التي تعرفها سوريا منذ عام 2011 قد أنتجت عديد الأزمات الإنسانية ومنها أزمة اللجوء والهجرة القسرية، وكدراسة حالة أخذنا حالة اللاجئ السوري في المجتمع التركي، بحكم القول في وجود إرث تاريخي وحضاري في العيش المشترك بين المجتمعيين السوري والتركي، ومع ذلك نلحظ بروز معضلة التكييف الإجتماعي واستعصاء تشكل هوية ثقافية موحدة تمكن اللاجئ السوري من الإنسجام الإجتماعي وعدم إعتباره عنصر دخيل ومصدر لعدم الإستقرار الأمني والاجتماعي، الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

ما هي أبعاد معضلة الهوية الثقافية للاجئين السوريين في تركيا، وآليات تفعيل سياسات الدمج الاجتماعي لهم؟.

هذا التساؤل البحثي يتفرع إلى أسئلة فرعية هي كالتالي:

- ما هي أبرز التحديات الاجتماعية والثقافية للاجئين السوريين في تركيا؟.
- ما هي مظاهر أزمة الهوية الثقافية في صفوف اللاجئين السورين؟.
- ما هي مقومات الهوية الثقافية في إدماج اللاجئين السورين؟.

للفهم وتفسير الظاهرة المدروسة سينطلق البحث من الفرضية البحثية التالية:

- لقد نتج عن أزمة اللاجئين السوريين في تركيا عديد التحديات الاجتماعية والثقافية، التي أعاقت الدمج الاجتماعي للاجئ السوري في المجتمع التركي.

أهداف الدراسة:

- تشخيص واقع اللاجئين السورين في تركيا.
- كشف طبيعة الخصوصيات الثقافية والحضارية للمجتمع التركي والسوري.
- معرفة جوانب أزمة الهوية الثقافية للاجئين السوريين في تركيا.
- معرفة سياسات الحكومة التركية في الدمج الاجتماعي للاجئين السوريين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة أنها تحاول كشف معاناة اللاجئين السوريين في تركيا، ومعرفة طبيعة التحديات الاجتماعية والثقافية التي تعيق تحقيق الانسجام الاجتماعي في المجتمع التركي، من خلال دراسة جوانب التقاطع الهوياتي للمجتمع السوري والمجتمع التركي، كمرتكزات وقواسم مشتركة في بناء الهوية الثقافية، وسبل البحث عن آليات تفعيل سياسات الدمج الاجتماعي في خلق هوية ثقافية مشتركة.

المحور الأول. التحديات الاجتماعية والثقافية للاجئين السورين في تركيا

نشرت المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة تقريرها السنوي في 20 جوان 2016 المصادف لليوم العلمي للاجئين، وبينت أن هجرات الشعوب وصلت إلى مستوى قياسي لا مثيل له ففي نهاية 2015، وصل عدد المهجريين قسرا عبر العالم إلى 65,3 مليون شخص، وذكرت المفوضية أن الصراع في سوريا قد فاقم من ارتفاع عدد اللاجئين والاحتياجات الإنسانية لهم عبر العالم، بحيث تسببت الحرب في سوريا في أكبر أزمة لاجئين في التاريخ الحديث وأجبرت الملايين من المدنيين على الهجرة بسبب اشتداد جرائم الحرب واستمرارها على الأرض السورية، وتفاقمت الأزمة إلى أعلى مسوياتها معلنة كارثة إنسانية تجاوزت كل التوقعات، خاصة في ظل غياب أفق للحل السياسي لصراع، وتواطؤ قوى المجتمع الدولي مع الأطراف المتصارعة لإطالة عمر الصراع، فحسب المفوضية فإن أكثر من نصف عدد سكان سوريا فروا من البلاد منذ بداية الاضطرابات السياسية والأمنية عام 2011، وأن أكثر من 12 مليون نزحوا داخل سوريا، وأن 4,7 مليون سوري هجروا قسرا نحو الخارج، ووفق إحصائيات عامة للمرصد السوري لحقوق الإنسان فإن 465 ألف سوري قتلوا خلال ستة أعوام من الحرب الأهلية السورية، وأكثر من 14 مليون جرحوا وشردوا، وليس هذا فحسب فقد برزت عديد التداعيات للأزمة السورية على دول الجوار الإقليمي السوري، فحسب تقديرات المفوضية، فإن عدد السوريين الذين لجئوا إلى تركيا هو 2,8 مليون شخص، فتركيا هي البلد الذي يستقبل أكبر عدد من اللاجئين السوريين على أراضيه(فاطمة أودينة، 2017، ص111).

لقد كان لوجود اللاجئين في الدول المستقبلة منها تركيا، قد فرض متطلبات كبيرة على قطاعات الخدمات العامة تفوق طاقتها، بحيث سبب وجود اللاجئين عديد التحديات الاجتماعية والثقافية، كالازدحام في المدارس والمستشفيات، علاوة على ذلك، ارتفاع الإيجار ومستويات البطالة، فتكون أوضاع اللاجئين سيئة نتيجة افتقاد القطاعات العامة إلى الموارد المطلوبة، وعجز في الخدمات التعليمية والصحية وغيرها من مواكبة هذه الحاجات، كما قد تظهر توترات مباشرة بين السكان المحليين واللاجئين السوريين، ما يخلق مخاوف على مستوى الأمن والترابط الاجتماعي(شيلي كالبرتسون، لؤي كونستانت، 2015، ص9).

انطلاقا من واقع اللاجئين المهجريين قسرا من سوريا نحو دول الجوار الإقليمي ومنها تركيا، يبرز جليا حجم التحديات الاجتماعية التي يفرضها هؤلاء اللاجئين على المجتمع المحلي التركي، بحيث أصبحت هناك مزاحمة وصراع غير معلن بين فئات المجتمع التركي واللاجئين السوريين، حول الخدمات الاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تقدمها الحكومة التركية لهؤلاء من منطلق إنساني، وفي مقابل ارتفاع مستويات البطالة والجهل والأمية ، والأوبئة والأمراض وسوء المعيشة للاجئين السوريين، فوجدت الحكومة التركية نفسها محاصرة بين تلبية مطالب شعبها، أو الإستجابة الإنسانية لأزمة اللجوء.

أ-أوضاع اللاجئين السوريين في مخيمات اللجوء التركية:

على الرغم من أن تركيا وقعت اتفاقية 1951 الخاصة باللاجئين فإنها الدولة الوحيدة في العالم التي تطبق ما تسميه " القيد الجغرافي" ، الذي لا يسمح إلا بقبول طالبي اللجوء الأوروبيين،

وبذلك فإن اللاجئين السوريين في تركيا غير مشمولين بالحماية حسب اتفاقية 1951 وبرتوكول 1967، وإنما ضيوف تقوم الحكومة التركية بمد يد العون لهم، وقد تم توزيع اللاجئين السوريين إلى 13 معسكر، وهي: مخيم أوفه، مخيم كلس، مخيم غازي عنتاب، مخيم قرمان مرعش، مخيم الإصلاحية، مخيم بخشين 1، مخيم بخشين 2، مخيم بيلاداغى 1، مخيم بيلاداغى 2، مخيم النتوز، مخيم العثمانية، مخيم كوفتشي، مخيم إدي يمان، هذه المعسكرات منتشرة في منطقة جنوب تركيا، وتختلف طبيعة كل معسكر حسب المنطقة الجغرافية أو الخدمات والرعاية الصحية والتعليمية، اضافة لنوعية اللاجئين في هذه المعسكرات، فمنها ما يقع في مناطق جبلية وأخرى تقع في مناطق صحراوية، وهناك ثلاث مخيمات جديدة، ولكن داخل الأراضي السورية، يمكن أن تعبر في مناطق الحرم الحدودي بين تركيا وسوريا من الطرف الشمالي الغربي بالقرب من معبر باب الهوى وكل من قرية أطمة وقاح الحدوديتان، تبرز أوضاع اللاجئين السوريين في هذه المعسكرات(حيدر عطارد، جاك جراح وآخرون، د س ن، ص47):

الشرائح الاجتماعية: بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون في المخيمات جلهم من منطقة ريف حلب ومحافظة إدلب وريف اللاذقية وهم من الطبقات الاجتماعية البسيطة والفقيرة، ونادرا المتوسطة من المزارعين والعمال الذين هربوا من العنف والوضع الاقتصادي، باحثين عن الآمان وتأمين الأكل والمشرب والمرقد، وكل من يتوفر لديه أجرة بيت لا يسكن المخيم، ويستأجر منزل ويقوم بالحصول على المساعدات والإغاثة التي توزع على الناس في المخيمات، أو البلدات التي يتواجد فيها لاجئين سوريين، كالريحانية وكلس، اللاجئين خارج المخيمات منتشرين في أمكان متعددة في المدن والقرى القريبة من الحدود، وهناك البعض و مدن كاسطنبول وأزمير، أما أماكن التواجد خارج المخيمات فهي بولاية هاتاي في كل من مدينة انطاكية والريحانية، وغازي عنتاب، كلس، أورفه، أضنة، ومرسين، والناس هناك من الشرائح الاجتماعية المختلفة التي تتدرج من ذوي الدخل المحدود، وعدد محدود من أصحاب رؤوس الأموال، أما الأطباء والمهندسين والأساتذة وغيرهم من الأشخاص المثقفين فهم ممن لا يوجدون إلا نادرا داخل المخيمات.

يتضح أن خارطة توزع الفئات الاجتماعية السورية الطالبة للجوء في تركيا، تشمل مختلف شرائح المجتمع السوري، من أساتذة وعمال وتلاميد، وأطفال، ونساء، كما أن هذه الخارطة، من سماتها أنها مختلفة جغرافيا من حيث المناطق والمدن التركية التي توجه لها اللاجئون لاستعابهم واحتوائهم من ويلات الحرب، كمدن الحدود السورية- التركية، أو المدن الداخلية، والميزة المشتركة لهذه الخارطة أنها حاملة لخطوط واضحة في تفسير ظاهرتي اللجوء والهجرة القسرية، هي خطوط إنعدام الأمن وغياب الإستقار السياسي كدوافع ظاهرة لتنامي هاتين الظاهرتيين.

في ذات السياق، يمكن إبراز أوضاع اللاجئين السوريين انطلاقا من كشف سياسات الحكومة التركية تجاههم، في مختلف القطاعات والأصعدة (حيدر عطارد، جاك جراح وآخرون، د س، ص48):

على الصعيد الإغاثي: تقوم الحكومة التركية على توزيع الحصص الغذائية على اللاجئين السوريين في المخيمات، وهي عبارة عن المواد الغذائية الأساسية من شاي وسكر ورز وسمن وغيره، وفي بعض المخيمات مثل: كلس توزع عليهم بعض المبالغ المالية لشراء الحاجات

الخاصة تقدر بنحو 200 ليرة تركي للعائلة ولكن ليس بشكل مستمر، وكذلك يقوم الهلال التركي بتوزيع الحصص الغذائية والمعونات الإنسانية المختلفة.

على الصعيد الصحي: هناك بعض المستوصفات والنقاط الطبية داخل المخيمات وفي الحالات الطارئة هناك سيارة إسعاف تقوم بنقل المرضى إلى المستشفيات، الوضع في كل مخيم يختلف عن الآخر بحسب الطبيعة الجغرافية للمخيم، فعلى سبيل المثال مخيم بيلادغى والتنوز يوجد في الجبال في منطقة المصايف، أما مخيم أورفة فهو بمنطقة صحراوية حيث هناك العقارب والرمال التي تؤثر على كبار السن والأطفال، وتؤدي لكثير من الأمراض الصدرية والتنفسية.

على الصعيد التعليمي: في مخيمات اللجوء مثل: (بخشين، التنوز، بيلادغى) ليس هناك أي مكان لتعليم الأطفال أو أي مركز ثقافي أو مكتبة عامة، وكل الأطفال الموجودين هناك يعانون من فقدان حقهم في التعليم فقد انقطعوا عن مدارسهم في هذه المخيمات، ويرغبون أن تقوم الحكومة التركية بمساعدتهم بتأمين مناهج سورية وتجهيز مكان ومستلزمات التدريس لكي يقوموا هم بعمل ذلك اعتمادا على بعض الأساتذة أو ممن لديهم شهادات معاهد أو بكالوريا لتعليم الأطفال، ولكن حدث ذلك، فقط في الريحانية، حيث قامت الحكومة التركية بإحضار المناهج السورية وطلبت من السوريين المقيمين بتدريس اللاجئين السوريين.

على الصعيد القانوني: ليس هناك أي منظمة أو جمعية حكومية أو غير حكومية تقوم بتقديم المعلومات الضرورية للاجئين، حول حقوقهم ووضعهم القانوني، والسبب في ذلك أن الحكومة التركية كما قالت اللاجئين مجرد ضيوف وليس لهم الحق المطالبة بحقوقهم كلاجئين، لأن اللاجئين كانوا يطالبون بشكل طبيعي دون أن تقوم أي منظمة بتوضيح ماهية حقوقم ووجباتهم في بلد اللجوء.

إنطلاقا من مقاربة الأمن الإنساني نستطيع القول أن ظاهرة الهجرة واللجوء، يجب أن ينظر إليها من كافة الزوايا الإنسانية والأخلاقية، والجوانب القانونية، والسياسية، والاجتماعية، كمنظار تحليلي ذو شمولية لمختلف الأبعاد الناتجة عن الظاهرة، بالتالي فإن على واضعي السياسيات في الحكومة التركية، مراعاة الواقع الذي فرضته الظاهرة ونتائجها، حتى يتم وضع رؤية هادفة في إستعاب طالبي اللجوء، والتوظيف الإيجابي للظاهرة، من منطلق معالجة الأسباب الحقيقة في إيجادها، أي المساهمة في إنهاء الحرب في سوريا، من خلال الدعم اللامشروط الذي يمكن أن تقدمه الحكومة التركية للمجتمع السوري المهجر قسرا من وطنه.

ب-التحديات الرئيسية للاجئين السوريين في تركيا: تبرز التحديات الرئيسية فيما يتعلق بحالة اللاجئين من سوء الأحوال المعيشية، وعدم التنسيق والكفاءة من قبل البيروقراطية التي يمثلها أعضاء المجتمع السوري، وأخيرا إمكانية التوتر الاجتماعي والطائفي وعدم وضوح المستقبل (SYRIAN REFUGEES IN TURKEY, 2016, p5):

انعدام الوضوح بشأن وضع اللاجئ: عدم الوضوح من الناحية القانونية، بحيث يخضع اللاجئون السوريون حاليا "للحماية المؤقتة"، وهو الوضع الذي يمنحهم إمكانية الحصول على الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والمساعدة القانونية، من خلال بطاقة هوية مؤقتة، وهذا الوضع يخص فقط اللاجئين السوريين المسجلين والمعترف بهم في مراكز اللجوء.

تتفاقم مشاكل اللاجئين: بسبب عدم توفر قنوات اتصال واضحة بين اللاجئين السوريين والسلطات المحلية إلى الحكومة التركية، ما يجعل اللاجئون السوريون يعمدون إلى المطالبة بفرصهم وحقوقهم من خلال كلمة الشارع ووسائل الإعلام الاجتماعية، أو البحث عن فرص أخرى بالهجرة إلى أوروبا.

البيروقراطية-غياب التنسيق والكفاءة: ينظر اللاجئون السوريون إلى البيروقراطية التركيبة كحاجز وعائق لحياتهم الاجتماعية والثقافية، على سبيل المثال هناك تناقضات إدارية عند فتح حساب مصرفي، لتصريح إقامة مطلوب حساب مصرفي للحصول على تصريح إقامة في حين هناك حاجة إلى تصريح إقامة لفتح حساب مصرفي.

البطالة وظروف المعيشة السيئة: تعتبر واحدة من أكبر العوائق أمام الاندماج الاجتماعي للاجئين السوريين في المجتمع التركي، حيث لم يتمكن اللاجئون السوريون من الحصول على تصاريح عمل جديد (تم اعتماد تشريعات لمنح تصاريح عمل اللاجئين السوريين في كانون الثاني/ يناير 2016)، ولكن تنفيذه قد يستغرق مزيدا من الوقت، فاللاجئ السوري يفتقر للقدرة على العمل بشكل قانوني، فكان البديل الوحيد العمل بشكل غير قانوني مقابل أجور منخفضة، دون أي استحقاقات أو متيازات اجتماعية، وهذا ما يجعل اللاجئين السوريين، عرضة للاستغلال، بحيث هناك تكهنات بأن عمالة الأطفال قد تضخمت مع تدفق اللاجئين السوريين، إلى جانب ذلك، فإن التوسع في القوى العاملة غير القانونية يؤثر أيضا على آفاق العمالة في المجتمعات المضيفة.

فالعبء الاقتصادي والاجتماعي لوجود اللاجئين، أصبح ينظر إليه أنه سبب ارتفاع معدلات البطالة وتكاليف المعيشة للمواطنين الأتراك وارتفاع الجريمة والبغاء، على سبيل المثال أن ممارسة تعدد الزوجات تعتبر جريمة من قبل القانون المدني التركي، لكن وافقت اللاجئات السوريات على أن يصبحن مواطنات في تركيا، بالزواج في سن مبكرة، وذلك ما انتشر في المقاطعات الجنوبية الشرقية من ماردين وشانلي أورفا، وقد أفادت منظمة غير حكومية تسمى "كليس منصة " أفادت أن 4000 من النساء السوريات أصبحن منذ مارس 2012 في مكانة الزوجة الثانية أو الثالثة ، و هو ما يرفضه القانون التركي(souad ahmadoun, 2014, p2)

مخاطر التوتر الاجتماعي والتطرف الطائفي: لقد أثار الصراع السوري التوترات الطائفية في تركيا، وكان هذا هو الحال بصفة خاصة في المقاطعات الجنوبية لتركيا، في مقاطعات مثل: هاتاي، وهي مقاطعة مختلطة الديمغرافية، بما في ذلك الأتراك والأكراد والسنة والعلويين العرب، ومقاطعة تينس التي تعكس الطائفة والعرقية في الجانب الآخر (الشركس، الأرمن، العرب)، ومع ذلك فإن الغالبية العظمى من اللاجئين السوريين في تركيا من العرب السنة، أما العلويين العرب فمعظمهم من المسلمين العلمانيين، ويبلغ عددهم 1.5 مليون نسمة، ويمثلون أكبر أقلية عربية تقطن المنطقة الحدودية التركية مع سوريا، وهم يعتبرون إلى حد كبير نظام الأسد وعارضوا بشدة سياسات أنقرة تجاه سوريا (The Same reference).

يعبر السكان المحليين في تركيا عن عدم ارتياحهم بشأن تدفق السوريين إلى مدنهم، فعلى سبيل المثال في مدينة عازي عنتاب، كانت هناك هجمات استهدفت اللاجئين السوريين ما سبب وجود فوضى وغياب الثقة بين الطوائف، ويرجع ذلك إلى تصور السكان المحليين أن اللاجئون

السوريون أصبحوا " عبء " وتجاوز " الضيوف " وأنهم يشكلون خطرا أمنيا واجتماعيا، يستلزم على المجتمع التركي المحلي أن يلجأ إلى الدفاع عن النفس، بالتالي فإن انعدام الثقة بين الشباب السوري، بالإضافة إلى انعدام الأمن الاقتصادي، هي من بين الأسباب الرئيسية التي قد تدفع الشباب السوري إلى الانخراط في التنظيمات المتطرفة، والتجنيد في صفوف جماعات الإرهاب(SYRIAN REFUGEES IN TURKEY, 2016, p6) .

نستنتج أن اللاجئين السوريين الذين إعتقدوا أنهم سيتخلصون من كل إفرازات الحرب وتداعياتها، على مستويات الأمن والحياة الاجتماعية والاقتصادية، قد بنوا فرضيتهم هذه على فرص ضائعة وخاطئة، حيث وجدوا صعوبة كبيرة في تحقيق أمنياتهم في العيش الكريم والأمن داخل المجتمع التركي، وذلك نظير ما وجدوه من تحديات عويصة إستعصى معها تحقيق الإستقرار والإنسجام الإجتماعي المطلوب، تكييفا مع واقعهم الجديد الذي فرضته الحرب وتبعاتها.

انطلاقا من دراسة التحديات التي تواجه اللاجئين السوريين في تركيا، فقد نتج عن أزمة اللجوء هذه عديد النتائج والآثار الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على كلا الطرفيين (اللاجئين السوريين والمجتمع المحلي التركي)، والتي تبرز كالتالي (Oytun Orhan, ORSAM Researcher, 2015, p9):

أ-الآثار الاجتماعية والثقافية للاجئين السوريين على تركيا:

- الاختلاف في الثقافات واللغات وأساليب الحياة، يجعل التكامل الاجتماعي أكثر تحديا.
- التأثير على القيم المجتمعية والهياكل الأسرية: ففي تقرير أعدته منظمة " أورتك أكيل"، وهي مبادرة محلية تتألف من متطوعين من سكان مدينة كيليس، يقدم تحليلا وافيا لمدى تأثير اللاجئين السوريين على المجتمع التركي، على سبيل المثال، تعدد الزوجات والزواج المبكر شائع في سوريا، ولكن يحضره القانون التركي، وفي ظل أزمة اللجوء وجدت النساء السوريات في الزواج ومصاهرة الأتراك، إستراتيجية مفيدة للحفاظ على الأسرة والعيش الكريم في ظل ما فرضته ظروف اللجوء(Osman Bahadır Dinçer, Vittoria Federici,2013, p29).
- وجود بيئة مناسبة للاستغلال والعرق، وانتشار عمالة الأطفال.
- تنامي مستويات الاستقطاب الطائفي.
- الظروف المعيشة الصعبة ونقص الفرص التعليمية.

ب-الآثار الاقتصادية للاجئين السوريين على تركيا:

- حدثت زيادة في التضخم في المدن الحدودية.
- توظيف العمال غير القانونيين ينتشر بشكل خاص بين الشركات الصغيرة.
- حدثت زيادة في الإيجار والأسعار، ونتيجة لذلك، فإنه غالبا ما يكون صعبا العثور على إيجارات بأسعار معقولة.

إن نتائج ظاهرتي اللجوء والهجرة كانت لها آثار كارثية على المجتمع التركي، وعلى اللاجئين السوريين أنفسهم، وإن إختلفت درجة وحجم النتائج، لكنها تشترك في كونها مست جميع

الأطراف(المجتمع التركي وسياسيات حكومته، واللاجئيين السوريين)، وضربت في كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

المحور الثاني. التقاطع الهوياتي بين المجتمع التركي والمجتمع السوري

هناك من يحدد مفهوم الهوية بالعودة إلى الأصل القومي أو حصرها عليه، وهناك من يعود إلى الأصل الديني أو المذهبي أو الجنسي، وليس هناك من شك أن هذه الجوانب تشكل عناصر من هوية الإنسان الفرد لكنها لا تشتمل على كامل مرتكزات هوينه، فالهوية هي الإعلاء من شأن الإنسان الفرد، بما هو ذات مستقلة وحرة، والهوية في اللغة مشتقة من الضمير " هو"، ويشير مصطلح الهوية واقعيا إلى ما يكون عليه هذا الإنسان الفرد أو ذاك، أي من حيث تشخصه وتحقيقه في ذاته وتميزه عن غيره، و هو وعاء الضمير الجمعي في الوقت عينه لما يشمل عليه من قيم وعادات ومقومات تكثف وعي الجماعة، وإرادتها في الصمود والتحدي والحياة، والمفهوم الضيق للهوية، سواء أحلناه إلى أصل قومي أو ديني أو مذهبي، أو إنكار لحرية الفرد واستقلاله، وهو بالتالي إقصاء للآخر على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية (إبراهيم قيسون، 2017، ص6).

إن مفهوم الهوية متعلق بمفهوم الثقافة ، فهو مفهوم ثقافي تاريخي يتكون لدى الفرد من خلال الثقافة التي يحيا فيها، فدور الثقافة بكل ما تحمله من معاني، هو تكريس لهوية ثقافية من خلال عملية تمثل عاطفي واجتماعي مع عملية اندماج تاريخية وثقافية ونفسية واقتصادية وتستغرق زمنا طويلا مما يؤكد أهمية التاريخ في خلق الهوية الثقافية بصفته المنشأ الذي تنمو وتتطور فيه لتشكل في نهاية المطاف هوية ثقافية معينة نتيجة انتمائها لأمة معينة، بحيث يقول الدكتور " منير الرزار":(التراكم التاريخي ضروري لصنع الهوية الثقافية لأنها في النهاية هي المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيما بينها روابط مادية وروحية مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الدين واللغة)، بالتالي فإن الهوية والثقافة وحسب ما أثبتته الدراسات السوسيولوجية والأنثربولوجية أن الهوية هي الإحساس بالانتماء إلى جماعة أمة ، وأمة لها من الخصائص والمميزات الاجتماعية والثقافية والنفسية والمعيشية والتاريخية التي تعبر عن كيان ينصهر وينسج في بوتقة جماعية بأكملها وبذلك يصبحون منسجمين اجتماعيا ومتفاعلين ثقافيا وحضاريا تحت وطأة تلك الخصائص والمميزات (رحيمة شرقي، 2013، ص193).

يمكن القول أن الهوية والثقافة، تأخذان كافة المظاهر المعنوية والمادية التي تعبر عن حضارة أو كينونة وجوهر الكائن والشيء، كالرموز والإشارات، والتراث ببعده المادي والمعنوي، وهوية الإنسان مثلا في تاريخه ولغته ودينه والجغرافيا التي نشأ فيها وينتمي إليها، وتأخذ هذه الهوية عدة أشكال ومظاهر، والتي تكون مرتبطة بثقافة شعوبها ورؤيتها للآخر، أي المرجعية الثقافية هي التي تحكم ثنائية العلاقة بين الأنا والآخر، ومختلف الرؤى والتصورات حول العالم.

بالنسبة لمحددات التقاطع الهوياتي الثقافي للمجتمع السوري والمجتمع التركي ، تبرز أهم ملامحه كالتالي (قيس تمام، 2015، ص114):

أولا-محددات الداخل في التقارب والتجاذب:

الخصائص المجتمعية: لقد أيد الأتراك مقاربة اقتصادية لمشكلاتهم الداخلية، فأدى ذلك إلى تركيز الاهتمام على دور السياسة الخارجية في التحديث والتنمية، وتعزيز مبادئ البراغماتية وتصفير المشاكل مع الجيران، وسورية منهم، بحيث برز توجه إلى إبراز المعطيات والمصالح الاقتصادية المشتركة، انطلاقا من تفعيل مختلف السياسيات الداخلية والخارجية.

التماسك الاجتماعي ومستوى التطور القومي: بالنسبة لتركيا فقد تبنت الخيار الأمني وليس السياسي، في التعاطي مع القضية الكردية، أما سورية يمكن ملاحظة تطورين مهمين على هذه الصعيد: الأول هو الانفتاح على الاتجاهات السياسية المحلية، وإمكان إشراكها في الحياة السياسية، والثاني هو الانفتاح على الحالة الكردية المحلية، بالتالي فعلى مستوى التماسك الاجتماعي ومستوى التطور القومي فإن سورية وتركيا تشهدان نسبية لجهة القبول بالتعدد السياسي، ومن ثم الثقافي، على أن مستوى التطور القومي يبدو متقاربا نسبيا لجهة تأكيد الدولة الوطنية في سورية، والدولة وفق مبادئ أتاتورك في تركيا.

ثانيا-محددات الخارج في التقارب والتجاذب:

الجغرافيا السياسية: تشكلت سورية وتركيا الحديثتان في مجال جغرافي وتاريخي وثقافي متقارب، وقد قارب ذلك ما أمكن بين الأطراف، أو قلل من مخاطر التوتر، فعلى مستوى البيئة البينية، فإن عوامل الجذب في العلاقات بينهما تظهر عبر تراكم التوتر في العلاقات بين سورية وتركيا على مسار طويل من السياسات العدائية التي تأسست بدورها على عدد كبير من عوامل التنافر، مثل: الذاكرة التاريخية، والنزاع على الجغرافيا، والموارد المائية، ومشكلة الأكراد، والسياسة الإقليمية.

القومية: تشترك القوميتان العربية السورية والتركية في ظروف النشوء والتكوين، ويبدو أنهما اتسمتا منذ البداية بالاندماج والتكامل، وعلى الرغم من عوامل التنافر الكثيرة على المستوى القومي، إلا أن ثمة في المقابل اتجاهات تقارب وتجاذب، بحيث ثمة عوامل تقارب ملحوظة في التنوع العرقي والإثني والمذهبي على طرفي الحدود بين سوريا وتركيا، وهناك علاقات نسب ومصاهرة وقرابة دم بين البلدات الواقعة على طرفي الحدود بين البلدين، فمثلا تعتبر تركيا الراعية التاريخية والسياسية والثقافية لتركمان سورية، في الشمال السوري قرب الحدود(سعيد الحاج، 2016، ص4).

القوة: قد يكون من الصعب تعيين اتجاهات تقارب وتجاذب بصدد محدد القوة والميزان العسكري بين سورية وتركيا، إلا أن الطرفين يدركان الثمن الفادح للحرب – كل وبحسب تجربته – والعبء المركب ومتعدد الأشكال الذي ينتج عنها ولذا فإنهما يحاولان تداركهما ما أمكن، وإذا كانت تركيا هدت مرارا باستخدام القوة العسكرية تجاه سورية ، إلا أنها اتبعت سياسة مختلفة ثبتت جدواها من حيث نتائجها، وهي شكل من أشكال الردع، تسميه الدراسات الإستراتيجية " بالردع بالتطمين " أو المصالحة والتهدئة، كما أن الحدود التي يفرضها المجتمع الدولي على العمل العسكري، والقيود المفروضة – نسبيا – على سياسات التسلح، والتعاون العسكري والأمني بين الدولتين، سواء في مجالات التدريب والتصنيع العسكري والمعلومات، أو في التنسيق الأمني

في موضوع احتواء الحركة الكردية، وأيضا محاربة الإرهاب والعنف السياسي والديني، هي معطيات تدفع الدولتين إلى حصر وتوازن الهواجس والمخاوف، فضلا على تفاوت الخبرة العسكرية، هي عوامل تساهم بفاعلية نحو خلق هوية أمنية مشتركة، وبيئة ثنائية غير مواتية للعمل العسكري، وتدفع إلى تسكين جبهات الخلاف ولو مؤقتا.

الاعتماد المتبادل: رغم عدم الاستقرار الإقليمي، فإن كل من سورية وتركيا لم تفرض الواحدة على الأخرى إجراءات عقابية ذات طابع اقتصادي، أو المقاطعة التجارية، أو الطلب من حلفائهما اتخاذ اجراءات من هذا القبيل، بل أخذ كل منهما يحرص في أوج الأزمات على تعزيز وتطوير العلاقات التجارية بينهما.

يبرز جليا أن كل مقومات التالقي والتناقح متوفرة في الثافتيين التركية والسورية، و ذلك من منطلق القول في ضرورة تعزيز القواسم الداخلية والخارجية المشتركة بين البلدين، إذ لا يمكن تجاهل الخلفية التاريخية التي تشير إلى التعايش والإنسجام الذي كان حاضرا في الماضي، بالتالي لا يمكن إغفال العامل التاريخي في إستحضار مقومات الهوية من أجل العيش المشترك، وتجاوز مخلفات الحرب وتداعيتها، التي عصفت بحياة المجتمع السوري ومستقبلة.

نحاول في المحور الأخير الموالي من الدراسة استكشاف السياسات التركية في خلق فرص الدمج الإجتماعي للاجئيين السوريين على الأراضي التركية، و مدى فعالية تلك السياسيات على مختلف الأصعدة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، في تحسين أوضاع اللاجئيين السوريين.

المحور الثالث. مرتكزات الدمج الاجتماعي وبناء الهوية الثقافية للاجئين السوريين

مع وجود اللاجئين السوريين على الأراضي التركية، الذين تحولت إقامتهم من الحماية قصيرة الأجل إلى الوجود الطويل الأجل، برزت عديد وجهات النظر حول السياسات الواجب إتباعها، أما الواقع الجديد الذي فرضه اللاجئين السوريين على تركيا، فكان ضرورة العمل على تحقيق التكامل الاجتماعي والثقافي للاجئين السوريين، وهو ما شكل في المقابل تحديا كبير للسياسة التركية، من خلال تفعيل أدوات الدمج الاجتماعي في توفير فرص التعليم والأعمال التجارية، وتعزيز دور المجتمع المدني(Sebastien Babaud, 2016, p7–8).

فرص التعليم: هناك حوالي 700.000 طفل في سن الدراسة بين اللاجئين السوريين في تركيا، ويمكن للأطفال السوريين الالتحاق بالمدارس الحكومية والتعليم المؤقت، فمثلا مدرسة " تيس" (التي تخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم)، لا تلبي كافة مطالب تعليم اللاجئين السوريين، ففي وسط مدينة أضنة يوجد 40.00 من الأطفال السوريين في سن الدراسة، ولكن حوالي 10.000 خارج المدرسة، والأمر أكثر تعقيدا ومعاناة في المناطق الريفية، و تشير الأرقام الصادرة عن مكتب رئيس الوزراء التركي، أنه كان ينبغي أن يكون ما مجموعه 450.000 طفل سوري مسجل في المدارس بحلول شباط/ فبراير 2016، والعمل على فتح مدارس جديدة بتأطير المعلمين السوريين.

كما نشير أن الاستجابة لأزمة اللاجئين حول فرص التعليم برزت في المبادرات التي بدأت عام 2015، والتي استمرت وتوسعت من خلال بناء المدارس وتوسيع القدرات الوطنية للاستفادة من المدارس التركية، ودعم حوافز المعلمين والتدريب، والمساهمة في توفير تكاليف المؤسسات

التعليمية وتوفير الدعم المادي بما في ذلك النقل المدعوم للطلاب للوصول إلى مرحلة التعليم المبكر والتعليم الابتدائي ثم مرحلة التعليم الشامل، من خلال إيجاد برامج تعليمية عصرية، بالتعاون مع مختلف المؤسسات والجهات الفاعلة، كتوفير برامج تعليم اللغة التركية للأطفال والشباب والكبار في صفوف اللاجئين السوريين، بهدف تسهيل التكامل الاجتماعي، والقدرة على الاندماج والتواصل مع المجتمع المحلي التركي (UN High Commissioner for Refugees, 2016, p45–46).

خاصة أن غالبية المهجريين قسرا من سوريا إلى تركيا من الأطفال والنساء، الذين يستوجب رعايتهم، وتوفير لهم النظام التعليمي المناسب، وفرص الالتحاق بالمدرسة لمواصلة تعليمهم، الذي حرموا منه في بلدهم، نتيجة ظروف الحرب ومآسيها الإنساني، في ذات السياق، كذلك من العوامل المساعدة على التقارب الهوياتي بين الثقافتين السورية والتركية، في سبيل تجاوز أزمة اللجوء وما نجم عنها من تحديات اجتماعية وثقافية واقتصادية، ما يلي (Babaud, Sebastien 2016, p9-10):

فرص العمل: هناك طلب كبير لعمل اللاجئين السوريين، الذي يجري الاعتراف به من قبل دوائر السياسة التركية، وقد بدأت وكالة العمل التركية على وضع خطة شاملة لتحديد القطاعات التي تحتاج إلى المزيد من قوة العمل، ورسم خريطة توزيع العمال السوريين في جميع أنحاء تركيا، وأيضا وضع خطة عمل لجعل التدريب المهني متاحة لكافة اللاجئين السوريين، لإرساء حقهم في العمل، ومن أجل وضع إستراتيجية تكامل اقتصادي شامل،على أساسها تتحدد خطوات لتمكين القدرة الاقتصادية للاجئين السوريين، فتوظيف القوى العاملة السورية يساهم في تشجيع العمل المحلي التركي ونمو الاقتصاد في المناطق الحدودية خاصة في المحافظات التي لديها أكبر عدد من اللاجئين السوريين.

جهود المجتمع المدني لتخفيف التوترات الاجتماعية: من المقبول إلى حد كبير أن التحاق الشباب السوري في التعليم، وفي الانخراط في الحياة الاقتصادية، هو أمر ضروري لإدماجهم الاجتماعي، وفي ذلك يمكن لمنظمات المجتمع المدني أن تلعب دور مهم في مساعدة المجتمع السوري على التواصل بشكل أفضل، كالمساعدة على صياغة الرسائل والاحتياجات، وصياغة الراويات المضادة لمعالجة التصورات السلبية التي قد تؤثر في عملية الاندماج الاجتماعي، وتؤدي إلى توترات اجتماعية.

دور وسائل الإعلام: يبرز دور وسائل الإعلام في تحدي التصور السلبي نحو السوريين (تجاوز الضيوف)، من خلال تسليط الضوء على النتائج الايجابية في تحقيق الاندماج الاجتماعي للاجئين السوريين، ومحاربة اللغة المعادية لإحداث التوترات.

بالتالي فإن عملية الدمج الاجتماعي للاجئين السوريين في المجتمع التركي، ومن منطلق الواقع الجديد الذي فرضوه على تركيا ، فهي تحتاج لعديد الأدوات الاجتماعية والثقافية، من خلال إحياء روابط الهوية المشتركة في الثقافة والتاريخ والجغرافيا، والتي تمثل مسهلا لتجاوز كافة العقبات التي من شأنها أن تمنع التكامل والتواصل الاجتماعي والثقافي بين المجتمع التركي والمجتمع السوري، والنظر إلى ظاهرة اللجوء والهجرة من منظار شامل تجسدة مقاربة الأمن الإنساني،

بكافة الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وعدم إختزال الظاهرة فقط في بعدها الإنساني، والنظر إلى اللاجئين أنهم محتاجون ومتشردون فوق أرض ليست لهم.

خاتمة:

لقد شكلت أزمة اللجوء والهجرة القسرية للاجئين السوريين إلى تركيا، عديد التحديات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، فقد فرض واقع جديد على المواطن السوري الذي أصبح لاجئا يبحث عن الحماية القانونية والرعاية الاجتماعية، من توفير فرص التعليم والعمل والخدمات الصحية والنقل، بحيث أصبح اللاجئ السوري يبحث عن ذاته وهويته في المجتمع المحلي التركي، ليشكل بذلك واقعه الجديد ملامح معضلة الهوية الثقافية، متعددة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، انطلاقا من حدوث التحول الاجتماعي والثقافي الذي ألفه في مجتمعه الأم (سورية)، ليجد نفسه تحت وطأة ظروف الحرب الأهلية التي تعرفها سورية منذ بداية عام 2011، ملزم على إيجاد قواسم الحياة المشتركة لتحقيق الانسجام الاجتماعي والانخراط الثقافي مع المجتمع التركي، قصد تجاوز كافة التحديات التي تفرضها أزمة اللجوء وتداعيات الحرب الأهلية في سورية.

تبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الورقة البحثية، كالتالي:

- إن واقع اللاجئين السوريين في تركيا، يعرف عديد التحديات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.
- تبرز ملامح معضلة الهوية الثقافية للاجئين السورين، انطلاقا من الآثار الاجتماعية والثقافية التي أنتجتها أزمة اللجوء والهجرة القسرية.
- تلتقي الثقافتان التركية والسورية في مجموعة من الخصوصيات الثقافية والحضارية والتاريخية.
- إن التقاطع الهوياتي والثقافي للمجتمع السوري والتركي، يعزز ويدعم سياسات الحكومة التركية في تفعيل أدوات الدمج الاجتماعي للاجئين السوريين على أراضيها.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم قيسون(2017)، تركيبة المجتمع السوري وحياته اليومية، طوران للأبحاث والدراسات الإستراتيجية.
2. حيدر عطارد، جاك جراح وآخرون(د س)، تقرير النازحون في سورية واللاجئون السوريون في (لبنان، الأردن، تركيا، العراق، مصر)، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية.
3. رحيمة شرقي(2013)، الهوية الثقافية الجزائرية وتحديات العولمة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع11.
4. سعيد الحاج،(206)، محددات السياسة الخارجية التركية إزاء سوريا، مركز إدراك للدراسات والاستشارات.
5. شيلي كالبرتسون(2015)، لؤي كونستانت، تعليم أطفال اللاجئين السوريين: إدارة الأزمة في تركيا ولبنان والأردن الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة RAND.
6. فاطمة أودينة(2017)، أزمة اللاجئين السوريين: بين المأساة الإنسانية وفشل الحلول الدولة، مركز دراسات اللاجئين والنازحين والهجرة القسرية.
7. قيس تمام(2015)، العلاقات السورية–التركية: الواقع واحتمالات المستقبل، رسالة ماجستير في العلاقات الدولية، جامعة دمشق، سوريا.

8. Sebastien Babaud(2016),SYRIAN REFUGEES IN TURKEY: CHALLENGES TO AND OPPORTUNITIES FOR LONGER-TERM INTEGRATION,MEETING EVALUATION, NO.1.
9. UN High Commissioner for Refugees(2016), IN RESPONSE TO THE SYRIA CRISIS , TURKEY, Regional Refugee & Resilience Plan.
10.Souad Ahmadoun(2014),Turkey's Policy toward Syrian Refugees,Domestic Repercussions and the Need for International Support.
11.Oytun Orhan, ORSAM Researcher, Sabiha Senyücel Gündoğar(2015), EFFECTS OF THE SYRIAN REFUGEES ON TURKEY, TURKEY ORSAM.
12.Osman Bahadır Dinçer, Vittoria Federici, Elizabeth Ferris(2013),TURKEY AND SYRIAN REFUGEES: THE LIMITS OF HOSPITALITY, BROOKINGS.

النظريات والنماذج المعاصرة المفسرة لظاهرة تعاطي المخدرات
Contemporary theories and models of drug abuse

أ.مليكة بن زيان، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة- الجزائر

ملخص: يهدف هذا المقال إلى تبيين مختلف النظريات والنماذج المعاصرة التي سعت إلى إعطاء تفسير لظاهرة تعاطي الأفراد للمخدرات والإدمان عليها، فهذه الظاهرة كثيرا ما جلبت اهتمام المفكرين والمصلحين بالإضافة إلى مختلف المنظمات العالمية المهتمة كونها أصبحت منتشرة بصورة فجة ومقلقة لدى مختلف فئات المجتمع، لهذا سعى جميع هؤلاء كل حسب ميدان تخصصه إلى رفع اللبس والغموض الذي يغطي سلوك تعاطي المخدرات محاولين من خلال ذلك فهم الظاهرة حتى يتمكنوا من تقديم يد المساعدة للمدمنين عليها وفي نفس الوقت ومن خلال إعطاءهم تفسيرا لظاهرة التعاطي يكونون قد تمكنوا من منع الوقوع فيها لغير المتعاطين لها من خلال تفادي مسبباتها.

الكلمات المفتاحية: المخدرات، تعاطي المخدرات، النظرية البيولوجية، النظرية السلوكية، النظرية المعرفية، مدرسة التحليل النفسي، النموذج الشمولي.

Abstract: The purpose of this article is to illustrate the various contemporary theories and models that sought to explain the phenomenon of drug abuse by individuals.

This phenomenon has often attracted the attention of intellectuals and reformers, in addition to the various international organizations interested in the phenomenon, the fact that the latter has become disturbingly spread among the various groups of society. Therefore, all of these people sought to eliminate the ambiguity that covers the behavior of drug abuse, The purpose is to provide assistance to addicts at the same time and by giving them an explanation of the phenomenon of drug abuse that they have been able to prevent falling into non-abusers by avoiding their causes.

Keywords: drugs, drug abuse, biological theory, behavioral theory, cognitive theory, school of psychoanalysis, social theory, the holistic model.

مقدمة:

تعتبر ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان عليها من أخطر المشاكل النفسية الاجتماعية التي عرفها الإنسان لما تسببه من خسائر بشرية ومادية، وقد ظهرت في جميع المجتمعات، وعرفتها مختلف الحضارات، وتعتبر من الظواهر التي جلبت اهتمام الكثير من المختصين حيث أنها تجاوزت المجال الطبي، إلى ممارسات أخرى مثل الطقوس الدينية، والبحث عن النشوة لدى الأدباء والفنانين.

كما تعد ظاهرة تعاطي المخدرات من الظواهر التي أخذت مسارا خطيرا في السنوات الأخيرة وأصبح تعاطيها منتشرا في جميع الأوساط وبين مختلف الأعمار، فلم تعد تخص فئة دون الأخرى، فكل الفئات العمرية معنية لتجريب المخدرات، لهذا أولت العديد من المنظمات العالمية والباحثين في مختلف الميادين النفسية، والطبية، والاجتماعية، والقانونية الاهتمام بهذه الظاهرة محاولين فهمها ورفع اللبس الذي يحيط بها من مختلف الجوانب.

وفي إطار محاولة فهم تعاطي المخدرات من طرف الشباب الفئة التي يعول عليها في بناء المجتمع، حاولنا إلقاء الضوء على مختلف النظريات المعاصرة المفسرة لتعاطي العقاقير المخدرة.

بناء عما سبق يتضح الهدف من دراستنا المكتبية هذه والمتمثل في: التعرف على مختلف النظريات والنماذج المعاصرة التي حاولت إعطاء تفسيرا لتعاطي المخدرات والإدمان عليها.

1. **المفاهيم الأساسية للدراسة:**

تعريف المخدر: إن تعريف المخدرات يختلف باختلاف النظرة إليها، ولذلك لا يوجد تعريف موحد أو متفق عليه للمخدرات، ويمكن تعريف المخدر من الجوانب التالية:

التعريف اللغوي: المخدر في اللغة اسم فاعل مشتق من الفعل خدر، ويدور لفظ الخدر حول معاني الضعف والكسل والفتور أو الستر(هلال، 1999، ص23) فيقال المرأة خدرها أهلها بمعنى شتروها وصانوها من الامتهان، أي أن الخدر هو ما يستر الجهاز العصبي عن فعله ونشاطه المعتاد(أحمد، 2013، ص23).

التعريف الاصطلاحي: هو كل ما يؤثر على العقل فتخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة العاقلة، ويترتب على الاستمرار في تعاطيها الإدمان فيصبح الشخص أسيرا لها. في تعريف آخر تعرف بأنها المواد التي تخدر الإنسان، وتفقد وعيه، وتغيبه عن إدراكه(الهدية، 2008، ص44).

التعريف العلمي للمخدرات: المخدر هو مادة كيمائية تسبب النعاس والنوم أو غياب الوعي المصحوب بتسكين الألم، وهي ترجمة لكلمة (Narcotic) المشتقة من الإغريقية (Narcosis) التي تعني يخدر أو يجعله مخدرا.

تعاطي المخدرات:

التعاطي في اللغة: العطو: التناول ورفع الرأس واليدين، والإعطاء: المناولة كالمعاطاة والعطاء والانقياد والتعاطي: التناول: وتناول ما لا يحق، والتنازع في الأخذ، والقيام على أطراف أصابع الرجلين مع رفع اليدين إلى الشيء(آبادي، 2000، ص526).

التعاطي في الاصطلاح: هو التناول غير المشروع للمخدرات بطريقة غير منتظمة وغير دورية يتعاطاها الأفراد من أجل إحداث تغيير في المزاج أو في الحالة العقلية، ولكنه لا يصل إلى حد الاعتماد التام عليها(مشاقبة، 2007، ص21).

تعريف تعاطي المخدرات: يعرف المركز القومي للبحوث الجنائية بمصر تعاطي المخدرات بأنه: " استخدام أي عقار مخدر بأي صورة من الصور المعروفة في مجتمع ما للحصول على تأنيس نفسي أو عقلي معين"(قماز، 2009، ص17).

ويعرفه مصطفى سويف كما يلي: "يشير التعاطي إلى تناول أي مادة من المواد المسببة أو الاعتماد بغير إذن طبي، وتشير البحوث الميدانية إلى ضرورة التفرقة بين المستويين للتعاطي وهما: التعاطي على سبيل التجريب والاستكشاف والتعاطي كإدمان أو اعتماد وهي تفرقة بالغة الأهمية لما يترتب عليها من نتائج علمية وعملية"(سويف، 2000، ص136).

واعتمادا عما سبق يمكن القول أن مفهوم التعاطي من المفاهيم الأكثر موضوعية، كونه لا يقدم أي حكم وليس له أي دلالة على الإدمان، فتعاطي المخدرات هو رغبة غير طبيعية يظهرها بعض الأشخاص نحو مخدر أو مواد سامة يتم التعرف عليها من خلال آثارها المسكنة والمخدرة أو المنشطة والمنبهة، والتي قد تسبب حالة من الإدمان تضر بالفرد جسميا ونفسيا واجتماعيا.

2.النظريات والنماذج المفسرة لسلوك تعاطي المخدرات:

إن الحقيقة التي تجمع عليها الدراسات الاجتماعية التي أجريت حول تفسير ظاهرة تعاطي المخدرات، هي أن مشكلة تعاطي المخدرات تمثل مشكلة متعددة الأبعاد والمتغيرات، فلا توجد نظرية واحدة أو عامل واحد أو متغير بعينه، يمكن في ضوئه تفسير أسباب تعاطي المخدرات، حيث تتعدد العوامل، وتتباين أهميتها من مجتمع لآخر، ومن فرد لآخر، ومع ذلك يمكن تحديد مجموعة من النظريات تتعلق بأسباب حدوث تعاطي المخدرات، ويمكن عرضها كما يلي:

النظرية البيولوجية: تعتبر النظريات البيولوجية أولى النظريات التي حاولت تفسير التعاطي الضخم والمنتظم انطلاقا من ميكانيزمات بيوكيماوية أو فسيولوجية، وشكلت الدراسات الإنسانية محور الأعمال المصممة لاختبار النظريات الجينية ذات الصلة بالإدمان في بني البشر، لأنه إذا كان للجينات تأثيرها في الإدمان، فإن أولئك الذين لديهم جزء من المادة الوراثية الخاصة بهم التي توارثوها عن متعاطين، فإن هذا الموروث سيصل إليهم وسيعانون من تلك الحالة وتلك الظروف التي كان عليها آبائهم، ويرى "أمارك" أن هناك عنصرا وراثيا أسريا ذا صلة بالإدمان الكحولي، وقام بحساب إمكانية إدمان المسكرات بين الإخوة المعروف بأنهم من آباء مدمنين، فكانت نسبتهم في الإصابة بالإدمان 21%، وبين الأخوات 05% وبين الآباء26%، وبين الأمهات 2% (Robinson, 1976, p50-51).

وقد قامت التقنيات البيولوجية الجزيئية بعزل وتحديد الجينات التي قد تثير الرهبة للإدمان، إذ من الممكن أن تكون أنزيمات "المونو أمين" المؤكسدة و"الغدد اللمفاوية" هي المؤشرات البيوكيماوية للنزعات والميول الموجهة نحو الإدمان، ويؤدي الكحول والعقاقير المخدرة الأخرى إلى تغييرات في طبيعة الدماغ وتركيبته وإلى أمراض مزمنة تصيبه، ذلك أن مجرد رؤيته أو شمه يمكن أن يثير الدوائر الكهربائية في الدماغ والتي تتغير نتيجة لسوء استخدام العقار، ففي دراسة قامت بها مجموعة من طلبة كلية الطب في جامعة "بيل" استنتجت بأن بروتين "دلتا فوس ب" يثير أدمغة الفئران وجيناتها التي تعزز اللهفة لتعاطي الكوكايين، وعندما تحدث هذه العملية لدى بني البشر، فهذا أمر يساعد على تفسير الإدمان على الكوكايين والذي يصعب علينا تحديده ومعرفته.

وهناك مجموعة من العادات من أمثلتها: عادة التسوق المرضي، الإدمان الجنسي، وتجاهل الأوامر التي تتفاعل وبصورة سلبية مع القدرة على اتخاذ القرارات، ومن ضمنها القدرة على الاختيار السليم والعقلاني لاستخدام العقاقير وعواقبها.

ويعاني المتعاطين المدمنون من الشره والقلق الدائم، ويمكن التخفيف منه بشراب آخر أو بعقار آخر أو بسلوكيات أخرى، فتكون تأثيراته لذيذة للدماغ، أي أن الفرد يشعر ويخف القلق لديه، فالشراب الكحولي واستعمال أي مخدر أو القيام بسلوكيات إدمانية مثل: لعب القمار، التسوق، ممارسة الجنس أو تجاهل المحظورات، فكلها تزيد من اللذة أو تخفف من الألم، وعادة ما يقول مدمنو الهيروين بأنهم يستعملونه "لكي يشعروا بأنهم طبيعيون فقط لا غير" (Rasmussen, 2000, p31-32).

إذن يفسر أصحاب هذه النظرية سلوك تعاطي المخدرات على أنه سلوك ينتقل من الآباء إلى الأبناء مثلما ينتقل لهم لون الشعر والعينين والطول، وعليه فإن الاستعداد الوراثي يفرض وجود خصائص وراثية داخل الأسرة الواحدة تنتقل ليصبح الفرد متعاطي للمخدرات بالوراثة، ورغم أننا لا يمكن إنكار هذا العامل إلا أنه لا يجب المبالغة في ذلك، حيث لا يمكن أن نجعل منه سببا وحيدا باعتبار أن هناك عوامل أخرى تساهم أيضا وبشكل كبير وذلك وهو ما سنتطرق له لاحقا.

النظرية السلوكية: تشير العديد من الدراسات المتنوعة حول ظاهرة التعاطي على أن العديد من المتعاطين للمخدرات كانوا يعيشون غربة وانعزالية، ويعتقد أن الأسباب المؤدية إلى التعاطي والإدمان هي أسباب مركبة، وغالبا ما تكون ذات صلة متبادلة مع عوامل أخرى. (MacGrath and Scarpitti, 1970, p2)، فوفقا للنظرية السلوكية هناك عوامل متعددة خارجية وداخلية تدفع الفرد للإقبال على تعاطي المخدرات منها: الأماكن التي تثير رغبة الشرب، المناسبات التي تلعب دور عوامل إشراطية، الظروف العائلية والمهنية المرتبطة بالتعاطي، العوامل الانفعالية كالقلق والضغط والعوامل المعرفية كانخفاض تقدير الذات، فكلها مميزات قد تدفع الفرد لتعاطي المخدرات بغرض البحث عن الإثارة أو خفض التوتر والضجر. وقد أوضح أصحاب هذا الاتجاه أسباب سلوك تعاطي المخدرات كما يلي:

نظرية التعلم: إن التدعيم الإيجابي لقادر على أن يخلق عادة قوية هي عادة اشتهاء أي عقار، لكننا نجد بالنسبة للمهدئات مع ذلك عاملا قويا آخر هو الخوف الفعلي من الامتناع عدة مرات، نشأ عنه نمط من استجابة التجنب الشرطية، فإذا أضفنا ما كان يحدثه العقار لأول الأمر من آثار لتدعيم ذلك وجدنا أنه قد نشأ لدينا عادة انغماس العقار بوصفها نمطا سلوكيا يستعصي تغييره(شيلون كاشدان، دس، ص82)، ويحدد أصحاب المدرسة السلوكية وجود ثلاث طرق لتعلم السلوك الإدماني وهي:

التعلم عن طريق الإشراط الكلاسيكي: تنطبق ميكانيزمات الاشراط الكلاسيكي في تفسير الأعراض الشائعة للإدمان مثل اشتهاء المخدر والتحمل، وقد تم تفسير هذه العملية من خلال نموذجين هما:

نموذج استجابة الاشراط بالتعويضي: وضعه سيجل (Seigle 1987) حيث يرى أن المثيرات البيئية المرتبطة بتعاطي المخدرات تقترن بآثار المخدر في الجسم، لإنتاج استجابة شرطية

مناقضة أو مخالفة لتأثير العقار، وهذه الاستجابة التعويضية صممت لخفض التوازن الحيوي للجسم، حيث تزداد استجابة التوازن الحيوي الاشراطي مع استمرار تعاطي العقار.

نموذج دافعية الاشتهاء الإشراطي للمخدر: وضعه ستيوارت وآخرون (Stewart et all,1984) طبقا لهذا النموذج فإن المثيرات الشرطية المرتبطة للأثار التعزيزية الموجبة للعقار مثل رائحة العقار، أو الأضواء التي تزين المكان الذي يتم فيها التعاطي للخمر أو الحقن للهروين، يمكن أن تصبح قادرة على استدعاء حالة الدافعية بنفس الدرجة التي يحدثها العقار ذاته، وهذه الحالة تدفع بقوة إلى البحث عن العقار واستخدامه.

التعلم عن طريق الإشراط الإجرائي: يهتم الإشراط الإجرائي بالآثار التي تعقب السلوك، والفاصل الزمني الذي يفصل السلوك وآثاره، فمن المعروف أن تعاطي الكثير من المواد المخدرة يرتبط بالشعور بالنشوة والراحة بعد التعاطي بفترة قصيرة، ولا تأتي النتائج السلبية والضارة إلا بعد فترة طويلة أو بعد الامتناع عن المخدرة، وهو ما يدفع المدمن إلى الاستمرار في التعاطي أو العودة بعد الإقلاع.

النمذجة: تفترض نظرية التعلم الاجتماعي أن كل صور استخدام المواد تحكمها القواعد الإجرائية وقواعد التعلم بما في ذلك أن العوامل المعرفية، حيث يتعرض الشباب لنماذج تنمي لديهم اتجاها إيجابيا نحو إساءة استخدام العقاقير، لذلك يرى باندورا (Bandura) أن السلوك ليس دائما في حاجة إلى تعزيز، وأغلب ما يتعلمه الإنسان يتم عن طريق الملاحظة لسلوك الآخرين، وما يترتب على هذا السلوك من إثارة أو عقاب، حيث أن التعرض للعقاقير غالبا ما يصاحبه تعزيزات إيجابية أو سلبية على النموذج مثل خفض التوتر أو الانضغاط لذا يمكن تفسير الإدمان وخاصة في بدايته من خلال عملية النمذجة(صادقي، 2014، ص194).

عموما تقوم هذه النظرية على فكرة المثير والاستجابة، وأن إدمان الفرد على المخدرات ما هو إلا استجابة لمثيرات ترتبط باستخدام العقار أو المواد المخدرة ويتم ذلك لغرض التقليل من الاضطراب والقلق والمخاوف التي تعتري الفرد، فالمخدر هنا يلعب دور المعزز لأنه يؤدي إلى التقليل من الخوف والصراع والقلق، بمعنى أن الأفراد يقبلون على تعاطي المخدرات نتيجة تعرضهم لضغوطات البيئة بشكل كبير وكلما قلت ضغوطات الحياة على الأفراد كلما قل استخدامهم للمخدر، إلا أن الحقيقة أن الكثير من الأفراد يتعرضون للكثير من الضغوطات العالية ورغم ذلك لا يتخذون من المخدر سبيلا لخفض توترهم ومخاوفهم.

النظرية المعرفية: يرتكز الاتجاه المعرفي على دور العمليات العقلية بالنسبة للدوافع والانفعالات والسلوك، بحيث تتحدد الاستجابات الانفعالية والسلوكية الخاصة بشخص ما عن طريق كيفية إدراكه وتفسيره والمعنى الذي يعطيه لحدث معين.

ويرى الحجار: "أن هذه النظرية تعطي أهمية كبرى للدور الذي يلعبه التفكير أو المعتقد في ظهور الاضطراب النفسي للكائن البشري، بحيث أن هذه النظرية لا تغفل عن أهمية العوامل المؤثرة على السلوك والعاطفة عند الإنسان، سواء كانت هذه العوامل بيئية أو كيميائية"(الحجار، 1992، ص46).

كما يرى إليس وآخرون(Ellis،1988) إلى أن الديناميكية المعرفية الأولية التي تؤدي إلى الإدمان وتبقى على استمرار "التحمل المنخفض للإحباط" تضاف إليها ثلاث نماذج نظرية أخرى تعزز السلوك الإدماني وتقويه وهي الانسمام كنموذج للتعامل مع المواقف الصعبة، الانسمام الكحولي يعادل فقدان قيمة الذات وأخيرا نموذج الحاجة إلى الإثارة.

في حين ليز (Liese) وفرانز (Franz) يريان أنه لا يمكن نفي دور تعديل المزاج في سلوك تعاطي المخدرات أو الإدمان، فالمدمنون يملكون معتقدات قوية حول قدرة المخدر على تعديل المزاج، فهم يرون أن بعض المخدرات تخفض الضجر، وأخرى تساعد على الاسترخاء وأخرى تمنح الطاقة والإحساس بالقوة.

وفي دراسة على (211) من المدمنين ذوي السلوكيات الإدمانية المختلفة وجدت جماعة مرلات (Marlatt et al) ثلاث مواقف عالية الخطورة : فالمجالات الانفعالية السالبة مثل: القلق أو الإحباط أو الغضب، أو الاكتئاب مسؤولة عن 35% من حالات الإدمان، والصراع الداخلي مسؤول عن 16% والضغوط الاجتماعية (مثل أن يقدم المخدر للشخص نظرا لوجوده مع متناولي المخدرات حتى ولو لم يتناوله) 20% من العينة، ويقول مالات: "إنه إذا كان لدى الأفراد إحساس بالكفاءة الذاتية واستجابة تكيفية فإنه يمكن مواجهة تلك المواقف عالية الخطورة، ولكن إذا لم يكن لديهم استجابة للتكيف فإنهم يشعرون بالضعف أمام المخدر، وهذا يزيد من احتمال الاستسلام بالإغراء لاستخدام المخدر، مما يمثل استجابة تكيف سيء لمواقف مثل الصراع أو الإحساس بالإحباط، وإذا كان لدى الشخص توقعات إيجابية لآثار المادة فإن استخدامها يعزز بشكل أكبر"(آرون بيك وآخرون، 2002، ص251-254).

كما يرى عالم النفس الأمريكي مؤسس نظرية العلاج العقلاني الانفعالي السلوكي آلبرت إليس التي ترى (هذه النظرية) بأن كثيرا من الاستجابات السلوكية والوجدانية والاضطرابات النفسية تعتمد على معتقدات فكرية خاطئة يبديها الفرد عن نفسه وعن العالم المحيط به، ويميز آلبرت بين نمطين من التفكير:

أفكار عقلانية: وهي واقعية ومرغوبة، تحقق للإنسان مزيدا من التوافق والصحة النفسية.

أفكار لا عقلانية: وهي خيالية سلبية، تصحبها عواقب انفعالية وأنماط سلوكية مضطربة، وغير مرغوبة كالقلق، الاكتئاب.

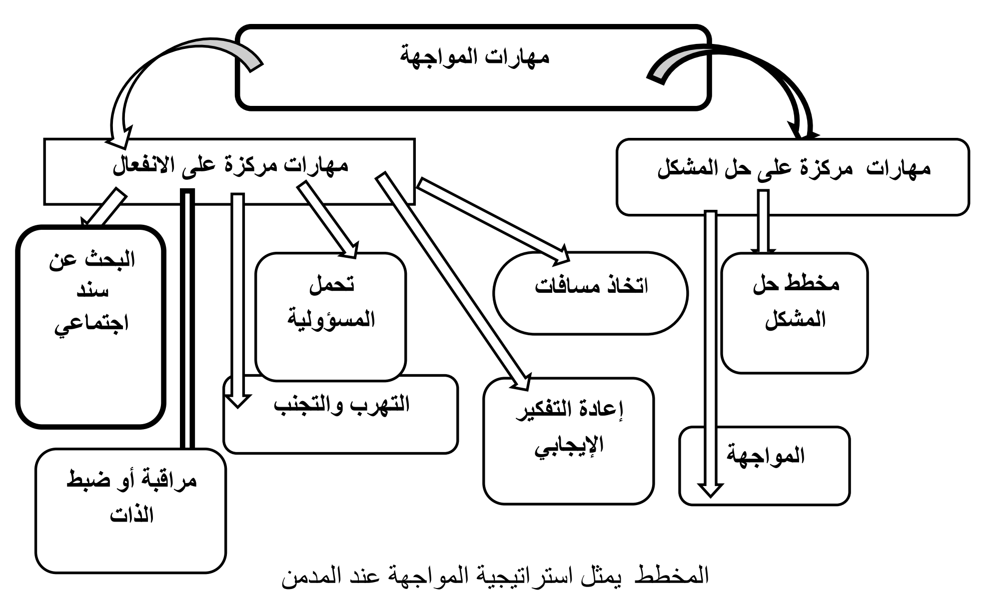
تنشأ هذه الأفكار اللاعقلانية حسب إليس في مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكون الطفل حساسا للمؤثرات الخارجية، وأكثر قابلية للإيحاء، والطفل في هذه المرحلة يعتمد على الآخرين وخاصة الوالدين في التخطيط واتخاذ القرارات، وإذا كان بعض أفراد الأسرة يميلون إلى الغضب والقلق، ويطالبون الطفل بأهداف وطموحات لا تصل إليها ميكانيزماته، فسوف يصبح الطفل مضطرب ولاعقلاني، وقد يصبح عدوانيا أو شاعرا بالذنب أو بعدم الكفاءة، أو بالقصور الذاتي والضبط الذاتي.

ويرى إليس أن السلوك المضطرب ومن ضمنه سلوك تعاطي المخدرات وهو نمط من الأفكار اللاعقلانية والاضطرابات الانفعالية.(L. Chalout, 2008).

ويرى كل من كيمبورلي وجيروم (Kimberly et Jérôme, 2000) أن المدمن شخص لديه ضعف في مهارات التواصل، وهذا راجع إلى ضغوط نفسية يعاني منها (كالقلق، والاكتئاب) فالإدمان يؤدي إلى سوء التوافق وعدم القدرة على حل الصراعات النفسية بأسلوب توافقي.

كما أعتبر هيرمس أن ضعف القدرة على السيطرة والتمرد والعصيان قد يسبب الإدمان وتتنوع وتتعدد مصادر الضغط النفسي عند متعاطي المخدرات والمتمثلة في: مصادر اجتماعية ومصادر مهنية ومصادر بيولوجية ومصادر نفسية.

حسب إليس تبدأ فكرة ديناميكية عندما يتعرض المدمن لتنبيهات ومثيرات تحدث عنده الميل للتعاطي وخلاصة تفكير إليس أن في بداية الإدمان تكون مع المعتقدات الخاطئة أما الاستمرار في هذا السلوك فهو بدوره يعزز المعتقدات الخاطئة لعدم القدرة على تحمل القلق، والعجز عن حل المشكلات دون اللجوء إلى المخدر ولهذا يستمر في نفس السلوك وبالتالي لا يتعلم المهارات الفعالة لحل المشكلات والتكيف معها. وفيما يلي توضيحا لمهارات المواجهة عند المدمن على المخدرات من خلال الشكل التالي:



المخطط يمثل استراتيجية المواجهة عند المدمن

المصدر: (http://www.acofps.com:vp/archive/index.php)

أ.المهارات المركزة على حل المشكل: تشمل:

-المواجهة: وتشير للمجهودات العدوانية لتغيير وضعية معينة (جسدية أو لفظية).

-مخططات حل المشكل: ويصاحبها التناول التحليلي لحل المشكل.

ب.المهارات المركزة على الانفعال: وتحتوى على:

-اتخاذ مسافة: وهي المجهودات المعرفية لتقدير الذات وإعطاء معنى للوضعية (الموقف).

-مراقبة وضبط الذات: وتشير للمجهودات الفردية لضبط الانفعال والسلوك.

-البحث عن سند اجتماعي: وهي مجهودات البحث عن سند إعلامي، سند ملموس، أو سند انفعالي حيث لا يجد المدمن حل فعلي لمشكلته.

-تحمل المسؤولية: إدراك الفرد والتصريح بدوره في المشكلة، ومحاولة إيجاد حل مناسب لها.

-الهرب والتجنب: تشير إلى التفكير اللاعقلاني والمجهودات السلوكية للتهرب وتجنب الواقع (المشكل).

-إعادة التقدير الإيجابي: وهي مجهودات الفرد في إعطاء معنى إيجابي للوضعية، والتركيز على التصور الفردي.

وتعتبر مهارتي المواجهة والتجنب أهم مهارتين عند المدمن.

حسب هذه النظرية إن العنصر المعرفي يعد العامل الوسيط في ترجمة الحوادث الخارجية وفي خلق رد فعل انفعالي، وبالتالي فالاضطراب النفسي تسببه التأويلات الداخلية للمنبهات الصادرة عن النفس أو عن المحيط الخارجي، وبناء عليه فالفرد وفق أصحاب هذه النظرية يعبر عن الاضطراب بعدة طرق فقد يصاب بالقلق أو بالاكتئاب أو قد يدمن على المخدرات.

نظرية التحليل النفسي: جلب فرويد Freud سنة (1905) أنظار الباحثين حول أهمية المرحلة الفمية عند الأشخاص الذين يميلون كثيرا إلى الشرب والتدخين، وانطلاقا من هذه الفكرة جاء تفسير "فرويد" لظاهرة الإدمان على الكحول والمخدرات، فيعتبر المخدرات وسيلة من الوسائل التي يستعملها المدمن للتعامل مع الألم، إلى جانب هذا فهو يعتبر المدمنين أشخاصا حدث لهم تثبيت في المرحلة الفمية، كما أنهم يتميزون بنزوة تحطيم الذات، والجنسية المثلية الكامنة " une homosexualité latente" وما استخدامهم للمخدرات إلا وسيلة لإشباع الاشتهاءات الجنسية، كما أنها تعبير عن الحاجة للأمن والمحافظة على الذات في الوقت نفسه.

وعليه فإن فرويد يفسر ظاهرة الإدمان على المخدرات في ضوء الاضطرابات التي يعيشها المدمن في طفولته المبكرة ، وهي ترجع في أساسها إلى اضطراب علاقة الحب بينه وبين والديه، هذه العلاقة تسقط على المخدر الذي يصبح رمزا لموضوع الحب الأصلي(عفاف عبد المنعم، 2003، ص85)، وهو يتعاطى المخدرات لأنه يجد فيها عونا وسندا مفتقدا يساعده في الحفاظ على التوازن بينه وبين واقعه والإبقاء عليه عند حد أدنى من الاستقرار، وهو كذلك وسيلة علاج ذاتي يلجأ إليها المدمن لإشباع حاجات طفلية لاشعورية، وذلك نظرا لاضطراب نموه النفسي والجنسي وتثبيت الطاقة الغريزية في منطقة الفم، هذه الصفات تظهر بطرق مختلفة على الفرد منها على سبيل المثال الإنسان الذي يعمل على تفادي الشعور بالعجز والسلبية وعدم القدرة على تحمل التوتر النفسي والألم والإحباط التي تخدش نرجسيته، و كل ذلك ناتج عن عدم استطاعة المدمن الوصول إلى الإشباع من خلال القنوات العادية فيلجأ إلى البحث عن الإشباع عن طريق

تعاطي المخدرات مما يتولد لديه لهفة مستمرة لتعاطي المخدر الذي يؤدي إلى التخفيف من الحصر أو الحصول على النشوة(محمد جعفر، 1974، ص109).

ويرتبط الإدمان على المخدرات من وجهة النظر النفسية بما يخلفه المخدر والمؤثرات العقلية بالوظائف العقلية والإدراك والتفكير وتأثر الذاكرة، وفقدان الصورة الصحيحة للأشياء نتيجة تراكم وتسارع الأفكار على الذهن، كما أن هذا المنظور يثبت أن الإدمان مرض واضطراب في الشخصية يصاحبها الكثير من المشكلات متفاوتة الخطورة حيث تظهر هنا أهمية الاستعدادات التكوينية للأفراد، وهذا الخلل النفسي يبدأ في وقت مبكر مصاحب للنمو النفسي للفرد، وبالتالي تكون هناك القابلية للإدمان.

وبشكل عام يقوم المنظور النفسي على فرضية أن القلق النفسي والإحباط الناجم عن تراكم الخبرات السابقة في حياة الفرد النفسية تلعب دورا كبيرا في بدء التعاطي، فإذا استمرت وزادت فإنها تساعد على الاستمرار، والمبالغة في التعاطي يصبح الفرد فريسة للعقار الذي يظن أنه المخلص الوحيد من الآلام النفسية، أو وسيلة إشباع حاجات لا تشبع إلا بتعاطيه لهذا المخدر، حيث لتركيبة الشخص دورا مؤثرا في الميل أو الاعتمادية على سلوك معين، فالشخصية قلقة التحمل للضغوط الاجتماعية، أو التي لديها نزعة قلق، والشخصية سليمة التأثر أو النقادة، يمكن أن تتجه للإدمان عند مواجهتها للإدمان لأي مشكلة أو عند تأثرها بالأصدقاء(الغريب، 2002، ص70-72).

كما توضح هذه النظرية أن الإدمان يتطور عندما يتعاطى الأفراد الكحول والمخدرات، لتتولد لديهم مشاعر السعادة ومشاعر الهروب من الألم. ويمكن أن يدفع الصراع بين الهو(Id)، والأنا (Ego)، والأنا الأعلى(Super ego) بتعاط الفرد المخدرات في سبيل التخلص من القلق ومن مطالب الأنا والاهتمام بالذات وحفظها من الأذى، الاضطرابات الذاتية وهدم الذات من خلال الإدمان هي إشارات لإضعاف مطالب الأنا، والأنا تقوم بتنظيم المشاعر أيضا.

وبناء على نظرية التحليل النفسي فإن النقص في الاهتمام بالذات، وفي تقدير الذات وعدم الإحساس بالسعادة يساهم في دفع الأفراد للإدمان.

فالتعاطي يحقق للمدمن أدوارا متعددة فيعمل مسكن للإحباط والغضب ووسيط نشط للتنفيس عن العدائية الكامنة لدى المدمن، وكذلك وسيلة للتخلص من احتقار الذات المازوشية وإشباع رمزي لحاجة الحب والعطف(الحراشة، 2012، ص43).

إن الإدمان يمثل أحد أشكال الدفاع ضد التبعية الغيرية والتهديد النرجسي الذي تسببه، فالتبعية فيه تتحدد بالتوظيف المضاد لشبه موضوع بديل يأخذ مقامه المخدر.

كما ينظر التحليل النفسي إلى الإدمان على المخدرات باعتباره بديلا للشبقية الطفلية إذ يسعى المدمن بإدمانه إلى الحصول على خبرة سارة من تعاطيه المخدر ثم بعد مرور الوقت وعند زوال أثر المخدر تتحول إلى خبرة غير سارة، وهي النقطة التي تدور حولها معظم الأشكال الإدمانية، وفي هذه الدائرة تشبع الرغبة في اللذة ولكن بمصاحبة الشعور بالذنب وانخفاض تقدير الذات التي ينتج عنها قلقا غير محتملا، يؤدي بدوره إلى تكرار سلوك الإدمان، تجنب الفراغ بين الفاصلة والكلمة التي قبلها الأصح هو الإدمان، تصحح هذه الملاحظة في كل أجزاء المقال وهكذا تستمر

الدورة، ومن هذا المنظور يكون الإدمان على المخدرات مثالا للتكرار القهري أي أن المدمن يتعلق بالمخدر تعلقا قهريا ولا يستطيع التخلي عنه، لكنه يبذل محاولات للسيطرة على المشاعر المؤلمة لأجل استعادة تقدير الذات، لأن المخدر يعطي له شعورا زائفا بامتيازه عن غيره من الناس الذين ينظر إليهم على أنهم أدنى منه في كل الأمور وفي المقابل يكون شعوره مصحوبا بالعطف والود العميق للأشخاص الذين يتعالى عليهم لأنهم بضآلتهم يؤكدون ويزيدون من شعوره بالأهمية وبالتالي تقديره لذاته(عفاف عبد المنعم، 2003، ص84).

وبناء على ذلك فإن سيكولوجية تعاطي المخدرات تقوم على أساسين هما:

1.الصراعات النفسية التي ترجع إلى الحاجة إلى الإشباع الجنسي النرجسي الذي يرجع أساسا إلى اضطراب علاقة الحب والإشباع العضوي وبخاصة في المرحلة الفمية والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى إثبات الذات وتأكيدها، وتكرار التعاطي يعني الفشل في حل تلك الصراعات وإشباع هذه الحاجات، ويذكر **كريستال** وراسكين Raskin & Krystal أن المدمن على المخدرات هو شخص لديه صعوبات كبيرة في التعامل مع نفسه بطريقة طيبة، وفي التعامل مع مشاعره الإيجابية والسلبية تجاه الآخرين بسبب دفاعات جامدة ومتعددة مثل الإزاحة، وأنه يتناول المخدر ليس للمساعدة في الدفاع ضد مشاعره فحسب، ولكن ليشعر بالأمان والتوحد مع موضوعات محبوبة لديه تكون عادة محرمة(فايد، 1994، ص181).

2.يتمثل في التركيب النفسي للمدمن الذي يحدث حالة الاستعداد ومن ثم يأتي الدور الذي تلعبه آثار المخدر الكيمائية وخواصه، وفي هذا الصدد يشير مصطفى زيور إلى أن الحالة العادية للمدمن تتميز بأنها ذات طابع اكتئابي، وأن المرحلة التي ينتمي إليها سلوك متعاطي المخدرات هي المرحلة الفمية المتأخرة وهي مرحلة شبيهة بالمرحلة التي ينتمي إليها المرضى بذهان الاكتئاب، وأن حالة النشوة التي يحققها التخدير تتميز بانطلاق أخيلة تساعد على تفريغ قدرا كبيرا من التوتر، مما يؤدي إلى فرفشة EUPHORIE من نوع فريد، ومرح الإدمان بمثابة ميكانيزم دفاعي للتغلب على الاكتئاب والتخلص منه وبذلك فهو هوس صناعي مقابل للهوس التلقائي في ذهان الاكتئاب(عفاف عبد المنعم ، 2003، ص83- 85).

أما ماكليلاند MC CLELLAND صاحب نظرية الاعتمادية فيرى أن الذكورة المبالغ فيها تكون رد فعل ضد حاجات الاعتمادية الأساسية الذي يشعر بها الذكر، ويفترض أن مرحلة ما قبل إدمان الكحول تصاحبها رغبة أولية أو حاجة اعتمادية، ولكن يشعر الفرد بالخجل من هذه الرغبة، فالذكر في مرحلة ما قبل إدمان الكحول يرغب في الرعاية الأمومية والانتباه إليه، وفي نفس الوقت يريد أن يتحرر من هذه العناية وهذا بدوره يؤدي إلى صراع اعتمادي له أصوله في خبرات الطفولة، فالمظهر الكاذب للرجولة ذات الثقة في النفس يتطور لكي يخفي الحاجة للاعتمادية والتعاطي يشبع حاجات الاعتمادية بتزويد الشخص بمشاعر الدفء والراحة، والقدرة المطلقة، فأثناء الشرب يعاد موقف العناية الأمومية، ووفقا لذلك فإن الدافع للشرب يكمن في الرغبة لإشباع الحاجة للاعتمادية وليس للشعور بالقوة، فإدراكات القوة هي صورة سطحية مختبئة ضمن مكافآت الاعتمادية، وبذلك تكون الاعتمادية وليس البحث عن القوة هي المبتغى الرئيسي لإدمان(فايد، 1994، ص181).

ويعتبر روزنفيلد Rosenfield أن المخدرات ترمز في حقيقة الأمر إلى موضوع ميت أو مريض، وبتعاطيها فالمدمن يحاول أن يخفف من شعوره بالذنب، كما يمكن اعتبارها كمحاولة انتحارية لا شعورية، أما لوبفيك Lobofic فيركز على العناصر الاكتئابية، والتي لاحظها عند الشباب المدمن، فيرى أن المدمن على المخدرات يعيش في دائرة مفرغة، فمن الحاجة إلى الشعور بالذنب، ومن الشعور إلى الاكتئاب إلى الحاجة إلى المخدر.

الحاجة إلى المخدر ← الشعور بالذنب ← الاكتئاب ← الحاجة إلى المخدر.

هذه الحلقة تذكرنا بتلك التي جاء بها رادوRodo والتي تمثل سيرورة المزاج الناتج عن العقاقير والتي تتمثل فيما يلي:

الشعور بالاكتئاب نتيجة الإحباط ← أول تجربة تعاطي المخدرات ← الشعور باللذة والقدرة ← اختفاء التأثير المريح ← الرجوع إلى الواقع القاسي ← الشعور بالذنب ← اكتئاب اتجاه الإحباط(قماز، 2009، ص72-74).

كما يوجد هناك من يربط بين الإدمان على المخدرات وغريزة الموت، حيث يدرك المدمن خارج فترات احتياجه للمخدر آثاره التدميرية، ويترافق هذا الإدراك مع مشاعر الذنب والندم والرغبة في الإقلاع عن الإدمان، وعندما يشعر بالاحتياج وتسيطر عليه الرغبة في تناول المخدر ينفذها ويشبع تلك الرغبة وبذلك يعود للتعاطي في نزعة تدمير ذاتي تتطور مع تكرار حلقة إدراك – الندم التعاطي- وبذلك تسيطر نزعة التدمير على الاقتصاد النفسي الجسدي للمدمن، وهنا تتدخل ثنائية العواطف لتفجر الرغبة في تجميد الزمن عند لحظة النشوة بالمخدر في مقابل نزعة التدمير، وهي حالة شبيهة بما يسميه التحليل النفسي بالعودة إلى الصفر أي الفردوس المفقود في بطن الأم، حيث تتم مواجهة الخوف من الموت عبر فكرة " ليتني أموت" (غريزة الموت) بفكرة "ليتني لم أولد "(العودة إلى الصفر) ورغبة تجميد الزمن عند لحظات السعادة هي رغبة نرجسية عامة لدى الجميع حيث يمارسها الرسام عبر لوحته والشاعر من خلال قصيدته وكل يمارسها على طريقته.

وخلاصة القول إن معظم رواد التحليل النفسي يركزون في تفسيرهم لعملية تعاطي المخدرات والإدمان عليها على الصراعات النفسية التي ترجع أساسا إلى:

-الحاجة إلى الأمن.
-الحاجة إلى إثبات الذات.
-الحاجة إلى الإشباع الجنسي النرجسي في المرحلة الفمية.

إن تعاطي المخدرات حسب هذه النظرية يعتبر نكوصا إلى المرحلة الفمية، المتعاطي هو فرد يلجأ للمخدر بسبب مواجهة الصراعات التي تعبر عن الشعور بفقدان الموضوع، حيث أن التنظيم العقلي للمدمن يشير إلى نرجسيته الهشة وإلى التقدير المنخفض للذات، وعليه فمدرسة التحليل النفسي تنظر إلى تعاطي المخدرات على أنه عرض أكثر من كونه سببا لمشكلات سلوكية أو انفعالية تعود إلى التثبيت الفمي، مع ضعف الأنا الأعلى وسيطرة الهو عند الفرد المتعاطي.

النظرية الاجتماعية: اهتم علماء الاجتماع بالأمراض الاجتماعية والسلوك المنحرف، ورأوا أن السلوك الاجتماعي في حد ذاته لا يمكن أن يقال عنه سلوك منحرف أو غير منحرف إلا بتقييم

المجتمع له في ضوء مدى التزامه أو خروجه عن المعايير الاجتماعية للسلوك. هذا ويعتبر الإدمان على المخدرات من المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي تؤثر على تقدم المجتمعات ورقيها، كما تؤثر على الحالة الصحية والنفسية للأشخاص المدمنين(دعيس، 1995، ص203-204).

أ.**النموذج الوظيفي:** يصنف الوظيفيون الإدمان على المخدرات في خانة الانحراف باعتباره ظاهرة تزعزع استقرار المجتمع وتخل بتوازنه حيث تؤدي بالأفراد إلى الجريمة تجاه نفسه (الانتحار)، ولتفسير هذه الظاهرة طور"دوركايم" مفهوم الأنوميا الذي يعبر عن غياب (أو ارتياب) المعايير الاجتماعية وعدم احترامها، من قبل الأفراد أو الجماعات في ظل انعدام الرقابة الاجتماعية.

وتؤدي الأنوميا إلى حالة مرضية يعبر عنها "دوركايم" بمفهوم الباثولوجيا الاجتماعية التي تدخل الأفراد في وضع شديد الهشاش ويضيف أن الأنوميا تنتشر بصفة خاصة في الأوضاع التي تعرف تراجع المعايير القديمة حيث أن الأفراد الذين يفقدون هذه المعايير، هم أنفسهم الذين يرفضون الاندماج في المعايير الجديدة.

أما "ميرتون" Merton فإنه بالرغم من اعترافه بأن الأنوميا مفهوما مناسبا جدا لتفسير ظاهرة الانحراف إلا أنه يفضل تعريف مفهوم الأنوميا بصراع المعايير وليس غياب المعايير لأن المعايير الاجتماعية موجودة حسبه في كل الحالات، إلا أنها ليست نفسها عند المنحرف وغير المنحرف، فما ينبغي أن نأخذه بعين الاعتبار هو أن للمنحرف كذلك معايير خاص به يدافع عنها.

ويجد الانحراف تفسيره لدى الوظيفيين فيما يعبرون عنه بمفهوم الاختلال الوظيفي داخل مؤسسات المجتمع.

ب.**النموذج التفاعلي:** ينظر التفاعليون إلى الإدمان هم أيضا بوصفه شكل من أشكال الانحراف، غير أنهم يرجعون أسبابه إلى معاني ورمزية التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعات المحيطة به، ويشير أصحاب هذا الاتجاه إلى مفهوم الوصمة للتعبير عن الاسم أو الصفة التي يوصف بها الأشخاص المنحرفون أو المهمشون من قبل أولئك غير المنحرفين اجتماعيا، فالوصمة بهذا الشكل تعبير عن تصنيف اجتماعي من خلال لغة الاتصال.

كما يرى أصحاب النموذج التفاعلي أن الدافع الرئيسي عند الفرد هو الرغبة في الانضمام إلي جماعة محددة خاصة يسلك فيها الفرد ويتصرف بشكل مشابه تماما لسلوكيات وتصرفات أعضاء هذه الجماعة. كما يرى أصحاب هذا النموذج أن مجرد توفر المخدرات والجماعة المرجعية لا يعد أمراً كافيا، فهناك قطاع عريض من أفراد المجتمع يتسمون بالاجتماعية إلي حد كبير، لدرجة أنهم يعتبرون أن الاستخدام السيء للمخدرات أمر غير مرغوب فيه. لذا فإن المكون الثالث للنظريات التفاعلية يتمثل في أن الأفراد الذين يقبلون على الاستخدام السيئ للمخدرات تنتفي عندهم الاتجاهات السلبية أو حتى الحيادية تجاه الاستخدام السيئ للمخدرات، فالفرد الذي يعتقد اعتقادا تاما بأن الاستخدام السيئ للمخدرات يعد بمنزلة تجربة إيجابية أكثر من كونها سلبية ، وأن هذا الاعتقاد الذي وصل إليه الفرد تم في ضوء اعتماد الفرد على أنشطة الجماعة المرجعية التي ينتمي إليها، هنا يكون الفرد قد بدأ الخطوة الأولى نحو الاستخدام السيئ للمخدرات.

ج.نموذج الثقافة الفرعية: يرى " زاسترو" أن قرار تعاطي الفرد للمخدرات لا يعتمد فقط على الخصائص الشخصية والخلفية الأسرية للمتعاطيين ، ولكنه يعتمد على دور جماعة الرفاق في تفسير عملية التعاطي، والكمية التي يتعاطاها الفرد في وقت معين، والأنشطة الأخرى التي تندمج مع عملية التعاطي، حيث وجد "هوارد بيكر" في دراسته "Becomin a Marjuana User" أن جماعة الرفاق تؤدى دوراً حاسما في عملية تعلم تدخين الماريجونا، فحينما تُدخل جماعة الرفاق شخصاً مبتدئاً في عضويتها، تقوم بتعليمه التدخين لكي يدرك الخبرات السارة المرتبطة بعملية التعاطي كما أن العضوية في مثل هذه الجماعة تشجع على تعاطي المخدرات غير المشروعة أكثر من المخدرات المشروعة، وتُعلم العضو أيضا كيفية تقبُّل معايير الثقافة الفرعية المؤيدة للمخدرات، وَرفض معايير الثقافة الرافضة للمخدرات، كما أن أعضاء هذه الجماعة يندمجون في جرائم أخرى كالسرقات والسطو على المنازل، وذلك لتدعيم عاداتهم الإدمانية.

د.نظرية السلوك المشكل: ترى هذه النظرية أن السلوك بما فيه تعاطي المخدرات هو نتيجة للتأثيرات المتبادلة بين الفرد وبيئته، والفرد هنا يعتبر عاملا نشطا يتأثر بالعوامل المعرفية والوجدانية والدافعية إضافة إلى تأثره بالبيئة، ومن شأن عملية التفاعل المستمر بينه وبين بيئته أن تؤثر في سلوكه ليكون على شاكلة معينة وضمن هذه النظرية يرى جيسور وجيسور(1977) Jessor & Jessor صاحب نظرية السلوك المشكل أن مشكلة تعاطي المخدرات ناتج عن ثلاثة أنظمة وهي الشخصية والبيئة المدركة والسلوك وفي كل نظام توجد خصائص تمثل ميلا للانحراف أو للسلوك المُشكل الذي يتسم بحالة من الاستمرارية غير أن أنماط السلوك المنحرف قد تختلف من مجتمع إلى آخر، ففي المجتمعات الأوروبية يعتبر احتساء الكحول مقبولا، ولكن الأمر يختلف في المجتمعات الإسلامية التي تُحرم شرب الخمور، وكذلك قد تكون هذه الأنماط السلوكية مقبولة في فئة عمرية معينة ولكنها مرفوضة في فئة عمرية أخرى، فتعاطي الكحول قد يكون مقبولا بين البالغين في المجتمعات الأوربية، ولكن ليس مقبولا بين المراهقين الصغار في ذات المجتمع(الشناوي وعبد الرحمن، 1998، ص441).

بناء عما سبق يمكن استنتاج أن التفسير الاجتماعي لظاهرة تعاطي المخدرات يعتمد على عدة مفاهيم أهمها: الثقافة، الضبط الاجتماعي، المعايير، القيم، الاغتراب، الأدوار، وفي الحقيقة كل هذه العوامل يمكن أن تتداخل فيما بينها لتشكل مجموعة عوامل تؤدي إلى تعاطي المخدرات، أو ظاهرة إنحرافية أخرى.

النموذج الشمولي (البيولوجي – السيكولوجي – الاجتماعي): بدلا من النظر إلى الإدمان واعتباره ناجما عن منظور واعتبار واحد؛ يستخدم الكثير من المتخصصين والأطباء هذا النموذج لتفهم واستيعاب أسباب المرض والتعبير عن نشأته ومعالجته والوقاية منه، فينظرون إلى تعاطي المخدرات بوصفه تركيبة بيولوجية وسيكولوجية واجتماعية – ثقافية تحمل هذا المتغير وتتضمنه ويضم هذا المنظور ويدمج في ثناياه جميع سمات وخصائص النظريات البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، وينسجم هذا النموذج مع النظرة الكلية للمدمن.

ويحدد الباحث سيديررSederer عددا من المآخذ على هذا النموذج هي:

-أن هذا النموذج لا يزودنا بطريقة لإنشاء هرمية تنظيمية للمسببات.

-أن قدرة إحدى الجينات أو المورثات على تعديل إدمان الكائن الحي ومغزاه ومعناه، قد يطغى ويغطي عملية البحث عن الأسباب.
-من الصعب متابعة مراحل العلاج باستخدام هذا النموذج.
-وبصرف النظر عن هذه الانتقادات، فإنّ هذا النّموذج واسع الانتشار.
-وتتعامل عملية القياس والتشخيص الطبي والتخطيط العلاجي والتدخل الطبي الإجرائي، ثم عملية التقويم مع المتغيرات البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية كافة.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة المكتبية إلقاء الضوء على أهم النظريات والنماذج المعاصرة التي سعى أصحابها إلى تفسير ظاهرة تعاطي المخدرات لدى الأفراد وعند مختلف الشعوب، فقد تعرضنا إلى العديد من النظريات والنماذج المعاصرة المفسرة لظاهرة التعاطي من خلال التطرق إلى الأسباب والأبعاد والآثار، وبناء عليه لاحظنا أن هناك عدد كبير من النظريات في هذا المجال من بينها النظرية البيولوجية التي فسرت التعاطي من منطلق وراثي بيولوجي، أي دور الوراثة في نشوء الاختلالات التعاطي وتطورها، فعلم الوراثة الجينية هو الذي كشف عن حقيقة التعاطي لدى بعض الأسر، وتم افتراض زيادة احتمالية الأفراد في أن يصبحوا متعاطين وذلك بسبب عوامل جينية، في حين نظرية التحليل النفسي اعتمدت في تفسيرها للظاهرة على أنها ظاهرة من الظواهر ذات صلة بشخصية الفرد أو باختلالاته الوجدانية أو العاطفية، حيث تفسر هذه النظرية ظاهرة التعاطي في ضوء الاضطرابات التي يتعرض لها الفرد في طفولته المبكرة وأن الإدمان نوع من الحاجة إلى الأمن وإلى إثبات الذات وكذلك إلى الإشباع الجنسي، إلى غير ذلك من النظريات إلا أن هناك في الأخير من حاول الاستفادة من جميع نقائص النظريات والنماذج المختلفة المفسرة لظاهرة التعاطي وهو النموذج الشمولي الذي اعتمد في تفسيره للظاهرة على جميع الجوانب: النفسية والبيولوجية والاجتماعية-الثقافية والمعرفية.

لقد انبثقت مختلف هذه النظريات والنماذج السالفة الذكر من نظريات قديمة لم يتم تناولها خلال هذه الدراسة رغم أهميتها وهذا يعود إلى صعوبة الإحاطة بجميع النظريات في مقام واحد ومن بين النظريات القديمة نذكر على سبيل المثال: النموذج الطبي والنموذج الأخلاقي والنموذج الشرعي، وتعد جميع هذه النظريات الأرضية الخصبة التي انطلقت منها النظريات المعاصرة قيد الدراسة.

علما أن تعدد النماذج والنظريات المفسرة لظاهرة تعاطي المخدرات يرجع إلى تعدد الأطر المرجعية التي ينطلق منها كل باحث والمرتبط أساسا بمجال التخصص.

ويعد هذا الثراء النظري التفسيري لتعاطي المخدرات ذا أهمية بالغة في تعزيز الممارسة العملية الوقائية والعلاجية عند القيام بالتكفل بفئة المتعاطين كما يمنحها الصبغة العلمية والواقعية ذلك كونها تعطي المتخصصين المتواجدين في مختلف المجالات وصفا سليما وجيدا لعملية تعاطي المخدرات والإدمان عليها، كما تحدد أسبابها بالإضافة إلى تحديد المهارات الضرورية، مما يساعدهم في التحكم في هذه الظاهرة.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد اللطيف(1992)، الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض.
2. آباد فيروز مجد الدين(1991)، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.
3. أرون بيك، مارك وليمار، جان سكوت(2002)، العلاج المعرفي والممارسة الإكلينيكية، دار النشر والتوزيع، رام الله.
4. أم السعود إبراهيم(2015)، الإدمان على المخدرات بين التحليل النفسي والاجتماعي، مجلة تطوير، ع12، جامعة الجلفة.
5. الحجار محمد حمدي(1992)، الإدمان على المخدرات والمؤثرات العقلية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريس، التقارير والإحصاءات، الرياض.
6. الحراشة حسن جلال(2012)، إدمان المخدرات والكحوليات وأساليب العلاج، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن.
7. الشناوي محروس محمد وعبد الرحمن محمد السيد(1998)، العلاج السلوكي الحديث: أسسه وتطبيقاته، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب، القاهرة، مصر.
8. الغريب عبد العزيز بن علي(2006)، ظاهرة العود للإدمان في المجتمع العربي، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية.
9. الهدية بن علي، بن عبد الرحمن أحمد(2008)، السياسية الجنائية لمكافحة وترويج المخدرات في نظم مجلس التعاون الخليجي (دراسة تأصيلية تحليلية تطبيقية مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، المملكة العربية السعودية.
10. دعيس محمد يسري إبراهيم(1994)، الإدمان بين التجريم و المرض، دراسة في أنثروبولوجيا الجريمة، وكالة البنا للنشر التوزيع، الإسكندرية، مصر.
11. رفعت محمد(1989)، إدمان المخدرات: أضرارها وعلاجها،ط3، دار المعرفة للنشر والطباعة، بيروت.
12. سويف مصطفى(2000)، مشكلة تعاطي المخدرات بنظرة علمية، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان.
13. قماز فريدة(2009)، عوامل الخطر والوقاية من تعاطي الشباب للمخدرات، رسالة ماجستير غير منشورة، تخصص علم الاجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة.
14. شابرول. ه(2001)، الإدمان في سن المراهقة، ترجمة فؤاد شاهين، دار عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
15. شلدون كاشدان(1984)، علم النفس الإكلينيكي، ترجمة عبد العزيز سلامة، ط2، دار الشروق، الأردن.
16. مشاقبة محمد أحمد(2007)، الإدمان على المخدرات-الإرشاد والعلاج النفسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
17. صادقي فاطمة(2014)، الآثار النفسية إلإدمان على المخدرات، مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، ع12، الجزائر.
18. عبد المنعم عفاف محمد(2007)، الإدمان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة. مصر.
19. عبد المنعم عفاف محمد(2003)، الإدمان: دراسة نفسية أسبابه ونتائجه، دار المعرفة الجامعية، مصر.
20. هلال محمد ناجي(1999)، الإدمان المخدرات: رؤية علمية اجتماعية، دار المعارف، القاهرة.
21. النابلسي، 2001، http://www.balagh.com/woman/nesa2a1en13t.htm
22. -الاتجاهات التفسيرية لجرائم المخدرات والنظريات المفسرة للجريمة

http://www.svu.edu.eg/arabic/links/camps/qena/art/reports/saidAwad/report

.23
24. McGrath and Scarpitti, F,.(1970), youth and Drugs ; Perspectives on a social problem Illinois ;Scott Forssmann and Company.
25. Rasmussen, S,. (2000), Addition Treatment: Theory and Practice, London. Sage Publication, INC**.**
26. http://www.webreview.dz /IMG/pdf/revue7-art2.pdf-
27. Chalout, Luis, thérapie comportementale et cognitive (TCC)- http://www.mag-psy.or
28. Hasem Guaguenh, Albert, Ellis Friends, Wet: A Rational Oasis Prospect Magazine. http://www.acofps.com/vb/archive/index.php

الكدر الزواجي لدى المتزوجين في ضوء بعض المتغيرات ـدراسة ميدانية بمدينتي الوادي و ورقلة ـ

Marital distress in view of some variables A field study in the cities of El-oued and Ouargla

أ. مهرية الأسود، جامعة الوادي – الجزائر
أ. نبيلة بريك، جامعة الوادي – الجزائر

ملخص: هدفت الدارسة إلى الكشف عن مستوى الكدر الزواجي لدى المتزوجين في ضوء متغيرات الجنس ومدة الزواج، تكونت عينة الدراسة من(130) زوجا من مدينتي ورقلة والوادي وباستخدام مقياس الكدر الزواجي لـــ نوبيات(2013)، دلت النتائج على أن نسبة ذوي الكدر الزواجي المنخفض بلغت(53.07%) مقابل(46.92 %) لذوي الكدر الزواجي المرتفع، وعدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس ووجود فروق دالة إحصائيا تبعا لمتغير مدة الزواج.

الكلمات المفتاحية: الكدر الزواجي، العلاقة الزوجية، الانفصال النفسي، الانفصال الصريح.

Abstract: This study aimed at revealing the level of marital distress among married couples in view of the variables of sex and the duration of marriage. The study sample consisted of (130) pairs of El oued , and Ouargla cities, using the marital disturbance index of Nouibat (2013) The results showed that the percentage of those with reduced marital distress was (53.07%) compared to (46.92) for those with high marital distress. There were no statistically significant differences in the level of the marital distress according to the gender variable. There were statistically significant differences according to the variable length of marriage.

Keywords: marital depression, marital relationship, psychological separation, and explicit separation

مقدمة:

تعد العلاقة الزوجية من أقدس العلاقات بين البشر فهي تمثل الرابط الشرعي والقانوني لتشكيل البناء الأسري، وهي أساس الاستقرار النفسي للإنسان في مرحلة الرشد الذي وصفه المولى عز وجل في محكم تنزيله "بالسكن النفسي"، مصدقا لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون"(سورة الروم، القرآن الكريم، الآية 21)، وباعتبار أن الزواج هو الخطوة الأولى في تكوين وربط علاقة ديناميكية قائمة على التقدير والاحترام المتبادل بين طرفي العلاقة الزوج والزوجة، لتحقيق هدف سامي يتمثل في بناء أسرة مستقرة التي تعد اللبنة الأولى، والخلية الأساسية لتشييد المجتمعات

المتوازنة فنجاح الزواج ما هو إلا نتاج تفاعل لطرفين نشأ في بيتين مختلفين في كثير من التفاصيل، إلا أنهما حققا الانسجام والمرونة في كثير من الجوانب النفسية والفكرية إما بالتفاضل أو التغافل بينهما مما يؤدي إلى التوافق الزواجي، غير أن هذه العلاقة قد تعتريها كثير من المشكلات التي تهدد الانسجام الزواجي وتعيق أحد أطرافها أو كلاهما على إشباع حاجاته وتحقيق أهدافه مما يؤدي إلى حالة من الإحباط واختلال في التفاعل الزواجي، وبالتالي عدم الرضا عن العلاقة الزوجية والكدر فتتحول هذه العلاقة إلى معاناة نفسية تفرغ الزواج من مضمونه الحقيقي ويسود نتيجة لذلك التنافر، والخواء والتأزم، والخلافات، والتفاعل السلبي والانفصال النفسي بين الزوجين والتأثير السلبي على الأبناء، فتصبح البيوت بذلك مجرد بيوت واهية يستحيل استمرار فيها نتيجة الكدر الزواجي، الأمر الذي قد يفضي إلى الانفصال الصريح مما يؤدي إلى تفكك البناء الأسري الذي أضحى يهدد التوازن الاجتماعي في الجزائر نظرا لارتفاعه بشكل مرعب، فحسب آخر الإحصائيات التي قدمها وزير العدل" الطيب لوح" أن المحاكم الجزائرية سجلت 68 الف حالة طلاق خلال سنة 2017 مقارنة بنحو 349 ألف حالة زواج ، إذ تمثل 20% من مجموع حالات الزواج المسجلة وهو ما اعتبره زلزال يهدد كيان الأسرة الجزائرية.

الإشكالية:

يعتبر الزواج من أقوى العلاقات الإنسانية التي يتم من خلالها تشكل النواة الرئيسية للمجتمع الإنساني" الأسرة"، وهو الركيزة الأساسية التي تقوم عليها هذه النواة في كل المجتمعات فهو يربط بين الرجل والمرأة في علاقة يشرعها ويبرر وجودها المجتمع.

لكن قد يعترض الكيان الأسري أحيانا عددا من المشكلات خلال مسيرة الزواج على إختلافها إقتصادية كانت أم اجتماعية، صحية، نفسية تخص أحد الزوجين أو كلاهما أو حتى أحد الأبناء مما يوثر على الجو الأسري وعلى علاقة الزوجين ببعضهما فتبرز الصراعات حاملة معها أنواع التذمر والشكوى والإتهامات المتبادلة ليصل الأمر إلى حالة من الكدر الزواجي، فيحل القلق والتوتر محل السكن والاستقرار، وتضعف العلاقة الزوجية ويحدث التنافر بين الأزواج.

وتتحول بذلك العلاقة الزوجية إلى معاناة نفسية تفرغ الزواج من مضمونه الحقيقي ويسود نتيجة لذلك الخواء والانفصال النفسي على البناء الأسري مما يزيد من تناقضهما فيما يخص الأهداف والقيم حيث ترى رشاد(1994) أن الملايين من الأزواج يستمرون في العيش معا بصورة فعلية قانونية ولكنهم في الوقت نفسه يكونون منفصلين عاطفيا فهم يعيشون في بيوت واهية يستمر إرتباط الزوجين فيها نتيجة أوهام ومساعي لمواجهة ضغوط اجتماعية أو دينية، أو إقتصادية أو قانونية وقد يستمر ذلك الإرتباط نتيجة لخوف الزوجين من التغيير الذي يمثله الطلاق أو الانفصال.

مما يؤثر على الألفة والتوافق بين الزوجين، حيث أكدت دراسة Waring & Patton (1984) أن هناك ارتباط بين نقص الألفة الزوجية والاكتئاب لدى (36%) من الأزواج الذين شملتهم الدراسة، كما توصلت نتائج دراسة طولية لــ Noriko & al (2003) التي أجريت على(325) أن هناك ضعف في مستوى الحب الزواجي مما أدى إلى ارتفاع مستوى الاكتئاب الزواجي لدى الأزواج.

ولا تقتصر آثار الكدر على الأزواج فحسب، بل تمتد لتطال حتى الأبناء والصحة النفسية الأسرية، حيث يؤكد نوبيات (2013) في هذا السياق أنه من الصعب حصر وتحديد الآثار الناجمة عن تكدر العلاقة الزواجية سواء على مستوى الأزواج أنفسهم أو على مستوى الأبناء فللكدر الزواجي انعكاسات ونتائج متشابكة ومتفاعلة مع بعضها البعض مما يجعله مشكلة أسرية ونفسية لها تبعات خطيرة على المدى البعيد.

كما أكدت العديد من الدراسات كدراسة (Snyder, and Abbott,2002;Yoroff, et al,1988. Kung 2000) (المشار اليها في القرني، 2007) إلى أن نسبة كبيرة من الأزواج المتكدرين يترددون على العيادات الطبية غير النفسية ويشكون من اضطرابات سيكوسوماتية (نفس جسمية) تعزى إلى الكدر الزواجي، وأن نحو أربعون بالمئة(40%) من المراجعين لعيادات الصحة النفسية كان الكدر الزواجي جزءًا من مشكلاتهم بالإضافة إلى أن نحو خمسون بالمئة(50 %)من الأزواج الذين يبحثون عن علاج كان بسبب معاناتهم من الكدر في حياتهم الزوجية، وأن نحو ثمانون بالمئة (80 %) من المشكلات النفسية والعاطفية للأطفال هي نتيجة للكدر الزواجي وبعدهم عن الوالدين مما يجعلهم عرضة للانحراف والتشرد(القرني محمد، 2007، ص6).

وهذا ما يبرز أهمية دراسة الكدر الزواجي وعليه جاءت هذه الدراسة لتكشف عن مستوى الكدر الزواجي لدى المتزوجين في ضوء بعض المتغيرات، انطلاقا من التساؤلات التالية:

-ما مستوى الكدر الزواجي لدى أفراد عينة الدراسة؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير مدة الزواج؟

فرضيات الدراسة:

-نتوقع مستوى مرتفع للكدر الزواجي لدى أفراد عينة الدراسة.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير مدة الزواج.

أهداف الدراسة: تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

-الكشف عن مستوى الكدر الزواجي لدى أفراد عينة الدراسة.

-الكشف عن الفروق في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس.

-الكشف عن الفروق في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير مدة الزواج.

أهمية الدراسة:تكمن أهمية الدراسة في الموضوع الذي ستتناوله بالدراسة والمتغيرات التي تدرسها والأهداف والإضافة العلمية التي تسعى إلى تحقيقها وعليه يمكن إبراز أهمية الدراسة في ما يلي:

-تتمثل أهمية هذه الدراسة كونها إضافة إلى التراث السيكولوجي، مما قد يثري المكتبة النفسية العربية.

-الإسهام في إعطاء فكرة عن مدى انتشار الكدر الزواجي في مدينتي الوادي وورقلة كنوع من المعاناة الذي يمكن أن يحدث خللا في بناء الأسرة واستقرارها في مجتمعنا.

-الإضافة التي ستحققها الدراسة من خلال إجراء مقارنة بين مستوى الكدر تبعا لمتغير الجنس ومدة الزواج مما يسمح بتغطية عينات مختلفة في البيئة الجزائرية.
-يمكن أن تسهم ما تتوصل إليه الدراسة من نتائج حول الكدر الزواجي كمشكلة الأمر الذي يستدعي التدخل الوقائي المناسب ووضع برامج إرشادية للتعامل معها ومحاولة تخفيفها.

حدود الدراسة: تحددت الدراسة الحالية بما يلي:

الحدود البشرية: تم إجراء الدراسة على عينة شملت(130) زوج من مدينتي ورقلة والوادي .

الحدود المكانية: تم التطبيق الميداني بالجنوب الشرقي للجزائر وبالتحديد بمدينتي ورقلة والوادي.

الحدود الزمنية: تحددت هذه الدراسة خلال شهري أفريل وماي 2018.

الحدود الموضوعية: تتحد الدراسة الحالية بموضوعها ومفاهيمها الإجرائية وإطارها النظري وبالمنهج المتبع والأدوات المستخدمة وخصائصها السيكومترية، والأساليب الإحصائية المستخدمة لإختبار صحة الفرضيات.

تحديد مصطلحات الدراسة:

الكدر الزواجي: هو المعاناة المرتبطة باضطراب العلاقة بين الزوجين، والذي يتبدى في تصورات وإدراكات سلبية ومشوهة عن العلاقة الزوجية، وعن شريك الحياة، و انفعالات سلبية وجفاء وانفصال عاطفي بين الزوجين، مع فشل في التواصل وعدم الاتفاق حول الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة وعدم الكفاءة في حل المشكلات(نويبات قدور، 2013، ص31).

ويعرف الكدر الزواجي إجرائيا في هذه الدراسة عن طريق الدرجة المرتفعة التي يحصل عليها أفراد العينة على مقياس الكدر الزواجي من إعداد الباحث نويبات (2013) والمستخدم في هذه الدراسة.

المتزوجون: هم كل رجل وامرأة يشكلون زوجين مدنيا وشرعيا، من مدينتي ورقلة والوادي، وتتراوح أعمارهم ما بين 18إلى 60 سنة، ومدة زواج من يوم واحد وإلى ما أكثر من 40 سنة.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

تعريف الكدر الزواجي: يعرف الإصدار الرابع من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية (DSM-4) الكدر الزواجي على أنه نمط من التفاعل المتبادل بين الزوجين يتميز بالاتصال السلبي(مثل الانتقادات)، أو التواصل المشوه أو عدم الاتصال على سبيل المثال الانسحاب، و يرتبط باضطراب إكلينيكي ملحوظ في الوظيفة النفسية للفرد أو العلاقة، يؤدي الى تطور الأعراض في أحد الزوجين أو كليهما، وهذه الأعراض تأخذ دلالتها عندما تسيطر على الحياة الزوجية من الناحيتين الأفكار الخاطئة، والحلول السلبية للمشكلات(APA، 2001، ص319).

ويعرفه نويبات(2013) بأنه المعاناة المرتبطة باضطراب العلاقة بين الزوجين، والذي يتبدى في تصورات و إدراكات سلبية ومشوهة عن العلاقة الزوجية، وعن شريك الحياة، وانفعالات سلبية وجفاء وانفصال عاطفي بين الزوجين، مع فشل في التواصل وعدم الاتفاق حول

الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، وعدم الكفاءة في حل المشكلات(نوبيات قدور، 2013، ص42).

بالإضافة إلى ما أشار إليه الدليل التشخيصي الخامس(DSM5) بأنه مشكل العلاقات مع ضعف الأداء في المجالات السلوكية والمعرفية، أو الوجدانية تشمل صعوبة حل الخلاف والانسحاب، والتوقعات السلبية لنوايا الطرف الآخر، أو تجاهل السلوكيات الإيجابية للشريك وكذا المشاكل العاطفية التي تشمل الحزن المزمن، واللامبالاة، أو الغضب من الشريك الآخر(الحمادي أنور، 2015، ص267).

ويصف كل من Jacobson,& Cordova المشار إليهما في(ديفيد بارلو، 2015، ص1146) الكدر الزواجي بأنه التواصل السيء والجدال المدمر الذي يؤدي بشخصين يحبان بعضهما البعض بشدة إلى أن يسبب كل منهما الألم والمعاناة للآخر، أكثر من الحب والمتعة بالإضافة إلى الألم النفسي الشديد.

وعليه ومما سبق يمكن القول أن الكدر الزواجي هي المعاناة الناتجة عن خلل في العلاقة الزوجية بين الزوجين وتظهر في الاتصال السلبي بين الطرفين مع ضعف الأداء السلوكي والمعرفي والوجداني، مع صعوبة الاتفاق على حل القضايا المتعلقة بالعلاقة الزوجية.

آثار الكدر الزواجي على الزوجين:

مما لاشك فيه أن للكدر الزواجي آثار على الأزواج الذين يواصلون الحياة معا، لأن" العلاقات الزواجية المتكدرة عادة ما تنتهي بالانفصال الصريح (الطلاق) فإن لم يكن ذلك فإنها تترك آثاراً عميقة قد لا تنمحي على مستوى الحياة النفسية للأزواج و الأبناء على حد السواء"(نوبيات قدور، 2013، ص65).

وقد أكد العديد من الباحثين أن الكدر الزواجي يؤدي الى آثار سلبية لكلا الزوجين، على المستوى النفسي والجسدي، على غرار ما أكدته حسين(2008) " بأن الكدر الزواجي يؤثر على مدى الانسجام والتعاطف والحب بين الزوجين وبالتالي هذا التأثير ينعكس على عدم الإشباع السليم للحاجات النفسية والاجتماعية للزوجين، فيتطور الكدر الزواجي بين الزوجين نتيجة للسلوكيات السلبية المتبادلة كالنقد واللوم والخصام حيث يكون الزوجان المتكدران غير قادرين على التعبير عن مشاعرهما وأفكارهما وينتج عن ذلك ضعف التواصل وتصاعد الصراع وفشل سلوك حل المشكلة والانسحاب، وكذلك يؤثر على أنماط التفكير لديهما ويفسران الأحداث والمواقف بطريقة خاطئة"(حسين سعيد، 2008، ص17).

بالإضافة إلى ما يراه كل من (Gottman, and Krokoff, 1998) المشار إليهما في القرني(2007) أن الكدر الزواجي يجعل الزوجين عرضة للإحباط والانسحاب وضعف الكفاءة الاجتماعية والمشكلات الصحية والعاطفية والسلوكية، كما أنهم يعانون من ضعف شديد في مهارات التواصل اللفظية وغير اللفظية، وحل المشكلات، والتعبير عن الذات، والتبادل السلبي ونمو مشاعر الغضب، وتحطيم العلاقة الزوجية(القرني محمد، 2007، ص5).

كما يرى كل من Jacobson,& Cordova المشار إليهما في(ديفيد بارلو، 2015، ص1146) أن الأفراد الذين لديهم علاقات متكدرة يصبحون أكثر حساسية للتعرض لكثير من الاضطرابات النفسية والجسمية.

ويضيفا أن الازواج المتكدرين يشبهون المكتئبون في أن لديهم ميل للتركيز بشدة على الجوانب السلبية في سلوك شركائهم، وأن أي إشارة غير حساسة أو فعل غير مقصود يصبح دليلا على جميع الأشياء الخطأ في علاقتهما، والسلوك السلبي قد يكون خاضعا لسيطرة مشاعر الأذى، ومشاعر عدم الأمان. (ديفيد بارلو، 2015، ص 1179).

مما سبق يمكن القول أن للكدر الزواجي آثار سلبية تنعكس على الحياة الزوجية بل وحتى الصحة النفسية للأسرة عند ما تمتد آثار الكدر لتطال حتى الأبناء، فتصبح الحياة الزوجية والأسرية تخيم عليها السلبية، والإحباط، واللامبالاة، وضعف الكفاءة في إدارة الحياة الزوجية لكلا الطرفين.

الدراسات السابقة:

دراسة حسين(2008): هدفت الى الكشف عن علاقة الكدر الزواجى ببعض سمات الشخصية وبعض المتغيرات الديمغرافية تحديدا (العمر- الفارق العمري- طول فترة الزواج - والمستوى التعليمي للزوجين) لدى المتزوجين بمحلية كررى بالسودان وتمثلت عينة الدراسة في(332) زوج وزوجة واستخدمت مقياس الكدر الزواجى من إعداد الباحثة، ومقياس الخرطوم لسمات الشخصية وقد بينت النتائج بأن الكدر الزواجى يسود في مجتمع البحث بدرجة منخفضة ووجود علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا بين الكدر الزواجي مع متغير مدة الزواج.

دراسة شعبان(2013): هدفت إلى الكشف عن الكدر الزواجي وعلاقته باتخاذ الزوجة لقراراتها الأسرية، وتأثير المتغيرات التالية: تعليم الزوجين- عمر الزوجين- مهنة الزوجين- مدة الزواج الدخل الشهري للأسرة، تكونت عينة الدراسة من(322) زوجة، وباستخدام استبيان الكدر الزواجي واستبيان القرارات الأسرية للباحثة، دلّت النتائج على وجود فروق دالة إحصائيا بين الكدر الزواجي وجميع متغيرات الدراسة بما فيها مدة الزواج.

دراسة نويبات(2013): هدفت إلى الكشف عن الكدر الزواجي من حيث علاقته بكل من الصحة النفسية والرضا عن الحياة، في ظل بعض العوامل السوسيو ديمغرافية التالية: الجنس- نوع الإقامة- السن- عدد الأبناء- مدة الزواج- مستوى الدخل- المؤهل العلمي لدى المتزوجين بمدينة ورقلة بالجزائر، تكونت عينة الدراسة من (570) متزوجا ومتزوجة، وباستخدام مقياس الكدر الزواجي، ومقياس الصحة النفسية، ومقياس الرضا عن الحياة للباحث، دلّت النتائج على أن أفراد العينة يعانون من الكدر الزواجي مرتف حيث بلغ نسبة(% 52)، وهي نسبة أعلى من أفراد العينة منخفضي الكدر الزواجي(89.47%).

دراسة جعفر(2015): هدفت إلى الكشف عن العلاقة بين الغيرة والكدر الزواجي والعلاقة التنبؤية بين منبأ الغيرة في المحك للكدر الزواجي، تكونت عينة الدراسة من (300) زوج من طلبة الجامعة المستنصرة بالعراق وباستخدام مقياس الغيرة، ومقياس الدر الزواجي للباحثة، دلّت النتائج على وجود مستوى مرتفع للكدر الزواجي والغيرة، وأن متغير الغيرة ينتج الكدر

الزواجي، ووجود تجمع بين منبآت الغيرة المتمثلة وهي قلق الانفصال، والحساسية المفرطة، تنبأت بصورة مختلفة لكل عامل من عوامل الكدر الزواجي الخمسة وهي: التبادل السلبي، ضعف التناغم العاطفي، والانسحاب، واللامبالاة، وضعف المؤازرة والمعاملة السيئة.

نلاحظ مما سبق أن الدراسات السابقة تشابهت في دراسة الكدر الزواجي، باتباع المنهج الارتباطي، من خلال البحث في العلاقة الارتباطية بين الكدر الزواجي ومتغيرات مختلفة كالسمات الشخصية في دراسة حسين، والصحة النفسية والرضا عن الحياة في دراسة نويبات ومتغير اتخاذ القرار في دراسة شعبان، ومتغير الغيرة في دراسة جعفر الارتباطية التنبؤية، كما أن هذه الدراسات حاولت توظيف بعض المتغيرات الديمغرافية كالسن، ومدة الزواج، والمستوى التعليمي، وعدد الأبناء، ومهنة الزوجين ومستوى الدخل للأسرة، وقد أجريت هذه الدراسات على عينات كبيرة من الأزواج تتراوح بين(570-300) ماعدا دراسة شعبان التي اقتصرت على عينة من الزوجات، كما شملت بيئات عربية مختلفة منها السودان، ومصر، والجزائر، والعراق، ودلّت نتائج هذه الدراسات على أن مستوى الكدر الزواجي مرتفع لدى الأزواج ماعدا في دراسة حسين(2008) كانت نسبة الكدر منخفضة.

وتحاول الدراسة الحالية تناول الكدر الزواجي بطريقة تختلف عن الدراسات السابقة باعتماد المنهج الوصفي بأسلوبه الاستكشافي، حيث تهدف إلى الكشف عن مستوى الكدر الزواجي في ضوء متغيري الجنس ومدة الزواج.

وقد استفادت الباحثتين من الدراسات السابقة في:

-ضبط المتغيرات التصنيفية للدراسة الحالية(الجنس- مدة الزواج) وهما متغيرين تم تناولها في معظم الدراسات.

-اعتماد مقياس الكدر الزواجي المقنن لـــ نويبات، كما تم تبني نتائج خصائصه السيكومترية باعتباره مقياس مقنن حديثا على عينة مشابهة لعينة الدراسة الحالية.

-توظيف نتائجها في تفسير نتائج الدراسة الحالية باعتبار أن العينات تنتمي إلى بيئة عربية متقاربة خاصة دراسة نويبات التي طبقت في مدينة ورقلة التي شملتها الدراسة الحالية.

إجراءات الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: بما أن موضوع الدراسة الحالية يهدف إلى الكشف عن مستوى الكدر الزواجي والكشف عن الفروق في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغيرات المدينة والجنس ومدة الزواج فإن المنهج الأنسب للدراسة الحالية هو المنهج الوصفي بأسلوبه الاستكشافي.

مجتمع وعينة الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من الأزواج بمدينتي الوادي و ورقلة وقد تم اختيار عينة مكونة من (130) زوج تم اختيارهم بطريقة العينة الميسرة (Convenience Sampling) ويقصد بها العينة التي يختارها الباحث لأنها الأكثر يسرا في الاستخدام والمتاحة له بالفعل، بحيث يركز الباحث على خصائص العينة، ويفصلها حتى يتيح الفرصة لأي عينة أخرى مماثلة في هذه الخصائص، أو لأي " أصل " افتراضي يمكن أن تتوافر فيه هذه الخصائص وأيضا أن تعمم نتائج مثل هذه الأبحاث عليه، وفي هذا يكمن جوهر مفهوم حدود البحث، أي

حدود تعميم النتائج من العينات التي لا تتسم بالعشوائية حيث يكون التعميم من النوع التحولي من الجزء إلى الجزء وليس استقرائيا من الجزء إلى الكل(أبو حطب فؤاد، 2010، ص85).

خصائص عينة الدراسة:

الجدول التالي يوضح توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة:

جدول(01): توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

المتغيرات التصنيفية	متغير الجنس		متغير مدة الزواج	
	ذكور	إناث	أقل من5	أكثرمن5
	130	130	71زوج	59 زوج
المجموع	فرد/130 زوج			

يوضح جدول(01) توزيع عينة الدراسة وفق متغيرات الدراسة، حيث نلاحظ أن العينة تتوزع وفق متغير الجنس بنسبة(50%) للذكور و(50%) للإناث، كما تتوزع وفق متغير مدة الزواج بنسبة(54%) بالنسبة لمدة الزواج الأقل من(5سنوات) وبنسبة(45%) بالنسبة لمدة الزواج الأكثر من(5سنوات).

أداة الدراسة: تمثلت أداة الدراسة في مقياس الكدر الزواجي لنويبات(2013) الذي يتكون من (45) فقرة ذات اتجاهين ايجابي وسلبي موزعة على ثلاثة أبعاد(3) وهي بعد طبيعة البنية المعرفية للعلاقة بين الزوجين يتكون من خمسة عشرة(15) فقرة، وبعد طبيعة العلاقة العاطفية بين الزوجين يتكون من أربعة عشرة(14) فقرة، وبعد التواصل والتفاعل بين الزوجين يتكون من ستة عشرة(16) فقرة بحيث يتم تصحيحها بإعطاء من بين بدائل الإجابة وفق سلم ليكرت الخماسي.

تصنيف مستويات مقياس الكدر الزواجي: تم تصنيف مستوى الكدر الزواجي إلى مستويين (منخفض- مرتفع) وفق الدرجات التي يحصل عليها المفحوص كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول(02): تصنيف مستويات مقياس الكدر الزواجي

مستوى منخفض	مستوى مرتفع
من45إلى135	من135 إلى 225

يوضح الجدول أعلاه تصنيف مستويات الكدر الزواجي، حيث يعتبر الكدر الزواجي في المستوى المنخفض بحصول المفحوص على الدرجات من (45إلى 135)، وترتفع نسبة الكدر الزواجي ابتداء من الدرجات(135 إلى225).

الخصائص السيكومترية لمقياس الكدر الزواجي: تم التأكد من الخصائص السيكومترية من طرف صاحب المقياس نويبات(2013) باعتماد عدة طرق وهي:

صدق المقياس:

المقارنة الطرفية: تم تطبيق المقياس على عينة مكونة من (42فردا) ودلت النتائج على أن للمقياس قدرة تمييزية حيث بلغت قيمة "ت" (8.01) عند مستوى الدلالة (0.01).

الصدق التلازمي: من النوع التباعدي، بحيث يقيس المحك خاصية معاكسة تماما للمفهوم المراد قياسه ويكون الاختبار صادقا إذا ارتبط عكسيا بالمحك، والمحك المعتمد هو مقياس الرضا الزواجي "لــــولتر هيوسن" المترجم من قبل بالميهوب كلثوم؛ حيث بلغ معامل الارتباط(-0.68) مما يدل على وجود علاقة عكسية.

الصدق الذاتي: وهو الصدق المستخرج من معامل الثبات وذلك بحساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات بوصفه معاملا لصدقه كما يرى معمرية(2007)، وبما أن معامل ثبات مقياس الكدر الزواجي يساوي(0.95) فإن صدقه الذاتي يساوي(0.97).

ثبات المقياس:

التجزئة النصفية: بعد معالجة البيانات بطريقة التجزئة النصفية دلت النتائج على أن قيمة "ر" بلغت(0.91) وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01).

الاتساق الداخلي: تم حساب ثبات المقياس بطريقة الاتساق الداخلي بحساب معامل ألفا كرونباخ وكانت النتيجة دالة عند مستوى الدلالة (0.01) حيث بلغت (0.95).

الأساليب الإحصائية: للإجابة على تساؤلات الدراسة والتحقق من فرضياتها تم تحليل ومعالجة البيانات إحصائيا باستخدام الحزمة الإحصائية(spss23) من خلال استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

حساب التكرارات والنسب المئوية: لحساب مستوى الكدر الزواجي لدى عينة الدراسة.

المتوسط الحسابي: لحساب متوسط الدرجات في الكدر الزواجي لدى عينة الدراسة.

اختبار "ت" لعينتين مستقلتين: لحساب دلالة الفروق بين متوسطات مستوى الكدر الزواجي في ضوء متغيرات الجنس ومدة الزواج.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: تنص الفرضية الأولى على ما يلي: " نتوقع مستوى مرتفع للكدر الزواجي لدى عينة الدراسة"، وللتحقق من الفرضية قمنا بتحديد ذوي الكدر الزواجي المرتفع وذوي الكدر الزواجي المنخفض وتم توزيع أفراد العينة تبعا لدرجاتهم في الكدر الزواجي إلى المستويين كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول (03): يوضح نسبة أفراد العينة الذين يعانون من الكدر الزواجي (منخفض– مرتفع)

المؤشرات الاحصائية / المتغيرات	عدد الأزواج	النسبة %
المتزوجون ذوي الكدر الزواجي المنخفض	69 زوج	%53.07
المتزوجون ذوي الكدر الزواجي المرتفع	61 زوج	%46.92

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة الذين لديهم كدرا زواجيا منخفضا قدرت بـ (53.07%) ونسبة الذين لديهم كدرا زواجيا مرتفعا قدرت بـ (46.92 %) وبناء على النتائج الموضحة في الجدول السابق فإن نسبة المتزوجين ذوي الكدر الزواجي المنخفض هي الأكبر وبالتالي عدم تحقق الفرضية الأولى للدراسة، وهذا ما يتفق مع دراسة حسين(2008) التي توصلت إلى أن الكدر الزواجي يسود لدى مجتمع البحث بدرجة منخفضة، كما يختلف مع ما توصلت إليه دراسة كل من نويبات(2013) حيث قدرت نسبة أفراد العينة الذين يعانون من الكدر الزواجي المرتفع(% 52) وهي نسبة أعلى من أفراد العينة منخفضي الكدر الزواجي(89.47%) ودراسة جعفر(2015) التي توصلت إلى وجود مستوى عال من الكدر الزواجي لدى عينة الدراسة.

ويمكن تفسير نتيجة الفرضية إلى أن عينة الدراسة تنتمي إلى بيئة اجتماعية وثقافية ودينية تقدس رباط الزواج لدرجة تصل إلى تماهي العلاقة المثالية بينما الواقع يعكس علاقة زوجية واهية كما ترى رشاد(2004) أن الملايين من الأزواج يستمرون في العيش معا بصورة فعلية قانونية ولكنهم في الوقت نفسه يكونون منفصلين عاطفيا فهم يعيشون في بيوت واهية وقد يستمر الزواج نتيجة أوهام ومساعي لمواجهة ضغوط اجتماعية أو دينية، أو اقتصادية أو قانونية ويظهر ذلك جليا في التناقض الذي عايشته الباحثتين أثناء التطبيق مع عينة الدراسة بين الشكوى المبالغ فيها لتكدر العلاقة الزوجية وبين البيانات الفعلية المصرح بها وكأن الأزواج يجاملون بعضهم من خلال استجاباتهم على مقياس الكدر الزواجي، وربما خشية اطلاع الطرف الآخر على استجابته فيفضل مساحة الحياد أو المجاملة وهذا نتيجة لقيود القيم الاجتماعية التي رسخت لفكرة النجاح رغم الفشل وهو ما ينبأ بمشكلة أخطر وأكثر تعقيدا كون المشكلة موجودة ونحاول التغاضي عنها وطمسها لأن الاعتراف بوجود مشكلة والبحث عن حلول لها من خلال الاستشارة الأسرية يسمح للمختصين بتبني استراتيجيات ارشادية وقائية بدل الاضطرار الى تبني تدخلات علاجية، كما قد يرجع أيضا إلى حجم العينة المعتمدة في الدراسة.

عرض ومناقشة نتائج الفرضية الثانية: تنص الفرضية الثانية على ما يلي: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس"، ولاختبار الفرضية تم حساب الفروق باستخدام اختبار **"ت"** لعينتين ستقلتين والجدول التالي يوضح نتائج الدلالة الإحصائية لاختبار "ت" لدلالة الفروق تبعا الجنس.

جدول(04): نتائج الدلالة الإحصائية لاختبار "ت" لدلالة الفروق تبعا لمتغير الجنس.

الجنس	N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	Sig
ذكور	130	83.18	24.62	0,44	غير دالة عند 0.05
إناث	130	81.92	20.82		

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن المتوسط الحسابي للذكور قدر بـ (83.18) وبانحراف معياري قدره (24.62)، أما المتوسط الحسابي للإناث فقدر بـــ (81.92) وبانحراف معياري قدره(20.82)، كما بلغت قيمة " ت" المحسوبة (0.44) وهي أقل من قيمة "ت" المجدولة

(1.96) وغير دالة عند مستوى الدلالة(0.05) وهذا يعني عدم وجود فروق، وعليه نرفض الفرضية البحثية ونقبل بالصفرية التي تنص على" لا توجد فروق في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس" وهذا ما يتفق مع ما توصلت إليه دراسة العبيدي(2015) التي هدفت إلى التعرف على الطلاق العاطفي لدى طلبة الجامعة المتزوجون فضلا عن التعرف على الفروق في الطلاق العاطفي لدى الطلبة وفق متغير الجنس(ذكور/اناث) تكونت عينة البحث من(451) طالبا وطالب(من الطلبة المتزوجون)، وكشفت نتائج البحث أن طلبة الجامعة يعانون من الطلاق العاطفي بينما لم تظهر النتائج وجود فروق في الطلاق العاطفي بين الجنسين، وقد يعود ذلك إلى أن الكدر الزواجي لا يقتصر على الجنس فكلاهما الذكر والانثى يتأثر ويؤثر بالآخر وما يشعر به أحدهما ويترجمه إلى سلوك ينعكس سلبا أو إيجابا على الطرف الآخر.

عرض نتائج وتفسير الفرضية الثالثة: تنص الفرضية الثالثة على ما يلي: " توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير مدة الزواج، ولاختبار الفرضية تم حساب الفروق باستخدام اختبار **"ت"** لعينتين مستقلتين والجدول التالي يوضح نتائج الدلالة الإحصائية لاختبار "ت" لدلالة الفروق تبعا مدة الزواج.

جدول(05): نتائج الدلالة الإحصائية لاختبار "ت" لدلالة الفروق تبعا لمتغير مدة الزواج

مدة الزواج	N	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	T	Sig
أقل من 5 سنوات	71زوج	38.29	17.24	4.83	دالة عند 0.01
أكثر من 5سنوات	59 زوج	44.86	26.34		

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن المتوسط الحسابي للمتزوجين الذين تقل مدة زواجهم عن الخمس(5) سنوات قدر بـ (38.29) وبانحراف معياري قدره (17.24)، أما المتوسط الحسابي للمتزوجين الذين تزيد مدة زواجهم عن خمس(5) سنوات فقدر بـ (44.86) وبانحراف معياري قدره (26.34)، كما بلغت قيمة" ت" المحسوبة (4.83) وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة (0,01) وعليه فإنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين لصالح الأزواج الذين تزيد مدة زواجهم عن الخمس سنوات، وهذه النتائج تؤكد صحة الفرضية وهذا ما يتفق مع ما توصلت إليه دراسة كل من شعبان(2013)، ونويبات(2013) وجعفر(2015) من وجود فروق في مستوى الكدر تعزى لمدة الزواج ولصالح الفئة الأكثر من خمس(5)سنوات، ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن العلاقة الزوجية كلما طالت مدتها يعتريها الفتور والملل وعدم الرضا عن الحياة الزوجية نتيجة لتعقد الحياة الزوجية وما يترتب عنها من أعباء ومسؤوليات نتيجة تعدد الأدوار داخل الأسرة من دور الزوج إلى الأبوة والأمومة وتتعدد وتتعقد معها الأهداف والتطلعات مع زيادة عدد الأبناء، كما يدخل الأزواج بعد هذه المدة إلى مرحلة من المقارنات والموازنة بين ما حققته العلاقة لكلا الطرفين وبين الإنتظارات التي كان يتوقعها كلا الطرفين.

خلاصة

انطلقت الدراسة الحالية من استقراء الباحثتين لمشكلة الكدر الزواجي في الواقع الاجتماعي وارتفاع معدل التذمر والملل والشكوى لدى الأزواج، لذلك هدفت الدراسة إلى الكشف عن مستوى الكدر الزواجي في ضوء متغيرات الجنس ومدة الزواج لدى عينة من مدينتي الوادي وورقلة وقد أسفرت النتائج على أن نسبة ذوي الكدر الزواجي المنخفض أعلى نسبة من ذوي الكدر الزواجي المرتفع، مع عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الكدر الزواجي تبعا لمتغير الجنس ووجود فروق دالة احصائيا تبعا لمتغير مدة الزواج.

وبناء على ما تقدم تبرز أهمية الكدر الزواجي وما يترتب عليه آثار عميقة قد لا تنمحي على مستوى الحياة النفسية للأزواج و الأبناء على حد السواء، كما تبرز أهمية ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ، مما يستدعي ضرورة لفت انتباه المختصين في الاستشارات الأسرية لضرورة توفير خدمات إرشادية متخصصة من خلال اقتراح دورات تدريبية وبرامج إرشادية، تساعد الأزواج على تجاوز الصعوبات التي تحول دون توافق الأزواج خاصة بعد مضي(5سنوات) على العلاقة الزوجية لأنهم أكثر عرضة للكدر الزواجي، وعليه يمكن الخروج بجملة من التوصيات والاقتراحات:

-إسهام نتائج الدراسة الحالية في توجيه المهتمين والمختصين في الاستشارات والإرشاد الأسري لبذل مزيد من الجهد للاهتمام بمشكلات الأزواج والكشف عن كل ما يعكر صفو العلاقة الزوجية.

-حث المختصين والبرامج الإعلامية المتخصصة بالشؤون الأسرية على تشجيع الحوار الأسري وتعزيزه.

-إجراء دراسات مماثلة للدراسة الحالية على عينات أوسع.

-إجراء دراسات ميدانية للكشف عن مستوى الرضا الزواجي ومن ثمة الكشف عن العلاقة العكسية بين الكدر الزواجي والرضا الزواجي.

-حث المؤسسات التعليمية والتربوية ووسائل الإعلام على عقد دورات تدريبية وتثقيفية عن الزواج والحياة الزوجية السعيدة، وما يعكر صفوها.

-إنشاء مؤسسات تقوم على تدريب المقبلين على الزواج من الجنسين لتهيئتهم للحياة الزوجية وأن تكون إلزامية قبل عقد القران لتوعية الزوجين بمتطلبات العشرة الزوجية.

-الاهتمام بتطوير البرامج الوقائية والإرشادية للتعامل مع المشكلات الزواجية ومحاولة تخفيفها.

قائمة المراجع:

1.القرآن الكريم.

2.أبو حطب فؤاد، صادق آمال(2010)، مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي، الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر.

3.جعفر موسى يسرى(2015)، العلاقة بين الغيرة والكدر الزواجي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المستنصرية، العراق.

4.جمعية الطب العقلي الأمريكية (APA)(2001)، الدليل التشخيصي والإحصائي الرابع للاضطرابات النفسية(DSM IV)، ترجمة أمينة السماك وعادل مصطفى، مكتبة المزار الإسلامية، الكويت.

5.حسين سعيد خديجة(2008)، الكدر الزواجي وعلاقته ببعض سمات الشخصية لدى المتزوجين بمحلية كررى، رسالة ماجستير في علم النفس العلاجي، جامعة الخرطوم، السودان.

6.حمادي أنور(2015)، خلاصة الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس للاضطرابات العقلية DSM5 ، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.
7.الحياني عثمان (2018)، 68 ألف حالة طلاق في الجزائر، موقع جريدة العربي الجديد https://www.alaraby.co.uk.
8.ديفيد بارلو(2015)، مرجع إكلينيكي في الاضطرابات النفسية، ترجمة صفوت فرج، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
9.رشاد منى(1994)، صورة الرجل كسلطة وعلاقتها بالتوافق الزواجي، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس، مصر.
10.سالم عيسى بدر(2009) دليل الباحث في اختبار الفرضيات.، دار الفكر، الأردن.
11.سمكري ياسين أزهار(2016)، الرضا الزواجي وأثره على بعض جوانب الصحة النفسية في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية والاجتماعية لدى عينة من المتزوجات في منطقة مكة المكرمة، دراسات عربية في التربية وعلم النفس(ASEP)،(75)،277-280.
12.شعبان أحمد إيمان(2013)، الكدر الزواجي وعلاقته باتخاذ الزوجة لقرارتها الأسرية، كلية التربية النوعية، جامعة بنها مصر، https://www.researchgate.net.
13.العبيدي عفراء(2015)، الطلاق العاطفي في ضوء بعض المتغيرات لدى الطلبة المتزوجين في جامعة بغداد، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد(13-14) ، 23- 40، جامعة بغداد، العراق.
14.القرني محمد(2007)، تصميم برنامج علاجي معرفي سلوكي لتخفيف مستوى الكدر الزواجي وقياس فاعليته، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
15.معمرية بشير(2007)، القياس النفسي وتصميم الأدوات للطلبة والباحثيين في علم النفس وعلوم التربية، منشورات الخبر، الجزائر.
16.نويبات قدور(2012)، العلاقة الزوجية المتكدرة وآثارها على الصحة النفسية للزوجين والأبناء. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،(8)، جوان 2012-233، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
17.نويبات قدور(2013)، علاقة الكدر الزواجي بكل من الصحة النفسية والرضا عن الحياة لدى عينة من المتزوجين دراسة ميدانية بمدينة ورقلة، رسالة دكتوراه منشورة جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.
18.Marital Conflict(2008), Depressive Symptoms, and Functiona Impairment ,Journals PMC,70(2): 377–390.
19.Noriko, O & al .(2003). Marital love and marital depression : A longitudinal study, The Journal of personality,11,61-69.
20.Waring, E & Patton, D.(1984). Marital Intimacy and Depression, the British Journal of Psychiatry, 154(6), 641-644.

الآثار الاجتماعية لتعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري(دراسة سوسيولوجية).

Sociological Study).(Social Effects of Polygamy in Algerian society

د.لغرس سوهيلة، جامعة معسكر –الجزائر

ملخص: لقد وجدت ظاهرة تعدد الزوجات قبل ظهور الإسلام في العديد من الحضارات والأديان، كل ما فعله الإسلام هو تقييده (الزواج) وجعله أكثر تنظيما وحضارة. وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مساوئ ومحاسن ظاهرة تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري، مما أدى الأمر إلى طرح التساؤل التالي:

ما هي الآثار الاجتماعية التي تخلفها ظاهرة تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري؟

ولقد أسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:

يؤدي تعدد الزوجات إلى العديد من المشاكل في الحياة الأسرية وكذلك إلى انخفاض التحصيل الدراسي للأطفال.

يؤدي تعدد الزوجات إلى تجنب الزنا وكذلك يمثل حلا لمشكلة العنوسة.

الكلمات المفتاحية: تعدد الزوجات، المشاكل الاجتماعية، الآثار، الأسرة، المجتمع.

Abstract: polygamy existed before the advent of Islam among several civilizations and religions. All that Islam has done is restricted it and make more organized and civilized. This study aims to identify the disadvantages and advantages of polygamy in Algerian society. This led to the following question:

What are the social effects of polygamy in Algerian society?

The study found the following results:

Polygamy leads to many problems in family life and to low acadimic achievement for children.

Polygamy lead To avoid adultery, also had provided a solution to the problem of spinsterhood.

Keywords: Polygamy, social problem, effects, family, society.

مقدمة:

يعتبر موضوع تعدد الزوجات من المواضيع المحورية التي نالت اهتمام العديد من الباحثين والباحثات في مختلف التخصصات الاجتماعية منها، الدينية، الأنثروبولوجية، النفسية والقانونية، بحيث تم دراستها من مختلف الجوانب أي دراسة أسبابها والآثار التي تخلفها على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي.

ومن هذه الدراسات المتنوعة نذكر ما يلي:

دراسة للدكتور عبد الكريم علي مصطفى المعنونة ب"تعدد الزوجات في المجتمع الليبي-دراسة وصفية تحليلية على عينة من متعددي الزوجات بمدينة البيضاء" الذي يعتبر فيها "أن موضوع تعدد الزوجات من المواضيع الهامة بالنسبة للمجتمع والذي يسعى جاهدا لإيضاح أسباب تعدد الزوجات داخل المجتمع لتحقيق السعادة والرفاهية داخل الأسرة، وتهدف الدراسة للإجابة على التساؤلات التالية:

هل هناك علاقة بين العمر والاتجاه نحو تعدد الزوجات.

هل هناك علاقة بين العامل الاقتصادي وتعدد الزوجات.

هل هناك علاقة بين المستوى التعليمي وتعدد الزوجات.

ما هي أكثر أشكال التعدد الزواجي انتشارا؟.

ما هي نسبة التعدد إلى مجموع المتزوجين بشكل عام؟(عبد الكريم علي مصطفى، 2011، ص2-3).

أما البناء المنهجي للدراسة فارتكز على ما يلي:"الاعتماد على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي واستخدام تقنية المقابلة المباشرة.

أما عينة الدراسة فطبقت على 30 رجل متعددين الزواج وكان اختيارها(العينة) اختيارا عشوائيا، ولقد كانت الدراسة الميدانية خلال عام 2011 تحديدا في شهر مايو بمدينة البيضاء(عبد الكريم علي مصطفى، 2011، ص13-14).

ومن خلال هذه الدراسة الميدانية توصل الباحث إلى مجموعة من الإستخلاصات نذكر منها ما يلي:

"-أنه كلما تقدم العمر كلما زاد الاتجاه نحو التعدد.

-أنه لا توجد علاقة بين ارتفاع مستوى الدخل والاتجاه نحو التعدد.

-أن توفر المسكن ليس عاملا مهما ودافعا لتعدد الزوجات.

-المستوى التعليمي بحسب أفراد العينة مرتفعا كان أو منخفضا ليس له علاقة بالاتجاه نحو التعدد.

-إن أكثر أشكال التعدد انتشارا هو التعدد الثنائي.

-إن نسبة متعددي الزوجات في مدينة البيضاء لا تشكل نسبة مرتفعة وخصوصا في السنوات الأخيرة(عبد الكريم علي مصطفى، 2011، ص19).

وكذلك دراسة تومي الخنساء وعدائكة سامية المعنونة ب "تعدد الزوجات وتأثيره على الاتصال بين الأفراد داخل الأسرة الجزائرية -من وجهة نظر الزوجة الأولى" والتي فيها تطرقتا الباحثتان إلى ظاهرة تعدد الزوجات وتأثيره على العملية الاتصالية، وفيها طرحتا الإشكالية

التالية: هل ميكانزمات الاتصال بين الزوجة الأولى وزوجها تبقى كما هي بحضور الزوجة الثانية ؟

هل الاتصال بين الوالد وأولاده تتغير أم تخضع لقيود من شأنها تعكر صفو الحياة الأسرية وعملية التواصل تنقطع تماما أم تبقى شكلية؟

ولقد تضمنت الدراسة المفاهيم التالية: تعدد الزوجات، الاتصال، الأسرة، الأسرة الجزائرية، والعلاقات الاجتماعية، ولقد أجريت الدراسة بمدينة الوادي بين شهري نوفمبر وجانفي.

ولقد طبقت الدراسة على عينة قدرها 10 زوجات أزواجهم معددي الزوجات.

أما المنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج الوصفي، وفيما يخص الأدوات لجمع المعطيات فتتلخص في تقنية الملاحظة والمقابلة الموجهة"(تومي الخنساء وعدائكة سامية، 2013، ص1-8).

وفي الأخير كانت نتائج الدراسة كالآتي:

"-ميكانيزمات الاتصال بين الزوجة الأولى وزوجها تقل بحضور الزوجة الثانية.

-الاتصال بين الوالد وأولاده يتغير ويخضع لقيود من شأنها تعكر صفو الحياة الأسرية، وعملية التواصل لا تنقطع تماما إنما تبقى شكلية.

-وجود خلل كبير في الاتصال بين الزوجة وزوجها وبين الزوج وبين أولاده نتيجة وجود زوجة أخرى في حياته(الزوج)، وهذا ما أقرته كل الزوجات مهما كانت الزوجة متعلمة أو أمية ماكثة بالبيت أو عاملة لا تتقبل بتاتا زواج زوجها عليها، وترد كل الخلافات والمشاكل الواقعة إلى ظهور الزوجة الثانية وكأنه لم يكن هناك أي مشكل من قبل.

-إن تعدد الزوجات داخل الأسرة يؤثر على العملية الاتصالية وعلاقات الأفراد فيما بينهم سواء بين الزوج والزوجة، أو الوالد والأولاد ، أو حتى العلاقة بين الأبناء في حد ذاتهم.

ومن هنا استخلصت الباحثتان مجموعة من التوصيات هي:

-ضرورة توضيح أهمية التواصل والاتصال داخل الأسرة الجزائرية بشكل خاص من خلال تنظيم العديد من الملتقيات والندوات العلمية في المؤسسات التربوية وتفعيل العمل الجمعوي الأسري.

-تعدد الزوجات مبدأ حتمته الإنسانية وبررت وجوده كما أقرته الشريعة الإسلامية لوضعته ليتماشى وقوانين المجتمع وتغيراته.

-إن نظام الإنسان، نظام واقعي إيجابي يتوافق مع فطرته الإنسانية وتكوينه ويتوافق مع حياته المتغيرة في شتى بقاع العالم وفي مختلف الأزمان، يراعي فيه خلق الفرد ونطاقه المجتمعي بالابتعاد على الانحلال الخلقي، فقد سمح بالزواج وتعدد الزوجات من الواحدة إلى الرابعة، لكن مع ضرورة العدل من كل الجوانب المادية والمعنوية خاصة، فيجب تحمل مسؤولية الأسرة والابتعاد بها على كل المشاكل التي تزيد من انحلال المجتمع أخلاقيا بالحفاظ على تربية الأبناء وهذا البحث سيفتح المجال لدراسة هذا الموضوع من جوانب عديدة ومختلفة"(تومي الخنساء وعدائكة سامية، 2013، ص9-11).

كما نجد دراسة أخرى للدكتور محمد ناصر الخوالدة المعنونة ب"الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للزواج الثاني في الأردن -دراسة اجتماعية- والتي فيها يطرح التساؤلات التالية:"هل هناك علاقة ما بين الزواج الثاني والوضع الإقتصادي؟
-هل هناك علاقة ما بين الزواج الثاني وتدخل الأسرة؟
هل هناك علاقة ما بين الزواج الثاني والرغبة في الإنجاب؟
هل هناك علاقة ما بين الزواج الثاني والاختلاط في العمل؟"(محمد ناصر خوالدة، 2007، ص1).
وللإجابة على هذه التساؤلات وضع الباحث الفرضيات التالية:
"هنالك علاقة ما بين الوضع الاقتصادي والزواج الثاني.
هنالك علاقة الرغبة في الإنجاب والزواج الثاني.
هنالك علاقة ما بين تدخل الأسرة والزواج الثاني.
هنالك علاقة مابين الاختلاط في العمل والزواج الثاني.
أما الأهداف التي كانت تسعى إليها الدراسة فهي تتمحور فيما يلي:
-التعرف على العلاقة ما بين الزواج الثاني والوضع الاقتصادي.
-التعرف على العلاقة ما بين الزواج الثاني وتدخل الأسرة.
-التعرف على العلاقة ما بين الزواج الثاني والرغبة في الإنجاب.
-التعرف على العلاقة ما بين الزواج الثاني والاختلاط في العمل.
وفيما يخص مفاهيم الدراسة فنجدها تتلخص في: تعدد الزوجات، الزواج الثاني، الأسرة والاختلاط.
وفيما يخص البناء المنهجي للدراسة نجد أن الباحث اعتمد على النظرية الوظيفية، واستخدام أداة الاستبيان لجمع المعلومات، مع استخدام عينة قصدية"(محمد ناصر خوالدة، 2007، ص1-3).
وفي نهاية الدراسة توصل الباحث إلى النتائج التالية:
"-تبين أن هنالك أسباب اجتماعية واقتصادية للزواج الثاني التي تتمثل بـالوضع الاقتصادي وتدخل الأسرة والاختلاط في العمل والرغبة في الإنجاب.
وفي هذه النتيجة ما يتفق مع نظرية الدراسة خاصة فيما يتعلق بالخلل الوظيفي، ويظهر ذلك أن هنالك وظائف أساسية للأسرة لم تشبع سواء أكانت جنسية أو اقتصادية أو إنجابية. وطالما أن هنالك نقص في إشباع وظائف الزواج الأول، فإن الرجل سيبحث عن إشباع الوظائف ولا يتحقق هذا أو يكتمل إلا من خلال زوجة ثانية
وهذا يتفق مع ما جاء به روبرت ميرتون أن العناصر الاجتماعية قد تكون وظيفية بالنسبة لمجموعات معينة وضارة وظيفيا بالنسبة لمجموعات أخرى، حيث أن في حالة الزواج الثاني وظيفياً بالنسبة للزوج والزوجة الثانية، لكنه في أغلب الأحيان كان مضراً بالأسرة المتمثلة بالزوجة الأولى والأولاد إن وجد
وقد توافقت الدراسة مع ما تحدث عنه روبرت ميرتون بالنسبة للخلل الوظيفي الذي أشار بأنها تعني: "الحالة التي تؤثر بها العناصر البنائية على حالة التكامل في النسق الاجتماعي"، وهذا ما

حدث بالنسبة للزواج الأول فوجود الخلل يكمن بعدم قدرة الأسرة المتمثلة بالزواج الأول على تحقيق التكامل في وظائفها فترتب على ذلك لجوء الزوج للزواج الثاني"(محمد ناصر خوالدة، 2007، ص3-4).

وكثيرة هي الدراسات التي عالجت موضوع تعدد الزوجات العربية منها والأجنبية.

الإشكالية:

تعتبر ظاهرة تعدد الزوجات حقيقة واقعية وجدت قبل ظهور الإسلام في العديد من الحضارات والأديان، كل ما فعله الإسلام هو تقييده (الزواج) وجعله أكثر تنظيما وحضارة، فحدد شروطه وألزم صاحبه بإتباعها حتى يكون الزواج مباحا وهي كالتالي: "العدد(وفيه يتفق الفقهاء والمفسرين على عدم الزيادة على أربع زوجات)، العدل بين الزوجات والنفقة"(سدينة إدريس عبد الكريم، 1426ه، 12-17).

نظرا لمشروعية تعدد الزوجات في الدين الإسلامي سنحاول في دراستنا هذه معرفة الآثار الاجتماعية التي تخلفها ظاهرة تعدد الزوجات على مستوى الأسرة وعلى مستوى المجتمع ككل، وعليه فالإشكال المطروح هو كالآتي:

ما هي الآثار الاجتماعية التي تخلفها ظاهرة تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري؟

الفرضيات: للإجابة على هذه الأسئلة وضعنا الفرضيات التالية:

-ينجم عن ظاهرة تعدد الزوجات آثار سلبية وآثار ايجابية في الوقت ذاته، ومن الآثار السلبية نجد أن تعدد الزوجات يؤدي إلى العديد من المشاكل في الحياة الأسرية كفشل الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية وانهيار العلاقات الأسرية.

-إن الآثار الايجابية لظاهرة تعدد الزوجات تتلخص في التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية كحل مشكلة العنوسة، القضاء على ظاهرة الزنا.

مفاهيم الدراسة:

تعدد الزوجات: وهو"النوع الذي بمقتضاه يستطيع الزوج أن يحتفظ بعصمته بأكثر من زوجة في آن واحد"(الشمري مدين نوري طلاك، 2015، ص1473).

الأسرة: يعرفها إميل دوركايم(Emile Durkhem) "أنها ليست ذلك التجمع الطبيعي للأبوين وما ينتجانه من أبناء على ما يسود الاعتقاد، بل إنها مؤسسة اجتماعية تكونت لأسباب اجتماعية ويرتبط أعضائها حقوقيا وخلقيا بعضهم البعض"(لعمور وردة، 2015، ص34)، فالأسرة عموما هي مؤسسة اجتماعية، تتكون من الزوج والزوجة والأبناء، تقوم بعدة وظائف منها ما هو اجتماعي، تربوي، اقتصادي، ديني، عاطفي.

فالأسرة هي من أهم المؤسسات التي تساهم في عملية التنشئة الاجتماعية، "ذلك لأنها أول وسط يحيط بالطفل ويقوم بتربيته والتأثير في توجيهه. وهي تشكل جوهر الحياة الاجتماعية وعمودها الفقري"(القصير عبد القادر، 1999، ص72)، والأسرة نوعان: الأسرة النووية والأسرة الممتدة.

المجتمع: يعرف تالكوت بارسونز(talcott Parsons) المجتمع بأنه"نسق اجتماعي معياري، أي تحليل المجتمع باعتباره نسقا اجتماعيا يحمل معنى الترابط وأداء الأدوار الوظيفية. وأي نسق اجتماعي لا يستمر إلا إذا توفرت فيه الشروط التالية: التكيف مع البيئة - إنجاز الهدف - المحافظة

على النمط وإدارة التوتر - التكامل. وأن توازن المجتمع يتوقف على ميكانيزمات التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي"(مصباح عامر، 2005، ص121).

التنشئة الاجتماعية: يعرف قارني وكابول(Garnier et Kabul) التنشئة الاجتماعية بأنها:"الصيرورة التي تمكن الفرد من تعلم واستنباط العناصر الثقافية (كالمعايير، القيم، الممارسات الاجتماعية والثقافية) التي تتميز بها جماعته، وهذا ما يسمح له بتشكيل شخصيته الاجتماعية الخاصة به، وبتكيفه مع الجماعة التي يعيش ضمنها. وبفضل هذه الصيرورة يتم إدماج بعض الملامح الثقافية في شخصية أفراد مجتمع ما، هذا الإدماج الذي ينتج بصفة طبيعية ولاشعورية التجانس والتوافق مع الوسط الاجتماعي"(الفضيل رتيمي، 2008، ص210).

تعتبر التنشئة من العمليات الاجتماعية التي من خلالها يكتسب الأفراد القيم، العادات، التقاليد والمعتقدات، للمجتمع الذي ينتمون إليه، وهذا الاكتساب يكون من خلال وسائط عديدة ومتنوعة والتي تتلخص في الوسائط المباشرة كالأسرة والمدرسة، والوسائط الغير المباشرة كوسائل الإعلام، المؤسسات الدينية وجماعة الرفاق.

وتهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق التكيف الاجتماعي، الاندماج الاجتماعي والرباط الاجتماعي وبالتالي تساهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في خلق التوازن داخل المجتمع.

المشكلات الاجتماعية: يعرف بول هرتون المشكلة الاجتماعية أنها:"نتاج ظروف مؤثرة على عدد كبير من الأفراد تجعلهم يعدون الناتج عن الظروف المؤثرة عليهم غير مرغوب فيه ويصعب علاجه بشكل فردي إنما يتيسر علاجه من خلال الفعل الاجتماعي الجمعي"(العمر معن خليل، 2005، ص19)، ويتضح من خلال هذا التعريف النقاط التالية:

-ظروف مؤثرة على الأفراد غير مرغوب فيها من طرفهم.

-معالجة المشكلة بسهولة يكون عن طريق السلوك الجمعي.

إذن: المشكلات الاجتماعية هي ظاهرة غير مرغوب فيها من طرف الأفراد لأنها تخلق خلل في أنظمة المجتمع فتأثر فيه وبالتالي تهدد استقراره واستمراره، ومن هذه المشكلات نذكر على سبيل المثال السرقة، الجريمة، الأمية، الرسوب المدرسي، العنف الأسري، الطلاق، الفقر، البطالة، العنوسة، الفساد الإداري والمالي.

الإطار المنهجي للدراسة:

الإطار النظري: للنظرية أهمية عظمى في البحوث العلمية عامة وعلم الاجتماع خاصة فمن خلالها يتحدد مسار البحث، ومن ثم "فإن النظرية تساعدنا في الوصول إلى نوع من المفاهيم والمقولات والقضايا والافتراضات التي من خلالها نواجه مشكلات الدراسة"(جونز فيليب، 2010، ص10).

وفي بحثنا هذا سنعتمد على النظرية الوظيفية، ونقصد بالوظيفية هنا الأثر الذي تخلفه أو تحدثه الظاهرة الاجتماعية بشكل مقصود أو بشكل غير مقصود، أي الآثار والنتائج التي تخلفها ظاهرة تعدد الزوجات على المستويات التالية: الفرد، الأسرة والمجتمع.

ولكن السؤال المطروح هو: فيما تتلخص مبادئ النظرية الوظيفية؟

تعتبر النظرية الوظيفية من أهم النظريات في علم الاجتماع تم ظهورها في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، ومن أهم روادها نذكر مالينوفسكي برونسلو، روبرت ميرتون(Robert merton)، ليفي ماريون(levy marion)، راد كليف براون(Radcliffe brown)، ألفن كولدنر (alvin goulner) وغيرهم من المنظرين.

وتتلخص أهم مبادئ هذه النظرية في الأفكار التالية:

-يتكون المجتمع من مجموعة من الأنظمة الاجتماعية كالنظام الديني، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، كل نظام اجتماعي يقوم بوظيفة معينة من أجل ضمان استمراره واستقراره داخل المجتمع.

-أن كل نظام اجتماعي يتضمن أنظمة فرعية.

-حدوث تغيرات -جزئية- للأنظمة الاجتماعية، وذلك بناءا على التغير الذي يطرأ على المجتمع والذي يكون غالبا مفاجئ.

-ما يميز الأنظمة الاجتماعية أنها تترابط وتتكامل فيما بينها.

-يمكننا فهم النظام الاجتماعي من خلال الوظيفة التي يقوم بها.

-تسعى الأنظمة الاجتماعية لتحقيق التوازن داخل المجتمع.

-تسعى الأنظمة الاجتماعية لإشباع الحاجات الاجتماعية للأفراد فالنظام التربوي مثلا يعمل على إشباع حاجة المجتمع التعليمية.

منهج الدراسة: لقد استخدمنا في دراستنا هذه المنهج التفسيري من أجل كشف العلاقة السببية والارتباطية بين الظواهر الاجتماعية، وفي هذا يقول إميل دوركايم "فكل ما يطالب به هذا العلم هو أن يعترف الناس بأن قانون السببية يصدق أيضا على الظواهر الاجتماعية"(حمداوي جميل، دس، ص14-15).

تقنيات الدراسة: استعمال تقنية المقابلة -مقابلة شبه موجهة- والتي تضمنت المحاور التالية:

-المعطيات السوسيومهنية للمبحوثين.

-آراء ومواقف الشباب من ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمع الجزائري.

-مدى قبول أو رفض الشباب لظاهرة تعدد الزوجات بالمجتمعات عامة والمجتمع الجزائري خاصة.

-معرفة الآثار الاجتماعية الايجابية لتعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري عامة والمجتمع المعسكري خاصة.

- معرفة الآثار الاجتماعية السلبية لتعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري عامة والمجتمع المعسكري خاصة.

العينة: العينة التمثيلية لمجتمع البحث شملت مجموعة من الشباب (14ذكور و14إناث) يقطنون بمدينة معسكر.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة: تم إجراء هذه الدراسة في مدينة معسكر، في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 01 فيفري إلى 12 مارس من عام 2017.

التحليل السوسيولوجي لظاهرة تعدد الزوجات:

موقف الشباب من تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري: لقد اختلفت الآراء والمواقف حول تعدد الزوجات، بحيث نجد اتجاهين: اتجاه الرفض واتجاه القبول.

رفض تعدد الزوجات بالمجتمع: رفض معظم المبحوثين (19مبحوث) ظاهرة تعدد الزوجات في المجتمعات عامة والمجتمع الجزائري خاصة، وذلك لعدة أسباب من بينها -حسب المبحوثين- أن هذه الظاهرة تخلق العديد من المشاكل سواء بين العائلة أو بين أفراد الأسرة كضعف العلاقات الأسرة (علاقة الزوج بالزوجة، علاقة الأب بالأبناء).

إن تعدد الزوجات يتطلب توفر شروط كالعدل بين الزوجات والإنفاق عليهن جميعا- وهذا غير موجود في مجتمعنا لظروف معينة من بينها تدهور المستوى المعيشي للفرد مثلا.

ما يمكن التنويه إليه، أن رفض تعدد الزوجات يشمل الإناث أكثر من الذكور، وهذا راجع لطبيعة كل جنس، فمن الطبيعي أن ترفض أي امرأة زوجة ثانية أو زوجة ثالثة لزوجها وهذا بدافع الغيرة والحب الكبير لزوجها وخصوصا عندما تكون امرأة صالحة تقوم بكل واجباتها الزوجية والعائلية.

قبول تعدد الزوجات بالمجتمع: نجد أن باقي مبحوثين(9مبحوثين) يقبلون بظاهرة تعدد الزوجات ولكن بشروط تتلخص في:

-توفر شرط العدل بين الزوجات.

-توفر شرط الإنفاق بين الزوجات.

-أوفي حالة مرض أو عقم المرأة.

-في حالة عدم تفاهم الزوجين في أمور عدة.

ما يمكن التنويه إليه، أن هذه الشروط أشار إليها المبحوثين من جنس الإناث ولكن إضافة إلى هذه الشروط نجد أن باقي المبحوث(جنس الذكور) يقبل بوجود ظاهرة تعدد الزوجات بالمجتمع لأن الدين الإسلامي أعطى للرجل الحق في أربع زوجات.

صحيح أن الإسلام أباح تعدد الزوجات ولكنه حدده بأربع نساء فقط وربطه بالعدل وفي هذا الشأن ذكر الدكتور أحمد الباليساني "أن التعدد وإن كان فيه أذى فردي للزوجة إلا أنه أبيح لمصالح اجتماعية معتبرة وحالات وظروف تحتمه وتوجبه، وهذه الظروف والحالات هي التي تعين نوعية حكم هذا التعدد حسب الحاجة إليه أو عدمها"(عباس حسين فياض، دس، ص160).

إذن: الظروف والحالات هي التي تعين نوعية الحكم في تعدد الزوجات - التعدد عندما يكون واجبا أو عندما يكون مندوبا.

وفي نفس السياق، نجد من الباحثين في دراستهم يشيرون إلى أن تعدد الزوجات "يعتبر ضرورة اجتماعية، ورحمة للمرأة ورعاية لها قبل أن يكون مغنما للرجل"(الطريفي ناصر بن عقيل، 1409ه، ص183)، وتتجسد هذه الضرورة في النقاط التالية:

"-أن نسبة النساء في أي مجتمع من المجتمعات البشرية تفوق نسبة الرجال.

-أن الرجل يتأخر نضجه الجنسي والاجتماعي واستعداده للزواج، فقل أن يكون مهيئا للزواج قبل 25 من عمره، بينما المرأة يبدأ نضجها واستعدادها للزواج في سن مبكرة قبل الرجل بما لا يقل عن خمس سنوات.

-أن رغبة المرأة إلى الجماع أقل من رغبة الرجل، وهي أكثر حياء منه.

-المرأة معرضة للعقم والمرض.

-الزواج المتعدد فيه نبل وتضحية من الرجل وتحمل للمشقات، فأحيانا يتزوج بيتيمة أو أرملة أو امرأة فاتها قطار الزواج وفرصة ولو تركت لجلست بدون زواج العمر كله"(الطريفي ناصر بن عقيل، 1409ه، ص185-188).

بإختصار، إن قبول تعدد الزوجات عند المبحوثين يكون بشروط- في حالة المرض أو عقم الزوجة الأمر الذي يؤدي بالرجل للزواج للمرة الثانية والثالثة من جهة، وفي حالة احترامه لشروط التعدد من جهة أخرى.

والعكس صحيح يكون الرفض في حالة عدم احترام شروط التعدد وانعدام أسباب للتعدد.

آثار تعدد الزوجات: تتعدد وتتنوع الآثار الاجتماعية لتعدد الزوجات حسب ما أشار إليه المبحوثين (ذكور وإناث) وهي كالآتي:

الآثار السلبية: تتلخص الآثار السلبية لتعدد الزوجات فيما يلي:

-إن تعدد الزوجات له آثار سلبية على مستوى الأسرة: ففي هذا المستوى نجد أن تعدد الزوجات ينجم عنه مجموعة من المشاكل الأسرية التي تتلخص في: التفكك الأسري، انهيار العلاقات الأسرية، كثرة الخلافات الزوجية، الخيانة الزوجية من طرف الزوجة، فشل الوالدين في التنشئة السليمة لأبنائهم، انخفاض التحصيل الدراسي للأبناء، الرسوب المدرسي.

وهذه المشاكل التي تعاني منها الأسرة تنعكس مباشرة على المجتمع ككل، ذلك لأن الأسرة هي نظام اجتماعي يؤثر ويتأثر بالأنظمة الاجتماعية الأخرى الموجودة بالمجتمع فعلى سبيل المثال فشل الوالدين في تنشئة أبنائهم تنشئة سليمة يؤدي بهم الأمر إلى الانحراف، وفي هذه الظروف تخلق المشاكل داخل المجتمع فتكثر الجرائم، السرقة، العنف، تناول المخدرات،...وغيرها من الانحرافات الاجتماعية التي تؤدي إلى فقدان التوازن الاجتماعي، وبالتالي إلى انهيار المجتمع وعدم استقراره.

أما الرسوب المدرسي فهو يؤثر على النظام التربوي من جهة وعلى باقي أنظمة المجتمع من جهة أخرى، أما الخيانة الزوجية للزوجة فهي تشوه سمعة المجتمع الإسلامي الجزائري من جهة ومن جهة أخرى تساهم وتشجع في انتشار الانحرافات الأخلاقية داخل المجتمع (إقامة علاقة غير شرعية).

الآثار الايجابية: في مقابل الآثار الاجتماعية السلبية لتعدد الزوجات نجد أن لها آثارا ايجابية أيضا تتمحور في التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية كالقضاء على ظاهرة الزنا والمساهمة في حل مشكلة العنوسة، وفي هذا الشأن نجد من الدراسات الاجتماعية التي "توصلت إلى أن تعدد الزوجات يعتبر حلا لأزمة العنوسة التي تعاني منها مصر"(محمد فتحي، دس، ص1).

إن تعدد الزوجات يساهم بصورة أو بأخرى في الحفاظ على النسل وبالتالي الحفاظ على النوع البشري من الانقراض ليقوم بعبادة الخالق عز وجل وخلافة الأرض وعمارتها، يساهم التعدد في تقوية العلاقات الاجتماعية من خلال المصاهرة التي تزيد في الألفة والمحبة بين الأفراد، فتتسع شبكة العلاقات الاجتماعية.

ما يمكن الإشارة إليه، أن نتائج هذه الدراسة تبقى نسبية- نسبية الزمان والمكان- أي خاصة بمجتمع دون آخر ومحددة بزمن دون آخر لأن المجتمع عرضة للتغيرات والتحولات التي تطرأ عليه فجأة.

النتائج العامة للدراسة: من عرضنا السابق نستطيع أن نستنتج الآتي:

-اختلاف الآراء والمواقف حول تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري، بحيث نجد اتجاهين: اتجاه الرفض واتجاه القبول.

-قبول تعدد الزوجات بالمجتمع الجزائري مرتبط بعدة شروط وهي كالتالي: في حالة المرض أو في حالة عقم الزوجة أو في حالة احترام الزوج لشروط التعدد.

-تتعدد الآثار الاجتماعية السلبية لتعدد الزوجات وتتمثل في المشاكل الأسرية نذكر على سبيل المثال انهيار العلاقات الأسرية، انخفاض التحصيل الدراسي للأبناء.

- تتنوع الآثار الاجتماعية الايجابية لتعدد الزوجات وتتمحور في التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية كالقضاء على ظاهرة الزنا والمساهمة في حل مشكلة العنوسة وكذلك تقوية العلاقات الاجتماعية.

باختصار، الفرضيتين التي تم وضعهما في بداية البحث قد تحققتا.

خاتمة:

إن ظاهرة تعدد الزوجات كغيرها من الظواهر الاجتماعية لها خاصية التغير فهي تختلف من مجتمع إلى آخر، وأن حكم وجودها(ظاهرة تعدد الزوجات) بالمجتمع (ضرورية أو مستحبة) مرتبط بظروفه (المجتمع) وبمدى قبول ورفض أفراده لهذا التعدد. فالتعدد في كل الحالات له جانب ايجابي كما أن له جانب سلبي هذا من جهة ومن جهة أخرى له آثار على المستوى أفراد الأسرة وعلى مستوى المجتمع ككل.

من بين التوصيات التي يمكن تقديمها في نهاية الدراسة هي كالتالي:

-احترام شروط تعدد الزوجات حتى نتجنب الوقوع في مختلف المشاكل الاجتماعية والأسرية التي تؤدي إلى انهيار وعدم استقرار المجتمع.

-ضرورة توفر شرط العدل بين الزوجات حتى لا تنتشر وترتفع نسبة الانحرافات الاجتماعية بالمجتمع.

-الاهتمام بالتخفيف من الآثار السلبية لظاهرة تعدد الزوجات وخصوصا في ظل التحولات الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية الراهنة.

قائمة المراجع:

1. القصير عبد القادر(1999)، الأسرة المتغيرة في المجتمع المدينة العربية، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.

2. الفضيل رتيمي(2008)، التنشئة الاجتماعية والروابط داخل المنظمة الصناعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، الجزائر.
3. العمر معن خليل(2005)، علم المشكلات الاجتماعية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
4. جونز فيليب(2010)، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، ترجمة: الخواجة محمد ياسر، الطبعة الأولى، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة.
5. مصباح عامر(2005)، علم الاجتماع-الرواد والنظريات، ط1، شركة دار الأمة، برج الكيفان، الجزائر.
6. الشمري مدين نوري طلاك(2015)، الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن تعدد الزوجات، مجلة جامعة بابل، م23، ع3، العلوم الإنسانية.
7. لعمور وردة(2015)، الأسرة الجزائرية وجدلية القيم الاجتماعية، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 10، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر.
8. الطريفي ناصر بن عقيل(1409ه)، تعدد الزوجات وأهميته للمجتمع المسلم، مجلة البحوث الإسلامية العدد 25، في موقع:www.alifta.net ، www.alifta.net
9. حمداوي جميل، (دس)، علم الاجتماع بين الفهم والتفسير، في موقع: www. Aluka.net/books/files/book_6263/bookfile/hhh/doc, consulté le: 06/04/2017.
10. تومي الخنساء، عدائكة سامية(2013)، عنوان المداخلة: تعدد الزوجات وتأثيره على الاتصال بين الأفراد داخل الأسرة الجزائرية من وجهة نظر الزوجة الأولى"، جامعة قاصدي مرباح، قسم العلوم الاجتماعية، ورقلة، الجزائر ,.https://manifest.univ-ouargla.dz/ consulté le: 31/03/2017.
11. محمد ناصر الخوالدة،(ب ت)، الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للزواج الثاني في – الأردن(دراسة اجتماعية)، في موقع: http://kenanaonline.com/users/momnasser/posts/29 May 25, 2007/444, consulté le: 31/03/2017.
12. محمد فتحي، (دس)، تعدد الزوجات ينقذ 8 ملايين عانس، القاهرة، في موقع:.www.eefaf.net/prin-article/222.html,consulté le:31/03/2017.
13. عبد الكريم علي مصطفى(2011)، تعدد الزوجات في المجتمع الليبي-دراسة وصفية تحليلية على عينة من متعددي الزوجات بمدينة البيضاء، جامعة عمر المختار البيضاء، كلية الآداب، ليبيا.
14. عباس حسين فياض(دس)، تعدد الزوجات وآثاره، في موقع: www.uobabylon.edu.iq/publications/law_edition4/article_ed4_4.doc,consulté le: 01/04/2017.
15. سدينة إدريس عبد الكريم، 1426ه، تعدد الزوجات، في موقع: www.feqhup.com/uploads/13648687041.pdf, consulté le: 30/08/2018.

اتجاهات الشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة (الشرعية وغير الشرعية) دراسة ميدانية بجامعة سطيف 2

University Youth Attitudes toward Legal and Illegal Migration A field study at Setif 2 University

د.زرقان ليلى، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2- الجزائر

ملخص: هدفت الدراسة الحالية للكشف عن اتجاهات الشباب نحو الهجرة بنوعيها ومبرراتها حسب اعتقادهم؟ بإتباع المنهج الوصفي وتطبيق استمارة استبيان تكونت من 27 سؤال وسؤال مفتوح على عينة تكونت من 180 طالب وطالبة بجامعة سطيف 2، توصلت الدراسة للنتائج التالية: هناك اتجاهات سلبية للمبحوثين حول الهجرة بنوعيها الشرعية وغير الشرعية حيث يرفض أغلب المبحوثين الهجرة ويرون أنها ليست الحل الأنسب لمشكلاتهم بل الحل يكون داخل الوطن، وهو ما يدل على الروح الوطنية المرتفعة والوعي بالواقع المعاش والسعي لتغييره من داخل الوطن لان الهجرة حسبهم ليست هي الحل، وقد أكد اغلب المبحوثين على وجود دوافع وأسباب لهجرة الشباب وتباينت هذه الأسباب حسب استجاباتهم من أسباب نفسية إلى اجتماعية ثم اقتصادية علمية وثقافية ترفيهية وخاصة ما تعلق بإثبات الذات وضعف الشعور بالانتماء ورفض الواقع المعاش ،في حين كانت البطالة والفقر والظروف المعيشية في مقدمة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والبحث عن تحسين المستوى العلمي وشهادات أعلى من أهم الأسباب العلمية.

الكلمات المفتاحية:الاتجاهات، الشباب الجامعي، الهجرة الشرعية وغير الشرعية.

Abstract: The current study aimed at detecting the attitudes of young people towards migration and their reasons according to their belief? Following the descriptive approach and applying a questionnaire form consisting of 27 questions and an open question on a sample of 180 students at Setif University. The study reached the following results:1 There are negative trends for the respondents about migration, both legitimate and illegal, where most of the respondents reject migration and see that it is not the most appropriate solution to their problems, but the solution is within the homeland.. These reasons differed according to their responses from psychological to social and economic, scientific and cultural factors, especially those related to self-affirmation and weak sense of belonging and rejection of the living reality. Shih at the forefront of economic and social causes and seek to improve the scientific level and higher certificates of the most important scientific reasons.

Key words: Attitude, university youth, legal and illegal immigration.

مقدمة:

لا يخفى على أحد منا إن موضوع الهجرة من الموضوعات الهامة والحساسة للبحث في مختلف المجالات خاصة أنها أصبحت تطرح تحديات كبيرة على الصعيد الاقتصادي والثقافي والديمغرافي والسياسي والاجتماعي لكل من الدول المصدرة والمستقبلة للهجرة بمختلف تداعياتها وأسبابها في وقتنا الراهن خاصة إذا ارتبط الأمر بهجرة الشباب الجامعي واتجاهاته نحوها بنوعيها الشرعية وغير الشرعية في الجزائر والتي تفاقمت بها مؤخرا خاصة غير الشرعية من طرف الشباب، وفي هذه الدراسة نحاول الكشف ملابساتها من خلال التطرق اتجاهات فئة الشباب بشكل اكبر لمعرفة مدى استعدادهم للهجرة بنوعيها ودوافعهم وذلك من خلال إطار نظري تعرضنا فيه لطرح مفهوم الاتجاهات ومكوناتها وأنواعها، مرورا لمفهوم الهجرة و مبرراتها وإشكالها وصولا للجانب الميداني لمعرفة إذا كانت هناك اتجاهات ايجابية أم سلبية لهؤلاء الشباب نحو الهجرة ما هي مبررات الهجرة حسب اعتقادهم ؟

الإشكالية:

على غرار الدول النامية تواجه الجزائر الكثير من المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تشكل واقعا مريرا يتخوف منه الشباب الجامعي المقبل على التخرج، مما يدفعهم إلى التخطيط لتجاوز هذا الواقع الذي قد يعيقهم في تحقيق أمانيهم وطموحاتهم المستقبلية خاصة في ظل المشكلات المرتبطة بالشغل مستوى الدخل والقيمة العلمية ...إلخ داخل الوطن أو بالتخطيط للهجرة بنوعيها لبلد حسب اعتقادهم يؤمن لهم مستقبلهم ويحقق لهم الاستقرار النفسي والاجتماعي والمكانة العلمية خاصة مع تأثيرات وسائل الإعلام التي أدت اليوم لتباين وجهات نظر الشباب الجامعي حول قضية الهجرة من معارض للفكرة ومؤيدا لها، وقد اختلفت مبررات هذا الاتجاه من المبررات الاقتصادية إلى الاجتماعية إلى العلمية إلى السياسية ففي اغلب الحالات تكون الهجرة للبحث عن فرص أفضل للحياة والعمل والاستقرار وخاصة لما يرتبط الأمر بالهجرة غير الشرعية ففي مقدمة الأسباب هي الظروف القاسية التي يعيشها المهاجر في بلده كالبطالة و الفقر وغلاء المعيشة أو الحروب و سوء الأوضاع السياسية ونظر للدور الحيوي الذي تلعبه الجزائر على خريطة الهجرة السرية فقد تزايد عدد المهاجرين غير الشرعيين إلى 2806 سنة 2000 ليصل إلى 4273سنة 2001 ثم ارتفع سنة 2004 ليصل إلى 6217 (ساعد رشيد، 2011، ص29-30)، كما سجلت الرابطة الجزائرية للدفاع عن حقوق الإنسان رقما مرعبا عن عدد الحراقة الجزائريين الموقوفين باروبا بأكثر من 17 ألف مهاجر وان العدد الحقيقي يفوق 17500حراق سنويا وربطت ذلك بالبطالة التي تتجاوز 35 بالمائة في أوساط الشباب ويضاف له تراجع أسعار النفط على الاقتصاد الوطني وتراجع قيمة الدينار(جريدة البلاد، 2018).

وفي ظل هذه الظروف بات الشباب أكثر عرضة للهجرة بنوعيها وعليه فمن الضروري إجراء دراسات ميدانية لدراسة هذه الظاهرة و معالجتها، وهذا ما تسعى الدراسة الحالية للكشف عنه من خلال الإجابة عن التساؤل التالي:

ما هي اتجاهات ومبررات الشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة الشرعية وغير الشرعية؟

تساؤلات الدراسة:

-ما هي اتجاهات الشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة الشرعية وغير الشرعية؟

-ما هي مبررات الهجرة (الشرعية وغير الشرعية)من وجهة نظر الشباب الجامعي؟

فرضيات الدراسة:

-هناك اتجاهات ايجابية للشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة (الشرعية وغير الشرعية).

-هناك اتجاهات سلبية للشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة (الشرعية وغير الشرعية).

-تباينت وجهات نظر الشباب الجامعي حول مبررات الهجرة (الشرعية وغير الشرعية).

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة الحالية للكشف عن:

-اتجاهات الشباب الجامعي نحو ظاهرة الهجرة الشرعية وغير الشرعية و مبرراتها(الشرعية وغير الشرعية) من وجهة نظرهم ومنه تتبع أهمية الموضوع باعتبار ظاهرة الهجرة ظاهرة مهددة لأمن واستقرار الدول وباعتبار الشباب هم محور التنمية كان من الضروري معرفة اتجاهاتهم محو هذه الظاهرة للكشف عن مخاطرها وتوعية بذلك.

تحديد المفاهيم:

الهجرة: " تعد الهجرة من أهم العوامل المؤثرة في النمو السكاني، و تعرف بأنها، انتقال الفرد أو الجماعة من مكان إلى آخر، بغرض الاستقرار في المكان الجديد، و يستثنى من ذلك الإقامة المحددة كما في حالات الرحلات الاستكشافية و العلاج و السياحة و تنقسم الهجرة من حيث الاستمرار و الدوام إلى نوعين: الهجرة الدائمة و الهجرة المؤقتة،أما من حيث اتجاهها فيمكن تقسيمها إلى :هجرة دولية- هجرة داخلية- هجرة موسمية أو دورية وهذا النوع الأخير قد يندرج جزئيا تحت أحد النوعين السابقين(عطوي عبد الله، 19993، ص142).

الهجرة غير الشرعية:" الهجرة غير الشرعية في معناها العام هي": التسلل عبر الحدود البرية والبحرية، والإقامة بدولة أخرى بطريقة غير مشروعة، وقد تكون الهجرة في أساسها قانونية وتتحول فيما بعد إلى غير شرعية، وهو ما يعرف بالإقامة غير الشرعية، وتتضمن الهجرة غير الشرعية في مضمونها الهجرة السرية، وتعني الاجتياز غير القانوني للحدود، دخولا أو خروجا من التراب الوطني للدولة"(عمران أبو حجلة، 1997، ص91-92).

الاتجاهات: تعريف **جوردون آلبورت**:(1954) Gordon Allport :"هو حالة من الاستعداد العقلي والعصبي التي تنظم أو تتكون خلال التجربة والخبرة التي تسبب تأثيراً موجهاً أو ديناميأ على استجابات الفرد لكل الموضوعات والمواقف التي ترتبط بهذا الاتجاه(عزوز، 2008، ص49).

التحديد الإجرائي للمفاهيم:

الاتجاهات نحو الهجرة: مدى استعداد وميل الطالب الجامعي وتهيئه النفسي للعيش خارج الوطن بصيغة شرعية أو غير شرعية ،وطبيعة نظرته لها كظاهرة ايجابية أم سلبية ومبررات ذلك.

الشباب الجامعي: وهم فئة من الشباب الحاصلين على البكالوريا ويزاولون دراستهم بالجامعة، وهنا نقصد جامعة سطيف -2- بكلياتها الثلاث والطلبة الجامعيين من الفئة العمرية 18-27.

الجانب النظري

أولا. الاتجـــــــــاهات

مفهومها وخصائص: الاتجاه حادث نفسي لا يخضع للملاحظة مباشرة، شأنه في ذلك شأن الذكاء والشخصية، ولكنه يمكن أن يدرس عن طريق ما يؤدي إليه أي عن طريق السلوك الذي يظهره والذي يمكن أن يكون موضوع ملاحظة مباشرة(كنزة جبار، 2013-2014، ص21-22).

بمعنى أن الاتجاه مجموعة من الاستعدادات والتهيؤات التي يبرزها الفرد نحو قضية أو موضوع أو فكرة أو شخص أو مؤسسة نستدل عليه من خلال سلوكيات الأفراد وميولاتهم، لا يمكننا رؤيته مباشرة وهو شي مكتسب، متجدد، متغير، مستمر.

مضامين الاتجاه وتكونه:

مضامين الاتجاه: في الاتجاه ثلاث فئات من المضامين: العقلية والعاطفية والإجرائية، تتألف المضامين أو المكونات العقلية من مجموعة الأفكار والقناعات والاعتقادات لدى صاحب الاتجاه المتعلقة بموضوع اتجاهه، وتظهر واضحة فيما يورده صاحب الاتجاه حين يدفع إلى تسويغ اتجاهه، وتتألف المضامين العاطفية أو الانفعالية من مجموعة العواطف والمشاعر التي تظهر لدى صاحب الاتجاه في تعامله مع موضوع الاتجاه: إنها تظهر في حبه ذلك الموضوع من درجة ما أو في نفوره منه، من درجة ما كذلك، أما المضامين أو المكونات الإجرائية فتتمثل في نزوع صاحب الاتجاه إلى القيام بأنماط من السلوك تتصل بموضوع الاتجاه وذلك حين تدعو الحاجة إلى مثل ذلك الإجراء أو يتوافر الموقف أو المجال الذي يقع فيه الشخص وموضوع اتجاهه.

تكوين الاتجاهات: تتكون الاتجاهات لدى الفرد مع نموه ونضجه وتكون نتيجة لخبراته الناجمة عن التفاعل بينه وبين المحيطين الاجتماعي والمادي حوله، وفي جملة ما تضمه هذه الخبرات تأثير الآخرين في الشخص حين يكون ناشئاً يعيش داخل الأسرة ويتلقى التربية التي توفرها له ويتفاعل معها، وحين يكون موضوع تفاعل مع الآخرين خارج محيط الأسرى وتفاعل مع البيئة المادية وما فيها من مؤثرات الطبيعة ومن مؤثرات صنعها الإنسان، وكذلك حيث يكون متفاعلاً مع شروط مؤسسات اجتماعية متعددة بينها المدرسة والنادي ومؤسسات العمل والمؤسسات الدينية والسياسية وغيرها، وأن يكون متفاعلاً مع وسائل الإعلام والأتراب والآخرين في محيطه الاجتماعي خارج الأسرة أو داخلها. ولعل مما يساعد في فهم الأثر الذي تتركه في الشخص، الطفل والشاب والكهل، ظروف البيت والمدرسة والمجتمع الخارجي، فحص ما تنطوي عليه توجهات الأسرة باستمرار، وفحص ما تنطوي عليه أهداف التعليم في مراحله المتعددة، والأهداف التي تعمل من أجلها المؤسسات السياسية وغيرها ووسائل الإعلام، وما توحي به شروط العمل والمهنة على أن من اللازم الإشارة هنا إلى مكانة قدرات الشخص العقلية ومعارفه وبناء شخصيته في تكون الاتجاهات لديه، إذ إن تكوّن اتجاه ما يعتمد اعتماداً عميقاً على المعارف التي تنطوي عليها خبراته، وعلى قناعاته واعتقاداته وعلى مستوى تقبله الإيحاء والتلقين والنصائح، وعلى أخذه بأسلوب المناقشة الشخصية المستفيضة أو من دونها في أمر ما يقبله(كنزة جبار، 2014، ص22-24)، وعليه فالاتجاه ثلاث مكونات أساسية وهي المكون العاطفي والعقلي

والمعرفي وان تشكله يكون نتيجة تفاعل مجموعة من العوامل الذاتية والخارجية وهي بطبعها قابلة للتعديل مع الظروف والتغيرات المحيطة.

وظائف الاتجاهات تعد الاتجاهات من المكونات الأساسية للشخصية، ويحقق وجودها لدى الشخص مجموعة من الوظائف أهمها ما يلي:

وظيفة إرضاء الحاجات أو إشباعها: يكشف فحص تكوّن الاتجاهات عن أنها ترتبط بمكافآت أو عقوبات رافقت استجابات لدى الشخص بدت في قوله أو فعله مما يتصل بشخص أو فكرة أو مؤسسة أو موضوع اجتماعي.

الوظيفة التقويمية: تظهر الوظيفة التقويمية للاتجاه من ناحيتين: الأولى متضمنة في تفضيل الاتجاه أمراً -أو عدم تفضيله- مما يدل على أن لذلك الأمر قيمة ما لدى صاحب الاتجاه (قيمة إيجابية أو قيمة سلبية)، من هذه الزاوية فإن الفرد الذي يكون اتجاهه نحو الديمقراطية اتجاه تفضيل، وهو يعبر عن حسنات الديمقراطية اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وغير ذلك، يرى أن في تفضيله تعبيراً عن تقويم عال للديمقراطية، أما الناحية الثانية فتكون في دلالة الاتجاه على قيم معينة لدى الشخص، أو نظام قيم، ويبدو الشخص في اتجاهه كأنه يقول معتزاً: هذا أنا.

وظيفة الدفاع عن «الأنا»: الأصل في الاتجاه أنه نظام يظهر في أنماط من السلوك بينها تناسق وفيها مستوى مقبول من الثبات، وذلك على الرغم من وجود اختلاف في الظروف التي يمكن أن يظهر فيها موضوع الاتجاه، ومثال هذه الحال اتجاه شاب نحو مهنة التعليم وكيف يبدو هذا الاتجاه في مناقشة يسهم بها هذا الشاب وفي تعامله مع المعلمين وفي سلوكه المعبر عن اختيار المهنة.

الوظيفة المعرفية: تساعد الاتجاهات صاحبها في فهم عالمه فهماً يسهم في تكوين الاطمئنان لديه، وفي جعل حوادث هذا العالم ذات معنى خاص، إنها توفر للشخص نوعاً من الثبات والوضوح في رؤية العالم وتفسير حوادثه.

وظيفة الانتماء والتوحد مع الآخرين: يربط الاتجاه بين الفرد ومجتمعه، أو فئة من ذلك المجتمع، ويدعم شعور ذلك الفرد بالانتماء إلى ذلك المجتمع أو تلك الفئة وشعوره بأنه مثل الآخرين ويؤلف وحدة معهم، بما إن الاتجاه حالة نفسية فانه يميز كل فرد عن الأخر أو مجموعة عن أخرى تساعده على الاستقرار وفهم الأخر ولهذا فهي مهمة لبناء شخصية أي منا من خلال ما تؤديه من وظائف

أنواع الاتجاهات:تتعدد الاتجاهات بتعدد تصنيفاتها ووظائفها منها:

اتجاه اجتماعي: حيث يشترك في اتجاه واحد عدد كبير من الأفراد كالاتجاه نحو الألعاب الرياضية.

اتجاه فردي: يكون الاتجاه فردياً عندما يكون خاصاً بفرد معين, كاتجاه أحدنا نحو شخص آخر والإعجاب به.

اتجاه مادي: ويتمثل في الحرص على الأشياء المادية, وامتلاك المزيد منها, كالبيت والسيارة والأراضي والأموال وسواها.

اتجاه معنوي: كالاتجاه نحو الصدق والإخلاص والعلم والفن والقيم الإنسانية عموماً.

اتجاه عملي: يتجلى هذا النوع من الاتجاهات في الأفعال والإجراءات السلوكية، كأن يكون لدى أحدنا اتجاه ايجابي نحو النظام على صعيد القول, ويسلك في الواقع سلوكاً يتسم باحترام النظام والتعلق به.

اتجاه لفظي: هو التعبير عن الاتجاه في شكل أحكام واستنتاجات عقلية كأن يتخذ الفرد موقفاً من قضية هامة كالتفرقة العنصرية ويدافع عنها بالحجة والمنطق.

اتجاه ايجابي: يتجلى هذا النوع من الاتجاهات في القبول والتفضيل لموضوع ما.

اتجاه سلبي: يتجلى هذا النوع من الاتجاهات في الرفض وعدم القبول لموضوع ما.

اتجاه قوي: يكون الاتجاه قوياً عندما يملي متطلباته ويسود على سواه من الاتجاهات الأقل قوة, ويحول في كثير من الأحيان دون ظهور هذه الأخيرة إذا تعارضت معه.

اتجاه ضعيف: يكون الاتجاه ضعيفاً عندما لا ينطوي على قوة دفع كبيرة، ولا يحدث صراعاً ولا قلقاً في حال تعارضه مع اتجاه آخر.

اتجاه علني ظاهري: يكون الاتجاه علنياً وكشوفاً عندما يتم التعبير عنه بصورة مباشرة وواضحة وصريحة وبدون مواربة.

اتجاه ضمني أو سري: يكون الاتجاه ضمنياً أو سرياً عندما يتم التعبير عنه بصورة غير مباشرة وعندما يصعب التعرف عليه بسبب ما يترتب على التصريح به عن عواقب وخيمة(منصور علي، 2001).

دراسة الاتجاهات وقياسها

دراسة الاتجاهات: ورد في فقرات سابقة أن الاتجاهات لا تخضع للملاحظة مباشرة وأن كشفها يكون عن طريق أنماط السلوك المعبرة عنها، وهناك خمس طرائق شائعة في دراسة الاتجاهات

تعرف **الطريقة الأولى** بأنها نظرية وأنها دراسة موجهة بفكرة تكوين نظرية حول الاتجاهات، ويهتم الباحث الآخذ بهذه الطريق بتكون الاتجاهات والعوامل في ذلك، وتعديل الاتجاهات وكيف يأخذ مجراه، والتفاوت في الاتجاهات من جانبها الإيجابي وجانبها السلبي، لينتهي إلى وضع نظرية حول طبيعة الاتجاهات ومكانتها في نظام الشخصية. وكثيراً ما يستفيد الآخذ بهذه الطريقة من نتائج دراسات تفصيلية سلكت طرائق أخرى في الدراسة الخاصة بالاتجاهات.

وتعرف **الطريقة الثانية** بأنها وصفية قائمة على الملاحظة، وتبدو هذه الطريقة واضحة في تنظيم ملاحظة علمية متعددة الخطوات والتكرار تتناول سلوك مجموعة من الأفراد تكون اتجاهاتهم موضوع الدراسة وتكون الغاية سبر تلك الاتجاهات لديهم ووصفها، وكثيراً ما يتم اعتماد هذه الطريق في دراسة اتجاه مجموعة من الأطفال نحو لعبة ما من الألعاب الرياضية، ولكن هذه الطريق تواجه صعوبات عادة بسبب من الوقت الذي تستغرقه الملاحظة ويحتاج إليها تكرارها، وكذلك بسبب من صعوبة تدريب الأشخاص على القيام بملاحظة علمية دقيقة.

أما الطريقة الثالثة فهي الطريقة التجريبية، وفيها تنظيم تجربة موضوعها أمر علمي ما تنظيماً يوفر فيه شروط الضبط والتحكم بالمتغيرات وإمكان استخراج النتائج بلغة الكم، ويغلب أن تنظم التجربة للتحقق من فرضية تم تأليفها من قبل، وكثيراً ما تعتمد هذه الطريقة في التعرف على

الاتجاه الذي يتكون لدى الطلبة نحو مهنة أو موضوع دراسي بعد تعرضهم لمؤثرات كثيرة تبرز خيرات ذلك الموضوع أو تلك المهنة.

وفي **الطريقة الرابعة** تعتمد دراسة الاتجاهات على الاستفتاء الذي يتناول مجموعة كبيرة من الأفراد في مجتمع ما، وفي الاستفتاء استطلاع للرأي العام، وفي تجمع الآراء حول أنماط من السلوك تعبر عن اتجاه ما دليل على ذلك الاتجاه، على منحاه الإيجابي، التفضيل الإيجابي، أو على منحاه السلبي وما فيه من عدم تفضي.

ويكون القياس **الطريقة الخامسة** التي تعتمد في دراسة الاتجاهات، وهي أكثر الطرائق استخداماً، هنا تعتمد دراسة الاتجاهات، على مقياس علمي موثوق أعد من قبل، لكشف اتجاه شخص، أو مجموعة أشخاص، نحو موضوع ما انطلاقاً من الإجابات التي تقدم استجابة لعبارات المقياس.

قياس الاتجاهات: يعتمد قياس الاتجاهات على الإجابات التي يقدمها الشخص عن عبارات نظمت تنظيماً علمياً دقيقاً في مقياس خضع لإجراءات علمية معينة قبل أن يعد مقياساً موثوقاً. وقد تأخذ العبارة صيغة سؤال، وقد تكون بيانية وصفية. وتتناول العبارات في المقياس الواحد كل الجوانب والتفصيلات المتصلة بموضوع الاتجاه وما يحتمل أن يظهر من أنماط في السلوك المعبر عن ذلك الاتجاه، وينظم المقياس تنظيماً يسمح بوضع إشارة بسيطة، أو كتابة كلمة، أمام كل عبارة تبين مدى انطباق تلك العبارة على حاله، مع العلم أن «المدى «يوضع في درجات من شدة الموافقة إيجاباً وسلباً: أوافق بشدة عظيمة، حتى لا أوافق أبداً، كذلك ينظم المقياس تنظيماً يسمح بنقل إجابات الشخص إلى لغة الكم، والفكرة الأساس في المقياس هي أن الشخص يقدم تقريراً عن ذاته حين يقول إنه يوافق بشدة على ذلك الأمر، وأن المقياس يشمل في عباراته شمولاً مناسباً عينة جيدة من أنماط السلوك التي يظهر الاتجاه عن طريقها وتعبر عنه(السيد وعبد الرحمان، 1999، ص156-166)(الأنصاري ومحمود، 2007، ص254-255)

ولما كانت الاتجاهات كثيرة لدى الأشخاص، وكانت موضوعاتها مختلفة، فإن قياس هذه الاتجاهات يحتاج إلى عدد كبير من المقاييس يكون كل منها معد لاتجاه ما، وانطلاقاً من تنوع المجتمعات والاختلافات بينها في النمط الثقافي، وتنوع الدراسات العلمية، وتنوع الطرائق في حساب النتائج في المقاييس وفي صوغ عباراتها، فإن هناك تنوعاً كبيراً في المتوافر من المقياس في العالم لاتجاه واحد.

ومن خلال هدا العرض للاتجاهات فانه يمكننا الخلاص إلى أن الاتجاه يعكس أفكار الأفراد وعواطفهم وسلوكياتهم اتجاه شي معين وهي تختلف باختلاف أهدافها ومضامينها يمكننا قياسها، إنها جزء مهم في بناء شخصية الفرد، تتحدد من خلالها الكثير من القضايا والقرارات، مهمة في تشكيل الجماعات وتحريكها.

ثانيا.الهـــجرة:

أنواع الهجرة: وتنقسم الهجرة من حيث الاستمرار والدوام إلى نوعين: **الهجرة الدائمة والهجرة المؤقتة**، أما من حيث اتجاهها فيمكن تقسيمها إلى: **هجرة دولية-هجرة داخلية- هجرة موسمية أو دورية**، وهذا النوع الأخير قد يندرج جزئيا تحت أحد النوعين السابقين(عطوى.ع، 1993، ص142)، **هجرة شرعية** بصفة قانونية وأخرى **غير شرعية** بصيغة غير قانونية، والمتصفح

للتاريخ البشري يلاحظ أن الهجرة شملت شعوب العالم القديم، جماعات وفرادى، لقد هجرت شعوب من آسيا الوسطى إلى أوربا واستوطنتها، وأخرى من أوربا إلى آسيا وإفريقيا، وكان لشعوب الجزيرة العربية هجرات تاريخية إلى الشمال ومنه شرقا وغربا، كما أن معظم سكان أمريكا اليوم من المهاجرين الأوربيين والأسيويين وغيرهم، وعليه فالهجرة تختلف باختلاف طرقها وأهدافها واتجاهاتها.

أسباب الهجرة الخارجيــة: الجزائر كغيرها من الدول شهدت ظاهرة غريبة في العشرية الأخيرة و هي الهجرة بنوعيها فرغم قلة الدراسات التي تطرقت إليها إلا أنها تؤكد أن لهذه الظاهرة عوامل مساعدة على الانتشار والتفشي بين الشباب ، إذ جعلت فئة كبيرة من المجتمع الجزائري يجازفون و يقبلون عليها دون التفكير في أثارها ومخلفاتها.

أسباب الهجرة (الشرعية وغير الشرعية)من الداخل إلي الخارج: أسباب متنوعة وكثيرة نلخصها علي النحو التالي:

أولا. أسباب سياسية: منذ الاستقلال وعبر الصيرورة التاريخية والجزائر تسير بنظام الحزب الواحد إلي غاية التغيرات الجذرية التي عرفتها الساحة السياسية في دستور الذي 1989 اقر بالتعددية الحزبية والاعتراف بالحريات الفردية وممارسة الديمقراطية قد أدى توقيف المسار الانتخابي في بداية التسعينات التي تأزم الوضع الأمني الذي مازلنا نعيش حيثياته ومخلفاته إلى حد الساعة رغم الجهود الرامية إلى استعادة الاستقرار و استتباب الأمن، وطالما أن المجتمع هو متكامل فإن هذا الوضع أدى إلى إحداث هزات ارتدادية على المستويات الاقتصادية، الاجتماعية والسياسية وما كانت ردة فعل المواطنين خاصة الشباب منهم سوى الهروب إلى المجهول إما بحثا عن الأمن والاستقرار أو خوفا من التهديدات، إضافة لمخلفات هذه المراحل وما يعيشه الشعب من ظروف أخرى ناتجة عن هذه الأزمة.

ثانيا. أسباب اجتماعية: إن التحولات العميقة التي عرفتها البلاد من جراء الأزمة المتعددة الجوانب ابتداء من نهاية عقد الثمانينات تركت اثأر سلبية لم يعرف المجتمع الجزائري لها مثيل ولم يألفها من قبل، إذا ظهرت على الساحة الوطنية عدة مؤثرات وظواهر اجتماعية يمكن حصرها فيما يلي:

-انتشار البطالة بين فئات الشباب والتي مست خرجي الجامعات والمعاهد العليا وهذا أدي بعض منهم إلى الهجرة أو ممارسة أعمال لا علاقة بتخصصهم

-أزمة السكن الحادة وهذا بسبب سوء التسيير الذي تتحكم فيها البيروقراطية.

-ارتفاع نسبة العزوبة والعنوسة.

-تنامي الشعور بالاغتراب والانعزال عن المشاركة في الحياة الاجتماعية أدى بالكثير ممن أسعفهم الحظ من الإطارات الهجرة الوطن بحثا عن المكان الذي يحقق لهم أمالــهم.

-كما أن تدهور القدرة الشرائية نتيجة تدني المداخل أدي إلي اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء بالإضافة إلى انتشار ظواهر أخري لا تقل خطورة عن سابقاتها ألا وهي جنوح الأحداث لعنف أسري، التسرب المدرسي،الإدمان على المخدرات.

كل هذه العوامل السالفة الذكر كونت مناخا خصبا لتنامي ظاهرة الهجرة السرية لدى الشباب الساخط على مجتمعه و الذي وجد فيها وسيلة لتحقيق عيش أفضل وكريم.

ثالثا. أسباب اقتصادية: أما على الواجهة الاقتصادية وكون الجزائر معتمدة أساسا على عائدات النفط والغاز في بناء اقتصادها الوطني الذي أدى إلى انتهاج نظام اقتصادي جديد إلا وهو اقتصاد السوق، الذي انجرت عنه عدة تغيرات خاصة مع ارتفاع حجم المديونية الخارجية إلى ما يفوق 33 مليار دولار وهذا ما جعل صندوق النقد الدولي يضع شروطه من بينها:خوصصة المؤسسات، غلق المؤسسات، تسريح العمال، تقليص قيمة العملة، تصفية المؤسسات.

رابعا. أسباب فكرية وثقافية: إن التطور السريع للدول الغربية من أسباب تبني مركب نقص لدي فئات الشباب خاصة دول العالم الثالث وهذا من خلال الإعلام الغربي غير المنتظم و غير الموجه والاتصالات المتطورة في مجال البحث عبر الأقمار، برامج التلفزيونات، الأنترنات، الصحف والأفلام المثيرة التي شكلت عقدة سيكولوجية لدي الشباب وأثارت لديهم الرغبة في التقليد و مواكبة المجتمع مما أدى به إلى التفكير في تحقيق هذا الحلم و بداية رحلة المجازفة(بزايح نور الهدى، بوزيان سلطانة، 2015، ص43-49).

لقد أصبحت ظاهرة الهجرة تشكل تهديدا كبيرا للدولة الجزائرية وللدول المستقبلة خاصة الآونة الأخيرة حيث نسمع يوميا عن ظاهرة الهجرة غير الشرعية وعن هجرة الكفاءات خاصة في ظل الظروف الاقتصادية كسياسة التقشف وانخفاض الدخل والبطالة والأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية وغيرها من العوامل التي سنكتشفها من خلال الدراسة الميدانية.

الجانب الميداني:

المنهج: بما أن الدراسة الحالية هي دراسة لاتجاهات الطلبة الجامعيين حول الهجرة (الشرعية وغير الشرعية) وأسبابها فان المنهج الأنسب لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي الكمي الذي يقوم على وصف الظاهرة وتحليلها كما ونوعا.

العينة: تمثل مجتمع الدراسة في طلبة جامعة - سطيف -2-الهضاب بكلياتها (العلوم الاجتماعية و الإنسانية و كلية الآداب واللغات) الذي بلغ عدده 8000 طالب موزعين على الكليات الثلاث حيث تم سحب عينة الدراسة منه بطريقة قصديه بنسبة 2 بالمائة فكان عدد أفراد العيينة هو 180 طالب وطالبة من مختلف الكليات.

الأدوات: لغرض التحقق من فرضيات الدراسة قامت الباحثة ببناء استمارة تكونت من 29 سؤال مغلق وسؤال مفتوح، تم تقسيم الاستمارة لـ 3 محاور تعلق المحور الأول بالبيانات الشخصية،والثاني بتوجهات الهجرة أما الثالث فقد ارتبط بـ أسباب الهجرة، وزعت على 180 مفردة تم استرجاع 93 فقط.

المحور الأول: البيانات الشخصية:وصف العينة

جدول رقم (1) وصف العينة حسب متغير الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة
ذكر	23	24.73
أنثى	70	75.26
المجموع	93	100

يتضح من الجدول أعلاه أن عينة الدراسة توزعت من حيث الجنس بين الذكور بنسبة 39.21 بالمائة في حين بلغت نسبة الإناث 86.49 ويعود هذا لقلة عدد الذكور في الأقسام التي تم التعامل معها وأيضا لوجود نسبة كبيرة من الإناث في هذه التخصصات.

جدول رقم(2) وصف العينة حسب متغير السن

السن	التكرار	النسبة
20-18	17	16.81
22-20	40	37.02
22 فما فوق	36	33.48
المج	93	100

يدل الجدول رقم (2) على توزع العينة حسب متغير السن حيث بلغت اعلي نسبة بـ 37.02 بالمائة للفئة مابين (20-22)تليها الفئة من (22 فما فوق) بنسبة 36 بالمائة ثم الفئة مابين (18-20) بنسبة 16.81 بالمائة، مما يدل على أن أغلب أفراد العينة هم طلبة ماستر ممن انهوا دراسة الليسانس.

جدول رقم (3): وصف العينة حسب متغير الكلية:

الأقسام	ت	ن
الآداب واللغات	16	14.88
ع الإنسانية	50	46.50
ع اجتماعية	27	25.11
المج	93	100

يتضح من الجدول أن عينة الدراسة تتوزع حسب الأقسام وبنسب متفاوتة حيث جاء قسم العلوم الإنسانية في المرتبة الأولى بأكبر نسبة 46.50 بالمائة ثم قسم العلوم الاجتماعية بنسبة 25.11 يليها الآداب واللغات بنسبة 14.88 بالمائة، ويعود هذا لكون الباحثة تابعة لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وهو ما سهل عليها الاحتكاك بأكبر عدد ممكن من هذه الكلية لسهولة التواصل معهم واستجابتهم للموضوع.

المحور الثاني: الهجرة

جدول رقم (04) يبين نتائج الرغبة بالهجرة

الإجابة	ت		ن	
نعم	57		53.01%	
	شرعية	غير شرعية	شرعية	غير شرعية
	57	00	%53.01	00
لا	36		33.48	
مج	93		86.49	

يشير الجدول رقم 4 إلى عدد الطلبة الراغبين في الهجرة بنوعيها، حيث يتضح أن نسبة (53.01 بالمائة)يرغبون في الهجرة الشرعية في حين 33.48 بالمائة لا يرغبون في ذلك سواء شرعية أو غير شرعية وهو ما يدل على أن أكثر من نصف أفراد العيينة لا يمانعون في الهجرة الشرعية، من مجموع 93 مفردة ووعيهم بخطورة الهجرة غير الشرعية.

جدول رقم (05): الدول المرغوب في زيارتها

الإجابة	ت	ن
أوروبا	52	%48.36
و م أ	18	%16.74
أسيا	18	%16.74
إفريقيا و الدول العربية	5	%4.65
مج	93	6.498

يفضل أغلب المبحوثين حسب الجدول الهجرة إلى دول اوريا بنسبة 48.36 بالمائة، في حين تتساوي النسبة بالنسبة لدول أسيا و وم إ بنسبة 16.74 بالمائة، أما الدول العربية وإفريقيا فجاءت بنسبة 4.65 بالمائة ويعود هذا إلى أن اغلب الجزائريين يفضلون الدول الأوروبية لقربها من البلد وسهولة الهجرة لها وإتقانهم للغة التي يتحدثون بها، ولديهم أقارب هناك

جدول رقم (06): هل لك تجربة في الهجرة؟

الإجابة	ت	ن
نعم	4	%3.72
لا	89	%82.77
مج	93	%86.49

من الجدول أعلاه يتضح أن أغلب المبحوثين ليس لهم تجربة سابقة في الهجرة بنسبة 82.49 بالمائة في حين 3.72 بالمائة فقط كانت لهم تجربة في الهجرة، وربما هذا مؤشر على اتجاهات سلبية نحو الهجرة وعدم الرغبة في ترك الوطن، أو عدم توفر الفرصة المواتية .

جدول رقم(07):الأطراف المشجعة علي الهجرة

الإجابة	ت	ن
الأهل	4	%3.72
الأقارب	4	%3.72
الأصدقاء	0	%3.72
وسائل الإعلام	4	%3.72
أخرى	0	%3.72
مج	12	18.06

يبين الجدول أعلاه أن الآهل والأقارب ووسائل الإعلام من أكثر الأطراف المشجعة على الهجرة بنسبة 3.72 وهو ما يدل على دور وتأثير هذه الأطراف على اتجاهات الشباب الجامعي نحو الهجرة .

جدول رقم (08): وجود جماعات تسهل الهجرة غير الشرعية

الإجابة	ت	ن
نعم	79	%73.74
لا	14	%13.02
مج	93	86.49

يؤكد أغلب أفراد العينة أن 73.74 أن هناك أطراف تشجع على الهجرة غير الشرعية في حين 13.02 تقول بعدم وجود جماعات تشجع على الهجرة.

جدول رقم (09): محاولة الحصول على تأشيرة رسمية

الإجابة	ت	ن
نعم	32	29.76
لا	61	56.73
مج	93	86.49

جاءت إجابات المبحوثين بنسبة 86.49 لتؤكد على عدم محاولتهم للحصول على التأشيرة في حين يذهب 29.76 إلى التأكيد على محاولتهم للحصول على تأشيرة للهجرة وهو ما يشير إلى عدم رغبة أغلب الطلبة المبحوثين في الهجرة بنسبة كبيرة .

جدول رقم(10):أقارب خارج الوطن

الإجابة	ت	ن
نعم	70	65.10
لا	33	30.69
مج	93	95.79

يظهر الجدول أعلاه أن اغلب المبحوثين لديهم أقارب خارج الوطن بنسبة 65.10 بالمائة مما قد يوثر على اتجاهاتهم نحو الهجرة بنوعيها من خلال تجاربهم هناك سواء كانت سلبية أو ايجابية، في حين 30.69 بالمائة ليس لديهم أقارب خارج الوطن.

جدول رقم(11): وصفهم لك لتجربة الهجرة

الإجابة	ت	ن
جيدة	43	39.99
مقبولة	39	36.27
مج	82	76.26

يتضح من خلال الجدول أن 39.99 بالمائة من المبحوثين قالوا بأن أهلهم وأصدقاهم في بلاد المهجر يصفون بأن تجربتهم جيدة في المهجر ومتوسطة بنسبة 36.26 بالمائة، مما يعد كمؤشر مشجع للهجرة بالنسبة للمبحوثين، وعاملا مؤثرا على اتجاهاتهم.

جدول رقم(12): رغبتهم في العودة (الأهل والأقارب)

الإجابة	ت	ن
نعم	38	35.34
لا	38	35.34
مج	76	70.68

يبين الجدول أن نسبة الراغبين في العودة للوطن تساوي نسبة الرافضين للعودة ب 35.34 بالمائة مما يدل على أن حنين للوطن وظروف قاهرة للهجرة، في مقابل مبررات للبقاء وعدم الرغبة في العودة

جدول رقم (13): مبررات البقاء خارج الوطن

الإجابة	ت	ن
التعود علي المكان	4	3.72
الدخل المرتفع	15	13.95
الظروف الإق و الإج جيدة	14	13.02
المستوي العلمي و الثقافي عالي	15	13.95
أخرى	0	00
مج	38	54.64

في حين بين الجدول الموالي أسباب الإقبال على الهجرة والمكوث هناك ورفض العودة للوطن حيث جاء المستوى العلمي والثقافي العالي في المرتبة الأولى بنسبة 13.95 بالمائة يليه الدخل المرتفع ب 13.95 بالمائة ثم الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجيدة بنسبة 13.02 في حين أخذ بند المعلق بالتعود على المكان بنسبة 3.72 بالمائة، وهو ما يبرر ربما إقبال الشباب اليوم على الهجرة .

جدول رقم (14):الاعتقاد بسهولة الهجرة غير شرعية

الإجابة	ت	ن
نعم	0	00
لا	93	86.49
مج	93	86.49

جاءت أغلب إجابات المبحوثين حول سهولة الهجرة غير الشرعية بالنفي بنسبة 86.49 بالمائة مما يؤكد رفضهم لفكرة الهجرة غير الشرعية وعدم إقبالهم عليها ووعيهم بمخاطرها.

جدول رقم(15):الوعي بنتائج وعقوبات الهجرة غير الشرعية

الإجابة	ت	ن
نعم	78	%72.54
لا	15	%13.95
مج	93	86.49

يوضح الجدول أن اغلب أفراد العينة يدركون نتائج وعقوبات الهجرة غير الشرعية بنسبة 72.54 بالمائة في حين يري نسبية 13.49 بالمائة لا يرون أن الهجرة غير الشرعية أمر خطير.

جدول رقم(16):إذا كانت الإجابة بنعم هل تفكر في خوض التجربة

الإجابة	ت	ن
نعم	7	%6.51
لا	86	%79.89
مج	93	86.40

يتضح من الجدول أن 79.89 بالمائة لا يفكرون في خوض هذه التجربة وهو ما يدل على الاتجاهات السلبية نحو الهجرة غير الشرعية في حين يذهب 6.51 بالمائة من المبحوثين أجابوا بنعم وهي نسبة قليلة.

جدول رقم (17): الهجرة أنسب حل لمشكلات الشباب

الإجابة	ت	ن
نعم	11	%10.32
لا	82	%76.26
مج	93	86.58

يرى 76.26 بالمائة من المبحوثين أن الهجرة (الشرعية وغير الشرعية) ليست الحل الأنسب لمشكلات الشباب، وهو ما يؤكد الاتجاهات السلبية نحو الهجرة ورفض الشباب لفكرة الهجرة بل يؤكدون أن الحل يكون في الوطن ومن لم يجد في بلده الحل لن يجده خارجا وان الهجرة غير الشرعية ستزيد الطين بلة، في حين يري باقي المبحوثين بنسبة 10.32 يرون أن الهجرة تحل مشكلات الشباب، وقد يعود هذا للأفكار والتجارب التي ينقلها لهم الأهل والأقارب ووسائل الإعلام وكذلك لجهلهم واقع المهاجرين هناك.

جدول رقم(18): رغم العراقيل التي تواجهك في بلدك لا تفكر في الهجرة للخارج

الإجابة	ت	ن
نعم	60	%55.8
لا	33	%30.69
مج	93	85.77

أكد 55.08 بالمائة من المبحوثين أنهم لا يفكرون في الهجرة رغم ما يعشونه من ظروف وما يواجههم من عراقيل داخل الوطن وهو ما يشير للاتجاهات السلبية نحو الهجرة ورفضهم للفكرة رغم الظروف وأيضا روح المواطنة لديهم، في حين يذهب 30.69 بالمائة إلى أنهم يفكرون في ذلك

جدول رقم (19):تشجيع كل من يرغب في الهجرة

الإجابة	ت	ن
نعم	26	%24.18
لا	67	%62.31
مج	93	86.49

يرفض أغلب المبحوثين تشجيع الراغبين في الهجرة بنسبة 62.31 بالمائة في حين يشجع باقي المبحوثين بنسبة 24.18 بالمائة الراغبين في الهجرة مما يؤكد أن أغلب المبحوثين يرفضون فكرة الهجرة، وبالتالي وجود نوع من الوعي وروح المواطنة لدى المبحوثين.

جدول رقم (20): المهاجر يخصى بمكانة اجتماعية مرموقة

الإجابة	ت	ن
نعم	26	%24.18
لا	67	%62.31
مج	93	86.49

يرى أغلب المبحوثين أن المهاجر لا يحظى بالمكانة المرموقة خارج الوطن وهذا بنسبة 62.31 بالمائة في حين ترى نسبة 24.18 بالمائة العكس.

المحور الثالث. توجهات الهجرة:

جدول رقم (21):هناك أسباب واقعية للهجرة

الإجابة	ت	ن
نعم	78	%72.54
لا	15	13.95
مج	93	86.49

أكد جل المبحوثين أن للهجرة أسباب واقعية بنسبة 72.54 بالمائة، أما 13.95 بالمائة يرون انه ليس هناك أسباب واعية ومبررات فعلية للهجرة.

جدول رقم (22): أسباب نفسية

الإجابة	ت	ن
ضعف الشعور بالانتماء	13	%12.09
الشعور بالحرمان	13	%12.09
إشباع الحاجات	13	12.09
البحث عن إثبات الذات	20	18.06
البحث عن الحرية	6	5.58
رفض الواقع	13	12.09
أخرى	0	00
مج	78	72.54

تباينت استجابات المبحوثين حول الأسباب النفسية للهجرة حيث جاء كل من البند الرابع في المرتبة الأولى بنسبة 18.06 بالمائة، فيما يخص البحث عن إثبات الذات والأول والثاني والثالث والرابع بنسبة 12.09 بالمائة ضعف الشعور بالانتماء، الشعور بالحرمان، إشباع الحاجات، رفض الواقع، ثم البحث عن الحرية بنسبة 5.58 بالمائة مما يدل علو وجود حاجات نفسية ترتبط بالبحث عن إثبات الذات والشعور بالحرمان وضعف الانتماء ورفض الواقع كأسباب فعلية للتفكير في الهجرة بنوعيها.

جدول رقم (23): أسباب اجتماعية

الإجابة	ت	ن
الفقر	15	13.95
البطالة	52	23.25
التهميش	11	10.23
الحقرة	21	11.16
المحسوبية واللا عدل	10	9.3
المرض	5	4.65
مج	78	72.27

توزعت إجابات المبحوثين وكان ترتيب البنود كالتالي: البطالة بنسبة 23.25 بالمائة ثم الفقر 13.95 بالمائة، الحقرة 11.16 بالمائة، التهميش بنسبة 10.23 بالمائة، المحسوبية واللا عدل 9.03 بالمائة، المرض بنسبة 4.65 بالمائة، مما يؤكد على الظروف الاجتماعية الصعبة التي يعيشها الطالب الجامعي بعد التخرج، من بطالة ومحسوبية وتهميش مما يجعلهم يفكرون في الهجرة .

جدول رقم(24):أسباب اقتصادية

الإجابة	ت	ن
مساعدة العائلية	20	18.06
الهروب من متاعب العائلية	5	4.65
الحصول علي عروض عمل أفضل	21	19.53
البحث عن حياة أفضل	32	29.76
أخري	0	00
مج	78	72.00

أكد أغلب المبحوثين أن أسباب الهجرة الاقتصادية تتنوع، حيث يأتي البحث عن حياة أفضل في المرتبة الأولى بنسبة 29.76 بالمائة، يليها الحصول على عروض عمل أفضل بنسبة 53.19 بالمائة تليها 18.06 بالمائة لمساعدة العائلة، أما الهروب من متاعب العائلة فقد جاءت بنسبة 4.65 بالمائة، وهو ما يؤكد أن أسباب الهجرة ترتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية للطلبة خاصة ما تعلق بالعمل ومتاعب العائلة.

جدول رقم(25):أسباب علمية

الإجابة	ت	ن
تحسين المستوى الدراسي	15	13.95
الحصول علي شهادات أعلى	23	21.39
البحث العلمي	10	9.03
الإستفادة من خبرات الأجانب	15	13.95
التبادل الثقافي و العلمي	15	13.95
مج	78	72.27

جاءت إجابات المبحوثين حول الأسباب العلمية موزعة بالترتيب كالتالي:الحصول على شهادات اعلي بنسبة 21.39 بالمائة ثم تحسين المستوى الدراسي والاستفادة من خبرات الأجانب والتبادل العلمي والثقافي بنسبة 13.95 ثم البحث العلمي 9.03 بالمائة وهو ما يؤكد رغبة المبحوثين في الهجرة للحصول على مستويات أعلى وتحسين مستواهم العلمي.

جدول رقم(26): أسبات ترفيهية

الإجابة	ت	ن
حب السفر ورؤية دول العالم	30	27.9
التعارف و تكوين صداقات	10	9.03
الترفيه وتغيير الأجواء	14	13.02
حب الاكتشاف	10	9.03
الرغبة في العيش خارج الوطن	2	1.86
لدي أصدقاء هناك	10	9.03
لدي الأقارب هناك	2	1.86
أخرى	0	00
مج	78	72.27

كما أرجع المبحوثين أسباب الهجرة المرتبطة بالجانب الترفيهي إلى الرغبة في الاكتشاف والسفر بنسبة 27.09 ثم الترفيه وتغيير الأجواء بنسبة 13.02 بالإضافة إلى كون المبحوثين لديهم أصدقاء هناك مما يجعلهم يرغبون في الهجرة بنسبة 9.03وايضا الرغبة في تكوين صدقات، أما

بالنسبة للبند المتعلق بالرغبة في العيش في الخارج فلم تحظى إلا ب1.86 بالمائة وهو ما يدل على الاتجاه السلبي نحو الهجرة ورغبة المبحوثين في البقاء داخل الوطن رغم الظروف كما أن نسبة 1.86 بالمائة من يرغب في الهجرة لسبب وجود أقارب هناك.

جدول رقم (27): لو أتيحت لك الفرصة للهجرة هل ترغب في البقاء هناك

الإجابة	ت	ن
نعم	20	18.06
لا	73	76.89
مج	93	86.49

يبين الجدول أعلاه أن جل المبحوثين يرفضون المكوث في الخارج وان أتيحت لهم الفرصة بنسبة 76.89 بالمائة في حين ذهب بقية المبحوثين بنسبة 18.06 لقبول هذا العرض وهي نسبة قليلة مقارنة بمجموع المبحوثين وهو ما يؤكد على الاتجاهات السلبية نحو الهجرة وارتفاع روح المواطنة لدي المبحوثين للبقاء في الوطن رغم كل الظروف.

السؤال المفتوح: ما هي مشاريعكم المستقبلية وطموحاتكم؟

جاءت إجابات المبحوثين مؤكدة على رغبتهم في بناء مستقبلهم داخل الوطن وتمحورت حول الأمل في وظيفة محترمة وإكمال الدراسات وخدمة الوطن حيث تجلت الروح الوطنية في استجابات كل المبحوثين فطموحاتهم لم ترتبط بالهجرة وبناء المستقبل خارج الوطن وهو ما يؤكد اتجاههم السلبي نحو فكرة الهجرة رغم الظروف.

النتيجة العامة للدراسة: في ضوء هذا العرض يتضح أن:

-هناك اتجاهات سلبية للمبحوثين حول الهجرة بنوعيها الشرعية وغير الشرعية حيث يرفض اغلب المبحوثين الهجرة ويرون أنها ليست الحل الأنسب لمشكلاتهم بل الحل يكون داخل الوطن .وهو ما يدل على الروح الوطنية المرتفعة والوعي بالواقع المعاش والسعي لتغييره من داخل الوطن لان الهجرة حسبهم ليست هي الحل.

-أكد اغلب المبحوثين على وجود دوافع وأسباب لهجرة الشباب وتباينت هذه الأسباب حسب استجاباتهم من أسباب نفسية إلى اجتماعية ثم اقتصادية علمية وثقافية ترفهيه وخاصة ما تعلق بإثبات الذات وضعف الشعور بالانتماء ورفض الواقع المعاش ،في حين كانت البطالة والفقر والظروف المعيشية في مقدمة الأسباب الاقتصادية والاجتماعية والبحث عن تحسين المستوى العلمي وشهادات أعلى من أهم الأسباب العلمية.

قائمة المراجع:

1. الأنصاري سامية لطفي، محمود أحلام حسن(2007)، الصحة النفسية وعلم النفس الاجتماعي والتربية الصحية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر.
2. بسايح نور الهدى، بوزيان سلطانة(2016،2015)، واقع الهجرة غير الشرعية من منظور الأمن الإنساني رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق والعلوم السياسية، سعيدة.
3. جبار كنزة(2014)، اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو الكتابات الجدارية، رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس الاجتماعي،قسم علم النفس، جامعة باتنة.
4. جريدة البلاد(2018)، أرقام مرعبة حول الحراقة الجزائريين في أوروبا،27 /2018/01.

5. ساعد رشيد(2011)، واقع الهجرة غير الشرعية في الجزائر من منظور الأمن الإنساني، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة.
6. السيد فؤاد بهي، عبد الرحمان سعد(1999)، علم النفس الاجتماعي رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، مصر.
7. صالح نصيرة(2011)،اثر ضغوط الحياة على الاتجاهات نحو الهجرة إلى الخارج، رسالة ماجستير غ منشورة ، قسم علم الاجتماع ،جامعة مولود معمري، الجزائر.
8. عبد الله عطوي(1993)، الإنسان والبيئة في المجتمعات البدائية والنامية والمتطورة، ط1، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، لبنان.
9. عمران أبو حجلة(1997)،حالات فوضى-الآثار الاجتماعية للعولمة-، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
10.منصور علي(2001)، التعلم ونظرياته، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، منشورات جامعة تشرين اللاذقية، سوريا.

إشكالية ضمان جودة مخرجات التعليم العالي في ظل حاجات المجتمع.

Title of the article in English: The problem of ensuring the quality of outputs of higher education in light of the needs of society.

أ.بن عمار نوال، جامعة باتنة01- الجزائر

ملخص: لقد ظهر مفهوم ضمان الجودة في التعليم الجامعي كنتيجة للانتقادات المتصاعدة لتدني نوعية التعليم العالي، وارتفاع كلفته، وانتشار التعليم الخاص، والدفع بمؤسسات التعليم العالي نحو الاستقلال الذاتي، فضلا عن المنافسة الحادة في سوق العمل، والتنافس العالمي بين مؤسسات التعليم العالي كنتيجة للتوجيه العالمي للعولمة، وانتشرت لذلك الهيئات العالمية لضمان الجودة في التعليم العالي، التي عملت على تحديد السياسات والمعايير لضمان جودة البرامج في التعليم العالي، وأصبح لزاما على مؤسساته الأخذ بها وتحقيقها في برامجها كمتطلب أساسي للاعتراف بها واعتمادها.

الكلمات المفتاحية: نظام ضمان الجودة، الجودة في التعليم العالي، جودة مخرجات التعليم العالي

Abstract: The concept of quality assurance has emerged in university education as a result of the increasing criticism of the low quality of education, the high cost of it, the spread of private education, the push of institutions of higher education toward autonomy, the fierce competition in the labor market, The global bodies of quality assurance in higher education, which have worked to define policies and standards to ensure the quality of programs in higher education, have become necessary for its institutions to implement and implement in their programs as a prerequisite for recognition and adoption.

Keywords: Quality Assurance System, Quality in Higher Education, Quality of Higher Education Outputs

مقدمة:

في ظل التغيرات المستمرة التي تشهدها الساحة العالمية في العقود الأخيرة بنحو لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، شاملة جميع جوانب الحياة الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية بشكل عام، والتي أدت إلى تطور ملحوظ في تغيير الأفكار والأساليب المتبعة في جل الميادين وخاصة الاقتصادية منها، إضافة إلى ظهور العديد من الموجات التي بات لها تأثير كبير في حياة الأفراد، والتي بلا شك ستحد من تقدمهم و رقيهم.

وتعاني مؤسسات التعليم العالي العربية تحديات تتصل بتدني نوعية مخرجاتها وعدم مواءمتها لاحتياجات سوق العمل وخطط التنمية في معظم البلدان العربية على حد سواء، وإن كثيرا من تخصصات وبرامج هذه المؤسسات لم تعد تشكل أولوية لحاجة المجتمع وأصبح سوق العمل المحلي مشبعا منها، وتعاني مخرجاتها من البطالة وخاصة تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وأصبحت بعض الأنظمة العربية مثقلة بتوظيف مخرجات هذه التخصصات في المؤسسات والهيئات والوزارات بهدف حل مشكلة البطالة السافرة لمثل هذه المخرجات، إلا أن القطاع الخاص يشترط لتوظيف هذه المخرجات توفر المهارات الإضافية الأخرى مثل اللغات الأجنبية والقدرة على استخدام الحاسب، إضافة إلى بعض المهارات والقدرات الشخصية الأخرى.

ونتيجة لذلك فقد سعت الكثير من الحكومات العربية إلى إصلاح مؤسسات التعليم العالي وتجويد مخرجاتها بإنشاء وتشكيل الهيئات أو المجالس المتخصصة للاعتماد الأكاديمي وضمان الجودة لتضمن من خلالها توطيد تقدمها ببرامجها التعليمية ومواءمة مخرجاتها مع متطلبات المجتمع وسوق العمل.

1.مشكلة الدراسة:

رغم ازدياد أهمية التعليم العالي لدى الدول العربية إلا أن مؤسساته تواجه تحديات وتهديدات بالغة الخطورة نشأت عن المتغيرات التي بدلت شكل العالم وأوجدت نظاما جديدا يعتمد أساسا على العلم والتطوير التكنولوجي، الأمر الذي لا يدع مجالا للتردد في البدء ببرامج شاملة للتطوير والتحديث تضمن لمؤسسات التعليم العربية القدرة على تجاوز مشاكلها ونقاط ضعفها، هناك الكثير من الانتقادات التي وجهت له بخصوص تدني جودة و نوعية المخرجات التعليمية، وعدم ملائمة مخرجاته لحاجات سوق العمل، وارتفاع تكلفته، أدى ذلك إلى ظهور توجه قوي يرمي إلى السعي الجاد للارتقاء بكفاءة التعليم العالي من خلال تحسين الجودة الشاملة لمخرجاته باستخدام معايير ونظم الجودة الشاملة المختلفة، ونظرا للنجاحات الكبيرة في تطبيق إدارة الجودة في التعليم العالي والجامعي في العديد من الدول المتقدمة وبعضا من الدول العربية إلا أننا نلاحظ غيابها على مستوى مؤسساتنا التعليمية ومن هنا فإن مشكلة هذه الدراسة تتمثل في أنه وفي ظل العولمة لن تمر سنوات معدودات حتى تتغير كل المفاهيم التقليدية في المؤسسات والمنظمات المختلفة وسوف تنهار أي مؤسسة سلعية كانت أم خدمتية لا تأخذ بفلسفة إدارة الجودة الشاملة أو ليس لها شهادة مطابقة من المنظمة العالمية للمواصفات **ISO** ويمكن تلخيص مشكلة البحث في السؤال الآتي:- ما هي متطلبات ومعايير تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي من أجل ضمان مخرجات في إطار حاجات المجتمع؟.

2.الإطار النظري والمفاهيمي للجودة:

لا أحد يعارض حقيقة أننا نعيش في عصر أصبحت فيه المعرفة دالة للثروة ومصدرا أساسيا للنمو ومحركا فاعلا لجميع الأنشطة الاقتصادية، فقد أضحى تطور وتنمية المجتمعات المعاصرة يتأثر أكثر فأكثر بدرجة امتلاكها لمصادر المعرفة وقدرتها على إنتاجها بعدما تأكد عدم جدوى امتلاك الموارد المادية لوحدها. ويعد التعليم بصفة عامة والتعليم العالي بصفة خاصة من أهم ركائز اقتصاد ومجتمع المعرفة، حيث تسهم مؤسسات التعليم العالي بحثا واستخداما وتطبيقا من خلال ممارسة وظائفها من تدريس (نشر المعرفة)، وبحث علمي (إنتاج المعرفة)، وخدمة المجتمع (تطبيق المعرفة)، إلا أن نجاح هذه المؤسسات، في إعداد الرأس المال البشري المؤهل للإنتاج وتطوير القدرات الإبداعية له، والرفع من مستوى تأهيله لتلبية مختلف حاجات المجتمع من التنمية المستدامة، في جميع المجالات الاجتماعية، البشرية، الاقتصادية والثقافية، يتطلب منها ضرورة الاهتمام بقضية ضمان جودة التعليم العالي، خاصة وأن النجاح في تطبيقها مفهوما وممارسة يشكل اللبنة الأساسية لتطبيق منهج إدارة الجودة الشاملة والوصول نحو الاعتمادية العالمية. (La commission d’implémentation d’un système assurance qualité pour l’enseignement supérieur en Algérie).

مفهوم الجودة: إن أهمية الجودة تحتم ضرورة الوقوف على جوانبه المختلفة، وهذا ما سيتم الوقوف عليه من خلال عرض تعريف الجودة.

تعريف الجودة: برزت عدة محاولات لتقديم تعريف الجودة، وكانت كل التعاريف التي نتجت عن هذه المحاولات تتولى إبراز سمة معينة تتمحور حولها وبصرف النظر عن الاختلافات التي أبرزتها المحاولات هناك بعض التعاريف فرضت نفسها على الفكر الإداري لما اتصفت به من موضوعية و دقة.

أ)- الجودة في اللغة من الفعل جاد، فجاد الشيء أي صار جيدا وهو ضد الرديء، وجود أو أجود الشيء أي حسنه وجعله جيدا، و أجاد فلان أي أتى بالجيد(شلاش فارس جعباز، 2003، ص171).

ب)- أما اصطلاحا فيرجع مفهوم الجودة (Quality) إلى الكلمة اللاتينية(Qualitas) التي تعني طبيعة الشخص أو الشيء ودرجة صلابته، وقديما كانت تعني الدقة والإتقان في تصنيع الآثار والتماثيل وقلاع القصور لأغراض التفاخر بها أو لاستخدامها لأغراض الحماية، وحديثا تغير مفهوم الجودة وأصبح له أبعاد جديدة ومتشعبة(الدرادكة مأمون، الشبلي طارق، 2002، ص15-16).

ج)- وعرفت في قاموس التسويق بأنها"درجة الاستجابة المنتظرة من الزبائن عند تقديم منتج أو خدمة."(Golven Yves, 1988, p111)

د)- أهم تعاريف رواد الجودة والتنظيمات المهتمة بها:

-تعريف جوزيف جيرون (Joseph.Jiron) " الجودة هي ملائمة المنتج للاستعمال من ناحية التصميم ومجال الاستخدام(Kunar.S, 2006, p6).

-تعريف كروسبي (Philip B.Jiron)" الجودة هي المطابقة مع الاحتياجات والمتطلبات الأساسية."(Grosby P.B, 1996, p74).

-تعريف المعهد الوطني الأمريكي للمقاييس والجمعية الأمريكية لمراقبة الجودة (ANSI/ASQC)" الجودة هي مجموعة من السمات والخصائص للسلع والخدمات القادرة على أن تلبي حاجات محددة"(Kunar.S, 2006, p1).

-تعريف المنظمة الدولية للمقاييس(ISO)" مجموعة خصائص في السلعة أو الخدمة تعطي لها أهلية إشباع الحاجات المعلنة والضمنية"(Hubeac.Jean-Pierre, 2001, p113).

-تعريف مركز التجارة الدولي (ITC)" الجودة هي:التركيز على السلعة المنتجة. التركيز على التصنيع بحيث تكون خصائص المنتج مطابقة للمواصفات المطلوبة.التركيز على المستفيد.التأكيد على القيمة المضافة وفق السعر والمتطلبات التي يرغب فيها الزبون(Margen.C & Stephen (Margatroyd, 1995, p9

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن هناك من قسم الجودة إلى نوعين:(Claude Jambert, 2001, p13).

الجودة الداخلية: وهي قدرة المؤسسة على تحقيق العمليات المطابقة للمتطلبات الخاصة من أول مرة، فالجودة الداخلية تتطلب إعادة العمليات التي لم تصل إلى الجودة المطلوبة.

الجودة الخارجية: تمثل مدى قدرة المنتجات أو الخدمات على إرضاء الزبائن، والتي يمكن تحسينها من خلال: رضا الزبون الذي يقاس بالفرق بين مستوى الجودة المدرك ومستوى الجودة المنتظر.

شكل رقم (01): المفاهيم الأساسية للجودة.



Source : www.birzeit.edu

تشكل الجودة المحور والقاعدة التي تبنى عليها العديد من مفاهيم فلسفة الجودة الشاملة ونقطة الأساس فيها، وهي تهدف بالدرجة الأولى لجودة الإنتاج، حيث تعتبر نقطة الاهتمام الأولى في الضبط المتكامل و الشامل لها عن طريق تجميع وتطوير عمل الوحدات المختلفة داخل المنظمة وخاصة تلك التي تتمثل وظيفتها في تطوير الجودة وتحسينها سعيا لتحقيق الإنتاجية بدرجات تتناسب مع مواصفات الجودة، وبالتالي تلبية رغبة المستهلك ونيل رضاه بأقل التكاليف ومن بين العناصر الأساسية للجودة هي إدارة العمليات من أجل خلق قيمة للعملاء وهذا بدوره يحتاج لرؤية وإلهام ونزاهة في القيادة من أجل تحقيق نتائج متوازنة، تركز على المستقبل وذلك من خلال بناء شراكات و خلق منافسة أفضل وتحمل المسؤولية اتجاه مستقبل مستدام برعاية وابتكار وإبداع الأفراد الفاعلين فيها.

مفهوم الجودة في التعليم: أصبح الاهتمام بموضوع الجودة في المؤسسات التعليمية يحضى باهتمام بالغ لدى المعنيين لدوره الكبير في التحسين المستمر، وتعرف الجودة في التعليم بأنها "إستراتيجية عمل أساسية تسهم في تقديم المنتجات والخدمات لإرضاء الزبون الداخلي والخارجي وتلبي توقعاته الضمنية والمعلنة"(Tenner &Detoro).

وينظر(عشيبة، 2000، ص12) إلى الجودة في التعليم على انه مجموعة المعايير والخصائص التي ينبغي أن تتوفر في جميع عناصر العملية التعليمية، سواء منها ما يتعلق بالمدخلات أو العمليات أو المخرجات والتي تلبي احتياجات المجتمع ومتطلباته ورغبات المتعلمين وحاجاتهم وتحقيق تلك المعايير من خلال الاستخدام الفعال لجميع العناصر المادية والبشرية.

ويركز كلا من (Jomtien & Dakar) على خصائص التعلم في تعريفهما لجودة التعليم حيث أشارا إلى إنها تمثل "إدخال خصائص التعلم المرغوبة من خلال عملية معالجة مستندة على التدريسيين الأكفاء الملمين بعلم أصول التدريس (Pédagogies) ومناهج تعليمية متكاملة ومناسبة في ظل نظام حوكمة عادل ومنصف (EFA,2005, p29).

ومن وجهة نظر(الخميسي، 2007، ص5) فإن الجودة في التعليم هي عملية استيفاء النظام التعليمي للمعايير والمستويات المتفق عليها لكفاءة النظام التعليمي وفاعليته بمختلف عناصره (المدخلات، العمليات، المخرجات، البيئة) بما يحقق أعلى مستوى من القيمة والكفاءة والفاعلية لكل من أهداف النظام وتوقعات طالبي الخدمة التعليمية(الطلبة، المجتمع).

أما منظومة إدارة الجودة الشاملة في التعليم فقد عبر عنها(Hixon.J, 1992, p6) بأنها "عملية إستراتيجية إدارية تستند على مجموعة من القيم تستمد طاقتها من المعلومات وبما يمكنها من توظيف إمكانات العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية استثمارا إبداعيا يضمن تحقيق التحسين المستمر للعملية التعليمية.

ومن وجهة نظر(سوسن، والزيادي، 2008، ص92) فإن إدارة الجودة الشاملة في التعليم هي "جملة الجهود المبذولة من قبل العاملين في مجال التعليم لرفع وتحسين المنتج التعليمي بما يتناسب مع رغبات المستفيدين ومع قدراتهم وسماتهم المختلفة".

وتعتمد معرفة الاتجاهات العامة لجودة وتطوير العملية التعليمية ومنها جودة مخرجاتها على فهم فكرتها ومن ثم مدى تأثير ذلك على كفاءة وأداء المنظمة التعليمية عموما، وتظهر ابرز مبررات تطبيق الجودة الشاملة في النظام التعليمي من خلال الآتي(المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 2006):

-ارتباط الجودة بالإنتاجية.

-ارتباط نظام الجودة بالشمولية في كافة المجالات.

-عالمية نظام الجودة وكونها سمة من سمات العصر الحديث.

-نجاح تطبيق نظام الجودة الشاملة في العديد من المؤسسات التعليمية سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص في معظم دول العالم.

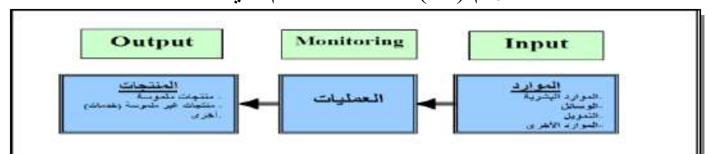
-ارتباط نظام الجودة الشاملة مع التقويم الشامل للتعليم بالمؤسسات التعليمية.

إن الفحص الدقيق لمحتوى هذه المبررات يشير إلى انتقال المفهوم من التركيز على الإنتاج وتحسين المنتوج من خلال العمليات وبإجراءات المطابقة للمواصفات والفحص إلى الاهتمام بالنظرة الشمولية التي ترى إن الجودة فلسفه تهم المنظمة ككل بكافة مكوناتها وللأمد البعيد لغرض خلق ثقافة تنظيمية تلعب الجودة والتميز دوراً أساسيا فيها(Evan,1997, p12).

ومما لا شك فيه أن أي نظام مهما كان حجمه ونوعه يتكون من 3 مكونات رئيسية لا يبنى بدونها وهي المدخلات والعمليات والمخرجات، وهكذا هو الحال في التعليم أيضا، ولأن دراستنا تركز على دراسة المخرجات فيمكن وصف جودة مخرجات العملية التعليمية بأنها الإستراتيجية التي تهدف إلى توظيف المعلومات والمهارات والقدرات لتحقيق التحسين المستمر بما يسهم في الارتقاء بقيمة مؤسسات المجتمع، والجودة بذلك تبرز من خلال التفاعل المتكامل ما بين ما تحتويه مخرجات العملية التعليمية من تخصصات وخبرات ومعارف متراكمة وما بين الآليات والعمليات التي تؤديها المنظمات والقطاعات المختلفة وفقا لتوجهها وفلسفتها.(Haksen & others, 2000, p76).

ومن المعلوم أن مخرجات النظام تتأثر إلى حد كبير بنوعية مدخلاتها فضلا عن دور العمليات في ذلك، ولذا فإن على أي منظمة مهما كانت طبيعة نشاطها، فإنه يتوجب عليها أن توفر بعض العناصر المهمة في مدخلاتها كمتطلبات أساسية لا بد من توافرها لكي يتم تحويلها إلى مخرجات بصورة منتجات أو خدمات.

شكل رقم (02): مكونات النظام لأي منظمة.



Source: (Elemara, Sami, 2009, p14.)

أما في النظام التعليمي فلا شك أن خصوصية النظام تلعب دورا أساسيا في تحديد المدخلات مما ينعكس حتما على طبيعة المخرجات أيضا، وإن النظام التعليمي يجب أن يتحكم في مدخلاته على ضوء المخرجات التي يهدف إلى تحقيقها لكونها تؤثر تأثيرا مباشرا في مستوى كفاءتها، كما إن عملية المعالجة ومستوى كفاءتها قد يؤدي إلى حدوث تغير سلبي أو إيجابي في جودة تلك المخرجات، وبشكل عام فإن مكونات النظام التعليمي بمفهومه التقليدي يمكن أن يحتوي على عدة عناصر وكما في الشكل أدناه.

شكل رقم (03): مكونات نظام العملية التعليمية.



المصدر: (الحدابي، داود عبد الملك، 2008.)

مفهوم نظام الجودة: يعد مفهوم ضمان الجودة من المفاهيم الحديثة التي برزت في الثمانينات من القرن الماضي في مجال رقابة جودة السلع المنتجة أو الخدمات المقدمة، وقد جاء هذا المفهوم ليركز على كسب رضى الزبون وزيادة ثقته في المنتجات المقدمة إليه من مختلف المنظمات.

التطور التاريخي لمفهوم نظام ضمان الجودة: ظهر مفهوم الجودة والاهتمام بضمانها كأحد المنهجيات للاقتصاد الناجح في الدول الغربية خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي، فالمؤسسة الناجحة من وجهة نظرهم هي التي تلبي معايير الجودة، والمتتبع لحركة تطور مفهوم الجودة، يلاحظ أغنها استخدمت لأول مرة خلال الحرب العالمية الثانية، وقد اقتصر مفهومها في ذلك الوقت على كشف العيوب بعد الانتهاء عن عملية التصنيع. ومع ظهور ما يعرف بإنتاج الجماهير والمتمثل في قيام الأفراد بتأسيس وحدات إنتاج صغيرة في منازلهم، وما خلف ذلك من وجود نسبة كبيرة من المنتجات المعيبة، ظهر نظام رقابي عرف بنظام ضمان الجودة الإحصائي الذي يرى بأن الجودة تتحقق من خلال رقابة وحدة الإنتاج، وقد عرف هذا النظام عدة تطورات، إذ استخدمت أدوات أخرى لتحكم في جودة المنتجات كنظام العينة وخريطة التحكم، غير أن هذا النظام أظهر العديد من القصور، من أهمها ظهور منتجات معيبة في الأسواق وفي سنة 1946 تم تأسيس المنظمة الدولية للمواصفات أو المعايير (**ISO**)، بهدف توحيد المواصفات الخاصة بالمنتجات ولضمان الجودة والارتقاء بالإنتاج لضمان الجودة معروفا وأكثر تطورا بهدف الوصول إلى منتج يحظى بثقة العميل، وفي عام 1986، تم إصدار أولى المواصفات الدولية للجودة ISO 8402 الخاصة بتعريف المصطلحات المرتبطة بالجودة، وقد تم تطويرها سنة 1987 بإصدار سلسلة المواصفات ISO 9000 والتي تحدد الخصائص المطلوبة في المنتج وتعطيه القابلية للاستعمال، كما تحدد العناصر الرئيسية المطلوب توافرها في نظام إدارة الجودة بالمنظمة لضمان توافق منتجاتها مع احتياجات الزبون، وتلتها بعد ذلك عدة تعديلات على فترات مختلفة، ففي عام 1994 توفرت ثلاثة أنظمة لمعايير ضمان الجودة هي: المواصفة ISO 9001 والمتعلقة بنظام الجودة في المؤسسات الإنتاجية والخدمية التي يقتصر نشاطها على القيام بالتصميم وخدمات ما بعد البيع، ISO9002 والتي تهتم بالمؤسسات التي تعمل في مجال الإنتاج والتركيب دون القيام بالتصميم وخدمات ما بعد البيع، المواصفة ISO 9003 والخاصة بنظام الجودة في مجال الفحص النهائي للسلع واختيار جودتها وفي سنة 2000، أصدرت منظمة (**ISO**) إصدار جديدا حل محل الأنظمة الثلاثة سمي ISO 2001 والمتعلق بالمتطلبات الخاصة بنظام إدارة الجودة، وقد أتاح هذا النظام لأكثر عدد من المنظمات وعلى اختلاف أنواعها وأحجامها الفرصة للحصول على شهادة ضمان الجودة من خلال تلبية المتطلبات المنصوص عليها والعمل على تحقيق المعايير التي تطرحها، وفي سنة 2008 تم إضفاء تعديلات خاصة بالمواصفة 2000، ISO 9001 لتحل محلها 2008: ISO 9001 غير أنها لم تصدر متطلبات جديدة بل أعطت توضيحا للمتطلبات التي نصت عليها مواصفة 2000 إلى ISO 9001(صليحة رقاد، 2014، ص66).

مفهوم نظام ضمان الجودة ومكوناته: إن الاهتمام المتزايد بهذا المفهوم من قبل الباحثين أفرز عنه ظهور تعاريف مختلفة له، وهو ما أدى إلى صعوبة إيجاد تعريف يتفق عليه جميع الباحثين، ولكن سيتم التطرق إلى أهم هذه التعاريف:

أ.عرف نظام الجودة على أنه: "نظام عالمي موحد لمقاييس الجودة، اتفق عليه عالميا ليكون وثيقة دولية لضمان جودة الإدارة." (Mohamed Bouabaz et Mourad Mordjaoui,2012, p197).

ب.أما المنظمة العالمية للمقاييس وفقا للمواصفة ISO 9000، إصدار 2000 فعرفتها بأنها" جزء من إدارة الجودة يركز على توفير الثقة بأن متطلبات الجودة ستؤمن"(عماد أبو الرب و آخرون، 2010، ص80).

ج.وتعرف ضمان الجودة كذلك على أنها: " إجراء يسمح بكسب ثقة أصحاب المصلحة من خلال تلبية المخرجات لتوقعاتهم ومتطلباتهم الدنيا"(IIEP-UNESCO , 2011, p14).

د.وعرف أيضا على أنه: " ذلك النظام الذي يقوم بالتحقق على أن ما تقوم به من أعمال يتطابق مع الإجراءات والسياسات التي قمت بكتابتها واعتمادها." (يوسف حجيم الطائي وآخرون، 2008، ص312).

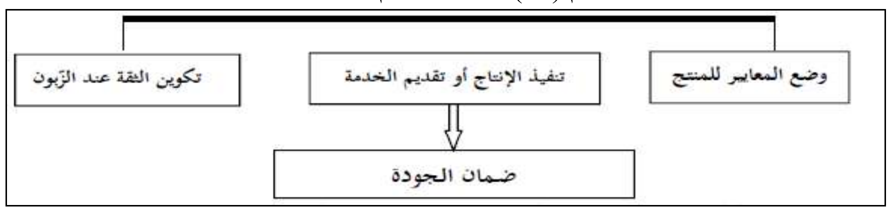
و.كما عرف نظام ضمان الجودة على أنه: " مجموعة من الخطط والأنشطة تطبقها إدارة المؤسسة في كافة الأقسام، وفي جميع المستويات بهدف ضمان بأن ناتج العمليات سوف يلبي حاجات الزبائن، وتوقعاتهم و ذلك من خلال التأثير على الطريقة التي يتم وفقها تصميم المنتجات وتصنيفها وتفتيشها واختبارها، وتركيبها وتسليمها وخدمتها، ويهدف نظام الجودة إلى تزويد الثقة بمنتجات المؤسسة(أحمد الخطيب ورداح الخطيب، 2010، ص45).

ي.ويمكن تعريف نظام ضمان الجودة على أنه الصيرورة التي بموجبها يمنع حدوث أخطاء أو عيوب بمنتجات المنظمة، وهذا من خلال تحديد ما سيتم القيام به وتنفيذه وفق ما تم الاتفاق عليه، واكتشاف حالات عدم المطابقة ومعالجتها من خلال القيام بعمليات القياس والتقييم، وهذا ما يسمح بتوفير الثقة بمنتجات المنظمة.

ومما سبق يمكن القول بأن نظام ضمان الجودة هو نظام يستند على المدخل الوقائي، يهدف إلى الارتقاء بالممارسات المهنية بما يضمن لاستفادة القصوى من الموارد والمصادر وصولا إلى مخرجات عالية الجودة، فهو نظام يعتمد أساسا على منع وقوع الأخطاء وضمان أداء جيد من أول مرة.

مكونات نظام ضمان الجودة: يرتكز مفهوم نظام ضمان الجودة على 3 عناصر و هي:-وضع معايير للمنتج تصف مجموعة من الخواص الواجب توافرها فيها.-تنفيذ الإنتاج بحيث يتم الحصول على المنتوج وفق المعايير الموضوعة مسبقا.-وتكوين ثقة لدى الزبون في أن ما وعد به سيتحقق دائما، والشكل التالي يبين مختلف مكونات نظام ضمان الجودة(يوسف حجيم الطائي وآخرون، 2008، ص309).

شكل رقم (04): مكونات نظام ضمان الجودة.



المصدر: (يوسف حجيم الطائي و آخرون، 2008، ص310).

استنادا إلى ما سبق يمكن القول بأن نظام ضمان الجودة في التعليم العالي هو كل السياسات والمواقف والأفعال والإجراءات الضرورية التي تجسد مدى قدرة إدارة مؤسسات التعليم العالي على تحقيق أهدافها، والتأكد من أن الجودة في خدمات التعليم العالي موجودة ومستمرة ومعززة.

أصناف خدمة التعليم العالي: تحرص مؤسسة التعليم العالي على تقديم نوعين من الخدمات للمجتمع يساهمان في تحقيق الرقي والازدهار، هما: خدمات غير مباشرة للمؤسسة التعليم العالي في خدمة المجتمع وخدمات مباشرة للمؤسسة التعليم العالي في خدمة المجتمع.

أولا-الخدمة الغير مباشرة لمؤسسة التعليم العالي: وتتمثل في وظيفتي التعليم والبحث العلمي اللتان تعملان على توفير برامج بحثية وتدريبية جيدة تناسب احتياجات المجتمع، ويعتبر الإسهام غير المباشر لمؤسسة التعليم العالي في خدمة المجتمع شائعا ومنتشرا، ويحظى بأهمية أكبر لأنه يتضمن الوظائف الجوهرية لخدمة التعليم العالي.

وظيفة التعليم: يعبر التعليم الجامعي على مجموعة من الأنشطة الشاملة لكيفية تنفيذ موقف التدريس طبقا لمبادئ محددة تتصف بقدر من المرونة، لتكون أكثر ملائمة للظروف المتغيرة في المواقف التعليمية، على أن يشارك كل من المعلم والمتعلم بفعالية لتحقيق الأهداف المسطرة ويتمثل المبدأ الأساسي للتعليم الجامعي في مدى فهم الطلبة للمعلومات ومدى قدرتهم على توظيفها في حياتهم، وليس حفظها واسترجاعها ثم نسيانها بعد ذلك.

وظيفة البحث العلمي: يعتبر البحث العلمي بمناهجه ومجالاته وإجراءاته المختلفة أحد الحلقات الضرورية في البناء المجتمعي، حيث تعتمد عليه الدول اعتمادا كبيرا في حل المشكلات التي تواجهها في مختلف الميادين، وذلك إدراكا منها لأهمية ودور البحث العلمي في صناعة التقدم وتحقيق التطور واستمراريته، ولزيادة فرص الاستفادة من نتائجه من قبل القراء، صناع القرار، الطلاب والباحثين، ينبغي توفر مجموعة من العناصر نذكر منها(محمد عبد الفتاح شاهين و عادل عطية ريان، 2009، ص473):

-توجيه البحث العلمي اتجاه القضايا والموضوعات ذات القيمة الاقتصادية والاجتماعية العالية.
-توجيه الأبحاث إلى الابتكار والتجديد وإغناء المعرفة وإثرائها.
-توجيه البحث العلمي لتلبية حاجات السوق والمجتمع.
-أصالة مشكلة البحث العلمي.
-حداثة الموضوع.
-عمق التحليلات.
-درجة الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات السابقة.

-جودة الأدوات المستخدمة.
-ومدى استجابة البحث لخطط التنمية.

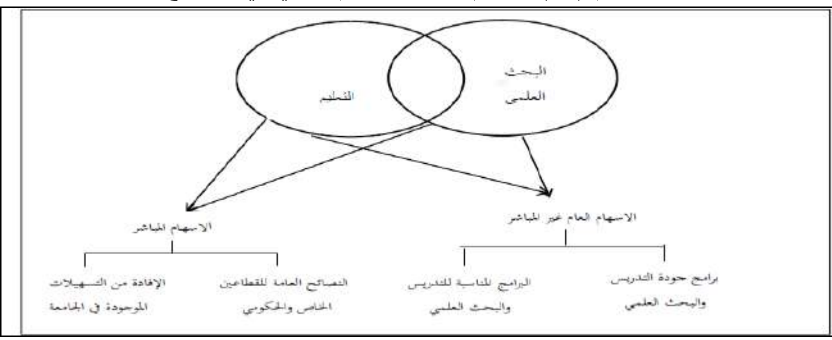
وفي هذا الصدد نشير إلى أن البحث العلمي في الوطن العربي يعاني من مشكلات كثيرة تتركز في مجملها في(مصطفى عبد العظيم، 2012، ص401): مسألة الإنفاق، قلة الاهتمام بالباحث العربي، العبء التدريسي لعضو هيئة التدريس، الافتقار إلى سياسة واضحة للبحث العلمي من حيث تحديد الأهداف والأولويات والمراكز البحثية اللازمة، غياب العلاقة بين مراكز البحث العلمي والوحدات الإنتاجية، غياب دور القطاع الخاص في عملية البحث والتطوير والتمويل، تدني مستوى ونوعية البحوث التي يعدها الباحثون، ضعف المهارات البحثية للباحثين ناهيك عن المشكلات التي تتعلق بأدوات البحث وصعوبة الحصول على البيانات المطلوبة.

ثانيا-الخدمة المباشرة للمجتمع(الإسهام المباشر لمؤسسة التعليم العالي في خدمة المجتمع):

تهدف مؤسسات التعليم العالي في مجال الخدمة المباشرة للمجتمع إلى تطوير وتوثيق صلتها بالمجتمع الخارجي، من خلال التفاعل معه واعتباره جزء لا يتجزأ من رسالة الجامعة،والإسهام في تطويره ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وبالإضافة إلى ذلك، فهي تمثل إطارا مرجعيا يهرع إليه المجتمع طلبا للنصح والمشورة، كما تتيح الفرص لأعضاء هيئة التدريس والطلاب لتقديم نتائج أعمالهم وبحوثهم إلى المجتمع، وتتمثل أهم مهام خدمة المجتمع في(يوسف حجيم الطائي وآخرون، 2008، ص140):

-استخدام مؤسسة التعليم العالي للخبرات الإدارية والأكاديمية ومختلف التسهيلات لقطاعات المجتمع المختلفة، بالإضافة إلى عقد جلسات علمية للاستفادة من الخبرات العلمية.
-حماية التراث الإنساني والحفاظ على نتائج الفكر البشري، والمساهمة في الحفاظ على قيم المجتمع و تعزيزها.
-المساهمة في فهم الثقافات المحلية والإقليمية والدولية والتاريخية وتعزيزها في إطار التنوع الثقافي.
-التحليل المستمر للميول السياسي والاجتماعي والاقتصادي بهدف تمكين المجتمع من معالجة مشاكله.
-نشر القيم المتفق عليها عالميا وأهمها: السلام، العدالة، المساواة، التضامن وحقوق الإنسان.
-وتزويد المجتمع بالإطارات المؤهلة والمتخصصة والشكل التالي يبين مختلف إسهامات مؤسسة التعليم العالي في المجتمع.

شكل رقم (05): إسهام مؤسسة التعليم العالي في المجتمع.



المصدر: (السيد عبد العزيز البهاوشي، سعيد بن حمد الربيعي، 2008، ص36.)

ويتبين من الشكل أعلاه، أن وظيفتي التدريس والبحث العلمي يمثلان جوهر العمل في مؤسسة التعليم العالي، ويدل التداخل في الدائرتين على الترابط الوثيق بين الوظيفتين، فبفضل وظيفة البحث العلمي يتم توفير وتدريس برامج تعليمية مواكبة للتغيرات وتناسب احتياجات المجتمع، وبهذا يدعم البحث العلمي عملية التدريس ويحسنها.

مدى موائمة مخرجات التعليم العالي العربي لمتطلبات سوق العمل وحاجات المجتمع: على الرغم من الجهود التي بذلت من أجل تطوير وتحسين وزيادة كفايات التعليم العالي في الدول العربية لتحقيق الأهداف المرجوة وعلى الرغم من الزيادة الكبيرة في عدد الجامعات، إلا أن فعالية نظام التعليم العالي العربي لا تزال محدودة نتيجة لارتفاع الرسم الدراسية إلى مستويات باهظة في الجامعات الخاصة، ونتيجة لهجرة العقول العربية إلى الخارج، وضعف مستوى محتويات المكتبات الجامعية وتدني مستوى الخرجين وعدم مواءمتهم لمتطلبات سوق العمل وحاجات المجتمع.

ويشير دليل إدارة الجودة الشاملة للتعليم العالي في الوطن العربي(محمد بن فاطمة و نور الدين ساسي، 2005.) في مستوى المخرجات الذي تتطلبه إدارة الجودة الشاملة لمؤسسات التعليم العالي أن تكون مخرجاتها أي محصلة انشغالها متوائمة مع غاية التعليم وأهدافه، وأن ضمان جودة المخرج منه يقتضي التركيز على المتعلم في ملامحه المعرفية والسيكولوجية والاجتماعية والثقافية، وأن الاهتمام بتلك الملامح يأتي قبل انخراط الطالب في الوسط الجامعي، وأن تحقيق الجودة بالتعليم العالي ليس بمعزل عن ضرورة تحقيقها في مستوى المرحلة الثانوية، نظرا للترابط الوثيق بين مخرجات التعليم العام ومخرجات التعليم الذاتي.

إلا أن النظر في مستوى المخرجات يحيلنا بالضرورة إلى الأهداف والغايات المتوقعة من منظومة التعليم العالي في صلتها بالمتعلم (أي أن الطالب هو أهم زبائن المؤسسة على الإطلاق) وبالمعرفة وبالمجتمع.

والمخرجات ذات الصلة بالمتعلم تتعلق أساسا بنوعية الخريج باعتباره منتجا لا بد أن يستجيب لخصائص معينة مثل:

-أن يكون مزودا بالمعارف والمهارات والكفايات التي تساعده على الاندماج في عالم العمل وتحقيق الذات، كمهارات البحث عن عمل، وروح المبادرة والقدرة على اتخاذ القرار المناسب.

-أن يكتسب خبرة تجعله قادرا على اكتساب المعارف والبحث عنها وإتقانها والوسائل والأدوات الموصلة إليها حتى يتحقق لديه التعليم مدى الحياة.
-أن يكون قادرا على التكيف مع ما يستجد من أحداث وتغيرات في عالم العمل.
-أن تقوى لديه الدافعية للتعلم وتطوير معارفه وكفايته باستمرار بحيث لا يعتبر تخرجه من الجامعة خاتمة المطاف بل بداية مرحلة للتكفل بالذات في جميع المجالات.
-أن يتحلى بالانفتاح على الآخر وعلى العمل الجماعي مما يجعله يفيد ويستفيد ويحقق نموه الذاتي الذي لا ينتهي مدى الحياة.
-أن ينمي لديه الفكر الناقد المساعد على الإبداع.

المخرجات في صلتها بالمعرفة: يتوقع من المؤسسة الجامعية القيام بالتالي:

-أن تلعب الدور المنوط بها في إنتاج المعرفة عن طريق البحث العلمي في المجالات ذات الأولوية بالنسبة إلى النمو الاقتصادي والاجتماعي محليا وعالميا وخاصة في المجالات التي تعتبر إستراتجية.
-أن يتناول البحث العلمي مجالات تتيح الاستباق وتقوي القدرة على المنافسة، وتشكل إسهاما في إنماء الثقافة الإنسانية.
-وينبغي ألا يتوقف ذلك على العلوم " الصحيحة" المتفق على دورها في تطوير مجالات الحياة بكل مظاهرها، بل أن تنال العلوم الإنسانية والاجتماعية حظها من الاهتمام لإضافتها المتميزة لجعل الإنسان واعيا بالموقع الذي يحتله في هذا الكون وحتى تتحقق الاستفادة الرشيدة من المعارف المنتجة وتسخيرها لخدمة الإنسان لا لأن تكون وباء عليه.

والمخرجات في صلتها بالمجتمع تتمثل أساسا في الاستجابة المثلى لحاجات المجتمع الحقيقية وفي توظيف قدرات كل فرد على تحقيق النماء الاقتصادي والاجتماعي، حتى لا يكون خريجو المؤسسات الجامعية عبئا على الفئات المنتجة في المجتمع، وهذا ما يشكل أحد عناصر الرؤية المستقبلية للتعليم في الوطن العربي والمتمثل في إعداد أفراد قابلين للتعلم الذاتي والمستمر وقادرين عليه عوضا من مجرد متعلمين لذلك يتعين أن يكتسب التعليم العالي مقومين أساسيين: التنوع والمرونة، خاصة في الاستجابة لمقتضيات التغيرات السريعة محليا وعالميا، ولهذه الاستجابة وجهان "كمي ونوعي"، كما أنها تدخل في إطار الوظيفة التقليدية للتعليم العالي، إلا أن مسألة ضمان الجودة تتطلب من الخريجين الاتصاف بخصال أساسية كالكفاءة وروح المسؤولية والتشبع بأخلاقيات المهنة التي ينخرطون فيها، إلى جانب القدرة على التكيف مع المستجدات التي تتمثل في بعض مظاهرها في القدرة على تغير النشاط المهني كلما تطلب الظرف ذلك، دون شعور باختلال التوازن الذاتي أو بعدم الاستقرار، وتبني مبدأ التكوين المستمر باعتباره ضرورة ومصدر إنماء ذاتي وليس ترفا يمكن تجاوزه. ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن من دلالات جودة مخرجات التعليم العالي ومساهمته بصورة غير مباشرة في تحسين تلك الجودة، فتزويد المدرسة الثانوية بالمدرسين الأكفاء القادرين على تخريج طلبة تتوفر لديهم المعارف والكفايات والمهارات التي تيسر اندماجهم في منظومة التعليم العالي.

وترجع الأبحاث والدراسات ضعف المواءمة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل والمجتمع إلى:

-انخفاض الكفاءة الداخلية النوعية لمؤسسات التعليم العالي التي من مؤشراتها تدني التحصيل المعرفي والتأهيل التخصصي، وضعف القدرات التحليلية والابتكارية والتطبيقية، والقصور في تعزيز القيم والاتجاهات الإنتاجية.

-انخفاض الكفاءة الخارجية الكمية والنوعية، ويتمثل ذلك في تخريج أعداد من الخرجين في تخصصات لا يحتاجها سوق العمل مع وجود عجز وطلب في تخصصات أخرى(العتيبي ومنير بن مطنى، دس)

جودة مخرجات التعليم العالي: تتمثل أهم مخرجات التعليم العالي في خريجي الجامعات، الهيئة التدريسية، الإدارة، المشاريع العلمية، الكتب والمؤلفات العلمية الموجهة لخدمة المجتمع والبحث العلمي وسيتم التطرق إلى جودة هذه المخرجات كالآتي(زاهر ضياء الدين، 2005، ص 274-279)**:**

أ.جودة خريجي الجامعات (الطلبة): يعد الطالب أحد المحاور الأساسية في العملية التعليمية، لأن هذه المؤسسة أنشئت لخدمته ومن أجله، ومؤشرات الجودة مرتبطة بهذا المحور متعددة منها انتقاء الطلبة بحيث يراعي في عملية الاختيار تأهيل الطالب صحيا وعمليا وثقافيا ونفسيا ليكون قادرا على الفهم والاستيعاب والتفاعل مع الهيئة التدريسية وتقاس جودته من خلال قدرته على الخلق والإبداع والابتكار والتفوق وامتلاك العقل الناقد والمشاركة في النقاشات النقدية الذاتية وبناء شخصية وسلامتها ومن أهم أدوار الطلبة في مجال الجودة ما يلي:

-يناقش ويحاور.

-ينتقد أفكارا قائمة، ويعرض أفكارا بديلة.

-قادر على التفاعل مع تكنولوجيا العصر واستخدام الحاسوب بمهارة.

-يجيد اللغات الأجنبية ويوظفها.

-يكتسب مهارات التفكير والإبداع.

ب.جودة الهيئة التدريسية: وجود الهيئة التدريسية من العوامل المهمة لجودة التعليم العالي، فأهم ما يتعلق بهذا العنصر ضرورة تنمية مستوى وقدرات الأساتذة بعد التأكد من اختيار الكفاءات القادرة على التواصل مع الطلبة في مرحلة التعليم الجامعي، فتنمية الأستاذ الجامعي مهنيا يفيد في تحسين اتخاذ القرار العلمي والمهني السليم، كما يجب وضع دورات تدريبية مستمرة، لإعادة تأهيل الأساتذة وتطوير طرق التدريس وتشجيعه على انجاز الأبحاث العلمية والمشاركة في المؤتمرات، كما ينبغي على الأساتذة التحلي بالأخلاق السامية.

ومن الخصائص والمواصفات الواجب توفرها في الأستاذ الجامعي من منظور الجودة ما يلي(زاهر ضياء الدين، دس، ص297.)

-قائد ومسير ومناقش للطلبة يعمل على إطلاق طاقاتهم.

-صديق داعم وناقد.

-مبدع ومبتكر.

-محاور ومناقش للمعلومات.
-مقيم لشخصية الطالب ومعلوماته.
-يعتبر الجامعة كجزء رئيسي من شبكة مؤسسات الدولة الداعمة للتطوير.

ج.جودة الإدارة: يجب أن تتميز إدارة الجامعة بالالتزام نحو تطبيق نظام ضمان الجودة بها، فهي كمنظومة قيم مبنية على الإخلاص في العمل والشفافية والعدالة، كما ينبغي قيام الإدارة الجامعية بدور فعال في تطوير وظائف الجامعة للسعي نحو التميز والإبداع من خلال قيادة قادرة على التطوير تمنح صلاحيات أوسع وتعزز القدرة على اتخاذ القرارات وتنمي كفاءات الاتصال والتفاوض وحل المشكلات.إضافة إلى تطوير أنظمة معلومات وأنظمة للتحفيز والتدريب والإبداع والقدرة على بناء شراكة فعالة مع المحيط الخارجي وخاصة المستفيدين من المخرجات الجامعية، وبهذا فإن نجاح الجودة يتوقف على مدى الالتزام ومبادرة الإدارة العليا ببرامج إدارة الجودة بحيث تكون هناك جودة في العلاقات القائمة بين الإدارة والعاملين وسبل الاتصال وفي اختيار العاملين وتأهيلهم، إن القدرات اللازمة في القيادة الجامعية هو أن تتميز الإدارة بمايلي:
-تنمية قيادات قادرة على التطوير.
-منح صلاحيات أوسع وتعزيز القدرة على اتخاذ القرارات.
-مواكبة المستجدات على مستوى سوق العمل.
-تنمية كفاءات الاتصال والتفاوض وحل المشكلات.
-توظيف تكنولوجيا المعلومات والتعليم بفعالية.
-بناء نظام فعال لتقيم الأداء.
-تطوير نظام فعال لتقيم الأداء.
-تطوير نظام عادل للتحفيز والتدريب والإبداع.

د.جودة المشاريع العلمية: يقصد بالمشاريع العلمية قيام جهة علمية، قسم علمي أو بعضا من المدرسين، بدراسة مستفيضة لظاهرة معينة في مكون واحد أو أكثر من مكونات البيئة ذات العلاقة المباشرة أو الغير مباشرة بالمجتمع، ووضع الخطط الكفيلة لتطويرها وتحسينها أو للتخلص من مساوئها الحالية والمتوقعة، ومهما يكن حجم المشاريع العلمية فإنها تعد من أهم الثمار العلمية التي تنتجها المؤسسات التعليمية والبحثية، حيث يلعب المختصون في المؤسسة التعليمية الدور الريادي في المشروع العلمي ويتوجب عليهم إثبات ذلك بشكل واضح ومقنع لجميع المؤسسات المجتمعية الأخرى، لذا فإن المشروع العلمي تتوقف جودته بناءا على عمق العلاقة بين المؤسسة التعليمية والمجتمع وقدرة تلك المؤسسة على متابعتها لمعطيات البيئة المحيطة بكافة مكوناتها.

و.جودة الكتب والمؤلفات العلمية الموجهة لخدمة المجتمع: يركز هذا العنصر من عناصر المخرجات على التفوق النوعي للمعرفة الذي تتميز به المؤسسة التعليمية على غيرها من المؤسسات المنتجة للمعرفة بما يمكن من تطوير وإدراك المستويات العلمية والثقافية التي يحتاجها أفراد المجتمع، ويجب أن يميز المؤلفون والباحثون في المؤسسة التعليمية بين الكتب والمؤلفات الموجهة إلى خدمة المجتمع عن تلك الموجهة إلى المستفيدين من داخل المؤسسة التعليمية، إذ أن

المجتمع عادة ما يتميز بتنوعه الفكري وتفاوت المستويات الإدراكية لأفراده في حين أن المستفيدين من داخل المؤسسة التعليمية عادة ما يكونوا من المتعلمين والمهتمين وذوي الاختصاص، وعموما فإن ما يوجه إلى المجتمع من كتب ومؤلفات يجب أن يضمن تحقيق الأبعاد الآتية لكي يضمن تحقيق جودة خدمة المجتمع(محسن ألظالمي وآخرون، دس، ص10-11):

-الإبداع والابتكار، فالمجتمع يبحث دائما عن التجديد ولا ينجذب إلى المنتج التقليدي.

-المرونة العقلية والذهنية التي تمكن من جذب أكبر قدر ممكن من المستويات الفكرية إلى المنتج.

-الاهتمام المتوازن بتعلم الثقافات والعادات، فالاستجابة المطلوبة من المجتمع إلى المنتج الفكري تتطلب القدرة على تكييف المنتج بحسب رغبات وطموحات أفراد المجتمع.

-المعرفة الذاتية بالحاجة الفعلية الدقيقة لمواصفات المنتج الفكري.

ه.جودة البحث العلمي: يحتل البحث العلمي أولوية من أولويات المؤسسة التعليمية، ويمكن القول بأن جودة البحث العلمي تشكل خاصية رئيسية تميز المؤسسة التعليمية عن غيرها من المؤسسات الأخرى وتأتي علاقة البحث العلمي بمؤسسات سوق العمل من ارتكازه على الدراسات النظرية والتطبيقية ذات العلاقة بمشكلات المجتمع وحاجاته الفعلية، وبما أن البحث العلمي أحد عناصر مخرجات العملية التعليمية فإن مؤشرات الجودة المرتبطة به تعتمد على ما يلي:-

-توفر أجواء البحث العلمي وتشجيع هيئة التدريس على تنفيذ البحوث العلمية المتصلة بحاجات المجتمع وسوق العمل.

-وجود أولوية للأبحاث العلمية الميدانية ذات المردود المادي والاقتصادي لمؤسسات المجتمع.

-إسهام فرق العمل البحثية في خدمة قطاعات الإنتاج المختلفة بالمجتمع.

-توفر موازنة مالية خاصة لدعم البحث العلمي ونشره.

-توسيع دائرة العلاقات مع مؤسسات البحث العلمي المختلفة أينما وجدت.

وسائل إدارة الجودة الشاملة وأهمية استخدامها لضمان جودة مخرجات التعليم العالي: تتمثل وسائل إدارة الجودة الشاملة في: العصف الذهني، مخطط باريتو، مخطط إيشيكاوا، قائمة المراجعة، مخطط الانتشار وخرائط الرقابة، وسنوضح استخدامات هذه الوسائل لضمان جودة مخرجات التعليم العالي كما يلي:

العصف الذهني وأهمية استخدامه لضمان جودة مخرجات التعليم العالي: يستخدم العصف الذهني لضمان جودة مخرجات التعليم العالي والمتمثلة في: خريجي الجامعات، هيئة التدريس، الإدارة...الخ، والمذكورة سابقا، عن طريق توليد الأفكار الإبداعية للطلبة بهدف إثارة أفكار خلاقة، هذه الأفكار هي التي تؤدي بهم وخاصة عندما يعملون في مجموعات وفرق، هنا تظهر إبداعاتهم بشكل أكبر و هذا ما يؤدي بهم إلى زيادة جودة مستوى المزيج والبحث العلمي والمشاريع العلمية والكتب والمؤلفات...الخ، مع العلم أن هؤلاء الطلبة يشرف عليهم أساتذة هم المسؤولون عن تقيم أفكارهم وتسجيلها وانتقادها وترتيبها حسب أهميتها واختيار الأفضل منها.

مخطط باريتو ومخطط إيشيكاوا وأهمية استخدامها لضمان جودة مخرجات التعليم العالي: يستخدم مخطط باريتو في ضمان جودة مخرجات التعليم العالي عن طريق تقسيم 80 % من النتائج التي تسببها 20 % من الأسباب، بمعنى أن هذا المخطط يحاول أن يقضي على 20

%القليلة من الأسباب المسؤولة عن أغلبية أو 80 % من مشاكل الجودة سواء جودة الطالب أو البحث العلمي، وبهذا يحاول هذا المخطط الحفاظ على جودة مخرجات التعليم العالي السالفة الذكر بتقليص نسب الأسباب التي تؤدي إلى ظهور مشاكل في الجودة أو ضمانها.

أما مخطط إيشيكاوا فله تقريبا نفس مبدأ مخطط باريتو، حيث أن هذا المخطط يقوم بدراسة السبب والأثر أو النتيجة كما يسمى أيضا مخطط عظمة السمكة فهو يقوم بدراسة الأسباب التي تؤدي إلى ضعف أو رداءة الجودة وتحليل هذه الأسباب، وذلك لكل عنصر من مخرجات التعليم العالي، غير أن هذا المخطط يبين وجود أو يقوم بحصر الأسباب فيما يلي: طرق العمل، المواد البيئية، فرداءة أو عدم ملائمة هذه الأسباب هي التي تؤدي إلى ضعف الجودة وعدم الحفاظ عليها.

قائمة المراجعة، مخطط الانتشار وخرائط الرقابة وأهمية استخدامها لضمان جودة مخرجات التعليم العالي: تستخدم قائمة المراجعة في ضمان جودة مخرجات التعليم العالي من خلال جمع بيانات مأخوذة من مراقبة عينات لدراسة أدائها و تكرارها، مع العلم أنه يجب الاتفاق في هذه الوسيلة على الأمر المراد مراجعته من قبل القائمين على إدارة الجودة، بالإضافة إلى تحديد المدة الزمنية لجمع البيانات من العينة بواسطة الاستمارة أو النموذج المعد لهذا الغرض. أما مخطط الانتشار فيستخدم لإبراز احتمال وجود علاقة بين المتغيرات واتجاهها الإيجابي أو السلبي بغية تحديد شكل أو نموذج الدراسة، أما خرائط الرقابة فتبرز مجال جودة المخرجات(محسن ألظالمي و آخرون، دس، ص11).

نتائج الدراسة:

-تتمثل جودة خدمات التعليم في توفير مجموعة من الخصائص والصفات الإجمالية في الخدمة التعليمية، بحيث تكون هذه الخدمة قادرة على تأهيل الطالب وتزويده بالمعارف والمهارات والخبرات أثناء سنوات دراسته، و إعداده في صورة خريج قادر على تحقيق أهدافه وأهداف جهات التوظيف وأهداف المجتمع التنموية، فمؤسسة التعليم العالي تتمتع بزبون قريب يمثل الطالب وزبون بعيد يمثل المؤسسات والمجتمع ككل.

-إضافة إلى أسلوب إدارة الجودة الشاملة تتعدد الأساليب التي تستخدمها مؤسسات التعليم العالي في تحسين جودة مخرجات وخدماتها التعليمية، إلا أنها في مضمونها تحقق أهداف موحدة وهي الارتقاء بمستوى الجودة في هذه المؤسسات وبرامجها ونظمها الإدارية والأكاديمية بما تخدم أهداف المجتمع المحلي والعالمي وتطلعاته المختلفة، ولعل من أهمها التقويم الذاتي، والمقارنة المرجعية مع المؤسسات الرائدة، وتبني نظام ضمان الجودة، والاعتماد الأكاديمي، وإن اختلفت هذه الأساليب فإنه يشترط فيها الترابط والتفاعل والانسجام والتكامل مع بعضها البعض حتى تحقق رؤية ورسالة المؤسسة التعليمية وأهدافها وتوجيهاتها المستقبلية.

-إن الجودة الشاملة في التعليم العالي فلسفة إدارية لقيادة مؤسساته، ترتكز على إشباع حاجات طلابها والمجتمع المحيط بها، وتحقق لها النمو والتطور المستمرين بما يحقق أهدافها ويضمن لها الفعالية والكفاءة العالية.

-انخفاض الكفاءة الداخلية النوعية التي من مؤشراتها، تدني التحصيل المعرفي و التأهيل المتخصص وضعف القدرات التحليلية والابتكارية والتطبيقية والقصور في تعزيز القيم والاتجاهات الحديثة.

-انخفاض الكفاءة الخارجية الكمية والنوعية وتتمثل في تخريج أعدادا من الخرجين في تخصصات لا يحتاجها سوق العمل و المجتمع مع وجود عجز وطلب في تخصصات أخرى.

-معظم مؤسسات التعليم العالي في البلدان العربية تعاني من ضعف وتخلف نظمها وعدم تطوير برامجها التعليمية لمواكبة التحديات ومنها تحديات العولمة والمنافسة العالمية التي فرضت شروط جديدة ومنها إبراز منتج أو خريج يستطيع المنافسة في السوق العالمي.

خاتمة:

كانت الجامعات ولا زالت تحتل مكانة رائدة في المجتمع، وتلعب دورا جوهريا في تكوين الفرد وتنمية قدراته وصقل مواهبه، فهي مسئولة عن إعداد وتخريج قادة المجتمع وحملة نهضته، من الذين يقع على عاتقهم عبء نقل المجتمع من حالة التأخر والجمود إلى حالة الانطلاق والتقدم، فالجامعة بحكم موقعها في قمة الهرم التعليمي، تسعى من خلال وظائفها المتمثلة في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع، إلى توجيه السلوك وتنمية المهارات والإدراك، بما يمكن من إعداد قادة التنمية إعدادا نفسيا وعلميا متوازنا، وبما يضمن تحقيق التطور للمجتمعات.

والتعليم العالي هو حلقة أساسية من منظومات المجتمع التي تتأثر ببعضها البعض من خلال علاقات وتفاعلات متبادلة، وتشكل متطلبات مجتمع المعرفة تحدّيات تواجه مؤسسات التعليم العالي ترتب نتائج وآثارًا مباشرة وبعيدة المدى في آن، حيث أضحت المعرفة من أبرز مظاهر وعوامل السلطة والقوة .ولم يعد مجديًا للدول والمجتمعات تجاهل هذه الحقيقة أو التأخر في أخذها بالحسبان، فالدول التي لم تدرك بعد أن المعرفة هي العامل الأكثر أهمية لبناء القدرات وللانتقال من التخلف إلى التطور، ستجد نفسها على هامش التحولات، بل والمتضرر الأكبر منها.

قائمة المراجع

1. أحمد الخطيب ورداح الخطيب(2010)، الاعتماد وضبط الجودة في الجامعات العربية، أربد:علم الكتب الحديث، ط1.
2. الحدابي، داود عبد الملك(2008)، التقويم الذاتي للأداء الجامعي في ضوء معايير الجودة، مؤتمر اتحاد الجامعات العربية، عمان.
3. السيد عبد العزيز البهاوشي وسعيد بن حمد الربيعي(2008)، ضمان الجودة في التعليم العالي، عمان، دار المسيرة، ط2
4. الخميسي سلامة(2007)، معايير جودة المدرسة الفعالة في ضوء منحى النظم:رؤية منهجية، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، اللقاء السنوي الرابع عشر"الجودة في التعليم العام"، القصيم، المملكة العربية السعودية.
5. العتيبي و منير مصطفى(دس)، تحليل ملائمة مخرجات التعليم العالي لاحتياجات سوق العمل السعودي.
6. الدرادكة مأمون و الشبلي طارق(2002)، الجودة في المنظمات الحديثة، الأردن:دار صفاء للنشر، ط1.
7. رقاد صليحة(2014)، تطبيق نظام ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي الجزائرية: آفاقه و معوقاته، دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم العالي للشرق الجزائري.

8. رشدي أحمد طعيمة وآخرون(2008)، الجودة الشاملة في التعليم، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط2.
9. زاهر ضياء الدين (2005)، إدارة النظم التعليمية للجودة الشاملة، دار السحاب للنشر، مصر.
10.شلاش فارس جعباز(2007)، "تقييم جودة الخدمة التعليمية من وجهة نظر الطلبة وأساتذتهم دراسة تطبيقية في المعهد التقني-الديوانية"، مجلة القادسية للعلوم الإدارية و الاقتصادية، جامعة القادسية، العراق، م9، ع3.
11.مجيد و سوسن شاكر، والزيادي(2008)، محمد عواد، "الجودة و الاعتماد الأكاديمي لمؤسسات التعليم العام و الجامعي"، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.
12.محمد عبد الفتاح شاهين وعادل عطية ريان(2009)، "مؤشر جودة البحث التربوي من وجهة نظر الأكاديميين و الباحثين في الجامعات الفلسطينية"، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عمان، الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، ع53.
13.محمد بن فاطمة و نور الدين بن ساسي(2005)، دليل إدارة الجودة الشاملة للتعليم العالي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس.
14.محسن ألظالمي و آخرون(دس)، قياس جودة مخرجات التعليم العالي من وجهة نظر الجامعات و بعض مؤسسات سوق العمل (دراسة تحليلية في منطقة الفرات الأوسط).
15.مصطفى عبد العظيم الطيب(2012)، ضمان جودة البحث العلمي في الوطن العربي، في المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي، الجامعة الخليجية، مملكة البحرين.
16.يوسف حجيم الطائي(2008)، محمد فوزي العبادي، هاشم فوزي العبادي، إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي، عمان: الوراق، ط1.
17.عتيبة، فتحي درويش(2000)، الجودة الشاملة وإمكانيات تطبيقها في التعليم الجامعي المصري-دراسة تحليلية، في تطوير نظم إعداد المعلم العربي و تدريبه مع مطلع الألفية الثالثة، المؤتمر السنوي لكلية التربية، جامعة حلوان.
18.عماد أبو الرب و آخرون(2010)، ضمان الجودة في مؤسسات التعليم العالي، عمان:دار صفاء للنشر و التوزيع، ط1.
19.Crosby P.B, Quality is still free(1996): Making Quality Certain Uncertain Tines, New York: Mc Grew-Hill Book Company, 8rd.
20.Claude Jambert(2001), L’assurance Qualité, Paris: ed Economica, 3èmeed.
21.Evans.J, «Applied production and operation Management », 4th, ed. West publishing.co.
22.Elemara, Sami(2009), The Quality journer, BM.Trada Group.
23.E.F.A, "Understanding education quality", Global Monitoring Report, USA, hall upper saddle river, New Jersey.
24.Golven Yves(1988), Dictionnaire Markting:Banque-Assurance, Paris:ed.Dunod.
25.HUBEAC Jean-Pierre(2001), Guide des Méthodes de la Qualité : choisir et mettre en œuvre une démarche qualité qui vous convienne dans L’industrie ou les services, Paris : ed MAXIMA, 2ème ed.
26.Hixon.J. and K, Lovelace(1992), «Total Quality Management challenge to leaderxlip », Academy of Management Review, vol50, N° (3.
27.Haksen & others(2000), “service management and operation”, 2ns edition, prentice-hall upper. Saddle river, New Jersey.

28.IIEP-UNESCO (2011), « Assurance Qualité Externe: Options pour les Gestionnaires de L'enseignement supérieur », modules de 1, faire des choix fondamentaux pour L'assurance Qualité Externe, Paris.
29.Kunar.S(2006), Total Quality Management, New.Delhi:Laxmi.publication (p) LTD, 1st Ed.
30.Margen.C& Stephen Margatroyd(1995), Total Quality. Management in the publish. Sector, Hong Kong: Graphic. Tupesettey LTD publishing.
31. Mohamed Bouabaz et Mourad Mordjaoui(2012), « Méthodes Mathématiques D'analyse de La Qualité dans L'enseignement Supérieur : Essai A Base de cas », Actes du colloque Internationale sur la démarche Qualité dans L'enseignement supérieur : Nations, Processus, Mise en œuvre.
32.www.birzeit.edu.

الجامعة الجزائريَّة ومتطلَّبات التنميَّة المجتمعيَّة في ضوء تبنيّ عمليَّات إدارة المعرفة:"قراءة تحليليَّة في الواقع والآفاق"

The Algerian Universities and the requirements of community development in light of the adoption of knowledge management processes: "Analytical reading in fact and prospects"

أ. ياسين بَـرُّوك، جامعة سوق أهراس- الجزائر
د. منير بن دريدي، جامعة سوق أهراس- الجزائر

ملخَّص: تحاول هذه الورقة البحثيَّة التعرُّف على واقع وتجليَّات التنميَّة المجتمعيَّة ومتطلباتها من خلال تشخيص وظائف الجامعة الجزائريَّة في ضوء التوجُّه نحو تبنِّي عمليَّات إدارة المعرفة، وركَّزنا أساسًا على عمليَّات: إنتاج وتوليد المعرفة، نشرها، وتنفيذها، وللوصول إلى استنتاجات علميَّة شافية، اعتمدت الدراسة أسلوب البَّحث عن سياق مفهوم الجامعة ودلالاتها وأبعادها وأهدافها في ظلّ تجسيد إدارة المعرفة في واقعها العملي، كما تحاول هذه الدِّراسة توصيف حالة وظائف الجامعة الجزائريَّة في ضوء التوجُّه نحو تبنِّي عمليَّات إدارة المعرفة، ناهيك عن رصد أهم المعوقات التي تقف حاجزا أمام تشكلِّها على المستوى الممارساتي، مع اقتراح توصيَّات لتدعيمها والنهوض بها نحو مصاف كبريَّات الجامعات العالميّ، ولقد اعتمدت الدراسة على أسلوب العرض والتَّحليل والنَّقد مستندة إلى مرجعيات فكريَّة ونظريَّة وإحصائيَّات هامَّة تساعد في إبراز واقع التنميَّة المجتمعيَّة استنادا إلى مخرجات التَّعليم العالي والبَّحث العلمي في الجزائر.
الكلمات المفتاحيَّة: الجامعة الجزائريَّة، التنميَّة المجتمعيَّة، إدارة المعرفة، عمليَّات إدارة المعرفة.

Abstract: This research paper is trying to identify the reality of community development and its requirements by diagnosing the functions of the Algerian University in the light of the trend towards adopting knowledge management processes, focusing mainly on the processes of: production, generation, dissemination and implementation of knowledge.

In order to arrive at comprehensive scientific conclusions, the study adopted the method of searching for the context of the university concept, its implications, its dimensions, and its goals in light of the actualization of knowledge management. Not to mention the monitoring of the most important obstacles that stand as a barrier to the formation at the level of practice, With recommendations to strengthen and promote them towards the levels of major international universities. This study was based on the presentation, analysis and criticism based on intellectual and theoretical references and important statistics that help to highlight the reality of community development based on the outputs of higher education and scientific research in Algeria.

Keywords: Algerian University, Community Development, Knowledge Management, Knowledge Management Operations.

مقدمـة:

تعاظم اِهتمام المجتمعات والمؤسَّسات وحتَّى الأفراد بالمعرفة بشكل كبير في الآونة الأخيرة بما يتوافق وتحقيق تنميَّة مجتمعيَّة شاملة على جميع الأصعدة والمستويات وضمن تخصصات علميَّة وتطبيقيَّة مختلفة تسهم في إحداثها، ويبرز هذا الاهتمام جليًّا من خلال تبني عمليات إدارة المعرفة في تسيير شؤون الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والسياسية، ومحاولة الاستفادة من مخرجاتها قدر الإمكان. و تتبوَّأ الجامعات مكانة مرموقة في المجتمعات المعاصرة باعتبارها مؤسَّسة مجتمعيَّة منتجة ومُصَدِّرة للمعرفة وتواكب وتشجِّع وتنشر الأفكار المستحدثة بطريقة علميَّة، مخطَّطة، ومدروسة.

هذا، وتضطلع الجامعة الجزائريَّة بالعديد من الوظائف التِّي أُنشئت أساسا من أجلها، في محاولةٍ منها نحو التوجُّه السليم إلى تبنِّي إدارة المعرفة بما يشجع على الاستغلال الأمثل والعقلاني للموارد الماديَّة والبشريَّة المتاحة لتحقيق أهداف التنميَّة المجتمعيَّة بصفتها مقوِّم أساسي وفاعل لقيام وتطوُّر الأمم والمجتمعات، ومن أهمّ تلك الوظائف التِّي تبنَّتها واِلتزمت بها الجامعة الجزائريَّة منذ الاستقلال الوطني سنة 1962 إلى يومنا هذا، هي: وظيفة إعداد القوى البشريَّة، وظيفة البحث العلمي، وظيفة التَّنشيط الثَّقافي والفكري، وأخيرًا وظيفة التَّنمية المجتمعيَّة التِّي تتجسَّد ببلوغ الوظائف الأخرى أهدافها المنشودة...إلخ، لكنَّ الواقع يُظهر قصورا نسبيًّا في تحقيق هذه الوظائف لجميع أهدافها السَّاميَّة، وتركيزها بنسبة كبيرة على وظيفة التَّعليم على حساب الوظائف الأخرى المتكاملة فيما بينها لبلوغ الغايات المنشودة.

فالجامعة الجزائريَّة، رغم سعيها الحثيث لإنشاء شبكة علاقات مؤسَّساتيَّة مع مختلف الفاعلين والشركاء الاِقتصاديّين والاِجتماعيِّين في المجتمع، أثبتت أنها معزولة نوعا ما عن محيطها السوسيوثقافي، ولعلَّ عزلتها تلك واحدة من بين ما يبرِّر فشل عديد المشاريع التي كانت تهدف إلى إحداث إصلاحات جذريَّة لمواكبة التطوُّرات الحاصلة على السَّاحة الدَّولية في مجال التَّعليم العالي، الأمر الذي يستدعي تظافر الجهود لتبنِّي وتجسيد عمليَّات إدارة المعرفة في المؤسَّسة الجامعيَّة على نحوٍ سليم لتحقيق تنميَّة محليَّة ووطنيَّة شاملة من شأنها النهوض والاِرتقاء بالمجتمع والوطن في كافة الميادين والمجالات.

وسنحاول في هذه الورقة العلميَّة التعرُّف على واقع وتجليَّات وظائف الجامعة الجزائريَّة في ضوء التوجُّه نحو تبنّي عمليَّات إدارة المعرفة، وتشخيص المشكلات التِّي تحول دون تحقيقها لأهدافها على أكمل وجه، وتقديم اقتراحات وتوصيَّات يمكن تفعيلها لتجاوز معظم العقبات التِّي تقف حاجزا أمام تحقيقها للأهداف التِّي تضطلع بها وظائفها.

أولاً. أهداف الجامعة في ضوء تبنّي عمليَّات إدارة المعرفة:

إنَّ كلمة **"جامعة"** هي بالأصل كلمة لاتينيَّة **(Universitas)** وكانت تعني الجمعيَّة التِّي تتولى ممارسة التَّعليم(رياض عزيز هادي، 2010، ص14)، وتعتبر الكلمة العربيَّة **"جامعة"** ترجمة لكلمة إنجليزيَّة مرادفة لها، وهي تفيد معنى الجمع من الفعل **"جَمَعَ"** بالعربيَّة، والإنجليزيَّة **(Universalisalize)** والذي يفيد جعل الأمر عامًّا(عبد العزيز الغريب صقر، 2005، ص49)، وتُعرَّف **المؤسَّسة الجامعيَّة** بأنَّها: "مؤسسة علمية مستقلة ذات هيكل تنظيمي

معين وأنظمة وأعراف وتقاليد أكاديمية معينة، وتتمثل وظائفها الرئيسية في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، وتتألف من مجموعة من الكليات والأقسام ذات الطبيعة العلمية التخصصية، وتقدم برامج دراسية متنوعة في تخصصات مختلفة منها ما هو على مستوى البكالوريوس ومنها ما هو على مستوى الدراسات العليا تمنح بموجبها درجات علمية للطلاب"(بلقاسم سلاطنيَّة، وأسماء بن تركي، 2014، ص13)، ويُعرِّف المشرِّع الجزائري **المؤسَّسة الجامعيَّة** بأنَّها: "مؤسسة عموميَّة ذات طابع إداري تساهم في تعميم العلم ونشر المعارف وإعدادها وتطويرها وتكوين الإطارات اللازمة لتنميَّة البلاد مجانا" (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المرسوم رقم 83-544، المؤرَّخ في 1983/09/24).

ويستخلص الباحثان منَّ سبق ذكره من تعاريف، أنَّ **المؤسَّسة الجامعيَّة** هي: "كيان اجتماعي واقتصادي ذو طابع عامّ، منظم وفق تسلسل إداري وتقني معين، يضمّ أفرادا وجماعات (أساتذة، طلبة، إداريين) تُوَزَّع جهودهم بشكل مخطَّط، ويتعاونون فيما بينهم لانجاز المهام وتنفيذ الأعمال المرتبطة بالخطط المرسومة والرامية لتحقيق المواءمة بين أهدافهم وأهداف الجامعة التِّي ينتمون إليها (أهداف: اجتماعية، اقتصادية، نفسية، مجتمعيَّة...) في إطار ما تضطلع به المؤسسة الجامعيَّة من تجسيد لوظائفها التّي أُنشِئت من أجلها: وظيفة التعليم، وظيفة البحث العلمي، ووظيفة تنمية المجتمع من خلال توليد وإنتاج ونشر وتجسيد المعرفة في واقعها الإِجتماعي المعيش.

وتُعرَّف **إدارة المعرفة** بأنَّها: "مجموعة من الأنشطة والعمليات التي تساعد المنظمات على توليد المعرفة والحصول عليها واختيارها واستخدامها وتنظيمها ونشرها، والعمل على تحويل المعرفة بما تتضمن من بيانات ومعلومات وخبرات واتجاهات وقدرات إلى منتجات، واستخدام مخرجات إدارة المعرفة في صناعة القرارات وحلّ المشكلات، ورسم عمليَّات التعلّم، وبناء منظومة متكاملة للتخطيط الإستراتيجي"(حنين محمد عبد الحافظ صالح، 2017، ص12-13).

ويرى كلّ من **هوردر و فيارنلي Horder et Fearnley** بأنَّ: "إدارة المعرفة هي: استخدام المعرفة والكفاءات والخبرات المجمَّعة المتاحة داخليا وخارجيًّا لدى المنظَّمة كلما دعت الحاجة، فهي تتضمَّن توليد المعرفة وانتزاعها ونقلها بشكل نظامي، بالإضافة إلى التعلُّم من أجل استخدام المعرفة وتحقيق الفائدة للمنظمة" (ناصر وآخرون، 2011، ص79).

وترتكز إدارة المعرفة على أربع عمليَّات أساسيَّة، يمكن إيجازها فيما يلي(ناصر وآخرون، 2011، ص134-135):

إكتشاف المعرفة: وهي عمليَّة إكتشاف معرفة جديدة، وهذه المعرفة قد تكون صريحة أو ضمنيَّة، ويتمُّ اكتشافها من بيانات أو معلومات أو من توليف معرفة مسبقة.

مسك المعرفة: وهي عمليَّة مسك واسترداد واسترجاع معرفة ضمنيَّة أو صريحة تكمن في عقول الأفراد أو المُصنَّعات (أجهزة أو أنظمة صنعتها المؤسَّسة)، أو الوحدات التَّنظيميَّة، سواء كان ذلك ضمن المنظَّمة نفسها، أو مع منظَّمات أخرى.

المشاركة بالمعرفة: وهي عمليَّة إيصال ونقل المعرفة الصريحة أو الضمنيَّة إلى أفراد آخرين، وهذا النقل يكون فاعلا إذا فهم المُستقبِل المعرفة المنقولة إليه واستطاع استخدام تلك المعرفة، كما أنَّها معرفة جديدة له، وهذا النَّقل يتم عبر أشخاص أو دوائر أو منظَّمات.

استخدام المعرفة: وتشمل عمليَّة استخدام المعرفة لدى اتخاذ القرارات أو تنفيذ المهام.

وممَّا سبق ذكره من معلومات مرتبطة بالمعرفة وإدارتها وعملياتها، يعرِّف الباحثان **إدارة المعرفة** بأنَّها: "جهد منظَّم ومخطَّط، واعٍ ومقصود، وموجَّه من طرف منظمة أو مؤسسة ما عن طريق توظيف مجموعة الموارد والكفاءات والخبرات الداخليَّة والخارجيَّة التِّي تُعنَى بجمع وتصنيف وتنظيم وتخزين كافة أنواع المعرفة ذات العلاقة بنشاط تلك المؤسسة واسترجاع تلك المعارف عند الضرورة من طرف المؤسسة بما يحقِّق أهدافها ويرفع مستوى كفاءة اِتخاذ قراراتها وأدائها التَّنظيمي.

هذا، **وتخضع الأهداف المرسومة في الجامعات** في الغالب إلى الطبيعة السياسية والاجتماعية لكل مجتمع، وواقعه ومشكلاته وهذا التفاوت طبيعي وينتج عن اختلاف الفلسفات التي تقوم عليها مثل هذه المؤسسات الجامعية، واختلاف المواقف الفلسفية التي يتخذها القائمون عليها، فالتاريخ يشهد أن الجامعات العتيقة كانت المخبر الذي انصهرت فيه عناصر الأمة على تباعدها وتوحدت فيها أفكار شبابها الذين هم زعماؤها في الدين والسياسة والاقتصاد والفن والإدارة، واليوم وبالنظر لظروف عصرنا فإن الجامعات الحديثة لا ينحصر دورها في مواجهة التحديات الآتية من العولمة فقط، حيث أن دورها يتعدى هذا الإطار الزمني المحدود ليمتد إلى الاستشراف والتنبؤ بتلك التحديات المستقبلية واتخاذ الإجراءات والخطوط الدفاعية اللازمة للتصدي لها قبل حدوثها، وهذا يمثل الدور الاستراتيجي بعيد المدى المسند إلى الجامعات العصرية الحديثة، وهو الذي يميزها عن تلك المؤسسات التقليدية الذي يتمحور دورها في حل المشكلات ومواجهة التحديات عند حدوثها(عبد المجيد بوقرة، 2010، ص 61).

والجامعة باعتبارها المصدر الأساسي للخبرة، والمحور الذي يدور حوله النشاط المعرفي والثقافي في الآداب والعلوم والفنون، فمهما كانت أساليب التكوين وأدواته فإن المهمة الأولى للجامعة ينبغي أن تكون دائما هي "التوصيل الخلاَّق للمعرفة الإنسانيَّة، في مجالاتها النظرية والتطبيقية، وتهيئة الظروف الموضوعية لتنمية الخبرة الوطنية، التي لا يمكن بدونها أن يحقق المجتمع أي تنمية حقيقية في الميادين الأخرى"(محمد العربي ولد خليفة، 1989، ص177).

هذا، وتشترك الجامعات على اختلاف مواقعها في أهدافها تبعا للزمان والمكان وهي بمجملها تتركز حول التدريس والبحث العلمي وخدمة البيئة وتنمية المجتمع ومن أجل تحقيق هذه الأهداف لا بد على الجامعة أن تحدد هذه الأهداف بدقة، وتسير من أجل تحقيقها وفق إستراتيجية مبنية على الوضوح والواقعية فالجامعات كما أشرنا سابقا لا بد عليها أن تستشرف المستقبل وتتنبأ بما سوف يكون حتى تبقى مسايرة لكل التطورات الاجتماعية. ولقد كثر الكلام اليوم على مجتمعات المعرفة والتي لا شك إنها شديدة الارتباط بمنظومتها التعليمية خاصة الجامعية منها، وحينما نطلق وصف المعرفة على مُجتمع، فهذا يعني أن النشاطات المعرفية هي مركز التميز المطلوب في هذا المُجتمع .ويعتمد الفرق بين مُجتمع معرفي في دولة من الدول ومجتمع معرفي في دولة أخرى على مدى تفعيل ومستوى فاعلية النشاطات المعرفية في كل منهما، و**النشاطات المعرفيَّة** الرئيسة ثلاثة هي: **توليد المعرفة** بالبحث والتطوير، **ونشرها** بالتعليم والتدريب ووسائل الإعلام المختلفة، **وتوظيفها والاستفادة** منها في تقديم المنتجات والخدمات الجديدة أو المتجددة، والارتقاء

بالإنسان وإمكاناته الاجتماعية والمهنية وبالنظر إلى النشاطات المعرفية الثلاث ومدى التكامل بينها نستطيع معرفة مدى ارتباط الجامعة بالوسط الموجودة فيه، خاصة فيما تعلق بدرجة توفيرها لاحتياجات المجتمع من رأس مال بشري يستطيع أن يحملها على عاتقه مستلزمات تحقيق التنمية والمحافظة على وتيرتها ولعل هذا من أهم أهداف الجامعة(عبد المجيد بوقرة، 2010، ص 61).

ثانيًّا: قراءة تحليليَّة لواقع المؤسَّسة الجامعيَّة الجزائريَّة في ضوء متطلبات عمليَّات إدارة المعرفة لتحقيق التنميَّة المجتمعيَّة:

يخضع توزيع المؤسسات الجامعية الجزائريَّة على مستوى التراب الوطني الجزائري إلى تقسيم جهوي يتماشى مع النسيج الاقتصادي الاجتماعي وأعداد الطلبة، حيث تضمُّ الشبكة الجامعية الجزائرية مئة وستة (106) مؤسسة للتعليم العالي، موزعة على ثمانية وأربعون (48) ولاية عبر التراب الوطني. وتضم خمسين (50) جامعة، ثلاثة عشر (13) مركزا جامعيا، عشرون (20) مدرسة وطنية عليا و عشرة (10) مدارس عليا، إحدى عشرة (11) مدرسة عليا للأساتذة، وملحقتين (2) جامعيتين (الموقع الإلكتروني لوزارة التعليم العالي الجزائريَّة، 2018).

غير أنَّ هذه النِّسب ومؤشرات هذا التَّوزيع وحدها لا تكفي للحكم على مدى تحقيق المؤسَّسة الجامعيَّة الجزائريَّة لأهدافها المنشودة في ظلّ تطبيق وتجسيد عمليَّات إدارة المعرفة لتحقيق التَّنميَّة المجتمعيَّة في جميع القطاعات من عدمها، ولعلَّ تشخيص برامج ومخرجات الوظائف الأساسيَّة التّي أنشئت من أجلها مؤسَّسات التَّعليم العالي في الجزائر قد تفي بهذا الغرض.

1.وظائف الجامعة الجزائريَّة في ضوء التوجه نحو تجسيد إدارة المعرفة:

إنَّ التعليم العالي أحد الدعائم الأساسية في التنميَّة المحليَّة، كما أنه في نفس الوقت مستودع المعارف ومنبعها فضلا عن كونه الأداة الأساسية لنقل الخبرة الثقافية العلمية والمعرفة الكامنة التي راكمتها العقول البشرية في عالم يفترض أن تزداد فيه غلبة الموارد المعرفية على الموارد المالية كعوامل للتنمية(علي عبد الله، ولخضر مداح، 2010، ص 98-99، بتصرُّف)، ونظرًا للأهمية القصوى للتعليم العالي في المجتمع فإنَّ **مؤسسة التعليم العالي الجزائرية** تضطلع **بمجموعة من الوظائف** يمكن حصرها في ما يلي:

أ.**وظيفة التعليم وإعداد القوى البشرية:** تساهم الجامعة في إمداد المجتمع باحتياجاته من الكفاءات والإطارات اللازمة لتنميته وترقيته في مختلف المجالات، وتعمل مؤسسة التعليم العالي دومًا على تجديد نظمها وبرامجها التعليمية لتبقى وثيقة الصلة بالمجتمع الذي تنتمي إليه، وذلك لتلبية حاجات سوق العمل من الكوادر والكفاءات بما يضمن **التنمية المحلية**(علي عبد الله، ولخضر مداح، 2010، ص98-99، بتصرُّف).

ولقد عرض وزير التعليم العالي والبحث العلمي "الطاهر حجار" خلال مشاركته في أشغال الندوة الدولية حول التعليم العالي بباريس، حصيلة هذا القطاع في الجزائر، مبرزا التحديات التي رفعتها الدولة الجزائرية للنهوض بقطاع التعليم العالي، مشيرا إلى أنه تم الانتقال من 3 طلبة لكل 10000 نسمة إلى حوالي 400 طالب لكل 10000 نسمة خلال 2017/2018، وهو العدد المرشح للارتفاع، فيما انتقلت الجزائر من **جامعة واحدة ومدرستين** بالجزائر العاصمة **سنة**

1962 إلى **106 مؤسسة جامعية سنة 2018** ومن **2375 طالب جامعي في 1962 إلى 1.730.000 طالب اليوم**، وأكد الوزير أن هذا الارتفاع في تعداد الطلبة الجامعيين هو نتيجة سياسة دمقرطة ومجانية التعليم العالي، وقال حجار أن 80% من الطلبة يستفيدون من المنح ونحو 50% منهم يقطنون الأحياء الجامعية (موقع جريدة الشروق أونلاين –الجزائريَّة، 2018). وكشف الوزير في مداخلته بمناسبة الندوة الوطنية للجامعات المخصصة لتحضير الدخول الجامعي 2018 -2019 عن استلام أزيد من 67 ألف مقعد بيداغوجي جديد خلال الموسم الجديد ليرتفع العدد الاجمالي للمقاعد البيداغوجية بمختلف الجامعات الجزائرية إلى أكثر من 1.7 مليون طالب للأطوار الثلاثة ليسانس ماستر ودكتوراه (موقع جريدة البلاد-الجزائريَّة، 2018).

ونظرا للدور الهام و الفعال الذي تلعبه المؤسسة الجامعية، فقد سعت الجزائر وعلى غرار مثيلاتها من دول العالم إلى تنمية و تطوير هذه المؤسسة الحيوية، وهذا بالاهتمام بالجانبين المادي والمتمثل في الوسائل والتجهيزات، والبيداغوجي والمتمثل في إعداد البرامج والمناهج، ولكن رغم الانجازات الكبيرة التي حققتها الجامعة الجزائرية، إلا أنها تعاني العديد من المشاكل التي تقف كعثرة أمام فعالية هذا القطاع، خاصة مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية و العلمية والتكنولوجية التي طرأت على الساحة العالمية و التي تمثل بدورها أكبر التحديات للمؤسسة الجامعية، ومن بين أبرز تلك **المشكلات المرتبطة بوظيفة التَّعليم وإعداد القوى البشريَّة**، نذكر منها(فتيحة حفحوف، 2008، ص68):

-نقص فادح في هيئة التدريس ذات الخبرة العالية.

-ارتفاع العبء التدريسي للكثير من الأساتذة، إضافة إلى الأعباء الإدارية.

-ضعف التحصيل الدراسي للطلبة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ **التَّعليم العالي الجزائري** هو **تكوين حضوري**، أي أنَّ الطالب مجبر على الحضور إلى قاعات الدراسة لمتابعة دروسه، وإلاَّ فإنَّه يتعرض للإقصاء، في حين أنَّ مؤسسات التعليم العالي في الدول المتقدمة أصبحت لا تحدها الحدود المكانية ولا الزمانية ولا حتى العمرية، حيث تقوم بتكوين طلبتها أينما كانوا وفي أي وقت أرادوا ومهما كان سنهم، وهذا في إطار ما يسمى بمؤسسات التعليم العالي الافتراضية، التي تستخدم أحدث تكنولوجيات الإعلام والاتصال لتقديم أرقى تكوين لطلابها، **ولهذا فيمكن القول بأنَّ مؤسسة التعليم العالي الجزائرية منعزلة نوعًا ما عن المحيط الذي تعيش فيه من حيث متطلبات المستخدمين لمنتجها (الطالب المتخرج) ومن حيث استخدامها للتكنولوجيات الحديثة التي يوفرها هذا المحيط، والتي تسمح لها بالتواصل معه** (علي عبد الله، و لخضر مداح، 2010، ص 98-99 بتصرُّف).

ويتضِّح مما سبق ذكره أنَّ الجامعة الجزائريَّة ورغم سعيها الحثيث للحفاظ قدر الإمكان على وظيفة التَّعليم من خلال جهودها المتمثلة في توفيرها للمقاعد والوسائل البيداغوجيَّة الضروريَّة وكذا الأساتذة المؤطرين، إلاَّ أنّ مؤسسات التعليم العالي الجزائريَّة لم تستطع وإلى حدّ الآن أن تتخلص من بعض المشاكل والتحديات التي تقف عائقا أمام تحقيقها لوظيفتها الأولى (وظيفة التعليم) على أكمل وجه من حيث جودتها ومخرجاتها ومواكبتها لمتطلبات العصرنة وإدارة المعرفة.

ب.وظيفة البحث العلمي: فالبحث العلمي هو نشاط ضروري لتطور العلم والمعرفة، اللذين من خلالهما تتطور الحياة البشرية، وتزدهر المجتمعات والأمم، كما أنَّ البحث العلمي من الوظائف الأساسية لمؤسسة التعليم العالي، حيث يقوم به الأساتذة والباحثين وطلبة الدراسات العليا في مخابر مجهزة بكل ما تتطلبه عملية البحث من أدوات وتجهيزات، وتزداد حاجة المجتمعات إلى الدراسات والبحوث العلمية يومًا بعد يوم، وهي في سباق سريع للحصول على أكبر قدر من المعرفة والعلوم التي تكفل الراحة والرفاهية لها، كما تضمن لها التفوق والتميز. ولهذا كان الاهتمام بالبحث العلمي اتجاهًا عامًا تأخذ به المجتمعات المتقدمة على أوسع نطاق، وتسعى المجتمعات النامية على غرار الجزائر إلى التوصل به إلى مواجهة مشكلاتها المختلفة، وتطوير أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية(علي عبد الله، ولخضر مداح، 2010، ص99 بتصرُّف).

وبخصوص العدد الإجمالي للطلبة الباحثين في الجزائر خريجي طوري الليسانس والماستر للسنة الجامعية الحالية، أكَّد وزير التعليم العالي والبحث العلمي "الطاهر حجار" في مداخلته بمناسبة الندوة الوطنية للجامعات المخصصة لتحضير الدخول الجامعي 2018 / 2019 أنَّ القطاع يتوقع تخرج 370 ألف طالب منهم 232 ألف ليسانس ويلتحق 190 ألفا منهم بالماستر، وعن عدد الأساتذة قدَّر الوزير عدد هؤلاء بـ 59217 أستاذا جامعيا ليرتفع العدد إلى أكثر من 62 ألف أستاذ بعد توظيف 3 آلاف أستاذ الموسم المقبل، وبخصوص المنح الجامعية كشف الوزير أنه تم منح حوالي 1600 منحة، وقال إن دائرته الوزارية ستتقدم للحكومة والبرلمان بغرفتيه بمشروع قانون توجيهي للتعليم العالي لمواكبة الآليات الجديدة لجودة التعليم العالي، وشدد على أن هذا التغيير لن يمس بالمبادئ الأساسية للتعليم العالي، وأشار الى جانب ذلك الى تأسيس هيئة مستقلة لمراقبة جودة التعليم العالي(الموقع الإلكتروني لجريدة البلاد الجزائريَّة، 2018).

هذا، واهتمَّت الجامعات الجزائريَّة بإنشاء وِ اعتماد العديد من المخابر البحثيَّة وفي مختلف التخصّصات العلميَّة تدعيما لمسيرة **وظيفة البَّحث العلمي** في الجزائر، والجدول الموالي يوضِّح عدد مخابر البَّحث على المستوى الوطني الجزائري في كلّ ميدان من الميادين الوارد ذكرها:

الميدان العلمي	عدد مخابر البَّحث
الهندسة	218
الفنون والعلوم الإنسانيَّة	216
العلوم الإِجتماعيَّة	167
الكيمياء	94
علوم المواد	86
الفلاحة والبيولوجيا	74
الإِقتصاد والإِقتصاد القياسي والمالية	73
الرِّياضيَّات	66
الفيزياء وعلم الفلك	62
الطبّ	61
علوم الأرض والكواكب	45
الكيمياء الحيوية والوراثة والبيولوجيا	43

الجزيئية	
العلوم البيئية	42
إعلام آلي	40
علم النَّفس	37
الطاقة	30
التجارة، التسيير، والمحاسبة	25
علوم البيطرة	19
الهندسة الكيميائية	17
علم المناعة والأحياء الدقيقة	11
علم الصيدلة وعلم السموم والصيدلة	7
طب الأسنان	4
المهن الصحية	1
علوم القرار	1
المجموع	1439

العنوان: جدول رقم 01 يوضِّح عدد مخابر البَّحث على المستوى الوطني بدلالة الميادين العلميَّة الموجودة في الجزائر.

المصدر: الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي–الجزائر(الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي– الجزائر، 2018).

والجدول التالي يوضح تطوّر عدد مخابر البحث العلميَّة المعتمدة من طرف وزارة التعليم العالي بالجزائر منذ سنة 2000 إلى غاية سنة 2017.

السَّنة الجامعيَّة	عدد المخابر
2000	269
2001	140
2002	80
2003	55
2005	17
2006	26
2007	22
2008	16
2009	45
2010	62
2011	132
2012	258
2013	162
2014	57
2015	90

7	2016
1	2017
1439	المجموع

العنوان: جدول رقم 02 يوضح عدد مخابر البحث المعتمدة من طرف وزارة التعليم العالي بالجزائر حسب السنة.

المصدر: الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي–الجزائر (الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي–الجزائر، 2018).

تأسيسًا على ما سبق ذكره، ومن خلال المعلومات الواردة في الجدولين رقم 01 و 02 يتضِح اهتمام الجامعات الجزائريَّة بوظيفة البَّحث العلمي كتوُّجه سامٍ دعمته الوزارة الوصيَّة من خلال توفير الهياكل البيداغوجيَّة وإنشاء واعتماد 1439 مخبرا في مختلف الميادين العلميَّة بشعبها وتخصصاتها المختلفة، إلاَّ أنَّ هذه الوظيفة(وظيفة البَّحث العلمي) في الواقع العملي مازالت تشهد قصورا متفاوتا في العديد من الميادين العلميَّة من ناحية تمويل المشاريع البحثيَّة ونشرها على نطاق واسع، كما أنَّ **الكثير من المخابر العلميَّة التِّي استفادت من برامج التمويل لم تنتج مخرجات علميَّة رصينة قد تساهم نتائجها في إحداث التنميَّة.**

ومن حيث **إنتاج وتوليد المعرفة،** يمكن الإشارة إلى نتائج براءات الاختراع وحقوق الملكيات الفكريَّة المحقَّقة من طرف مؤسسات التعليم والتكوين العاليَيْن ومراكز البحوث العلميَّة الموجودة بالجزائر سنة 2017 من خلال المعلومات الموضَّحة في الجدول الموالي:

الرتبة	مؤسسات التعليم والتكوين العاليَيْن ومراكز البحوث العلميَّة الموجودة بالجزائر	عدد براءات الاختراع والملكيات الفكرية
01	مؤسسات التَّعليم العالي والبَّحث العلمي	115
02	مراكز البَّحث التابعة لوزارة التَّعليم العالي والبَّحث العلمي	90
03	مراكز ومعاهد البَّحث غير التابعة لوزارة التَّعليم العالي والبَّحث العلمي	25
04	وكالات البَّحث التابعة لوزارة التَّعليم العالي والبَّحث العلمي	07
العدد الإجمالي لبراءات الإختراع والملكيات الفكريَّة		237

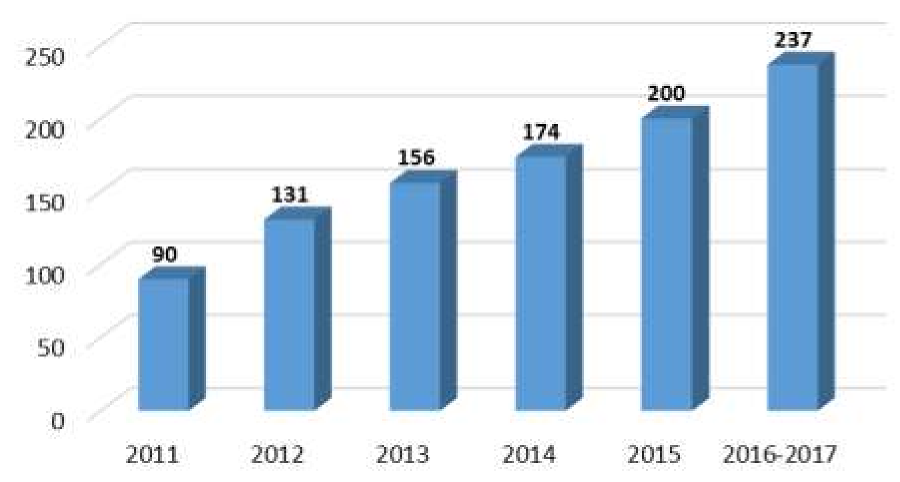
العنوان: جدول رقم 03 يوضِح قائمة براءات الاختراع للباحثين الجزائريين لسنة 2017 بدلالة مؤسسة الإنتماء البحثي.

المصدر: مطبوعة تقييمة لبراءات الاختراع والملكيات الفكرية بالجزائر لسنة 2017، صادرة عن المديريَّة العامَّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي.

(Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement technologique ; 2017; p06).

وافتكَّت الميادين التقنيَّة الحصَّة الأكبر من عدد براءات الاختراع المحقَّقة من طرف الباحثين الجزائريين لسنة 2017، وهي كما يلي: ميدان الطاقات المتجدِّدة، الفيزياء، الميكانيك، الكهرباء والإلكترونيك، علوم المعادن، الصِّحة والصِّناعات الصَّيدليَّة، الفلاحة، الرَّي، تكنولوجيا المعلومات، التكنولوجيا العامَّة (Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement technologique ; 2017; p07-08).

والشكل البياني الموالي يبيّن عدد براءات الاختراع المحققة من طرف مؤسسات التعليم العالي الجزائريَّة من سنة 2011 إلى سنة 2017.



العنوان: شكل رقم 01 يبرز عدد براءات الاختراع للباحثين الجزائريين بدلالة سنة الإنجاز.
المصدر: مطبوعة تقييمة لبراءات الاختراع والملكيات الفكرية بالجزائر لسنة 2017، صادرة عن المديريَّة العامَّة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي (Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement technologique ; 2017; p08).

ورغم هذه النتائج المحققة، مازالت الجامعة الجزائرية تعاني من معوِّقات ترتبط بوظيفة البحث العلمي، أبرزها(فتيحة حفحوف، 2008 ، ص68، بتصرُّف):

-هجرة الكفاءات العلمية للخارج، وما ينجم عنه من نقص فادح في التأطير والبحث العلمي النوعيَيْن.

-إتباع سياسة النمو الكمي في اختيار وإعداد وإنجاز البحوث العلميَّة على حساب النُّمو الكيفي.

و ممَّا سبق، وحسب المعلومات الواردة في الجدول رقم 03 و الشكل التوضيحي رقم 01، فإنَّه وبالرَّغم من أهميَّة النتائج المحققة بخصوص براءات الاختراع التِّي تشهد تطورا ملحوظا في نسبتها كل سنة، وما حققه الباحثون الجزائريون من حصيلة جيدة سنة 2017 في الميادين التقنيَّة، إلا أنَّ العديد من الميادين العلميَّة الأخرى تعرف ركودا نسبيًّا في هذا المضمار، على غرار العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التِّي تحتاج شعبها وتخصصاتها المختلفة إلى اهتمام أكبر من طرف الوزارة الوصيَّة للنهوض بالقيم الفكريَّة والتنمويَّة في المجتمع، كما أنّ الاقتصار على رصيد كبير من براءات الاختراع في الشعب التقنيَّة **دون اعتماد وتوظيف تلك الاختراعات وعدم توجيهها للاستفادة منها لخدمة التنميَّة المجتمعيَّة هو أمر لا يتماشى بتاتا مع متطلبات تجسيد عمليات إدارة المعرفة.**

ج. وظيفة التنمية المجتمعية والتنشيط الفكري والثقافي: وتعد هذه الوظيفة كذلك من الوظائف الرئيسية لمؤسسة التعليم العالي، ولا تقل أهمية عن الوظيفتين السابقتين، كون مؤسسة التعليم العالي جزء لا يتجزأ من هذا المجتمع، وهو الذي أوجدها لخدمته وترقيته، ولا يمكن لها تأدية

دورها ما لم تكن ملتزمة بقضايا المجتمع ومتطلباته. وأوجُه خدمة مؤسسة التعليم العالي للمجتمع كثيرة، فيمكن أن تقوم بتوعية وتثقيف أفراده من خلال التظاهرات العلمية والثقافية التي تنظمها، وأن تخدمه من خلال تقديم النصح والمشورة لمختلف مؤسساته، ويرتبط وجود هذه الوظيفة بوجود علاقات التواصل والتفاعل بين هذه المؤسسة والمجتمع الذي تنتمي إليه، فكلما كانت هذه العلاقات متينة، كلما تجسدت وظيفة مؤسسة التعليم العالي في تنمية المجتمع(علي عبد الله ولخضر مداح، 2010، ص99، بتصرف).

ويعتبر نشر العلم والثقافة من رسالة الجامعة، والتي هي بمثابة مركز للإشعاع الفكري والمعرفي وتنمية الملكات العلمية والمهنية، والتي تمثل الحجر الأساس لعمليات التنمية الوطنية، فللجامعة دور كبير في تقديم المعرفة وتشجيع القيم الأخلاقية والنهوض بالمجتمع، كما أنها تسعى للحفاظ على هوية المجتمع والتجديد في هذه الهوية باتجاه تحديات المستقبل(صباح غربي، 2014، ص51).

فالجامعة تقوم بوظيفة جد هامة اتجاه المجتمع، فهي تعمل على ربط التعليم الجامعي مع حاجات ومتطلبات المجتمع المختلفة الحاضرة والمستقبلية، كما تزوده بمختلف الخبرات والاكتشافات العلمية والتقنية، وفي نفس الإطار تقوم الجامعة بحفظ ثقافة المجتمع ونشرها في جميع أوساطه(فتيحة حفحوف، 2008، ص 46).

ولا يزال نظام ل م د في الجامعات الجزائريَّة يسير بالطرق الكلاسيكية بالرغم من أن المبدأ الأساسي الذي نشأ من أجله هو ربط الجامعة بالمجتمع وجعل الجامعة الفضاء الذي له إمكانية إيجاد الحلول للمشكلات الاجتماعية، غير أن الواقع يدل على أن الجامعة لا زالت بؤرة للصراعات السياسية والاجتماعية(ميلود قاسم، 2015، ص53)، فقد دخل المجتمع الجزائري بصورة عامة في مشاحنات سوسيو اقتصادية أقحمته في أنماط إنتاج مختلفة خاصة منها ماجسدتها الاقتصاديات الرأسمالية، وبالتالي لم يعد للجامعة الجزائرية باعتبارها ميزة أساسية هامة في النظام الاجتماعي أن يكون لديها الوقت الكافي لابتكار مناهج معرفية فبقيت هنالك فجوة معرفية كبيرة بينها وبين دول العالم النامي. وبالرغم من المجهودات المبذولة من طرف الدولة في ميدان البحث العلمي إلا أنه لا يزال يعاني قصورا واضحا في تلبية الاحتياجات المحلية والوطنية إضافة إلى الإنجازات المحتشمة في هذا الميدان مقارنة بإنجازات الدول الأخرى. وهكذا أضحت وضعية إنتاج المعرفة من البحوث العلمية في ميدان التعليم العالي هزيلة مقارنة بإنجازات الدول المتطورة (نجاة بوساحة، 2012، ص214)، وذلك لعدم الترابط بين سياسات التكوين والتعليم وسياسات التوظيف، كما أنَّ المناهج الدراسية وأهدافها لا تخدم متطلبات التنمية الشاملة (فتيحة حفحوف، 2008، ص68، بتصرف).

2.تحدِّيات الجامعة الجزائريَّة في ظلّ تبني عمليات إدارة المعرفة: يواجه التعليم العالي في الجزائر مجموعة من التحدِّيات يمكن إجمالها فيما يلي (مقدم وهيبة، 2010، ص337):

-الطلب المتزايد على التعليم العالي وتزايد أعداد الطلبة، كما أن الهياكل المنجزة غير مواكبة للزيادات العددية للطلبة بحيث في كل سنة جامعية يتأخر موعد الدخول الفعلي بسبب الخدمات

الجامعية المتأخرة وذلك بالرغم من المجهودات المبذولة في سبيل احتضان الأعداد الهائلة من الطلبة.

-نمطيَّة التكوين المبنيَّة على التَّلقين، بحيث لا تفتح المجال للإبداع والابتكار الفردي، وإن وجد هذا فإنه يبقى محاولات فرديَّة وليست سياسة تعليميَّة

-التَّكوين الكمِّي على حساب التَّكوين النَّوعي، وذلك للتكلفة التي أصبح يتطلَّبها التعليم الأمر الذي أثقل كاهل الدولة إضافة إلى تغير منظومة القيم المجتمعيَّة بحيث لم يبقَ للتَّعليم نفس المكانة المرموقة التي كان يحظى بها في السابق.

-هجرة الكفاءات وعدم بقائها في الداخل للمساهمة في التأطير وتكوين وتنميَّة البلاد.

-البحوث المنجزة هي بحوث من أجل نيل الشهادات وليست بحوث تنجز بهدف التطبيق العملي لها مما أدى إلى الحدِّ من فعاليَّة البَّحث العلمي وعدم مساهمته في تفعيل العمليَّة التَّنمويَّة.

-تنامي معدَّلات البطالة بين خرِّيجي الجامعات.

3.الإستنتاجات:

تأسيسا على ما سبق عرضه من معلومات نظريَّة حول الجامعة ومبادئها ووظائفها، وإدارة المعرفة وأنواعها وعملياتها، وما تطرَّقنا له بالعرض والتعقيب والتحليل لوظائف الجامعة الجزائريَّة بالتركيز على أساسًا على وظيفة التنميَّة المجتمعيَّة في ضوء التوجُّه نحو تبنِّي عمليَّات إدارة المعرفة والتِّي تتمخَّض بدورها عن وظيفتي التعليم والبَّحث العلمي، يتضِّح لنا جليًّا ما يلي:

-تتركز وظائف التعليم العالي الجزائري أساسًا حول وظيفة التعليم الحضوري إلى قاعات التَّدريس، والذِّي ينتهي بإقصاء الطالب في حالة غيابه عن حضور الدَّرس عدَّة مرَّات، ولم يوظف القطاع لحدّ الآن أسلوب المحاضرات عن بعد في المحاضرات، وهذا الأمر يعوق تجسيد إدارة المعرفة بما يتطلبه نجاح عملياتها من وسائل وكفاءات في ظلّ العولمة.

- كانت ولازالت وظيفة البحث العلمي في الجزائر وظيفة ثانوية رغم بعض المجهودات المبذولة للنهوض بهذه الوظيفة الحيويَّة، وحتَّى المشاريع البحثيَّة المنجزة تفتقر أغلب مخرجاتها لمعايير الجودة العلميَّة، وهذا يتعارض تماما مع متطلبات عمليَّة إنتاج وتوليد المعرفة كعمليَّة هامَّة لنجاح إدارة المعرفة بالجامعة الجزائريَّة، ولعلّ ما يؤكد صحَّة هذه الرؤيَّة هو النقص الفادح والملحوظ في عدد الباحثين ذوو الخبرة الواسعة وهجرة الأدمغة إلى الخارج.

-ارتفاع عدد مخابر ومشاريع البَّحث في بعض الميادين العلميَّة مقارنة بقلَّتها في ميادين علميَّة أخرى، وهذا ما يخلُّ بمبدأ ديمقراطية التعليم كمبدأ ثابت من مبادئ الجامعة الجزائرية، وذلك لعدم إتباع سياسة التوازن في عمليَّة اعتماد وتمويل مشاريع البَّحث بما يحقق التكامل بين الميادين البحثيّة، كما أنَّ عدم توظيف المخرجات العلميَّة المحقَّقة في عمليَّة التنميَّة هو من معوقات عمليَّات إدارة المعرفة خاصَّة عمليَّة نشر وتنفيذ المعارف المحقَّقة.

-إنَّ مؤسسات التَّعليم العالي الجزائريَّة بمختلف تشكيلاتها من: مدارس عليا متخصِّصة، جامعات، ومعاهد، تركِّز جلّ اِهتمامها على توفير التأطير للعدد الكبير للطلبة والذِّي يشهد تزايدًا ملحوظًا في السنوات الأخيرة (62 ألف أستاذ لتأطير 370 ألف طالب سنة 2019/2018، أي بنسبة أستاذ واحد مؤطر لـ 06 طلبة)، غير أنَّ هذه النِّسبة ليست موزعة بطريقة متساويَّة في مختلف الأقسام

والكليَّات والمعاهد، فقد تزيد هذه النِّسبة في بعض التخصّصات بينما قد تقل في تخصُّصات أخر ممَّا يؤثر على سياسات التَّنمية المحليَّة والوطنيَّة.

-العجز الكبير في عمليَّة التَّنسيق بين مراكز ومعاهد ووكالات الأبحاث العلمية والمؤسسات الإِجتماعيَّة والاقتصاديَّة في المجتمع بخصوص الاستفادة من نتائج البحوث وبراءات الاختراع ونشرها وتوظيفها، وهو ما يطرح تساؤلات عديدة من بينها إشكالية إنتاج البحوث العلميَّة في الجامعات الجزائريَّة بين الجودة وسياسة الأرقام، ولعلَّ ذلك من بين الأسباب التِّي أدَّت بعزوف الكثير من الباحثين عن وظيفة البحث العلمي في الفترة الأخيرة.

-إنَّ وظيفة التَّنمية المجتمعيَّة، فإنَّها غير ملموسة على أرض الواقع فيما يتعلَّق باستغلال نتائج البُحوث العلميَّة المنجزة، وقد يكون ذلك بسبب ضعف جودة تلك البحوث، وكذا قصور علاقات التواصل والاحتكاك والتفاعل بين مؤسسة التعليم العالي الجزائريَّة والمجتمع الذِّي يتَّوجب عليها تنميته.

4.الإِقتراحات والتَّوصيَّات:

بناءً على ما توصلنا إليه من استنتاجات حول وظيفة التَّنميَّة المجتمعيَّة بالجامعة الجزائريَّة في ضوء التوجُّه نحو تبنّي عمليَّات إدارة المعرفة، يمكننا تقديم الإِقتراحات والتَّوصيَّات التَّاليَّة:

-ضرورة إيلاء الجامعات قدرًا أكبر من الإِهتمام بالتكنولوجيَّات الحديثة والمتطوِّرة في مجال الاتصال، وتوظيفها للاستفادة منها في التعليم وتقديم المحاضرات عن بعد وتسجيلها وإتاحتها واسترجاعها عند الحاجة من طرف الطلبة وتسهيل إجراءات وترتيبات وصولهم إليها بما يحقق تجسيد عمليَّة نقل ونشر المعرفة في عصر العولمة.

-تشجيع النخب الجامعيَّة الجزائريَّة وتحفيزها معنويًّا و مادِّيًّا للإِضطلاع بوظيفة البحث العلمي وإنجاز المشاريع البحثيَّة وفق معايير الجودة العلميَّة المتعارف عليها في كبريَّات الجامعات والمعاهد العلميَّة في العالم، والإِستعانة بالباحثين ذوو الخبرة الواسعة ودعوة الأدمغة الجزائريَّة المستقرة بالخارج للعودة إلى الجزائر وتوفير الأجواء والظروف المناسبة لهم، والتِّي من شأنها أن تُدعِّمهم في عمليَّة البَّحث والتَّطوير وخدمة المجتمع.

-إتباع سياسة التوازن والتخطيط المدروس في عمليَّة اِعتماد وتمويل مخابر ومشاريع البَّحث في مختلف الميادين العلميَّة بما يحقق التكامل المنشود بين مخرجاتها العلميَّة وتوظيفها في عمليَّة التنميَّة على جميع الأصعدة.

-ضرورة ربط التخصّصات العلميَّة الموجودة على مستوى مؤسسات التَّعليم العالي الجزائريَّة باِحتياجات سوق الشغل من كفاءات علميَّة متخرِّجة لتقليل نسبة بطالة الخرِّجين من الجامعيِّين.

-التَّنسيق المخطَّط والفعَّال بين مراكز ومعاهد ووكالات الأبحاث العلمية والمؤسسات الإِجتماعيَّة والاقتصاديَّة في المجتمع لتوجيه نتائج البحوث وبراءات الاختراع ونشرها وتوظيفها والإِستفادة منها على نطاق واسع داخل المجتمع بما يساهم في إضفاء مردوديَّة وقيمة مضافة في التنميَّة الوطنيَّة.

-بناء شبكة اتِّصال مؤسَّساتي قائمة على أسس علميَّة لنشر وترسيخ قيَّم المؤسَّسة الجامعيَّة المواطنة، وتوطيد علاقات التواصل والاحتكاك والتفاعل بين الجامعة الجزائريَّة والمجتمع الموجودة فيه.

قائمة المراجع:

1. بلقاسم سلاطنيَّة، وأسماء بن تركي(2014)، العلاقة التَّكامليَّة بين الجامعة والمجتمع ومسألة التَّنميَّة الاِجتماعيَّة، مجلة العلوم الإنسانيَّة، ع35/34، جامعة محمَّد خيضر بسكرة، الجزائر.
2. تخصص إدارة و تنمية الموارد البشرية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس – سطيف، الجزائر.
3. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، المرسوم رقم 83-544، المؤرَّخ في 1983/09/24.
4. حنين محمد عبد الحافظ صالح(2017)، توظيف إدارة المعرفة لدى القادة الأكاديميين في الجامعات الأردنية في ضوء أبعاد المنظمة المتعلمة من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، رسالة مقدَّمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الإدارة والقيادة التربوية، قسم الإدارة والمناهج، كليَّة العلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط، عمَّان، الأردن.
5. رياض عزيز هادي(2010)، الجامعات "النَّشأة والتطور–الإقليمية–الاستقلاليَّة، سلسلة ثقافية جامعية، المجلد الثاني، ع2، بغداد، العراق.
6. صباح غربي(2014)، دور التعليم العالي في تنميَّة المجتمع – دراسة تحليليَّة لاتجاهات القيادات الإداريَّة في جامعة محمَّد خيضر بسكرة، أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اجتماع التنميَّة، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمَّد خيضر بسكرة، الجزائر.
7. عبد العزيز الغريب صقر(2005)، الجامعة والسُّلطة – دراسة تحليليَّة للعلاقة بين الجامعة والسُّلطة، الدَّار العالميَّة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر.
8. عبد المجيد بوقرة(2010)، الجامعة الجزائرية والنظام الجديد LMD بين السبق في تطبيقه وضرورة مواكبة تغيرات سوق العمل، ورقة مقدَّمة للملتقى الوطني الأوَّل بعنوان: "تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية"، كتاب الملتقى، جامعة زيَّان عاشور-الجلفة، الجزائر.
9. علي عبد الله، لخضر مداح(2010)، التعليم العالي في الجزائر وإدارة الجودة الشاملة كمدخل لجودة مخرجاته، بحث مقدّم لأعمال الملتقى الوطني الأوَّل حول: تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، كتاب الملتقى، جامعة زيان عاشور-الجلفة، الجزائر.
10. فتيحة حفحوف(2008)، معوقات البحث الاجتماعي في الجامعة الجزائرية من وجهة نظر الأساتذة الجامعيين- دراسة ميدانية في جامعات "سطيف، قسنطينة، مسيلة"، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير
11. محمد العربي ولد خليفة(1989)، المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
12. مقدم وهيبة(2010)، الحاجة إلى تطوير المناهج الجامعية بما يتناسب مع متطلبات سوق الشغل في الجزائر، بحث مقدّم لأعمال الملتقى الوطني الأوَّل حول: تقويم دور الجامعة الجزائرية في الاستجابة لمتطلبات سوق الشغل ومواكبة تطلعات التنمية المحلية، كتاب الملتقى، جامعة زيان عاشور-الجلفة، الجزائر.
13. الموقع الإلكتروني لجريدة البلاد – الجزائر، عبر الرابط الإلكتروني: http://www.elbilad.net/article/detail?id=86410 ، 2018/10/08، 22:07.
14. الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي – الجزائر، عبر الرابطين الإلكترونيين التاليين على الترتيب: http://dalilab.dgrsdt.dz/index.php?option=5 ،

http://dalilab.dgrsdt.dz/index.php?option=8.00:12 ،2018/09/08 ، 2018/09/06، 00:04.
15.الموقع الإلكتروني لوزارة التعليم العالي الجزائريَّة عبر الرابط الإلكتروني: https://www.mesrs.dz/ar/universites ، 2018/09/08، 21:10.
16.موقع جريدة الشروق أونلاين – الجزائر، عبر الرابط: https://www.echoroukonline.com ، 2018/10/08، 21:58.
17.ميلود قاسم(2015)، نظام ل م دي في الجزائر: بين دافعيَّة التَّغيير وآليات التطبيق، المجلَّة الجزائريَّة للسِّياسات العامَّة، ع08، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر.
18.ناصر محمَّد سعود وآخرون(2011)، إدارة المعرفة، ط1، إثراء للنَّشر والتَّوزيع، الأردن.
19.نجاة بوساحة(2012)، إشكاليَّة بناء المعرفة في الجامعة الجزائريَّة-مقاربة سوسيولوجيَّة، مجلة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة، ع 08، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة، الجزائر.
20.Direction Générale de la Recherche Scientifique et du Développement technologique (2017), Eléments de la Propriété Intellectuelle & Etat des lieux des brevets 2017.

متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي(دراسة نظرية)

Requirements of Preparing Second Line Management in Higher Education Institutions (Theoretical Study).

أ.مها بنت فهد بن قاسم بن دخيل الله، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- المملكة العربية السعودية

ملخص: هدفت الدراسة إلى تحديد متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي، وقد أسفرت الدراسة عن عدد من النتائج، أبرزها: أن إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي ضرورة ملحة لرفع كفاءة القيادات المستقبلية، وأن إعدادهم يسهم في تحسين الأداء، وزيادة الإنتاجية، ومواكبة متطلبات العصر. وقد كشفت النتائج أيضاً عن بعض أبعاد الإعداد، ومتطلباته. وقدمت الباحثة عدة توصيات أهمها: إجراء دراسات ميدانية للوقوف على الاحتياجات الفعلية لقيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي، وإقامة الندوات والمحاضرات، وورش العمل؛ لتسليط الضوء على متطلبات الإعداد، ووضع استراتيجيات وخطط للمؤسسات التعليمية تُعنى بإعداد القيادات.

الكلمات المفتاحية: قيادات الصف الثاني، التمكين، التدريب، التعاقب القيادي، متطلبات إعداد القيادات.

Abstract: The study aims to identify the needs of preparing second level leaders in higher education institutions. It led to a number of results, and the most noted ones are: This preparation is an urgent step to raise the standards of future leaders, and it contributes in improving performance, increase productivity, and matches the future needs. It also shows some of the dimentions and needs of this preparation. The researcher submitted several recommendations, and the most important ones are: carry out field studies to diagnose the actual needs of second level leaders and have forums, lectures, and workshops to highlight the needs and put strategies for educational institutions which are interested in preparing leaders.

Keywords: Second class leaderships, Inability, Practicing, Leading Succession, Preparing leaderships Requirements**.**

مقدمة:

تعد التنمية البشرية في مؤسسات التعليم العالي مطلباً أساسياً، ومهماً لتطوير أداء العاملين في تلك المؤسسات، خاصة القيادات الإدارية، مما يجعلها قادرة على القيام بالأدوار الإدارية، والفنية، ومتطلبات العمل بكفاءة وفاعلية.

وتقوم القيادة الإدارية التربوية بدورٍ فاعلٍ ليؤدي جميع العاملين في المؤسسة التربوية واجباتهم؛ لتحقق العملية التربوية أهدافها، ويضطلع القائد بدور مهمٍ في تنمية الناحية القيادية لدى العاملين معه من خلال ما يقدمه في سبيل تطوير قيادة العملية التربوية(جميل قاسم، 2018، ص18).

ومن هذا المنطلق ظهر الاهتمام بإعداد وتطوير القيادات الإدارية في بعض من الدول العربية، ومنها المملكة العربية السعودية حيث صدر قرار مجلس الوزراء رقم (556) وتاريخ 12/25/ 1437ه القاضي بإنشاء مركز إعداد وتطوير القيادات الإدارية في معهد الإدارة العامة، والذي يهدف إلى الإسهام في تلبية الاحتياجات الوطنية من القيادات المؤهلة، ورفع كفاءة القيادات الإدارية في الأجهزة الحكومية بما يسهم في تحقيق رؤية المملكة 2030 (معهد الإدارة العامة، 1439ه).

واستمرار وتواصل الأداء المتميز في المؤسسات التربوية يقتضي بالضرورة إعداد صفٍ ثانٍ من القيادات يكون مؤهلاً لتولي المناصب القيادية مستقبلاً، فضلاً عن مشاركته الحالية في اتخاذ القرارات، وتفويضه في بعض الأمور بما يخفف الأعباء عن القيادات؛ ليتمكنوا من التفرغ لممارسة المهام القيادية. وهذا الصف الثاني يكون بمثابة غطاء يضمن الحماية والاستمرار للمؤسسات لأداء عملها بفعالية وتميز(وفاء سعيد، 2013، ص920)، لذلك أصبح الصف الثاني للقيادات يمثل أحد أهم التطورات الفكرية الإدارية المعاصرة.

وفي ضوء ما سبق، وانطلاقاً من أهمية دور قيادة الصف الثاني، ولقلة المؤلفات التي تناولت موضوع بناء وإعداد قيادات الصف الثاني - على حد علم الباحثة - فضلاً عن افتقاد بعض المؤسسات لأسس ومتطلبات تكوين قيادات الصف الثاني، والوعي بأهميتهم يأتي هذا البحث؛ للكشف عن متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي.

مشكلة البحث:

تـعَدُّ قيادة الصف الثاني بمثابة بديل جاهز يقع على عاتقها أداء كثير من المهام التي لابد أن يتم إنجازها بكفاءة وفاعلية(سعد دروش ومصطفى مصطفى أحمد، 2018، ص135)، وقد ذكر عصام عمر (2016م/أ، ص48) أن الكثير من المؤسسات الحكومية والدولية في معظم الدول النامية تعاني من عدم الاهتمام ببناء قيادات صفٍ ثانٍ لتكون جاهزة عند الحاجة إليها، وقادرة على المشاركة في اتخاذ القرار، وتسيير أمور المؤسسة بكل كفاءة واقتدار، الأمر الذي يتسبب غالباً في ضعف أدائها، وتعثر خططها، ومشاريعها المستقبلية.

وتُـعدُّ الأقسام العلمية القلب النابض في الجامعات، والنواة الأساسية فيها؛ فهي تمثل كما يؤكد محجوب(2004) "حجر الزاوية في بنية النظام الأكاديمي، وبالتالي فإن مدى قدرتها على ممارسة مهامها الموصوفة بفاعلية وكفاءة يعني بالضرورة اتسام الكلية، والجامعة بالخاصية

ذاتها". وعلى ذلك تعتبر منسقة القسم (قيادة الصف الثاني) مسئولة بشكل مباشر عن القسم العلمي التابعة له، وتتحمل أغلب مهامه الإدارية، والطلابية، والتعليمية المتصلة بالطالبات، كما تسهم في التطوير، والتجديد، والإبداع في القسم، والرفع من مستوى أداء العاملات فيه من إداريات، وعضوات هيئة التدريس (في الشهري، 1433هـ).

وأشار كلٌ من سعد دروش, ومصطفى مصطفى أحمد (2018، ص135) بضرورة بناء وإعداد قيادات الصف الثاني في المؤسسات الحكومية. ومن زاوية أخرى أشار عبد الرحمن الفيفي (1438، ص21) إلى وجود ضعف إعداد القادة، وقيادات الصف الثاني في المنظمات الحكومية، واعتبر ذلك من السلبيات الإدارية، والتي له تداعياته التنموية التي تهدد المستقبل. كما أظهرت نتائج دراسة ابتهاج القعود (2016، ص63) وجود عدد من المعوقات التي تحول دون إعداد قيادات الصف الثاني؛ وبناءً عليها فقد أوصت الدراسة بإعداد قادة المستقبل، ووضع خطة لتدريبيهم، وتنمية مهاراهم، وتطبيق مبادئ إعدادهم من خلال عدة أبعاد شملت التمكين، والتفويض، والتدريب.

بينما أوصت دراسة حنان أبو سلطان (2016) بضرورة الاهتمام بتطوير رأس المال البشري؛ لبناء قيادات الصف الثاني حتى تكون جاهزة للقيام بدور قيادة الصف الأول عند الحاجة إليها. وأكد مدحت أبو النصر (2013، ص187) على ضرورة تطوير الوسائل اللازمة لتنمية القيادة، وإعداد قيادات الصف الثاني، وفي ذات السياق أشارت نتائج دراسة فيصل البواردي (2014، ص1) إلى أن من أبرز المعوقات والتحديات التي تواجه التخطيط لتعاقب القيادات الإدارية هي ضعف البرامج التدريبية التي تقدم لبناء القيادات الإدارية للصف الثاني، والمسماة بالقيادات البديلة، كما أوصت دراسة أسماء العمري (2014، ص127) بضرورة بناء برامج متكاملة لإعداد وتدريب القيادات تضعها المؤسسات في ضوء حاجاتها الحالية، ورؤيتها المستقبلية، وتكون هذه البرامج خطوة أولى تسبق مرحلة التنمية والتطوير للقيادات لديها، وتعد من خلالها ما يسمى بخط القيادات، وهو صف، أو خط ثانٍ من القيادات المحتملين لأي موقع قيادي شاغر، أو مستحدث للمؤسسة.

وفي ضوء ما سبق؛ وانطلاقاً من أهمية دور قيادة الصف الثاني في تطوير الأداء الجامعي، ونقل الخبرات، وتبادلها؛ ولقلة وندرة المؤلفات التي تناولت موضوع بناء وإعداد الصف الثاني - على حد علم الباحثة - فضلاً عن افتقاد المنظمات لأسس ومتطلبات تكوينه، والوعي بأهميته تأتي هذه الدراسة؛ للكشف عن متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى التعرف على متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي من خلال إلقاء الضوء على بعضٍ من أبعاد إعدادهم في مؤسسات التعليم العالي، وهي: التدريب، والتفويض، والتمكين الإداري، وتخطيط التعاقب القيادي.

أهمية البحث: تأتي أهمية هذا البحث من المشكلة التي يعالجها، وهي متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي، وتتمثّل في: التدريب، والتفويض، والتمكين، والتعاقب القيادي لقيادات الصف الثاني؛ وذلك لإعداد القيادات الإدارية في مؤسسات التعليم العالي.

تحديد مصطلحات البحث:

قيادات الصف الثاني: يعرّفهم سعد دروش، ومصطفى مصطفى أحمد (2018، ص9) بأنهم: "المسؤولون عن تنفيذ الخطط المرسومة من جانب قيادات الصف الأول، وقيادة فرق العمل الكبيرة، وإدارة المشاريع، ويشغلون عادة مناصب وكالة الأقسام والإدارات الرئيسة في المنظمة". وعرّفها ماجد الفرا، وأشرف الهادي (2018، ص5) بأنها: الكادر البديل الذي يحمل أعباء المؤسسة التربوية عند الحاجة، ويقودها بأسلوب إداري متميز باستثمار جميع الموارد المتاحة؛ لتحقيق أهداف المؤسسة بما يحافظ على تطورها واستمرارها. وأشارت إليهم حنان أبو سلطان (2016، ص27) بأنهم: الخلفاء المحتمَلون للمناصب الرئيسة في جميع أنحاء المؤسسة التعليمية. ووصفتها هند الركف (2014، ص6) بأنها: "عضو هيئة التدريس المكلَّف بتسيير الأمور العلمية، والإدارية في القسم العلمي، والمسؤول عن تطبيق اللوائح والأنظمة الخاصة بالعمل، الذي يقدِّم لرئيس القسم تقريراً عن أعمال القسم في نهاية كل سنة دراسية. ويُعين وكيل القسم من بين أعضاء هيئة التدريس المتميزين بالكفاءات العلمية والإدارية بقرار من معالي مدير الجامعة بناءً على ترشيح عميد الكلية بالتنسيق مع رئيس القسم، ووكيل الكلية، ويكون التعيين لسنتين قابلة للتجديد". وتتبنى الباحثة التعريف السابق لمناسبته لموضوع الدراسة.

إعداد قيادات الصف الثاني: عرّفه سعد دروش، ومصطفى مصطفى أحمد (2018، ص131) بأنه: "تجهيز وتحضير قيادات الصف الثاني ضمن المراتب الوظيفية المختلفة، وتطوير مهاراتهم، وقدراتهم، وتوسيع معارفهم، وإكسابهم الخبرة اللازمة من خلال تدريبهم أثناء العمل، وتوسيع فرص مشاركتهم في العمليات الإدارية، واتخاذ القرارات حتى يكونوا مهيئين لتولي مناصب قيادية خلفاً للقيادات الحالية، بينما عرّفه فيصل البواردي (2014، ص5) بأنه: عملية التركيز على تجهيز البديل المناسب من قيادة الصف الثاني؛ لضمان تحقيق أهداف المؤسسة.

وتعرّفه الباحثة إجرائياً بأنه: تحضير قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي، وهم وكلاء الأقسام العلمية بتطوير مهاراتهم، وتزويدهم بالقدرات الإدارية والقيادية التي تمكنهم من تولي المناصب القيادية العليا المستقبلية، وذلك عبر التدريب، والتفويض، والتمكين، وتخطيط التعاقب القيادي.

متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني: المتطلبات هي: مجموعة من الحقائق، والمفاهيم، والتعميمات، والمهارات التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالموضوع، أو الهدف المخطط له(محمد علي، 2011، ص230). وتعرّفها الباحثة إجرائيا بأنها: عمليات، وممارسات، وإجراءات، واتجاهات حديثة تصب في إعداد قيادات الصف الثاني كعملية التدريب، والتفويض، والتمكين، وتخطيط التعاقب القيادي.

أهمية قيادات الصف الثاني وإعدادهم في مؤسسات التعليم العالي: تلعب القيادة الإدارية دوراً محورياً مؤثراً في صياغة أهداف المؤسسة التربوية، ورسم طريق تحقيقها، ومتابعة ذلك من خلال الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة. وقد أشار عصام عمر (2016/أ، ص39) إلى أن المدرك لدور القيادة وتأثيرها القوي المباشر على واقع ومستقبل المؤسسات التربوية لابد أن يثمّن أهمية إعداد قيادات الصف الثاني، حيث تعتمد التنمية بأبعادها وتشعباتها على قدرة المؤسسات

على إعداد قادتها القادرين على تحقيق أهداف التنمية ذاتها. وأشار أيضاً طلال النزهة(2011، ص29) إلى أن قيادات الصف الثاني لهم أهمية كبرى؛ نتيجة ثقلهم الإداري في المتابعة بعد مشاركة القيادات العليا في العمليات الإدارية من تخطيط، وتنظيم، وتنفيذ، وتوظيف، وتدريب، كما يَبرز دور قيادات الصف الثاني بشكل واضح عند غياب قيادات الصف الأول لأي سبب كان؛ حيث إن استمرارية برامج التنمية التي رسمت وفق رؤية وتوجيه معينين يتطلب تحقيقها التناغم والانسجام بين القيادات الحالية، والقيادات المستقبلية، لاسيما أن العديد من نماذج التميز في المؤسسات التربوية ترتكز بشكل أساسي على متطلبات من أهمها إعداد القيادات المناسبة لتحقيق ذلك التميز(سعد دروش ومصطفى مصطفى أحمد، 2018، ص132)، وفي ذات السياق ذكرت فاطمة العبودي(2013، ص28) أن وجود قيادات الصف الثاني يساعد في بناء إدارة المعرفة في المؤسسات التربوية، ويساعد في الوقت ذاته القيادات الشابة على توفر الخبرات والمعلومات، وإتاحة الفرصة لها للاطلاع عليها مما يوفر المعرفة الضرورية إلى جانب المهارات القيادية.

ولذلك فإن أهمية قيادات الصف الثاني تظهر بشكل جلي في عدة مواطن من أهمها عندما تقع المؤسسات التعليمية تحت ضغوط إدارة الأزمات الإدارية. ومن زاوية أخرى فإن الاهتمام بمفهوم إعداد قيادات الصف الثاني يمثل مطلباً أساسياً وضرورياً للمؤسسات التعليمية في ظل التوجه نحو تبني وتطبيق المفاهيم الإدارية الحديثة كإدارة الجودة الشاملة، وإعادة هندسة العمليات الإدارية وغيرها (سعيد القحطاني، 2014، ص2-3). وقد أظهرت العوامل الحديثة أهمية عملية إعداد قيادات الصف الثاني، ومن أهم تلك العوامل: ازدياد حدة المنافسة، والاتجاه نحو العولمة، وتخفيض التكاليف، والتخصيص، وتغيير طبيعة عمل المؤسسات(سعد العتيبي، 2013، ص29).

وفي ضوء ذلك لابد من القول إن قيادات الصف الثاني لا تقل أهمية عن قيادات الصف الأول؛ فهي على صلة مباشرة بالأعمال داخل المؤسسة التربوية وخارجها، وعلى اتصال مباشر بالموظفين العاملين، ومشكلات العمل، وهي تؤدي – أيضاً - دوراً وسطياً بين الموظفين وقيادات الصف الأول، فهي التي تقتفي وتشخص المشكلات فور حدوثها ومن ثم العمل على حلها، وهي التي تساهم في اعداد الدراسات والخطط الاستراتيجية، وتتابع آليات تطبيقها، وتقف عند مراحلها، وتترأس اللجان وفرق العمل، وتعد التقارير لقيادات الصف الأول، والتي من خلالها يستطيع الأخير الوقوف على حيثيات وجزئيات العمل في المنظمة، ومتابعة ما يحدث فيها، فبقدر ما تكون أعمال وإنجازات قيادات الصف الثاني دقيقة وغنية بالمعلومات تكون قرارات قيادات الصف الأول أكثر دقة وفاعلية، وبذلك يشكل كلا الطرفين فريق عمل متكامل في إدارة المؤسسة التربوية (دروش ومصطفى، 2018، ص135)، وعلى ذلك فإن الاهتمام بتكوين وإعداد الصف الثاني، يعد اهتماماً ببقاء المؤسسة واستمراريتها؛ خاصة في ظل المنافسة الحالية والتميز بين المؤسسات التربوية. كما يعكس الانتماء الصادق والحقيقي للمؤسسة من قبل قادة الصف الأول(أحمد حسنين، 2018، ص7).

متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني في التعليم العالي:

المتطلب الأول: التدريب: تسعى المؤسسات الناجحة إلى صنع الصف الثاني من القيادات المعدة والمؤهلة لتولي المناصب القيادية العليا، وبالتالي فإن مثل هذه المستويات الإدارية تحتاج إلى

قدرات إدارية وقيادية؛ ولذلك فإن تأهيل مثل هؤلاء القادة، والذين لهم فرص للترقي والتقدم الوظيفي لهذه الوظائف يحتاج إلى عملية تدريب، وبرامج مخصصة؛ لتزويدهم بالمهارات القيادية والإدارية(إبراهيم المنيف، 2011، ص285). وعرف محمد القحطاني(2015، ص134) التدريب: بأنه نشاط علمي مخطط يهدف إلى تنمية القدرات، وتغيير سلوكيات الفرد، وتزويده بالمعلومات الضرورية، لتمكينه من أداء فعال ومثمر يؤدي لبلوغ أهدافه الشخصية، وأهداف المؤسسة التربوية بأعلى كفاءة ممكنة. بينما ذكر جميل قاسم (2018، ص48) أن التدريب هو: النشاط المستمر لتزويد الفرد بالمهارات، والخبرات، والاتجاهات التي تجعله قادراً على مزاولة عمل ما بهدف زيادة الإنتاجية، أو نقل معارف وسلوكيات جديدة لتطوير كفاءة الفرد لأداء مهام محددة في الجهة التي يعمل فيها.

إضافة إلى ما سبق فإن الباحثة ترى أن التدريب يساهم في تخفيف حجم الإشراف الإداري المباشر على قيادات الصف الثاني، فكلما حصلت القيادة على البرامج التي تلبي احتياجاتها في مجال العمل، زاد ذلك من ممارستها وخبراتها، وقلّت حاجتها إلى الإشراف المستمر والمباشر من قبل القيادات العليا، كما أن التدريب من وجهة نظر الباحثة يعد استثماراً في الموارد البشرية المتاحة للمؤسسة التربوية.

ويهدف التدريب إلى تنمية الصف الثاني من القيادات، وتأهيلهم لاحتلال مواقع متقدمة من المؤسسة. وقد اتفق على هذا الهدف كل من مجيد الكرخي(2016، ص155-156)، وهاشم رضا(2013، ص29)، وعبدالكريم جميل(2015، ص171)، ومحمد القحطاني (2015، ص137-138)، كما يقف وراء التدريب أهداف عديدة من بينها: زيادة المهارات لدى القيادات ورفع قدراتهم، وتزويدهم بالمعرفة الحديثة والمتطورة التي تتعلق بالبرامج التدريبية، وربط المعرفة النظرية بالمعرفة العملية التي تقدمها البرامج التدريبية، وتشجيع القيادات على التعامل مع تيارات التجديد والتغيير في مختلف جوانب العملية الإنتاجية للمؤسسة(مجيد الكرخي، 2016، ص155-156).

متطلبات التدريب الإداري الفعال: ومن أهم متطلبات التدريب ما أجملتها الباحثة فيما يلي:

-أن تكون أهداف التدريب واضحة، ومحددة، ومناسبة للمحتوى، وملبية للحاجات، وواقعية، وقابلة للقياس بسهولة(محمد إسماعيل، 2014، ص19-20).

-من الضروري لضمان نجاح التدريب أن تؤمن الإدارة العليا بالمؤسسة بأهمية تدريب العاملين، وتُقدِّم الدعم المستمر لهم(عطا الله الشرعة، وغالب محمود سنجق، 2015، ص228).

-الملاءمة: ضرورة ملاءمة موضوعات التدريب مع الاحتياجات التدريبية للعاملين، واختيار أساليب التدريب الملائمة أيضاً(محمد إسماعيل، 2014، ص19-20).

-أن يهتم التدريب في المؤسسات بكل ما هو جديد من تطور، ومعرفة في شتى مجالات العمل، وبأحدث أساليب وتقنية التدريب(حسن الطعاني، 2007، ص23).

-متابعة المتدربين بعد عودتهم لأعمالهم؛ وذلك لمساعدتهم في حل المشكلات التي تواجههم من جراء تطبيق ما تدربوا عليه(زيد عبوي، 2015، ص90).

-أن يكون التدريب أثناء الخدمة للتطوير، وتنمية كافة الجوانب الشخصية للمتدربين في الاتجاهات المتعددة من ذاتية، ومهنية، وتخصصية(محمد إسماعيل، 201، ص20).

-تقييم التدريب، وقياس مدى كفاءة وفعالية العملية التدريبية، ورصد مناطق القوة والضعف بها؛ وذلك من أجل تطوير العملية التدريبية، وتحسين خطة التدريب وتطويرها(زيد عبوي، 2015، ص90).

-أن يكون التدريب أثناء الخدمة مرناً، وحيوياً مفتوحاً للإضافة، والحذف، والتعديل في الخطط، والبرامج، والوسائل إذا لزم الأمر(محمد إسماعيل، 2014، ص21).

المتطلب الثاني: التفويض الإداري: يعتبر التفويض من أهم مقومات القيادة الإدارية، وهو عملية اتخاذ قرار من قبل القائد الإداري يخول بموجبه أحد المرؤوسين صلاحية أداء مهمات محددة، ويمنحه حرية التفكير والتصرف لوضع الخطط وتنفيذها دون أية ضغوط، أو قيود تحد من قدرته على التصرف والإبداع(رافدة الحريري، 2008، ص79). كما يُقصد بتفويض السلطة أن يَعهد صاحب السلطة ببعض اختصاصاته إلى عنصر إداري آخر، أو إلى أحد مرؤوسيه ليمارسها دون الرجوع إليه مع بقاء مسئوليته عن تلك الاختصاصات المفوضة(ليلى أبو العلا، 2013، ص95)، ويعد تفويض السلطات من الأسس والمتطلبات الرئيسية في إعداد وتكوين قادة الصف الثاني، حيث يمهد لهم القيام بدور القادة في بعض الاختصاصات، مما يكسبهم الثقة بأنفسهم، وينزع من داخلهم الرهبة، ويؤهلهم بشكل أكبر لتولي المناصب القيادية مستقبلاً(أحمد حسنين، 2018، ص 49-71).

دور التفويض الإداري في بناء قيادات الصف الثاني في المؤسسات التربوية: يساعد التفويض على تنمية مهارات، وقدرات القيادات، وذلك لأن من الصعوبة تدريب قيادة الصف الثاني على المخاطرة في اتخاذ القرار وحدهم معتمدين على أنفسهم، ولا يمكن ذلك إلا بتفويض السلطة، كما يحقق التفويض إعداد كوادر قيادية في المستقبل على كل مستوى، كما يسمح باختيار رؤساء المستقبل بإجراء الاختبار المناسب للوظيفة بعد تجربة عملية، وكذلك زيادة فاعلية قيادات الصف الثاني الذين يتمتعون بالسلطة المناسبة بحيث يتصرفون تجاه المؤسسة التربوية بحب وانتماء، هذا بالإضافة إلى أن مواجهة المشكلات والأزمات الطارئة تصنع لدى المفوض إليه رؤية فكرية مع اكتساب مهارات، وخبرات جديدة(نواف كنعان، 2009، ص240).

متطلبات التفويض الإداري الفعال: ذكر طلال الشريف(1434ه، ص27) أن الكثير من المؤسسات تفتقر إلى الفهم الصحيح للتفويض مما يجعله أسلوباً إدارياً غير مُجدٍ. وبناءً على ذلك فإن للتفويض عدة متطلبات تجملها الباحثة فيما يلي:

-التحديد الدقيق للمهام: يستلزم نجاح عملية التفويض تحديداً دقيقاً للمهام، والمسؤوليات، والواجبات التي سيقوم بها من ستفوض له الصلاحيات في إطار الأهداف المحددة، والنتائج المراد تحقيقها(عصام عمر، 2016/ب، ص18).

-فتح قنوات اتصال مباشرة بين الرئيس المفوض ومرؤوسه المفوض إليه: حيث لابد من تفعيل وسائل الاتصالات بين القائد ومرؤوسيه، أي أن يحافظ القائد على خطوط اتصال مفتوحة بينه، وبين من يفوض له الصلاحيات(إسماعيل الشرقاوي، 2016، ص313).

-اختيار الأشخاص الأكفاء المناسبين: يجب الاختيار الدقيق للمرؤوس المفوض بحيث تتناسب المهمة المفوض لإنجازها مع تخصصه، وخبراته في ذلك المجال(جمال محمد، 2015، ص149).

-تدريب الموظف المفوض: من الأفضل أن يتم تدريب المفوض إليه على المهام المفوضة له قبل التفويض فعلياً؛ منعاً لحدوث الأخطاء(رافدة الحريري، 2008، ص84).

-تدرج المستويات: ويشير هذا المبدأ إلى ضرورة وجود سلسلة من علاقات السلطة المباشرة من الرؤساء إلى المرؤوسين داخل التنظيم بحيث تشمل جميع المستويات من أعلى إلى أسفل(نواف كنعان، 2009، ص123).

-تقبل الرئيس أخطاء الموظف المفوض: ويتمثل دور الرئيس في توجيهه وإرشاده، وأن يتجاوز عن الأخطاء البسيطة، وأن يبصره بالهفوات التي وقع فيها، وطريقة تلافيها(رافدة الحريري، 2008، ص84).

إعطاء الثقة للموظف المفوض إليه الصلاحية: يجب أن تتوفر ثقة الرئيس المفوض فيمن فوض إليه الصلاحية، ذلك لأن الرئيس هو الذي يتحمل المسؤولية في النهاية(إسماعيل الشرقاوي، 2016، ص312).

-تكافؤ الصلاحية مع المسؤولية: يعد تعادل الصلاحية مع المسؤولية من المبادئ المهمة في البناء التنظيمي للإدارة؛ فالصلاحيات المفوضة يجب أن تكون متوازنة مع المسؤولية، فإذا كانت الصلاحية المفوضة أقل من المسؤولية فإن ذلك يترتب عليه عدم قدرة المفوض إليه على القيام بمهامه كما ينبغي، أما إذا كانت الصلاحية تزيد على المسؤوليات فإن ذلك يؤدي إلى حالة عدم الرضا، وكثرة الضجر والتذمر(عصام عمر، 2016/ب، ص18).

-وحدة القيادة: وتعتبر من المبادئ الأساسية لتفويض الصلاحيات؛ ذلك أن الشخص المفوض إليه الصلاحية من رئيس واحد سيكون مسؤولاً أمام هذا الرئيس، على أنه في حين تفويض الصلاحيات لهذا الشخص من عدة رؤساء يكون مسؤولاً أمامهم، وستتوزع صلاحياته، وتتشتت مسؤولياته، الأمر الذي يجعله لا يستطيع الالتزام بها(إيهاب الببلاوي، 2014، ص375).

-التفويض لا يكون إلا جزئياً: فالتفويض لابد أن يتضمن بعض الصلاحيات والسلطات التي تساعد الرئيس الأعلى على التخفيف من الأعباء، والإجراءات الإدارية اليومية التي تشغله، وتأخذ كل وقته(برهان زريق، 2017، ص46).

-علنية التفويض: بأن يكون مكتوباً، ومعلناً بطريقة رسمية وواضحة؛ لإضفاء الصفة الشرعية عليه كخطوة مكملة لشرعية عملية التفويض(إسماعيل الشرقاوي، 2016، ص311-312).

-أن يكون التفويض مكتوباً: يَحْسُن أن يكون تفويض الصلاحية مكتوباً؛ لأن ذلك يوضح موقف كل من مفوض السلطة، والمفوض إليه. كما يحد من ارتباكات العمل نتيجة لعدم وضوح التفويض(رافدة الحريري، 2008، ص82)، وترى الباحثة أن التفويض المكتوب يعد حفظاً لحقوق كل من الرئيس والمرؤوس، ويحد من ممارسة صلاحيات أخرى للشخص المفوَّض، والتي قد تكون جهلاً منه، أو تجاوزاً بالعمد لصلاحياته، كما أنه يُحسِّن الشفافية الإدارية، وفي ضوئه تتم المساءلة الإدارية العادلة.

المتطلب الثالث: التمكين الإداري: عرّفه أحمد الشياب، وعدنان أبو حمور (2011، ص222) بأنه: استراتيجية تهدف إلى تحرير الطاقات الكامنة لدى الأفراد وإشراكهم في عمليات بناء المؤسسة التربوية، باعتبار أن نجاح المؤسسة يعتمد على تناغم حاجات الأفراد مع رؤية المؤسسة وأهدافها البعيدة. بينما يرى أحمد حسنين (2018، ص60) أن التمكين هو: استراتيجية تنظيمية تهدف إلى إعطاء العاملين الصلاحيات والمسؤوليات، ومنحهم الحرية في أداء العمل بطريقتهم الخاصة من غير تدخل مباشر من الإدارة. ويبرز للباحثة مما سبق عرضه بأن التمكين يتضمن توسيع مهام ومسؤوليات الأفراد العاملين بإطلاق قدراتهم، ومشاركتهم في اتخاذ القرارات، وغيرها من الصلاحيات التي تحقق أهداف المؤسسة.

أهمية التمكين الإداري: ويشير عماد المهيرات (2010، ص24) إلى أن للتمكين مزايا عديدة تمثلت في إطلاق قدرات الأفراد الإبداعية والخلاقة، والاستغلال الأمثل لجميع الموارد المتاحة خصوصاً الموارد البشرية؛ للحفاظ على تطوير المنافسة. فالتمكين الإداري لا يحفز الصف الثاني على أداء مثمر فقط، بل يسهم في إتاحة فرص التعليم والتأهيل لقدرات إدارية أوسع وأرقى؛ خاصة وأن من مزايا التمكين: إتاحة الإدارة العليا للقائد اتخاذ بعض القرارات مثل التعيين، والتدريب (أحمد حسنين، 2018، ص 66).

متطلبات التمكين الإداري الفعال: وتجمل الباحثة متطلبات التمكين الإداري الفعال فيما يلي:

الاتصال الفعال: يعتبر الاتصال الفعال في المستويات الإدارية مطلباً أساسياً لنجاح عملية التمكين؛ لذا يجب أن يشارك جميع العاملين في تبادل المعلومات، ونقلها بما يحقق لهم الفهم لما تحاول المؤسسة تحقيقه(عبدالعزيز مرزوق، 2012، ص123).

الثقافة التنظيمية: إن نجاح تطبيق مفهوم تمكين العاملين مرهون بالتهيئة الشاملة لثقافة المؤسسة التربوية من جميع جوانبها، والتي ينظر إليها على أنها مجموعة من القيم الجوهرية، والمعتقدات، والافتراضات التي توجه سلوك العاملين في المؤسسة؛ لذا يجب على المؤسسات التي تسعى لتطبيقه من أن تعكس تلك الثقافة القيم، والمبادئ، والافتراضات التي تدعم نجاح عملية التمكين مثل رؤية العاملين باعتبارهم كيانات بشرية لها طموحات وآمال، ومعاملتهم باحترام وتقدير، ومنحهم السلطات والمسؤوليات لحل مشكلات المستفيدين(أحمد الشياب، وعدنان أبوحمور، 2011، ص231).

الثقة الإدارية: تعد الثقة الإدارية أحد العناصر الحاكمة لتطبيق عملية التمكين؛ لذا ينبغي منح العاملين الثقة، وحرية الاختيار والتصرف في أدائهم للأعمال(عبد العزيز مرزوق، 2012، ص122).

التدريب: يعد أحد المكونات الأساسية لجهود تمكين العاملين؛ حيث يجب أن تتضمن جهود المنظمة توفير برامج ومواد تدريبية لإكساب العاملين مهارات جديدة كحل المشكلات، والاتصال، وإدارة الصراع(بلال السكارنة، 2010م، ص380).

الدعم التنظيمي: لكي يشعر الفرد بالتمكين الفعلي، فإنه يحتاج إلى دعم وتأييد من رئيسه، وزملائه، ومرؤوسيه، حيث إن إدراك الفرد للدعم الممنوح له يزيد من ثقته بالمنظمة، وانتمائه التنظيمي لها(عبد العزيز مرزوق، 2012، ص122).

وضع نظم للمكافآت والتقدير: لعملية التحفيز بشقيها المادي، والمعنوي أهمية بالغة في دعم السلوك الوظيفي المطلوب، وإذا كانت الحوافز المادية تشبع حاجات متنوعة لدى العاملين، فإن الجانب المعنوي له تأثيره البالغ أيضاً في دفع العاملين إلى العطاء، ورفع كفاءتهم في أداء العمل(بلال السكارنة،2010، ص380).

وضوح الدور: ويتحقق عندما يتأكد الموظف من اختصاصاته، ويكون لديه معرفة بأهداف عمله، ويحصل على المعلومات التي يحتاجها لأداء وظيفته، مما يترتب عليه الشعور بالرضا، وعدم الميل لترك العمل(عبد العزيز مرزوق، 2012، ص124).

الحصول على المعلومات: تعتبر المعلومات من أهم المتطلبات التي يقوم عليها مفهوم التمكين؛ فالموظف بدون معلومات صحيحة لا يمكنه تقديم خدمات جيدة للمستفيد؛ لأنه يفتقر للمعلومة التي تمنحه ثقته بالتصرف دون خوف، أو تردد(أحمد الشياب، وعدنان أبوحمور، 2011، ص231).

المشاركة: إن مفهوم التمكين مستمد أساساً من نظريات الإدارة القائمة على المشاركة، والتي تدعو القائد إلى اقتسام سلطة اتخاذ القرار مع الموظفين؛ لتحسين أداء المنظمة، وزيادة الرضا الوظيفي(عبد العزيز مرزوق، 2012، ص124-125).

نقاط الاختلاف بين التمكين والتفويض: وتلخص الباحثة الفرق بين التمكين والتفويض في عدة نقاط جاءت فيما يلي:

التمكين	التفويض
أكثر ثراء من التفويض، وصلاحيات أكبر، ويتيح للمستوى الأدنى صلاحيات للمبادأة أوسع وأعرض في نطاق متفق عليه.	المستوى الأعلى يفوض الأدنى مباشرة في جزئية محددة.
المعلومات تكون مشاعة بشكل أكبر بين الإدارة والعاملين فيما عدا المعلومات الإستراتيجية السرية.	لا يتاح للمفوض إلا قدراً يسيراً من المعلومات مما يساعده على تنفيذ المهمة.
تقع المسؤولية عن النتائج على الموظف المعني.	المسؤولية عن النتائج منوطة بالمفوض وليس بالمفوض إليه.
إستراتيجية مستمرة وفلسفة إدارية لدى القائد الذي يقتنع بأهمية تمكين الصف الثاني.	قد يريد المفوض في توقيت معين تفويضه أو يحجمه أو يعدل نطاقه أو عمقه.

المصدر: (أحمد حسنين، 2018، ص66)

وتضيف الباحثة أن التفويض بمثابة مرحلة أولية لعملية التمكين، كما أن التمكين اتجاه وتوجه إداري حديث يتاح للمؤسسة التربوية حرية تطبيقه، واعتناقه، بينما التفويض إجراء إداري يلزم المؤسسة التربوية تطبيقه.

المتطلب الرابع: تخطيط التعاقب القيادي: هو عملية تحديد قيادات إدارية مستقبلية، وتزويدهم بالمهارات، والخبرات المناسبة للفرص الحالية والمستقبلية، بحيث يكونون على استعداد للقيام بأدوار قيادية جديدة عند تكليفهم بذلك(محي الدين علي، 2015، ص11)، وهو عملية تقرير الأدوار الحاسمة، أو الحرجة في المؤسسة، وتحديد وتقييم القيادات البديلة المحتملة، وبذلك هو عملية فعالة ومستمرة معدة لتهيئة قيادات موهوبة من أجل تلبية حاجة المؤسسة بما يضمن استمرار أدائها(سعد دروش، ومصطفى مصطفى أحمد، 2018، ص165-166).

ويهدف التعاقب الوظيفي إلى إعداد قيادات مرشحة ومؤهلة لشغل الوظائف المهمة والمؤثرة في المؤسسة التربوية (محيي الدين علي، 2015، ص11)، وتدريبهم على المهارات والمناصب التي تخلو منها المؤسسة، والتطوير الفعال على المدى الطويل لقيادات الصف الثاني البديلة عن طريق ضمان النمو الوظيفي، وضمان عدم الإرباك لمسؤوليات قيادات الصف الثاني، وكذلك كفاءة أداة المؤسسة عند رغبة شاغلي الوظائف الرئيسة ترك العمل، والمساعدة في اعتماد استراتيجية لتنمية المهارات القيادية(سعد دروش، ومصطفى مصطفى أحمد، 2018، ص173-174).

متطلبات نجاح التعاقب القيادي في المؤسسات التربوية: تتحدد أهم متطلبات تطبيق تعاقب القيادات التربوية في وجود رؤية استراتيجية واضحة لتعاقب القيادات يتم إدراجها ضمن الاستراتيجية العامة للمؤسسة(محمد العبيدي، 2015، ص36)، ويأتي دعم وتشجيع القيادات العليا لبرامج وخطط تعاقب القيادات التربوية في مقدمة متطلبات تطبيق برامج تعاقب القيادات؛ وذلك يعد عاملاً رئيسياً في نجاح البرامج(فيصل البواردي، 2014، ص15)، كما يتطلب نجاح برامج تعاقب القيادات التوافق والتكامل بين برامج تعاقب القيادات، واستراتيجيات وتوجهات المؤسسة، وهو ما يضمن اصطفاف تنمية الموارد البشرية مع استراتيجية المؤسسة(ذعار المطيري، 2014، ص15)، إضافة إلى ما سبق فإن تكامل خطط تعاقب القيادات وأنشطة الموارد البشرية من متطلبات التعاقب القيادي مثل برامج التوظيف، وتطوير معايير الاختيار، وإدارة الأداء، والتدريب، والتحفيز، وتحديد الترقيات المحتملة، وربط خطط التطوير بالاحتياجات التدريبية للصف الثاني؛ لتوحيد الجهود، وتحقيق الكفاءة والفعالية في التطبيق(دلال الحارثي وعبد الرحمن الشمري، 2014، ص10)، كما يستلزم نجاح برامج وخطط تعاقب القيادات وجود ثقافة تنظيمية داعمة لتطبيق البرنامج (محمد العبيدي، 2015، ص36**).**

ومن متطلبات التعاقب القيادي: وضع جدول زمني للتحول، وكيف سيتم اختيار المرشح بشكل موضوعي؟ ومن ثم تدريبه، وكيف يمكن أن تحدث الخلافة؟ (صديق عفيفي، 2004م، ص8). ويأتي التقييم من ضمن متطلبات برنامج تخطيط التعاقب الوظيفي؛ فالتأكيد على أهمية إدارة برنامج التخطيط للتعاقب القيادي، وتقييمه، والمحافظة على مرونته، والتحديث المستمر له في ظل التركيز على بساطة البرنامج وكفاءته يساعد على نجاحه في تحقيق أهداف المنظمة (دلال الحارثي وعبد الرحمن الشمري، 2014، ص10)، بينما أضاف محمد العبيدي (2015، ص38) ضرورة توافر الإمكانيات المادية لبرنامج تعاقب القيادات التربوية، وإنشاء إدارة متخصصة مسؤولة عن تعاقب القيادات. وترى الباحثة أن البحث الدائم عن الكفاءات القيادية المميزة داخل الجامعة قد يساهم في نجاح مفهوم تعاقب القيادات التربوية، كما أن المساءلة والمحاسبية للمسؤولين المخولين بإعداد قيادات الصف الثاني – إن وجدوا - من العوامل التي قد تساهم في نجاح تطبيق برنامج تخطيط التعاقب القيادي بدءاً من اختيار قيادات الصف الثاني، وتدريبهم، حتى تجهيزهم كبدلاء محتملين للمناصب العليا المستقبلية.

وتستنتج الباحثة مما سبق أن هناك متطلبات مشتركة بين أبعاد قيادات الصف الثاني، ويأتي في مقدمتها دعم الإدارة العليا والاستمرارية في ذلك، ووجود ثقافة تنظيمية داعمة تُعنى بالاهتمام

بقيادات الصف الثاني بجميع أبعاده، ووجود دليل تنظيمي، ووصف وظيفي يوضح المهام والمسؤوليات، والواجبات المكلَّفة بها بشكل رسمي.

خلاصة:

يعد كل من التدريب، والتفويض، والتمكين، والتعاقب القيادي من المرتكزات الأساسية في إعداد قيادات الصف الثاني، لذلك تحرص جميع المؤسسات على مواكبة مواردها البشرية لمتطلبات العصر، وقد عالج البحث متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني بأبعادها الأربعة في مؤسسات التعليم العالي، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

-أن إعداد قيادات الصف الثاني بمؤسسات التعليم العالي ضرورة ملحة؛ لرفع قدرات وكفاءة القيادات المستقبلية.

-أن إعداد قيادات الصف الثاني في مؤسسات التعليم العالي يسهم في تحسين الأداء، وزيادة الإنتاجية، ومواكبة متطلبات العصر.

-التعريف ببعض أبعاد إعداد قيادات الصف الثاني، ومتطلبات كل منها.

وخلصت الدراسة إلى التوصيات التالية:

-ضرورة إجراء دراسات ميدانية؛ للوقوف على الاحتياجات الفعلية لقيادات الصف الثاني التعليمية بمؤسسات التعليم العالي.

-أهمية إقامة الندوات، والمحاضرات، وورش العمل؛ لتسليط الضوء على متطلبات إعداد قيادات الصف الثاني.

-وضع استراتيجيات وخطط واضحة للمؤسسات التعليمية تُعنى بإعداد قيادات الصف الثاني فيها.

قائمة المراجع

1. ابتهاج القعود(2016)، إعداد القيادات المستقبلية في الإدارات النسائية بوزارة التعليم، رسالة ماجستير، كلية التربية، قسم الإدارة التربوية، جامعة الملك سعود.
2. إبراهيم المنيف(2011)، القيادة والإدارة (إعداد القيادات الإدارية العربية)، مجلة المدير، الرياض، المملكة العربية السعودية.
3. أحمد حسنين(2018)، القيادة الأخلاقية ودورها في بناء وإعداد قادة الصف الثاني بالمنظمات العربية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
4. أحمد الشياب, وعدنان أبو حمور(2011)، مفاهيم إدارية معاصرة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
5. أسماء العمري(2014)، تطوير القيادة في المؤسسات الحكومية، مؤتمرات القيادات الإدارية في الأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية: الواقع والتطلعات، معهد الإدارة العامة، الرياض.
6. إسماعيل الشرقاوي(2016)، إدارة الأعمال من منظور اقتصادي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
7. إيهاب الببلاوي(2014)، الإدارة والإشراف والتنظيم في التربية الخاصة, ط2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
8. برهان زريق(2017)، التفويض في القانون الإداري، وزارة الإعلام السورية، سوريا.
9. بلال السكارنة(2010)، دراسات إدارية معاصرة. ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
10. جمال محمد(2015)، إدارة التغيير والتطوير التنظيمي، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
11. جميل قاسم(2018)، القيادة والقائد التربوي، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
12. حسن الطعاني(2007)، التدريب الإداري المعاصر، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.

13.حنان أبو سلطان(2016)، دور القيادة الإستراتيجية في بناء قيادات الصف الثاني في الوزارات الفلسطينية، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، تخصص إدارة الدولة والحكم الرشيد، قسم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والسياسة، جامعة الأقصى.
14.دلال الحارثي, وعبدالرحمن الشمري(2014)، تخطيط التعاقب القيادات الإدارية الحكومية في المملكة العربية السعودية، مؤتمر القيادات الإدارية في الأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية: الواقع والتطلعات، معهد الإدارة العامة، الرياض.
15.ذعار المطيري(2014)، تحديث تطبيق خطط التعاقب الوظيفي في المنظمات السعودية: دراسة حالة: الهيئات والمؤسسات الحكومية، مؤتمر القيادات الإدارية الحكومية في المملكة العربية السعودية: الواقع والتطلعات، معهد الإدارة العامة، الرياض.
16.رافدة الحريري(2008)، مهارات القيادة التربوية في اتخاذ القرارات الإدارية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
17.زيد عبوي(2015)، الاتجاهات الحديثة في إدارة التدريب والتطوير والتعليم، دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
18.سعد دروش، ومصطفى مصطفى أحمد(2018)، إعداد قيادات الصف الثاني ودوره في تحسين الأداء الوظيفي في المنظمات الحكومية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر.
19.سعد العتيبي(2013)، إعداد القيادات البديلة على من تقع المسؤولية، مجلة التنمية الإدارية، م(104)، ع(29)، معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
20.سعيد القحطاني(2014)، دور التمكين في إعداد قيادات الصف الثاني بوزارة العدل, رسالة ماجستير، قسم العلوم الإدارية، كلية العلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
21.صديق عفيفي(2004)، دور القيادات في تكوين القائد البديل، ندوة استراتيجيات وسياسات الإحلال وتكوين الصف الثاني من القيادات الإدارية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة.
22.طلال الشريف(1434ه)، التفويض العكسي يحول المدير إلى موظف، مجلة التنمية الإدارية، م(108)، ع(27)، معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
23.طلال النزهة(2011)، شبكة العنكبوت الإدارية، دار الزمان للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.
24.عبد العزيز مرزوق، (2012)، دراسات إدارية معاصرة، دار خوارزم للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.
25.عبد الرحمن الفيفي(1438ه)، إعداد القادة استثمار في كوادرنا البشرية لتلبية طموحاتنا التنموية، مجلة التنمية الإدارية، ع (138)، معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
26.عبد الكريم جميل(2015)، إدارة الموارد البشرية، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
27.عصام عمر(2016/أ)، مهارات تدريب الموظفين وإعداد الجيل الثاني من القيادات، نيولينك الدولية للنشر والتوزيع، مصر.
28.عصام عمر(2016/ب)، أهمية التدريب الإداري للموظفين، نيولينك الدولية للنشر والتوزيع، مصر.
29.عطا الله الشرعة، وغالب محمود سنجق(2015)، إدارة الموارد البشرية الاتجاهات الحديثة وتحديات الألفية الثالثة، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
30.عماد المهيرات(2010)، أثر التمكين على فاعلية المنظمة، عمان، دار جليس الزمان، الأردن.
31.فاطمة العبودي(2013)، إعداد القيادات البديلة على من تقع المسؤولية، مجلة التنمية الإدارية، م(104)، ع(27)، معهد الإدارة العامة، الرياض، المملكة العربية السعودية.
32.فيصل البواردي(2014)، استراتيجيات تعاقب القيادات: دراسة ميدانية على القيادات الإدارية في الأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية، مؤتمرات القيادات الإدارية في الأجهزة الحكومية في المملكة العربية السعودية: الواقع والتطلعات، معهد الإدارة العامة، الرياض.
33.ليلى أبو العلا(2013)، مفاهيم ورؤى في الإدارة والقيادة التربوية بين الأصالة والحداثة. دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

34.مدحت أبو النصر(2013)، قادة المستقبل: القيادة المتميزة الجديدة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر.
35.مريم محمد الشهري(1433ه)، الثقافة التنظيمية وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى وكيلات الأقسام الأكاديمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسالة ماجستير، إدارة وتخطيط تربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
36.ماجد الفرا، وأشرف الهادي(2018)، تطبيق الإدارة بالأهداف في المؤسسات الحكومية وأثرها في تأهيل قيادة بديلة دراسة حالة: وزارة الداخلية والأمن الوطني قطاع غزة، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والإدارية، م(26)، ع(2)، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
37.محمد إسماعيل(2014)، تخطيط التدريب ودوره في تحقيق أهداف المنظمات العامة والخاصة، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر.
38.محيي الدين علي(2015)، أثر تخطيط التعاقب الوظيفي في بناء قادة المستقبل، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في إدارة الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.
39.محمد العبيدي(2015)، تعاقب القيادات الأكاديمية في مؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية: إستراتيجية مقترحة، رسالة دكتوراه الفلسفة في الإدارة التربوية، قسم الإدارة التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
40.محمد علي(2011)، موسوعة المصطلحات التربوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
41.محمد القحطاني(2015)، إدارة الموارد البشرية نحو منهج استراتيجي متكامل، ط4، العبيكان للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية.
42.مجيد الكرخي(2016)، إدارة الموارد البشرية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
43.نواف كنعان(2009)، القيادة الإدارية، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
44.هاشم رضا(2013)، تنمية وبناء نظم الموارد البشرية، ط2، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
45.هند الركف(2014)، واقع تطبيق إدارة التميز لدى وكيلات الأقسام العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ضوء معايير النموذج الأوروبي للتميز EFQM، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الإدارة والتخطيط التربوي، قسم الإدارة والتخطيط التربوي، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
46.وفاء سعيد(2013)، تأثير محددات إعداد الصف الثاني من القيادات الإدارية على تميز الأداء التنظيمي في شركات المحول في مصر، رسالة دكتوراه الفلسفة في إدارة الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية التجارة، جامعة عين شمس.
47.معهد الإدارة العامة، 1439ه، تم الاسترجاع في 6سبتمبر 2018، https://www.ipa.edu.sa/Arabic/Services/AdvancedProgram/Pages/default.aspx)

التحول السوسيو-اقتصادي لوضعية المرأة المغربية أنثروبولوجيا المجال التعاوني بالمغرب الصحراوي مدخلا

Socio-economical dynamic of Moroccan women's status: Anthropology of cooperative space in Sahrawi Morocco as an introduction

كوثر لبداوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس–المغرب

ملخص: يهدف هذا المقال العلمي إلى كشف مظاهر التحول والاستمرار في الوضعية السوسيو-اقتصادية للمرأة بالمغرب الصحراوي، وتسليط الضوء على الإكراهات السوسيو-ثقافية التي تخترق علاقتها بالتنمية المحلية، لهذا الغرض تم تبني مقاربة أنثروبولوجية للتعاونيات بجماعة "أسرير" القروية بجهة "كلميم وادنون"، واعتمادها كمدخل لدراسة العلاقة الجدلية بين المجالين الفيزيقي والرمزي.

ولما كان المجال بناءا اجتماعيا فقد تم تفضيل المنهج الكيفي لدراسة 63 تعاونية، واعتماد تقنيات: الملاحظة، التصوير الفوتوغرافي والمقابلة نصف الموجهة، وقد أفرزت هاته الدراسة الميدانية نتيجة مركزية مفادها أن المجال التعاوني كتنظيم حديث تستعمله المرأة الصحراوية، يتأثر بإيديولوجيا الجماعة وبتمثلاتها للنوع الاجتماعي حيث تستمر به العديد من البنيات التقليدية المرتبطة بوضعية المرأة، كما أنه يؤثر فيها من خلال إحداثه العديد من التحولات على هاته الأخيرة.

الكلمات المفتاحية: المرأة، أنثروبولوجيا المجال، المجال التعاوني، المجال الرمزي، التحول، الاستمرار.

Abstract: This scientific article aims to unveil aspects of transformation and continuity of woman's socio-economic status in Sahrawi Morocco, and to highlight the socio-cultural constraints that pass through their relationship with local development, for this reason, an anthropological approach is adopted for the cooperatives in t the village of "Asrir" region Guelmim-Ouednoun to study the dialectical relationship between the physical and symbolic spaces.

As the field is based socially, the qualitative approach is selected for the study of 63 cooperatives, and the adoption of research techniques such as: observation, photography and semi-structured interviews, this field study has resulted in a central output that the collaborative field as a modern organization used by Sahrawi women is influenced by the group's ideology and its gender characteristics, where many traditional structures related to the status of woman carry on and affect them creating many changes.

Keywords: Woman, anthropology space, cooperative space, symbolic space, transformation, continuity

مقدمـــة

مثلت العلاقة بين الإنسان والمجال اختيارا علميا مفضلا لدى العديد من الدراسات الأنثروبولوجية التي تهتم بالديناميات الاجتماعية وتبحث في المؤشرات الفيزيقية الدالة عليها، وإذا كان الأنثروبولوجيون قد تناولوا المجال في علاقته بثقافة المجتمع، فإن هاته الدراسة تسعى إلى التركيز على دراسة "المجال التعاوني" كمدخل يساعد على الوقوف عند التحولات الاجتماعية والثقافية، التي عرفتها وضعية المرأة بالمغرب الصحراوي بشكل عام، وذلك بالنظر إلى كونها تمثل جزءً أساسيا من الأنطولوجيا الاجتماعية المحلية.

لهذا الغرض تسعى هاته المقالة العلمية إلى اعتماد المقاربة الكيفية لدراسة التعاونية كمجال اجتماعي تسمح عناصره باستقراء أشكال تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، وبدراسة علاقة النوع النسائي بالمجال الذي يقع خارج المنزل، فإلى أي حد يمكن القول إن المجال التعاوني النسائي يتراكب مع المجال المنزلي ويخضع لنفس الإيديولوجيا ونظرة الكوسموس التي تحكمه؟

بالرجوع إلى الموقع الميداني الذي وقع عليه الاختيار، الجماعة القروية "أسرير" بجهة كلميم وادنون جنوب المغرب، يتبين أن ظهور التعاونيات كتنظيم سيوسيو-اقتصادي يكشف حدوث تحولات على مستوى وضعية المرأة وعلاقتها بالمجال، لاسيما وأنه مكنها من احتلال مواقع جديدة بالمجال العمومي ومكنها من العمل المأجور نقدا، فما هو أثر هذه التحولات على وضعية المرأة بالمجتمع الصحراوي الشمالي؟ ثم إلى أي حد يمكن الحديث عن تغيرات دالة على مستوى وضعية المرأة بهذا المجتمع؟

1. المنطقة المدروسة: المجال والإنسان

إن تحديد منطقة الدراسة لا يعني استحضارا جامدا لمعطيات جغرافية، بقدر ما يعني توطيننا لخصوصية المنطقة المدروسة إنسانا ومجالا، واستحضارا لأهم التحولات التي تسربت إليها عبر الزمن وساهمت في تشكيل ملامحها البشرية والاجتماعية في الزمن الراهن.

ينتمي مجال الجماعة القروية المدروسة "أسرير" إلى منطقة وادنون باب الصحراء بالمغرب، وتقع تحديدا ضمن واحاته بالشمال الغربي لجهة كلميم وادنون، مع ما يعنيه ذلك من تميزها بسمات المجتمع الواحي المرتبط بالماء والأرض، تتميز المنطقة بحكم موقعها بالرطوبة النسبية لمناخها وبانبساط طبيعتها مما جعلها قبلة مفضلة لدى المستقرين والرحل على حد سواء، وقد احتلت من الناحية التاريخية موقعا استراتيجيا مكن قبائلها قديما من مراقبة المجال والمسالك التجارية العابرة لما بين وادنون إلى حدود أدرار الموريتاني(Frederic De La Chapelle, 1930, p52) لتصبح بفضل ذلك إحدى أهم العواصم بالمغرب الصحراوي.

تأخذ المنطقة طابعا قبليا، ويعتبر الأمازيغ من الناحية الإثنية الساكنة الأصلية بالمنطقة، والعرب هم الساكنة الوافدة عليها، مما عرض الهوية الجماعية للمنطقة لتحولات ثقافية عميقة تمثلت في عمليتي التعريب والأسلمة(Ahmed Joumani, 2006, p78-81)، جعلتها غير متجانسة لغويا(Ahmed Joumani, 2008, p48)، وهجينة إثنيا على أن ذلك لا يعني أن التعريب الثقافي قضى على كل أثر للثقافة الأمازيغية، ذلك أنها ظلت مستمرة في جوانب متعددة

للحياة الاجتماعية اليومية، أما الروابط الاجتماعية بالمنطقة المدروسة فهي تأخذ شكل مجموعة من الأنساب تبنى على شكل تقسيمات جنيالوجية تنطلق من العائلة إلى القبيلة فالمكان(Ahmed Joumani, 2006, p118)، وذلك تبعا لخط أبوي النسب.

إن خصوصية المنطقة كمجال واحي يقع ضمن المغرب الصحراوي جعلها مستهدفة من طرف مشاريع تنموية واستثمارية موسعة من بينها الاستنبات الكثيف للتعاونيات والعديد من الأنشطة المدرة للدخل، والتي سيهتم بها المقال من خلال سؤال مُوجِّه أساسي يتعلق بالتحولات التي أحدثتها هاته البنيات الاقتصادية على وضعية المرأة بشكل خاص.

2.الاختيارات المنهجية للدراسة الميدانية، والعينة المبحوثة

إذا صح أن المجال يمثل أحد المداخل العلمية المهمة التي تسمح بدراسة التحولات الاجتماعية، فإن طبيعته كمعطى مادي وبناء اجتماعي تقتضي اعتماد أدوات منهجية خاصة، فما هي المقاربات النظرية والتقنيات المنهجية التي يمكن أن تساعدنا على قراءة خصوصية المجال التعاوني بالمجتمع المدروس؟

من باب الالتزام بالحذر الإبستيمولوجي الذي يقتضي تجنب الوقوع في القراءة الجامدة للمجال، ومن أجل رصد عناصر الاستمرار وعناصر التحول بين المجال المنزلي والمجال التعاوني، تمت المزاوجة بين المقاربتين "الفينومينولوجية" و"البنيوية"، على اعتبار أن الأولى تسمح برصد الطابع المشكالي "للممارسات" وللتجربة المعيشة التي تتم على مستوى المجال، في حين تمكن الثانية من الوقوف عند "التصنيفات" بما هي إحالة على الأفكار والتصورات التي يحملها الفاعلون المعنيون بالدراسة(Marion Segaud, 2010, p10).

بالرجوع إلى الاختيارات المنهجية التي اعتمدها الأنثروبولوجيون في دراسة المجال وتحليله وتأويله ومقارنة الفئات المكونة له، يتبين أنهم انتصروا للرصد الموقعي الذي يعود إلى الطرائق الإثنوغرافية، حيث فضلوا التحليلات ذات الطابع الكيفي، وتخلوا بالتالي عن الطرائق العلمية الكمية المتمثلة في الاستمارة أو التحليلات الإحصائية، وبالتالي فإن هناك دراسات تركز على التدوين والتصوير، في حين تعتمد أخرى على طريقة "تحليل العلاقات والتعارضات" أو ما يصطلح على تسميته*ARO(Marion Segaud, 2010, p26-27).

هكذا ومن أجل الوقوف عند التمفصلات القائمة بين النظام الاجتماعي ونظام المجال بالمنطقة المدروسة، اخترنا الجمع بين التقنيات الثلاث أعلاه وهي: "التدوين" من خلال ملء شبكة الملاحظة، تقنية التصوير الفوتوغرافي، والمقابلة نصف الموجهة، وذلك بالنظر لما يتيحه هذا التنويع المنهجي من إمكانات تسمح بالدراسة الدقيقة للتساؤل الإشكالي المطروح.

أما العينة التي خضعت للدراسة فهي مجالات تعاونية تنشط في مجالات متعددة وعددها 63 تعاونية، 12 من بينها تملك مقرات فعلية لممارسة أنشطتها، في حين تعتمد باقي التعاونيات مساكن بعض أعضائها كمقرات لها، وقد تم تنويع عينة المجالات التعاونية المدروسة تبعا لمعيار تركيبتها من حيث النوع الاجتماعي، حيث تم تقسيمها مبدئيا إلى صنفين:

* اختصارا لعبارة Analyse des Relations et des Oppositions والذي يعد منهجا لغويا يسمح بتفريغ المقابلات غير الموجهة أو الخطابات المكتوبة، انظر في هذا الصدد:(Marion Segaud, 2010, p27)

-مجال تعاوني متجانس من حيث النوع، وهو مجال تعاوني نسائي محض.
-مجال تعاوني مختلط من حيث النوع الاجتماعي.

إلا أن النزول إلى الميدان كشف أن النوعين الاجتماعيين لا يوجدان بالمجال التعاوني المختلط إلا شكليا وعلى الوثائق، في حين يغيب أحدهما على مستوى الممارسة الفعلية، لذلك فإن التصنيف الفعلي لهاته المجالات سيجعل النوع الأول مجالات تعاونية نسائية، بينما النوع الثاني يمثل مجالات تعاونية ذكورية.

إن النوع الثاني من المجالات التعاونية لا تحضر فيه المرأة إلا على الأوراق، "محجَّبة" بصوت الرجل، سواء كان زوجها أو ابنها أو أباها، على مستوى القرارات وبحضوره مكانها في جميع الاجتماعات والجموع العامة، ولا يتم إشراك النساء فعليا إلا فيما ندر من الحالات(Dominique Gentil, 1984, p17)، وقد تم الاحتفاظ في هذا المقال بالنوع الثاني كمجال تعاوني يتيح عملية المقارنة.

إن الهدف من هاته الدراسة، إذن، هو فهم التحولات التي طرأت على الوضعية السوسيو-اقتصادية للمرأة بالمغرب الصحراوي، والتعرف على الإكراهات التي يعرفها ولوجها إلى البنيات الاقتصادية الحديثة، كالتعاونيات، وبالتالي العوائق التي تحد من استفادتها من برامج التنمية المحلية التي تعرفها المنطقة.

3.المرأة وأنثروبولوجيا المجال التعاوني

يضعنا تناول التحولات التي مست وضعية المرأة، في قلب أحد المفاهيم المركزية في العلوم الإنسانية المعاصرة، وهو "الجندر" والذي يتحدد باعتباره مجموع الخصائص الاجتماعية والنفسية والثقافية التي يحملها الجسد، والتي تخضع لرؤية المجتمع للفوارق البيولوجية، وما يضيفه عليها من أنماط سلوكية متباينة، حيث يصبح انقسام الهوية بين كل من الأنثى والذكر نتاج العوامل الاجتماعية والثقافية بالأساس(مي الدباغ، أسماء رمضان، 2013، ص120)، ويعد مفهوم "الجندر" وحدة نظرية تسمح بتحليل الطريقة التي يتم بها إنتاج كل من النظام الاجتماعي والممارسات الاجتماعية، وإعادة إنتاجهما، وكذا الأشكال التي يتم بها مأسسة الاختلافات بين الجنسين بالمجتمع(Dominique Fougetrollas-Schwebel, 2003, p27).

وبالتالي فالفوارق بين الجنسين تأخذ، بهذا المعنى، طابعا بيو-اجتماعيا حيث يلتقي البعد البيولوجي بالبعد السوسيو-ثقافي، ويصبح المجتمع هو المحدد لسلوكات الأفراد، يجعلها تتمايز وتتراتب تبعا للجنس، فتصير الهوية السوسيو-ثقافية للمرأة محددا رئيسا لأدوارها وموقعها داخل عملية الإنتاج.

إن فهم طبيعة التحولات التي مست وضعية المرأة بمناسبة خروجها من المنزل من أجل الانخراط في الدينامية التعاونية المحلية، يدعو للبحث عن مؤشرات فيزيقية ورمزية دالة عليها، وقد كشف الاطلاع على أهم الأدبيات التي تناولت أنثروبولوجيا المجال، أن هذا الأخير يمثل وعاء يحمل عناصر الاستمرار والتحول في الآن ذاته، حيث يتبادل التأثير والتأثر مع الفاعلين: يُبَنْيِنُهم ويُبَنْيِنونَه، فهو في الآن ذاته، يحمل سمات هويتهم الثقافية المحلية، ويخضعهم لنظام القيم والمعتقدات المحلية.

1.3 المجال التعاوني مُبَنيَن ومُبَنْين

تبين معظم الدراسات الأنثروبولوجية التي اهتمت بالمجال أن بنيته والأقطاب المنظمة له، إضافة إلى العتبة والحدود والتخوم والنوافذ وأكسسواراتها، تعتبر مؤشرات دالة على البنية الميثولوجية والشعائرية للمجتمع الذي تنتمي إليه، علاوة على أن كل التحولات التي قد تطالها تحيل على تحولات اجتماعية دالة، لذلك فإن "العتبة" و"النافذة" وكل "ملحقات" المجال التعاوني من شأنها أن تقدم العديد من المعطيات حول التحولات التي تطال وضعية المرأة بشكل خاص، تلك التحولات التي تخفي استمرار العديد من البنيات الثقافية المحددة للنوع الاجتماعي بالمجتمع المدروس. وبالتالي فإن تحليل النظام المجالي يتيح استقراء عناصر "البنْيَنَة"(Jesus Leal Maldonado, 1997, p28)، كما تتم بين المجال الفيزيقي والمجال الرمزي، أي بين المجال ككينونة ملموسة وبين إيديولوجيا الجماعة وتمثلاتها الرمزية.

إن المعطيات الميدانية تبين أن المجال التعاوني لا يحمل سماته بشكل عشوائي، كما أنه ليس موجودا بشكل قبلي ومستقل عن الثقافات التي ينتمي إليها، ولا عن الأزمنة التاريخية التي تؤطره، ولا عن التمثلات التي يحملها الفاعلون(Marion Segaud, 2010, p8-9)، بل هو بناء ثقافي يخضع للبنية الذهنية للفاعلين. على أن المجال ليس فقط "مُبنيَناً" بل إنه أيضا "مُبنيِن"، وذلك في إطار علاقة دياليكتية تربطه بالأفعال الاجتماعية(Jesus Leal Maldonado, 1997, p30).

إن هذا التصور الديالكتيكي للمجال يجعله تجريدا ملموسا يأخذ تمظهرات متعددة، ووسيلة لمعرفة الأفعال الاجتماعية باعتبارها بنية، لكنه مع ذلك نتاج لهاته الأفعال، إن هذا التصور ليس سوى محاولة لمنح المجال تصورا إبستيمولوجيا يجعله تأليفة بين كونه: مبنيِنا بالنظر إلى أنه الوسيلة التي تسمح بتأسيس موقع ومكان الأفعال الاجتماعية، ومُبنيَنا أيضا ومنظَّما بالقدر الذي يجعل هذه الأفعال الاجتماعية تنتج سلسلة من الموضوعات التي تجسد المجال ماديا(Jesus Leal Maldonado, 1997, p30)، وبالتالي فإن إخضاع المجال التعاوني لدراسة أنثروبولوجية يسمح بالوقوف عند عملية إنتاج المجال من خلال ضبط عناصر هاته العلاقة الدياليكتيكية بين المجال والفعل الاجتماعي.

إن الجماعات الاجتماعية لا يبنين ممارساتِها المجالُ فحسب، فهاته الأخيرة تظل مُنظمة تبعا لتمثلاتها الخاصة، وهذا نابع من التصور الإبستيمولوجي للمجال، فإذا كان هذا الأخير "يُبَنيِن" الفعل الاجتماعي، فإنه ما من شك أن هذه التمثلات تشرط أشكال ترتيب العناصر المختلفة لهذا الفعل، وهو ما يدعو للقول إن المجال ليس موضوعا، ولا هو معطى قبلي، بل هو إطار مرجعي للأفعال(Jesus Leal Maldonado, 1997, p29).

إن المعطيات أعلاه توفر أرضية نظرية مهمة تمتح من أنثروبولوجيا المجال التي تنطلق من مقولة أساسية مفادها أن المجالين المادي والرمزي، عموما، يتداخلان وفق علاقة جدلية، وهو ما سيتم فحصه بالتركيز بشكل خاص على دراسة المجال التعاوني الذي تستعمله المرأة بالمغرب الصحراوي، فإلى أي حد يمكن القول، إن المجالات التعاونية المدروسة تعمل كمجالات اجتماعية مُبَنْيَنَة من طرف المجال الرمزي المحلي، وبأنها بدورها مُبَنْيِنَة للفعل الاجتماعي؟

2.3 المجال التعاوني النسائي: تجانس النوع الاحتماعي وغياب القطبية البنيوية الثنائية

تسمح الدراسة العلمية للمجال برصد أهم التحولات التي تطرأ على العلاقات الاجتماعية وعلى البنى الثقافية للمجتمع، خاصة وأن المجال يكف داخل الأنثروبولوجيا عن أن يكون كينونة ميتافيزيقية، ليصبح وعاء يستوعب العديد من الرموز والدلالات، بما هي امتداد للبنية الذهنية وللوعي الجماعي، أي أن "المجال الاجتماعي" هو في الآن ذاته مجال ملموس ومعيش، ومجال رمزي، يخضع للتأويل والتحديد من طرف تمثلات الفاعلين، إنه على قدر مهم من الكثافة وذلك تبعا لأهمية التفاعلات الاجتماعية والمسافة الاجتماعية بين الفاعلين(Yves Alpe et Al, 2007, p107).

وإذا كانت معظم الدراسات التي تهتم بأنثروبولوجيا المجال تبحث في دلالة عناصره، فإنها قامت بذلك من خلال استنطاق رمزيته الثقافية باعتماد المقاربتين البنيوية والفينومينولوجية، على أن جلها يستحضر الوصف الشهير للمنزل القبايلي الذي أنجزه "بيير بورديو" والذي يبين فيه أن الاتجاه (شرق، غرب، أعلى، إلخ) يحدد مكان الرجل ومكان المرأة، مؤكدا أن ذلك ينطبق على معظم المجتمعات الإسلامية(Marion Segaud, 2010, p124)، التي تخصص الداخل للنساء والخارج للرجال، مما يجعلها مرجعا أساسيا للبحث في الفوارق بين الجنسين في علاقتها بالمجال، وفهم الكيفية التي تقرأ بها هذه الفوارق وتترسخ داخله،(Marion Segaud, 2010, p148-149)، فالمجال الاجتماعي لا يخضع في مجال الأنثروبولوجيا للنظرة الجوهرانية، لأن مفهوم المجال ينطوي في ذاته على مبدأ الفهم العلائقي للعالم الاجتماعي(Pierre Bourdieu, 1994, p53).

إن التأصيل "للقطبية البنيوية" يقتضي العودة إلى ما هو ديني، ذلك أنها تقوم على التعارض الجوهري المتمثل في المقدس والخالص من جهة، والمدنس وغير الخالص من جهة أخرى(Pierre-Robert Baduel, 1986, p239)، أي أن مصدر القطبية البنيوية التي تسكن المجال العربي، وحتى الأمازيغي، المسلم هو القطبية الدينية والتي تنتظم على شكل سلسلة من التعارضات والأقطاب: يمين/يسار، أعلى/أسفل، شرق/غرب، جاف/رطب، مطهي/نيئ، مذكر/مؤنث، مقدس/مدنس، خاص/عام، ثقافة/طبيعة(Pierre-Robert Baduel, 1986, p251).

إن القطبية البنيوية الاجتماعية بهذا المعنى قد تكون، حسب الأنثروبولوجي "روبير بيير بادويل" Pierre-Robert Baduel، انعكاسا ونتاجا للقطبية البنيوية الدينية، فالتعارض نساء/ رجال هو من نوع التعارض بين المقدس/ المدنس، ومن هنا تأتي تلك الهوة التي تفصلهما وتقسيم العمل الصارم الذي يوزع جميع المهام بين الرجال والنساء بشكل لا يسمح بالخلط بينها،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p240) مما يجعل هذه النظرة الإيديولوجية للعالم تنعكس على الوجود الاجتماعي المجالي لكل من النوعين الاجتماعيين، وتؤثر فيه.

وبالعودة إلى المجتمع موضوع الدراسة، فإنه يتبين لنا أن المجال المنزلي بالمجتمع المدروس يخضع بدرجات متفاوتة لهذه القطبية البنيوية، وقد أكد المفكر المغربي "أحمد الجماني" في مؤلفه الرائد حول التاريخ الاجتماعي للمجتمع موضوع الدراسة، أن علاقة هذا الأخير بالمجال

وبالاتجاهات محكومة بنظرة كوسموس خاصة يختلط فيها الديني بالاجتماعي الثقافي، فالقِبلة في مسجد حي "مازيغ" Mmazigh مثلا لا تولي وجهها نحو الشرق إسوة بباقي مساجد القرية، بل توليه جنوبا شطر مقدسها الاجتماعي المتمثل في "الزاوية"، ويضيف مفسرا أن الأمر يتعلق بقراءة انقسامية للمجال تستحضر علاقات الصراع بين الجماعتين "مازيغ" و"أهل حايين"،* ذلك أن تموقع المسجد بتلك الطريقة يضع "أهل حايين" جهة اليسار مع ما يعنيه ذلك من رمزية تجعله مجالا خاصا بالعدو وبالشيطان،(Ahmed Joumani, 2008, p134).

وإذا كانت المجالات التعاونية التي قمنا بدراستها تغيب فيها هذه القطبية الثنائية، فإن هذا لا يعني أنها تمثل استثناء لهذه القاعدة، ويعود ذلك إلى كون العينة التي تمت دراستها إما أنها نسائية بالكامل، وإما أنها تكون مختلطة لكن ظاهريا وشكليا فقط بحيث يكون الفاعلون الفعليون إما جميعهم ذكورا أو جميعهم إناثا، مما يضعنا، كما أسلفنا، أمام عينة تعاونيات متجانسة من حيث النوع الاجتماعي.

وهذا ما يغيب القاعدة الثقافية التي تحكم عادة تقسيم المجال غير المتجانس من حيث النوع الاجتماعي إلى قطبين متعارضين، وذلك لصالح تقسيم يهدف إلى تنظيم العمل وتسلسل مراحل الإنتاج (مثلا نجد بتعاونية خاصة بإنتاج الصبار: مكان مخصص لفرز الصبار/غسله وتنقيته/ طحنه/ نقله، إلخ)، ذلك أن ما كان يفرض في الأصل هذه القطبية البنيوية الثنائية داخل المجال المنزلي هو الرغبة في الفصل داخل نفس المجال بين النساء والرجال، من خلال مجالات فرعية.

وهكذا فإنه يمكن الحديث عن وحدة المجال التعاوني المتجانس من حيث النوع الاجتماعي، فإذا كان المجال مضيئا فإن هذه الخاصية تكون عامة وواحدة في جميع المجالات الفرعية، ونفس الشيء إذا كان مظلما، مفتوحا على الخارج، علويا، سفليا، شرقيا أو غربيا، إلخ، فإنه يستعمل من طرف جميع المتعاونات النساء، أو المتعاونين الرجال، مما يعني أن القطبية البنيوية الثنائية يفرضها في الأغلب، وجود النوعين الاجتماعيين معا بنفس المجال الاجتماعي، في حين تختفي مع تجانس المجال من حيث النوع الاجتماعي.

وبالتالي فإن تجانس التعاونية النسائية من حيث النوع الاجتماعي أفضى إلى التخلي عن هذه القطبية الثنائية، وذلك لصالح ظواهر وسمات مجالية أخرى، تتمثل بالأساس في تقسيم العمل.

3. المجال التعاوني والحد: العتبة وأكسسوارات المجال

إن الحديث عن وجود مجالين متمايزين: مجال عام، مجال خاص، يفترض وجود مجموعة من الحدود بينهما، حدود تأخذ مظاهر فيزيقية، وأخرى رمزية، ولعل الكشف عنها وعن الممارسات المرتبطة بها، قد يوفر معطيات حول استعمال المرأة، بشكل خاص، لكل من هذين المجالين، وبالتالي حول المستمر والمتحول في وضعيتها.

1.3 "عتبة" المجال والممارسات اللباسية الفارقية

إن العلاقة الديالكتيكية بين المجال والفعل الاجتماعي التي يكون بمقتضاها المجال مُبنيِنا ومبنيَنا تجعل المجال يحمل العديد من الرموز المرئية والمكشوفة، كالعتبات والنوافذ، والدرج، كما أن

*يتعلق الأمر بدوارين بواحة "أسرير" شمال المغرب الصحراوي، وهما متجاورتان جغرافيا

بعض الممارسات المرتبطة به تستحق الوقوف عندها للجواب عن السؤال: هل المتعاون (ة) يستعمل التعاونية كمجال خاص أو كمجال عام؟

بالرجوع إلى الميدان المدروس، يتبين أن المجال التعاوني الذي يستعمله الذكور، مفتوح بالكامل على الخارج، يحتل مجالا "شديد الإضاءة" بشكل يسمح في الآن ذاته للموجود بالداخل أن يرى الخارج والمارة، ويسمح للموجود بالخارج أن يلقي نظرة على الداخل بكامل تفاصيله، بل إن باب التعاونية مفتوح كليا على الطريق الرئيسي للجماعة القروية، كما لاحظنا أن العضو الرجل عند وجوده داخل المجال التعاوني لا يغلق الباب تماما فقد يحتفظ به نصف مفتوح، أو يدعه مفتوحا غير متحرج بذلك من النظرات الخارجية والدخيلة التي قد تلج إلى المجال التعاوني وتخترقه.

صورة 1 :مقر مكتب تعاونية حوض وادنون لتربية الدواجن، المختلطة، جماعة « أسرير»



المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

على النقيض من ذلك، وخلافا لهاته السمات المجالية، نجد أن المجال التعاوني المستعمل من طرف النساء مغلف بحجاب سميك ومحاط بالعديد من التخوم التي تحدد انغلاقه وعزلته عن العالم الخارجي المحيط به، حيث نجد عند المدخل الرئيس للمجالات التعاونية النسائية المدروسة، وبعد صعود الدرج الخارجي، بابا كبيرا للسور المحيط بالتعاونية، السور عال ومحاط بالنباتات، مع ما لهما من قدرة على ضرب الحدود limites على المجال.

صورة2 : المدخل الرئيس لتعاونيتين نسائيتين بالمنطقة، حدود متعددة



المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

مباشرة بعد الباب الرئيس للتعاونيتين، نجد سلما ثانيا من أدراج، مساحة الدرج الواحد مهمة من بين وظائفها تيسير استعمالها أثناء التنقل ونقل الأوزان الثقيلة والكميات الكبيرة من الشعير والكسكس وأكياس منتوج "المكلي* Megli، بين التعاونية والخارج، ثم على جانبي السلم نلاحظ وجود نباتات كثيفة لا تحجب الرؤية لكنها تغربلها، على أن الفيضانات باعتبارها واحدة من الكوارث الطبيعية التي تتضررمنها المنطقة بشكل دوري، يمنح لهاته الأدراج وظيفة مزدوجة، حيث ينضاف للأولى وظيفة حماية المجال التعاوني منها.

*منتوج تعاوني محلي يتم إعداده بتحميص الشعير المحلي وطحنه جيدا للحصول على "دقيق الشعير المحمر" الموجه للسوق الاستهلاكية المحلية والوطنية.

صورة3 :النباتات عتبة فيزيقية تغربل الرؤية



المصدر: العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

بعد صعود الأدراج نجد باب التعاونية مسبوقا بعتبة، ثم إما أننا نجد مباشرة المجال الداخلي للتعاونية الذي تشغله المتعاونات أثناء قيامهن بالأنشطة التعاونية، أو نعثر على مجالات وسيطة إضافية كالممر الضيق Le couloir المفضي إلى داخل المجال التعاوني حيث تعمل المتعاونات خلال ممارسة نشاطهن، وهكذا فإن التعاونية التي تشغلها النساء تكاد تكون محجوبة بالكامل وبحدود مضاعفة.

إن "العتبة" هي أحد أهم عناصر عبور الحد الذي نعثر عليه بجميع المجتمعات، وهي تعبر من الناحية الأنثروبولوجية على منطقة تقاطع ثلاثة أبعاد: المجالي، الاجتماعي والرمزي، ولما كانت أداة مادية ورمزية، فهي في الآن ذاته ثابتة ومتحركة، وقد وجدت من أجل أن تُعبَر، لذلك فإن المرور منها يكون مصحوبا بطقوس خاصة (كأن يتم إزالة الغطاء عند الدخول أو التغطي عند الخروج إلى المجال العام مثلا)، ويمكن لهذه الطقوس أن تتأسس على عناصر معمارية أو على أدوات مادية كالجرس مثلا، وهذا يمنحها، حسب أنثروبولوجي المجال "ماريون سيكو" Marion Segaud، وظيفة اجتماعية تتمثل في تنظيم العلاقات الاجتماعية، من خلال "الفصل"، خاصة بالمجتمعات التقليدية العربية المسلمة حيث تنتظم العتبة حول عدة عناصر للفصل بين عالمي: المؤنث والمذكر،(Marion Segaud, 2010, p130-131).

ولما كانت الممارسات الاجتماعية تخضع لطبيعة المجال، فإن وضع الممارسات اللباسية للمرأة بالتعاونية تحت الملاحظة، يكشف اختلافها بين كل من المجالين التعاوني والعام، فقد تبين من جهة أن جميع المتعاونات بدون استثناء يرتدين اللباس التقليدي المحلي "الملحفة" Melhfa، كما تبين، من جهة ثانية، أن وجود ممارسات لباسية فارقية تختلف تبعا لتواجد العضوات داخل

التعاونية أو خارجها، وتتمثل هاته الممارسات بالأساس في "التحزام" Tahzam أي تشمير أطراف الملحاف وحزم الجزء السفلي منه حول الخاصرة أو خلعه داخل التعاونية، تغيير اللباس الذي يصلح للخارج بآخر مخصص للعمل التعاوني سواء كان وزرة عمل أو ملحافا مغايرا مخصصا للإنتاج، كما تفعل المتعاونات من أجل إعداد المنتوجات المحلية.

لكن بمجرد بلوغ عتبة المجال التعاوني أو مغادرته، تقوم المرأة بارتداء ملابس الخروج، وتغطية كامل الجسد باللباس التقليدي المحلي (الملحفة)، بل إن من النساء من تنتقب بالجزء العلوي للملحاف بحيث تغطى كامل الوجه باستثناء العينين، وهو ما يسمى محليا "التنكَاب Tengab، إن هذه الممارسات اللباسية تمثل بدورها عتبات رمزية تشير إلى اختلاف السلوك المجالي لاسيما لدى النوع الاجتماعي النسائي.

صورة 4 :"التحزام" و"التنكاب" ممارستان لباسيتان فارقيتان



المصدر :العمل الميداني، من إنجاز الباحثة

وهكذا فإن ملاحظة الممارسات الفارقية كاللباس، تمكن من معرفة التحول المجالي الذي وقع وذلك تبعا لتمثلات النساء، فهاته الممارسات تعلن استعداد المرأة للمرور من مجال إلى مجال آخر، وتمكن بذلك من قراءة تمثل الفاعل لوجوده بكل منهما.

إن أنواع الحدود limites التي درستها أنثروبولوجيا المجال متعددة: كالمحارس، الحواجز، الخنادق، الجدران، الأبواب، النوافذ، إلخ، وكلها تمثل مجموعة التحديدات المضروبة فيزيقيا أو رمزيا والتي تسمح بالعبور أو تمنعه، تراقب وتغربل(Marion Segaud, 2010, p131)، وتضبط المجال وحتى العلاقات بين النوعين الاجتماعيين، موفرة بذلك العديد من المعطيات بشأن وضعية المرأة شمال المغرب الصحراوي.

2.3 النافذة وملحقاتها: صدفة معمارية أم حجب ثقافي للمجال التعاوني النسائي؟

تبين الملاحظة الميدانية أن معمار المجال التعاونية يختلف عن المساكن بالمجتمع المدروس، ففي الوقت الذي تكاد تغيب فيه النوافذ بالمساكن التقليدية، أو لا توجد بها في بعض الحالات إلا

على شكل ثقوب صغيرة المساحة وتأخذ موقعها على علو مرتفع، فإنها متوفرة بالأولى وبمساحة أكبر تسمح برؤية المجال الخارجي، فهل تكفي المقاربة الوظيفية من أجل فهم أكسسوارات المجال التعاوني؟ أم أن ذلك يستدعي تجاوزها باتجاه استحضار علاقتها بالمجال الرمزي المحلي؟

لا شك أنه لا سبيل إلى إنكار البعد الوظيفي للمجال ومكوناته، غير أن الأنثروبولوجيا تنبهنا إلى أبعاده الثقافية، وقد أسست السوسيولوجيا الفرنسية للتعارض بين مفهوم "النماذج الثقافية" في مجال السكن، وبين مفهوم الحاجة، وهو التعارض الذي يسمح بتجاوز المقاربة الوظيفية التي كانت تنظر "للنافذة" على أنها استجابة للحاجة إلى التهوية، الإضاءة، الرؤية، واختزال السكن عموما إلى قياسات ومساحات، وبالانطلاق من البعد الاجتماعي والرمزي ستصبح النافذة لا مجرد فتحة في جدار، بل ستغدو نظاما يحدد العلاقة بين الداخل والخارج، أي بين الذات والآخرين(Marion Segaud, 2010, p95-96).

إن السمات التي تحملها النافذة تحتاج إلى تكثيف الوصف وإتباعه التحليلَ الأنثروبولوجي، ولعل الخاصية التي تميز النافذة بالمجال التعاوني النسائي المدروس، تتجسد في كونها مزودة بالعديد من الأكسسوارات التي تؤدي، حسب المتعاونات، وظيفة الحجب الكلي للداخل عن الخارج، فجميع التعاونيات النسائية موضوع الدراسة تستعمل الستائر والناموسيات moustiquaires، التي تؤدي وظائف مزدوجة، إذ أن الستائر، من حيث بعدها الوظيفي، تسمح بالتحكم في شدة الإضاءة، لكنها، من الناحية الثقافية، تؤدي وظيفة ستر المجال النسائي عن العالم الخارجي خاصة خلال اشتغالهن داخل المجال التعاوني.

أما الناموسيات باعتبارها نسيجا رقيقا به خروق لا متناهية وفي غاية الدقة، فتُكسى بها النافذة من أجل حماية التعاونية وأنشطتها ومنتوجاتها (منتوجات الصبار، الكسكس الخماسي، إلخ)، من حشرة الناموس التي تنتشر عادة بالمجتمعات الواحية، لكنها علاوة على ذلك تنطوي حسب المتعاونات على وظيفة ثقافية تتمثل في زيادة حجب المجال التعاوني النسائي، حيث يعود إلى طبيعة نسيجها ودقة ثقوبها الفضل في غربلة النظرات الفضولية التي قد تأتي من الخارج، وحماية الجسد الأنثوي منها، تماما كما يحفظه المجال المنزلي التقليدي بعلوه وقلة أعداد نوافذه وصغر حجمها.

زيادة على هذه الأكسسوارات فقد لوحظ أن معظم النوافذ بالتعاونيات النسائية بالمنطقة المدروسة مزودة بسياج إضافي، هاته النوافذ المسيَّجة، لا يمكن نفي وظيفتها الأمنية، إلا أنه يمكن قراءتها رمزيا كعنصر مُسيِّج للمجال النسائي، يحميه من الخارج، ويحفظ له حميميته كمجال خاص يسمح للمرأة بالإنتاج، رغم أنه يتواجد خارج المجال المنزلي.

وقد تمكننا مقارنة الممارسات الثقافية التي ترتبط بالنافذة بين ثقافتين مختلفتين من توفير معطيات مهمة بشأن وضعية المرأة شمال المغرب الصحراوي، ويتعلق الأمر بمقارنة "جاهزة" تم العثور عليها بالأدبيات التي تم الاطلاع عليها، بين استعمال النافذة داخل الثقافة العربية والأمازيغية، وبين استعمالها داخل الثقافة الهولندية والتي توفر عنها الأنثروبولوجيا الثقافية تحليلا عميقا يربطها بموقع المرأة داخل المجتمع الهولندي.

مما يعني أن مفهوم "الحد" الذي يحكم دراسة السكن، ومنه دراسة المجال عموما، هو مسافات وحدود يحكمها المجال الجسدي المتأصل بكل كائن حي(Pierre Robert Baduel, 1986, p33)، وبالتالي فإن دراسة النوافذ بالعالم العربي المسلم، تبين العلاقات المعقدة القائمة بين استعمالات النوافذ، الأشكال الداخلية للمجال المنزلي، والأخلاق العرفية، ذلك أن العلاقة بين هاته "الفتحات" و"محيطها" لا هي بالقَلُوبة، ولا هي بالمتماثلة، لذلك فهي تقوم على قاعدة: "أَنظُر دون أن أُنظَر"، حيث لا تسمح برؤية الداخل، أي بالنظر من الخارج نحو داخل المسكن،(Marion Segaud, 2010, p134)، وقد كان من أهم ما لاحظته العديد من الدراسات الأنثروبولوجية للبيت المسلم أنه يعبر أكثر على الانعزال والحجب، ويقوم على فكرة التسييج والإبعاد وإقامة الحدود الفيزيقية والرمزية،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p233-234).

ويبين "بيير روبير بادويل" في سياق مشابه، الطابع المحجب للبيوت للسكن القروي بالصحراء الجزائرية، مثلا، فهو يأخذ شكل متوازي السطوح القائم، به فتحة واحدة هي باب الدخول، ويتكون من غرف مفتوحة على الفناء الداخلي وهي بدورها لا يوجد بها غير فتحة وحيدة هي الباب، حيث تغيب النوافذ في هاته الثقافة، كما أن الباب لا يقع على إحدى واجهات المنزل بل في إحدى زواياه التي تسمح بتفادي ولوج العيون الفضولية إلى فناء المنزل،(Pierre-Robert Baduel, 1986, p242).

أما بالنسبة للمجال في بعض البلدان الأوروبية مثلا، فالأمر يختلف، ذلك أن المرأة غالبا ما كان يتم تصويرها في لوحات القرنين السابع عشر والثامن عشر قرب هذه الفتحة، على الحدود بين المجال الخاص المنزلي والمجال العام، ويمكن للنظرة هنا أن تتحرك في الاتجاهين معا، بحيث يمكن أن نرى من الشارع بعضا من داخل المنزل، لذا فإن موقع النافذة داخل البناء، يفصح عن موقع المرأة داخل المجتمع الغربي،(Marion Segaud, 2010, p135).

إن المقارنة هنا ليست تفاضلية بالمرة، ذلك أن الغرض منها هو التأكيد على ذلك الارتباط الوثيق بين المجالين الفيزيقي والرمزي، وإذا شئنا أن نقرأ سمات المجال التعاوني المدروس في هذا الإطار، وباستحضارنا للسلوكات اللباسية ولملحقات المجال وأكسسواراته، فإنه يمكن القول باستمرار نفس الممارسات الثقافية المتعلقة بتواجد المرأة بالمجال العام، وذلك من خلال حجب جسدها عندما يتعلق الأمر بالمجال المختلط، أو الذي يُحتمل أن يختلط حتى وهي خارج المنزل، فالستائر والنباتات والعتبات والسلالم ومختلف ملحقات المجال لا تبدو مجرد صدفة معمارية، بل تدل كلها على أن المجتمع المدروس يضع لجسد المرأة حجابا ثقافيا، لا في المجال المنزلي فحسب بل وحتى في المجال التعاوني، حيث يجعله مشروطا بجملة من الحدود والتحديدات.

مما يعني إمكانية القول باستمرار التمثلات المحلية لجسد المرأة، واستمرار العديد من البنيات التقليدية المرتبطة بالنوع الاجتماعي، ونستحضر في هذا الإطار ما قالته "الغالية" إحدى المستجوبات: "ما زلنا لم نتحرر تماما من نظرة المجتمع لخروجنا إلى المجال العام، فالناس مثلا ينظرون إلينا بعين النقص كلما أخذ منا الوقوف بالشارع الرئيسي لانتظار وسيلة نقل الشعير المحمص إلى الطاحونة وقتا طويلا"، وتضيف "عائشة" العضوة بتعاونية الكسكس: "يواجهنا دائما مشكل من ينطق باسم التعاونية خلال الاجتماعات المختلطة، إن النساء يتخوفن إن هن

تكلمن أن يقال إن زوجة فلان تكلمت في حضرة الرجال، أو أخذت الكلمة بحضورهم"، وهذا يعني استمرار النظرة الذكورية المتحفظة بشأن "مسرحة وجود المرأة" في المجال الاجتماعي العام.

أما الرجل فهو يعيش وضعا مغايرا، حيث أن الرجل الذي يحظى بالاحترام، حسب تعبير "بيير بورديو"، هو "الذي يجب أن يسمح برؤيته، أن يتنقل باستمرار بين الناس وعلى مرأى من الآخرين، وأن يواجههم، إن استراتيجيات الشرف تجسد نوعا من المسرحة السلوكية، التي تتم أمام الآخرين، باعتبارهم المتفرجين المخطورين بالنص وبلعب المشاهد"،(Pierre Bourdieu, 2000, p69)، حيث يتحفظ المجتمع المدروس بشأن وجود المرأة بالمجال العام خاصة بالشكل الذي يفرضه العمل التعاوني، في حين أن وجود الرجل بهذا المجال يظل مقبولا، بل إنه مرغوب فيه، باعتباره يمثل امتدادا لوضعيته الأصلية.

من جهة أخرى بينت المقابلات المنجزة في إطار إعداد هاته الدراسة، أن الحجاب الاجتماعي للمرأة، ليس "حجاب مجال" فحسب، بل هو "حجاب زمان" أيضا، فقد بينت الدراسة الميدانية أن هناك أنشطة تعاونية وجدت النساء صعوبة في ممارستها، والحال هنا النشاط المتعلق "بتربية الدواجن"، الذي كان من بين أسباب توقفه عدم ملاءمة الزمن المخصص للاعتناء بالدواجن بالتعاونية، لزمن وجود المرأة بالمجال العام، إذ لما كانت الدواجن تحتاج نظام تغذية وتتبع خاصين يفرضان على الـمُعْتَنِي بها الاستيقاظ باكرا مع ما يعنيه ذلك من مخالطة للمجال العام في أوقات مبكرة، فإن الساكنة وجدت أن هذا الأمر، حسب "البشير" رئيس تعاونية "حوض وادنون"، غير ممكن للمرأة في مجتمع يرفض خروجها في أوقات محددة ويعتبره عيبا وغير مقبول، هذا الوضع يفسر استمرار ارتباط هذا النوع من المجالات والأنشطة التعاونية بالرجل، وغياب المرأة عنها أو تحجيب وجودها به، مما يدل على أن المجتمع المدروس يُحجب المرأة لا مجاليا فقط بل وحتى زمانيا، بشكل يرسخ إيديولوجيا الجماعة داخل المجالية الفيزيقية، حيث تعمل المجالية الرمزية على إنتاج المجالية الفيزيقية(Rahma Bourqia, 1990, p248).

وبالتالي، فإن المجال التعاوني بما هو تنظيم حديث لا يقع خارج الثقافة المحلية التقليدية، حيث تبين أن عناصره من أكسسوارات وملحقات تتزيى بزي الرمز، وأن ترصد الدلالات التي يحملها هذا الأخير تكشف أن التعاونية ليست معزولة عن السياق الرمزي الذي استنبتت فيه، على أن التعالقات بينهما تجعل الهوية الثقافية التقليدية للمرأة تتأرجح بين الاستمرار والتحول.

يتبدى إذن من خلال العناصر النظرية والأمبريقية أعلاه أن النتيجة المركزية التي تم التوصل إليها هي أن المجال التعاوني بوصفه بنية حديثة، يؤثر في المجال الرمزي التقليدي المحلي وذلك بإحداثه للعديد من التحولات السوسيو-اقتصادية على وضعية المرأة، تمثلت في خروجها للمجال العام، ومساهمتها في الإنتاج في إطار مشاريع مدرة للدخل، إلا أنه هو نفسه يخضع لتأثير المجال الرمزي المحلي، ويتجلى ذلك في استمرار العديد من البنيات التقليدية المحلية حتى بالمجال التعاوني، حيث نعثر على الهيمنة الذكورية بالتعاونيات المختلطة من حيث النوع الاجتماعي، والتي تستعملها المرأة بوصفها مجالا عاما، في الوقت الذي تستعمل فيه المجال التعاوني النسائي كمجال خاص يخضع لبنية المجال المنزلي نفسها.

خاتمة

يمكن القول إذن إن التحول الاجتماعي يحدث بحيث تستمر العديد من البنيات التقليدية حتى داخل التنظيمات الحديثة، والتي تظل مشروطة بنفس النظرة الإيديولوجية التي تحكم المجال الخاص، حيث يخضع لهوية النوع الاجتماعي الذي يستعمله، مما يجعله فيزيقا مُبنيَنة رمزيا من طرف الثقافة المحلية.

وهكذا فقد تبين أن ولوج المرأة للمجال التعاوني يخفي استمرار العديد من ملامح وضعيتها الأصلية، ذلك أن خروجها إلى المجال الاقتصادي العمومي الذي كان محتكرا من طرف الرجل، ظل مصحوبا بالعديد من الظواهر المجالية كتعديد العتبات وضرب الحدود على المجالين الفيزيقي والرمزي، واستمرار الممارسات الانتقائية التي تقاوم ولوجهن إلى العديد من الأنشطة السوسيو-اقتصادية المدرة للدخل.

إن توفر شروط حجاب المجال التعاوني هو ما يشرعن وجود المرأة خارج المجال المنزلي، ويتيح لها إمكانية التفاوض لدى محيطها العائلي بشأن الانتماء إلى التعاونية، خاصة في ظل استمرار وجود عائلات ترفض وتقاوم خروج المرأة من البيت وسفرها إلى خارج المنطقة، وتتحفظ بشأن عملها المأجور نقدا.

ولئن كانت دراسة قضايا "النوع الاجتماعي" في المجال التعاوني مما يظل من الأهمية بمكان، فإن قضايا إضافية من قبيل الصراعات و"التراتبات الاجتماعية" بين النساء وانعكاسها على وضعهن على مستوى النشاط التعاوني تظل مما يستحق اهتماما أنثروبولوجيا خاصا، لاسيما وأن المجال التعاوني يختزن المزيد من الرموز والدلالات التي تحتاج قراءتُها تعميق الوصف والتحليل لمعيش الفاعلين بالمجال التعاوني عموما والنسائي بشكل خاص، وذلك بتنويع المقاربات النظرية والتقنيات المنهجية.

قائمة المراجع:

1. الدباغ مي، رمضان أسماء(2013)، النوع الاجتماعي: نحو تأصيل المفهوم في الوطن العربي واستخدامه في صوغ سياسات عامة فعالة، مجلة إضافات، ع23-24، مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت.

2. ALPE Yves & AL(2007), Lexique de sociologie, 2ème édition, Editions DALLOZ, Paris

3. BADUEL Pierre-Robert(1986), Habitat traditionnel et polarités structurales dans l’aire arabo-musulmane, In : Annuaire de l’Afrique du nord, Editions du CNRS, t. XXV.

4. BOURDIEU Pierre(2000), Esquisse d’une théorie de la pratique, Editions du Seuil, Paris.

5. BOURDIEU Pierre(1994), Raisons pratiques : Sur la théorie de l’action, Editons du Seuil, Paris.

6. BOURQIA Rahma(1990), Espace physique, espace mythique : Réflexion sur la représentation de l’espace tribal chez les Zemmour, In : Le Maroc : espace et société, Passau, vol. Spéc.1, Passau, Allemagne.

7. De La Chapelle Frederic(1930), Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental, Hespéris, Vol XI, fasc. 1-2, Rabat, Maroc.

8. FOUGETROLLAS-SCHWEBEL Dominique(2003), Genre, catégorie sociale et rapports de domination, In : Le genre comme catégorie d'analyse, Sociologie, histoire, littérature, Collection Histoire du féminisme, Editions L'Harmattan, Paris.

9. GENTIL Dominique(1984), Les pratiques coopératives en milieu rural africain, Editions l'Harmattan, Paris.

10. JOUMANI Ahmed(2008), L'Oasis d'Asrir, Eléments d'histoire sociale de l'Oued Noun, Collection Histoire & Sociétés du Sud marocain, Editions La Croisée des Chemins, Imprimerie El Maarif Al Jadida-Rabat

11. JOUMANI Ahmed(2006), Oued Noun, sud Maroc, mythes et réalités, In : L'Ouest Saharien, Volume N° 6, CAHIER D'ETUDES PLURIDISCIPLINAIRES, L'Harmattan, Paris.

12. LEAL MALDONADO Jesús(1997), Sociología del espacio : el orden espacial de las relaciones sociales, In Política y sociedad : Sociedad, Espacio y Tiempo, *25*, Facultad CC Políticas y sociología, Universidad Complutense, Madrid

13. SEGAUD Marion(2010), Anthropologie de l'espace : habiter, fonder, distribuer, transformer, Armand Colin, Paris

النمو السكاني وتحديات التنمية المجتمعية بالمدن الجديدة في الجزائر

Population growth and the challenges of community development in new cities in Algeria

د. السعيد رشيدي جامعة محمد لمين دباغين سطيف2 – الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة للتعرف على أثر النمو السكاني على التحديات المجتمعية التي تواجهها المدن الجديدة في المجتمع الجزائري، والمرتبطة بالأهداف الإنمائية للألفية، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: إسهام النمو السكاني، في توجيه أهداف إنشاء المدن الجديدة نحو حل مشكلة الإسكان وإعادة توزيع السكان، في محاولة لتخفيف حدة الفقر الحضري، وإيجاد فرص عمل جديدة، كما أسهم النمو السكاني في الدفع بمراعاة تكامل الخدمات واستكمالها قبل انتقال السكان إليها، لضمان فعاليتها، إلى جانب ذلك فإن النمو السكاني قد دفع نحو الشراكة المجتمعية، بمراعاة حق سكان هذه المجتمعات في تقرير مصيرهم وصنع قراراتهم بأنفسهم، وفي الأخير أسهم النمو السكاني، نحو الدفع باتجاه الهجرة، من أجل البحث عن مزيد من الفرص في الحياة، بالنظر إلى عامل الجذب الاقتصادي والعائد للفروق في مستويات الأجور.

الكلمات المفتاحية: النمو السكاني، المدن الجديدة، التحديات، التنمية المجتمعية.

Abstract: This study aims at identifying the impact of population growth on the societal challenges faced by new cities in Algerian society, which is linked to the Millennium Development Goals.

The study found a number of results, the most important of which are: the contribution of population growth to guiding the goals of the creation of new cities to solve the problem of housing and population redistribution in an attempt to alleviate urban poverty and create new jobs. Population growth contributed to the integration of services and their completion before transition to ensure their effectiveness. In addition, population growth has pushed towards community partnership, taking into account the right of self-determination and decision making by the people of these communities, and ultimately contributing to population growth towards migration in search of more opportunities in life, given the factor to attract economic and return to differences in wage levels.

Keywords: population growth, new cities, challenges, community development.

مقدمة:

تعتبر تنمية المجتمعات والنهوض بها من أهم الأهداف التي تسعى إليها جميع دول العالم، حيث أن تنفيذ برامج ومشروعات التنمية من شأنها أن تعمل على تحسين الأوضاع المعيشية للغالبية العظمى من سكان المجتمع، والارتقاء بمستوى حياتهم الاقتصادية، والاجتماعية، ومع هذا فإنّ التطور العلمي الذي شهده القرن العشرين، قد ساهم في بروز ظواهر سكانية من نوع جديد، كان من أبرزها الزيادة الهائلة في معدلات النمو السكاني، والتي أدت إلى مضاعفة عدد سكان الكرة الأرضية، مما أدى إلى فرض ضغوط كبيرة على الموارد والخدمات.

ورغم كل الجهود التنموية المبذولة في الدول المختلفة لإحداث التنمية، وخاصة منها الدول السائرة في طريق النمو، إلا أنها لم تأتي بثمارها ومازالت مستوياتها متدنية، ولهذا تشكل المسألة السكانية في الوقت الراهن تحديا للدول على اختلاف أنظمتها سواء للمتقدمة أو النامية، فثمة حقائق دامغة، وفي الوقت نفسه مذهلة لا يمكن تجاهلها عن المشكلة السكانية في عالم اليوم.

ومن هذا المنطلق تواجه الأوضاع السكانية في الجزائر نقطة تحول، من شأنها أن تؤدي إلى تحول مسار التنمية بها، حيث تعد الزيادة السكانية من أشد المعوقات التي تواجه عمليه التنمية، نتيجة إرتفاع معدلات النمو السكاني والذي ولد بدوره العديد من المشكلات التي تمثل عبئاً ثقيلاً على التنمية، بحيث التهمت الزيادة السكانية جهود التنمية قبل أن تؤتى أكلها.

ولم تكن المدن الجديدة بصفة خاصة بمعزل عن تلك التغيرات، إذ تواجه المدن الجديدة صعابا ومشاكل عدة وإن كانت تختلف هذه الأخيرة من مدينة إلى أخرى، إلا أن هناك تحديات عامة تظهر مع نمو المدن الجديدة، فهناك تحدي الزيادة السكان وما ينتج عنه من مشكلة الإسكان، والفقر والبطالة، ثم هناك تحدي قصور الخدمات التربوية والتعليمية والترفيهية والصحية وما إلى ذلك، وهناك تحدي ضعف المشاركة المجتمعية، وأخيرا هناك تحدي الهجرة، وهروب الشباب خاصة إلى الضفة الأخرى وعدم رضاهم عن الوضع السائد وما إلى ذلك، وهو ما يؤدي إلى نشوء أزمة حضرية عويصة.

وفي هذا الإطار أرشدت الأهداف الإنمائية للألفية البلدان والشركاء على مدار الخمسة عشر عاما الماضية إلى تحسين الظروف المعيشية للفقراء، فما الذي يمكن قوله بخصوص الجزائر؟ ومن ثم فما هو أثر النمو السكاني على تحديات التنمية المجتمعية بالمدن الجديدة في الجزائر؟.

أهمية الدراسة:

ومن هنا تظهر أهمية الدراسة من خلال كونها تعالج موضوعا يعتبر محل اهتمام الباحثين، فقد شهدت السنوات الأخيرة اهتماما متزايدا من جانب الباحثين بدراسة النمو السكاني وذلك لما له من أهمية بالغة في المجتمع المعاصر ولما تشهده المدن الجديدة من نمو سكاني لافت للنظر.

وتظهر أهمية الدراسة أيضا من أهمية الموضوع في حد ذاته، وهو دراسة اثر النمو السكاني على تحديات التنمية المجتمعية بالمدن الجديدة في الجزائر، ذلك أنه من الأمور ذات الأهمية البالغة دراسة التغير في حجم السكان على المستوى المجتمعي، ذلك لأن التغير في الحجم يثير كثير من النتائج الاجتماعية والاقتصادية وغيرها سواء كانت هذه النتائج في صالح المجتمع أم لا، وذلك من شأنه أن يمكن من وضع السياسات المختلفة لمواجهة كافة العواقب المتعلقة بحساب

الموارد المتاحة في المجتمع، أو ما يتطلبه ذلك من المزيد من الخدمات وفرص العمالة إلى غير ذلك.

أهداف الدراسة:

وانطلاقا مما سبق فإنه لأي بحث علمي جاد أهداف يسعى للوصول إليها من خلال الكشف عن الحقائق التي ترتبط بانشغالات المجتمع، أو أهداف علمية تساهم في وضع تصور حول وقائع الظاهرة أو موضوع البحث، وتتبع مسارها ومحاولة التنبؤ بمستقبلها وعليه فإن هذه الدراسة تهدف إلى تحقيق جملة من الغايات وهي: محاولة الكشف عن أثر النمو السكاني على التحديات المجتمعية التي تواجهها المدن الجديدة في المجتمع الجزائري، والمرتبطة بالأهداف الإنمائية للألفية، وذلك انطلاقا من:

1 ـ الكشف عن العلاقة بين النمو السكاني وإشكالية الحد من الفقر.

2 ـ الكشف عن العلاقة بين النمو السكاني وإشكالية كفاية وكفاءة الخدمات.

3 ـ الكشف عن العلاقة بين النمو السكاني وتحديات الشراكة المجتمعية.

4 ـ الكشف عن العلاقة بين النمو السكاني وإشكالية الهجرة.

أولا: ـ تحديد مفاهيم الدراسة:

1 ـ مفهوم النمو السكاني:

نستطيع تعريف النمو السكاني في المجتمع بأنه اختلاف حجم السكان في مجتمع ما عبر الفترات الزمنية المختلفة بسبب الزيادة الطبيعية وصافي الهجرة. ونقصد بالزيادة الطبيعية هنا، ذلك الفائض في عدد المواليد بالنسبة للوفيات بين السكان في فترة زمنية معينة(أحمد خليفي، 1991، ص12).

ويقصد بالنمو السكاني أيضا أي اختلافات يطرأ على حجم السكان في المجتمع عبر الفترات المتباينة سواء كان ذلك بالزيادة أو بالنقصان، فالنمو على هذا النحو يعبر عن التغير الذي يطرأ على حجم السكان(خليفة، إبراهيم عبد الرحمن على، 2010، ص143).

2 ـ مفهوم المدن الجديدة:

المدينة من الناحية السوسيولوجية الفنية البحتة عبارة عن فكرة مجردة، ولكن العناصر التي تتكون منها، مثل الإقامة والبناءات الداخلية ووسائل المواصلات...الخ، عبارة عن موجودات مشخصة لها طبائع مختلفة، ولذلك فإن ما يجعل المدينة شيئا محددا هو ذلك التكامل الوظيفي لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية، ومع ذلك لا يكون للمدينة وظيفة واحدة، بل أن البحث قد أثبت أن لها عدة وظائف، وليس معنى هذا أن كل وظائف المدينة توجد في كل المدن بلا استثناء(محمد عاطف غيث، 1995، ص124)، فالمدينة إذا هي تجمع مستمر وبكثافة سكانية في مجال محدد(Raymond Boudon et autre, 1999, p244). وهي غير متجانسة(عبد المنعم شوقي، 1981، ص27). وتتحدد في ظل خصائصها الإحصائية، وكذا تنظيمها الإداري الذي يبرز وظائفها الأساسية في ظل أنشطتها الإقليمية من النقل إلى الخدمات إلى التجارة إلى القوات المسلحة أحيانا وكل ذلك في ظل تمثيلها للانتشار الاجتماعي والثقافي المميز لها وفي النهاية الوظيفة السياسية، هذه المدينة التي تعرضت لعدة تغيرات وتحولات أدت إلى تغيير من شكل

ومضمون المدينة، والصفة الغالبة الآن على المدن، أنها تتطور وتتنامي(تشارلز كوريا، 1999، ص6).

والمدن الجديدة هي مجتمع له مقومات المجتمع القديم من حيث بناء النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اللازمة لبقائه، أنشئ من خلال إرادة سياسية مخططة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية في المحل الأول، وذلك للتغلب على المشاكل التي طرحها المجتمع القديم(مريم أحمد مصطفى وعبد الله محمد عبد الرحمان، 2001، ص50)، ويحددها البعض بكونها المجتمع المحلي الذي يتم إنشائه على أسس تخطيطية متكاملة بما في ذلك النواحي الاجتماعية والفيزيقية والاقتصادية والتنظيمية، ثم تهجير أو نقل الجماعات البشرية المختارة أو غير المختارة لتقطنه وتمارس حياتها المعيشية الكاملة داخله بهدف النهوض بمستوى معيشة تلك الجماعات، وغالبا ما يتم ذلك في إطار خطة تنمية قومية أو إقليمية(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2007، ص252) ويذهب قاموس اللغة الفرنسية إلى تعريفها على أساس كونها مدينة أنجزت بالقرب من أخرى، لأجل الحد من النمو، وتسمح في الوقت ذاته بتوجيه التنمية في إطار الوظائف الاقتصادية والإسكانية(Encarta, 2004) وذلك باعتبارها تجمع بشري ذي طابع حضري ينشأ في موقع خال أو يستند إلى نواة أو عدة نوى سكنية موجودة وهي تشكل مركز توازن اجتماعي واقتصادي وبشري بما يوفر من إمكانيات التشغيل والإسكان والتجهيز(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2002، ص5)، كما تعرف باعتبارها تجمعات سكنية وفي علم الاجتماع الحضري والجغرافيا تنشأ التجمعات السكنية حول مركز موجود من قبل من الناحية التاريخية، وتسمح ظروفه بالتوسع والامتداد(نخبة من الأساتذة، 1975، ص119)، وتعرف كذلك المدن الجديدة بأنها كل تجمع حضري ذو حجم سكاني يتوفر على وظائف إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2006، ص18)، وإن كان يظهر من هذه التعاريف الاتجاه إلى تحقيق أهداف معينة من وراء هذا الإنشاء إلا أنهم يختلفون في طريقة الانتقال لأعمار هذه المدينة الجديدة، وهل هو انتقال طوعي من خلال عملية الجذب التي تمارسها هذه المدينة الجديدة كما يرى المشرع الجزائري أم هو إجباري كما يظهر من سياق كتابات الدكتورة مريم أحمد مصطفى، على أننا في دراستنا هذه سنأخذ بالتعريف الذي جاء به المشرع الجزائري.

فالمدينة الجديدة نمط من الأنماط العمرانية الحضرية نشأ مواكبا لنشأة جغرافية العمران كأحد فروع الجغرافية البشرية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وإذا كانت المدرسة الجغرافية الفرنسية هي المهد الذي نشأت فيه جغرافية العمران الحديثة، فان ظهور المدينة الجديدة فكرا وتطبيقا قد ارتبط بالتجربة العمرانية البريطانية (Hall, P, et al, 1973, p99) فمن المعروف أن المدينة الجديدة كنمط عمراني قد انتشرت على المستوى العالمي منذ خمسينيات القرن العشرين، بعد أن مكثت لفترة من الوقت في المشتل البريطاني فيما بين اختمار فكرة مدن الحدائق في ذهن إبنزر هوراد في نهايات القرن التاسع عشر، وتلك الطفرة من المدن الجديدة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة(أحمد حسن إبراهيم، 1985، ص11).

ويكشف قدامة بن جعفر عن جانب أخر من المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن، والتي تعتبر من سماتها الأساسية فيقول لما كان ما قلنا من أفعال النفس المميزة، وتصاريفها كثيرة مختلفة، وحاجة الإنسان بسببها وبسبب الجسم الذي لم يكن للنفس في هذا العالم بد منه، واسعة منتشرة، وتبعت هذه الأحوال والصناعات والمهن فصارت على حسبها في الكثرة، ولم يكن في وسع إنسان واحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة، وكان لا بد للناس من ضرورة قادتهم الحاجة إلى الترافد، واستعانة بعضهم ببعض ليكمل باجتماع جميعهم، ولم يكن بد ضرورة منه، ... ومن هنا تتنوع الوظائف والمهن التي يقوم بها أشخاص مختلفون فتحدث الكثرة والاجتماع في المدينة، وفيما ذكر قدامة إشارة واضحة إلى أن نشأة المدن مرتبطة بحاجات الإنسان التي تختلف من شخص إلى أخر لاختلاف طبيعة النفوس كما انه يشير إلى تركيب الطبقات الاجتماعية في مجتمع المدينة، وحاجة كل منها إلى الأخرى(محمد عبد الستار عثمان، 1988، ص18).

على أن التعرف على مكونات المدينة، يوضح لنا نقطة التشابه الرئيسية بين كل المدن، والتي من خلالها تأخذ كل الوظائف والأعمال والمشاكل بعين الاعتبار لأنها تحدد لنا المناطق وكيفية معرفتها وبالتالي التعامل معها، وتتكون من العناصر التالية:

-مركز المدينة: منطقة الخدمات الرئيسية الذي يحتوي الأنشطة والمتطلبات المعيشية التي تخدم المدينة.

-المنطقة السكنية: هي الأحياء و المجاورات السكنية بأنواعها المختلفة.

-شبكة المواصلات: وهي الطرق بأنواعها والسكك الحديدية.

-الخدمات العامة: وهي التي لا تتمركز في قلب المدينة كالمستشفيات والمدارس.

-المنطقة الصناعية: وهي التي تحتوي على المصانع والورش الكبيرة.

-المساحات الخضراء والمفتوحة: وتشمل المنتزهات والملاعب(وحيد حلمي حبيب، 1991، ص64).

3 - مفهوم التنمية: عرفت التنمية على عدة أوجه تبعا للزاوية المنظور منها:

التنمية تعني النمو المدروس على أسس علمية والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كان تنمية شاملة ومتكاملة أو تنمية في أحد الميادين الرئيسية مثل الميدان الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الميادين الفرعية، كالتنمية الصناعية أو التنمية الزراعية ...الخ(عبد الهادي الجوهري، 1999، ص69).

ويعرفها عاطف غيث في تقديمه لكتاب علم اجتماع التنمية لمؤلفه نبيل السمالوطي بأنها هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيديولوجية معينة لتحقيق التغيير المستهدف من أجل الانتقال من حالة غير مرغوب فيها، إلى حالة مرغوب الوصول إليها، وهذا يعني أن عملية التنمية تستهدف تغيير أساسيا في البناء الاجتماعي، بما يتضمنه من تنظيمات مختلفة الأهداف وتعديلا في الأدوار والمراكز، وتحريك الإمكانيات الاقتصادية بعد تحديدها وموازنتها إلى جانب العمل على تغيير الموجهات الفكرية والقيمية وبناء القوة، وتلك التي تعوق التجديدات والاهتمامات الجديدة(نبيل السمالوطي، 1981، ص12).

ويذهب محمد شفيق إلى أنها عمليات مخططة وموجهة تحدث تغييرا في المجتمع لتحسين ظروفه وظروف أفراده من خلال مواجهة مشكلات المجتمع وإزالة العقبات وتحقيق الاستغلال الأمثل للإمكانيات والطاقات، بما يحقق التقدم والنمو للمجتمع والرفاهية والسعادة لأفراده(محمد شفيق، 1999، ص17).

كما عرفها عبد الله محمد قسم السيد بأنها ذلك المشروع الذي يؤدي إلى خلق الإنسان الواعي والمبدع الذي يؤثر بصورة فاعلة وفعالة في تحقيق تقدم مجتمعه اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا، بمعنى أخر فالتنمية هي حراك اجتماعي من وضع معين إلى وضع أخر أفضل منه يلقي فيه الفرد كرامته كإنسان وتتوفر فيه كل متطلبات الحياة المادية والمعنوية لتجعل منه إنسانا حرا في تفكيره ومتحررا من كل القيود التي تجعله فردا مكبلا مهمشا لا يعي بما حوله(عبد الله محمد القسم، 1994، ص27).

وعرفها سعد الدين إبراهيم التنمية بأنها انبثاق ونمو كل الإمكانيات والطاقة الكامنة في كيان معين بشكل كامل وشامل ومتوازن سواء كان هذا الكيان هو فرد أو جماعة أو مجتمع(نبيل رمزي، عدلي أبو طاحون، 1992، ص12).

ثانيا: ـ المقاربات النظرية للنمو السكاني.

إن المقاربات النظرية للنمو السكاني تراوحت بين مؤيد ومعارض، بين من يقول بأنه سبب للرفاهية نتيجة لتقسيم العمل والتخصص، وبين من يراه سبب الشقاء والبؤس والتعاسة.

حيث تناول ابن خلدون على سبيل المثال قضية السكان ومزايا النمو السكاني في مقدمته المشهورة، "كما رأى في كتاباته عن(نظرية التغيّر الدوري في حالة السكان) أنّ المجتمعات تمر في مراحل تطورية تؤثّر في زيادة معدلات المواليد وتخفّض معدلات الولادات، مما يؤثّر على نمو السكان الذي يتركّز أساسا في المدن، واعتبر أنّ سكان المدن ذات الحجم الكبير أكثر رفاهية من مثيلتها ذات الحجم السكاني الأقل، والسبب الجوهري وراء ذلك هو تقسيم العمل، ففي المجتمعات السكانية الكبيرة يتم تقسيم العمل بشكل أكثر تخصصا، حيث لكل مدينة سوق للأنواع المختلفة من العمال وكل سوق يستوعب من الإنفاق الكلي ما يتناسب مع حجمه، مما يساعد على استثمار الموارد بفاعلية أكبر، وهذا التخصص في الوظائف يحقق بدوره دخول أعلى للمشتغلين"(سعيد الغانمي، 2006، 133).

ومن الجهة الأخرى فإنّ مقولة مالتوس الرئيسية "الشقاء والبؤس هما نتيجة تكاثر السكان وتزاحمهم على الموارد الغذائية هي أساس سياسته السكانية، والتي تقول بضرورة الحد من التزايد السكاني والتي عكست (هذه النظرية) ما كان سائدا في أوروبا من تغيرات اقتصادية واجتماعية في القرن الثامن عشر"(محمد أمين بيضون، 1998، 294).

ثالثا: ـ النمو السكاني في المجتمع الجزائري.

1 ـ لمحة تاريخية:

ليس لنا إحصائيات دقيقة فيما يخص النمو السكاني إبان الحكم العثماني، ولكن بعد ذلك وفيما وقعت عليه أيدينا فإن المتتبع للمعطيات الإحصائية عن سكان الجزائر منذ بداية الاحتلال 1830

وحتى أول إحصاء للسكان في عهد الاستقلال 1966 يلاحظ أن نمو السكان قد مر بثلاث مراحل متباينة: (محمد السويدي، 1990، ص70)

أ ـ مرحلة الركود والتراجع السكاني:

وتبدأ من بداية فترة الاحتلال لتنتهي سنة 1886، وهي أخطر مرحلة مر بها نمو سكان الجزائر، إذ ظل فيها عدد السكان يتجه نحو التدني باستمرار، فقد أصابت المجاعة والكوليرا سنة 1867 ـ 1868 بشدة إقليم سهول الشلف مبيدة حوالي ثلث الأهالي ولحقت أزمات مماثلة منطقة قسنطينة كذلك، ثم الحروب الاستعمارية والثورات الوطنية التي شهدتها الجزائر ابتداء من سنة 1849 وحتى سنة1881.

ب ـ مرحلة النمو السكاني البطيء:

وتمتد من سنة 1886 وحتى سنة 1921، وهي مرحلة مستقرة دامت 35 سنة، حيث كانت الزيادة الطبيعية فيها تتراوح 0,4 و1,7،بحيث خضع السكان في بداية القرن 20 وحتى الحرب العالمية الأولى إلى نظام ديمغرافي عتيق متميز بوفيات عالية جدا لا تسمح إلا بنمو ديمغرافي بطيء يضمنه الإنجاب الطبيعي، فوفيات ذلك العهد لم تتضح بعد، إلا أن التقديرات متلاقية حول نسبة تتراوح بين 30 و35 بالمئة وقد كان متوسط الحياة مقاربا لثلاثين سنة، وشهدت الوفيات تذبذبات هامة بين هذه السنوات ناجمة عن الانتشار الشائع لأوبئة فتاكة منجرة عن تأثيرات الأزمات الغذائية الخطيرة(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص235).

ج ـ مرحلة الإنفجار السكاني:

وتبدأ من سنة 1921 لتستمر حتى يومنا هذا، حيث عرف سكان الجزائر عامة نموا ديمغرافيا ملحوظا منذ مطلع القرن 20 وبصورة خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية(عبد الحميد دليمي، 2004، ص85)، على أنه تواصل النمو الديمغرافي بعد ذلك بوتيرة متسارعة نتيجة لتحسن ظروف الحياة بعد ذلك حيث قدر تعداد السكان في الجزائر لسنة81 بواحد وعشرين مليون ساكن وهذا عند إجراء تعداد 1977، وان التزايد السكاني ملفت للانتباه إذ أن تواصله بمثل النسق قد يرفع عدد السكان في الجزائر إلى أكثر من 57 مليون ساكن سنة 2020(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص243).

وتفرض هذه الزيادة الكثيفة التفكير في تلبية الحاجيات المتعلقة بالمجال وبالسكن وبالتجهيزات الجماعية الإجتماعية الإقتصادية والثقافية والدينية والترفيهية والتفكير في كيفية إستعمالها وما هي الفترة التي تنحط فيها، وإذا بقيت وتيرة النمو الديمغرافي على هذا المستوى فمما لا شك فيه أن التجهيزات الجماعية الحالية يزيد عليها الطلب وتصبح غير قادرة على تلبية حاجات الأفراد والجماعات وأن إستغلالها بشكل مكثف على المدى، وبنفس الضغط تبدأ الأرض الصالحة للبناء بالمدن تسير نحو النقصان بينما الإنفجار السكاني يتزايد يوما بعد يوم، الطويل يؤدي بها إلى الإنحطاط والتخريب(عبد الحميد دليمي، 2004، ص65).

2. أسبابه:

يرجع النمو السكاني في الجزائر إلى الزيادة الطبيعية في عدد السكان، أي الفرق بين عدد المواليد والوفيات وكذا عامل الهجرة، والتحضر، كما ترجع الزيادة في عدد المواليد كذلك إلى

العقائد والمعتقدات الخاصة بإنجاب الذكور والإناث وإلى العزوة وضمان الحماية، كما يمكن أن تكون بسبب ضمان عدم زواج الرجل مرة أخرى(حسين عبد الحميد احمد رشوان، 2004، ص84)، وتعتبر المواليد والوفيات من أهم العوامل الموثرة في التغيرات السكانية وعلى أساسها تقاس الحاجات المستقبلية للسكان الخاصة بالسكن والعمل والترفيه والمواصلات(عبد الحميد دليمي، 2004، ص86)، والدول الصناعية اليوم تمارس ما يطلق عليه علماء الديموغرافيا التحول الديموغرافي ويعنون به التحرك من معدلات خصوبة عالية إلى معدلات منخفضة في الوفيات وفي الخصوبة(سناء الخولي، 2003، ص224)، وذلك راجع إلى كون انه وبعد تحسن الرعاية الصحية تقلصت نسبة الوفيات فزادت نسبة النمو السكاني مما حدا بهذه الدول إلى إقرار سياسة الحد من عدد المواليد في محاولة إلى تثبيت نسبة النمو في مستويات منخفضة.

والملاحظ لإحصاءات المواليد والوفيات لسكان المدن يعرف أن عدد المواليد في زيادة دائمة وانتقل من 16.480 سنة 1977 إلى 22.599 سنة 1999 وبالمقابل توضح الأرقام والمعطيات أن معدل الوفيات في إنخفاض مستمر بحيث كان مجمل الوفيات الأطفال سنة 1977 هو 80427 وعاد في سنة 1988 إلى 14043 ولعل هذا يرجع أساسا إلى التحسن المستمر في الظروف المعيشية والاقتصادية وإلى تطور عملية التلقيح والوقاية الصحية والعناية بالطفل والأمومة(عبد الحميد دليمي، 2004، ص87).

أــ عامل الخصوبة:

إن متوسط الخلفة لإمرأة تزوجت في سن 15 وبقيت كذلك إلى سن 50 كان قد بلغ سنة 1977 نسبة 10,65 أطفال ويتأكد التطور الذي قد يبلغ في الجزائر سنة 1980 معدل 7,4 أطفال لكل إمرأة، والجزائر لا تزال تبدي كل العلامات الخاصة بنظام الإنجاب الطبيعي، فمتوسط الخلفة كما مر معنا سابقا لا يزال كبيرا ضف إلى ذلك رفض القادة توخي سياسة إرادية لتحديد الولادات ذلك الموقف الذي عبر عنه الرئيس هواري بومدين سنة 1969(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص222)

فالمتغير الأساسي هو مدة الزواج والتي هي بدورها محددة خاصة بالسن عند الزواج، ففي سنة 1970 كانت المرأة التي يتراوح عمرها بين45 و49 سنة والتي تزوجت في سن 17 سنة قد أنجبت بمعدل 9,2 مواليد أحياء في حين لم تنجب إمرأة من نفس الفئة تزوجت في سن 25 سنة سوى 5 أطفال(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص222).

ب ـ عامل الهجرة:

حيث باتت حصيلة الهجرة أكثر مما هي حصيلة النمو الطبيعي، وهي أسرع بكثير من ظاهرة توفير التجهيزات الجماعية الضرورية لأهل المدن (عبد الحميد دليمي، 2004، ص97)، فالهجرة من الريف إلى المدينة تعد أحد العوامل الهامة والمؤثرة في توزيع السكان شانها في ذلك شان النمو الديمغرافي وهي ليست ظاهرة جديدة وهي متواصلة كذلك بطريقة سريعة، وترجع بالأساس إلى:

-الأوضاع الاقتصادية الصعبة، فمعظم العمال في الريف موسميين ومن ثم فالرغبة في منصب عمل دائم هي الشغل الشاغل للمهاجرين وخاصة الشباب منهم، بالإضافة إلى الأجر المرتفع في المدينة بسبب تحسن ظروف العمل من جهة والى التشريعات العمالية من جهة أخرى.
-ضعف الخدمات الصحية والتعليمية والمواصلات... الخ، وإنعدامها في بعض الأحيان بالإضافة إلى الغياب المتكرر للقائمين عليها بسبب بعد المسافة وقلة المواصلات.
-تحسين مستوى المعيشة، بسبب تنظيم المدن وتنسيق الخدمات بالإضافة إلى إستئثار المدن بالخدمات وخاصة الجامعات والمدارس.

على أن النازحون إلى المدن أقاموا في عدة مناطق بعضها في وسط المدينة والأخرى كونت حزاما حولها، لقد إختار النازحون الأماكن الصعبة والتي ليست لها أهمية عند السلطات المحلية(عبد الحميد دليمي، 2004، ص98)، ونحن هنا نتكلم عن الهجرة الداخلية باعتبارها لها علاقة بزيادة عدد السكان في المدن على عكس الهجرة الخارجية التي تؤدي إلى خفضها، وعموما فان الهجرة الريفية الحضرية تلعب دور كبير في المجتمعات النامية ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن سكان الريف يزدادون نموا لدرجة أن هؤلاء السكان ستقابلهم منافسة شديدة على العمل إذا ما ظلوا ومكثوا في مجتمعهم الريفي الفقير(سناء الخولي، 2003، ص234).

ج ـ عامل التحضر:

تعبر الهجرات السكانية عن التغيرات التي تلحق بتنظيم المجتمع والمجال وبسيريهما، فالتحضر المتسارع زمانيا ومجاليا وتوسيع مجال تدخل الدولة وخلق أقطاب استثمار جديدة والتحولات الإجتماعية، أي بإختصار التشعب المتزايد لأنماط التنظيم المجالي تخلق كلها ظروف الإفصاح عن أشكال جديدة من تحر كية السكان(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص294)، لذا فإن أغلب المهاجرين ذوي أصل ريفي سواء كانوا فلاحين بدون أرض أو مستغلين لا تتوفر لديهم إمكانية الإدخار ولا الوسائل المالية والتقنية السامحة بإحياء أمثل للثروة ينصبون في الوسط الحضري بدون ضمانات النجاح (التأهيل والموارد النقدية ومعرفة طرق سير المدينة والعلاقات المجتمعية) الكفيلة بإدماجهم في القطاعات العصرية، فهم لذلك يلاقون صعوبات خطيرة في الإندماج الإجتماعي والمجالي، وينتج عن ذلك حينئذ مساهمتهم المكثفة في الأشغال الوقتية أو غير المنتظمة وفي الأشغال التي لا تتطلب سوى تأهيل ضعيف ولا توفر إلا أجرا زهيدا(جان فرانسو تراون وآخرون، 1997، ص310).

رابعا: النمو السكاني والتحديات المجتمعية.

1 ـ النمو السكاني وإشكالية الحد من الفقر:

تعد المدن الجديدة مجتمعات، أنشئت "من خلال إرادة سياسية مخططة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية في المحل الأول"(مريم أحمد مصطفى وعبد الله محمد عبد الرحمان، 2001، ص50)، وبهدف النهوض بمستوى معيشة تلك الجماعات، وغالبا ما يتم ذلك في إطار خطة تنمية قومية أو إقليمية(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2007، ص252)، وهو ما يسمح بتوجيه التنمية في إطار الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والإسكانية. فالمدن الجديدة هي "نمط من الأنماط

العمرانية الحضرية التي ارتبطت بالتجربة العمرانية البريطانية"(Hall, P, et al, 1973, p99).

ويكشف قدامة بن جعفر عن جانب أخر من المعايير التي تبين السبب في نشأة المدن، والتي تعتبر من سماتها الأساسية فيقول لما كان ما قلنا من أفعال النفس المميزة، وتصاريفها كثيرة مختلفة، وحاجة الإنسان بسببها وبسبب الجسم الذي لم يكن للنفس في هذا العالم بد منه، واسعة منتشرة، وتبعت هذه الأحوال والصناعات والمهن فصارت على حسبها في الكثرة، ولم يكن في وسع إنسان واحد استيعاب جميع الصناعات المتفرقة، وكان لا بد للناس من ضرورة قادتهم الحاجة إلى الترافد، واستعانة بعضهم ببعض ليكمل باجتماع جميعهم، ولم يكن بد ضرورة منه، ... ومن هنا تتنوع الوظائف والمهن التي يقوم بها أشخاص مختلفون فتحدث الكثرة والاجتماع في المدينة، وفيما ذكر قدامة إشارة واضحة إلى أن نشأة المدن مرتبطة بحاجات الإنسان التي تختلف من شخص إلى أخر لاختلاف طبيعة النفوس كما أنه يشير إلى تركيب الطبقات الاجتماعية في مجتمع المدينة، وحاجة كل منها إلى الأخرى(محمد عبد الستار عثمان، 1988، ص18)، وإذا كانت أهداف المدن الجديدة في بريطانيا تتمثل في: حل مشكلة الإسكان وإعادة توزيع السكان، وفي محاولة تخفيف حدة الفقر الحضري بإيجاد فرص عمل جديدة، مما يعنى الإرادة المسبقة فيما يتعلق بنشأة هذه المدن، وهي الأهداف ذاتها من عملية إنشاء المدن الجديدة في كل من مصر وفرنسا على سبيل المثال(Hansen, N, M., 1972, P116)، فإنها في الجزائر تعد كذلك حلا لمشكلة الإسكان، وإعادة توزيع السكان، وهي أيضا محاولة لتخفيف حدة الفقر، إذ "تشكل مركز توازن اجتماعي واقتصادي وبشري بما يوفر من إمكانيات التشغيل والإسكان والتجهيز"(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2002، ص5).

ومع أن العديد من البلدان إنخفض فيها الفقر والمرض وارتفع عدد الأطفال في المدارس، أكثر من أي وقت مضى، ومن بينها الجزائر، ومدينة قسنطينة على وجه الخصوص، إلا أن نسبة كبيرة من الفقراء المتبقيين يعيشون في فقر مدقع بمستوى دخل أقل بكثير من خط الفقر، ولذا يتعين على البرامج الحكومية التركيز بشكل أكثر مباشرة على الأفراد المهمشين الذين يعيشون في فقر مدقع.

2 ـ النمو السكاني وإشكالية كفاية وكفاءة الخدمات:

يعد بناء المجتمعات المحلية المستحدثة، هو أحد الحلول المتبناة، من أجل مراعاة تكامل الخدمات واستكمالها قبل انتقال السكان إليها، وهي أمر ضروري من أجل بناء الإنسان المنتج، فتجربة المدن الجديدة بالجزائر ارتبطت ارتباطا وثيقا "بأهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية، وعكست التغير المستمر في الأولويات المرتبطة بمراحل التنمية، إذ أن إنشاء المدن الجديدة في الجزائر وتهيئتها يندرج ضمن السياسة الوطنية الرامية إلى تهيئة الإقليم وتنميته تنمية مستدامة وذلك من أجل إعادة توازن البيئة العمرانية من جهة وإعادة توزيع السكان من جهة ثانية مع مراعاة الخصوصيات الثقافية والاجتماعية لكل منطقة"(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2002، ص5).

ذلك أن الهدف من إنشاء المدن الجديدة هو الوصول إلى مستوى اجتماعي واقتصادي وثقافي يمكن من التغلب على المشاكل التي طرحها الواقع في المدن القديمة، فالمدن الجديدة لا ينبغي أن تكون ذات طابع سكني فحسب، لأن المدن الجديدة تقام أساسا لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية معينة، وثانيا ضمان تكامل الخدمات واستكمالها قبل البدء في عملية التهجير والتوطين، مع مراعاة أن يكون الاهتمام المتوازي والمتكامل بكافة أنواع الخدمات لضمان فعاليتها(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2007، ص253-254).

إذ أن هذه المدن تستطيع أن تلعب دورا هاما في تقليل الفوارق الإقليمية داخل الدولة الواحدة والمدينة الواحدة حيث تمثل أقطاب نمو في الأقاليم التي تتواجد بها، إلى جانب كونها تساعد على الحد من مشاكل التحضر والمتمثلة في العديد من الاختناقات في أوجه الحياة مثل اختناقات المرور والمرافق، المواصلات والإسكان(مصطفى عمر حمادة، 1998، ص189).

3 ـ النمو السكاني وتحديات الشراكة المجتمعية:

من أجل دفع عجلة التنمية أثناء التحول السكاني، فإن جزء كبيرا من هذا الجهد يقع على عاتق القيادات ووسائط التغيير، وقدرتهم على عملية التوجيه والتوعية والإقناع الأمر الذي يتطلب الدقة في اختيار القيادات المحلية الواعية المؤثرة والمدربة، وذلك نظرا لما لها من قدر لا يستهان به في عمليات التغيير ودفع المشاركة الايجابية الفعالة في الانجاز، ذلك أن "نجاح المدن الجديدة مرتبط بتحقيق التوازن الاجتماعي بين الجماعات بعضها ببعض وبين التنظيمات المختلفة داخل المجتمع. وبما يبرز أهمية التوازن الاجتماعي كأساس من أسس تكوينه"(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2007، ص253،254)، إذ أن المشاركة الاجتماعية للأفراد والجماعات تقلل من العزلة وتزيد من التفاعلات فيما بينهم وتسهم في تنمية المجتمع من خلال تحديد الأولويات وتنفيذ البرامج.(حسين سليمان وآخرون، 2005، ص430)، ولذلك يجب أن تكون تنمية المجتمعات المحلية المستحدثة عملا جماعيا تعاونيا ديمقراطيا يشجع على مشاركة المواطنين، ويستثير هذه المشاركة وينظمها لتحقيق وإحداث التغير الاجتماعي المرغوب، والعمل على تحسين مستوى معيشة سكان المجتمع اجتماعيا واقتصاديا، وتتطلب عملية مواجهة مشكلات المجتمع المستحدث وتنميته ضرورة الاعتماد على الجهود الذاتية والإمكانيات والموارد المتاحة، والسعي نحو تنمية هذه الموارد والإمكانيات وحسن استثمارها(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2007، ص258).

وعلى هذا يستلزم تنمية المجتمع المحلي المستحدث مراعاة حق سكان هذه المجتمعات في تقرير مصيرهم وصنع قراراتهم بأنفسهم، ومراعاة تحقيق ما يلي: تنمية الشعور بالولاء والانتماء، بالمسؤولية الاجتماعية تجاه مشكلات مجتمعهم المستحدث، وهو الأمر الذي لا يزال غائبا في ثقافة مجتمعاتنا العربية، ويحتاج إلى المزيد من الجهود والتوعية للنهوض به.

4 ـ النمو السكاني وإشكالية الهجرة:

تشهد العديد من المجتمعات المعاصرة حركة تحول سكاني، وسواء هاجر الناس بعد ذلك من أجل البحث عن مزيد من الفرص في الحياة أو لمجرد التمتع بحياة أكثر أمانا، فإن الهجرة ـ بالإضافة إلى الخصوبة والوفيات ـ عامل هام في هذا التحول السكاني، فبجانب تدفق رأس المال

والتجارة، تمثل الهجرة أيضا قناة رئيسية يجوز من خلالها تحقيق منافع متبادلة استجابة لإتجاهات التركيبات السكانية المتنوعة عبر البلدان المختلفة.

فمن خلال السياسات المناسبة بإمكان التحول السكاني أن يساهم في حركة إنهاء حالة الفقر المدقع وتعزيز الرخاء المشترك وإنجاز أهداف التنمية المستدامة، وفي الجزائر تعد الهجرة بنوعيها الداخلية والخارجية إحدى العوامل الثانوية المؤشرة في الزيادة السكانية وتوزيعها، ولا ريب أن عامل الجذب الاقتصادي والعائد للفروق في مستويات الأجور قد لعبت الدور الأساسي كأحد المحددات الحاسمة لموجات الهجرة هذه.

وفي هذا الإطار يشير توفيق بيضون إلى أن "التيار المتدفق لليد العاملة أفرز عن خمس فئات للدول العربية هي(توفيق بيضون، 1984، ص126):

-البلدان المصدرة للعمالة الماهرة والمتخصصة بصف رئيسية وعلى نطاق واسع وتضم كل من لبنان، مصر، الأردن، والسودان.

-البلدان المصدرة للعمالة غير الماهرة وتضم اليمن.

-البلدان المصدرة للعمالة الماهرة وغير ماهرة وتضم الجزائر والمغرب خصوصا اتجاه أوروبا.

-البلدان المستوردة للعمالة خاصة الماهرة كالإمارات، قطر، الكويت، السعودية وليبيا.

-البلدان ذات الاكتفاء الذاتي لا تصدر وتستورد العمالة على نطاق واسع كسوريا والعراق وتونس كما أسهم تدفق الريفيين المستمر للمدن إلى عدة سلبيات كعرقلة القطاع الزراعي وعجز المدن على استيعاب الأعداد الهائلة للمهاجرين إليها مما خلق ما يسمى بـ "ترييف المدن"(عبد علي الخفاف، 1998، ص123).

خاتمة:

بالرغم من التقدم المعتبر الملاحظ في مجال التنمية خلال الفترة السابقة في الجزائر، والذي أسهم في تحقيق مكاسب تنموية عديدة، أدت إلى تحسين الظروف المعيشية للفقراء عموما، ومن ضمنهم فقراء أحياء الصفيح والأحياء الهشة المرحلين حديثا، تظل هناك أعمالا هامة يتعين إجراءها، وسط توقعات يغلب عليها عدم اليقين، خاصة في ظل المشكلات التي أفرزتها المدن الجديدة.

وفي مقدمتها عدم تجانس تركيبية السكان المرحلين، وكل هذا في ضوء رغبتهم في المحافظة على القديم، وغياب روح الإبتكار، هذا من جهة، ومن جهة ثانية عزلة الأفراد، والجماعات وعدم مشاركتها، ذلك أن المشاركة الاجتماعية للأفراد والجماعات تقلل من العزلة وتزيد من التفاعلات فيما بينهم وتسهم في تنمية المجتمع.

وثالثا هناك مشكلة ازدحام المدن الجديدة واكتظاظها، إضافة البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة، وإكتظاظ المساكن وعدم صلاحيتها وإرتفاع معدل شغلها.

وهناك رابعا إنخفاض مستوى الخدمات وعدم كفايتها بصفة عامة، وخاصة منها الخدمات التعليمية والصحية والمواصلات ومن ثم العجز عن الإيفاء بمستلزمات السكان نتيجة الطلب المتزايد عليها.

وأخيرا يمكن ملاحظة التزاحم السكاني وما يترتب عليه من مشكلات الانحراف والجريمة، بحيث زادة معدلات الجريمة نتيجة لسوء التكيف والإحباط الذي يتعرض له المرحلون أنفسهم.

ولكن ما يطرح التساؤل أكثر هو رغبة الكثير من قاطني أحياء المدن الجديدة، وخاصة من فئة الشباب في الهجرة إلى الضفة الأخرى بحثا عن غدا أفضل.

قائمة المراجع:

1. أحمد حسن إبراهيم(1985)، المدن الجديدة بين النظرية والتطبيق، جامعة الكويت، الكويت.
2. أحمد خليفي(1991)، السياسات السكانية والتحول الديموغرافي في العالم الثالث، دراسة نموذج الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية.
3. تشارلز كوريا(1999)، الشكل الجديد لمدن العالم الثالث، محمد بن حسين إبراهيم، جامعة الملك سعود، الرياض.
4. تقرير الرصد العالمي(2016/2015)، الأهداف الإنمائية في عصر التحول السكاني، نظرة عامة، إصدار مشترك من مجموعة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.
5. توفيق بيضون(1984)، اقتصاديات البلدان العربية، بحث لأهم الخصائص البنيوية الاجتماعية والاقتصادية، ج1، بيروت.
6. جان فرانسو تراون وآخرون(1997)، المغرب العربي الإنسان والمجال، تعريب علي التومي وآخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
7. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، المادة:4، ع15، القانون رقم 06/06 المؤرخ في 20 فبراير 2006، القانون التوجيهي للمدينة.
8. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، قوانين خاصة بالتعمير، ع34، المؤرخ في 14ماي 2002.
9. حسين حسن سليمان وآخرون(2005)، الممارسة العامة في الخدمة الإجتماعية، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
10. حسين عبد الحميد أحمد رشوان(2004)، مشكلات المدينة دراسة في علم الإجتماع الحضري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية.
11. خليفة إبراهيم عبد الرحمن علي(2010)، المدخل إلى علم الاجتماع والمجتمع المدني، كلية الزراعة، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.
12. سعيد الغانمي(2006)، ابن خلدون، العصبية والحكمة، قراءة في فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن.
13. سناء الخولي(2003)، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
14. عبد الحميد دليمي(2004)، الواقع والظواهر الحضرية، منشورات جامعة منتوري قسنطينة.
15. عبد الله محمد القسم(1994)، التنمية في الوطن العربي، ط1، دار الكتاب الحديث، سرت، ليبيا.
16. عبد المنعم شوقي(1981)، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، ط7، دار النهضة العربية، بيروت.
17. عبد الهادي الجوهري(1999)، معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
18. عبد علي الخفاف(1998)، واقع السكان في الوطن العربي، دار الشروق، الأردن.
19. محمد السويدي(1990)، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

20. محمد أمين بيضون(1998)، الاقتصاد السياسي وقضايا العالم الثالث في ظل النظام العالمي الجديد، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، لبنان.
21. محمد شفيق(1999)، التنمية الاجتماعية، دراسات في قضايا التنمية ومشكلات المجتمع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
22. محمد عاطف غيث(1995)، علم الاجتماع الحضري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
23. محمد عبد الستار عثمان(1988)، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت.
24. محمد عبد الفتاح محمد عبد الله(2007)، ممارسة الخدمة الاجتماعية التنموية (في المجتمعات المحلية التقليدية والمستحدثة)، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
25. مريم أحمد مصطفى وعبد الله محمد عبد الرحمان(2001)، علم اجتماع المجتمعات الجديدة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
26. مصطفى عمر حمادة(1998)، السكان وتنمية المجتمعات الجديدة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
27. نبيل السمالوطي(1981)، علم اجتماع التنمية، دراسات في اجتماعات العالم الثالث، دار النهضة العربية، الإسكندرية.
28. نبيل رمزي، عدلي أبو طاحون(1992)، التنمية كيف؟ ولماذا؟ دار الفكر الجامعية، الإسكندرية.
29. نخبة من الأساتذة(1975)، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
30. وحيد حلمي حبيب(1991)، تخطيط المدن الجديدة، دار ومكتبة المهندسين، القاهرة.
31. Dictionnaire de la langue française(2004), Collection Microsoft encarta.
32. Hall, P, et al. (1973), the Containment of urban England, vol. one, George Allen & Unwin, London.
33. Hansen, N., M.,(1972), Growth Centers Policy in The United States, in: Hansen N., M., ed. Growth Centers in Regional Economic Development, The Free Press, New
34. York.Raymond Boudon et autre,(1999) , Dictionnaire de Sociologie, Larousse, paris.

التعليم الإلكتروني كبديل للتعليم التقليدي

E-learning as an alternative to traditional education

د.هلايلي يسمينة، جامعة باتنة 1-الجزائر.

ملخص: تسعى الدول والنظم التربوية والتعليمية في مختلف أنحاء العالم إلى تحديث أساليبها وطرائق تدريسها وتغير مناهجها ومعارفها لتنمية أفراد مجتمعها والعمل على إيصال المعلومة للمتعلمين بأسرع وقت واقل كلفة وبصوره تمكن من إدارة العملية التعليمية وقياس وتقييم أداء المتعلمين، وهذا لا يتأتى إلا عن طريق التعليم الالكتروني الذي يعتبر طريقة للتعلم بإستخدام آليات الإتصال الحديثة كالحاسوب والشبكات والوسائط المتعدده ،حيث بدأ الإقبال يتزايد عليه بشكل كبير، فهو لم يعد فكرة أو خيارًا، بقدر ما أصبح واقعاً معاشاً بكل أنماطه في العديد من أنظمة التعليم، ولعل هذا البحث يوضح الكثير عن ماهية التعليم الإلكتروني والأدوات اللازمة له كذلك توضيح الفرق بينه وبين التعليم التقليدي مع ضرورة إبراز الدور الفعال للمعلم وآلية الإنتقال تطبيق هذا النوع من التعليم ثم ذكر مزاياه وأوجه القصور فيه.

الكلمات المفتاحية: التقدم التكنولوجي، التعليم التقليدي، التعليم .

Abstract: States and educational systems around the world seek to modernize their methods and methods of teaching and change their curricula and knowledge to develop the members of their society and to work to deliver information to learners as soon as possible and in a less cost and in a way that manages the educational process and to measure and evaluate the performance of learners, Is a method of learning using modern communication mechanisms such as computers, networks and multimedia, where the turnout is increasing dramatically, it is no longer an idea or an option, as it became a reality in all types of pensions in many systems of education, perhaps this To search shows a lot about what e-learning and the necessary tools as well as to clarify the difference between him and traditional education with the need to highlight the active role of the teacher and the transition to apply this type of education mechanism then mentioned advantages and aspects of e Algosorvih. And

Keywords: technological progress, traditional education, e-learning.

مقدمة:

انطلقت صيحة عالمية تسمى بالتعليم الإلكتروني هدفت إلى استخدام الأدوات والوسائل التكنولوجية بكل أنواعها في تحقيق التفاعل والتواصل بين المتعلمين وبين المتعلم والمعلم، وإلى توصيل المعلومات المعلومات والمحتوى التعليمي للمتعلم في أقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة، وهو ما يتماشى مع متطلبات عصر المعلومات، حيث تغيرت أهداف التربية ولم تعد مقصورة على تحصيل المعرفة، بل تمتد إلى تنمية قدرة المتعلم على الوصول لمصادر المعرفة وتوظيفها(شحاتة حسن، 2009، ص69).

تشترك أدبيات تكنولوجيا التعليم والتعليم الإلكتروني في الاتفاق على حداثة هذا النوع من التعليم، وأنه خلال الخمسين سنة الماضية بدأت معالم التعليم الإلكتروني في الظهور، لكنها تختلف في تحديد التاريخ الأول لظهوره، فمنهم من يرى أنها في الستينات الميلادية (الفار ابراهيم، 2003، ص10).

ويلخص سالم (2004) الوقفات التاريخية للتعليم الإلكتروني منذ عام 1984 وما بعده، والتي قسمها لثلاث فترات زمنية جاءت كالتالي:

1984-1993: وهي فترة ظهور نظام تشغيل الوندوز والماكنتوش وبداية استخدام الأقراص الممغنطة كأدوات رئيسة في تطور التعليم.

1993-2000: منذ البدء في استخدام الشبكة الدولية للمعلومات" الانترنت "من خلال المحركات البحثية والوصول للمواقع، وكذلك ظهور عملية التواصل الالكتروني، والتي قدمت خد مات متقدمة وظهور العديد من البرامج الالكترونية، وعروض متطورة لأفلام E-mail كالبريد الإلكتروني الفيديو حيث بدأت الأرض الخصبة للوسائط المتعددة.

20012 إلى وقتنا الحاضر: خدمات شبكة الانترنت بدأت تأخذ أشكالاً جديدة من حيث تصميم المواقع والسلاسة والسرعة في نقل الملفات بشتى أنواعها النصية، المرئية، والمسموعة، وظهور الكتاب في الصيغة الالكترونية وسهولة التواصل والحوار من خلال برامج المحادثة مما يعني أن أطراف عملية التعلم سيحظون بهذه الخدمات ويجعل من عمليتي التعليم والتعلم ذات آفاق واسعة وجديدة(سالم أحمد، 2004، ص291).

وأصبح للتقدم في تكنولوجيا التعليم تأثيرا إيجابيا في تحقيق التواصل الفعال بين المعلم والمتعلم، فقد يسر للمعلم سبلا عديدة لتوصيل المعلومات والمهارات بأساليب متنوعة تثرى عملية التعلم وتزيد من فاعليتها.

وللانترنت وما تقدمه من خدمات جزء من حياة المجتمعات العصرية، وأخذت تقنياتها المبنية على الحواسيب والشبكات تغزو كل مرافق الحياة فاستطاعت أن تغير وجه الحياة المختلفة بتوفيرها إمكانيات التواصل المستمر وبشكل تفاعلي بين مختلف شرائح المجتمعات المختلفة .
فكان لزاما على كل مجتمع يريد اللحاق بالركب المعلوماتي أن يعلم أجياله تقنيات الحاسوب ويؤهلهم لمواجهة التغييرات المتسارعة في هذا العصر.

أصبح من الضروري على النظام التربوي مواكبة هذه التغيرات لمواجهة المشكلات التي قد تنجم عنها ككثرة المعلومات وزيادة عدد المتعلمين ونقص المعلمين و بعد المسافات، وأدت

بدورها إلى ظهور أنماط و طرائق عديدة للتعليم والتعلم، جعلت من العالم قرية صغيرة مما أدى إلى زيادة الحاجة إلى تبادل الخبرات مع الآخرين، وحاجة المتعلم لبيئات غنية متعددة المصادر للبحث والتطوير الذاتي، فظهرت الكثير من الأساليب والطرائق والوسائل الجديدة في التعليم والتعلم، ومن ذلك ظهور التعليم الالكتروني الذي يعد طريقة للتعلم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسوب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات وآليات بحث ومكتبات الكترونية، وكذلك بوابات الانترنت سواء كان عن بعد أو خلال الفصل الدراسي، أي استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد.

مشكلة البحث:

من أبرز ثمار التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يشهده مجال التعليم ظهور نمط التعلّم الإلكتروني والذي فرض بالتالي واقعا تعليميا وتربويا جديدا على المؤسسات التعليمية للوصول إلى اقتصاد المعرفة. ويذكر(الفيومي، 2003، ص1).

وقد أوجد التقدم التكنولوجي واستخدام الإنترنت تحديات لنمط التعليم التقليدي المتمركز على الإلقاء. ويرى (Mills, et. al. 2009) أن التعليم التقليدي وجها لوجه والتفاعل الصفي من خلاله يساعد كثيرا في تكوين وحفظ شعور المعلم بهويته كخبير في التدريس. إن هذا الإطار التقليدي يلبي حاجات أعضاء هيئة التدريس أكثر من كونه يلبي حاجات الطلبة.

إن التعليم الالكتروني هو أسلوب من أساليب التعليم في إيصال المعلومة للمتعلم ويتم فيه استخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسوميات وآليات بحث ومكتبات إلكترونية وكذلك بوابات الإنترنت ،سواء كان عن بعد أو في الفصل الدراسي، ويجمع العلماء المختصين على أن ثورة المعلومات التي ترجمت فيما يسمى بالإنترنت يعد أهم انجاز تكنولوجي تحقق، حيث استطاع الإنسان أن يلغي المسافات ويختصر الزمن ويجعل من العالم أشبه بشاشة إلكترونية صغيرة في عصر الامتزاج بين تكنولوجيا الإعلام والمعلومات والثقافة والتكنولوجيا وأصبح الاتصال إلكترونيا وتبادل الأخبار والمعلومات بين شبكات الحواسيب حقائق ملموسة مما أتاح سرعة الوصول إلى مراكز العلم والمعرفة والمكتبات والاطلاع على الجديد لحظة بلحظة.

وتحاول الدراسة الحالية توضيح ذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

السؤال الأول: ما هو التعليم الإلكتروني و أنواعه ؟ ماهي الأدوات اللازمة له؟

السؤال الثاني: ما هي متطلبات الانتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني؟ وما الفرق بينهما؟

السؤال الثالث: ما هو دور المعلم و آلية تطبيق التعليم الإلكتروني؟ ماهي مزايا وأوجه القصور فيه؟

أولا. ماهية التعليم الإلكتروني.

1-تعريف التعليم الإلكتروني:

يعتبر التعليم الإلكتروني منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية أو التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وفي أي مكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية مثل (الإنترنت، القنوات المحلية، البريد الإلكتروني، الأقراص الممغنطة، أجهزة الحاسوب.. الخ)

لتوفير بيئة تعليمية تعلمية تفاعلية متعددة المصادر بطريقة متزامنة في الفصل الدراسي أو غير متزامنة عن بعد دون الالتزام بمكان محدد اعتماداً على التعلم الذاتي والتفاعل بين المتعلم والمعلم.

لقد عرفه زيتون (2005) بأنه تقديم محتوى تعليمي (إلكتروني) عبر الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى ومع المعلم ومع أقرانه سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أم غير متزامنة وكذا إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان وبالسرعة التي تناسب ظروفه وقدراته، فضلاً عن إمكانية إدارة هذا التعلم أيضاً من خلال تلك الوسائط(زيتون، 2005، ص24).

ويعرفه الموسى والمبارك بأنه ذلك النوع من التعليم الذي يعتمد على استخدام الوسائط الالكترونية في الاتصال بين المعلمين والمتعلمين وبين المتعلمين والمؤسسة التعليمية برمتها، إذا التعليم الالكتروني هو نظام معلومات معد لأغراض تعليمية تعلمية مبني على تقنيات الاتصال والشبكات وتقنيات الخزن والاسترجاع (الحاسب الآلي) ويلغي حدود وحدتي الزمان والمكان من شروط الاتصال في العملية التعليمية(الموسى والمبارك، 2005، ص113).

كما عرفه زين الدين(2006) بأنه تقديم المعلومات والمعارف إلى المتعلم عبر جميع الوسائط الإلكترونية متضمنا شبكة والأقمار الصناعية وأشرطة الفيديو التعليمية وكذلك عبر التلفزيون، واستخدام الكمبيوتر التعليمي وأقراص الليزر.CD

مما تقدم يتضح أن التعليم الالكتروني طريقة إبداعيه لتقديم بيئة تفاعليه متمركزة حول المتعلمين، ومصممه مسبقا بشكل جيد، وميسر لأي فرد وفي أي مكان وأي وقت باستعمال خصائص، ومصادر الانترنت، والتقنيات الرقمية، بالتطابق مع مبادئ التصميم التعليمي المناسبة لبيئة التعليم المفتوحة، المرنة والموزعة(الخان، 2005، ص18).

إن التعليم الإلكتروني إذن نوع من التعليم الافتراضي بوسائله، الواقعي بنتائجه، ويرتبط هذا النوع بالوسائل الالكترونية وشبكات المعلومات والاتصالات، التي أصبحت وسيطا فاعلا للتعليم الالكتروني، ويتم التعليم عن طريق الاتصال والتواصل بين المعلم والمتعلم وعن طريق التفاعل بين المتعلم ووسائل التعليم الالكترونية الأخرى كالدروس الالكترونية والمكتبة الالكترونية والكتاب الالكتروني وغيرها.

2. أنواع التعليم الالكتروني:

تعددت المصطلحات والمفاهيم حول دمج تقنية الحواسيب والاتصالات في العملية التعليمية ، ولكن مجمل هذه المفاهيم يصب في التعليم الإلكتروني ، ويمكن تقسيم أنواع التعليم الإلكتروني إلى:

2-1-التعليم الالكتروني المباشر المتزامن(synchronous e-learning)

المعلم والمتعلم يتواجدان في الوقت نفسه ويتواصلان مباشر، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا التواجد فيزيائيًا، مثل المحادثة الفورية ، أو تلقي الدروس من خلال الفصل الافتراضي.

فهو أسلوب وتقنيات التعليم المعتمدة على الشبكـــــة العالميـــــة للمعلومات "الانترنت " لتوصيل وتبادل المحاضـــــــرات ومواضيع الأبحاث بين المتعلم والمعلم في نفس الوقت الفعلي لتدريس المادة عبر:

غرف المحادثة الفورية (Real-Time Chat).

الفصول الافتراضية (Virtual Classroom).

ايجابيات التعليم الإلكتروني المتزامن حصول المتعلم على تغذية راجعة فورية وتقليل التكلفة والجهد والوقت.

أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن:

الفصول الافتراضية Virtual Classroom

المؤتمرات عبر الفيديو Videoconferencing

اللوح الأبيض Interactive White Board

غرف المحادثة Chatting Rooms

2-2 التعليم الالكتروني غير المباشر أو غير المتزامن(Asynchronous e-learning):

ليس من الضروري أن يتواجد المعلم والمتعلم بنفس الوقت أو نفس المكان حيث يحصل المتعلم على دروس مكثفة أو حصص وفق برنامج دراسي مخطط ينتقي فيه الأوقات والأماكن التي تتناسب مع ظروفه(الموسى و المبارك، 2005، ص114).

وهو التعليم غير المباشر، يحصل المتعلم على دورات أو حصص وفق برنـــامج دراسي مخطط ينتقي فيه الأوقـات والأماكن التي تتناسب مع ظروفه عن طريق توظيف بعض أساليـــب و أدوات التعليم الإلكتروني مثل:

البريد الالكتروني (E-mail).

الشبكة النسيجية.(World wide web)

القوائم البريدية (Mailing list)

مجموعات النقاش (Discussion Groups).

نقل الملفات (File Exchange)

الأقراص المدمجة(CD).

ومن ايجابيات هذا النوع من التعليم أن المتعلم يختار الوقت والزمان المناسب له لإنهاء المادة التعليمية وإعادة مادة التعلم ودراستها والرجـــوع إليها إلكترونيـــــا في إي وقت. **ومن سلبياته** عدم استطاعة المتعلم الحصول على تغذية فورية راجعة من المحاضر مباشرة.

ونخلص إلى أن التعليم الإلكتروني المتزامن هو الربط بين المدرب والمتعلمين في بيئة تعليمية افتراضية حقيقية على الرغم من البعد الجغرافي الكبير الذي قد يفصلهم حيث يكون الأستاذ مشرف أو محاضر يقوم بالتفاعل مع طلبته عبر تقديم محاضرات ودروس الكترونية باستخدام أسلوب الوسائط المتعددة.

على خلاف التعليم غير متزامن الذي يشير إلى العملية التي تتم بين المدرب المتعلم غير مباشرة وغير محكمة بوقت محدد بل على فترات مختلفة وهو أشبه بالتعليم الذاتي عن طريق الانترنت أو عن طريق الأقراص المدمجة أو البريد الالكتروني.

3. الأدوات اللازمة للتعليم الإلكتروني:

يرى الحربي (2006) أنه يمكن تصنيف أدوات التعليم الإلكتروني إلى قسمين هما أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن، وأدوات التعليم الالكتروني غير المتزامن:

3-1-أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن: ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم الاتصال المباشر (In Real time) بالمستخدمين الآخرين على الشبكة، ومن أهم هذه الأدوات ما يلي:

-المحادثة(chat).

-المؤتمرات الصوتية(Audio Conferences).

-مؤتمرات الفيديو(Video Conferences).

-اللوح الأبيض(White Board).

-برامج القمر الصناعي(satellite Programs).

3-2- أدوات التعليم الالكتروني غير المتزامن: ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم بالتواصل مع المستخدمين الآخرين بشكل غير مباشر أي أنها لا تتطلب تواجد المستخدم والمستخدمين الآخرين على الشبكة معاً أثناء التواصل ، ومن أهم هذه الأدوات ما يلي :

-البريد الالكتروني(E-mail).

-الشبكة النسيجية(World wid web).

-القوائم البريدية(Mailing list).

-مجموعات النقاش(Discussion Groups).

-نقل الملفات(File Exchange).

-الفيديو التفاعلي(Interactive video).

-الأقراص المدمجة(CD).

-التجهيزات (البنية التحتية).

عند الحديث عن التجهيزات اللازمة للتعليم الإلكتروني بجدر بنا أن نذكر أنه من المعلوم أن حجم وسعة هذه التجهيزات تختلف من جهة إلى أخرى وذلك راجع إلى حجم المنشأة(مدرسة، جامعة، مؤسسة تعليمية)، ونوع التعليم هل هو متزامن أو غير متزامن، وكذلك نوع التعلم هو تعليم الكتروني مباشر أو تعليم عن بعد(الحربي، 2006، ص36)، الذي بعد طريقة لنشر المعرفة واكتساب المهارات والاتجاهات ذات المغزى، وذلك بتكثيف المعنى في تنظيم التعليم من بعد إداريا وفنيا، واستخدام الوسائط التقنية المتعددة من أجل إنتاج مادة تعليمية ذات جودة عالية، ويمكن الاستفادة منها في عملية التعلم لتمكين الدارسين من تلقي المعرفة في أماكن تواجدهم.

ثانيا. التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني.

1-متطلبات الانتقال من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني:

إن الانتقال من التعليم بالطرق التقليدية إلى التعليم الإلكتروني المعتمد على التكنولوجيا - سواء كليا أو جزئيا - يتطلب اتخاذ عدة خطوات تحتاج إلى وقت وجهد طويل منها:

(1) تعديل سياسة التعليم على مستوى المدارس والجامعات بحيث تجعل التكنولوجيا أداة أساسية في العلمية التعليمية في جميع المراحل.

(2) تشكيل لجنة على مستوى الجامعة أو المنطقة التعليمية تتولى عملية التطوير تتكون من فريق عمل يضم مجموعة من المتخصصين في عدة مجالات مثل تطوير المناهج وتكنولوجيا التعليم.
(3) دراسة واقع استخدام التكنولوجيا في المدرسة أو الجامعة أي حصر الأجهزة والبرامج التعليمية المتوفرة فيها.
(4). دعم إدارة المدرسة أو الجامعة وتشجيعها لدمج التكنولوجيا في التعليم واستخدام المعلمين لها.
(5) وضع تصور أو خطة شاملة طويلة الأمد لدمج التكنولوجيا في التعليم على مستوى المقررات المختلفة والصفوف والمراحل المختلفة.

(6) تحديد مدة زمنية لتنفيذ خطة الدمج في تدريس المقررات والصفوف المختلفة .بحيث تتم عملية الدمج على مراحل تتكون كل منها من خطوات صغيرة متدرجة.
(7) تخصيص ميزانية لدمج التكنولوجيا في التعليم ولتغطية تكاليف شراء الأجهزة والبرامج ,نفقات تدريب المعلمين وتوظيف الخبراء والمدربين.
(8) إنشاء بنية تكنولوجية تحتية تشمل تزويد الجامعات والمدارس بأجهزة حاسب وما يصاحبها من أجهزة وبرامج تعليمية، وتوفير معامل حاسب ذات وسائط متعددة وإيصال خدمة الإنترنت إلى الجامعات والمدارس واستبدال الأجهزة القديمة- إذا كانت موجودة -بأجهزة أخرى حديثة متطورة.
(9) تدريب الطلاب والمعلمين على استخدام الحاسب والإنترنت في التعليم ويتم ذلك بعد تزويد المدرسة أو الجامعة بأجهزة الحاسب وعمل التمديدات اللازمة مباشرة.
(10) إنشاء مركز لتصميم المناهج المعتمدة على التكنولوجيا في الجامعة أو المنطقة التعليمية يعمل به فريق من المتخصصين يقوم بإعداد مناهج إلكترونية متعددة الوسائط في التخصصات المختلفة وللصفوف المختلفة سواء كانت معتمدة أو غير معتمدة على الإنترنت.
(11) إجراء الأبحاث في مجال التعليم الإلكتروني بصورة مستمرة لاطلاع المعلمين والمسئولين على اثر استخدام التكنولوجيا في عملية التعليم ومدى استفادة الطلاب من عملية الدمج ولمتابعة آخر التطورات في مجال تكنولوجيا التعليم.
(12) توفير الدعم الفني وصيانة الأجهزة والشبكة بصورة دائمة أثناء استخدام المعلمين للتكنولوجيا في التعليم، إذ قد يواجه المعلمون أثناء التدريب أو أثناء استخدامهم التكنولوجيا في التعليم بعض المشكلات مثل مشكلات الطباعة

أن عملية دمج التكنولوجيا في التعليم تتم إذا أصبحت التكنولوجيا جزءا من الأنشطة الصفية اليومية، ودعمت المنهج الدراسي، واستخدمت في توسيع أهدافه وجعلت للطلاب دورًا إيجابيا في عملية التعلم، بحيث يصبح التعليم ذا معنى بالنسبة لهم، وتصبح عملية التعلم متمركزة حول الطالب ويتركز دور المعلم في تسهيل العملية التعليمية ولا يمكن لأي خطة تهدف إلى دمج التكنولوجيا في التعليم أن تنجح مهما توفر لها من إمكانيات مالية ومكانية وتقنية متقدمة إذا لم يكن المعلمون قادرين ومدربين على استخدام الحاسب والبرامج التعليمية الإلكترونية، وحتى تنجح عملية دمج التكنولوجيا في التعليم يرى الكثير من المتخصصين أمثال ماك انيال واميكوبو، أن

تطوير المعلمين وتدريبهم على استخدام التكنولوجيا يشكلان قلب عملية دمج التكنولوجيا في العملية التعليمية(McDaniel, 1997, p21).

وعليه فان استخدام التعليم الإلكتروني كأداة لتيسير عملية التعليم يعد من أكبر التحديات التي تواجه العاملين في المجال التربوي، فجوهر اختلاف هذا العصر عن العصور السابقة هو التكنولوجيا وما أحدثته من نقلات مذهلة في مختلف مناحي الحياة بشكل عام وفي المجال التربوي بشكل خاص، و يجب توافر الإرادة القوية والتخطيط السليم لإعداد الكوادر المدربة والقادرة على التعامل مع التعليم الإلكتروني وتحويل المناهج المكتوبة إلى مناهج الكترونية وضعف البنية التحتية والتكلفة المادية المرتفعة.

2- مقارنة بين بيئة التعليم التقليدي وبيئة التعليم الإلكتروني:

يمكن أن نلخص بعض ملامح التغير الذي أفرزته تقنية الحاسب والانترنت من خلال مقارنة بيئة التعليم التقليدية وبيئة التعليم الإلكترونية، فيما يلي:

بيئة التعلم التقليدي	بيئة التعلم الجديدة (التعليم الإلكتروني)
المعلم محور عملية التعليم	الطالب محور عملية التعلم
تنشيط حاسة واحدة	تنشيط العديد من الحواس
التقدم في اتجاه واحد	التقدم في عدة اتجاهات
وسيط واحد	وسائط متعددة
العمل غالباً منعزل	العمل تعاوني
إلقاء المعلومات	تبادل المعلومات
التعلم السلبي	التعلم قائم على الإيجابية والاكتشاف والاستقصاء
تعلم قائم على الحقائق و المعارف	تعليم قائم على التفكير النقدي واتخاذ القرارات السليمة
استجابة المتعلم قائمة على رد الفعل	الاستجابة تفاعلية ومخطط لها
بيئة مصطنعة ومنعزلة	بيئة حقيقية واقعية
تتسم بالنمطية والقولبة	تتسم بالتنوع والمرونة
بيئة مغلقة	بيئة ديناميكية ومفتوحة
التعليم في الوقت نفسه والمكان نفسه	التعليم تزامني وغير تزامني
المعلم والكتاب مصادر المعرفة	مصادر متعددة ومتنوعة للمعرفة
التقويم غالباً كمي (للتحصيل فقط)	التقويم كمي ونوعي
التعليم مقنن	التعليم مستمر
إدارة تعليمية مركزية	إدارة تعليمية لامركزية

جدول رقم (1) يبين المقارنة بين بيئة التعليم التقليدي وبيئة التعليم الإلكتروني(استيتيه وسرحان، 2007، ص297-299).

نجد أن التعليم التقليدي والتعليم الالكتروني يتفقان في الغاية ويختلفان في الوسيلة .فغاية هذين النوعين من التعليم تتمثل في الحصول على مخرجات على مستوى عال تتميز بالمعرفة المتقدمة والتأهل الجيد، أما من حيث الوسائل المستخدمة في بلوغ هذه الوسيلة فإننا نجد انه في حين أن التعليم التقليدي ينهض أساسا على انتظام الطلبة في الحضور إلى قاعات الدراسة لتلقي العلم من معلم يستعين في عملية تعليمهم بمراجع محددة مطبوعة يلزم قراءتها وينتظمون في صفوف يتم تحديدها وفقا لسنهم، ويتم انتقالهم وفقا لمراحل تعليمية محددة (السلم التعليمي). في حين يتم في التعليم الالكتروني تلافي إشكالية انتظام الدارسين في الحضور لقاعات الدراسة بصورة منتظمة، وتتنوع الوسائل المستخدمة في نقل المعرفة إلى الدارسين في نظام التعليم الالكتروني(الصالح، 2003).

يحتاج التعليم الإلكتروني إلى تكلفة عالية وخاصة في بداية تطبيقه لتجهيز البنية التحتية من حاسبات برمجيات المعلمين والطلاب وإنتاجهم وتدريبهم على كيفية التعامل مع هذه التكنولوجيا وتصميم المادة العلمية إلكترونياً، وهو بحاجة أيضا إلى مساعدين لتوفير بيئة تفاعلية بين المعلمين والمساعدين من جهة وبين المتعلمين من جهة أخرى، وكذلك بين المتعلمين، على عكس التعليم التقليدي لأن المعلم هو الذي يقوم بنقل المعرفة إلى أذهان الطلاب في بيئة تعلم تقليدية دون الاستعانة بوسائط إلكترونية حديثة أو مساعدين للمعلم.

ثالثا. آلية تطبيق التعليم الإلكتروني.

1-دور المعلم و آلية تطبيق التعليم الإلكتروني:

إذا جئنا للعلاقة الحالية بين الطالب والأستاذ نرى أن الأستاذ هو المحور الرئيسي للعملية التعليمية، وهذا ما علينا تغييره تماماً بناء صورة جديدة لهذه العلاقة؛ أولاً جعل الطالب محور العملية التعليمية والمعلم هو القائد و المشرف و الموجه، وثانياً و هو الأهم أن يقود عملية التعليم ثلاثة أفراد لكل منه وظيفته الخاصة ولكن يعملون في إطار واحد مشترك وهم المعلم أولاً، والمشرف على العملية التعليمية ثانياً، وخبير الوسائط المتعددة ثالثاً.

فالمعلم وحده لا يكفي لتطبيق التعليم الإلكتروني لعدة أسباب، أولا لأننا نحتاج إلى التغيير؛ الذي لا يقتصر فقط على طريقة توصيل المعلومة للطالب بل يشمل جانبين آخرين وهما المادة المطروحة في المنهاج و ملائمة الوسيلة المستخدمة في التعليم، فنحن لا نعتبر كون المادة التعليمية قد تم طرحها إلكترونيًا بغض النظر عن مضمونها ومستواها وأهميتها هي أفضل! بل أساس النجاح هو المنهاج ومن ثم تأتي الطريقة هل هي تقليدية أم إلكترونية، وهنا يأتي دور المشرف على التعليم فهو يطّلع على أسلوب المعلم والوسيلة التي يستخدمها إن كانت ناجحة أم لا، حيث يستطيع طرح طرق أخرى، فمثلا يريد المعلم شرح مادة معينة عن طريق تكنولوجيا صوتية كالأشرطة السمعية، ولكن يرى المشرف أن طرحها بهذه الطريقة لن يصل بالطلاب إلى المستوى المطلوب وأنها غير فعالة ويجد بديلاً لها، يعمل خبير الوسائط المتعددة على استعمال الوسائل التكنولوجية المتاحة لعرض الدرس(قنديل، 2006، ص174)، **وبناء على ذلك فقد تغير دور المعلم ونلخصه بثلاثة أدوار:**

أولاً: الشارح باستخدام الوسائل التقنية بحيث يستخدم شبكة الإنترنت والتقنيات المختلفة لعرض المحاضرة، من ثم يعتمد الطلاب على هذه التكنولوجيا لحل الواجبات وعمل الأبحاث.

ثانياً: دور المشجع على التفاعل في العملية التعليمية عن طريق تشجيع طرح الأسئلة والاتصال بغيرهم من الطلبة والمعلمين في مختلف الدول.

ثالثاً: دور المحفز على توليد المعرفة والإبداع فهو يحث الطلاب على استخدام الوسائل التقنية وابتكار البرامج التعليمية التي يحتاجونها، ويتيح لهم التحكم بالمادة الدراسية بطرح آراءه ووجهات نظرهم.

إن المعلم في التعليم الإلكتروني يحتاج إلى إعادة في الصياغة الفكرية لديه ، فيقتنع من خلالها بأن طرق التدريس التقليدية يجب أن تتغير لتكون متناسبة مع الكم المعرفي الهائل التي تعج به كافة المجالات، ويمكن تحديد أدوار المعلم في التعليم الإلكتروني بما يلي:

- تصميم التعليم وتنظيم المواقف التعليمية التي تحتوي على أي درس في التخصص يتم تقديمه بواسطة التعليم الإلكتروني.
- توظيف تكنولوجيا التعليم، واستغلال الوسائط الفائقة في بناء محتوى المادة العلمية في صيغة صفحات نسيجية، وتطويع برامج المواد التعليمية للعمل على الإنترنت لكي يتمكن الكثير من المتعلمين التعلم من خلال هذه البرامج حتى ولو كانوا في أماكن متباعدة.
- تشجيع دافعية المتعلمين على البحث والتحري عن المعرفة والمعلومات المتعلقة بهذا المجال من خلال الإنترنت لإثراء التعليم.
- إرشاد المتعلمين بطريقة فردية وجماعية نحو كيفية اكتسابهم للمعارف المتنوعة من خلال مواقع الإنترنت الموثوق بها والمتنوعة والمتناثرة على الإنترنت.
- تعاون المعلمين فيما بينهم في تصميم مواقع جديدة جاذبة لانتباه طلابهم مثيرة لاهتمامهم يسيرة الاستخدام كمدرسة إلكترونية يتم التعلم من خلالها.
- تنمية تعلم الطلاب ذاتيا من أجل التعامل مع التعلم الإلكتروني بسهولة ويسر(التودري، 2004، ص174-198).

2- مزايا التعليم الإلكتروني: عند مقارنة أساليب التعليم الإلكتروني بالأساليب التقليدية للتعليم يتبين لنا أن للتعليم الإلكتروني عدد من المزايا المفيدة للمتعلّم ومن أهمها ما يلي:

-يوفر التعليم الإلكتروني بيئة تفاعلية بين المعلم والمتعلم وبين المتعلم وزملائه.

-يعتمد التعليم الإلكتروني على مجهود المتعلم في تعليم نفسه) تعليم ذاتي.

-يتميز التعليم الإلكتروني بالمرونة في الزمان والمكان.

-قلة تكلفة التعليم الإلكتروني بالمقارنة بالتعليم التقليدي.

-سهولة تحديث البرامج والمواقع الإلكترونية(سالم أحمد، 2004، ص292)**.**

من الناحية النظرية يوفر التعليم الإلكتروني ثقافة جديدة يمكن تسميتها (الثقافة الرقمية) وهي مختلفة عن الثقافة التقليدية أو ما يسمى (الثقافة المطبوعة)، حيث تركز هذه الثقافة الجديدة على معالجة المعرفة في حين تركز الثقافة التقليدية على إنتاج المعرفة، ومن خلال هذه الثقافة الجديدة

يستطيع المتعلم التحكم في تعلمه عن طريق بناء عالمه الخاص به عندما يتفاعل مع البيئات الأخرى المتوفرة إلكترونياً.

3-أوجه القصور في التعليم الالكتروني:

رغم الأهمية لهذا النوع من التعليم والنتائج الأولية التي أثبتت نجاح ذلك إلا أن التعليم الإلكتروني كغيره من طرق التعليم المختلفة يواجه بعض المعوقات والتحديات قد تطفئ بريقه وتعيق انتشاره بسرعة وقد تحول بينه وبين الأهداف التي وضع من أجلها، كضعف البنية التحتية في غالبية الدول النامية و عدم إلمام المتعلمين بمهارات استخدام التقنيات الحديثة، كذلك عدم اقتناع أعضاء هيئة التدريس بالجامعات باستخدام الوسائط الإلكترونية الحديثة في التدريس أو التدريب و التكلفة العالية في تصميم وإنتاج البرمجيات التعليمية.

حتى لا يكون الاندفاع المفرط نحو تبني التعليم الالكتروني عوض التعليم التقليدي فإنه يظل قاصرًا عن تحقيق بعض الأهداف التعليمية حيث يلخص عفيني (2005) أوجه القصور في التعليم الالكتروني كالتالي:

-غياب الجانب الإنساني في العملية التعليمية، لاعتمادها على الآلة.

-إضعاف العلاقات الاجتماعية لدى المتعلم.

-ارتفاع تكلفة هذا النوع من التعليم، خاصة في بداية التأسيس.

-الحاجة لكثير من الوقت في الإعداد والتوصيف للمحتوى.

-الحاجة إلى نوعية معينة من المعلمين مؤهلة للتعامل وفق أنماط التعليم الالكتروني.

-التركيز فقط على الجانب المعرفي أكثر من الاهتمام بالجانب المهاري والوجداني.

-صعوبة تطبيق أساليب التقويم.

-الحاجة إلى إعادة تأهيل الشبكات والأجهزة لتتوافق مع التطورات في هذا المجال.

-التأثير على حاسة الإبصار، والإرهاق والملل من اعتياد الجلوس أمام الشاشة.

إن هذه السلبيات تجعل من الأهمية بمكان التنبه لها والتحوط لمسبباتها، دون أن نغفل الفوائد التي تجنى من التعليم الالكتروني والتي تجعل منه الخيار الأنسب والنظام الأفضل، ويجب ألا تكون هذه السلبيات وأوجه القصور حائلاً وعذرًا دون الاستفادة من التعليم الالكتروني(الظفيري، 2004، ص17)

مازال عدد من الطلاب يفضلون الطريقة التقليدية في حضور المحاضرات ومتابعة الدروس من الكتاب المدرسي بدلاً من الاعتماد الكلي على التقنيات الحديثة فقد تسبب لهم بعض القلق والملل، فالجلوس أمام الحاسوب لفترات طويلة قد يكون مرهقاً للبعض ك قد يقوده ذلك إلى الإصابة ببعض الأمراض.

ولتفادي هذه المعوقات يجب البت في قضية الحوافز التشجيعية لبيئة التعليم، وأن معظم القائمين في التعليم الإلكتروني هم من المتخصصين في مجال التقنية أو على الأقل أكثرهم، أما المتخصصين في مجال المناهج والتربية والتعليم فليس لهم رأي في التعليم الإلكتروني، أو على الأقل ليسوا هو صناع القرار في العملية التعليمية، ولذا فإنه من الأهمية بمكان ضم التربويين

والمعلمين والمدربين في عملية اتخاذ القرار، فلا بد لنا من وضع خطة وبرنامج معياري لأن ذلك يؤثر بصورة مباشرة على المعلم (كيف يعلم) وعلى الطالب (كيف يتعلم).

4-أهم النتائج المتوصل إليها:

تشكل حركة التغيير والتوجه نحو التعليم الالكتروني تحديا للكثير من المعلمين الذين تعودوا على النظام التقليدي، وبالتالي سيواجه هذا التوجه العديد من المقاومة ضد هذا النظام، لابد من سياسة التوعية والتحفيز والحزم من أجل تقبل هذا التغيير فبالرغم من توفر مختلف العناصر المادية للوصول إلى نظام تعلم إلكتروني متكامل ومستمر فيبقى العنصر الأهم هو العنصر البشري، فلا بد من توفر عدد كاف من الكوادر البشرية المؤهلة القادرة على متابعة عمل النظام المترامي الأطراف وصيانته وضمان انسياب المعلومات في جميع الاتجاهات داخل الشبكة، وليس ذلك فحسب، بل يجب أن يكون المعلم

والموظف قادرين على استخدام التكنولوجيا بوعي وبشكل يخدم العملية التعليمية .إضافة إلى ذلك فإن دور الإبداع في أساليب التعليم واستغلال التقنيات ليس غايته للحصول على المعرفة وحسب، بل أيضا توليدها بحيث يصبح جزءًا لا يتجزأ من عملية التعليم، ونظراً لأن مثل هذا النظام يتطلب تغييراً جذرياً في نمط التفكير للمعلم والطالب، فلا بد من وضع إستراتيجية تدريجية للتغيير والتحول نحو النظام الجديد ووضع أسس وأنظمة لإدارة هذا التغيير لتجنب الفوضى والتشتت وتبعثر الجهود، ولهذا لا بد من وضع إستراتيجية ديناميكية يتم تعديلها حسب المتغيرات التقنية والاقتصادية لتأهيل وتغيير نمط التعليم التقليدي عبر التدريب المستمر، والحوافز التي تدعم عملية التغيير.

خاتمة:

هدف هذا البحث إلى دراسة موضوع التعليم الالكتروني كبديل للتعلم التقليدي، فهذا التحول وازدياد الاهتمام وتكريس الجهود نحو الاستفادة من استخدام التكنولوجيا يجب أن يكون تدريجيا وليس كليا وسريعا لأن المعلمين والمتعلمين وحتى المسئولين يحتاجون لوقت لكي تتغير مفاهيمهم واتجاهاتهم،ولكي يتمكنوا من المهارات والأنشطة الجديدة وتوفير كل المتطلبات المادية والبشرية اللازمة لتأسيس البنية التحتية، والتجهيزات الأخرى، والحقيقة أنه لا يغني البتة عن نظام التعليم القائم، وإن كان يتيح مزايا لا حصر لها وحتى يكون للتكنولوجيا دور فاعل في التعليم، ينبغي أن تتغير طرق التدريس التقليدية ويتغير الدور التقليدي للمعلم، كذلك محتوى وشكل المنهج بصورة منتظمة تتلاءم مع توقعات الطلاب.

ولتحقيق نجاح استخدام التكنولوجي، ينبغي أن تكون إمكانياتها متاحة، مع تقديم برامج مستمرة لتدريب المعلمين على التطبيقات الفعلية لها، وان يكون هناك خطة واضحة محددة لإستخدامها، مع توفر الأدوات والأجهزة ومنهج شامل ومتكامل.

قائمة المراجع:

1. استيتيه دلال ملحسن و سرحان موسى(2006)، تكنولوجيا التعليم والتعليم الالكتروني، ط1 عمان، دار وائل.
2. التودري عوض(2004)، المدرسة الاليكترونية وادوار حديثة للمعلم، مكتبة الرشد، الرياض.

3. الحربي محمد(2006)، مطالب استخدام التعليم الإلكتروني لتدريس الرياضيات بالمرحلة الثانوية من وجهة نظر الممارسين والمختصين، رسالة دكتوارة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
4. الخان بدر(2005)، استراتيجيات التعلم الإلكتروني، ترجمة علي الموسوي وآخرون، دار شعاع، سوريا.
5. الصالح بدر(2003)، مستقبل تقنية التعليم ودورها في أحداث التغير النوعي في طرق العليم والتعلم، مركز البحوث التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.
6. الظفيري فايز(2004)، أهداف وطموحات في التعليم الالكتروني، رسالة التربية، ع4.
7. الفار ابراهيم(2003)، استخدام الحاسوب في التعليم، عمان، دار الفكر.
8. الفيومي نبيل(2003)، التعلم الإلكتروني في الأردن، خيار استراتيجي لتحقيق الرؤية الوطنية التحديات، الإنجازات، وآفاق المستقبل، الندوة الإقليمية حول استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم الإلكتروني، الاتحاد الدولي للاتصالات ITU، دمشق.
9. الموسى عبد الله والمبارك احمد(2005)، التعليم الالكتروني الأسس والتطبيقات، الرياض، مؤسسة شبكة البيانات.
10.زيتون حسن حسين(2005)، رؤية جديدة في التعلم، التعلم الإلكتروني، المفهوم، القضايا،التطبيق، التقويم، الدار الصولتية للتربية، الرياض.
11.زين الدين محمد محمود(2006)، كفايات التعليم الإلكتروني، خوارزم العلمية للنشروالتوزيع، جدة.
12.سالم أحمد(2004)، تكنولوجيا التعليم والتعليم الالكتروني، مكتبة الرشد، الرياض.
13.شحاتة حسن(2009)، التعليم الإلكتروني وتحرير العقل، دار العالم العربي، القاهرة.
14.عبد الله الموسى و أحمد المبارك(2005)، التعلم الإلكتروني الأسس والتطبيقات، مطابع الحميضي الرياض.
15.قنديل أحمد (2006)، التدريس بالتكنولوجيا الحديثة، عالم الكتب، ط1، القاهرة.
16.Mills Shirley J, Yanes, Martha Jeane, Casebeer, Cindy M, (2009),Perceptions of Distance Learning Among Faculty of a College of Education. MERLOT Journal of Online Learning and Teaching, Vol. 5, No. I, march
17.McDaniel, B. and Umekubo, J. (1997), A solid foundation for technology implementation ,Thrust for Educational Leadership
http://www.alkhaleej.ae/home/print/f53c9315-c755-48f7-a351-9dc93baa2e5a/56e88f9d-ecf9-4cf4-ad83-614528f03a#sthash.mS

التحديات التي تواجه أسلاك الإشراف والمتابعة أثناء تأديتهم لمهام التكوين المستمر للأساتذة-دراسة ميدانية بولاية المسيلة-

Challenges that face supervisors and inspectors during continuous training of teachers

د.عمر جعيجع، المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة المسيلة- الجزائر

ملخص: تهدف الدراسة إلى التعرف على أهم المشكلات التي تواجه مدراء المؤسسات التربوية والمفتشون على اختلاف المراحل التعليمة المنتمون لها أثناء تأديتهم لمهام التكوين المستمر (التكوين أثناء الخدمة) للأساتذة، كما تهدف أيضا إلى تحديد مختلف الاختلافات في استجابات عينة الدراسة بحسب متغيرات، الوظيفة، المرحلة التعليمة، الخبرة، لتنفيذ الدراسة تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وتوظيف بعض الأساليب الإحصائية (وصفية، استدلالية)، ولأجل جمع البيانات استخدم الباحث استبيان وجه إلى عينة عدد مفرداتها (100) مدير ومفتش، وقد أسفرت الدراسة على النتائج الآتية:

-التحديات الإدارية تتصدر قائمة التحديات التي تواجه كل من المدراء و المفتشين، تليها مباشرة تحديات الوسائل المادية.

-أما بالنسبة للفروق في تقدير التحديات فقد أسفرت الدراسة على عدم دلالتها الإحصائية، وهذا ينطبق على جميع متغيرات الدراسة.

الكلمات المفتاحية: التحديات، التكوين المستمر، المفتشون، الأساتذة.

Abstract: This study knowing the most important problems that face headmasters and inspectors during doing their mission of continuous training (in-service) of teachers. Also it aims to determine the different responses of the sample according to the variables of profession and experience. To conduct this study the researcher used the descriptive analytical approach, he/she used some statistics as well he/she used a questionnaire which was administered to 100 informants (headmasters / inspectors).

The main results show that:

-in the first place we have administrative problems, then equipment challenges.

-there is no difference between the responses of the informants that is consoled to the variables of the study.

Keywords: Challenges, training (in-service), inspectors, teachers.

مقدمة:

تكوين المدرسين من المهمات التي اتخذت الأولوية ضمن استراتيجيات التربية والتعليم في جميع المجتمعات، على الرغم من الجدلية التي قامت ولا تزال قائمة، بين مختلف المنظرين للتربية والتعليم، والمتمحورة حول سؤال مفاده: هل المعلم مطبوع أم مصنوع؟ وعلى الرغم أيضا من أن الموهبة حقيقة واقعة، وفعلها في أداء الإنسان أيا كان موقعه بكل تأكيد له أثره الإيجابي، فهناك من المدرسين من رزق موهبة جعلت منه نموذجا، ولكن للواقع حيثيات أخرى، ربما يكون هذا الكلام حجة الفريق المستهين بعملية تكوين المدرسين، ولكن المرجح هو تأكيد المقولة الشهيرة، الشاذ يحفظ ولا يقاس عليه، أوبالمنطوق العلمي، فئة الشواذ لا تتعدى نسبة (05 %) فمن أين تأتي الـــ(95 %) الباقية؟ وفي هذا السياق ذكَر محمد مصطفى(1981) بدراسة لوزارة التربية والتعليم المصرية، التي أسفرت نتائجها على أن نسبته (28%) من المدرسين، لا تصلح لمهنة التدريس بتاتا، وأن ما نسبته (25%) بحاجة لاستكمال صلاحيتهم، في حين أن شريحة منهم والمقدرة بـــــ(48%) يحتاجون للتدريب لاستكمال كفاءتهم.

إن الواقع يقول بأن نسبة كبيرة من المنتسبين لمهنة التدريس ليسوا على قدر عال من الموهبة، أي أن السواد الأعظم هم من العاديين، الذين هم بحاجة إلى تكوين وتدريب، يزوَدون من خلاله بمختلف المعارف والمهارات، الأمر الذي يمكنهم من تنمية قدراتهم المهنية، وهم إن تلقوا ذلك بالقدر المطلوب أصبحوا كفاءات، ويمكن الاعتماد عليهم في الارتقاء بمهمة التدريس إلى أعلى الرتب، وهكذا قال علماء التربية والتعليم في الوطن العربية وغيره، منهم تركي (1989)، الذي يرى بأن من أعظم مظاهر التقدم في وقتنا الحاضر، هو اهتمام الدول على اختلاف نظمها الاجتماعية بإصلاح مناهج التعليم وعنايتها بإعداد المعلمين.

عملية تكوين المدرسين إذن ليست مقصورة على بلاد دون أخرى، ولا على مجتمع دون الآخر، كما أنها ليست محددة بوقت معين أو فترة بعينها، ولكنها عملية تنطلق قبل دخول المدرس ميدان التدريس، وتسمى حينها بمرحلة التكوين الأولي، حيث تتضمن إستراتيجية من تتولى الهيئة المؤهلة لتسيير شؤون التربية والتعليم في أي بلاد بتسطير برامج تقديم تكوين أولي للمقبولين لمزاولة مهمة التدريس تخصيص فترة قد تطول او تقصر لإعداد الطلبة المدرسين لهذه المهنة، يطلق عليها كليات التربية، كما هو جار العمل به في بعض الدول أو المعاهد التكنولوجية للتربية، أوالمدارس العليا كما جار العمل به في الجزائر، غير أن هذه المرحلة بالعادة لا تكون لها الفعالية الكافية، لذلك تستمر العملية وبشكل مختلف عن سابقتها، مكان العمل.

وفي مرحلة التكوين ما بعد الأولى، والمسمى التكوين المستمر أوالتكوين أثناء الخدمة الذي يكتسي طابعا هاما، توكل مهمته إلى إطارات محددة في التشريع ، والذين يفترض أنهم يحوزون قدرا مهما من المعرفة، كما يحوزون على خبرة ميدانية كبيرة بحكم أنهم متخصصون في مهنة التدريس، وسبق لهم أنم تلقوا تكوينا أوليا ومستمرا في هذا الشأن، يصطلح على تسميتهم بكوادر المتابعة والإشراف أو التوجيه.

تعتبر مهمة الإشراف والمتابعة أو التوجيه، كما يبدو من تسميتها، أهم وأخطر المهمات التربوية والبيداغوجية على الإطلاق، باعتبارها لسان وعين القادة التربويون في كل منظومة

تربوية، فإذا كان هذا اللسان صادقا و كانت العين بصيرة، كانت التغذية الراجعة بالنسبة للوصاية وبالنسبة للمدرسة والمدرسين فعالة، وكان بموجب ذلك التقويم فعالا ، فتكون التطورات في قطاع التربية والتعليم.

وهكذا أعرب الكثير من العلماء والدارسين عن أهمية هذا المجال، مجال المتابعة والإشراف، فقال محمد زياد(1984) بأن الإشراف التربوي تواجد منذ زمن بعيد من تاريخ البشرية، فقد شهدت الحضارة الصينية تواجد المشرفين وكانوا من المقربين من الإمبراطور والسلطات العليا، ويطلق عليهم العمداء والعلماء المسجلين، أما في الحضارة اليونانية فكانت مهمة الإشراف مسندة إلى مجالس الشيوخ و الجمعيات العامة، هذا في أثينا أما في اسبرطة فقد أسندت مهمة الإشراف إلى مشرف يساعده في ذلك المساعدون، أما في روما، فمهمة الإشراف على المدرسين كانت من مهمات من اختصاص الإمبراطور وقواده والمجالس البلدية، وهكذا نجد أن الإشراف كان مهمة لصيقة بالتربية والتعليم، منذ ما يزيد عن الـــ(05) قرون قبل الميلاد، وهو لا يزال كذلك، وهو أداة من يتولى شؤون التربية والتعليم في كل مجتمع للتنقيح و التعديل والتنقيح.

أما في الدراسات الحديثة، فقد أفادتنا الكثير من الدراسات العربية و الغربية، بالدور الكبير الذي يؤديه أسلاك المتابعة والإشراف أو التوجيه، منها دراسة(Courtis,1938) المذكورة في محمد عربي(1985) التي عملت في حقل الإشراف الفني حيث قسمت بها المدارس إلى مجموعتين، ترك تركت المجموعة الأولى دون إشراف، ووضعت المجموعة الثانية تحت الإشراف، ثم قام بقياس تحصيل الطلاب في مادة الجغرافيا، فوجد أن تحصيل التلاميذ قد ازداد في المدارس التي تحصلت على الإشراف بدرجة تفوق المدارس التي ليس بها إشراف، هذا ولم تثبت أهمية الإشراف فقط بالنسبة للتحصيل، بل تعدى ذلك إلى متغيرات أخرى، كما هو الحال بالنسبة للمتغيرات التي أثبتت دراسة (Pittman) المذكورة أيضا في محمد عربي (1985)، حيث قالت الدراسة بأن الإشراف يؤثر على زيادة مطالعات المعلمين إلى أربعة أضعاف، وارتفاع معدل حضور التلاميذ، تنشيط الحياة الاجتماعية.

ومع أن مهام المشرفين عبر العصور قد تنوعت أغراضها، فهي تمتد عموديا وأفقيا، لتنقل من وإلى المعلمين حاجاتهم التكوينية، فهي أيضا تمتد أفقيا لتقود الحوار المعرفي والمهاري بينهم وبين المعلمين، وتقود عملية النمو الواجب أن يكون عليها أولئك بما يسمح بصناعة فعاليتهم لتكون أداة لمخرجات تربوية في المستوى.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

نعتقد كما يعتقد الكثير من المهتمين بالشأن التربوي في الجزائر، أن المنظومة التربوية الجزائرية تعيش وضعا خاصا، أقل ما يقال عليه أنه مجابه بعديد الإرهاصات والتحديات التي تكاد تعصف به في منأى عن مخرجات يتوق إليها ملايين الجزائريين، وهذا بطبيعة الحال محصلة لمختلف الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي لا يحسد عليها، فالتربية والتعليم كما هي مؤثرة في المسار الحضاري للمجتمع فتحط به أسفل سافلين أو ترفعه إلى أعلى عليين، فهي أيضا متأثرة بما يجرى بساحات المجتمع.

إذا نحن تكلمنا بصورة عامة عما تعانيه المنظومة التربوية في الجزائر كما سبقت الإشارة إليه، فإن الإشراف التربوي كركن ركين من هذه المنظومة، وبدون شك لن يختلف وضعه عما سبق وصفه، فهو يعاني من عديد التحديات والصعوبات التي تجعل فعاليته محدودة، وتأثيره فيمن توجهت إليهم مهامه ستكون وبدون شك أيضا محدودة، وهذه الأوضاع الاستثنائية التي تعيشها المنظومة التربوية مثل ما أشرنا إليه انتقل وباؤها إلى مختلف جبهاتها ومن بينها جبهة الإشراف والمتابعة.

والحقيقة أن المشكلات أو التحديات التي تواجه أسلاك المتابعة والإشراف (المدراء والمفتشون) ليست وليدة عشرية أو عشريتين، ولكنها تمتد على مدار ستون عاما من تولي الدولة الجزائرية تسيير شؤون التربية والتعليم في الجزائر، وهذا ما أكدت عليه الكثير والكثير من الآراء والدراسات، فقد أشار وزير سابق في الدولة الجزائرية خلال الستينيات فيما ذكره(بوسعدة، 2010) بأن سلك التفتيش (الإشراف) ليس على ما يرام، وأشار العربي مراد (1993) في نفس المرجع بأن الضغط أصبح شديدا على المشرفين، وقال بوسعدة (2010)إلى أن الإشراف التربوي(التفتيش) في الجزائر، يعاني كثيرا من النقائص والمعوقات، وتعتبر أساليب الإشراف المطبقة حاليا من الزيارات المدرسية والصفية واجتماعات المعلمين والندوات التربوية والدروس التطبيقية عديمة الفعالية، وتتصف بالنمطية والارتجالية.

والسؤال الذي هو محل اهتمام الدراسة الحالية يكون كما يلي:

ما هي التحديات التي تواجه أسلاك المتابعة والإشراف كما تعبر عنها عينة الدراسة الحالية، ويكون تفصيل هذا السؤال من خلال الأسئلة الفرعية التالية:

-ما هي التحديات التي تواجه أسلاك الإشراف والمتابعة؟

-هل تختلف استجابات عينة الدراسة باختلاف وظيفتها (مدير مفتش)؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى تزويد الوصاية والعاملين في مجال التربية والتعليم من مدراء ومفتشين ومعلمين، وطلاب العلم والمعرفة بسند علمي يمكن أن يكون أداة لتحقيق أغراضهم العلمية والبحثية، أو أداة تساعدهم على اتخاذ إجراءات ميدانية، كما تهدف أيضا إلى الإجابة على تساؤلات البحث المطروحة.

أهمية الدراسة:

لم يبق لنا في هذا المقام من سبب يدعونا، لتقديم مبررات الدراسة الحالية، إلا الإشارة إلى كونها واحدة من الدراسات التي تعمل على تعزيز بنك المعارف حول عملية تكوين المدرسين، مما يسمح بتكوين إستراتيجية محكمة تسمح بتفعيل دور المعلم في الوصول بالعملية التعليمية إلى مخرجات توافق التطلعات، وحول أهم السبل المحققة لذلك وهو المتابعة والإشراف والتوجيه التربوي، الذي كما أسلفنا القوة الأداة المثلى للارتقاء بالتربية والتعليم في أي مجتمع، خاصة وأن الوضع الحالي للمعلم لم يعد على الشاكلة التي كانت عليها في بدايات القرن العشرين وما قبله، فالحياة بكل أبعادها أصبحت تتغيرا بوتيرة كبيرة، مما يجعل المعلم بحاجة ماسة إلى مساعدة من الخبراء وفي مقدمتهم رجال المتابعة والإشراف أو التوجيه.

وأخيرا وليس آخرا يمكن أن نستشف أهمية الدراسة من الواقع الذي تعيشه المنظومة الجزائرية من إرهاصات نتوجس خيفة أن تعصف بكيانها لا قدر الله!. فإننا نتابع وباهتمام الاهتزازات التي طالتها والتي أخرجت الكثير من الخبراء عن صمتهم، محذرين من العواقب التي قد تنجر على ما تعيشه المنظومة التربوية الجزائرية.

تحديد مصطلحات الدراسة:

التحديات: هي كل ما من شأنه إعاقة الأداء الحسن، كالصعوبات أو المشكلات أو العراقيل، والتي تتطلب جهودا مضافة للتغلب عليها، وتعتبر في الدراسة الحالية كل الصعوبات التي تجابه أسلاك المتابعة والإشراف (مدراء المؤسسات التعليمية والمفتشين)، في مجال ممارسة مهام التكوين أثناء الخدمة أو التكوين المستمر للمدرسين بغية مساعدتهم على النمو المهني.

أسلاك الإشراف والمتابعة: ويقصد بهما سلك مدراء المؤسسات ومفتشوا التعليم بمختلف مراحله والمعينون بموجب القانون الأساسي بالموظفين و المنتمين للأسلاك الخاصة بالتربية الوطنية (المرسوم التنفيذي 08-315 الصادر 12 أكتوبر 2008).

التكوين المستمر أو التكوين أثناء الخدمة: يعرف لغرض الدراسة بأنه مجموع البرامج التخصيصية والبيداغوجية، النظرية والتطبيقية الموجهة للمدرسين خلال مزاولتهم لمهنة التدريس، وتبدأن منذ ترسيمهم وإلى التقاعد.

الأساتذة: وهم مجموع الموظفين في المؤسسات التعليمية من أجل القيام بوظيفة التدريس، ويتوزعون على ثلاثة مراحل تعليمية (ابتدائي، متوسط، ثانوي) والذين يشملهم(المرسوم التنفيذي 08-315 الصادر 12 أكتوبر 2008)

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولا. الإشراف والمتابعة:

عملية الإشراف ومتابعة وتوجيه المدرسين ليس وليد العصور الحديثة، ولكنه متواجد بكيفيات وصيغ مختلفة مع تواجد المدرسين، وهذا لا لشيء، إنما لأهميته ودوره في ترشيد فعالية المدرسين، ولكن ومع مطلع العصور الحديثة، وتعقد مختلف المجالات الاجتماعية، وفي مقدمتها المجال التربوي و التعليمي، الذي لم يعد يكتفي بشريحة محدودة لتمارس مهنة التدريس، بل كان لزاما عليه أن يضم بين من يقومون بمهمة التدريس فئات عريضة من المجتمع، من بينهم سواد كبير لا يملكون الكفاءة المعرفية والوجدانية الكافية لتلك المهمة، فضلا عما يكابدونه جراء تزايد المهمات الموكلة للمعلم، و توافد أعداد كبيرة من التلاميذ الذين يشكلون في حد ذاتهم عبئا على العملية التعليمية، لذلك فرضت عملية متابعة وتوجيه والإشراف على المدرسين بغية مساعدتهم والأخذ بأيديهم لتحقيق نتاجات تعليمية توافق المنشود من تواجد المدرسة.

أما في العصور الحديثة فقد أشار بلال(2009) بأن الانطلاقة الحقيقية لعملية الإشراف في مجال التربية كانت مع بدايات القرن الثامن عشر، حيث تشكلت هيئة تزور بمدارس بوسطنة، بهدف متابعة سير المدارس والتأكد من سلامتها وفعالية مدرسيها، وفي أواخر القرن التاسع عشر أي عام (1878) صدر أول كتاب في الإشراف التربوي، تضمن نقاط تتعلق بالإشارة إلى أن المعلم يتحمل مسئوليته الكاملة في ما يجري في الصف، وأن المشرف هو شخص خبير يتحمل

مسئولية التأكد من سلامة العمل في المدارس، وفي سنة (1888) شرع مدير التربية بالزيارات الميدانية.

وهكذا فقد جرت الكثير من التعديلات والتطورات على عملية الإشراف في المؤسسات التربوية والتعليمية، لخصها بلال (2009) في سبعة مراحل ملخصة بالجدول رقم (02).

جدول 02 يتضمن مرحل تطور الاشراف

النموذج	الفترة الزمنية	اصحاب النموذج	خصائص عامة
الاشراف التفتيشي	القرن التاسع عشر	Payane,GreenWood,Balliet	ضبط المدارس و التخلص من المعلمين لضعاف
الاشراف كفعالية اجتماعية	1900/1920	Taylor Babbitt	استخدام اساليب عامة و الاهتمام باهداف العمل و الانتاج و البحث عن اكثر الطرق فعالية و البعد عن العجز
الاشراف الديمقراطي	1920/1930	Dewey , Hosic Newton	تقليص الدور التقييمي للمشرف و المشرف مساعد يشجع ويدعم المشاركة وحل المشكلات
الاشراف لعلمي	1930/1950	Burton, Barr Stevens	استخدام مقاييس علمية و تعليم المعلمين كيف يعملون ووضع معايير دقيقة لتعليم الجيد و قياس اداء المعلمين بدقة
الاشراف كقيادة تربوية	1960/1970	Leeper	قيادة المعلمين وترسيخ مفهوم لتشاركية و لعمل على ايجاد قيادات تربوية مهنية
الاشراف الاكلينيكي	1970/1980	Gogan, Golde Hammer	العمل المباشر مع المعلمين وبناء الثقة و تطوير اهداف مشتركة و التركيز على الزيارة الصفية .
الاشراف المتغير	1990	Serjivoanni,Glickman	تمكين المعلم و المشرف وكيل للتغيير و لمشرف قائد و لمشرف وسيط ينمي فاعلية المعلم والقيادة التحويلية و اشراف الرقابة و الاشراف التطوري

المصدر: بلال(2009)

ويقصد بالأشراف هو عملية اتصال إنساني مفاده مراقبة وملاحظة التدريس وقياسه وتقييم كفاءته، ثم توجيهه وتطويره للأفضل(محمد زياد، 1984، ص71)، وهذا هو التعريف الأقرب إلى الأصح حسب وجهة نظرنا لما يتسم به من الوضوح و الشمول، فهو يشمل جميع المصطلحات المتداولة لهذه الوظيفة وظيفة الإشراف على المدرسين، كالتوجيه التربوي والتفتيش وما إلى ذلك من المصطلحات المتداولة هنا وهناك.

فعمل المشرف الأساسي ليس هو الترفيع والتنزيل، بمعنى الحاكم والقاضي، أو الشرطي والدركي الذي يرمز وجوده إلى المحاسبة المفضية بالنهاية إلى دفع الثمن، وإن كان هذا جزء من مهامه موجهة لمن لا يرغب في التقاعس عن أداء مهماته، بل وجود المشرف جنبا إلى جنب المدرس له أهمية خاصة، ولحاجة مشتركة بين كل الفعلين في المسألة التعليمة والتربوية والتحسين والتطوير، فهو إذن خادم التلميذ والمعلم والعملية التعليمة ككل باعتباره خبير بشؤون التربية والتعليم.

أهمية الإشراف والمتابعة في تطوير أداء المدرسين:

كما أسلفنا ف مقدمة الإطار النظري للدراسة، فان الإشراف حاجة وهدف وغاية كانت متواجدة عبر العصور القديمة من تواجد الممارسة التربوية والتعليمية، ولكنها اليوم حاجة أملتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية، ويمكن إجمال هذه الحاجة كما يحددها محمد زياد(1984) في عشرة نقاط أساسية، نلخصها بقولنا، بأن الإشراف التربوي في مؤسسات التربية والتعليم، يعمل على تحسين وتطوير أداء المعلمين، وذلك بتوفير بيئة نفسية واجتماعية ومعرفية، وتنسيق مختلف الجهود من أجل الوصول إلى نتائج متناغمة مع تطلعات المدرسة والمجتمع، وأيضا مكافأة الجهات المدرسية المستحقة وتوجيه الأخرى لمهمات التكوين، وفي هذا الإطار أشارت دراسة (MANDELL,2006) الوارد ذكرها في (عواطف، 2011) إلى أن الإشراف يكون له أثره الواضح في النمو المهني للمعلم.

وهكذا أبرز تركي (1984، ص479)أهمية الإشراف التربوي، فقال بأن وظيفة الإشراف الحقيقية هي تنمية مهارات المدرسين وقدراتهم، وتفتيح الآفاق أمامهم ومساعدتهم على التغلب على ما يعترضهم من عقبات ومشكلات وإتاحة فرص النمو المهني وحسن توجيههم وإرشادهم حتى تكون لديهم الكفاية لتوجيه قدرات كل تلميذ و تنميتها إلى أحسن مستوى ممكن.

واقع الإشراف والمتابعة في منظومة التربية والتعليم في الجزائر:

طبيعي أن تختلف المهمات التربوية وحتى المهمات في ميادين متعددة من مجتمع إلى آخر، وهكذا فإن الإشراف التربوي في الجزائر يكتسي طابعا خاصا، ليس على المستوى التشريعي والتنظيري، ولكن على المستوى التطبيقي، فعلى المستوى التطبيقي، أسست منظومة الإشراف التربوي أو كما يطلق عليه في التشريع الجزائري بالتفتيش(وهذا الوصف أو التسمية هي التي جعلت من الوظيفة وظيفة الإشراف تكتسي طابع المحاكمة وبالتالي اقترن اسم المفتش بالخوف والهلع، ولم يعد يرغب كثير من المدرسين سماع هذا الاسم و لم تكن له الرغبة في ملاقاته على الإطلاق)، تزامننا مع تأسيس المنظومة التربوية للجزائر المستقلة، ويقدم القائمون عليه بجهود كبيرة تماما كما يقوم بجهود محاولين تحقيق مردود تربوي طيب.

وهو أيضا يعاني من كل ما يعاني منه كل سلك من أسلاك التعليم في الجزائر من تحديات وصعوبات تحد من فعاليته، يشير قدوري كما يذكر(بوسعدة، 2010) إلى أن تقويم المشرف للمعلم يكاد ينحصر في التقرير السنوي، الذي يقوم به رئيس المؤسسة - المدير - من جهة، وتقرير المشرف من جهة ثانية، فالتقرير الإداري السري هو الذي يضمنه رئيس المؤسسة ملاحظاته، وتقديراته حول المعلم من خلال نشاطه السنوي، ولا شك أن عوامل شخصية و ذاتية ، قد تتدخل في هذا التقويم، ولا يمكن بأية حال من الحوال تجاهلها، كما أن التقرير التربوي الذي يقوم به المفتش إثر زيارة مفاجئة في الغالب للمعلم في قسمه تلعب المصادفات دورا كبيرا في تحديد منحاه، وأيا كانت نتيجة هذا التقرير فإننا لا يمكن تسميته تقويما، وهكذا قال بوحفص كما يذكر (بوسعدة، 2010) بان التقويم المطبق حاليا في المدارس الجزائرية يعتبر ضمن التقويم السيئ، وأن اتجاهات المدرسين تجاه المفتش وطريقة تقويمه سلبية.

بطبيعة الحال لا يمكن لنا وضمن هذه الورقة المحدودة، أن نعرض واقع الإشراف في المدرسة الجزائرية، ولكننا نقلنا وجه ضيق منه فقط، وذلك بحسب حاجتنا إلى ذلك في هذا البحث ، لنقول بأن الإشراف التربوي، سواء ما كان منه من اختصاص مدير المؤسسة التعليمية، أو ما كان من اختصاص المفتش تواجهه مشكلات وتحديات مثله مثل المنظومة التربوية في الجزائر، وهذا ما يتطلب مزيدا من العمل على مستوى الميدان العملي من أعلى مستوى أو الوصاية، إلى أدنى مستوى ومستوى المدير والمفتش، كما يتطلب جهودا بحثية معمقة على مستوى البحث العلمي، بغية كشف مختلف الإرهاصات، وبذلك الإرتقاء بمستوى المهمة الجسيمة الملقاة على عاتق أسلاك المتابعة والإشراف في المنظومة التربوية الجزائرية.

ثانيا. التكوين المستمر للمدرسين:

ما هو التكوين المخصص لهيئة التدريس؟: عندما نتكلم عن التكوين، نجد أنفسنا أمام مجموعة من المفاهيم الأخرى كالتربية مثلا أو التعليم، أو التدريب، أو الإعداد، أو التأهيل، كل هذه المفاهيم وربما مفاهيم لم نتعرض لذكرها ترتبط بمفهوم التكوين بعلاقة أو أكثر كالتكامل أو الإحتواء، أو حتى المجال، ولكننا سوف لن نتطرق إلى تلك الحيثيات طالما أن ذلك ليس موضوع البحث الحالي، ونكتفي بتعريف التكوين، الذي هو مفهوم متداول في المجال الذي تهتم به الدراسة الحالية.

التكوين هو العملية المحددة بموجب ما يقره التشريع الجزائري، وما يذهب إليه العديد من المنظرين لمهمة التنمية المهنية للمدرس، منهم تركي (1989)، وبوسعدة (2011)والذي مفاده أن التكوين عملية أو فعل يقصد من ورائه إحداث تغيرات في معارف الفرد ومهاراته وقدراته ويتميز بالطابع المهني، وهكذا جاء في (Françoise et Alain, 1979)، بأن التكوين فعل هدفه تنمية مختلف المهارات والمعارف والقدرات النظرية والتطبيقية لدى للكبار، بما يسمح لهم بأداء مهمات موكلة أو ستوكل إليهم.

أهمية تكوين المدرسين: ربما كان لنا مجموعة من الأفكار تضمنتها مقدمة الدراسة الحالية، حول أهمية التكوين بالنسبة للفرد وبالنسبة للمؤسسة، سواء كانت تلك المؤسسة صناعية أو تجارية أو حتى ترفيهية، فالأداء اليوم ومع استفحال التكنولوجيا الحديثة، وما تتطلبه من كفاءات عالية وجب أن ينطلق من رصيد متين من المعارف والقدرات والمهارات، وهذه المعارف والقدرات والمهارات لا تكتسب بطريقة عفوية، أو عن طريق ممارسة بعض الهوايات كالقراءات مثلا، أو التطلعات الفوضوية، بل يصدق اليوم ما كان يقال في زمان مضى في أوساط شيوخ المجتمعات **(لا حرفة بلا شيخ)**، وعليه فإن مزاولة الفرد لعملية التكوين تحت قيادة الشيوخ ضرورة حتمية تقتضيها المتطلبات المذكورة للتو.

وفي هذا الإطار سارت التوجهات الحديثة في مشارق الأرض ومغاربها، معززة منابر إعداد الأفراد لمزاولة المهن، ببرامج تأهيلية ذات أبعاد فلسفية وسيكولوجية وتربوية، كما خصصت لذلك مؤسسات تكوينية تتوفر على كل المستلزمات، التي تضمن نجاح العملية، فإذا كان هذا صادق بالنسبة لمناحي الحياة الاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية، فهو أصدق بالنسبة للعملية التربوية، وفي هذا الإطار قال عبد القادر(2013) بأن تعليم الصغار من اعقد المهمات، خاصة إذا

كان المعلم كما هو الشأن عندنا مكلفا بتعليم جميع المواد الدراسية، فمعلمو الطورين الأول والثاني في مدارسنا مكلفون بمهمات نوعية وأعمال ذات خصوصيات لا يستطيع النهوض بها إلا من أعد إعدادا خاصا.

ونحن نقول كما قال الكثير ممن يعرفون المسألة التربوية والتعليمية عن كثب إن مهمة التربية والتعليم ولكافة المستويات من أعقد المهمات، ومن الواجب إذا أريد للمربي والمعلم أن ينل حضا من جودة ما يقوم، وأن يكون مفتاحا لمخرجات تربوية متناغمة مع ما ينتظر منها من مواجهة الإرهاصات، ومتناغمة أيضا مع غايات التربية والتعليم في أي مجتمع، وجب أن تتقن عملية تكوين المدرسين، فعبد الحميد بن باديس لم ينطلق من فراغ حين قال لن يصلح آخر هذه الأمة إلا إذا صلح علماؤها، ولن يصلح العلماء ما لم يصلح.

التكوين أثناء الخدمة أو التكوين المستمر: التكوين أثناء الخدمة قرين النمو المهني، وهو نمط مهم من أنماط تكوين المدرس، بل هو أهم الأنماط وأنه كما يقول محمد عربي(1985) بأن المعلم الذي لا ينمو مهنيا يصبح عالة وعبئا ثقيلا على المدرسة، وذلك من نواحي متعددة، فهو في أغلب الأحيان دائم التناقض في فعاليته وإنتاجه، وهو مثل سيئ لزملائه الذين قد يتوفر لديهم النشاط الطموح لولا تواجده معهم، كما انه يعطي صورة غير مشجعة عن المعلمين و عن مهنة التعليم في نظر المجتمع(محمد عربي، 1985).

المؤهلون لتكوين المدرس أثناء الخدمة: يشير توفيق ومحمد (1977) إلى كادرين مهمين في عملية التكوين أثناء الخدمة، وهما المدير والمفتش أومن ينوب عنه كما كان معمول به في النظام التربوي إبان القرن الماضي والمستشار، نتكلم هنا على نوعين من الكوادر التي لها علاقة مباشرة بالمدرس، وهما المدير باعتباره من قدماء المدرسين، وهو ينتحل صفتين، الصفة الإدارية، التي يكون بموجبها الراعي الرسمي لكل مجريات التسيير الإداري بما يحتويه من معنى، والصفة الثانية وهي الصفة التربوية والبيداغوجية، حيث يكون يترأس ويدير كل العمليات التي تمس الممارسة التربوية البيداغوجية، وبهذا فهو وبموجب هذه الصفة يمارسه التوجيهات والتصحيحات، ويقدم النصائح والإرشادات التي يرى حاجة المدرسين إليها، تشير دراسة حسب الله(2000) المذكورة في مصطفى (2008)إلى المدرين يساهمون في التكوين المستمر للمدرسين، وفي هذا الإطار نشير إلى توصية (يوسف، 2014، ص 116) بإعادة تعريف المدير وتغيير دوره من مسئول إداري إلى مسئول تربوي ومنحه صلاحيات أكثر بالمدرسة وان يكون له دور واضح في تقويم أداء المعلمين في المدرسة وانتقائهم ومكافأتهم ومتابعة نموهم المهني.

أما الكادر الثاني و الذي هو أكثر تخصصا من المدير، وهو ما سمى في المنظومة التربوية الجزائرية على الخصوص بالمفتش(وإن كان هذه التسمية هي تسمية منفرة نظرا لما توحي به هذه الكلمة وهي كلمة غير مفضلة كما يشير بلال(2009) في أوساط المنظومة التعليمة بالولايات المتحدة الأمريكية)، فنحن نجد خاصة في مرحلة التعليم المتوسط و مرحلة التعليم الثانوي مفتش لمادة الرياضيات، وآخر لمادة اللغة العربية، وثالث لمادة اللغة الفرنسية، وبالتالي فإن عمل كل من المدير والمفتش متكامل، فقد تكتسي عملية التكوين المستمر التي يقدمها المدير طابعا عاما، في حين يمد المفتش المدرسين بتكوين أكثر تخصصي، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المفتش مثله

مثل المدير له مهمات أخرى غير مهمة التكوين المستمر للمدرسين، ذكرت في القانون الأساسي المشار 08-315 كالسهر على حسن سير المؤسسات، وتطبيق التعليمات والبرامج والمواقيت الرسمية، كما ذكرت في العديد من المصادر المتخصصة، وفي هذا الإطار أيضا جاء التشريع الجزائري مكلفا كل من المدير والمفتش بمهمة تطوير وتنمية المدرس مهنيا، فقد أشارت المادة (165) من المرسوم التنفيذي 08-315 المتعلقة بمهام مفتش التعليم الابتدائي، والمادة (171) من نفس القانون المتعلقة بمهام مفتش التعليم المتوسط وأيضا المادة (174) كذلك والمتعلقة بمفتش التربية والوطنية.

التحديات التي تواجه هيئة الإشراف والمتابعة في التكوين المستمر للمدرس: هيئة الإشراف والمتابعة، وكما سبق لنا التذكير في أكثر من موقع من هذا المقال، تتلقى صعوبات عديدة، منها الذاتي ومنها الموضوعي، لذلك ونحن نتكلم عن الإشراف والمتابعة في المنظومة التربوية الجزائرية، نقول أن ما يواجه هذه المنظومة هو بالضرورة ما يواجه هذا السلك، سواء كتحديات ذاتية أو تحديات موضوعية، وهذا في الحقيقة ليس وضع المنظومة التربوية الجزائرية لوحدها ولكنه بصورة عامة، يمس العاملين في هذا المجال في كثير من بلاد العالم، وبهذا الصدد نشير إلى دراسة (المدلل، 2003) المذكورة في (عواطف، 2011) التي دلت نتائجها على أن أكثر المشكلات التي تواجه المشرفين أربعة أنواع من المشكلات وهي: المشكلات الاقتصادية بنسبة (71%)، والمشكلات الإدارية بنسبة (70%)، ثم المشكلات المهنية بنسبة (67%)، وأخيرا المشكلات الاجتماعية بنسبة (65%)، ودراسة الحماد (2000) المذكورة في عواطف(2011) بأن أكثر المعوقات التي تواجه المشرفين الأعباء الإدارية، قلة الدورات التكوينية، قلة الصلاحيات الممنوحة، وقد سبق وأن أشرنا إلى بعض الدراسات الجزائرية منها دراسة بوسعدة (2010) ودراسة عبد القادر(2013)، ويمكن نوعين استخلاص من الإطار النظري الدراسات السابقة للموضوع، مجموعتين من التحديات ، المجموعة الأولى ويتعلق الأمر بمجموعة التحديات الإدارية والتنظيمية، أما المجموعة الثانية فتتعلق بالتحديات المادية والمعنوية.

التحديات الإدارية والتنظيمية: تنقسم التحديات الإدارية والتنظيمية إلى أربعة مجالات، مجال تحديات التسيير، مجال تحديات التنظيم، مجال تحديات التكوين، وأخيرا مجال تحديات التخطيط.

التحديات المادية والمعنوي: تنقسم التحديات المادية والمعنوية إلى ثلاثة مجالات، وهي تحديات المناخ المادي، وتحديات المناخ النفسي، وأخيرا تحديات المناخ الاجتماعي.

الإجراءات المنهجية:

منهج الدراسة: للوصول إلى تحقيق الأهداف المسطرة للبحث الحالي، تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، نظرا لكونه يناسب طبيعة دراسة الظاهرة.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة: أجريت الدراسة خلال الثلاثي الأخير من السنة الدراسية الجارية (2018/2017)، وذلك بمحيط ولايتي مستغانم.

الإطار البشري: تتكون عينة الدراسة من (100) مدير و مفتش من ولايتي المسيلة ومستغانم، تتوزع العينة على مرحلتي التعليم منهم (62) من مرحلة التعليم المتوسط و (38) من مرحلة

التعليم الثانوي، كما تضم العينة (58)مدير و (42) مفتش والجدول رقم (02) يبين مواصفات العينة.

جدول 02 يبين مواصفات عينة الدراسة

	السلك	المرحلة التعليمية	الخبرة			المجموع	المجموع الكلي
			05؟	[10-05]	10 ؟		
01	مدير	متوسط	10	17	10	37	58
		ثانوي	07	08	06	21	
02	مفتش	متوسط	09	08	08	25	42
		ثانوي	06	07	04	17	
المجموع الكلي			32	40	28	100	

أداة الدراسة: لجمع بيانات الدراسة عمد الباحث إلى تصميم استبيان، يتكون الاستبيان من (30) فقرة كلها إيجابية، تتوزع فقرات الاستبيان على محورين، الأول ويسمى محور التحديات الإدارية والتنظيمية ويتكون من (15)فقرة، تتوزع على أربعة أبعاد، البعد الأول وهو بعد التسيير، البعد الثاني بعد التخطيط، الثالث بعد التكوين، وأخيرا بعد التنظيم. أما المحو الثاني والمسمى التحديات المادية والمعنوية ويضم (15) فقرة في ثلاثة أبعاد، بعد المناخ المادي، بعد المناخ النفسي، واخيرا بعد المناخ الاجتماعي.

قام الباحث ببناء استبيان اعتمادا على طريقة تحليل الخاصية المراد قياسها، مستعينا بما توفر لديه من معارف نظرية ودراسات سابقة، كما تم استشارة بعض الأساتذة الجامعيين وعددهم (05) من جامعة المسيلة، جامعة سعيدة ، وجامعة برج بوعريرج.

كما تم التأكد من الخصائص السيكومترية للاستبيان، وقد توصل إلى أن هذه الأداة صادقة وثابتة، مما جعله يثق بقدرتها على جمع البيانات، وتمثلت تلك الخصائص فيما يلي:

بالنسبة للصدق: فإن الباحث وبعد أن تأكد عن طريق المحكمين بان الاستبيان صالح لقياس الخاصية، حاول أن يستخرج مؤشرات اخرى للصدق وقد كان ذلك من خلال استخراج صدق الاتساق الداخلي حيث تراوحت معاملات الارتباط بين الاستبيان وأبعاد بين (0.53 و 0.71)، كما استخرج الصدق الذاتي حيث بلغ (0.79).

أما بالنسبة للثبات فقد عمد الباحث إلى استخدام معامل ألفا كرونباخ الذي بلغ (0.63)، كما طريقة التجزئة النصفية وكان معامل الثبات بين النصفين بعد التصحيح مساو إلى (0.87).

الأساليب الإحصائية المعتمدة: لمعالجة نتائج الدراسة تم استخدام مجموعة من أساليب الإحصاء الوصفي والاستدلالي التالية: المتوسطات الحسابية، التكرارات، النسب المئوية، اختبار (ت).

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

عرض ومناقشة نتائج السؤال الأول: ما هي أكثر التحديات التي تواجه كوادر الإشراف والمتابعة، حسب تقدير عينة الدراسة؟.

للإجابة على هذا السؤال عمد الباحث إلى حساب المتوسطات الحسابية لاستجابات عينة الدراسة وترتبها تصاعديا فكانت النتائج المسجلة بالجدول رقم 03.

جدول 03 يتضمن و الرتب للمؤشرات و الأبعاد و المحاور

المحاور	الأبعاد	المؤشرات	متوسط المؤشر	رتبة المؤشر	متوسط البعد	رتبة البعد	متوسط المحور
التحديات الإدارية (التنظيمية)	التسيير	عدم تنفيذ المعلمين للتوجيهات.	2.27	5	2.554	1	2.456 الرتبة الأولى
		كثرة أعداد المدرسين	2.62	3			
		قلة أعداد المشرفين نسبة إلى عدد المدرسين.	2.72	2			
		عدم التحاق المدرسين بدورات التكوين.	2.44	4			
		كثرة الأعباء الإدارية .	2.82	1			
	التخطيط	التوظيف المباشر للمدرسين .	2.31	1	2.233	4	
		غياب معايير انتقاء المعلمين.	2.2	2			
		عدم مشاركة المعلمين في التخطيط للتعليم	2.19	3			
	الأهداف	قلة الدورات التكوينية .	2.75	1	2.456	3	
		صعوبة المناهج	1.9	3			
		ضعف كفاية المشرف للإشراف	2.72	2			
	التقييم	عدم كفاية الوقت المخصص للإشراف	2.85	1	2.475	2	
		اكتظاظ الصفوف.	2.57	3			
		عدم دقة أساليب التقويم التربوي	2.6	2			
		عدم تنويع أساليب الإشراف.	1.88	4			
التحديات المادية و المعنوية	المناخ المادي	عدم جودة المباني	2	5	2.415	1	2.248 الرتبة الثانية
		قلة الكتب والمراجع .	1.87	6			
		عدم توفر الأماكن المناسبة للإشراف	2.35	4			
		قلة المخابر	2.81	2			
		عدم تزويد المدرسين بالوسائل المساعدة للإشراف	2.85	1			
		قاعات محاضرات	2.61	3			
	المناخ النفسي	ضعف الوعي بمسؤولية العمل.	1.88	4	2.15	3	
		عدم القناعة بجدوى الإشراف.	2.42	2			
		عدم وجود حوافز معنوية	2.23	3			
		عدم وجود حوافز مادية .	1.78	5			
		الظروف الخاصة تحد من فعاليتي.	2.44	1			
	المناخ الاجتماعي	ضعف انتماء المعلم للمهنة .	2.66	1	2.21	2	
		عدم قناعة المعلم بتوجيهات المشرف	2.54	2			
		ظهور بعض المشاكل الشخصية	1.82	3			
		ضعف العلاقة بين المشرفين و المديرين و المدرسين	1.82	3			

بالنسبة لقراءة الجدول ننطلق من اليسار إلى اليمين، نلاحظ بالعمود الأول أن المتوسط الحسابي للمحور المتعلق بالتحديات الإدارية والتنظيمية قدر بـ(2.456) في حين قدر المتوسط الحسابي للتحديات المادية والمعنوية (2.248)، تبين هذه النتيجة بأن التحديات التي تواجه هيئة الإشراف تقترب من أن تكون كبيرة ، وأن التحديات الإدارية متفوقة على التحديات المادية وإن كان هذا التفوق ليس كبيرا جدا.

وتعتبر هذه النتيجة بحسب وجهة نظرنا منطقية بحكم كما أسلفنا القول ضمن الإطار النظري للدراسة والخاص بوضع المنظومة التربوية الجزائرية والتي تجابهها الكثير من التحديات خاصة مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، أين كثفت عمليات الإصلاح، الذي وصف من طرف الكثير من المهتمين منهم عبد القادر (2013) بأنه إصلاح تميز بالتسرع، وعدم التأسيس، وبحسب وجهة نظر الباحث، فإننا حتى لو استبعدنا هذين المعطيين، فإن تسارع وتيرة الإصلاحات سوف تطرح لا محالة مشاكل عديدة، على المستوى الإداري، أو على المستوى المادي و المعنوي، وتمس تلك التحديات بالدرجة الأولى المدراء و المفتشين باعتبارهما مسئولين على علمية تكوين المدرسين وإعدادهم لتنفيذ تلك الإصلاحات، وهو ما يفسر تقارب متوسطات التحديات الإدارية والتحديات المادية.

أما على المستوى الإداري، فقد يجد هيئة الإشراف والمتابعة أنفسهم أما عمليات تكوينية مكثفة مما يربك مختلف النشطات الإدارية كالتسيير والتخطيط والتنظيم، بطبيعة الحال في حضور حاجتهم إلى تكوين لتكون ممارستهم التكوينية للمدرسين ذات معنى وفعالية، كذلك الشأن فإن التحديات المادية والمعنوية تكون حاضرة، باعتبار أن كثافة البرامج التكوينية يجب أن توافقها معدات ووسائل ومقرات متاحة، وهذا ما يخلق وضعا نفسيا واجتماعيا غير مناسب.

وبحسب وجهة الباحث هذا ما أشار إليه مباركي بوحفص(في بوسعدة، 2010) بالتحديد عندما قال: بأن التقويم المطبق حاليا، يعتبر ضمن التقويم السيئ، وأن اتجاهات المعلمين نحو شخصية المفتش، وطريقة تقويمه سلبية، ولكن في الجانب الآخر لا نستطيع القول أن المسئولية يتحملها المشرف التربوي لوحده لأن هناك العديد من المشكلات التربوية والإدارية والخاصة، تقف حجر عثرة أمامه بحيث لا تمكنه من تحرير طاقاته وإمكاناته المبدعة، وقدتم التعرض في هذا المقال إلى التعريف بالمشرف التربوي ومجالاته وصفاته وأساليبه وأنواع الإشراف التربوي، وجملة من هذه المشكلات التي يتخبط فيها.

أما على المستوى التفصيلي للنتائج المبينة بالجدول 03 فإننا نلاحظ بالنسبة لمتوسطات الأبعاد الأربعة لمحور الإدارية و التنظيمية ، حيث كانت جميعها مرتفعة حيث تراوحت بين (2.554) بالنسبة لبعد التسيير، (2.475) بالنسبة لبعد التنظيم، (2.456) بالنسبة لبعد التكوين، وأخيرا (2.233) بالنسبة لبعد التخطيط، وهي نتائج تبين بأنها تشكل جميعا تحديات مرتفعة، ونجد بأن بعد التسيير إحتل المرتبة الأولى، وهو ترتيب منطقي بحكم فشل عملية التسيير يعنى تأثر الأبعاد الأخرى كالتنظيم والتكوين والتخطيط، فالعملية الإدارية تركيبة واحدة. أما عن التقارب بين في متوسط تقديرات عينة الدراسة للتحديات الإدارية والتنظيمية، فيعود أيضا بالدرجة الأولى لترابط المسائل الإدارية، فالأبعاد المذكورة غير منفصلة عن بعضها البعض، وأي إخلال في أحدها

سيؤثر بالضرورة على الآخر، فالجوانب الإدارية والتنظيمية تعتبر بحسب رأينا كتلة واحدة، فالإحكام الإداري له أثره الإيجابي على سير كل العمليات بالمؤسسة، فحيثما وجدنا إدارة جيدة وجدنا أيضا تناقص للمشكلات على مختلف المهام، هذا من جهة ومن جهة أخرى نلمس من خلال هذا التقاربة مصداقية استجابات عينة الدراسة.

بخصوص نتائج المحور الثاني نجد من الجدول 03 نلاحظ بالنسبة لمتوسطات أبعاده الثلاثة تتراوح بين (2.415) بالنسبة لبعد المناخ المادي، (2.21) بالنسبة لبعد المناخ الاجتماعي، (2.15) بالنسبة للبعد النفسي، نفس الملاحظات التي سجلت على أبعاد المحور الإداري والتنظيمي.

عرض ومناقشة نتائج السؤال الثاني: هل هناك فروق في استجابات عينة الدراسة تعزي إلى متغير الوظيفة (مفتش مدير)؟.

للإجابة على السؤال المذكور تم استخدام اختبار (ت) للمقارنة بين متوسطات استجابات عينة الدراسية على الاستبيان، وصدت النتائج بالجدول (04).

جدول 04 يبين نتائج اختبار ت لعينتين مستقلتين لمتغير الوظيفة

		اختبار ت للمقارنة بين المتوسطات						
		ف	م. الدلالة	ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة	الفرق في الانحراف	خ/ المتوسط
بعد التسيير	التجانس	1.875	0.174	1.027	98	0.307	0.135	0.132
	عدم التجانس			0.997	78.432	0.322	0.135	0.136
	التجانس	0.002	0.961	0.035	98	0.972	0.005	0.154
بعد التخطيط	عدم التجانس			0.036	89.814	0.972	0.005	0.154
بعد التكوين	التجانس	1.331	0.251	0.993	98	0.323	0.130	0.131
	عدم التجانس			0.969	80.16	0.335	0.130	0.134
بعد التنظيم	التجانس	0.04	0.841	-.466-	98	0.643	-.053-	0.114
	عدم التجانس			-.465-	87.858	0.643	-.053-	0.114
محور التحديات الإدارية و التنظيمية	التجانس	1.314	0.255	0.789	98	0.432	0.058	0.073
	عدم التجانس			0.764	77.458	0.447	0.058	0.076
بعد المناخ المادي	التجانس	0.068	0.795	-.717-	98	0.475	-.064-	0.089
	عدم التجانس			-.715-	87.625	0.477	-.064-	0.090
	التجانس	0.002	0.961	0.411	98	0.682	0.045	0.109
بعد المناخ النفسي	عدم التجانس			0.411	88.491	0.682	0.045	0.109
بعد المناخ الإجتماعي	التجانس	1.237	0.269	0.69	98	0.492	0.074	0.108
	عدم التجانس			0.681	84.007	0.498	0.074	0.109
محور التحديات المادية و المعنوية	التجانس	0.009	0.923	0.133	98	0.894	0.009	0.069
	عدم التجانس			0.133	87.587	0.895	0.009	0.069

نلاحظ من الجدول 04 انعدام الفروق في استجابات عينة الدراسة وهذا يظهر من خلال قيم مستوى الدلالة التي تجاوزت قيمة (0.05) بالنسبة للمحورين بمختلف أبعادهما، وهذه وتعتبر هذه النتيجة مخالفة للواقع، حيث أن المهمات التكوينية وحتى المهمات الإدارية الموكلة إلى كل من المفتش والمدير تختلف كما ونوعا، كذلك بالنسبة للإمكانات المتاحة لكل منهم غير متكافئة،

فالمدير من الوظيفة مستقر حيث يكون عمله مستقر ومحصور في مؤسسة واحدة بينما المفتش تتطلب مهمته التنقل إلى العديد من المؤسسات، وقد تكون تحدياته أكبر باعتباره يعمل مع شخصيات مختلفة ، وليس له السلطة الكافية التي تمكنه من حرية العمل.

ولكن وحسب تقديرنا هذه المعطيات تبقى على المستوى النظري، غير أن الواقع يفيد بمعطيات غير ذلك تماما، فمدير المتوسطة أو مدير الثانوية ليس له الصلاحيات الواسعة في المنظومة التربوية الجزائرية، فهو ليس إلا عضو تنفيذي في سلسلة العاملين بقطاع التربية الوطنية، فالتعليمات التي يتلقاها في الغالب الأعظم لا تأخذ في عين الاعتبار القوانين الناظمة، حيث يمكننا القول بأن المدير له نفس المشكلات والتحديات مع المفتش، حتى أنه في كثير من الأحيان لا يمكن اتخاذ إجراءات حاسمة مع من هو تحت مسؤوليته، وقد تصل الدرجة في بعض المواقف المدير الولائي (المكلف بتسيير شؤون التربية على مستوى الولاية)، يحجب كل المهام الرئيسية عن المدير وفي هذه الحالة سيكون المفتش في وضع أفضل من المدير، و بناء على هذه المعطيات تصبح نتائج الدراسة الحالية منطقية جدا.

من جهة أخرى فإن المدير كمشرف مقيم كما يسمى لدى بعض المؤلفين (جودت عزت، 2009)، ليس أفضل حظا من المفتش، كونه يؤدي مهمة الإشراف عن قرب ولكنه يواجه صعوبة من نوع آخر وهي أن عملية الإشراف التي يقوم بها ومطالب بأن تكون في المستوى المطلوب لكامل المدرسين على اختلاف تخصصاتهم، كما أن مسؤوليته كمدير تجعل منه في كثير من الأحيان أن يكون بعيدا عن الموضوعية، بسبب من الإملاءات التي يحاط بها في كل وقت.

أهم نتائج الدراسة:

أولا. بالنسبة لقراءة الجدول ننطلق من اليسار إلى اليمين ، نلاحظ بالعمود الأول أن المتوسط الحسابي للمحور المتعلق بالتحديات الإدارية و التنظيمية قدر بــ(2.456) في حين قدر المتوسط الحسابي للتحديات المادية و المعنوية (2.248)، تبين هذه النتيجة بأن التحديات التي تواجه هيئة الإشراف تقترب من أن تكون كبيرة، وأن التحديات الإدارية متفوقة على التحديات المادية وإن كان هذا التفوق ليس كبيرا جدا.

ثانيا. نلاحظ من الجدول 04 انعدام الفروق في استجابات عينة الدراسة وهذا يظهر من خلال قيم مستوى الدلالة التي تجاوزت قيمة (0.05) بالنسبة للمحورين بمختلف أبعادهما، وهذه وتعتبر هذه النتيجة مخالفة للواقع، حيث أن المهمات التكوينية وحتى المهمات الإدارية الموكلة إلى كل من المفتش والمدير تختلف كما ونوعا، كذلك بالنسبة للإمكانات المتاحة لكل منهم غير متكافئة، فالمدير من الوظيفة مستقر حيث يكون عمله مستقر ومحصور في مؤسسة واحدة بينما المفتش تتطلب مهمته التنقل إلى العديد من المؤسسات، وقد تكون تحدياته أكبر باعتباره يعمل مع شخصيات مختلفة، وليس له السلطة الكافية التي تمكنه من حرية العمل.

توصيات الدراسة: بناء على ما أسفرت عنه الدراسة النظرية و التطبيقية للدراسة الحالية يوصي الباحث بما يلي:

-تعزيز المشرفين بالحوافز المادية والمعنوية.

-تزويد المشرفين بفضاءات للتلاقي وتلاقح الأفكار.

-عمل بحوث حول الاحتياجات التكوينية للمفتشين.

-وضع إستراتيجية محكمة لعملية الإشراف والمتابعة.

-تحديث القوانين الناظمة لعملية الإشراف.

-تسطير برامج طويلة وقصيرة المدى لتكوين المكلفين بالإشراف واختيار المؤهلين لتكوينهم.

-إيجاد معايير محددة لاختيار المشرفين.

قائمة المراجع:

1. بلال أحمد عودة(2009)، الإشراف في التربية الخاصة، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
2. بن عبد الله محمد(2005)، المنظومة التعليمية والتطلع إلى الإصلاح، دار الغرب للنشر والتوزيع ، وهران، الجزائر.
3. بوترعة إبراهيم(2014)، التربية والتعليم بين الأمس واليوم، ط1، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة، الجزائر.
4. بوسعدة قاسم(2010)، الإشراف التربوي في الجزائر التفتيش نموذجا، مجلة دراسات نفسية وتربوية ، ع4، جامعة ورقلة، الجزائر.
5. تركي رابح(1989)، أصول التربية والتعليم لطلبة الجامعات والمعلمين والمفتشين والمشتغلين بالتربية والتعليم في مختلف المراحل التعليمة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
6. توفيق حداد ومحمد سلامة آدم(1977)، التربية العامة للطلبة المعلمين والمساعدين في المعاهد التكنولوجية للتربية، ط1، مديرية التكوين والتربية الممنوحة خارج المدرسة، نيابة مديرية التكوين، الجزائر.
7. جودت عزت عطوي(2009)، الإدارة المدرسية الحديثة مفاهيمها النظرية وتطبيقاتها العملية، ط3، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
8. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية(2008)، المرسوم التنفيذي رقم 08-315، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ع59، رئاسة الجمهورية، الجزائر.
9. عبد القادر فضيل(2013)، المدرسة في الجزائر حقائق وإشكالات، ط2، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر.
10. عواطف بنت إبراهيم بن علي آل مكي(2011)، المشكلات الإدارية في مكاتب الإشراف التربوي ومواجهتها في ضوء مدخل التطوير التنظيمي بسلطنة عمان، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية والعلوم الانسانية ، جامعة نزوى .
11. محمد زياد حمدان(1984)، تقييم وتوجيه التدريس كتاب للمعلمين والمشرفين التربويين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
12. محمد عربي زكري(1985)، الإشراف الفني التربوي في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا.
13. محمد مصطفى زيدان(1981)، الكفاية الإنتاجية للمدرس، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، المملكة العربية السعودية.
14. مرزوقة حمود البلوي (2011)، دور المشرف التربوي في تنمية المعلمين الجدد مهنيا في منطقة تبوك التعليمية من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، عمادة الدراسات العليا، جامعة تبوك، فلسطين.
15. مصطفى عبد الجليل مصطفى أبو عوان(2008)، معوقات تدريب المعلمين أثناء الخدمة وسبل التغلب عليها بمحافظات غزة ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم أصول التربية، جامعة غزة، فلسطين.
16. ناصر الدين زبدي(2013)، سيكولوجية المدرس دراسة وصفية تحليلية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

17.يوسف محمد السوالمة(2014)، سياسات تكوين المعلمين وتعيينهم الحالة الأردنية، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس.

18.Françoise R et Alain R(1979),Pédagogie:dictionnaire des concepts clés, E.S.F editeur, Paris.

19.Benbouzid.B(2009), la réforme de l'éducation en algerie:enjeux et réalisations,editionscasbah,Alger.

البرامج التعليمية الحاسوبية وأثرها في تنمية المهارات و الاتجاهات نحو التعلم الذاتي دراسة ميدانية تجريبية بجامعة باتنة 1 و أم البواقي - الجزائر-

Computer educational programs and their impact on the development of skills and the trends toward self-learning experimental study at the University of Batna 1 and Oum el bouaghi Algeria

د. سماش راضية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله- الجزائر.

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مشكلة التعلم الذاتي لدى الطلبة الجامعيين وأثر التدريس ببرنامج تعليمي حاسوبي في الرفع من مهاراتهم واتجاهاتهم نحوه، أجريت الدراسة على عينة من طلبة السنة الثانية تخصص علم النفس بجامعتي باتنة-1- وأم البواقي الجزائر، وقد وظف المنهج التجريبي بتصميم ذي أربعة مجموعات، مجموعتان تجريبيتان تدرسان باستخدام البرنامج التعليمي وأما المجموعتين الضابطتين فقد درستا بالطريقة التقليدية، وتم التحقق من التكافؤ بين المجموعتين في مجموعة من المتغيرات قبل البدء في التجربة وإجراء الاختبار القبلي في كل من الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي، وبعد فترة تجريب دامت ثمانية أسابيع أظهرت نتائج التحليل الإحصائي عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات ومهارات التعلم الذاتي لصالح المجموعة التجريبية كما أسفر حساب حجم التأثير لمربع إيتا عن وجود أثر متوسط للبرنامج التعليمي الحاسوبي في المتغيرات السابقة حسب معايير كوهنCohen.

الكلمات المفتاحية: التعلم الذاتي، البرامج التعليمية الحاسوبية، الاتجاهات، المهارات.

Abstract: The aim of this study was to highlight the problem of self-learning among university students and the effect of teaching on a computer education program in raising their skills and attitudes towards it. The study was conducted on a sample of second year students in the psychology of Batna-1 and Oum el bouaghi Algeria. The experimental approach was employed in a four-group design, two groups studied using the educational program, and the two control groups were studied in the traditional way. The parity between the two groups was verified in a set of variables before starting the experiment and conducting the tribal test in both directions and self-learning skills. Eight-week trial The results of the statistical analysis showed that there were statistically significant differences in self-learning attitudes and skills for the benefit of the experimental groups. The previous variables are according to Cohen's criteria.

Keywords: Self-learning, Computer educational programs, attitudes. skills.

مشكلة الدراسة:

إن الاستراتيجيات التعليمية التعلمية الحديثة في عصر الانفجار المعرفي والمعلوماتي أصبحت تركز وبشدة على فلسفة التعلم الذاتي" من حيث هو النشاط الذي يقوم به المتعلم مدفوعا برغبته الذاتية، بهدف تنمية استعداداته وإمكاناته بما يحقق تنمية شخصيته وتكاملها"، وفي الوقت الذي نجد فيه الفلسفة التربوية من خلال أراء مختلف المنظرين والمشتغلين في الميدان التربوي تحث بشدة على التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة ومنهم **روجرز Rojers** الذي يرى" أن الفرد لا يعتبر متعلما إلا إذا تعلم طرق التعلم، فإذا كنا نرغب في مواطنين يعيشون في مجتمع متغير يجب أن نكون مستعدين لخلق أجيال لديها المبادأة في التعلم والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية"، فالاستراتيجيات التعلمية التعليمية الحديثة تتميز بأنها تعتبر المتعلمين شركاء في العملية التعليمية وليسوا مجرد متلقين سلبيين تفرض عليهم الأنشطة والمواد، وهذه النظرة المرتبطة بالتمركز حول المتعلم هي أساس كل الاستراتيجيات الحديثة المستنبطة من فلسفة التعلم المستمر والتعلم الذاتي، ويتمحور الهدف الأساسي لهذه الفلسفة والاستراتيجيات في الوصول إلى تعليمٍ يتجاوزُ التلقّي السلبي ونظام العمل الفرديّ، متحوِّلاً من منطقِ التعلم التلقيني إلى منطقِ التّكوينِ والتأطير، الذي بات مطلبا لا مناص منه في ظل مفاهيم ومعايير الجودة التعليمية والثورة التكنولوجيا، وفي ظل التجدد والتطور المستمر الذي يعرفه عصرنا الرقمي نجد واقع استراتيجيات التعلم التي يتبعها شبابنا الجامعي لا تزال بعيدة عن هذا المفهوم، فهل يتعلم طلبتنا أو شبابنا الجامعي بطريقة ذاتية ولديهم حس المبادأة في التعلم؟ هل يتحملون مسؤولية تعليم أنفسهم بأنفسهم ؟هل ينتظرون من الأستاذ التوجيه فقط؟ وغيره من خصائص التعلم الذاتي، إذن ما هو واقع التعلم الذاتي لدى طلبتنا، وما هي سبل تطويره لديهم ليتلاءم وخصائص عصرنا الرقمي؟

إن التطور الهائل للتكنولوجيا في علاقتها بالتعليم أفرز أنماطا تعليمية كثيرة تعتمد على تعزيز التعلم الذاتي لدى المتعلمين كالتدريس باستخدام البرامج التعليمية الحاسوبية التي تصبوا إلى الانتقال بمركزية التدريس من المدرس إلى الدارس لجعله أكثر اعتمادا على ذاته في تعلمه وأكثر تحملا للمسؤولية، ليكون تكوينه متماشيا ومتطلبات هذا العصر المتغير بعيدا عن الصيغ التلقينية التقليدية. حيث تشير دراسات اليونسكو حول مستقبل التعليم في القرن 21 إلى "أن نجاح الدور الإنمائي في التعليم مرتبط بقدرته على التحول من صيغته التقليدية التي تركز على التلقين والكم المعرفي إلى صيغة جديدة تمكن الدارس من التعلم الذاتي"، وعلى اعتبار التعلم الذاتي كمشكلة هو سلوك منشود يحتاج كغيره من الأنماط السلوكية إلى تنمية الاتجاهات ايجابية نحوه قبل أن يتشكل كمهارة أو كأسلوب تعلمي ينتهجه شبابنا الجامعي بهدف تحصيل المعرفة، فأولى السبل لحل مشكلة التعلم الذاتي لدى شبابنا هو الاهتمام بتنمية الاتجاهات نحوه ولابد أن يكون ذلك بما يتوافق ومتطلبات العصر الرقمي، وسنحاول من خلال هذه المداخلة تقديم دراسة تجريبية نسعى من خلالها الإجابة على التالي :

-ما هو واقع اتجاهات شبابنا الجامعي نحو التعلم الذاتي ؟

-وما هو أثر إستراتيجية التعلم الذاتي بالبرامج التعليمية الحاسوبية في تنمية اتجاهات شبابنا الجامعي نحو التعلم الذاتي؟

-وما هو أثر إستراتيجية التعلم الذاتي بالبرامج التعليمية الحاسوبية في تنمية مهارات التعلم الذاتي؟

1.التعلم الذاتي في العصر الرقمي:

أدى التطور الهائل إلى بروز العديد من الأنماط والاستراتيجيات التعليمية التي تهدف إلى تحقيق التعلم الذاتي والتعلم المستمر، والتي تصبوا إلى الانتقال بمركزية التدريس من المدرس إلى الدارس لجعله أكثر اعتمادا على ذاته في تعلمه و أكثر تحملا للمسؤولية، ليكون تكوينه متماشيا ومتطلبات هذا العصر المتغير بعيدا عن الصيغ التلقينية التقليدية، فالتعلم الذاتي من حيث هو إستراتيجية تعليمية قديمة حديثة لم يجمع العلماء والمنظرين وحتى الممارسين من الأساتذة والمربين الذين اعتمدوا على خبراتهم وتجاربهم على إيجاد تعريف شامل لهذا الاتجاه في التعليم، وذلك نظرا لشموليته وتداخله مع العديد من الاتجاهات الأخرى التي تتقاسم معه نفس الخصائص والمميزات، لم يقتصر الاختلاف بين المنظرين والتربويين على الاصطلاح العام للتعلم الذاتي فقط بل تعداه إلى تعريفه أيضا، ولكي نكون فهم شامل وواضح للتعلم الذاتي يمكننا من وضع تعريفا إجرائيا له في هذا البحث لا يكفي أن نتطرق فقط إلى كل تعريف على حدا بل لابد من البحث في أصول الاختلاف الوارد في تعريف التعلم الذاتي، وذلك من خلال تصنيف هذه التعاريف حسب اختلاف اتجاهاتها النظرية والتطبيقية، فحسب التصنيف الذي استنتجه (فرحاتي العربي، 2001، ص8)، يمكن أن يرجع ويصنف الاختلاف في التعاريف الواردة حول التعلم الذاتي إلى: التعلم الذاتي من حيث هو تكنولوجيا التدريس والتعلم الذاتي من حيث هو تعلم عن بعد والتعلم الذاتي من حيث هو تعليم مفرد.

فالتعلم الذاتي من حيث هو تكنولوجيا التدريس يركز المشتغلون أو المهتمون بمجال تكنولوجيا التدريس في تعريفهم للتعلم الذاتي على الوسائل التكنولوجيا المستخدمة في التعليم، فحسب معجم المصطلحات التربوية والنفسية(2003) يعرف التعلم الذاتي بأنه " إكساب الطالب مهارات الحصول على المعرفة من مصادرها المختلفة باستخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة كالحاسوب والانترنت ومحاولة تمحيص المعلومات ونقدها واختيار الأمثل منها"(شحاتة حسن وآخرون، 2003، ص113).

وكما يعرفه أيضا **أحمد أللقاني** بأنه " الأسلوب الذي يعتمد على نشاط المتعلم بمجهوده الذاتي الذي يتوافق مع سرعته وقدراته الخاصة، مستخدما في ذلك ما أسفرت عنه التكنولوجيا كالمواد المبرمجة ووسائل تعليمية وأشرطة فيديو وبرامج تليفزيونية ومسجلات وذلك لتحقيق مستويات أفضل من النماء والارتقاء، ولتحقيق أهداف تربوية منشودة للفرد"(المقبل عبد الله، التعلم الذاتي، 2009، http://instec.wordpress.com) من الملاحظ أن التعريفين السابقين يُركزان على الوسائل المستخدمة في التعلم الذاتي وكأن التعلم الذاتي يقوم فقط على هذه التكنولوجيا، إلا أنه يرى البعض الأخر من التربويين أن الوسائل التكنولوجيا الحديثة ليست هي الوسيلة الوحيدة المستعلمة أو الأساس الذي يعتمد عليه التعلم الذاتي كما تشير إليه التعريفات السابقة، إذ يرى **عزيز حنا** في تعريفه للتعلم الذاتي بأنه" عمليه إجرائية مقصودة، يحاول فيها المتعلم أن يكتسب بنفسه القدر المقنن من المعارف والمفاهيم والمبادئ والاتجاهات والقيم والمهارات، مستخدما أو مستفيدا من التطبيقات التكنولوجية كما تمثل الكتب والتعيينات المختلفة من وسائل التعلم الذاتي".

2.الأسس النظرية للتعلم الذاتي من حيث هو تكنولوجيا تعليم:

وما يمكن أن نستنتجه من هذا الاختلاف الوارد في التعاريف السابقة انه راجع في أساسه إلى الأسس النظرية التي يستمد منها أصحاب هذه التعاريف مفاهيمهم ومبادئهم، حيث كان للعلوم السلوكية الأثر الكبير على الكثير ممن يركزون في تعريفاتهم للتعلم الذاتي على تكنولوجيا التدريس، وكان هذا خاصة بظهور المدرسة السلوكية الحديثة التي رائدها **سكنر Skinner** **(**سرايا عادل، 2007، ص52**)**، الذي يرى أن التعلم عملية ترتيب توافقي لخدمة التعزيز مع الاستجابة حيث يتم تعلم المهارات الصعبة والمعقدة بعد تجزأتها وتقسيمها إلى وحدات صغيرة، وكل وحدة يتم تعلمها في وقت معين مصحوبة بقدر من التعزيز الفوري**(**القطامي يوسف محمود، 2005، ص112**)**، وكانت بداية ذلك تطوير **سكنر** لآلة تعليمية للاستعمالات الصفية التي كثيرا ما ارتبطت بالتعليم المبرمج(محمد محمود جاسم، 2004، ص91)، إذ تعرض فيها المادة التعليمية في خطوات صغيرة تتقدم بالتدريج نحو أهداف محددة وتتبع الاستجابات التي يبديها المتعلم بتعزيزات فورية كما تستعمل التعليمات لتساعده في تحقيق الإجابات الصحيحة ويجيب المتعلم بحرية وحسب سرعته في التعلم(فرحاتي العربي، 2001، ص11**)**، ثم انطلقت بعدها الكثير من التجارب التي ركزت على الآلات التعليمية كأساس للتعليم المبرمج، وقد أسست هذه البدايات والطرق للكثير من المبادئ والتعاريف التي ذهب البعض منها إلى الاعتقاد بان التعلم الذاتي هو في أساسه استخدام للآلات التعليمية، ولكن هذا التوجه كان سائدا في فترة ضعف التعليم المبرمج في الستينات وما لبث أن زال ليشمل كل ما يمكن أن تطاله البرمجة من كتب ومصادر التعلم المختلفة.

إلا أننا بالاطلاع على الكثير من التعاريف للتعلم الذاتي يمكن أن نستنتج أن التعلم الذاتي:

-لا يعني بالضرورة استخدام الوسائل التكنولوجيا في التعليم بل يتعداها إلى كل المصادر.

-لا يعني بالضرورة عدم وجود اتصال مباشر بين المعلم والمتعلم بل يتم بإشرافه أو من دونه.

-لا يعني بالضرورة أنه يتم بصورة مستقل بل قد يتم أيضا عن طريق دمجه في النظام التعليمي.

-لا يعني بالضرورة عدم وجود إطار نظامي بل يمكن أن تتم في إطار مؤسساتي نظامي أيضا.

-لا يعني بالضرورة انه يتم بصفة فردية بل يمكن أن يتم بصفة جماعية .

-لا يعني بالضرورة انه اتجاه سلوكي أو معرفي فقط بل هو إطار شامل.

-إن التعلم الذاتي" ليس نشاطاُ أو نمطاُ سلوكياُ فحسب بل أكثر من ذلك" اتجاها شخصيا وأسلوب حياة للفرد في تحقيق ذاته"(أبو حطب فؤاد و فهمي محمد سيف الدين، 1984، ص17**)**.

3.لماذا التعلم الذاتي؟:

إن بزوغ اتجاه لتبنى أساليب التعلم الذاتي، كان نتيجة ظهور عدد من المشكلات التربوية والضـــغوط الاجتماعية، والتي يتوقع الكثير مـــن المربين والخبـــراء أن يكون التعلم الذاتـــي هو الحل الوحـــيد لها أو المخفف الأمثل لحدتها، فقد فرض التعلم الذاتي نفسه اليوم كنظام تعليمي يمتلك القدرة على استيعاب متغيرات العصر، وباتت الحاجة ملحة إلى هذا التعلم في العصر الحديث نظراً للانفجار المعـرفي والتكنولوجي والسكاني، والذي يفرض الكثير من الأعباء سواء على مستوى الفرد نظرا لكثرة ما يحتاجه من معلومات، أو على مستوى الدولة لكثرة الراغبين في التعلم، وتتمثل أهم هذه المبررات في انفجار التكاثر السكاني وتزايد التدفق في عدد

المتمدرسين حيث أدت زيادة عدد السكان إلى عجز المؤسسات التربوية عن استيعاب المتمدرسين، مما أدى إلى ازدحام الفصول، الأمر الذي يصعب معه مراعاة الفروق الفردية بينهم أثناء عملية التعلم بالطريقة التقليدية المتبعة، والفروق لا تكمن فقط بين الأفراد ولكنها تكمن في الفرد نفسه بحيث يختلف في استجابته للمثير الواحد في المواقف المختلفة، وهذا ما يكون في مجموعة من التحديات للبحث عن طرائق التعلم والتعليم المناسبة، مما أدى إلى ضرورة الاستعانة بأساليب التعلم الذاتي الذي يتيح الفرص للطلبة للتعلم كل حسب سرعته في التعلم من حيث العمر والكفاءة والقدرة على الاستيعاب وتحويل الفروق الفردية من فروق في القدرات إلى فروق في الزمن،(سرايا عادل، 2007، ص38)، ونرصد مبررات وجيهة أخرى لتبني التعليم الذاتي في نزعة" الفردانية" الآخذة في التصاعد السريع عالميا تقوض كل ما هو اجتماعي أو جمعي، وتجليات الفردنة لم تقتصر على تحرير الاقتصاد وتعدت إلى تحرير التربية بدءا بالتحرير الإداري والضبط البيروقراطي إلى التحرير البيداغوجي، فإلى التعلم الذاتي أو تفريد التعليم، وليس التفريد مطلب بقدر ما هو حاجة سيكولوجية نمت كنزعة منذ روسو، اقتضتها ضرورات رفع الحجر الاجتماعي على العقل والذات كما يراها روسو وتحرير المبادرات الفردية كما اقتضتها بعد ذلك ضرورات الاستفادة من الفروق الفردية سواء تلك العائدة إلى الوراثة أو العائد منها إلى الوضع الاجتماعي، ولا شك أيضا أن المعرفة العلمية هي الأخرى تزداد بما يشبه المتوالية الهندسية وتنتقل بسرعة فائقة يصعب على المدارس والمتخصصين في النقل الديداكتيكي وبناء البرامج أن يواكبوها بالطرق والوسائل الورقية التي باتت اليوم تقليدية، وقد طرحت قضية انفجار المعرفة تساؤلات كثيرة فرضت نفسها على عملية التعليم والتعلم مثل ماذا نعلم؟ وكيف ننتقي المعلومة من هذا الكم المتراكم من المعلومات؟ وكيف يمكن أن نزيد قدرة الإنسان على تخزين المعرفة و حفظها واستخدامها؟ إن هذا التقدم الهائل والكبير في حجم المعرفة والتكنولوجيا جعلنا أمام خيارات كبيرة وتحديات اكبر من حيث الكم من جهة وكيفية اختيار وانتقاء المعرفة من جهة أخرى.

فهذه التطورات كانت مبررات كافية لبعث صيغة "التعلم الذاتي" كصيغة تجاوزية لكل العقبات والمشكلات التي يثيرها ما يمكن أن نختصره في" صعوبة المواكبة" وعدم ملائمة الصيغ التقليدية للتعلم لما يجري من تغيرات محلية وعالمية.

4.أهداف التعلم الذاتي: من الأهداف التي تتماشى مع الوضع الجديد في التعلم حسب **عادل سرايا**(2007) ما يلي:

-تحسين مفهوم الذات لكل متعلم نتيجة توفير مجموعة من البدائل والأنشطة التعليمية الملائمة التي يمكن أن تشبع حاجاته مما تجعله يمر بخبرة النجاح بصفة مستمرة وفورية الأمر الذي ينعكس على شعور المتعلم نحو ذاته شعورا سارا وطيبا.

-التأكيد على التعلم حتى التمكن.

-مواجهة الفروق الفردية على أسس منهجية سليمة.

-التقليل من الاعتمادية في التعليم وتنمية مبدأ الاستقلالية .

-صياغة الإنتاجيات التعليمة الايجابية في صورة أهداف سلوكية إجرائية تظهر أنماط السلوك المرغوب في كل مجال معرفي، مهاري، وجداني.
-تنمية الدافعية الذاتية للمتعلم نحو التعلم وكذلك وجهة الضبط الداخلي .
-التوظيف المثالي لمصادر التعلم والتعليم المشتقة من مجال تكنولوجية التعليم.
-تنمية المهارات العلمية نتيجة الممارسة الذاتية للأنشطة التعليـــمية الهـــادفة.
-مقابـــلة الزيادة الكبـــيرة في أعـــــداد المتعلمين(جابر عبد الحميد، 1999، ص285)

ويمكن أن نستنتج من خلال تعددية أهداف التعلم الذاتي السابقة أنها تشترك كلها في هدف عام وهو تحقيق حاجات الفرد، ولا شك أن الأهداف والمبررات السابقة للتعلم الذاتي تبرهن عن مجموعة من الخصائص التي تجعله متفردا بالنسبة لأنواع التعليم الأخرى، ويجعل التعلم الذاتي التعليم عملية مستمرة مدى الحياة، ويتيح بدائل متنوعة في مناهج وأوقات وأماكن ونظم الدراسة والتركيز في التعليم على الصناعات المعرفية.

5.أهداف البحث: يمكن تحديد الأهداف التي يصبو هذا البحث إلى تحقيقها في النقاط التالية:
-التعرف على واقع التعلم الذاتي لدى الطلبة وواقع مهاراتهم واتجاهاتهم نحوه.
-التعرف على أثر التعلم الذاتي ببرنامج تعليم حاسوبي مقترح في تنمية اتجاهات طلبة ومهاراتهم نحو التعلم الذاتي.

6.**أهمية البحث:** يستمد هذا البحث أهميته من أهمية الجوانب التي يتعرض لها ومن أهمية الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها ومنها:
-إشاعة ورواج ظاهرة التعلم الذاتي خاصة في هذا العصر التكنولوجي في ظل تنوع وتعدد مصادر التعلم التي جعلت منه موضوعا مثيرا لانتباه الفاعلين التربويين.
-التعلم الذاتي يعتبر من مواضيع الساعة التي تهتم بها المؤسسات الدولية، كالبنك الدولي، ومنظمة اليونيسكو، ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، وطنيا يعتبر التعلم الذاتي من أهم المواضيع التي تعمل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي على تشجيعها .
-أهمية دراسة الاتجاهات التي تعتبر المحدد الرئيسي لسلوك الفرد و لتشكيل المهارات.

7.منهج الدراسة: المنهج المناسب في هذه الدراسة هو المنهج التجريبي، أما متغيرات الدراسة هي: التعلم الذاتي ببرنامج تعليمي حاسوبي كمتغير مستقل والاتجاهات و المهارات نحو التعلم الذاتي كمتغيرات تابعة، أما نوع التصميم التجريبي المتبع في الدراسة فهو تصميم بمجموعتين تجريبيتين ومجموعتين ضابطتين مع الاختبار القبلي والبعدي.

8.التعريف بمتغيرات البحث:

المتغير المستقل: يعرض المتغير الأساسي في هذه الدراسة " التعلم الذاتي بالبرنامج التعليمي الحاسوبي" للتغيير و التجريب بوصفه متغير مستقل، فالتعلم الذاتي كمفهوم إجرائي نعنى به"أحد أساليب التعلم التي يقوم فيها المتعلم بالدور الأكبر في الحصول على المعرفة ويصبح هو محورها والمسيطر على متغيراتها، ويمر المتعلم من خلال التعلم الذاتي ببعض المواقف التعليمية بما يتوافق مع قدراته الخاصة وسرعته في التعلم"، و هو مفهوم مستوحى من بعض المفاهيم النظرية فمثلا يعرفه هوليك Holec"بقدرة الفرد على تولي مسؤولية عملية التعلم" (Holec، 1999،

ص3) وأما **البرنامج التعليمي** كما يعرفه الكثير من الباحثين" هو منظومة تعتمد على التكامل بين وسيلتين أو أكثر من وسائل الاتصال، وكذلك تستخدم النص المكتوب مع الصوت المسموع والصورة المناسبة والمتحركة في توصيل الأفكار أو في التعليم"(ديوبول ب فاندلين، 1986، ص380) ويمكن تعريفه إجرائيا في ظل حدود البحث و متغيراته بأنه:" مجموعة من الدروس التعليمية المصممة وفق برمجة تعليمة مقترحة، تم استلهامها من تقنيات وأسس التعليم المبرمج، والمنتجة وفق إحدى برمجيات الحاسوب المساعدة على تصميم الدروس، بهدف استخدامها كوسيلة تعليمية يستعين بها الطالب ليتعلم ذاتيا في الوحدة التعليمية المختارة ".

المتغيرات التابعة في الدراسة: نبحث في هذه الدراسة أثر المتغيرات المستقلة المعرفة أعلاه، على المتغيرات التابعة الثلاثة التالية (الاتجاهات نحو التعلم الذاتي، ومهارات التعلم الذاتي).

ونتناول مفهوم **الاتجاهات نحو التعلم الذاتي** ونستخدمه **إجرائيا** بالمعنى التالي**: "**هو(مجموع الاستعدادات المعرفية السلوكية والوجدانية) التي تكونت لدى أفراد العينة نحو التعلم الذاتي والتي يعبر عنها بالقبول أو الرفض، ويقاس الاتجاه بمجموع الدرجات التي يحصل عليها الطالب من الإجابة عن فقرات الاستبيان الذي أعد لهذا الغرض"، وهو مفهوم مستوحى من المفاهيم الاصطلاحية القريبة في المعنى كتعريف **محمد فرج** الذي يحدده بأنه " الموقف الذي يتخذه الفرد أو الاستجابة التي يبديها إزاء شيء أو قضية معينة إما بالقبول أو الرفض نتيجة مروره بخبرات معينة تتعلق بذلك الشيء أو الحدث أو القضية "**(**فرج محمد، 1999، ص40**).**

ونتناول مفهوم **مهارات التعلم الذاتي إجرائيا** كما لو أنه "قدرة الدارس على التنظيم والتحكم في العلاقة التفاعلية بين الأنماط المتاحة من الحرية والاختيار والمسؤولية ومجموعة أخرى من القدرات المتميزة في سياق عملية التعلم، والتي يقيسها الاستبيان المصمم لهذا الغرض" وهو مفهوم مستوحى من المفاهيم النظرية حيث يعرفه **حسن زيتون (2001)**" بأنها القدرة على أداء عمل أو عملية معينة التي يتكون في الغالب من مجموعة من الأدوات والعمليات البسيطة الفرعية أو المهارات البسيطة أو الاستجابات البسيطة أو السلوكيات التي تتم بشكل متسلسل ومتناسق فتبدو مؤتلفة بعضها مع بعض**(**زيتون حسن حسين، 2001، ص14**).**

9.حدود البحث: تتمثل حدود هذا البحث و التي يمكن في ظلها تعميم نتائجه في:

-العينة من طلبة التعليم الجامعي و تحديدا طلبة السنة الثانية من قسم علم النفس.

-الإطار المكاني جامعة–باتنة1 وجامعة ام البواقي- الجزائر.

-أدوات الدراسة وهي :البرنامج التعليمي الحاسوبي المقترح في الوحدة التعليمية "علم نفس النمو" ويدرج كمعالجة تجريبية مقياس الاتجاهات نحو التعلم الذاتي واستبيان المهارات.

-التصميم التجريبي و المتمثل في تصميم ذي أربع مجموعات (مجموعتان تجريبيتان ومجموعتان ضابطتان).

-المدة الزمنية لتطبيق التجربة.

10.فرضيات البحث:

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاتجاهات نحو التعلم الذاتي بين طلبة المجموعة التجريبية الذين يدرسون ذاتيا بالبرنامج التعليمي الحاسوبي وطلبة المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية قبل و بعد تطبيق استبيان الاتجاهات نحو التعلم الذاتي.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التعلم الذاتي بين طلبة المجموعة التجريبية الذين يدرسون ذاتيا بالبرنامج التعليمي الحاسوبي وطلبة المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية قبل وبعد تطبيق استبيان مهارات التعلم الذاتي.

-لا يؤثر التعلم الذاتي بالبرنامج التعليمي الحاسوبي في كل من اتجاهات ومهارات التعلم الذاتي.

11.مجتمع وعينة الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة السنة الثانية جامعي شعبة علم النفس العام، وهم عبارة عن فوجين في كل من جامعة الحاج لخضر بباتنة وجامعة العربي بن مهيدي بأم البواقي والمقدر عددهم ب 119 طالب(ة)، وقد تم اختيار المجتمع الأصلي للدراسة بصورة قصديه لان مقياس علم النفس النمو الذي تم برمجته هو من ضمن مقاييس التي يدرسها الطلبة في هذه السنة أما عيــنة الدراسة فضمت كل طلبة المجتمع الأصلي فبعد التدقيق في القوائم والمرور بمراحل الإجراءات التجريبية تناقص عددهم وأصبح كما يوضحه الجدول التالي :

جدول رقم(1): العينة النهائية للدراسة

الجامعة	الأفواج	عينة الاختبارات القبلية	عينة الاختبارات البعدية
الحاج لخضر –باتنة-	الفوج الأول	28	27
	الفوج الثاني	27	27
العربي بن مهيدي-أم البواقي-	الفوج الأول	25	25
	الفوج الثاني	29	27
المجموع الكلي	أربعة أفواج	109	106

حيث أنه بعد التدقيق في القوائم الإدارية للطلبة أصبحت عينة الاختبارات القبلية مكونة من 109 طالبا(ة) من أصل 119 طالبا(ة) ، وكما هو ملاحظ تقلص عدد أفراد العينة مرة أخرى بعد الإجراءات التجريبية إلى 106 طالبا(ة) وذلك بعد إقصاء الطلبة الذين لم يشاركوا في معظم الحصص التجريبية من الاختبارات القبلية والبعدية وذلك مما تتطلبه المعالجة الإحصائية.

12.أدوات الدراسة وخصائصها السيكومترية: لتحقق من أهداف الدراسة تم تصميم مجموعة من الأدوات هي:

برنامج تعليمي حاسوبي لدروس مقياس علم نفس وقد تم تقويم البرنامج بعد تصميمه من خلال قائمة تقييم البرمجيات التعليمية من تصميم **الفار إبراهيم عبد الوكيل،** والتي تتضمن تقييما لأربعة جوانب وهي: المحتوى، خصائص استخدام الأستاذ، خصائص استخدام الطالب وخصائص تشغيل البرمجية، وتبعا لذلك تم الاستعانة بمجموعة من الأساتذة والمختصين في الإعلام الآلي والطلبة، لتقييم الجوانب السابقة الذكر وقد كان المجموع الكلي للنقاط المحصل عليها 129/153 وكانت النسبة الكلية لصلاحية البرمجية 84.31 % وهي نسبة جيدة تسمح لنا بتطبيق البرنامج في الدراسة.

استبيان الاتجاهات نحو التعلم الذاتي: بعد التعديلات التي أجريت على الصورة الأولية للاستبيان والتأكد من خصائصه السيكومترية من صدق محتوى وصدق تمييزي واتساق داخلي الذي كان دال إحصائيا وثبات بطريقة التجزئة النصفية وفق معادلة (بيرسنPerson) والذي قدر ب0.957 حيث تم اعتماده كأداة لقياس اتجاهات الطلبة نحو التعلم الذاتي وأصبح يحتوي في صورته النهائية على 36 عبارة مقسمة حسب الأبعاد السلوكية، المعرفية والانفعالية، ويتم تفسير النتيجة النهائية لكل طالب من خلال الفئات التالية: من 36 إلى 84 اتجاه ضعيف نحو التعلم الذاتي.

من85 إلى132 اتجاه محايد نحو التعلم الذاتي.

من 133 إلى180 اتجاه مرتفع نحو التعلم الذاتي.

استبيان مهارات التعلم الذاتي: بعد التعديلات التي أجريت على الصورة الأولية للاستبيان و التأكد من خصائصه السيكومترية من صدق المحتوى عن طريق عرضه على 9 محكمين و كما تم حساب صدقه التمييزي الذي كان دال إحصائيا، وكذا الاتساق الداخلي لبنوده، أما ثباته فقد تم حسابه عن طريق التجزئة النصفية والذي قدر ب 0.87حيث تم اعتماده كأداة لقياس مهارات التعلم الذاتي وأصبح يحتوي في صورته النهائية على30 عبارة مقسمة إلى الإبعاد التالية: مهارة تولي المسؤولية مهارة الاختيار، مهارة ممارسة الحرية المهارات المتميزة و يتم تفسير النتيجة النهائية لكل طالب من خلال الفئات التالية:

من 30 إلى 69 مهارة ضعيف في التعلم الذاتي.

من 70 إلى110 مهارة متوسط في التعلم الذاتي.

من111 إلى150 مهارة مرتفع في التعلم الذاتي.

13.المعالجة التجريبية وسير تطبيق التجربة: في ضوء نتائج الدراسة الاستطلاعية تم تصميم الدراسة الأساسية، حيث أنه بعد تحقيق التكافؤ بين مجموعات الدراسة وضبط المتغيرات العارضة إحصائيا تم الانطلاق في التجربة بإجراء الاختبارات القبلية التي كان الغرض منها التحقق من مدى التكافؤ بين مجموعات في الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي قبل البدء في التجربة، حيث أفرزت نتائج التحليل الإحصائي عن عدم وجود فوق بين المجموعات التجريبية والضابطة في المتغيرات السابقة، وبعد تطبيق الاختبارات القبلية انطلقت المعالجة التجريبية، حيث قمنا أولا بتحديد أي من المجموعتين سيمثل المجموعة التجريبية وأي منهما سيمثل المجموعة الضابطة عن طريق عملية القرعة، حيث درست المجموعة التجريبية بالبرنامج التعليمي الحاسوبي في مقياس علم نفس النمو تعلما ذاتيا، في حين درست المجموعة الضابطة بالطريقة التقليدية، وقد إستغرق تطبيق التجربة سبع حصص بمعدل حصة واحدة في الأسبوع لكل مجموعة بحجم ساعي يقدر ب ساعة و نصف، وقد استخدمت الباحثة بطاقة الملاحظة للتقييم المستمر والتي نهدف من استخدامها إلى توفير معلومات عن كل طالب على حدا، بحيث يقيم كل طالب من ناحية الحضور في كل حصة ومن ناحية انجاز الأعمال التي يكلفون بها، وبعد الانتهاء من المعالجة التجريبية للدروس المبرمجة تم تطبيق الاختبارات البعدية لكل من الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي في وقت متزامن بالنسبة للمجموعات التجريبية والضابطة.

14.عرض نتائج الدراسة:

عرض نتائج الفرضية الأولى: وقد **نصت** على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الاتجاهات نحو التعلم الذاتي بين طلبة المجموعة التجريبية الذين يدرسون بالبرنامج التعليمي الحاسوبي وطلبة المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية قبل وبعد تطبيق استبيان الاتجاهات نحو التعلم الذاتي. ويتطلب اختبار هذه الفرضية كما هو مبين من منطوقها الإجراءات التالية:

-اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة قبل البدء في التجربة الذي يوضح لنا مستوى وواقع اتجاهات الطلبة نحو التعلم الذاتي.

-اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة بعد القيام بالتجربة والذي يبين لنا اثر المعالجة التجريبية.

-حيث قمنا بإجراء اختبار قبلي للاتجاهات نحو التعلم الذاتي لكل المجموعات التجريبية والضابطة من خلال تطبيق استبيان الاتجاهات نحو التعلم الذاتي وبعد فترة المعالجة التجريبية وانتهاء التجربة قمنا بالإجراء الاختبار البعدي، وبعد استرجاع الاستبيانات قمنا بتصحيحها وفق دليل التصحيح الخاص بها، وبحساب دلالة الفروق بين المجموعات التجريبية و الضابطة من خلال الاختبار الإحصائي (ت) للعينات المستقلة وبتحليل البرنامج الإحصائي (spss20)، كانت نتائج الاختبار القبلي والبعدي في ما يخص الاتجاهات نحو التعلم الذاتي كما يلي:

اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة قبل البدء في التجربة:

جدول رقم (2):نتائج الاختبار القبلي للاتجاهات نحو التعلم الذاتي

المجموعات	عدد أفراد المجوعات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	دالة عند مستوى 0.05		
				قيمةT	درجة الحريةdf	Sig. (2-tailed)
المجموعة التجريبية	52	120.19	10.59	-.114	107	.910
المجموعة الضابطة	57	120.42	10.36			

يتضح من خلال الجدول أن الفروق متساوية بين المجموعتين إلى حد كبير حيث قدر متوسط المجموعة التجريبية المقدر بـ 120.19 ومتوسط المجموعة الضابطة ب 120.42، ويمكن الحكم على هذه المتوسطات وبالرجوع إلى فئات تفسير الاستبيان بأنها اتجاهات متوسطة (محايدة) وذلك لأنها تقع في فئة (85 إلى132) التي تعبر عن اتجاه محايد متوسط نحو التعلم الذاتي. أما من ناحية الدلالة الإحصائية فلا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي للاتجاهات نحو التعلم الذاتي وذلك لان قيمة ت (Sig. (2-tailed والتي تساوي910. أكبر من مستوى الدلالة (0.05)، وهذا ما يعني أن المجموعتين متساويتين في اتجاههما قبل البدء بالتجربة.

اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة بعد القيام بالتجربة:

جدول رقم (3): نتائج الاختبار البعدي للاتجاهات نحو التعلم الذاتي

المجموعات	عدد أفراد المجوعات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	دالة عند مستوى 0.05		
				قيمةT	درجة الحرية df	Sig. (2-tailed)
المجموعة التجريبية	52	129.23	12.56			
المجموعة الضابطة	54	122.38	12.63	2.765	104	006

يتضح من خلال الجدول أن المجموعتين غير متساويتين فهناك تباعد بين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، حيث يقدر حجم الفرق بين المتوسطين ب 6.85 وهذه الفروق كما هو ملاحظ لصالح المجموعة التجريبية، ويمكن الحكم على هذه المتوسطات وبالرجوع إلى فئات تفسير الاستبيان بأنها لا تزال متوسطة محايدة وذلك لأنها تقع في فئة (85 إلى132)التي تعبر عن اتجاه محايد نحو التعلم الذاتي رغم ارتفاع المتوسطات خاصة متوسط المجموعة التجريبية، ومن ناحية الدلالة الإحصائية فهذه الفروق هي ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 ذلك لان قيمة ت Sig. (2-tailed) والتي تساوي006. أصغر من مستوى الدلالة (0.05)، ما يعني أن المجموعتين غير متساويتين في اتجاههما نحو التعلم الذاتي بعد التجربة، مما يعني حصول تغير ذا قيمة إحصائية في اتجاهات الطلبة بعد التعرض للبرنامج.

عرض وتحليل نتائج للفرضية الثانية: وقد **نصت** على أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مهارات التعلم الذاتي بين طلبة المجموعة التجريبية الذين يدرسون بالبرنامج التعليمي الحاسوبي وطلبة المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة التقليدية قبل وبعد تطبيق استبيان مهارات التعلم الذاتي، يتطلب اختبار هذه الفرضية كما هو مبين:

-اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة قبل البدء في التجربة لتبيان مستوى وواقع مهارات الطلبة في التعلم الذاتي وعما كانت هناك فروق بين المجموعتين قبل التجربة.

-اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة بعد القيام بالتجربة، و هو ما يوضح لنا الفرق الذي تحدثه المعالجة التجريبية.

حيث قمنا بإجراء اختبار قبلي لمهارات التعلم الذاتي لكل المجموعات التجريبية و الضابطة من خلال تطبيق إستبيان مهارات التعلم الذاتي وبعد فترة المعالجة التجريبية قمنا بإجراء الاختبار البعدي، وعند استرجاع الاستبيانات قمنا بتصحيحها وفق دليل التصحيح الخاص بها، وبحساب دلالة الفروق بين المجموعات التجريبية و الضابطة من خلال الاختبار الإحصائي (ت) للعينات المستقلة وبتحليل البرنامج الإحصائي (spss 20)، كانت نتائج الاختبار القبلي والبعدي في ما يخص مهارات التعلم الذاتي كما يلي:

اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة قبل البدء في التجربة:

جدول رقم (4):نتائج الاختبار القبلي لمهارات التعلم الذاتي

المتغير	عدد أفراد المجوعات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	دالة عند مستوى 0.05		
				قيمةT	درجة الحريةdf	Sig. (2-tailed)
المجموعة التجريبية	52	110.34	7.07	.316	107	.753
المجموعة الضابطة	57	109.77	11.23			

يتضح من خلال الجدول أن الفروق متساوية بين المجموعتين فرغم الاختلاف بين الانحراف المعياري للمجموعتين والارتفاع الطفيف لمتوسط المجموعة التجريبية المقدر ب 34.110 مقارنة بمتوسط المجموعة الضابطة المقدر ب 109.77، وتدل هذه المتوسطات على وجود مهارات متوسطة نوعا ما وذلك لأنها تقع في فئة من(70 إلى110) التي تدل على وجود مهارة متوسطة في التعلم الذاتي حسب فئات تفسير نتائج لاستبيان، ومع هذا لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المجموعتين الضابطة والتجريبية في الاختبار القبلي لمهارات التعلم الذاتي وذلك لان قيمة ت (Sig.(2-tailed والتي تساوي753. أكبر من مستوى الدلالة (0.05) وهذا ما يعني أن المجموعتين متساويتين مبدئيا في مهارات التعلم الذاتي قبل التجربة.

اختبار الجزء الخاص بالفرق بين المجموعات التجريبية والضابطة بعد القيام بالتجربة:

جدول رقم (5):نتائج الاختبار البعدي لمهارات التعلم الذاتي

المجموعات	عدد أفراد المجوعات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	دالة عند مستوى 0.05		
				قيمةT	درجة الحريةdf	Sig. (2-tailed)
المجموعة التجريبية	52	117.26	8.99	2.215	104	.029
المجموعة الضابطة	54	113.22	9.78			

نلاحظ من الجدول الارتفاع في المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية المقدر ب 117.26. مقارنة بمتوسط المجموعة الضابطة المقدر ب 113.22 وتدل هذه المتوسطات على وجود مهارات مرتفعة نوعا ما وذلك لأنها تقع في فئة من(111 إلى150) حسب فئات تفسير نتائج الاستبيان، كما يتضح من خلال الجدول أن المجموعتين غير متساويتين حيث أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المجموعتين الضابطة و التجريبية في الاختبار البعدي لمهارات التعلم الذاتي، وذلك لان قيمة ت (Sig. (2-tailed والتي تساوي029. أصغر من مستوى الدلالة (0.05)، مما يعني أن المجموعتين غير متساويتين في المهارات بعد التجربة **وهذا يعني وجود تغير ذا قيمة إحصائية في مهارات الطلبة بعد التعرض للبرنامج التعليمي الحاسوبي.**

عرض وتحليل نتائج الفرضية الثالثة: وتنص على أنه لا يوجد هناك أثر للبرنامج التعليمي الحاسوبي في كل من الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي.

ويتطلب اختبار هذه الفرضية كما هو مبين من منطوقها القيام بالإجراءات التالية: حيث تشمل هذه الفرضية في دراستها للتأثير الذي يحدثه البرنامج التعليمي الحاسوبي على كل المتغيرات التابعة أي اتجاهات ومهارات التعلم الذاتي والتحصيل العلمي، فلتأكد من صحت هذه الفرضية سنقوم بحساب حجم التأثير من خلال مربع ايتا (η^2) للفرق بين الاختبارات القبلية والبعدية للمجموعة التجريبية في الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي وللاختبار البعدي بين المجموعة التجريبية والضابطة في الاختبار التحصيلي، وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (6): مربع ايتا لحجم التأثير للبرنامج التعليمي الحاسوبي في الاتجاهات و مهارات التعلم الذاتي

المتغير	المجموعة	قيمة ت	درجات الحرية	ايتا	مربع ايتا	حجم التأثير
الاتجاهات نحو التعلم الذاتي	التجريبية (قبلي- بعدي)	-4.046	51	.854	.730	متوسط
مهارات التعلم الذاتي	التجريبية (قبلي - بعدي)	-4.469	51	.761	.579	متوسط

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن نسبة تأثير المعالجة التجريبية والمتمثلة في البرنامج التعليمي الحاسوبي متوسطة حسب معايير **كوهنCohen** لحجم التأثير، وذالك لتموقعها بين(0.5و0.8) والتي تدل على تأثير متوسط للمعالجة التجريبية وهي تميل إلى الارتفاع بالنسبة لمتغير الاتجاهات نحو التعلم الذاتي مقارنة بباقي المتغيرات حيث يقدر مربع ايتا ب 730. يليه في ذلك التحصيل العلمي وبدرجة أقل مهارات التعلم الذاتي.

تفسير النتائج المتوصل إليها:

يمكن أن نستنتج من خلال موضوع هذا البحث وما أسفر عنه من نتائج أن التغيير في طرقنا التعليمية المتبعة والموصوفة بالتقليدية بطرق أخرى أكثر حداثة كاستخدام البرامج التعليمية الحاسوبية يؤدي إلى التأثير إيجابا وبدرجات متفاوتة في اتجاهات ومهارات التعلم الذاتي تبعا لخصوصية كل متغير، ويمكن أن نناقش هذه النتائج في ضوء نظريات التعلم الذاتي والتعليم المبرمج حيث كان للعلوم السلوكية الأثر الكبير في بروز هذه الاستراتيجيات التعليمية وما أفرزته من نتائج، فاعتبار التعلم عملية ترتيب توافقي لخدمة التعزيز مع الاستجابة بحيث يتم تعلم المهارات الصعبة والمعقدة بعد تجزأتها وتقسيمها إلى وحدات صغيرة، وكل وحدة يتم تعلمها في وقت معين مصحوبة بقدر من التعزيز الفوري، كما أن التكرار والذي يعني أن التعلم يكون عن طريق التدريب المستمر ومبدأ المشاركة والذي يعني أن يكون للمتعلم دور ايجابي في التعلم، هذا بالإضافة إلى المبادئ المقترحة ضمن تصميم البرمجية التعليمية والمستنبطة من البرمجة الخطية والمتشعبة ومن خصائص الوسائل الفائقة، كل هذه المبادئ والخطوات لها تأثيرها في الرفع من الاتجاهات ومهارات التعلم الذاتي للطلبة، وما يجدر به الذكر أنه بالإضافة إلى الأثر الكبير للنظريات السلوكية في التعلم الذاتي خاصة منه التعليم المبرمج تمت الاستفادة أيضا من نظرية

الإدراك والنظرية المعرفية بمبادئها المتعلقة بالبنية والتنظيم، أي تنظيم المعلم للمادة التدريسية بالطريقة التي تساعد على تسهيل عملية التعلم، ومبدأ الفهم الذي يركز على أن التعلم الناتج عن الفهم أفضل من التعلم الناتج عن الحفظ، وكذا مبدأ التغذية الراجعة وضرورة معرفة نتائج التعلم والفروق الفردية، أما ما أستفيد منه في النظرية الشخصية وعلم نفس الاجتماعي من خلال مبادئها كمبدأ التلقائية في التعلم، ومبدأ الأغراض ومفاده أن التعلم لا يتم من فراغ فهناك احتياجات للمتعلم تشكل دوافع مهمة في التعلم، بحيث شكلت كل هذه المبادئ مجتمعة الأسس التي قامت عليها إستراتيجية التعلم الذاتي بالبرنامج التعليمي الحاسوبي المقترح، فهذا التغيير في الطرق التعليمية سمح بالرفع من اتجاهات الطلبة نحو التعلم الذاتي والإحساس بمسؤولية التعلم، كما تأثرت مهاراتهم أيضا كمهارة تحمل المسؤولية ومهارة الحرية والاختيار التي كانت أكثر ارتفاعا كلما زادت درجة الاستقلالية المعطاة للطالب، و على الرغم من هذه النتائج التي هي بحاجة إلى الكثير من البحث والتدقيق لا تزال تعتبر مشكلة التعلم الذاتي عائق حقيقيا أمام أنظمتنا التعليمية التي يطغى عليها أساليب وطرق تعليمية أثبت الواقع وهذا البحث والكثير من البحوث والدراسات السابقة تكريسها للاعتمادية وقد سمح لنا هذا البحث بما افرزه من نتائج نظرية كالمبادئ الجديدة في البرمجة المقترحة لهذا البحث وما اتفقت به مع الكثير من الدراسات السابقة الأخرى التوصل إلى أحد الحلول لهذا المشكل في نطاق حدود البحث ومتغيراته.

خاتمة:

إن انتهاج طريقة التدريس بالبرامج التعليمية الحاسوبية لتحقيق التعلم الذاتي أمر يحتاج الكثير من الدراسة لمختلف جوانب الموضوع ولمختلف المتطلبات والمتغيرات التي تتدخل في تكوينه ابتداء من دراسة الاتجاه وصولا إلى بروز السلوك الفعلي للتعلم الذاتي والمتمثل في المهارات والانتقال من الوضع القائم إلى أخر يختلف عنه جزئيا أو كليا يرافقه دائما صعوبات و يسير وفق خطوات تتأرجح بين الانحياز إلى الوضع القديم المألوف وصعوبة الانتقال إلى الوضع الجديد المجهول نسبيا، وقد سمح لنا هذا البحث التحقق من أثر البرنامج التعليمي الحاسوبي المعد في إطار استراتيجية التعلم الذاتي، وهو ما يساعد طلبتنا على مسايرة العصر الرقمي بأساليب تتفق واهتماماتهم من جهة ومن جهة أخرى تتفق واستراتيجيات التعلم الحديثة، مما يسمح بنمو شخصيات تتمتع بحس المبادأة وتحمل مسؤولية التعلم وتسعى إلى تحقيق التعلم المستمر وهو ما تصبو إليه كل الأهداف والفلسفات التعليمية.

قائمة المراجع:

1. أبو حطب فؤاد و فهمي محمد سيف الدين(1984)، معجم علم النفس والتربية انجليزي -عربي، ج1، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر.
2. القطامي يوسف محمود(2005)، نظريات التعلم والتعليم، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن.
3. ب فاندلين ديوبولد(1986)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة محمد نبيل نوفل، ط2، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
4. حسن شحاته، النجار زينب(2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
5. زيتون حسن حسين(2001)، مهارات التدريس رؤية مستقبلية، ط1، عالم الكتاب، القاهرة، مصر.

6.سرايا عادل(2007)، التعليم المفرد وتنمية الابتكار رؤية تطبيقية، ط1، دار وائل لنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
7.عبد الحميد جابر(1999)، استراتيجيات التدريس والتعليم، ط1، دار الفكر، القاهرة، مصر.
8.شحاتة حسن وآخرون(2003)، معجم المصطلحات النفسية والتربوية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
9.عبد الله المقبل(29 ديسمبر2009)، التعلم الذاتي، متوفرة على الموقع: http://instec.wordpress.com
10. فرحاتي العربي(2001)، التعليم الذاتي وتكنولوجيا التعليم والمعلوماتية، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الوسائل الحديثة لتدريس العلوم الإسلامية والإنسانية، مطبوعات نيابة الجامعة المكلفة بالمسائل التربوية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر.
11. فرج محمد(1999)، اتجاهات حديثة في تعليم وتعلم العلوم، ط1، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع الرياض، السعودية.
12. محمد محمود جاسم(2004)، نظريات التعلم، دار الثقافة لنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
13. Holec(1991)، Autonomyand Foreign Language Learning ،Oxford ،pergamon ،Britain.

مصادر التنافر بين البحث الأكاديمي في علم النفس والممارسة النفسية في منظمات العمل

Sources of dissonance between academic research in psychology and psychological practice in labor organizations

أ.د لعريط بشير، جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

ملخص: إن عملية الإهتمام بالأفراد وإيلائهم العناية اللازمية تعد محور أساسي لكل منظمة، لذا فمن المهم جدا تعديل السلوك بما يخدم منظمات العمل وتقليص درجة التنافر بين البحث و بين منظمات العمل، لذا فقد هدفت هذه الدراسة إلى تحديد مصادر التنافر بين البحث الأكاديمي في علم النفس والممارسة النفسية في منظمات العمل، وذلك من خلال محاولة البحث في واقع البحث العلمي والتكوين الجامعي في الجزائر، وكذا محاولة رصد أهم مصادر التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل، إضافة إلى تحديد أهم مؤشرات التنافر/أو الفجوة الموجودة بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل، وكذا الإجراءات الواجب اعتمادها لتقليص درجة التنافر بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، البحث العلمي النفسي، الممارسة النفسية، منظمات العمل، الجامعة.

Abstract:The process of caring for individuals and paying them attention is a key focus of every organization, It is very important to modify the behavior to serve the work organizations and to reduce the degree of dissonance between research and among the work organizations,The aim of this study was to identify sources of dissonance between academic research in psychology and psychological practice in labor organizations, Through the attempt to research the reality of scientific research and university training in Algeria, And monitor the most important sources of disharmony between scientific research in psychology and labor organizations, And the identification of the most important indicators of discrepancy or the gap between scientific and psychological research and labor organizations, and the procedures to be adopted to reduce the degree of dissonance between scientific research and psychological organizations.

Keywords: scientific research, psychological research, psychological practice, work organizations, university.

مقدمة:

يعتبر البحث العلمي من المظاهر المميزة في صيرورة الحياة البشرية عبر العصور، فالكثير من الأمم أدركت أن عملية الحفاظ على كيانها بمدى اهتمامها ودرجة استفادتها من نتائج البحث العلمي في مختلف المجالات و توجيهه نحو خدمة أفرادها ومنظماتها على اختلاف طبيعة أنشطتها، فالدول المتقدمة أولت الاهتمام الأكبر للبحث العلمي وعيا منها بدوره الريادي في وضع السياسات والاستراتيجيات التي تسهم في تحقيق التنمية المستدامة وكذا اعتباره معيارا للتقدم.

واعتبارا من ذلك كان الاهتمام بالبحث العلمي وترشيده ضرورة ملحة لا يجب تجاوزها من قبل البلدان المتخلفة ومنها الجزائر التي غالبا ما تتعامل مع الظروف التي تعصف بها اعتمادا على إجراءات ارتجالية لم يسهم البحث العلمي في تشخيص مصادرها واقتفاء أثارها المستقبلية ، فهو السبيل الأوحد لردم أو تقليص الفجوة بين بلدان عالم المال النامي أين يأخذ البحث العلمي الاستثمار المادي والبشري الأكبر، فمن خلاله تشخص المشكلات الفردية، التنظيمية، الاجتماعية، النفسية والتقنية تشخيصا دقيقا يسمح بإيجاد الآليات الكفيلة بالتعامل معها بأسلوب علمي هادف، كما يسهم في تعزيز إجراءات الحفاظ على مقومات النجاعة بهدف الوقاية من مشكلات مستقبلية، كما يسهم أيضا في إنماء جوانب شخصية الموارد البشرية والمنظمات على اختلاف طبيعة أنشطتها.

ثم إن المتمعن في إنشاء مراكز البحث ومخابر البحث في الجزائر ليرى بصورة جلية من الناحية النظرية أنها الوعاء الذي يصطاد الأفكار ويعمل على تطويرها لصقل الفكرة حتى تصبح منتجا أو خدمة تسهم في إشباع الحاجات الفردية والتنظيمية.

وباعتبار البحث العلمي في علم النفس يهدف في المقام الأول إلى التنمية البشرية والتنظيمية من خلال تقديم الخدمات التشخيصية، العلاجية، الوقائية والإنمائية للأفراد والمنظمات بمواصفات الجودة، ونظرا لوجود خلل على مستوى العلاقة بين البحث العلمي ومنظمات العمل والذي أدى إلى إحداث أزمات متعاقبة نفسية، اجتماعية واقتصادية انعكست سلبا على الحياة بصفة عامة كالعنف، التسرب المدرسي، تفشي ظاهرة المخدرات، عدم تحقيق الحد الأدنى من الخدمة أو الإنتاج بالرغم من الاستثمارات المالية الهائلة في هذا المجال إلا أن النتائج كانت هزيلة.

وفق هذا المنظور تتجلى أهمية الاهتمام بالأفراد كونه المقوم الأساسي في إحداث التوازن في صيرورة الحياة بمختلف مناحيها من خلال إبراز أهمية البحث النفسي في تعديل السلوك بما يخدم منظمات العمل و تقليص درجة التنافر بين البحث و بين منظمات العمل.

إشكالية:

يعد البحث العلمي من أهم المظاهر المميزة لعصرنا الحالي حيث أدركت كثير من الأمم بأن وجودها وكيانها وتطورها وقوتها جميعها مرهونة بما تنجزه في مجال البحث العلمي، فأخذت ترسم لذلك الخطط وتقيم المراكز والمؤسسات وترصد الإعتمادات المالية إدراكا منها بأن الاستثمار في البحث العلمي هو من أكثر أنواع الاستثمار ريعا، البحث العلمي من الوظائف الأساسية للجامعة، هو عنصر مهم وحيوي لها كمؤسسة علمية وفكرية إذ يعتبر من أهم الأسباب

في تقدم الدول فقد أصبح شرطا هاما لتقدم المجتمع فهو يشتمل على مناحي الحياة كافة بما فيها العلمية والثقافية، الاقتصادية والاجتماعية والتقنية.

وإذا كانت الدول المتقدمة تولي اهتماما للبحث العلمي فذلك يرجع إلى أنها أدركت أن عظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية والمهارية، وإلى أن تحقيق أهدافها ومرامي سياساتها مرهون بالتفوق في مجال البحث العلمي. هذا الأخير يعتبر بمثابة الركيزة الأولى والدعامة الأساسية في اقتصاد الدول وتطورها وتحقيق رفاهية شعوبها والمحافظة على مكانتها الدولية وتحصين دفاعاتها(عبد الله مجيدل وآخرون، 2010، ص23)، وبذلك يصبح البحث العلمي ضرورة لا يمكن تجاوزها بالنسبة للبلدان العربية ومنها الجزائر، لأنه السبيل الوحيد لردم الفجوة التي تفصل البلدان التي هي في طور النمو عن العالم المتقدم هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يمكن المحافظة على انجازاتنا الوطنية وتعزيزها والمحافظة على هويتنا وكياننا إلا بامتلاك ناصية البحث العلمي، إضافة إلى ذلك فهو قاعدة أساسية تنطلق منها مبادرات التنمية الصناعية والاجتماعية والاقتصادية بما فيها مؤسسات ومنظمات العمل، فهو مقياس تقدم الدول، كما وأن التفاوت الواضح بين الدول المتقدمة والدول النامية يرجع بشكل أساسي إلى الاستثمار في البحث وتطبيق نتائجه في كافة القطاعات التنموية، وإن المتمعن في الهدف من مراكز البحوث العلمية ليرى بوضوح أنها الوعاء أو المكان الذي يصطاد الأفكار ويطورها إلى أن تصل أبحاثا ويستمر في تطويرها حتى تصل الرؤية التي من أجلها خرجت الفكرة لتصبح منتجا أو خدمة تسهم في تطوير مستوى معيشة الفرد، وعليه فقد خطت الجزائر خطوات عملاقة في عملية الاستثمار للبحث العلمي من خلال إنشاء العديد من مراكز البحث وإعداد الكثير من برامج التطوير العلمي و البحث التكنولوجي في مختلف التخصصات، فقد خصصت لذلك ميزانية ضخمة لذلك لم يعد العجز في قطاع البحث العلمي يتوقف على الموارد المالية الضرورية بل تعداه ليشمل المورد البشري الذي يعاني من مرض غياب ثقافة البحث العلمي وخاصة فيما يتعلق بعدم التقيد بمبادئ الجودة الشاملة في إدارة مختلف العمليات المهنية التي تحكم الأداء بهدف علاج المشكلات التقنية، التنظيمية، الاجتماعية، النفسية ...الخ كمرحلة أولى، و الوقاية منها مستقبلا خاصة، وأن التطورات سريعة و متلاحقة تستوجب الإعداد للتكيف معها كونها تؤثر بشكل مباشر على صيرورة أداء منظمات العمل.

وباعتبار البحث العلمي في علم النفس يهدف في المقام الأول إلى التنمية البشرية و التنظيمية من خلال تقديم الخدمات التشخيصية، العلاجية، الوقائية والإنمائية للأفراد والمنظمات بمواصفات الجودة، ونظرا لوجود خلل على مستوى العلاقة بين البحث العلمي ومنظمات العمل والذي أدى إلى إحداث أزمات متعاقبة نفسية، اجتماعية واقتصادية انعكست سلبا على الحياة بصفة عامة كالعنف، التسرب المدرسي، تفشي ظاهرة المخدرات، عدم تحقيق الحد الأدنى من الخدمة أو الإنتاج بالرغم من الاستثمارات المالية الهائلة في هذا المجال إلا أن النتائج كانت هزيلة

وفق هذا المنظور تتجلى أهمية الاهتمام بالأفراد كونه المقوم الأساسي في إحداث التوازن في صيرورة الحياة بمختلف مناحيها من خلال إبراز أهمية البحث النفسي في تعديل السلوك بما يخدم منظمات العمل وتقليص درجة التنافر بين البحث و بين منظمات العمل.

أسئلـــة الدراســـة: وفقا لمشكلة الدراسة الحالية تكمن أهم التساؤلات في الآتي:

-ما هو واقع البحث العلمي والتكوين الجامعي في الجزائر؟

-ما هي مصادر التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل من وجهة نظر أفراد العينة؟

-ما هي أهم مؤشرات التنافر/أو الفجوة الموجودة بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل؟

-ما هي الإجراءات الواجب اعتمادها لتقليص درجة التنافر بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل؟

أهـداف الدراســـة: تهدف الدراسة في مجملها إلى تحقيق الأهداف التالية:

-إبراز واقع البحث العلمي والتكوين الجامعي في الجزائر.

-الكشف عن أهم مصادر التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل باختلافها.

-التعرف على مظاهر ومؤشرات التنافر بين البحث العلمي في علمي النفس والمؤسسات المهنية.

-التعرف على مدى حاجة منظمات العمل للبحث العلمي في علم النفس ومساهمة هذا الأخير في تطويرها ورقيها.

-اقتراح استراتيجيات فاعلية لكيفية الاستثمار الجيد للبحث العلمي في علم النفس لصالح وخدمة أهداف المؤسسات والمنظمات المهنية.

أولا. البحـــث العلمـــي:

يتزايد الاهتمام بالبحث العلمي بشكل متصاعد في مختلف الدول وخاصة منها تلك التي كانت إلى وقت قريب تعاني تحت الاستعمار وذلك في سبيل إحراز مزيد من التقدم التقني الذي يخدم التنمية، وقد عرف قطاع البحث العلمي بالجزائر تطورا متزايدا منذ السنوات الأولى للاستقلال حين بادرت الدولة للتوجه نحو تطوير قطاع التعليم العالي والبحث العلمي.

أ.تعريف البحث العلمي:

يعرفه (بدر) بأنه "وسيلة الاستعلام والاستقصاء المنظم بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلمات الجديدة، وذلك باستخدام خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة"، ويعرفه كذلك (فيشر) على أنه "يتضمن سلسلة من الأنشطة المتتابعة التي تتراوح ما بين البحث الأساسي الموجه بالدرجة الأولى إلى إيجاد اكتشافات جديدة بحث على أساسها فيما بعد تطوير تجريبي يليه التصميم والهندسة والعمليات النموذجية وتكوين مهارات مما يؤدي إلى إدماج النتائج في منتجات محسنة"(منتهى عبد الزهرة محسن، 2012، ص264).

وعليه ومما سبق يمكننا القول أن البحث العلمي بشكل عام هو تلك الطريقة المنظمة والنشاط الخلاق الذي يساهم بصورة فعالة في بناء القدرات والمهارات الإبداعية ودعم هذه المهارات التقنية وخلق جو يساعد على الإبداع والابتكار.

ب.أهمية البحث العلمي:

-تزايد الاهتمام بالبحث العلمي طول القرن العشرين، أدى هذا الاهتمام إلى بلوغ أهداف أكبر مما كان متصورا أو منتظرا من قبل واضعي السياسات العامة في مجال البحث العلمي عموما،

فالاكتشافات المتتالية في مختلف الميادين أدهشت الفرد وأعطته وسائل لم يتصورها، فالبحث العلمي يمثل العمود الفقري لأية تنمية اقتصادية أو اجتماعية أو إنسانية حيث تشير التقارير الدولية إلى أن البحث العلمي يساهم ما بين 25% 45% في النمو.

-فالدراسات العديدة التي تم إجراؤها أثبتت مدى الارتباط بين البحث العلمي والتنمية، كما توصلت نتائجه إلى أهميته في الحد من أزمة البطالة وخلق مناصب الشغل وزيادة الدخل القومي.

-وإن سياسات البحث العلمي تركز على الدور المتعاظم للقطاع الخاص في تطوير البحث إلى جانب القطاع العمومي(غنية شليغم وآخرون، 2007).

ج.معوقات البحث العلمي:

هناك دور متنام نوعا ما لمراكز الأبحاث والجامعات في دعم الأبحاث العلمية نتيجة لقدرتها على إجراء الدراسات التحليلية المعمقة حول المتغيرات والتطورات والتجارب، واستشراف الحلول المستقبلية وتوقع تطور الأحداث. فبالرغم من ذلك نجد أن المجتمعات العربية لا تهتم بالأبحاث العلمية على الوجه المأمول ولا تجعلها ضمن أسباب قوتها وهيمنتها ويمكن تعزية غياب القوة البحثية العربية -وخاصة الجزائرية منها- وقلة تواجدها في الساحة العالمية للأسباب الآتية:

-عدم توفر مراكز المعلومات في الجامعات.

-ضعف توفر الحرية للباحثين.

-عدم اعتماد برامج مبتكرة للبحث العلمي واختيار التكنولوجيا المناسبة بها.

-ندرة الباحثين. انخفاض معدل الإنتاجية.

-غياب التعاون والتنسيق.

-المخصصات المالية الضعيفة.

-غياب القطاع الخاص عن المساهمة.

-ضعف التسويق(عون عوض محيسن، 2011، ص397-398).

ثانيــا. مدى ارتباط ومساهمة البحث العلمي في التنمية الاقتصادية الاجتماعية:

إذا كانت العديد من الآراء والاتجاهات تربط التنمية أساسا بالاعتبارات الاقتصادية فإن الفرد يظل من الناحية الافتراضية هو محور كل تنمية حقيقية فهو وسيلتها الرئيسية كما هو هدفها في آخر المطاف، بحيث ينبغي أن تنصب على تأهيله وتمكينه من مختلف المقومات العلمية والعملية والمجتمعية والاقتصادية، ويعتبر البحث العلمي أحد المداخل الرئيسية التي تدعم بلورة تنمية إنسانية حقيقية. حيث ينطوي هذا القطاع (البحث العلمي) على أهمية قصوى في عصرنا الحالي ولذلك يشهد استثمارا متزايدا لتجاوز مختلف الإكراهات ومؤشرا أساسيا لقياس مستويات التنمية الاجتماعية والاقتصادية داخل الدول.

غير أنه في الجزائر لم يكن لمسألة ارتباط البحث العلمي بالمحيط الاجتماعي والاقتصادي في الجامعات والمراكز البحثية أي وجود لكون الغاية في ذلك الوقت كانت فقط إعطاء الانطلاقة لهذا الميدان، ومع بروز نوع من الاهتمام بهذه المسألة في نهاية الثمانيات، فإن الوضعية بقيت على حالها مما حال دون استثمار ما ينجز من دون دراسات وأبحاث وتطويعها لخدمة التنمية.

وقد أجرى البنك العالمي في هذا الميدان دراسة في الجزائر على مستوى الجامعات والمراكز المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا وحرر تقريرا جاء فيه ((أن البحث العلمي الملاحظ في الجامعات الجزائرية كان بغض النظر عن بعض الاستثناءات جد أكاديمي بدون وقليل التطبيقات الفورية أو المحتملة على مستوى الصناعة المحلية أو الوطنية))، ولا شك أن العلوم الاجتماعية والإنسانية تختلف في مضمونها عن هذا التقرير.

ومن هنا نلاحظ أن وضعية البحث العلمي والتكنولوجي في الجزائر تدل على غياب سياسة وطنية واضحة للبحث وللتطوير لغاية وقت قصير، كما أن رسم مثل هذه الخطة ليس أمرا هينا لما يتطلبه من إمكانات مادية وبشرية هائلة، كالهياكل الملائمة مثل المخابر، و الحوافز الحقيقية للباحثين وتحديد الأولويات المجتمعية في هذا الميدان والاهتمام بالجانبين التنظيمي والتسييري(خلف الله بوجمعة، دس، ص08).

يبقى أن أهمية البحث العلمي أصبحت من المسلم بها في تطوير المجتمعات وازدهارها، فهو الركيزة التي تقوم عليها خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في جميع بقاع العالم.

ثالثـا. طبيعة العلاقة بين البحث العلمي ومنظمات العمل:

إجمالا يمكن بلورة الأهمية المستخلصة من تعاون الجامعات كمؤسسات بحثية والقطاعات التقنية من خلال مجموعة الفوائد والمزايا التي تخدم التنمية الصناعية ومنظمات العمل بشكل عام، وأهمها الاستفادة من البحوث العلمية الجامعية في المجالات الإنتاجية بوحدات القطاع الخاص، حيث الاستفادة من هذه الأبحاث والمعلومات التقنية سوف يساعد على:

-تحقيق عائد كبير للقطاع الخاص بشكل كبير وبدوره ينعكس ذلك على تحقيق الأهداف التنموية للدول النامية بشكل عام.

-توفير المعلومات التقنية للقطاع الخاص، وذلك من خلال تعدد وسائل المعرفة العلمية بالجامعات ومخابر /أو مراكز البحث وسهولة نقلها للقطاع الخاص.

-الاستفادة القصوى من الأبحاث المنجزة، وإمداد المؤسسات بالمعلومات التقنية الحديثة لمساعدتها في مسيرتها الإنتاجية.

-الاستفادة أيضا من تلك الأبحاث قد يفتح مجالات عمل جديدة وبالتالي تخلق فرص عمل ومصادر جديدة للدخل.

-المساعدة في تقديم المشورة التقنية للمؤسسات والوكالات التسويقية لإيجاد أسواق تصدير لمنتجاتها.

-إضافة إلى أنه قد يؤدي هذا التعاون إلى تقليل الاعتماد على التقنية الأجنبية المستوردة وبالتالي تقليل النفقات وارتفاع المردود الاقتصادي.

-كما أن هناك العديد من المزايا والمكتسبات التي تعود على الجامعات من جراء تعاونها مع القطاع الصناعي والمؤسساتي مثل اكتسابها للسمعة العلمية المتقدمة، حيث أن إجراء الأبحاث التطبيقية الهادفة ذات الصلة المباشرة بالمجتمع عمل على إكساب الجامعات مصداقية محلية ودولية.

-فالقطاع الصناعي ومؤسسات العمل عامة تدرك أن قطاع التعليم العالي والبحث العلمي وخاصة الجامعات ومخابر البحث والتطوير هي أمكن لترويج الأفكار، حيث يتم البحث عن المعرفة وإن أي فكرة أو نظرية تولد في محيط الجامعة تكتسب حياتها من مختبرات البحوث، ولكنها تتحول إلى حقيقة واقعية في السوق بواسطة التصنيع او بالأحرى تنفيذها وانجازها فعليا، لذا فإن الالتزام الأكاديمي هو البحث عن المعارف الجديدة وتبادلها بينما يكون الالتزام الصناعي والمؤسساتي هو تشجيع ودعم هذه المعارف الجديدة من خلال تمويل البحوث الأساسية والتطبيقية وتطويرها، وإنتاج النماذج وترجمتها إلى منتجات وخدمات(محمود محمد عبد الله كسناوي، 2001، ص48-49).

6.منهجية الدراســة وإجراءاتهــا:

المنهج المستخدم: في الدراسة الحالية هو المنهج الوصفي التحليلي نظرا لملائمته وطبيعة الدراسة.

إجراءاتهــا:

أ-مجتمع الدراسة وعينته: يتألف مجتمع من بعض الباحثين الممثلين بطلبة الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه) وبعض الأساتذة الجامعيين بكل من جامعة عنابة، الطارف وسيدي بلعباس، أما العينة فقد تكونت من**(40) أستاذ + طالب دراسات عليا وممارسين نفسانيين** متواجدين على مستوى بعض المؤسسات العمومية، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وعن الإطار الزماني والمكاني للدراسة فقد طبقت بكل من جامعة الطارف، عنابة وبلعباس في ظرف **شهر (30) يوم** تقريبا، وتتوزع عينة الدراسة حسب المتغيرات (السن، الجنس، الدرجة العلمية) كالآتي في الجدول:

جدول رقم (01) يوضح خصائص أفراد العينة.

المتغيرات	المستوى	عدد أفراد العينة	النسبة %	المتوسط الحسابي
الســن	من23 سنة إلى 30 سنة	16	%40	1,80
	من 31 سنة إلى 35 سنة	16	%40	
	من 36 فما فوق	8	%20	
الجنــس	ذكــر	%50	20	1,50
	أنثــى	%50	20	
الدرجــة العلمية	ليسانس	%11	8	3,48
	ماجستير	%17,5	7	
	لدكتوراه	%7,5	3	
	أستاذ مشارك	%7,5	3	
	أستاذ مساعـد	%35	10	
	أستاذ محاضـر	%22,5	9	

ب-أداة الدراســة: وتمثلت تطبيق أداة الدراسة الفعلية الاستبيان، التي شملت مجموعة من العبارات (12) عبارة يجاب عليها عن طريق البدائل، كما تم طرح سؤالين مفتوحين على أفراد العينة يخص الأول عرض لبعض معوقات البحث العلمي في علم النفس من طرف المستجيب،

والسؤال الثاني تضمن عرض لأهم الإجراءات الواجب اعتمادها لتقليص درجة التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل من طرف أفراد العينة، وضمن هذا الإطار تم توزيع (50) استمارة على أفراد العينة إلا أنه لم يتم استرجاع إلا (40) استمارة فقط، وعليه فقد تكونت أداة الدراسة من المحاور التالية:

المحور الأول: ويتضمن البيانات والمعلومات العامة حول المستجيب، وقد اشتملت على مجموعة من المتغيرات الديمغرافية، كالسن، الجنس، الدرجة العلمية.

المحور الثاني: حول مصادر التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل ويضم العبارات التالية: من **(1,2,3,4,5,6).**

المحور الثالث: حول مؤشرات التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل وعباراته: من **(12,11,10,9,8,7).**

المحور الرابع: ويضم السؤالين المفتوحين حول أهم المعوقات التي تواجه البحث العلمي في علم النفس، والإجراءات الواجب اعتمادها لتقليص درجة التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل.

علما وأنه تكون الإجابة على عبارات الاستبيان متدرجة بين **موافق/محايد/غير موافق**، وفق مقياس ليكارت الثلاثي، وقد أعطيت لهذه البدائل الدرجات التالية:**1,2,3.**

صدق الأداة وثباتها:

صدق الاستبيان: للتأكد من صدق الأداة وملائمتها لهدف الدراسة الحالية تم عرضه على (03) محكمين، بهدف التأكد من مناسبة الاستبيان لهدف الدراسة وسلامة الصياغة اللغوية ومدى انتمائها للمحاور التي وضعت لقياسها. إضافة إلى **الصدق الذاتي** المعبر عنه بقيمة **(0,84)**، علما وأننا تحصلنا على هذه القيمة من خلال تجذير قيمة الثبات المتحصل عليها، وعليه يمكننا القول أن الصدق مقبول بالنسبة للأداة.

ثبات الاستبيان: للتأكد من ثبات الأداة قام الباحثان باستخراج معاملات الاتساق الداخلي لكل بعد من الأبعاد الرئيسية التي تقيسها الأداة، وذلك باستخدام **معادلة ألفا كرونباخ**، وقد كانت قيمة الثبات الكلي تقدر بـ **(0,71)** وهي قيمة ثبات مقبولة.

ج-تطبيـق الأداة: طبقت الأداة على عينة الدراسة وبإشراف من الباحثان، وتم تصحيح إجابات أفراد العينة طبقا لطرق التصحيح الخاصة بالأداة كما تم معالجتها إحصائيا.

د-المعالجة الإحصائية: بعد الانتهاء من تفريغ الاستمارات تم استخدام المؤشرات الإحصائية التالية لمعالجة البيانات وتحليلها وفق **البرنامج الإحصائي المستخدم في العلوم الاجتماعية والإنسانية Spss**، والمتعلقة بالمتوسطات الحسابية والنسب المئوية لتحديد نسبة الإجابة عن كل بند من بنود الاستبيان.

7.عرض النتائـج ومناقشتهـا:

استهدفت الدراسة التعرف على مصادر التنافر بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل، في إطار دراسة ميدانية من وجهة نظر بعض الباحثين الأكاديميين، الأساتذة الجامعيين والممارسين النفسيين، وفيما يلي سنحاول الإجابة على التساؤلات التي تم طرحها في ضوء الدراســة:

1.للإجابة على التساؤل الأول المتمحور حول (ما هو واقع البحث العلمي والتكوين الجامعي في الجامعة الجزائرية؟)

تم التقصي عن واقع وحال البحث العلمي في الجامعة الجزائرية من خلال رصد لأهم المؤشرات التي تعكسه، فلم يعد العجز في قطاع البحث العلمي في بلادنا يقتصر على الإمكانيات والموارد المالية اللازمة بل تعداه ليشمل المورد البشري بعينه بعد أن أضحت الجزائر تسجل عجزا فادحا في عدد الباحثين وهي التي كانت فيما مضى المصدّر لهذه الطاقة والبلد المنجب للعباقرة الذين سجلوا أسماءهم بكبريات جامعات العالم، لتضحى اليوم عاجزة عن تجديد مخزونها من الباحثين الذين أبدوا عزوفا عن ممارسة البحث مكتفين باللقب والعمل على مستوى الجامعات والمخابر، علما أنه لا مفر من خلق واكتساب موارد بشرية في هذا المجال لاعتماد مخطط وطني للبحث العلمي. حيث يشير **الدكتور حفيظ أوراق** المدير العام للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي إلى أهم التصنيفات الخاصة بالباحثين في الجزائر والتي تتوزع على الأساتذة الجامعيين، الباحثين بمراكز ومخابر البحث، الأطباء الاستشفائيين والمهندسين باعتبارهم يشكلون مصادر دعم للبحث والباحثين، وتشكل كل هذه الفئات مجتمعة ما يزيد عن 23819 باحثا جامعيا يعملون على مستوى 1116 مخبر بحث معتمد منهم 3800 باحث يحضرون الدكتوراه و5200 يحضرون الماجستير وهم جزء من فريق عمل بحث يعملون على مستوى المخابر. ويضيف أنه إذا علمنا أن الجزائر تحصي أزيد من 42 ألف أستاذ جامعي فهذا يعني أن نصف من يحملون لقب باحث هم في الواقع لا يمارسون البحث بشكل فعلي، علما أن قطاع التعليم العالي والبحث العلمي يحصي 2066 باحثا دائما فقط إلى جانب 30 ألف باحث في جميع القطاعات والاختصاصات الأخرى غير العلمية والتقنية... ليبقى معدل الباحثين في الجزائر ضعيفا وأقل نسبة مقارنة مع نظرائهم من دول المنطقة وحوض المتوسط. ولا يتعدى معدل الباحثين في الجزائر الـ700 باحث لكل مليون ساكن مقارنة بمتوسط المعدل العالمي الذي يشير إلى 1600 باحث لكل مليون ساكن أي أننا بعيدون بكثير من هذا المعيار العالمي، علما أن اليابان تحصي 5400 باحث لكل مليون ساكن و3500 باحث للمليون بالنسبة لفرنسا فيما بلغ معدلهم الـ2200 باحث لكل مليون بالنسبة لتونس ومثلها تقريبا بالنسبة للمغرب وأكثر بقليل بالنسبة لدول الخليج ومنطقة الشرق الأوسط.

ولبلوغ المعدل العالمي أو الاقتراب منه يجب على الأقل إنتاج حوالي 50 ألف باحث في آفاق 2014 علما أن العجز الحالي يقدر بـ20 ألف باحث، الأمر الذي يتطلب اتخاذ خطوات استعجالية من خلال فتح 20 ألف منصب بحث وذلك تحسبا لخوض الباحثين الجامعيين لغمار البحث الميداني مع ضرورة الالتزام بتجنيد 5000 باحث سنويا وذلك على امتداد الأربع سنوات القادمة على الأقل لبلوغ معدل مقبول من الباحثين في الجزائر. وفي ذات السياق أشار **الدكتور أوراق** إلى إشكالية أخرى تتمثل في كون غالبية الباحثين الممارسين حاليا والبالغ عددهم 2066 باحثا لا يحوزون على شهادة الدكتوراه بحيث أن 17% منهم فقط لديهم هذه الشهادة والسبب في هذا النقص يعود إلى بعض الأخطاء التي ارتكبت في الماضي وكذلك بسبب النظام الكلاسيكي الذي حرم العديد منهم من ممارسة ومتابعة مسارهم التعليمي العالي بشكل منتظم وسلس خاصة بالنسبة للتخصصات التقنية والعلمية، غير أن تطبيق نظام "ال.أم.دي" من شأنه الرفع من عدد الحائزين

على الدكتوراه في الشعب العلمية والعلوم الدقيقة والطب(جريدة المساء، 2012/03/31)، وحسب **البروفيسور حسين قادري** فإن تصنيف الجامعات سنة 2013 كشف من تأخر الجامعات الجزائرية، والأسباب تعود إلى جملة من العوامل، أولا مازلنا في الجزائر نعطي الأهمية للعدد بمعنى الكم على حساب النوعية لاستيعاب الأعداد الغفيرة من الطلبة سنويا، وهذا لضعف مكان آخر لاستيعابهم مثل الدول المتقدمة(حيث لديها إمكانيات تكوينية وإنتاجية،الناجح في الباكالوريا ليس بالضرورة أن يلتحق بالجامعة)، بالنظر إلى المكونين، فالجامعة الجزائرية مازالت بعيدة عن التصنيف الدولي، بل لسنا حتى مثل البلدان العربية المجاورة، فعدد الأساتذة من مصاف الأستاذية في نمو ضعيف، وهو ما أثر على الإنتاج العلمي، لأن التصنيف الدولي للجامعات يأخذ في الأساس الإنتاج العلمي. وإلى الآن الباحث في الجزائر يتخبط بين واجباته البيداغوجية والأعباء الاجتماعية من ناحية، وضرورة البحث والإنتاج العلمي من ناحية أخرى، وكل ما تم استحداثه كإطار للبحث والهياكل لم يعط النتائج المرجوة منه، لأننا لم نشجع الباحث ولم نخلق له محفزات البحث الحقيقية. فمازال أغلب الباحثين ينتجون مقالات إما لمناقشة الدكتوراه أو لدعم ملف الترقية.(جريدة أصداء الشروق،بتاريخ 2013/04/18).

2.وللإجابة على التساؤل الثاني المتمحور حول (ما هي مصادر التنافر بين البحث العملي في علم النفس ومنظمات العمل من وجهة نظر الأكاديميين في علم النفس والممارسين في منظمات العمل؟)، فإنه تم استخراج التكرارات، النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لبنود البعد وفق البدائل الثلاثة.

جدول رقم (02) يوضح تكرارت، النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لبنود البعد الأول.(ملاحظة ت: تشير للتكرارات).

اسم البعد	البنود	موافق		محايد		غير موافق		المتوسط الحسابي
		ت	%	ت	%	ت	%	
مصادر التنافر	1/الافتقار إلى تمويل ودعم البحث العلمي النفسي من طرف مؤسسات العمل	18	%45	8	%20	14	%35	2,10
	2/ عدم التنسيق بين مخابر ومراكز البحث العلمي والمؤسسات المهنية	14	%35	13	%32	13	32	2,03
	3/ عدم الاستفادة من البحوث العلمية المنجزة على مستوى الجامعة	19	%47,5	20	%50	1	2,5	2,45
	4/ الافتقار للوسائل والتقنيات السيكوتقنية بالجامعة	39	%97	0	0	1	2,5	2,98
	5/ غياب مشاريع البحث بين الباحثين ومنظمات العمل	38	%95	2	%5	0	0	2,95
	6/تغييب دور البحث العلمي في علم النفس	32	%80	6	%15	2	%5	2,75

من خلال رصدنا لاستجابات أفراد العينة وفق البرنامج الإحصائي**(spss)** الموضحة في الجدول رقم**(02)** حول أهم مصادر التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل، فإنه اتضح لنا أن أعلى نسبة من الموافقة كانت بـ **97%** تؤكد **الافتقار للوسائل والتقنيات السيكوتقنية بالجامعة**، إضافة إلى نسبة **95%** بالنسبة للبند رقم **(05)** بمتوسط حسابي **2,95**

تشير إلى **غياب مشاريع البحث بين الباحثين ومنظمات العمل،** كذلك هناك نسبة **80%** ومتوسط حسابي **2,75** بالنسبة للبند رقم**(06)** الذي يشير إلى **تغييب دور البحث العلمي في علم النفس،** إضافة إلى رصد نسب متقاربة بين **47,5%** و**45%** لكل من البند **(01)،(03)** يشيرا كلاهما إلى **عدم الاستفادة من البحوث العلمية المنجزة على مستوى الجامعة و الافتقار إلى تمويل ودعم البحث العلمي النفسي من طرف مؤسسات العمل.**

3.أما للإجابة عن التساؤل الثالث والمتمحور حول (ما هي مؤشرات التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل من وجهة نظر أفراد العينة؟)، فإنه كذلك تم استخراج التكرارات، النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لبنود البعد وفق البدائل الثلاثة.

الجدول رقم(03) يوضح التكرارات، النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لبنود البعد الثاني:

اسم البعد	البنود	موافق		محايد		غير موافق		المتوسط الحسابي
		ت	%	ت	%	ت	%	
بعد مؤشرات التنافر	7/ ضعف الإعلام عن الخدمات الاستشارية أو البرامج التدريبية أو برامج البحوث الجامعية	15	%37,5	16	%40	9	,22 %	2,15
	8/اكتفاء بعض المؤسسات العمومية والخاصة بما لديها من خبراء وفنيين لحل مشكلاتها	33	%82,5	3	%7,5	4	%10	2,73
	9/ انشغال الجامعات (الهيئة التدريسية) بالتدريس فقط	18	%45	17	%,42	5	12,5 %	2,33
	10/ عدم الاهتمام بإجراء بحوث تطبيقية تعالج مشكلات منظمات العمل	32	%80	3	%7,5	5	12,5 %	2,68
	11/ضعف الثقة في الإمكانات والخبرات الجامعية الوطنية من طرف أصحاب منظمات العمل	34	%85	3	%7,5	3	7,5	2,78
	12/ الهوة الموجودة بين التكوين الجامعي في علم النفس واحتياجات سوق العمل	36	%90	3	%7,5	1	2,5 %	2,88

من خلال دائما استجابات أفراد العينة حول بنود بعد مؤشرات التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل الموضحة في الجدول رقم**(03)** فإننا نسجل أعلى نسبة موافقة بالنسبة للبند رقم**(12)** بنسبة **90%** ومتوسط حسابي **2,88** تشير إلى **الهوة الموجودة بين التكوين الجامعي في علم النفس واحتياجات سوق العمل** مع نسبة كذلك من الموافقة تقدر بـ **85%** ومتوسط حسابي **2,78** يمثلها البند رقم**(11)** الذي يشير إلى **ضعف الثقة في الإمكانات والخبرات الجامعية الوطنية من طرف أصحاب منظمات العمل** ، إضافة إلى نسبة موافقة قدرت بـ **80%** في البند (10) تشير إلى **عدم الاهتمام بإجراء بحوث تطبيقية تعالج مشكلات منظمات العمل** ، وكذلك نسبة **82.5%** تشير إلى **اكتفاء بعض المؤسسات العمومية والخاصة بما لديها من خبراء وفنيين لحل مشكلاتها** مع نسبة معتبرة قدرت بـ **45%** تشير إلى **انشغال الجامعات (الهيئة التدريسية) بالتدريس فقط بمتوسط حسابي قدر بـ 2.33.**

النتائج العامة للدراسة: من خلال ما تقدم نخرج من هذه الدراسة الميدانية المتمحورة حول أهم مصادر ومؤشرات التنافر بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل النتائج التالية:

-من خلال الإطلاع على أهم المؤشرات والإحصائيات لواقع البحث العلمي في الجامعة الجزائرية، وبالنظر إلى جملة المعوقات والتحديات المحيطة به يمكن القول أن البحث العلمي في الجزائر مازال بعد لم يلحق بركب البحث العلمي في كبيريات الدول المتقدمة، وما يبرهن على ذلك هو العدد الضئيل للباحثين وكذا المرتبة المتأخرة التي تحتلها جامعاتنا الجزائرية، وموقعها بين جامعات الدول سواء العربية أو العالمية، وهو الشيء الذي يجعلنا نلفت النظر أكثر نحن كباحثين وكذا كل الهيئات والمسئولين للنهوض بالبحث العلمي ومن ثم بالجامعة الجزائرية، دائما بالدافع القوي والحافز المعنوي والمادي للوصول بها إلى المراتب الأولى ومن ثم ترتب في مصاف الدول المتقدمة.

-من أهم مصادر ومؤشرات التنافر بين البحث العلمي النفسي ومنظمات العمل هي الافتقار للوسائل والتقنيات السيكو تقنية بالجامعة، غياب مشاريع البحث بين الباحثين ومنظمات العمل، تغييب دور البحث العلمي في علم النفس، عدم الاستفادة من البحوث العلمية المنجزة على مستوى الجامعة و الافتقار إلى تمويل ودعم البحث العلمي النفسي من طرف مؤسسات العمل. إضافة إلى مظاهر هامة تشير إلى الفجوة بين البحث العلمي في علم النفس والمنظمات المهنية أهمها الهوة الموجودة بين التكوين الجامعي في علم النفس واحتياجات سوق العمل، ضعف الثقة في الإمكانات والخبرات الجامعية الوطنية من طرف أصحاب منظمات العمل، عدم الاهتمام بإجراء بحوث تطبيقية تعالج مشكلات منظمات العمل، اكتفاء بعض المؤسسات العمومية والخاصة بما لديها من خبراء وفنيين لحل مشكلاتها وكذا انشغال الجامعات (الهيئة التدريسية) بالتدريس.

-كما رصدنا جملة من المعوقات التي تقف حجرة عثرة أمام الباحث في علم النفس أبرزها: المعوقات المعرفية والمادية من نقص في الوسائل والتقنيات (خاصة الاختبارات والمقاييس النفسية)، ومعوقات إدارية تنظيمية.

توصيات الدراســـة: تقترح الدراسة مجموعة من التوصيات منبثقة من نتائج الدراسة نفسها، كانوا قد أدلوا بها أفراد العينة من خلال استجاباتهم على السؤال المفتوح الذي تم طرحه، والمتمحور حول أهم الإجراءات الواجب اعتمادها لتقليص درجة التنافر بين البحث العلمي في علم النفس ومنظمات العمل:

-توفير مراكز ومخابر تتكفل بالبحوث العلمية وتدعيمها من طرف مؤسسات العمل، كما وتدعم مهارات الباحث.

-العمل على منح طلبة الدراسات العليا دورات تكوينية وتربصات قصيرة المدى للاستفادة منها في مشاريعهم البحثية وتعزيزها مع المؤسسات الاقتصادية والخدماتية.

-محاولة التنسيق بين الجامعات وأقسام علم النفس والمؤسسات الاقتصادية للاستفادة من البحوث وتوظيفها ميدانيا.

-توثيق وربط الصلة المحيط العلمي (من مراكز البحث، مراكز التكوين، الجامعات، الباحثين..إلخ) مع المحيط المهني ومنظمات العمل.

-تشجيع المؤسسات والشركات الخاصة والعامة للاستثمار في نشاطات البحث والتطوير خدمة للتنمية.

-إدارة واستثمار البحوث النفسية والدراسات الموجودة داخل المؤسسة وتجسيدها على أرض الواقع.

-محاولة الاستفادة من تجارب الدول التي مرت بنفس المراحل التنموية ووجدت الآن طريقها نحو تحقيق التنمية الشاملة.

استنتاج عـام: مما سبق طرحه يمكننا القول أن البحث العلمي النفسي فعلا يلعب دورا حيويا في خدمة تقريبا جل مجالات الحياة ولعل أن القطاع المهني بما يحمله من منظمات ومؤسسات مهنية يشهد على ذلك (فهو يساعد على الاختيار والتوجيه، على تكييف مناصب العمل للعمال، على اختيار الموظفين للتكوين..الخ)، إذ يمكننا أن نخرج بنتيجة أساسية فحواها إلزامية وواقعية الدور الذي تلعبه وظيفة البحث العلمي والتطوير الذي يتجلى غالبا في وظيفة الجامعات ومراكز/ومخابر البحث العلمي في إرساء وتحقيق قفزات نوعية وميزة تنافسية متجددة تضمن للمؤسسة/أو المنظمة الاستمرارية في محيطها المعقد والمنفتح على جميع النواحي.

قائمـــة المراجــع:

1.عبد الله المجيدل وآخرون(2010)، معوقات البحث العلمي في كليات التربية من وجهة نظر أعضاء الهيئة التدريسية، مجلة جامعة دمشق، المجلد(26)، العدد(2+1)، دمشق.

2.عون عوض محيسن(2011)، المعوقات الشخصية وغير الشخصية للبحث العلمي كما يدركها أعضاء هيئة التدريس بالجامعات الفلسطينية بغزة، مؤتمر البحث العلمي:مفاهيمه،أخلاقياته،توظيفه، الجامعة الإسلامية، غزة.

3.منتهى عبد الزهرة محسن(2012)، الصعوبات التي تواجه البحث العلمي في جامعة بغداد من وجهة نظر التدريسيين، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد(32)، كلية لتربية، الجامعة المستنصرية.

4.فاتن خوشيد وآخرون(دس)، معوقات صناعة البحث العلمي في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

5.خلف الله بوجمعة(دس)، البحث العلمي والتكنولوجي في الجزائر والنتمية المنشودة، جامعة المسيلة.

6.عرابة الحاج وآخرون(2007)، وظيفة البحث والتطوير كأساس لتحقيق ميزة تنافسية جديدة في المؤسسات الاقتصادية، الملتقى الدولي:المعرفة في ظل الاقتصاد الرقمي ومساهمتها في تكوين المزايا التنافسية للبلدان العربية، جامعة الشلف.

7.رضا شنلى الخوالدة(دس)، الاستثمار في البحث العلمي، الجمعية الأردنية للبحث العلمي، الجامعة الأردنية.

8.غنية شليغم وآخرون(2007)، السياسة البحثية في الجزائر:الآليات والعوائق، الملتقى الوطني:إشكالية العلوم الاجتماعية في الجزائر واقع وآفاق، 2007 /manifes.univ-ourgla.dz

9.محمود محمد عبد الله كسناوي(2001)، توجيه البحث العلمي في الدراسات العليا في الجامعات السعودية لتلبية متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية(الواقع - توجهات مستقبلية)، ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية توجهات مستقبلية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

10.جريدة المساء، بلد العباقرة..يسجل عجز في عدد الباحثين، بتاريخ2012/03/31.

11.جريدة أصداء الشروق، واقع البحث العلمي في الجامعات الجزائرية، بتاريخ2013/04/18.

دور المعلم في غرس قيم المواطنة الإيكولوجية لدى المتعلمين

The role of the teacher in instilling values of ecological citizenship among learners

د.علي شريف حورية، قسم علم الاجتماع جامعة المسيلة-الجزائر
د.بلوم اسمهان، قسم علم الاجتماع جامعة المسيلة-الجزائر

ملخص: يتفق المربون على أن المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية، والعنصر الأهم بعد التلميذ، إذ لا يستطيع أي نظام تربوي تحقيق أهدافه بدون معلم كفء، هذا الأخير الذي لم يعد، ناقلا للعلم والمعرفة فقط، بل يتعدى ذلك، إلى بناء شخصية المتعلم بأوجهها المختلفة، لذا من الواجب عليه أن يغير من ممارساته، وأن يواكب كل جديد. ومن المهام والمسؤوليات الملقاة عليه في يومنا هذا، تعليم القيم والسلوكيات الصحيحة لدى المتعلمين، والتي من أهمها القيم البيئية وغرس الثقافة والوعي البيئي، وترقية تلك السلوكيات إلى ممارسات لديهم، سواء عن طريق الخبرات المعرفية التي يقدمها لهم، أو عن طريق الممارسات والأفعال التي يقوم بها لتوعيتهم بأساليب المحافظة على البيئة، أو بغرس الخلق البيئي السليم لديهم، أو بتوعيتهم بكيفية حل المشكلات البيئية والتغلب عليها، وانطلاقا من هذا الطرح تحاول الورقة البحثية التالية: الإجابة على التساؤل التالي: ما دور المعلم في غرس قيم المواطنة الإيكولوجية لدى المتعلمين؟
الكلمات المفتاحية: المعلم، المواطنة، المواطنة الإيكولوجية.

Abstract: Educators agree that the teacher is the cornerstone of the educational process, and the most important element after the student, since no educational system can achieve its objectives without a competent teacher, the latter is no longer a carrier of science and knowledge, but rather, to build the personality of the learner in its different aspects, Therefore, he must change his practices, and keep pace with everything new. It is one of the tasks and responsibilities entrusted to him today to teach the correct values and behaviors of learners, the most important of which are environmental values, instilling culture and environmental awareness, and promotion of these behaviors to their practices, either through the knowledge experiences provided to them, or through the practices and actions carried out by To educate them about ways to preserve the environment, instill a healthy environmental creation, or to educate them on how to solve and overcome environmental problems. Based on this thesis, the following paper attempts to answer the following question: What is the role of the teacher in instilling the values of ecological citizenship among learners?
Keywords: Teacher, Citizenship, Eco-citizenship.

مقدمة:

يعيش العالم اليوم مشكلات بيئية، تهدد بقائه وسلامته، وسلامة الإطار المعيشي والنظام الإيكولوجي، استلزمت الاهتمام البالغ، حيث باتت من أهم المشكلات التي تواجه كل الدول والحكومات، ومراكز البحث المتخصصة والمنظمات العالمية خاصة تلك التي تنشط في هذا المجال.

وللإنسان دور فعال في الحفاظ على الثروات التي منحتها إياه الطبيعة، ومحاولة الحد من هذه المشكلات البيئية التي تعود عليه سلبا بالدرجة الأولى، لذا فمن الضروري، البحث عن الآليات والأساليب والطرق التي تساهم في توعيته بمخاطر هذه المشكلات، وأن لا يتسبب في الزيادة في حدتها، واتساع انتشارها، ويساعد في التقليل منها، وحماية البيئة التي تحيط به، بنشر الوعي البيئي والثقافة البيئية، وتحمل المسؤولية البيئية والإحساس بأهمية ذلك.

لذا تعتبر التربية البيئية، من أهم القضايا التي تهتم بها المنظومات التربوية، ومن أولويات العمل التربوي، والسياسات التربوية، وهدف من الأهداف التربوية التي تسطرها وتحاول تطبيقها على مستوى الواقع وبالذات في البيئة المدرسية، سواء عن طريق المنهاج الدراسي المعلن أو المنهاج المستتر، (بالنموذج، والقدوة)، وللمعلم الدور الكبير في تحقيق ذلك، وعليه تقع المسؤولية الكبيرة، في غرس وترسيخ تلك القيم البيئية، وغرس المواطنة الايكولوجية، وترقية السلوكات الفردية والجماعية، ونشر الوعي البيئي والثقافة البيئية.

لدى تلاميذه، فالمعلم في زمن الحداثة لم يعد ناقلا للمعرفة فقط، بل عليه أن يكون خبيرا وأكثر فعالية، والأكثر تأثير في سلوك الناشئة، وفي قيمهم وفي اتجاهاتهم، وتوجيههم التوجيه السليم، عن طريق أدائه وممارساته في المواقف المختلفة التي يتطلبها عمله، وخاصة في علاقته مع تلاميذه.

تساؤلات الدراسة:

التساؤل الرئيسي: ما دور المعلم في غرس قيم المواطنة الإيكولوجية لدى المتعلمين؟

التساؤلات الفرعية:

-هل تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم؟

-هل تعمل الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية على خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ؟

-هل تعمل الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدي التلاميذ؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة: للمعلم دور في غرس قيم المواطنة الإيكولوجية لدى المتعلمين.

الفرضيات الجزئية:

-تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم.

-تعمل الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية على خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ.

-تعمل الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدي التلاميذ.

أسباب إختيار الدراسة:

-إبراز دور المدرسة عامة والمعلم خاصة في نقل التصورات والقيم البيئية وغرس المواطنة الإيكولوجية، وترقية السلوكات الفردية والجماعية، ونشر وتعميم الثقافة البيئية، والسلوك الخلقي لدى المتعلمين.

-تبيان دور المدرسة في تنمية التربية البيئية لدى المتعلمين، باعتبارها بعد من أبعاد التربية على المواطنة، فالمدرسة ليست مكان للتعلم فقط، بل هي أكثر من ذلك، هي بيئة يتعلم منها التلميذ السلوك الصحيح اتجاه نفسه واتجاه الآخرين واتجاه العالم الذي يعيش فيه.

-كيفية العمل على ترسيخ ثقافة بيئية في أذهان المتعلمين، وإرساء تقاليد العمل البيئي لديهم داخل المؤسسة التعليمية، ما ينعكس على إكسابهم القيم الاجتماعية كالانتماء الاجتماعي والمشاركة المجتمعية، وتحمل مسؤولياتهم اتجاه العالم الخارجي، وكلها أبعاد من أبعاد المواطنة، ومنها المواطنة الإيكولوجية.

-يعتبر المتعلم محور الفعل التعليمي، لذا لا يمكن أن يكون طرف سلبي في المحافظة على البيئة، لذا من الضروري أن يكون العنصر الفعال والأكثر مشاركة ونشاطا في الحفاظ على الوسط الذي ينتمي إليه،بمساعدته على التعرف على هذا المحيط مباشرة، وعلى الأعمال والسلوكات التي يجب القيام بها لمصلحته.

-البحث عن الآليات التي يتم بواسطتها إكساب المتعلم مهارات السلوك البيئي السليم من طرف المعلم اتجاه البيئة وتصحيح المفاهيم الخاطئة لديه.

أهمية الدراسة:

-تعتبر قضية البيئة ومشكلاتها من أهم القضايا التي نالت اهتمام كبير، على مستوى العالمي، وهذا ناتج عن أبعاد هذه الظاهرة وانعكاساتها السلبية عن الإطار المعيشي، والطبيعي للإنسان وعلى حياته بالذات، لذا فمن الضروري، التحسيس بأهمية هذه الخطورة، والبحث عن كل الوسائل والطرق والآليات للحفاظ على هذه البيئة، وخلق الوعي البيئي والثقافة البيئة، والمواطنة الإيكولوجية لدى الناشئة.

ضرورة الاهتمام بتعديل سلوك الإنسان اتجاه البيئة ومكاسبها الطبيعية، وهذا ما تطمح له المجتمعات من خلال منظماتها التربوية.

الكشف عن مدى إسهام الممارسات والأنشطة المدرسية، والخبرات المعرفية المقدمة للمتعلمين، في غرس القيم البيئية، والخلق البيئي، وأساليب المحافظة على البيئة، وتوعيتهم بحل المشكلات البيئية.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور المعلم في غرس قيم المواطنة الايكولوجية لدى المتعلم، وذلك من خلال:

-التعرف على الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم ودورها في غرس قيم السلوك البيئي لديهم.

-التعرف على الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية ودورها في خلق الوعي البيئي لدى المتعلمين.
-التعرف على مدى مساهمة الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى المتعلمين.
تحديد المفاهيم:
ماهية المعلم: يطلق عليه حديثا: "الأستاذ أو المدرس، ويسمى قديما، بالمربي أو المؤدب، ومدرس اسم فاعل من درس، بمعنى علم فيقال درس البعير أي راضه والأستاذ أو المدرس. هو الذي يتلقى عنه الناس العلم، وهو الذي يتخذ من التعليم مهنة له "(محمد جميل خياط، 1996، ص50)، ومعلم جمعه معلمون، من مهنة التعليم دون المرحلة الجامعية، مدرس تخرج على يد معلم كبير، من يسهر على التربية والتعليم"(المنجد في اللغة العربية، 2000، ص10-14)، والنظرة الحديثة للمعلم لا تقتصر على تلقينه، أو نقله للمعارف والمعلومات للمتعلمين بل تتعداها إلى الأعداد الروحي والأخلاقي والثقافي لهم، وبمعناها الواسع المساهمة في بناء شخصية التلميذ بجوانبها المختلفة.
فهو "العامل الرئيسي في تهيئة الجو المناسب في توجيه التلاميذ، وإرشادهم في المواقف التعليمية، وهو ليس مجرد ملقن ،بل يوجه ويرشد ويفهم خصائص تلاميذه وحاجياتهم ويساعدهم على تكوين عادات واتجاهات ومهارات مرغوب فيها، ويساعدهم على تنمية ما يمكن قدراتهم بالإسهام الناجح للحياة، وهو ألصق أفراد الأسرة المدرسية بالتلميذ، وهو وسيلة المدرسة والمجتمع في تربية الطفل"(محمد مصطفى زيدان، 1980، ص45)، فهو " الركن الأساسي في الموقف التعليمي كله، وله وضع خاص في العملية التعليمية، وهو العنصر الحيوي الذي يحتك بالطالب مباشرة في الموقف التعليمي، وبالتالي فهو الأساس في تعليم الطفل القدرة على إنشاء العلاقات الإنسانية مع الآخرين، ويتم من خلاله تنفيذ البرامج التعليمية"، وحديثنا عن المعلم في هذه الدراسة، هو حديثنا عن الأستاذ في مرحلة التعليم الإبتدائي التي هي مجال دراستنا هاته.
المواطنة:
أ-لغة: لم ير بعض أهل اللغة دلالة لهذا اللفظ على مفهومها الحديث إذ أن واطن في اللغة تعني مجرد الموافقة واطنت فلاناً يعني وافقت مراده، لكن آخرين من المعاصرين رأوا إمكانية بناء دلالة مقاربة للمفهوم المعاصر بمعنى المعايشة في وطن واحد من لفظة (المواطنة) المشتقة من الفعل (واطن) لا من الفعل (وطن) فواطن فلان فلاناً يعني عاش معه في وطن واحد كما هو الشأن في ساكنه يعني سكن معه في مكان واحد(عمر العدناني، 1989، ص 725).
ب- اصطلاحا: ركزت دساتير الدول الحديثة ونظمها على تحديد ملامح المواطنة وحقوقها وشروطها ودرجة هذه النظم لفترات طويلة على تحديد مواصفات المواطن وعلى أبعاد المواطنة، على ضوء منطلقات تستوعب مشارب الأمة ومنابع تفكيرها، ومصادرها المرجعية المعتمدة تاريخيا وثقافيا ودينيا، وكذا على ضوء استراتيجياتها الخاصة، ولقد أدى ذلك إلى تعدد وتباين في الوثائق السياسية والتربوية، من مجتمع إلى أخر في تحديد مفهوم المواطنة الصالحة (عثمان بن صالح العامر، 2003، ص 224)، فتعرفها الموسوعة العربية العالمية بأنها " اصطلاح يشير إلى

الإنتماء إلى أمة أو وطن"(الموسوعة العربية العالمية، 1996، ص311)، أما تعريفها حسب ما جاء في قاموس علم الاجتماع على أنها " مكان أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون" (عاطف غيث، 1990، ص52).

ويعتبرالإسلام أول من رسخ قيم المواطنة الصالحة بضمانه للجميع حقوقًا متساوية، وتطبيقه لمبادئ الشراكة، وفرض واجبات على المواطنين دون تمييز أو تفرقة دون محاباة أو محسوبية، فأضحت المواطنة مبدأ إسلاميًا يعمل على تحقيق الحرية والعدالة والمساواة، ويحث على الانتماء إلى الوطن والغيرة عليه وحبه والدفاع عن مكتسباته.

ونحن نعتقد أن ربط مفردة المواطنة بميدان التربية والتكوين، والتنشئة المعرفية والاجتماعية موصلة بواحد من المسارات الفاعلة في عملية البحث عن كيفيات توطينها وترسيخ مبادئها وأسسها (كمال عبد اللطيف، 2012، ص8)، وذلك في ضوء التحولات التي تعيشها المجتمعات وفي ظل التحديات التي تواجهها.

وهناك أمر أخر يجب الإشارة إليه، "وهو يتعلق بصيرورة تطور مفهوم المواطنة وسياقاته العديدة في الفلسفة السياسية الحديثة والمعاصرة، فعندما نتابع المناظرات العالمية، التي ترعاها في السنوات الأخيرة بعض المؤسسات البحثية الدولية، التي يواجهها العالم اليوم، تحت ضغط عمليات التعولم الجارفة، تبين أن بعض توجهات هذه المناظرات تستدعي إعادة النظر في الدلالة التي منحت للمفردة في الفلسفة السياسية الحديثة، ذلك أن عولمة السوق واتساع مجتمع الشبكات، وتضخم ظاهرة الهجرة، وارتفاع درجات وأشكال العنف في العالم، وحصول طفرة نوعية في تقنيات التواصل المتعددة، أدى إلى تبلور إشكالات جديدة في المعرفة والسياسة، بل وفي مختلف مظاهر الحياة" (كمال عبد اللطيف، 2012، ص6).

وزاد من أعباء المجتمعات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية بها، وخاصة الاسرة والمؤسسة التعليمية في التصدي لهذه المستجدات وما تلحقه من أثار سلبية على منظومة القيم لدى الناشئة، ومنها قيم المواطنة.

المواطنة الايكولوجية: مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والأعراف والمبادئ والاتجاهات الإنسانية، التي تعزز واقع الحقوق البيئية للجماعات البشرية في المناطق المختلفة من العالم، وتدعم قدرات وجود مقومات السلوك الأخلاقي والمسئولية الذاتية للفرد والمجتمع في تجسيد واقع الممارسات البشرية السليمة في العلاقة مع النظم البيئية ومكوناتها الأساسية، والتي يمكن أن تسهم في إيجاد وتأسيس قاعدة واعية قادرة على المساهمة الفعلية في الدفع باتجاه إقامة نظام عالمي أكثر عدلاً ومسئوليةً في الدفاع عن المصالح العليا للإنسانية، والحفاظ على سلامة كوكب الأرض وتأمين سبل العيش الكريم للجماعات البشرية وتحقيق الأمن البيئي للإنسانية (بشير إبراهيم الوداعي، 2015).

تعريف المواطنة الإيكولوجية إجرائيا: هي مجموعة القيم والمبادئ والعادات والخبرات المعرفية، التي يغرسها وينميها المعلم لدى المتعلمين، عن طريق الخبرات المعرفية التي يقدمها، وكذا

الممارسات اليومية والأنشطة المدرسية التي يقوم بها، بهدف إكسابهم السلوك البيئي السليم، وخلق لديهم الوعي البيئي، وكذا كيفية الحفاظ على البيئة والمشاركة في حل مشاكلها.

قيم المواطنة الإيكولوجية: هي تلك المجموعة من القيم البيئية بأبعادها الوطنية والإسلامية والإنسانية، والحقوقية والواجباتية، والمجتمعية اتجاه البيئة والتي تعمل المؤسسة التعليمية على غرسها وتنميتها وتضمينها وتربية التلاميذ عليها، كقيم المحافظة على البيئة، والشعور بالمسؤولية في ذلك، وإكتساب الخلق والوعي البيئي والسلوك البيئي الصحيح، والمعرفة والثقافة البيئية، والتنوير البيئي.

الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: حتى تتصف دراسة مشكلة البحث بالشمول والكمال، وتكون النتائج التي يتوصل إليها البحث دقيقة، ينبغي أن يستعين الباحث بأحد مناهج البحث العلمي (وائل عبد الرحمن التل، 2007، ص47)، المتعددة، فالمنهج هو الطريقة التي يتناول بها الباحث مختلف المراحل للإجابة عن الأسئلة التي أثارها في إشكاليته والمنهج العلمي مجموعة من العمليات المنظمة، من خلالها يحاول الوصول إلى حقائق وذلك بتتبعها وتبيينها والتحقق منها (Dagenais, 1991, p16) وكشفها كما هي في الواقع، لذا اعتمدت الدراسة على إجراءات المنهج الوصفي، الذي يتماشى مع طبيعة هذه الدراسة وأهدافها.

أدوات الدراسة: إن اختيار الباحث لأدوات الدراسة يتوقف بدرجة كبيرة على طبيعة الموضوع وخصوصيته، وطبيعة الفرضيات التي صاغها الباحث، وكلما استعمل الباحث أكثر من أداة كلما مكنه ذلك من جمع معلومات أكثر والتأكد من صدقها وصحتها، والاقتراب من الدقة العلمية أكثر ويدعم بذلك النتائج المتوصل إليها، وخاصة في الدراسات التي تبحث في السلوك الإنساني الذي تحكمه جملة من العوامل والمسببات ويتصف بالتعقيد، ومنه فقد اعتمدت الدراسة على الملاحظة كأداة مكملة ومدعمة لاستمارة الاستبيان الأداة الأساسية في جمع المادة العلمية في هذه الدراسة.

الملاحظة البسيطة: استخدمت هذه في إطار الدراسة الاستطلاعية، وكذا أثناء إجراء الدراسة الميدانية، وسمحت لنا بأخذ كثير من المعلومات عن طبيعة البيئة الفيزيقية لمجتمع الدراسة، وظروف العمل داخل المؤسسات التعليمة وخاصة فيما يتعلق بتهيئة ساحتها ومدى توفرها عن المساحات الخضراء.

استمارة الاستبيان: وهي الأداة الأساسية في الدراسة كما أشرنا سابقا، تم تصميمها وفقا لمقياس الاتجاهات، بالاعتماد على تدرج ليكرت الخماسي والذي يعد من أكثر المقاييس استخداما في قياس الاتجاهات بصفة عامة وفي مجال البحوث الاجتماعية بصفة خاصة، حيث يعطي للمبحوث عدة تقديرات لاختيار واحد يرتئيه، دون تقييده بالتأييد الكامل أو الرفض المطلق، حيث يكون للفرد الحرية في التعبير عن رأيه باختيار الدرجة التي تتفق مع اتجاهه وبعد ذلك يقوم الباحث بإعطاء درجات للإجابة. ليجري عليها من بعد عمليات حسابية وإحصائية (المعالجة الكمية للبيانات) للوصول إلى نتائج الدراسة.

وتضمنت (24) سؤال وقسمناه إلى ثلاثة محاور وهي:

المحور الأول: وخصص للبيانات الشخصية لأفراد العينة، وتضمن (03) أسئلة

المحور الثاني: تضمن (07) عبارات خصصت لقياس الفرضية الأولى، والتي مفادها "تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم".

المحور الثالث: تضمن (07) عبارات خصصت لقياس الفرضية الثانية، والتي تنص على "تعمل الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية على خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ.

المحور الرابع: تضمن (07) عبارات خصصت لقياس الفرضية الثالثة، والتي جاءت كالتالي: " تعمل الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى التلاميذ.

مجالات الدراسة:

المجال المكاني: أجريت الدراسة بمدينة المسيلة، وأنشئت هذه الولاية أثر التقسيم الإداري لسنة 1974 م بعدما كانت تابعة لولاية سطيف. وتتكون ولاية المسيلة من 15 دائرة، ويبلغ عدد بلدياتها 47 بلدية، يحدها من الشمال الشرقي ولاية برج بوعريريج وسطيف، ومن الشمال ولاية البويرة، ومن الغرب ولاية المدية ومن الجنوب ولاية الجلفة، ومن الجنوب الشرقي ولاية باتنة، تبعد عن ساحل خليج بجاية بحوالي 150 كلم، ويقدر عدد سكانها بحوالي مليون ونسمة 151 ألف نسمة، حسب آخر إحصاء للسكان وتقدر مساحتها 18175 كلم حسب المعطيات المقدمة من مصلحة التنظيم التابعة لبلدية المسيلة. أما بالنسبة لبلدية المسيلة أي مركز الولاية فإنها تقع في الشمال الشرقي من الولاية، أين أجريت الدراسة الميدانية على 17 مدرسة ابتدائية منها.

المجال البشري: بناءا على طبيعة الموضوع وأهدافه، إستهدفت الدراسة مدارس ابتدائيات مدينة المسيلة والبالغ عددهم 64 مدرسة ابتدائية أخذت عينة منها قدرت ب (06) إبتدائيات، ليتم بعدها إجراء الدراسة الميدانية بها، على عينة من الأساتذة المنتمين لها، موزعة حسب الجدول التالي:

جدول رقم: (01) يبين العدد الإجمالي للأساتذة حسب المؤسسات التعليمية المعنية بالدراسة

الرقم	التعليمية المؤسسة	العدد الإجمالي للأساتذة
01	رشيد سالم	12
02	حي النصر الجديدة	13
03	ديلمي السهيلي	12
04	الجميل المنظر	11
05	سالمي سليم	12
06	المويلحة الشمالية	10
المجمــوع		70

عينة الدراسة: لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على أسلوب العينة، وبناءا على هذا تم إختيار كما أشرنا سابقا، عينة قصدية من أساتذة التعليم الابتدائي لبعض مدارس مدينة المسيلة، إحدى ولايات الوطن الجزائري تمثلت في 70 أستاذا.

خصائص العينة: تتسم عينة الدراسة بعدة سمات سيتم توضيحها فما يلي:

أ- توزيع أفراد العينة حسب الجنس:

جدول رقم (02): يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس.

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	22	%31.42
أنثى	48	%68.58
المجموع	70	%100

يتضح من خلال المعطيات المبينة في الجدول أعلاه أن أغلبية المبحوثين هم من فئة الإناث **68.58%** مقابل 31.42 بالنسبة للذكور، وهذا قد يعود إلى أن مهنة التعليم من أكثر المهن التي تفضلها المرأة في المجتمع الجزائري وخاصة في مرحلة التعليم الإبتدائي.

توزيع أفراد العينة حسب متغير السن:

جدول رقم (03): يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير السن.

السن	التكرارات	النسبة المئوية
من 20 إلى 29	6	%8.6
من 30 إلى 39	28	%40
من 40 إلى 49	15	%21.42
50 أكثر	21	%30
المجموع	70	100

تبين المعطيات المجمعة في الجدول رقم (03) والمتعلق بسن المبحوثين، أن الفئة الحاصلة على أعلى نسبة هي فئة المبحوثين التي تتراوح أعمارهم (من 30 الى39)، والمقدرة ب 40، تليها فئة (أكثر من 50 سنة)، بنسبة قدرت ب 30.

توزيع أفراد العينة حسب متغير:

جدول رقم(04): يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الخبرة المهنية:

الأقدمية في العمل	التكرارات	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	51	21.42%
من 6 إلى 10سنوات	22	31.42%
من 11 إلى 15 سنة	20	28.58%
أكثر من 15 سنة	31	18.58%
المجموع	70	%100

تظهر المعطيات المبينة في جدول أعلاه والمتعلق بالأقدمية في العمل، أن أكبر نسبة تحصلت عليها فئة المبحوثين (مابين 6و 10سنوات) ب31.42، تليها نسبة المبحوثين الذين لهم خبرة مهنية (مابين 11 و15 سنة)، وهذا يعني أن فئة لا بأس منها من أفراد العينة تمتلك خبرة تدريسية، تمكنها من كسب خبرات متنوعة في التعامل مع المتعلمين والتأثير فيهم، وهذه من العوامل التي تسمح بغرس قيم فيهم وتوجيههم التوجيه الصحيح ومن بين هذه القيم، القيم البيئية.

عرض وتحليل النتائج:

عرض نتائج الدراسة:

بالنسبة للفرضية الأولى والتي مفادها: تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم"، وجاءت نتائجها كما هو مبين في الجدول التالي:

جدول رقم: (05) يبين مدى إسهام الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم.

الرقم	العبارات	التكرارات				
		أبدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
		%	%	%	%	%
1	يعمل المعلم على تشجيع التلاميذ على الاهتمام بجمال المحيط المدرسي	01	07	27	26	09
		%1.4	%10	%38.6	%37.1	%12.9
2	يعمل المعلم على غرس قيم المحافظة على ثروات الطبيعة لدى التلاميذ (الماء- المساحات الخضراء..).	04	07	25	19	15
		%5.7	%10	%35.7	%27.1	%21.4
3	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بالأثار السلبية التي يتركها الإنسان في سلوكه غير الرشيد نحو البيئة	01	09	28	17	15
		%01.4	%12.90	%40	%24.3	%21.4
4	يوضح محتوى الكتب المقدمة للتلاميذ خطورة قطع الاشجار.	02	15	17	16	20
		%2.9	%21.4	%24.3	%22.9	%28.6
5	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بخطورة رمي النفايات في الأماكن الغير مخصصة لها.	02	07	19	16	26
		%2.90	%10	%27.1	%22.9	%37.1
6	يعمل المعلم على تشجيع التلاميذ على المشاركة الجماعية في حملات تنظيف المدرسة.	05	25	22	12	06
		%07.1	%35.7	%31.4	%17.1	%08.6
7	يحث المعلم التلاميذ باستمرار على الحفاظ على ممتلكات المدرسة.	03	10	24	21	12
		%04.3	%14.3	%34.3	%30	%17.1
المجمـــــوع		18	80	162	127	103
		%3.67	%16.32	%33.06	%25.91	%21,02

التعليق: يتضح من الشواهد الكمية المبينة في الجدول أعلاه، أن أعلى تقدير الإجابة ب(دائما) نالت عليه العبارة رقم (05) بنسبة 37.10%، والتي مفادها " تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بخطورة رمي النفايات في الأماكن الغير مخصصة لها" وهذا يعني أن الخبرات المعرفية المقدمة للتلميذ سواء من خلال المنهاج المعلن والذي يتضمنه محتوى المناهج المقدمة للتلاميذ في هذا المستوى، أو من خلال المنهاج الخفي مدى خطورة رمي الأوساخ في الأماكن غير المخصصة لها على تلوث البيئة وانعكاس ذلك على صحة وسلامة الإنسان، لذا فمن واجب المعلم

توعية تلاميذه بالآثار السلبية لمثل هذا السلوك عليه وعلى المحيط الذي يعيش فيه. وهذا يعني أن معظم أفراد العينة يقومون بذلك.

تليها العبارة رقم (04) بنسبة 28.60% والتي تنص على " يوضح محتوى الكتب المقدمة للتلاميذ خطورة قطع الأشجار وهذا سلوك بدوره له أثار سلبية على معاش الإنسان الطبيعي، ويبدو من خلال استجابات المبحوثين أن أغلبهم يرى أن محتوى الكتب المقدم للتلاميذ ينهى على هذا السلوك السيئ اتجاه الطبيعة، وهذا يعني أن القائمين على أعداد الكتب الدراسية، يدركون أهمية ذلك، وضرورة توعية التلاميذ بذلك، للحفاظ على البيئة وممتلكاتها الطبيعية، وفي نفس المنحى جاءت كل من العبارة رقم (02) و(03) وبنسبة 21.40% للذين أدلوا ب(دائما)، في حين النسبة الغالبة جاءت للصالح القائلين ب(أحيانا) وبنسبة 35.70% والتي تنص على "يعمل المعلم على غرس قيم المحافظة على ثروات الطبيعة لدى التلاميذ" ونسبة 40% للقائلين ب(أحيانا) وهي أعلى نسبة بالنسبة لاستجابات المبحوثين، ومفادها " تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بالآثار السلبية التي يتركها الإنسان في سلوكه غير الرشيد نحو البيئة".

ومما سبق ومن خلال البيانات الموجودة في الجدول أعلاه يتضح أ ن أغلب أفراد العينة يميلون للموافقة على عبارات المحور، مع وجود اختلاف طفيف بينهم، أي أن الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم سواء ما تعلق بالمنهاج المعلن أو الخفي، يهدف إلى إكساب المتعلم قيم السلوك البيئي الصحيح، سواء بالمحافظة عليها، وعدم إلحاق الضرر بها، أو بالشعور بالمسؤولية اتجاهها بهدف تنمية التربية البيئية بشكل متزايد كتربية للمواطنة ضمن المنظومة التربوية.

بالنسبة للفرضية الثانية والتي تنص على:" تعمل الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية على خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ، والجدول التالي يبين أهم المعطيات الميدانية التي تم جمعها في إطار ذلك.

جدول رقم:(06) يبين مدى إسهام الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية في خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ.

الرقم	العبارات	التكرارات				
		أبدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
		%	%	%	%	%
1	يحث المعلم التلاميذ باستمرار على الحفاظ على نظافتهم الشخصية	0	05	19	12	34
		%0	%7.10	%27.10	%17.10	%48.60
2	يعمل المدير على إكساب التلاميذ مهارات حماية البيئة	2	18	22	23	05
		%2.9	%25.70	%31.40	%32.9	%7.10
3	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ على توعيتهم بخطورة التدهور البيئي على البيئة والإنسان	3	18	21	15	13
		%4.30	%25.70	%30	%21.40	%18.60
4	يعمل المعلم باستمرار على إكساب	04	10	20	16	20

	التلميذ كيفية الوقاية من الأمراض والأوبئة	%5.70	%14.30	%28.60	%22.9	%28.6
5	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ على توعيتهم بالأخطار الناجمة عن زوال المصادر الطبيعية.	22	23	16	08	01
		%31.4	%32.9	%22.9	%11.40	%1.4
6	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ على إكسابهم مهارات تمكنهم من التعامل السليم مع البيئة	06	18	16	23	07
		%8.60	%25.70	%22.9	%32.9	%10
7	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بالمشاكل التي تهدد البيئة	2	2	10	11	45
		%2.85	%2.85	%14.28	%15.72	%64.28
	المجمـــــوع	39	94	124	108	128
		7.95%	19.18%	%25,3	22.04%	25.50%

التعليق: تبين الشواهد المبينة في الجدول أعلاه أن أغلبية استجابات المبحوثين حول المحور الثاني، والمتعلق بمدى مساهمة الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة **المدرسية في خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ، تؤكد أن للمعلم دور في خلق ذلك الوعي اتجاه البيئة وبالمشاكل التي تواجهها، ويتضح هذا أكثر من خلال استجاباتهم حول العبارة رقم(07) والتي مفادها "** تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ على توعيتهم بالمشاكل التي تهدد البيئة" حيث بلغت نسبة **64.28 للقائلين ب(دائما) وما نسبته، 15.72 للمصرحين ب(غالبا). وهذا يبين مدى إهتمام المعلم بالتعريف بالمشكلات البيئية وانعكاساتها السلبية على صحة الإنسان، وبالتالي محاولة إكسابه السلوك البيئي والخلق البيئي الصحيح، لتجنب وقوع تلك المشاكل والحد من تفاقمها.**

وفي نفس الاتجاه جاءت العبارة رقم (01) والتي تنص على " يحث المعلم التلاميذ باستمرار على الحفاظ على نظافتهم الشخصية**" صرح أغلب المبحوثين ب(دائما) وبنسبة قدرت ب(48.60) تليها نسبة 17.10 لقائلين ب(غالبا)، وهذا يظهر مدى اهتمام المعلم بنظافة تلاميذه، والحرص على مظهرهم الخارجي، وهذه من أهم القيم والعادات التي يجب أن يربى وينشئ عليها الطفل، فباكتسابه لهذه القيم والسلوكات، يكتسب الحفاظ على البيئة.**

وتأتي العبارة رقم(04) لتصب في نفس الاتجاه والتي مفادها" يعمل المعلم باستمرار على إكساب التلميذ كيفية الوقاية من الأمراض والأوبئة" حيث أشارت استجابات المبحوثين حول هذا البند قيام أغلب المعلمين يقمون بذلك، حيث بلغت نسبة القائلين ب(دائما) 28.60 وهي النسبة ذاتها بالنسبة المصرحين ب(غالبا)، وهذا يعني أن المعلمين يدركون أهمية توعية التلاميذ بطرق الوقاية من الأمراض والأوبئة، لما لها من خطورة على حياة الإنسان، وعلى التلميذ إدراك ذلك بمساعدة معلمه، من خلال ما يقوم به من ممارسات يومية، وتقديم معارف حول ذلك.

بالنسبة للفرضية الثالثة والتي جاءت كالتالي: " تعمل الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى التلاميذ.

جدول رقم:(07) يبين مدى إسهام الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى التلاميذ.

الرقم	العبارات	التكرارات				
		أبدا	نادرا	أحيانا	غالبا	دائما
		%	%	%	%	%
1	يعمل المعلم باستمرار على تنمية روح المسؤولية لدى التلاميذ اتجاه البيئة	29	12	17	05	07
		%41.40	%17.10	%24.30	%7.10	%10
2	يعمل المعلم على تشجيع التلاميذ على الانخراط في النوادي البيئية.	01	08	17	20	24
		%1.4	%11.14	%24.30	%28.60	%34.30
3	يعمل المعلم على تنمية واجب الحفاظ على جمال المدرسة لدى التلاميذ	1	1	9	15	44
		%1.4	%1.4	%12.9	%21.4	%62.60
4	تنظم المدرسة معارض بيئية تحسيسية حول مخاطر المشكلات البيئية	41	15	05	08	1
		%53.60	%21.40	%7.10	%11.40	%1.4
5	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ على تنمية قيم الحفاظ على البيئة لدى التلاميذ	5	17	21	14	13
		%7.10	%24.30	%30	%40	%18.60
6	تعمل الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم للتلاميذ على توعيتهم بأهمية الحفاظ على الموارد المائية.	4	8	27	20	11
		%5.7	%11.4	%38.6	%28.6	%15.70
7	يعمل المعلم على تعريف التلاميذ بمصادر التلوث وانعكاساتها على النظام البيئي.	1	8	17	20	24
		%1.4	%11.4	%24.3	%28.6	%34.
المجمـــوع		82	69	113	102	124
		%16.73	%14,08	% 23.06	%20,81	% 25.30

التعليق: تظهر المعطيات الكمية المبينة في الجدول أعلاه، تباين في استجابات المبحوثين حول العبارات المقدمة لهم، حيث نجد العبارة رقم (03) والتي تنص على " يعمل المعلم على تنمية واجب الحفاظ على جمال المدرسة لدى التلاميذ" حصلت على أعلى تقدير، بنسبة 62.60 بالإجابة ب(دائما)، وهذا يدل على أن أغلب أفراد العينة يشجعون تلاميذهم على الاهتمام بنظافة المدرسة والمشاركة في تجميلها، بكل الوسائل والطرق، ولو كانت بسيطة.

تليها كل من العبارة رقم (02) و(07) بنسبة 34.30، والتي تنص الأولى منهما على " يعمل المعلم على تشجيع التلاميذ على الإنخراط في النوادي البيئية"، هذا الأخير الذي يعتبر كأداة وطريقة، تبنتها وزارة التربية الوطنية مع الاتفاق مع وزارة تهيئة الإقليم والبيئة، بهدف إدماج وتطوير التربية البيئية في مجمل المسار الدراسي، في إطار تفتح المدرسة على المحيط، وهي تركز في مرحلة التعليم الابتدائي على المقاربات الحسية والجسدية والترفيهية، وحول الإعجاب والاكتشاف، فهي بمثابة مخبر للتربية البيئية، ويلعب المعلم دور كبير في تسييرها وفي توجيه التلاميذ في جميع أنشطها، فهو المحرك الأساسي لها.

من أجل اكتساب المعرفة السلوكية والفعلية، ويتضح أن فئة لا بأس بها من المبحوثين تشجع التلاميذ على الانضمام لهذه النوادي، في حين تنص العبارة الثانية على" يعمل المعلم على تعريف التلاميذ بمصادر التلوث وانعكاساتها على النظام البيئي" وهي بدورها هدف من الأهداف التي تسعى المؤسسة التعليمية سواء من خلال المنهاج الدراسي المقدم للتلاميذ أو من خلال الأنشطة التي تقوم بها، للتعريف التلاميذ وتحسيسهم بمصادر التلوث البيئي وانعكاساتها السلبية على النظام البيئي ومعاش الإنسان.

أو بتنظيم معارض بالمؤسسة التعليمية للتعريف بهذه المصادر حسب ما تبينه العبارة والتي مفادها" تنظم المدرسة معارض بيئية تحسيسية حول مخاطر المشكلات البيئية "، ويتضح أن أغلب المبحوثين لا يقرون بذلك حسب البيانات المجمعة، حيث بلغت نسبة المبحوثين القائلين ب(أبدا) ب53.60، وهذا يعني أن معظم المؤسسات التعليمية مجال الدراسة، لا يقومون بهذا النشاط الذي يعتبر من الأنشطة الهامة في نشر الثقافة البيئة، وهذا قد يعود للإمكانيات المدرسة المادية، أو لنقص المبادرات من طرف المعلمين أو لنقص الـتأطير في هذا المجال.

نتائج الدراسة:

نتائج الفرضية الأولى: والتي تنص على " تعمل الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرف المعلم على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح لديهم". فقد أسفرت نتائج تحليل ومناقشة الشواهد الامبريقية، أن تصورات المعلمين حول عبارات هذه الفرضية، تمركزت عموما حول البديل (أحيانا) وذلك بنسبة 33.06 تليها نسبة 25.91 للقائلين ب(غالبا) ونسبة 21.02 للمصرحين ب(دائما)، في حين بلغت نسبة الذين صرحوا ب(أبدا) حول بدائل هذه الفرضية، 3.67، وهذا يعني أن استجابات المبحوثين في غالبها تتجه نحو التصور الايجابي حول هذه الفرضية، أي أن الخبرات المعرفية المقدمة من طرف المعلم تساهم في غرس قيم السلوك الصحيح لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.

نتائج الفرضية الثانية: والتي تنص على ":" تعمل الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية على خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ".

توصلت الدراسة فيما يخص نتائج هذه الفرضية، إلى أن معظم تصورات المعلمين حولها ايجابية، حيث سجلت أعلى نسبة للقائلين بـ(دائما) والبالغة 25.51، تليها نسبة 25.30 للمصرحين بـ(غالبا)، و22.04 بالنسبة للذين أدلوا ب(أحيانا) وفي المقابل سجلت نسبة 7.95 للقائلين عكس

ذلك بتصريحهم ب(أبدا)، وهذا يعني أن الممارسات اليومية للمعلم داخل البيئة المدرسية داخل البيئة المدرسية تساهم في خلق الوعي البيئي لدى التلاميذ.

نتائج الفرضية الثالثة: والتي مفادها: " تعمل الانشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى التلاميذ".

أشارت نتائج الدراسة، إيجابية تصور المعلمين حول عبارات هذه الفرضية، فجاءت النسبة الغالبة لصالح القائلين ب(دائما) بنسبة قدرت ب 25.30 تليها نسبة 23.06 للقائلين ب(أحيانا) و20.81 المصرحين ب(غالبا)، وهذا يعني أن الأنشطة المدرسية التي يقوم بها المعلم داخل البيئة المدرسية تعمل على غرس قيم المحافظة على البيئة لدى التلاميذ.

خاتمة:

على ضوء النتائج المحصل عليها يمكن القول أن للمعلم دور كبير في غرس قيم المواطنة الإيكولوجية لدى المتعلمين، من خلال الخبرات المعرفية المقدمة للتلاميذ من طرفه ومن خلال الممارسات اليومية التي يقوم بها وكذا مختلف الأنشطة المدرسية التي يقوم بها داخل البيئة المدرسية، والتي تعمل على غرس قيم السلوك البيئي الصحيح، وكذا خلق وعي بيئي لدى المتعلمين. إضافة إلى إرشادهم وتوجيههم لإلى أساليب المحافظة على البيئة. وهذه قيم بدورها تنمي فيه المواطنة الحقة سواء اتجاه وطنه أو اتجاه الإطار الطبيعي المعيشي، وبالتالي يكتسب قيم سمحة كالانتماء الاجتماعي والمشاركة الاجتماعية، والإحساس بأهمية ما منحه الخالق من ثروات طبيعية ومن بيئة جميلة يجب المحافظة عليها لسلامته وسلامة غيره.

وبالتأكيد أن للمعلم دور كبير في ذلك لما يحمله من رسالة وقيم التسامح وحب الطبيعة وحيوية التفاعل مع ما يفيد المجتمع والإطار المعيشي الذي ينتمي إليه.

قائمة المراجع:

1. محمد جميل خياط(1996)، الإعداد الخلقي والروحي للمعلم والمعلمة، ط2، دار المعارج الدولية للنشر، الرياض.
2. المنجد في اللغة العربية المعاصرة(200)، ط1، دار الشروق، لبنان.
3. محمد مصطفى زيدان(1980)، الكفاية الإنتاجية للمدرس، دار الشروق، المملكة العربية السعودية.
4. عمر العدناني(1989)، معجم الأغلاط اللغوية، ط1.
5. علاء الديم أحمد كفاني وآخرون(دس)، مهارات الإتصال والتفاعل في عملية التعليم والتعلم، تحرير عبد السميع محمد، ط2، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
6. الموسوعة العربية العالمية(1996)، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض.
7. عاطف غيث(1990)، قاموس علم الاجتماع، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية.
8. كمال عبد الطيف(2012)، المواطنة والتربية على قيمها، أوراق عربية، العدد 33، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
9. بشير إبراهيم الوداعي(2015)، المواطنة البيئية في معادلة بناء السلوك البشري والتنمية المستدامة، الوسيط، يومية سياسية مستقلة، ع4654، البحرين.
10. وائل عبد الرحمن التل، عيسى محمد قحل(2007)، البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
11. Dagenais. S(1991), sciences humaines et méthodologies, Edition Beachemintteé, canada.

مفاهيم ونظريات حول الهوية الوطنية

Concepts and theories on national identity

أ. مجيد مسعودي، جامعة امحمد بوقرة بومرداس- الجزائر

ملخص: تعتبر الهوية من المسائل القومية الخطيرة والتي تتجدد باستمرار حتى يومنا هذا رغم أننا نعيش في عصر العولمة حيث من المفترض أن يصبح الإنسان في أية بقعة من هذا الكوكب كائنا إقتصاديا بالدرجة الأولى يسعى فقط إلى إشباع رغباته وتلبية حاجاته المادية بالخصوص، دون إيلائه الإهتمام بهويته الثقافية وخصوصياته الإثنية والعرقية والدينية، فهدف هذا المقال هو تسليط الضوء على الجانب المفاهيمي والإطار النظري للهوية الوطنية، وذلك من حيث تعريفها، تبيين خصائصها، وعرض النظريات التي فسرت هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: هوية، أمم، قومية، هوية وطنية

Abstract: National identity stands always as a very important and sensitive issue since it is closely linked to national security and territorial unity of all nations and states. Even in the era of globalization where people are supposed to be only economic actors without paying attention to their cultural, ethnic and religious personality, the issue of national identity is still always alive and influential in all communities. So the objective of this paper is to put some light on the conceptual and theoretical framework of national identity. The paper is divided into two main parts, the first one deals with the concepts such as identity and nationalism. The second part tackles the theories of national identity.

Keywords: identity, nations, nationalism, national identity

مقدمة:

تعتبر مسألة الهوية من المسائل العلمية الشائكة، فقد اختلف الباحثون في تعريفها وفي تبيين خصائصها ومكوناتها، كما أن النظريات قد اختلفت في تفسير هذه الظاهرة إلى حد التناقض، هذا من الناحية العلمية، أما من الناحية الواقعية والسياسية فالهوية تعتبر كذلك من القضايا الحساسة والخطيرة نظرا لتأثيرها المباشر على الأمني القومي للدول وعلى وحدتها الترابية، فالهوية مرتبطة عضويا بالمجالات السياسية والأمنية والثقافية والإجتماعية وحتى الإقتصادية، فدراسة الهوية الوطنية لأية دولة لا بد أن تأخذ بعين الإعتبار هذه المجالات، وذلك بسبب التأثير والتأثر بين هذه المجالات وبين الهوية الوطنية، أما الأسئلة التي تحاول هذه الورقة الإجابة عنها فهي: ما هو تعريف الهوية الوطنية؟ وما هي خصائصها؟ وما هي النظريات التي فسرت هذه الظاهرة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في كونها تجمع بين جميع النظريات التي حاولت تفسير مسألة الهوية، فالكثير من المقالات والدراسات التي بحثت في الهوية لم تستوعب جميع النظريات التي عالجت هذه الظاهرة، كما يمكن الإستعانة بهذه النظريات في فهم أفضل لمسألة الهوية في مختلف دول العالم.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعرف على المفاهيم أساسية مثل الهوية، القومية، الوطنية، الهوية الوطني.
- التعرف على النظريات التي حاول العلماء أن يفسروا بها ظاهرة الهوية الوطنية.
- محاولة نقد هذه النظريات، وبيان مكامن القصور فيها.

أولا. مفهوم الهوية الوطنية.

أ- تعريف الهوية:

الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرَف بها، والهوية بهذا المعنى هي اسم الكيان أو الوجود على حاله، أي وجود الشخص أو الشعب أو الأمة كما هو بناء على مقومات ومواصفات وخصائص معينة تُمكِّن من إدراك صاحب الهوية بعينه دون اشتباه مع أمثاله من الأشياء(أحمد بن نعمان، 1996، ص21).

ويدل هذا المصطلح على ما به يكون الشيء هو هو بوصفه وجودا منفردا متميزا عن غيره. وتستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة للتعبير عن خاصية الشيء لنفسه أو الإشتراك مع آخر بالصفات و الخصائص عينها(علي سعد وطفة، 2013، ص158).

للهوية علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال، فهي تتعلق بكون شخص ما أو جماعة ما قادرة على الإستمرار في أن تكون ذاتها وليس شخصا أو شيئا آخر(طوني بينيت وآخرون، 2010، ص700).

والهوية حسب المفكر الفرنسي أليكس ميكشيلي هي منظومة من المعطيات المادية والمعنوية والإجتماعية التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفية، ولا يمكن لهذه المنظومة أن تكون في حيز الوجود ما لم يكن هناك شيء ما يعطيها وحدتها ومعناها، ويتمثل ذلك في الروح

الداخلية التي تنطوي على خاصة الإحساس بالهوية والشعور بها، فالإحساس بالهوية مركب من المشاعر المادية ومركب من مشاعر الإنتماء والتكامل والإحساس بالإستمرارية الزمنية والتنوع والقيم والإستقلال والثقة بالنفس والإحساس بالوجود، ومن هنا يمكن القول بأن أزمات الهوية تولد تحت تأثير عمليات كبت تنال جانبا أو جوانب متعددة من مشاعر الإنسان(أليكس ميكشيلي وآخرون، 1993، ص129).

كما أن الهوية مصطلح مبني على تفريق إمبريقي بين" نحن" و "هم"، وكثيرا ما يقال أن هوية فرد ما هي إلا صورة معاكسة لـ "هم"، وفي العلوم السياسية الحديثة مصطلح الهوية يأتي من الإفتراضات الهيغلية والماركسية بأن الهوية لم تأت من البداية ولكنها تكونت في سياق التفاعل مع الآخرين والحصول على اعترافهم(Marie Demker, 2008, P8).

إذن من خلال التعاريف السابقة يمكننا أن نجمل العناصر المشكلة لتعريف الهوية:

-الهوية تدل على ما يكون الشيء نفسه، أي أ=أ سواء كان هذا الشيء فردا أو مجموعة بشرية.

-لهذا الشيء (أ) خصائص معينة تميّزه عن شيئا آخر (ب)، فلا يمكن تعريف (أ) إلا من خلال الفروق و الإختلافات، و مقارنته مع (ب) ولو في وجه من الوجوه.

-العنصر الآخر المهم في تعريف الهوية هو الشعور والإحساس بالإنتماء لمجموع هذه القيم والخصائص والإحساس بالوجود والإستقلال.

ب. تعريف الأمة والقومية:

الأمة nation: من المعروف أن هذا المصطلح غير مضبوط تماما، فبعض الباحثين أمثال شارلز تيلي Charles Tilly وأنتوني جيدنزAnttony Giddens يعرِّفون الأمة على أنها المجتمع السياسيpolitical community لدولة ما(Helen Ting, 2008, P453)، وآخرون يعرِّفون الأمة على أنها جماعة إثنية تتقاسم خاصية أو أكثر مثل اللغة والدين والعرق والثقافة وهي معبأة سياسيا أو قابلة للتعبئة(Saad.Z.Nagi, 2000, P1939)، بينما يعرِّفها بنديكت أندرسون في كتابه الشهير" الجماعات المتخيلة" من منظور أنثربوبولوجي بقوله الأمة هي جماعة سياسية متخيلة(بنديكت أندرسون، 2006، ص63).

وقد ظهرت الأمة وتطورت عبر المراحل المختلفة للشعوب وبشكل واضح أثناء الثورتين الفرنسية والأمريكية. والشيء الممكن ملاحظته في تلك الفترة هو أن مصطلح الأمة كان يعني الدولة والشعب، والحقيقة أن معنى الدولة يختلف عن الشعب، فالأمة مصطلح يشير إلى عرقية مشتركة وهوية ثقافية يتقاسمها شعب واحد بينما الدولة هي وحدة سياسية تعرف بالأركان الأساسية وهي الإقليم وحكومة مستقلة تراقب سكانها وإقليمها دون الأخذ بعين الإعتبار التجانس والتنافر العرقي. وفي هذا السياق يجب التفريق بين القومية nationalism والوطنية patriotism لأن الموالاة في الأولى تكون لجماعة إثنية وفي الثانية تكون للدولة. فالدولة يمكن أن تكون متجانسة عرقيا أي تحتوي على عرقية واحدة وهي قليلة على المستوى الدولي، ويمكن أن تكون متعددة الأعراق وهي السمة التي تميز غالبية الدول، ولو طبَّقنا مبدأ لكل أمة دولة لأصبح العالم يتكوَّن من مئات من الدول الجديدة لهذا توجد اليوم أمم دون دول خاصة بها مثلا الكاتلون والباسك والكيبك(مرابط رابح، 2009، ص19).

ويرى ساطع الحصري أن الوطنية هي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه، بينما القومية هي حب الأمة والشعور بارتباط باطني نحوها، والوطن من حيث الأساس هو قطعة من الأرض والأمة هي جماعة من البشر، فتصبح الوطنية ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف باسم الوطن، والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف باسم الأمة. ورغم ذلك فإن مفهوم الوطنية لا يختلف كثيرا عن مفهوم القومية لأن حب الوطن يتضمن حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، كما أن حب الأمة يتضمن حب الأرض التي تعيش عليها تلك الأمة(ساطع الحصري، 1985، ص9).

أما مفهوم **القومية** nationalism فيعد أحد أكثر المفاهيم إثارة للنقاش والجدل في العصر الحديث، وذلك بسبب التجاذبات الكثيرة التي تفرضها إستخداماته في شرح وتفسير الظواهر السياسية والإجتماعية مما حدا الكثير من الباحثين وعلماء الاجتماع إلى رفض وجود تعريف موضوعي وموحد لهذا المفهوم.

هناك من يعرف القومية بأنها تحمل معنى الشعب أو هي إيديولوجية التاريخ والمصير المشترك وحركة إجتماعية موجهة لتحقيق أهداف مشتركة(Saad Nagi, 2000 ,P1939)، وهناك من يعرّفها بأنها الميل أو الشعور بالإنتماء إلى جماعة حضارية ورغبة في التجمع والترابط لتحقيق غايات وأهداف مشتركة في ظل إحساس عام بوحدة المصير، وثمة من يقول بأن للقومية مفهومين أحدهما إجتماعي والآخر سياسي، حيث يُبرِز المفهوم الإجتماعي كيان القومية باعتبارها رابطة تربط الفرد بكائن إجتماعي يتحدد أفراده عن طريق اللغة والتاريخ والثقافة والمصالح المشتركة ويتمثل هذا الكائن الإجتماعي في الأمة. أما المفهوم السياسي للقومية فهي عقيدة سياسية قوامها الشعور القومي الذي يدفع أبناء الأمة إلى الإعتقاد بأنهم مجموعة بشرية متمايزة عن غيرها من الجماعات لها كيانها الذاتي وتطلعاتها القومية، كما أن لها الحق في أن تنتظم في وحدة سياسية مستقلة عن غيرها وأن تنظِّم كيانها القومي تنظيما إجتماعيا وسياسيا واقتصاديا بما يحقق شخصيتها القومية(أحمد وهبان، دس، ص51-52).

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نستخلص بعض النقاط:

-مصطلح القومية غير متفق في تعريفه بين الباحثين.

-تعريف القومية ينطبق غالبا مع تعريف الأمة.

-يمكن تعريف القومية من خلال التعاريف السابقة بأنها جماعة معينة تميل إلى التعاون والإتحاد والعيش المشترك لتحقيق أهداف معينة، وسبب هذا الميل هو شعور أفراد هذه الجماعة بأن لهم روابط معينة تجمعهم ولا تفرقهم، قد تكون هذه الروابط دينية أو لغوية أو ثقافية أو قد تكون بسبب الإحساس بالمصير المشترك، وقد تأخذ هذه الجماعة طابع الحركة السياسية هدفها إنشاء دولة تحقق مصالحهم المشتركة.

ولكل أمة جملة من التطلعات والأهداف المشتركة يعبَّر عنها بالتطلعات أو الأهداف القومية ومن أبرزها: تحقيق الوحدة القومية والحصول على الإستقلال والتخلص من السيطرة الأجنبية سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي أو حتى الفكري والثقافي، ومن الأهداف القومية نجد كذلك التطلع إلى التفوق على الأمم الأخرى في جميع المجالات العلمية والإقتصادية والعسكرية،

على نحو يرفع من هيبة الأمة ويزيد من كرامتها ويوسع من دائرة نفوذها(أحمد وهبان، دس، ص63).

أما عن **الجذور التاريخية** للقومية، فإن حركة القومية هي حركة جديدة نسبيا فهناك من يرجعها إلى الثورة الفرنسية في 1789 التي صاحبها ظهور مبادئ جديدة تتمثل في حق الشعوب في تقرير مصيرها المناقض لمبدأ حق العروش في تقرير مصير الشعوب. لقد ارتبطت هذه الثورة بالحقوق الطبيعية وتأثرت بأفكار فلاسفة العقد الاجتماعي وبالذات روسو(أحمد وهبان، دس، ص28-29).

ولقد بلغت فكرة القومية درجة من الرسوخ في أذهان الشعوب إبان القرن 19 حتى وصف هذا القرن بأنه قرن القوميات. هذه الفكرة جاءت مرتبطة بحق الشعوب في تقرير مصيرها وبالتالي كان هذا بمثابة الثورة على الحقوق الشرعية القديمة (حق الملوك)، وخلال الحقبة التي أعقبت مؤتمر فيينا في 1815 ظهرت أغلب الدول القومية مثل ألمانيا وإيطاليا، وتم الإنفصال السياسي بين بلجيكا وهولندا، وبين السويد والنرويج، وبين النمسا والمجر وغيرها، وظهرت دول جديدة مثل يوغسلافيا وتشيكسلوفاكيا، وبُعثت بولندا التي كانت مقسمة بين روسيا والنمسا. كل هذا حدث باسم النزعة القومية(أحمد وهبان، دس، ص36-38).

ولأن جل الدول القومية ظهرت في أوربا و في الفترة الحديثة، فقد اعتبر الكثير من الباحثين أن القومية هي أولا ظاهرة أوربية بالأساس قبل أن تنتقل إلى باقي دول العالم، وثانيا هي ظاهرة حديثة لم تبدأ في الظهور إلا في القرن التاسع عشر ميلادي.

ت. تعريف الهوية الوطنية وخصائصها:

عرفت الهوية الوطنية على أنها: "نسبة إلى الوطن أو إلى الأمة التي ينتسب إليها شعب متميز بخصائص هويته، وهوية أية أمة من الأمم هي مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية العامة التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الأفراد الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عما سواهم من أفراد الأمم الأخرى، وإذا كانت الهوية الفردية ذات سمات جسدية في الأساس فإن الهوية القومية ذات سمات ثقافية في الأساس"(أحمد بن نعمان، 1996، ص23).

والهوية الوطنية تنتج أساسا من عاملين: عامل داخلي يتمثل في تقاليد تمتد عبر الماضي، وعامل خارجي يعكس تفاعل الأمة مع وضع عالمي متغير يكشف عن موجات ثقافية ونماذج حضارية متعاقبة تقود إلى ردود فعل داخلية تفرض التحرر من تلك التقاليد أو تحويلها(نديم البيطار، دس، ص33).

لهذا فالهوية كما يراها الكثير من الباحثين هي ذات طابع نسبي حتى داخل الأمة القومية الواحدة. فداخل كل شعب توجد فئات متعددة وطبقات إجتماعية مختلفة وبالتالي لا توجد هوية موحدة بين جميع أفراد الأمة الواحدة، وهذا ما دفع بالفيلسوف كارل بوبر إلى معاداة فكرة القومية واعتبارها فكرة فلسفية خاطئة وتشكل خطرا على التعايش الإنساني(محمد الكوخي، 2014، ص20).

ويكشف بوبر في كتابه "أسطورة الإطار" عن الأصل الفلسفي لفكرة القومية كما نشأت في أوربا عصر الأنوار، حين جرى تحويل نظرية "السيادة" التي كانت تقوم عليها الملكية المطلقة في العصور الوسطى ليتم تعويضها بالقومية السياسية ضمن سياق التحولات السياسية والفكرية التي كانت تشهدها أوربا في القرن 18 وما تلا ذلك من أحداث كان أبرزها الثورة الفرنسية واستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن التاريخ الأوربي سيشهد فيما بعد على الآثار المدمرة لهذه الفكرة الفلسفية الخاطئة خصوصا في القرنين 19 و 20 م(محمد الكوخي، 2014، ص21-22).

كذلك لا يتم تعريف الهوية الوطنية من الداخل فقط ولكن كذلك عبر تميز الأمة عن باقي الأمم والجماعات الإثنية، فالهوية الوطنية تتضح أكثر عبر مقارنتها بالآخر حيث توجد مجتمعات وأمم أخرى تميز الأمة نفسها(محمد الكوخي، 2014، ص20).

من خلال التعاريف السابقة للهوية الوطنية يمكن استخلاص ما يلي:

-التعاريف المقدمة للهوية الوطنية هي نفسها التي عرفت بها القومية لهذا الكثير من الباحثين لا يفرق بينهما.

-بجمع مختلف التعاريف نستنتج أن الهوية الوطنية هي سمات ثقافية تميز أمة ما عن باقي الأمم وهذه السمات تتشكل بتأثير عوامل داخلية وخارجية، الأمر الذي يجعل الهوية الوطنية ذات طابع نسبي، أي أنها قد تتغير تحت تأثير ظروف معينة، وفي هذا الإطار نجد تعريفا لأحد الباحثين يجمع بين هذه العناصر حيث يقول أن الهوية الوطنية هي:

أولا مرتبطة بالإقليم الذي يعمل على تحديدها. **ثانيا** هي ليست دائما ثابتة ولكنها مجموعة قيم ثقافية مرتبطة بأهداف سياسية. **ثالثا** تتميز الهوية الوطنية عن الدولة (ممثلة في المؤسسات العمومية التي هي مختلفة ومستقلة عن باقي المؤسسات الإجتماعية وتمارس احتكار الإكراه على مستوى الإقليم) وتتميز كذلك عن الآخر. **رابعا** هذه الهوية تتواجد ضمن هرمية من الهويات أحيانا تتعايش وأحيانا تتنافس فيما بينها(Karim Mezran, 2001, P33).

أما من حيث خصائص الهوية الوطنية، فقد اختلف الباحثون في تحديد عناصر الهوية الوطنية، فنجد مثلا كارل بوبر يرى أن الهوية القومية ترتكز في دعواها على أربعة أسس هي العرق واللغة والثقافة والتاريخ. ويرى أن كل نزعة قومية لابد وأن تؤصل لنفسها على أساس أساطير تَدَّعي وجود وحدة بين هذه العناصر عند جميع الأفراد المنتمين إلى نفس القومية، ولا تكاد توجد نزعة قومية لا تدعي وجود عرق مشترك وثقافة مشتركة وتاريخ مشترك بين جميع الأفراد المنتمين إليها(كارل بوبر،2001، ص217).

لكن هذا الطرح البوبري رغم كونه صحيحا في كثير من الأحيان حيث نجد أن وحدة الشعور تقوم على أساس أساطير وتاريخ مزيف كما أسس النازيون لسمو الجنس الجرماني على باقي الأجناس، غير أن هذا الطرح لا يمكن أن يكون دائما صحيحا فقد توجد بالفعل ديانة مشتركة أو لغة واحدة مشتركة بين أفراد جماعة ما دون أن تكون مبنية على الأساطير.

ويرى ساطع الحصري أن من أهم العوامل التي تؤدي إلى تكوين القرابة المعنوية التي يشعر بها الأفراد في الأمم المختلفة هي اللغة والتاريخ، فالإعتقاد بوحدة الأصل إنما يكون في الدرجة الأولى من الوحدة في اللغة والإشتراك في التاريخ(ساطع الحصري، 1985، ص21).

فالتعاريف التي تعتمد على وحدة الجنس واللغة هو النموذج الألماني الذي لقي رواجا في القرن 19 م وهو الذي يسمى بالمعيار الموضوعي، أما المعيار الآخر فهو المعيار الذاتي الذي يمثله النموذج الفرنسي الذي يرى أن موطن الرباط القومي يتمثل في الرغبة في الحياة المشتركة. وينكر المعيار الفرنسي على المعيار الألماني تشكل أمم من لغات وأديان مختلفة مثل سويسرا حيث ما يجمع بين أبناء هذه الأمة هو الرغبة في الحياة المشتركة(أحمد وهبان، دس، ص72-73).

وحين تريد أمة أن تعرِّف نفسها وتحدد هويتها تقوم باختيار ما يناسبها من هذه العناصر لهذا نجد عناصر الهوية تختلف من أمة لأخرى، وغالبا ما يكون العامل السياسي هو الحاسم في هذا الإختيار بسبب ظروف تاريخية معينة.

ثانيا. نظريات الهوية الوطنية:

يمكن التمييز بين نظريتين أساسيتين قامتا بالبحث في أصول القومية والأمم وتفسيرها. الأولى تسمى النظرية البدائية أو الأساسية أو الحتمية، والثانية تسمى النظرية الحداثية. وقد ساهم علماء من مختلف التخصصات في بلورة ونقد النظريتين أمثال: الأنثربولوجي وعالم السياسة بندكت أندرسون، والفيلسوف والأنثربولوجي إيرنيست جيلنر، والمؤرخان جون برولي وإيريك هوبزباوم، وعالما السياسة ولكر كونور وإيلي كدوري. كما ظهرت نظرية ثالثة حاولت أن تجمع بين النظريتين السابقتين وهي المقاربة الإثنو– رمزية.

أ.**النظرية البدائية (الأساسية أو الحتمية):**

البدائيةPrimordialism: هي تعبير شامل أستخدم لوصف الإعتقاد بأن الهوية الوطنية جزء طبيعي من البشر مثل الكلام أو النظر أو الشم وأن الأمم وجدت منذ الأزل. وظل هذا الرأي لبعض الوقت بارادايما مهيمنا في أوساط علماء الإجتماع لا سيما عند المؤرخين ، كما أن البدائية تُشكِّل رأي العامة في الأمم والقومية. ويأتي هذا المصطلح من الصفة بدائي primordial والتي تعني صفة لشيء يتصل ببداية الزمن أو يوجد منذ بداية الزمن أو في زمن مبكر فهو فطري وأصلي وقديم، ويكون أصل أو نقطة بداية شيء استمد أو تطور منه أو يعتمد عليه فهو شيء جوهري وأساسي وأولي. ويُعتقد أن إدوارد شيلزE .Shils هو أول من استخدم هذا المصطلح لوصف العلاقات ضمن الأسرة، فهو يقدم في مقاله الشهير "الروابط البدائية والشخصية والمقدسة والمدنية" الحجة على أن الرابطة التي يشعر بها أفراد الأسرة أحدهم تجاه الآخر تنشق من سمات وخصائص علائقية مهمة لا يمكن وصفها إلا بأنها "بدائية"، وهي ليست مجرد وظيفة تفاعل بل هي نتيجة مهمة تنأى عن الوصف، وتُعزى إلى رابطة الدم(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص101).

وتعتبر هذه النظرية أن الأمم nations هي وحدات مستقلة كاملة بطريقة طبيعية، موجودة في العالم بطريقة حتمية، وترى أن الهوية الوطنية هي جزء مندمج في "الذات" وهي غير زمنية

timeless وهي منحة ربانية موجودة بالطبيعة، لهذا فهذه المدرسة تفضل مصطلحات مثل الشخصية الوطنية والروح الوطنية. وأما المرجعية فهي تتعلق غالبا بالأجداد، أي أن الهوية الوطنية تنتقل جينيا، وتتعلق هذه المرجعية كذلك بعوامل مثل الأرض والغذاء والمناخ، التي يفترض أن تشكل الطبائع الفكرية والجسمية للشعوب(Karim Mezran, 2001, P5).

ويمثل هذه المدرسة كل من:Joann Gottieb، Hans Kohn، Edward Shils، Clifford Geertz قوة الإرتباطات الأولية حسب إدوارد شيلز تأتي من ثقل التقاليد المتوارثة التي تنتقل من جيل لآخر لتخدم الإحتياجات النفسية والإجتماعية للشعوب. كما أن هذه التقاليد تشكل بعدا هاما لجيرتز في تحليلاته، حيث يقول أن الإرتباط الأصلي ناتج عن الإتصال والعلاقات العائلية ومن الولادة في محيط ديني معين وفي لغة معينة(Karim Mezran, 2001, P6-7).

ويقدم إلرEller وكولانCoughlan في مقالهما "فقر البدائية" the poverty of primordialism(1993) الحجة على أن مفهوم البدائية المستخدم في أعمال إدوارد شيلز وكليفورد جيرتز يضم ثلاث أفكار رئيسية:

-الهويات والإرتباطات البدائية هي حقائق مقبولة بديهية وأصيلة وسابقة على التجارب والتفاعلات كلها. فالإرتباطات البدائية هي "طبيعية" بل "روحية" وليست إجتماعية إذ لا يوجد للإرتباطات البدائية مصدر إجتماعي.

-العواطف البدائية تنأى عن الوصف وهي قاهرة وإكراهية، فإذا كان الفرد عضوا في جماعة ما فإنه حتما يشعر برابطة مع تلك الجماعة وممارستها (خاصة اللغة والثقافة).

-البدائية في الجوهر هي مسألة تتعلق بالعاطفة والشعور(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص111).

وتنظر هذه النظرية إلى الروابط الإثنية كغاية في ذاتها تمّ تكوينها بقوى وليس بمصلحة شخصية مادية، وجوهر هذه الروابط هي رابطة نفسية تربط شعبا ما وتجعله متميزا عن باقي الشعوب، وتنبع هذه الروابط من علاقات عائلية ومن الولادة في مجتمع ديني معين يتكلم لغة معينة أو حتى لهجة ما، ويتبع ممارسة إجتماعية معينة.

إن الأمم والثقافات المعروفة بخصائصها حسب هذا المفهوم الميتافيزيقي هو أمر محتوم عليها، إنه مفهوم يشكِّل إمتدادا جديدا للفكرة القديمة القائلة بأن كل شيء ينطوي في أعماقه على جوهر يمثل صميم هذا الشيء ويحدده. فالوقائع والظواهر التي ترتبط بأمة ما أو بثقافة ما أو برجل ما أو بنظام ما تكون مهمة وذات معنى بالقدر الذي تُعبِّر فيه عن هذا الجوهر، لهذا نجد أن العديد من الكتب التي تعبر عن هذا المفهوم تحمل عناوين مثل: "عقل"، "روح" مضافة إلى أسم الأمة مثل "الروح الصيني" و"العقل الأمريكي" و"عقل إفريقيا" و"عقل شرقي آسيا"(نديم البيطار، دس، ص10).

إن هذه النظرة إلى الهويات والأمم هي نظرة ميتافيزيقية تعتبر أن الأمم والثقافات هي ذات جوهر أو تركيب نفسي-عقلي ثابت تنطلق منه بصرف النظر عن الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية والتاريخية التي تحيط به، كأن هذه الأوضاع غير موجودة أو من دون أثر مهم في تغيير ذلك التركيب أو الجوهر. فهذا المفهوم الميتافيزيقي يفصل الجوهر عن الوقائع والتحولات الخارجية بدلا من ربطه بها(نديم البيطار، دس، ص111).

باختصار يمكن تلخيص أهم أفكار هذه النظرية في النقاط التالية:
-إعتبار الهويات الإثنية والوطنية حقائق "مقبولة" أو حقائق "طبيعية" فهي تنتقل من جيل لآخر دون أن تتغير سماتها الأساسية وخصائصها الجوهرية وبالتالي فهي ثابتة لا تتغير.
-إعتبار الروابط الإثنية والوطنية حقائق أصيلة غير مستمدة من مصدر آخر وسابقة على التفاعل الاجتماعي كله.
-تتعلق هذه النظرية بالعواطف والشعور فالروابط والعواطف الوجدانية لا تولد في تفاعل إجتماعي، بل هي موجودة ضمنيا في العلاقة القرابية أو الإثنية ذاتها، فالفرد المنتمي إلى جماعة ما يشعر حتما بعلاقة ورابطة مع هذه الجماعة.

وقد وجهت انتقادات للنظرية البدائية، فالهويات الوطنية ليست طبيعية أي ذات خصائص جوهرية لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الوقت، فخلال العقدين الماضيين تزايد عدد الدراسات التي شددت و أكدت على طبيعة الهويات الإثنية والوطنية "المشيدة إجتماعيا" عن طريق الخيارات الفردية والفرص السياسية.

أما حدود ومحتويات هذه الهويات فهي أبعد ما تكون عن الثبات بل تخضع لحالة مستمرة من النقاش والتفاوض وإعادة تحديدها وتعريفها من حين لآخر، وذلك مع ردات فعل الجماعات حسب ما تقتضيه الظروف، فالروابط البدائية متغيرة بشكل واضح، فاللغة مثلا نجد الكثير يتكلم أكثر من لغة أو لهجة واحدة في المجتمعات المتعددة اللغات، وأحيانا يختار أعضاء مختلف الجماعات الإثنية الأخرى تغيير لغتهم لإتاحة فرصة أفضل لأطفالهم، أو لتمييز أنفسهم أكثر من الجماعات الإثنية الأخرى، وكثير لا يفكرون بلغتهم ولا يربطون بها أية دلالة عاطفية أو وجدانية مهمة. وكذلك الدين قد خضع لتغييرات كثيرة على مدى القرون كالتغيير في الممارسات والعقائد الدينية تحت تأثير المصلحين الدينيين أو غيرهم، وبالنسبة إلى مكان الولادة، فقد هاجر الكثير أوطانهم باختيارهم واختارت نسبة كثيرة منهم الإندماج في مجتمعها الجديد وفقدت مع الوقت الشعور بالإرتباط بالوطن الأم(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص119-130).

و رغم وجاهة هذه الإنتقادات إلا أننا نلاحظ أن الكثير من الشعوب والأمم تنظر إلى هويتها كأمر مسلم به لا يمكن أن يجادل أو يناقش أو يعدل، بل و يدفعهم إعتقادهم هذا إلى التعصب والدخول في صراعات عنيفة مع جماعات أخرى تعادي إعتقادهم هذا.

ب. نظرية الحداثة: Modernist, Constructivist Approach

برزت هذه النظرية كرد فعل على النظرية البدائية التي عدّت الهويات القومية سمة طبيعية وشمولية للمجتمعات البشرية. وبحسب نظرية الحداثة فإن الأمم والقوميات ظهرت حديثا في القرنين 18 م و 19 م وهما من منتجات أنساق حديثة محددة مثل الرأسمالية والتصنيع والتمدين والعلمانية وظهور الدولة البيروقراطية الحديثة. ويؤكد الحداثيون أن الأمم والقومية ليست مجرد أمر جديد تاريخيا فقط، بل أصبحت ضرورة إجتماعية في العالم الحديث وأنه لم يكن ثمة مكان للأمم والقومية في حقبة ما قبل الحديثة(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص141**).**

ويمثِّل هذه المدرسة أرنيست جلنرErnest Gellner، بينيدكت أندرسون Benedict Anderson، كارل دوتش Carl Deutsch، إريك هوبزباوم Eric Hobsbawm.

ويؤكد هؤلاء أن القومية nationalism هي إيديولوجية ثقافية وسياسية بسبب الحداثة ويرون أن الهوية الوطنية ليست فطرية وليست نتيجة طبيعية للأرض والمناخ والجغرافيا. ويفضل أصحاب هذه النظرية التفكير على مستوى الأفكار والصور، ويؤكدون أن هذه الهوية مؤسسة على أساس تصورات ليست بأي حال طبيعية أو ممنوحة من الرب ولكنها جاءت نتيجة رعاية وتنشئة، وحسبهم الهوية الوطنية هي صناعة فكرية أو بناء ثقافي ويؤكدون أن الأمم شيء مصطنع ومؤسسة على الأسطورة، ويعتبر بنديكت أندرسون أن الأمم هي مجتمعات متخيلة imagined communities وحسب مقاربة هوبزباوم فإن الأمة هي تقاليد مخترعة invented traditions وتشمل رموز وطنية، وميتولوجيا، وتاريخ يوضع بما يناسب(Karim Mezran, 2013, P12-13).

إن نظرية الحداثة هذه تميل إلى تبنِّي موقف مضاد للنظرية الجوهرية وإلى التأكيد على وضعية البناء الإجتماعي لجميع الهويات، فينظر للهويات على أنها تتأسس في سياقات إجتماعية وتاريخية محددة وأنها خيارات إستراتيجية عليها أن تتجاوب مع الأحوال المتغيرة ومن ثم فعي عرضة للتغيير وإعادة التشكيل باستمرار(طوني بنيت وآخرون، 2010، ص702-703).

حسب هذه النظرية الأمة هي نتاج عملية واعية من البناء من طرف مجموعة من الأفراد لتحقيق مصالحهم، إنها ظاهرة حديثة تقوم ببناء كل الخصائص التي يدعِّي أصحاب النظرية البدائية أنها موجودة دائما، وتؤكد هذه النظرية أنه في العصر الحديث توجد في مناطق جغرافية كثيرة مجموعات من الأفراد يجدون مصالحهم في التنصل من النظام السياسي القائم وينشئون نظاما جديدا يخدم مصالحهم. هذه المجموعة من البشر تقوم باختراع خصوصيات وتقاليد مشتركة لدعم حركتهم الوطنية للحصول على أهدافهم من إنشاء دولة جديدة، وحين ينشئون دولتهم يتبنون نظرتهم للهوية الوطنية ويطابقون سياستها الداخلية والخارجية مع حاجياتهم ومصالحهم، لهذا يقول أرنيست جيلنر: "القومية تضع أمما وليس العكس"، وتعود هذه النظرية إلى دافيد هيوم في مقاله "الشخصية الوطنية" « national character » المكتوب سنة 1741 حيث أكد أن ما يسميه الأسباب المعنوية (مثل الحكومة و التربية) هي من تنشئ الشعور بالهوية الوطنية. وفي بريطانيا أكد إريك هوبزباوم على الإختراع الحديث لمعظم التقاليد "القديمة" في كتابه "إختراع التقاليد" « the invention of traditions » سنة 1983(Karim Mezran, 2001, P15).

ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية للنظرية البنيوية كما يلي:

-إفتراض أن القومية هي من أنشأت (و لا تزال) الأمم وليس العكس.

-الإعتقاد أن الأمم هي منتجات جديدة للحداثة.

-الأمم هي بنى إجتماعية وصناعة ثقافية أنشئت عمدا من طرف النخب.

-فكرة أن القومية(كحركة سياسية) تخترع و تتصور الأمم(الهوية الثقافية) عن طريق تقديمها للأغلبية عبر وسائل ثقافية وطقوس إجتماعية مختلفة.

-الإعتقاد أنه في الظروف الحديثة فقط يمكن أن يتحقق هذا الإختراع والتصور(Karim Mezran, 2001, P16).

إذن على نقيض المفهوم الميتافيزيقي الذي تمثله النظرية البدائية يظهر هذا المفهوم السوسيلوجي التاريخي، الذي يرى أن الهوية الوطنية تعني في أحسن الحالات طرق تفكير وشعور وسلوك متماثلة ومهيمنة نسبيا وتتغير مع حركة التاريخ وتحولاتها الجذرية. فالهوية القومية هي هوية نسبية وتاريخية يحققها شعب ما عن طريق تفاعل ولا يرثها من تركيب نفسي أو جوهر متأصل في، إنها نتيجة استجابة نعانيها عن طريق النشأة الإجتماعية وليست ردا فطريا وغريزيا(نديم البيطار، دس، ص6).

إن الفكر الإجتماعي الحديث إبتعد في العقود القليلة الماضية عن المفهوم الميتافزيقي وأصبح من المعترف به بشكل عام أن خصوصيات أي شعب هي نتائج عوامل التاريخ الديناميكية كالإحتكاك الثقافي، والحروب، والهجرة، والإختراعات، والأزمات، والصراعات الإجتماعية والسياسية والتصورات الإيديلوجية، وليست جوهرا أو بسبب عوامل ثابتة كالجغرافيا والغريزة والطبيعة الإنسانية والعرق. وقد كتب هايزC Hayes. مؤرخ الظاهرة القومية المعروف أن معظم الخصائص التي ترتبط بقومية ما هي نسبية وما يميز قومية في مرحلة ما لا يعني أنه سيميزها في مرحلة أخرى، وهناك أمثلة كثيرة من التاريخ تشهد على تحول الشعوب في الهويات والعقائد والعادات، بل في بعض الأحيان تنتقل الشعوب من حياة تاريخية معينة إلى نقيضها في جيل واحد كما حدث بعد الثورة الفرنسية، والروسية، والصينية، الشيوعية، أو بعد ظهور الإسلام، أو ظهور العقلانية والثورة الفرنسية(نديم البيطار، دس، ص7-9).

فمن منظور بنيوي تنشأ الهويات الإثنية من اختلافات موضوعية داخل الجماعة حول توزيع الموارد الإقتصادية والسلطة، أي وجود الإختيار العقلاني والمصلحة الشخصية، فالروابط الإثنية هي وسائل لغايات معينة كما أن حدود الجماعات الإثنية يمكن أن تتغير(Saad Nagi, 2000, P1939).

إن الهوية الثقافية كما يؤكد هابرماسHabermas ليست معطى أو جوهرا محددا مسبقا، لكنها مشروع يتزامن بناؤه مع الوقائع والمستجدات، فالهوية إنتقائية في تعاملها مع السردية التاريخية، يمكنها الإنتقاء والإختيار من الموروث، وعلى الرغم من أنها لا تستطيع أن تختار تقاليدها، إلا أنها تستطيع على الأقل أن تنتقي أو تختار بشكل أساسي أن تستمر أو لا تستمر مع بعض منها، فالهوية ليست ما يكونه الفرد بقدر ما يريد الفرد أن يكون، وهي في الحصيلة كما يخلص هابرماس ليست مبنية بكاملها على تقاليد الفرد وميراثه التاريخي(عبد الغني عماد، 2017، ص11-12).

لا شك أن الظروف المختلفة والتغيرات التي تطرأ عبر مراحل تاريخية طويلة أو تلك التي تحصل عن طريق فعل تاريخي مفاجئ وقوي يؤثر بلا شك على تعريف هويات الأمم وتغييرها حسب هذه الظروف والمستجدات.

غير أن هناك انتقادات قد وجهت لنظرية الحداثة، منها:

يعرف الحداثيون الأمة على نمط واحد مستمد من التجربة الغربية وهذا ما يستبعد أي تعريف منافس للأمة خارج إطار الحداثة والغرب. وأصبح الفهم الغربي للأمة الحديثة مقياس فهمنا لمفهوم الأمة بحد ذاته، وهو ما أدى إلى نزع الشرعية عن المفاهيم الأخرى، وحتى القوميات

الحديثة-كما يلاحظ غورسكي Gorski ـــ ستفشل في تلبية المعايير التي وضعها الباحثون الغربيون الحداثيون، فمن المتوقع حسبهم أن تكون القومية الحقيقية علمانية وديمقراطية بالكامل.

إن ظهور القوميات لم يبدأ فقط في القرنين 18 و 19 م كما يرى الحداثيون، فمن الممكن العثور على أمثلة من الأمم والقومية نشأت قبل هذا التاريخ، فقد ظهرت أصول العواطف الوطنية في القرنين 15 و 16 م في كثير من بلدان أوربا الغربية. حسب أنتوني سميث بدأت الطبقات الصغيرة من الموظفين والبيروقراطيين في فرنسا وإنجلترا وإسبانيا والسويد بالشعور برابطة قوية بالأمة التي اعتبرت جماعة مناطقيةـــ ثقافية منذ القرن 15 م، بينما ظهرت قومية خاصة بـ "طبقة وسطى" أوسع بحلول القرن 16 م سيما في إنجلتر أو هولندا.

تعجز نظرية الحداثة التي تعتبر أن القومية من صنع النخب تلبيةً لاحتياجاتها ومصالحها عن تفسير السبب الذي يدفع ملايين الناس إلى التضحية بأرواحهم في سبيل أمتهم، فمعظم المنظرين الحداثيي-كما يؤكد ـــ سميث يركزون على استغلال النخب للجماهير بدلا من ديناميات الحشد الجماهيري وبالتالي لا يركزون على حاجات ومصالح الناس العاديين(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص225-228).

القومية لا تقضي دائما على الدين أو تتعارض معه كما ترى نظرية الحداثة فقد جرى التأكيد أن القومية لا تحل دائما محل الدين. فنجد في إيرلندا، وبولندا، وأرمينيا، وإسرائيل وإيران أن المؤسسات الدينية عملت على تعزيز القومية، وهناك حالات تزدهر فيها القومية والدينية معا لذلك يصعب أن ننسب نهوض القومية إلى انحطاط ديني، بل يذهب Green Field إلى أن القومية ظهرت في زمن هيمنت العواطف الدينية المتحمسة حين نمت أسئلة الهوية الدينية بصورة أكثر حدة وغدا الإيمان أكثر أهمية في زمن الإصلاح الديني، وتمكنت القومية من التطور والترسخ بدعم من الدين وحتى في مراحل متأخرة حين حلَّت محله بوصفها العاطفة الحماسية المهيمنة، فدمجت الدين باعتباره جزء من الوعي الوطني في كثير من الحالات(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص225-228).

كذلك ثمة إعتراض ضد أندرسون في تأكيده على دور التمثيلات الثقافية في بناء أمم بوصفها "جماعات متخيَّلة"، وينتقد برويلي Breuilly أندرسون بسبب تقليله من أهمية البعد السياسي للقومية لا سيما المبالغة في أهمية القومية الثقافية في أوربا في القرن 19 م، فمع أن أطروحة أندرسون معقولة في أمريكا في القرن 18 م فإنها وفقا لبرويلي تتعثر في أوربا ولا نستطيع التعامل مع المشكلة الشائكة المتمثلة في غياب الإنسجام بين القومية "الثقافية" و"السياسية" في بعض الحالات. فمثلا التوحيد السياسي لألمانيا لم يترافق مع توحيد ثقافي، فللبعد السياسي دور أكثر أهمية حتى في حالات حركات التحرر التي تطورت في أمريكا في القرن 18م(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص238-239).

وللتوفيق بين النظرية البدائية ونظرية الحداثة ظهرت مقاربة سميث والتي سماها المقاربة الإثنورمزية.

ت. المقاربة الإثنيو-رمزية:

حاول أنتوني سميث بناء جسر بين النظرية البدائية ونظرية الحداثة. فقد أجاب الحداثيين بأن لا شيء يأتي من لا شيء، وقد قبل فكرة أن الأمم هي ظاهرة حديثة، لكنه يؤكد أنها مرتبطة بمجتمعات إثنية قديمة، إن سميث يؤكد أن هناك براهين عدة تثبت أن الأمم الحديثة مرتبطة بجماعات إثنية قديمة وأنها أُنشئت بما وجد من قبل من أساطير ثقافية إثنية وذاكرة مشتركة، يؤكد سميث أن القومية السياسية الحديثة لا يمكن فهمها دون الرجوع إلى الروابط والذاكرة الإثنية القديمة أي فيما يسميه هو القاعدة "الإيثنورمزية" ethni-symbolic base(Karim Mezran, 2001, P16).

إن النظرية الإثنيو- الرمزية قد انبثقت من النقد النظري للحداثة. ويعتبر أنتوني سميث من أبرز أنصارها حيث شدد على دور الأساطير والرموز والذكريات والقيم والتقاليد التراثية في تشكيل الإثنية والقومية وبقائهما المستمر والتغيير الذي يطرأ عليهما(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص257).

إن أطروحة سميث تقوم على تعذر فهم الأمم الحديثة من دون أخذ المكونات الإثنية الموجودة مسبقا بالإعتبار، وأن غيابها يمكن أن يُنشأ مأزقا خطيرا لعملية "بناء الأمة"، ووفقا لسميث إذا أردنا تجاوز التعميمات الجارفة للحداثة والنظرية البدائية نحتاج إلى تعريفات عملية واضحة للتعابير المفتاحية مثل "أمة" و"قومية" فالمشكلة في النظريات الحداثية تتمثل كونها تقدم تعريفا لا للأمة بحد ذاتها بل لنوع خاص من الأمم وهي الأمة الحديثة التي ظهرت في الغرب وأمريكا في القرنين 18 و 19 م، وما نحتاج إليه حسب سميث هو تعريف للأمة يمكن تطبيقه من حيث المبدأ على القارات والعصور التاريخية كلها. وهو يقترح التعريف التالي للأمة :"سكان من البشر لهم إسم ويتقاسمون منطقة تاريخية وأساطير مشتركة وذكريات تاريخية وثقافة جماهيرية عمومية واقتصادا مشتركا وحقوقا وواجبات قانونية للأعضاء جميعهم"(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص265-266).

وفي أعمال سميث الأخيرة المعدلة(مثل مصادر مقدسة للهوية الوطنية(2003) القومية النظرية الإيديلوجيا التاريخ(2001) الأمة في التاريخ مجادلات تأريخية حول الإثنية والقومية(2000) يستمر في الإعتقاد أن الإثنية تؤدي دورا مفتاحيا في تشكيل الأمم ويزعم أنه من الضروري إلقاء نظرة أوسع على الأسس الثقافية للأمم مع تسليط الضوء على أهمية الأنواع الأخرى من المجتمعات السياسية والدينية. أما تاريخ ظهور إيديولوجيا القومية فما زال سميث يعتقد أن القومية بوصفها عقيدة ظهرت في القرن 18 م لكن عدد من عناصرها ظهرت قبل ذلك، حيث يمكن العثور على نوع معين من القومية الشعبية والمحلية في القرن 17 م في بعض الدول مثل إنجلترا وأسكتلندا وهولندا. كما شدد سميث في أعماله الأخيرة على "الأسس المقدسة" للأمم وعلاقتها بالمعتقدات والرموز والطقوس القديمة للأديان التقليدية عند تفسير قوة الهويات الوطنية وديمومتها ومتانتها(أوموت أوزكيريملي، 2013، ص277-278).

وأصبح سميث يرى أنه ليس كل أمة حديثة يجب أن تتأسس على روابط إثنية قديمة وإن كانت أغلب الأمم تنشأ بروابط إثنية، إن هذه الإثنيات القديمة تزوِّد الأمة بما يميزها من أساطير ورموز

وثقافة، ورغم ذلك فإن سميث يقر بأنه إذا لم يكن لهذه الأمم خصائص مميزة يجب أن تحصل عليها فإنها تتعرض للإندثار، وهذا الموقف لسميث شبيه برؤية البنيويين، وفي موضع آخر يصرح سميث أن "الأمم تحتاج إلى نواة إثنية إذا أرادت البقاء وإذا لم يكن لديها يجب أن تخترعها"(Karim Mezran, 2001, P17-18).

وبالنظر إلى واقع الكثير من الدول القومية المعاصرة فإننا نجد تحليل سميث هذا صحيح إلى حد بعيد، حيث تلجأ هذه الدول في أول أمرها إلى الإستعانة بالتاريخ القديم والذي في أغلبه يكون مبنيا على أساطير وخرافات لا أساس لها من الصحة، ولكنها ذات أهمية كبيرة في المخيال الجمعي لشعوب هذه الدول وبالتالي فهي تلعب دورا أساسيا في تعبئة الجماهير وتشكيل الهويات الوطنية.

خاتمة:

باختصار الهوية هي ما يميز أمة ما ثقافيا ودينيا ولغويا، وللهوية مكونات أساسية قد تختلف من أمة لأخرى، كما أنها قد تختلف من فترة زمنية لأخرى وهذا بسبب تغير الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية، أما من حيث النظريات المفسرة لهذه الظاهرة فتوجد ثلاث نظريات تفسر نشوء القوميات والهوية الوطنية. الأولى ترى أن الهوية شيء طبيعي وثابت وميتافيزيقي لا دخل للإنسان في تشكيلها، النظرية الثانية عكس الأولى تماما ترى أن الهويات الوطنية هي نتاج بنى سياسية إجتماعية واقتصادية معينة تفاعلت مع بعضها فأنشأت هوية بخصائص معينة. النظرية الثالثة تحاول الجمع بين النظريتين وذلك بالتأكيد على دور الأساطير والتفاعلات الإجتماعية المختلفة في إنشاء الهوية الوطنية.

قائمة المراجع:

1. أحمد بن نعمان(1996)، الهوية الوطنية، دار الأمة، الجزائر.
2. أليكس ميكشيلي(1993)، ترجمة علي وطفة، الهوية، دار الوسيم الخدمات الجامعية، دمشق.
3. أوموت أوزكيريملي(2013)، ترجمة معين الإمام، نظريات القومية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
4. بندكت أندرسن(2010)، ترجمة ثائر ديب، الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، المركز العربي للأبحاث دراسة السياسات، الدوحة.
5. ساطع الحصري(1985)، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
6. طوني بينيت وآخرون(2010)، ترجمة سعيد الغالمي، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
7. عبد الغني عماد(2017)، سوسيولوجيا الهوية جدليات الوعي والتفكيك وإعادة البناء، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت
8. كارل بوبر(2001)، ترجمة طريف الخولي، أسطورة الإطار، عالم المعرفة، الكويت.
9. محمد الكوخي(2014)، سؤال الهوية في شمال إفريقيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
10. مرابط رابح(2009)، أثر المجموعات العرقية على استقرار الدول، دراسة حالة كوسوفو، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق، جامعة باتنة.
11. Helen Ting(2008), Social construction of nation, nationalism and ethnic politics, Routledge, London.
12. Karim Mezran(2001), negotiating national identity, the case of the Arab states in North Africa ,unpublished dissertation of doctorate, Johns Hopikins university,USA.
13. Marie Demker(2008),Colonial power and national identity, Lightening Source,Uk.
14. Saad.Z.Nagi(2000) , nationalism,2nd ed, Encyclopedia of Sociology, volum 3, Gale group, USA.

الجابري في ميزان نقد العقل العربي قراءة في أعمال جورج طرابيشي
Jabri in the balance of criticism of the Arab mind Read the works of George Tarabishi

د. رباني الحاج، قسم الفلسفة جامعة معسكر- الجزائر

ملخص: ظل الجابري منذ مطلع الثمانينيات يصنع بحضوره الفكري الحدث، داخل الأوساط الفكرية والفلسفية على اختلاف توجهاتها، بل قد لا نجانب الصواب أن مشروع النقد العربي أخذ من البحث والدراسة والاهتمام، أكثر من أي مشروع آخر في الساحة العربية خلال العقدين الأخيرين من الزمن، فهو بإثارته لإشكالية العقل كموضوع للدراسة في التراث العربي الإسلامي، محاولا قراءة هذا التراث من داخله والتكيف مع معطياته الثقافية الأصيلة، والعمل على تجديده من الداخل وربطه بمعطيات العصر الحالي، استطاع أن يلفت انتباه القراء والدارسين، بل استطاع أن يفرض عليهم التفاعل مع خطابه الفكري بشكل جاد وصارم إن لم نقل استطاع أن يكسب ثقتهم في هذا الخطاب مما جعلهم يعلقون أملهم النهضوي والحداثي عليه، فهذا المشروع بالرغم من حمله لشعار "النقد" إلا أنه بمنهجيته الإبستمولوجية، نجح في تجاوز الصعوبات التي لاقتها الكثير من المشاريع الفكرية في الساحة العربية باعتبارها مشاريع انطلقت من مواقف نقدية مباشرة وصريحة للتراث، فالجابري بالرغم من فكره النقدي أصبح علما داخل أوساط واسعة جدا، إلا أنه أثار انتقاد كبار المفكرين والدارسين لمشروعه النقدي، إذ بقدر ما أشاد هؤلاء بأهمية هذا المشروع وموسوعيته إلا أنهم وجهوا له نقدا على مختلف المستويات ومن مختلف الجوانب، لكن لا أحد خصص هذا الكم الكبير من البحث والدراسة والتنقيب في ثنايا كتابات الجابري، مثلما فعله جورج طرابيشي الذي عنون مشروعه "نقد نقد العقل العربي" وهو مشروع بكامله موجه لنقد ودراسة مشروع الجابري لذلك نقف في هذه الورقة على مشروع طرابيشي الفكري من خلال نقده لمشروع الجابري، فما هو النقد الذي وجهه طرابيشي للجابري؟ وما هي الأسس والمنطلقات والخلفيات المنهجية والمعرفية التي تؤسس وتؤطر وتوجه مشروع نقد نقد العقل العربي؟

الكلمات المفتاحية: نقد، العقل العربي، الإبستمولوجية، الخطاب الفكري.

Abstract: Since the beginning of the 1980s, Al-Jabri has been making his intellectual presence within the intellectual and philosophical circles of different orientations. It may not be out of the question that the Arab Monetary Project has taken more research, study and attention than any other project in the Arab arena during the past two decades. The mind as the subject of study in the Arab Islamic heritage, trying to read this heritage from within and adapt to its original cultural data, and work to renew it from the inside and link with the data of the current era, was able to draw the attention of readers and scholars, but was able to force them to interact with his intellectual speech doubt This project, although carried the slogan "criticism," but by its method of epistemology, succeeded in overcoming the difficulties encountered by many intellectual projects in the Arab arena as projects Al-Jabri, despite his critical thought, became a

science within a very wide circle. However, he drew criticism from the great thinkers and scholars of his critical project. As much as they praised the importance of this project and its theme, But no one has devoted so much research, study and exploration to the writings of al-Jabri, as did George Tarabishi, whose project is entitled Criticism of the Criticism of the Arab Mind, an entire project directed at criticizing and studying the Jabri project. Therefore, we stand in this paper on Tarabishi's intellectual project through Criticism of the project Jabri, what is the criticism of Tarabishi of Jabri? What are the foundations, premises, and methodological and conceptual backgrounds that establish, frame and guide the criticism project of the Arab mind?

Keywords: criticism, Arab mind, epistemology, intellectual discourse.

تقديم:

خصص جورج طرابيشي (1939- 2016) فترة مهمة من حياته لقراءة وتشريح المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري (1935- 2010) وفعلا استطاع طرابيشي أن يحيط بمشروع نقد العقل العربي بشكل لم يضاهيه فيه غيره من الباحثين والدارسين، لقد أثبت ثقله الفكري والمعرفي بوقوفه على تفاصيل وحيثيات ودقائق القضايا التي عالجها الجابري في مؤلفاته العديدة فاستطاع محاكمة الطروحات الفكرية، إنطلاقا من مصادرها ومنابعها وروافدها المعرفية بشكل صارم وحاسم، دون إغفال أبسط ضروريات النقد المنهجي والمعرفي، والحفر في ثنايا المعلن والمسكوت عنه، والكشف عن ما لم يكشف عنه الجابري في خطابه للقارئ والباحث العربي، في هذه الورقة البحثية، نقف على جانب من الجهود الفكرية التي خصصها طرابيشي لنقد مشروع نقد العقل العربي، محاولين التركيز على أهم القضايا التي أثارت انتباهه والمواقف التي اتخذها منها؟

كما هو معروف لدينا، فإن الجابري وجه نقدا قويا للمشاريع الفكرية السابقة عليه والمعاصرة له، ووصفها بأنها تشترك في نقطة أساسية، فهي جميعها "سلفية" أي أنها تقوم على نموذج جاهز، سواء كان ذلك النموذج حديثا ومعاصرا أو قديما وتراثيا، وهو ما يعني أن تلك المشاريع ما هي إلا تعبير عن إيديولوجيات وقناعات جاهزة، وفي هذا تعطيل للعقل، لأن العقل لن يكون عقلا إلا عندما يعي ما يعرفه ويدرك كيف تم بناءه وتكوينه، أي عندما يعي ذاته ويكون موضوعا لتفكيره، وبتعبير آخر، عندما يعرض أدواته المعرفية للنقد والمساءلة، هذا ما جعله – الجابري – يركز اهتمامه على الجانب المعرفي في الثقافة العربية، أي كيف يفكر العقل العربي في ذاته وفي موضوعاته، وحتى نعرف كيف يفكر يجب أن نعرف كيف تكون وكيف تم بناءه؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة التي بين أيدينا في تسليطها الضوء على ماقدمه جورج طرابيشي من جهود فكرية ونقدية للفكر العربي المعاصر، وخاصة في تخصيص وتوجيه تلك الجهود لأحد المشاريع الفكرية التي أثارت بطروحاتها نقاشا واسعا في المغرب والمشرق وعلى امتداد العالم العربي الإسلامي وهو مشروع " نقد العقل العربي" لصاحبه محمد عابد الجابري، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، أننا نسجل ملاحظة ذات أهمية في –نظرنا- في سياق الفكر العربي المعاصر

وهي ندرة ثقافة الحوار بين المفكرين العرب، فهذه المشاريع تميزت بالإنغلاق والإنعزال عن بعضها البعض لذلك بقيت آثارها محدودة على المجالات التي تقع خارج المحيط الأكاديمي الضيق، فتخصيص طرابيشي مشروعا نقديا كاملا لهذا المشروع يعتبر في حد ذاته تأسيسا لثقافة الحوار والإعتراف داخل السياق الفكري العربي المعاصر، رغم التحفظات والإنتقادات الموجهة له، تكمن أهمية هذه الدراسة في تثمين جهود طرابيشي النقدية وفي الإشارة إلى مساهمته في تعميق النقد، عن طريق عنونة مشروعه بنقد النقد وهذا ما يساهم في استيقاظ العقل في سياقنا المعاصر من سباته وكسله واستسلامه لبعض الأحكام القاسية، كما أننا نعتبر أن الجابري ورغم ما لقيه مشروعه من اهتمام إلا أن اهتمام طرابيشي بهذا المشروع كان في حد ذاته مشروعا، لذلك تأخذ هذه الدراسة كامل أهميتها.

عصر التدوين ومشكلة الإطار المرجعي للعقل العربي:

لا يهتم الجابري بالثقافة السائدة في الحياة اليومية أو ما نسميه عادة بالثقافة الشعبية، بل يوجه نظره نحو الثقافة العالمة، أي ثقافة العلماء، الثقافة المكتوبة والمدونة، لهذا وضع لهذه الثقافة زمنا خاصا بها هو زمن عصر التدوين، هذا العصر الذي يمثل معيارا لما قبله وما بعده، ففيه تكون العقل العربي ووضعت بنيته.

يقول طرابيشي في"عصر التدوين" الذي يفترض الجابري أنه "لا يخضع لمفهوم القبلية والبعدية كما ينسحبان على الزمن الاجتماعي الطبيعي" والذي يريد أن يقرأ من خلاله كونه واقع العقل العربي في امتداده السابق واللاحق، هو في واقعه عصر "مصنوع" عصر مزاح بالإسقاط من المابعد إلى الماقبل، عصر جرت "فبركته" في وعي الأخلاق ليجعل إطارا مرجعيا مفترضا لوعي الأسلاف، وبكلمة واحدة، إنه ليس عصر التدوين كما بنى نفسه حسب فرضية الجابري على امتداد المائة سنة ما بين منتصف القرن الثاني ومنتصف القرن الثالث للهجرة، بل هو "عصر التدوين" كما جرى بناؤه في ماض لاحق"(جورج طرابيشي، 1998، ص10).

يريد طرابيشي لفت الانتباه إلى مسألة مهمة في هذا الصدد تتمثل في الدور الذي يلعبه عصر التدوين في تكوين صورة معينة عن الماضي، وبالتالي فهذا العصر ليس مجرد حقيقة موضوعية، بل هو عصر تم بناءه أي تشكيله بطريقة تجعل الماضي تابع للحاضر، والسابق خاضع للاحق، فهو ليس تعبير عن الواقع إنما هو عصر تمت صناعته بقصد توجيه الوعي، ويتساءل طرابيشي **"ما الذي يسكت عنه نص الجابري المطول عن "عصر التدوين"؟**

إنه يسكت عن المصدر الذي أخذ منه الفكرة والتسمية، أي عن احمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام"(جورج طرابيشي، 1998، ص14).

يكرر طرابيشي هذه الملاحظة بشكل ملفت للانتباه، أي عدم كشف الجابري عن مصادره في الكثير من المواضع ويؤكد أن الأمر لا يتعلق بالصدفة، إنما هو أمر يتكرر بشكل يثبت تعمد الجابري في فعل ذلك، والحقيقة أننا لا نستطيع أن نتحدث عن نقد العقل، ثم نغفل المصادر التي سبقتنا في دراسة الإشكاليات المطروحة أمامنا للبحث، فهذا أمر يشكك في موضوعية ما نطرحه، رغم أن الجابري، لا نستطيع تجاوزه في سياق الفكر العربي المعاصر.

يقول طرابيشي موجها نقدا لاذعا للصورة التي يضعها الجابري لعصر التدوين" إنما نحن في الحقيقة أمام رؤية "مجلدة" جرى "تعليبها" في القرن (3 هـ) و (4هـ) برسم الاستهلاك في القرون التالية وهي عينها التي عاد الجابري في نهاية القرن الحالي يأكل من طبقها وقد غاب عنه أنه لا يجوز أن يعاد تجليد المجلد أو أن يعاد تسخينه مرتين، ولا سيما أن الدراسات التراثية المتراكمة خلال، النصف الثاني من القرن(20م) قد أبطلت أسطورة "عصر التدوين" من أساسها"(جورج طرابيشي، 1998، ص28-29).

هذا النقد القوي لفكرة عصر التدوين هو نقد موجه للأساس الذي يقوم عليه مشروع نقد العقل العربي بكامله، فالعقل العربي كما يتصوره الجابري، هو ثمرة هذا التدوين أو التحول من الشفهي والمروي إلى المكتوب والمثبت والمقنن، وهدم الحقائق التي يضيفها الجابري على هذا العصر يؤدي إلى هدم كل ما يترتب عليها من نتائج وتصورات، وإذا كان توجيه النقد للمشاريع السابقة على أنها "سلفية" فها هو طرابيشي يرى أن الجابري يكرر صورة تراثية تجاوزها الزمن، وليس من العسير كما يرى أن ندرك أين تعثر الجابري بمنهجه الذي يصفه بأنه إبستمولوجي، والقصد هنا، تصديقه لرواية "الذهبي" عن "عصر التدوين"، فالذهبي هو وارث صورة "عصر التدوين" المصنوعة من قبل الأجيال السابقة له وموِرث هذه الصورة المصنوعة، بعد إدخال المزيد من الرتوش عليها إلى الأجيال اللاحقة له، ولعله هو من حدد مواصفات هذه الصورة- الأسطورة عندما يقول، إنه قبل "عصر التدوين" أي قبل عام 143هـ، كان "علم الصحابة والتابعين، في الصدور، فهي كانت خزائن العلم لهم، فنحن لسنا هنا أمام صورة مطابقة للواقع التاريخي بقدر ما نحن أمام (حاجة إيديولوجية) إلى بناء واقع تاريخي كهذا"(جورج طرابيشي، 1998، ص29).

نجد في هذا النقد إشارة واضحة إلى وضع هذا التصور الذي يعطيه الجابري لعصر التدوين في خانة "الأسطوري الإيديولوجي"، وبالتالي غير الموضوعي، أي أن المشروع الفكري لنقد العقل العربي بكامله تحكمه أهداف إيديولوجية من الوهلة الأولى، لكن يجب الإشارة إلى أن صاحب هذا المشروع لا يلغي العامل الإيديولوجي نهائيا، فهو إضافة إلى منهجيته التاريخية والبنيوية، يستند إلى الطرح الإيديولوجي في قراءته للتراث، بمعنى أنه لا يتوهم وجود قراءة موضوعية تامة لهذا التراث، فكل قراءة هي قراءة من أجل غايات وأهداف معينة، وهذا لا يمكن إنكاره على أي دراسة يكون موضوعها التراث، وبالتالي لا يمكن لأي دراسة مهما كانت مدعية للموضوعية أن تقف عند حدود الواقع التاريخي كما هو دون أن تسقط عليه حاجات وأهداف عصرها، لكن يبدو، أن ما يعيبه طرابيشي على الجابري، هو النظر إلى هذا العصر بمنطق المعجزة، عصر انبثاق العلوم بشكل مفاجئ دون مقدمات، الانتقال مباشرة من مرحلة الحفظ في الصدور إلى مرحلة التدوين في الكتب دون تدرج أو تحول تدريجي، من هنا يتساءل "ما الغائب الأكبر عن نص الجابري عن نص السيوطي/ الذهبي عن "عصر التدوين"؟

إنه التدوين الأول، النموذج الأول لكل تدوين لاحق، الذي هو تدوين القرآن"(جورج طرابيشي، 1998، ص59)، ويتجاوز الجابري، إشكالية تدوين القرآن كنص مؤسس، فيلاحظ طرابيشي، أنه بهذا القفز على الواقعة القرآنية يكون قد "فوت على نفسه وعلى قراءه فرصة ثمينة لنقد فعلي للعقل العربي المكون"(جورج طرابيشي، 1998، ص59).

إذ يرى طرابيشي أن الجابري أخطأ الموضوع الحقيقي للعقل العربي، ووجه نقدا لعقل مفبرك ومؤدلج، مما جعل جانبا أساسيا من مجال البحث في الثقافة العربية يبقى خارج إطار الدراسة والنقد، وعليه فإن ما يفعله الجابري" رغم دعوى الحفر النقدي والابستمولوجي على مستوى العقل بالذات، هو الزج بواقعة تدوين القرآن، أو "مصحفته" كما يمكن أن نقول في غيتو (اللا مفكر فيه)، أو الممتنع التفكير فيه"(جورج طرابيشي، 1998، ص60).

وقع الجابري في نظر صاحب "نقد نقد العقل العربي" في انحراف ابستمولوجي كبير، بتجاوزه لإشكالية تدوين القرآن، أو تحوله من الصدور إلى المصحف، ومن كونه وحيا إلى كونه نصا مدونا، وراح يبحث عن تدوين العلوم التي تدور حوله، أي تجاوز الأصل إلى الفرع، كما تجاوز أهم عملية تدوين تدخل فيها العقل إلى عملية تدوين ثانوية إذا ما قورنت بالنص الأول الذي شغل العقل العربي وهو القرآن، فالمنطلق الأول قام على إيديولوجيا المسكوت عنه، والتعامل مع التراث تعاملا انتقائيا، وهكذا في المحصلة ليست المسألة فيما يخص عصر التدوين لا مسألة تقديم أو تأخير كرونولوجي، ولا مسألة إهمال أو سهو بيبليوغرافي، وإذا صح أن الأمر يتعلق فعلا بـ"الإطار المرجعي للعقل العربي" فإن القفزة من عصر تدوين القرآن إلى عصر تدوين الحديث، تحجب عن النظر شطرا واسعا من ذلك الجسم المرجعي الذي يفترض أنه يتمثل في "سفينة الفضاء" فعصر تدوين بلا واقعة المصحفة أشبه بسفينة فضاء انتزعت منها حجرة القيادة. بل نستطيع أكثر من ذلك، أن نتحدث هنا عن عملية "تضليل" إستراتيجية(جورج طرابيشي، 1998، ص64).

إلى هذا الحد يصل الضرر الذي يتصوره طرابيشي للعقل العربي، بل يرى أن الجابري يهدف منذ الوهلة الأولى إلى تضليل الإنسان العربي، بوضعه إطارا مرجعيا للعقل العربي والثقافة العربية، ويحاول أن يمنع القارئ من مغادرته أو التفكير خارج مجاله، وكأنه إطار ضروري يفرض علينا حقيقته، وليس مجرد افتراض يمكن مساءلته ومراجعته، فهو إذا إطار نفكر فيه، بل يصل طرابيشي إلى اعتبار العقل العربي كما صاغه وتصوره الجابري فاقدا لعنصر القيادة أي فاقدا للبوصلة التي تؤطره وتتحكم فيه فعلا لا افتراضا.

لم ينقد الجابري العقل العربي، النقد الذي يكشف عن تكوينه وبنيته وايديولوجيته، إنما أخرجه من سياقه التاريخي وقام بإخضاعه لحاجاته وأهدافه، فتصرف فيه وفقا لذلك، دون مراعاة الواقع التاريخي الذي تشكل وانبنى فيه هذا العقل، أي أنه أعاد تشكيله وبناءه وفقا لتصوراته وقناعاته الخاصة، وهي قناعات كما يرى طرابيشي ترفض القيام بثورة لاهوتية.

العقل ومشكلة المعقول واللامعقول في فكر الجابري:

يأخذ طرابيشي على الجابري تقسيمه العالم إلى المعقول واللامعقول، ولا يرى بينهما أية علاقة، ومن ثم يرفع من شأن ما هو معقول ويحط من شأن ما يصنفه في دائرة اللامعقول سواء كان ذلك في مجال الدين أو في مجال العقل، لكن هذا التقسيم ينتقل من مجال الموقف النظري إلى مجال الإسقاط التاريخي الحضاري والجغرافي، وهو ما ينعكس على هوية العقل، لذلك يقول طرابيشي "إن المقاربة الجابرية المعيارية لإبستمولوجيا العقل لا تلبث أن تترجم عن نفسها حالا

إلى مركزية إثنية شرسة على صعيد أنثروبولوجيا الحضارات"(جورج طرابيشي، 1996، ص30).

يماهي الجابري بين العقل والحضارة أحيانا، كما يماهي بين العقل والجغرافيا أحيانا أخرى، فيقسم الحضارات إلى حضارات العقل والعلم وأخرى للامعقول والسحر، فينتصر للحضارتين اليونانية والعربية ويحط من شأن الحضارات الشرقية كالبابلية والهندية باعتبارها حضارات للامعقول تغيب العقل والعلم، ينقد طرابيشي هذا التقسيم غير الموضوعي في نظره فيعمل على إثبات ما يطعن فيه فيشير إلى حضور السحر مثلا في الحضارة العربية الإسلامية قائلا "والشاهد الذي نستقيه على كل حال لا من مرجع ثانوي أو عارض، بل ممن يمكن إعتباره الممثل الأوسع تمثيلا للعقل الحضاري العربي الإسلامي، أي من صاحب "المقدمة" التي تقوم لهذا العقل مقام "الموسوعة" بالمعنى الحديث ففي الفصل الذي خصصه ابن خلدون لـ "علوم السحر والطلسمات" يقول "واعلم أن وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن"(جورج طرابيشي، 1996 ص45-46).

فالسحر ومنه اللامعقول لا علاقة له بالثقافة والحضارة، بل هو مرتبط بالوجود البشري وكل حضارة لها جانبها اللامعقول، فهذا النص الذي قامت عليه ومن خلاله حضارة العرب يثبت وجود السحر، باعتباره حقيقة ثابتة أما الحضارة التي يتخذها الجابري معيارا للعقل واعتباره نموذجا له، فيترك طرابيشي الإجابة لواحد من أشهر من درسو علاقة اليونان باللامعقول، البروفيسور إ.ر. دودس أستاذ الهلينيات في كتابه "الإغريق واللامعقول" يقول "إننا لا نستطيع أن نعزو إلى اليونانيين القدامى صناعة ضد أنماط التفكير "البدائي" وهي صناعة لا نلتقيها أصلا لدى أي مجتمع يقع تحت ملاحظتنا المباشرة"(جورج طرابيشي، 1996، ص47).

لا وجود لنزعة عقلانية ذاتية لأي حضارة أو ثقافة كل حضارة يمتزج فيها المعقول باللامعقول، ولا علاقة بين العرق والثقافة كما تصور الجابري، أو بين العقل والجغرافيا كما افترض في تقسيمه الابستمولوجي للعقل على أساس البرهان والبيان والعرفان، وهو ما يوحي بحصر التفكير الفلسفي في نطاق البرهان دون غيره، الأمر الذي يدفع طرابيشي إلى التساؤل قائلا "فما دام مفكرون دينيون من أمثال القديس أغسطينوس والقديس توما الإكويني وبسكال يدرجون في تاريخ الفلسفة الغربية، في عداد الفلاسفة، فلماذا لا يدرج في عداد هؤلاء كبار الروحانيين الهنود أمثال شنكرا و رامانوجا؟ وما دام أحد لا يماري في أن أفلوطين فيلسوف، فلماذا يتجاهل فيلسوف مثل لاو-تسو، مؤلف "كتاب الطاو والطو"؟ وإذا كان هوبز يحتل موقعه في رأس قائمة الفلاسفة السياسيين فبأي حق يستبعد منها كونفوشيوس، أبو الفلسفة السياسية الصينية؟ وحتى من وجهة النظر الميتافيزيقية وهي وجهة نظر مؤسسة للفلسفة بما هي كذلك، فإن الفلسفة الهندية تتمتع بامتياز مواصلة التقليد الميتافيزيقي، فيما الفلسفة الغربية نفسها دخلت في قطيعة مع هذا التقليد ابتداء من منتصف القرن 19م"(جورج طرابيشي، 1996، ص63).

يوجه طرابيشي سهام النقد للتصور الذي يضعه الجابري للعقل والعقلانية، ويشير إلى ضيق الأفق الذي يرسمه صاحب نقد العقل العربي للعقل، فالعقل في الغرب المولع بالتفكير المنطقي والاستدلالي، منفتح على لا معقوله، أو منفتح على روحانيته، ولم ينفي عنه ذلك صفة العقل

الفلسفي، فلا وجود لعقل خالص منغلق على ذاته في أي حضارة، ولا يمكن أن نحكم على أي حضارة من منطلق العقل البرهاني وحده، فابن الحضارة الصينية أو الهندية القديمة مثلا" لا يمكن أن يسلم للقائس بأن "التفكير في العقل" أسمى درجة في العقلانية من "التفكير بالعقل" فما هو أسمى من التكفير، سواء بالعقل أو في العقل، عند الصيني هو (السلوك) وما هو أسمى من التفكير عند الهندي هو "التحكم بالتفكير" بواسطة تقنية جسمية روحية مثل اليوغا من شأنها أن تحرر الذهن من إكراهات الجسد عن طريق ضبط حركته وإيقاعه وتنفسه"(جورج طرابيشي، 1996، ص71).

لكل عقل معقولا ما، يظهر أنه لا معقول في منظور عقل آخر، وهو ما يعطي للعقل فاعليته وحركيته ويبعده عن الانغلاق على ذاته، ويمنعه من التحول إلى جوهر ثابت وجامد، ويقول طرابيشي "رغم الاحتجاج الصارخ من قبل أحدث مؤرخي العقل العربي، عنينا محمد عابد الجابري، على اللاسامية الرينانية المعممة، فإنه يعود إلى تبنيها "إبستمولوجيا" ويعيد إخراجها في صورة عنصرية جغرافية مخصصة، فهو لا ينكر أن نهر الفلسفة اليونانية قد قام بتحويلة شرق أوسطية، ولكنه لا يقر بهذه الحقيقة الواقعة التاريخية إلا ليظيف أن العقل اليوناني "البرهاني" قد تعرفن وتهرمس وتغونص، بقدر ما تمشرق، ولم يقيض له أن يستعيد عقلانيته إلا بقدر ما عاد بمتغرب بعد طول تخبط في مستنقع اللاعقلانية المشرقية"(جورج طرابيشي، 1998، ص17).

تسمية الجابري لمشروعه " نقد العقل العربي" ووصفه للعقل الذي يهتم بتحليله ودراسته بأنه" عقل عربي" جلب له نقدا قويا من كل الدارسين الذين اهتموا بمشروعه، ووجه الغرابة هنا هو ربطه للعقل بثقافة معينة ولغة محددة هي العربية، فالعقل إنساني بالتعريف هذا على المستوى الأول، على مستوى آخر تم الإنتقال من عقل عربي مقابل عقل غربي أوروبي إلى عقل عربي منقسم على ذاته وهو عقل مغربي وعقل مشرقي الأول برهاني منطقي والثاني غنوصي غيبي، وهذا فيه كثيرا من التعميم الذي يحتاج إلى تدقيق وتفصيل في تاريخ العقل داخل الثقافة العربية الإسلامية، وهذا ما لاحظه طرابيشي في نقده لمشروع الجابري.

الإبستمولوجيا والإيديولوجيا:

تتحول الإبستمولوجيا إلى إيديولوجيا عنصرية جغرافية، ينقسم على ضوءها العقل العربي إلى مغرب عقلاني ومشرق لا عقلاني، روحاني، غيبي، غنوصي، فالعقل في المغرب برهاني وفي المشرق عرفاني صوفي، في المغرب أخذت الفلسفة ثوبا عقليا وازدهرت النزعة العقلانية، أما في المشرق فأخذت الفلسفة ثوبا دينيا عقائديا، ثنائية المغرب والمشرق هذه من أهم القضايا التي أثارها الجابري، وتم نقده بسببها إلى درجة إتهامه بالعنصرية والسقوط في شباك النزعات العرقية التي روجت لها الدراسات الإستشرافية المغرضة خصوصا، والحضارة الغربية وفلسفتها عموما وحامل لواءها الفرنسي إرنست رينان E.Renan الذي أسس للتفاوت بين النزعة الآرية و النزعة السامية، وبذلك تنتقل مع الجابري من الانقسام السياسي إلى الانقسام على أسس عقلية وفلسفية.

يذهب الجابري بعيدا في هذا الاتجاه الذي يقوم على التمايز التام بين المشرق والمغرب، فيجعل من الأول غروبا للفلسفة، ومن الثاني شروقا لها، بل في المشرق أخذت الفلسفة الضربة القاضية على يد أبو حامد الغزالي، يقول طرابيشي" ونظرية "الضربة القاضية" الغزالية، التي يتبناها الجابري نقلا عن "دي بور" في تاريخ الفلسفة في الإسلام، هي إما نظرية ساذجة أو سيئة النية.

ساذجة لأنها تتصور أنه في مستطاع فقيه متكلم كان فضلا عن ذلك موظفا إيديولوجيا لدى الدولة السلجوفية أن ينهي بمفرده الفلسفة، وسيئة النية لأن الغرض المسكوت عنه الذي تقوم على أساسه هو أن الفلسفة العربية الإسلامية هشة بتكوينها وسريعة العطب بطبيعتها "المستوردة"(جورج طرابيشي، 1998، ص80).

التفكير بالمعجزة، هو الذي يجعل الجابري يربط بين تراجع الفكر الفلسفي وشخصية الغزالي من جهة، وربط الفلسفة بالمعجزة اليونانية وجعلها غريبة عن الثقافة العربية من جهة أخرى، ما يفكر فيه طرابيشي بخصوص الجابري، إنه انقياد وانصياع للمركزية الغربية، لكن الحقيقة أن مصير الفلسفة حسب طرابيشي هو نفسه في المسيحية والإسلام" فتاريخ الفلسفة في مسيحية القرون الأولى هو تاريخ قطيعة وغياب، ذلك أن العقيدة القويمة والفلسفة ضدان لا يجتمعان، وكما أن العقيدة القويمة لا تقبل فلسفة من خارجها، فإنها لا تفرز فلسفة من داخلها، وفي ظل هيمنتها يستحيل السؤال الفلسفي فالجواب النازع أكثر فأكثر إلى أن يتوحد ويتقنن هو النصاب الإبستيمي للعقيدة القويمة"(جورج طرابيشي، 1998، ص66).

لا يتعلق الأمر بدين دون دين، فتقعيد وتقنين أي عقيدة دينية يؤدي إلى منع أي تفكير يتنافى مع قوانينها، وتكون كل الأسئلة والأجوبة مؤطرة ومقننة حسب القواعد التي تم ترسيمها وتثبيتها باعتبارها حارسة للعقيدة الصحيحة وهذا الأمر يتجاوز إرادة أي شخص، وليست له صلة بطبيعة أي عقيدة في حد ذاتها.

وبالتالي فالقول بالضربة القاضية للفلسفة في تاريخ الإسلام على يد الغزالي ينتج عنه حتما أصالة الفلسفة في المسيحية، وغربتها في الإسلام وهو أمر يتحفظ إزاءه جورج طرابيشي" فما قتل الفلسفة في مسيحية القرون الأولى قتلها للمرة الثالثة في إسلام القرون المتأخرة: تسنين العقيدة القومية.

وبدون أن نزعم حسب طرابيشي أن ذلك هو السبب الوحيد للوفاة، فإننا لن نستطيع بدونه أن نجد تعليلا لا للوفاة قبل الضربة القاضية، ولا للضربة القاضية بعد الوفاة.

إن تسنين العقيدة القومية في الإسلام تعود بداياته الأولى إلى أحمد ابن حنبل (241هـ-290هـ) أو بالأحرى إلى الحركة التي قادها أهل الحديث وشريحة متعاظمة من الفقهاء تحت إسمه، والتي بلغت ذروتها مع إبن تيمية (661هـ-728هـ) الذي لقب بحق مجدد الحنبلية في القرن الثامن"(جورج طرابيشي، 1998، ص82).

لا يتعلق الأمر بمعجزة الضربة القاضية بل يتعداه إلى عمل متواصل من أجل تقنين العقيدة، وهو ما أدى إلى الحد من مجال استعمال العقل وتراجع الفكر الفلسفي، وفي هذا السياق يتحرى طرابيشي التدقيق عندما يقول "إننا نستطيع أن نتدارك هذا التعميم وأن نحدث تمييزا في المصطلحات، فنتحدث لا عن "أهل السنة القدماء" ولا عن "أهل السنة والجماعة" بل حصرا عن

"أهل الحديث والجماعة" بوصفهم الفرقة الوحيدة من الفرق الإسلامية التي مضت بتقنين العقيدة القويمة، إلى أخر الشوط، فقيدت النص بالنص، وألغت حتى الهامش الضيق المتروك للعقل في الاجتهاد على النص"(جورج طرابيشي، 1998، ص110).

لا يرى طرابيشي أن الإسلام كعقيدة يتنافى مع التفكير الفلسفي، بل يرى أن الأمر يتعلق بفرق ومذاهب إسلامية بعينها ضيقت من مجال العقل، ومنعت أي إجتهاد عقلي في النص، وهذا لا يجب تعميمه على جميع المسلمين وبالتالي لا ينبغي ربطه بالعقيدة الإسلامية في ذاتها، وكأن في هذا طعن في التصور الرشدي الذي يستند إليه الجابري والذي يفصل بين الفلسفة والدين و يرى أن موضوعات الفلسفة ليست هي موضوعات الدين، وبسبب هذا الخلط يجرم الجابري ابن سينا، إذ يقول طرابيشي معبرا عن ذلك، "الجريمة المشرقية لابن سينا قابلة للتلخيص بعبارة واحدة: تدمير مدينة العقل في الإسلام ومن هنا فإن العقوبة التي كان المحتم أن يطلبها له ناقد العقل العربي، المتماهي مع دوره كمدعي عام، هي الطرد الأبدي من مدينة العقل التي يريد العرب المحدثون إعادة تشييدها"(جورج طرابيشي، 2002، ص14).

يضع الجابري المسؤولية كاملة على ابن سينا، فيحمله نتائج تغييب العقل الذي كان الممهد الحقيقي له والذي انتهى إلى نتائجه الأخيرة مع الغزالي، وهكذا رأى طرابيشي أنه بتقسيمه العقل إلى أنظمة معرفة بيانية وعرفانية و برهانية، كان قد أخطأ الهدف وهو ما جعله "يخوض معركته الفاصلة ضد أبرز ممثلي العقل المكون في الحضارة العربية الإسلامية من أمثال جابر ابن حيان والرازي في العلم، والفارابي وابن سينا في الفلسفة، وأهل القياس في اللغة والفقه، وأهل الإستنباط في التصوف، منتصرا في الوقت نفسه لبعض من أبرز ممثلي العقل المكون ممثلا بنصية ابن حزم وتزمتية ابن تومرت وسلفية ابن تيمية"(جورج طرابيشي، 2002، ص69).

وكأن طرابيشي يتعجب من النهاية التي انتهى إليها الجابري، عندما ينتصر في آخر المطاف لنزعة فقهية نصية على حساب نزعة علمية فلسفية، هذا في الوقت الذي يدافع فيه عن العقل ويؤسس من أجله مشروعا كاملا، وعليه ففي سياق المأزق التاريخي المستجد "فإن تصدي الجابري لنقد العقل العربي لم يتمخض رغم ضخامة العنوان إلا عن مشروع (مجهض) لأن الجابري تبنى لحسابه خطيئة عصر النهضة، بإعلانه عن عدم أزوف ساعة، الثورة اللاهوتية، وبالتالي عن ضرورة إرجائها إلى أجل غير مسمى"(جورج طرابيشي، 2002، ص69).

في الأخير، نستطيع القول أن النقد الذي خصصه طرابيشي مشروع نقد العقل العربي يعتبر إضافة مهمة لهذا المشروع ذاته، كما أننا نرى بأن طرابيشي لم يكن مجرد ناقد لمشاريع الأخرين، بل إن النقد عند طرابيشي عميق وشامل لأنه صادر عن رؤية متكاملة لقضايا العقل العربي المعاصر، فهو ملم بتفاصيل المنظومة التراثية بشكل ملفت للإنتباه، كما أنه مطلع على تيارات الفكر الحديث، مما أهله لبناء رؤية عميقة ونقد دقيق يستحق الدراسة والبحث والتثمين وهذه الدراسة هي لبنة بسيطة في هذا الطريق، لذلك نخلص إلى بعض النتائج من خلال هذه الدراسة:

-نقد طرابيشي لمشروع نقد العربي كشف لنا عن العديد من المشكلات المنهجية التي يعاني منها هذا المشروع كعدم الكشف عن الكثير من مصادره ومرجعياته.

-كشف طرابيشي لعدم موضوعية الأحكام التي وجهها الجابري للفلاسفة المسلمين وخاصة ابن سينا الذي اعتبره الجابري أصلا للغنوص واللامعقول.

-يرى طرابيشي أن الجابري أقام مشروعه على ثنائية المعقول واللامعقول وجعل الفصل بينهما كاملا لا علاقة بينهما وهذا موقف غير موضوعي.

-يرى طرابيشي أن عصر التدوين الذي أقام عليه الجابري مشروعه الفكري هو عصر "مفبرك" وليس عصر التدوين كما حدث فيه تدوين العلوم والمعارف بالفعل.

-بذلك يكون طرابيشي وجهنا إلى نقاط أساسية وقضايا دقيقة للدخول في حوار جدي ومثمر مع مشروع نقد العقل العربي.

-مع ذلك فإن بعض الإنتقادات التي وجهها طرابيشي لمشروع نقد العربي تحتاج هي ذاتها إلى إعادة نظر كأخذه على الجابري أنه لم ينتهي بمشروعه إلى إحداث ثورة لاهوتية في الفكر العربي، متناسيا السياق التاريخي الذي أنشأ فيه هذا المشروع النقدي الذي حرك كثيرا من قضايا الثقافة العربية وجعلها على محك النقد في المعرفة والسياسة والأخلاق.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة يمكننا القول أن ما قام به جورج طرابيشي لايقل أهمية ما قدمه الجابري للفكر العربي المعاصر، لذلك من الضروري الإنتباه إلى أهمية مشروع " نقد نقد العقل العربي" وقراءة المشاريع الفكرية العربية في إطار حواري جدلي يمنح لنا الفرصة لتوحيد الجهود المبذولة في إطار كلي مشترك بدل تلك القراءات الذرية التجزيئية التي لا تقدم لنا رؤية موضوعية متكاملة لإنجازات الفكر العربي المعاصر والتي تعطينا أحكام قاسية وغير موضوعية على هذا الفكر أحيانا، تصل إلى تسفيه الجهود المبذولة وتزرع المزيد من الشكوك حول مسيرة النهضة والتحديث وبالتالي زرع المزيد من الإحباط، لذلك نخرج في الأخير بهذه التوصيات التي نراها مهمة في هذا السياق:

-إنفتاح المشاريع الفكرية العربية المعاصرة على بعضها البعض ضرورة ملحة للمساهمة في تحريك الواقع العربي.

-النقد المنهجي الموضوعي وحده كفيل بترسيخ الحداثة الفكرية داخل المجتمعات العربية.

-الإعتراف بجهود المفكرين العرب المعاصرين خطوة أساسية على طريق تجديد مضامين الثقافة العربية التي تجاوزها الزمن وهذا ما قدمه طرابيشي للجابري رغم راديكالية نقده له أحيانا.

-التحول من نقد التراث القديم إلى نقد تراث النهضة والحداثة كنقد طرابيشي للجابري أمر مهم لتطور الفكر العربي وانتقاله من مرحلة إلى مرحلة أعلى منها.

قائمة المراجع:

1. جورج طرابيشي(1996)، نقد نقد العقل العربي، وحدة العقل العربي الإسلامي، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان.
2. جورج طرابيشي(1998)، نقد نقد العقل العربي، إشكاليات العقل العربي الإسلامي، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان.
3. جورج طرابيشي(1998)، مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان.
4. جورج طرابيشي(2002)، نقد نقد العقل العربي، إشكاليات العقل العربي الإسلامي، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان.

المدرسة ودورها في بناء "دونية الأسود" و "تفوق الأبيض" لدى التلميذ المغربي

The Role of School in the Construction of "Black Inferiority" and "White Superiority" in Moroccan Students.

أ. ياسين يسني، جامعة محمد الخامس-المغرب

ملخص: نعالج في هذا المقال التمييز اللوني اللغوي وهو شكل خفي من التمييز تجاه السود والذي هو موضوع جهل وتجاهل، سنحاول أن نبين كيف أن وضع السود بشكل عام والجسد الأسود بشكل خاص، متأثر بشكل كبير بالرمزية التي ألصقت تاريخيا بالسواد كلون وكيف تنتقل دلالات اللون الأسود اللغوية إلى الجسد و تحوله إلى جسد أسود ولا مرئي، جسد الجن والعفاريت والظلمات والخوف، سنكشف في هذا المقال عن دور المدرسة في إعادة بناء دونية الأسود الرمزية لونا وجسدا وترسيخها في ذهنيات الأطفال منذ أولى مراحل التعليم الابتدائي، اهتمامنا بتحليل محتوى الصور التي تضمها الكتب المدرسية نابع من أهميتها ليس فقط في ما يخص التعلم بل أيضا لكونها تساهم بشكل كبير في بناء تمثلات الطفل للغير و لذاته.

الكلمات المفتاحية: السود، الكتب المدرسية، المغرب.

Abstract:This article addresses language-based discrimination towards blacks as an underinvestigated and latent form of prejudice. We will attempt to demonstrate that the status of blacks in general, and black body, in particular is the site of the symbolism that has been historically associated with black as color and as a negative linguistic construction that has been grafted onto the black body, as an invisible entity where fear of the devil, djin and evil spirits are articulated. We will unpack the role of the school in the reproduction and reinforcement of the inferiority of black, both as a color and as a body in the minds of children since the early stages of primary school education. Our sociological investigation is informed by visual sociology to engage in content analysis of textbooks images, an attempt that stems from our belief that such vehiculated images partakes to the formation of child's representation of the self and the other.

Keywords: black, textbooks, Morocco.

مقدمة:

السود في المغرب لا يعانون من عنصرية لونية مؤسساتية بل هم ضحايا "عنصرية عفوية" «Racisme ordinaire» تعبر عنها كلمات ونظرات ولقطات سينمائية ولا مرئية إعلامية وسياسية وثقافية وفظاعة الصور النمطية التي تختزلهم في مكانة اجتماعية دونية.

إن المقابلات التي أجريناها، في إطار بحث الدكتوراه حول موضوع السود في المغرب، كشفت لنا عن الكثير من المواقف المحرجة التي يعيشها سود البشرة في المجتمع المغربي، بسبب هذا النوع من العنصرية، وخاصة في تفاعلهم مع الأطفال الصغار الذين يبكون ويهربون خوفا وفزعا منهم.

فكيف ترسخت صورة الأسود المخيف القديمة في أذهان هؤلاء الأطفال في هذه السن المبكرة؟ كيف استطاعت هذه التمثلات والسلوكات "العنصرية" التي تعبر عن "رهاب السواد""Négrophobie " التسرب إلى عقولهم الصغيرة؟ ما دور المدرسة في ترسيخ هذه الصورة النمطية التي تجعل من السواد مرادفا للشر؟ ماذا عن مرئية سود البشرة في الكتب المدرسية كما وكيفا وخاصة تلك التي يتفاعل معها الأطفال في المرحلة الابتدائية؟

إن الحديث عن الإنسان الأسود يتجاوز وضعه، فاللون الأسود كما علمتنا مؤسساتنا الاجتماعية وخاصة المدرسة، لون الجن والعفاريت والخوف والظلمات والقبر والعدم، هذا الشكل من التمييز يخترق اللغة ونحن نعيد إنتاجها من خلال الحرص على سلامة كلماتنا ومعانيها ونعاقب كل من أساء استعمالها(ابراهيم محمود، 2015) الصور النمطية الحاضرة في اللغة، هي مأوى الكثير من الإيديولوجيات، ويتم استثمارها في خطاب المعلمين في اللحظة التي سيتكلمون فيها أو سيكتبون أو سيشرحون الدرس لتلامذتهم، عملية إعادة إنتاج الصورة النمطية التي تربط السواد بالشر تتم خارج إرادة هؤلاء الفاعلين التربويين.

ولأن الكتب المدرسية تلعب دورا كبيرا في بناء الهوية الاجتماعية، فقد استطاع الكتاب المدرسي أن يفرض نفسه على فهم الأطفال والأساتذة الذي قلما يسائلونه، فإذا كانت تنقل هذه الكتب معارفا فهي تنقل أيضا مجموعة من الصور النمطية سواء كانت عرقية أو اجتماعية أو جنسية (Fanny Lignon, Vincent Porhel,2012, p2) من هنا تنبع ضرورة كشفها والمساهمة بذلك في تحقيق تساوي الحظوظ ونشر قيم التسامح وقبول الآخر المختلف جسدا ودينا وجنسا.

من الملاحظ جيدا أن مرئية المرأة في الكتب المدرسية قد تطورت كما تم تجاوز مجموعة من الصور النمطية، رغم مقاومتها، إلا أن قضية مرئية السود لم يكتب حولها شيء ولم تتحرك أية جمعية للضغط من أجل مرئية نوعية وكمية جيدة. هناك الكثير من المقالات والمؤلفات التي حاولت مقاربة الصور النمطية المرتبطة بقضايا النوع من خلال التركيز على الصورة التي تعرض بها المرأة في الكتب المدرسية والأدوار الاجتماعية التي توضع فيها مقارنة مع الرجال، وقد اتفق معظمها على دورها في إعادة إنتاج الهيمنة الذكورية، من الملاحظ جيدا أن مرئية المرأة في الكتب المدرسية قد تطورت بفضل هذه الدراسات كما تم تجاوز مجموعة من الصور النمطية رغم مقاومتها، لكن، قضية مرئية السود في الكتاب المدرسي لم يكتب حولها شيء في العالم

العربي بشكل عام والمغرب بشكل خاص، نادرة هي الدراسات، إن لم نقل منعدمة، التي خصصت لصورة السود في الكتب المدرسية المغربية وعن دورها في إعادة إنتاج الهيمنة اللونية البيضاء، كما نتحدث في هذا المقال عن شكل لغوي ولساني من التمييز اتجاه السود والذي هو موضوع جهل وتجاهل، سوف نحاول أن نبين كيف أن وضع السود بشكل عام والجسد الأسود بشكل خاص، متأثر بشكل كبير بالرمزية التي ألصقت تاريخيا بالسواد كلون وكيف تنتقل دلالات اللون الأسود اللغوية إلى الجسد وتحوله إلى جسد أسود، سنكشف في هذا المقال عن دور المدرسة في إعادة بناء دونية الأسود الرمزية لونا وجسدا.

منهجية العمل:

تحضر الصورة بقوة في هذا العمل كمعطى للتحليل والوصف والتأويل ودعم تحليلنا السوسيولوجي، منهجيا المعطيات التي يمكن جمعها من خلال الاستمارات والمقابلات لا تختلف كثيرا عن الطريقة التي يمكن أن نجمع من خلالها المعطيات من خلال الاعتماد على الصورة (Fabio La Rocca, 2007, P35) يجب التفكير في الصورة كنص أي كنسيج قادر على تكوين مجموعة من الدلالات التي يمكن وصف طرق اشتغالها واستخلاص آثاره، إنها شبيهة بنموذج تعبيري وتواصلي، نموذج يظهر كما يخفي، أداة تضم ثلاث مبادئ أساسية للتحليل: الوصف ثم البحث في السياقات و أخيرا التأويل(Fabio La Rocca ,2007,P34).

نتحدث في "السوسيولوجيا البصرية" "Sociologie visuelle"، عن "السوسيولوجيا الممارسة على الصورة" "Sociologie sur l’image "أي سوسيولوجيا تقوم على أساس تأويل وتحديد المعاني الرمزية للصور المنتجة في إطار أنشطة اجتماعية، نتحدث هنا عن اشتغال على صور موجودة مسبقا كما هو الحال في الكتب المدرسية التي حللنا محتواها البصري.

لقد أدرك علماء التربية أهمية الصورة في تعليم وتربية الطفولة، لذا أعطتها أهمية كبيرة، ونلمس ذلك في طغيان الصورة والرسومات في الكتب المدرسية، وهي الأقرب إلى نفسية الطفل وأكثر إقناعا في إيصال الأفكار ونشر قيم الحب والتسامح أو الكراهية والإقصاء، نظرا لأهمية الصورة في المرحلة الابتدائية حاولنا التركيز عليها بشكل أساسي وعلى النصوص المرافقة لها بشكل هامشي فالصورة كما لاحظنا في هذه الكتب ونظرا لكثرتها فقد أخذت مكانة الكلمة(حلقوم نورة ، الشارف عبد القادر، 2016).

اهتمامنا بالصور التي تضمها الكتب المدرسية نابع من أهميتها ليس فقط في ما يخص التعلم بل أيضا فيما يخص نماذج تمثل الذات المقدمة للتلاميذ وآبائهم، لذا فمقاربة مرئية السود في الكتب المدرسية سمح لنا بتوضيح كيف أن التلاميذ هم كائنات اجتماعية قادرة على بناء تمثلات معينة حول الجسد الأسود من خلال المدرسة وتجسيدها في سلوكات تمييزية قائمة على أساس لون البشرة.

اعتمدنا، إلى جانب تحليل محتوى الصورة، على المعطيات التي جمعناها من خلال المقابلات النصف موجهة التي أجريناها في إطار بحث الدكتوراه الذي خصصناه لتمثلات سود البشرة في المتخيل الاجتماعي المغربي.

نقصد في هذا العمل بالأسود كل الأجساد التي تبدو لنا سوداء، تحديد السود كان تحديدا ذاتيا كما يشمل تحديد أسود كل ما ورد في هذه الكتب مشار إليه بهذه الصفة صراحة سواء تعلق الأمر بشخصيات حقيقية أو كارتونية.

نهدف من خلال هذا المقال تحقيق دراسة كمية وكيفية لصورة السود أي تحديد الحضور الكمي للسود في هذه الكتب المدرسية المغربية وخاصة كتب القراءة في المرحلة الابتدائية بسنواتها الست وأيضا الكيفية التي يعرضون بها في الدرس المغربي خاصة في المرحلة الابتدائية، وقد غطت هذه الدراسة السنوات الدراسية من الأولى ابتدائي حتى مستوى السادس ابتدائي. نقترح في هذا المقال إعادة قراءة عرقية و لونية للكتب المدرسية المغربية.

على المستوى الكمي: الكتب المدرسية ولا مرئية سود البشرة:

الصور النمطية التي تروجها الكتب المدرسية لها تأثير كبيرة على هوية الأطفال وتمثلهم لذواتهم والآخرين. المضامين التربوية تمر عبر المقاربات التي يعتمدها المدرس والصور التي تؤثث الكتب المدرسية التي تضم الكثير من التمثلات الاجتماعية للواقع. من خلال نقل مجموعة من المعارف تستطيع الكتب المدرسية نقل مجموعة من الصور النمطية والتمثلات الاجتماعية، في فرنسا قام "المجلس الأعلى لمناهضة التمييز" بدراسة حول الكتب المدرسية وقد قاد هذه الدراسة رجال قانون وعلماء نفس وعلماء اجتماع، لقد كانت مهمتهم مزدوجة أولا تقييم طريقة معالجة التمييز في الكتب المدرسية الخاصة بالتربية المدنية التي غايتها توعية التلاميذ فيما يخص القضايا الاجتماعية والمواطنة التي تعتبر مكافحة التمييز أحد مكوناتها الأساسية، ثانيا، محاولة كشف الصور النمطية المنسوجة حول مختلف المجموعات الاجتماعية التي يمكن أن تحملها هذه الكتب.

للكشف عن مرئية السود في الكتاب المدرسي وقياس تمثيلية السود في الصور الفوتوغرافية أو الكارتونية التي تحضر بقوة في مثل هذه الكتب الموجهة للأطفال وخاصة تلك المتعلقة بأنشطة القراءة، اخترنا "كتب القراءة" لأنها تكتسب أهمية خاصة سواء من حيث الساعات المخصص لها وأيضا احتواؤها على الكثير من الصور، نظرا لتعدد الكتب بسب تعدد دور النشر المغربية، طلبنا من معلمة في مستوى الابتدائي مدنا بالكتب المدرسية الخاصة بمستويات الإبتدائي الست المتوفرة لديها، هذه العينة التي تضم ست كتب مدرسية خاصة بالقراءة هي الكتب المستخدمة حاليا في المدرسة المغربية العمومية، حاولنا عد الشخصيات البيضاء والسوداء الكارتونية والحقيقية التي تضمها صور هذه الكتب وقد حصلنا على الجدول التالي:

الكتاب المدرسي- القراءة - اللغة العربية	عدد الشخصيات الفوتوغرافية و الكارتونية "البيضاء".	عدد الشخصيات الفوتوغرافية و الكارتونية "السوداء".
الكتاب المدرسي: المفيد في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الأولى من التعليم الابتدائي،دار الثقافة للنشر و التوزيع،2011 ، عدد الصفحات146	542	0
الكتاب المدرسي: مرشدي في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الثانية من التعليم الابتدائي،دار الثقافة للنشر و التوزيع،2003، عدد الصفحات 175	469	0
الكتاب المدرسي: المفيد في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي،دار الثقافة للنشر و التوزيع،2012، عدد الصفحات 223	429	6
الكتاب المدرسي: المفيد في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي،دار الثقافة للنشر و التوزيع،2012، عدد الصفحات 223	32	2
الكتاب المدرسي:مرشدي في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الخامسة من التعليم الابتدائي،افريقيا الشرق،2004، عدد الصفحات 239	152	7
الكتاب المدرسي: في رحاب اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة السادسة من التعليم الابتدائي،الدار العالمية للكتاب،2009، عدد الصفحات 240	64	5
المجـــــــــمـــــــوع العام 1743 شخصية	1723	20
نسبة الشخصيات البيضاء و السوداء المئوية	% 95,85	% 1.18

جدول يعكس الحضور الكمي للشخصيات "السوداء" و "البيضا"ء في صور الكتب المدرسية – كتب القراءة المستوى الابتدائي.

من خلال هذا الجدول يمكننا أن نستنتج بشكل سريع نسبة تمثيل الشخصيات السوداء البشرية والكارتونية الهزيل في الكتب المدرسية الخاصة بالمرحلة الابتدائية، حضور الشخصيات "البيض" في كتب المرحلة الابتدائية مثل 95,85 % مقابل 1.18 % بالنسبة للشخصيات السود، نسجل هنا غيابا مهولا ومثيرا للدهشة في السنتين الدراسيتين الأولى والثانية حيث جردنا "صفر صورة" لطفل أو أب أو أم أو أسرة أو معلم أسود مقابل 542 صورة "بيضاء" في كتاب الأولى ابتدائي و469 في الثانية ابتدائي.

ليس الفضاء السياسي والإعلامي الوحيدان اللذان يغيبان سود البشرة المغاربة، فحتى الفضاء الثقافي يغيبهم، وخاصة الكتب المدرسية التي تلعب دورا كبيرا في عملية التنشئة الاجتماعية وترسيخ أو تصحيح الصور النمطية المنسوجة حول بعض الأقليات، النقاشات الحالية في مجموعة من الدول الأوروبية حول تمثيلية الأقليات في الكتب المدرسية تعكس مدى أهمية هذا الموضوع وراهنيته، فهناك حاجة حقيقية بالنسبة للأقليات للإحساس بحضورهم ووجودهم في مثل هذه الكتب الموجهة للأطفال.

السود ممثلون بشكل جد ضعيف في الكتب المدرسية المغربية، سواء كأطفال أو تلاميذ أو مدرسين أو أسرة أو مهن ذات حظوة اجتماعية فكل الأطباء والعلماء والمعلمين بيض بشرة وبذلة. غياب الشخصيات السوداء تساهم في بناء تمثل سلبي للذات لدى السود، كما يساهم هذا في

نشر تمثل أن السود ليسوا فاعلين ثقافيين وشخصيات علمية، وترسخ في المقابل تصورا سلبيا للسود حتى لدى السود أنفسهم، الضعف المفرط المتعلق بالاعتراف والتعريف بالأدوار الواقعية للسود تجعل من مسألة قبول الذات والجسد الأسود مسألة صعبة، أما الحضور الخافت للسود يتم حصره في بعض الصور التي تعبر عن قيم التسامح حيث يحضر السود في دور "الضحية" أو في بعض المهن ذات الحظوة والتعويض الضعيفين كالخرازة والرقص الفولكلوري والرياضة وبعض المشاكل التي تعاني منها القارة الإفريقية كالحروب والجوع (أنظر مثلا الصورة1[1] والصورة 2[2]).





من خلال ما سبق نلاحظ الغياب الشبه التام للسود في الكتب المدرسية ويمكن إرجاع ذلك إلى دونية السود الاجتماعية في المجتمع المغربي التي تتحول إلى لا مرئية على مستوى الكتب المدرسي، فما دام المجتمع المغربي يتمثل الجسد الأسود كجسد دوني(جسد العبد في الماضي والمهاجر جنوب الصحراء في الحاضر) مقارنة مع الجسد الأبيض(جسد الأوروبي المهيمن) فهو لن يكون مقنعا، ضمان نجاح الصورة في الإقناع ونقل المعلومة متوقف على ربطها بأجساد جميلة ومثيرة وهي معايير الجمال التي يتوفر عليها الجسد الأبيض، لذا فحضور السود الجد نادر يرتبط بأدوار دونية ومتوافقة مع تمثلات المخيال الاجتماعي للسود وهي أدوار ذات رمزية ماضية مرتبطة بالعبودية، في المغرب لا يمكن أن تكون صورة الأسود مقنعة إلا عندما يتوافق حضورها مع الصور النمطية الدونية السائدة حول البشرة السوداء.

خلاصة القول، مقاربتنا الكمية لهذه الكتب المدرسية سمحت لنا من تكوين فكرة عن الوضع "الإيكونوغرافي" الكمي الذي يعيشه السود في المغرب وهو ليس سوى انعكاس وفي لواقعهم الاجتماعي، تغييب سود البشرة عن الكتب المدرسية فيه تغييب لمكون مغربي أساسي، هذا الواقع "الأسود" الكمي الهزيل يرافقه واقع نوعي "أسود" أكثر هزالة منه.

---

[1] الصورة 1: الكتاب المدرسي: المفيد في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2012، ص57

[2] الصورة 2: الكتاب المدرسي: المفيد في اللغة العربية كتاب التلميذ، السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2012، ص 120

على المستوى الكيفي: "التحيز اللوني الأبيض" وجذوره:

إننا اليوم وأكثر من أي وقت مضى، نعيش في عالم تغزوه الألوان، ألوان توظف إما للتهميش أو الإقصاء أو القبول، كما أن للألوان تاريخ، فالأبيض عرف تاريخيا كلون البراءة والصفاء والنور الإلهي، رمزيته هذه لم تتغير عبر التاريخ ولا زالت ثابتة إلى يومنا هذا، كما أن الأبيض هو لون القوة والسلطة والمركزية الكولونيالية التي تهيين على العالم بما في ذلك ما ننعته بالعالم الأسود أو القارة السوداء أي إفريقيا (Pascal Blanchard,Gilles Boetsch et Dominique Chevé,2008,P10)، تتميز العائلة البشرية بأنواع لا متناهية من الألوان ولكنها غالبا، ما تختزل في تقابل أبيض أسود، تقابل سيشرعن "التراتبية العرقية" التي باركتها المؤسسة الدينية والعسكرية والمعرفية (Régine detambel,2008, p21).

نتحدث عن الكثير من أنواع التمييز إلا أن التمييز اللساني" Discrimination linguistique " هو موضوع تجاهل مزدوج المعنى، فهو من جهة، تجاهل "المجهول" الذي لا نعرف أنه موجود ولا نراه، ومن جهة أخرى فهو تجاهل "اللامبالاة" الذي لا نعيره اهتماما عندما نراه. التمييز اللساني يمكن اعتباره تمييزا لأنه كذلك على المستوى الأخلاقي بالرغم من أنه ليس كذلك على المستوى القانوني(Philippe BLANCHET, 2016, P26) قليلون هم الباحثون والمناضلون الذي يربطون بين ما هو لساني والتمييز، لأن هذا الشكل من التمييز منتشر في حياة الأفراد والمجتمعات اليومية ويتكرر باستمرار إلى درجة أنه أضحى يعبر عن "العادي".

لقد حذر الكثير من علماء الاجتماع من الأدوار الايديولوجية التي تلعبها المدرسة خاصة في ما يتعلق بإعادة إنتاج نفس التراتبية الاجتماعية سواء تعلق الأمر بالتراتبية الطبقية أو الجنسية، ونخص بالذكر هنا أعمال السوسيولوجي الفرنسي "بيير بورديو" حول النظام التعليمي الفرنسي، ولكن ليست هناك دراسات ساءلت المدرسة ودورها في إعادة إنتاج نفس التراتبية اللونية التي يعتلي قمتها الأبيض حساب الألوان الأخرى وخاصة الأسود.

الكثير من النسائيات يحذرن اليوم من الدور التي تلعبه المدرسة من خلال اللغة في بناء وإعادة بناء الهيمنة الذكورية والصور النمطية الخاصة بالنوع الاجتماعي، وقد وجهن انتقادهن لغلبة المذكر على المؤنث في الجمع وعن غياب تسميات مهنية خاصة بالمؤنث. تدعو الحركة النسائية إلى تشجيع الكتابة الشاملة «Ecriture inclusive»، التي أثارت جدالا واسعا في فرنسا بعدما تم دمجها في أحد مقررات المستوى الابتدائي ما أثار غضب الأكاديمية الفرنسية التي تميزت منذ عهد "كلود ليفي ستراوس"[3] بذكوريتها، فإذا كان تأنيث اللغة يعمل على قلب غلبة كمية للمذكر على المؤنث فغلبة اللون الأبيض في اللغة هي غلبة رمزية منسية. إلى حد اليوم لم نشهد دراسة أو حركة اجتماعية تسائل التفوق الرمزي للأبيض على اللون الأسود ودور المؤسسة التعليمية في صناعة هذا التفوق.

اللون كرمز له مجموعة من المعاني الاجتماعية التي تختلف عبر الأمكنة والأزمنة كما يحمل اللون قيمة تتأرجح بين السلبية والإيجابية كما أن رمزية اللون والمعاني التي تضفى عليه توظف

---

[3] "كلود ليفي ستراوس" الأنثروبولوجي الفرنسي الكبير كان من أبرز معارضي ولوج النساء إلى الأكاديمية الفرنسية.

في تصنيف وترتيب الأشياء والبشر، إنه محدد اجتماعي، يمكن من خلاله فهم المحيط الاجتماعي، في ماضيه وحاضره، كما أنه معيار مهم يقيم الناس على أساسه ويصنفون، اللون هو مصدر دائم لترتيب البشر والحكم او التهكم عليهم ، كما أنه مثير للنظرات المحتقرة، إنه إعاقة تحول دون الاستمتاع بالرابط الاجتماعي(Pascal Blanchard ,2008,P145) اللون كوصم علامة تسجن الآخر في عالم ‘‘المختلف’’ و ‘‘اللاعادي’’، كما أن اللون في نظر الشاعر السنغالي "لـ.سنغور L.Senghor" أشبه بالسجن الذي يحجب حقيقة الشخصية(بنعيسى بوحمالة،1989، ص227) لقد كان لون البشرة من أهم المعايير التي على أساسها صنف الأنتربولوجيون " الأعراق"، فهناك الأبيض والأصفر والأسود والأحمر، هذا الترتيب الهرمي تمخضت عنه تراتبية " الأعراق"، تراتبية سيهيمن عليها الأبيض.

رمزية الأسود السلبية المرتبطة بالشر نجدها حاضرة في القواميس العربية(اللغة الأولى) والفرنسية(اللغة الأجنبية الأولى) التي توظف كثيرا في الفصول الدراسية المغربية وفي العملية التعليمية والتعلمية بشكل عام، القاموس وكوسيط ثقافي مهم، يلعب دورا مهما فيما يخص حركية الصور النمطية عبر نسق إيديولوجي قديم، فبفضل القاموس تستطيع الأيديولوجية السفر عبر الزمن مختبئة في لغة خطاب متلقي معين سيستثمرها في خطابه اليومي الكتابي و الشفوي. تلعب القواميس دورا كبيرا في إعادة إنتاج وتنشئة الأفراد منذ نعومة أظافرهم على ترادف أسود شر، ومن خلال المعنى القاموسي للأسود والأبيض سيعاد إنتاج نفس الأفكار والصور التي تحملها هذه اللغة ويضمن بدوره استمرارها (Claver Bibang, 2012, P110).

تكرس المدرسة من خلال اللغة رمزية اللون الأسود السلبية واللون الأبيض الإيجابية وتغرسها في التلميذ منذ سنواته الدراسية الأولى، في اللغة الفرنسية والعربية هناك مجموعة من العبارات التي تجسد الأسود كممثل للشر، لكل ما هو مزعج و"لاقانوني" و"سلبي" كـ: "أن تكون لك أفكار سوداء"، "أن تكون في اللائحة السوداء"، "رمي نظرة سوداء"، "السوق السوداء".

تحكي لنا أحد المدرسات أن "أغلب المسرحيات التي تقام في المدرسة دائما يكون الأشرار فيها يرتدون اللون الأسود والأخيار يرتدون اللون الأبيض، إلى درجة أنه في إحدى المسرحيات تم صبغ وجوه من كانوا يلعبون دور الأشرار باللون الأسود"، كما حكت لنا قصة تلك الأم التي "عاتبت معلمة ابنها التي أجلست بجانبه تلميذا أسودا، واستنكرت فعلتها بقولها "لماذا اخترت ابني وبالضبط، كأن الجلوس بجانب تلميذ أسود بالنسبة لهذه الأم كان عقابا".

المدرسة تلقن فكرة "أسود شر" معتمدة في ذلك على مجموعة من الأنشطة التربوية كالقصة، المسرح، الرسم والشعر، التي يمثل فيها الأسود سواء كان شيئا أو إنسانا كشر وحزن وبؤس وفي المقابل نجد الأبيض كممثل للخير والفرح والصفاء، هذه الرمزية نجدها أيضا حاضرة في الرسوم المتحركة والأفلام السينمائية وبعض الطقوس الثقافية التي قد يشاهدها الطفل.

في حديثنا مع إحدى أستاذات اللغة العربية أكدت لنا "أن الكثير من الأساتذة وخاصة أساتذة اللغة العربية والفرنسية والانجليزية وحتى الفنون التشكيلية مكونون على أساس الربط بين السواد والشر في تحليلهم للقصائد الشعرية أو مقتطفات النصوص الأدبية أو الصور أو اللوحات الفنية"، كلنا يتذكر كيف أن الطلبة الأساتذة سنة 2015 في نضالهم من أجل الإدماج المباشر في الوظيفة

العمومية بعد انتهاء التكوين، استثمروا رمزية السواد في إحدى مسرحياتهم أمام البرلمان(أنظر الصورة3).



مثل السواد هنا ما سمي بـ"المرسومين الوزاريين المشئومين" أما البياض فقد مثل قضية الطلبة الأساتذة العادلة، صراع الخير والشر الذي هو صراع الأبيض والأسود سيلهم الكثير من الأساتذة وسينقلونه إلى دروسهم وأنشطتهم التربوية الموازية أي سينقلونه إلى عقول الكثير من التلاميذ السود والبيض على حد سواء.

الكتب المدرسية هي الأخرى تنقل للتلاميذ الكثير من الصور التي تربط السواد بالكثير من الرموز السلبية ولو بشكل ضمني خاصة في كتب القراءة الخاصة بالمستوى الابتدائي التي تعتمد على الكثير من الصور حتى التي تدعو إلى التعايش والصداقة بين مختلف الألوان. لو لاحظنا هذه الصورة(4)4 التي تجسد صورة الصداقة التي تجمع بين أطفال من مختلف الألوان "أبيض" و"أسود" و"أصفر" (البيت الأول: أبيض أو أسود أو أصفر .. نبني الآتي الحلو الأخضر)، أما في البيت الرابع (سلام الإنسان مهدد... والبيئة في ثوب أسود)، سيتحول "أسود" الصديق، أي إلى أسود مهدد إلى "حقيقته" التي تسكن اللاوعي الجمعي العربي كلون الفساد والتلوث الذي يهدد العالم والإنسان.

---

4 مرشدي في اللغة العربية، كتاب التلميذ و التلميذة، السنة الثالثة ابتدائي، أفريقيا الشرق ص66.


نص شعري

القراءة

كن صديقي

أبيض أو أسود أو أصفر نبني الآتي الحلو الأخضر
لنعيش حياة كالسكر
إن نحن ولدنا إخوانا كي نملأ حبا دنيانا
فلماذا تفترق الأنا؟
سلام الإنسان مهدد والبيئة في ثوب أسود
وحقوق بالعيش تبدد
فلماذا يقتل أطفال؟ لماذا تهدم آمال؟
تربى بالحب الأجيال
إرم الأسلحة الهدامة لنعيد كوكبنا بشهامة
هل ينفع دمع وندامة؟
كن صديقي، كن صديقي كن على الدرب رفيقي
كن على الدرب رفيقي!

اقرأ وأفهم: - تبين جنسيات الأطفال الموجودين في الصورة.
- عين البيت الشعري الذي يدعو إلى:
محبة الإنسان لأخيه الإنسان / حب السلام / ما ينبغي أن يتجنبه الإنسان

أحلل وأتذوق: - صنف الكلمات والعبارات الآتية في الخانة المناسبة:
الحلو الأخضر - إخوانا - حب - افتراق - سلام - أطفال - تهدم آمال - أسلحة هدامة - الصداقة

أحب	لا أحب

إدراك الصور النمطية العرقية ثم تفكيكها يحتاج تكوينا خاصا بالمدرس وهي منعدمة حتى في تكوين الأساتذة الجدد، تجذر الصور النمطية في متخيل الأستاذ تحول دون كشفه للتمييز الاجتماعي الذي قد تصنعه مثل هذه الصور والأبيات الشعرية خاصة مع غياب تكوين قادر على مدهم بالكفايات المعرفية والنقدية لتفكيك هذه المعطيات.

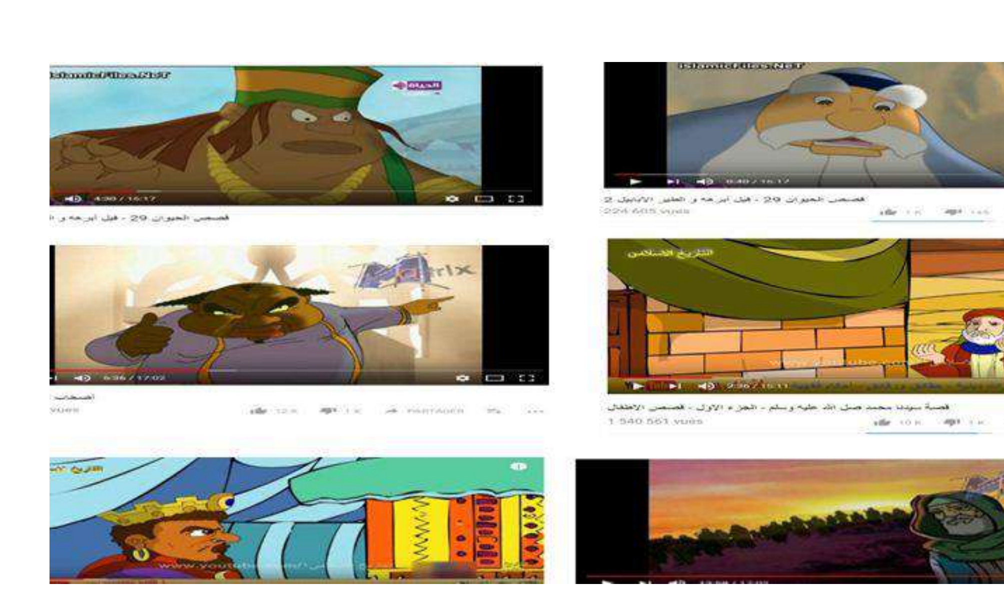
المدرسة المغربية وكما هو معروف ليست مدرسة علمانية حيث تشمل دروسها الكثير من الدروس الدينية المتمركزة حول الديانة الإسلامية، من خلال القصص الدينية والآيات القرآنية التي تحضر في دروس التربية الإسلامية تغرس في الطفل التلميذ سواء كان أبيضا أو أسودا صور سلبية عن اللون الأسود والبشرة السوداء.

لا زلت أتذكر عندما كنت تلميذا في مستوى السادسة ابتدائي كيف كان يمثل كتاب التفتح الفني الذي كان معتمدا في منتصف الثمانينات "الكفار" الذين عصوا وصايا "نوح"، لقد كانوا سودا وشعرهم أشعت بينما نوح وأتباعه المؤمنون بيض، ولا زلت أتذكر كيف كان يصف لنا المعلم الرسول بصاحب الوجه الأبيض والله بالنور الأبيض الساطع.

منذ بداية المسيحية، المسيح كان يرمز إلى نور العالم في مقابل الشيطان الذي كان يرمز إلى الظلمات و الجحيم، المسيح أو الملائكة كممثلين للخير سيتم تجسيدهما في المسيحية في أجساد بيضاء "فإذا كان المسيح أبيضا، فالخير إذن أبيض، وبهذا فالشر أسود"، كما هو معلوم، ستزدهر المسيحية في أوروبا وكان من الطبيعي أن يرسم "المسيح والملاك" على شاكلة الجسد الأوروبي، الإنسان الأبيض المهيمن المستعمر سيفرض تمثله للأشياء وأيضا للمعنى، فتجسيد

"المسيح" كرجل أبيض بصفات جسدية خارجية أوربية غايته تأكيد تفوق الإنسان الأبيض على الإنسان الأسود، وفي ذلك أيضا تملك للمسيحية من طرف الكنيسة الأوروبية واستغلالها وطمس لجذورها الشرقية لأن هيمنة الصورة تمنح هيمنة ثقافية.

في إحدى المقابلات أكد لنا أحد المستجوبين السود أن أخاه الصغير حكى له أن معلمتهم عرضت لهم فيلما كارتونيا قصيرا حول "فيل أبرهه والطير الأبابيل" لتبسط لهم فهم "سورة الفيل"، وقد أكد له معاناته في تلك الحصة من سخرية رفاقه منه حيث نعتوه بـ"أبرهه الحبشي" الذي كان أسودا شريرا وبشعا والأكثر من ذلك كافرا، تعبر هذه القصة المقدسة المبسطة عن صراع أبرهه الحبشي والرسول، الأسود والأبيض، الكافر والمؤمن، الشر والخير، عدنا إلى موقع "اليوتيوب" وبحثنا عن الأفلام الكارتونية القصيرة التي تبسط "سورة الفيل" للناشئة فتأكد لنا ما حكاه لنا المبحوث وقطعنا منها صور تبرز تقابل الشر والخير، الأسود والأبيض (5 و 6 و 7) كما تعبر عن صراع الأسود الكافر والمؤمن الأبيض وتعكس أيضا ما يمكن أن يمارس على الأسود التلميذ من عنف رمزي داخل الفصل الدراسي والتأثير السلبي لمثل هذه الوسيلة الديداكتيكية في تمثل رفاقه لجسده و في تمثله لذاته وصناعة هوية سوداء موصومة.



5 رابط الفيلم القصير:https://www.youtube.com/watch?v=LmwACvz

6 رابط الفيلم القصير: https://www.youtube.com/watch?v=6SYjDpOHvvs

7 رابط الفيلم القصير:https://www.youtube.com/watch?v=IgF6DY3tZZE

أغلب، إن لم نقل كل، الرسوم المتحركة التي يستهلكها الطفل المغربي يوميا خالية من الأبطال السود كما هو واضح فكل الأميرات الجميلات بيض وكل الدمى التي تغزو الأسواق المغربية في عاشوراء بشرتهن بيضاء وشعرهن أشقر وتخلو هذه الأسواق من الدمية السوداء غياب فسره لنا أحد الباعة بأن لا أحد سيشتريها لأنها مخيفة و مفزعة.

سيتأثر المتخيل الإسلامي الشعبي بالمتخيل المسيحي الشعبي في تمثله لسواد البشرة8، رمزية الجسد الأسود ذات الحمولة السلبية في المسيحية استمرت مع الديانة الإسلامية. لقد ارتبط الأبيض في القرآن الكريم بصورة سلبية واضحة، فهو دائما مرتبط بالكفر والفجور والردة والجهل والكذب على الله، أما الأبيض فيتسم بسمة إيجابية في غالب الأحيان فهو دائما مقترن بالإيمان والطاعة، فاللون الأسود يرمز للقبيح ومشحون بقيم سلبية.

ارتبط اللون الأسود وجسده بأهل النار والشر في المرجعية الإسلامية، كما أن الله لم يرسل أنبياء سود، لقد تأثر المتخيل الإسلامي الشعبي بما جاء في التوراة من أن السود أبناء حام، وأن هذا الأخير تم عقابه من خلال تحويل لونه من الأبيض إلى الأسود، الأسود كلعنة إلهية بررت اللعنة الاجتماعية، كما أن أطماعه الافريقية والاستعبادية سهلت هذا التأثر.

بنى القرآن رمزية السواد السلبية وجعل من البياض مكافأة مؤجلة فوضعهم اللوني لن يستمر فهم موعودون بالبياض يوم الجنة(ابراهيم محمود، 1998، ص270)، مكافأة صلاح السود الدنيوي غالبا ما كان يمر من خلال تحولهم من سواد البشرة إلى بياضها هذا التحول هو ما يجعل ولوج السود إلى جنة مسألة ممكنة ومنسجمة مع الآيات التي تؤكد أن وجوه الجنة بيضاء ووجوه الجحيم سوداء، ففي مؤلفه الشهير "رسالة الغفران"، كان يعوض أبو العلاء المعري شخصياته عن محن الدنيا بمقابل سخي في الآخرة، كقصة "توفيق السوداء" التي لم يكتف الله بمجازاتها بالجنة بل جزاها أيضا ببشرة بيضاء أي بشرة أهل الجنة، نفس التحول من السواد إلي البياض نجده في "ألف ليلة وليلة"، المتواجدة في رفوف الكثير خزانات المدارس المغربية، وبالخصوص في حكاية "ملك بن دينار مع العبد الأسود الصالح" ذلك العبد الزاهد الشديد التدين الذي صلى وحقق الله طلبه في استسقاء الأرض بعد جفافها ومات وهو راكع إلى الله وقد تحول لونه من السواد إلى البياض.

النصوص والقصص والعبر الدينية وشروحات القواميس التي تستثمر في الدرس المغربي توضح جليا النظرة السلبية للأسود التي لم تكن سوى النظرة الاجتماعية للسود في شبه الجزرة العربية وهي النظرة التي لا زالت مترسخة في اللاوعي الجمعي العربي إلى حد اليوم.

المسافة الفاصلة بين رمزية السواد في الأحلام واللباس والحيوانات والممارسة الكلامية اليومية وبين رمزية السواد في البشر قصيرة، بحيث تنتقل دلالات الأسود السلبية في الأحلام واللباس

---

8 يقدم الأسود في المسيحية كلعنة وكعقاب وهذا ما تجسده حكاية حام أحد أبناء نوح. ففي التوراة، السود أبناء حام، فحسب هذه الحكاية التي تسربت إلى المعتقد الإسلامي الشعبي، كان "حام" أبيضا ثم أصبح أسودا بسبب لعنة والده. ذلك أن "حام" رأى عورة والده "نوح" فضحك منها ولم يستح فلعنه نوح وطلب من الله أن يحوله إلى عبد لأخويه "سام" و"يافت"، فأصبح أسودا، من هنا، تم الربط بين اللون الأسود والعبودية بمعنى أن البشرة السوداء تحتم على صاحبها مصيرا اجتماعيا لا مناص منه، وهو أن يكون عبدا للأبيض .

والحيوان إلى البشر، فيصير بذلك الإنسان الأسود جنيا وشيطانا وشر خلق الله وأكثرها بطشا وجلبا للشؤم، الكثير من الأمهات يهددن أطفالهن، وخاصة ليلا، بالرجل الأسود الحامل لمقص الإخصاء الذي عانى منه الكثير من العبيد في الماضي القريب، وذلك لنيل طاعتهم كالنوم أو الامتثال لأمر ما، مثلا "ها الراجل لكحل جاي وهاز لمقص"(ها هو الرجل الأسود قادم و حامل للمقص).

حكى لنا المبحوثون السود مجموعة من المواقف التي تبين لنا كيف أن أسود البشرة يصبح مصدر خوف ورعب وخاصة بالنسبة للأطفال الذين ينظرون له ك"بوعو"(شبح)، وهذا ما يؤكده التصريح التالي:

" كان يزورنا شاب أسود عمره تقريبا 19 سنة، عندما يدخل المنزل يبدأ الأطفال الصغار في البكاء والصراخ ويظهرون خوفا شديدا منه، لقد كان هذا يضايقه كثيرا رغم أنه لا يريد إظهار ذلك، وتحاول الأمهات تدارك الموقف وإصلاحه عندما تدعوا إحداهن الأطفال لتقبيله باعتباره أخوهم، لكنهم يصرخون ويمتنعون وعندما تستفسر يكون الجواب "هذاك بوعو"،

حكى لنا أحد المبحوثين السود موقفا يشبه الموقف السابق كثيرا لكنه في هذه المرة هو من عاشه: " بالنسبة لي في يوم من الأيام رأتني طفلة صغيرة وخافت مني وبدأت تختبئ وراء أمها وتبكي وتقول بوعو بوعو بوعو...ولكن هناك أطفال يرونك ولا يخافون منك ويقومون بتقبيلك"، كما أكدت إحدى المبحوثات أنها سبق لها أن بسملت عندما تفاجأت بأسود البشرة صاعدا في الدرج: "يمكن أن أقول بسم الله الرحمان الرحيم إذا رأيت أسود البشر إنني أخاف كثيرا، وأطلب من الله أن يسامحني، ففي يوم من الأيام كنت جالسة في الدرج وكانت الإنارة معطلة وإذا بي أفاجأ بصعود جارنا المغربي الأسود البشرة، لقد بدى في أول وهلة كجسم ضخم أسود لا تظهر منه سوى أسنان بيضاء، فبدأت أصرخ. وعندما كنت صغيرة كان أحد جيراننا السود يحاول تقبيلي وأنا كنت أهرب منه وإذا استطاع تقبيلي أحاول مسح مكان القبلة خوفا من أن أصير سوداء".

ربط الأسود بالشر، بمثابة منتوج أنتجه الفكر العبودي الذي اعتمد على مجموعة من المؤسسات المادية والرمزية من أجل شرعنة استرقاق سود البشرة و سجنهم في الدونية، مبرر "الدونية" كان من أبرز وأقوى مبررات العبودية، لقد كانت الثقافة العربية في حاجة كبيرة لهذه المغايرة الكلية بينها وبين الأسود: أولا، من أجل شرعنة استمرار نظام الرق والعبودية وتبرير المعاملة السيئة والقاسية لهم من خلال جعلهم كالسلعة التي تباع وتشترى وتمتلك وتضرب وترهق وتغتصب وتخصى، كما كانت هذه المغايرة مهمة بالنسبة للعربي المسلم وخاصة على المستوى النفسي فهي تزيح عنه الإحساس بالذنب وتقيه شر تأنيب الضمير اتجاه الأسود، فالنظر له كشيء أو كحيوان أو ككائن مرح ومطرب يخفف من الإحساس بالذنب عند المعاملة القاسية، رمزية اللون الأسود ستستثمر بشكل واسع وكارثي في عهدي العبودية والهيمنة الكولونيالية و في المقابل الأبيض سيكون لون الطهارة والقداسة والنظافة والعذرية والبراءة والسلام (2008,P21, Régine detambel).

من خلال ما سبق استطعنا الوقوف على المرئية الهزيلة للسود كما وكيفا، كما أن ربط اللون الأسود بالشر ولامرئية الأجساد السوداء في الكتب المدرسية ووسائل الإعلام تجعل من سود

البشرة كائنات غريبة ومخيفة، مع تطور مسار التلميذ التعليمي ستترسخ صورة اللون الأسود السلبية وسيعيد إنتاجها في تحليله للنصوص وفي كتاباته الإنشائية وفي أعماله الفنية، كما ستزيد نظرته الانتقاصية للبشرة السوداء عندما لن يصادف ولو عالما أو مخترعا أو أديبا مغربيا أو أجنبيا أسودا لكنه، سينتهي بالعثور عليهم حفاة وعراة في الصور التي تحكي مآسي السود كمشاكل القارة الإفريقية وخاصة العبودية في دروس التاريخ كالتجارة المثلثية وجيش البخاري في إحدى المقابلات أكدت لنا أستاذة مادة الاجتماعيات في المستوى الثانوي التأهيلي، "أن حكم المولى اسماعيل وجيش عبيد البخاري تعكسه النصوص التاريخية المختارة في الكتاب المدرسي كإنجاز سياسي استطاع من خلاله هذا الحاكم توحيد جيشه وتقويته حيث يصعب قراءته كاستعباد لمغاربة فقط لأنهم سود كما أن هذه النصوص لا تشير إلى ثورة بعض رجال الدين على هذا الحدث".

متى سبق لك أن سمعت لأول مرة عن السود في مسارك الدراسي، عندما أطرح هذا السؤال فأغلبية المستجوبين يجيبون إذا لم أقل كلهم: "عندما نتناول موضوع العبودية" يعبر لاعب كرة القدم السابق والمناضل الأسود الفرنسي "الليان تورام" عن هذا في قوله: "لا زلت أتذكر أول مرة عندما تناولنا هذا الموضوع في المدرسة كنت الأسود الوحيد في القسم، لقد ذهلت وتساءلت ماذا عن تاريخ أجدادي قبل العبودية، لم تكن لي القدرة آنذاك على طرح مثل هذه الأسئلة، لقد أحسست أني معني بالأمر موصوم بالحديد ووحيد داخل القسم الذي أنظر إليه بطريقة مختلفة ومن الممكن أنه هو أيضا ينظر لي بنفس الطريقة، العبودية تتلخص إذن بالنسبة لي في: "البيض حولوا السود إلى عبيد، لفهم ردة فعلي يكفي أن تضع نفسك في مكاني، تخيل شابا أبيضا لم يسمع طول مساره الدراسي أحدا يتكلم عن عالم أبيض، أو ملك، أو مناضل أو فيلسوف أو فنان يقاسمه نفس لون البشرة. يعيش في عالم كل ما هو جميل وعميق وأصيل وخير وذكي وخالص يرمز إلى الأسود وحتى الإله الكائن الأعلى سيكون أسودا. تخيل عاصفة الغضب التي سيثيرها كل هذا فيه، هذا الطفل سيتساءل عن ما إذا وجد أبيض قام ولو مرة واحدة بشيء فيه خير. حتى تأتي لحظة يفرضها البرنامج الدراسي سنلقي له معلومة حول ذاته :"أجدادك كانوا عبيدا (Lilian Thuram,2010,P29)

خاتمة:

لامرئية سود البشرة المفرطة و مرئيتهم الهزيلة و المنمطة التي تحضر في المسار الدارسي للتلميذ المغربي، لا يمكنها سوى أن تغرس في السود منذ طفولتهم عقدة النقص، إنه لمن المهم بما كان أن نبين أن مرئية كمية وكيفية جيدة لسود البشرة في المحتويات الدراسية يمكن أن تؤدي إلى اعتراف سياسي واجتماعي بهم. فالفرد يحتاج إلى أن يحس بأنه موضوع اعتراف، والمرئية الجيدة في الكتب المدرسية كاعتراف رمزي مهمة بالنسبة لسود البشرة المغاربة، لكن إلى حد اليوم في المغرب لم نطالب بضرورة حضور سود البشرة في هذه الكتب وتحسين صورتهم وتمثيليتهم فيها.

عودة المغرب إلى إفريقيا وإقناع المغربي بإفريقيته ودفعه نحو قيم التسامح والتعايش مع المختلف لونا وثقافة كالسود المغاربة و إدماج مهاجري جنوب الصحراء السود الذين يوجهون

أبناءهم اليوم نحو المدرسة المغربية، لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الاهتمام بالمكون الأسود المغربي وتحسين صورته لدى الناشئة كما وكيفا، ولا يمكن أيضا، أن يتحقق هذا الهدف إلا من خلال "تسويد" (كتشبيب وتأنيث) الكتب و المحتويات المدرسية ومساءلة العنصرية اللونية المغربية ونقلها من مستوى اللاوعي إلى مستوى الوعي و المساءلة.

قائمة المراجع:

1. بوحمالة بنعيسى(1989)،السياق التاريخي والثقافي للشعر الزنوجي الافريقي الأمريكي، المجلد الثالث، عالم الفكر.
2. حلقوم نورة، الشارف عبد القادر(2016)، خطاب الصورة في الكتب المدرسية، كتاب السنة التحضيرية أنموذجا.شوهد في 2016-09-12،في: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/733.
3. محمود إبراهيم(1998)، جغرافية الملذات-الجنس في الجنة، رياض الريس للكتب و النشر، لبنان.
4. محمود ابراهيم(2016)،عنصريات متراحمة، شوهد في : www.alawan.org/2013/12/08/الجدران-اللامرئية-العنصرية-ضدّ-السّو-13 في 2016-06-03.
5. مختار عمر أحمد(1997)، اللغة واللون، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الثانية، القاهرة.
6. Bibang Claver(2012), Approches naïves du noir dans les médias français. Discours et identités problématiques, L’Harmattan, Paris.
7. BLANCHET Philippe(2016), Discriminations : combattre la glottophobie , Paris, Textuel, coll. Petite Encyclopédie critique.
8. Detambel Régine(2008),la peau, corps et couleurs, CNRS édition ; Paris.
9. La Rocca Fabio(2007)1 (no 95), « Introduction à la sociologie visuelle », Sociétés, p. 33-40. DOI 10.3917/soc.095.0033.35.
10. Lignon Fanny, Porhel Vincent, Rakoto-Raharimanana Hérilalaïna(2012), Genre et manuels scolaires au filtre des images. Article en ligne sur le carnet de recherche du groupe GEM (41 500 signes), http://gem.hypotheses.org/711.
11. Pascal Blanchard(2008),Signe ,corps et couleurs, CNRS édition; Paris.
12. Pascal Blanchard,Gilles Boetsch et Dominique Chevé(2008),L’identité dans tous ses éclats, corps et couleurs, CNRS édition ; Paris.
13. Thuram Lilian(2010), Mes étoiles noires, de Lucy à Barack Obama, Paris, Éd. Philippe Rey,

أثر الصورة التعليمية في الممارسة البيداغوجية

The impact of the educational image on the pedagogical practice

د. بوزيدي محمد، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر-الجزائر.

ملخص: تشكل الصورة في حياة الناس انفعالات مختلفة، متنوعة التأثير على المستوى النفسي والاجتماعي بما يتضمنه من تفاعل وحركية، نتيجة الاتفاق والاختلاف حول مضمون الصورة، وأثرها في البيئة المستهدفة بهذا المضمون المثير، وما ينتجه من أثر يعكس الهدف الذي وظف من أجله، لذا أصبحت من أهم الوسائل التعليمية المعتمدة في وقتنا الحاضر كدعامة بيداغوجية تحقق الأهداف التربوية المستهدفة بالإجراء، كإثارة الرغبة عند المتعلم لتوظيف إمكانياته لاستنطاق الصورة، ما يجعله يفجر قدراته، فيطور بذلك معجمه اللغوي، وتؤهله ليتعامل مع الصورة كرمز وكعلامة، ويضفى عليها معنى إلى حد يشعر معه المتعلم أنه صاحب المبادرة وصاحب الفضل وأن المعلم في العملية ليس أكثر من موجه.

ومن خلال هذا الموقف التعليمي تتضح أهميتها ومكانتها في قضية الإدراك وما يربطه من تحصيل الدراسي للمواد المدرسة بالنسبة للمتعلم،وهذا ما نصبوا إليه من خلال المقالة بإبراز أثر الصورة التعليمية في الممارسة البيداغوجية.

الكلمات المفتاحية: ديداكتيك، الصورة، المتعلم، الدراسة.

Abstract: The image makes different emotions in the lives of people, with a variety of impacts on the psychological and social levels, including the interaction and mobility, as a result of agreement and disagreement on the content of the image, and its effect on the target environment with its exciting content, that reflects the purpose of using it. That’s why the image becomes one of the most adopted educational means nowadays, as it is an educational support that could realize The teaching aims, such as rising the learner's desire to exploit his abilities to examine the image, what makes him exploring his competences, developing his vocabulary, and qualifying him to deal with the image as a symbol and a sign, and gives it the meaning to an extent that the learner feels that he is the initiative part however the teacher is only a controller in the educational process.

This educational position shows the importance of the image in the recognition issue and all its connections with the learner’s acquisition of materials. This paper is an attempt to highlight the impact of the educational image on the pedagogical practice.

Keywords: Didactics, Image, Learner, Study.

تمهيد:

من المعلوم أنه في الوقت الحاضر تحتل الصورة التعليمية حيزا مهما في المجال التعليمي،نظرا لدقتها المتناهية في توصيل الرسائل المعرفية،وقدرتها الكبيرة على نقل الأحداث وتأثير في المتعلم، حيث تجعله كأنه يعيش الأحداث حقيقية، وقد تطور استخدام الصورة التعليمية في المؤسسات التربوية بشكل كبير نتيجة التقدم التكنولوجي والعلمي الذي حدث في الوقت الحاضر، وهكذا أصبحت الصورة التعليمية تشغل مكانة كبيرة في حياة المعلم، وترافقه خلال نشاطه الصفي.

وهيمنة الصورة بهذا الشكل الكبير على مجريات العمل التدريسي يطرح عدة تساؤلات حول مدى قيمة وأهمية الصورة التعليمية بالنسبة للمتعلم،وكذلك الآثار الايجابية والسلبية التي تخلفها الصورة على تصوراته المستقبلية، والتي أصبحت بمثابة إشكالية كبرى في عالم اليوم، فهل نعيش اليوم عصر الصورة؟ أو أن ما يعرفه القرن الحالي هو ثورة حضارية حديثة، فاقت في زخمها وآثارها الثورات السابقة؟

هذه الأسئلة وغيرها هي مؤشرات مهمة على ضرورة تبني المرجعية الديداكتيكية السليمة والملائمة، في كيفية توظيف الصورة في الحصص الصفية، بغية تحقيق النتائج المنشودة اجتماعيا، ثقافيا ونفسيا.

أولا: موضوع البحث ودواعي اختياره: أثر الصورة في التحصيل الدراسي لدى التلاميذ وعلاقته باتجاهاتهم نحو المواد التعليمية، ويركز البحث على المرجعية الابستمولوجية والديداكتيكية لمتغيرات البحث على المستوى النظري، أما على المستوى التجريبي اقترحنا أدوات تجريبية وقمنا بتطبيقها على عينة من التلاميذ.

ولعل المبررات التي تكمن وراء اختيار البحث متعددة يمكن تلخيصها في:

-الوضع الراهن للممارسة الفعلية لإدارة الصف،حيث يتم التركيز على الإملاء والحفظ، والاستظهار، مما يعيق ويغيب كل الكفايات والقدرات والعمليات الفكرية للمتعلم.

-دور البحث الديداكتيكي في تطوير الممارسة العملية التدريسية.

-الدور الفعال للصورة في مختلف جوانب الحياة اليومية للمتعلم، وتشويقه للتعامل مع الصورة.

-كون التدريس بالصورة يتماشى مع تصورات البيداغوجيات العصرية التي تدفع المتعلم للتعلم الذاتي وتوظيف تكنولوجيا التعليم.

ثانيا. مشكلة البحث وفرضياته: يسعى البحث الديداكتيكي إلى تجويد الممارسة التعليمية التعلمية، وذلك عن طريق اقتراح نماذج تعليمية تعلميه تحفز المتعلم على التعلم والتفاعل الايجابي مع البقية.

لكن ما يلاحظ في الواقع غيابا واضحا للصورة، بالرغم أنها أداة فعالة ووسيطا مؤثرا في الدرس،وهذا بشهادة أهل الاختصاص،ونستدل برأي الباحث جون أموس كومينيوس John Amos Comeniusفي "كتابه العالم المرئي بالصور The Visible World in 1658 Pictures,) على معارضته الشديدة لطبيعة التعليم النظرية التي سادت عصره وقامت على حفظ

المعلومات واستذكارها،ويؤكد عل أهمية استخدام الصورة في التعليم،ودورها في جعله مشوقا يرتكز على الواقعية الحسية(مزياني أحمد، 1982، ص51).

ثالثا.أهمية البحث: قد تسهم نتائج البحث الحالي في تكوين تصور علمي على مدى فعالية توظيف الصورة في الرفع من"التحصيل الدراسي لدى تلاميذ، وإبراز دور الصورة في تنمية مجموعة من القدرات والمهارات المختلفة.

رابعا. أهداف البحث: معرفة أثر توظيف الصورة في التحصيل الدراسي وتنمية الذوق الفني له وتشويقه وتحفيزه أثناء وضعيات تعلم المختلفة بالتعبير الأيقوني الذي لازال في حاجة إلى الاهتمام والعناية.

خامسا. حدود البحث:

حدود زمانية: تم تطبيق هذا البحث في السنة الدراسية 2017-2018.

حدود مكانية وطبيعة العينة: تم تحديد مكان البحث باختيار المدرسة الابتدائية بوراس علي حاسي العبد.

حدود موضوعية: اقتصر البحث على إشكالية تمحورت حول تأثير الصورة في التحصيل الدراسي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية وطبيعة هذا التأثير، وتحديد العلاقة بين تأثير الصورة في التحصيل الدراسي لديهم ودرجة اتجاهاتهم نحو الأنشطة التعليمية المدرسة.

الإطار النظري لمتغيرات البحث: يعد استخدام الصور في التعليم في المدارس الحديثة من التقنيات التربوية الحديثة، لفهم الهدف من وراء المقطع الكلامي وظروفه،ذلك المقطع المرتبط بكل صوره، إذ هي في الواقع تأخذ في الاعتبار الجوانب المختلفة لعملية التفاهم، فهي تبرز مكوناتها الإنسانية والاجتماعية.

إنها لا تعرض فقط ظروف استعمال التعبير اللغوي ولكنها تقدم أيضا الوسائل لإدراك مضمونه ومن ناحية أخرى، فهي أقرب إلى الواقع والحقيقة والصدق لأنها لا تقتصر على عرض معلومات عامة في إطار خبرة المتعلم وتجربته ولكنها تكشف أيضا عن بعض الملامح أوالجوانب الثقافية المتصلة باللغة الهدف في سياق الوضعية التواصلية،ونسقها اللساني(الشيخ، الحافظ، 2006، ص62).

مفهوم الصورة: تمتد جذور مفهوم الصورة إلى الكلمة اليونانية القديمة أيقونة icon، والتي تشيرإلى التشابه والمحاكاة وترجمت إلى imago في اللاتينية،وimage في الانجليزية، ونميز بين الصورة الأيقونة والقينه والأيقونة بكون الثانية إنسانا متحركا والثالثة رسما جامدا بينما الصورة الأيقونة،هي تمثل ذهني بعيد عن الإحساس الحسي فهي "مجموع الملامح التي تترسب عن الشيء في ذهن المبدع من خلال لقطات مختلفة ومتعددة، فالصورة هي حصيلة الإدراك الذهني للشيء الواحد لتخرج من بين يديه في شكل خاص به مطبوعة بطابعه، حاملة في ثناياها جوانب من الصورة المجردة الموجودة في ذهن كل فرد من مجتمعه،وموحية بما في ذهن المبدع لها(شيشوب فاطمة، 2016، ص37).

وفي لسان العرب لابن منظور تعني الصورة: لوجه، الزخرفة، الكتابة الخطية، الوشم، الخيال، الوهم، التماثيل المجسمة، العلامات الرمزية وغير الرمزية(ابن منظور، 2010، ص492).

وعند جون ديوي: العنصر العقلي القابل للفهم في موضوعات العالم وأحداثه.

أما عند جان بول سارتر: المحتوى النفسي الذي يسند على التفكير والذي له قوانينه الخاصة كذلك عدها نمطا معينا من الوعي بشيء ما وهي فعل وليست شيئا.ففي مجال السيكولوجية تعني الصورة نشاطا أو فاعلية ذهنية تعمل على إحضار جملة من الخصائص وصفات موضوع ما في الذهن، بكيفية يدركه بها وينظمه ويتصوره جهاز العقل(عبد الكريم غريب، دس، ص503).

بينما يشار إليها في حقل التعليمية بالوسيلة تعليمية أو وسيط في المثلث الديداكتيكي، يتم من خلالها تحقيق وظيفة تعلميه معينة، كالعرض والوصف والشرح والتحليل والبرهنة، إنها حسب إدغارديل Edgard Dale تحتل والرموز قمة هرم الوسائل التعليمية حسب فعاليتها(محمد الدريج، 1983، ص78).

والملاحظ من خلال تعاريف السابقة أن مفهوم الصورة قد تطور بتطور أشكال العلاقات الإنسانية، واتسع ليشمل ميادين متنوعة، فالصورة تعبير عن كل معقد يشمل العنصر الفني التقني والفلسفي والجمالي والاجتماعي،من المفاهيم الغنية والأكثر اتساعا لإشتمالها مختلف مجالات الحياة بدءا من الطفولة الأولى حتى الموت.

أثر الصورة في العملية التعلمية: تكتسي الصورة التعليمية أهمية بالغة من حيث أدائها في الممارسة البيداغوجية، فهي العامل المشترك في غالبية العروض المباشرة أو الدروس التي تحتاج إلى ربط التلميذ بالموضوع المطروق، وإحالته على صورته الحقيقية،فيرتبط لديه الدال بالمدلول، وتترسخ في ذهنه الفكرة المعبر عنها، وتحفظ في ذاكرته وترصد في معجمه(عبد العظيم الفرجاني، 2003، ص91)، مما تمكنه من تثبيت المهارة اللغوية المختلفة(عبد المجيد سيد أحمد منصور، 1989، ص46)، وبالتالي تصبح إحدى أهم دعامات النظام التعليمي المعاصر.

أنواع الصور: هناك أنواع كثيرة ومتنوعة من الصور يمكن إبرازها في ما يلي:

الصور الذهنية: هي عبارة عن تصور باطني ومركب حول موضوع أو حادث ثم إدراكه وتكوينه في مرحلة سابقة من طرف الفرد، فمن خلال تفاعله مع المحيط يحتفظ الجسم بآثار داخلية قد تكون عابرة أو دائمة(سمير أحمد معلوف، 2010، ص119)، ويرى آخرون أن الصورة الذهنية هي عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية تقوم على إدراك الأفراد الانتقائي المباشر وغير المباشر لخصائص وسمات لموضوع معين،وما ينتج عنه من توجهات سلوكية في إطار مجتمع معين وقد تأخذ هذه المدركات والاتجاهات والتوجهات شكلا ثابتا أو غير ثابت، دقيقا أو غير دقيق(ميسون محمد، فاتن وعتريس، 2007، ص04).

الصور الحسية: هي الصور الإدراكية الخارجية البصرية الملموسة والمحسوسة وقد تكون الصور إما ثنائية الأبعاد كالرسم والتصوير أو ثلاثية الأبعاد كالنقوش البارزة والناتئة والتماثيل كما قد تكون رقمية وأفلام، وتنقسم الصور التعليمية إلى قسمين: الصور الثابتة، الصور المتحركة.

أ.**الصورة الثابتة:** هذه التسمية مستعدة أساسا من تعارضها مع نظيرتها المتحركة ومنها الصورة الفوتوغرافية واللوحات التشكيلية والإعلان (المكتوب أو الفوتوغرافي) والكاريكاتير والخرائط

وربما النحت الخشبية الأشرطة المصورة (متوالية من الصور الثابتة)، فإننا نجد أن الصورة الثابتة بالمعنى الشائع دائما، تتحدد تارة انطلاقا من مادة الدال وتارة أخرى من خلال مادتها، مرة بالتقنية المستعملة في إنتاجها ومرة أخرى باعتبارها مادة سردية, تساعد الصورة على إيصال المعلومة بطريقة أسرع من الكلمة المنطوقة (Guy GAUTHIER, 1986, p5-8) وفد أجمع التربويين على تقسيم الصور الثابتة إلى عدد من التقسيمات حسب آرائهم يمكن إبرازها فيما يلي:

الصور غير الشفافة(المعتمة): وهي التي تكون إما مصورة أو مرسومة بحيث لا ينفذ الضوء من سطحها مثل الصور الفوتوغرافية وصور المجلات والكتب والصور المجسمة ومنها:

الصور الفوتوغرافية: بالنسبة للصور الفوتوغرافية فهي تلك التي تؤخذ بالكاميرا وتحاكي الشيء تماما وتطبع على ورق حساس, وتستخدم الصور الفوتوغرافية في التدريس.

الصور المجسمة: نعني بها الصور التي توضح الأبعاد الثلاثة للجسم وتختلف عن الصور المسطحة التي تظهر بعدين فقط ,وتلتقط الصورة المجسمة باستخدام كاميرا خاصة تستطيع التقاط صورتين للجسم في آن واحد.

الصور الرقمية: الصورة المعالجة عن طريق الحاسوب والتي يستطيع أن يتعامل معها الحاسوب بعد إدخالها إليه من خلال الكاميرا الرقمية أو جهاز الماسح الضوئي،حيث يقوم الحاسوب بتقسيم الصورة غلى آلاف البكسلات(النقط اللونية)التي تشكل الصورة والتي يمكن معالجة كل نقطة فيها على حدة مما يتيح السيطرة على الصورة بشكل فعال(أكرم عبد القادر، فروانة عبد الله، 2012، ص11).

الصور الشفافة: وتسمى بذلك لأن المواد التي تصنع منها تكون شفافة كالزجاج بحيث أن الضوء يخترق سطحها حتى تنقل ما عليها من معلومات إلى شاشة العرض.

الصور المتحركة: هي جميع الوسائل السمعية البصرية التي تتيحها السينما والتلفاز(L'estrade lisbeth, 2004, p5)، يرجع استخدام هذا النوع إلى سنة 1920، حيث كانت صامتة في البداية، ثم استخدمت الصور المتحركة الناطقة سنة 1931 وترجع أهميتها في تدريس المواد الاجتماعية إلى أنها أداة حقيقية لحل العديد من المشكلات، فهي تتخطى البعد المكاني والبعد الزماني،وتقدم العديد من الخبرات في فترة زمنية قليلة(اللقاني أحمد حسن، برنس أحمد رضوان، 1990، ص208-209)، كما أنها تثري في نفس الوقت حاستي السمع والبصر.

مزايا استعمال الصورة التعليمية في التعلم: يرى الباحثون أن أهمية الصورة التعليمية تكمن في وظيفتها الفعالة وقربها الشديد من التلميذ الميال للأشكال والألوان والتي تجلب انتباهه وتوحي له بالفكرة، ومنهم فيرث الذي يرى أن قيمتها تكمن في كونها:

-تقدم الحقائق العلمية في صورة بصرية(عبد المجيد سيد أحمد منصور، 1989، ص46).

-تثير اهتمام المتعلمين وتجذب انتباههم بإشراك جميع الحواس في الدراسة مما يسمح بتنمية مهارة الملاحظة وتوجيه الذهن نحو التفكير الاستنتاجي والتأويل والتحليل.

-تساعد الصورة في تحقيق الكفايات وتخلق الإبداعية وتبعث على الخلق والإبداع (Josef Leil, 1978, p84).

-الوقوف في وجه الملل داخل الفصل الدراسي.

-الصورة المتحركة تعمل على تحفيز التلاميذ وتحقيق الفهم لأن لغة الأفلام تكون بسيطة وتساعد على التذكر وتنمية الفكر النقدي عند المتعلم(Lestrade lisbeth, 2004, p1-13).

-تحسن فعالية التواصل البيداغوجي ،وتقلص من الفروقات الفردية داخل الفصل.

-تساعد المتعلم على حسن عرض أفكاره وتنظيمها وعلى التعبير الحر وتربي عنده الذوق الفني والأدبي اللازمين لمواقف الحياة المتنوعة كما تساهم في تحسين القراءة اللفظية أيضا.

الإطار التطبيقي للدراسة :

أولا. منهج البحث: اعتمدنا في هذا البحث على استخدام المنهج الوصفي في تحليل محتوى الكتاب المدرسي للمرحلة الابتدائية قسم السنة الأولى ابتدائي، ومعاينة وتتبع مجموعة من نصوص القرائية وفق تصور جديد يراعي الأسس العلمية الحديثة في طريقة التدريس بتوظيف الصورة التعليمية، وكذا استخدام الطريقة الكلاسيكية بتغيب الصورة للفئة الثانية، ثم استخدام المقارنة.

ثانيا. تحديد المفاهيم الإجرائية للبحث:

الديداكتيك: نقصد بالديداكتيك إجرائيا الدراسة العلمية لتنظيم وضعيات التعلم التي يعيشها المتعلم لبلوغ هدف عقلي أو وجداني أو حسي حركي، وتحضير الطرق والوسائل والأدوات الضرورية من طرف الأستاذ لمساعدة وتوجيه المتعلم على التعلم،اعتبره لالاندA.Lalandفرعا من فروع البيداغوجيا موضوعه التدريس(عبد اللطيف الفارابي وآخرون، 1994).

التحصيل الدراسي: يعرفه فجابلن على أنه مستوى محدد من الآراء والكفاءة في العمل المدرسي،كما يقيم من قبل المعلمين،أو عن طريق الاختبارات المقننة أو كليهما(أحمد كمال، عدلي سليمان، 1972، ص48).

الصورة: تعرف الصورة إجرائيا بكونها دعامة بيداغوجية، ووسيط في المثلث الديداكتيكي يتم من خلالها تحقيق وضعية تعليمية معينة كالعرض والوصف والشرح والتحليل والبرهنة.

التلميذ: يعتبر الركن الأساسي في العملية التعليمية، ويمتلك قدرات وعادات واهتمامات، فهو مهيأ سلفا للانتباه والاستيعاب ما يقدم له(أحمد حساني، 2000، ص142).

الاتجاه: يتمثل في استجابة التلميذ نحو نشاط القراءة بتوظيف الصورة في تدريسها، وذلك بالموافقة أو المعارضة لعبارات مقياس ليكرر المستخدم في البحث حول تدريس القراءة بالصورة.

ثالثا. متغيرات البحث:

المتغير المستقل: يتمثل في طريقة التدريس وتشمل:

-تدريس مادة القراءة باستخدام الصور للقسم رقم01 والقسم رقم 02.

-التدريس بالطريقة المعتادة(كلاسيكية) بالنسبة لقسم رقم01 والقسم 02 بدون صورة .

رابعا. عينة البحث: تتكون عينة البحث تتكون من خمسة عشرة تلميذ من قسم السنة الأولى ابتدائي مدرسة بوراس علي، بلدية يوب، وخمسة عشرة من القسم الثاني نفس المدرسة، وتتوزع العينة وفق الجدول التالي:

رقم القسم	عدد ذكور	عدد الإناث	المجموع
القسم رقم 01	8	7	15
القسم رقم02	7	8	15

خامسا. الأساليب الإحصائية لمعالجة البحث: اعتمدنا في المعالجة الإحصائية لنتائج التجريب الميداني على المتوسط الحسابي.

سادسا. النشاطات التعليمية في الكتاب المعتمدة على الصورة:

1. ألاحظ وأعبر: إن نشاطات الكتاب تعتمد بشكلي مركزي وكلي على الصورة، إذ في نشاط ألاحظ وأعبر، يعرض الكتاب مجموعة من الصور الملونة المرسومة بشكلي جميل،والغاية من وراء ذلك جذب انتباه التلميذ وتربطه بعالمه الأسرة، فتثير أحاسيسه وعواطفه وفرحه وفضوله، فيتفاعل معها بخياله، من خلال تأمله للصورة ثم يعبر عنها بصفة تلقائية، وتسمى بالتعلمات الفعلي(قراءة النصوص) يتم نقل وضعية المتعلم من الاستماع إلى القراءة.

2. أبني وأقراء: يعد نشاط أبني وأقراء تكميلي للقراءة، حيث يهدف هذا النشاط إلى تثبيت تراكيب لغوية من خلال الاعتماد على الصور ،وما اكتسبه من معارف مبسطة قبلية.

3.أستعمل:ويعتمد نشاط أستعمل على ثلاث مراحل جميعها ترتكز على الصورة في سير الدرس:

أ-أصوغ: أي استعمال الرصيد اللغوي ليعبر بتراكيب.

ب-أتذكر: تذكر الكلمات المناسبة في المواقف المناسبة.

ج-أركب: وتعني تركيب تلك الكلمات من خلال الصورة أو موقف قبلي في ملة بسيطة وصحيحة.

4.أكتشف: تعتمد هده الوضعية على دقة تمييز الحروف من طرف التلميذ، حيث يربط بين مدلول الصورة التي خبرها، وما يمتلكه من معارف وخبرات.

5.أتعرف على رسم الحرف: يقوم المتعلم معرفة رسم الحرف وترتيبه في الكلمة، وما يقابله من مدلول أثناء القراءة وفق الحركات(الطويلة والقصيرة).

6.أقراء الكلمات التي فيها حرف: يقوم هذا النشاط بتقييم مكتسبات التلميذ في نهاية كل وضعية تعلمية، حيث يوظف الصور كأداة للتعلم، مع توظيف مراجعة مكتسباته ومعارفه وأفكاره المتنوعة.

7.أقراء وأثبت: تعتبر المرحلة النهائية ومن خلالها يتضح إلمام لمتعلم وقدرته في استثمار المعارف اللغوية.

سابعا. بناء الوحدة التعليمية وأداة الاختبار: لقد اقتصر البحث على مواضيع متنوعة من كتاب السنة الأولى وذلك من أجل التعرف على دور الصورة كدعامة وأهم النتائج المتوصل إليها في إدارة الحصة.

أ -مرحلة التدريب على مفاتيح القراءة: وتكون خلال الفصل الأول.

ب-مرحلة بداية القراءة الفعلية: تؤطر المرحلة الثانية من الفصل الأول والتي تهدف استثمار التلميذ المبادئ الأولية للغة من خلال نشاط تتمثل ألاحظ وأعبر.

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص9)(أنظر الملحق رقم01).

الجدول رقم (01) يبين درجة تفاعل المتعلم مع نشاط القراءة من خلال الصورة التعليمية وغيابها في المرحلة الأولى.

رقم القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
تدريس نشاط القراءة باستعمال الصورة التعليمية	نسبة التفاعل	%84	نسبة التفاعل	%90
تدريس نشاط القراءة(بدون الصورة)	نسبة التفاعل	12 %	نسبة التفاعل	23 %

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة في نشاط القراءة أعطى نتائج جيدة،إذ تفاعل في القسم الأول 84%و القسم الثاني 90%، بينما تفاعل بالطريقة الكلاسكية كان ضعيف، إذ تراوحت نسبة12% في القسم الأول و23 % في القسم الثاني، مما يبن أهمية وفاعلية استخدام الصورة التعليمية كوسيلة وداعمة بيداغوجية ناجحة في قيادة الصف ويعول عليها في خلق نوع من تفاعل الصفي بين تلاميذ وإدارة حصة نشاط القراءة .

ج- أبني و أقراء: تهدف هذه الوضعية التعلمية تدريب المتعلم على القراءة سليمة، حيث يرى المتعلم الفقرة المطلوب التدرب عليها ثم تحجب عنه، ويستند في وضعية انطلاقه على صورة المرافقة أثناء عملية التعبير(عبد الله، دس، ص85).

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص53)(أنظر الملحق رقم02).

الجدول رقم (02) يبين درجة تفاعل المتعلم و نسبة اكتساب المفردات اللغوية من خلال الصورة التعلمية وغيابها.

القسم	قسم رقم 01		قسم رقم 02	
تدريس الحصص اللغوية من خلال الصورة	نسبة التفاعل	%70	نسبة التفاعل	%44
	نسبة اكتساب المفردات اللغوية	%32	نسبة اكتساب المفردات اللغوية	%20
تدريس الحصص اللغوية بصفة عادي (غياب الصورة)	نسبة التفاعل	%20	نسبة التفاعل	18 %
	نسبة اكتساب المفردات اللغوية	%17	نسبة اكتساب المفردات اللغوية	%13

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة في تعليم المفردات اللغوية جد صعب، كون محتوى الكتاب يفتقر إلى تنمية قراءة الجمل قراءة متتابعة دون حركات ارتدادية، وقراءة النص قراءة جمل مترابطة، لا كلمة كلمة، وقراءة النص قراءة صامتة دون تحريك الشفتين، والجدول أعلاه يبن من خلال نتائج الضعيفة المتوصل إليها، باستعمال الصورة كانت في القسم الأول نسبة التفاعل70%ودرجة اكتساب المفردات اللغوية32%، وفي القسم الثاني كان تفاعل44%، ودرجة اكتساب المفردات اللغوية20%، أما في غياب الصورة كانت نتائج جد

ضعيفة وغير مرضية ففي القسم الأول بلغت نسبة التفاعل20%ودرجة اكتساب المفردات اللغوية 17%، أما القسم الثاني بلغت نسبة التفاعل18%، ودرجة اكتساب المفردات اللغوية 13%.

د- أكتشف: تعتمد هذه الوضعية على دقة تمييز الحروف من طرف التلميذ، حيث يربط بين ماهية الصورة التي خبرها في الأنشطة السابقة مع ما يتوافق معها من الكلمات، ثم يستثمرها في مكتسباته القرائية.

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص98)(أنظر الملحق رقم03).

الجدول رقم (03) يبين درجة تفاعل المتعلم من خلال الصورة التعليمية وغيابها في الوضعية التعلمية أكتشف.

القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
تدريس حصة القراءة وضعية اكتشف باستعمال الصورة	نسبة التفاعل	%01	نسبة التفاعل	%01
	دقة تمييز الحروف	%01	دقة تمييز الحروف	%01
	درجة استثمارها في مكتسباته القرائية	%01	درجة استثمارها في مكتسباته القرائية	%01
تدريس حصة القراءة وضعية اكتشف (غياب الصورة)	نسبة التفاعل	%01	نسبة التفاعل	%01
	دقة تمييز الحروف	%01	دقة تمييز الحروف	%01
	درجة استثمارها في مكتسباته القرائية	%01	درجة استثمارها في مكتسباته القرائية	%01

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة أو عدم استخدامها في هذه الوضعية التعليمية لا يحقق الهدف والغاية المنشودة، إذ بلغت نسبة تحقق مؤشراته01،%في التفاعل للقسمين باستخدام الصورة أو عدم استخدمها، ونفس الأمر في دقة في تمييز الحروف ودرجة استمارها في مكتسباته من خلال هذا النشاط التعليمي،مما يستلزم إعادة صياغة هذه الوضعية التعلمية مع مراعاة شروط الاكتساب والفهم، ومناسبة الصورة لمستوى المتعلمين وأعمارهم بغية تأثير فيهم.

ه- أستعمل: تعتمد هذه الوضعية على ذكاء المتعلم واستخدام المكتسابات القبلية من الحصص اللغوية السابقة وتوظيفها في المواقف المختلفة في العملية التواصلية.

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص98)(أنظر الملحق رقم04).

الجدول رقم (04) يبين درجة تفاعل المتعلم من خلال الصورة التعليمية وغيابها في الوضعية التعلمية أستعمل.

القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
	نسبة التفاعل	%27	نسبة التفاعل	%27

تدريس حصة القراءة وضعية استعمل باستعمال الصورة	دقة تمييز الأفعال	%20	دقة تمييز الأفعال	%22
	دقة تمييز الأسماء	%20	دقة تمييز الأسماء	%18
	درجة استثمارها في النصوص المنطوقة	%12	درجة استثمارها في النصوص المنطوقة	%12
تدريس حصة القراءة وضعية ا استعمل (غياب الصورة)	نسبة التفاعل	%01	نسبة التفاعل	%01
	دقة تمييز الأفعال	%02	دقة تمييز لأفعال	%02
	دقة تمييز الأسماء	%01	دقة تمييز الأسماء	%01
	درجة استثمارها في النصوص المنطوقة	%00	درجة استثمارها في النصوص المنطوقة	%00

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة أو عدم استخدامها في هذه الوضعية يعطي نتائج ضعيفة وغير مستحبة، إذ بلغت نسبة تحقق مؤشراته27،%في التفاعل للقسمين، ونفس الأمر في دقة تمييز الأفعال وقد تراوحت النسبة بين20%للقسم الأول و22% للقسم الثاني، وفي تميز الأسماء بلغت النسبة للقسم الأول 04%، والقسم الثاني03 %، أما درجة استثمارها في النصوص المنطوقة كانت نتائج جد ضعيفة وبلغت12%للقسمين، رغم استعمال الصورة، أما في التجربة الثانية أي عدم الاستعانة بالصورة التعليمة كانت النتائج جد وخيمة،إذ بلغت نسبة تحقق مؤشراته01%في التفاعل للقسمين، ونفس الأمر في دقة تمييز الأسماء وقد تراوحت النسبة01%للقسم الأولو01% للقسم الثاني، وفي تميز الأفعال بلغت النسبة للقسم الأول02%، والقسم الثاني02%،أما درجة استثمارها في النصوص المنطوقة كانت منعدمة وبلغت00% للقسمين مما يستدعي أيضا إعادة صياغة هذه الوضعية التعلمية مع مراعاة استخدام حواسه مثل السماع والنظر والنطق من خلال إلمامه بكل ما هو معروض في الصورة، وتدريس اللغة في موقفها الطبيعي من خـــلال إيجاد المواقف الطبيعية التي يراد تعليمها للطلاب وتدريبهم على استخدام الجمل والعبارات التي تقال في مثل هذه المواقف(عوني إيناس، 2012، ص282)، بغية تنمي المفردات لديه والمعاني الصحيحة للعبارات ومعرفة الأفعال والأسماء في وقت قصير.

و-أتعرف على رسم الحرف: يقوم التلميذ بتنفيذ ما اكتسبه في السابق من كلمات وحروف، على يقوم برسم الحرف وترتيبه في الكلمة وفق الصورة المرافقة، ثم يطلب منه قراءة ما كتبه مع احترام مخارج الحروف والحركات (الطويلة والقصيرة) .

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص83).)(أنظر الملحق رقم05).

الجدول رقم (05) يبين درجة تفاعل المتعلم من خلال الصورة التعليمية وغيابها في الوضعية التعلمية أتعرف على رسم الحرف.

القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
تدريس حصة القراءة في وضعية أتعرف على رسم	نسبة التفاعل	%35	نسبة التفاعل	%34
	قدرة المتعلم على تثبيت الحرف	%23	قدرة المتعلم على تثبيت الحرف	%24

الحرف باستعمال الصورة	قدرة المتعلم نطق الحرف بالحركات الطويلة والقصيرة	%30	قدرة المتعلم نطق الحرف بالحركات الطويلة والقصيرة	%35
تدريس حصة القراءة في وضعية أتعرف على رسم الحرف غياب الصورة	نسبة التفاعل	%01	نسبة التفاعل	%01
	قدرة المتعلم على تثبيت الحرف	%01	قدرة المتعلم على تثبيت الحرف	%01
	قدرة المتعلم نطق الحرف بالحركات الطويلة والقصيرة	%01	قدرة المتعلم نطق الحرف بالحركات الطويلة والقصيرة	%01

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة رسم الحروف اللغوية جد صعب في هذه المرحلة، كون هذا النشاط لا يتلاءم تماما مع القدرة الاستعابية والإدراكية للتلميذ، ورسم الحروف في المرحلة الابتدائية كما نعلم ينبغي أن يؤسس على منهج علمي دقيق أثناء القيادة في الصف من طرف المعلم بضبط خاصية هذا الخط وتحديد مقاييسه واستخلاص قاعدة ثابتة لكل حرف على حدة، واستخدام الوسائل الإيضاحية المتاحة والممكنة ومنها الصورة التعليمية في جميع مراحل تنفيذ هذا النشاط، وقد بلغت نسبة تحقق مؤشر هذا النشاط من خلال الجدول كما يلي: نسبة التفاعل في القسم الأول 35 %،أما القسم الثاني 34%، فيما يخص قدرة المتعلم على تثبيت الحرف23% في القسم الأول، أما القسم الثاني 24% في وضعية التعلمية المرتبطة بقدرة المتعلم نطق الحرف بالحركات الطويلة والقصيرة وصلت نسبة 03% في القسم الأول و35 %في القسم الثاني ، بينما تدريس حصة القراءة في وضعية أتعرف على رسم الحرف بغياب للصورة كانت النتائج المتوصل إليها متساوية وضعيفة وبلغت في جميع الوضعيات التعلمية01%.

ز- أقراء الكلمات التي فيها حرف: يقوم هذا النشاط بتقييم ملمح المتعلم في نهاية الوحدة التعلمية من خلال وضعية تعلمية يمارس فيه تعلّمه بكيفية نشطة، ووموظّفا طاقاته المختلفة ومختلف المعارف، والانغماس عبر الوسائل المسهّلة قصد إعادة هيكلة تعلّمات سابقة وتكييفها مع وضعيات ملموسة قد يصادفها فعلا،مما تمكنه من التمييز بين الشيء الثانوي والأساسي والتركيز عليه لكونه ذا فائدة في حياته اليومية أو لأنّه يشكّل أُسسا للتعلّمات التي سيقدم عليها في المستقبل.
الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص98)(أنظر الملحق رقم06).

الجدول رقم (06) يبين درجة تفاعل المتعلم من خلال الصورة التعليمية وغيابها في الوضعية التعلمية أقراء الكلمات التي فيها حرف.

القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
توظيف المكتسبات القبلية وتثيت الأسماء من خلال	نسبة التفاعل	%80	نسبة التفاعل	%80
	إعادة تقديم الجملة الناقصة لغتمامها بكلمات من خلال الرصيد اللغوي و الصورة	%64	تنمية قدرات المتعلم (العقلية والوجدانية والمهارية)	%70

صورة	يوظّف مجموع الإمكانات المتنوعة (معارف، قدرات، معارف سلوكية)	%58	يوظّف مجموع الإمكانات المتنوعة	%61
توظيف المكتسبات القبلية وتثيت الأسماء بغياب صورة	نسبة التفاعل	33	نسبة التفاعل	%39
	إعادة تقديم الجملة الناقصة لإتمامها بكلمات من خلال الرصيد اللغوي و الصورة	%28	تنمية قدرات المتعلم (العقلية والوجدانية والمهارية)	%26
	يوظّف مجموع الإمكانات المتنوعة (معارف، قدرات، معارف سلوكية)	%26	يوظّف مجموع الإمكانات المتنوعة	%25

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن استخدام الصورة جاء بنتائج مقبولة نوعا ما، بعد استثمارها في ربط العلاقة بين المتعلم ومحيطه الطبيعي ،فمن خلالها يتعرف المتعلم لعالمه وفي نفس الوقت يوظف ويثبت الحرف المراد ت، فاعتماد الصورة على هذا المنوال كوسيلة دعم بيداغوجي، تنمي المقدرة على التواصل، وتعزز الانتماء الأسري ،والاندماج في المجتمع باعتبارها نسخة مطابقة للمرجع، إنها تحويل مرئي للتعبير الكلامي لقد رسمت الأشخاص، والأشياء والحركات(خيشان وآخرون، دس، ص13)، والنتائج المتوصل إليها تثبت ذلك فكانت نسبة التفاعل والاكتساب باستعمال الصورة التعليمية 80% للقسيمين، وفي الوضعية التعلمية إعادة تقديم الجملة الناقصة لإتمامها بكلمات من خلال الرصيد اللغوي والصورة وصلت نسبة 64% في القسم الأول، و70%في القسم الثاني،أما بخصوص توظّيف مجموع الإمكانات المتنوعة (معارف، قدرات، معارف سلوكية) في المواقف التعليمية فقد بلغت نسبة 58 %وفي القسم الثاني بلغت61%،بينما كانت نتائج ضعيفة عند عدم استعمال الصورة إذ بلغت نسبةالتفاعل33 %للقسم الأول، و39% للقسم الثاني، ففي إعادة تقديم الجملة الناقصة لإتمامها بكلمات من خلال الرصيد اللغوي والصورة كانت نتائج ضعيفة وقد بلغت نسبة 28 %في القسم الأول، وفي القسم الثاني 26 %، بينما وصلت نسبة في توظّيف مجموع الإمكانات المتنوعة(معارف، قدرات، معارف سلوكية) في المواقف التعليمية 26 % في القسم الأول وفي القسم الثاني كانت25%.

ح- أقراء وأثبت: تعتبر المرحلة النهائية ومن خلاله يظهر المتعلم قدرته على استثمار المعارف وتثبيتها نهائيا فكلما كرّر المتعلم المعلومة أو المعارف المقدمة له، كلّما انغرست في ذاكرته بصورة سليمة وصحيحة.

الصورة من كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي(2016، ص98)(أنظر الملحق رقم07).

الجدول رقم (07) يبين درجة تفاعل المتعلم من خلال الصورة التعليمية وغيابها في الوضعية التعلمية أقراء وأثبت.

القسم	قسم رقم 01	النتيجة	قسم رقم 02	النتيجة
تطبيقات: أقرأ	نسبة التفاعل	%45	نسبة التفاعل	%45
	تثبيت الحرف الأول في الكلمة	%32	تثبيت الحرف الأول في الكلمة	%36

وأثبت من خلال الصورة	تثبيت الحرف في جمل انطلاقا من صور	39%	تثبيت الحرف في جمل انطلاقا من صور	41%
تطبيقات: أقرأ وأثبت بدون الصورة	نسبة التفاعل	20 %	نسبة التفاعل	24%
	الرصيد اللغوي تثبيت الحرف الأول في الكلمة	19%	الرصيد اللغوي تثبيت الحرف الأول في الكلمة	19%
	تثبيت الحرف في جمل بدون من صور	10%	تثبيت الحرف في جمل بدون من صور	11%

نتائج الدراسة: نلاحظ من تحليل الجدول أن مجال المعارف اللغوية والقواعدية، ومفاهيمها لا يرقى إلى المستوى المطلوب،ثمة حاجة ملحة بضرورة توضيح أنواع مخارج الحروف وصفاتها بصيغة أحادية ثم نتدرج وصولا للفقرة ثم نختم العمل البيداغوجي بعملية تقويمية للمعرفة نقاط ضعف والقوة، ومن ثم نكيف طريقة التعامل حسب النتائج المتوصل إليها من خلال التقويم تكون نوعية التطبيقات المطلوبة، وبناء على ما تقدم ذكره وحسب النتائج فالنشاط التطبيقي الأخير لا يستلزم الشروط العلمية ولا يتوافق مع قدرة التلميذ في فهم ما يقدم له في هذه المرحلة، وقد بلغت نسبة التفاعل في القسم الأول والثاني 45 %رغم الاستعانة بالكتاب وما يحويه من صور، والوضعية التعلمية الأولى والمتمثلة في تثبيت الحرف الأول في الكلمة أيضا كانت نتائج غير مرضية إذ تراوحت في القسم الأول 32% و36%للقسم الثاني، وفي تثبيت الحرف في جمل انطلاقا من صور الكتاب تراوحت في القسم الأول 39%و41%للقسم الثاني، ونفس الأمر عند عدم استعمال الصورة فكانت النتاج جد ضعيفة وقد بلغت نسبة التفاعل في القسم الأول 20 % والقسم الثاني 24%، في تثبيت الحرف الأول في الكلمة كانت نتائج تتراوح في القسم الأول 24% ونفس النتيجة في القسم الثاني24%،وفي تثبيت الحرف في جمل كانت في القسم الأول 10% و11% في القسم الثاني.

خـــاتمة:

من خلال تتبعنا لتوظيف الصورة التعليمية في كتاب التلميذ للسنة الأولى من التعليم الابتدائي، نستنتج أن القائمين على تأليفه اعتنوا بوضع الصورة التي تثير انتباه التلميذ، وتجعله يتفاعل ويتجاوب مع محتواها وشكلها في وضعيات تعلمية معينة، وفي محطات أخري ينبغي إعادة النظر في كيفية صياغة نوعية التمارين المقدمة للتلميذ التي من شأنها الوصول إلى تعليم التلميذ مختلف المهارات اللغوية بطريقة تتميز بالمتعة والترفيه والجاذبة وتتوسل بعالم الطفل المميز، مما يجعله يقبل على الدرس اللغوي ولا ينفر منه.

وخلاصة القول: أن النتائج المحصل عليها في البحث إنما تأكيد ويبين بشكل لا يرقى إليه الشك مدى فعالية وأهمية توظيف الصورة في التعلم واستثمارها كدعامة ديداكتيكية أساسية لا تقل أهمية عن باقي الوثائق الأخرى.وهو الأمر الذي يدفعنا إلى اقتراح التوصيات الآتية:

- تجهيز المؤسسات التعليمية بالصور والأشرطة المتعلقة بدروس مادة اللغة العربية المقررة في البرنامج التعليمي.

- تخصيص نسبة مهمة للصور في تأليف الكتب وفق المناهج العلمية وذلك بمراعاة الصورة الهادفة التي تفيد في بناء تعلمات.
- الاهتمام بالصور التعليمية من ناحية المناسبة الموضوع والحجم والألوان.
- اهتمام المشرفين التربويين بمتابعة معلمي اللغة العربية، لحثهم على استخدام طرق استراتيجيات أخرى في تدريس التعبير بصورة عامة والتعبير الكتابي بصورة خاصة.

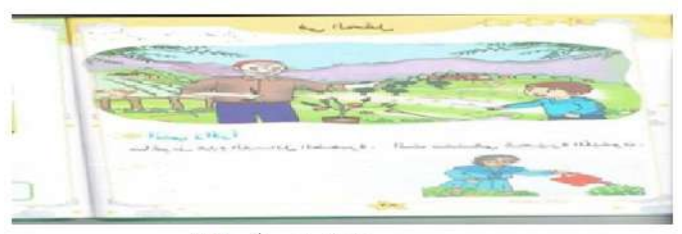
أخيرا، فان تم التوصل إليه في هذا البحث المتواضع ليس أكثر من مساهمة في تذليل بعض الصعوبات المنهجية المتصلة باليات توظيف الصورة في تعليمية اللغة ومنهجية الاشتغال عليها من أجل تجويد ممارسة العملية التعليمية التعلمية حرصنا فيه على ملامسة الأثر الفعال لتوظيف الصورة في التحصيل الدراسي لدى المتعلمين لمستوى الابتدائي واتجاهاتهم نحو مادة القراءة، من خلال منهج تجريبي لا ندعي صوابه وامتلاكه للحقيقة المطلقة بقدر ما هو مجرد تصور في الموضوع لا يستقيم إلا بمزيد من البحث والتقصي والارتقاء في مدارج العلم والمعرفة.

قائمة الملاحق:

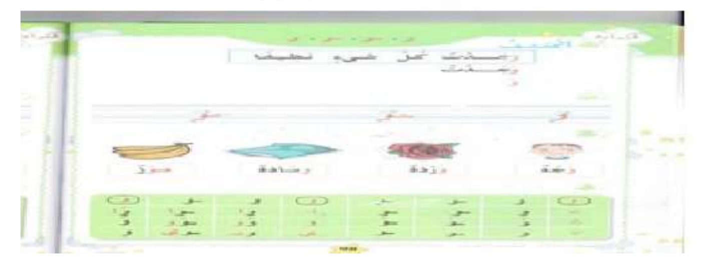
الملحق رقم 01



الملحق رقم 02



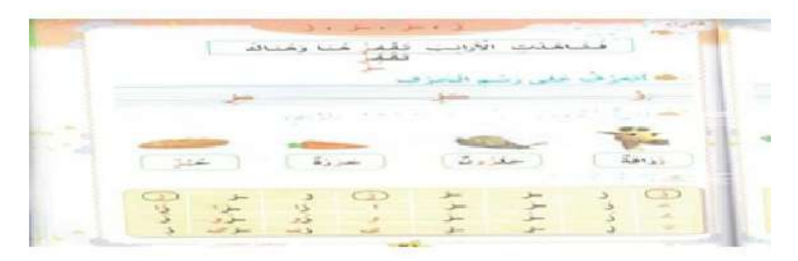
الملحق رقم 03



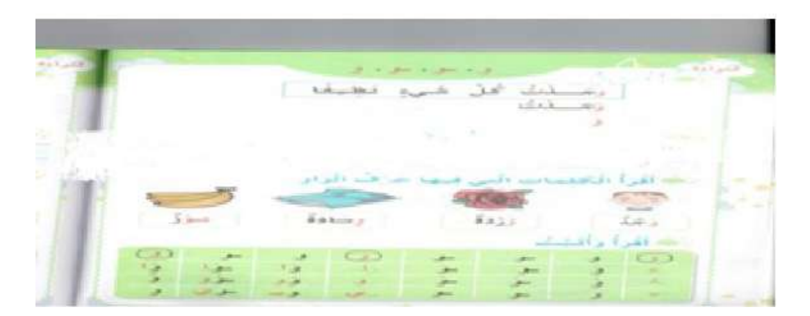
الملحق رقم 04



الملحق رقم 05



الملحق رقم 06



ملحق رقم 07



قائمة المراجع:

1. ابن منظور(2010)، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.
2. أحمد حساني(2000)، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
3. أحمد كمال، وعدلي سليمان(1972)، المدرسة والمجتمع، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر.
4. أكرم عبد القادر وفروانة عبد الله(2012)، فعالية استخدام مواقع الفيديو الالكترونية في اكتساب مهارات تصميم الصور الرقمية، الجامعة الإسلامية، كلية علوم التربية، غزة.
5. بوبكر خيشان وآخرون(دت)، اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي.
6. سمير أحمد معلوف(2010)، الصورة الذهنية، مجلة جامعة دمشق، م26، ع1+2، سوريا.
7. الشيخ الحاقظ عبد الرحيم(2006)، مبادئ تعلم اللغة لغير الناطقين بها، عالم الكتب الحديث.
8. شيشوب فاطمة(2016)، الصورة الأيقونية بوتقة علاقات ومواقف، ندوة الدور التربوي والتعليمي للصورة، المغرب.
9. الطيب بن جامعة(2013)، أثر الصورة في العملية التعليمية (نشاط القراءة في السنة الأولى نموذجا، كلية الآداب واللغات، الجزائر.
10. عبد اللطيف الفارابي وآخرون(1994)، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، سلسلة علوم التربية، ع9+10، مطبعة النجاح الجديدة.
11. عبد العظيم عبد السلام الفرجاني(2003)، تكنولوجيا إنتاج المواد التعليمية، دار غرب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
12. عبد الكريم غريب(2006)، المنهل التربوي، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، المغرب.
13. عبد المجيد سيد أحمد منصور(1989)، علم اللغة النفسي، دار العلوم للكتاب، دمشق.
14. عوني الفاعوري وإيناس أبو عوض(2012)، أثر استخدام الصورة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الجامعة الأردنية، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، م39، ع2.
15. اللقاني أحمد حسن وبرنس أحمد رضوان(1990)، تدريس المواد الاجتماعية، كلية التربية عين شمس، مصر.
16. محمد الدريج(1993)، تحليل العملية التعليمية، ط01، منشورات مجلة الدراسات النفسية والتربوية، الرباط.
17. مزياني أحمد(1982)، الحكاية المصورة نموذجا- سلسلة الندوات والمنشورات، كلية الآداب جامعة المولى إسماعيل، المغرب .
18. وزارة التربية الوطنية(2016)، كتابي في اللغة العربية للسنة الأولى ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر.
19. Guy GAUTHIER(1986), vingt leçons sur l’image et le sens, ED.ediling, Paris
20. Josef Leil(1978), qu’est ce que la rénovation pédagogique,édition.
21. Lestrade lisbeth(2004), mémoire professionnel, leutilisation de l’image animée pour enseigner la géographie en class de seconde.

المختصر المفيد في الخطوات المنهجية للبحث العلمي.

A useful manual for the methodology of scientific research.

أ.احميدة العوني، الكلية متعددة التخصصات بتازة، جامعة سدي محمد بن عبد الله بفاس، المملكة المغربية.

ملخص: هذا مقال يحاول أن يضع ما يشبه دليلا مختصرا لمنهجية البحث العلمي بين يدي الطلاب والباحثين، ذلك بأن موضوع منهجية البحث على أهميته قلّما يلقى الاهتمام الكافي في المؤسسات التعليمية ومعاهد البحث، وهذا ما يطرح مشكلة بالنسبة إلى الطلاب ومشرفيهم والباحثين عامة، حيث لا يستندون إلى منهجية واضحة تجعل بحثهم مقبولا شكلا ومضمونا.

وقد لخّص هذا المقال أهم أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، إذ ذكر الصفات التي تساعد على البحث، مثل الصبر والأناة والثقة في النفس والأمانة والموضوعية والقدرة على النقد والتحليل، وأشار إلى بعض مناهج البحث العلمي الشائعة، منها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي والمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ثم ذكر الخطوات العملية للبحث العلمي، وهي البحث عن موضوع صالح للبحث، وقد حدد معايير صلاحية الموضوع للبحث، وهي الجدة والفائدة، وأشار البحث إلى سبيل العثور على موضوع صالح للبحث، من ذلك مداومة القراءة واليقظة والانشغال وسؤال أهل الاختصاص، ثم تحدث عن الخطوة الثانية وهي جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحليلها، وذكر أهم ما ينبغي مراعاته في الخطوة الثالثة وهي تحرير البحث، من حيث أسلوب الكتابة، وتصميم البحث، وعنونته، وتنسيق أجزائه، كما بين العناصر المهمة في مقدمة البحث وخاتمته.

الكلمات المفتاحية: منهجية، البحث العلمي، أصول البحث العلمي، خطوات، تحرير البحث.

Abstract: This article tries to provide students and researchers with a brief glossary of the methodology of scientific research mainly because methodology of research, as important as it is, is rarely given enough attention in educational institutions and research institutes, which poses a problem for students and their supervisors in general. This article is an attempt to make research acceptable both in form and content.

The article in hand summarizes the most important scientific research bases, rules and writing steps. It sheds light on the different qualities that help the researcher, such as patience, self-confidence, honesty, objectivity and the ability to criticize and analyze. The article also refers to some common scientific research methods: the descriptive analytical approach and the experimental method. It states some practical steps of scientific research, namely, the search for a valid subject for research, it also determines some valid criteria for the subject of research, which are novelty and interest, and it stresses the importance of the search for a valid topic for research that mainly include the maintenance of reading, vigilance, interest in addition to the constant questioning of specialists. The second step is collection, documentation, classification and analysis of materials. The most important thing to consider in the third step is the editing of the research in terms of the writing style, design of

the research, its title and the coordination of its parts, as well as the important elements in both the introduction and conclusion of the research.

Keywords: Methodology, Scientific research, The origins of scientific research, Steps, Edit the search.

مقدمة:

يكاد البحث يكون فطرة الخَلْقِ كُلِّهِ، فمن يتدبّرِ الطبيعة يَرَ رأي العقل أن المخلوقات الحية كلها تبحث متى واجهت مشكلة صغيرة أو كبيرة في الحياة، فالحيوانات، مثل الطائر والذئب والثعلب، حين تجوع تخرج باحثة عن الأكل، وحين تعطش تبحث عن الماء، وحين يشتد الحرّ تبحث عن الظل، وحين يشتد البرد ويقلّ الطعام تهاجر بعيدا بحثا عن حلّ للمشكلة وكذلك الإنسان، وهو مخلوق وهبه الله تعالى عقلا خاصا.

والإنسان تتعدد حاجاته وتتطور، فبالإضافة إلى البحث عن الحاجات الطبيعية مثل الطعام والشراب والأمن، بحث الإنسان مشكلات أخرى، فحين وجد نفسه أمام إنسان آخر لا يتكلم بلسانه، بحث مشكلة اللغة، فتعلم لغة ثانية وثالثة، وعلّم غيره لغته، وابتكر الترجمة لنقل المعارف والحضارات، ولم يتوقف الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى عن البحث، فقد ظلّ يواجه مشكلاته الخاصة والعامة بالبحث، ومن العجيب أنّ الإنسان، رغم تراكم أبحاثه منذ قرون مديدة، مازال يبحث عن حلول لمشكلات قديمة حديثة، فلو أخذنا مشكلة الطعام، لوجدنا أنّه كلّما انتهت مشكلة غذائية ظهرت أخرى حثّت الإنسان على البحث، فبعد أن كان يقتات من الطبيعة دون أن يزرع طعامه بيديه، دعته الحاجة إلى الزراعة التقليدية، ثم حثّته الظروف إلى تطوير الزراعة، فصارت زراعة عصرية تقنية، ثم ظهرت مشكلات أخرى، منها قلّة ماء السقي مثلا، فاخترع تقنية السقي بالتنقيط.

وقل هذا في ميادين الفكر والثقافة، فالإنسان باحث منذ الأزل وما يزال إلى الأبد، والبحث الحقيقي وراءه دائما مشكلة أو حاجة، لذلك يقال "الحاجة أم الاختراع"، ومعلوم أن البحث هو أساس رقي الأمم وازدهارها، وكل أمّة لا تبحث فمآلها التقهقر والضعف والاضمحلال، ولم يكن التطور الهائل للبحث وتراكمه في كل الميادين منذ قرون مسهلا للبحث الحقيقي دائما، فتقدّم الأبحاث وتطورها وتراكمها يصعّب على الباحثين أن يجدوا موضوعا جديدا يستحق البحث، ومطالعة كل الأبحاث في موضوع ما أمر صعب، مما قد يجعل البحوث الجديدة تَكْرَارًا لجهود سابقة لم تسعف الظروف على مطالعتها والاستفادة منها.

مشكلة البحث: كيف أبحث؟ كيف أتعلم؟

وكي يؤتيَ البحث ثماره لا بد من أن يكون بحثا منظما يستوفي شروطا في الموضوع والشكل والمنهج، ولعلّ هذا ما يصطلح عليه بالبحث العلمي، ولا بد لمن يريد البحث من أن يكون على بينة من أصول البحث العلمي وقواعده وخطواته، فالبحث الحقيقي ليس عملا عفويا انطباعيا فوضويا، بل هو عمل منهجي منظم، لكن هل لطلبة البحوث في سلك الإجازة والماستر والدكتوراه أحيانا فكرة عن منهجية البحث العلمي؟ وهل يَعُونَ أهميةَ هذا الموضوع في حياتهم العلمية؟ وهل الباحثون يراعون منهجية البحث العلمي أم يبحثون دون منهج؟ وهل المعنيُّ

بمنهجية البحث هو الذي يريد أن يكتب بحثا فقط؟ أليس المتعلم في المدرسة والجامعة والمعمل والمعهد والحياة عامة محتاجا إلى أبجديات منهج البحث العلمي، سواء أكتب بحثا أم لم يكتب؟.

إن كثيرا من طلبة التعليم العالي لم يدرسوا منهجية البحث العلمي دراسة خاصة كما درسوا مواد تخصصهم، إذ نادرا ما تكون " منهجية البحث العلميّ" مادة مقررة في التعليم العالي، فتجد الطالب ينجز بحث التخرج في الإجازة أو الماستر أو حتى الدكتوراه وهو لم يقرأ كتابا واحدا في منهجية البحث العلمي، ولم يتلق درسا واحدا في هذا الموضوع، وكثير من الطلبة لا يلقون بالا لهذا الجانب النظري فينهمكون في "البحث" ويحسبون أنّ ذلك كاف وهو المُهمّ. وهذا ما يجعل الباحث يخبط خبط عشواء وهو يبحث، وهذا وجه من أوجه مشكلة البحث العلمي عندنا في الوطن العربي، والمشرف غالبا لا يتسع وقته ليقول كلّ شيء بتفصيل عن منهجية البحث، بل قد يرى أنه ليس من اختصاصه أن يتحدث في هذا الموضوع، ذلك بأنّ الوقت المخصص للبحث في الإجازة أو الماستر مثلا لا يسمح بإنفاقه في الجانب النظري.

والطالب أو المتعلم باحث سواء أكتب بحثا أم لم يكتبه، فالبحث ليس محصورا في كتابة صفيحات لنيل شهادة، إنّ القراءة والتعلم أيضا بحث، فكلاهما بحث عن المعارف والمعلومات وعن حلول لمشكلات كثيرة تواجه المتعلم في المدرسة أو الجامعة أو في الحياة العملية أو الحياة الخاصة، لذا فمنهجية البحث العلمي والتعلم موضوع هام للباحث الكاتب والباحث القارئ غيرِ الكاتب، ومن هنا فكل متعلم في المدرسة أو الجامعة أو في مجالات الحياة الأخرى الخارجة عن المؤسسات التعليمية، حيث الحياة كلها مدرسة، باحث. وهنا يكمن وجه آخر من أوجه المشكلة؛ فالمتعلم يخرج أو يتخرّج من المدرسة والجامعة دون أن يتعلّم كيف يبحث وكيف يتعلّم، وكيف يتثبّت من الأخبار والمعلومات التي أصبحت تتهاطل عليه من كل جانب، حيث تشيع الشائعات في الدين والتاريخ والطّب، وتنتشر بسرعة البرق بين الناس بفضل وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام بمختلف أشكاله، في مقابل غياب منهج علمي للتثبت من المعلومات والأخبار، فالمفروض في التعليم أن يعلّم كيفية البحث والتعلم، كما يعلم الحروف الألفبائية، لكن مقررات التعليم في كثير من البلدان العربية مازالت مفتقرة إلى مادة " منهجية البحث العلمي"، ويأتي هذا المقال ليكون بمثابة دليل ميسّر لكل هؤلاء الباحثين، يساعدهم على السير سيرا صحيحا وهم يبحثون.

ومنهجية البحث العلمي موضوع متناول تناولا كافيا الآن، فقد كتبت مؤلفات كثيرة، في العصر الحديث، عالجت منهجية البحث العلمي وأصوله وقواعده، لكن هذه الدراسات تناولته تناولا فيه تطويل وتفصيل لا يناسب عصر السرعة حيث نعيش، ولا يستهوي الباحثين المبتدئين لقراءتها، ومن المؤلفات في هذا الباب نذكر: "أصول البحث العلمي ومناهجه" (أحمد بدر، 1996)، و"مناهج البحث العلمي"(عبد الرحمن بدوي، 1977)، و "المرشد إلى كتابة الرسائل الجامعية" (ذياب البداينة، 1999)، و"البحث العلمي، أسسه وطريقة كتابته" (محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992)، و"كتابة البحث العلمي؛ صياغة جديدة"(عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005)، فمثل هذه المؤلفات رغم أهميتها لا تشجع الطلاب على قراءتها لطولها وكثرة تفاصيلها، وتجدر الإشارة إلى أن البحث استفاد من أفكار مهمة منثورة في مؤلفات تراثية تناولت موضوع

منهجية البحث العلمي أو ما كان يسمى بالتأليف أو التصنيف، تناولا ضمنيا أو صريحا، منها: "مواد البناء" (علي بن خلف الكاتب، 2003)، و"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" (بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012)، و "التعريف بآداب التأليف" (جلال الدين السيوطي، دس)، و"القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم" (أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 1998)، و "أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم" (صديق بن حسن القنوجي، 1978).

وغياب الوعي بأهمية منهجية البحث العلمي جعل الطلاب لا يلتفتون إلى هذه المؤلفات رغم أهميتها، فهم يكادون لا يعرفون كتابا واحدا في منهجية البحث، وهذا ناتج أيضا عن غياب هذا الموضوع في مقررات التعليم المدرسي والتعليم العالي.

أهداف البحث ومنهجه:

يسعى هذا المقال إلى تقديم أهم قواعد البحث العلمي وأصوله وأهم خطواته العملية مختصرة مرتبة، كي تكون سهلة المأخذ، بالنسبة إلى الباحثين عموما والمبتدئين خصوصا، ويسعى إلى إثارة الباحثين المبتدئين خاصة كي يطلعوا بأنفسهم على ما يُهِمّهم في المؤلفات الخاصة بالموضوع، كما يهدف البحث إلى معالجة بعض المشكلات المرتبطة بمنهجية البحث العلمي والتي لم تعالج معالجة كافية في الدراسات السابقة، من ذلك سبل العثور على موضوع صالح للبحث، وعيوب طريقة جمعية علم النفس الأمريكية للتوثيق، كما يهدف إلى التنبيه على أضرار غياب مادة منهجية البحث العلمي في التعليم العربي.

واستعان هذا البحث بالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي والمنهج الاستدلالي، حيث تتبع الدراسات في موضوع منهجية البحث العلمي، واستخلص أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، مصنفا ذلك في أجزاء مترابطة متسلسلة، كما استدل على أهمية الاتصاف بصفات الباحث كي تؤتي الأبحاث ثمارها، واستدلّ على أهمية برمجة منهجية البحث العلمي في مقررات التعليم بالمدرسة والجامعة، واستدل أيضا على فساد طريقة الجمعية الأمريكية لعلم النفس في التوثيق، وقد كانت التجربة الواقعية موجهة لكثير من مسائل هذا البحث، حيث إنّ تجربتي في التعلم و البحث العلمي بوصفي متعلما في التعليم المدرسي ثم طالبا في سلك الإجازة ثم الماستر ثم الدكتوراه، ثم مشرفا على طلبة البحث، كانت كافية لملاحظة المشكلة ووصفها وبيان أسبابها واستنتاج علاجها.

1- البحث لغة واصطلاحا:

1-1- البحث لغة: البحث في اللغة هو طلب الشيء في التراب، أي التفتيش عن شيء مخبوء في التراب، هذا هو الأصل، ثم انتقل ليدل على البحث والسؤال والاستخبار عن الشيء مطلقا، دون تقييده بالتراب، والبحث و التّبَحُّثُ والابْتِحَاثُ والاسْتِبْحَاثُ بمعنى واحد، إذ يأتي وزن "افتعل" و "تفعّل" و"استفعل" من الجذر اللغوي(ب ح ث) بمعنى "فَعَلَ" المجرّد، قال ابن منظور: " ب ح ث: البَحْثُ: طَلَبُكَ الشيءَ في التراب؛ بَحَثَهُ يَبْحَثُهُ بَحْثًا، وابْتَحَثَهُ.

والبحث : أن تسأل عن شيء وتستخبر.

وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثا: سأل، وكذلك استبحثه، واستبحث عنه. الأزهري: استبحثت وابتحثت وتبحّثت عن الشيء، بمعنى واحد، أي فتّشت عنه" (ابن منظور، دس، ج2، ص114-115).

1-2- البحث اصطلاحا: البحث لغة هو التفحّص والتفتيش، واصطلاحا هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال" (علي بن محمد الشريف الجرجاني، دس، ص39)، وهو "عند بيرس...رغبة الانتقال من حالة الشك إلى حالة الاعتقاد، وعند ديوي رغبة تغيير الواقع لتحقيق مصالح الإنسان" (مراد وهبة، 2007، ص133)، "وقيل: البحث بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل المتصلة به، ومنه قولهم: البحث العلمي، وهو مجموع الطرق الموصلة إلى معرفة الحقيقة"(جميل صليبا، 1982، ص198).

والبحث مجهود منظم، لأخذ ملاحظات ولإجراء تجارب، وله قيمته العلمية، ولا يستحق البحث أن يكون بحثا إلا إذا أقيم لحلّ مشكلة معينة أكاديمية أو تطبيقية متخذا المنهج العلمي سبيلا لذلك" (محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992، ص25).

يبدو من خلال التعريفات السابقة أنّ البحث في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عن مفهومه اللغوي، فهو تفتيش وتفحّص واستخبار في موضوع ما لحلّ مشكلة مادية أو فكرية، وفي هذه التعريفات إشارة إلى أهم شروط البحث العلمي، أولها مرتبط بموضوع البحث، فيشترط فيه أن يكون مجهولا كليا أو نسبيا، فلا يمكن بحث ما هو معروف ببحث سابق أو بالبداهة، وثانيها مرتبط بغرض البحث العلمي، فالمفروض في البحث أن تكون نتائجه ذات منفعة على الإنسان، سواء أ كان حلا لمشكلة، أم إثباتا لفرضية أو نفيا لها، أو غير ذلك مما ينفع، وثالثها مرتبط بمنهج البحث، فالبحث العلمي بحث منهجي، يسير وفق خطوات علمية ليصل إلى تقرير حقائق، وهذا ما أشار إليه الشريف الجرجاني بقوله:" إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال"، فالإثبات لا يكون بطريق التخمين والافتراض فقط، بل يكون بطريق الاستدلال بالحجج والأدلة كيفما كانت.

ومَا الباحثُ؟ يبدو أنّ الباحث يقصد به من يبحث بحثا يفيد البحث العلمي، وهنا يمكن الحديث عن نوعين من الباحثين؛ باحث لغيره (للبحث العلمي)، وباحث لنفسه، حيث يعتبر كل ما لا يعرفه، فيكتشفه بالبحث جديدا ونافعا بالنسبة إليه، بغض النظر عن جدة بحثه ونفعه بالنسبة إلى ما انتهى إليه البحث العلمي، وهذا ليس معناه أنّ الباحث العلمي ليس باحثا لنفسه، والباحثان كلاهما يدخلان فيما يسمى متعلما، إذ لا حدود للتعلم مهما بلغ الباحث من درجات العلم. وهذا البحث حين يستعمل مصطلح "الباحث" فهو يقصد المعنيين معا: الباحث لنفسه والباحث لغيره.

2- صفات الباحث:

الصبر والأناة: لا بد من الإشارة إلى ما ينبغي أن يتصف به الباحث، قبل الخوض في الخطوات المنهجية للبحث العلمي المكتوب، وعلى الباحث أن يكون على بينة من هذه الصفات، لأنها بمثابة أصول التعلم والبحث العلمي وقواعدهما، وهي من أهم العُدَدِ التي يحتاجها في حياته العلمية. إنّ هناك صفات كثيرة ينبغي أن يتصف بها الباحث، فبها يتسلّح للبحث، وبها يستعين على مشاقه وصعوباته، ولذلك فإنّ البحث الحقيقي لا يتأتى لكل الناس، وعلى رأس هذه الصفات الصبر

والأناة، فالبحث العلمي لا يتم بين عشية وضحاها، إنه يتطلب جهدا مستمرا، ويُسبّب عناء للباحث في الغالب، فإن لم يكن الباحث صبورا عجز عن مواصلة البحث، أو أتى بحثه ضعيفا في أحسن الأحوال، ولذلك على الباحث أن يتحلى بالصبر في البحث عن موضوع بحث مفيد، وأن يصبر على مشاق القراءة وجمع مادة البحث، وتصنيفها وتبويبها وتحليلها واستنتاج النتائج، وغير ذلك مما يستوجبه التعلم والبحث العلمي.

العزيمة والثقة في النفس: يحتاج الباحث أيضا إلى أن يكون واثقا في نفسه، له عزيمة على التحري والفحص وإدمان التفتيش عن كل ما يرتبط بموضوع بحثه، والثقة في النفس هي الصفة التي تساعد الباحث على أن يقتحم مجالات بحثية جديدة، وهي التي تمنحه قدرة على النقد الموضوعي للأبحاث السابقة، وتخول له أن يُقِرَّ أشياء جديدة ولو كانت مخالفة للمشهور المألوف، أما إذا غابت الثقة في النفس عند الباحث فسيظل مُردِّدًا لما قاله من سبقوه، متردِّدًا في الإعلان عما يراه مخالفا لهم، ولا يمكن أن تكون أفكار الباحث وآراؤه أصيلة إذا لم يتصف بالثقة في النفس، والثقة في النفس لا تعني التعصب للرأي الشخصي، الذي لا تدعمه حجج وبراهين علمية، ولا تعني الغرور والتَّعَالُمَ، وهي تُبْنَى بمداومة القراءة ودقتها وتنوع مجالاتها.

الأمانة والموضوعية: الأمانة العلمية والموضوعية من أهم صفات الباحث، ولا يمكن أن يعتبر بحثُ باحث علميا إذا لم يكن يتصف بهما، والأمانة العلمية لا يقصد بها توثيق مادة البحث وعزوها إلى أصحابها فقط، فالأمانة العلمية والموضوعية تقتضيان أن يتجرد الباحث من كل نزعة أو ميول أو تمذهب مهما كان، إذ لا ينبغي أن يكون بحثه تلبية صريحة أو ضمنية لنزعة ذاتية أو مذهبية أو ما شابه ذلك.

إنّ الأمانة والموضوعية تقتضيان أن لا ينحاز الباحث إلاّ لِمَا تُمْليه الحقائق العلمية، و" تختلف الأمانة العلمية عن التحيز اللاشعوري: فالأمانة العلمية تستقر في الضمير الحي والخلق المستقيم، وفيها إحساس واع بالنزاهة وممارسة للمسؤولية. أما التحيز اللاشعوري فإنه يسكن في اللاوعي ويتأثر بطبيعة الإنسان.."(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ج1، ص36).

القدرة على التحليل والنقد: من الصفات المهمة التي لا غنى للباحث عنها القدرة على النقد والتحليل، ذلك بأنّ النتائج البحثية المفيدة لا تتحقق إلا عن طريق النقد والتحليل، فليس البحث هو جمع المادة وتَكرار أفكار الغير بأسلوب مختلف، فالباحث ناقد ومحلل في باب تخصصه، لا يقبل شيئا إلا بعد نقد وتحليل وفحص وتمحيص، مهمته لا تنحصر في النقل والوصف، بل تتعدى ذلك إلى المقارنة والتحليل ثم الاستنتاج، "إن الإسهام في المعرفة، هو الإسهام الأصيل من غير شك..وكل باحث يجب أن يعتد بمقدرته على استقلالية التفكير، لا أن يكون الباحث مجرد ناقل لأفكار الغير، أي أنّ البحث الأصيل يجب أن يكون أكثر من مجرد اقتطاع بعض أفكار الآخرين"(أحمد بدر، 1996، ص414).

التحلي بالأدب في المناقشة والمعارضة: قلنا إنّ من صفات الباحث أن يثق في نفسه وأن يكون ناقدا محللا لآراء الباحثين وأفكارهم، لا ناقلا واصفا فقط، فهو مطالب بأن يناقش غيره ويعارض إذا اقتضى الأمر، لكن ذلك كله لا ينبغي أن يخرج عن الأدب واللياقة واحترام الآخرين مهما

كانت آراؤهم، إذ يجب على الباحث ألا يستعمل عبارات وألفاظا فيها مس بالآخرين، بل عليه أن يعبّر عن رأيه المخالف بكل أدب واحترام و لباقة وتواضع.

3- مناهج البحث: والباحث يحتاج إلى أن يتخذ مناهج مناسبة لموضوع بحثه، " وبدون المنهج فإن البحث يصبح مجرد حصر وتجميع معارف، دون الربط بينها وبين استخدامها لعلاج مشكلة، فيغيب بذلك الإبداع العلمي، فالبحث العلمي يقوم على منهج منظم للتفكير العقلي لعلاج مشكلة، وتدين الحضارة الغربية الراهنة بما وصلت إليه لاستخدامها منهج البحث العلمي كوسيلة للتفكير"(محمد الصاوي ومحمد مبارك، 1992، ص26)، ومناهج البحث العلمي متعددة ومختلفة باختلاف مجالات البحث، لكن هناك مناهج علمية شائعة توظف في معظم مجالات البحث، من ذلك المنهج التجريبي، والمنهج الاستدلالي، والمنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج الاستقرائي الاستنباطي.

المنهج التجريبي: وهو منهج يعتمد التجربة في الوصول إلى النتائج العلمية، وهذا المنهج التجريبي "قوامه الملاحظة والتجربة والموضوعية والدقة والتعبير عن المعطيات باستخدام لغة الإحصاء أو الرياضيات"(عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي،1997، ص10).

المنهج الاستدلالي: وهو منهج يعتمد الحجة المنطقية العقلية دون اللجوء إلى التجربة، فهو مبني على "البرهان الذي يبدأ من قضايا يسلّم بها، ويسير إلى قضايا أخرى تنتج عنه بالضرورة، دون التجاء إلى التجربة؛ وهذا السير إما بواسطة القول أو بواسطة الحساب، فالرياضي الذي يُجْرِي عمليات حسابية دون إجراء تجارب يقوم بعملية استدلال"(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص82).

وهذا المنهج لا يستعمل في الرياضيات وما شابهها فقط، بل يستعمل في مجالات معرفية مختلفة عملية ونظرية، فالقاضي يوظّف منهج الاستدلال لإثبات التهمة أو نفيها من خلال وثائق ووقائع، فالقاضي يقوم بنفس العملية التي يقوم بها الرياضي(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص82).

المنهج الاستقرائي: مأخوذ من اسْتَقْرَى يَسْتَقْرِي اسْتِقَرَاءً، وهو استفعل من "قَرَا َيقْرُو قَرْوًا"، ويعني تتبع الشيء وتفحصه والنظر في أحواله، قال ابن منظور:«وقَرَا الأمْرَ واقْتَرَاهُ : تتبعه ابن سيده : قَرَا الأرضَ قَرْوًا، واقْتَرَاهَا وتَقَرَّاهَا واسْتَقْرَاهَا تَتَبَعَّهَا أرضا أرضا وسار فيها ينظر حالها وأمرها، وقال اللحياني: قروت الأرض سرت فيها، وهو أن تمر بالمكان ثم تجوزه إلى غيره ثم إلى موضع آخر»(ابن منظور، دس، ج15، ص175)، ولا يختلف المعنى في الاصطلاح كثيرا عن المعنى اللغوي، فالاستقراء هو تتبع ظاهرة بجمع ما يرتبط بها من معلومات ووصفها ثم تفسيرها وتحليلها، فهو تتبع منهجي، وفق شروط وأهداف، والاستقراء منهج يوظف لقراءة ظاهرة "في العلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء والأحياء، كما تستخدمه بعض العلوم الإنسانية كالتاريخ والنفس والاجتماع"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص5)، وهي قراءة تسعى لبحث مشكلة أو ظاهرة، وهذه القراءة المنهجية الواعية تنطلق من جمع المادة أو المعطيات ثم ملاحظتها ووضع فرضيات، وتحليلها ثم تفسيرها واستنتاج نتائج تكشف "عن اطراد الظواهر وانطوائها تحت قوانين بعينها"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص5)، فالنحويّون حين استقرؤوا كلام

العرب، لاحظوا مثلا أنّ ما يفعل الفعل يكون دائما مرفوعا وما يقع عليه الفعل يكون دائما منصوبا، وأنّ الاسم بعد حرف الباء يكون مجرورا..فاستنتجوا قواعد على ضوء هذا لاستقراء والتحليل فقرروا مثلا أنّ الفاعل اسم مرفوع يقوم بالفعل يأتي بعد الفعل.

المنهج الوصفي: الوصف ركن أساس من أركان البحث العلمي(رجاء وحيد الدويدري، 2002، ص183)، إذ لا غنى للباحث عن الوصف في بحثه، فهو يحتاج الوصف في محطات عدة، حيث لا بد من وصف الظاهرة المبحوثة أو المشكلة ولا بد من وصف الدراسات السابقة ولا بد من وصف عدة البحث ومعطياته ولا بد من وصف النتائج وصفا دقيقا، لكن هذا لا يعنى أن هذا المنهج مبني على الوصف فقط، بل هناك عمليات أساسية أخرى في المنهج الوصفي منها الشرح والتصنيف والتفسير، فهو "يعتمد على الملاحظة بأنواعها بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات"(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص6).

وعلى ضوء هذا المنهج الوصفي تمرّ عملية البحث بمرحلتين أساسيتين؛ هما مرحلة الاستكشاف والصياغة، حيث يتم كشف الظاهرة أو الملاحظة وصياغتها من خلال جمع المعطيات والمعلومات حول موضوع البحث سواء من المصادر والمراجع أو من خلال عينة معينة، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التشخيص، وفيها يتم تحليل البيانات والمعطيات من أجل تحديد القوانين أو القواعد التي تنتظم فيها الظاهرة المدروسة مع تفسير لها(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص6).

4- موضوع البحث: أول خطوة منهجية عملية في البحث العلمي هي البحث عن موضوع البحث، وهذه الخطوة أساس البحث العلمي النافع، وليس العثور على موضوع صالح للبحث بالأمر الهين، فالبحث عن الموضوع بحث قائم بذاته، ولذلك ينبغي أن يضع الباحث في الحسبان أنّ العثور على موضوع البحث لا يتم بين عشية وضحاها كما قد يظن بعض الناس، فلا بد من التريث والصبر والتفتيش قبل تحديد الموضوع، فليس كل موضوع صالحا للبحث، وليس المهم هو جمع المادة أو تبوبها أو تحليلها ومناقشتها إذا كان أساس البحث فاسدا، فما معيار الموضوع الصالح للبحث؟

4-1- معيار صلاحية موضوع البحث:

الفائدة والجِدَّةُ: أهم ما ينبغي أن يتنبه له الباحث وهو مقبل على اختيار موضوع بحثه هو أن يسأل نفسه هل لهذا الموضوع فائدة؟ أي هل يحلّ مشكلة؟ هل يخترع شيئا جديدا نافعا؟ هل يصحح خطأ مشهورا في الفكر أو التاريخ أو الأدب أو الفيزياء؟ هل يطور فكرة أو نظرية أو تقنية، هل يجمع أشياء متفرقة ليسهل الانتفاع بها؟ مثل هذه الأسئلة ضرورية كي لا يكون البحث بلا فائدة، فلا قيمة لبحث مهما بذل فيه من جهد إذا لم يكن نافعا نفعا عاما أو خاصا، قال:(بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012، ص60): " والأولى أن يعتني بما يَعُمُّ نفعه وتكثُر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه".

ولكن الفائدة لا تكون دائما في الموضوع الجديد الذي لم يسبق بحثه، فقد يفيد تناول موضوع سبق بحثه بحثا فيه خلل، فيأتي الباحث فيسدّ ذلك الخلل، إما بتصحيح أخطائه، أو بإعادة ترتيبه أو بتلخيصه أو بشرح مُغْلَقَاته أو بالزيادة فيه...وهذا ما أشار إليه(جلال الدين السيوطي، د. تاريخ، ص21) حين قال: "وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد بهذا أن

لا يكون هناك مصنَّف يُغْنِي عن مُصَنَّفِه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها، فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها مع ضمّ ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه فيما يعمّ الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه".

وقد لخص(صديق بن حسن القنوجي، 1978، ص188-189) مواضيع البحث المفيدة في سبعة أقسام، قال: " إنّ التآليف على سبعة أقسام لا يؤلّف عالم عاقل إلا فيها.

-وهي إمَّا شيء لم يُسْبَقْ إليه فيخترعه،

-أو شيء ناقص يتمّمه،

-أو شيء مغلَق يشرحه،

-أو شيء طويل يختصره دون أن يخلّ بشيء من معانيه،

-أو شيء متفرّق يجمعه،

-أو شيء مختلط يرتبه،

-أو شيء أخطأ فيه مصنّفُه فيصلحه**"**.

ولا شك في أنّ أجود البحوث كما يتضح من خلال ترتيب هذه الأقسام، في كلام ابن جماعة والسيوطي والقنوجي، هو ما كان جديدا، وعبّروا عن ذلك بقولهم "لم يسبق إليه" ويعبّر عن هذه الجدة أيضا بالأصالة، ولاشك في أنّ هؤلاء العلماء لم يكونوا يقصدون الجدة وحدها، بل الفائدة العامة، فالبحث حين يكون جديدا أصيلا ينفع الناس نفعا كثيرا، وهذا النفع يَقِلُّ في مواضيع البحث التي تأتي من حيث الأهمية في الرتبة الثانية، وقد تنعدم الفائدة في البحوث التي تأتي تكرارا حرفيا لما سبقها، فالبحث إذا تناول موضوعا قديما مبحوثا دون إضافات لا يفيد في شيء، وقد يتناول البحث موضوعا جديدا لكن لا فائدة فيه، لذلك فالجِدَّةُ وحدها لا تكفي بل لا بد من أن تكون الجدة مقرونة بالفائدة.

4-2- من سبل العثور على موضوع صالح للبحث:

أ.القراءة: هي السبيل للعثور على موضوع صالح للبحث، فكلما كثرت قراءة الباحث، واتسع مجال اطلاعه، تبدّت أمامه مواضيع بحثية. وليست كل القراءة نافعة في تحديد موضوع البحث، بل ينبغي أن تكون القراءة واعية فاحصة هادفة، تتأمل كثيرا، وتنقد كثيرا، وتتوقف كثيرا للتحقق والتثبت، وهذه هي صفات القراءة التي تثمر موضوعا بحثيا مفيدا.

والقراءة المقصودة لا تتم في وقت وجيز، بل هي قراءة طويلة قد تمتد سنوات، فكي يُلِمَّ الباحث بخيوط موضوع البحث بعض الإلمام لا بد أن تكون مدة القراءة والمطالعة الفاحصة طويلة، لأن هذه القراءة تحدّد ما بُحِثَ وما لم يُبْحَثْ وما بُحِثَ بَحْثًا نَاقِصًا مُخِلاًّ، ولا يمكن أن يعثر الباحث على موضوع بحثه دون بذل مجهود في القراءة والفحص والتأمل، فالمواضيع المهمة لا تأتي صدفة في الغالب.

ب.متى يبدأ البحث في موضوع البحث؟: ومن الأخطاء الشائعة المتداولة في البحث العلمي الجامعي العربي خاصة، تأجيل تحديد موضوع البحث إلى آخر لحظة في عمر الدراسة الجامعية، ويبدو أنّ هذه عادة سيئة، ذلك بأنّ تحديد موضوع البحث وتجميع خيوطه ومادته لا يتم بين عشية وضحاها، ولذلك يختار الطلبة غالبا مواضيع مستهلكة قُتِلَتْ بَحْثًا، لضيق وقت البحث عن

الموضوع، ولغياب ثقافة بحثية طويلة الأمد، ولذلك من المفيد أن يُوَجَّهَ الطلبةُ والباحثون عموما إلى وضع مشروع بحثي شخصي تنطلق عملية بنائه منذ التعليم الثانوي، فمتى طال التفكير في موضوع البحث والانشغال به مدّة، اهتدى الباحث إلى موضوع نافع مفيد، وأبدع فيه وأفاد.

ج.الانشغال واليقظة : من الصفات الضرورية للباحث الانشغال واليقظة، فمتى كان يقظا منشغلا بالبحث استطاع أن يلتقط الإشارات العابرة التي تساعده على اختيار موضوع البحث، سواء حين يقرأ كتابا أو مقالا، أو حين يحضر ندوة أو محاضرة، فكثيرا ما يطرح الكُتَّابُ والمُحَاضِرُون قضايا وإشكالات تصلح موضوعا للبحث، وكلَّما سيطرت المشكلة على ذهن الباحث كانت نتيجة البحث أفضل(عبد الفتاح محمد العيسوي، وعبد الرحمن محمد العيسوي،1997)، لكن إذا لم يكن الباحث يَقِظًا فَطِنًا منشغلا بالبحث فلن يُلْقيَ بالا لما يَجِيءُ فيما يقرأ أو يسمع، وحضور المحاضرات والندوات والمؤتمرات العلمية ومطالعة ما ينشر حديثا في المجلّات والدوريات أمر مهم للباحث، فهذه فرص ثمينة قد تختصر جهدا كثيرا بالنسبة إلى الباحث المبتدئ خاصة، لذلك على طلبة العلم أن يعلموا أنَّ حضور الندوات والمحاضرات ليس نافلة، بل هي من فروض البحث العلمي.

د.سؤال أهل الخبرة والاختصاص: الاستعانة بأهل الخبرة والاختصاص أمر مفيد في غالب الأحيان، ولذلك وجد ما يعرف في البحث الرسمي الجامعي بالمشرف، فالباحث في الإجازة أو الماستر أو الدكتوراه لا بد أن يكون بحثه بإشراف أستاذ متخصّص، يوجّهه ويُنير له طريق البحث، غير أنّ الباحث الحقيقيَّ لا يتواكل على مشرفه، وينتظر منه أن يُمِدَّهُ بكل شيء، إذ يبدو أنّ تحديد موضوع البحث في الأصل مسؤولية الباحث، والباحث إذا حدّد الموضوع بنفسه سَهُلَ عليه فيما بعد بحثه بحثا مفيدا نافعا، فالباحث حين يستشير أهل الخبرة والاختصاص لا يفعل ذلك وعقله خال مما يريد أن يبحث فيه، الباحث يستشير أهل الخبرة حين يبحث كثيرا عن موضوع البحث، ويحتار في أمره ويتردد في الإقبال أو الإحجام، عندئذ يستشير من له خبرة في مجال مشروع بحثه.

وقد حذّر(شوقي ضيف، دس، ص17) من لجوء طلبة البحث إلى أساتذتهم ليحدّدوا لهم موضوع البحث، فهذه "طريقة خطرة، إذ قد يدلّهم هؤلاء الباحثون على موضوعات لا تتفق وميولَهم الحقيقية، فيتعثرون فيها، وقلّما يحسنونها، ولعلّ في ذلك ما يجعل أولّ واجب على هؤلاء الناشئة أن لا يلقوا بزمامهم في بحوثهم إلى غيرهم".

وكلما تعدّد المستشارون اتضحت الصورة أكثر للباحث. وإذا تبنى الباحث موضوع غيره دون رغبة أو حماس أو إلمام واجهته صعوبات كثيرة في سير بحثه، لذلك " يجب أن تكون المشكلة البحثية مقبولة كثيرا لديه، إذ لا أمل في إحراز أي تقدم فيها ما لم تتوفر لدى الباحث رغبة حقيقية في دراسة المشكلة"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص42).

5. جمع مادة البحث وتصنيفها.

1.5 جمع مادة البحث: إنّ الخطوة الأولى في البحث العلمي هو التفتيش عن موضوع صالح للبحث، وحين يحدّد موضوع البحث تأتي الخطوة الثانية وهي جمع مادة البحث وتصنيفها، وجمع المادة يستلزم قراءة فاحصة لكل ما له علاقة بالموضوع، قراءة منهجية، إذ يحسن الاستعانة

بفهارس المصادر والمراجع التي لها علاقة بالبحث، فمطالعة المصادر كلها يستوجب وقتا طويلا وجهدا، فإن لم تكن قراءة المصادر هادفة واعية قضى الباحث وقتا طويلا في مطالعة المصادر والمراجع دون فائدة، والبحث العميق يستوجب أن ينفتح الباحث على المجالات الأخرى التي لها صلة بمجال موضوع البحث، فالعلوم تترابط وتتكامل فيما بينها، وكلما اتسعت دائرة مجالات القراءة عظمت نتائج البحث وأفادت، لذلك على الباحث ألا يسجن نفسه في مجال موضوع بحثه فقط.

إن على القارئ أن يكون قارئا من الدرجة الأولى؛ فعليه أن يقرأ لا في مجال اهتمامه فحسب، وإنما في المجالات المرتبطة بها، وفي مجال العلوم الأساسية التي تقوم عليها كل مجالات اهتماماته البحثية، وما يرتبط بها. وعلى الباحث أن يكون واعيا لما يقرأ ومتفحصا له"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص36)، ولذلك فعلى الباحث أن يقرأ، بعد تحديد موضوع البحث، وفي ذهنه الخطوط الكبيرة والصغيرة لتصميم موضوعه، إذ من المنهج أن يهندس الباحث تصميما أوليا يحدد فيه القضايا أو المواضيع الأساسية التي تخدم الموضوع العام للبحث، وعلى ضوء ذلك يقرأ ما تيسّر من المصادر والمراجع، ويصنف المادة ويوزعها حسب الأبواب والفصول الأولية التي رسمها في التصميم الأولي، ولا ينبغي للباحث أن يتقيد بهذا التصميم الأولي، بل عليه أن يعدّله في كلّ حين حسب ما تمليه مادة البحث وحسب ما يتضح له من خلال القراءة، فيحذف ويضيف ما بدا له من أبواب أو فصول أو مباحث.

2.5 تصنيف مادة البحث: ومن المعروف أن مادة البحث، إذا كانت نصوصا وأفكارا مقتبسة من المصادر والمراجع، تصنف في جذاذات خاصة، فيحسن تخصيص جذاذة لكل فصل وتمييزها عن جذاذات الفصول الأخرى، إما بتنويع ألوانها أو شكلها أو غير ذلك، كي يسهل تناولها والرجوع إليها حين يحين وقت تحرير البحث، وقد يستعان بملفات توضع فيها الجذاذات، فيخصص لكل باب مثلا ملف من الورق الغليظ، يتميز عن غيره من ملفات الأبواب الأخرى باللون أو الشكل، وهذه النواحي الشكلية التنظيمية لمادة البحث في جذاذات هي من اختيار الباحث، فلكلّ باحث طريقته الخاصة في تنظيم مادة بحثه، وقد يكون مفيدا جدا اليوم أن توضع جذاذات إلكترونية في الحاسوب، حيث يسهل تناولها وتعديلها ونقلها بيسر، كما يسهل التنقل بها من مكان إلى مكان.

3.5 توثيق المادة: المقصود بمادة البحث كل ما يدوّنه الباحث أثناء مطالعته المصادر والمراجع. وما يأخذه الباحث، إمّا أن يقتبسه حرفيا من المصادر، وإمّا أن يقتبس الفكرة اقتباسا غير حرفي، وفي كلتا الحالتين عليه أن يوثق ما يقتبسه، "والطريقة السائدة أن يذيل الباحث كل صفحة بما يخصها من الحواشي، بينما يفضل بعضهم نقل الحواشي إلى آخر كل فصل كما فعل " غوستاف غرنباوم" في كتابه " شعراء عباسيون"...ويفضل آخرون نقل الحواشي كاملة إلى آخر الكتاب.

ومع أننا نميل علميا إلى الطريقة الأولى، لا نرى مانعا من استخدام الطريقة التي يرغب فيها الباحث"(محمد التونجي، 1986، ص112)، ومن وظائف الهامش الأساسية توثيق المصادر، وذلك بذكر اسم المصدر وصاحبه، والمحقق إن وجد، والطبعة وتاريخ الطبعة، ودار النشر، والجزء إن وجد والصفحة، ويحيل عليه الكاتب بأرقام متسلسلة أسفل الصفحة، هذا ما كان

مشهورا متداولا في المؤلفات العربية، إذ يذكر المصدر أولا ، ثم صاحبه، ثم المحقق إن وجد ثم الطبعة، والتاريخ، ودار النشر، ثم الجزء ثم الصفحة، مثل: " جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف 1382ه"(أبو بشر عثمان ابن قنبر سيبويه، 1988، ج5، ص414).

وشاعت في عصرنا طريقة جمعية علم النفس الأمريكية (APA)، وتوثيق المصادر والمراجع وفق هذه الطريقة يقضي أن يذكر الاسم الأخير للمؤلف، ثم تاريخ صدور الكتاب بين قوسين، في المتن لا في الهامش، (Student Experience Team [SET], January 2015)، ثم تذكر البيانات الأخرى في آخر البحث في قائمة المصادر والمراجع، ولهذه الطريقة عيوب كثيرة فيما يخص توثيق المصادر العربية القديمة خاصة، فمن أغراض التوثيق مساعدة القارئ على الرجوع إلى المصدر بأيسر جهد وأسهل طريقة، ويبدو أن هذا الغرض الثاني لا تيسره طريقة (APA)، فذكر الاسم الأخير للمؤلف، مثل محمد أو عمر، لا قيمة له ولا جدوى منه بالنسبة إلى القارئ الذي يريد أن يعود إلى المرجع كي يطّلع بنفسه على الفكرة أو النص المقتبس، ثم ما جدوى ذكر الاسم الأخير للمؤلف دون اسم مؤلَّفه؟ فالمؤلَّف أهم بالنسبة إلى القارئ، ولا قيمة للتاريخ وحده الذي يذكر مع الاسم الأخير، فقد يصدر للكاتب أكثر من كتاب أو مقال في السنة الواحدة، وإضافة الحروف(Student Experience Team [SET], January 2015)، a ,b,c إلى السنة ليس حلا. وتزداد المشكلة تعقيدا مع المؤلفات العربية القديمة، فلو وثقنا مصدرا هكذا (السيوطي، 1990)، فهل هذا يعني أن الكتاب صادر في هذه السنة، وهل للسيوطي كتاب واحد فقط صادر أو منشور هذه السنة؟ وهل لهذا الكتاب طبعة واحدة ودار نشر واحدة ومحقق واحد؟.

إنّ القارئ يحتاج إلى أن تذكر له المعلومات المهمة التي تدلّه على المصدر بأيسر جهد وأسهل طريقة، وليس من التيسير والسهولة أن يَقْلِبَ القارئ صفحات البحث كلّه كي ينظر في آخره المصدر ثم يعود ليُتِمَّ القراءة، هكذا فإن الطريقة الميسرة والسهلة هي ما كان متبعا في التوثيق العربي القديم، فاسم المصدر أهم بالنسبة إلى القارئ ثم صاحب المصدر والمحقق، ثم الطبعة والتاريخ ودار النشر والجزء والصفحة، ومن المنهج أيضا أن يحدد تاريخ وفاة المؤلف، فذلك يفيد القارئ كثيرا، ويظهر أصالة الأفكار ومدى تقدم العلوم وتطورها، فليس من المنهج أن نذكر فكرة مؤلف في القرن الخامس عشر للهجرة ونتجاهل أو نتناسى أنّ صاحب هذه الفكرة مؤلِّف في القرن الأول أو الثالث الهجري، ومعروف أنّ الاقتباس الحرفي يوضع بين مزدوجتين، أما الاقتباس غير الحرفي فهو اقتباس للفكرة دون التقيد بلفظها كما جاء في المصدر المقتبس منه، حيث يعبّر عنها الباحث بأسلوبه، ويحيل على مصدر الفكرة في المتن بين قوسين، أو في الهامش دون أن يضع الكلام بين مزدوجتين.

4.5 تسجيل الملحوظات: في مرحلة جمع المادة وتصنيفها لا يكتفي الباحث بجمع المادة وتدوينها وتوثيقها توثيقا تاما، بل لا بد من أن يسجّل كل ما يخطر على باله من ملحوظات وتعليقات على المادة المدونة وعلى ما يقرأ عموما، لأن هذه الأفكار التي ترد على ذهنه لن يتذكرها كاملة حين يشرع يحرر البحث، ولهذا يستحسن ترك ظهر الجذاذة فارغا كي يسجل فيه ما بدا له من ملاحظات، فلا شك في أن تظهر أفكار كثيرة حول مسائل بحثه الكبرى والصغرى حين يتقدم في

جمع المادة من مصادر مختلفة، ولا بد من العودة إلى هذه الجذاذات وتقييد تلك الأفكار في محلّها المناسب من أبواب البحث وفصوله.

5.5 التعامل مع المصادر والمراجع: المصادر تختلف قيمتها، فالباحثون قسموها قسمين كبيرين، مصادر ومراجع، ويقصدون بالمصادر أمهات الكتب، وأوائل ما ألف في علم من العلوم، وما تلاها وأخذ منها سموها مرجعا، ولكن لا يعني أنّ السابق من حيث الزمن هو المصدر المهم دائما فقد يكون ما يتلوه مهما من حيث القيمة العلمية، ولكن تكاد المصادر تكون أفضل من المراجع دائما، ففي علم النحو مثلا يُعَدُّ كتاب سيبويه مصدرا وكذلك كتاب المقتضب للمبرد وغيرها من الكتب التي ألفت في القرنين الثاني والثالث والرابع الهجري، ويظهر أنه ليس هناك معيار دقيق للتمييز بين المصادر والمراجع، فمعنى المصدر والمرجع يتحدد بالنسبة إلى الفترة التي ينتمي إليه البحث، ففي القرن الواحد والعشرين يمكن القول إنّ المرجع بالنسبة لنا هو ما كتب في العصر الحديث، وما عدا ذلك فهو مصدر، ومن ثم فما ألف ابن مالك وابن هشام في النحو مثلا مصادر بالنسبة إلى عصرنا وليست مراجع رغم طول المدة التي تفصل هذه المصادر عن أمهات مصادر النحو (سيبويه والفراء والمبرد مثلا)، وهكذا فنحن أمام مصادر أصلية ومصادر فرعية، وقل ذلك عن المراجع أيضا.

6.5 ترتيب المصادر والمراجع زمنيا: من المنهج أن تُرَتَّبَ المصادر والمراجع ترتيبا تاريخيا، فالاستشهاد أو التمثيل بالمصادر لا يتم كيفما اتفق، بل لا بد من مراعاة الترتيب الزمني لها، ولذلك يحرص الباحثون على وضع تاريخ وفاة صاحب المصدر بين قوسين، ومن ثم لا يحسن الاستشهاد بالمرجع ثم المصدر أو بمصدر متأخر ثم بمصدر متقدم، فلا ينبغي الاستشهاد بابن مالك مثلا ثم سيبويه بعده في مسألة واحدة، وهذا الترتيب الزمني يفيد في ملاحظة التطور الحاصل في ما يتناوله الباحث من مسائل.

6. تحرير البحث: تحرير البحث هي آخر خطوة أساسية في البحث العلمي، وهي خطوة مهمة، لأنها تُخْرِجُ البحث إلى الوجود في صورته النهائية، ليقرأه الناس، لذلك لا بدّ من إعطائها ما تستحق من عناية واهتمام، وترتبط هذه الخطوة بالأسلوب الذي يحرّر به الباحث بحثه، ولأسلوب البحث العلمي خصائص يتعين مراعاتها، يمكن إجمالها في النقط الآتية:

1.6 الوضوح في التعبير والدقة والابتعاد عن التكلف والتصنع: فالغاية من أسلوب كتابة البحث هي إفهام المخاطبين، والباحث لا يكتب لنفسه أو للمتخصّصين فقط، بل يكتب للناس عامة، لذلك ينبغي أن يراعيَ أحوال المخاطبين وأن يخاطبهم بأسلوب مفهوم قدر الإمكان، وذلك باستعمال ألفاظ متداولة مفهومة، وإن اضطر إلى استعمال لفظ غريب، فعليه أن يشرحه في الهامش. "وشرط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة أو نقص، وهجر ألفاظ الغريب وأنواع المجاز، وزاد المتأخرون أن يكون مسوقا على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة، فمتى كانت الخواطر ثاقبة والأفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح، وإلا فلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل ويوقظ الغافل"(صديق بن حسن القنوجي، 1978، ص189).

وينبغي على الباحث أن يتجنب التصنع والتكلف في التعبير، فلا يستعمل عبارات أو ألفاظا لا فائدة منها في الإيضاح والإفهام، كأن يُكْثِرَ من المرادفات في غير حاجة، أو أن يلجأ إلى التشبيهات والاستعارات والكنايات التي لا حاجة إليها في الإيضاح والبيان، ومن خصائص الأسلوب العلمي الدقة، فلا بد من استعمال المفردات والمصطلحات في محلّها المناسب وبمفهومها الخاص، ولذلك يلجأ بعض الباحثين إلى تحديد المعنى المقصود من مصطلحات يوظفونها في أبحاثهم.

ولعله من المعلوم أنّ الباحث ينبغي أن يكون ملمّا باللغة التي يكتب بها بحثه، وكثرة القراءة هي السبيل النافع لتحسين الأسلوب. والوضوح في التعبير يقتضي أن يحرر الباحث بحثه بجمل قصيرة مترابطة منسجمة فيما بينها، وهذا يتحقق عن طريق ترتيب الجمل ترتيبا متسلسلا، وتوظيف روابط لغوية وغير لغوية مناسبة.

2.6 تجنب الحشو والاستطراد: قلنا إنّ الغاية الكبرى لأسلوب البحث العلمي هي الإيضاح، لذلك يحسن الابتعاد عن كل ما ليس له علاقة بهذه الغاية، من ذلك تجنب الحشو والاستطراد، فلا فائدة من كل كلمة زائدة أو جملة أو فقرة أو فصل أو مبحث في البحث لا يوضح مسألة هي من صلب موضوع البحث، فالمطلوب في أسلوب البحث أن يكون خاليا من الحشو والاستطراد، قال(بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله، ابن جماعة، 2012، ص107): "والأولى أن يعتني بما يعمّ نفعه وتكثر الحاجة إليه، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه متحريا إيضاح العبارة في تأليفه معرضا عن التطويل المملّ والإيجاز المخلّ مع إعطاء كل مصنّف ما يليق به".

وتزداد الحاجة إلى هذا الأمر في عصرنا عصر السرعة، فالناس اليوم لا وقت لهم كي يقرؤوا كلاما كثيرا فيه تكرار وحشو واستطراد، فإن كان هذا مقبولا مستساغا في العصور المتقدمة فإن عصرنا يرفض ذلك، فالإنسان اليوم يحب أن يقرأ قليلا ويستفيد كثيرا.

3.6 تجنب الجزم في الأحكام: لا يحسن بالباحث أن يستعمل أسلوبا يفيد الجزم في الأحكام التي يقرّرها في بحثه، فنتائج البحث تظلّ، مهما بلغت من الدقة والعلمية، نسبية قابلة للأخذ والردّ، ثم إنّ الباحث لا يمكن مهما بذل من جهد أن يحيط بموضوع بحثه من جميع جوانبه، ولذلك من الاحتياط أن لا يجزم الباحث في الأحكام وأن لا يعمّم، فيعبّر عن ذلك بأسلوب وعبارات فيها ترجيح، مثل: يبدو، يظهر، أحسب، لعلّ.

4.6 تجنب الأخطاء النحوية والصرفية والإملائية واللغوية: لكل لغة قواعد لا بد من احترامها أثناء التحرير بها، ووضوح الأفكار مرتبطة باحترام هذه القواعد، وإذا كانت اللغة اشتقاقية إعرابية ازدادت الحاجة إلى العناية بقواعدها في النحو والصرف والإملاء، فلا يخفى أثر القواعد النحوية والصرفية والإملائية في وضوح المعنى في اللغة العربية، فخطأ إعرابي واحد مثلا يؤدي إلى لبس في المعنى، وقد يقلب المعنى رأسا على عقب، ومعروف أنّ اللحن المؤدّي إلى فساد المعنى هو الباعث على نشأة النحو العربي، قال(جلال الدين السيوطي، 1988، ص30): "قدم أعرابي في زمان عمر، فقال من يُقْرِئُنِي مِمَّا أنزلَ الله على محمد، فأَقْرَأَهُ رجلٌ سورةَ براءة فقال: (إنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) (التوبة، الآية3). بِالجَرِّ فقال الأعرابي: أَوَ قَدْ بَرِئَ اللهُ من

رسوله؟ إنْ يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبْرَأُ منه. فبلغَ عمرَ مقالةُ الأعرابي فدعاه فقال يا أعرابيُّ أتبرأ من رسول الله؟".

"... فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال :(إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ) فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأُ ممَّا بَرِئَ اللهُ ورسولُه منه. فأمر عمرُ بنُ الخطاب ألا يُقْرِئَ القرآنَ إلا عالمٌ باللغة، وأمر أبا الأسود فوضع النحوَ" (جلال الدين السيوطي، 1988، ص30-31). ولا عيب في أن يرجع الباحث إلى أهل الاختصاص أو مصادر اللغة ليبحث عما يعنيه في أسلوب بحثه، وفي اللسانيات دراسات كثيرة تهتم باتساق النص وانسجامه(محمد الخطابي، 1991، ومحمد العبد، 2014).

5.6 التوظيف السليم لعلامات الترقيم: لعلامات الترقيم وظائف مهمة في الإفهام والتنظيم، فهي بمثابة علامات توضع في طريق القارئ كي توجهه الوجهة الصحيحة، ولذلك لا يمكن أن يكون كلام الكاتب مفهوما يسير الفهم دون هذه العلامات، فالنقطة والفاصلة والنقطتان والنقطة الفاصلة والمزدوجتان وغيرها وسائل شكلية مهمة لها دورها الأساس في تبليغ الفكرة تبليغا واضحا سهلا، فلو حذفت علامات الترقيم من نص ما لأصبح مبهما عسير الفهم. ومن هنا لا بد للباحث أن يوظفها توظيفا سليما، وأن يعتني بها عناية كاملة. وهذه العلامات هي محاولة لتجسيد بعض الفونيمات الفوقطعية(أحمد مختار عمر، 1997، ص92)، مثل التنغيم والمِفْصَلُ، فجملة: لا أشكرك، ملتبسة في الكتابة، لأنها يمكن أن تَؤَدَّى صوتيا أداء متنوعا يغيّر المعنى، فإذا نطق المتكلم هذه الجملة دون وقفة صوتية بعد لا، مثلا، فإن المعنى هو نفي الشكر، أما إذا وقف بعد لا، فالمعنى مختلف، وفيه إثبات للشكر ونفي لشيء مذكور في السياق، فعلامات الترقيم هي محاولة لتمييز هذه المعاني الصِّوَاتِيَّةِ، لذلك فوضع فاصلة بعد "لا" للدلالة على وقفة صوتية قصيرة، يؤدي معنى مختلفا عن عدم وضع فاصلة بعد "لا". وقد تناول باحثون هذا الموضوع في علم الصواتة، منهم (سمير شريف استيتة، 2008)، و(تمام حسان، 1990)، و(أحمد محمد قدور، 2008)، و(جان كانتينو، 1966).

6.6 عدم الإفراط في استعمال ضمير المتكلم: يلجأ الباحث في بعض الأحيان إلى استعمال ضمير المتكلم المفرد أو الجمع في أسلوب الكتابة، إمَّا ليعبّر عن رأي خاص في مناقشة فكرة، وإمَّا لتقرير نتائج بحثه أو في غير ذلك، واستعمال ضمير المتكلم ليس عيبا، بل قد يكون ضروريا في بعض الأحيان كي تبرز شخصية الباحث، فمهمة الباحث لا تنحصر في الوصف والنقل، بل تتعدى ذلك إلى المقارنة والتحليل والاستنتاج كما أسلفنا، لكن لا ينبغي أن يحضر ضمير المتكلم حضورا طاغيا، بل يحسن أن يستعمل في مقامه المناسب، وتجدر الإشارة إلى أنّ شخصية الباحث يمكن إبرازها دون ضمير المتكلم بصيغ مختلفة، فعوض أن يقول باحث أرى كذا وخلصتُ إلى كذا يمكن أن يقول يرى البحثُ، وخلص البحثُ مثلا.

ورأيي أنّ استعمال ضمير المتكلم المفرد أو الجمع يكون محمودا إذا لم يكن في ذلك مبالغة وإذا استعمل في المقام المناسب، ويبدو أنّ استعمال ضمير المتكلم المفرد أفضل عندما يعبر الكاتب عن رأيه الخاص هو، كي لا يُفْهَمَ أنّ هناك من يشاركه في رأيه، إذ لا فائدة ترجى من استعمال الجمع "نحن" إن كان القصد هو الباحث وحده، وإن كان(عبد الرحمن بدوي، 1977، ص13)

يرى غير ذلك، قال: "أنه إذا نحن استعملنا ضمير الجمع بدل ضمير المفرد في كتاباتنا، فإن هذا الاستعمال تقليد عربي أصيل في صيغة التكلم من صيغ الكلام. ثم لأنه هو الاستعمال المتعارف عليه في المقال العلمي والتأليف الأكاديمي، فضلا على أنه يفيد معنى "المشاركة" و"القرب"، ولا دلالة له إطلاقا على تعظيم الذات ولا على الإعجاب بالنفس".

7.6 تقسيم المتن إلى فقرات منسجمة صغيرة: من الأمور التنظيمية المهمة في تحرير البحث تقسيمه إلى فقرات صغيرة، كي تسهل قراءتها وفهم معناها دون جهد كبير، فكلّما طالت الفقرة صعب الإلمام بفحواها، وأدى طولها إلى ضياع معناها عند القارئ، وقصر الفقرات له وظيفة جمالية للبحث، ذلك أنّ البحث يظهر في صورة قبيحة مُنَفِّرَةٍ إذا كانت فقراتها تستغرق مساحة كبيرة، كأن تكون الصفحة كلها فقرة واحدة، وقصر الفقرة ينسجم مع تجنب الحشو والاستطراد، ذلك بأن الفقرة في الغالب تتناول فكرة واحدة، وتعالجها حسب ما يقتضيه المقام، إما بشرح أو تعليق أو معارضة أو غير ذلك، ومما يراعى في فقرات البحث الانسجام والاتساق، بمعنى أن تكون فقرات البحث مترابطة متماسكة، بينها خيط ناظم، وهذا الترابط يكون معنويا، فالفقرة السابقة تنسجم مع التي تليها انسجاما معنويا، كأن تكون اللاحقة شارحة للسابقة أو معارضة لها، ومن طبيعة الحال فإن للروابط اللغوية دورا في هذا الانسجام بين الفقرات.

8.6 عدم الإفراط في النقل الحرفي من المصادر: اعتماد المصادر والمراجع مسألة أساسية في البحث العلمي، فالبحث لا يقوم إلا بها، لكن لا ينبغي أن يقف الباحث عند حدود النقل، فهذه نقطة الانطلاق فقط، بل لا بد من أن يستثمر مادة البحث كي يخلص إلى نتائج جديدة، ونقل المادة لا يجب أن يكون فيه إفراط، فلا يحسن أن يكون البحث معظمه نقلا حرفيا لكلام الآخرين، فالباحث ينقل ما هو ضروري فقط، والضرورة تقدر بقدرها، وهذا النقل الضروري لا ينبغي أن يطغى على كلام الباحث، إذ عليه أن ينقل ما قلّ ودلّ، فلا يحسن أن ينقل الباحث فقرة كاملة، أو أن يكون الكلام المنقول أكثر من كلامه هو، فالنقل الحرفي الكثير الذي يملأ البحث يوحي إلى ضعف شخصية الباحث، وشخصية الباحث تذوب في النقل الحرفي المفرط.

والسبيل إلى تكوين أسلوب شخصي وأحكام أصيلة هو الإكثار من القراءة، فـ"إشباع النفس بقراءة النصوص النثرية والشعرية والبلاغية والنحوية القديمة ضرورة ملحة لطالب الدراسات العليا، فبها تنصقل قريحته، ويسمو ذوقه، وتتهذب إحساساته، وتتأصل روح النقد والمقارنة فيه، ويظهر أحكامه قبل أن يتأثر بأحكام أصحاب الفروع. وهذا بالتالي يساعده على توليد أحكام الذاتية في نفسه"(محمد التونجي، 1986، ص25)، ولذلك فقراءة المصادر أو المؤلفات القديمة أفضل غالبا من الاكتفاء بقراءة المراجع التي هي فروع عن المصادر، "فمعرفة شعر أبي تمام تأتي من مطالعة ديوانه بدقة أفضل من مطالعة أي كتاب عن أبي تمام. ودراسة المشتقات في شذور الذهب مثلا خير من دراستها في أي كتاب نحوي حديث"(محمد التونجي، 1986، ص25).

7. تصميم البحث:

1.7 العنوان: للعنوان قيمة كبرى في التأليف والبحث العلمي، فهو أول ما يقع عليه بصر القارئ أو أول ما تسمع أذن المستمع، وللعنوان وظائف متنوعة، أهمها تسمية المؤلَّف وتمييزه، والدلالة على مضمونه، والتشويق لقراءته، ولهذا لا بد من الاهتمام بالعنوان وصوغه صياغة تحقق هذه

الوضائف، وقد حدّد (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص53) بعض معايير جودة العنوان، منها أن يكون مُفْصِحًا عن الموضوع، مُبيِّنا لحدوده وأبعاده، موحيا بالأفكار الرئيسة فيه. ويشترط في العنوان أيضا أن يصاغ في عبارة مختصرة، إذ طول العنوان مكروه، وإن كان موضوع البحث يقتضي ذلك فيفضل تذييل العنوان الرئيسي بعنوان فرعي.

2.7 المقدمة: هي عنصر مهم من عناصر البحث العلمي والتأليف، وتسمية هذا العنصر بالمقدمة لا يعني أبدا عدم أهميته أو إمكانية الاستغناء عنه بالنسبة إلى القارئ والمؤلِّف معا، فالمقدمة هي مفتاح البحث وخارطته، ولذلك فالبحث بلا مقدمة أو قراءة بحث دون مقدمته هو سير في مجهول بلا دليل، "فإن منزلة هذه المقدمات من كلّ كلام مؤلَّف منزلة الرأس من الجسد والأساس من البناء، وكما أنّ الرأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، وكذلك المقدمة التي يقدمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه وتقع في ضمه"(علي بن خلف الكاتب، 2003، ص83).

وقد اهتم القدماء بمقدمة التأليف وتحدثوا حديثا علميا منهجا عن مكوناتها، وميزوا في التأليف بين نوعين من المقدمات: مقدمة العلم ومقدمة الكتاب، و" قالوا: الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود، يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية[1]"(صديق بن حسن القنوجي، ص85).

ومنهم من اعتبر مقدمة العلم، ومقدمة الكتاب، اسمين لشيء واحد (احميدة العوني، 2015 ، ص24-25)، قال(أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 1998، ص342): "ورتَّبوا في صدور الكتاب تراجم، تعرب عنه سموها الرؤوس وهي: الاسم، والماهية، والواضع، والغرض، والمرتبة...وهي تارة تضاف إلى العلم، فتكون مقدمة العلم، سواء وضعت في كتاب أو لا، صُدِّرَت أو لا، فمنها ما يتوقف عليه الشروع في العلم توقّفا ما، ومنها ما يُستعَان به استعانة ما كما مرّ، وتارة إلى الكتاب، فتكون مقدمة للكتاب كذلك، ولا بد أن توضع في أوله، ويزاد فيها وينقص بحسب الحاجة".

وهذا دليل واضح على وعي القدماء بأهمية المقدمة، وإبداعهم في تحديد مكوناتها، حيث سمّوها الرؤوس الثمانية أو المبادئ الثمانية، وقد خصّ(عباس أخليفة، 2003) المقدمة في التراث الإسلامي ببحث قيّم، بيّن فيه أنّ هاجس الإبداع كان عنصرا مهما من عناصر المقدمة في التأليف، حيث إنّ المؤلفين كانوا يعبّرون في المقدمة أنهم أتوا بجديد لم يسبقوا إليه...وعلى كل حال يمكن القول إنّ ما يشترط في المقدمة الآن لا يختلف كثيرا عما قرّره القدماء، فالمقدمة لا يمكن أن تؤدي وظائفها إلا إذا توفرت على العناصر الآتية:

أ.بيان مشكلة البحث وحلّها: يستعمل الباحثون اليوم مصطلح " مشكلة" حين حديثهم عن موضوع البحث وأهميته، ذلك بأنه لا يمكن تصور بحث نافع دون مشكلة حقيقية، والمشكلة متنوعة وليست مادية تجريبية دائما، وقد أشرنا إلى "المشكلات" السبع التي تستدعي البحث(انظر

---

[1] أولها الغرض من تدوين الكتاب، وثانيها المنفعة، أي فائدة الكتاب، وثالثها السمة، ويقصد بها تعريف العلم برسمه أو ببيان خاصة من خواصه، ورابعها الواضع الأول لهذا العلم، وخامسها من أي علم هو: من النظريات أو العمليات، من الشرعيات أو غيرها، وسادسها بيان مرتبته ضمن العلوم الأخرى، وسابعها القسمة أي بيان أجزاء العلم وأبوابه ليطلب المتعلم ما يرغب في تعلمه فلا يضيع وقته في التنقيب عما لا حاجة له فيه، وثامنها الأنحاء، ويقصد بها منهج البحث(احميدة العوني، 2015، ص24).

معيار صلاحية موضوع البحث في هذه الدراسة)، وينبغي أن تصف المقدمة مشكلة البحث وحدودها " حتى لا يكون هناك أي لبس فيما يتعلق بالموضوع المحدّد للدراسة.. وفيما يتعلق بالسؤال الذي تحاول الدراسة الإجابة عليه"(أحمد بدر، 1996، ص392)، ويرى (أحمد بدر، 1996، ص393)، أنّ على الباحث أن يذكر الفرض النهائي المُتَوَصَّلَ إليه في المقدمة، ففي نظره لا فائدة من تأجيل ذكر الحلّ إلى آخر البحث، فأسلوب البحث العلمي يختلف عن الكتابة السردية التي تبدأ بذكر المشكلة " العقدة" وتُخْفِي الحلَّ عن القارئ تشويقا له كي يقرأ الرواية مثلا كلها ليكتشف الحلّ آخِرَهَا، "ويمكن أن نقول إذن بأن افتتاحية كل تقرير علمي يجب أن تحتوي على إيضاح دقيق للمشكلة موضع الدراسة، على أن يتلو ذلك مباشرة بيان الحلّ الذي توصل إليه الباحث أي الفرض النهائي Final Hypothesis "(أحمد بدر، 1996، ص392)، و أحسب أنّ هذا الرأي محمود في البحث العلمي، ذلك بأنّ قارئ البحث العلمي لا يرغب في معرفة الحلّ دون متابعة طريقة الباحث في كشف الحلّ، وإعلان الحلّ في المقدمة يدفع القارئ إلى متابعة المناقشة والحجج المتّبعة في الوصول إلى الحل، "إن الحلّ الفعلي للمشكلة يجب أن يكشف عنه قبل تقديم البيانات والمعلومات وهذا الأمر ضروري لمعاونة القارئ في متابعة المناقشة والدليل بشكل سليم"(أحمد بدر، 1996، ص393).

ب.أهمية البحث ودوافعه وأغراضه: جرت العادة على اعتبار أهمية البحث ودوافعه وأغراضه عناصر مستقلة ومهمة في المقدمة، لكن يبدو أن هذه العناصر مرتبطة بمشكلة البحث، فما هي إلا شرح لها وتفصيل، فأهمية البحث ودوافعه تتمحور حول مشكلة البحث، فالمشكلة هي الدافع الحقيقي للبحث النافع، وأهمية البحث مرتبط بوجود مشكلة، فلا يمكن أن نتحدث عن دوافع البحث وأهميته إذا لم تكن هناك مشكلة حقيقية تدفع للبحث وتجعل موضوع البحث مُهِمًّا، إذن فمن الأحسن أن يتحدث عن مشكلة البحث وظروف اكتشافها. وهناك من يتحدث أيضا عن أغراض البحث، وهذا العنصر متصل بالمشكلة أيضا، ذلك بأنّ الغرض الطَّبَعِي والبَدَهِي للبحث بعد تحديد المشكلة هو حلّ هذه المشكلة، ولا غرضَ مُهِمًّا بعد هذا، ولكن يمكن تسويغ إفراد عنصر لأغراض البحث بحاجة بعض مشكلات البحث إلى شرح مقاصدها وبيانها، حيث قد لا يكون تحديد المشكلة وذكر حلّها كافيا لبيان أغراض البحث، كما قد يكون للبحث أغراض أخرى تتفرع عن المشكلة وحلّها الأساس.

ج.نقد الدراسات السابقة: قلنا إنّ الجِدَّةَ من بين شروط موضوع البحث العلمي النافع، ولا يمكن التحقق من جدّة الموضوع إلا بالاطلاع على الدراسات السابقة في مجال الموضوع وسؤال أهل الخبرة والاختصاص. وإن كانت الإحاطة بكل ما كتب في الموضوع، قديما وحديثا، عسيرة أو مستحيلة، فإنّ الانشغال بالموضوع المراد بحثه مدة طويلة وتصفح فهارس المكتبات وعناوين المؤلفات والدراسات في المجلّات والدوريات يمكن أن يبيّن مدى جِدَّةِ الموضوع و مواطن الخلل والنقص فيه إن كان متناولا، والغرض من ذكر الدراسات السابقة في المقدمة هو نقدها، والنقد المفيد في هذا المقام هو بيان مواطن الخلل والنقص، باعتبار ذلك مبررا للبحث، وبغير الاطلاع على الدراسات السابقة " تكون محاولات الباحث ضربا من التخبط الذي يقود حتما إلى تكرار ما سبق أن توصل إليه آخرون، مع احتمال تعرضه لنفس الأخطاء التي تعرضوا لها من قبل، دون

أن تتاح له الفرصة لإضافة أو ابتكار أي جديد في هذا المجال"(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص44).

د.وصف منهج البحث: هذا من بين العناصر الضرورية في المقدمة، ذلك بأنّ الباحث ملزم بأن يصف منهجه وطريقته في الوصول إلى الحلّ، والمناهج تختلف حسب موضوع البحث ومجاله، وتتعدد المناهج غالبا في البحث العلمي، إذ يصعب أن يعتمد الباحث منهجا واحدا، ووصف منهج البحث وطريقته تساعد الباحث أولا على السير ببحثه سيرا سليما كما تسعفه على الوصول إلى نتائج موثوق بها، ويحتاج القارئ إلى معرفة منهج الباحث كي يتتبع هو بنفسه مَسِيرَ البحث من إعلان المشكلة إلى إعلان النتائج.

ه.خلاصة مركزة لأهم خطوات البحث ومحاوره: إذ من وظائف المقدمة أن تقدّم صورة مصغّرة واضحة عن فحوى البحث كلّه، وما يساعد على ذلك ذكر محاور البحث الكبرى والصغرى في البحث. وتجدر الإشارة إلى أنّ الباحث ليس ملزما بأن يذكر هذه العناصر مستقلة واحدة تلو الأخرى، بل تبقى له الحرية في أن يصوغ هذه العناصر وفق ما يراه مناسبا، ويدمج العناصر التي يمكن أن تدمج، إذ يمكن أن يتحدث عن منهج البحث وخطته ونتائجه في سياق واحد.

و.تعريف المصطلحات: قد يعرف الباحث بعض المصطلحات المهمة في بحثه(أحمد عبد المنعم حسن، 1996، ص395)، لأن المصطلحات هي المفاتيح الأساسية للإفهام والتفاهم بين الباحث والقارئ، والمصطلحات التي تستحق الشرح هي التي يشوبها غموض أو لبس وإن كانت شائعة متداولة، وجرت العادة على أن تعرف المصطلحات التي تشكل جوهر موضوع البحث، وهذا التعريف يكون لغويا ثم اصطلاحيا.

متن البحث(العرض): لا يمكن لأي بحث أن يقدم في شكل نص واحد مكون من فقرات عدة دون تقسيمه إلى أجزاء متسلسلة مترابطة يؤدي بعضها إلى بعض، فالبحث مهما كان حجمه لا يستقيم عرضه دفعة واحدة وفي نص واحد وتحت عنوان واحد، إذ لا بد من تجزيئه إلى أجزاء، تسمى في البحوث الطويلة أبوابا وتحتها فصول وتحت الفصول مباحث، ويقسم البحث القصير (مقال) إلى أجزاء يعبر عنها بعناوين مستقلة ترتيب ترتيبا عدديا أو ألفبائيا.

وعدد الأجزاء يقتضيه موضوع البحث، وهذه العملية تبدأ مع أول خطوة في البحث وهي جمع المادة وتصنيفها، ويستمر الباحث في تجزيء بحثه وتعديل الأجزاء، ولا يستقر التقسيم إلا في نهاية البحث عند تحريره. وهذه الأجزاء تقدم وفق المنهج المتبع في البحث، " وتتناول الحيثيات والمناقشات المختلفة واحدة بعد الأخرى"(أحمد بدر، 1996، ص395)، ومما ينبغي مراعاته في أجزاء البحث إلى جانب التسلسل المعنوي، التناسب الكمي. فليس من المناسب أن يشتمل باب على 200 صفحة وباب على 30 صفحة وآخر على 80 صفحة، وليس من المناسب أن يُجَزَّأَ بابٌ إلى أربعة فصول وباب إلى فصل أو فصلين، فلا بد من مراعاة التوازن الكمي العددي بين الأبواب والفصول، لكن لا يعني هذا أن تكون الأجزاء متساوية تماما(عبود عبد الله العسكري، 2004، ص105)، بل المناسب هو التقارب بين أجزاء البحث، حتى لا يبدوَ أَعْوَجَ أَعْرَجَ. وإنْ كان كَمُّ المادة تتحكم فيها أفكار البحث ومدى احتياجها للبيان والتوضيح والدليل، فإنّ الباحث

ينبغي أن يجتهد قدر الإمكان في أن يأتي بحثه متناسقا من حيث عدد أجزاء الأبواب والفصول ومن حيث عدد كل جزء في الباب أو الفصل.

ويحسن أن ينتهي كل جزء أساسي في البحث بفقرة أو فقرات مختصرة " تلخص ما جاء في الجزء وتذكِّر القارئ بالدليل الذي اعتمد عليه الباحث"(أحمد بدر، 1996، ص396)، وهناك أمر آخر مهم في أجزاء البحث هو عناوين الأبواب والفصول والمباحث، فالمطلوب فيها أن تكون دالة على المحتوى دلالة واضحة دقيقة، وعموما فعناوين أجزاء البحث مثلها مثل العنوان الرئيس للبحث لا بد من أن تتوفر فيها شروط الوضوح والدقة والاختصار، وهذا تمثيل للتناسق المرغوب في البحث:

الفصل الأول...90 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة
الفصل الثاني...90 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة
المبحث الأول:..30 صفحة

8.خاتمة: الخاتمة جزء مهم من هيكل البحث، سواء أكان قصيرا أو طويلا، وهي آخر ما يقرأ القارئ أو يسمع السامع، و" هي النتيجة المنطقية لكل ما جرى عرضه ومناقشته، وهي المساهمة الأصيلة والإضافة العلمية الجديدة التي تنسب للباحث بلا مزاحمة أو منافسة، إنها تذهب إلى أبعد من قضايا البحث ومقدماته، حيث تعلن فيها الأحكام وتقرر النتائج" (عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، 2005، ص210)، لكن أحكام البحث لا تعلن في الخاتمة جافّةً، بل لا بد من ملخص يركز أهم الخطوات التي اتبعت في الوصول إلى النتائج، " ولا ينبغي أن يحتوي هذا الملخص على أي معلومات جديدة بل ينبغي أن يجمل في شرحه المختصر المحتويات الكلية لورقة البحث"(أحمد بدر، 1996، ص396).

الخاتمة إذن ينبغي أن تشتمل على أمرين مترابطين وردا في البحث، هما تلخيص مركز لمحتوى البحث وإبراز نتائجه، أما التوصيات أو الاقتراحات فهي ليست جزءا من البحث(بدر، 1996، ص397)، لذلك لا يمكن اعتبارها عنصرا من عناصر الخاتمة، بل هي شيء إضافي يمكن للباحث أن يذكره عند الانتهاء من الخاتمة في فقرة مستقلة، قال(أحمد بدر، 1996، ص407): "وتنتهي ورقة البحث عادة بتلخيص مختصر للدراسة كلها، أما بالنسبة للتوصيات الخاصة باتخاذ إجراء معين بناء على نتائج الدراسة...فلا توضع ولا تعتبر كجزء من الدراسة نفسها".

9.**الفهارس**: ينتهي البحث بفهرس موضوعات البحث (الفصول والمباحث...)، وقد يوضع هذا الفهرس في أول الكتاب بعد المقدمة، ثم تتلوه لائحة المصادر والمراجع، حيث يذكر الباحث المصادر والمراجع التي اعتمدها في بحثه، مرتبة ترتيبا ألفبائيا في الغالب، ذاكرا جميع بيانات

الطبع والنشر. وطريقة تقديم معلومات المصدر تختلف، فهناك طريقة ذكر اسم المصدر أولا ثم اسم صاحبه والمحقق والطبعة ودار النشر والتاريخ، ثم الجزء والصفحة، وهناك من يقدم اسم المؤلف على اسم المصدر، وهناك طريقة (APA) ، وقد أشرنا عند الحديث عن التوثيق إلى عيوب هذه الطريقة.

وقد يشتمل البحث على فهارس أخرى إذا اقتضى الأمر ذلك، ويحتكم في الغالب إلى معيار الكثرة، فإذا ورد في البحث آيات قرآنية كثيرة أو شعر كثير أو أسماء بلدان...يحسن فهرستها في فهارس خاصة، وهذا النوع من الفهرسة يستوجب ذكر صفحة أو صفحات الشيء المفهرس، وقد ذكر (عبود عبد الله العسكري، 2004، ص106-113) المعلومات والطريقة التي تثبت بها في مثل هذه الفهارس.

خاتـــمة:

هذا مقال حاول تلخيص أهم أصول البحث العلمي وقواعده وخطوات كتابته، حيث ذكر الصفات التي تساعد على البحث، من ذلك الصبر والأناة والثقة في النفس والأمانة والموضوعية والقدرة على النقد والتحليل، وأشارت إلى بعض مناهج البحث العلمي الشائعة، منها المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التجريبي والمنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ثم ذكر الخطوات العملية للبحث العلمي، وهي البحث عن موضوع صالح للبحث، وقد حدد معايير صلاحية الموضوع للبحث، وهي الجدة والفائدة، وأشار البحث إلى سبيل العثور على موضوع صالح للبحث، من ذلك مداوة القراءة واليقظة والانشغال وسؤال أهل الاختصاص، ثم تحدث عن الخطوة الثانية وهي جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحليلها، وذكر أهم ما ينبغي مراعاته في الخطوة الثالثة وهي تحرير البحث، من حيث أسلوب الكتابة، وتصميم البحث، وعنونته، وتنسيق أجزائه، كما بين العناصر المهمة في مقدمة البحث وخاتمته، ويظهر أنّ هذا المقال يمكن أن يسدّ الفراغ الذي تعانيه مقررات التعليم المدرسي والجامعي في العالم العربي، حيث يمكن أن يكون دليلا ميسرا سهل المأخذ بين يدي المتعلمين والباحثين والمشرفين على البحوث أيضا، فالمقال أعطى صورة واضحة مكتملة عن أصول البحث العلمي وقواعده وخطواته، وتَمثُّلُ ما جاء في المقال يمكن أن يقضي على التخبط الذي يطبع البحوث غالبا، ويمكن أن ينشر الوعي بأهمية موضوع منهجية البحث العلمي، وهذا يُسهم في رقي البحث العلمي.

ويرى المقال أنّ التوثيق على طريقة الجمعية الأمريكية لعلم النفس فيه عيوب، يحسن تجنبها، أولها نقص معلومات توثيق المصادر والمراجع في متن البحث، ذلك بأنّ ذكر الاسم الأخير للكاتب وتاريخ صدور كتابه فقط، لا قيمة له، لأنه لا يَدُلّ القارئ على المصدر دلالة واضحة، وهذا ما يضطره إلى أن يبحث عن المعلومات الكاملة (الاسم الكامل للكاتب واسم كتابه والمحقق وتاريخ النشر ودار النشر والجزء...) في آخر البحث أو الكتاب، ويضطر إلى أن يكرر هذه العملية مرات عديدة وهو يقرأ المقال أو البحث، وهذا أمر متعب ومنفّر، ولذلك يحسن كثيرا أن نعود إلى الطريقة التقليدية في التوثيق، حيث تذكر المعلومات كلها في هامش كل صفحة في البحث.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور(دس)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
2. أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي(1998)، القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم. ت. وشرح وتعليق وفهرسة وتقديم حميد حماني، ط1، مطبعة شالة، الرباط، المغرب.
3. أبو بشر عثمان ابن قنبر سيبويه(1988)، الكتاب، ت. عبد السلام محمد هارون، ط3، مطبعة الخانجي، القاهرة.
4. أحمد بدر(1996)، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط9، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
5. أحمد عبد المنعم حسن(1996)، أصول البحث العلمي، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
6. أحمد محمد قدور(2008)، مبادئ اللسانيات، ط3، دار الفكر، دمشق.
7. أحمد مختار عمر(1997)، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة.
8. احميدة العوني(2015)، الأسس المنهجية لتبويب النحو العربي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة(2012)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ت. محمد بن مهدي العجمي، ط3، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.
10. تمام حسان(1990)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.
11. جان كانتينو(1966)، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية صالح القرمادي، د.ط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية.
12. جلال الدين السيوطي(1988)، سبب وضع علم العربية، حققه وشرحه وعلّق عليه مروان العطية، ط1، دار الهجرة، بيروت.
13. جلال الدين السيوطي(دس)، التعريف بآداب التأليف، ت. مرزوق علي إبراهيم المؤلف، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
14. جميل صليبا(1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.
15. حامد طاهر(2008)، منهج البحث بين التنظير والتطبيق، ط2، نهضة مصر للطباعة والنشر.
16. ذياب البداينة(1999)، المرشد إلى كتابة الرسائل الجامعية، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
17. رجاء وحيد الدويدري(2002)، البحث العلمي؛ أساسياته النظرية وممارسته العلمية، ط1، دار الفكر، دمشق.
18. سمير شريف استيتة(2008)، اللسانيات؛ المجال والوظيفة والمنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
19. شوقي ضيف(دس)، البحث الأدبي، ط7، دار المعارف، القاهرة.
20. صديق بن حسن القنوجي(1978)، أبجد العلوم؛ الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.
21. طه عبد الرحمن(1998)، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
22. عباس أرحيلة(2003)، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ط1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، المغرب.
23. عبد الرحمن بدوي(1977)، مناهج البحث العلمي، ط3، وكالة المطبوعات، الكويت.
24. عبد الفتاح محمد العيسوي وعبد الرحمن محمد العيسوي(1997)، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعية.

25.عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان(2005)، كتابة البحث العلمي؛ صياغة جديدة، ط9، مكتبة الرشد، الرياض.
26.عبود عبد الله العسكري(2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار النمير، دمشق.
27.علي بن خلف الكاتب(2003)، مواد البناء، ت. حاتم صالح الضامن، ط1، دار البشائر، بدمشق.
28.علي بن محمد الشريف الجرجاني(دس)، معجم التعريفات، ت. محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة.
29.ماريو باي(1998)، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، ط8، عالم الكتب، القاهرة.
30.محمد التونجي(1986)، المنهاج في إعداد البحوث وتحقيق المخطوط، ط1، دار الملاح.
31.محمد الخطابي(1991)، لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
32.محمد الصاوي و محمد مبارك(1992)، البحث العلمي، أسسه وطريقة كتابته، ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة.
33.محمد العبد(2014)، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة.
34.مراد وهبة(2007)، المعجم الفلسفي، ط5، دار قباء الحديثة، القاهرة.
35. Student Experience Team (SET)(2015), A guide to the APA 6th ed. referencing style, Library and Learning Services.

كفاح المرأة السطايفية إبان الثورة التحريرية: المجاهدة الطاوس مساهل نموذجا

The struggle of the Setifian women during the liberation revolution: the struggle of Al-Tawes Messahel model.

أ.شعيب قماز، باحث دكتوراه جامعة باتنة 1– الجزائر
أ.سلامة دربال، باحث دكتوراه جامعة باتنة 1– الجزائر

ملخص: إن المرأة الجزائرية كافحت بحزم منذ سنة 1830م، وقد اشتد جهادها مع مطلع الثورة التحريرية لوعيها السياسي بالمسؤولية الوطنية وبضرورة دعم القضية الجزائرية، والمرأة السطايفية بدورها كانت حازمة في الكفاح إبان الثورة التحريرية في كافة الأصعدة، سواء ما تعلق بالتنشئة السياسية والتعبئة الاجتماعية عبر التعليم، أو النضال السياسي الصادر عن وعيها بالقضية الجزائرية وحتى الكفاح العسكري بجانب المجاهدين في إطار تقديم الدعم المادي من خلال التبرع بالمال وحتى حليها الخاص لتقوية صفوفهم بالحرص على توفير ميزانية منتظمة، ولسد نفقات الحرب ضد فرنسا، أما الدعم المعنوي للمرأة الجزائرية فقد كان بارزا في الجانب الصحي بعلاج الضحايا وتحفيزهم معنويا، ومن بين النماذج التي يمكن الحديث عنها والتي كانت مغيبة إعلاميا، المجاهدة الطاوس مساهل التي ولدت جنوب سطيف وقدمت خدمات جليلة لمراكز الجيش في النّاحية الثّالثة، المنطقة الأولى "الولاية الأولى تاريخيا".

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية؛ كفاح؛المرأة الجزائرية؛ المرأة السطايفية.

Abstract: The Algerian woman has struggled resolutely since 1830. Her struggle intensified with the beginning of the liberation revolution for her political awareness of national responsibility and the need to support the Algerian cause The Setifian women were also resolute in the struggle during the liberation revolution at all levels, or the political struggle of its awareness of the Algerian cause and even the military struggle alongside the Mujahideen in the framework of providing financial support by donating money to strengthen their ranks by ensuring the provision of a regular budget and to meet the expenses of the war against France and silver. Algeria has been prominent in the health side treating the victims and motivate them morally, and among the models that can be talked about, which was absent in the media, striving Al-Tawes Messahel was born south of Setif and provided great services to the centers of the army in the third side, the first region, "the first Wilaya historically."

Keywords: Algerian Revolution ;Algerian Women's Struggle; The Setifian women.

مقدمة:

إن الشعب الجزائري إبان فترة الإستعمار الفرنسي وفي ظل الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان، بما فيها الطبيعية منها، أثبت صموده وقوة كفاحه إلى غاية استرداد حقه، إذ أن الفاعل الرئيسي الذي كان بارز السند يعتبر نسويا بإمتياز، فالمرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية كان لها صيت ذائع يتجاوز الحدود الوطنية الجزائرية والإقليمية العربية لتكون ضمن القضايا المدولة عالميا.

من جهة أخرى، وفي البيان الذي وُجه للجزائريين عشية الإحتلال الفرنسي للجزائر كتب القائد الأعلى للحملة العسكرية الكونت دي برمونت يقول :" ....ثقوا بي لأني لم آت لمحاربتكم، فابقوا راضين ومسالمين حيث أنتم...إني أضمن لكم بأنه ليس منا من ينوي مضرتكم، لا في ممتلكاتكم ولا **عائلاتكم...**(أبو القاسم سعد الله، 1992، ص421)، وبمجرد توقيع اتفاقية الإستسلام مع الداي حسين في 05 جويلية 1830م، والتي تضمنت حقوق الجزائريين وعدم المساس بها حيث يقول كذلك :"...إن دين هذا الشعب، وممتلكاته، وتجارته، وصناعته، بالإضافة إلى **نسائه** ستبقى محترمة أيضاً..."(أبو القاسم سعد الله، 1992، ص423)، بيد أن الجنرال الفرنسي وجنوده استباحوا كل ممتلكات الجزائريين واعتدوا على مقدساتهم، فبالرغم ما وعد به بعدم الإضرار بالعائلات الجزائرية إلا أنه نكث عن وعوده في البيان والمعاهدة.

لقد شكل الإستعمار الفرنسي موجة من العنف المادي والمعنوي كان لها التأثير البليغ في معاناة الشعب الجزائري عبر السياسة المجحفة في حق الأسرة الجزائرية في مقدمتها المرأة التي عانت الأمرين، واستباح المحتل شرفها وأذلها، ومن كل ما سبق نطرح إشكالية الدراسة كالآتي:

إلى أي مدى عملت المرأة السطايفية على الكفاح ضد المستعمر الفرنسي إبان الثورة التحريرية من خلال التركيز على المجاهدة الطاوس مساهل نموذجا؟

ومن أجل الإجابة عن هذه الإشكالية نتبنى المحاور البحثية التالية:

أولا: ظروف المرأة الجزائرية في ظل الإحتلال.

ثانيا: مطلع الثورة التحريرية و جهود المرأة السطايفية.

ثالثا: دور المجاهدة الطاوس مساهل في الناحية الثالثة: المنطقة الأولى "الولاية الأولى تاريخيا".

أهمية الدراسة: تكمن القيمة المعرفية لهذه الدراسة في توليفتها العلمية والعملية، إذا أن الجانب العلمي لهذه الدراسة يقدم قيمة معرفية تكمن في معرفة كافة الظروف التي تعيشها المرأة الجزائرية أثناء الاحتلال وخاصة الفترة التي سبقت الثورة التحريرية، فضلا على فتح نافذة معرفية أمام المهتمين بشؤون كفاح المرأة السطايفية، أما القيمة العملية فتبرز في التعريف ببعض مجاهدات المنطقة اللواتي لم يأخذن القسط الكافي للإشادة بكفاحهن، نظرا للأذى النفسي الكبير الذي يسببه تذكر الوقائع أثناء التصريح، وهذا ما سنعكف عليه من خلال الاشادة بدور المجاهدة الطاوس مساهل في الناحية الثالثة: المنطقة الأولى، الولاية الأولى تاريخيا.

أولا. ظروف المرأة الجزائرية في ظل الإحتلال:

لا شك أن المرأة شقيقة الرجل وأم للرجل، فالمرأة بقيمها ودينها ولغتها وإرادتها وشيمها تلد لنا أبناءاً لنا ومِنّا،خاصة أنهم يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية كما تعمل عليه المرأة

الجزائرية في المجتمع(عبد الرحمان شيبان، 2008، ص45)، إنها المدرس والمكون، فأساس المجتمع المرأة، لذلك فهي مؤسسة وطنية ترسخ القيم الشخصية للوطن، وبالتالي تساهم في تنشأت المواطن (فيصل هومة، 2008، ص14)، فالمرأة في الأمة كالروح من الجسد والراحة من اليد، إذا صلحت، صلحت الأمة كلها، وإذا فسدت، فسدت الأمة كلها(حمزة أبوكوشة، 1936، ص63).

لقد كان التاريخ شاهداً على إنجازات المرأة الجزائرية في جميع الأصعدة والميادين منذ 1830م وكانت مشاركتها فعّالة فترة المقاومات الشعبية ضد المستعمر، والدليل على ذلك تشبعها بالقيم الوطنية ومحاولة تجسيدها على أرض الواقع بجهادها ضد المستعمر، وأبسط مثال على ذلك يقدمه لنا الأسير الألماني سيمون بيفايفر الذي عاش خمس سنوات الأولى من الإحتلال في الجزائر فقال بأن النساء اللواتي رافقن الرجال إلى أرض المعركة أصبحن بحاجة إلى مساعدات طبية بعد قِتالهن في أرض المعركة إلى جانب الرجال(سيمون بيفايفر، 1974، ص91).

وقد اشتهرت الأسرة الجزائرية في عهد الإستعمار الفرنسي بالتّمسك القوي بالدين والمحافظة التامة على عِرض الأسرة وكرامتها، أما فيما يتعلق بالدين فنجد بأن المصلحين منذ بداية الإحتلال بذلوا النفس والنفيس من أجل الحفاظ على مبادئ المجتمع ومقوماته الأساسية، فنجد أن الأعياد الدينية كانت فرصةً للتقرب من الشعب بالوعظ والإرشاد في الخطب المسجدية، أما فيما يخص المحافظة على كرامة الأسرة وشرفها فيعود ذلك إلى تأثر المجتمع بالدين الإسلامي الذي هو أساس الشّخصية الجزائرية، وكذلك معاداة أفراد المجتمع للعادات الأجنبية الاستعمارية، وكان الرجل يصون المرأة ويدافع عن عرضها، والمرأة تقدس تلك الميزة التي يتحلى بها زوجها(لصفر خديجة خيار، 1974، ص 48-49).

ومن أجل معرفة ظروف المرأة الجزائرية في ظل الاحتلال سيتم الكشف عن طريقة تلقي المرأة الجزائرية للتعليم، وكيف ترجم هذا التحصيل العلمي إلى مقاومة سياسية، فضلا عن الكشف عن جهود ومعاناة المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية كما هو آت.

1. المرأة الجزائرية بين التعليم والمقاومة السياسية

إن بوادر المقاومة السياسية تجسدت على يد الأمير خالد الذي جاء بحياة سياسية لم تكن مألوفة لدى الشعب الجزائري، قبل القرن العشرين فكانت من بين نقاط برنامجه الذي يتضمن المساواة في الحقوق بين الرجل الجزائري والرجل الأوربي، وكذلك بالنسبة للمرأة، كما نوه الأمير خالد إلى الاهتمام بالمرأة وتحقيق مطالبها، وتلبية رغباتها(سعيد بورنان، 2004، ص37-38)، تحققت هذه المطالب نوعاً ما، إلا أن المرأة أرادت أن تكون إلى جانب الرجل دوماً بصفته الأب والأخ والزوج والإبن، وكانت المرأة قد دخلت المعترك السياسي منذ عهد الأمير خالد، وبالتالي مشاركتها في الفعاليات السياسية ومختلف التظاهرات(البشير مداني، 2007، ص 317).

في هاته الفترة حصلت المرأة على التعليم فأدركت حقاً حساسية وعظمة المسؤولية الوطنية من خلال إقبالها على المدارس الحرة والثانويات والجامعات، ومنها تجسد حضورها السياسي، بدايةً بتلك الزغاريد في خطابات الأمير خالد، ثم من بعده في خطابات مصالي الحاج(أنيسة بركات درار، 1985، ص20-23).

وبتوصية من الشيخ عبد الحميد بن باديس، كلفت جمعية العلماء بعد تأسيسها، ثلاث معلمات للغة العربية وهذا لأول مرة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بالتعليم في مدارس الجمعية بمدينة قسنطينة، وهذه أول لبنة لدخول المرأة ميدان التربية والتعليم، وهن حورية عربية، عقيلة كحلوش ونعناعة ونيسي أخت زهور ونيسي(زهور ونيسي، 2012، ص110).

إن تطور الحياة السياسية في الجزائر بتأسيس النوادي والجمعيات والأحزاب السياسية كان له الأثر الواضح في تفعيل نشاط المرأة في الحياة السياسية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وتغير مواقف الحركة الوطنية، وحتى رجال الفكر والثقافة، وكانت الضرورة ماسةً بتغير وجهة النظر تجاه المرأة، ومن ثم تم إدراجها في الحياة الاجتماعية من جديد، ودمجها في الجمعيات والنوادي.

وما ساعد على ذلك هو تلقيها للعلم في المدارس الحرة والمدارس الفرنسية، خاصة فتيات المدن وبالأخص لما صدر قانون 1947م، فكانت الطالبات تتابع دراستهن بالكليات وبالتالي اقتحامهن للحياة السياسية والثقافية(أحمد مريوش، 2007، ص104)، فبعد هذا التاريخ صارت المرأة الجزائرية لها الحق في الإنتخاب وتعتبر أولى الحقوق السياسية التي نالتها(أنيسة بركات درار، 1985، ص20).

انطلاقا مما سبق بدأت المرأة تعي مسؤولية الدفاع عن الوطن، ترجمت هذه الأحاسيس شيئاً فشيئاً إلى أفعال، وذلك بتأسيس جمعية النساء المسلمات المكونة من المعلمات التي يُدرسن في المدارس الحرة، وينشطن في المجال الاجتماعي، بهدف مساعدة السجناء السياسيين، من رجال الحركة الوطنية خاصةً(يحي بوعزيز، 2009، ص146).

ومن عناصرها النشيطة مامية شنتوف التي كانت تعمل قابلة، ونفيسة حمود طالبة كلية الطب وسليمة بن جفان والسيدة بن عجمان ونوار باية وباية أعراب والسيدة شوشالي والسيدة بومعزة، وقد نشطت هذه الجمعية في إلقاء الدروس والمحاضرات، وتساند الحركة الوطنية في جميع فعالياتها، فكانت مثالاً يُقتدى به لنساء المجتمع الجزائري في تلك الفترة(يحي بوعزيز، 2009، ص146)، وقد ساهمت المرأة في الحركة الإصلاحية والمنظمات والجمعيات والهيئات الوطنية وفي المسيرات والمظاهرات(محمد قنطاري، 2009، ص31).

فالمرأة الجزائرية التي أرادها الاحتلال الفرنسي أن تكون تحت وطأة الجهل والإستعباد وأن تعاني من الجهل الجاثم على العقول والجمود، وبفضل الحركة الوطنية الجزائرية برز في الكثير من المقالات في الصحف والندوات عنت بالنهوض بحقها في التعليم والثقافة، ففي الفترة الممتدة ما بين الأربعينيات والخمسينيات ثابرت المرأة على فرض و إثبات وجودها في النضال السياسي والاجتماعي(محمد قنطاري، 2009، ص33).

إن اقتحام المرأة في الميدان السياسي مكنها من رفع مستواها الفكري والثقافي والاجتماعي ما ساعدها على الولوج في ميادين عديدة كانت قد حُرمت منها في القرن التاسع عشر، مثل التمريض الصيدلة، الطب، التعليم، والخياطة والطرز في المدن الكبرى، والعمل الفلاحي والصناعة الحرفية الطينية والنسيجية في الريف(عمار قليل، 1991، ص370).

لقد كان تطور الحياة السياسية في الجزائر خاصة بعد حوادث 08 ماي 1945م، كل هاته الفترة والأحداث والظروف ساهمت في توعية المرأة بقضيتها الوطنية، ولم ترضى أن تكون معزولةً عن الأحداث وكانت في موقع يسمح لها أن تناضل بنمطين هما:

-نضال غير مباشر: المساهمة في الحركات الإصلاحية الاجتماعية يدل ذلك على زخم انتعاشها الفكري ووعيها بالأحداث المعلمية التاريخية للجزائر.

-نضال مباشر : الموقف الذي اتخذته منذ بداية الإحتلال وذلك بالإستماتة في الدفاع عن شخصيتها الوطنية ومقوماتها العربية الإسلامية(أنيسة بركات درار، 1985، ص13-14).

وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأسر الجزائرية التي كانت تسمح بالتعلم للذكور في المقابل لم يكن متاحا للبنات التعلم في المدرسة الفرنسية بحكم التقاليد، وتعلم الإبن له أكثر من مبرر من بينها ضرورة الخبز وضمان القوت، أما المرأة فكانت هي الملاذ الذي لجأت إليه الشخصية الوطنية بعفوية ورد فعل تلقائي خاصة عندما اندلعت الثورة التي ردت لها اعتبارها، من خلال دورها البارز في الحفاظ على الشخصية الوطنية، والإعداد النفسي للثورة ومخططات الإحتلال الذي كان يعمل على تحطيمها كما جاء في تحليلات فرانز فانون(محمد الميلي، 2010، ص147-148)، تكتب وفق طريقة المجلة(محمد الميلي، 2010، ص147-148).

ومن توصيات بعض لقاءات أعضاء جمعية العلماء، وجوب تعليم البنت، وتحديد المدة وفصلهن عن صفوف الأبناء حتى لا يتحرج الأباء ولا المعلمون، والمدة يتم تحديدها للإبن والبنت(باعزيز بن عمر، د س، ص97)، حتى النساء الأمِّيات كُنَّ يحضرن الدروس المسائية التي كان الإمام ابن باديس يخصصها للمرأة القسنطينية بين صلاة الظهر وصلاة العصر، بالجامع الأخضر، دروس تربوية وفي مجالات أدبية واجتماعية، هذه الدروس كانت لا تستغني عنها أم ولا ربة بيت ولا امرأة في ذلك الوقت كما قالت زهور ونيسي عن أمها التي كانت تعيد ما استوعبته على جاراتها(زهور ونيسي، 2012، ص73-74).

ينظر الإمام إبن باديس للمرأة بأنها ركيزة المجتمع ولها دور بارز في الحياة والمجتمع، لذلك كان من المتحمسين لتعليمها، وجعلها دائرة للمثل الدينية والأخلاقية والقومية، ولم ينظر إليها من زاوية ربة المنزل، ولكنها مربية الأجيال وفق المنهج الإسلامي المعقول فالمرأة الجزائرية بلغتها ودينها، التي يجب علينا أن نعرفها بحقائقها، وبذلك لفائدة الأجيال اللاحقة(عمار كنوش، 1936، ص08).

ويقول الإمام لعمودي في هذا الصدد:" التعليم مهم لبناتنا إذْ يغرس في هن شروط المرأة المسلمة، مع التحفظ بتعليمها بما يتلاءم وعقليتها"(رابح تركي، 2003، ص177)، وكان ابن باديس أول من نادى بتعليم المرأة فبتعليمها يستطيع الحفاظ على مقومات المجتمع(مجلة سيتيفيس، 2005، ص05).

كانت المرأة قبل ظهور حركة الإصلاح تعاني الجمود، لكن في إطار التعليم الديني الوطني نجد الإمام عبد الحميد ابن باديس يقول :" إرفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا الحجاب الشرعي عن وجهها، وهذا هو الإصلاح الحقيقي..."، كما شبه المرأة بجناح الطائرة فإن فُقد الجناح سقطت الطائرة، والجناح الآخر هو الرجل، وبالتالي الطائرة هي الأمة، ففُتحت لهن

مدرسة الجامع الأخضر وتخرجن منهن مجموعة من الطالبات، أصبحن معلمات في مدارس الجمعية(أحمد طالب الإبراهيمي، 1997، ص120).

أما عن تعليم المرأة في منطقة القبائل، فتذكر بعض المصادر الفرنسية أن المرأة في جرجرة لا تتعلم وتتصف بالجهل والأمية، وأن التعليم القرآني يقتصر إلا على البنين، ومن النادر أن تجد غير ذلك، إلا أن المؤرخ أبو القاسم سعد الله، فنَّد ذلك وأعطى عدة أمثلة على نساء متعلمات من منطقة القبائل منها السيدة ذهبية بنت محمد بن يحي أحد شيوخ زاوية اليلولي، فقد كانت ذهبية متعلمة، وكانت لا تكف عن المطالعة في كتب أبيها، بالإضافة إلى السيدة زهراء بنت العربي بن أبي داود، والتي كانت معروفة بالصلاح والتعلم والحكمة، وكان أفراد قريتها يشاورونها في أمور الدين والدنيا، ولها أشعار كثيرة في اللغة القبائلية، وهناك الكثير من أمثال هاته النساء، مثل باية بنت أحمد حسان زوجة الشيخ عاشور الخنقي، والتي كانت من حفظة وقراء القرآن، وعالمة بعدة علوم(أبو القاسم سعد الله، 2009، ص340-341).

بناءا على ما سبق، يمكن القول أن المرأة الجزائرية بعد تحصيلها المعرفي عبر المدارس الحرة والثانويات والجامعات قد تشكلت كرأس مال معرفي جزائري، حيث تم الاستفادة منه بعد أن تُرجم إلى بنى مؤسساتية متمثلة في الجمعيات النسوية والمظاهرات و الفعاليات، والتي تعبر عن الكفاحي السياسي للمرأة عبر كافة ربوع الوطن.

2. جهود ومعاناة المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية:

لقد جاء على لسان المجاهدة فاطمة خليف التي وقعت في الأسر وقد بُترت ذراعاها من قبل المحتل عند تعذيبها واستنطاقها، أن المرأة ساهمت في الحركة الإصلاحية والمنظمات والجمعيات والهيئات الوطنية وفي المسيرات والمظاهرات، وخلال الثورة ساهمت في علاج جرحى المعارك وإعداد الطعام وغسل الملابس والتكفل بالأيتام، والاتصال بالمناضلين من أفراد الشعب لتجنيدهم في صفوف جيش التحرير وتشجيع النساء والرجال على الزواج لحفظ كرامتهن وشرفهن من العدو (محمد قنطاري، 2009، ص33)، فلم يكن الرجال المناضلين وجنود جيش التحرير هم وحدهم ضحايا لجرائم الجيش الفرنسي خلال ثورة نوفمبر بل شمل كافة أفراد المجتمع الجزائري من الرجال والنساء، فكانت عملية اغتصاب النساء الجزائريات من طرف الجيش الفرنسي هو الخبز اليومي لهذا الجيش طيلة مرحلة حرب التحرير(سعدي بزيان، 2009، ص71).

ولا يمكن حصر هذه القضية في عدة حالات فقط، فقد قدرتها مصادر فرنسية إلى أربعة آلاف حالة اغتصاب، ويجهل عدد الأطفال غير الشرعيين، وكانت لويزات إغيل أحريز إحدى ضحايا الاغتصاب والتي كان والدها ضابطا في الدرك الفرنسي وله مخبزة كانت قاعدة لإيواء مناضلي جيش التحرير، لكنه اعتقل شهر جانفي 1955 ولم يطلق سراحه إلا بعد الاستقلال من سجن بربروس شهر أفريل 1962، وقد اعتقلت هي الأخرى في مقر الفرقة العاشرة للمظليين خلال معركة الجزائر برفقة أختها مليكة التي تعرضت هي الأخرى إلى جميع أنواع التعذيب، ولم يطلق سراحها إلا بعد الاستقلال(سعدي بزيان، 2009، ص78).

ومن اللواتي عانين مآسي التعذيب أيضا مليكة قريشي التي اعتقلت في 07 أوت 1957 واقتيدت من طرف المظليين إلى مدرسة ساوري القريبة من حي القصبة، وقد أدلت بشهادتها وما

لاقته من تعذيب من طرف الضابطين **شميت** برتبة ملازم والآخر نقيب، فقاما بنزع ثيابها وسلطوا الكهرباء على ثدييها وعندما طلبت شرب الماء، عمد أحد الضباط بالتبول في فمها، واستمرت على هذه الحال سبعة عشر يوما، ثم نقلت إلى تولون، وتولوز وبو بعد أن فقدت إحدى عينيها، وهي تحمل آثار الجروح إلى اليوم جراء التعذيب، وقد كتبت عدة صحف شهادتها ومنها: لوموند ولوفيغارو الفرنسيتان، والغريب في الأمر أن الضابط الذي تولى تعذيبها صار رئيس هيئة الأركان الفرنسية سنة 1987-1991(سعدي بزيان، 2009، ص82-83).

وقد تفنن الإحتلال الفرنسي في التعذيب واستكشاف طرق ووسائل كثيرة لاستنطاق ضحاياهم من تعذيب نفسي وجسدي ومعنوي، وكانت الكثير من المعتقلات التي خصصت فيها غرف لاعتقال النساء على غرار معتقل قصر الطير الواقع بجنوب سطيف، فمن خلال شهادة المجاهد جوهاري الفضيل الذي أدلى بشهادته حول طرق ووسائل التعذيب في هذا المعتقل، أخبرنا عن الغرف التي خُصصت للنساء اللواتي يُشتبه في علاقتهن مع جبهة التحرير وما لاقينه من تعذيب(شهادة حية للمجاهد جوهاري الفضيل، 25 جانفي 2018)، وقد قامت القوات الفرنسية وأجهزتها الطبية والبيولوجية بتجارب حيوانية استنساخية على المرأة الجزائرية، ومن وسائل التعذيب التي مارسها المحتل، ربط الموقوف عاريا أمام الملأ لإذلاله وكسر معنوياته(محمد قنطاري، 2009، ص33).

وقد اعترف الجنرال ماسو بأن التعذيب خلال حرب الجزائر كان مشاعا، وكانت شهادة خيرة التي اغتصبها جنود الجيش الفرنسي وهي والدة محمد قارن الذي ظل سنين يبحث عن والدته ولم يعثر عنها حتى سنة 1988 بعد رحلة بحث مضنية، وقد اعترف القضاء الفرنسي بجزء من حقوقه، وهو ثمرة ذلك الاغتصاب، وقد توالت اعترافات لعدة جنرالات فرنسيين بممارسات التعذيب والتصفيات الجسدية وفي مقدمتهم ماسو، ثم بول أوساريس، في حين أنكر الجنرال بيجار وجود تعذيب أصلا(سعدي بزيان، 2009، ص56).

ثانيا. مطلع الثورة التحريرية و جهود المرأة السطايفية

المرأة من الأمة كالروح من الجسد، والراحة من اليد، إذا صلحت صلحت الأمة كلها، وإذا فسدت فسدت الأمة كلها، فكان للمرأة السطايفية شأن كبير في المجتمع السطايفي، وكانت الكثير من النساء لهن مكانة مرموقة في المجتمع على غرار الأميرة أم هاني التي وصفها الطبيب الفرنسي جان أندري بايصونال في كتابه رحلة إلى إيالتي تونس والجزائر، قبل فترة الإحتلال، ففي زيارته إلى سطيف وصف لنا طريقة استقبالها ومكانتها في قبيلتها ومدى احترام الأعيان والسكان لها، فوصفها في أبهى منظر لها داخل خيمتها النظيفة، ومدى إحساسه بالراحة عندما جلس بين يديها(أحمد ظريف، دس، ص15).

للمرأة السطايفية ملحمة بطولية عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث وحتى المعاصر، على غرار كل النساء الجزائريات، لا سيما في الميادين السياسية، والعسكرية، والثورية(عبد الكريم بوصفصاف، 1997، ص82)، فقبل الثورة التحريرية قدمت ولاية سطيف تضحيات كبرى من

خلال مجازر الثامن ماي 1945م*، حيث شاركت السطايفيات في مسيرات الحركة الوطنية، من خلال مساهمتهن في الإستعراض الضخم بسطيف، الذي نظم في شارع قسنطينة، فكانت النساء تزغردن (علي تابليت، 2009، ص17)، فالمهرجانات السابقة التي نظمت، والمسيرة التي اختتمت بالدماء، عبر عنها محافظ الشرطة في سطيف في تقرير له حول الغضب الذي التبس فيه حقد التجار اليهود واندفاع الكولون، والرعب الذي أحدثته نشاطات الحركة الوطنية، فكانت المجزرة ردة فعل طبيعية بالنسبة للكولون الذين أحسوا بنهايتهم وبقناعة شد الأمتعة(جون لوي بلانش، 2007، ص199).

وكانت مذبحة شابت لهولها الأطفال واقشعرت لها الأبدان، فكان الجنود الفرنسيون يقتحمون البيوت عنوةً، فيذبحون الأطفال والنساء ويغتصبون شرف العذارى بعنف ووحشية، ففي إحدى المناظر المؤلمة حسب شهود عايشوا المجزرة :" رأينا رضيعاً ملوثا بالدماء يبحث عن ثديي أمه المقطوعة الرأس حال دون أن تستجيب الضحية لصراخ ابنها، هذا المنظر المؤلم الذي امتزجت فيه بسمة الرضيع بمصيبة الأمة الذبيحة(شهادات للذاكرة حول مجازر 08 ماي 1945م، ولاية سطيف، ص 14).

وفي الثورة التحريرية عانت المرأة السطايفية حتى داخل المحتشدات التي أنشأها المحتل بغرض التضييق على الثورة مثل ما مرت به الأسر السطايفية الآتية من منطقة أولاد تبان ورحلت إلى محتشد بازر سكرة، فالظروف الاقتصادية المترتبة عن التهجير وكذلك الفئات التي كانت داخل المحتشد (مسنين، نساء، أطفال) لم يكن بمقدورهم تحمل عبأ المعيشة فأصبح مصيرهم تحت إشراف القيادة العسكرية ومكاتب SAS التي كانت توزع أقساط زهيدة من الشعير لا تزيد عن 11 كلغ* في الشهر للفرد البالغ، والشائع أنه في معظم المحتشدات يحرم منها الأطفال، وكذلك ليست رسمية(محمد شمبازي، 2008، ص62).

1. خنساوات سطيف:

قدمت المرأة السطايفية خدماتها الشخصية للثورة التحريرية منذ اندلاعها، ولم تدخر أية مجهود في سبيل إنجاحها، فضحت بأغلى ما يمتلكه الإنسان من زينة الدنيا، فقدمت الخنساوات السطايفيات أبناءهن وقودا للثورة، فهناك خمسة نساء في ولاية سطيف قدمت الواحدة من هن أربعة شهداء(محمد ميموني وآخرون، 2010، ص92) على غرار المجاهدة مسعودة بوضياف بنت أحمد، من بلدية أوريسيا والتي نشأت في وسط ريفي فلاحي، في عائلة محافظة متمسكة بعاداتها وتقاليدها، وفي أحداث الثامن ماي 45 ضحت العائلة بشهيدين، فكانت الثورة فالتحلق

---

* لقد ركز اليسار الفرنسي على أن المجاعة التي مست الجزائريين في تلك الفترة التي اجتاحت الجزائر، والحرمان الناتج عن الحرب والأزمة الاقتصادية هي التي كانت سببا في انتفاضة الشعب، أي كانت ثورة جياع لا ثورة وعي(رضوان عيناد ثابت، 2005، ص123).

*حدث هذا كذلك خلال المجاعة التي مر بها الجزائريون خلال الحرب العالمية الثانية، حيث كان يخصص للجزائري الواحد 7.5 كلغ من الشعير في المناطق الريفية فيما يحصل المستوطنون لخنازيرهم على قنطار للرأس الواحد..." (رضوان عيناد ثابت، 2005،ص 124)

أفراد العائلة لينضموا للعمل المسلح، كردة فعل على همجية الإستعمار الذي قتل العشرات من أهل المنطقة.

وفي خضم الثورة دفعت الخنساء مسعودة بستة من أبنائها فلذات كبدها، استشهد منهم أربعة وهم مسعود، محمد، الصالح، وعبد الرحمان أبناء أحمد بوضياف رحمهم الله، وقد قدمت خدمات جليلة للثورة من خلال فتح بيتها للمجاهدين في كل الأوقات، بحكم ان البيت كان واقعا في منطقة جبيلة استراتيجية بجانب جبل مغرس، وكانت تنقل الأخبار للثوار خلال رعيها لغنمها، فكانت المجاهدة مسعودة يُضرب المثل بها في شدة الصبر وقمة الحياء والشجاعة، فكانت تتمتع بقوة الإيمان وقفت أمام استشهاد أبنائها الأربعة موقف بطولي وشجاع، خاصة باقتناعها أثناء الثورة التحريرية أن أبناءها الخمس استشهدوا إلا بعد الاستقلال ظهرت أخبار ابنها المبروك، إضافة إلى ما عاناه الإبن السادس إبراهيم، الذي تلقى كل أنواع التعذيب النفسي والجسدي، لدرجة أن أحد الضباط الفرنسيين قام بغرز الخنجر في ظهره، فكان قاب قوسين أو أدنى من الموت(متحف المجاهد، ولاية سطيف، معلومات مجموعة في شكل شهادات لمجاهدين عايشوا الثورة حول شهداء سطيف).

أما الخنساوات اللواتي ضحين بثلاثة أبناء من أسرهن فكان عددهن 39 امرأة من مختلف بلديات سطيف(محمد ميموني وآخرون، 2010، ص92) ، وهناك من فقدن أزواجهن كذلك في الحرب التحريرية أي فقدت زوجها وثلاثة أبناء، على غرار المجاهدة المناضلة، اليامنة جفال من بلدية البلاعة.

بالإضافة إلى النساء اللواتي فقدن اثنين من أبنائهن، فيوجد 408 امرأة من ولاية سطيف من مختلف المناطق، وهناك من فقدت زوجها وابنيها، مثل السيدة زوليخة حراد بنت أعمر من بلدية بابور، وحليمة برسيس من البلدية نفسها، والسيدة مباركة عليوي بنت علي من بلدية البلاعة، كذلك السيدة عقون حدة أرملة للشهيد محمد بن ادريس، وابنيها رشيد وعبد المجيد من بلدية تيزي نبشار، وتجدر الإشارة أن هناك عائلات فقدت ستة أفراد، مثل عائلة رحال الصغير الذي فقد أربعة أبناء من الأم فاطمة صالحاوي، واثنين من الأبناء من أمهم بن عيسى يمينة(محمد ميموني وآخرون، 2010، ص 109).

2. شهيدات الواجب بولاية سطيف:

قدمت المرأة السطايفية بأبنائها كتضحية في سبيل الوطن دون تردد، فكيف لا تكون هي في الواجهة ضحية للتسلط الإستعماري، ووقود للثورة التحريرية، فهناك العشرات إن لم نقل المئات من السطايفيات من كن في صفوف الثورة التحريرية سقطن شهيدات الواجب الوطني، من بين تلك النساء نجد الشهيدة البطلة خرشي مليكة، والتي ولدت بالمغرب الأقصى في 16 سبتمبر 1939م، من أصل سطايفي، في عائلة ميسورة الحال ذات مكانة اجتماعية وثقافية محترمة، زاولت دراستها في مسقط رأسها، وتدرجت في جميع مراحل الدراسة إلى أن وصلت للمستوى النهائي، عزباء لم تتزوج

منبتها الطيب جعلها تتميز بأخلاقها العالية وشخصيتها القوية، جعلها تكتسب ثقة زميلاتها ومجنديها في الثورة التحريرية، التحقت بصفوف جيش التحرير الوطني أوئل سنة 1957م،

بالولاية الثانية التاريخية قامت بجهود معتبرة في مجال التمريض وتقديم الإسعافات للجرحى، وتجهيز الطعام، فكان التفاني في العمل والانضباط، شعاران لا يغادران سلوكها، لكن فقدتها كتائب جيش التحرير في أحد عملياته بعد قصف الطيران الفرنسي لهم بعد أن مني الجيش الفرنسي بخسائر فادحة، وكان ذلك في 1960م.

أما الشهيدة البطلة حمايزي جميلة كانت من بين النساء اللواتي تحدين تقاليد المجتمع وثقافته، وقدمن من التضحيات ما يعجز العقل عن تصورها، فقد ولدت الشهيدة في 22 سبتمبر 1930م، بأولاد تبان بقرية بونصرون، تنشأتها ريفية، كبرت في أسرة فقيرة، انتقلت بعد زواجها رفقة بعلها، إلى ولاية سكيكدة ليشتغل بالمنجم الواقع بالعالية، وخلال أحداث هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955م، والتي خطط لها قائد الولاية الثانية زيغود يوسف، قام زوجها بمساعدة جنود جيش التحرير في الهجوم على حراس المنجم، ثم فرت جميلة رفقة زوجها إلى جبال المنطقة مع أفراد جيش التحرير، ثم سلكا مع مجموعة كبيرة كانت تشتغل هناك مع الأهل طريق العودة نحو جنوب سطيف، ليمروا عبر السلاسل الجبلية والأودية مشيا على الأقدام، حتى وصلوا إلى دوار أولاد تبان، وبالذات إلى مركز الجيش بفيرمة درمان ساعد أحد أقاربها، ثم نقلت إلى مركز ثاني بمشتة أولاد حناش القسمة الرابعة، للناحية الثالثة، لتشرف على أعمال مركز آخر في لعثاثة، إلى غاية 1957م، حيث حاصر الجيش الفرنسي دوار أولاد حناش، لينسحب أفراد جيش التحرير إلى غابة قرن الكبش لتبدأ المعركة منتصف النهار، حيث استخدم الجيش الفرنسي الطائرات والمدفعية الثقيلة، المتواجدة ببرج لغدير وبرهوم، فاستشهد قائد الفرقة هبال علاوة ومجموعة من جيش التحرير من بينهم الشهيدة حمايزي جميلة.

ومن أروع ما يجب ذكره تلك التبرعات التي قدمتها المرأة الجزائرية سنة 1956، حين قررت جبهة التحرير تقوية صفها بالمال لتكون لها ميزانية منتظمة ولسد نفقات الحرب ضد فرنسا، فقد تنافست النساء الجزائريات في هذه العطايا فكانت الواحدة منهن تهب أسورتها والثانية عقدها والثالثة خاتمها وقد جمعت جبهة التحرير كميات معتبرة من الذهب والمال(عبد المالك مرتاض، 2010، ص40).

وقد ساهمت المرأة السطايفية على غرار النساء الجزائريات حتى في مرحلة البناء بعد الإستقلال و بشكل كبير في تقديم التبرعات لسلطات الجزائر المستقلة، فمعظم النساء قدموا ما تبقى لهم من حلي رغم قلة ما يمتلكون كما توضحه الوثيقة رقم 01، بحيث جمع قادة جبهة التحرير الكثير من الفضة التي كانت عبارة عن حلي للزينة للنساء في جنوب سطيف، حيث قدرت حجم الكمية المستلمة 70 كلغ من الفضة استلمها الملازم الأول سلطاني موسى من المجاهد كباب الحسين بتاريخ 1962/10/13م، في الناحية الثالثة، المنطقة الأولى، الولاية التاريخية.

ثالثا. دور المجاهدة الطاوس مساهل في الناحية الثالثة: المنطقة الأولى "الولاية الأولى تاريخيا"

ولدت المجاهدة الطاوس مساهل زوجة الشّهيد بلجرو الطيب، في 1937/12/28م، في منطقة تنزارت الواقعة جنوب سطيف بلدية صالح باي حاليا، وكانت من بين النساء اللواتي شاركن في الثورة التحريرية إلى جانب مجاهدي المنطقة، من خلال تقديم مختلف الخدمات للمجاهدين في

مراكز جيش التحرير في قرية أفرط، وتعتبر من المجاهدات المغمورات اللواتي لم ينلن حقهن في الكتابة بسبب غياب الكتابات التاريخية المحلية، وعزوف أهل التخصص في خوض غمار التأريخ المحلي، لأسباب عدة، وقد حالفنا الحظ أن تقدمنا وقمنا بحوار شخصي مع المجاهدة في شهادة حية حول ما قدمته من أعمال لجيش التحرير خلال الثورة التحريرية.

على غرار الظروف السيئة التي كان الشعب الجزائري يعيشها، والمستوى المعيشي المتدني لمختلف فئات المجتمع، كانت كذلك أسرة الطفلة الطاوس قد هاجرت نحو ولاية باتنة بحثا عن لقمة العيش، لفترة من الزمن، وبعد العودة إلى مسقط رأسها، قام والدها بتزويجها في سن مبكرة جدا، فدخلت البيت الزوجية وعمرها إحدى عشر سنة فقط، وبعد مرور سنوات عدة من زواجها هاجر زوجها كذلك للبحث عن الرزق، لكن ما وراء البحار إلى أرض المحتل، وقد لبث أعوام هناك، وبعد اندلاع الثورة مباشرة رجع إلى أرض الوطن والتحق مباشرة بالثورة في المنطقة الجنوبية لسطيف، ثم انضم أخويه كذلك إلى جانبه(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

تقول المجاهدة الطاوس أن الفترة الأولى من الثورة، أن القرية أفرط رغم احتوائها على مركز دعم وإسناد، إلا أن الهدوء كان يعمها، ورغم تجنيد الكثير من أبناء تلك القرى المحاذية لمدينة باسكال(صالح باي حاليا)، لكن بعد خيانة بعض أفراد القرية (أفرط)، بدأ التضييق من طرف فرق العدو، فجرت عدة معارك هناك(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26) أبرزها معركة بومخروز في ديسمبر 1957م، بالقرية شارك فيها أكثر من 110 جندي بقيادة الملازم حسن بوزراعة قائد الناحية الثالثة، المنطقة الأولى، الولاية الأولى التاريخية، والتي خلفت استشهاد ثلاثة شهداء، ومقتل عدد من الجنود الفرنسيين وتم إسقاط طائرة من طراز ت6(علية بن الطاهر، 1984، ص54).

وبعد هاته المعركة بقيت قوات الإحتلال الفرنسي تمشط المنطقة لمدة أسبوع تحاصر القرية وتعتقل كل من يشتبه به أن له علاقة مع جيش التحرير، وقد لاحقتها القوات الفرنسية من قرية إلى قرية ومن بيت إلى آخر بسبب زوجها الطيب الذي كانت له يد في تجنيد العديد من شباب الدشرة، وكانت تقصد بعض المخابئ في الجبال المجاورة(جبل بغيول، وجبل مخروز) رفقة زوجها الطيب بلجرو لتقديم يد المساعدة، من طبخ وغسيل، إذ صرحت بقولها:" كنا نقدم الأفرشة ونحن بأمس الحاجة إليها، ونمنح المجاهدين الكسرة ونحن جائعين، وقد قتل في تلك الفترة سبعة مدنيين من القرية معظمهم من عائلة عزازقة وقام الضباط الفرنسيون من استنطاق إخوة زوجها الطيب، بالضرب المبرح للبوح بأي معلومة تخص المجاهد الطيب بلجرو زوج المجاهدة الطاوس".

وقد فرت بجلدها نحو مدينة عين آزال حيث لبثت أربعة أشهر هناك، ثم إلى عين اولمان، حيث بقيت حوالي ستة أشهر، تاركة وراءها أبناءها مشردين بين بيوت الأهل، وقد ساعدت جبهة التحرير خلال هاته الفترة، في عملية جمع الإشتراكات في بعض القرى المتواجدة بعين اولمان لتمويل الثورة، وحسب شهادتها في مجلة أول نوفمبر من سنة 1984م، أنه عندما اكتشف أمرها أُرسلت إلى العاصمة وكلفت بمهمة تسليم رسالة إلى المسبل غربي عمار في منطقة بلكور،

وكانت الرسالة تتضمن طلب التمويل للمنطقة، وقد جمعت مبلغا من المال وعادت به إلى عين اولمان، وسلمته إلى الفدائي كعبش البخوش(خيرة حسيب، 1984، ص44)، لكن خلال شهادتها معنا نفت قصتها حول سفرها نحو العاصمة في تلك الفترة (شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

وعندما رزقت بطفل وهي في أحد بيوت أهلها، استطاع المحتل الوصول إليها على إثر معلومة قدمها أحد العملاء الخونة، وأُخذت إلى أقرب سجن بتنزارت، وقد ضربها الجنود الفرنسيون أثناء تقييدها ونقلها، فكانت الدماء تسيل من أنفها بعدما كسرت، وضُربت إحدى وجنتيها بالحجر، حقدا لزوجها الطيب، ثم أَخذت الحاجة الطاوس نفسا عميقة، وصمتت برهة من الزمن ثم باشرت حديثها، وأخبرتني أنها لا تحب الخوض في الحديث حول الثورة وماعانته عائلتها(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

ثم أكملت حديثها حول عملية اعتقالها، فقد كان الإعتقال أيام شهر رمضان المعظم وللمرة الثانية وقد وُضعت في غرفة ضيقة (سيلونة)، إلى جانب امرأة أخرى كانت من القرية نفسها والمسماة مريم بلعدوي، وقد نالت من التعذيب ما نالت، وقد مورست كل أنواع التعذيب على الطاوس حتى الكهرباء والماء البارد، ولم يرأف بها جلادوها رغم علمهم بأنها قد وضعت حديثا، إلا أنها لم تذكر اسما واحدا من الفدائيين أو المسبلين الذين تعاملت معهم، وقد مكثت بالسجن ثلاثة أيام بلياليها تأن وتتألم، فأكثرت من الصراخ على إثر الجراح التي آلمتها، وعن ابنها الرضيع الذي لم ترضعه مدة ثلاثة أيام متتالية، فقرر الضابط المسؤول عن المركز إطلاق سراحها، فرجعت مباشرة إلى بيت أبيها(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

وبالطريقة نفسها أخذت أم المجاهدة الطاوس إلى السجن مرتين متتاليتين، قصد استنطاقها بسبب استخدام بيت العائلة كمركز لإيواء المجاهدين، إلا أن التعذيب والإذلال ومختلف الإهانات، لم تمنع العائلة ونسائها عن تأدية واجب الجهاد، فقد كانت المجاهدة الطاوس مع نساء القرية يقمن بالطبخ، وغسل ملابس جنود جيش التحرير، فيضعن الملابس المدنية فوق الملابس العسكرية بغرض تجفيفها، لكي لا يلاحظها الوشاة، فيتعرض المركز للوشاية كالمرات السابقة، وفي إحدى المرات قام أحد إخوة زوجها الطيب بجمع أهل القرية في تويزة الشراطة، حيث ذبح خمسة أغنام، فقامت نسوة القرية بالطبخ والتحضير لمختلف الأطعمة، وقد دعا فيها قادة جيش التحرير في المنطقة فحضر الجنود في شكل مجموعات صغيرة لكي لا يلفتوا الإنتباه، إلا أن الوشاة أذاعوا الخبر سريعا للقوات الفرنسية، فقامت بقصف القرية بالمدفعية المتمركزة بصالح باي وعين آزال، ففر الجنود والفدائيين نحو قمم الجبال، وعلى إثرها اعتقل الكثير من رجال القرية.

وفي السنوات الأخيرة للثورة ضاقت الدنيا بما رحبت على كتائب جيش التحرير بسبب التضييق وازدياد الخيانة والوشاية، فظن الكثير أن الثورة انتهت كما أخبرتنا الحاجة الطاوس، فالخونة قدموا كل التسهيلات للفرنسيين ظنا منهم أن فرنسا باقية، وفي تلك الفترة بالضبط جاءها خبر استشهاد المجاهد زوجها الطيب بلجرو كالصاعقة، في 1961م(محمد ميموني وآخرون، 2010، ص 98)، إلا أن الثورة استمرت رغم كل الصعوبات، ولما سألتها عن الإستقلال ويوم

سماعهم نبأ وقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م، فردت أجل لقد فرحنا بالإستقلال لكن بإحساس ممزوج بالشعور بالحزن بسبب فراق الأحباء، الذين قدموا أنفسهم للوطن(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

وكنا ننتظر أخبارا سارة، حول رجوع إخوة الطيب إلى البيت على أساس أنهم على قيد الحياة لكن الفاجعة كانت أكبر لما وصل نبأ استشهادهم كذلك في المعارك التي جرت ضد قوات الإحتلال الفرنسي فكانت خنساء القرية والمنطقة، الأم عائشة مساهل إبنة عم المجاهدة الطاوس، حيث فقدت ثلاث أبناء الطاهر، وسالم والطيب زوج المجاهدة الطاوس(شهادة حية ومسجلة مع **المجاهدة مساهل الطاوس**، 2018/02/26).

خاتمة:

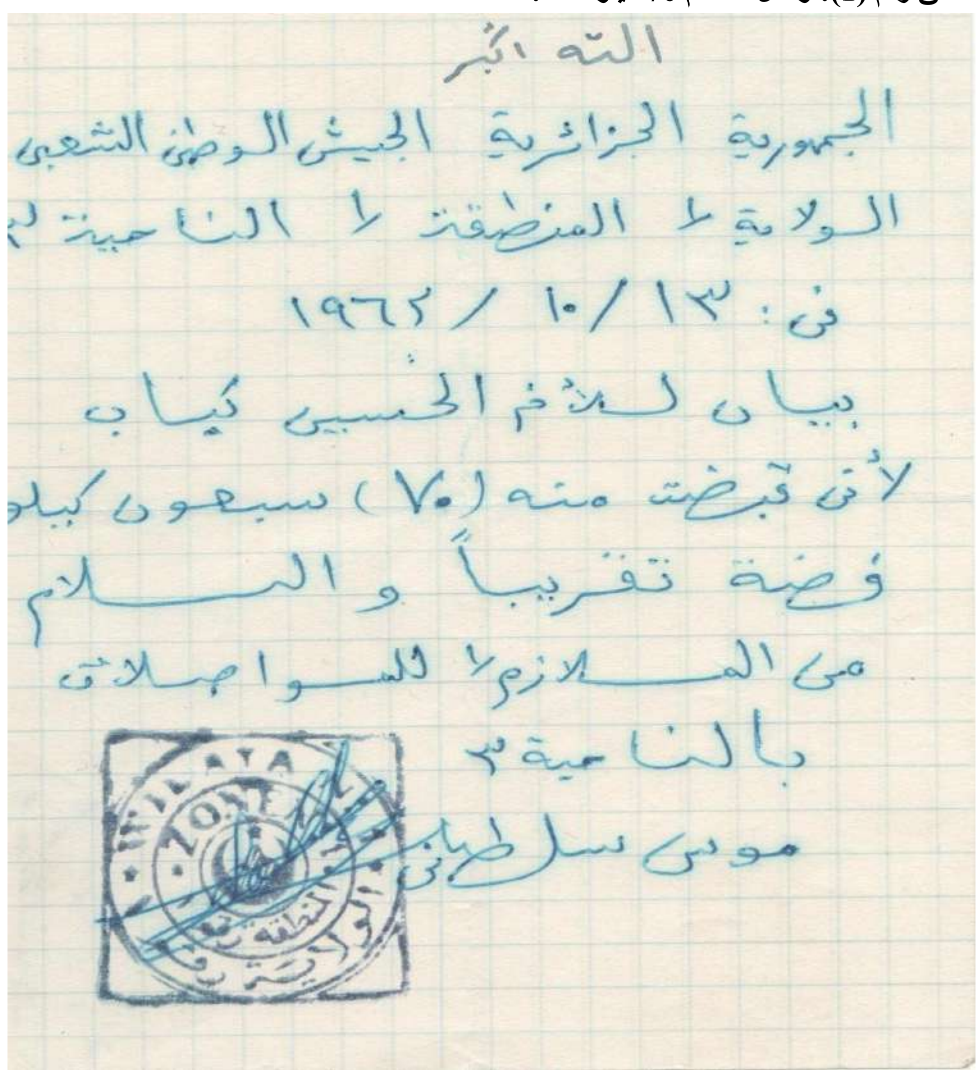
كحوصلة معرفية لمضامين كفاح المرأة السطايفية إبان الثورة التحريرية نستشف أن هذا الكفاح كان يشمل جميع الجوانب السياسية من خلال نشر الوعي السياسي لتقوية مبادئ القضية الجزائرية، واقتصادي من خلال عملية الدعم المالي لتوفير ميزانية منتظمة، وإجتماعي من خلال ربط العلاقات بين المجاهدين والمدنيين، وصحي من خلال محاولة احتواء الاصابات التي تعرض لها المجاهدين.

بيد أن هذا الكفاح كان له تحديات وعواقب وخيمة على المرأة الجزائرية عموما والسطايفية خصوصا، وقد برز ذلك في انتهاكات حقوق الإنسان بكافة أشكالها، من تعذيب و قتل واعتداءات مادية ومعنوية، وسلب وتشريد وتهجير، أي أن المرأة السطايفية دفعت ثمن الاستقلال باهضا جدا.

ويبدو أن المجاهدة الطاوس مساهل التي أدلت بشهادتها الحية تعتبر واحدة من النساء اللواتي ساهمن في دعم الثورة الجزائرية كغيرها من ملايين المجاهدات اللواتي لم يحظين بتوثيق تاريخي وتغطية إعلامية عادلة، حتى أن البعض منهن يرفضن الإدلاء بشهادتهن لما يسببه ذلك من ضرر نفسي جراء تذكر الأحداث الأليمة خاصة إذا تعرضن للتعذيب.

ملاحق:

ملحق رقم (1): وصل استلام 70 كيلو فضة.



الله أكبر

الجمهورية الجزائرية الجيش الوطني الشعبي

الولاية 1 المنطقة 1 الناحية 3

في: 13 / 10 / 1962

بيان للأخ الحسين كتاب

لأني قبضت منه (70) سبعون كيلو

فضة تقريباً والسلام

من الملازم الثاني المواصلات

بالناحية 3

موسى سلطاني

المصدر: أرشيف خاص غير مصنف.

قائمة المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله(1992)، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م،ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
2. أبو القاسم سعد الله(2009)، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج6، دار البصائر، ط 6، الجزائر.
3. أحمد طالب الإبراهيمي(1997)، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، دار الغرب الإسلامي.
4. أحمد ظريف(د س)، العقد اللطيف في ذكر نصوص من تاريخ سطيف، د دار طبع.
5. أحمد مريوش(2007)، مكانة المرأة في التراث الجزائري، كفاح المرأة الجزائرية، منشورات المركز الوطني للبحث والدراسات في تاريخ الحركة الوطنية وثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، الجزائر.
6. إحياء الذكرى الثانية والخمسون لمجازر 08 ماي 1945م، شهادات للذاكرة حول مجازر 08 ماي 1945م، ولاية سطيف.
7. أنيسة بركات درار(1985)، نضال المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
8. باعزيز بن عمر (د س)، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، ط 2، منشورات الحبر، الجزائر.
9. بزيان سعدي(2009)، دور الطبقة العاملة في المهجر في ثورة نوفمبر 1954م، ط2، دار ثالة للطباعة والنشر، الجزائر.
10.البشير مداني(2007)، كفاح المرأة الجزائرية، نظام المرأة في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، ط 2 ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، الجزائر.
11.جون لوي بلانش(2007)، سطيف 1945م، بوادر المجزرة، دار القصبة، الجزائر.
12.حمزة أبوكوشة(21 فيفري 1936)، قيمة المرأة في المجتمع، البصائر، جرائد جمعية العلماء المسلمين، العدد 08،وزارة الثقافة، الجزائر.
13.خيرة حسيب(1984)، شهادة المجاهدة الطاوس بلجرو، مجلة أول نوفمبر، ع65، الجزائر.
14.رابح تركي(2003)، الشيخ عبد الحميد بن باديس، باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، الجزائر.
15.رضوان عيناد ثابت(2005)، 8 أيار/ماي 45، والإبادة الجماعية، في الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر.
16.زهور ونيسي(2012)، عبر الزهور والأشواك، مسار إمرأة، دار القصبة للنشر، طبعة خاصة من وزارة المجاهدين، الجزائر.
17.سعيد بورنان(2004)، شخصيات بارزة في تاريخ الجزائر1830م-1962م، دار الأمل للنشر، الجزائر.
18.سيمون بيفايفر(1974)، مذاكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تر أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
19.شهادة حية للمجاهد جوهاري الفضيل(25 جانفي 2018)، بمعتقل قصر الطير، قصر الأبطال، سطيف.
20.شهادة حية ومسجلة مع المجاهدة مساهل الطاوس(2018/02/26م)، زوجة الشهيد الطيب بلجرو،صالح باي.
21.عبد الرحمان شيبان(2008)، مقدمة مجلة الشهاب، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

22.عبد الكريم بوصفصاف(جويلية 1997)، جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف وتضحياتها الكبرى (1954-1962م)، مساعدة وإخراج:ذراع الطاهر، إشراف: محمد بن داس مدير المجاهدين بسطيف، مطبعة عمار قرفي، باتنة.
23.عبد المالك مرتاض(2010)، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر.
24.علي تابليت(2009)، 08 ماي 1945م، دار ثالة، الجزائر.
25.علية بن الطاهر(1984)، محمد عيكوس، مجلة أول نوفمبر، ع66، الجزائر.
26.عمار قليل(1991)، ملحمة الجزائر الجديدة، دار البعث للنشر والتوزيع، الجزائر.
27.عمار كنوش(16 أفريل 1936)، "سير الحركة الدينية"،البصائر، ع15، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة.
28.فيصل هومة(2008)، وصفة التغيير، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
29.لصفر خديجة خيار(أوت 1974)، عفة المرأة المجاهدة وضمان الثورة لكرامتها، مجلة أول نوفمبر، ع07، وزارة المجاهدين، الجزائر.
30.متحف المجاهد، ولاية سطيف، معلومات مجموعة في شكل شهادات لمجاهدين عايشوا الثورة حول شهداء سطيف.
31.محمد الميلي(2010)، فرانز فانون والثورة الجزائرية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر.
32.محمد شمبازي(2008)، المحتشات بولاية سطيف محتشد (بازر سكرة) نموذجا 1954-1962، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، جامعة منتوري قسنطينة.
33.محمد قنطاري(2009)، من بطولات المرأة الجزائرية في الثورة وجرائم الاستعمار الفرنسي، دار الغرب وهران، الجزائر.
34.محمد ميموني وآخرون(ماي2010)، سطيف تاريخ وأمجاد، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف.
35.مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف(ماي2010)، سطيف تاريخ وأمجاد، إعداد وتقديم محمد ميموني وآخرون،الجزائر.
36.يحي بوعزيز(2009)، المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.
37.يحي بوعزيز(2005)، "عبد الحميد بن باديس"، مجلة سيتيفيس، ع02، مطبعة الوفاء، سطيف.

التمويل المحلي للتنمية المحلية: تجارب تنموية (الهند، مصر، الجزائر)

Local Financing for Local Development: Development Experiences(India, Egypt, Algeria)

د.داودي أحمد، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية بجامعة الجزائر3

ملخص: إن التمويل المحلي يعبر عن مدى استقلالية الإدارة المحلية في اتخاذ القرارات بعيدا عن تأثير الإدارة المركزية، لتحقيق الاختصاصات الموكلة لها والإنفاق على المشاريع التي تهم مواطنيها بما لها من موارد مالية مستقلة. ويتطلب تنمية هذه الموارد أن تملكها هذه الجماعات المحلية. أما التنمية المحلية فهي العملية التي بواسطتها يمكن تحقيق التعاون الفعال بين الجهود الشعبية والجهود الحكومية للارتقاء بمستويات المجتمعات المحلية والوحدات المحلية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا.

ولتحقيق التنمية المحلية تحتاج الجماعات المحلية لتمويل محلي ذاتي بقدر كاف لتحقيقها وإنجاحها ، فالعلاقة بينهما طردية يتأثر مدى تطور التنمية المحلية بمدى اعتماد الإدارة المحلية على مواردها المالية الذاتية، فكلما زادت هذه الأخيرة زاد نشاط الإدارة و اهتمامها بالمشاريع التنموية والعكس صحيح، حيث تخضع إلى هيمنة الدولة و تدخلها بتوجيه الإعانات إلى نفقات معينة دون الأخرى، خاصة وأن الجماعات المحلية تستفيد من نسبة ضئيلة من الضرائب التي تمثل مصدرا هاما من مصادر التمويل المحلي مقارنة بالإدارة المركزية، سلطات واسعة في الحصول على إيرادات خاصة بها، وأن تكون لها ميزانية خاصة بها يتم فيها تحديد النفقات العامة ودعم اللامركزية المالية من خلال فرضها ضرائب ورسوم في إطار ضوابط مركزية، بالإضافة إلى تحويل طبيعة إعانات الإدارة المركزية من تخصيصية إلى إجمالية، وأن يتم تقديمها في الوقت المناسب لتحقيق الهدف منها و هو التنمية المحلية.

الكلمات المفتاحية: التنمية المحلية، التمويل المحلي، التمويل الإنمائي، تجارب تنموية، التنمية بالمشاركة الشعبية.

Abstract: Domestic finance reflects the autonomy of the local administration in decision-making, far from the influence of the central administration, to achieve the competencies assigned to it and to spend on projects of interest to its citizens with its own independent financial resources. The development of these resources requires their ownership by these local communities. Local development is the process by which effective cooperation between grassroots efforts and government efforts can be achieved to elevate the levels of local communities and units economically, socially, culturally and civilizing. In order to achieve local development, local communities need sufficient local funding to achieve and succeed, and the relationship between them is affected by the extent to which local development is influenced by the extent to which the local administration has relied on its own financial resources, the more the latter increases the activity of the administration and its interest in the projects Development and vice versa, where it is subject to state dominance and intervention by channelling subsidies to certain expenses, especially as local communities benefit from a small proportion of taxes, which are an important

source of domestic finance compared to the central administration, have broad powers to obtain private income And to have its own budget, in which public expenditures are determined and financial decentralization is supported by imposing taxes and fees under centralized controls, in addition to transforming the nature of the central administration's subsidies from allocative to total, and to be presented in time to achieve the goal of the Local development.

Keywords: local development, domestic finance, development finance, development expériences, populaire participation.

مقدمة:

تعتمد التنمية المحلية بالدرجة الأولى على التمويل المحلي لإحداث زيادات في مستويات التنمية المحلية ذلك أنها تنطلق من القاعدة الشعبية العريضة فتعبر عن احتياجاتها الفعلية إلى مختلف المشروعات وتوجه الجهود الحكومية إلى إحقاق المشروعات التنموية الضرورية للمحليات، حيث أن إحقاق برامج ومشروعات التنمية المحلية يتطلب تعبئة أكبر قدر ممكن من الموارد المالية المحلية، وعلى الغالب يعتبر عنصر التنمية المحلية أهم هذه المشاريع ما دام أن ضبط مفهوم التنمية أخذ في الآونة الأخيرة يمتد إلى مجالات أوسع من تلك التعريفات الكلاسيكية(التنمية والبيئة، التنمية والمحيط، التنمية المستدامة).

ولأجل تجسيد هذا الدور أُرفقت هذه المهام بمصادر تمويل مختلفة ومتنوعة من ضرائب مباشرة وغير مباشرة ورسوم مماثلة وحقوق ومداخل الأملاك وغيرها، غير أن حجم هذه المصادر أضحى لا يتوافق وحجم الصلاحيات المحلية المتنامية، كما أن استئثار الإدارة المركزية بحصة الأسد من الجباية العادية، واستحواذ المدن الكبرى دون سواها على الأنشطة الاقتصادية، زاد من تفاقم الأزمة، بينما تبقى غالبية الحكومات عاجزة عن تمويل مصاريف التسيير.

ولأهمية هذا الموضوع وضرورته في مجال التمويل والتنمية نطرح إشكالية المداخلة في السؤال التالي: ما هو دور التمويل المحلي للنهوض بالتنمية المحلية؟ والتعرف على بعض تجارب اقتصاديات الدول النامية ؟ وسنحاول أن نتناوله بالدراسة كما يلي:

أولا. ماهية التمويل المحلي

1.مفهوم التمويل المحلي: يعتبر التمويل المحلي من الضروريات اللازمة والأساسية لقيام التنمية المحلية، حيث تتطلب هذه الأخيرة تعبئة أكبر قدر ممكن من الموارد المالية المحلية، ويعرف التمويل المحلي بأنه كل الموارد المالية المتاحة والتي يمكن توفيرها من مصادر مختلفة لتمويل التنمية المحلية بالصورة التي تحقق أكبر معدلات لتلك التنمية عبر الزمن، وتعظم استقلالية المحليات عن الحكومة المركزية في تحقيق التنمية المحلية المنشودة(عبد المطلب، 2001، ص22).

ولتنمية الموارد المالية فإنه يجب توسيع سلطات الوحدات المحلية في الحصول على إيراداتها الذاتية، وأن يكون لكل منها موازنة مستقلة، يتم إعدادها على المستوى المحلي، بحيث يتم ترشيد الإنفاق العام، وتطوير القدرات الفنية والإدارية للعاملين، وإعداد الدراسات الفنية والاقتصادية وتهيئة المناخ المناسب للاستثمار، وتنظيم الجهود الذاتية الخاصة بالأفراد والقطاع الخاص، ودعم

اللامركزية المالية من خلال توسيع صلاحيات الوحدات المحلية في فرض الضرائب والرسوم في إطار ضوابط مركزية(مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة، دس، ص65).

2. شروط التمويل المحلي: للموارد المالية المحلية شروط معينة لابد من توافرها، وأهم هذه الشروط هي:

محلية المورد: يقصد بمحلية المورد أن يكون وعاء المورد بالكامل في نطاق الوحدة المحلية التي تستفيد من حصيلة هذا الوعاء، وأن يكون هذا الوعاء متميزا بقدر الإمكان عن أوعية الموارد المركزية.

ذاتية المورد: يقصد بذاتية المورد استقلالية الهيئات المحلية في سلطة تقدير سعر المورد في حدود معينة أحيانا، وربطه وتحصيله حتى تتمكن من التوفيق بين احتياجاتها المالية و حصيلة الموارد المتاحة لها(الزغبي، 1985، ص12).

سهولة تسيير المورد: يقصد بسهولة تسيير المورد سهولة تقديره وكيفية تحصيله وكذا تكلفة تحصيله(حاجي، 2004، ص06).

ثانيا. مصادر التمويل المحلي

1.مشكلة التمويل و الموارد المالية المحلية: تواجه الوحدات المحلية في تحقيق برامج التنمية المحلية على مستوى وحداتها مشكلة التمويل، وضعف الموارد المالية المحلية المخصصة لأغراض التنمية، وبذلك يصعب على هذه الوحدات تنفيذ كافة أو بعض البرامج التنموية الضرورية لسكان الوحدات المحلية. إن هذه المشكلة تخص الاستقلال الفعلي والحقيقي للوحدات المحلية في الحصول على الموارد المالية حيث تتقيد حريتها برقابة السلطة المركزية في فرض الضرائب والرسوم المحلية وعلى الاقتراض، كما تتقيد كذلك حريتها بالرقابة على ميزانيتها، وعلى أوجه الصرف الخاص بإيراداتها المختلفة، غير أن عدم كفاية الموارد المالية المحلية لا يعود فقط إلى القيود التي تمارسها السلطة المركزية وإنما يعود كذلك إلى صغر حجم الوحدات المحلية التي لا يمكنها الحصول على الموارد الذاتية الكافية، وذلك لوجود علاقة قوية بين مساحة الوحدة المحلية ومواردها المالية، حيث أن القدرة التمويلية غالبا ما تتناسب عكسيا مع كبر الوحدات المحلية وكثافتها السكانية ودرجة تقدمها الحضاري.

ولتنمية الموارد المالية المحلية يجب مراعاة:

-تحقيق اللامركزية في الإنفاق وترشيد الإنفاق العام.

-تطوير القدرات الفنية والاقتصادية للمشروعات وإعداد الدراسات الفنية.

-التخلص من المخزونات الراكدة أو إفادة وحدات محلية أخرى بها.

-تهيئة المناخ المناسب للاستثمار.

-تشجيع وتنظيم الجهود الذاتية الخاصة بالأفراد ورجال الأعمال وإسناد بعض الخدمات إلى شركات خاصة والتنسيق بين المؤسسات والبنوك المتخصصة.

-الاهتمام بالسياحة كمصدر للتمويل الذاتي.

-تفعيل آليات المشاركة الشعبية في المشروعات والوحدات المحلية.

2. مصادر الموارد المالية المحلية: وتنقسم موارد تمويل الإدارة المحلية إلى قسمين رئيسيين: هما الموارد المحلية الذاتية والموارد المحلية الخارجية، فالموارد الذاتية هي تلك الناتجة عن الضرائب والرسوم المحلية الأصلية والمضافة على الضرائب والرسوم القومية إضافة إلى الموارد الخاصة والناتجة عن تشغيل واستثمار المرافق المحلية المختلفة.

أما الموارد الخارجية فهي الناتجة عن المساعدات المالية التي تقدمها الدولة لوحداتها المحلية لدعم ميزانياتها إضافة إلى القروض والهبات والتبرعات، وستظهر هذه الموارد بالشكل التالي:

الموارد المحلية الذاتية: تنقسم الموارد المحلية الذاتية إلى عدد من الموارد الفرعية والتي تعتمد عليها النظم المحلية ذاتيا في تمويل التنمية المحلية، هذه الموارد الذاتية تختلف في تنوعها ومقدارها من بلد إلى آخر بحكم الإمكانيات المالية المتوفرة لديه وبحكم الأنظمة الاقتصادية المتبعة، على أن أهم هذه الموارد هي:

أ-الضريبة المحلية: تعرف الضريبة العامة بأنها فريضة مالية يدفعها الفرد جبرا إلى الدولة أو إحدى الهيئات العامة المحلية بصورة نهائية مساهمة منه في التكاليف والأعباء دون أن يعود عليه نفع خاص مقابل دفع الضريبة(سوزي، 2003، ص115)، أما الضرائب المحلية فهي كل فريضة مالية تتقاضاها الهيئات المحلية على سبيل الإلزام في نطاق الوحدة الإدارية التي تمثلها دون مقابل معين بقصد تحقيق منفعة عامة(مراد، 1962، ص63).

وبالتالي يتضح أن الضريبة المحلية تدفع في نطاق الوحدة المحلية إلى المجالس المحلية من قبل أفراد الوحدة المحلية أو المجتمع المحلي على عكس الضريبة العامة التي تدفع إلى الهيئات العامة للدولة من قبل جميع مواطني وأفراد الدولة مساهمة في الأعباء العامة، وبهذا فإن مواصفات الضريبة المحلية تتلخص في ضرورة أن تتحقق القواعد العامة للضريبة التي من أهمها تحقيق العدالة والمساواة في التضحية بالإضافة إلى محلية الوعاء وسهولة تقدير الضريبة المحلية لتتمكن المجالس المحلية من تخطيط مشروعاتها ووضع موازناتها تبعا للتقديرات المتوقعة لحصيلة الموارد المقدرة لها(عبد المطلب، 2001، ص73).

ب-الرسوم المحلية: يتم تحصيل الرسوم المحلية مقابل خدمات تؤديها الإدارة المحلية للمواطنين حيث تعود بالنفع والفائدة على دافعي هذه الرسوم، وتشكل حصيلة هذه الرسوم موارد عامة للإدارات المحلية(الزغبي، 1985، ص22).

للوحدات المحلية حق تحصيل نوعين من الرسوم: رسوم محلية عامة وهي رسوم تفرض بقوانين وقرارات وزارية وليست محلية، ورسوم ذات طابع محلي وتفرض بقرارات محلية يصدرها المجلس الشعبي المحلي ويوافق عليها مجلس الوزراء.

ويتمثل النوع الأول في رسوم التراخيص للمحال الصناعية والتجارية والعامة ورسوم التفتيش المقررة عليها ورسوم النظافة، أما النوع الثاني فيتمثل في رسوم رخص المحاجر وحصيلة رسومات مبيعات الرمل ومختلف الأحجار المستخرجة من المحاجر والمناجم ورسومات استهلاك المياه والكهرباء والغاز(سمير محمد، 2003، ص252).

ج-إيرادات الأملاك العامة للهيئات المحلية: يوجد أنواع من الإيرادات التي تتولد منها أملاك الهيئات العامة مثل الإيجارات التي تحصل عن طريق تقويم خدمة السكن لمحدودي الدخل في

شكل إقامة أو تشييد مساكن أو تأجيرها بإيجارات ملائمة لمحدودي الدخل فأصبحت بذلك هذه الإيجارات موردا هاما للمحليات(عبد المطلب، 2001، ص82)، سواء أكانت ناتجة عن تأجير المرافق العامة المحلية أو تشغيلها أو إدارتها مباشرة لقاء أثمان محدودة تعود على المجالس المحلية لدى البنوك أو المقدمة لبعض الهيئات المحلية كقروض.

الموارد المالية الخارجية: إن التأكيد على أهمية الموارد المالية المحلية في دعم الاستقلال الإداري للمحليات لا يعني تغطية كافة نفقات مشروعات التنمية المحلية من الموارد الذاتية لأن ذلك قد يبطئ من معدلات التنمية المطلوبة ولذلك فإنه يتم اللجوء إلى الموارد المالية الخارجية.

أ-الإعانات الحكومية: غالبا ما تضطر الدولة إلى منح مساعدات مالية إلى الهيئات العمومية والوحدات المحلية والهيئات الخاصة، وفي بعض الأحيان بدون أن تحصل الدولة على مقابل أي بدون أن تلزم المستفيدين برد هذه المساعدات لا نقديا ولا عينيا.

وتسمى هذه المساعدات المالية الموجهة لتغطية نفقات التنمية المحلية بالإعانات،(صغير، 1999، ص47)، وتؤدي هذه الإعانات أهدافا اقتصادية وأخرى اجتماعية تتمثل في تعميم الرخاء في مختلف مناطق الدولة، وإذابة الفوارق بين المناطق الفقيرة والنائية والمناطق الغنية.

إن الإعانات الحكومية غالبا ما تتضمن شروطا تقيد حرية واستقلال المجالس المحلية إذ أنها توجب في كثير من الأحيان خضوع الإدارة المحلية عند إنفاقها الإعانات الحكومية إلى رقابة مالية من الهيئات المركزية.

ب-القروض: تستعمل القروض في تمويل المشروعات الاستثمارية التي تنشأ على مستوى المحليات وتعجز موارد الميزانية على تغطية نفقاتها، ولا يجوز عادة للمجالس المحلية على مستوى المحليات أن تلجأ إلى عقد قروض دون إذن من الحكومة.

وهذا النوع من القروض عادة ما يكون بفائدة بسيطة ومدة القرض تعتمد على طبيعة المشروع المراد إنفاق قيمة القرض عليه.

ج-التبرعات والهبات: تعتبر التبرعات والهبات موردا من موارد المجالس المحلية وتتكون حصيلتها مما يتبرع به المواطنون إما مباشرة إلى المجالس المحلية أو بشكل غير مباشر للمساهمة في تمويل المشاريع التي تقوم بها، وكذلك قد تكون نتيجة وصية تركها احد المواطنين بعد وفاته في حالة انعدام الورثة أوهبة يقدمها أحد المغتربين لتخليد اسمه في بلده.

وتنقسم هذه التبرعات إلى قسمين تبرعات مقيدة بشرط عدم قبولها إلا بموافقة السلطات المركزية، وتبرعات أجنبية لا يمكن قبولها إلا بموافقة رئيس الجمهورية سواء أكانت من هيئات أو أشخاص أجانب(مرغاد، 2001، ص66).

تشكل هذه الموارد المالية الذاتية والخارجية للمحليات مصادر التمويل المحلي الموجه لتحقيق معدلات متزايدة في التنمية المحلية لتحقيق مستوى أفضل من المعيشة لأفراد الوحدات المحلية، وهذه الموارد المالية المحلية الذاتية والخارجية تختلف من دولة لأخرى حسب النظام المحلي المتبع لكل دولة.

ونظرا لأهمية الموارد المالية المحلية في تمويل التنمية المحلية، ولاختلاف أنظمة الإدارة المحلية، سنحاول التعرف على بعض تجارب التنمية المحلية في عدد من الدول النامية.

ثالثا. نماذج عن تجارب التنمية المحلية و دور التمويل المحلي.

1. تجربة التنمية المحلية بالهند و نظام التمويل بها:

نموذج التمويل المحلي بالهند: يتشكل النظام المالي في الهند من الموارد الذاتية والخارجية التالية:

أ-الموارد المالية الذاتية: تنقسم الموارد المالية الذاتية في الهند إلى موارد تدخل في اختصاص الولايات و أهمها: الضرائب على الأراضي الزراعية، والدخل الزراعي، والضرائب على حيازة أراضي زراعية، وعلى أراضي البناء والمباني، وضرائب المبيعات والمشتريات، ورسوم الإنتاج على المسكرات والمدخرات، وضرائب الملاهي، ورسوم الدمغة ومصاريف التسجيل، وتكون حصة الولايات من الضرائب المركزية.

ومن ناحية أخرى هناك نوع ثاني من الموارد الذاتية تخصص للسلطات المحلية دون مستوى الولايات.

ب-الموارد المالية الخارجية: وتتمثل في:

الإعانات: تقدم الحكومة المركزية في الهند للولايات إعانات قد تكون مشروطة أو غير مشروطة، وفي كل الأحوال نجد أن لحكومات الولايات الحق في استخدام الإعانات غير المشروطة، وعلى وجه الخصوص التي تقدمها الحكومة المركزية لها كيفما تريد، وهناك نوع ثالث من الإعانات يجري بين مساهمة الحكومة المركزية وبين مساهمة الولايات نفسها وفي مشروعات معينة حيث تكون الإعانة المركزية مشروطة بقيام حكومة الولايات بتقديم نسبة يتفق عليها من الأموال اللازمة للمشروع.

القروض: وتملك حكومات الولايات حق عقد القروض الداخلية بضمان أموالها الممثلة في أصول ثابتة ولكنها لا تستطيع أن تقترض إن كانت مدينة لحكومة الإتحاد إلا بموافقة الحكومة المركزية. كما تقترض حكومات الولايات أيضا من السوق المالي، ولكن اعتمادها الأكبر هو على قروضها من الحكومة المركزية، وتمثل قروض الولايات من الحكومة المركزية حوالي 37% من مجموع الموارد المالية لميزانيات الولايات، تقدم الحكومة المركزية هذه القروض إلى الولايات غالبا لتنفيذ مشروعات تضمنتها خطة التنمية الاقتصادية، وتعد تجربة الهند من التجارب الرائدة في مجال التنمية المحلية في البلدان النامية حيث عملت على تدعيم النظام المحلي تدعيما مباشرا عن طريق إثارة الجهود الذاتية وإعطائها وزنا ايجابيا في التنمية المحلية.

المشاركة في التنمية المحلية بالهند: تقوم التجربة التنموية في الهند على أساس أن كل مشروع يتم تكوينه بواسطة تجميع كل مائة قرية فيما يعرف بـ: (Blocks) ويشمل كل منها مساحة من 150 إلى 200 ميل مربع بكثافة سكانية من حوالي 60 إلى 70ألف وكل "بلوك" يدار بواسطة مجلس يسمى (Panchâyat Samti) يشمل رؤساء مجالس القرى الداخلة في المشروع ولكل مجلس هيئة إدارية يرأسها موظف حكومي ويعاونه مجموعة من الخبراء في (الزراعة، الصحة، الثروة الحيوانية....الخ) هذه الهيئة الإدارية والفنية تحت إشراف المجلس وبالطبع توجد إلى جانب ذلك جمعيات ومنظمات شباب تعمل تحت إشراف المجلس.

وبعد ذلك يجتمع الـ (Blocks) حسب التقسيم الإداري في الهند في مجالس المناطق عن طريق ما يعرف (Zilaparished) وهو مجلس يجمع رؤساء مجالس الـ (Blocks) مع أعضاء البرلمان للمنطقة وله كذلك هيئة إدارية مع جهاز فني.

وعلى المستوى الثالث يوجد في كل ولاية مجلس للتنمية يرأسه الوزير الأعلى في الولاية، ويضم الوزارات التي تهتم بالتنمية، ويقوم بالإشراف على مجالس المناطق في الولاية.

وفي المستوى الأعلى توجد وزارة للتنمية البيئية والتعاون تضع البرامج العامة وتوجه الموارد وتتعاون مع لجنة الخطة ووزارة الغذاء والزراعة.

وتتلخص أهداف هذا البرنامج في الآتي:

-الإسراع بمعدلات نمو الإنتاج الزراعي عن طريق برامج الري وحفظ التربة.

-تنمية الثروة الحيوانية.

-الاهتمام بتحسين وسائل النقل والمستوى الصحي للسكان.

-تشجيع الصناعات الريفية الزراعية.

وبالطبع لا تجد الهند مشكلة في توفير العمل اللازم لتلك المشروعات، والهام هو توفير المال والخبرة اللازمين لتحويل العمل إلى إنتاج مثمر.

ويتم التمويل من الحكومة والشعب فقدر كبير من التمويل اللازم يتم بالتطوع من الأهالي الذي يأخذ إما شكل تطوع بالمال أو تطوع بذهب مكنز أو تطوع بالعمل المجاني عن طريق ما يسمى ببنوك العمل التطوعي، وتقوم الحكومة بحملات إعلامية لجمع المال اللازم والعمل المجاني اللازم من الأهالي، وقد نجحت الحكومة في إثارة النوازع الوطنية للسكان لمساعد حكومتهم بكل الوسائل(أحمد، 1986، ص121).

2- المشاركة الشعبية و التنمية المحلية في مصر:

الموارد المالية المحلية في مصر: تنقسم مصادر التمويل بمصر إلى موارد خاصة وموارد أخرى مشتركة:

أ-الموارد الخاصة: وتشمل الضرائب العينية ذات الطابع المحلي، الرسوم المحلية، القروض والتبرعات بالإضافة إلى الإعانات الحكومية، بحيث يجري العمل في مصر على أن تحدد الحكومة المركزية مبلغ الإعانة الذي ستقدمه للحكومات المحلية ثم يقوم وزير الحكم المحلي بتوزيع هذه الإعانات على الحكومات المحلية وفقا لعدد السكان(عبد الجليل، 1983، ص83).

ب-الموارد المشتركة: وهي التي توزع على المجالس الشعبية المحلية للمحافظات بغرض توزيعها على المجالس الشعبية المحلية الداخلية في نطاق اختصاصها:

الموارد المالية للمحافظات: وهي تنقسم إلى موارد مشتركة مع سائر المحافظات وموارد خاصة بكل محافظة، كما تشمل مداخيل الضرائب والرسوم والإعانات والتبرعات وموارد الحسابات الخاصة للتمويل.

الموارد المالية للمركز: تشمل موارد المجلس الشعبي المحلي للمركز(الزغبي، 1985، ص40) ما يلي:

-ما يخصصه المجلس الشعبي المحلي للمحافظة من موارد لصالح المركز.

-حصيلة استثمار أموال المركز وإيرادات المرافق التي يديرها.
-الإعانات الحكومية.
-التبرعات والهبات والوصايا بشرط موافقة المجلس الأعلى للحكم المحلي.
-القروض التي يعقدها المجلس.
الموارد المالية للمدن و الأحياء: تتمثل في(كامل، 1996، ص11):
-الضرائب والرسوم المحلية في نطاق اختصاص المجلس المحلي.
-ما يخصصه المجلس الشعبي المحلي للمحافظة لصالح المدينة من موارد المحافظة.
-حصيلة الحكومة في نطاق المدينة من إيجار المباني وأراضي البناء الداخلة في أملاكها الخاصة.
-إيرادات استثمار أموال المدينة وإيرادات الأسواق العامة في نطاقها.
-الإعانات الحكومية والتبرعات والوصايا والهبات مقيدة بموافقة المجلس الأعلى للحكم المحلي إذا قدمت من جهات أجنبية.
-القروض التي يعقدها المجلس.
-حصيلة مقابل التحسين المفروض على العقارات المنتفعة من أعمال المنطقة العامة.
-حصيلة المقابل التي تفرضها المجالس على استغلال أو الانتفاع بالمرافق العامة التابعة للمدينة.
الموارد المالية للقرية: وتشمل ما يلي(قباري، 1999، ص424):
-75% من حصيلة الضريبة الأصلية والإضافية المقررة على الأطيان الكائنة في نطاق القرية.
-حصيلة ضريبتي الملاهي والمراهنات المفروضتين في نطاق المجلس.
-موارد أموال القرية والمرافق التي تقوم بإدارتها.
-ما يخصصه المجلس الشعبي المحلي للمحافظة من موارده لصالح مجلس القرية.
-الإعانات الحكومية.
-التبرعات والهبات والوصايا.
المشاركة الشعبية والتنمية المحلية في مصر: من التجارب الرائدة في مجال التنمية المحلية بجهود المشاركة الشعبية في مصر انجاز الطريق الموصل بين قرية أخناوي وهي إحدى القرى المصرية، ومدينة طنطا حيث تقع قرية أخناوي على بعد ستة 6 كم من طنطا، وتعتمد القرية على الإنتاج الزراعي التقليدي، إلا أن الطريق الموصل بينها وبين طنطا هو طريق تغمره المياه طوال فترة الشتاء لأنه منخفض ويعوق الحركة فتتعطل مصالح الناس(الجندي، 1987، ص174).

وفي أحد المؤتمرات الشعبية بمحافظة الغريبية أثار بعض المواطنين هذه المشكلة التي كانت من وجهة نظرهم صعبة جدا لعدة اعتبارات أهمها أنهم يعلمون أن رصف الكيلومتر الواحد يتكلف أكثر من خمسة عشر ألف جنيه علاوة على التعويضات اللازمة لأصحاب الأراضي تنتزع ملكيتها، فأشير عليهم أنه يمكن تعلية هذا الطريق وتمهيده بالجهود الذاتية، وبدأ العمل بأن تتنازل كل فلاحة عن جزء من أرضه لتوسيع الطريق دون الحاجة لإجراءات نزع الملكية ودون أن يطلبوا تعويضات عن الأراضي التي يتنازلوا عنها، ثم بدأ المواطنون يجندون القوى البشرية للعمل، كما يستخدمون دوابهم لنقل الأتربة ثم كانت هناك الحاجة إلى كمية كبيرة من الردم لتعلية الطريق ففكر الأهالي في شق مصارف على جانبي الطريق لتستفيد منها الأراضي الزراعية

وفي نفس الوقت استخدام الردم الناتج من المصارف في تعلية الطريق وكانت فكرة الأهالي من إنشاء هذه المصارف هي رفع الكفاءة الإنتاجية للأرض وزيادة محصولها.
وكانت المعونة الحكومية قاصرة على الإمكانيات الفنية المتمثلة في خبرة المهندسين والآلات والمعدات وبعض الجرارات، وقد تم إنجاز هذا الطريق في مرحلته الأولى بالجهود الذاتية، وتم رصفه بعد ذلك بتمويل من إعانات الحكومة المركزية.
ومن أهم النتائج المستقاة من هذه التجربة ما يلي(الشيخلي، 2001، ص20):
-كان من نتيجة هذا المشروع أن زادت ثقة الأهالي في أنفسهم وأيمانهم بأنهم يستطيعون حل مشاكلهم بجهودهم الذاتية ودون الاعتماد الكلي على الدولة.
-زاد نجاح هذا المشروع بقيمة العمل والجهد الشعبي.
-إذا كانت إمكانيات الدولة قد قصرت في ذلك الوقت على رصف الطريق بتمويل من إعانات الحكومة المركزية، فإن إمكانيات الأهالي قد استطاعت القيام بتعلية الطريق وتوسعته بحيث يصبح صالحا للعمل بما يخدم احتياجات الفلاحين، وقد تم رصفه بإعانة مالية مقدمة من الحكومة المركزية بعد ذلك.
3.صناديق وبرامج التنمية المحلية بالجزائر: إن نظام الإدارة المحلية يأخذ أشكال متعددة من دولة لأخرى ويمكن تعريفه بأنه:"تلك المناطق المحدودة والتي تمارس نشاطها المحلي بواسطة هيئات منتخبة من سكانها المحليين تحت رقابة وإشراف الحكومة المركزية"(شيهوب، 1986، ص04).
وفي الجزائر فقد تجسد هذا النظام في مستويين هما الولاية والبلدية وهو ما أطلق عليه مصطلح الجماعات المحلية المنتخبة(مزياني، 2001، ص187).
أما البلدية فقد عرفها قانون 90-08 المؤرخ في 90/04/07 (م) في مادته الأولى بأنها:الجماعة الإقليمية الأساسية وتتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية وتحدث بموجب قانون.
لقد جعل التشريع الجزائري من البلدية المحرك الأساسي للتنمية المحلية، حيث توسعت مجالات تدخلها وصلاحياتها بشكل كبير كما هو مبين في المواد من 84 إلى 108 من القانون 90-08 حيث ندرك الحقل الواسع لتدخلها(hakamcha, 1995, p12).
ففي ظل مختلف التغيرات والإصلاحات شهدت مهام الإدارة المحلية بالجزائر تصاعدا مميزا يتماشى مع مختلف مراحل تطور مفهومها، ولذا فإن النصوص القانونية التي أعطتها أبعادا جديدة تمنحها صلاحيات واسعة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتضع بين يدي ممثليها الوسائل الضرورية لتحمل كل المسؤوليات وتقدير مصير التنمية المحلية.
الموارد المالية المحلية بالجزائر: تنقسم هذه الموارد إلى موارد مالية محلية ذاتية وأخرى خارجية:
الموارد المالية المحلية الذاتية: وتشمل كل من الجباية المحلية ، التمويل الذاتي ، مداخيل الأملاك وإيرادات الاستغلال المالي.
الجباية المحلية: تنقسم الجباية المحلية إلى ثلاث أنواع من الضرائب وهي:
أ- الضرائب المحصلة لفائدة الجماعات المحلية:

الدفع الجزافي: تقع هذه الضريبة على كاهل الأشخاص الاعتباريين والطبيعيين والهيئات المقدمة بالجزائر أو التي تمارس نشاطاتها بها والتي تدفع مرتبات وأجور وتعويضات وعلاوات، وعليه فإن هذه الضريبة تحسب على المبلغ الإجمالي للمرتبات والأجور والتعويضات والعلاوات وكذا المعاشات والريوع، ويتم حسابه بالنسبة للمرتبات والأجور والتعويضات بنسبة 6%، أما بالنسبة للريوع والمعاشات فيتم حسابه بنسبة 2%.

ويعفى من الدفع الجزافي لمدة ثلاث سنوات الشباب المستثمر بإعانة من الصندوق الوطني لدعم الشباب، كما تعفى من الدفع الجزافي المؤسسات التي تقوم بعمليات بيع السلع الموجهة للتصدير لمدة خمس سنوات. ويتم توزيع حصيلة الدفع الجزافي بين البلدية والصندوق المشترك للجماعات المحلية كما هو موضح بالجدول التالي:

جدول رقم 01: يوضح حصة كل من البلدية و الصندوق المشترك من الدفع الجزافي:

الجهة	البلدية	الصندوق المشترك للجماعات المحلية
المعدل أو النسبة	%30	%70

المصدر: (مرغاد لخضر، 2001، ص52).

ملاحظة: توزع حصة الصندوق المشترك للجماعات المحلية المتمثلة في 70% كما يلي:

-الولايات: 20%.

-البلديات: 60%.

الصندوق المشترك لعمليات التضامن: 20%.

إن البلدية تستفيد بنسبة معتبرة من هذه الضريبة، وهو ما يعكس أهمية الدور الذي تلعبه هذه الضريبة في جلب الموارد المالية للجماعات المحلية.

الرسم على النشاط المهني: إن الرسم على النشاط المهني المستحق بواقع رقم الأعمال المحقق في الجزائر، يطبق سواء على المكلفين بالضريبة الذين يمارسون نشاطا صناعيا أو تجاريا أو على الذين يزاولون نشاطا غير تجاري.

ويحصل هذا الرسم بنسبة 2.55% ويوزع مدخوله كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (02): حصة كل من البلدية و الولاية و الصندوق المشترك من الرسم على النشاط المهني:

نوع الرسم	حصة الولاية	البلدية	الصندوق المشترك للجماعات المحلية	المجموع
الرسم على النشاط المهني	%0.75	%1.66	%0.14	%2.55

المصدر: تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي الدورة 18،حول التطور الذي يجب إضفاؤه على تسيير المالية المحلية في منظور اقتصاد السوق،جويلية2001ص05.

ب- الضرائب المحصلة لفائدة البلديات فقط:

الرسم العقاري: يعتبر من أهم الموارد المالية الضريبية للبلدية وذلك بالرغم من مساهمته الضئيلة إلا أنه يكشف عن عجز التنظيم الإداري عموما على التحكم في الحظيرة العقارية وتطويرها(سوامس، دس، ص03).

وقد نصت على هذا الرسم المادتين 248 و261 من قانون الضرائب، ويتكون من:
- الرسم العقاري على الملكيات المبنية.
- الرسم العقاري على الملكيات غير المبنية.

ولحساب هذا الرسم هناك جدول يحدد نسبة الضريبة حسب المناطق وذلك لكل متر مربع، بحيث يتم حساب الدخول على أساس قيمة الكراء الجبائية بالمتر المربع مضروب في مجموع المساحة الخاضعة للضريبة كما يتم إعداد هذا الرسم باسم المالك.

رسم التطهير(المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، 2001، ص24): تم إنشاء الرسم الخاص بإزالة القمامات المنزلية لصالح البلديات التي تتوافر على مصالح لإزالة هذه القمامات ويخص هذا الرسم الملكيات المبنية، ويتم تحصيله سنويا من الملاك والمنتفعين، ويحدد مبلغ هذا الرسم كما يلي:
- 375 دج عن كل أسرة في البلديات التي يقل عدد سكانها عن 50.000 نسمة.
- 500 دج عن كل أسرة في البلديات التي يفوق عدد سكانها عن 50.000 نسمة.
- 1000 دج عن كل محل تجاري، حرفي، غير تجاري أو ما شابهه يقع في بلدية يقل عدد سكانها عن 50.000 نسمة.
- 1000 دج عن كل محل تجاري، حرفي، غير تجاري أو ما شابهه يقع في بلدية يفوق عدد سكانها عن 50.000 نسمة.

وبخصوص المحلات الصناعية والتجارية والحرفية وما شابهها التي تفرز كميات أكبر من القمامة بالنسبة للفئات المذكورة أعلاه يحدد مبلغ الرسم بقرار يصدره رئيس المجلس الشعبي بمبلغ يتراوح بين 2500 و50.000 دج، ويدفع محصول هذا الرسم كلية إلى البلديات.

الرسم على الذبح: تحصله البلديات بمناسبة ذبح الحيوانات:الأبقار، الأغنام، الماعز، الخيول، الجمال، ويقوم حسابه على أساس وزن لحوم الحيوانات التي يتم ذبحها بمعدل 5 دج للكيلوغرام الواحد، و يتوزع كما يلي:
-البلدية: 3.5 دج للكيلوغرام.
-صندوق حماية الصحة الحيوانية: 1.5 دج للكيلوغرام.

رسم الإقامة: يؤسس هذا الرسم على الشخص وعلى اليوم الواحد للإقامة إذ لا يقل عن 10 دج ولا يزيد عن 20 دج دون أن يتجاوز 50 دج عن كل أسرة، ويتم تحصيل هذا الرسم عن طريق أصحاب الفنادق وأصحاب المحلات المستعملة لإيواء المعالجين والسواح، ويدفع تحت مسؤوليتهم إلى قابض الضرائب بعنوان مداخيل الجباية المحلية للبلدية.

ج- الضرائب المحصلة لفائدة الدولة و الجماعات المحلية:

الرسم على القيمة المضافة: طبق هذا الرسم بأربع معدلات في البداية ثم خفض إلى نسبتين ابتداء من قانون المالية لسنة 2001 وهما: 17% و07%، ويتم توزيع محصلة هذا الرسم كما يلي:
- 85% لصالح الدولة.
- 06% لصالح البلدية.

- 09% لصالح الصندوق المحلي للجماعات المحلية.

الضريبة على الأملاك: يتم توزيع محصلة الضريبة على الأملاك كما يلي:

-الدولة: 60%.

-البلدية: 20%.

الصندوق الوطني للسكن: 20%.

ولا تمثل الموارد الناتجة عن الممتلكات إلا نسبة 08% في هيكل موارد البلديات، ويحدد معدل هذه الضريبة بـ 2.5%.

قسيمة السيارات: يتحملها كل شخص طبيعي أو معنوي يملك سيارة خاضعة للضريبة، وتتوزع حصيلة هذه الضريبة كما يلي:

-الدولة: 20%.

الصندوق المشترك للجماعات المحلية: 80%.

إن تعريفات قسيمة السيارات تحدد حسب سن السيارة وحمولتها بالنسبة لكل نوع.

التمويل الذاتي(سوامس، دس، ص04): ينص قانون البلدية والولاية من خلال المادتين 161 و136 على التوالي على ضرورة اقتطاع جزء من إيرادات التسيير وتحويلها لقسم التجهيز والاستثمار، ويستهدف هذا الإجراء ضمان التحويل الذاتي لفائدة البلديات والولايات حتى تتمكن من تحقيق حد أدنى من الاستثمار لفائدة ذمتها، ويتراوح هذا الاقتطاع ما بين 10% و20%.

مداخيل الأملاك: تتوفر الجماعات المحلية على إيرادات أملاك متنوعة، وهي تنتج عن الاستغلال أو استعمال الجماعات المحلية لأملاكها بنفسها باعتبارها أشخاص اعتبارية تنتمي للقانون العام، أو تحصيل الحقوق أو الضرائب مقابل استغلالها من طرف الخواص، وأهمها إيرادات بيع المحاصيل الزراعية، وحقوق الإيجار، وحقوق استغلال الأماكن كالمعارض والأسواق.

إيرادات الاستغلال المالي: تتشكل إيرادات الاستغلال المالي من العوائد الناتجة عن بيع منتجات أو عرض خدمات توفرها الجماعات المحلية، وتتكون من عوائد الوزن الكيل والقياس، وعوائد الرسوم عن الذبح الإضافية المتمثلة في ختم اللحوم أو حفظها، بالإضافة إلى الإيرادات التي توفرها مصالح التخزين العمومي، والمتاحف العمومية، والحظائر العمومية.

إن التمويل الذاتي ومداخيل الأملاك وإيرادات الاستغلال المالي تمثل موارد غير جبائية ناتجة عن توظيف الجماعات المحلية لمواردها الخاصة المرتبطة باستغلال أملاكها.

الموارد المالية المحلية الخارجية: قررت السلطات العمومية بعد الاستقلال مباشرة استحداث أدواتها الخاصة بالتنمية المحلية و يتعلق الأمر بما يلي:

-برامج التنمية الخاصة.

-المخططات البلدية للتنمية

-الصندوق المشترك للجماعات المحلية.

-القرض المحلي.

فمن خلال هذه الأدوات عملت الحكومة على توفير موارد التمويل الخارجي، وقد سخرت الجزائر هذه الموارد المالية المحلية لتحقيق تنميه وطنية شاملة انطلاقا من تفعيل القاعدة في

إنجاح هذه التنمية فجاءت برامج التنمية المحلية لتحقيق ذلك، ومن بين هذه البرامج صندوق تنمية مناطق الجنوب، هذا الأخير الذي وفر التمويل الإنمائي اللازمة لإنجاز مشاريع البنية التحتية التي تحتاجها مناطق الجنوب، فقد وفر هذا الصندوق التمويل اللازم لإنجاز مشروعات القمامات العمومية المراقبة عبر مختلف مناطق الجنوب الجزائري، وذلك لترقية الإطار المعيشي للمواطن وسلامته البيئية، كما ساهم هذا الصندوق في تمويل كافة مشروعات الصرف الصحي وفك العزلة عن المناطق النائية بإنجاز الطرقات ومشروعات الكهرباء الريفية.

وبذلك نجد الدول النامية تحاول دائما جاهدة توفير تمويل محلي يساعد على إنجاز مشروعاتها التنموية لما له من أثر في رفع معدلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.

أهم النتائج المتوصل إليها: من خلال هذه الدراسة والتي تبحث في تمويل التنمية المحلية، نستخلص أهم النتائج التالية:

-إن الحكومات المحلية تسعى جاهدة في إطار الموارد المالية التي تحوزها إلى القيام بالمهام الموكلة لها.

-التنمية المحلية تتطلب جهودا تتجاوز الإمكانيات المتاحة للحكومات المحلية.

-إن إصلاح الوسائل المالية لتمويل التنمية المحلية وكذا تجديد نوعية العلاقة بين الدولة والجماعات المحلية هما العنصران الأساسيان لتجديد جهاز تمويل التنمية المحلية.

-إن تمويل التنمية قضية مجتمعية وان كان النصيب الأكبر فى تحمل عبؤها يقع على عاتق الدول فإن كان على الأفراد والمؤسسات أدوارا يلعبونها وواجبات يلتزمون بها فإن الدول بما تملك من سلطات تستطيع من خلال أطرها التشريعية وأدوات الإلزام بها أن تنسق بين الأدوار وتواءم بين المستويات.

-دور الدولة في التنمية فهو هام بما تملكه من تفويض المجتمع لها في وضع التشريعات وسن القوانين وسلامة تطبيقها وحماية حقوق أفراد المجتمع سواء منتجين أو مستهلكين وكل ما يتعلق بتعبئة الموارد المحلية وكيفية تعبئة المدخرات وتوجيهها للاستثمارات وإيجاد البيئة الاجتماعية الملائمة للانطلاق مما يضع على كاهلها العبء الأكبر في قضية التنمية. خلاصة القول أن تمويل التنمية مسئولية جماعية ولا يجب النظر إلى التنمية الاقتصادية على أنها ترف أو أنها سياسة تقبل التأجيل بل أنها ضرورة ملحة ومن الناحية الاقتصادية فإن تمويل التنمية يعتمد على عدة مصادر هي: المدخرات الوطنية، الاستثمارات الأجنبية(مباشر/غير مباشر)، حصائل الصادرات، الاقتراض (الدين الخارجي/الدين الداخلي)، المنح والهبات الدولية.

خاتمة:

من خلال تعرضنا لأساليب التمويل المحلي في كل من الهند ومصر والجزائر، نجد أن الضرائب والرسوم المحلية والإعانات الحكومية تشكل المصدر الأساسي لتمويل برامج التنمية المحلية.

ولضرورة قيام الحكومات بأداء سليم في مجالات التنمية المحلية، أضحت الظروف تملي على السلطات المركزية إعادة النظر في النصوص التي كبلتها بها وإعادة صياغتها بالشكل الذي

يضمن لها حرية التصرف في أموالها من خلال تمكينها من منظومة جبائية محلية، وبنفس الوقت التخفيف من تلك الصلاحيات التي تعود بالأساس إلى الجهات الوصية المركزية المعنية.

كما أن النظام الضريبي المحلي يتميز بالتعدد والتنوع المعقول، الذي يعكس سهولة العمل المالي، وبذلك تعد الضرائب موردا ماليا هاما. إلى جانب الإعانات الحكومية التي لا يمكن الاستغناء عنها مهما نمت الموارد المالية الذاتية للوحدات المحلية.

ومن ناحية أخرى، على الحكومات، أن تعيد تثمين مواردها الذاتية سواء منها المالية غير الجبائية أو البشرية، وهنا تبرز ضرورة التكوين وتحسين أداء الموظفين، وعصرنة التسيير بإدخال الوسائل التكنولوجية المتاحة، ومن ثم ترشيد عملية الإنفاق باعتماد الطرق الكمية العلمية في اختيار المشاريع.

وإن لكل دولة خصوصيات معينة وحاجات مختلفة عن غيرها، لذلك فإنه لابد من مراعاة احتياجات كل منطقة أو دولة عند إتباع أو تنفيذ برنامج معين من برامج التنمية المحلية. لأن نجاح هذه البرامج في دولة ما قد لا ينجح في دولة أخرى نظرا لاختلاف إحتياجياتهما.

قائمة المراجع:

1. حسين صغير(1999)، دروس في المالية والمحاسبة العمومية، دار المحمدية العامة، الجزائر.
2. رشيد أحمد(1986)، التنمية المحلية، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.
3. الزغبي خالد سمارة(1985)، التمويل المحلي للوحدات الإدارية المحلية، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، الأردن.
4. سمير محمد عبد الوهاب(2003)، الحكم المحلي في ضوء التطبيقات المعاصرة، دار الجلال للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
5. سوامس رضوان وبقلول الهادي(دس)، تمويل الجماعات المحلية في ظل التحولات الاقتصادية الجارية في الجزائر – http://www.univ.annaba.dz.
6. سوزي عدلي ناشد(2003)، المالية العامة (النفقات العامة، الإيرادات العامة، الميزانية العامة)، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان.
7. شيهوب مسعود(1986)، أسس الإدارة المحلية و تطبيقاتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
8. عبد الجليل الهويدي(1983)، المالية العامة للحكم المحلي، دراسة مقارنة مع الإثارة إلى مصر، دار الفكر العربي، مصر.
9. عبد الرزاق الشيخلي(2001)، الإدارة المحلية، دار ميسرة للنشر، عمان.
10. عبد المطلب عبد الحميد(2001)،التمويل المحلي والتنمية المحلية، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
11. فريدة قصير مزياني(2001)، مبادئ القانون الجزائري، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر.
12. قباري محمد اسماعيل(1999)،علم الاجتماع الإداري و مشكلات التنظيم في المؤسسات البيروقراطية، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية .
13. كامل بربر(1996)، نظم الإدارة المحلية: دراسة مقارنة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
14. المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي(2001)، تقرير حول التطور الذي يجب إضفاؤه على تسيير المالية المحلية في منظور اقتصاد السوق، الدورة الثامنة عشرة، الجزائر.
15. محمد حاجي(2004)، التمويل المحلي وإشكالية العجز في البلديات، الملتقى الدولي حول تسيير وتمويل الجماعات المحلية في ضوء التحولات الاقتصادية ، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة باتنة، الجزائر.
16. مراد محمد حلمي(1962)، مالية الهيئات العامة المحلية، مطبعة نهضة مصر، مصر.

17.مرغاد لخضر(2001)، واقع المالية المحلية في الجزائر،مذكرة ماجستير، قسم علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر.
18.مركز دراسات واستشارات الإدارة العامة(دس)، تمويل المحليات، القاهرة: http://www.Parc gypt.com.
19.مصطفى الجندي (1987)، الإدارة المحلية وإستراتيجيتها، منشأة المعارف ،الإسكندرية.
20. J.Hekamcha(1995), le processus de développement économique par les collectivités locales », Revue IDARA , volume (05), N° (01),paris .

الفلاحة والتنمية المحلية بالمغرب، إقليم وزان نموذجا

Agriculture and Local Development in Morocco, Ouezzane Province as a model

أ.عبد الوهاب الحبيب، باحث في سلك الدكتوراه، جامعة ابن طفيل– المغرب

ملخص: إن واقع وآفاق التنمية المحلية بإقليم وزان تبقى رهينة بنوعية المشاريع والبرامج التي يتم تبنيها وتطبيقها وإنجازها من قبل الفاعلين، ومدى تعامل الساكنة المحلية مع هذه البرامج، وبالتالي إما المشاركة الإيجابية في إنجاحها أو إفشالها، ومن هنا لابد من تبني المقاربة النسقية التشاركية.

إن آفاق التنمية بمنطقة الدراسة تواجهها مجموعة من الصعوبات التي تحول دون تحقيق تنمية محلية حقيقية، بالرغم من الموارد المختلفة التي تتوفر عليها المنطقة، والتي يجب تثمينها واستثمارها بشكل مستدام، مما يشكل بداية إخراج المنطقة من عزلتها ودمجها في إطارها الحقيقي، حتى تتماشى ومكانتها التاريخية، مع الحفاظ على خصوصية المنطقة ومواردها الطبيعية.

الكلمات المفتاحية: التنمية، الفلاحة، الموارد، التدبير التقليدي، المقاربة النسقية التشاركية.

Abstract: The reality and prospects of local development in the province of Ouezzane are dependent on the quality of projects and programs that are adopted and implemented by the actors, as well as the extent of dealing of the local population with these programs; thus either positive participation in success or failure; hence the adoption of participatory systematic approach is necessary.

The development prospects in the study area face a number of difficulties that prevent real local development, despite the different resources available to the region, which must be valued and exploited permanently, this can take the region out from its isolation and become integrated in its real setting in order to go along with its historical position, with keeping the distinctiveness of the region and its natural resources.

Keywords: Development, Agriculture, Resources, Traditional Management, Participatory systemic Approach.

مقدمة:

تشكل الفلاحة النشاط الاقتصادي المهيمن داخل المجال المدروس، خصوصا الفلاحة ذات الطابع المعيشي الموجهة للاستهلاك الذاتي، فجل السكان النشيطون يمارسون الأنشطة الزراعية وتربية المواشي، إلا أنه في السنوات الأخيرة برزت إلى حيز الوجود مجموعة من الأنشطة الجديدة بإقليم وزان، همت بالخصوص القطاع الثالث والمتمثل في التجارة والخدمات.

إن تراجع الأنشطة الفلاحية وظهور أنشطة جديدة، جاء نتيجة تخلي بعض السكان عن النشاط الفلاحي، بفعل تراجع مردوديته وأرباحه، نتيجة الاستغلال المكثف وتوالي الفترات الجافة؛ مما أثر على خصوبة التربة، فقلت جودتها وتراجعت قدرتها الإنتاجية.

إن عدم قدرة النشاط الفلاحي على استيعاب فائض اليد العاملة دفعت بالعديد من أبناء المنطقة المدروسة إلى الهجرة نحو المدن المجاورة، وترك العمل الزراعي أو التحول إلى أنماط أخرى من الإنتاج، كالانخراط في بعض الحرف التقليدية اليدوية أو ممارسة النشاط التجاري بالأسواق الأسبوعية أو إقامة بعض الدكاكين بدواوير المجال المدروس، فحلت العلاقات التجارية محل العلاقات الأبوية التي كانت متوارثة منذ عدة قرون(باران، لاكوست وايف، ص7).

توجد عدة اعتبارات وراء اختيار مجال الدراسة، باعتباره مجالا يعتمد أساسا على النشاط الفلاحي، بالرغم من الإكراهات التي يعاني منها، خاصة ما يتعلق بالمستوى التعليمي وانتشار البطالة، وسوف نحاول من خلال هذه الدراسة تشخيص الواقع الفلاحي بمنطقة وزان ودورها في التنمية المحلية.

أولا: الإطار المنهجي للبحث

1.إشكالية الدراسة:

تمثل الفلاحة أساس العملية الإنتاجية بمنطقة وزان، إذ يعتمد عليها في تحقيق التنمية المحلية، لكن في المقابل تعاني من مجموعة من الإكراهات التي تحد من فعاليتها وأهميتها. وفي هذا الإطار سنعالج إشكالية تتعلق بمدى مساهمة الفلاحة في تحقيق التنمية المحلية وتحريك عجلة الاقتصاد المحلي بمنطقة وزان، لما لها من دور كبير في التنمية، وذلك من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

-ما دور الفلاحة في تحقيق التنمية المحلية؟

-ما الإكراهات التي تواجهها؟

-هل ساهمت فعلا في تغير واقع الاقتصاد المحلي؟

2.الهدف من الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على مدى مساهمة الفلاحة في التنمية المحلية بمنطقة وزان، وإبراز بعض الصعوبات والمعيقات التي تحول دون تحقيق ما تتمناه الساكنة من الفلاحة، لذا حاولت هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:

-معرفة مكامن الضعف والقوة داخل منطقة الدراسة.

-رصد آفاق التنموية.

-تحديد العوامل المناسبة لزيادة مساهمة الفلاحة في الاقتصاد المحلي.

3. منهجية البحث:

لقد ارتأينا الاعتماد على المنهجين الاستقرائي والاستدلالي معا، "فلا يمكن أن يكون العلم حقيقيا إلا بالجمع بينهما عن طريق التعامل مع المادة العلمية من خلال منظور استقرائي – استنباطي لتحقيق التكامل المنهجي، وهذا يفرض علينا القيام بمجموعة من الخطوات، كالاعتماد على العمل البيبليوغرافي والميداني والكارطوغرافي.

4.أهمية الموقع الجغرافي

يقع إقليم وزان بالجزء الشمالي الغربي من البلاد بمحاذاة الشريط الجنوبي لجبال الريف، يمتد على مساحة 2099.28 كلم^2، وهو بذلك يحتل المرتبة الرابعة في الجهة من حيث مساحتها التي تصل إلى 12460 كلم^2، أي 15% من مساحة الجهة، بعد إقليم شفشاون بـ 3339 كلم^2، وإقليم العرائش بـ 2683 كلم^2، وإقليم تطوان بـ 2541 كلم^2، ثم عمالة طنجة-أصيلة بـ 952 كلم^2، وإقليم الفحص-أنجرة بـ 733 كلم^2، ثم عمالة المضيق-الفنيدق بـ 213 كلم مربع (المندوبية السامية للتخطيط، 2012، ص29) وإقليم الحسيمة، ويحده شمالا إقليمي شفشاون والعرائش وغربا إقليم القنيطرة وجنوبا إقليم سيدي قاسم وشرقا إقليم تاونات.

إن مناطق مقدمة جبال الريف تنطلق غالبا من الجبال المحيطة بوزان والتي تكون غالبا على شكل رداء يحيط بالمدينة، حيث وجود قمم جبلية مرتفعة شيئا ما بالجزء الشمالي من هذه المناطق، التي تواجه مشكل التعرية وانجراف التربة، بحكم وجود العديد من المقعرات، كما هو الحال بأسجن وبوهلال (مديرية إعداد التراب الوطني، الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، 2000، ص5).

وكان لهذا الموقع دورا مهما في استقرار السكان منذ القدم، وتزايد الاستثمارات العمومية، وتنوع المؤهلات الطبيعية من طبوغرافية، وتساقطات مطرية هامة، ومناخ معتدل رطب، وتربة خصبة ومتنوعة، وغطاء نباتي متنوع، ومناظر طبيعية خلابة ومتنوعة.

ثانيا: القطاع الفلاحي بمنطقة وزان

1. واقع النشاط الفلاحي

1.1 محدودية الأراضي الصالحة للزراعة: تعد الفلاحة أقدم نشاط بشري وأكثره انتشارا وتأثيرا على سطح الأرض، وتعتبر الفلاحة جزء لا يتجزأ من الاقتصاد الوطني، لهذا يركز المغرب على الفلاحة في إطار سياسته التنموية الشاملة. تعتبر الفلاحة النشاط الاقتصادي المسيطر داخل إقليم وزان، خاصة الفلاحة المعاشية الموجهة للاستهلاك الذاتي، إذ جل السكان يمارسون الأنشطة الزراعية وتربية الماشية، إلا أنه في السنوات الأخيرة ظهرت وانتعشت الأنشطة التي تنتمي إلى القطاع الثالث، وبالتالي عرفت الوضعية الاقتصادية تحولات هامة.

كما هو معلوم، أصبح بعض سكان المجال المدروس يتخلون عن النشاط الفلاحي، بفعل ارتفاع تكاليف الإنتاج وتراجع مردوديته، بفعل عدة عوامل من قبيل التغيرات المناخية، والتدهور المستمر الذي تعاني منه التربة، متجهين صوب أنشطة اقتصادية أخرى أو شد الرحال نحو المراكز الترابية أو صوب مدينة وزان، ثم باقي مدن المملكة، خاصة مدينة طنجة. وفي هذا الجانب، سنحاول إبراز معالم التحولات التي شهدتها بنية الاقتصاد القروي، كمظهر من مظاهر

التحولات التي يعرفها إقليم وزان على مختلف مجالات الحياة؛ فالنشاط الفلاحي في المناطق الجبلية يختلف عما هو عليه في المناطق المنبسطة، حيث يتأثر بالمناخ والتربة، فعلى النشاط الفلاحي التكيف مع التضاريس، والتي هي من أبرز العوامل الطبيعية المسؤولة عن نوع المنظر الزراعي.

تنتشر الفلاحة في المناطق الجبلية بقهور الأودية أو بالمدرجات المبنية على طول السفوح، ويختلف المنظر الزراعي بارتفاع الجبال، وعليه تعد تلال مقدمة جبال الريف نموذجا للحياة الفلاحية على الصعيد الوطني، إذ عرفت استقرارا بشريا منذ القديم، فتكون بها نشاط زراعي يتماشى والأشجار الغابوية الكثيفة وقلة الأراضي الصالحة للفلاحة، نتيجة شدة انحدار السفوح، وقلة خصوبة التربة، وانتشار نشاط التعرية، لكنهم وبحكم طبيعة نمط عيشهم فقد استغلوا جميع الإمكانيات المتاحة، الشيء الذي يفسر مدى الكثافة السكانية العالية بهذه الرقعة من المغرب، وتعد الفلاحة العمود الفقري للاقتصاد المحلي مستفيدة في ذلك من عدة مؤهلات:

-أهمية التساقطات المطرية : 650 ملم.
-أهمية الموارد المائية : سد الوحدة و سد وادي المخازن.
-ظروف مناخية ملائمة لأنشطة فلاحية متنوعة.
-غطاء رعوي غابوي ملائم لتنمية قطاع الماعز.
-تواجد مساحة صالحة للزراعة : 144830 هكتار (69 %من المساحة الإجمالية).
-إمكانية توسيع المساحات المسقية.
-أهمية المنتجات المحلية (زيت الزيتون و التين).
-ساكنة مستعدة للمساهمة في البرامج التنموية.
-وفرة اليد العاملة النسائية.
-تنوع بيولوجي هام(أكثر من 200 صنف نباتي).
-أعداد مهمة و أصناف أصيلة من رؤوس المواشي.
-قطاع تربية النحل يتجه نحو التحديث.
-تواجد تنظيمات مهنية ناشئة مهمة تنشط بالعالم القروي.
-القرب من أسواق استهلاكية مهمة (طنجة، تطوان، الرباط، فاس...).

إذن، يتميز المجال المدروس بتضرسه وزخاته المطرية العنيفة والمتذبذبة، مما يساعد على نشاط عوامل التعرية، إضافة إلى سوء تدبير الموارد المائية التي تعاني أصلا من الندرة، لذا تعطى الأولوية لتزويد ساكنة المجال المدروس بالماء الشروب على حساب تطوير الفلاحة المسقية، مما يفسر محدودية الأراضي الصالحة للزراعة، ويعتبر تعدد الأنشطة الفلاحية ظاهرة قديمة، باعتبار طبيعة النشاط الفلاحي ذاته والذي يشمل الزراعة، والرعي، والصيد، وصيانة الأدوات الفلاحية، وتسويق المنتوج الفلاحي أو تحويله، وخزن المحاصيل وإبرام التعاقدات والري وحفر الآبار وصيانة السواقي والمسالك الترابية وغيرها من العمليات(لحسن جنان، 2010، ص23).

جدول رقم 1 : توزيع استغلال التربة بمنطقة وزان بالهكتار سنة 2014

استغلال التربة		المساحة بالهكتار	النسبة المئوية
المساحة الصالحة للزراعة	بورية	141830	67,48
	مسقية	3236	1,53
الغابة		21600	10,27
الأراضي الرعوية و الغير الصالحة للزراعة		43500	20,69
المجموع		210166	100

المصدر : المونوغرافية الفلاحية لإقليم وزان ماي، 2014.

إن استغلال التربة داخل المجال المدروس يتميز بتنوعه وتباينه، حيث لا تتعدى المساحة الصالحة للزراعة 144830 هكتار من مجموع مساحة الإقليم البالغة 2099.28 كلم مربع، حيث تعرف تنوعا في استخدام التربة، إذ نجد المساحة الغابوية 21600 هكتار، فيما تعد الزراعة البورية 141830 هكتار، في حين لا تمثل مساحة الأراضي المسقية سوى 3236 هكتار والتي تتركز قرب الأودية، أما الأراضي الرعوية وغير الصالحة للزراعة تمثل 43500 هكتار.

إذن، بالرغم من كون النشاط الفلاحي يعتبر المصدر الرئيسي للساكنة المجال المدروس، فإن مردوديته تبقى ضعيفة وتتميز بالتذبذب لارتباطه الشديد بالتقلبات المناخية، وكثيرا ما يتم استغلال المحصول الفلاحي ذاتيا، باستثناء بعض الاستغلاليات المتوسطة والكبيرة وبعض المشارات التي تزاول البقوليات والخضروات، وتعمل على تسويق منتوجاتها داخل الإقليم، لكن مع نهاية سنة 2015 وتأخر موسم الأمطار بدأت ساكنة المجال المدروس تتخوف من تكرار مشاهد سنة 1994، حيث كان سكان بعض المناطق كساكنة منطقة أولاد إبدر بجماعة ونانة مجبرين على قطع مسافة كبيرة لجلب الماء من مناطق أخرى كانت تابعة إلى إقليم شفشاون، وصاحب ذلك انهيار أسعار المواشي بأسواق المجال المدروس.

2.1 هيمنة الملكية الخاصة على البنية العقارية للأراضي: شهدت الوضعية القانونية للأراضي بالمجال المدروس تطورات مهمة منذ الاستعمار، نتج عنها هيمنة الملكية الخاصة، وبالتالي جل الفلاحين يشتغلون في أراضهم، متمتعين بحق الاستغلال ناقلين الملكية الخاصة بالتوريث عن بعضهم البعض، وتنتج الملكية الخاصة إما عن طريق تقسيم الأراضي الجماعية أو إحياء الأرض بصفة انفرادية، وتتميز بمشاراتها الصغيرة نظرا لانتقالها بالتوريث، الأمر الذي يؤدي إلى تجزئتها مابين الورثة.

تشكل الملكية الخاصة أو الفردية العمود الفقري لنظام العقاري بإقليم وزان، فهي تستحوذ على 94,96% أي 766 109 هكتار من مجموع الأراضي الزراعية، وهذا يعود إلى كون بعض الأسر تلجأ إلى اجتثاث الغابات التي تراجعت مساحاتها، بعد الملك الخاص نجد أراضي الجموع

بـ 2999 هكتار، تليها أراضي الحبوس بـ 2099 هكتار، ثم أملاك الدولة بـ 729 هكتار، مع غياب أراضي الكيش بالمجال المدروس.

كما هو معلوم نسجل الهيمنة الكبيرة للملك الخاص على البنية العقارية، بينما نلاحظ الفرق الكبير بينها وبين باقي الأراضي، وذلك بفعل التطور الذي يعرفه المجتمع والتحولات المميزة له، مع تراجع أراضي الحبوس التابعة إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ثم الأراضي ذات الملكية الجماعية ذات المنفعة الجماعية، وكذلك أراضي الدولة.

إن الهيمنة الكبيرة للأراضي الملك الخاص وما يصاحبها من تجزيء عن طريق الإرث ما بين الورثة، فتتحول إلى مشارات صغيرة ومشتتة تشتيتا، مما ينعكس سلبا على المجال الفلاحي، خاصة بفعل الخلافات العائلية وانتقال العديد من الملاكين إلى المدن، وبالتالي تجميد استغلال استغلالياتهم أحيانا ووفاتهم أحيانا أخرى، ليجد أبناءهم صعوبة في تدبيرها...، أما وضعية أراضي الحبوس والجموع فوضعيتها تتميز بالجمود والعقم، بفعل عدم قدرة الفلاح الذي يستغلها من القيام بعمليات استثمارية كبرى فوقها من قبيل حفر الآبار وإصلاح أراضيها...، بفعل معرفته المسبق بعدم امتلاك ملكية تلك الأراضي.

إذن، هذه الوضعية العقارية لا تمكن من الاستغلال الجيد للأراضي الزراعية، وهو ما يتطلب تدخلا من السلطات المختصة بغية تطوير القطاع الفلاحي بإقليم وزان، خاصة فيما يتعلق بالملكية العقارية تماشيا مع **مخطط المغرب الأخضر** الهادف إلى ضم الأراضي بشتى أنواعها.

أما على صعيد توزيع الأنظمة العقارية بجماعات إقليم وزان، نسجل وجود الملكية الخاصة في المقدمة، إلا أنها تبقى غير قادرة على إعطاء دفعة قوية للاقتصاد المحلي بسبب صغر حجمها وطبيعة السطح، مما يعرقل مسار المكننة داخل المجال المدروس، ناهيك عن غياب روح التعاون ما بين الفلاحين.

إن توزيع الملكية الخاصة داخل إقليم وزان يتميز بالتباين الجغرافي، ففي مقدمة هذه الجماعات نجد الجماعة الترابية زومي بـ 17279 هكتار وفي الأخير نجد بلدية وزان بـ 349 هكتار، أما أراضي الجموع فهي تعرف تباينا داخل الجماعات الترابية بالإقليم، ففي المقدمة نجد الجماعة الترابية لمصمودة بـ 1581 هكتار ثم الجماعة الترابية لإمزفرون بـ 646 هكتار و أسجن بـ 439 هكتار، في حين لا تتجاوز مساحة أراضي الجموع هكتار واحد بتروال ولمجاعرة وونانة وقلعة بوقرة، نفس الشيء ينطبق على أراضي الحبوس وأملاك الدولة؛ وهذا ما أكدته استمارة العمل الميداني في سنة 2017، فالذين يستغلون أرضا فلاحية يمثلون 66,62 %، بينما 33,38 % فهم فلاحون بدون أرض وتبقى نسبة 70,16 % من هذه الأراضي ذات ملكية خاصة.

3.1 شدة تجزئ الاستغلاليات الزراعية: تتميز الاستغلاليات الزراعية بإقليم وزان بشدة التجزؤ الذي يطغى على وضعيتها العقارية، مما يولد لنا الملكيات المجهرية، وهو ما يعرقل عملية ضم الأراضي، الأمر الذي يحد من تطوير القطاع، الذي تهيمن عليه الملكيات ذات الحجم الصغير.

4.1 طغيان الاستغلال المباشر للأراضي الزراعية: يبقى القطاع الفلاحي بالمجال المدروس قطاعا معاشيا، وإنتاجه يظل دون مستوى تحقيق الاكتفاء الذاتي في أغلب المنتجات الفلاحية، وتتميز طرق استغلال هذا القطاع بهيمنة الاستغلال المباشر، أي الفلاح يستغل أرضه بنفسه أو

بمساعدة أفراد أسرته، سواء أثناء عملية الحرث أو الحصاد، وهؤلاء المساعدين الأسريين غالبا ما يتشكلون من الذكور مع نسب ضعيفة من الإناث، حيث تتميز الاستغلاليات بتعاون بين أفراد الأسر والعائلات فيما بينهم، لكن هذا النوع من التعاون عرف تراجعا مقارنة مع السنوات السابقة التي كانت تتميز بتعاون سكان الدواوير مع بعضهم البعض خلال موسم الحرث والحصاد ...، في إطار ما يسمى **"بالتويزا"**، لكن هذا النوع من التعاون عرف تراجعا، بفعل التغير الذي أصاب قيم التضامن والتعاون التي ميزت المجتمع القروي على مر الزمن.

ويبقى الاستغلال المباشر مهيمنا على الاستغلاليات الزراعية بما مجموعه 104841 هكتار، فيما يشمل الاستغلال غير المباشر عن طريق الكراء بـ 3732 هكتار، وعن طريق الإيجار العيني مساحة 7020 هكتار، وحتى العمل الميداني أكد لنا على هيمنة الاستغلال المباشر سواء بالاعتماد على أفراد الأسرة بنسبة 95,70% أو بالاعتماد على يد عاملة أجيرة بنسبة 1,56% أما الاستغلال غير المباشر، فنسبته ضعيفة جدا، ويبقى الإيجار العيني هو المسيطر داخل هذا النوع من الاستغلاليات بنسبة 2,74 %، بينما نسجل غياب الاستغلال غير المباشر عن طريق الكراء لأسباب مختلفة كضعف السومة الكرائية، مما يجعل العديد من الأسر تفضل الإيجار العيني.

5.1. استعمال محدود لعوامل الإنتاج: يتميز القطاع الفلاحي بالمجال المدروس بضعفه في استخدام عوامل الإنتاج، بالرغم من الطلب المتزايد على المنتجات الفلاحية، وبالرغم من نقص الموارد المائية وهو ما يفرض ضرورة تثمين وعقلنة استغلال الموارد الطبيعية، الشيء الذي يحتم استخدام المكننة التي بدونها لا يمكن الدفع بالقطاع إلى الأمام.

يتبين لنا، أن جل الفلاحين بالمجال المدروس لا يزالون يعتمدون على الآليات الفلاحية التقليدية خلال عملية الإنتاج، باستثناء استعمال الأسمدة التي تعرف حضورا كبيرا عند جل الفلاحين بنسبة 29,55% كأدنى مستوى مسجل بالجماعة الترابية امزفرون، بينما أعلى استعمال للأسمدة يصل إلى 78,83% بقلعة بوقرة، حيث زراعة القنب الهندي أو الذهب الأخضر كما يحلو للبعض أن يسميه، وهذا الاستعمال الكبير للأسمدة يعود إلى فقر التربة نتيجة الاستغلال المكثف لها، أما باقي عوامل الإنتاج الأخرى فتسجل حضورا ضعيفا عند الفلاح الوزاني. فنسبة استعمال آليات الحرث لا تتجاوز 16,59%، أما فيما يخص استعمال المبيدات قصد محاربة الأعشاب والحشرات والطفيليات الضارة التي تؤثر سلبا على المحاصيل، فنسبتها تصل إلى 36,60%، أما استعمال البدور المختارة لا تتعدى 20,62%، أما آليات الحصاد فنسبة استعمالها لا تتجاوز 15,23%، لكن استعمال وسائل الإنتاج عرف تحسن لا بأس به في السنوات الأخيرة مقارنة مع معدلات 1996، خاصة فيما يتعلق باستعمال آليات الحرث والحصاد، وتبقى باقي عوامل الإنتاج الأخرى دون المستوى خاصة استعمال البدور المختارة.

بالرغم من التطور الحاصل في مجال المكننة داخل المجال المدروس، فعملية الحرث لا زالت تتم في الغالب بواسطة البغال والأبقار والحمير أي "الزُوجة" خصوصا بالمناطق الجبلية المتضرسة ذات التضاريس الوعرة، وبالتالي ازدواجية في القطاع الفلاحي، لكن التوجه العام يتجه صوب تعميم استعمال المكننة والتقنيات العصرية، فحسب الاستمارة الميدانية سنة 2017، فمن الأدوات الفلاحة الأكثر استعمالا نجد آلة الدرس بنسبة 25,68 % ثم الفأس بنسبة 23,63%

بفعل صعوبة المجال يليه المحراث الحديدي بنسبة 20,43%، ثم الجرار بنسبة 16,27%، وبعد ذلك نجد آلة الحصاد بنسبة 10,76، بينما يحتل المحراث الخشبي المرتبة الأخيرة بعدما كان سيد الموقف بنسبة 03,23 % وهذا التباين المسجل في عوامل الإنتاج يختلف من استغلالية لأخرى.

6.1. هيمنة الحبوب على نظام الإنتاج: تعتبر زراعة الحبوب بالمجال المدروس زراعة معيشية، ولا تحقق في أغلب الأحيان الاكتفاء الذاتي للفلاح، فالزراعة بإقليم وزان بورية وبوسائل تقليدية، تعتمد أساسا على زراعة القمح بنوعيه الصلب والطري والشعير بنسب إنتاج متفاوتة، ويطغى على الإنتاج الزراعي طابع التنوع وعدم إستقرار المنتوج لارتباطه الشديد بالتغيرات المناخية، كما تبقى جل المزروعات بورية باستثناء الخضروات والبقوليات التي تزرع قرب الأودية أو بالقرب من الآبار والعيون والتي غالبا ما يتم تسويقها بأسواق المجال المدروس أو التوجه بها نحو عاصمة الإقليم.

تتميز الجهة الغربية من جبال الريف بقلة الارتفاع، حيث وجود مناخ رطب يساعد على نمو الأشجار المثمرة خاصة أشجار الزيتون، ويقوم النشاط الفلاحي كذلك على زراعة الحبوب التي تسيطر على 56400 هكتار من مجموع المساحة التي تبلغ 144600 هكتار، وذلك في ماي 2014 مقارنة مع سنة 1996، حيث كانت الحبوب تنتشر على مساحة 52910 هكتار، أي بزيادة 3490 هكتار، نظرا للأهمية التي تحتلها الحبوب خاصة القمح لدى الأسر الوزانية، أما القطاني لا تمثل سوى 2900 هكتار، وتغطي الخضروات حوالي 1400 هكتار، وبالتالي سجلت تراجعا مهما مقارنة مع سنة 1996 بعدما كانت تمتد على مساحة 8197 هكتار وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول تراجعها، لكن يبقى الأساسي وراء هذا التراجع هو انتشار زراعة القنب الهندي.

ويعرف المجال المدروس انتعاش في زراعة التبغ التي تغطي ما يقارب 4300 هكتار من الأراضي الزراعية، وذلك سنة 2014، أما الأشجار المثمرة خاصة أشجار الزيتون والتي تلقى إقبالا من طرف الساكنة فتغطي 72800 هكتار أي أكثر من نصف مساحة الإقليم وهي في تزايد مستمر بعدما كانت تمتد على مساحة 31417 هكتار، أي بزيادة 41383 هكتار ما بين 1996 و 2014، إلى جانب الأشجار المثمرة الأخرى كالتين والبرقوق والعنب...، والتي تمتد على مساحة 2500 هكتار، وهي الأخرى في تزايد مستمر خاصة بالقرب من الأودية والعيون.

وشأنه في ذلك شأن باقي الأرياف المغربية يعتمد إقليم وزان على شقين من الزراعة خلال الموسم الفلاحي: زراعة خريفية تعرف زراعة أنواع مختلف من الحبوب خصوصا القمح الصلب، أما النوع الثاني فهو الزراعة الربيعية، تعرف زراعة القطاني وغيرها، وتجدر الإشارة إلى كون هذه الزراعات تتم في إطار التناوب الزراعي أو الدورة الزراعية، ويمارس الفلاحون بإقليم وزان والمستقرون فوق تلاله وجباله نشاطا فلاحيا ذا طابع اقتصادي معاشي محض، فهم يخصصون الجزء الأهم من محصولهم لاستهلاكهم الشخص، ولا يبيعون سوى جزء ضئيل في الأسواق، قصد الحصول على النقود لاقتناء منتوجات مصنعة، لكن الزراعة المعيشية هذه لم تعد قادرة على تلبية حاجياتهم المتنوعة، مما دفع البعض منهم إلى شد الرحال صوب مناطق أخرى

دون قطع الصلة بذويهم، بل نجدهم يبعثون بقدر من المال إلى أسرهم، بهدف مواجهة تكاليف الحياة وتحسين نمط العيش.

7.1. يد عاملة معظمها من الذكور: إن طبيعة الأعمال الفلاحية تتطلب مجهود بدني كبير، وهو ما يجعل القطاع يعتمد على العنصر الذكوري، كما أن المعتقدات الدينية والاجتماعية تمنع عمل المرأة خارج البيت، مما يجعل نسبة العاملين الذكور تفوق 95,55% من مجموع المستغلين الفلاحين في المغرب، أما نسبة الإناث لا تتجاوز 4,45% بمجموع الأرياف المغربية، شأنه في ذلك شأن باقي الأرياف المغربية حيث يبقى جل المستغلين الفلاحين في منطقة وزان من الذكور بنسبة 96,42% بزومي، بينما نسبة النساء لا تتجاوز 13,69 كأعلى نسبة بمصمودة، لكن هذا لا ينفي دور المرأة الوزانية في الأعمال المنزلية، ومساعدة الذكور في بعض الأعمال الفلاحية كجني الزيتون وجلب العشب للماشية.

2. إكراهات القطاع الفلاحي: رغم المؤهلات المتنوعة التي يتوفر عليها القطاع الفلاحي إلا أنه يعاني من مجموعة من الإكراهات، من بينها:

-منطقة جبلية ذات تضاريس وعرة.

-ضعف معدل مساحة الاستغلاليات والذي لا يتجاوز 5 هكتارات (70%)، مما يعرقل الاستثمار.

-نقص في التقنية وإتباع الفلاحين طرق تقليدية في التسيير.

-ضعف الإنتاجية وجودة المنتوجات.

-تقدم الأشجار في السن.

-هيمنة الأصناف المحلية.

-ندرة الضيعات الفلاحية المتخصصة.

-غياب وحدات التثمين ووحدات تثمين تستلزم التطوير.

-غياب منصات التسويق وولوج محدود للسوق.

-ضعف المداخيل الفلاحية.

-عزلة مناطق الإنتاج وضعف البنية التحتية.

-هشاشة أنظمة الإنتاج.

-ضعف تثمين المنتوجات الفلاحية.

ثالثا. آفاق التنمية المحلية: تعتبر منطقة وزان بساكنتها ومجالها الطبيعي ومؤهلاتها التراثية، من أهم ركائز التنمية بالريف الشمالي الغربي، فهي تتوفر على مميزات تاريخية وبيئية وثقافية متعددة، تجعل منها قطبا مهما للتنمية بالمناطق الجبلية، فهي تضم 16 جماعة ترابية قروية وجماعة حضرية واحدة ولها عدة منافذ طرقية، كالطريق الجهوية رقم 408 التي تخترق وسط إقليم وزان على طول 78,181 كلم، كما يحيط بالإقليم مجموعة من الأقاليم كإقليم شفشاون وتاونات والعرائش وسيدي قاسم، وبالتالي إمكانية عقد اتفاقيات شراكة معها، بالإضافة إلى مجموعة من المؤهلات، كالتعمير البشري القديم وتراث ثقافي متنوع ووجود نظام إنتاج تقليدي يعتمد على فلاحة معاشية وغراسة الأشجار المثمرة، بالإضافة إلى أهمية الصناعة التقليدية، ناهيك عن الإشعاع الروحي (الزاوية الوزانية).

إن هذه المؤهلات التي يتميز بها إقليم وزان يمكن أن تشكل قاطرة التنمية، إن تم استغلالها بشكل جيد في إطار مقاربة نسقية تشاركية، بالرغم من المشاكل التي تواجهها والتي تحد من مستوى التنمية بالإقليم سواء تعلق الأمر بالإكراهات الطبيعية، كصعوبة التضاريس، وشدة تضرسها، واستنزاف الغطاء النباتي، وضعف نفاذية التربة، وعدم انتظام التساقطات المطرية وتباينها من فصل لآخر، مع انتشار الجفاف، ثم الإكراهات البشرية، كتزايد السكان بوثيرة غير متوازية مع تجدد الموارد الطبيعية وارتفاع معدل الفقر ونسبة الخصوبة ونسبة الأمية وانتشار البطالة، كل هذه العوامل تدفع بالسكان إلى البحث عن مصادر دخل غير فلاحية، كالتجارة التي تعرف تطورا مستمرا، كما يلجأ بعض أفراد المجتمع إلى الهجرة نحو المدن المجاورة خاصة مدينة طنجة.

إن تنمية المجال المدروس يفرض ضرورة تثمين المؤهلات المحلية، مع استغلالها بشكل عقلاني، ولتحقيق ذلك يتضح لنا أن الأولوية يجب أن تمنح لمجموعة من القطاعات المهمة والأساسية في إطار تنمية قائمة على السياحة الترابية، واستغلال المؤهلات الغابوية وحمايتها من التحديات والمشاكل التي تواجهها، وتنظيم القطاع الفلاحي، وتطوير الخدمات الصحية، مع تعميم التعليم والتأطير، وتقوية دور الجمعيات والتعاونيات، وتأهيل الصناعة التقليدية، ورد الاعتبار للموروث للثقافي.

خاتمة:

لقد تبين بشكل واضح، أن النشاط الفلاحي بإقليم وزان يتميز باختلال كبير، ومن المؤكد أنه إذا استمر تدبير القطاع الفلاحي على نفس النمط، فإن مشاكله ستزداد استفحالا، من قبيل ملكيات الأراضي المزروعة التي هي في الأصل صغيرة وسوف يقع تقزيمها من جديد عن طريق الإرث، حيث يتم استغلال تلك الملكيات في عملية الحرث والحصاد بواسطة الدواب، وليس عن طريق المكننة، بحكم طبيعة تضارس المجال المدروس، ينضاف إليها انعدام الخبرات الفلاحية لدى الفلاحين، وغياب مركز فلاحي يتوفر على تقنيين مختصين، تناط لهم مهمة الإرشاد والتحسيس والمواكبة، الشيء الذي يحتم القيام بعدة مجهودات، قصد التغلب على التحولات السلبية التي يعرفها القطاع، وفي مقدمتها مساعدة الفلاحين على خلق تعاونيات فلاحية، وتسهيل عملية ضم الأراضي، وتوفير الأسمدة والبذور المختارة بأثمنة مناسبة، وإحداث مراكز فلاحية بالجماعات التي لا تتوفر عليها وتزويدها بالمختصين في القطاع، واستغلال جزء من مياه سد الوحدة في تطوير وتوسيع الدوائر السقوية، ثم تزويد الفلاحين بالقروض ذات فوائد رمزية.

قائمة المراجع:

1. باران، ولاكوست وايف(1981)، الاقتصاد السياسي للتخلف وأسباب التخلف الأساسية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
2. لحسن جنان(2010)، قراءة في الإشكاليات وفي المناهج، في موضوع البحث الجغرافي بالمغرب، مجلة دفاتر جغرافية، ع7، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز –فاس.
3. المندوبية السامية للتخطيط(2012)، النشرة الإحصائية الجهوية، طنجة، المغرب.
4. وزارة إعداد التراب الوطني والبيئة والتعمير(2000)، خلاصات تركيبية للمنتديات الجهوية حول الحوار الوطني لإعداد التراب والإسكان، إعداد التراب الوطني والتعمير، الرباط، المغرب.

التراث المائي والتدبير العقلاني للموارد المائية: رهان التنمية بدير أطلس بني ملال.

The aquatic heritage and the rational management of water resources : challenge of development in the Atlas of Béni Mellal Dir (Pidmont).

د. فنيـك عبـد الواحـد، جامعة القاضي عياض مراكش وجامعة أنجي فرنسا.

ملخص : ينتمي دير أطلس بني ملال إلى مجال الدير الحقيقي، ويتميز المجال بوفرة العيون المائية، التي تعد أساس الاستقرار البشري منذ قدم الزمن، مما سمح بنشأة وقيام حضارة مائية متكاملة العناصر، حيث تنتشر مشاهد زراعية متنوعة أساسها غراسة الزيتون والأشجار المثمرة وزراعة الحبوب. ويرتبط بهذه العيون المائية والزراعة تراث مائي مهم ساهم في توازن هذا المجال، وفي تدبير هذه الموارد المائية، وفي استمرارية الاستقرار البشري بالدير، وخلق مشاهد زراعية تعد رهان للتنمية، وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء حول الإمكانيات المائية بدير أطلس بني ملال، وطرق تدبيرها ومدى أهمية ذلك في استمرار الإستقرار البشري بالمنطقة، وكذلك تحليل دورها في خلق التنمية بالدير وبالتالي تحديد أهم رهانات التنمية للماء والمشاهد البشرية والطبيعية المرتبطة بها.
الكلمات المفتاحية: الموارد المائية المجال الريفي، التراث المائي، التنمية الملحية، المشاهد الزراعية.
Abstract: The Dir of the Atlas of Beni Mellal, is classified in the real Dir (Pidmont) and the richest in water resources at the national level, in particular karst sources of the Atlas of Béni Mellal, which is the base of the stability of the population and the civilization of Dir since ancient historical periods, and contributing to one of the olive-based agricultural scenes and fruit trees (arboriculture), have been associated with these culture of water resources and the heritage of a rich and diversified water, which reflects the strength of the creativity of the Moroccan man has in the management of the resources available in his natural environment This study aims to highlight the water potential of Beni Mellal's Atlas Dir, and its management methods and its importance for human stability in the region. As well as to analyze its role in the creation of a development in the Dir and also determine the most important development stakes for the water and the human and natural landscapes associated with it.
Keywords: water resources, rural area, Dir, water heritage, local development, agricultural landscape.

مقدمة:

تكتسي الموارد المائية أهمية كبيرة في التنمية الترابية، وفي استدامة الاستقرار والتجمعات البشرية، ومن بين هذه الموارد نجد العيون المائية التي تنبع من جبال الأطلس المتوسط الجنوبي أو أطلس بني ملال، وقد ساهمت هذه الموارد المائية الكارستية في استقرار بشري مهم، وفي انتشار مجموعة من المدن والمراكز المتوسطة، ونجم عن هذا الاستقرار وضرورة ضمان الاكتفاء الذاتي من الغذاء في قيام حضارة مائية حقيقية، أساسها تراث مائي متنوع.

مكن هذا التراث المائي الساكنة المحلية من ضمان استقرارها لقرون طويلة، وفي تدبير عقلاني ومستدام للموارد المائية، والتي تتميز بالقلة وبالتوزيع المجالي غير متوازن. استطاعت التقنيات والأعراف المائية مسايرة التحديث الفلاحي الذي شهده المغرب وخاصة في مجال محادي للدير وهو سهل تادلا، الذي عرف أحد أهم تجارب التحديث الفلاحي بالمغرب منذ عهد الحماية الفرنسية، من هنا تنبع إشكالية هذه المقالة التي تسلط الضوء حول سبل التدبير العقلاني للموارد المائية، بمجال دير أطلس بني ملال، ومساهمة هذه الموارد في قيام مشاهد زراعية، تعد ركيزة لتحقيق التنمية المحلية.

وتلعب هذه الموارد المائية خاصة العيون دورا محوريا في استمرار الدير كمجال لاستقرار البشري والتمدين السريع، مما كما أنها تشكل اللبنة الأساسية في تنوع المشاهد الطبيعية والبشرية بهذا المجال الجغرافي الانتقالي بين الجبل والسهل.

تكتسي هذه الدراسة أهميتها وراهنتيها من خلال كونها تساهم في تشخيص الموارد المائية بدير أطلس بني ملال، وإبراز أهم أشكال تنظيم وطرق المستعملة من طرف الساكنة لتدبير هذه الموارد الحيوية لاستمرارية تواجد التجمعات السكنية بمجال الدير، ومن أبرز أهداف الدراسة تتجلى من خلال تحديد دور الموارد المائية وطرق تدبيرها من طرف الساكنة المحلية(القبيلة) في تحقيق التنمية الزراعية خاصة والتنمية المحلية عامة، وأهم الرهانات التنموية لهذه الموارد المائية.

1. العيون المائية بدير أطلس بني ملال : تشخيص الحالة الراهنة:

ينتمي دير أطلس بني ملال إلى الخزان المائي الكارستي، لسلسلة جبال الأطلس المتوسط الجنوبي والأطلس الكبير الأوسط، لذلك يتوفر على العديد من الموارد المائية السطحية والجوفية، فعلى طول امتداد مجال الدير نجد مجموعة من الموارد المائية ويمكن أن نصنفها إلى :

1-1-يتميز دير أطلس بني ملال بوفرة العيون مائية: تنتشر مجموعة من الينابيع المائية الكارستية، بدير أطلس بني ملال من زاوية الشيخ إلى بزو، والتي تجاوز عددها أكثر من 130 عينا (البحث الميداني 2015)، وتختلف هذه العيون من حيث خصائصها الهيدرولوجية كالصبيب والحرارة، ثم من حيث الخصائص الهيدروجيولوجيا: الأصل الهيدوروجيلوجي للعيون المائية، وكذا من حيث مكوناتها المعدنية، وتتركز معظم العيون المائية في أقدام الأجراف الصخرية، المكونة من الدولومي والكلس الدولومي للياس الأسفل بنسبة 77%، ثم كلس اللياس الأوسط بنسبة 7.8%، والتوضعات الرصراصية الرباعية بنسبة 10.1% (عبد الرحيم بنعلي، 2004، ص163)، تختلف هذه العيون كذلك من حيث الارتفاع، ذلك أن أعلاها في عين تاغبالوت

نوحليمة بالقصيبة بارتفاع يصل إلى 1140م، وأخفضها هي أغبالو ن فم أودي بارتفاع لا يتجاوز 540م.

كما أن معدل الصبيب يختلف بشكل كبير من نبع إلى أخر، حيث أن عين أسردون التي تنتمي إلى ينابيع التدفقات للياس أطلس بني ملال، يصل معدل صبيبها حوالي 1350ل/ث، بينما لا يتجاوز في العديد من العيون الأخرى 10ل/ث، خاصة تلك التي تنبع من التوضعات الثلاثية والرصراصة كعين الحلوف 1ل/ث.

وتقسم الينابيع المائية إلى ثلاثة حسب مصدرها الجيولوجي، وهي :

أ-ينابيع التدفق المباشر للياس أطلس بني ملال: كعين أسردون وعين تاغبالوت نو احليمة وأغبالو نتامدا.

ب-ينابيع الوحدة البنيوية اللياسية المنفصلة عن أطلس بني ملال : كعيون فشتالة وفم العنصر وتيموليلت وأصفرو.

ج-ينابيع التوضعات الثلاثية والرصرصة للدير: كعيون فم أودي، تامكنونت وزروال،واغرم العلام.

يتوفر الدير على العديد من العيون المائية، وهذه العيون تشهد تحولات ملحوظة على مستوى حجم الصبيب، الذي يتضح أنه يعرف تباينا كبيرا بين الفترات الزمنية الواردة في الجدول، حيث أن فترة 1972-1981 كانت الأعلى صبيبا لدى جميع العيون، بينما كانت فترة 1981-1993 هي الأقل صبيبا، ويفسر هذا بكون هذه الفترة كانت فترة جافة على المستوى الوطني، مما أثر سلبا على العيون الكارستية للدير أطلس بني ملال، ففي سنة 1981 سجلت عين أسردون أدنى صبيب لها إذ لم يتجاوز 450ل/ث (و.ح.م.أ.ر 2012)، ومن العيون ما جف، ولم يعد لها وجود حتى يومنا هذا كعين داي ببني ملال وعيون عديدة في منطقة أيت أم البخث ودير القصيبة بمنطقة أوصفرو، التي جفت منذ تلك الفترة إلى غاية الموسم 1996/1995 وفي سنة 2009/2008 حيث بلغت التساقطات مستويات استثنائية.

كما تختلف هذه العيون المائية، من حيث درجة حرارة المياه وذلك تبعا للارتفاع، الذي تنبع من العيون، فمثلا نجد أن ينابيع التدفق المباشر للياس أطلس بني ملال، التي يتراوح ارتفاعها ما بين 650 و1100 متر، لا تتجاوز فيها الحرارة حوالي 15,5 درجة، بينما أن ينابيع التوضعات الثلاثية للـدير، التي تنبع من ارتفاع ما بين 650 و500 متر فحرارتها تتجاوز في معدلها 19 درجة.

1-2-1- التوزيع الجغرافي للعيون المائية بالدير: تتوزع العيون المائية بدير أطلس بني ملال بشكل متباين، حيث أن العيون المائية يقل عددها كلما توجهنا في اتجاه الجنوب الغربي، فنجد أن عددها يتجاوز 31 عينا بزاوية الشيخ وأم البخث، أما جماعة دير القصيبة لوحدها فتتجاوز فيها العيون المائية أزيد من 25 عينا ذات صبيب مهم يتجاوز 3 ل/ث كأدنى صبيب، وهذا لا يعني أن نفس الملاحظة نسجلها من حيث الصبيب، فمثلا نجد أن أكبر العيون من حيث الصبيب، لا تتواجد في المنطقة التي تكثر فيها العيون، لكن توجد في دير بني ملال، الذي يحتل مرتبة وسطى وانتقالية بين الدير الرطب نسبيا (دير القصيبة) وأخر شبه جاف (دير بزو)، وهي عين أسردون التي يصل معدل صبيبها السنوي حوالي 1347 ل/ث، ويبلغ عدد العيون بهذا المجال حوالي 39

عينا، بينما في دير بزو فنجد أن عدد العيون، يبقى أقل نوعا ما إذ لا تتجاوز 25 عينا، والجدول الموالي يوضح لنا توزيع العيون المائية حسب الجماعات المحلية لدير أطلس بني ملال.

المجالات الكبرى للدير	الجماعة	عدد العيون	الصبيب ب :ل/ث	المساحة المسقية
دير القصيبة	أم البخث	26	2108	3147
	زاوية الشيخ	5	605	874
	دير القصيبة	25	2614	4192
	القصيبة	6	427	1176
	تانوغا	11	719	1723
	تاكزيرت	21	1453	5019
دير بني ملال	فم العنصر	20	860	1954
	بني ملال	6	2060	8594
	فم أودي	4	147	412
	تيموليلت	6	184	613
	أفورار	3	78	386
دير بزو	بني عياض	14	513	1362
	ارفالة	3	73	614
	بزو	8	350	1324
المجموع	14	160	12291	32466

الجدول رقم 01: توزيع العيون المائية بدير أطلس بني ملال

مصدر المعطيات : المندوبية الإقليمية للفلاحة لبني ملال ووكالة الحوض المائي لأم الربيع 2016

يتضح أن منطقة دير أطلس بني ملال، عبارة عن مجال لانتشار العيون المائية الكارستية بعدد كبير، إذ تتجاوز 138 عينا في المجموع، لكن تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض العيون وهي قليلة على العموم، تنبع من مناطق جبلية قريبة من الدير، خاصة في دير القصيبة، كما أن هذه العيون تتميز بصبيب مهم، ويعود هذا اللبس في تصنيف هذه العيون ضمن عيون الدير، إلى عدم وجود تحديد دقيق لمجال الدير، لدى بعض الإدارات الساهرة على تدبير الموارد المائية، والمكلفة بجمع المعطيات المناخية وحتى الهيدرولوجية.

2. التراث المائي بدير أطلس بني ملال

2-1-الإرث المائي بالدير: تراث مائي عريق: تفيد المراجع التاريخية التي تناولت إقليم تادلا بصفة عامة، أن الدير مجال عيون واستقرار بشري مهم، مما يطرح السؤال حول التراث المائي بالمنطقة، أين تتجلى مظاهر هذا التراث وما خصوصياته داخل مجال تادلا؟

تشير بعض الدراسات الأجنبية خاصة، أن الإستقرار البشري بمجال تادلا عموما وبالدير خاصة، سابق لدخول الإسلام إلى المغرب، كما أشارت إلى ذلك دراسة (فرانسوا كوتيي Gauthier Fransois، 1925 ص384) حول مغارات الدير، إضافة إلى إشارة "(جاكلين مونيي Meunié Jacqueline 1984 ص241) حول تادلا، وكذا دراسة Peyronnet حول تاريخ تادلا من الأصول حتى 1910، كل المؤشرات تدل على قدم الإستقرار بهذا الإقليم المغربي من طرف الإنسان الأمازيغي.

وأول الإشارات التي سوف تصلنا حول الدير ومنطقة تادلا عموما عند المصادر الإسلامية مع " عبيد الله البكري"، لكن إشارته لم تذكر بالتفصيل الجانب الاقتصادي المتعلق بالزراعة بل تم ذكر بعض "الحصون الغنية" التي تم الاستيلاء عليها من طرف الأدارسة، وبعدهم سوف يأتي الغزو الصنهاجي لدير أطلس بني ملال ورغم كون هذه القبائل الصحراوية تعتمد في نمط عيشها على الرعي والترحال، فإنها عملت على توطين مجموعة من فروعها بالدير لمواجهة قبائل زناتة في جبال فزاز(الأطلس المتوسط) (محمد حجاج الطويل، 1992، ص37)، وحاولوا خلق مناطق فلاحية ذات استغلال وإنتاج متنوع.

وفي عهد الموحدين فقد شهد الدير خاصة، ومنطقة تادلا عموما "ثورة فلاحية"، حيث تضاعفت الرقعة الزراعية مئات المرات وكادت تختفي أراضي الرعي (البراح) (محمد حجاج الطويل، 1992، ص51)، حيث تشير المصادر التاريخية أن الموحدين طوروا تقنيات الري والفلاحة ببلاد المغرب والأندلس (سعيد بنحمادة، 2007، ص33)، حيث تم تطوير تقنيات الري وشقت السواقي وتم بناء السدود التلية لنقل مياه الأنهار، وتم إدخال زراعات جديدة إلى المنطقة كزراعة القطن، التي اشتهرت بها تادلا داخل العالم المتوسطي ككل(الشريف الادريسي)، وازدهرت بالدير زراعة البستنة والتشجير، والخضروات، ولعل في إشارات المؤرخين الكبار الذين ذكروا منطقة تادلا والدير، إشارات دامغة عن هذا التطور الهيدرولوجي والاقتصادي بدير أطلس بني ملال، حيث يشير الوزان في كتابه **"وصف إفريقيا"**، إلى أن منطقة الدير تعتبر منطقة غنية ومتطورة على المستوى الفلاحي، نتيجة التطور التقني الذي شهدته المنطقة وهي نفس الخلاصة التي أكدها "مارمول كاربخال" أثناء حديثه على مناطق متعددة من دير أطلس بني ملال.

وأشار تقرير للنقيب (Commandant TARRIT, 1923, p515) على أن منطقة أيت أم البخث وزاوية الشيخ، تتوفران على سواق كبيرة ومبنية من الطين والحجارة، تنقل كميات كبيرة من مياه العيون، لسقي بساتين الزيتون والتين المنتشرة بكثرة في الدير، كما أعطانا هذا التقرير أسماء العيون، التي توجد في المنطقة، والتي تتجاوز 24 عينا، إضافة إلى أسماء الأنهار الدائمة الجريان والموسمية، كما تمدنا هذه الدراسة بحجم التجهيز الهيدروفلاحي لهذه العيون، أما الدراسة التي أنجزها René Bucco-Riboulat سنة 1949 ، حول مدينة بني ملال فهي تمدنا أيضا، بمعلومات مهمة حول اقتصاد مدينة بني ملال، التي رغم كونها مدينة للتبادل التجاري بين السهل والجبل، فهي تعرف تواجد نشاط فلاحي مهم جدا وإنتاج الزيوت، وتتوفر على سواق ضخمة تسمى ب "الواد" وكانت مشيدة بالحجارة والكلس "تافزا" وكانت تتم عملية ترميمها بشكل دائم كل سنة.

هكذا يمكن القول بأن دير أطلس بني ملال، يتميز بكونه مجالا غنيا بإرثه المائي، الذي شكل عنصر تميز على المستوى الجهوي والوطني، حيث إن وفرة الموارد المائية جعلت من هذا المجال يجلب اهتمام الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، من أجل الاستفادة من هذا العنصر الايجابي في استقرار حكمها بالمنطقة، كما أن هذه الوفرة لم تسمح ببروز تقنيات معقدة، كالخطارات والسواقي الكبيرة كما هو الشأن في سوس والحوز وسايس، فإذا ما استثنينا ساقية السعدانية وساقية تازروالت وساقية فشتالة بمنطقة تاكزيرت، والتي تعتبر نموذجا لمجهودات

الإنسان الديري في تدبير موارده المائية، وكذا سواقي عين أسردون، التي تعود إلى فترات سابقة لعملية بناء المدينة ككل، وكانت هذه السواقي عصبا للحياة على مستوى الدير والمدينة والسهل كذلك.

2-2-القوانين العرفية (إزرفان) وتدبير الموارد المائية بالدير: يعتبر الأزرف أو العرف من القوانين المحلية، التي تعتمد عليها الساكنة لتدبير قطاع الماء، فهو المرجع الرئيسي الذي تعود إليه اجماعة من أجل حل الخلافات والخصومات حول الماء، فهو يساعد على تدبير وتوزيع الماء بشكل عادل حسب الحقوق المائية االمكتسبة وعلى تطبيق العدالة وإنصاف المظلومين وزجر المعتدين على الحقوق المائية، كما ينظم أعمال الصيانة للقنوات وللسدود المحلية الصغيرة "الأكَوكْ" ويتواجد هذا النمط من القوانين في معظم المناطق الريفية بالمغرب خاصة في الأطلس الكبير وسوس (بوجروف السعيد ،2007، ص278)، وكذلك بمجال دير أطلس بني ملال نجد هذه الأعراف منتشرة بشكل كبير، وتكتسي هذه الأعراف أهمية كبرى في توطيد علاقات التآزر والتعاون بين أفراد القبيلة، من خلال العمل التعاوني "التويزة" ويكرس مبادئ التضامن والتكافل عن طريق الزجر(إزماز) أو التراضي.

تشير المعطيات التي تم الحصول عليها أثناء زيارتنا المتكررة للمجال الدير، أن تدبير الموارد المائية يتم بطرق عرفية، وفي غياب شبه تام لمؤسسات الدولة وقوانينها الحديثة في مجال تدبير الماء، فحسب الاستمارة الموجهة للساكنة المحلية بالدير، من بين الأسئلة الواردة فيها نجد سؤالا ما هي طريقة تدبير الموارد المائية بالدوار؟ جاء الجواب كالتالي: تدبير عرفي بنسبة 100% من المستجوبين، وفي سؤال أخر حول دور ومساعدة المؤسسات الرسمية في تدبير الماء؟ كانت إجابة حوالي 94 % بقولها: لا شيء بينما قالت 6% تقوم بإصلاح بعض السواقي فقط.

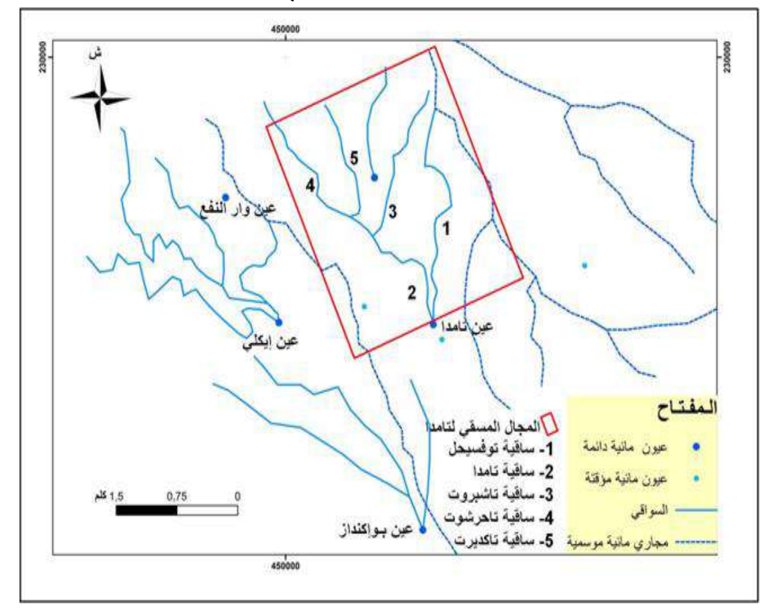
تبرز هذه الأرقام أن تدبير الموارد المائية بدير أطلس بني ملال شأن محلي بامتياز، مرهون بتدبير القبيلة والساكنة المحلية، كما أن دور الدولة ودعمها لتطوير تحديث استغلال هذه الموارد لازال ضعيفا جدا، ولذلك تعمل كل جماعة أو قبيلة في الدير على وضع أعرافها الخاصة من أجل تدبير مواردها المائية، وعموما فالماء "هو مرآة المجتمع فحسن تنظيم الماء، يعبر عن تضامن قوي وتكامل بين مكونات المجتمع" (Olivia Aubriot, 2004, p312). بل إن الماء يعد عنصر تضامن وتعايش بين أفراد المجتمع (M,Drain, 1998, p262) لذلك سوف نقوم بالتركيز على حالة ميدانية نعتقد أنها كافية لإبراز أهمية الأزرف في تدبير الموارد المائية.

تعبر هذه القوانين العرفية على نوع من الديمقراطية الشعبية في أقوى تجلياتها حول تدبير الموارد الطبيعية المشتركة وهو الماء الذي يعتبر من الموارد الحيوية والمهم في حياة المجتمعات، وتمكنت هذه الأعراف من تخفيف من حدة التوتر والصراع بين أفراد القبيلة وكذلك ضمان التدبير الأنسب لحالتي الندرة والوفرة المائية بدير أطلس بني ملال.

2-3 يعتبر ارتباط الماء بالأرض عاملا أساسيا في قسمة الماء بمنطقة زاوية الشيخ: توجد منطقة زاوية الشيخ في الجزء الشمالي لدير أطلس بني ملال، وتتميز بالعديد من الخصائص الطبيعية المهمة حيث تعرف تساقطات مطرية مهمة، وهو ما سيسمح بتنوع الموارد المائية بهذه المنطقة حيث توجد عيون كثيرة تتجاوز 28 عينا أغلبها دائمة الجريان، وأهمها من حيث الصبيب هي عين تامدا حيث صبيبها يصل إلى 350ل/ث، والتي تعد العين الثانية من حيث حجم الصبيب

بدير أطلس بني ملال بعد عين أسردون، وتسكن هذا المجال قبيلة أيت أم البخث وهي أحد فروع قبيلة أيت اسري، وقبيلة أيت أم البخث تنقسم الى أربعة "تيكما" أو مشيخات وهي "أيت شطيف" و"أيت عبد النور" و"أيت محا" و"أيت هودي"، وكل "تيكمي" لها مجالها الخاص من أراضي زراعية ورعوية وموارد مائية تخضع لأعرافها الخاصة في استقلال عن الفروع الأخرى، وهذا ما ينجم عنه تنوع في الأعراف المنظمة للماء في هذه المنطقة، فمثلا نجد أن مشيخة "أيت محا"، التي توجد في مجالها " أغبالو ن تامدا" فإن الأعراف المنظمة للماء تعود إلى فترة ما قبل الحماية.

لكن تم تأكيدها وتنظيمها أكثر في عهد القايد " يحي أومحا" 1942/1939، حيث نصت هذه الأعراف على أن الماء حق لكل أفراد المشيخة الأصليين وعلى المساواة في ملكية الماء بين أفراد المشيخة، وأن الماء غير قابل للبيع أو التفويت تحت أي ظرف كان، وأن الماء مستقل عن الأرض فمن أراد بيع الأرض فهو حر لكن بدون ماء، ومن لم يتملك الأرض وله الماء من حقه أن يكتري نوبته لمن يشاء من عظمه، أو لأحد أخر من مشيخة "أيت محا" فقط، كما منح المرأة حق ملكية الماء ما لم تتزوج خارج القبيلة، لكن حدد حقها في نصف ما يحصل عليه الرجل، كما هو وارد في نظام الإرث في الإسلام، أما في مشيخة "أيت هودي" التي تسقي من مياه عين "تامسكورت" حولي 110ل/ث، حيث أن الماء مشترك بين كل أفراد المشيخة، ملك عمومي لكل فرد الحق في الاستفادة منه، شريطة أن يكون من أصله من المشيخة، كما أن الماء حق للذكور دون الإناث، وأن الماء مرتبط بالأرض أي أن من يبيع الأرض يجب أن يبيع معها ما يسقيها من الماء، إن كانت تحت الساقية يسمى " إكَرْ ندو تركَا" أي "حقل تحت الساقية".



خريطة رقم 1: توطين العيون المائية بدير زاوية الشيخ

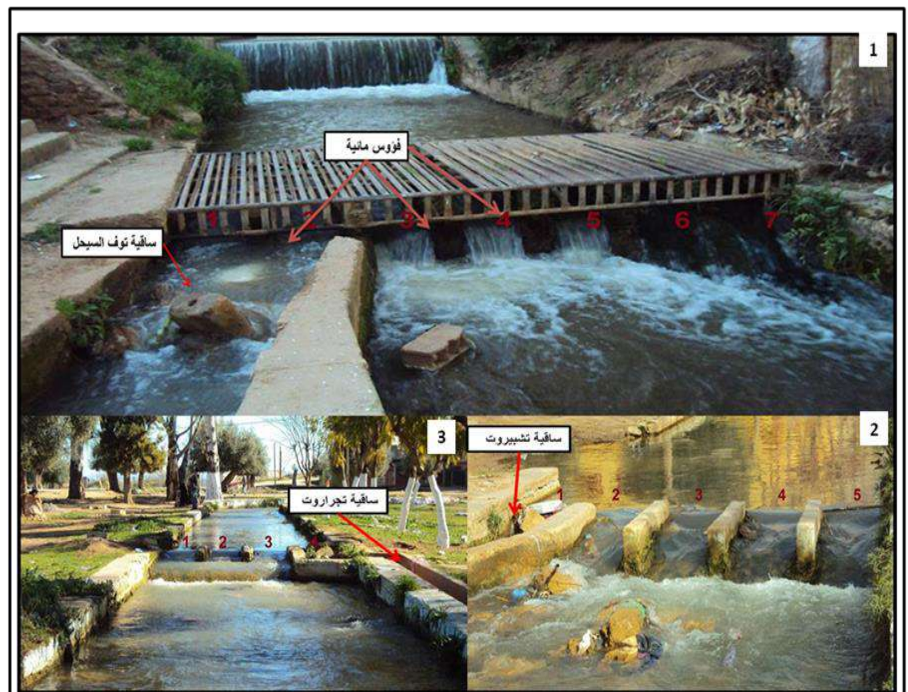
المصدر : العمل الميداني 2015/ الخريطة الطبوغرافية 1/50000 لزاوية الشيخ

وعموما فالأعراف المائية في هذه المنطقة، أدت إلى نتائج متباينة حسب الساكنة المحلية، حيث أن مشيخة "أيت محا" لا تزال تسيطر على الماء، رغم تراجع مساحة الأراضي الزراعية بفعل البيع، والتمدين الذي يتزايد مع مرور السنين، بينما نجد فخدات أيت "عبد النور" و"أيت هودي"، فهي بدأت تفقد السيطرة على الماء والأرض، وبدأ أبناؤها في الهجرة نحو المراكز الحضرية كزاوية الشيخ، ومنهم من هاجر إلى أوربا، وفي المقابل عرفت نزوح العديد من المهاجرين، من مناطق بعيدة من بني زمور وأبي الجعد والسراغنة، وإملشيل... حيث اشتروا الأرض والماء، وهكذا بدأت المشيخات في التفكك، كما أن ثمن الأرض الذي يبقى مرتفعا عند مشيخة "أيت عبد النور" و"أيت هودي" لكونها مرتبطة بالماء، قد ساهم في إغراء الفلاحين من أجل بيع أراضيهم، عكس "أيت محا"، فثمن الأرض يبقى منخفضا بشكل ملحوظ، لكونها منفصلة عن الماء.

طريقة تقسيم مياه "عين تامدا" بزاوية الشيخ: يتم تقسيم مياه عين "تامدا" بين "إغصان" عظام مشيخة أيت محا (زاوية الشيخ):

تقسم ساقية "عين تامدا" على 5 سواق ثانوية وهي :

1) ساقية توف السيحل : 2 فأس مائية 2) ساقية تشبيروت: 1 فأس مائية 3) ساقية تجراروت: 1 فأس مائية 4) ساقية تايديرت: 2 فأس مائية 5) ساقية تاحرشات: 1 فأس مائية.



اللوحة رقم 1: تقسيم مياه عين تامدا على السواقي حسب عدد الفؤوس المائية.

مصدر الصور: العمل الميداني 2015.

إذن فمياه عين "تامدا" والتي تعني بالأمازيغية "ضاية الماء" تقسم إلى 7 فؤوس مائية، وصبيب كل فأس مائية تختلف حسب الفصول (أنظر الصور أعلاه)، وعموما فمعدل الصبيب يصل إلى 30 ل/ث حسب جمعية " مستعملي مياه الري لتامدا"، ويتنوع مستغلو مياه عين "تامدا" حيث تقسم بين الساكنة على الشكل التالي :

إغصان	ساقية توف السيحل	ساقية تشبيروت	ساقية تجراروت	ساقية تايديرت	ساقية تاحرشات
أيت أربعين	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
أيت مومن	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
أيت أيوب	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
أ.علي أوحساين	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
أيت امحند ويشو	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
أيت عمر	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع	يوم /الأسبوع
الأحباس	يوم الجمعة	يوم الجمعة	يوم الجمعة	يوم الجمعة	يوم الجمعة

جدول رقم 01: توزيع مياه عين تامدا بين فروع مشيخة أيت محا (زاوية الشيخ)
المصدر: الرواية الشفوية والاستمارة الميدانية 2014.

يبدو أن مياه السواقي، يتم تداولها بين مختلف المستغلين بشكل متساو من حيث المدة الزمنية، وكل فرع من فروع المشيخة يستفيد من مياه السقي في كل سواقي العين، مما يحافظ على العلاقات الاجتماعية الودية بين أفراد القبيلة، رغم أن هذا التنظيم يواجه عدة إكراهات : إكراه يوم السوق الأسبوعي الذي يصادف يوم الأربعاء، لذلك ففي كل موسم فلاحي يتم تخصيص مياه سقي أحد الفروع في هذا اليوم وفي السنة الموالية ينتقل إلى غيرها، كما أن هذا اليوم (الأربعاء) فيما يخص ساقية "تاحرشات" فهي غير خاضعة لقانون التقسيم، فهي تسمى "أماكور" أو "الماء الفائض" عن حاجة القبيلة، ذلك أنه من حق كل أفراد المشيخة الاستفادة من مياهها شريطة أن يحضروا عملية القسمة، التي تقام بعد صلاة الفجر مباشرة، فمن لم يحضر القسمة ليس له الحق في الاستفادة من مياه هذه الساقية، والغاية من هذا اليوم من السقي الحر، هي منح الفرصة لمن لا يملكون الماء داخل المشيخة لسقي أراضيهم، أو من فاته وقت نوبته المائية أو لم تكفه نوبته الأصلية يقوم بالتعويض في هذا اليوم.

3.مظاهر التدبير الاجتماعي للماء بالدير.

3-1 تعد اجْمَاعَة مؤسسة جماعية ديمقراطية لتدبير الموارد المائية بالدير: تعتبر مؤسسات اجْمَاعَة من المؤسسات التقليدية، التي طورها المجتمع المغربي منذ عصور خلت، وتقوم بتدبير الموارد الطبيعية التي تتوفر في المجال الترابي للقبيلة نظرا لما تتوفر عليه من سلطات رمزية وتشريعية داخل القبيلة، كما أنها تسهر على تنظيم الحياة الجماعية، وتنظيم استغلال الأراضي الزراعية وضمان تقسيم الثروات بين أفراد القبيلة، فهي تعبر عن التضامن العضوي والعفوي بين أفراد القبيلة (Montagne,Robert, 1930, p152)، وتعمل مؤسسة اجْمَاعَة على ضمان التوزيع العادل لمياه السقي، بين الفلاحين ذوي الحقوق المائية أو الذين يكترون المياه منهم وذلك وفق قوانين وأعراف صارمة، لا يحق لأحد من أفراد الجماعة تجاوزها وقد لاحظنا تواجدا فعليا لهذه المؤسسة الفاعلة بشكل قوي بمجال الدير في عملية تقسيم الماء بين الفلاحين، وكذلك من

حيث العمل على حل النزاعات حول الماء، وتطبيق أعراف النوبة المائية كما تعمل على معاقبة المخالفين، من خلال فرض غرامة مالية رمزية أو إلزامهم بالذبيحة وإطعام عدد معين من الأشخاص يختلف عددهم حسب طبيعة الخطأ المرتكب.

تؤدي اجْمَاعَة دورا مهما في حماية الحقوق المائية والدفاع عن مصالح القبيلة من كل تهديد خارجي، كما حدث في فشتالة في صراعها مع أهل تاكزيرت حول الساقية السعدانية، وتاكزيرت في صراع حول ماء ساقية "تازروالت" ضد استغلالية تازروالت، الفلاحية التي توجد بسهل تادلا.

ساهمت العديد من العوامل بشكل مباشر في تحول أدوار مؤسسة اجْمَاعَة، حيث بدأت في التراجع في العديد من مناحي الحياة العامة بالدير، فإذا ما استثنينا منطقة القصيبة، تاكزيرت، أيت عياض، وفم العنصر، فإن اجْمَاعَة بدأت في التراجع على مستوى تدبير الموارد المائية، حيث بدأت تزدهر مؤسسات جديدة هي نتاج لكل التحولات السابقة وخاصة التحولات السياسية، حيث تسعى الدولة من خلال هذه المؤسسات، إلى جعل تدبير الماء شأنا محليا لكن تحت مراقبتها المباشرة، ولذلك تم تأسيس جمعيات المجتمع المدني من خلال " جمعيات مستعلمي الماء الفلاحي A.U.E.A"، التي تعد إطارا قانونيا ومنظما ومعترفا به من طرف مؤسسات الدولة العاملة بمجال الماء، وتعد من العناصر الجديدة في تدبير الموارد المائية بالدير ودورها في تزايد مستمر.

2-3 جمعيات مستعملي الماء الزراعي : A.U.E.A فاعل جديد في تدبير الموارد المائية بالدير: تم تأسيس هذه الجمعيات بموجب القانون رقم 2-84 والمدعم بظهير 1-87-12 الصادر بتاريخ 3 جمادى الثانية الموافق ل 11 دجنبر 1990، والمنشور بالجريدة الرسمية رقم 4081 ليوم 16 يناير 1991، وبعد التوجه الذي اتبعه المغرب والذي يرمي إلى ضرورة إشراك الفلاح في التخطيط والتسيير والتدبير وذلك من خلال إطارات منظمة(EL Mouden Idriss, 2000 p37,) بغية تجاوز البيروقراطية الرتيبة والتدبير التقني، الذي غالبا ما يتعارض مع العقلية التلقائية والعفوية للفلاح المغربي (Kemmoun mohamed, 2004 , p245-267)، لذلك جاء قانون 2-84 الذي نص على حق تأسيس جمعيات مستعملي المياه الفلاحية، وكان الهدف من تأسيسها خلق إطار جمعوي وجماعي منظم من أجل المساهمة في خلق تدبير عقلاني للموارد المائية، وكذا تكوين جمعيات مدنية تلعب دور الوساطة وحلقة وصل بين المؤسسات الساهرة على تدبير الماء والفلاحين مستعملي مياه الري، وتعد هذه الجمعيات كجمعيات مجتمع مدني خلقت من أجل المنفعة العامة ولا تسعى بتاتا من أجل أية منفعة خاصة، وتطبق عليها القوانين المنظمة للمجتمع المدني بالمغرب(القانون رقم 2-84).

تعتبر جمعيات مستعملي الماء الزراعي شريكا إجتماعيا جديدا يساهم في تدبير الماء الزراعي، ويمكن أن تكون شريكا حقيقيا في سبيل تحديث وتدبير وتنمية الموارد المائية، لكن الأمر يحتاج لنوع من الدعم والتنسيق والتكوين التقني والعلمي والتنظيمي في ميدان الماء، لتفادي عدم سقوط هذه الجمعيات في خانة الجمعيات التنموية التي تبقى مجرد حبر على ورق، كما أن هذا النوع من الإطارات من شأنها دعم البعد الثقافي للتنمية لدى الساكنة، وذلك من خلال دعم أواصر الثقة بين الفلاحين ومؤسسات الدولة الفاعلة في التنمية المحلية، خاصة إذا ما تم تكوين هذه الجمعيات في ظل قبول ومباركة جميع مكونات القبيلة، فإن هذا من شأنه أن يدعم دورها في تدبير الماء.

4. التدبير التقني للموارد المائية : غنى الإرث المائي تنوع تقنيات التدبير.

4-1 السدود التلية (أكوك) كأهم تقنيات تدبير الماء بالدير: قام الإنسان المغربي منذ عهود قديمة، باختراع العديد من وسائل الري وسقي محاصيله الزراعية، فقد قام في المناطق الجافة وشبه الجافة والواحات، بتطوير السقي بالخطارات والشادوف والآبار لمواجهة النقص الكبير في الماء وتدبير القليل المتوفر منه (Bédoucha Geneviève, 1987 ,p125)، في حين أن المناطق الرطبة، والتي تعرف نوعا من "الوفرة في الموارد المائية" كالدير بمنطقة بني ملال، فقد طور الإنسان المحلي أدوات أخرى لتدبير الماء، ولتوفير الكمية الضرورية لسقي الفلاحي ومنها السدود التلية، التي تنتشر في كل مناطق الدير، خاصة تلك التي تتواجد بها مجاري مائية سواء موسمية أو دائمة الجريان.

وغالبا ما تتواجد هذه المنشآت في عالية المجرى، من أجل الاستفادة من عاملي الطبوغرافية والجاذبية في نقل الماء من عمق المجرى نحو الحقول، ويتم استعمال الحجارة والأتربة وأغصان الأشجار لبناء هذه الحواجز، التي غالبا ما تكرر عملية البناء بعد كل فيض مائي وتساقط الأمطار الأمر الذي يجبر الساكنة على إصلاحه أو بناء "أَكَوكْ" جديد، وفي السنوات الأخيرة قامت الساكنة بإنجاز بعض السدود بالإسمنت المسلح، لمواجهة خطر الجرف المتكرر من طرف السيول، لكن رغم ذلك فلا يزال العديد من السدود تتعرض لجرف السيول، خلال الفترات المطيرة من السنة تشكل السدود التلية أداة فعالة لتحويل المياه من المجرى الرئيسي للنهر، إلى الحقول والبساتين المنتشرة على طول الدير.

إضافة إلى كونها تشكل تقنية لتقسيم الحقوق المائية على السواقي وعلى الفخذات التي تستفيد من الماء، وبالتالي فهذه المنشآت المائية المشتركة تعتبر بمثابة مصدر حياة بالنسبة للساكنة المحلية، وتعتبر مجلسا للقبيلة عند كل دورة مائية حيث يحضر عملية القسمة ذوي الحقوق أو من ينوب عنهم، ويمكننا أن تصنيف أكوك بمجال دير أطلس بني ملال إلى نوعين: النوع الأول أَكَوكْ لنقل الماء من النهر إلى الحقول، والنوع الثاني أَكَوكْ لتوزيع ماء العيون على السواقي والحقول، وغالبا ما نجد هذا الأخير يتم بناؤه من الإسمنت ويتم تقسيم الماء حسب الفؤوس المائية، التي تتم عملية تحديدها من هذا الأَكَوكْ.

4-2 السواقي أساس السقي الإنجذابي بالدير: ينتشر السقي الإنجذابي على طول مجال الدير، ليشكل أهم نظام للسقي على المستوى المحلي، ويعتمد هذا النظام على السواقي، لنقل المياه من العيون والسدود التلية إلى الحقول والمزروعات، وتسمى محليا ب"تاركَا" وتعتبر كذلك شريانا نابضا يربط بين العالية (منبع الماء) والسافلة حيث المشارات الزراعية، وتعرف السواقي لدى الساكنة المحلية، بأسماء معينة تعبر عن معنى معين وحدث يرتبط بتاريخ المنطقة، مثل ساقية تازروالت نسبة لقوة الصبيب وزرقة الماء، وساقية المغيلية بعين أسردون نسبة إلى المنطقة والقبيلة التي تستفيد من مياهها، وتتفرع عن الساقية الرئيسية سواق ثانوية ثم ثلاثية، والتي تقوم بإيصال المياه إلى الحقول وتختلف السواقي من حيث شكلها وعددها، فهي تكون قليلة في العالية وقرب العيون والسدود التلية وعند منابع الماء، بينما يزداد عددها وكثافتها في السافلة نظرا لأهمية المساحات الزراعية والحقول، وغالبا ما تقسم الساقية الرئيسية المجال المسقي إلى عدة أشطر، من أجل توفير الماء بالتساوي لكل المستفيدين.



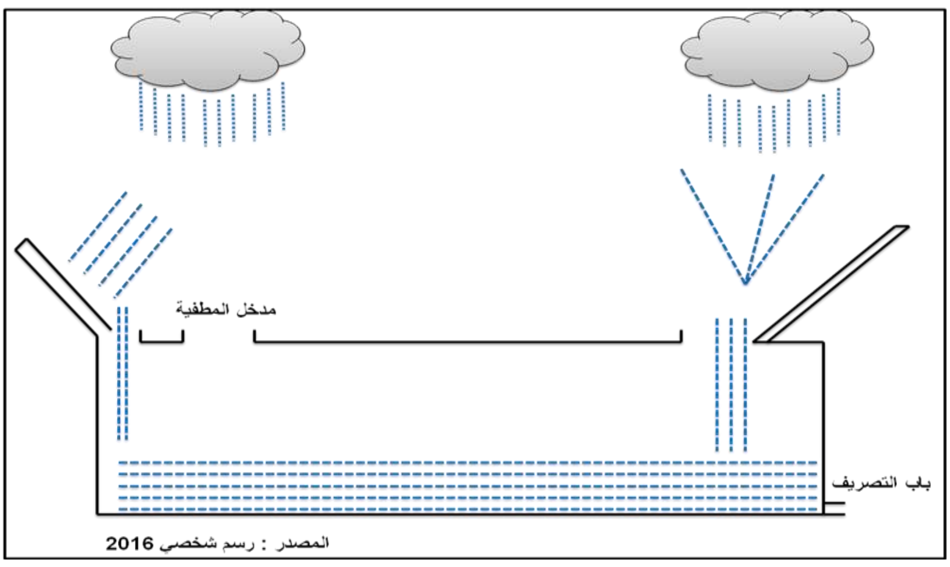
الصورة رقم 1 : ساقية رئيسية لعين فشتالة (فم العنصر)
الصورة رقم 2 : ساقية لعين تاردا أيت أم البخث
الصورة رقم 3: أكوك لتوزيع مياه ساقية السعدانية على السواقي الثانوية تاكزيرت.
الصورة رقم 4 : أكوك لتوزيع مياه ساقية تازروالت
المصدر : تصوير شخصي 2015/2016

اللوحة 2: نماذج لبعض السواقي الرئيسية المجهزة بدير أطلس بني ملال
مصدر المعطيات: العمل الميداني 2016/2015.

وهكذا فمن خلال الزيارات الميدانية لمجال البحث، وأثناء ملء الإستمارة الميدانية، فإن أنواع السواقي التي يستعملها الفلاحون في منطقة الدير تنقسم إلى نوعين السواقي الطينية التقليدية، والتي يتم شقها في القشرة العلوية للتربة، وهي تشكل حوالي 80% من مجموع السواقي بمنطقة الدير، بينما تشكل السواقي العصرية بالإسمنت حوالي 20% حيث تقتصر على السواقي الرئيسية والسواقي الكبرى، التي تنقل الماء من السدود التلية أو العيون الرئيسية، وهذه النسبة تختلف حسب الجماعات حيث أن هذه النسبة قد ترتفع إلى 60% كما هو الحال في مجال تيموليلت وأفورار وأيت عياض.

3-4 المطفيات كتقنية قديمة لجمع مياه الأمطار بالمناطق الجافة من الدير: أمام ندرة الموارد المائية في بعض المناطق الجافة بدير أطلس بني ملال، قام الإنسان بابتكار آليات متعددة لتدبير المتوفر منها، من أجل توفير الحاجيات الضرورية للعيش والاستمرار في مزاولة الأنشطة الفلاحية، وفي منطقة بزو فقد طور الفلاح البزيوي تقنية المطفيات التي تعد من التقنيات العتيقة والقديمة، وتستعمل "تانوطفي" أو المطفية لمنطقة بزو في جمع مياه الأمطار، أو تزود بالماء من العيون كمطفية باحي، التي كانت تزود بماء الأمطار وبساقية صغيرة من "عين تامدا" (حسب الرواية الشفوية 2016) وذلك من خلال حفر حوض أو "صهريج" لتجميع المياه الجارية في السفوح الجبلية وغالبا ما تكون هذه الصهاريج نصف مغمورة، أو لجمع المياه الجارية فوق سطوح المباني مثل مطفية أقرمود التي تجمع مياه الأمطار النازلة من سطح مسجد" أقرمود" وتوجيهها قصد التجميع في الحوض، الذي يكون في الغالب مغطى بالحجارة والأخشاب والجير

والطين، وتكون له فتحتان لدخول الماء، وفتحة ثالثة تكون في قعر المطفية من أجل الاستفادة من الماء.



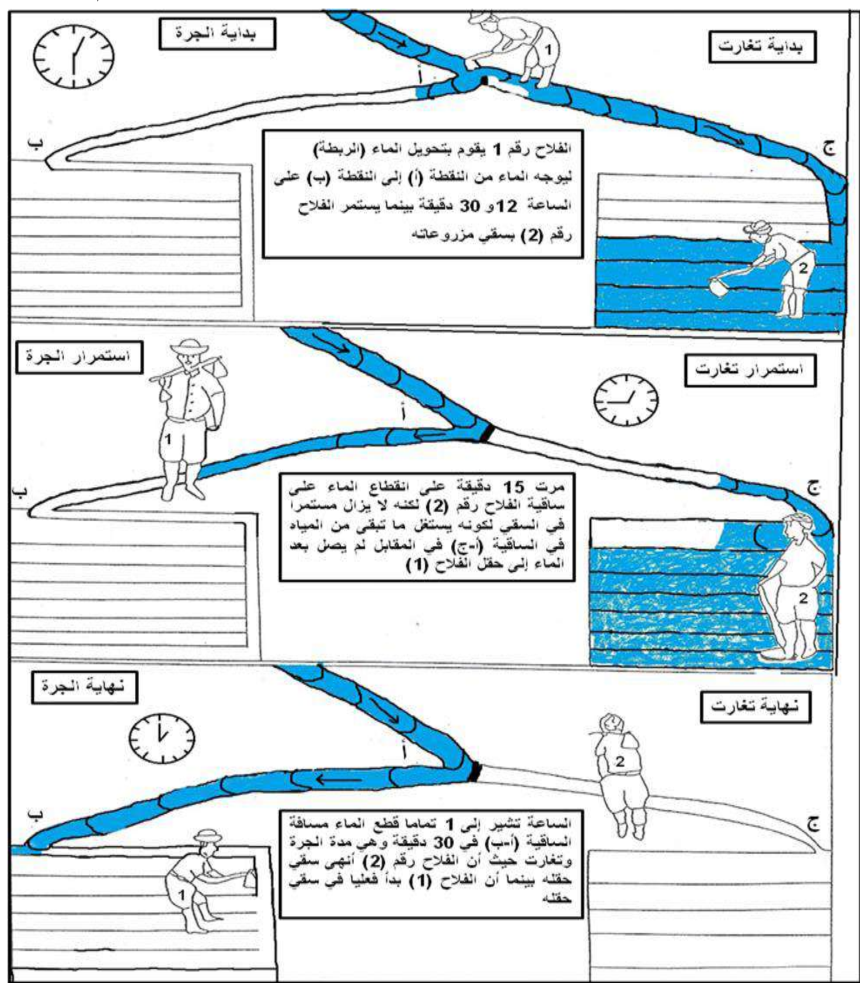
الشكل رقم 1: رسم تبسيطي لتقنية المطفية بدير بزو
مصدر المعطيات: العمل الميداني 2016.

وكانت هذه المطفيات تلقى إهتماما كبيرا إسوة بالعيون المائية، حيث كان يتم تنقيتها من الأوحال وترميم جدرانها كل سنة خلال فصل الصيف، وتتنوع أصناف المطفيات الموجودة في المنطقة، حيث نجد مطفيات خاصة تسمى "تاخيبيت" ومطفية الحقول" تانوطفي ن إكران" ومطفية القبيلة " تامزالت" (Boujnikh Mohamed, 2008, p207)، وقد كانت هذه التقنية ابتكارا عبقريا لمواجهة ندرة الماء وقلة التساقطات، التي لا يتجاوز معدلها 300 ملم في السنة، وكذلك تفاديا لتبخر للماء نتيجة الحرارة المرتفعة، لكن هذا الأسلوب والتقنيات عرف تراجعا كبيرا، وتدهورت معظم المطفيات الموجودة بمنطقة بزو خاصة بمنطقة زالكن (عبد الحفيظ واكريم، 2010، ص165)، حيث تحتاج لترميم فوري أما مطفية "أغبالو"، فقد تدهورت كثيرا وأصبحت عارية كليا، هذا في الوقت الذي لا تزال فيه مطفيات المساجد، بوضعية جيدة كمطفيتي مسجد أقرمود ومسجد باحي.

4-4 تقنية الري التقليدي بالجرة وتاغرت بالدير: تنتشر في النظام التقليدي للسقي الصغير والمتوسط أسلوب السقي بالغمر أي غمر كل الحوض المراد سقيه دفعة واحدة، من أجل سقي المزروعات كالخضر والفصة والحبوب، كما تطبق هذه التقنية في عملية سقي الأشجار المثمرة كالزيتون حيث يتم حفر أحواض دائرية عند جذع الشجرة، ويتم غمره بالماء عند كل عملية سقي ويتميز هذا النوع من السقي، بالعديد من الخصائص منها توفير الرطوبة الكافية للتربة، وهو الأمر الذي يشكل ظروف ملائمة لتطور التربة والحفاظ على خصوبتها، ولكن هذا الأسلوب له نتائج سلبية على مستوى تبذير الموارد المائية بكميات مهمة أثناء عملية السقي، وذلك نظرا لنشاط

عملية التبخر بفعل عوامل المناخية (الحرارة المرتفعة)، إضافة إلى عملية تسرب الماء داخل التربة، وهو الأمر الذي يخلق عجزا في الموارد المائية المتاحة بالدير.

كما أن السقي التقليدي بالاعتماد على السواقي الطينية، يساهم في ضياع كميات كبيرة من خلال تسرب كميات مهمة، وهي العملية التي تنشط خلال عملية السقي إضافة إلى هذا فإن طريقة السقي ب "الربطة"، من العوامل التي تساهم في ضياع كميات مهمة من الماء، وتتكون هذه التقنية من عمليتين عملية "أنزوغ نوامان"، وتعني "الجرة" أو جر الماء، أي بداية النوبة المائية "تيويلي"، وعملية "تغارت" وتعني الجفاف وهي نهاية النوبة المائية وبداية النوبة المائية لفلاح أخر، وتسمى المدة الزمنية الفاصلة بين "أكوك" والحقل "بتغارت" أنظر الرسم.



الشكل رقم 2: تبسيط لعملية الربطة والجرة المائية بمنطقة تاكزيرت

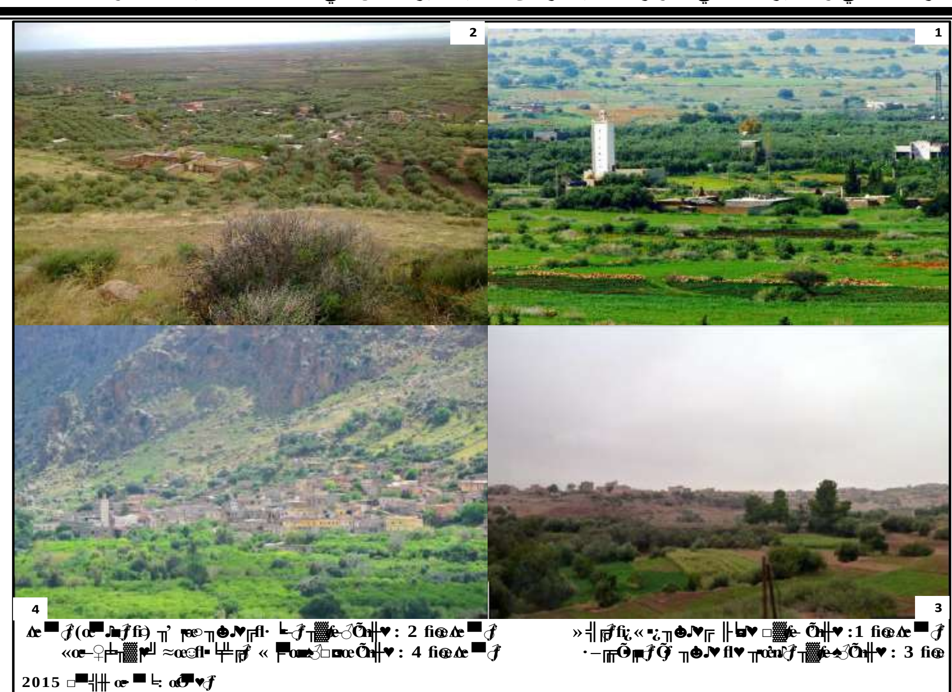
مصدر المعطيات: عمل شخصي 2014.

تعتبر هذه التقنية التقليدية، سببا مباشرا في ضياع كميات كبيرة من الماء، والذي يضيع في السواقي عن طريق التسرب أو من خلال التبخر في الجو، وهو ما يجعل الفلاح لا يستفيد من نوبته المائية بشكل كامل وعقلاني.

وللتقليل من هذا الضياع يعمل الفلاحون على جمع أصحاب النوبة المائية، في نفس الساقية من أجل تقليص المسافة الفاصلة بين "الجرة" و الربطة، وكذلك من أجل ربح الوقت وضمان الاستفادة القصوى من النوبة المائية، لكن رغم ذلك فإن الوضعية الحالية تتسم بضياع نسبة مهمة من الماء، تستوجب إيجاد حلول مناسبة لتجاوزها، حيث تبقى عملية تطوير وتحديث الوسائل التقنية لتدبير الموارد المائية بدير أطلس بني ملال أمرا ملحا وحتميا، فكيف يمكن الوصول إلى هذا المبتغى؟

5.المشهد الفلاحي ورهان التنمية المحلية بدير أطلس بني ملال.

1.5 أنواع المشاهد والرساتيق الزراعية المرتبطة بالماء بالدير: يعرف مجال دير أطلس بني ملال انتشار العديد من الحقول والمشارات، التي تتحد فيما بينها لتشكل رساتيق فلاحية ومشاهد زراعية متنوعة، حيث نجد العديد من أنواع الحقول بالدير، وتنقسم إلى حقول مفتوحة كالحقول المخصصة لإنتاج الحبوب وأشجار الزيتون، وأخرى مسيجة كالعراسات، والتي تكون مخصصة لإنتاج الفواكه كالتين والمشمش والخضراوات والمغروسات بالأساس، وغالبا ما يكون هذا النوع محروسا خوفا من السرقة، وتختلف هذه المشارات حسب المساحة: حيث أننا نجد مساحات صغيرة وحتى مجهرية، تستغل في زراعة بعض الخضر والحبوب كزراعة معيشية نادرا ما تحقق الاكتفاء الذاتي، ويتنوع الانتاج الفلاحي في هذه المشارات (Tohami ElKhyari, 1987, p240)، والتي تعمل مع بعضها البعض من أجل أن تكون رساتيق تمنح للدير ميزته وهويته الخاصة، وتكسبه بعدا جماليا، حيث أن هذه الرساتيق غالبا ما تكون منسجمة ومتناغمة بين مكوناتها وعناصرها، وتعبر هذه الرساتيق وطرق تنظيمها على مدى تراكم الخبرات والتجارب التنظيمية والزراعية لدى الفلاح الديري، فكل رستاق أومشارة أوحقل أوعرصة يعبر عن نمط تفكير ومكانة اجتماعية وفقا لما تفرضه الظروف الطبيعية والبنية الاقتصادية للمجتمع ككل(امحمد بلفقيه، 1988، ص32).



اللوحة 3: مجموعة من مشاهد الرستاق بدير أطلس بني ملال.

مصدر المعلومات: البحث الميداني 2015.

يعرف الدير انتشار العديد من المشارات الزراعية والتي تتنوع حسب المناطق وحجم الموارد المائية وخصائص التربة، وتعدد المشاهد الزراعية حيث أن الصور أعلاه تبرز الدير كمجال للإنتاج الفلاحي المتنوع أساسه المغروسات الزيتون والتين والرومان والخروب والمشمش، إضافة إلى زراعة الحبوب والخضروات المعيشية (البصل واللفت والبطاطس) أو حتى التسويقية منها (الجلبان، الفول، والقطاني..) وتتميز هذه المشاهد الزراعية بالتشابه والتنظيم التلقائي والعفوي، عكس المجال المسقي لتادلا حيث نجد المشارات أكثر تنظيما وتتخذ أشكالا هندسية واضحة وبارزة.

والملاحظ في هذه الرساتيق الزراعية أنها بدأت تفقد تنوعها الكبير من حيث الأشجار المثمرة، وخاصة التراجع الكبير في أشجار الزيتون، وبدأت بعض العرسات تتحول إلى مجالات فارغة تمهيدا لبنائها، وقد عرف السكن الريفي، الذي كان في الماضي يستقر أساسا بالقرب من العيون وبمحيطها، حيث أن العيون المائية تعتبر النواة الرئيسية للاستقرار البشري، الذي كان يتركز في سفوح الجبل والمناطق المرتفعة، أصبح اليوم يزحف على المجالات المنبسطة وعلى حساب الأراضي الزراعية، حيث بدأت المراكز القديمة في التفكك لصالح البناء الجديد القريب أساسا من طرق المواصلات (الطريق الرئيسية)، ببزو، تاكزيرت، القصيبة، زاوية الشيخ أولاد عياد، بني ملال، وهو الأمر الذي خلخل بشكل كبير المشاهد الزراعية للدير.

كما أن نوع البناء ومواد البناء عرفت تطورا كبيرا بمجال الدير، حيث أصبحت المنازل ذات الطراز الحديث تغزو وبقوة المجال الريفي بالدير، أصبحنا نجد الفيلات والمنازل الإسمنتية، في

حين بدا الطراز القديم الذي كان يبنى بالمواد الأولية في التراجع بتراجع البناء بالتراب والحجارة والتسقيف بالأخشاب، وبدأت القرى القديمة في التفكك والتحول إلى مجالات للسكن العصري، كما أن انتشار المكننة أدى إلى تراجع أماكن الدرس، واستعمال الأسمدة ساهم في تراجع استعمال فضلات الحيوانات التي أصبحت تطرح في مكب النفايات وتسبب أمراضا خطيرة.

2.5 تكتسي مشاهد الدير رهانات تنموية كبيرة: تشير بعض المصادر الجغرافية والتاريخية، التي درست المنطقة إلى أنها كانت تتميز بوفرة الغطاء النباتي الكثيف، وانتشار غابات كثيفة من الزيتون (البشير بوسلام، 1991، ص21)، كما أن المجال السكني كان عبارة عن جزيرات متفرقة، وفي الغالب ما تكون المدن محاطة بأسوار " تافزا" و"داي"، بينما كانت الموارد المائية تؤطر الحياة العامة للساكنة، من خلال تقسيم مياه السواقي، وكذا تنظيم أعمال صيانة المنشآت المائية من سواقي وسدود تلية، والتي كانت تستعمل من أجل تحويل مياه الأنهار لسقي المحاصيل الزراعية، وبالتالي المساهمة في خلق مشاهد تتميز بالتنوع والتناغم بين مكوناتها مما يكسبه جمالية كبيرة، والتي سحرت الشعراء والأدباء، والذين قاموا بنظم الأشعار عن جمال المشاهد الطبيعة، التي يزخر بها الدير، خاصة العيون المائية كعين أسردون وتامدا وتغبالوت نوأحليمة، وحتى في فترة الاستعمارية فقد أعجب العديد من الرحالة بالتنوع الطبيعي الذي تتميز به مجالات الدير.

وإذا كانت مشاهد الدير، تتميز بهذه الجمالية والتوازن الكبير بين مكوناتها الطبيعية والبشرية في الفترات الماضية، فإن الدير في العقود الأخيرة، قد شهد العديد من التحولات على مستوى طبيعة المشاهد المرتبطة بالماء خاصة، والمشاهد الطبيعية والبشرية بصفة عامة، حيث أصبحت معظم المشاهد تراكم مظاهر العطوبة والهشاشة، ذلك أن المساحات الشجرية بدأت في التقلص، فالدير يفقد مئات الهكتارات من أشجار الزيتون بهدف بناء تجزيئات سكنية، فمع التوسع العمراني الذي تشهده مراكز الدير خاصة بني ملال، زاوية الشيخ، القصيبة وفم العنصر، بفعل التزايد الطبيعي والهجرة الريفية، فقد شهدت المجالات الزراعية تراجعا كبيرا، مما ساهم في تقلص المجالات الخضراء على امتداد الدير، وهو ما أصبح يهدد مستقبل الساكنة المحلية ويهدد استقرارها بالمنطقة ككل، خاصة مع تراجع الدخل وتوالي سنوات الجفاف مما قد يؤدي إلى حدوث هجرات كبيرة من الدير نحو المدن الديرية(بني ملال، زاوية الشيخ..) وحتى خارجه، وبشكل بدأ يهدد كذلك الهوية الخاصة للدير، ويجعل مستقبل الدير بصفة عامة والمشاهد المائية، أمام تحديات ورهانات تنموية حقيقية.

إذن فالموارد المائية للدير أمامها رهان المساهمة الفعالة في استمرارية المشهد الفلاحي والبعد الجمالي لمشاهد الدير تمهيدا لخلق استثمارات فلاحية وسياحية قادرة على تثمين الدير كمجال متميز بوضعه الطوبوغرافي (الإشراف المباشر على سهل تادلا)، وكذلك لطابعه الجمالي كمجال للخضرة والتنوع المشهدي مجال الزيتون والخروب، لكن ربح هذا الرهان رهين بالتدبير العقلاني للمتوفر من الموارد المائية.

6.**خلاصات الدراسة:** من خلال هذه الدراسة الميدانية يمكن الخروج بالعديد من الخلاصات والتي تنصب في مجملها حول التدبير العقلاني للموارد المائية ورهان التنمية الحلية بمجال دير أطلس بني ملال ونلخصها على النحو الموالي:

- أن مجال دير أطلس بني ملال يعد مجالا غنيا بموارده المائية المتنوعة وخاصة العيون المائية الكارستية، التي تعد المصدر الرئيسي للماء بالمنطقة، وأن هذه العيون تختلف من حيث توزيعها الجغرافي على مناطق الدير، وكذلك من حيث خصائصها الهيدرولوجية، ذلك تبعا لعوامل مناخية وتضاريسية.

- أن هذه العيون تلعب دورا محوريا في خلق ثقافة مائية وزراعية عريقة بالحيز الجغرافي للدير، من حيث كونها سببا رئيسيا في استقرار الساكنة على طول الدير ومنذ فترات تاريخية قديمة، وذلك من خلال تواجد العديد من المراكز الحضرية القديمة والحديثة التي ترتبط بشكل وثيق بالعيون المائية للمنطقة.

- أن التنظيمات والتقنيات التي أنشأتها القبيلة والساكنة المحلية ساهمت ولفترات طويلة في الحفاظ على الموارد المائية من الضياع والتدهور، لكن التنمية العصرية والمواكبة الحقيقية لتطور الاقتصاد الوطني والتغييرات المناخية تستوجب من الساكنة المحلية والدولة التفكير في تطور تقنيات تدبير الموارد المائية بالدير.

- الموارد المائية المتاحة حاليا ساهمت وتساهم في خلق مشاهد طبيعية وبشرية، يمكنها أن تكون لبنة صلبة لخلق مشاريع تنموية من قبيل تثمين المنتوجات المحلية للدير (الزيتون، الخروب،..)، وكذلك أن تكون عاملا محفزا لتنمية سياحية إيكولوجية مستدامة شريطة عدم المساس بالتوازنات البيئية الدقيقة للدير.

خاتمة:

يعتبر تدبير الماء بدير أطلس بني ملال شأنا خاصا بالنسبة للساكنة المحلية، لذلك يبقى التدبير الاجتماعي كما رأينا هو الأكثر حضورا وأهمية على مستوى هذا المجال من خلال مؤسسات محلية من "اجماعة" أو جمعيات مستعملي الماء الفلاحي، وهذه المؤسسات المحلية أبانت على قدرة كبيرة في تدبير الماء من تنظيم عملية توزيعه بين ذوي الحقوق وعلى صيانة المنشآت المائية، وفي حل الخلافات بين مختلف المستفيدين، كما أن الساكنة المحلية ومن خلال هذه التنظيمات تمكنت من تطوير واختراع العديد من التقنيات لتسهيل الاستفادة من الماء المتوفر بمجال الدير من سدود تلية وسواقي لنقل الماء نحو الحقول والمدن، ثم المطفيات لجمع مياه الأمطار في المناطق التي تعاني من ندرة الماء، إلا أن هذه التقنيات وإن كانت قد ساهمت في تدبير استغلال الماء خلال فترات معينة، فإن الواقع الحالي المتسم بالندرة وتراجع الإمكانيات المائية مقابل التنامي الكبير في الطلب على الماء بالدير يستوجب تحديثا حقيقيا لتقنيات تدبير واستغلال الماء، بغاية الحفاظ عليه وتدبير المتوفر منه ومواجهة الطلب المتزايد عليه تحقيقا للتنمية المحلية بدير أطلس بني ملال.

قائمة المراجع:

1. بنعلي عبد الرحيم(2004)، حوض تادلا: من التطور البليورباعي إلى الاستغلال الهيدروفلاحي المستحدث، 03/2004، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الانسانية أكدال، الرباط.
2. بلفقيه آمحمد(1988)، أوليات في الجغرافية الزراعية، منشورات الشركة المغربية لتنمية النشر والتوزيع، ط2، مطبعة النجاح الدار البيضاء.
3. بنحمادة سعيد(2007)، الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7و 8 هـ/ 13و14م إسهام في دراية المجال والمجتمع والذهنيات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
4. بوجروف السعيد(2007)، الجبال المغربية : أي تهتئة؟ ، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض كلية لآداب والعلوم الانسانية، مراكش.
5. بوسلام محمد بن البشير(1991)، تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916 جوانب من تاريخ دير الأطلس المتوسط ومنطقة تادلا، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط .
6. حجاج الطويل محمد (1992)، النشاط الاقتصادي بتادلا خلال العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، بني ملال، سلسلة: ندوات ومناظرات رقم 1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء.
7. واكريم عبد الحفيظ(2010)، الموارد الطبيعية ومظاهر التنمية القروية بمنطقة أبزو، إقليم أزيلال، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
8. AUBRIOT Olivia(1997), L'eau, Miroir d'une Société. Irrigation paysanne au Népal central, Monde Indien, Sciences Sociales 15e-21e siècle. Paris: CNRS Editions 2004.
9. BEDOUCHA Geneviève(1987), L'eau, l'amie du puissant. Une communauté oasienne du Sud tunisien. Paris, France, Editions des archives contemporaines.
10. BOUJNIKH Mohamed(2008), Évolution des paysages irrigués dans le Souss oriental(Maroc), de la khettara à la motopompe, des terroirs faid aux grands périmètre irrigués(le cas des Ouled-Berhil, province Taroudante. Thèse Doctorat Univ Nancy.
11. DRAIN M(1998), Régulation de l'eau en milieu méditerranéen. Risques et tensions, Montpellier, Territoires en mutation n° 3.
12. EL KHYARI Tohami(1987), Agriculture au Maroc, Maroc, Edi Okkad.
13. EL MOUDEN Driss(2000), les pratiques participatives en matière de l'irrigation au Maroc : cas de secteur II projet moyen Sebou Inaoun aval, thése de 3éme cycle, ENA Meknès.
14. KEMMOUN Mohamed et al(2004), l'appropriation des ouvrages hydrauliques, des initiatives individuelles à l'action collectives, in coordination hydraulique et justice sociale, actes du 4éme séminaire, Montpelier.
15. GAUTIER E. François(1925), Les cavernes du Dir, Hespéris, tomes 5, 4 semestres,

16. MEUNIE Jacqueline(1984), Le Maroc saharien des origines au 1670. librairie Klincksieck, Paris
17. MONTAGNE Robert(1930), Les Berbères et le Makhzen dans le Sud Marocain.
18. Bucco-Riboulat René(1949), Béni Mellal centre d'échange entre la plaine et la montagne, mémoires de contrôle civiles , archi, diplom. Nante.
19. TARRIT Commandant(1923), Etude sur le front chleuh, in bulletin de la société de géographie de Maroc, t.3 et 4éme trim.

تقدير الهجرة الداخلية في الجزائر بين 1987 و 2008 باستخدام التقنيات غير المباشرة

Estimation of Internal migrat on in Algeria between 1987 and 2008 Using indirect techniques

أ.سيهام عبد العزيز، جامعة باتنة01- الجزائر

ملخص: تهتم دينامية السكان بدراسة التغييرات العددية الناتجة عن الخصوبة والوفاة والهجرة وتنقسم هذه الأخيرة إلى عدة أنواع منها الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية وهي ليست بظاهرة جديدة ، لكن الجديد هو التغير الحاصل في حجمها وفي أنماطها وفي دوافعها وآثارها . وتكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول أهم مؤشر للتغير السكاني ونظرا لغياب سياسة حكومية واضحة ولعدم وجود القيود والعوائق الإدارية والقانونية الناظمة للهجرة في الجزائر سواء للتشجيع أو للحد منها، فقد ربط حجم الهجرة الداخلية واتجاه تدفقاتها بأشكال التنمية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع ولعوامل ودوافع الجذب والطرد التي تحكم هذه الظاهرة ويتمثل الهدف الرئيسي للدارسة في التعرف على حجم الهجرة الداخلية واتجاهاتها في الدولة الجزائرية بما في ذلك معرفة الهجرات القادمة والمغادرة لكل ولاية من ولايات الوطن عن طريق استخدام التقنيات غير المباشر على التعدادات التالية 1987- 1998- 2008.

الكلمات المفتاحية: الهجرة الداخلية، حجم الهجرة، تقدير غير مباشر، التعداد، مناطق الجذب، مناطق الطرد.

Abstract: Population Dynamics is interested in the study of the numerical changes resulted by fertility, death, and migration, and that later is divided into different types: external migration, and internal migration, and it's not a new phenomenon, but what's new is the change in its size, pattern, motives, and effects. And the importance of the study is that it contains the most important Population change indicator, and due to the absence of a clear government policy, And the lack of administrative and legal constraints and obstacles to the migration in Algeria whether to encourage it or to end it, and the size of internal migration and its flow is linked to forms of development and Economic, social and political developments in society, Factors and motives of attraction and expulsion that control this phenomenon, The main objective of the study is identify the size of internal migration, its directions and its flows in Algeria, and to know the coming and departing in every state of the country using indirect ways on the following numeration :1987-1998-2008.

Keywords: Internal migration, Migration size, Indirect estimate, Census, Attractions, Expulsion areas.

مقدمة:

تعد الهجرة الداخلية الظاهرة الأكثر صعوبة من حيث التحليل، لما تعانيه من الناحية المنهجية من غموض المفاهيم، تعدد المصطلحات، وعدم دقة طرق القياس، أما من الناحية التقنية تتصادم ظاهرة الهجرة مع عدم إجبارية تسجيل حوادثها، وصعوبة تحديد حركة أفرادها. هذا التصادم يفرز بيانات قليلة وناقصة في معظم الحالات، فحسب التحقيق الذي أنجز عام 1982 تبين أن معظم دول العالم تعتبر الهجرة الداخلية والتوزيع الجغرافي للسكان مشكلتان عويصتان من الصعب إيجاد الحلول لهما، والجزائر ليست بعيدة عن هذه الوضعية، فهي تعاني من اختلال تمركز السكان عبر التراب الوطني، لأسباب طبيعية كتباين التضاريس واختلاف المناخ، تاريخية متمثلة في سياسات التهجير التي مارسها الاستعمار على الشعب الجزائري، العوامل الاقتصادية ساهمت هي الأخرى خلال السبعينات في تحرك السكان نحو المراكز الصناعية الكبرى، وذلك بعد انتهاج الجزائر سياسات تنموية مبنية على التصنيع، أما العوامل السياسية فقد تدخلت في كل الحقب الزمنية محركة السكان تحت العديد من الأسباب، إلا أنها برزت بقوة في نهاية الثمانينات بعد التحول الديمقراطي وما انجر عنه من تدهور للأوضاع الأمنية، هذه الأخيرة عملت على هجرة سكان الأرياف والقرى المتضررة بكثافة خلال عشرية التسعينات.

هذه الأسباب وغيرها حملتنا على البحث في موضوع الهجرة الداخلية في الجزائر وما آلت إليه خلال العشريتين الأخيرتين، خاصة بعد توفر معطيات الهجرة من تعداد 1987 – 1998- 2008 واعتمادها كقاعدة أساسية لإنجازه، وذلك باستخدام التقنيات غير المباشرة.

تعتبر الدراسة التي قام بها كل من البروفسيور علي قواوسي ورابح سعدي أول دراسة جزائرية تتحدث عن الطرق الغير المباشرة لقياس المتغيرات السكانية والمعنونة بــــ :"إعادة تقييم الديناميكية الديمغرافية المحلية في الجزائر خلال العشرين سنة الأخيرة بالطرق غير المباشرة (1987-2008)" (Kouaouci & Saadi, 2013, p101-132) في هذه الدراسة قاما الباحثين بربط الوضع الأمني للبلاد بالهجرة الداخلية حيث قاما بمقارنة بين التعدادات 1987-1998 و 1998-2008 بواسطة الطرق الغير المباشرة واستعملا الورقة CSMIGR الخاص بالمكتب الأمريكي للإحصاء حيث التقديرات الغير المباشرة تعطي صورة تقريبية لحركات الهجرة بين الولايات واستنتجا أن أعمال العنف مست مجموع الشمال الجزائري وتمركزت في مجموعة معينة من الولايات وقد تم تسجيل 43% من أعمال العنف في ستة ولايات وسط البلاد حول العاصمة وهذه الولايات تعتبر الولايات الطاردة للسكان، ومن خلال دراستهما حددا الولايات الجاذبة والطاردة للسكان، الطاردة من خلال تعداد 1987- 1998 والجاذبة من خلال تعداد 1998- 2008.

أما الباحث كمال كاتب تمثلت دراسته حول العنف السياسي والهجرة في الجزائر (Kateb Kamel , 2007, p557-572) حيث تطرق في هذه الدراسة إلى تأثير العنف وعدم الاستقرار الأمني على الهجرة الداخلية في الجزائر حيث شهدت هذه الأخيرة تضاعفا كبيرا خلال التسعينيات بسبب انهيار الاقتصاد المحلي الذي أدى إلى ظهور العنف الذي كان الدافع لهجرة

الكثير من سكان الريف إلى المدينة وقد أعطى العنف والهجرة الداخلية ديناميكية جديدة عززت الاتجاهات الناشئة بما في ذلك التغيرات في أنماط الهجرة (مهاجرين من أصل حضري).

1.تعريف التقنيات غير المباشرة: جاء في الوجيز العاشر للتقنيات غير المباشرة في التقدير الديموغرافي المفهومين التاليين: التقدير الديموغرافي هو محاولة أو تجربة قياس مؤشرات ديموغرافية أساسية مثل معدلات المواليد والوفيات والهجرة ومستوى الخصوبة العامة المتواجدة أساسا في حالة غير مثالية أو العمل على تأهيل بعض أساليب التقديرات الديموغرافية التي توفر تقديرات لبعض المؤشرات ابتداء من معلومات لا تناسب قيمها إلا بطريقة غير مباشرة (Wunsch, G, 1984, p67).

2.البرنامج الحسابيPAS:

1.2 التعريف بالبرنامج: PAS هي كلمة مشتقة من Population Analysis Spreadsheets (Arriaga, E, 1994, p367) وتعني جداول البيانات لتحليل السكان أنشأ من طرف المكتب الإحصاء الأمريكي يضم خمس وأربعون (45) تقنية خاصة بتحليل المؤشرات السكانية والمتعلقة بقياس كل من: التركيب العمري، الوفيات، الخصوبة، الهجرة، التحضر وتوزيع السكان، وغيرها من المؤشرات، وهي موزعة في شكل 6 مجموعات(Nations Unies, 1984 , p123)

2.2 قياس حركة الهجرة الداخلية باستعمال الورقة الحسابيةPAS: لقياس حركة الهجرة الداخلية لولاية باتنة والجزائر نستعمل الورقة الحسابية CSRMIG [1] التابعة لــ **PAS** والخاصة بقياس صافي الهجرة بين إحصائيين، حيث تعتمد على معطيات إحصائيين متتاليين بحيث تكون المدة الفاصلة بينهما 5 – 10 – 15 سنة (Gendreau, F, Gubry, F. et al, 1985, p232)

3.2 طريق العمل بالورقة الحسابية:

-إلغاء حماية الورقة كي نتمكن من إدخال المعطيات اللازمة

- **Révision :** Oter la protection de la feuille.

إدخال سنة الإحصاء الأول في الخلية (A 10):

ادخال عدد السكان ذكور حسب الفئات العمرية الخماسية لإجمالي سكان المنطقة (في هذه تمثل سكان الجزائر) - الإحصاء الأول في العمود E، من الخلية (E12-E29)

إدخال عدد السكان إناث حسب الفئات العمرية الخماسية لإجمالي سكان المنطقة (في هذه الدراسة تمثل الجزائر) - الإحصاء الأول في العمود G من الخلية (G12 – G29)

إدخال عدد السكان ذكور حسب الفئات العمرية الخماسية لسكان المنطقة المراد قياس حركة الهجرة بها (سكان باتنة)– الإحصاء الأول في العمود F من الخلية (F12 – F 29)

إدخال عدد السكان إناث حسب الفئات العمرية الخماسية لسكان المنطقة المراد قياس حركة الهجرة بها سكان باتنة – الإحصاء الأول - في العمود H12- H29

[1] Les feuilles de calcul CSMIGR sont protégées et il convient donc d'ôter la protection de la feuille, et de s'assurer que l'option de calcul automatique est activée. Les données à entrer apparaissent en bleu tandis que les résultats sont fournis en noir.

إدخال سنة الإحصاء الثاني في الخلية : (A41)

-إدخال عدد السكان ذكور حسب الفئات العمرية الخماسية لإجمالي سكان المنطقة (في هذه الدراسة تمثل سكان الجزائر) – الإحصاء الثاني – في العمود E من الخلية(E43-E60)

-إدخال عدد السكان إناث حسب الفئات العمرية الخماسية لإجمالي سكان المنطقة (في هذه الدراسة تمثل سكان الجزائر) – الإحصاء الثاني في العمود G من الخلية(G43- G60)

إدخال عدد السكان ذكور حسب الفئات العمرية الخماسية لسكان المنطقة المراد قياس حركة الهجرة بها (سكان باتنة)– الإحصاء الثاني من العمود F من الخلية (F43- F 60)

-إدخال عدد السكان إناث حسب الفئات العمرية الخماسية لسكان المنطقة المراد قياس حركة الهجرة بها (سكان باتنة) – الإحصاء الثاني من العمود H من الخلية(H43- H60).

-عند تسجيل معطيات الإحصائيين يجب حصر الفئة العمرية المفتوحة ضمن حدود الفئة 65^+ و85^+ هذا إن لم نحصل على معطيات الفئة 85^+ نضع الرقم (0) بعد الفئة المفتوحة الأخيرة.

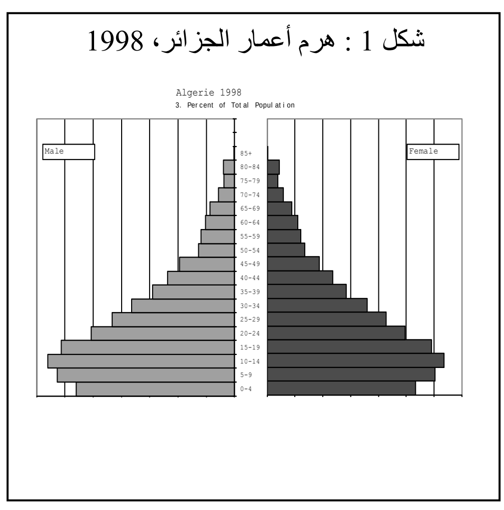
عند إدخال كل المعطيات السابقة الذكر نتحصل على:

-توزيع صافي الهجرة حسب السن والجنس من الخلية (A78 – H110) ،نتائج الورقة الحسابية انظر الملحق.

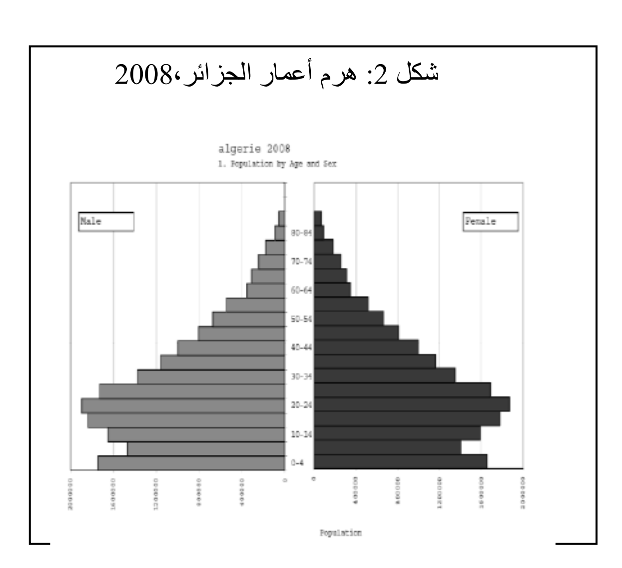
-منحنيين بيانيين: منحنى صافي الهجرة حسب السن والجنس ، ومنحنى تعداد الأحياء حسب السن والجنس.الأشكال رقم (1) و(2) و(3)و(4) انظر الملحق.

3.تحليل الهرم السكاني للجزائر سنة 1998-2008

شكل 1 : هرم أعمار الجزائر، 1998



شكل 2: هرم أعمار الجزائر،2008



Source:(Kouaouci & Saadi , 2013 ,p10).

يتميز الهرم السكاني للجزائر سنة 1998 بضيق القاعدة حسب الفئة العمرية (0-4) ويعود هذا إلى انخفاض المواليد أما الفئة العمرية (0-19) وهي تمثل أكبر نسبة مئوية بالنسبة للفئات العمرية الأخرى أما فيما يخص الذكورة نلاحظ إن نسبة الذكورة مرتفعة عن نسبة الأنوثة.

أما في سنة 2008 فقد انخفضت نسبة الفئة العمرية (0-9) نوعا م ، إلا أن الهرم السكاني في هذه السنة تميز بنفس مميزات الهرم السكاني لسنة 1998 رغم انخفاض الخصوبة في هذه الفترة مقارنة بسنة 2008 والسبب يعود إلى ارتفاع في معدلات الزواج لاستدراك ما حدث في العشرية السوداء بسبب الظروف الأمنية الصعبة التي مرت بها البلاد كذلك تحسن في الظروف الاجتماعية.

الفئة العمرية (20-64) والتي تمثل الفئة النشطة في المجتمع، و هي في انخفاض مستمر في كلا الفترتين وكلا الجنسين كما نلاحظ أن عدد الإناث أكبر من عدد الذكور والسبب يعود إلى هجرة الذكور بحثا عن العمل أما الفئة العمرية (64- 80 +) هي فئة المسنين و التي تمثل الفئة المنخفضة في الهرم حيث نلاحظ ارتفاع طفيف في النسبة و هذا يعود إلى انخفاض الوفيات و ارتفاع أمل الحياة عند الولادة نتيجة تحسن الأوضاع الاجتماعية للسكان ،كما أن الإناث أكبر من عدد الذكور و يعود السبب إلى ارتفاع الوفيات عند الذكور و ارتفاع أمل الحياة عند الإناث مقارنة بالذكور نتيجة إلى طبيعة الأعمال الخطرة و الصعبة التي يمارسها الرجل.

3.مقارنة التقديرات المباشرة وغير المباشرة:

جدول رقم(1) : مقارنة التقديرات المباشرة وغير المباشرة للعدد الصافي للهجرة بين التعدادات 1987 و 1998

الولايات	التقدير غير المباشر		الحساب المباشر	الولايات	التقدير الغير مباشر		الحساب المباشر
	N. net de migrants 98	N net de migrants 08	1987-1998		N. net de migrants 98	N net de migrants 08	1987-1998
	1	2	3		1	2	3
أدرار	7333	16030	-20898	المدية	-30195	-98230	-59508
الشلف	-29626	-27402	-10806	مستغانم	-8702	7473	5243
الأغواط	37684	47544	-841	المسيلة	2756	-12310	-4017
أم البواقي	-5883	30227	-5201	معسكر	-20167	-15058	-3103
باتنة	-17124	-39417	-7145	ورقلة	32929	-4107	12236
بجاية	-2536	-39171	2919	وهران	54308	27852	40959
بسكرة	20680	7408	9187	البيض	18523	14831	3285
بشار	-5029	1333	-4937	إيليزي	6658	6461	3553
البليدة	-67889	69995	18252	برج بوعريريج	-70002	-38171	-2063
البويرة	-26021	-14187	-10252	بومرداس	-113139	64035	29056
تمنراست	11222	2663	3284	الطارف	9920	4973	12978

تبسة	6875	174	1453	تندوف	4592	15557	1895
تلمسان	108826	-131428	2141	تيسمسيلت	-24018	-13647	-11625
تيارت	-131428	108826	-4494	الواد	5537	19287	-929
تيزيوزو	-6534	-71484	4762	خنشلة	6694	-12884	2647
الجزائر العاصمة	393871	-22082	24961	سوق أهراس	2526	17146	-1934
الجلفة	102949	96456	11781	تيبازة	-186356	11264	15086
جيجل	-22691	426	-19126	ميلة	-3461	-2393	3196
سطيف	426	26130	1033	عين الدفلة	-28219	-4081	-11734
سعيدة	-8687	966	-1871	النعامة	7765	31217	2931
سكيكدة	-9776	8819	-903	عين	-2816	-7917	6311
سيدي بلعباس	-9807	-2852	4954	غرداية	9035	-10864	382
عنابة	51322	11631	5578	غيليزان	-39502	-17695	-15309
قالمة	-4963	-16447	-260				
قسنطينة	-10290	395	2132	المجموع	17574	47292	35239

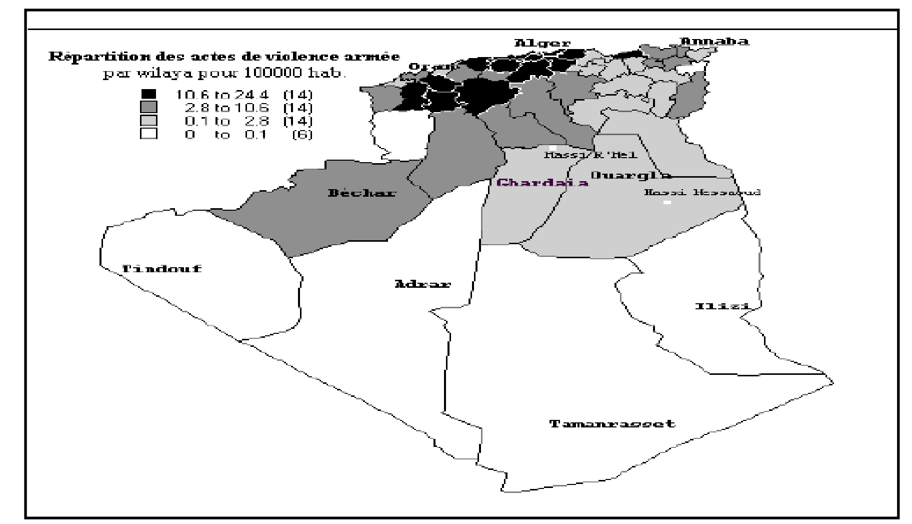
Source:(Kouaouci ,A & Saadi ,R, 2013, p12)

من خلال الجدول رقم(1) يتبين أن الطرق غير المباشرة أعطتنا في المرحلة 1987-1998 عددا صافيا للهجرة يقدر بــ 17574 و يقارن بـــ 35239 بالنسبة للحساب المباشر، وتظهر بعض الملاحظات كالطريقة غير المباشرة التي ترتكز على معدلات التعدادين، بحيث العدد الصافي للهجرة قدر بالفرق لكل ولاية بين الأعداد الفعلية حسب العمر و الجنس ، و حسب معدلات المستوى المحلي، والأعداد تم إحصاؤها في التعداد الثاني. إذن منطقيا الهجرة تتضمن مهاجري المهجر ووجود التعدادين ليس شرطا أساسيا.

بخلاف ذلك وجهة المهاجرين (ما بين التعدادات) وضعت الكثير من الشروط الإلزامية و خاصة توفر التعدادين في إحدى ولايات الوطن، والذي يلزم وجود أشخاص أحياء من خلال التعدادين، إذن الأشخاص القادمين من المهجر بين أول و ثاني تعداد لا يمكن إدخالهم في الحساب، من خلال ذلك فإجمالي الداخلين و الخارجين يجب أن يكون صفر بما أننا نعمل على نفس الأشخاص في حين يمكن أن تتغير ولاية الإقامة بين التعدادين.

في هذه الحالة نقوم باختبار الداخلين والخارجين الذين ينشرهم الـ ONS و نأخذ في الحسبان أن المجموع لا يعطينا صفر و لكن الرقم 35239 من المحتمل أن يتضمن المهاجرين الوافدين من المهجر بين التعدادين، أي أن واحد من شروط تركيبة الجدول الأصل-الوجهة للمهاجرين(ما بين التعدادات) لم يتم أخذه بعين الاعتبار(Kouaouci A & Saadi R , 2013, p114).

إن خريطة العنف تبين أن عدة ولايات حول العاصمة شهدت أكثر أعمال عنف أثناء العشرية السوداء، والمعروف أن هذه الولايات نزح منها السكان أثناء العشرية السوداء ماعدا الجزائر العاصمة حيث أن القوى الأمنية كانت متوفرة.



خريطة العنف

حسب كاتب

(Source : Kateb,k, 2004, p570)

5. تحليل الهجرة الداخلية:

وتشير النتائج المتحصل عليها من الورقة الحسابية CSMGR لسنة 1998 أن صافي الهجرة لولاية باتنة خلال الفترة 1988- 1998 بلغ 8060 في الفئتين العمريتين 30- 34 و 35-39 لدى الجنسين بسبب الظروف الأمنية الصعبة التي مرت بها البلاد في تلك الفترة، فقد شهدت البلاد هجرات كبيرة من المناطق النائية نحو المدن الكبرى بحثا عن الأمن والاستقرار أما خلال الفترة 1988-2008 بلغ صافي الهجرة 7891 عند الإناث، في معظم الأحيان تهاجر الإناث بغرض متابعة الدراسة أو الزواج أو كذلك العمل(ONS, 2008, p245) وهذا ما أشار إليه أيضا الباحث قواوسي في دراسته حولMigrations des femmes et fécondité en Algérie (Kouaouci ,Ali, 1992, p169) وتشير نتائج التحقيق عامة، إلى أن امرأة من بين اثنتين قامت بالهجرة من النساء و 38 % هاجرن بدافع الزواج إضافة إلى 3/2 الهجرة تخص النساء المتزوجات من الريف نحو الريف، هؤلاء النساء يتميزن بصغر سنهن مقارنة باللواتي هاجرن من الريف نحو المدينة (31.1 و 33.7 سنة)(Kouaouci, Ali. 2004, p37) **).**

شهدت المناطق الحضارية تدفق للسكان خلال الفترة 1998(Boukhemis & 2015, p181 (Zeghiche, واضطر نحو 1.5 مليون جزائري إلى الفرار من قراهم عام 1997. أكثر من 100000 شخص ذهب للعيش في ضواحي المدن مثل الجلفة، المدية والشلف والعديد من القرى اصبحت مهجورة مثل قرية أولاد علي، بالقرب من العاصمة، و 1.5 مليون نازح، عاد فقط 170000 شخص إلى بلدياتهم، تكفلت جماعات الدفاع المدني بسلامتهم، وأكثر من 1.3 مليون (ONS,2000,p134) لا يزالون يعيشون في ضواحي المدن الجزائرية، هذه الهجرة مرتبطة بالوضع الأمني في الماضي، ليست سوى جزء من نمط أوسع من الفقر (Martinez,L, 2004,

p19)، وهناك نتيجة واحدة للهجرة الداخلية وهي نقل مختلف القيم والمواقف وزرع التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المناطق الحضرية (Sid Ahmed, A, 1981, p33).

خاتمة:

إن الطرق الغير مباشرة المستعملة سمحت باكتشاف اتجاهات الهجرة الداخلية المختلفة، وأعطتنا نظرة عامة ووصف لكل ما حدث قبل وبعد العشرية السوداء، ولم يتحقق ذلك إلا بالتقديرات على المستوى المحلي والتي أظهرت نتائج غير متوقعة، كما سمحت بتعديل التطورات المختلفة للولايات هذا فيما يتعلق بالهجرة، وعامل العنف أنتج مستويات عدم استقرار مختلفة حسب كل ولاية وخاصة في الوسط الحضري والريفي، وتبع ذلك حركية سكانية كبيرة من الولايات الأكثر تضررا إلى الولايات الأخرى الأقل تضررا، كما أن الكثير من الأشخاص الذين تركوا أراضيهم ومنازلهم عادوا، و آخرون لم يرجعوا و بقوا في الولايات التي لجئوا إليها.

قائمة المراجع

1. Arriaga, E(1994),« Population Analysis with Microcomputers», U.S. Census Bureau, Washington, D.C., Government Printing Office, Volume II, Software and documentation, 416 page
2. Boukhemis, K. & Zeghiche, A(2015), « Approche des déterminants de la migration interne en Algérie à travers deux cas Constantine et Skikda» . In: Annales de Géographie, t. 99, n°552, pp. 180-188.
3. Gendreau, F., Gubry, F. et al(1985), « Manuel de Yaoundé. Estimations indirectes en démographie africaine», Liège, Ordina Editions, 276 pages.
4. Kateb, K(2007), « Violences politiques et migration en Algérie », dans Les migrations internationales, observation, analyse et perspectives, Actes du colloque international de l'Association internationale des démographes de langue française, 20-24 septembre 2004, Budapest, Paris, AIDELF/PUF : 557-571.
5. Kouaouci,A(1992),«Migrations des femmes st fécondité en Algerie »,Revue du monde musulman et de la Mediterrane 65 ,pp.165-173.
6. Kouaouci, A (2004), « Population Transitions, Youth Unemployment, Postponement of Marriage and Violence in Algeria », The Journal of North African Studies, 9, 2 : 28-45.
7. Kouaouci,A&Rabah,S(2013),«La reconstruction des dynamiques démographiques locales en Algerie(1987-2008)par des techniques d'estimation indirecte» .Cahiers québécois de démographie,42(1),p .101 .
8. Martinez, L(2004), « Why the violence in Algeria? » The Journal of North African Studies, 9, 2: 14-27
9. Nations Unies(1984), Manuel X. Techniques indirectes d'estimation démographique, DESA, Études démographiques No 81, 324.
10. Office national des statistiques(2000), Histoire migratoire des Wilaya, Données Statistiques, 315.
11. Office national des statistiques(2008), « Démographie algérienne en 2007 », Données statistiques, 499

12.Sid Ahmed, A(1981), Croissance et Développement. Le Développement en pratique. Expérience des économies du Tiers Monde depuis 1945, tome2, OPU, Alger.
13. Wunsch, G(1984), Techniques d'analyse des données démographiques déficientes, Liège, Ordina Éditions, 221.

الملاحق:

نتائج الورقة الحسابية CSRMIG لسنة 1998

المصدر: معالجة شخصية من خلال الورقة الحسابية CSMIGR

B. Estimated Net Number of Migrants, by Age and Sex

Age in 1998	Both sexes	Male	Female
Total, ages 10 +	-17 124	-7 128	-9 996
0-4	#N/A	#N/A	#N/A
5-9	#N/A	#N/A	#N/A
10-14	-1 141	-269	-872
15-19	-2 641	-1 411	-1 231
20-24	-2 642	-695	-1 947
25-29	-1 038	379	-1 417
30-34	-5 050	-2 464	-2 585
35-39	-3 010	-1 924	-1 086
40-44	-240	-429	188
45-49	-45	-309	264
50-54	-50	-130	80
55-59	-675	-100	-576
60-64	-203	14	-217
65-69	-712	-357	-355
70-74	-584	-516	-69
75+	517	275	242

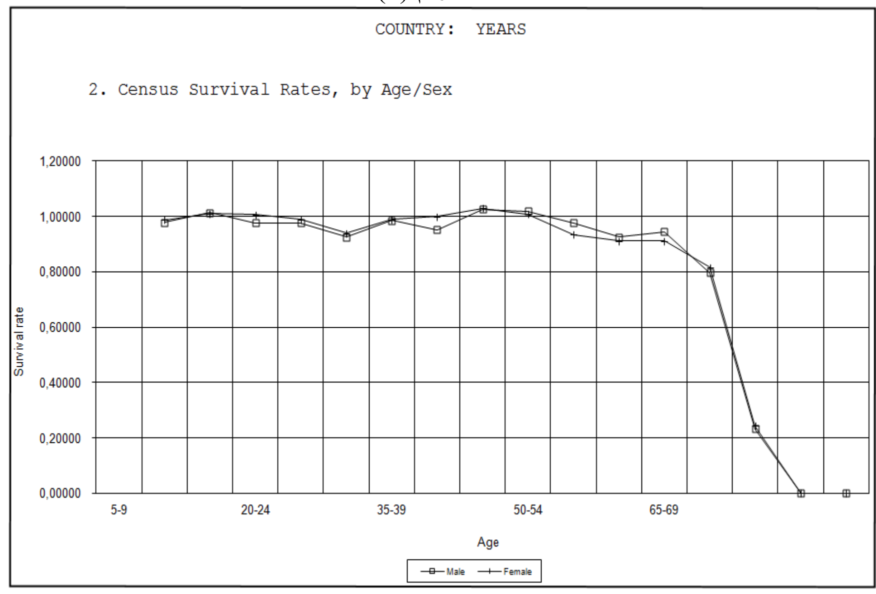
نتائج الورقة الحسابية CSRMIG لسنة 2008

B. Estimated Net Number of Migrants, by Age and Sex

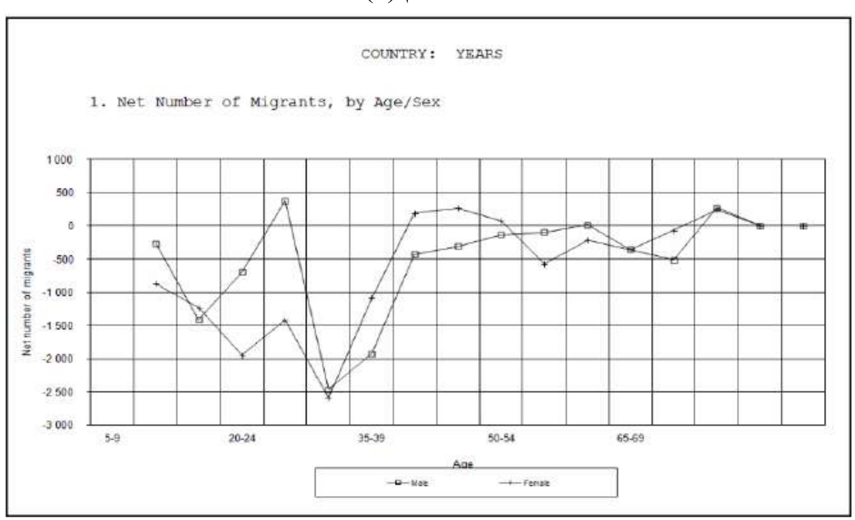
Age in 2008	Both sexes	Male	Female
Total, ages 10 +	-39 804	-15 720	-24 084
0-4	#N/A	#N/A	#N/A
5-9	#N/A	#N/A	#N/A
10-14	-2 044	-1 240	-804
15-19	-4 139	-2 249	-1 890
20-24	-5 616	-2 630	-2 986
25-29	-11 573	-6 668	-4 905
30-34	-9 085	-3 622	-5 463
35-39	-4 722	-2 011	-2 710
40-44	1 344	1 988	-645
45-49	1 438	1 970	-532
50-54	-948	204	-1 152
55-59	-2 299	-871	-1 428
60-64	-1 370	-883	-488
65-69	-1 639	-692	-947
70-74	-1 404	-421	-983
75-79	-196	97	-292
80+		-64	1 068

المصدر :معالجة شخصية من خلال الورقة الحسابية CSMIGR

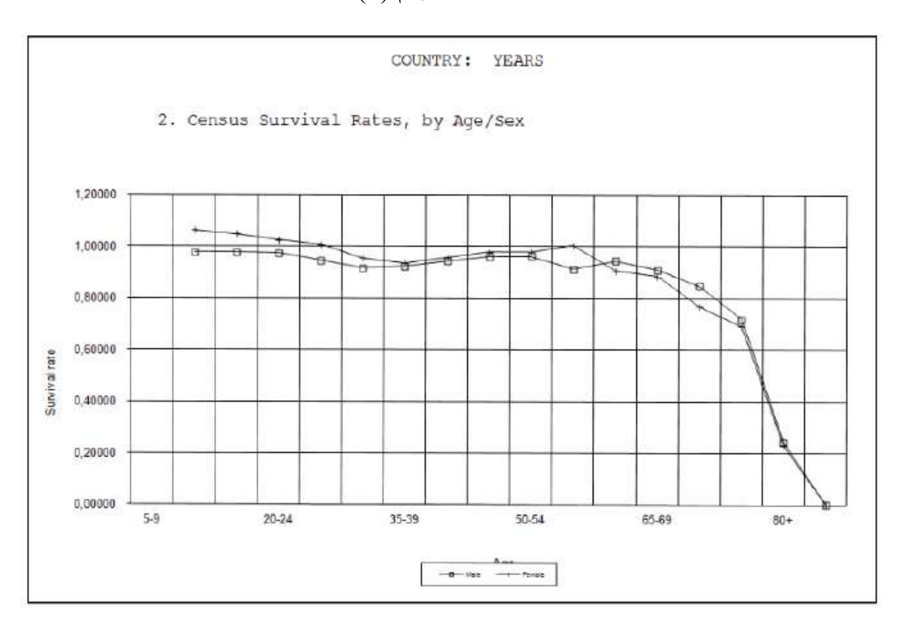
الشكل رقم (1)



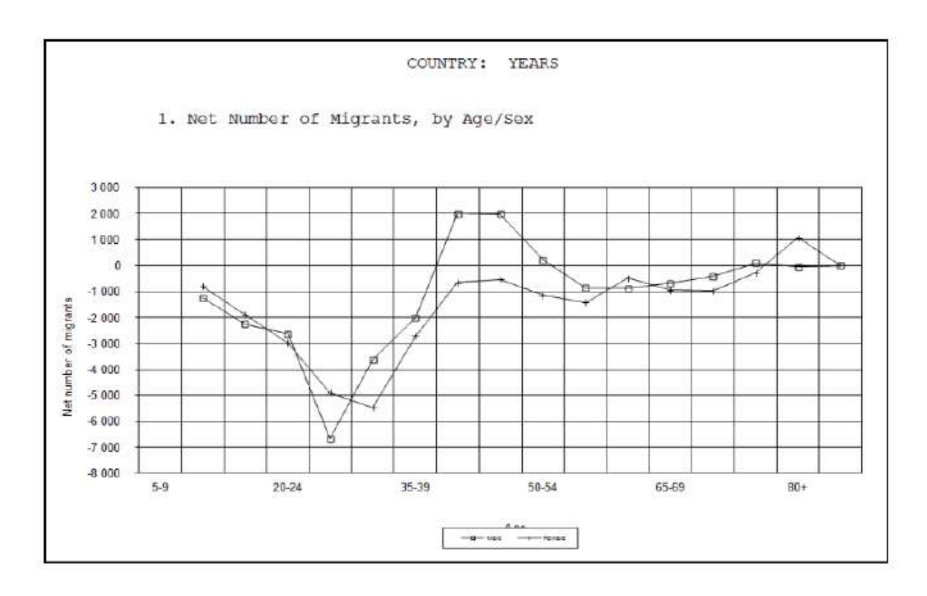
الشكل رقم (2)



الشكل رقم (3)



الشكل رقم(4)


COUNTRY: YEARS
1. Net Number of Migrants, by Age/Sex
Net number of migrants
3 000
2 000
1 000
0
-1 000
-2 000
-3 000
-4 000
-5 000
-6 000
-7 000
-8 000
5-9
20-24
35-39
50-54
65-69
80+

أشكال استغلال المجال الغابوي بأطلس مراكش، مجال سرو الأطلس بنفيس الأعلى كنموذج

Forms of exploitation of the jungle zone at the Atlas of Marrakesh, the zone of Cypré Atlas at Haute-Aghbar as a model

أ.عبد العزيز عبد الصادق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط- المغرب

ملخص: يندرج هذا المقال ضمن الدراسات البيئية المهتمة بدراسة المجالات الغابوية المغربية، خاصة الجبلية منها، فموضوع استغلال الموارد الغابوية يطرح إشكاليات تاريخية مرتبطة بقدم التعمير والاستقرار البشري قرب أو بداخل المجالات الغابوية مما يمنح الحق لهذه التجمعات البشرية من استغلالها، وإشكاليات قانونية واقتصادية يتداخل فيها رسمي (الدولة) والاجتماعي (الساكنة المحلية) مما يولد الصراع والتصادم بين المنتفعين ذو الحقوق وبين المصالح العليا للدولة، وإشكاليات بيئية من خلال الدور الكبير الذي تلعبه الغابات في حفظ التوازن البيئي والتراجع الذي يلحقها بفعل الاستغلال المفرط. ولمعالجة هذا الموضع تم الاعتماد على منهجية جغرافية تستند إلى التشخيص (تشخيص الموارد الغابة لمجال نفيس الأعلى) والتحليل (تحليل التدهور والتراجع الذي لحق هذا المجال الغابوي) والتفسير (تفسير عوامل هذا التدهور من خلال تحديد عوامل ودوافع الاستغلال الكثيف للمجال الغابوي)، ليتضح في الأخير أن المجال الغابوي لنفيس الأعلى يتميز بتنوع تشكيلاته النباتية، إلا أنه يتعرض لاستغلال مفرط من لدن الساكنة المحلية، ما فرض ضرورة التدخل للحد من هذا التراجع.

الكلمات المفتاحية: حوض نفيس، المجال الغابوي، سرو الأطلس، الطاقات البديلة، المقاربة التشاركية، التنظيم الاجتماعي، استغلال الموارد الغابوية.

Abstract: This article is concerned with the Environmental studies that deal with the domains that are related to the forest, especially its mountain component. The topic of exploitation of the forest resources raises historical issues and problems that are related to the old construction and human settlement and stabilization near or inside the forest's areas which gives the right to these human gatherings to exploit them. The same topic also raises legal and economic issues which include what is official (the state) and what is social (the local residents) which generates the conflict between the beneficiaries and the supreme interests and the policy of the state. It is also important to note that there environmental issues as well that can be seen through the vital role that the forests play in maintaining the environmental balance which is affected by their excessive exploitation. In order to solve these problems, a geographic method has been put which was based on a diagnosis of the forest's resources of the top area of Neffis, an analysis of the deterioration the forest, and an explanation of the factors behind this deterioration via specifying the reasons of the excessive use of the forest area. Based on what we have mentioned, so far, it has now become clear that the forest area of Neffis is characterized by the diversity and

the richness of its properties. However, the fact that it has been the subject of excessive deterioration by the local residents leads us to say that immediate measures must be solve this problem.
Keywords : Neffis basin, forest area, the alternative energies, collective participatory approach, exploitation of the forest resources, Cypré d'atlas.

مقدمة:

ينتج التوازن الإيكولوجي، من خلال توازن سلوكات الإنسان مع الوسط الطبيعي، فكلما كان التدخل البشري في البيئة سليما ومعقلنا ومتزنا، كانت التغيرات الناتجة عنه والمصاحبة للوضعية البيئية سليمة وغير مضرة بها، وهنا يبرز الدور الكبير الذي تلعبه الغابات والمحميات الطبيعية في حفظ التوازن البيئي، التي يفترض من الإنسان أن يحافظ عليها، ويضع لذلك قوانين وإجراءات واستراتيجيات مرنة ذات أهداف تنموية قادرة على جعل الموارد الغابوية مستديمة نظرا لدورها في الحد من التغيرات المناخية التي بات العالم يشهدها في السنوات الأخيرة والناتجة عن الأنشطة البشرية، هذه الدينامية المناخية التي تزايدت حدتها بفعل تراجع المساحات الغابوية على سطح الأرض.

بحكم موقعه المتوسطي (حوض البحر المتوسط) والانفتاح على المحيط الأطلسي، يتميز المغرب بتنوع مناخه والذي يعرف تدرجا وتباينا من الشمال إلى الجنوب، حيث المناخ المتوسطي شمالا والقاري الربط في الوسط والجاف القاحل جنوبا، هذه التمايز والتنوع المناخي انعكس على تنوع الغطاء النباتي والتي يعرف بدوره توزيعا متباينا، حيث تتركز أهم التشكيلات في الشمال خاصة في المجالات الجبلية أساسه الأرز والبلوط الأخضر والعرعر، وفي الهضاب الشرقية الجافة تسود السهوب والحلفاء، وفي الجنوب المغربي على السفوح الجنوبية للأطلس الكبير والأطلس الصغير والهضاب الصحراوية نجد تشكيلات نباتية متأقلمة مع المناخ الجاف وهي عبارة عن نباتات شوكية وتشكيلات عشبية محلية، ويعد شجر الأركان أهم تشكيل شجري في هذه المجالات.

هذا الغنى النباتي عرف تراجعا وتدهورا كبريين جراء الاستغلال المفرض الناتج عن الاستعمالات الرسمية المتعددة للخشب خاصة في الفترة الاستعمارية من جهة، وضعظ الأهالي المجاورين للمجالات الغابوية (ذو الحقوق) الذين يتشبثون بحق الانتفاع من جهة ثانية، ما دفع بالدولة إلى سن مجموعة من القوانين المنظمة الاستغلال الملك الغابوي كان أولها وأبرزها قانون 1917 المنتظم والمحدد للملك الغابوي وجعله ملكا للدولة.

يشكل المجال الغابوي لنفيس الأعلى الواقع بالأطلس الكبير الغربي نموذجا لمجال غابوي جبلي يتعرض لضغط كبير، ما جعله يعرف تدهورا وتراجعا كبيرا ناج عن تعدد الأنشطة البشرية التي يزاولها السكان المحليون المنتفعون. هذا الاستغلال الذي كان يخضع لرقابة "اجماعة"[1] والتي ساهمت إلى حد كبير في استدامة الموارد الغابوية خاصة صنف السرو التي يميز هذا المجال على باقي المجالات الغابوية المغربية.

---

[1] - اجماعة هي مؤسسة اجتماعية يوكل إليها بتسيير وتدبير شؤون القبلية أو مجموعة من القبائل التي تتقاسم نفس المجال، ويتم هذا التدبير وفق مجموعة من الأعراف المخلية المتوافق عليها.

أولا. الإطار المنهجي للدراسة:

1. إشكالية الدراسة:

تعد المحافظة على التوازن الايكولوجي من المسائل المطروحة لدى الدول والهيئات الوطنية والدولية، وعلى اعتبار أن الغطاء النباتي من العناصر الطبيعية الحيوية التي تتم على أساسها مجموعة من المشاريع، فقد أصبح عرضة للتدهور والتراجع الكبيرين، نتيجة لتداخل العناصر المناخية والتدخلات اللاعقلانية للإنسان على الأوساط الطبيعية. يتميز مجال أغبار الغابوي على انه مجال التنوع والغنى النباتي أساسه سرو الأطلس الذي يعد صنفا مستوطنا بامتياز، فهو صنف يميز مجال أغبار على غيره من المجالات الغابوية المغربية الأخرى, هذا التنوع الايكولوجي يتعرض لاستغلال مفرض قديم قدم التعمير والاستقرار بالمنطقة، ما شكل تهديدا كبيرا جعل بداية تراجع وتدهور بعض الأصناف النباتية، ويزيد من هذا الاستغلال المفرض ضعف مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمجال، حيث يعد استغلال الموارد الغابوية أهم مورد اقتصادي بالنسبة للساكنة، بالإضافة إلى صعوبة وولوجية التجهيزات الأساسية من كهرباء وماء ومواد علفية، الأمر الذي يجعل الطلب على حطب التدفئة والطهي والمواد العلفية يرتفع بشدة خاصة في فصل الشتاء، فما هي مميزات هذا المجال الغابوي؟ ما دوافع الاستغلال الغابوي المفرط الذي تمارس الساكنة المحلية؟ ما انعكاسات ذلك على المجال الغابوي؟ ما طبيعة التهيئة التي يخضع لها؟

2.فرضيات البحث: لدراسة هذا الموضوع انطلاقنا من عدة فرضيات:

-يتميز حوض نفيس الأعلى بتنوع وتشكيلاته النباتية الشجرية منها والعشبية، ويشكل سرو الأطلس أساسها، غير آن هذه التشكيلات الغنية تعاني من التدهور والتراجع،

-استغلال المجال الغابوي بحوض نفيس يرتبط بعوامل عدة، منها ضعف مستوى التنمية للتجمعات البشرية المتوسطة قرب المجال الغابوي وصعوبة ولوجية التجهيزات الأساسية،

-تدبير وتهيئة المجال الغابوي يتخذ شكلين، شكل تقليدي يخضع للعرف الاجتماعي، وشكل عصري يخضع لتوجيه المندوبية السامية للمياه والغابات.

3.منهجية البحث: اعتمدنا في دراسة وتحليل البحث على منهجين:

المنهج التوثيقي: باستحضار مجموعة من الوثائق والدراسات التي تضمنت موضوع الدراسة في أبعادها المتعددة والتي تضمنت المشاريع والبرامج التنموية التي تمت برمجتها في المناطق الجبلية خاصة المتعلقة بتدبير استغلال المجال الغابوي والتي لها علاقة بموضوع الدراسة.

المنهج الوصفي: من خلال تتبع الإشكالية المدروسة في الميدان واستخلاص مقوماتها المعرفية والإجرائية، وتتبع مدى انجاز المشاريع التنموية خاصة المتعلقة بالحد من تراجع وتدهور المجال الغابوي والحفاظ على شجرة سرو الأطلس التي يميز المنطقة.

الدراسة الميدانية: شكل البحث الميداني الركيزة المنهجية الأساسية لدراسة الموضوع، حيث تم الاعتماد على معطيات الاستمارة الميدانية في إبراز طبيعة الاستغلال الذي يعرفه المجال الغابوي وتحديد تطلعات الساكنة المحلية من المشاريع المنجزة، بالإضافة إلى المقابلات الشفوية التي تمت مع الساكنة والمهتمين بالشأن المحلي والجمعوي والمسؤولي الإدارات العمومية المتدخلة

بالمجال، وقد تم الاعتماد على النظام المعلوماتي لتحليل المعطيات الإحصائية SPPS في معالجة وتحليل نتائج الاستمارة الميدانية، وبرنامج MAPINFO في انجاز الخرائط.

ثانيا. التحديد الطبيعي والإداري للمجال الغابوي

1. موقع مجال الدراسة

تقع غابة أغبار في الأطلس الكبير الغربي على ارتفاعات تتراوح بين 1700 م و 3882 م، تمتد على طول المجموعة الجبلية التي تقطعها الطريق الثانوية رقم 203، الرابطة بين مراكش وتارودانت، عبر ممر تزي نتاست، إلى حدود تزي نتشكا الذي تمتد إلى الجزء الشرقي للغابة. ويتحدد محيط هذا المجال الغابوي بمجموعة من الأعراف، الشيء الذي جعلها تقع داخل الحدود الطبيعية للحوض الأعلى لواد نفيس، وأحد أهم روافده العليا أسف أمسور على الضفة اليسرى:

في الشمال جبل غدات x=20914 y=444 235

في الجنوب جبل فليليس x=201 676 y=432 08

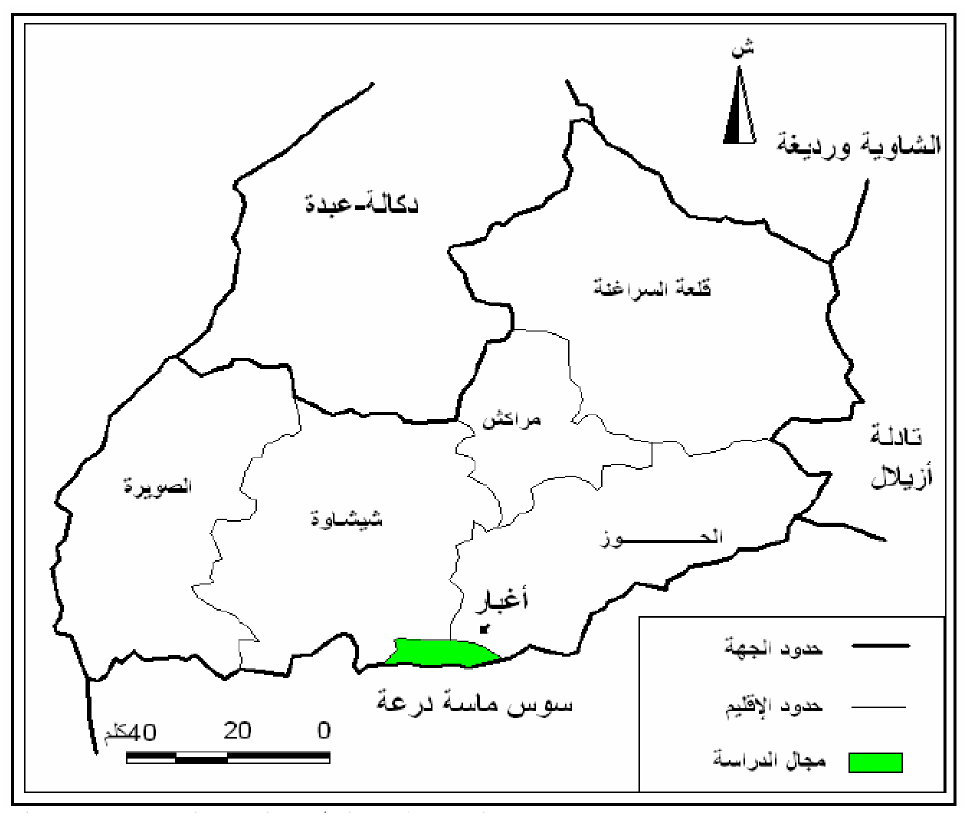
في الغرب جبل أغبار x=217 122 y=434 814

في الشرق جبل تمغور x= 184 674 y=436 884

وتصل مساحتها الإجمالية 20072.12 هكتار، تقتطع منها التجمعات الشجرية 5285.41 هكتار، والأعشاب 13625.71 هكتار، وتتكون أساسا من البلوط الأخضر وسرو الأطلس، العرعر الفواح والأحمر. وتتشكل هذه التشكيلات في 110 حيازة بمعدل 114 هكتار لكل حيازة (Etude D'aménagement de la foret domaniale D'Aghbar, 2004, p12)، وتتحدد في الشمال بغابة كندافة وكدميوا ودمسيرة. وتنقسم الغابة إلى مجالين متباينين من حيث الخصائص الطبوغرافية والمناخية؛ الجزء الغربي في هضبة تشكا وهي مجال المراعي العليا في الصيف، ويتميز هذا الجزء بكثافة التشكيلات العشبية، والجزء الشرقي الواقع على المرتفعات العليا، الذي يتحدد بجبل أغبار على الضفة اليسرى لواد نفيس وتزي نتاست وتزي نورغ، على الطريق الثانوية 203 الرابطة بين مراكش وتارودانت.

تنتمي هذه الغابة إداريا إلى إقليم الحوز قيادة ثلاث نيعقوب، جماعة أغبار. وتخضع لتسير المديرية الجهوية للمياه والغابات للأطلس الكبير بمراكش، ومركز التنمية الغابوية بأمزميز، انضمت إلى الملك الغابوي الوطني في 4 أبريل 1939م.

الخريطة 1 توطين مجال الدراسة



المصدر: الحوار الوطني حول إعداد التراب الوطني، 200 بتصرف

2. مميزات مناخية متوسطية ساهمت في وجود غطاء نباتي غني

يتميز مناخ المنطقة بشكل عام بمميزات المناخ المتوسطي المعتدل، الذي يتميز بشتاء بارد وصيف حار، حيث يتلقى في المتوسط 750 ملم سنويا. ويعرف تساقطات ثلجية مهمة في المرتفعات ابتداء من 1400م، هذه الأخيرة التي تعتبر احتياط مائي خلال الفترة الجافة. بالنسبة للحرارة، فمعدل الحرارة العليا يصل خلال فترة الصيف (يوليوز وغشت) إلى 40 درجة مئوية، وتنخفض ما بين شهري ديسمبر وفبراير إلى 0 درجة مئوية (وكالة الحوض المائي تانسيفت 2009). ويعرف هذا المناخ اختلافات سنوية وبيسنوية، وتؤثر هذه التغيرات بشكل كبير في خسارة كمية كبيرة من المياه خلال الأشهر الحارة، بسبب ارتفاع عملية التبخر. ويخضع لتأثير تيارين متباينين: الأول في الشمال وهو تيار بارد، وتيار جنوبي ينتج عن تشكل رياح الفهن، هذا التعاقب ينتج عنه تشكل مناخ شبه رطب، إذ يتجاوز معدل التساقطات 500 ملم سنويا.

ساعدت هذه المعطيات المناخية المتوسطية، على تشكل شبكة مائية كثيفة ذات مجاري مائية سطحية في غالبيتها مؤقتة، تأخذ من الجبال العليا وهضبة تشكا التي تعد المصدر الرئيسي لأهم المنابع المائية لواد نفيس، هذه المجارى تصب في شعاب ثانوية والتي تصب بدورها في أودية

فرعية. يلعب فيها وادي نفيس المجري الرئيس وترتبط به مجموعة من الروافد أهمها، أسيف أمسوي وأكدمت، (carte topographique de Tagnadaft 1/100000) ويعد سهل الحوز المستفيد الأكبر من هذه الكميات القادمة من الأطلس الكبير، الذي يلعب دورا مهما في تخزين المياه بفعل كميات الثلوج التي تتلقاها المرتفعات، ويدوم الجمد بها من دجنبر إلى أبريل، وبعد الذوبان يعمل على تغذية الأودية.وتشكيل غطاء نباتي متوسطي غني أساسه سرو الأطلس، الذي يجعل المجال غني إيكولوجيا بنبات متوسطي قٌل نظيرة في الغابات المتوسطية(عبد العزيز عبد الصادق، 2004، ص18).

3. التشكيلات الغابوية المميزة للمجال

شكلت الظروف الطبيعية بحوض الأعلى لنفيس، مجالا ملائما لتشكل غطاء نباتي غني ومتميز، من حيث الأصناف الشجرية والتشكيلات العشبية، غير أن توزيع هذه التشكيلات على المستوى المجالي يعرف تباينات بين المرتفعات العليا حيث تسود التشكيلات الأولى كما في قعور الأودية، ولكل صنف أدواره البيئية والاقتصادية.

سرو الأطلس Le Cypré de L'Atlas: هو نبات متوسطي من صنف الصنوبريات، يصل ارتفاعه إلى 30 متر فما فوق، ويكون على شكليين أو صنفين؛ صنف أفقي وصنف عمودي، وفي غابة أغبار يوجد الصنف الأول، ويعرف محليا بإميجيط، ومن الخصائص الفيزيولوجية للشجرة أنها تعيش في وسط تتراوح تساقطاته ما بين 400 و500 ملم/ سنة (Alexandre Seigue, 1985, p21)، فهو نوع يتحمل الظروف التي تتعاقب على الوسط سواء الجفاف أو الرطوبة، ويتكيف جيدا مع المناخ الرطب، حيث يتحمل الحرارة المنخفضة (10- م°). أما معدل الحرارة العليا التي يتحملها فيتراوح بين 35 م° و 45 م°، ويتواجد في حوض البحر المتوسط في كل من تركيا وتونس وليبيا والجزائر والمغرب.

يغطي هذا النوع بأغبار مجالا آهلا بالسكان، إذ تتواجد الدواوير في قلب الغابة (كحالة دوار ودرارن) الشيء الذي يعرض هذه الأشجار إلى القطع المستمر، مما يجعله مهددا باستمرار، وقد ثم تصنيفه سنة 1976 من لدن المنظمة العالمية للزراعة من بين 17 نوعا من الأنواع الغابوية النادرة التي يجب حمايتها (Farid El Wahidi, 2004, p1) وتقدر مساحته الإجمالية 6.000 هكتار أي، % 0.51 من المساحة الإجمالية للغابة المغربية.

في سنة 1950، حددت محطة البحث الغابوي ثلاثة تجمعات لسرو الأطلس؛ الأولى في تاركا على ارتفاع 1100م والثانية على ارتفاع 1600م في إدني، والثالثة مابين 1800 إلى 2600 م (Targa) على الضفة اليسرى لواد نفيس أغبار، غير أن نفيس الأعلى يعتبر فضاءه الطبيعي. ويستطيع أن يعيش على الأتربة الهيكلية ويتمركز في 16 حيازة على مساحة 2230 هكتار، أي 12.06 % من مجموع مساحة الغابة في الشمال الغربي والجنوب الشرقي للغابة، وفي السفوح التي تتراوح مابين 50 إلى 100 % (Etude D'aménagement, 2004, p13) وله أدوار إيكولوجية واجتماعية(عبد العزيز عبد الصادق، 2009، ص55).

الصورة رقم 1: شجرة سرو الأطلس



المصدر: تصوير شخصي (العمل الميداني)

البلوط الأخضر Le Chêne vert: هو نبات متوسطي من صنف الورقيات، تصل مساحته الوطنية 1.360.000 هكتار، يتواجد في الأطلس المتوسط والكبير والريف. داخل التشكيلات النباتية لأغبار يوجد في وضعيات مختلفة، وفي أجزاء متفرقة مع تركزه أكثر في الشمال الشرقي، على ارتفاعات تتراوح ما بين 2200 م إلى 2800 م المشرفة على انحدارات قوية.

يوجد البلوط الأخضر داخل المجال الغابوي لأغبار؛ معزولا ومختلطا بتشكيلات أخرى، وتقدر مساحته 2140.99 هكتار، أي 40.51 % من المساحة الإجمالية للغابة (Etude D'aménagement, 2004, p8) يختلط كذلك مع العرعر على مساحة كبير(4.18 %)، ومع سرو الأطلس (3.41 %). ويعتبر الأكثر كثافة بالمحمية، ويمثل الحد الأقصى للتشكيلة الغابوية والمناطق الشبه العارية داخل حوض نفيس ككل، ويعرف كثافة قوية لأهم تجمعاته الطبيعية في الشمال على جبل فليليس، وما تبقى منها في الجنوب، وهى الأكثر تدهورا من الأولى. ولهذا النوع أدوار اجتماعية وبيئية واقتصادية على غرار سرو الأطلس.

العرعر Le Genièvre: هو نبات متوسطي من صنف الصنوبريات، يستوطن الجبال المتوسطية بأوربا والمغرب، يختلط مع جميع الأصناف الأخرى، ويتميز بتنوع أصنافه أهمها العرعر الفواح والأحمر، ويتواجد على ارتفاعات مابين 1300 إلى 2400 م. يتعايش مع البلوط الأخضر والصنوبر والأرز، وفي بعض الحالات يوجد على شكل تجمعات خاصة ويوجد بالأساس بالأطلس الكبير.

وفي مجال أغبار، يعد العرعر أقل كثافة من البلوط الأخضر وسرو الأطلس، وينتشر في مستويات أقل منهما، إذ ينحصر على ارتفاعات تنحصر بين 1500م و1800م، ولا تتعدى كثافته 25 % (محمد الإفريقي 1986)، ويختلط بالأساس مع البلوط الأخضر، تعرف غاباته تدهورا كبيرا خاصة في السفوح القريبة من التجمعات السكنية، مما يدل على أن غابات العرعر لها دور

اجتماعي مهم؛ حيث يستعمل بالأساس في البناء وكحطب للتدفئة، كما يستعمل في صنع بعض الأواني المنزلية (البحث الميداني صيف، 2008).

4. التشكيلات العشبية

تتوفر محمية أغبار على مجموعة من الأصناف النباتية الشجرية والعشبية، التي لعبت الظروف المناخية الرطبة، والتضاريس المرتفعة التي تتجاوز ارتفاعاتها 1800م- أي توفر عامل تضاريسي محلي- دورا كبيرا في تشكيل مجال ملائم لنمو مجموعة من الأصناف العشبية، خاصة في قعور الأودية، تشكل تجمعات قزمية تحشجرية.

هذه التشكيلات العشبية لها أدوار اقتصادية واجتماعية مهمة، فهي تلعب دورا كبيرا في استعمالها كأعلاف للماشية خاصة في المراعي الصيفية، كما هو الشأن بالنسبة لهضبة تشكا، وفي المراعي القريبة من التجمعات السكانية (ودرارن)، غير أن وظيفتها لا تقتصر على استعمالها كأعلاف، بل لها أدوار اجتماعية أخرى تتمثل في استعمالاتها المتعددة في التطبيب، واستعمالها كمواد عطرية وتجميلية، ويبرز الجدول التالي أهم الأصناف العشبية التي تتواجد بالغابة:

الجدول 1 أهم الأصناف العشبية بغابة أغبار

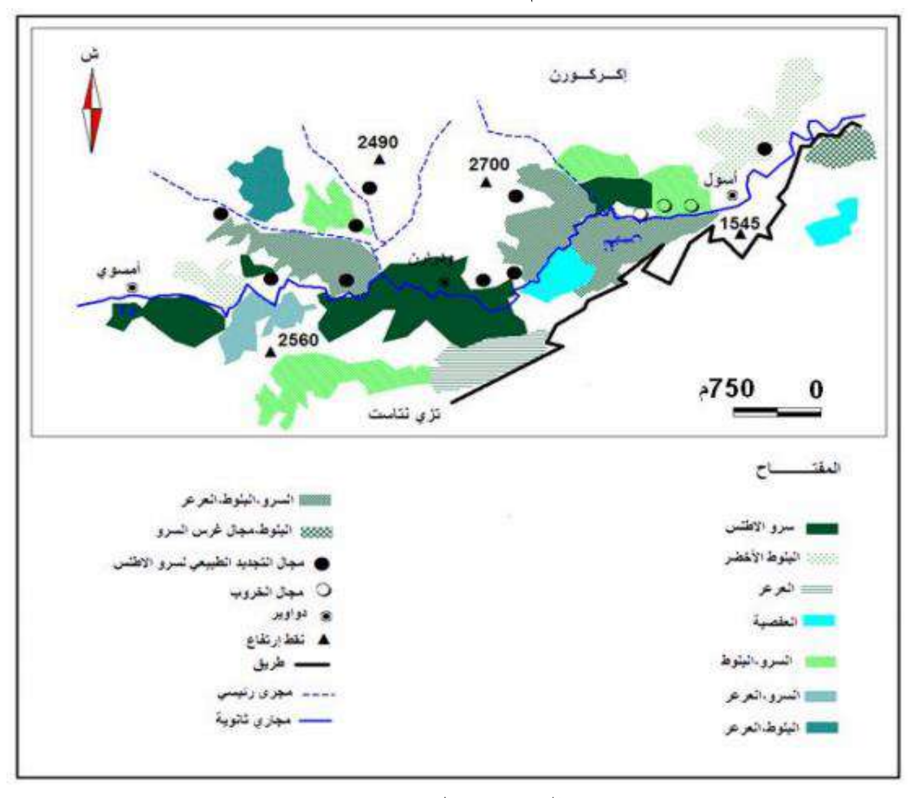
الاسم المحلي	الاسم العلمي
أزوكا	Tetraclinis articulata
أزوكن	Thymus saturejoides
أورزيد	Anthemis arbica
إزري	Artemesia
أزليم نوشن	Asphodelus microcarpus
تفسكا	Arractylis serratiloides
تليلوت	Capparis spinosa
إرغل	Cistus salviifolius
أوموسى/ لبسباس البلدي	Foeniculum vulgare
إيجا أومغار	Innula montana
سوسبان	Iris germanica
إكرز إيغيل	Lanvandula multifida
تموزريا	Lanvandula dentata
أزنوز	Lonicera periclymenum
إفزي	Marrubium vulgare
فليو	Mentha pulegium
تمجا	Mentha rotundifolia
لحباق	Ocinmum basilicum
تيدا	Pinus halepensis
حرمل/ بلعمان	Papaver rhoeas

المصدر: البحث الميداني 2008

يبرز الجدول أهمية التشكيلات العشبية داخل الغابة، حيث تتوفر على أصناف متنوعة وكثيرة، منها ما يميز المجال الغابوي المغربي ومنها أصناف محلية "كسوسبان" و"تفسكا" و"إركل". هذه الأصناف النباتية، نسبة مهمة منها تتواجد في قعور الأودية حيث وفرة المياه، إذ أن غالبيتها

ليست دائمة الخضرة؛ فهي أشبه أن تكون كمحصول زراعي بالنسبة للساكنة التي تعتمد عليها لأغراض مختلفة، خاصة التداوي والأعلاف.


الخريطة2 أهم التشكيلات النباتية بغابة أغبار



المصدر: عمل شخصي

ثالثا. واقع ودوافع الاستغلال الغابوي بحوض نفيس الأعلى/أغبار

تشكل الغابة المجال الحيوي الذي تتحرك فيه الساكنة، لكونها تعتبر أن من حقوقها التاريخية، حق استغلال المجال الغابوي التابع لها أو القريب لنفوذها، أي أن حقوق استغلالها غير قابل للتقادم، حيث أن امتلاك العقارات الغابوية حق للتجمعات التي تستوطنها (Wiely Delvingh, 2002, p85)، فجميع الدراسات تشير إلى تواجد علاقة متينة بين استغلال الموارد الطبيعية بشكل عام والغابوية بشكل خاص، وبين الفاعلين المستغلين للمجال في إطار ما يسمى بالمجال الحيوي للجماعة.

غير أنه في إطار القوانين التشريعية التي حلت محل الأشكال العرفية، جعلت الاستغلال الغابوي يتراجع، وكان أهم هذه التشريعات قانون 1917 المحدد لشروط استغلال الملك الغابوي. هذا الاستغلال المرتبط بالأساس بإشكاليات تاريخية وحاجات اجتماعية واقتصادية للسكان، مما ولد ضغطا كبيرا على الموارد الغابوية وذلك بتعدد وتنوع استعمالاتها، لذا فلها أهمية كبيرة بالنسبة للسكان، إذ تستعمل كأخشاب في البناء والتدفئة والطهي والرعي، كل هذه الوظائف كانت

غابة أغبار تقوم بها، إذ لا بديل عن استعمال الخشب (Mesalle.D, 1996, p116) ويفسر ذلك بغياب البنيات التحتية وبالتالي صعوبة الولوجية، فعدا الطريق الجهوية رقم 203 فجل المسالك التي تربط بين الدواوير مسالك وعرة، وتعدد عوامل استعمال المواد الغابوية بمجال أغبار نجملها فيما يلي:

1.ضعف مستوى التنمية الاجتماعية بالجماعة:

تقع جماعة أغبار في أقصى سلسلة جبال الأطلس الكبير الغربي، بين خطي طول $8^0 15'$ و $8^0 30'$ غرب غرينتش، وخطي عرض 31^0 و$30^0 45'$، على مساحة إجمالية تقدر بـ 161 كلمتر مربع جنوب إقليم الحوز وتعد من أكثر الجماعات فقرا ليس فقط على المستوى الإقليمي وإنما الجهوي، حيث تصنف في الرتبة الرابعة إقليميا من بين الجماعات الأكثر فقرا على مستوى التجهيزات والدخل اليومي للأسر (projet de développement rural, 2007, p23) فعلى مستوى التجهيزات الأساسية التي تعد من بين الدوافع التي جعلت استغلال الغابة كثيفا ومستمرا بهذا المجال، تتميز بضعفها أو غيابها التام، مما يؤثر بشكل كبير على التنمية الاقتصادية والاجتماعية المحلية. فشبكة الطرق تتميز بالهشاشة خاصة التي تربط بين مركز الجماعة والدواوير، إذ ليست هناك أية تدخلات رسمية تستهدف تقوية المسالك الجبلية المتميزة بالوعورة، مما يجعل هذه الدواوير في عزلة شبه تامة، وبالإضافة إلى ضعف الشبكة الطرقية، فالجماعة تتميز بضعف تجهيز دواويرها بالخدمات الاجتماعية الأساسية، والأمر يتعلق هنا بالأساس بتزويدها بالماء الصالح للشرب والكهرباء، حيث أنه رغم التدخلات الرسمية والمحلية وتدخلات المجتمع المدني، إلا أن البنية التحتية الاجتماعية تتميز بغيابها شبه التام، إذ أن مجموعة من الدواوير لم يتم تزويدها بالماء والكهرباء.

فالدواوير التي تتوفر على شبكة الماء الصالح للشرب استفادت بفضل مجهودات المجتمع المدني، ورغبة الساكنة في تحسين وضعيتها من التجهيزات الاجتماعية. ناهيك عن غياب الكهرباء في جل الدواوير، حيث أن البرنامج الذي سطر على ثلاث مراحل لكهربة الدواوير لم ينطلق بعد. مما يدل على أن الساكنة لا بديل لها عن استعمال الموارد الغابوية كطاقة أساسية، الشيء الذي يجعل من تنظيم وتسيير المجال القروي والجبلي بالأخص الذي يتميز بظروفه الطبيعية والمناخية الخاصة معقدا.

يظهر إذن أن الدوافع الأساسية لاستعمال الأخشاب، يرتبط بالأساس بغياب التجهيزات الأساسية من ماء وكهرباء، وكذلك صعوبات الحصول على الطاقات العصرية البديلة كالغاز، وبالتالي فلا مفر للغابة من ضغط الساكنة. غير أن هذه الوضعية التي تعيشها الغابة لا ترتبط فقط بغياب هذه التجهيزات، إذ هناك الإشكاليات التاريخية المتعلقة بالاستغلال الغابوي.

2.الطلب المتزايد على حطب التدفئة والطهي والأعلاف:

تشكل الغابة وحدة تعدد الإنتاج من خلال ما توفره من أخشاب، فجل الدواوير تتموقع في المجال الغابوي، أي أن استغلال هذا المجال سيكون تلقائي، فهم يستغلون الخشب حسب القوانين العرفية وحسب حاجياتهم منها، ويرتبط هذا الاستغلال بالظرفية (البحث الميداني 2008)، حيث يتفاوت حجم استهلاك الأخشاب حسب الفترات، إذ يرتفع خلال الفترات الباردة. ففي المجال نجد

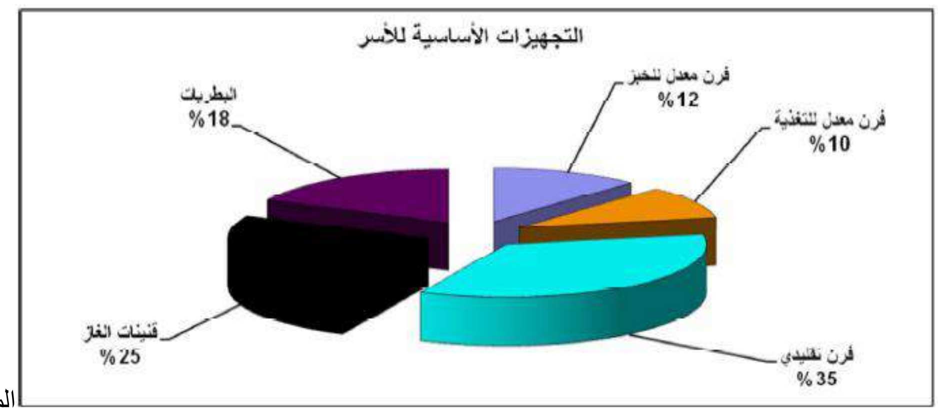
ثلاث إلى أربع حاجيات أساسية يوظف فيها الخشب، خشب الطهي والتدفئة، خشب تسخين الحمامات، خشب البناء، بالإضافة إلى جوانب اقتصادية أخرى كاستعمالها كأعلاف للماشية وتربية النحل.

ويصل معدل الأخشاب التي يتم جمعها إلى 150 كلغ في كل يوم لكل أسرة، نهيك عن الرعي شبه اليومي، مما يدل على ازدواجية استغلال الغطاء النباتي، كما أن طرق القطع والجمع تتخذ أشكالا متنوعة ومختلفة، حيث أن الكميات التي يتم جمعها من لدن الأسر من أجل الاستهلاك تتم بوسائل نقل خاصة، مما يشير إلى أن الكميات التي يتم جمعها لا يستهان بها، وكيف ما كانت طرق القطع والجمع في كل المجالات الغابوية، فإن حطب التدفئة والطهي يقتطع كميات كبيرة، إذ يتم على المستوى الوطني اقتطاع 12 مليون م3 من الحطب بينما لا تنتج الغابة إلا 4 مليون م3 وسيزداد الطلب على الحطب بـ 50% في الثلاثين سنة القادمة، في وضع يتسم بالفقر والحاجيات المتزايدة، تبين هذه الأرقام أن استعمال الغابة كمصدر رئيسي لحطب الطاقة له مخاطر وخيمة تتجلي في تدهور وتراجع الغطاء الغابوي وخاصة بالمناطق الجبلية، حيث تجلب الساكنة حاجياتها المعشية من الغابة (مصطفى نكار، 2008، ص17)، غير أن هذه الوضعية لا تقتصر على جمع حطب التدفئة والطهي والرعي، فهي مرتبطة بالأساس بالاستغلال القديم وبغياب البنيات التحتية القروية التي تمكن من ولوج الخدمات الأساسية.

3.ضعف التجهيزات المنزلية:

يتميز دخل الأسر بالضعف، مما يجعلها غير قادرة على تجهيز منازلها بأهم التجهيزات الأساسية التي قد تحيل بينها وبين الاستعمال المفرط واليومي للحطب، ولا تستفيد كل الأسر من هذه الخدمات لضعف مدخلها، ولصعوبة الحصول عليها في فترات معينة، ويوضح الرسم البياني التالي أهم هذه التجهيزات التي تعتمدها الأسر إلى جانب الاعتماد على الحطب:


المبيان 1 التجهيزات الأساسية للأسر بحوض نفيس الأعلى/أغبار



المصدر: العمل الميداني 2008

يتضح من خلال الرسم البياني، أن حجم استعمال التجهيزات الأساسية للأسر ضعيف ويرتبط بضعف الدخل الأسري وبمحدودية الموارد الاقتصادية، الشيء الذي يفسر استمرار الطرق التقليدية المعتمدة على الخشب في الطهي والتدفئة، حيث أن الاعتماد على الأفران التقليدية في

الطهي يفوق باقي التجهيزات العصرية بنسبة 35 %، مما يجعل الطلب اليومي للحطب مستمرا رغم توغل التجهيزات الأخرى بديلة كالغاز إلى المجال، إذ أن نسبة استعماله تصل إلى 25 % وهو طاقة متعددة الاستعمالات، بالإضافة إلى بداية الاعتماد على طاقات بديلة كالطاقة الشمسية، حيث أن نسبة استعمالها تصل إلى 18 % ولها وظائف متعددة أهمها الإنارة وتشغيل الأجهزة المنزلية، إلى جانب دخول أخرى بديلة عن الأفرنة التقليدية، غير أن استعمال هذه الطاقات العصرية لا يشمل جميع الأسر، إذ يقتصر استعمالها على الأسر ذات الدخل متعدد المصادر، مما يفسر أن غياب التجهيزات الأساسية العصرية يزيد من طلب الأسر على حطب التدفئة والطهي، مما يجعل الحكم على تدهور الغابة وتراجع مساحتها يرتبط بالحاجيات المنزلية والجماعية في ظل ضعف التجهيزات الاجتماعية، هذا التعدد في مجالات استعمال الخشب يوازيه تعدد الأنشطة البشرية المزاولة داخل المجال الغابوي، فما هي أهم الأنشطة التي يزاولها سكان أغبار بمجالهم الغابوي؟

رابعا. تعدد وتنوع الأنشطة المزاولة داخل الغابة:

تتميز الغابة المغربية عموما وغابة أغبار على الخصوص، بتنوع وتعدد الأنشطة المزاولة بداخلها، هذه الاستخدامات؛ ما هي إلا آليات وعوامل ضغط مؤثرة على الموارد الغابوية، ما جعلها تكتسي طابع الكوارث التي بدأت تهددها في الآونة الأخيرة، والتي يعتبر العامل البشري المسؤول الأول عنها، بحيث تعد الغابة في المناطق المذكورة ضمن تلك التي لا تخرج من دائرة هذا الطرح الإشكالي. فالمشاكل التي تواجهها ترتبط أساسا بعوامل اجتماعية واقتصادية تجعلها عرضة للتدهور والاندثار، وذلك راجع إلى كون هذه الغابات تعرف ضغطا كبيرا من طرف الساكنة المجاورة التي تلجأ إليها لسد حاجياتها من حطب التدفئة وتعزيز النقص الحاصل في الوحدات العلفية، بالإضافة إلى القطع العشوائي للأشجار الغابوية، ويبرز الجدول أهم الأنشطة التي يزاولها السكان بغابة أغبار:

الجدول 2 أهم الأنشطة التي تزاول داخل المجال الغابوي

نوع النشاط	التردد	النسبة المئوية
الرعي	51	46.4
قطع الحطب	50	45.5
أنشطة سياحية	9	8.2
المجموع	110	100

المصدر: العمل الميداني

من خلال قراءة الجدول يظهر جليا أن عوامل تدهور وتراجع المجال الغابوي متوفرة، وتتميز بتعددها، فلا يقتصر تدخل السكان على نشاط دون أخر. ولكون المنطقة مجال جبلي يتميز بشدة تضاريسه وقوة انحداره، مما لا يسمح بالتوفر على أراضي زراعية تمكن السكان من إنتاج وحدات علفية من جهة، والبعد عن المراكز الحضرية بسبب العزلة وغياب شبكة طرقية من شأنها أن تقرب الأعلاف للأسر من جهة أخرى، فإن الرعي وقطع الحطب هما النشاطان الرئيسيان الذين تزاولهما الأسر وبشكل يومي، وذلك في إطار التقسيم اليومي للعمل بين الجنسين، ذلك أن النساء تتكفل بجمع الحطب، فيما الرجال يقومون بالرعي، والذي (الرعي) يشكل 46.4

% من استغلال السكان للغابة، أي أن له أهمية اقتصادية كبيرة مقابل إسهامه الكبير في تدهور الغطاء النباتي. غير أن استغلال المجال الغابوي لا يقتصر على النشاط الرعوي، إنما يشمل أيضا جمع وقطع حطب التدفئة والذي لا يقل أهمية عن النشاط الأول، فنسبة 45.5 % من السكان يزاول هذا النشاط إلى جانب الرعي وبشكل شبه يومي، مما يجعل الغابة تتعرض للاستغلال المفرط. وبالإضافة إلى النشاطين المذكورين، يمارس بعض السكان النشاط السياحي لكن ليس بمعناه المهيكل والمنظم الذي يعتمد على تجهيزات سياحية جبلية محلية، إنما يتعلق الأمر هنا ببعض الخدمات التي يقدمها السكان للزوار خاصة الباحثين منهم سواء أكانوا مغاربة أو أجانب من المهتمين بدراسة الغطاء النباتي، وتكون هذه الخدمة بمقابل مادي، الشيء الذي يجعل من هذا النشاط ذو أهمية اقتصادية بالنسبة للساكنة المحلية. فهل من مستقبل للنشاط السياحي بمجال أغبار، على اعتبار أنه محمية طبيعية متميزة خاصة بعد تشيد المسلك الجبلي الذي يربط المجال بالطريق الجهوية 203.

1.النشاط الرعوي عامل، من عوامل تدهور الغطاء النباتي:

نظرا لما يكتسبه هذا النوع من الأنشطة من أهمية على صعيد هذه المنطقة، والذي يشكل المورد الرئيسي لدخل السكان المجاورين للمجال الغابوي، أضحى الفضاء الغابوي الملجأ الأساسي لسد حاجيات الماشية فيما يتعلق بالنقص الوارد والحاصل في الوحدات العلفية، وذلك لكون حجم القطيع المتواجد بهذه المناطق يشكل ضغطا على الغطاء النباتي، ويتم تعويض هذا النقص باللجوء إلى الوسائل المنافية للتشريع الغابوي، وذلك بالرعي داخل المناطق الممنوعة إلى جانب قطف أغصان الأشجار. ويتخذ الرعي بأغبار أشكالا متعددة سواء أكان جماعيا أو فرديا، ويكون يوميا أو موسميا في إطار انتجاع القطيع إلى المراعي العليا. وقد تجمع بعض الأسر ما بين هذين النوعين، وما هذا إلا دليل واضح على دور الرعي الجائر في تدهور الغطاء الغابوي.

الصورة 3 تأثر الرعي الجائر على الغطاء النباتي بدوار إكيس



مصدر: مخطط تنمية دوار إكيس التابع لجماعة أغبار القروية

وتتميز حياة القطيع بتنقلين أساسين خلال السنة في الصيف والشتاء، غير أن قطيع الأبقار لا يخرج مع بقية القطيع خلال موسم الانتجاع، فالتحركات الأساسية للقطيع تتم في اتجاه العزبان، ويكون الغطاء النباتي في هذه الحالة في استغلال مفرط وواسع، إذ يصعب على الرعاة التحكم في

القطيع خاصة الماعز، الذي يعمل على القضاء على براعم النباتات الصغيرة سواء التي تنمو طبيعيا أو التي تغرس في إطار عملية تجديد الأصناف الغابوية، مما يجعل إمكانية تجديدها صعب، ويخل بالنظام البيئي وتوازن الغطاء النباتي، ويتم تنظيم هذه المراعي بطرق جماعية إذ أن التجمعات التقليدية كانت تكيفها بمقاييس اجتماعية بغية تحسين ظروف استغلالها من لدن الجماعات، ويتعلق الأمر هنا بالأساس بالأكدال الذي يتشكل من عزبان مؤقت (Benaija Abdalilah 1996, p71) هذه الأخيرة قد تكون قريبة من المجال، وبالتالي يكون التنقل سهلا وقريبا أو تكون بعيدة مما يتطلب قطع مسافة مهمة، هكذا تظهر أهمية هذه المراعي في تنظيم الرعي الجماعي، الذي يعتبر أحد أسس هذا النشاط الذي يشكل آلية من بين آليات الضغط على الغابة، مما يفرض ضرورة وضع برامج لإعادة تنظيم هذه المراعي، للحد من الرعي الجائر.

2. قطع وجمع الحطب:

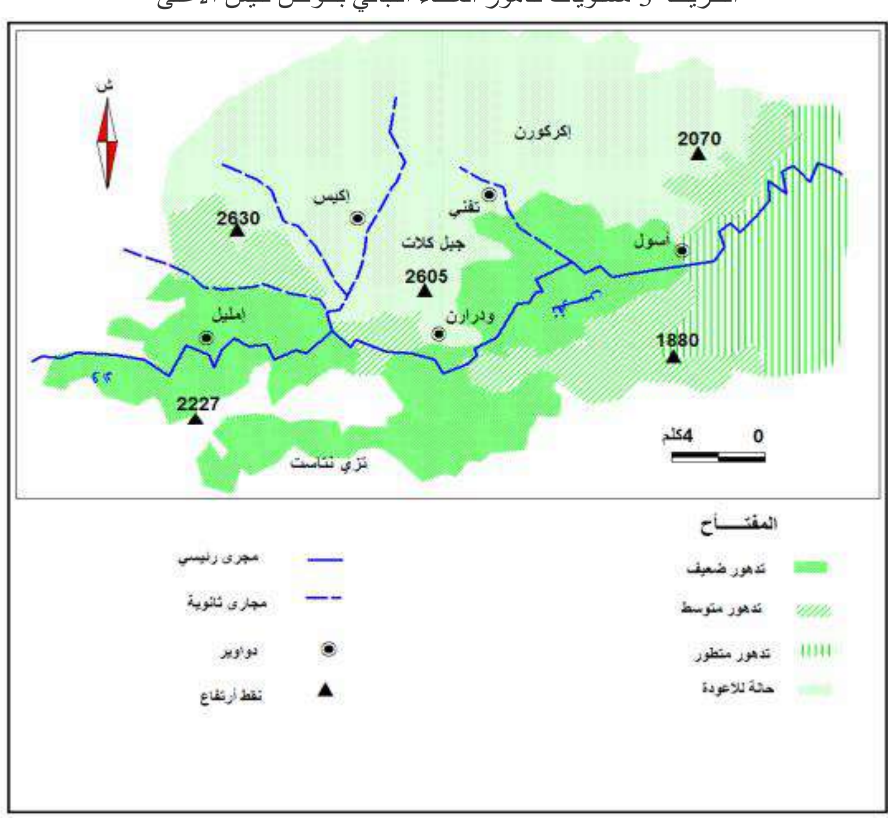
يشكل قطع الحطب أهمية كبيرة في استغلال الموارد الغابوية، هذا التعامل مع حطب التدفئة الذي يستعمل كطاقة أساسية لساكنة قروية مهمة خاصة بالمناطق الجبلية؛ يبرز أن حجم استهلاك الأخشاب جد مرتع، مما يجعل معادلة استغلال الموارد الغابوية ومعدل تجديدها وتعويضها غير متكافئ. فحسب بعض الدراسات الوطنية التي أقمت بهذا الشأن، أهمها التي قام بها معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة سنة 1991 حول استهلاك الحطب في الأفرنة التقليدية لطهي الخبز بمدينة الرباط، والدراسة التي قام بها مركز تنمية الطاقات المتجددة، في أربعة مناطق هي مراكش، سوس ماسة، الأطلس الكبير ووادي درعة، سنة 1995، فإن ما بين 80 % إلى 98 %من الاستهلاك الإجمالي من الحطب في المغرب يستهلكها العالم القروي. وتشير تقديرات المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، أن استهلاك الفرد من الحطب في العالم القروي على المستوى الوطني يصل إلى 512كلغ/للفرد/السنة أي 1.4 كلغ/للفرد/اليوم.

في مجال أغبار/حوض نفيس الأعلى، يختلف الوضع على ما هو عليه على المستوى الوطني، حيث يرتفع معدل الاستهلاك اليومي للفرد ما بين 3 كلغ إلى 5 كلغ للفرد حسب الأسر وحجم استعمالها للغاز في الطهي، حيث أن الأسر التي تستهلك كمية مهمة من الحطب هي التي لا تستهلك الغاز والطاقات البديلة، والعكس بالعكس، هذه الكميات المهمة من الحطب التي يتم قطعها وجمعها خلال الأسبوع توحي إلى الضغط الكبير الذي تتعرض له الغابة، غير أن الأصناف المستهدفة تتفاوت درجة الضغط عليها وتكون لذلك نتائج بيئية كبيرة. فعلى غرار باقي المجالات الجبلية؛ فالمجال الغابوي لأغبار يعرف ضغطا كبيرا، حيث أن عملية جمع الحطب تزاولها الفتيات والشباب بالنسبة للعائلات الممتدة، والنساء والأطفال المنقطعين عن الدراسة رغم صغر سنهم وعدم قدرتهم عن العمل بالنسبة للعائلات النووية.

هذا الاستغلال الكثيف للمجال الغابوي بمجال يعاني من الهشاشة الاجتماعية وضعف التنمية الاقتصادية، يؤدي إلى تسريع وثرة تدهور المجال خاصة مع تضافر عوامل طبيعية والأنشطة البشرية، منها التعرية المائية وضعف نسبة وحجم التجديد الطبيعي للغطاء الغابوية والرعي الجائر وقطع الحطب، غير أن هذا التدهور يتفاوت مجاليا، إذ يرتفع في مجال تواجد الدواوير الفقيرة التي تعتمد على الأخشاب بنسبة كبير كطاقة للطهي والتدفئة ويقل في المجال التي يتواجد

به سرو الأطلس حيث تتعامل المصالح الغابوية بصرامة كبيرة مع المنتفعين (الخريطة رقم)، مما فرض ضرورة التدخل من اجل الحد من هذا التدهور والتراجع ووضع خطط للتهيئة الغابوية للمجال.

الخريطة 3 مستويات تدهور الغطاء النباتي بحوض نفيس الأعلى



المصدر: العمل الميداني

خامسا. تدخلات الحد من تدهور المجال الغابوي لأغبار

مرت السياسة الغابوية بالمغرب بمجموعة من المراحل، تميزت بسن قوانين وإجراءات فيما يخص تدبير واستغلال المجال الغابوي. وتميزت كل مرحلة بوضع أهداف تهم المحافظة على الغابة واستدامتها لما لها من أهمية على المستوى البيئي؛ من خلال الحفاظ على التربة وإغناء للتنوع البيولوجي، وكذا لما لها من أدوار اقتصادية واجتماعية. لهذا جاء ظهير 20 شتنبر 1976 المتعلق بتنظيم مساهمة السكان في تنمية الاقتصادي الغابوي، وإشراك السكان والجماعات في ميدان تسيير تنمية الغابات واستفادتها من مواردها وتنظيم استغلال المراعي الغابوية، وهي اختصاصات نص عليها هذا القانون في مجموعة من النصوص(اسعد عبد المجيد، 1988، ص8).

وتميزت سياسة الغابوية بإنجاز مجموعة من المشاريع التي تهدف بالدرجة الأولى إلى حفظ الغابات المغربية من التدهور والتراجع، غير أن هذه البرامج ولأهميتها فإنها كانت قطاعية، وتتم

أحيانا دون إشراك جميع الفاعلين والسكان في انجازها، مما يجعل نتائجها غير مرضية ولا تحقق الأهداف المتوخاة منها، هذه البرامج والمخططات كانت جلها مستقاة من البرامج الوطني الغابوي (PNF) وبرنامج العمل الوطني لمحاربة التصحر (PNS) والبرنامج الوطني للمحميات (PNP) وعملت هذه البرامج على إنشاء مصالح إدارية تابعة لها، من أجل القيام بدراسات وتشخيصات للمجال الغابوي الوطني قصد تحديد أشكال التدخل الناجعة والملائمة لكل مجال غابوي.

وفي مجال نفيس الأعلى فتهيئة وتنمية المجال الغابوي تستند في مرجعيتها إلى البرنامج الوطني الغابوي وإستراتجية المناطق الجبلية، على أن تنمية هذا المجال الغابوي تتم عبر تدخلين؛ رسمي ومحلي مبني على العمل الاجتماعي التقليدي:

1. **التدخلات الرسمية في المجال والعمل على استدامة المجال الغابوي**:

تتمثل التدخلات الرسمية في تنمية المجال الغابوي لأغبار في التدخلات التي تقوم بها المندوبية السامية للمياه والغابات، حيث تعمل على دعم التنسيق بين الفاعلين الرئيسين للمندوبية السامية، كقطاع الطاقة والمعادن وقطاع الداخلية، بالإضافة إلى الجمعيات المهنية. وتعمل على الرفع من مستوى العرض عبر عملية التهيئة الغابوية وتدبير إنتاج حطب الطاقة للاستجابة لمتطلبات الساكنة القروية، وتطوير تقنيات اقتصادية للطاقة، بالإضافة إلى تعميم استعمال طاقات بديلة خاصة المتجددة منها. وتكون هذه التدخلات في المجال على ثلاثة قطاعات أساسية؛ إعداد المراعي الغابوية وإصلاح المسالك الغابوية، ودعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة وإحياء الأرض وتفعيل المقاربة التشاركية.

1.1 إعداد المراعي الغابوية:

عملت المصالح الغابوية كخطوة أولى على تحديد المجال الرعوي الذي يقصده القطيع بشكل مسترسل، والمتمثل في المجال الغابوي بأغبار وتشكا، وفي المرحلة الثانية تم غرس نبات الصبار، خاصة في المجالات العارية من الغطاء الغابوي، وتصل المساحة التي يتم غرسها سنويا 100هكتار (Centre de Développement forestier d'Amzmiz 2008). وهدفت هذه العملية إلى تقوية وإنتاج الوحدات العلفية وتشييد مجالات رعوية أخرى. ويوضح الجدول التالي تطور مساحة إنتاج الوحدات العلفية بغابة أغبار:

الجدول 4 تطور مساحة إنتاج الوحدات العلفية

السنة	الساحة بالهكتار	المساحة التي أضيفت خلال السنة
2005	893.1	26793
2006	1027.97	30839
2007	1270.07	38102
2008	1823.57	44669
2009	1971.72	54707

Source :(Etude d'aménagement de la foret domaniale d'Aghbar ;MAI, 2003, p29)

يبرز الجدول أن مشروع تهيئة غابة أغبار وضع ضمن إستراتيجيته توسيع المساحة المجال الرعوي، إذ سيقلص ذلك من الضغط على المجالات التي ينشط فيها التجديد الطبيعي للغطاء الغابوي، حيث أن قانون 2002 يخول مبدأ دفع التعويض (مقاصة) عن الحرمان من ممارسة حق

الرعي بالمحميات، أي في المناطق المخصصة للتشجير والتجديد الطبيعي والتخليق عن طريق الاستغلال الغابوي بما قدره 250 درهم للهكتار سنويا، وسيساهم طبعا في إنتاجية القطيع ورفع إنتاج الوحدات العلفية، هذا المشروع يهدف إلى توسيع المجال الغابوي لأغبار الذي سيضمن الاستمرارية والحماية للمجال كمحمية طبيعية غنية بأصناف نباتية مهمة ذات أهمية إيكولوجية كسرو الأطلس.

2.1 دعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة:

تلعب عمليات التشجير والتجديد الطبيعي دورا هاما في الحفاظ على الإرث الغابوي، وتندرج ضمن مشاريع وبرامج التهيئة الغابوية، التي تتطلب توفر مجموعة من العوامل المساعدة لكي تحقق أهدافها السوسيو اقتصادية، وتجعل من الموارد الطبيعية مستديمة وتساهم في خلق التوازن الايكولوجي الذي يقلص من حدة التغيرات المناخية. لهذا عمل مشروع تهيئة محمية أغبار على حماية مجالات التجدد الطبيعي للغطاء الغابوي وبالأخص سرو الأطلس منها باعتباره النبات الذي يميز المجال، وتدعيم ذلك بالتشجير في مجالات أخرى.

أ.عمليات التشجير: تمت أول عملية تشجير بواد نفيس خلال فترة الحماية، وبالتحديد في بداية الخمسينيات، وهمت غرس الصنوبر الألبي وسرو الأطلس، وهو ما أعطى اليوم شريطا غابويا متميزا مكون من الصنفين المذكورين يمتدد من تزي نتاست إلى تمسا، (Saïd Mounir, 2003, p132) هذه النتائج جاءت بفضل سياسة التشجير، التي همت في أغبار غرس الأصناف التي كانت تتوفر قبلا في المجال، وكان الهدف من ذلك هو الحفاظ على النمط الايكولوجي الخاص بالمجال. وتهم العملية بالأساس سرو الأطلس والبلوط الأخضر، من أجل حماية تواجد سرو الأطلس وتدعيم المؤهلات النباتية للمجال والحفاظ على التربة من التعرية، ويصل معدل المساحة التي يتم تشجيرها سنويا إلى 100هكتار (Centre de Développement forestier d'Amzmiz 2008)، وهو معدل يرتفع ويتقلص حسب حالة المناخ، إذ تم سنة 1996 تشجير 495.326 هكتار، 5.313 هكتار منها همت غرس سرو الأطلس.

ب.تدعيم والحفاظ على التجديد الطبيعي للتشكيلات الغابوية: يتميز التجديد الطبيعي للغطاء النباتي بغابة أغبار بالمحدودية في الزمان والمكان، خاصة بالنسبة لسرو الأطلس- ولا تقتصر العملية إلا على الأغصان الطبيعية- ويعزى هذا الضعف إلى كون سمة هذا المجال الغابوي الأساسية؛ هي التدهور والتراجع بفعل الاستغلال المفرط والدائم، فالظروف التي تحيط بالغابة سواء الطبيعية أو البشرية) التعرية، الرعي (تبرهن على غياب التجديد الطبيعي للغطاء الغابوي هذه الوضعية ناتجة أساسا عن الأنشطة البشرية:

-القطع والرعي، هما العائق الأساسي أمام عدم قدرة تجديد إنتاجية الغطاء النباتي، وفيما بعد عمل التعرية والناتجة عن تجريد السفوح من غطائها الحيوي.

-الحبيبات النباتية graines التي تتساقط، والتي من شأنها أن تلعب دور الخلف الطبيعي، يتم نقلها بواسطة المياه الجارية، كما يتم القضاء على الشجيرات الصغيرة التي تظهر بسبب الرعي.

-بعض الحبات تتساقط فوق نطاق صخري لا يساعد على إنباتها أو فوق أتربة غير متطورة وضعيفة الرطوبة، بيد أن التشكيلات النباتية التي تظهر خاصة على الضفة اليمنى لواد نفيس،

والتي تشكل مجال التجديد الطبيعي لسرو الأطلس، فهي تعد مجالات حيث الظروف البيئة ملائمة (ضعف عمل التعرية) وتقل الأنشطة البشرية خاصة الرعي، فعلى سبيل المثال بالنسبة لسرو الأطلس، يعتبر مجال أسول نغبار المجال الطبيعي الذي يتجدد فيه، حيث يستفيد من وجود تربة غنية وأكثر تطورا من جهة، والغياب شبه التام للنشاط الرعوي في هذا المجال من جهة ثانية، مما يدل على أن تجدد سرو الأطلس طبيعيا يمكن أن يتم في ظل ظروف ايكولوجية ملائمة وحيث يكون النشاط الرعوي مراقبا وأقل حدة.

ولهذا تعمل المصالح الغابوية على تسييج المجالات التي يتجدد فيها الغطاء النباتي وتمنع الرعي فيها للحفاظ على الشجيرات الصغيرة التي تنمو، ويتم تدعمها بالتشجير والمراقبة، والحرص على جمع البذور التي تتساقط ليتم غرسها من جديد في المجالات المهيأة والمعدة لذلك، إذ من شأن ذلك أن يوسع المجال الغابوي. غير أن هذه العمليات يجب أن تتم وفق مقاربة تشاركية مع السكان ومراعاة الحقوق الطبيعية للرعي، وذلك بتبني تنمية مندمجة وشمولية مما سيؤدي إلى تحقق النتائج المتوخاة من عمليات التشجير، فكلما توفرت للساكنة البدائل وتم إشراكها في هذه العملية سيكون حفاظها على الموارد الغابوية تلقائيا وستشارك في استدامتها، خاصة انجاز بعض المشاريع الاجتماعية التنموية.

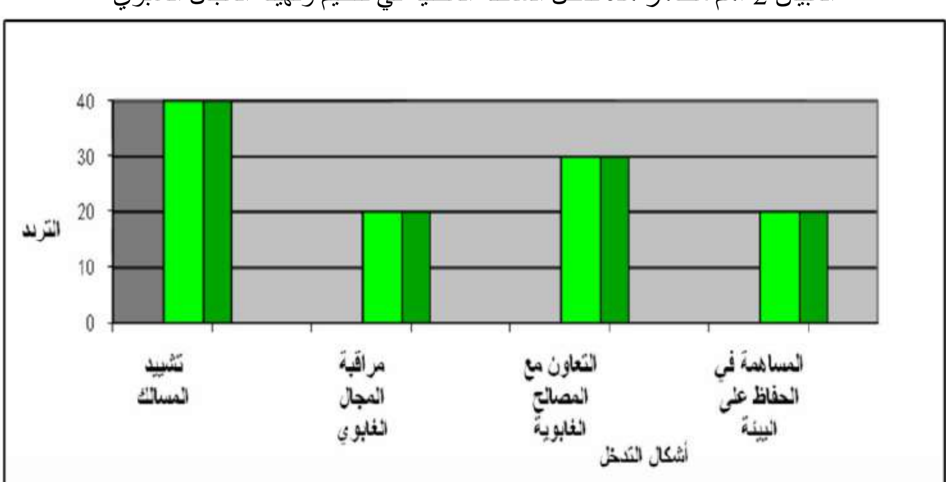
3.1 المشاريع الاجتماعية: تعمل المصالح الغابوية المتدخلة والمكلفة بتسيير وتدبير المجال الغابوي بهذا المجال، على القيام بمجموعة من المشاريع التنموية الأساسية التي من شانها أن تشجع السكان من التخفيف على المجال الغابوي، وتهم بالأساس توزيع المعدات المنزلية من أفرنة ومطابخ معدة للطهي وقنينات الغاز بغية الحد من استعمال الحطب، غير أن هذه العملية ليست رسمية وتتميز بطابعها الانتقائي، أي أنها لا تتم سنويا ولا تشمل جميع الدواوير والأسر، هذه الانتقائية جعلت سكان دواري إمليل وويزمارن ينفون أن تكون المصالح الغابوية تساهم في التنمية ولا تشجع على عدم استغلالهم للمجال الغابوي، خاصة وأن الدواوير الأخرى تستفيد من هذه المشاريع. والى جانب هذا يتم توزيع الأشجار المثمرة وتشيد السواقي قصد تشجيع الفلاحين والمساهمة في رفع مداخلهم الفلاحية، وكذا تنظيم مياه السقي، وبالتالي تقوية السفوح وحمايتها من التعرية وتثبيت الغطاء النباتي.

يظهر أن تدخلات المياه والغابات الهادفة إلى تهيئة المجال الغابوي تتميز بمحاولة مقاربتها للتنمية في بعدها الشمولي، تتوخى منها تهيئة المجال الغابوي وتحقيق استدامة موارده، من خلال توسيع عمليات التشجير والحفاظ على الموروث الغابوي وحماية المتجدد منه من جهة، وتعمل على مواكبة ذلك بتدخلات سوسيو اقتصادية من جهة ثانية، حيث تعمل على توسيع المجال الرعوي وتشيد المسالك الغابوية التي تساهم في تهيئة المجال الغابوي وتساهم في فك العزلة بين الدواوير فيما بينها، كما تشمل العملية أيضا تحفيز الفلاحين على حسن تدبير المجال من خلال مد السواقي وتوزيع الأشجار المثمرة وتحفيز الأسر للاعتماد على طاقات بديلة. وقد ساهمت هذه التدخلات في تحسين وضعية المجال الغابوي بنفيس الأعلى فتراجعت بذلك حدة التدهور والتراجع الذي يعرفه المجال.

2.دور التنظيم الاجتماعي تدبير المجال الغابوي:

يلعب التنظيم الاجتماعي دورا أساسيا في تدبير وتنظيم المجال، وينتج ذلك من خلال العلاقة التي تجمع بين الإنسان ووسطه؛ حيث أن كل تجمع/مجتمع في تاريخ البشرية ينتج مجاله الخاص وعلاقاته الإنتاجية والاجتماعية الخاصة حسب تطوره ومستواه التقني، فالإنسان إذن يعمل على تنظيم المجال وتغيره. وفي مجال دراستنا تتخذ أشكال تدخل الساكنة المحلية مظاهر متعددة، منها ما يتم بتنسيق مع المصالح الغابوية، أو الجمعيات المحلية، وهناك أشكال تتم وفق الأعراف أو ما تقتضيها الحاجة، ويبرز الرسم البياني أهم مظاهر هذا التدخل:

المبيان 2 أهم مظاهر هذه تدخل الساكنة المحلية في تنظيم وتهيئة المجال الغابوي



المصدر: العمل البحث الميداني

يتبين من خلال المبيان أن أشكال التدخلات المحلية متعددة وتحتاج فقط إلى الدعم، لكونها ستساعد على المحافظة على المجال الغابوي:

1.2 تشيد المسالك الجبلية: فعلى اثر العزلة التي تعيشها معظم الدواوير، ارتأت الساكنة المحلية تشييد مجموعة من المسالك الطرقية للربط بين الدواوير، وهي عمليات يتجند لها كل شباب المنطقة والجمعيات المحلية وهي مسالك لها ادوار متعددة؛ تساهم وتبسط عمليات الإعداد الغابوي على المصالح المتدخلة.

2.2 مراقبة المجال الغابوي: تتم هذه العملية بتنسيق مع المديرية الجهوية للمياه والغابات وتهدف إلى مراقبة الملك الغابوي من جهة، ومراقبة الأملاك الخاصة التي يهاجمها الخنزير البري الذي يقضي على الممتلكات العائلية من جهة ثانية، ويخصص لذلك شخص يسمى محليا **"أنزال"** ويتم ذلك بالتناوب بين الأسر، ويتقاضى على ذلك أجرة مقابل الفترة التي يقضيها في المراقبة.

3.2 التعاون مع المصالح الغابوية: يدخل ذلك في إطار الإنعاش الوطني للشغل، حيث تشارك الساكنة المحلية في عمليات التشجير والتدخلات الرسمية الأخرى كالمتعلقة بتشييد المسالك مقابل أجر، كما تسخر هذه المصالح مراقبين من السكان قصد المشاركة في مراقبة كل من يستغل المجال الغابوي بطرق سرية وغير معقلنة.

4.2 المساهمة في الحفاظ على البيئة: يتجلى ذلك من خلال عمل الجمعيات المحلية المهتمة بالبيئة، إذ تساهم وتشارك مصالح المياه والغابات وتدخلات مركز التنمية الغابوية، في تحسيس السكان بأهمية الحفاظ على المجال الغابوي وبالأخص صنف سرو الأطلس، والحفاظ على الأصناف الإحيائية المائية التي تم وضعها ببعض الأودية من طرف مهتم أجنبي، الذي عمل على اكتراء أسيف نجناتن قصد تربية أسماك الشورغوف، لما لها من ادوار بيئية واجتماعية تنعكس بالأخص على صحة السكان، وكونها ستساهم في تدعيم مجال أغبار كمحمية وطنية، التي من شأنها أن تجلب النشاط السياحي إلى المجال خاصة بعد إتمام تشييد الطريق الرابطة بين الطريق الثانوية 203 ومركز أغبار على مسافة 16 كلمتر.

يظهر إذن أن مساهمة السكان في الحفاظ على المجال الغابوي لا يستهان بها، فاستغلال هذا الوعي والتنظيم الاجتماعي وتدعيمهما بإشراك المستغليين المباشرين للمجال في إعداد وانجاز المشاريع، سيساعد في تنظيم استغلال الموارد الغابوية والحفاظ على الأصناف المهددة بالتراجع، وبالتالي دعم التدخلات الرسمية.

النتائج ومناقشتها:

يتميز مجال نفيس الأعلى/ أغبار، بمجاله الغابوي الغني بتشكيلاته الشجرية والعشبية أساسها شجرة سرو الأطلس التي تميزه عن باقي المجالات الغابوية المغربية، ساهم في هذا الثراء الطبيعي المناخ المتسم بطابعه المتوسطي، حيث يوفر تساقطات مهمة واعتدال في الحرارة مما يساهم في نمو غطاء نباتي متوسطي متنوع. ولكون هذا المجال تستوطنه تجمعات بشرية محدودة الموارد المالية، فقد اتخذت منه (المجال الغابوي) المورد الرئيسي لها، فتعددت بذلك الأنشطة المزاولة داخل المجال الغابوي؛ من رعي وقطع للحطب واجتثاث المجال الغابوي لتوسيع المساحة الزراعية، كل هذه العوامل المرتبطة بالنشاط البشري، بالإضافة إلى أخرى طبيعية كالتعرية وتحركات السفوح أدت إلى التسريع من وثيرة تدهور وتراجع المجال الغابوي. ومن اجل حماية هذا المجال الغابوي اتخذت عدة تدابير رسمية متمثلة في تدخلات الصالح الغابوية ومحلية متمثلة في التدخلات الاجتماعية، غير أنها تميزت (التدخلات) بطابعها الانتقائي والقطاعي.

ولكي تحقق تهيئة الغابات أهدافها يجب أن تبنى على مقاربة تشاركية وتشاورية، وتأخذ بعين الاعتبار خصائص المجال الغابوي ومؤهلاته وذلك من خلال:

-معرفة وتحديد المجال المراد إعداده، ودراسة تاريخ المجال الغابوي، وتحديد سياقه الجغرافي والسوسيو اقتصادي.

-يجب أن تتوافق طبيعة المجال الغابوي مع مشروع إعداد متعدد الأهداف.

-التشخيص والتدبير التشاركي مع كل المتدخلين والمستغليين للغابة، كالسكان والجمعيات والتعاونيات، في أي تدبير واستغلال للموارد الغابوي.

-إشراك جميع الجماعات القروية المعنية وكل الشركاء المؤسساتيين المتدخلين في المجال القروي، وبذلك تستطع المشاريع التنموية تحقيق الأهداف المبتغاة منها من خلال جعل الموارد الغابوية مستدامة مع مراعاة الحاجيات الأساسية للسكان الذين يعشون قرب المجالات الغابوية.

خاتمة:

بالرغم من التدخلات الرسمية ذات الطابع الشمولي المندمج أو ذات الطابع القطاعي، والتي سعت إلى تثمين التدبير الاجتماعي التقليدي للموارد الطبيعية خاصة الغابوية، فإن الحفاظ على الثروات الغابوية خاصة سرو الأطلس لم تحقق بعد أهدافها المنشود وذلك راجع لتشبث الأهالي باستغلال الملك الغابوي في ضل غياب بدائل اقتصادية وتنموية من شأنها الرفع من مستوى عيش الأسر وتقلل الضغط على الموارد الطبيعية. هذا وقد سعت الدول من خلال مصالح اللامركزية المعنية بتدبير المجالات الغابوية والرعوية إلى انجاز مجموعة من المشاريع الهادفة التي تحسين مستوى الاقتصادي والاجتماعي لساكنة المنطقة والحفاظ على حقوقهم في الانتفاع من المحال الغابوي المجاور لهم من جهة، ومن جهة ثانية السعي إلى الحفاظ على الموارد الغابوية خاصة سرو الأطلس واستدامته، ومن جملة هذه المشاريع دعم عمليات التشجير والتجديد الطبيعي للغابة، إعداد المراعي الغابوية، تدعيم والحفاظ على التجديد الطبيعي للتشكيلات الغابوية، المشاريع الاجتماعية المتمثلة في توزيع بعض التجهيزات المنزلية كالافرنة وقنينات الغاز، إلى جانب الدور التنموي الذي يقوم به المجتمع المدني من فتح المسالك والمساهمة في عمليات التشجير.

كان قدم التعمير الذي ميز الأطلس الكبير الغربي عموما ومجال الدراسة خاصة وتموقعه قرب إحدى أهم الممرات الجبلية بالمغرب (تيزي نتاست، تيزي تعني ممر) عوامل عجلت بالتدهور المطرد للغطاء النباتي، لكن الأبحاث العلمية والأكاديمية أبرزت الدور الايكولوجي لهذا المجال بتفرد بصنف نادر على مستوى الغابة المغربية، فسارعت الدولة إلى الحفاظ عليه والحد من استغلاله المفرض، فهل تمكن التدخلات الرسمية من الحفاظ على التوازن الأيكلوجي بهذا المجال المتفرد؟ هل تمكنت من إقناع الساكنة بأهمية الحفاظ على سرو الأطلس كنوع نباتي نادر؟

قائمة المراجع:

1.اسعد عبد المجيد(1998)، الغابة ومالية الجماعات المحلية القروية بالمغرب، أشغال الأيام الدراسية المنظمة 15-16 أبريل 1988، الجمعية المغربية للقانون، كلية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، قسم القانون العام، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب.

2.مصطفى نكار(2008)، تدبير الغابة المغربية ورهان التنمية المستدامة، مجلة المجال الجغرافي المغربي ع12، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الجغرافية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب.

3.عبد العزيز عبد الصادق(2009)، استغلال وتدبير الغطاء النباتي بالأطلس الكبير الغربي: غابة أغبار بحوض نفيس الأعلى نموذجا، بحث لنيل شهادة الماجستر، قسم الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي مراكش، المغرب.

4.وكالة الحوض المائي لتانسفت مراكش، المغرب.

5. مخطط تنمية دوار إكيس التابع لجماعة أغبار القروية 2004.

6.Alexandre Seigue(1985), La foret circumméditerranéenne et ses problèmes, Editeur: ERREUR PERIMES Agence de coopération culturelle et technique, Paris, France.

7.Benaija Abdalilah(1991), Organisation de l'espace et gestion des ressources naturelles chez les Ait Abdi du koucer, (INAU) Rabat, Maroc.

8.Farid El Wahidi(2004), Le Cypré De L'Atlas, Centre Régional de la Recherche Forstière, Marrakech.

9.M.AL-Ifriqui(1993), La dégradation du couvert végétal dans le Haut Atlas de Marrakech, couses et conséquences/Montagnes et Hauts-Pays de L'Afrique (2) Utilisation et Conservation des Ressources Faculté des Lettres, Rabat. Maroc.

10.Mesalle .D(1996), Les Montagnes Marocaine; développement et protection :Contraintes d'une utilisation durable des ressources Naturelles du Haut-Atlas. Paris, France.

11.Saïd Mounir(2003), Ressources forestières et contraintes socio-économiques chez Ait Ouassif du Haut Atlas de Marrakech ;Pour un système de gestion soutenue d'une cupressaie endémique. Les Cahiers de la Recherche de L4UFR DAR/ N 1.

12.Wiely Delvingh(2002), la foret des Hommes terroirs villageois en foret tropicale
Africaine, (INAU), Rabat, Maroc.

13.Carte topographique de Tagnadaft 1/10000

14.Centre de Développement forestier d' Amzmiz - EL Haouz- Marrakech.

15. Etude D'aménagement de la foret domaniale D'Aghbar : Mai (2004)

16.projet de développement rural dans les zones montagneuses de la province d'al-Haouz document de travail,(2007).

وقع الدينامية على عدم استقرار المحاور الطرقية بالريف الأوسط الجنوبي -حالة انزلاق اخلالفة على الطريق الجهوية 509-(تاونات، المغرب)

The impact of dynamism on the road axis of the southern midlle Rif. « The Khlalfa sliding case on the 509 regional road » -Taounate, Morocco-

المودني خالد، باحث في سلك الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس-سايس-المغرب

ملخص: تشكل الظواهر المرتبطة بتهدل وتدهور البنيات التحتية الطرقية بجنوب الريف الأوسط من أكبر القضايا والانشغالات التي تهم الجيومرفولوجيا التطبيقية ومساهمتها في دراسة وتحليل المخاطر الطبيعية المهددة للمنشآت الفنية، كما تشكل بالنسبة للفاعلين إكراها حقيقيا في مجالات التخطيط والتهيئة والتدبير المستدام، وفي هذا الإطار، تؤثر أساليب مورفودينامية السفوح وهيدروديناميةالمجاري المائية بالمنخفضات النهرية على وتيرة التهدل المستمر على الطريق الجهوية رقم 509 وتدهور باقي المنشآت المرتبطة بها، وبالنظر لتعدد الحالات، سنقتصر بالدراسة والتحليل على نموذج جد معبر عن حالة عدم الاستقرار بالنقطة الكيلومترية 070+00 من هذه الطريق. وسنحاول معالجة هذه الإشكالية من خلال تقديم دراسة ميدانية لهذا الموقع غير المستقر، وذلك بضبط الآليات المتحكمة فيه، وضبط سرعة تطورها من خلال التتبع الميداني، ثم اقتراح استراتيجية بديلة على مستوى التهيئة والتدبير.

الكلمات المفتاحية: جنوب الريف الأوسط، الجيومرفولوجيا، الفاعلين، التهدل، المنشآت الفنية، التدبير، التهيئة.

Abstract: The degradation and deterioration phenemona of the road infrastructure in the Southem Middle Rif are among the major issues and concerns of applied geomorphlogy. Thy also contribute to the study and analysis of the natural hazards that threaten the technical facilities and constitute a real concern for the actors in the fields of planning preparation and sustainable management as well. In this frame, the foothills morphodynamic processes and the river hydrodynamic waterways have continuous effect on the deterioration of the regional road 509 and the deterioration of the facilites related to it. On account of the multiplicity if cases, we will limit the study and the analysis to a very good model that expresses the instability situation of the kilometric point 00+070 of the road given, and we will try to address this problem through a field study for this non-stabilized site by the manipulation of the controlling mechanisms as well as the development speed by field tracking and then proposing an alternative strategy at both preparation and management level.

Keywords: Southem Middle Rif, Geomorphlogy, Actors, Instability, Management, Preparation.

تقديـم:

تعتبر النطاقات المنتمية للريف الأوسط الجنوبي من أكثر مناطق المغرب عرضة لظاهرة التعرية، نظرا لكونها يغلب عليها تكوينات جيولوجية حديثة التكوين، تتألف من صخور طفلية صلصالية، وحثية ومروية ونضيدية، تتميز بهشاشتها وضعف نفاذيتها التي تتراوح ما بين 10 و15%(محمد الصباحي وآخرون)، وهو الشيء الذي يفسر قوة الجريان السطحمائي من جهة، وقلة المخزون المائي الجوفي من جهة أخرى. ونظرا لسيادة الصخور الهشة والسفوح شديدة الانحدار وعنف التساقطات المطرية وتركزها الزمني تصبح هذه النطاقات مجالات متميزة للتشكيل الجيومرفولوجي، وأكثر عرضة لآليات التعرية، وذات قابلية كبيرة لنشأة مختلف أشكال الدينامية (عبد الغني الهواري 1994 / بوشتى الفلاح 2000)، تزيد من حدتها أنماط التدخل البشري بالمجال. وفي هذا الإطار تعتبر الانزلاقات التي تضرب الطريق الجهوية رقم 509 الرابطة بين الطريق الوطنية رقم 8 شمال مدينة تاونات في اتجاه إساكن عبر كتامة، نتاجا لتداخل وتضافر عوامل طبيعية مرتبطة أساسا بعدوانية المناخ وسيادة تكوينات صخرية هشة وانحدارات قوية، بآليات أخرى مرتبطة بمنظومة الاستغلال البشري.

1. **إشكالية الدراسة:**

يتميز الريف بشكل عام ونطاق الريف الأوسط الجنوبي على الخصوص بتردد كبير لظواهر مورفودينامية قوية، مرتبطة بسيادة أساس صخري هش من جهة، وهيدرودينامية المجاري المائية وعدوانية المناخ من جهة أخرى. فنشأة مظاهر عدم الاستقرار المجالي المرتبطة بالدينامية السطحية والعميقة، تخلف انعكاسات مجالية وخسائر مادية واقتصادية كبيرة، وذلك من خلال التدهور المستمر للمنشآت الطرقية، تفرض هذه الوضعية على الفاعلين في المجال التدخل بشكل مستمر من أجل تنفيذ وتفعيل عمليات التهيئة والتدبير، ويزداد هذا الاشكال تعقدا خاصة عندما يتعلق الامر بالحركات الكتلية المتميزة بتجدد دائم للعوامل التي تعتبر الأصل في نشأتها وتطورها، كما يتعقد أكثر فوق السفوح غير المستقرة والتي شهدت عمليات مكثفة للتهيئة الطرقية. ونظرا لتعدد حالات عدم الاستقرار التي تعرفها الطريق الجهوية 509 سنركز على نموذج جد معبر عن الدينامية العميقة بالنقطة الكيلومترية 00+070 من هذه الطريق.

2.أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة الكشف عن العوامل التي ساهمت في عدم استقرار المجال بالنقطة الكيلومترية 00+070 باعتبارها من جهة تشكل نقطة سوداء تحرج المصالح الإدارية التابعة لمديرية التجهيز والنقل واللوجستيك، ومن جهة أخرى تشكل خطرا حقيقيا على مستعملي الطريق بهذا المقطع. كما تهدف الدراسة ضبط سرعة تطور الدينامية من الناحية الجيومرفولوجية ثم كشف سياقات تدهور المقطع الطرقي من الناحية التقنية. بالإضافة إلى ذلك، نتوخى من هذا العمل المساهمة في اقتراح حلول بديلة للحد من ظواهر عدم الاستقرار بالمجال المدروس، وذلك وفق استراتيجية مبنية على مقاربة شمولية تجمع بين ما هو جغرافي وجيومرفولوجي وتقني في تحليل إشكاليات الموضوع، إيمانا منا بكون الحلول الأحادية الجانب تبقى محدودة الفعالية في أغلب الحالات.

3.أهمية الدراسة: تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تعالج أهم المواضيع المرتبطة بالحركات الكتلية في علاقتها بتطور الأشكال التقنية لتدهور المحاور الطرقية، وكذا من حجم الخسائر السنوية التي تتحملها (تنفقها) الدولة من أجل صيانة وإصلاح الأضرار، والتي (النفقات) تتزايد سنويا حسب ظروف ترتبط أساسا بالمناخ وتزايد حدة حركية السير، كما تكتسي أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول الموضوع في إطاره الشمولي، انطلاقا من تركيب مختلف العوامل المساهمة في الدينامية وفهم العلاقات التفاعلية الموجودة فيما بينها.

4.الإطار المجالي والجغرافي: عوامل النشأة والتطور

1.4 الموقع الجغرافي والوضعية الطبوغرافية والجيومرفولوجية للمجال المدروس: يتموقع المجال المدروس نطاقيا بالهوامش الجنوبية للريف الأوسط، ما بين خط الطول 4° 36' 49.8" غربا وخط عرض 34° 40' 7.5" شمالا، ويبعد بحوالي 24 كلم في اتجاه الشمال عن مدينة تاونات، إذ يغطي المدخل الشرقي لمركز اخلالفة عند النقطة الكيلومترية 00+70 من الطريق الجهوية رقم 509، يتدرج الارتفاع انخفاضا كلما توجهنا من الشمال(عالية السفح) حيث توجد الطريق وجبهة الاقتلاع (790م) في اتجاه الجنوب حيث قدم الانزلاق بحوالي 620 م. تبلغ مساحة الكتلة المنزلقة 0.51 كلم^2 بطول أقصى 760م وعرض أقصى 972م، وتتخللها شعبة رئيسية ذات اتجاه شمال غرب – جنوب شرق وتخديدات عميقة على شكل V تجزؤها إلى كتل وتلعب دور المصرف المائي بالنسبة للسفح ككل، على مستوى توزيع الانحدار يمكن تقسيم السفح المتحرك إلى ثلاثة أقسام، منطقة القدم شبه المسطحة ذات انحدارات خفيفة لا تتعدى 10 درجات، الوسط ذات انحدارات ضعيفة إلى متوسطة تتراوح بين 10 و15 درجة، ثم منطقة أعلى السفح على طول المحور الطرقي حيث يوجد حادور رئيسي يتجاوز انحداره 35 درجة. فمن خلال هذه المؤشرات يتضح بأن المجال يخضع لدينامية من نوع انزلاق مستو أو مسطح (en plan) ذات سرعة بطيئة تؤكدها المؤشرات المجالية وحدة التدهور.

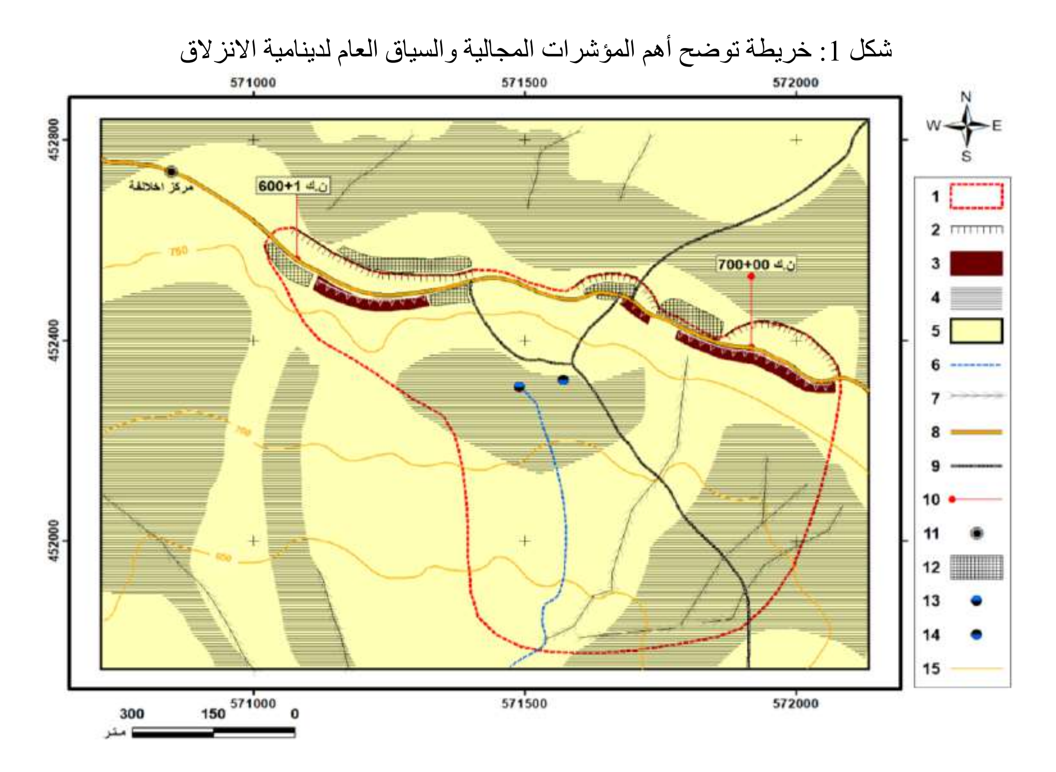
2.4 إطار جيولوجي وجيوتقني ملائم لنشأة الدينامية

1.2.4 عامل جيولوجي حاسم في عدم الاستقرار: يتأطر المجال المدروس بالجزء الشمالي الغربي لوحدة طنجة الواقعة جنوب الريف الأوسط، وهي تحد تكتونيا بوحدة اللوكوس غربا وبإرسابات حديثة جنوبا، ثم بنطاق النوافذ التحولية (fenêtre métamorphique) شرقا، وتتكون هذه الوحدة بالمجال من الصلصال والصلصال الكلسي المنتمي للكريطاسي الأعلى، ثم سلسلة مكونة من الفليش الأسود ودكات حثية صوانية تنتمي للكريطاسي الأسفل، تصنف ضمن التكوينات متوسطة الصلابة.

أما محليا، فالمجال غير المستقر والذي يغطي انزلاق اخلالفة فتسود به صخور صلصالية وصلصالية كلسية، بالإضافة إلى مواد منقولة/مغيرة (remaniés) تشكل شرفات محبوكة من الحطام (شكل1)، في حين يتكون الأساس الصخري من طبقة شيستية ذات خصوصيات عدانية ملائمة لنشأة الدينامية (مديرية التجهيز والنقل واللوجستيك بتاونات)، حيث يبرز الشيست على مستوى الحادور الرئيسي أعلى السفح وعلى طول المقطع الطرقي، وبالتالي يبقى هذا الجزء

عبارة عن مجال ذات احتمال قوي لتجدد الدينامية، وذلك بحكم قوة الانحدار، تمركز سكاني، تأثير حركية السير وأشغال التهيئة الطرقية.

شكل 1: خريطة توضح أهم المؤشرات المجالية والسياق العام لدينامية الانزلاق



المصدر: خ. طبوغرافية لتاونات 1/50000 وخ. جيولوجية لتاونات عين عائشة 1/50000+ البحث الميداني

1: مجال الانزلاق 2: جبهة اقتلاع 3: حادور رئيسي 4: سفحيات (مواد مغيرة) 5: تكوينات صلصالية وصلصالية كلسية 6: شعبة مائية 7: خدة 8: ط.ج. 509 9: طريق غير معبدة 10: نقط التنقيب 11: مركز الجماعة 12: سكن 13: عين 14: بئر 15: خط التسوية.

2.2.4 سياق جيوتقني مهيج للدينامية: حسب التصنيفين المغرب R.T.R (Recommandation Pour les Terrassements Routiers) والفرنسي G.T.R (Guide des Terrassements Routiers) للأتربة واللذان يقدما أربعة أصناف لها، وهي A و B و C وD (يتضمن كل صنف أصنافا فرعية ثانوية) فالتكوين الذي تمت تجربته ينتمي للصنف B الذي يهم أتربة رملية أو حصوية مع مواد دقيقة بحيث يكون Dmax<50 و 80µm أصغر من أو يساوي 35. ينقسم هذا الصنف (B) إلى ستة اقسام من B1 إلىB6 حسب الصلابة والهشاشة. فالتنقيب الذي أجراه مختبر L.A.B.S (Laboratoire des Bétons et des

Sols) أعطى مؤشرات تؤكد على وجود رمال وحصى طيني متوسطة الأطيان واللزوجة، بحيث 80µm= 22 % و2mm = 66% مع IP=13 و WL=34 و VBS=1,9 g/kg (Valeur au Bleu du Sol) وهي خصائص تجعل التكوين ينتمي لصنف B6 ذو الحساسية لنشأة الحركية الكتلية (جدول 1).

جدول 1: خصوصيات التربة بموقع الانزلاق بالنقطة الكيلومترية 700+00

صنف LPC*/RTR	VBS g/kg	%<0,08mm	%>2mm	IP (%)	WL (%)	التكوين المخترق	المقطع	العمق بالمتر
GA/B_6	1,9	22	66	13	34	الشيست		0.5 00 1

L.A.B.S :المصدر Laboratoire des Ponts et Chaussées (*)

3.4 الظروف الهيدروجيولوجية: من الناحية الهيدروجيولوجية، تتميز منطقة الدراسة والسفح المتحرك بسيادة تكوينات صلصالية وصلصالية كلسية ثم مواد منقولة تعلو قاعدة شيستية حسب التنقيب الذي قام به مختبر L.A.B.S، فهو إذن وضع جيولوجي لا يسمح بتكون فرشة باطنية دائمة ومستمرة، بحيث ترتبط على وجه الخصوص بالفصل المطير، إذ تتغذى الفرشة عن طريق الشقوق التي تضرب السفح خلال الفصل الجاف. وبشكل عام وانطلاقا من البحث الميداني والخريطة الجيولوجية (تاونات عين عائشة 1/50000) نؤكد على أن المجال يتوفر على فرشات مائية صغيرة معلقة وجد محدودة، تظهر على شكل عيون وآبار بالشمال الغربي للسفح المتحرك (شكل 1).

4.4 دور عدوانية المناخ في عدم استقرار السفح: حسب التصنيف المناخي للمغرب يتموقع المجال المدروس في منطقة رطبة (code H بحيث P>600 mm في السنة)، حيث بلغت كمية الأمطار سنة 2009 بمحطة تاغزوت ما يناهز 1785 ملم، تميزت بتركز زمني شديد زاد من حدة الدينامية خلال هذه السنة. وعلى العموم يتموقع المجال المدروس نطاقيا بمناخ متوسطي ذو فصلين متباينين يجعلا تأثير التعرية دائم ومستمر، بحيث:

-فصل الشتاء مطير سجل ما يناهز 1642 ملم/السنة (سنة 2009 بنفس المحطة)، أي 91.9 % من مجموع التساقطات السنوية، كما تم تسجيل 49 يوم مطير خلال هذا الفصل بلغت أقصاها يوم 23 دجنبر من هذه السنة بحوالي 137 ملم، مما يؤكد على التركز الشديد للتساقطات المطرية، إذ اغلب الكميات تتهاطل من منتصف دجنبر إلى غاية منتصف مارس، وهي الفترة التي يشهد فيها المجال دينامية سفحية قوية، سواء تعلق الأمر بتطور ظواهر التخديد والتدفقات السطحية خلال

الامطار الأولى (شتنبر) أو نشأة انزلاقات عميقة وتزايد سرعتها خلال أواخر الفصل المطير، بحيث تكون التكوينات الصخرية قد بلغت مستويات مهمة من التشبع.

-فصل صيف حار وجاف، بحيث تخضع التكوينات السطحية الصلصالية للتيبس الناتج عن ارتفاع الحرارة (42 درجة) فتنشط آليات التشقق وتتكون شروخ فوق السفح، تصبح مهيأة للحركة بمجرد هطول الأمطار الخريفية الأولى، كما تزيد من قوة النفاذية وتسرب المياه نحو العمق، الذي يصبح أكثر تميها وبالتالي ذات قابلية قوية للحركة بتدخل عوامل أخرى.

5. الإطار البشري والسياق الجيوتقني للطريق المهددة

1.5 تمركز سكاني ونشاط بشري يفاقم الخطر: يتميز المجال المدروس بتمركز سكاني مهم يصل ما يناهز 854 نسمة موزعين على 163 أسرة (حسب إحصاء 2004)، ينتشرون على طول جبهة الاقتلاع الرئيسية والمقطع الطرقي، يغلب على المساكن الطابع العشوائي وافتقارها للخدمات العمومية من قبيل جمع النفايات الصلبة وغياب تام لقنوات الصرف الصحي، بحيث يبقى المجال الطبيعي للسفح المتحرك حلا من الحلول التي تلجأ إليها الساكنة للتخلص من النفايات والمياه المستعملة (عن طريق الحفر المطمورة)، مما يرجح إلا حد ما فرضية ارتباط حركية السفح بتزايد نسبة المياه المقذوفة مباشرة في عمق التكوين الصخري، وما يزيد من فاعلية هذا العامل كون الساكنة تتخلص من هذه المياه (التي فيها نسبة من المواد اللزجة) على مستوى العالية (الجبهة) والتي تعتبر منطقة ضعف بالنسبة للسفح. بالإضافة إلى ذلك، فمجال الكتلة المتحركة يخضع لاستغلال فلاحي كثيف سواء بالأشجار المثمرة (التين والزيتون...) أو بالزراعات الموسمية المرتبطة بالحبوب، وبالتالي يبقى المجال يخضع طيلة السنة لعمليات فلاحية (الحرث والقلب) تساهم نظرا لطابعها العشوائي في تزايد حدة الدينامية.

2.5 سياق جيوتقني ملائم لنشأة الدينامية وتدهور الطريق: يحتل المقطع الطرقي أقصى عالية السفح على امتداد الجبهة الرئيسية، وهو موضع حساس جدا لعدم الاستقرار خاصة مع وجود حركية سير مهمة وعدم فعالية أنظمة تطهير وتصريف مياه الأمطار، ويمكن أن نلخص خصائص المقطع الطرقي المهدد فيما يلي (جداول 2 و3 و4):

جدول 2: خصوصيات المواد على مستوى هيكل الطريق الجهوية 509

رقم التنقيب	النقطة الكيلومترية	طبيعة العينة	ES[1] (0/5) %	ES (0/2) %	LA[2] %	MDE[3]
S1	600+1	TV[4] شبه مسحوقة	23	38	23	18

المصدر: مديرية التجهيز والنقل واللوجستيك لتاونات

[1] ES : Equivalent de sab [2] LA : Los Angeles [3] MDE : Micro Deval en présence d'Eau [4] TV : Tout-venant

جدول 3: الخصائص الميكانيكية للدك والتحمل (Compactage et portance)

الصنف	النقطة الكيلومترية	مميزات بروكتور (Proctor)		مميزات التحمل
		Yd max (T/m^3)	Wopt (%)	مؤشر CBR[6] بعد 4 أيام من الترطيب
حصى طيني	700+00	2,2	09	13

المصدر: مديرية التجهيز والنقل واللوجستيك لتاونات [6] CBR : California Bearing Ratio

جدول 4: مميزات حركية السير فوق المقطع الطرقي المدروس

نقطة العد (ن.ك)	عرض الطريق بالمتر	تاريخ العد*	مدة العد	وسائل النقل العادية وتصنيفها (P<8 tonnes)			وسائل النقل كبيرة الحجم وتصنيفها (P>8 tonnes)		
				العدد	%	التصنيف	العدد	%	التصنيف
650+1	6.1	/08/2018	4 ساعات	1976	95,09	T_0^-	102	4,9	TPL_5

المصدر: بحث ميداني من 08:30 إلى 12:30

(*) اخترنا يوم الاثنين لإجراء هذا العد باعتباره يوم السوق الأسبوعي الذي يعرف حركية قوية لوسائل السير

من خلال استثمار معطيات الجداول أعلاه نستنتج الخلاصات التالية:

-انطلاقا من الجدول رقم 2 تبين التحاليل المنجزة بأن العينات الحصوية المختبرة تتميز بنقاوة (Propreté) غير مطابقة لخصوصيات DRCR (Direction des Routes et de la Circulation Routière).

-تسمح المميزات المقدمة بالجدول رقم 3 من تحديد طبيعة الصخارة الموجودة بالنقطة الكيلومترية 00+700 والتي هي عبارة عن طين داكن (noirâtre) خفيف الحصى، مميزاتها على مستوى التحمل تصنف ضمن درجة P_2 حسب الدليل الجديد ل DRCR.

-انطلاقا من الجدول رقم 4 فقد بلغ مجموع وسائل النقل التي مرت فوق المقطع الطرقي خلال مدة العد (أربع ساعات) 2078 وسيلة نقل في الاتجاهين معا، أي حركة سير T_0^- إذا اعتبرنا مرور نفس العدد في الساعات الموالية. وحسب الدليل الجديد (1995) المعتمد للبنيات وأنواع الطرق اعتبرنا وسائل النقل التي يفوق وزنها الإجمالي (وزن العربة مع الحمولة) 8 طن هي ذات حجم كبير، وعلى هذا الأساس فقد بلغت حركية السير من هذا النوع 102 عربة أي صنف TPL_5 (Trafic à Poids Lourds)، يتجلى دورها كعامل من عوامل التدهور في قدرتها الكبيرة على إحداث ارتجاجات بسبب وزنها الزائد اثناء المرور (نتحدث عن عدوانية وسائل النقل).

6. انعكاسات الدينامية وتشخيص الوضعية الحالية

1.6 تضرر المقطع الطرقي

جدول 5: مؤشرات تطور تعمق الانخسافات فوق المقطع الطرقي المدروس بالسنتمتر (ط. ج 509)

ن.ك	طول الانخساف بالمتر	عرض الانخساف بالمتر	نقط القياس (P)	خلال سنة 2017			خلال سنة 2018					
				أكتوبر	نونبر	دجنبر	يناير	فبراير	مارس	أبريل	ماي(*)	يونيو
600+00	89	2,3	P_1	10		12,4	14	14,6	15,7	16,3	17	

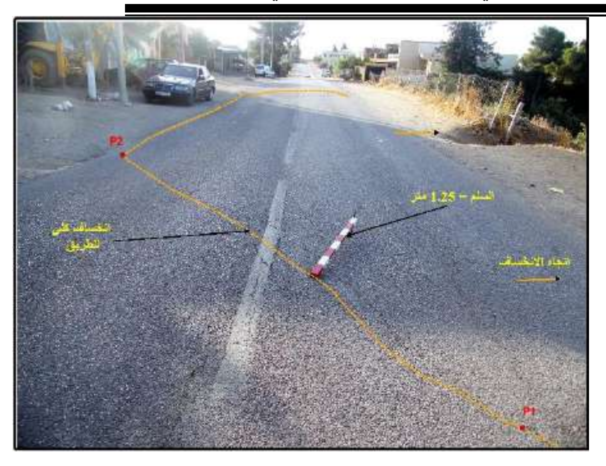
			P₂	10,5		12,5	16	16,9	17,6	18,2	22
			P₃	16	16,2	16,9	17	18,5	20,9	22	23,1
			P₄	6	6,5	6,8	7,5	9,3	10	10,2	11
650+1	25	6,1	P₁	11	11	11,5	12,5	14	16	16,3	16,9
			P₂	6,8	6,8	7	7,5	8	9,7	10	10,2
750+1	11	2	تم القياس بوسط الجزء المتهدل		14	14,5	16	18	22,3	28,4	32,4

المصدر: نتائج البحث والتتبع الميداني

(*) تم اجراء قياسات عند نهاية كل شهر مع قياسات أخرى تكميلية عند الضرورة

صور 1 و2: انخساف طولي بالنقطة ك. 00+600، على اليمين بتاريخ أكتوبر 2017 وعلى اليسار خلال غشت 2018





صورة 3: انخساف كلي من المقطع الطرقي بالنقطة الكيلومترية 1+650 يبلغ طوله 25 متر وضعية 20 غشت 2018

نظرا للدينامية البطيئة للسفح فإن مؤشرات تأثر المقطع الطرقي لم تظهر سوى في مواقع محدودة جدا، تطلبت متابعة ميدانية منتظمة ودقيقة من أجل ضبط سرعة تطورها. فشكل التدهور الذي يصيب المقطع الطرقي هو من نوع التشوهات متمثلة في انخسافات (ornières) جزئية أو كلية مصحوبة بشقوق منفردة أو شبكية، ثم تشققات طولية وأخرى عرضية شبه متعامدة مع المحور الطرقي، وقد عرفت هذه التدهورات تسارعا خاصة خلال الفترة الممتدة من دجنبر 2017 إلى غاية ماي 2018، ففي الوقت الذي أكدت فيه مديرية التجهيز والنقل واللوجستيك لتاونات بأن المقطع لا يتأثر إلا بتشوه وتشققات ضعيفة جدا (درجة V_2) بتاريخ 17 غشت 2017، فإننا سجلنا خلال النصف الأول من سنة 2018 تطورا ملحوظا لتعمق الانخساف بلغ أقصاه 32.4 سنتمتر بالنقطة الكيلومترية 1+750 (جدول 5 وصور 1 و2 و3)، كما عرفت الشقوق اتساعا بلغت أقصاها 59 ملم بالنقطة P_4 بالنسبة للشقوق الطولية و30 ملم بالشقوق العرضية مع تطور هذه الأخيرة إلى شبكة من التشققات بالنقطتين P_3 و P_4 (جدول 6 والصور من 4 إلى 7). يرتبط التطور الحاصل على مستوى تعمق الانخسافات واتساع الشقوق خلال سنة 2018 بعدوانية المناخ من خلال التساقطات المطرية التي شهدتها المنطقة خلال هذه السنة وما لها من دور في تحريك قوة الدينامية. أضف إلى ذلك، فقد أظهر التنقيب الذي قامت به مصلحة الطرق وجود عدة تشوهات على مستوى طبقة القاعدة (couche de base) المكونة من TV شبه مسحوقة بسمك يناهز 15 سنتمتر، والطبقة العلوية المشكلة من طلاء سطحي لا يتعدى سمكها 8 سنتمتر، وهي مؤشرات تدل على أن الجودة غير مطابقة لحركة سير T_0^-، هذه التشوهات هي نتيجة لعدم فعالية التصريف الداخلي للطريق من جهة، ثم بسبب الاجهاد وهشاشة التكوين الصخري من جهة أخرى. وأخيرا نؤكد على أن ضمان استقرار طبقة السير (couche de roulement) وجودتها رهين بتحقيق الاستقرار الداخلي للطريق (corps de chaussée).

جدول 6: مؤشرات التدهور والتشوه المرتبط بالتشققات فوق المقطع الطرقي المدروس (المعدل السنوي بالملم)

<table dir="rtl">
<tr><td>نوع التشوه</td><td colspan="5">تطور التشققات الطولية ب ملم</td><td colspan="5">تطور التشققات العرضية ب ملم</td></tr>
<tr><td>النقطة ك.</td><td colspan="5">600+00</td><td colspan="5">650+1</td></tr>
<tr><td>تاريخ القياس</td><td>2016</td><td colspan="2">2017(*)</td><td colspan="2">2018</td><td colspan="2">2016</td><td colspan="2">2017</td><td>2018</td></tr>
<tr><td>نقط التتبع</td><td>شتنبر</td><td>ماي</td><td>شتنبر</td><td>ماي</td><td>غشت</td><td>ماي</td><td>شتنبر</td><td>ماي</td><td>شتنبر</td><td>ماي</td></tr>
<tr><td>P_1</td><td>12</td><td colspan="2">14</td><td colspan="2">55</td><td colspan="2">8</td><td colspan="2">13</td><td>20</td></tr>
<tr><td>P_2</td><td>غير موجودة</td><td colspan="2">غير موجودة</td><td colspan="2">20</td><td colspan="2">16</td><td colspan="2">19</td><td>28</td></tr>
<tr><td>P_3</td><td>غير موجودة</td><td colspan="2">غير موجودة</td><td colspan="2">20</td><td colspan="2">غير موجودة</td><td colspan="2">غير موجودة</td><td rowspan="2">30 مع تكون شبكة تشققات</td></tr>
<tr><td>P_4</td><td>25</td><td colspan="2">30</td><td colspan="2">59</td><td colspan="2">8</td><td colspan="2">15</td></tr>
</table>

(*) تم اجراء قياسات خلال شتنبر من السنة الأولى وماي من السنة الموالي المصدر: نتائج البحث والتتبع الميداني.

صور 4 و5: تشققات طولية بالنقطة ك. 00+600، على اليمين بتاريخ شتنبر 2016 وعلى اليسار خلال غشت 2018

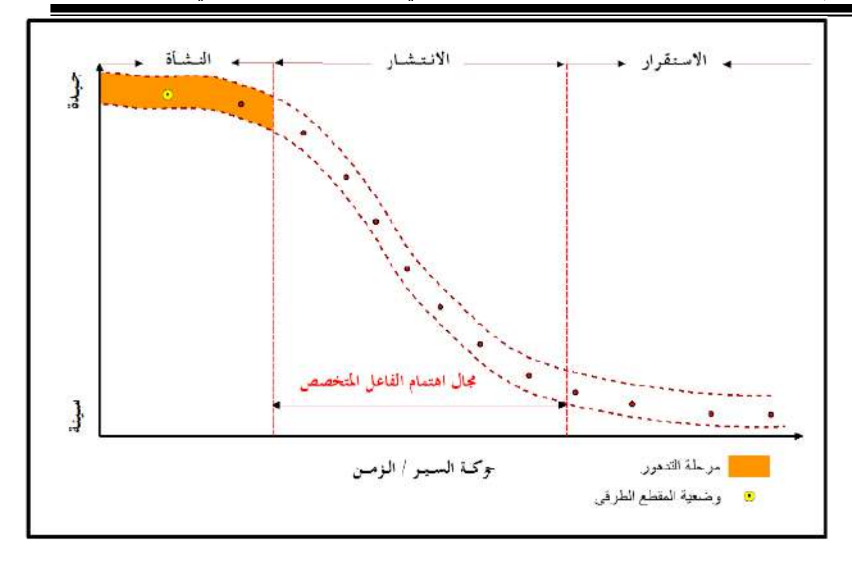


صور6 و7: تشققات عرضية بالنقطة ك. 1+650، على اليمين وضعية شتنبر 2016 وعلى اليسار وضعية غشت 2018

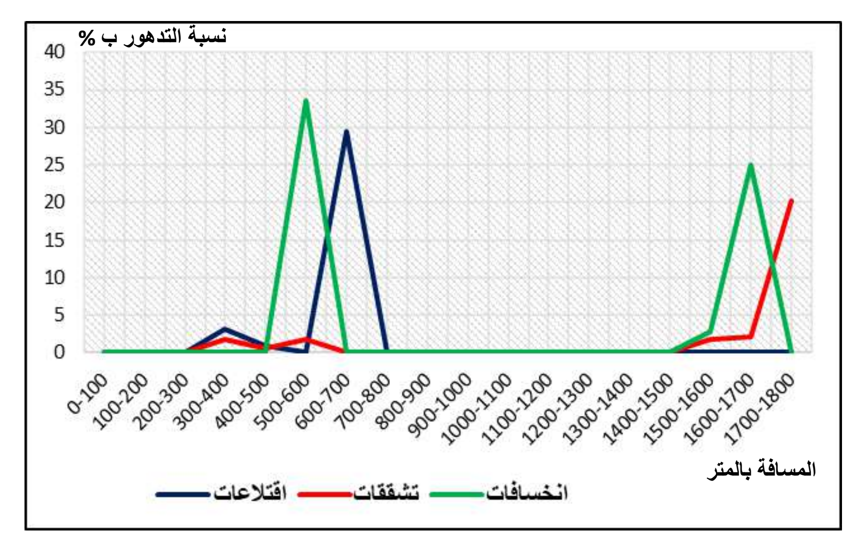


2.6 تأثر مدة حياة الطريق: ترتبط مدة حياة الطريق أساسا بالحالة (D-C-B-A) والتي تتراجع من الجيدة إلى السيئة متأثرة بعامل الزمن (عامل الشيخوخة أو القدم) وتزايد حركية السير (عامل الحدة/العدوانية). وعلى هذا الأساس يمكن التمييز بين 3 مراحل كبرى لتطور التدهور الذي كلما ازدادت حدته كلما تقلصت وتراجعت مدة حياة الطريق، وهي مرحلة النشأة، مرحلة الانتشار (فترة اهتمام الفاعلين المتخصصين) ثم مرحلة الاستقرار حيث يكون التدهور خارج إطار النمذجة، وانطلاقا من المعطيات التقنية وتحليل منحنيات تطور التدهورات وتتبعها الزمني (شكل 3)، فإن المقطع الطرقي المدروس يوجد ضمن مرحلة النشأة من حيث خطورة التدهور (شكل 2)، وهي الموافقة لعتبة الإنذار (Seuil d'alerte) ما دامت نسبة التشقق لم تتعد 20%، ثم عتبة الإنذار بالنسبة لعدم الاستواء (l'uni) المرتبطة بحركية السير بحيث 3500 = T2.

فانطلاقا مما سبق نؤكد على أن عتبة الإنذار ما هي إلا مرحلة معلنة (إخبار) عن بداية عدم الاستقرار، من المحتمل أن يتطور ويزداد حدته مع مرور الزمن وتزايد حركية السير وعدوانية المناخ وتأخر الصيانة.



شكل 2: يوضح المراحل الأساسية لتطور التدهور ووضعية المقطع ضمنها، بحيث يوجد المقطع ضمن مرحلة النشأة وذلك ارتباطا بحالة الطريق ونسب التدهورات التي تصيبها.



شكل 3: يوضح منحنى تطور التدهورات على طول المقطع المدروس بحيث نسجل:

+ تدهور مهم ببداية المقطع من النقطة 500 إلى النقطة 700 ثم في نهايته ما بين 1600 و1800؛

+ سيادة الانخسافات والشقوق بعدة نقط

+ تأثر زمن المرور بالنقط 600+00 و1+650 (حسب المعاينة الميدانية).

قياسات أنجزت في 20 غشت 2018

3.6 تحديد درجة الخطورة واسناد النقط بالنسبة للتدهورات فوق المقطع المدروس

جدول 7: درجات الخطورة وتحديد النقط للتدهورات فوق المقطع الطرقي المدروس باعتماد طريقة VIZIR

نوع التدهور	درجة الخطورة	% على طول المقطع (1.8 كلم)	مؤشر التشقق	مؤشر التشوه	النقط
انخسافات	3	3,6	3	3	5
شقوق	2	1,55	2	2	3
اقتلاعات	2	1,8	2	2	3

تعتبر طريقة VIZIR من الطرق المعتمدة من طرف المدرسة الوطنية للقناطر والطرق بباريس لتكميم التدهورات وتحديد درجات الخطورة بالنسبة لكل نوع من أنواع التدهور، وذلك وفق قيم ثابتة بحيث يتم التوصل لدرجة الخطورة انطلاقا من حدة التدهور (سمك التشقق، عمق الانخساف ونسبة التدهور)، كما تفيد بناء على ذلك في اقتراح الحلول المناسبة للحد من الدينامية وإصلاح الأضرار. فبالرغم من كون نسب التدهور على طول المقطع الطرقي (1800 متر) تبدو ضعيفة، فإن درجة الخطورة على مستوى المواقع النقطية المتدهورة تصل إلى 3 بالنسبة للانخسافات والتي تمثل أقصى درجات الخطورة، بحيث يصل عمق الانخساف 32,4 سنتمتر، ثم الدرجة 2 بالنسبة للشقوق والاقتلاعات، كما أن اسناد النقط بناء على مؤشرات التشقق والتشوه تصل إلى 5 بالنسبة للانخسافات و3 بالنسبة للشقوق والاقتلاعات (جدول 7).

7. إستنتاج عام وتوصيات الدراسة: انطلاقا مما سبق نستنتج أن المجال المدروس يتميز بالهشاشة وعدم الاستقرار، تظهر من خلال تنوع الظواهر المرتبطة بالأشكال التقنية لتدهور الطريق (تشققات، انخساف واندكاك ردم الحافة) وبالدينامية السفحية المتمثلة في التعرية (انزلاق مسطح وتعرية الردوم الطرقية). وتعتبر حالات عدم الاستقرار هاته نتاجا لتظافر عوامل طبيعية من صخارة ومناخ وطبوغرافية، بعوامل بشرية لها علاقة بتدخل الإنسان في المجال، وفيما يلي سنقدم أهم الاقتراحات لمعالجة الإشكالات المطروحة، مركزين في ذلك على العوامل المساهمة في نشأة الظواهر والمواقع المتدهورة من المجال المدروس (الجدول 8 والشكلين 4 و5).

جدول 8 والشكلين 4 و5: تلخص أهم الاقتراحات من اجل التخفيف من الدينامية وحماية المقطع الطرقي المدروس.

نوع التدهور	ن.ك	طبيعة التدخل	التقنيات والمواد المستعملة للتنفيذ	ملاحظات وأشكال توضيحية
تشققات	600+0 650+1	الملء	ملء الشقوق بخليط زفتي من أجل الحد من امتدادها ومن نفاذية الطريق	كما يجب تقوية البنية الداخلية للطريق ومعالجة التشوهات الموجودة بالهيكل على مستوى طبقة القاعدة.
عدم استقرار حافة الردم	600+0 650+1	الحد من التعرية المرتبطة بالسيلان المائي	إما عن طريق بناء مدرجات أو أساليب إنزال المياه والتحكم في سرعتها (descentes d'eau)	الشكلين 4 و5: كيفية إنجاز قنوات التصريف السطحية فوق المنحدرات الهدف منها جمع المياه وتصريفها Circulation superficielle des eaux Route
اختلالات مرتبطة بضعف أساليب التصريف	ما بين 70+00 إلى 800+1	عمليات التطهير السطحي والتصريف	تطهير المياه السطحية عن طريق تجميعها وتوجيهها بعيدا عن المناطق الحساسة (موجهات المياه وخنادق)، وكذا التصريف الداخلي للطريق بواسطة drains و tapis drainant	

		الداخلي	كما يجب تزويد الساكنة بأنظمة التطهير والتصريف	
انخسافات كلية وجزئية	600+0 650+1 750+1	التقوية والتثبيت	تثبيت المواقع المتهدلة وخاصة الجزء الأيسر من الطريق بواسطة صور إسمنتي مزود بأنابيب خروج المياه، أو عن طريق بناء سياجات حجرية (gabions)	المصدر: عبد الغني الهواري (2007)
ميلان وعدم استواء سطح الطريق	600+0 650+1 750+1 700+1	إعادة التسوية	إعادة النظر في الأبعاد الجيومترية للطريق من حيث درجة الانحدار.	الجزء الذي عرف الانخساف يوجد في منعرج مما يزيد من عدوانية تأثير حركية السير.
اختلالات مرتبطة بغياب الجنبات	ما بين 70+00 إلى 800+1	الحد من نفاذية الطريق وتدهور الأطراف	بناء جنبات اسمنتية للطريق من أجل تفادي نفاذية الماء تحت طبقة السير، سواء منها الآتية من سطح الطريق أو من الأطراف.	يجب أن يكون انحدار الجنبات أكثر من انحدار الطريق. القياسات المعمول بها: -انحدار الطريق في حدود 2,5% -انحدار الجنبات ما بين 4 و5%

قائمة المراجع:

1. JANATI IDRISSI (A), 1999 : drainage routier, pratique marocaine et impact sur la durée de vie des chaussées, publié dans la revue marocaine du génie civil, n°83, Edition 1999
2. GARTET (A), GARTET (J) & CONESA GARCIA (C) 2006 : « Exploitation des salines au massif diapirique de Tissa et impacts environnementaux (Prérif central, Maroc septentrional) », *Papeles de Geografia*, n° 44, Revue de l'Université de Murcia (Espagne). pp : 23-38, Murcia.
3. GARTET (A) 2007 : « Risques naturels, anthropiques et technologiques dans l'agglomération de Fès et son arrière-pays : aménagement, gestion et prévention ». Thèse Doct. d'État, FLSH Saïs-Fès, 454 p., Fès.
4. MAURER (G.), 1968 : Les montagnes du Rif Central : étude géomorphologique. Trav. Inst. Sci, Série Géol et Geogr. Phys, n°14, Rabat.
5. TRIBAK (A), « Facteurs climatiques de l'érosion hydrique dans quelques bassins du Rif Marocain : cas de la province de Taza ». Faculté des lettres et sciences humaines, Université Sidi Mohamed Ben Abdellah, Fès-Saïs.
6. LPEE (Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes),1999 : « Étude géotechnique du glissement au PK 753+200 de la RN 8 ». Rapport inédit 9 p., Fès.
7. LPEE (Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes), 2006 : « Étude de confortement des exemples de huit zones de glissement dans la route provinciale 5308 à la région de Taounate ». Rapport inédit, 31 p., Casablanca.
8. LCPC-SETRA, conception et dimensionnement des structures des chaussées, guide technique, décembre 1994.
9. DRCR et LPEE, guide pour les études de glissement de terrain, édition 2000.
10. DRCR et LPEE, catalogue de structures de chaussée neuves, édition 1995.

11.LABS et DPETL de Taounate, rapport géotechnique sur des points noirs de la RR 509, édition 2017.

التسويق الترابي للمجالات الساحلية، بين تعدد آليات الفاعلين ومؤشرات الرضى السكني، حالة سيدي رحال الشاطئ بجنوب غرب الدار البيضاء

Territorial Marketing, the multiplicity of mechanisms and indicators of residential satisfaction, the case of Sidi Rahall beach in south-west Casablanca

أ.بوعبيد زائرة، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء-المغرب
أ.محمد مدافعي، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء-المغرب

ملخص: يعالج هذا المقال موضوع التسويق الترابي بالمجال الساحلي الجنوبي الغربي للدار البيضاء، هذه المجال شهد تدخلا مستمرا منذ بداية تسعينات القرن الماضي في إطار عملية التسويق للتراب تحت تأثير التوسع الحضري للدار البيضاء.
يتمحور المقال من خلال دراسة حالة سيدي رحال الشاطئ، حول فكرتين رئيسيين هما تحليل الآليات المعتمدة للرفع من جاذبية المجال في إطار عملية التسويق، والتوقف عند الخصوصيات الترابية والاجتماعية والعقارية التي ميزت هذا التسويق، ومن اجل ذلك اتبعنا منهجية تقوم على التقصي الميداني الذي أثمر استمارة أنجزت في غشت 2017 إضافة إلى الاطلاع على بعض الوثائق والأبحاث المرتبطة بدينامية المناطق الساحلية.
ومن خلال بيانات الاستمارة توصلنا إلى بعض الاستنتاجات تخص التسويق الترابي بالمجالات الساحلية، وهو ما يساعد على وضع قاعدة لتثمين عملية التسويق في أفق تدبير ترابي واعد لمجال الدراسة.
الكلمات المفتاحية: التسويق الترابي، المجالات الساحلية، الميتروبول، الرضى السكني، الفاعلين المحليين.

Abstarct: this article addresses the subject of territorial marketing in the southwestern coast of Casablanca. This area has been an ongoing intervention.
The article focuses on two main ideas: analyzing the mechanisms adopted to increase the attractiveness of land, and the specific physical, social characteristics that characterized this marketing. Therefore .we followed a methodology based on the field investigation which produced a completed form In August 2017, as well as some documents and research related to the dynamics of coastal areas.
Through the form data, we have reached some conclusions related to coastal marketing, which helps to establish a basis for valuing the marketing process .
Keywords: territorial marketing, coastal areas, metropolitan, residential satisfaction, local actors

مقدمة:

تؤكد الدراسات على أن التراب يظل تحديا سياسيا، اقتصاديا واجتماعيا، وفي نفس الاتجاه تذهب إلى القول بان التراب تحدي إديويولجي (Alexandre Mignote, 2004, p10)في إطار سياق عام يتميز بالتحرر في المستويات الاقتصادية والمجالية، بهذا المعنى فالتراب يعرف الكثير من التدخلات تنتج شبكة من العلاقات ،شبكة تكسب التراب نوع من الدينامية في إطار سيرورة ثلاثية التطور على المستوى الترابي-territorialisation-déterritorialisation reterritorialisation (Deleuze Gilles, Guattari Félix, 1980, p10) وقد تحدث أيضا عن ذلك Raffestin (RaffestinClaude,1986,p185)، هذا البعد الدينامي التطوري والتحولي للتراب يجعل من التراب نفسه كائنات حية، فسيرورة التشكل الترابي لا تنتهي أبدا وتتخذ شكل اضطرابات دون توقف بين تراب قديم وتراب جديد (Michaela Axente, 2012, p10)، فالبناء الترابي وفي إطار إشكالية العلاقات بين الأطراف المتدخلة فيه،ينتج عن مستويات متعددة من العلاقات بين التراب بالمعنى السياسي –المؤسساتي والتراب بالدلالة الاجتماعية – الوظيفية.

لم يدخل مفهوم التراب خانة المفاهيم الرائجة الاستعمال في حقل العلوم الطبيعية وأيضا العلوم الاجتماعية مثل ما حظيت به مفاهيم أخرى مثل الطبيعة، البيئة، المشهد والنظام ولم يتم اكتشافه إلا سنوات التسعينات (Alphandéry Pierre ,Bergues Martine, 2004, p5)، وفي هذا السياق يرتبط الأمر بالمؤلف الجماعي الذي قام بتنسيقه الباحث Jolivet سنة 1992 (Jolivet Marcel,1992)، وانطلاقا من هذا التاريخ تحول التراب إلى مفهوم قابل للمحاورة من خلال حلقات النقاش الدائرة بين الباحثين في العلوم الطبيعية والتخصصات ذات الصلة بالحقل الاجتماعي الإنساني.

في الحقل الجغرافي ينبني التراب ويتحدد مفاهيميا من خلال العنصرين المادي والتصوري وذلك في إطار سيرورة إضفاء الطابع الاجتماعي على المجال، وبالموازاة مع هذا يمكن طرح الكثير من الأسئلة حول المجال والمجتمع في سياق العلاقة القائمة بينهما، وقد ساهمت الكثير من الأبحاث والدراسات الجغرافية، وأيضا في العلوم السياسية، التعمير، الاقتصاد والسوسيولوجيا، في عملية تناول مفهوم التراب بطريقة متداخلة، وهو ما جعله يتحول إلى إحدى المفاهيم القليلة التي اتخذت موقعا مفصليا بين العلوم ضمن حقل معرفي تلتقي فيه علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية (Michel de Bernardy,Bernard Debarbieux, 2003, P214) هذا الاهتمام المتوالي والمتأخر زمنيا بموضوع التراب أدى إلى تعدد الدلالات المرتبطة بمفهوم التراب في فرنسا،في أمريكا الشمالية حيث يشير المفهوم من حيث معناه إلى الجانب السياسي – المؤسساتي من جهة، ومن جهة أخرى لم يتخذ الدلالة الاجتماعية كما حصل في فرنسا مثلا،وفي اليابان يحيل المفهوم إلى الهيمنة لكن ليس بالمعنى الاجتماعي أي التراب كمجال للعيش المبني من طرف المجتمع، وإنما بالمعنى اللااجتماعي(Marie Anne Vannier, 1997, P196) أي انه يستعمل للدلالة على قوة الدولة(Michaela Axente, 2012, P39)، ومع توالي الأبحاث الجغرافية المهتمة بالتراب تحولت الجغرافية إلى علم التراب خلال التسعينات، ونضيف بان

مفهوم التراب ونتيجة لكثرة البحوث الجغرافية حوله تحول إلى مفهوم محوري يعكس الواقع في صيغته التركيبية وفق مقاربة تسعى إلى إضفاء الطابع الاجتماعي على المجال (Hervé Gumuchian, 2003, p1).

وبتوالي الاهتمام المنصب حول التراب ليس كمفهوم فقط وإنما كمجال يحيل إلى أطراف متعددة تترابط فيما بينها في إطار الصراع أو التوافق، أي الفاعلين الترابيين وتصوراتهم حول التراب من خلال عملية الإعداد والتهيئة،اقتحم الباحثون مواضيع جديدة من خلال المقاربة الترابية، وفي هذا السياق يأتي موضوع التسويق الترابي، موضوع هو الأخر تحول إلى إشكالية جغرافية وترابية ،فالتسويق الترابي يدخل في إطار تقوية الإستراتيجية التنافسية للمجال كمعطى تتداخل فيه مختلف الأبعاد الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية ووفق مستوياته المختلفة دوليا ووطنيا وجهويا ومحليا، والمستوى المحلي يبقى مهم للغاية للحديث عن كيفية ممارسة التسويق الترابي على اعتبار أن موضوعنا يهم جماعة محلية هي جماعة سيدي رحال الشاطئ، فالمجال المحلي يعتبر ضمن منظور التسويق بمثابة مقاولة ترابية تسعى إلى إقناع السكان بمختلف الطرق التي تحقق التنمية على المستوى المحلي.

أولا. الإطار النظري والمنهجي

1.الإشكالية:

تعرف منطقة سيدي رحال الشاطئ الكثير من التحولات أكسبتها جاذبية،هذا المعطى ليس نهائيا خصوصا وأنها تتموقع بجوار مجالات ترابية تملك قدرات متعددة على تحقيق شرط التنافسية الترابية، ومنها طبعا الدار البيضاء التي تحاول في إطار مد نطاقها الميتروبولي أن تقحم سيدي رحال في سيرورتها، وهناك أيضا المجال الترابي للجماعة الحضرية لحد السوالم الذي يملك من المقومات التسويقية الكثير وان كان استثمار ذلك لتحسين صورة المجال والتمثل الجمعي له لا زال يتطلب دفعة ترابية أولية.من هذا المنطلق يفرض منطق التسويق الترابي نفسه على الجماعة الحضرية لسيدي رحال الشاطئ،وتماشيا مع هذا المنطق أمكن لنا صياغة إشكالية المقال وفق التعبير التالي: كيف يمكن للتسويق الترابي لمجال سيدي رحال أن يساعد على تنمية المنطقة عبر تنويع عرضها السياحي سكنيا المبني على خصوصيات مجالية وديمغرافية واقتصادية والهادف إلى إشباع الحاجيات الاجتماعية؟

2.منهجية البحث وأدواته

تنطلق منهجية العمل من المقاربتين الوصفية والبيوغرافية (ترتبط المقاربة البيوغرافية في العلوم الاجتماعية بالأعمال التي قامت بها مدرسة شيكاغو سنوات العشرينات ثم مدرسة كولمبيا سنوات الأربعينات وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية ثم سنوات السبعينات في فرنسا مع أعمال Daniel Bertaux) بناء على المعطيات التي وفرتها الاستمارة المنجزة حيث شكل ذلك القاعدة الأساسية لتوضيح دور ما يوفره المجال من موارد تتيح للمتدخلين النظر إلى المجال كتراب قادر أن يتحول إلى كائنات حية تمنح شروط الاستمرارية.إلى جانب ذلك وتماشيا مع تأطير الموضوع نظريا كان لابد من الأخذ بالمنهج التوثيقي أيضا،فالانطلاق من الوثائق مفيد كثيرا في الدراسات الجغرافية رغم الأهمية الكبرى التي يحتلها الميدان في صلب هاته الدراسات.

3. التأطير النظري للموضوع:

ينطلق التأطير النظري للموضوع من الوقوف عند ثلاثة مفاهيم هي التسويق الترابي باعتباره هو جوهر الموضوع،ومفهوم المجال الساحلي من منطلق أن التسويق تتم مقاربته بمنطقة الدراسة التي تصنف جغرافيا ضمن هذا المجال،وأخيرا مفهوم الرضى السكني على أساس أن أهمية التسويق يتم الحكم عليها من خلال آراء المجتمع المحلي المرتبطة بجودة الحياة التي يسعى لها التسويق الترابي في جانبه الاجتماعي رغم كون عصب التأسيس له يظل اقتصاديا بامتياز.

مفهوم التسويق الترابي: بالنسبة للتسويق الترابي يمكن تعريفه بأنه :« مجموع الأنشطة التي يقوم بها الخواص أو الجماعات بغاية توسيع شبكة الوحدات الاقتصادية المتواجدة بالجماعة عبر جلب أنشطة اقتصادية حديثة (Chakor Abdellatif, 2004, p205) ويعرف أيضا بأنه:"منهجية تدبيرية حديثة لجلب المقاولات لتراب الجماعة وكذا تسهيل أنشطة المقاولات وتسويق صورة جيدة عن الجماعة المعنية بالأمر سواء كانت جماعة حضرية أو قروية، وهو ما يساعد على وضع إستراتيجية تنموية وتشكيل شخصية اقتصادية للجماعة (Ben Abdelkader Med Amine, 2004, p117).

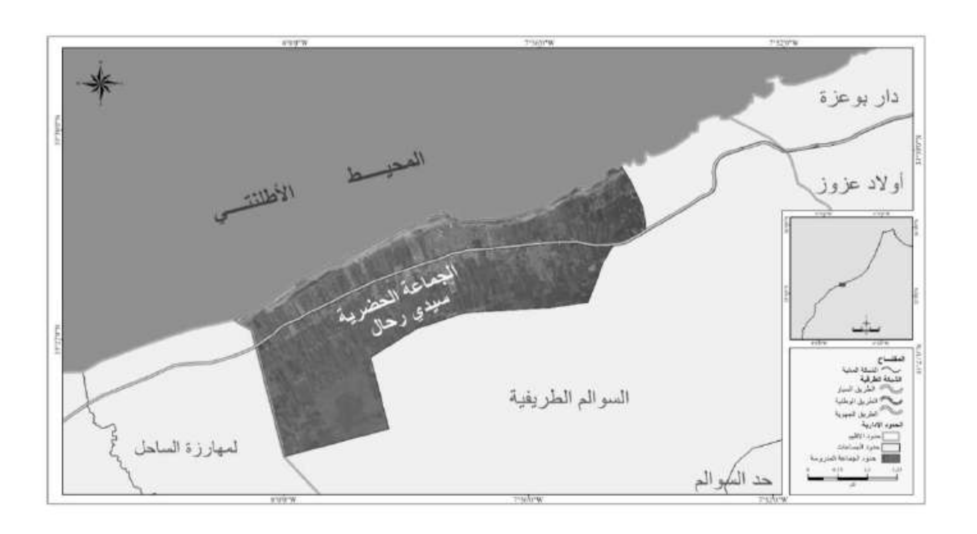
مفهوم المجال الساحلي: يعتبر المجال الساحلي الذي يتحدد على شكل شريط يمتد على مسافة عند التقاء البحر باليابسة، بمثابة نظام حيث التحولات التي يعرفها هذا الشريط تتدخل فيها الكثير من العوامل المتفاعلة ذات البعدين الطبيعي والاجتماعي،مسافة تختلف حسب درجة التفاعل في اتجاه المناطق الداخلية، فتحديد المجال الساحلي بالمعنى الاجتماعي يرتبط بالأنشطة البشرية والتدخلات والتجهيزات، الأنشطة تتمثل في السياحة والصيد والصناعة والفلاحة،أما التدخلات والتجهيزات فتتعلق بالموانئ والسكن ومد القنوات والحماية من أخطار البحر.

مفهوم الرضى السكني: يدخل مفهوم الإشباع السكني ضمن خانة المواضيع التي تتناولها السيكولوجية البيئية، ويحاول الجغرافيون الاستفادة من هذا الموضوع في ظل انفتاح الجغرافي على مواضيع كثيرة وتخصصات أكثر،فالإشباع السكني هو نوع من السلوك السيكولوجي يكونه الفرد والمجتمع داخل المجال الجغرافي،ويشكل موضوع للدراسة وفق المقاربة المبنية على قياس المواقف، أي المبنية على المواقف السيكولوجية التي يتم بناؤها حول موضوع أو ظاهرة معينة، والمواقف حسب السيكولوجية السلوكية تنقسم إلى ثلاثة أصناف هي: affective, cognitive et conative، وقد تناول موضوع الإشباع السكني مجموعة من الباحثين مثل RosenbergوHavland و Weidemann و Anderson.ونكتفي هنا بالتعريف الذي أورده Amerigo "الرضى السكني هو عملية الاستجابة العاطفية التي يكونها الفرد أو الجماعة من خلال المقارنة بين البيئة السكنية التي يتمثلها والبيئة السكنية الواقعية التي يعيش داخلها(Samy Youssoufi, 2011, p110).

4. تقديم المنطقة: تمتد منطقة الدراسة بالساحل الأطلسي وتحديدا على محوره الأوسط،وتنتمي إداريا لجهة الدار البيضاء سطات، وتشكل إلى جانب السوالم الطريفية الواجهة الساحلية لإقليم برشيد،فهي تقع بالضاحية الجنوبية الغربية للدار البيضاء، وجغرافيا تنتمي للشاوية السفلى وهي جزء من الشريط الولجي الممتد على قسمين جنوبي من الضفة اليسرى لام الربيع إلى تانسيفت،

وشمالي من الضفة اليمنى لام الربيع إلى جنوب القنيطرة،وتنتمي منطقة الدراسة للجزء الشمالي الولجي، وديمغرافيا تعرف منطقة سيدي رحال نموا ديمغرافيا سريعا خصوصا خلال العقدين الأخيرين، فعدد السكان انتقل من 9743 نسمة سنة 1994 إلى 20628 نسمة سنة 2014.

الخريطة رقم 1: توطين مجال الدراسة



المصدر: بوعبيد زائرة، باعتماد مرئيات فضائية محملة من برنامج (Google Earth 2016)

ثانيا. آليات التسويق

ترتبط عملية التسويق التي تعرفها منطقة سيدي رحال الشاطئ بجملة من العوامل التي تساعد على وضع خطة تنموية واضحة،هذه الآليات نجملها في ثمن العقار المنخفض،والإشهار كوسيلة تساعد المنعشين العقاريين على تسويق منتوجهم السكني، والجماعة المحلية على التعريف بالمنطقة والإمكانيات العقارية التي توفرها، والموارد الطبيعية التي تختزنها المنطقة المبنية أساسا على معطى البحر وما يتميز به الشاطئ، والعامل الجغرافي المرتبط بقرب المنطقة من الدار البيضاء،ووفرة العرض العقاري في ظل كون المنطقة فلاحية وتعرف انتقالا وظيفيا بالتحول إلى مجال حضري يعطي أولوية للعقار الموجع للتعمير وليس العقار الذي تجب المحافظة عليه انسجاما مع مبدأ التوازن بين الهاجس الاقتصادي والمعطى الايكولوجي.

1.ثمن العقار: يسجل ثمن العقار - يعتبر الثمن عنصرا أوليا من عناصر التسويق- الموجه للسكن السياحي بالنظر للكثير من المتغيرات عنصرا مهما يساعد على عملية التسويق للمنطقة الساحلية الممتدة بالجنوب الغربي للدار البيضاء، أولا ارتفاع ثمن العقار بمناطق أخرى قريبة من مركز المدينة أو تقع بالضواحي القريبة، ثانيا ارتفاع الدخل الفردي لدى الأسر الموجه إليها هذا النوع من العقار، وثالثا هامش الربح لدى هذه الأسر بالمقارنة مع استثماراتها بمناطق أخرى.

جدول 1 : ثمن المتر المربع بإقامات السكن السياحي

ثمن المتر مربع المبني بالدرهم	العدد	النسبة
اقل من 6000	1	2,1
بين 6000 و12000	28	58,3
أكثر من 12000	11	22,9
آخر (كراء)	8	16,7
المجموع	49	100

المصدر: البحث الميداني صيف 2017

2.الإشهار: الإشهار آلية رئيسية لعملية الترويج،والترويج في حد ذاته يعتبر أحد عناصر عملية التسويق الترابي،ويرتبط بما تقوم به المؤسسات الخاصة المشرفة على العمليات العقارية بالمنطقة، وأيضا ما تقوم به الجماعة الحضرية من خلال تنظيم مهرجان صيفي من أهدافه خلق حركية تجارية بالمنطقة وفي نفس الوقت الترويج للمجال بالتزامن مع توافد السياح والمهاجرين المغاربة، فهذا المهرجان يظل البوابة الرسمية للمسؤول الجماعي المحلي للترويج للمنطقة والتعريف بإمكانياتها العقارية والسياحية.

الصورتين 1 و2 : الترويج للسكن السياحي عبر آلية الإشهار





المصدر: عدسة الباحث بتاريخ 8 مارس 2018 المصدر: عدسة الباحث بتاريخ 16 غشت 2017

3.الجاذبية الطبيعية: اعتبارا لكون المنطقة تصنف ضمن المجالات السياحية، فالبحر يعتبر المعطى الطبيعي الأبرز الذي تبني عليه الشركات العقارية عملية تسويق منتوجها من خلال إقحام اسم الشاطئ في الإعلانات الإشهارية، فطول الشاطئ يصل إلى حوالي 10 كلمترات، ونضيف لذلك الإمكانيات المرتبطة بخصوصيات المشهد مثل الغابة والمشهد الفلاحي الذي يثير بخصوصياته فئة المهووسين بالمشاهد الطبيعية.وللتأكيد على دور معطى البحر والمشهد الريفي في التأثير على الأسر للانتقال للإقامة بالسكن السياحي بسيدي رحال الشاطئ نورد معطيات الجدول التالي :

جدول 2: أسباب اقتناء السكن السياحي بسيدي رحال الشاطئ

سبب تغيير الإقامة	القرب من البحر والدار البيضاء	الإقامة بالريف	الثمن	الاستثمار والثمن	التقاعد	الشعور بالخطر	المجموع
العدد	33	6	3	1	4	1	48
النسبة	68,8	12,5	6,3	2,1	8,3	2,1	100

المصدر: البحث الميداني صيف 2017

4.القرب من الدار البيضاء: تستفيد المنطقة على مستوى التموقع الجغرافي من قربها من الميتروبول الوطني، هذا الموقع ينعكس بطرق شتى على المنطقة، فالساكنة البيضاوية تؤدي وظيفة رئيسية تمثل في نشر ثقافة العيش بسيدي الحضرية، وقد تأكد لدينا ذلك من خلال استفسار العينة المبحوثة عن الطرف الذي شجع على الانتقال إلى شراء سكن سياحي بسيدي رحال الشاطئ، حيث أن نسبة مهمة أكدت على دور الأصدقاء داخل الدار البيضاء في ذلك، إلى جانب هذا المعطى ساهم الربط الطرقي من خلال تثنية الطريق الساحلي رقم 320 في التخفيف من الشعور بالبعد عن الدار البيضاء، ومما يتبث صحة هذه الفكرة كون 68,8 % اعتبروا أن السبب الرئيسي وراء التفكير في عملية الانتقال السالفة الذكر هو القرب من الدار البيضاء وبشكل لا يقبل الانفصال عن توفر شواطئ بحرية متميزة وطويلة تستجيب لغالبية التطلعات .

5.وفرة العرض العقاري: تتوفر الجماعة الحضرية سيدي رحال الشاطئ ، التي ظهرت بموجب التقسيم الإداري الجديد لسنة 2009،على رصيد عقاري حضري مهم يدخل ضمن الملك الخاص للدولة ، وأيضا على أراضي فلاحية تعرف تراجعا لصالح التمدد العمراني الحضري خصوصا في السنوات الأخيرة حيث تزايدت سرعة التمدين ووفق أشكال مختلفة: البناء الذاتي في الجزء الفلاحي من المنطقة، التجزئات القانونية المنتشرة على طول الشريط الساحلي والبناء المنعزل المرتبط بالضيعات الفلاحية.

ثالثا. خصائص التسويق الترابي

تتميز عملية التسويق الترابي بمنطقة الدراسة ببعض الخصوصيات تتعلق أولا بأدوار بعض الفاعلين، وثانيا بالهياكل التي تساهم في التأطير لعملية التسويق عبر حزمة من الإجراءات تختلف تأثيراتها على عملية التسويق حسب الفترات التاريخية.

1.تلعب الأسر ذات الدخل المرتفع دورا مهما في تحفيز المنعشين: تنطلق عملية التسويق للمنتوج السكني السياحي لدى المنعشين العقاريين من قدرة الأسر الموجه لها العرض السكني على التفاعل إيجابا مع ذلك،هذا الأمر ليس معناه أن هناك هاجس اجتماعي لهؤلاء الفاعلين، وإنما المقصود دراسة السوق العقارية من خلال معرفة حجم الأسر التي تملك قدرات مالية تمكنها من

اقتناء ذاك المنتوج.وعلى هذا المستوى تتميز التركيبة السوسيو مهنية لأفراد العينة بهمينة فئة الأطر المشتغلة بالقطاع الخاص،وهنا نؤكد من خلال نتائج البحث الميداني على أن 67% من أفراد العينة يتجاوز دخلها الشهري عشرة ألاف درهم، ونضيف لها نسبة أخرى أكثر أهمية وهي 30% وتتعلق بذوي الدخل غير القار وتهم فئة التجار حيث أن الدخل في الغالب يتجاوز العتبة المحددة سابقا، وهو ما تعبر عنه معطيات الجدول التالي :

جدول 3: توزيع أرباب الأسر حسب قيمة الدخل الشهري

قيمة الدخل الشهري بالدرهم	العدد	النسبة المائوية
اقل من 10000	1	2,1
بين 10000 و 20000	23	47.9
اكثر من 20000	10	20,8
غير قار	14	29,2
المجموع	48	100

المصدر: البحث الميداني صيف 2017

2.تمارس فئة الوسطاء تأثيرا على الفلاحين: تعرف المناطق المجاورة للمدن الكبرى انتشارا كبيرا لفئة الوسطاء والسماسرة،ومنطقة الدراسة المنتمية للشاوية السفلى تكرس هذه الفكرة.فالكثير من الفلاحين يدفعهم ارتباطهم بالأرض إلى التفكير كثيرا في كيفية المحافظة عليها، لكن هؤلاء يتأثرون كثيرا بمستجدات أثمنة العقار عبر فئة الوسطاء التي تبدع كل الأفكار للترويج للنموذج الحضري كنمط للعيش وربطه بإمكانية استثمار الفلاح لموارد بيع الأرض الفلاحية في شراء عقارات توفر فرص الربح السريع عوض التشبث بخيار الانتظارية المطرية وفرص ترويج المنتوج الفلاحي في القطب الحضري الكبير للدار البيضاء.

3. تؤثر إستراتيجية المنعشين والفاعلين العقاريين على العرض السكني وصورة المدينة: تتميز منطقة سيدي رحال الشاطئ على مستوى نوعية المنعشين العقاريين بصنفين كبيرين، صنف يمثل الفئة التي تمارس كل أشكال الاستغلال والقفز على المساطر القانونية والثقل الاجتماعي وهو الأبرز،وصنف ثاني يستفيد من حضوره التاريخي الرمزي بالمنطقة لكن في نفس الوقت يحاول خلق علاقات ايجابية مع السكان المحليين منذ عقود،ويظل هذا النوع ضعيف عدديا قوي على مستوى الدلالة في التصور والتمثل الجمعي.

4. تتباين ادوار المؤسسة الجماعية حسب الفترات التاريخية: يعتبر دور المؤسسة الجماعية بما لا يدع مجالا للشك مركزيا في عملية التسويق الترابي،وبالنسبة لمنطقة الدراسة سجلت المؤسسة الجماعية تحولات على مستوى هذا الدور، لكن وجه الاستفزاز هنا حسب التقصيات التي أجريناها هو تراجع مؤشرات التسويق مع تطور الزمن وتوسع الاختصاصات وهو ما يتبث النظريات التي تؤكد على أن المهم في العمل الجماعي بشكل عام هو مؤسسة الرئاسة وفريق التسيير وليس الوصاية التي تمارسها الجهات المعنية، فالتسويق الترابي بوعي أو بدون وعي تم خلال السنوات الأولى التي أعقبت ظهور جماعة سيدي رحال سنة1992، وتم ذلك من خلال تهيئة الشريط الساحلي والحدائق العمومية والمجالات الخضراء الممتدة بمحاذاة هذا الشريط، وبعد هاته الفترة حصل تراجع لصورة المجال حيث تناسل السكن العشوائي على شكل بقع

تحولت مع مرور السنوات إلى خانة مظلمة في عملية التسيير الجماعي، وأضحى ينظر إلى المجال ككل كأنه وسط للفوضى على المستوى السكني تعجز كل التدخلات عن التحكم فيه.

5. تساهم الوداديات والتعاونيات السكنية في التسويق للمنطقة وفق منطق خاص: ظلت فئة الشركات الخاصة الطرف المهيكل لعملية الاستثمار في قطاع العقار،لكن خلال العشرية الحالية برزت التعاونيات والوداديات السكنية،هذه الأخيرة وبحكم طبيعة الانتماء المهني لأعضائها تؤدي وظيفة مهمة في التسويق للمنطقة وهو هدف غير مخطط له، ورغم قلتها العددية أصبحت هذه الأخيرة عنصرا حاضرا على المستوى المجالي ومن المتوقع أن يتزايد حضورها في ظل ارتقاء مستوى التفكير لدى الطبقة الوسطى فيما يخص السكن الثانوي. وعلى هذا المستوى نذكر: ودادية البركة بالهواورة 2 التي تشرف على مشروع سكني تصل مساحته إلى 2ه55ار60س، وتم الترخيص لها بتاريخ 18 يوليوز2015، وودادية النسيم التي تنجز مشروعا سكنيا بمساحة تقدر 1ه38ار27س، وودادية التنمية التي تمتد على مساحة تصل إلى 3ه67ار26س، وودادية الشفق التي تسهر على انجاز مشروع سكني يحمل اسم التلال.

رابعا.الرضى السكني

نتحدث هنا تحديدا عن الرضى الذي يخص المقيمين بالسكن السياحي، والأمر يتعلق بنظرتهم للعيش داخل الإقامة ارتباطا بالتجهيزات المتوفرة، وأيضا مدى إشباع متطلباتهم خلال فترة الإقامة، وهنا يبرز دور الجمعية السكنية المشرفة على التسيير الداخلي للمقيمين، لذلك فاستجابة التسويق للترابي للرضى السكني لا نربطه بدور الجماعة المحلية أو الفاعلين الآخرين، وإنما فقط بالكيفية التي من خلالها تتمكن الإقامة السكنية السياحية من تقديم صورة ايجابية للعيش داخلها وهو نموذج للحكم على التسويق الترابي بهذا الصنف السكني الترابي، ومن اجل ذلك نستعمل ثلاث مؤشرات هي: الرضى بالإقامة في السكن المقيم به ، تحقيق الإشباع السكني وأخيرا التفكير في تغيير السكن إلى إقامة أخرى خارج سيدي رحال الشاطئ.هذه المعطيات نجملها في الجدول التالي:

الجدول 4: مؤشرات الرضى السكني

	الإشباع السكني		الرضى بالإقامة		التفكير في تغيير الإقامة	
	نعم	لا	نعم	لا	نعم	لا
العدد	40	8	41	7	10	38
النسبة	83.3	16.7	85.4	14.6	20.8	79.2
المجموع						

المصدر: البحث الميداني صيف 2017

خامسا.إكراهات التسويق الترابي وآفاقه

1. إكراهات التسويق الترابي: تتعدد العوائق التي تحول دون تحويل السكن السياحي إلى قاطرة للتسويق، وتظل هذه الإكراهات على وجه العموم مرتبطة بجانبين، أول داخلي له علاقة بمشاكل التسيير التي تعانيها الإقامات ارتباطا بأدوار الجمعيات السكنية، وثاني خارجي ناتج عن تفاعل هذا الصنف السكني مع المجال المحيط به.

ففي الجانب الأول نتحدث عن غياب الجمعية السكنية التي تتولى المحافظة على جاذبية الإقامة بالسكن السياحي، وأيضا عن مشاكل التدبير اليومي لشؤون المقيمين المرافقة لوجود تلك الجمعية السكنية.وقد خلصنا إلى مجموعة من النتائج في هذا الباب نجملها في النقط التالية:

-غياب جمعية سكنية حسب تصريحات قليل من المستجوبين إما نتيجة عن جهل بدور تلك الجمعية أو عدم رضى بما تقوم به على مستوى التدبير اليومي.

-بعض النقائص التي تعرفها الاقامات السكنية على مستوى الواجهة الأمامية التي تظل العنصر الأولي الذي يؤشر عن التسويق للإقامة بالمساكن التي لازالت فارغة.

-المرافق الداخلية التي تحتويها الإقامات خاصة المرتبطة بالتزود بالحاجيات اليومية دون الخروج للتسوق من المحلات التجارية، فرغم المجهوذات التي تبذل على هذا المستوى تظل مثلا حاجيات المقيمين من قنينات غاز الطهي غائبة إلا في إقامة واحدة.

وفي الجانب الثاني،أي المتعلق بتأثير الإكراهات التي يواجها مجال سيدي رحال الشاطئ على التسويق للإقامة بالسكن السياحي، ندرج المشاكل التالية:

-إداريا: التسيير الإداري عائق كبير بالنسبة للتسويق الترابي حيث يرتبط كثيرا بالفترات الانتخابية، وأكبر دليل على ذلك عدم استمرارية سياسة تهيئة الشاطئ والحدائق العمومية.

-عقاريا واجتماعيا: النظام العقاري للأرض يزاوج بين النمطين التقليدي القائم على الشريعة والأعراف، والعصري الذي يتأسس على عملية التسجيل والتحفيظ وفق منظور مؤسسات الدولة، هذه المسالة تداعياتها تتجاوز الجانب العقاري لما هو اجتماعي خصوصا بدوار الشرفاء.

-تعميريا: تصميم التهيئة دخل المراحل النهائية قبل اعتماده،والمهم فيه الكيفية التي عبرها ستتم مقاربة مشكل السكن الهامشي،خصوصا وان المؤسسة الجماعية تؤكد على الإكراه العقاري، وما يزيد من خطورة المشكل هو التحايل والترامي على العقار الذي استدعى مؤخرا عقد دورة استثنائية للمجلس الجماعية انتهت بالتصويت بعدم قانونية عملية الاستيلاء على احد العقارات.

-اقتصاديا: تظل السياحة موسمية ومرتبطة بالبحر،كما أن قطاع الصيد البحري يعرف تحولات تؤثر على موقعه المستقبلي في الخريطة الاقتصادية للمنطقة،ونضيف التركز الكبير للأنشطة الاقتصادية على طول الطريق الجهوية رقم 320 وما يطرحه هذا التركز من تحديات مجاليا.

2. آفاق التسويق الترابي: رغم كل الاكراهات التي تطرح على الفاعلين فيما يخص عملية التسويق الترابي المتعلق بالسكن السياحي، خصوصا وأن المجال له جاذبية سياحية كبرى،يمكن للتسويق الترابي أن يحقق بعض المكتسبات للمنطقة وذلك ببلورة سياسة ترابية تنطلق من تحقيق الإجراءات التالية:

-تحفيز المستثمرين في قطاع السكن السياحي وحثهم على تنويع العروض حتى لا يتحول المجال الذي يتركز به هذا النوع من السكن إلى منعزلات اجتماعية للأغنياء تتناقض مجاليا مع نطاق السكن الهامشي الذي يقع قبالة هاته المنعزلات.

-دعم استقلالية القرار الجماعي وتبني مكونات المجلس الجماعي سياسة النأي بأنفسهم عن حسابات المتهافتين على تحويل العقار الحضري إلى لعبة سياسية واقتصادية تنهك الحمولة الاجتماعية للمنطقة.

-الرفع من آلية إشراك المجتمع المدني في رسم صورة التراب بالكيفية المنسجمة مع بنود الميثاق الجماعي،والانفتاح أكثر على الفئات التي تحمل رمزية مجالية تاريخية.
-إقامة البنيات التحتية اللازمة للرفع من درجة الجاذبية الترابية للمجال،فإلى جانب مشروع تثنية الطريق الجهوي الذي وصل إلى مراحله النهائية وجبت الاستجابة للحاجيات التربوية والثقافية للأسر القادمة من مجالات أخرى بغض النظر عن انتمائها السوسيومهني.

خاتمة

تظل فلسفة التسويق الترابي مطلبا ملحا للرفع من تنافسية المنطقة، خصوصا وأنها تتموقع على الشريط الأطلسي الممتد بين الدار البيضاء والجديدة، حيث كثرة المجالات الترابية التي تحاول تنويع شروط تطورها الاقتصادي، شروط تلتقي فيها السياسات العقارية بالاستراتيجيات السكنية، والمعطيات الاجتماعية بالإرث الفلاحي، وأيضا التوجهات السياسية للنخب المحلية بالمطالب الحيوية لعصر العولمة الرقمي حيث إمكانية التأثير على تلك التوجهات من خلال وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، تلك الفلسفة يثبت الواقع الترابي أنها لا زالت في بداياتها الأولى، فالسكن السياحي الذي هو العنصر الأكثر دينامية وموردا رئيسيا لتنمية المنطقة، يعرف الكثير من التحديات المرتبطة ببناء علاقة قوية تربطه بالمؤسسة الجماعية وتجعل يساهم في التسويق للمجال عوض الاكتفاء بتكريس النظرة المبنية على فصلية الإقامة التي لا تؤدي إطلاقا إلى ديمومة الرؤية المهيكلة للتنمية المجالية.

قائمة المراجع

1. Alexandre Mignote(2004),entre fragmentation et interconnexion territoriale, thèse de doctorat en géographie, université joseph Fourier Grenoble 1,science et géographie, Grenoble.
2. Alphandéry Pierre, Bergues Martine(2004) ,territoire en question pratique des lieux , usage d un mot , in collectif , 2003 , la multifonctionnalité de l’activité agricole, actes du colloque de la SFER la multifonctionnalité de l’activité agricole et sa reconnaissance par les politique publique, Educagri éd CIRAD, paris.
3. Deleuze Gilles, Guattari Félix(1980),mille plateaux, capitalisme et schizophrénie, les éditions de Minuit ,paris.
4. Hervé *Gumuchian* (2003),entre forme et sens ,le territoire comme objet géographique soumis a l’observation, in 2EME entretien du Pradel, septembre 2002,académie d’agriculture de France ,paris.
5. Jolivet Marcel(1992),science de la nature, science de la société, les passeurs de frontières ,éd CNRS ,paris.
6. Marie-Anne Vannier(1997),de l’industrie au territoire , parcours ,positions et perspectives de recherches, diplômes d HDR en géographie, université louis lumière, Lyon .
7. Michaela Axente(2012) ,construction territoriale et projet touristique ,le cas de l’estuaire de la seine ,thèse de doctorat en géographie , université du havre .

8. Michel de Bernardy,Bernard Debarbieux(2003),le territoire en sciences sociales, approches disciplinaires et pratique de laboratoires, CNRS-MSH Alpes ,Grenoble .
9. Raffestin Claude(1986),Éco genèse territoriale et territorialité,in AURIAC, espace ,jeux et enjeux ,fayard ,fondation Diderot, col , nouvelle encyclopédie des sciences et technique,paris.
10.Samy Youssoufi(2011),satisfaction résidentielle et configurations spatiales en milieu périurbain, thèse de doctorat de Géographie ,université de franche comté

اتجاهات الشباب الجزائري نحو ثورات الربيع العربي وعلاقتها بالمواطنة

Trends of Algerian youth towards the revolutions of the Arab Spring And its relationship to citizenship.

د. معوش عبد الحميد، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج-الجزائر

أ. د برو محمد، جامعة محمد بوضياف المسيلة-الجزائر

ملخص: هدفت الدراسة إلى التعرف على العلاقة بين ثورات الربيع العربي والمواطنة، وتكونت عينة الدراسة من (40) شابا وشابة، اختيروا وفق الطريقة العشوائية البسيطة. ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة تم استخدام استبيانين كأداتين لجمع البيانات، وتم اتباع خطوات المنهج الوصفي التحليلي، كما تمت المعالجة الإحصائية للبيانات بالاعتماد على برنامج (spss)، وقد أبانت الدراسة عن النتائج التالية: أن الاتجاه العام لعينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي الحالية كان إيجابيا، وأن درجة ممارسة قيم المواطنة من طرف أفراد العينة عالية جدًا، توجد علاقة ذات دلالة إحصائية موجبة بين ثورات الربيع العربي وعلاقتها بالمواطنة، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استبيان ثورات الربيع العربي تبعا لمتغير الجنس، لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة استبيان المواطنة تبعا لمتغيرات الدراسة.

الكلمات المفتاحية: ثورات الربيع العربي، المواطنة، الشباب الجزائري.

Abstract: The study aimed to identify the relationship between the revolutions of the Arab Spring and citizenship, the sample being composed of (40) young men and women selected by the simple random method. In order to achieve the objectives of the study were used two questionnaires as data collection tools, were followed by descriptive and analytical approach steps, as well as the processing of statistical data according to the program (spss), the study showed the following results: that the general trend of the study sample towards the revolutions of the current Arab Spring has been positive And that the degree of exercise of citizenship valu esby the members of the sample is very high. There is a statistically significant relationship between the revolutions of the Arab Spring and their relationship to citizenship, and the results also showed that there were no statistically significant differences in the degree of the Arab Spring revolutions according to the gender variable . There were no statistically significant differences in the citizenship questionnaire according to the variables in the study**.**

Key words: Arab Spring Revolution, Citizenship, Algerian Youth

الإطار العام للدراسة:

مقدمة:

إن ما يواجه الشباب اليوم من تحديات متداخلة ومتشعبة ما بين الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والتربوية والثقافية والسياسية والترفيهية، وغيرها كثير في ظل الطفرة السريعة والمذهلة، خاصة في مجال التكنولوجيا الرقمية، ووسائل الاتصالات الحديثة، والتغيرات الجذرية المتمثلة في ثورات الربيع العربي الحاصلة على مستوى الوطن العربي، كل هذه العوامل أو العوائق تحول دون شك وبشكل كبير إلى عدم تحقيق تطلعاتهم وطموحاتهم، وتعيق التوظيف الأمثل لقدراتهم، ويمكن أن تؤدي إلى إحداث شرخ كبير في تقدير قيمة الوطن والمواطنة.

لقد برز مفهوم الوطن والمواطن بالمعنى الحديث في أدبيات رواد الفكر الإصلاحي العربي ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر، دون الحديث عن المواطنة، ولكنهم استعملوا مفهوم حب الوطن والذود عنه، ولا يتم ذلك إلا إذا شعر المواطن أنه يتمتع بحقوقه، والتي هي متلازمة مع الواجبات.

والمواطنة هي صفة المواطن الذي له حقوق، وعليه واجبات تفرضها طبيعة انتمائه إلى وطن ما، وهي أيضا قيم وسلوك، أي تربية وآداب وأخلاق وتكوين وذوق حضاري وتراث مرتبط بقيم وثوابت المجتمع وفلسفته في الحياة، وفي ظل الواقع المعيش والظروف الراهنة تبقى قضية المواطنة بين مد وجزر في مفهومها ومعناها ونسبيتها وحقيقة ممارستها.

إشكالية الدراسة وتساؤلاتها:

تعد المواطنة بوصفها شعورا وجدانيا واحدا من أهم ثلاثة ركائز التي تقوم عليها الديمقراطية فضلا عن حقوق الإنسان والمجتمع المدني وعلاقة المواطنة بالهوية هي عملية تعزيز لدور الفرد في المشاركة الفاعلة في البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية.

وإنّ الكثير من الأنظمة العربية تواجه تحديات كبرى وتجد نفسها أمام مآزق حقيقية، في ظل الإكراهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المطروحة، تفرض عليها اعتماد مبادرات حقيقية تزرع الثقة في أوساط شعبها، الذي تخلص من عقدة الخوف والإذعان، في محيط إقليمي يغلي بالاحتجاجات والثورات الشعبية التي تواكبها وسائل الإعلام المختلفة لحظة بلحظة.

فإنّ ما يميّز اللحظة العربية الراهنة هو الحراك الشعبي والسياسي غير المسبوق الذي يمكن أن يبلور البديل الممكن والضروري، ومن هذا المنطلق سوف تتناول هذه الدراسة مختلف اتجاهات الشباب الجزائري نحو ثورات الربيع العربي وعلاقتها بالمواطنة لديهم.

يعود طرح مفهوم المواطنة على المحك؛ لأنه ثمة تساؤلات عميقة في طرحها تحاول تحديد مفهوم المواطنة وتجذرها في النفس البشرية؛ لتعزز خيارا وحيدا بات هو القاعدة القانونية لضبط العلاقة بين المواطنين، ليرتفع من دائرة انحصاره كمفهوم في الدفاع بالقول واللسان؛ ليصل إلى مرحلة أعلى وأرقى مضمونا من ذلك، إلى جعله سلوكا يترعرع وينمو في الإنسان منذ نعومة أظفاره. لقد أفصحت الدراسات الحديثة حول هذا المفهوم أبعادا جوهرية تركز أصول المواطنة التاريخية وجعلها تتصل بالمبادئ الإسلامية، ولفهم حقيقة هذا المفهوم من خلال أطروحات وأراء

مفكرين ومثقفين وأدباء وضعوا مفهوم المواطنة على طاولة الحوار ودرسوا تطوره الفكري والاصطلاحي في سياق حركة المجتمع وتحولاته وتاريخه.

وكما قال أغلب المفكرين في هذا المجال ومنهم عبد الكريم الشيظمي (فالمواطنة في صلب هذه الحركة تنسج العلاقات، وتتبادل المنافع، وتخلق الحاجات، وتبرز الحقوق، وتتجلى الواجبات والمسؤوليات، ومن مجموع هذه العناصر المتفاعلة ضمن تلك الحركة الدائبة يتولد موروث مشترك من المبادئ والقيم والسلوك والعادات؛ يسهم في تشكيل شخصية المواطن ويمنحها خصائص تميزها عن غيرها، وبهذا يصبح الموروث المشترك حماية وأمانا للوطن وللمواطن، فالمواطن يلوذ به عند الأزمات ولكنه أيضا يدافع عنه في مواجهة التحديات؛ لأن المواطن لا يستغني عن الوطن والوطن لا يستغني عن المواطن، فوجود أحدهما واستمراره المعنوي رهين بوجود الآخر واستمراره).

وحتى يمكن إعطاء أفضل فهم للمواطنة وثورات الربيع العربي، والتي يمكن أن تتمثل فيما يعوق الممارسة لقيم المواطنة وفيما يعزز قيم المواطنة، وأيضا الاتجاهات والميول التي يحملها الأفراد تجاه المواطنة وثورات الربيع العربي بشكل عام.

وفي ضوء ذلك تحددت مشكلة الدراسة هذه في التساؤلات الآتية:

-ما اتجاه عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي الحالية؟

- ما درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة؟

- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الجنس؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير العمر؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير المؤهل العلمي؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة المهنية؟

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية؟

فرضيات الدراسة:

- اتجاه عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي الحالية إيجابية.

- درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة عالية.

- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الجنس.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير العمر.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير المؤهل العلمي.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة المهنية.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \geq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

دوافع اختيار موضوع الدراسة: تتمثل فيما يلي:

أ. قلّة الدراسات المعمقة فيما يخص مجريات الأحداث الراهنة المسماة ثورات الربيع العربي وتكريس قيم المواطنة في ظل إرهاصات فساد وفقدان هوية على كل المستويات.

ب. من خلال الإعلام المعارض يبدو للعيان أن هناك شرخ كبير بين الأنظمة وشعوبها، وهشاشة مقومات تماسك طبقات المجتمع في البلد الواحد وعلى مستوى الأمة كلها.

ت. غياب التصور الصحيح لدى كثير من الشباب وتذبذب الرأي لديهم حول القضايا العربية بين مؤيد ومعارض.

ث. تلبي الدراسة هذه رغبة شخصية واهتمامًا علميًّا كوننا فردين من أفراد الأمة العربية يؤلمنا ما يؤلم ويفرحنا ما يفرح.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

أ. الكشف عن درجة اتجاه عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي.

ب. الكشف عن درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة.

ت. الكشف عن العلاقة بين درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي.

ث. الكشف عن دلالة الفروق في دراسة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة تعزى لعامل الجنس، العمر، المؤهل العلمي، الحالة المهنية والحالة الاجتماعية.

أهمية الدراسة: وتتمثل أهمية الدراسة الحالية في التالي:

أ. تتمشى الدراسة الحالية مع الاتجاهات الحديثة في بناء الدول والأمم وتطويرها لمواجهة الأخطار المحدقة بها والقضاء على عوامل زوالها واندثارها.

ب. ندرة البحوث والدراسات بشكل عام التي تتناول موضوع ثورات الربيع العربي الحالية.

ت. قد تسهم الدراسة الحالية في الكشف عن اختلافات الرؤى حول منظور المواطنة والتحول الجذري والتأسيس لقيام الدول والأنظمة عن طريق الثورات.

ث. قد تسهم الدراسة في تزويد النخب وجميع فئات المجتمع بالمقترحات التي قد تزيد من فعالية ورقي الممارسة الحقة للوطنية دون مزايدة وبمحبة ودون احتقار للوطن الجزائر والأمة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء.

ج. تعد الدراسة الحالية بداية لدراسات أخرى لكسر الطبوهات وولوج بعض المواضيع التي تعد من الخطوط الحمراء في نظر البعض.

ح. تقديم مقترحات لزيادة الوعي الوطني والحس المدني وترقية المواطنة.

خ. تزويد القائمين على المؤسسات التربوية بدراسة واقعية للوضع القائم حول المواطنة وثورات الربيع العربي.

تحديد مفاهيم الدراسة إجرائيا:

الاتجاه: هو معتقدات الفرد وأفكاره وتصوراته وسلوكه وانفعالاته واستعداده للقيام بأفعال واستجابات معينة تجاه موضوع معين وهو هنا ثورات الربيع العربي. وإجرائيا هو الدرجة التي يحصل عليها المستجوب على استبانة قياس اتجاهات الشباب الجزائري نحو ثورات الربيع العربي المعدة من الباحثين.

الشباب الجزائري: عينة من الشباب الجزائري من ولاية المسيلة من كلا الجنسين بمؤهلات علمية مختلفة ومن حالات اجتماعية متباينة أعمارهم تتراوح ما بين 20 سنة إلى 40 سنة.

ثورات الربيع العربي:

الثورة: عرفها مايكل روسكن وروبرت كورد في كتابهما- مقدمة في العلوم السياسية - بأنها: "عملية تغيير جذري للنظام السياسي، بما يؤدي للإطاحة بالنظام القديم والنخبة التابعة له (Michael, Robert, James, Walter, 2008, p359-378).

العرب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعريف العرب: "يا أيها الناس أن الرب واحد والأب واحد وأن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم العربية فهو عربي". والعرب أمة من الناس سامية الأصل منشؤها جزيرة العرب، وينقسم أصل العرب إلى ثلاثة أقسام: العرب البائدة والعرب العاربة والعرب المستعربة لكن ابن خلدون أضاف في مقدمته العرب المستعجمة.

وعلى العموم فإن ثورات الربيع العربي كما يحلو للبعض تسميتها هي ما تشهده البلدان العربية من انطلاقة نحوالحرية والديمقراطية، ليفتح مجالاً واسعًا من التساؤلات والاستفسارات التي يحاول الجميع البحث لها عن إجابات وطرح تفسيرات لما يحدث (طاهر؛ والسعودي، 2011، ص12).

وعند مراجعة وتقييم حصاد موجة التغيير العربية، لا بد من الوقوف على ملامح وخصوصيات تلك الموجة التي وصفت بأنها (ربيع عربي). وما إذا كان هناك تباين أو تشابه بين حالاتها، لهدف التعرف على طبيعة ذلك المفهوم، وتحديد مدى "ثوريته" أي إذا كان يندرج بالفعل ضمن نطاق "الثورات" أم هو مجرد حركات احتجاجية جزئية ما يساعد بدوره على تقديم ما وصلت إليه مظاهر وحالات ذلك "الربيع" من تقدم نحو الاكتمال إذا كانت ثورة أو تطور إن لم تكن كذلك (راشد، 2011، ص16).

المواطنة: عرفت المواطنة على أنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة).، ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق القانون.

وإجرائيا تعني العلامة التي يحصل عليها الشباب على الاستبيان الخاصة باستقصاء درجة قيم المواطنة التي تَمَّ إعدادها من طرف الباحثين لأغراض الدراسة والتي تتكون من (40) عبارة.

الإطار النظري للدراسة:

عرفت المواطنة بتعريفات عدة فهناك من عرفها بأنها: صفة المواطن والتي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم والحرب والتعاون من المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود وترسم الخطط وتوضع الموازنات(بدوي، 1982، ص60-62)، وهناك من عرفها بأنها: علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة(كاظم، 2009، ص256).

ومنه فالمواطنة بشكل بسيط وبدون تعقيد هي انتماء الإنسان إلى الدولة التي ولد بها وخضوعه للقوانين الصادرة عنها وتمتعه بشكل متساوي مع بقية المواطنين بمجموعة من الحقوق والتزامه بأداء مجموعة من الواجبات تجاهها.

ولمفهوم المواطنة أبعاد متعددة تتكامل وتترابط في تناسق تام على النحو الآتي(شخمان، 2010، ص01):

- بعد ثقافي حضاري يعنى بالجوانب الروحية والنفسية والمعنوية للأفراد والجماعات على أساس احترام خصوصية الهوية الثقافية والحضارية ويرفض محاولات الاستيعاب والتهميش والتنميط.
- بعد اقتصادي اجتماعي يستهدف إشباع الحاجيات المادية الأساسية للبشر ويحرص على توفير الحد الأدنى اللازم منها ليحفظ كرامتهم وإنسانيتهم.
- بعد قانوني يتطلب تنظيم العلاقة بين الحكام والمحكومين استنادا إلى عقد اجتماعي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع.

للمواطنة عناصر ومكونات أساسية ينبغي أن تكتمل حتى تتحقق المواطنة وهذه المكونات هي:

الانتماء: إن من لوازم المواطنة الانتماء للوطن دار الإسلام "فالانتماء في اللغة يعني الزيادة ويقال انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب، وفي الاصطلاح هو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكراً تجسده الجوارح عملاً"، والانتماء هو شعور داخلي يجعل المواطن يعمل بحماس وإخلاص للارتقاء بوطنه والدفاع عنه، أو هو إحساس تجاه أمر معين يبعث على الولاء له واستشعار الفضل في السابق واللاحق، ومن مقتضيات الانتماء أن يفتخر الفرد بالوطن والدفاع عنه والحرص على سلامته. فالمواطن منتم لأسرته ولوطنه ولدينه وتعدد هذه الانتماءات لا يعني تعارضها بل هي منسجمة مع بعضها ويعزز بعضها البعض الآخر.

الحقـوق: إن مفهوم المواطنة يتضمن حقوقاً يتمتع بها جميع المواطنين وهي في نفس الوقت واجبات على الدولة والمجتمع منها:

- أن يحفظ له الدين.
- أن تحفظ حقوقه الخاصة.
- توفير التعليم.
- تقديم الرعاية الصحية.
- تقديم الخدمات الأساسية.
- توفير الحياة الكريمة.
- العدل والمساواة.
- الحرية الشخصية وتشمل حرية التملك، وحرية العمل، وحرية الاعتقاد، وحرية الرأي.

هذه الحقوق يجب أن يتمتع بها جميع المواطنين بدون استثناء سواء أكانوا مسلمين أم أهل كتاب أم غيرهم في حدود التعاليم الإسلامية، فمثلاً حفظ الدين يجب عدم إكراه المواطنين من غير المسلمين على الإسلام، قال الله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾.[البقرة: 256]، وكذلك الحرية فهي مكفولة لكل مواطن بغض النظر عن دينه أو عرقه أو لونه، بشرط ألا تتعدى إلى حريات الآخرين أو الإساءة إلى الدين الإسلامي.

الواجبات: تختلف الدول عن بعضها البعض في الواجبات المترتبة على المواطن باختلاف الفلسفة التي تقوم عليها الدولة، فبعض الدول ترى أن المشاركة السياسية في الانتخابات واجب وطني، والبعض الآخر لا يرى المشاركة السياسية كواجب وطني. ويمكن إيراد بعض واجبات المواطن فيما يلي:

- احترام النظام.
- التصدي للشائعات المغرضة.
- عدم خيانة الوطن.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الحفاظ على الممتلكات.
- السمع والطاعة لولي الأمر.
- الدفاع عن الوطن.
- المساهمة في تنمية الوطن.
- المحافظة على المرافق العامة.
- التكاتف مع أفراد المجتمع.

هذه الواجبات يجب أن يقوم بها كل مواطن حسب قدرته وإمكانياته وعليه الالتزام بها وتأديتها على أكمل وجه وبإخلاص.

المشاركة المجتمعية: إن من أبرز سمات المواطنة أن يكون المواطن مشاركاً في الأعمال المجتمعية، والتي من أبرزها الأعمال التطوعية فكل إسهام يخدم الوطن ويترتب عليه مصالح

دينية أو دنيوية كالتصدي للشبهات وتقوية أواصر المجتمع، وتقديم النصيحة للمواطنين وللمسئولين يجسد المعنى الحقيقي للمواطنة.

القيم العامة: وتعني أن يتخلق المواطن بالأخلاق الإسلامية والتي من بينها(خلف، 1999، ص74):

- الأمانة: ومن معانيها عدم استغلال الوظيفة أو المنصب لأي غرض شخصي.
- الإخلاص: ويشمل الإخلاص لله في جميع الأعمال، والإخلاص في العمل الدنيوي وإتقانه، والإخلاص في حماية الوطن.
- الصدق: وهو يتطلب عدم الغش أو الخداع أو التزوير، وبه يكون المواطن عضواً نافعاً لوطنه.
- الصبر: يعد من أهم العوامل التي تساعد على ترابط المجتمع واتحاده.
- التعاضد والتناصح: بهذه القيمة تجعل المجتمع ومترابطا وتتآلف القلوب وتزداد الرحمة فيما بينهم.

مع استهلال الوطن العربي عام 2011 بحركات شعبية قوية تهدف إلى تغيير جذري في أوضاع عدد من الأقطار العربية، بدأت الشرارة الأولى من تونس، وتصاعدت بوتيرة متسارعة إلى الحد الذي مكنها بالإطاحة برأس النظام ونخبته في أيام قليلة (علوي، 2011، ص39-40).وكانت الرسالة واضحة: أن الحكم البوليسي والعنف المفرط غير قادرين للتصدي لثورة شعبية، ولذلك سرعان ما انتقلت الشرارة إلى مصر التي كانت تموج أصلا بإرهاصات الثورة، وهكذا تفجرت مظاهرات التغيير واستطاعت في أسبوعين وأيام قليلة أن تطيح بدورها برأس النظام ومعاونيه الأساسيين، انتقلت الشرارة إلى اليمن وليبيا وسوريا(أحمد، 2011).

وكلمة ثورة في اللغة العربية، جاءت من الفعل ثار، يثور، ثورة. وتعني في الأصل الهيجان، أو اشتداد الغضب والاندفاع العنيف والوثوب والظهور والانتشار والقلب، ورد في لسان العرب (ثار الشيء ثورا وثورا وثورانا وتثور هاج... وثار إليه ثورا وثؤرا وثورانا وثب... وثار الدخان وغيرهما يثور ثورا وثؤورا وثورانا ظهر وسطع). وقال الطبري: (ثار يثور وثورانا إذا انتشر في الأفق). ويقول الله تعالى: ﴿ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾. [البقرة: 71]. (أي: لا تقلبها بالحرث القلب الذي يغيرها فيجعل عاليها سافلها)، و﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾. [الروم: 09](أي: قلبوها وبلغوا عمقها).

وللثورة تعريفات متعددة منها أنها: "التغييرات الجذرية في البنى المؤسسية للمجتمع، تلك التغييرات التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم إيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، كما قد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية (الأسود، 2003، ص47)، أو أنها مجمل الأفعال والأحداث التي تقود إلى تغيرات جذرية في الواقع السياسي والاقتصادي وأيضا الاجتماعي لشعب أو مجموعة بشرية ما، وبشكل كامل وعميق، وعلى المدى الطويل ينتج منه تغيير في بنية التفكير الاجتماعي للشعب الثائر، وفي إعادة توزيع الثروات والسلطات السياسية (حسيب، 2011، ص9)، كما عرفت بأنها مقدمة لعملية تغيير جذرية شاملة، تستتبع إعادة صياغة كاملة لكل العلاقات والتوازنات التي سادت بين فئات المجتمع وطبقاته وشرائحه، بما يسفر عن صعود

جماعات، وهبوط أخرى، وإعادة رسم الخرائط المجتمعية، وتصحيح الاختلالات لمصلحة البعض الذين قامت الثورة من أجل إنصافهم واسترداد حقوقهم، أو حتى فرز خريطة ومساحات جديدة تماما لانتشار القوة السياسية، وإعادة التوزيع لمصادرها وركائزها على نحو مختلف (عز الدين، 2012).

ومما سبق يمكن القول أن الثورة تغيير مفاجئ سريع، ذو أثر كبير على الكيان الاجتماعي. تحطم استمرارية الأحوال الراهنة فيه. قصد إعادة بناء وتنظيم النظام الاجتماعي كله تنظيما وبناء جديدا.

إن أهم الثورات التي شهدتها المجتمعات هي:

01 - الثورة الإنجليزية (1688) أي في نهاية القرن السابع عشر، والتي فتحت إنجلترا أمام التطور الصناعي، وبروز الطبقة البرجوازية مبكرًا عنها في بقية بلدان أوروبا. وعلى نظامها السياسي، الديمقراطية البرلمانية، وآثارها السياسية والاجتماعية في القارة الأوروبية، عندما، رفعت شعارًا لا ضريبة بدون صوت، أي بدون مشاركة في الحكم.

02- الثورة الأمريكية (1776–1783)، والحرب الأهلية الأمريكية وانتصار الشمال الصناعي على ولايات الجنوب الزراعية، وإلغاء الرق وصدور الإعلان الأمريكي للحقوق.

03 – الثورة الفرنسية (1789–1799)، وإعلان الحقوق الفرنسي، الذي يتعلق بالإنسان والمواطن دون تمييز عرقي أو ديني، ثم ثورة 1830، وثورة 1848، في عدة بلدان أوربية، وخاصة ثورة توماس منذر في ألمانيا، المسماة ثورة الفلاحين، المتأثرة بشعارات الثورة الفرنسية.

04 – الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي (1830–1962).

05 – ثورة الكومون في فرنسا عام (1871) والتي رغم فشلها وسحقها، أدت إلى ترسيخ قواعد البرجوازية المتأثرة بشعارات الثورة الفرنسية.

06- الثورة الإيطالية (1884).

07 – الثورة البلشفية (1917) في روسيا ضد الحكم القيصري والتي أنهت حكم ملكي مطلق يستند إلى الحق الإلهي وأقامت سلطة "ديكتاتورية البروليتاريا" والمتمثلة في حزب ثوري طليعي واحد وقد كانت ذات مرحلتين حيث كان هناك في البداية ثورة برجوازية ضد الإقطاع والنظام الملكي، ثم جاءت ثورة البروليتاريا ضد البرجوازية.

08- الثورة الصينية بقيادة ماو تسي تونغ (1949).

09 – الثورة الكوبية (1959) التي قادها فيدل كاسترو ضد حكم الدكتاتور باتستا.

10 – ثورات شعوب أوروبا الشرقية بدءًا من عام (1989) التي أطاحت بالأنظمة الشيوعية.

11 – الثورة البرتقالية في أوكرانيا 2004.

ومن خلال استقراء تاريخ بعض الثورات القديمة والمعاصرة، يتضح أن أهم الشروط الضامنة لنجاح الثورات هي: (تاج الدين، 2008، ص11-12).

- صلابة الإرادة والتصميم لدى الثوار.
- الحفاظ على الصورة الناصعة للثورة.
- وحدة الصف والتلاحم بين القوى الشعبية.

- الوعي بأجنحة النظام المختلفة ومخططاتها.
- تقديم البديل السياسي حتى لا تجد فلول النظام فراغا للتمكن.
- رفض السقوف الواطئة والتغييرات الشكلية للنظام.
- التمسك بمطلب المغالبة لا المطالبة.

ووعليه يمكن الاستدلال على العلاقة بين المواطنة وثورات الربيع العربي انطلاقا من مشكلة المواطنة، فهي قديمة قدم وجود الإنسان وقدم حياته على الأرض، ومطلب الحرية هو تعبير عن مطلب تخفيف المعاناة عن الإنسان من أجل الوصول إلى مرحلة تقل فيها هذه المعاناة إلى أقل درجاتها، ونحن نعتبر أساس المعاناة ناتج عن الخلل الناشئ من التناقض بين طموح الإنسان في الحرية وبين القيود والتحديات التي تقف عقبة في سبيل هذا الطموح.

وبالرجوع إلى أمهات المعاجم والقواميس نجد أن كلمة الاتجاه مشتقة من وجّه فلان الشيء: أداره إلى جهة ما || ووجّه القوم الطريق: سلكوه وصيّروا أثره بيِّنًا || ووجه البيت: جعل وجهه نحو القبلة.

اتجه إليه: أقبل || واتجه له رأي: سنح (دار المشرق، 2003، ص889) ومنه فالاتجاهات تعني السلوك والتبيان والإقبال.

وأول من استخدم تعبير "الاتجاه" هو الفيلسوف الانجليزي **هربرت سبنسر** (H. Spencer) في مؤلفه "المبادئ الأولى" سنة 1862، وفيما يلي أهم تعريفاته:

- "استعداد عقلي متعلم للسلوك بطريقة ثابتة، إزاء موضوع معين أو مجموعة من الموضوعات"(العيسوي، 1973، ص18).
- "بنية وجدانية تعمل في تفاعل مستمر لتحديد السلوك التالي"(جابر، 1978، ص105).
- "موقف الفرد تجاه إحدى القيم أو المعـايير السائـدة في البيئة الاجتماعية"(عبد الرحمن، 1983، ص517)، أي بمعنى أن موقفه من قيمة معينة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو غيرها هو اتجاه نفسي كموقفه من الصدق أو الزواج المبكر .... إلخ.
- "حالة من التهيؤ والتأهب العقلي العصبي التي تنظمها الخبرة، بحيث تستطيع حالة التأهب من توجيه استجابات الفرد للمثيرات تتضمنها مواقف البيئة"(زيدان، 1986، ص169).
- "نزعة تؤهل الفرد للاستجابة إلى أنماط سلوكية محددة نحو أشخاص، أو أفكار، أو أوضاع، أو أشياء معينة، وتؤلف نظامًا معقدًا يتفاعل فيه مجموعة كبيرة من المتغيرات المتنوعة"(نشواتي، 1991، ص47).
- "استعداد أو تهيؤ عقلي وعصبي خفي، متعلم، منظم حول الخبرة للاستجابة بانتظام بطريقة محببة أو غير محببة فيما يتعلق بموضوع الاتجاه"(الحارثي، 1992، ص53).
- "رد فعل وجداني إيجابي أو سلبي نحو موضوع مادي أو مجرد أو نحو قضية مثيرة للجدل"(درويش، 1993، ص90).
- "اهتمام الفرد وقلقه تجاه أي موضوع محدد، يعبر عن اتجاهه نحو هذا الموضوع"(مسني وآخرون، 2002، ص205)، بمعنى أنه عندما يصب الفرد اهتمامه نحو موضوع ما ويشعر بقلق اتجاهه فإن ذلك يدل على أنه كون اتجاه نحو ذلك الموضوع.

ونظرا لوجود ملابسات بين الاتجاه وبعض المفاهيم المرتبطة به يمكن توضيح هذه المفاهيم لرفع اللبس بينها وبين مفهوم الاتجاه وأهم هذه المفاهيم ما يلي:

أ. **الرأي (l'opinion):** إن الرأي تعبير لفظي رمزي يدل على اتجاه الفرد نحو الموضوع، فالرأي هو تعبير يمكن إعلانه للأفراد، بينما الاتجاه قد يكون سري داخلي، يجد الفرد حرجا في التعبير عنه، فالاتجاه عبارة عن استعداد بالقبول أو الرفض لموضوع ما، كما أنه نابع من تفكير منطقي موضوعي في حين أن الرأي هو وسيلة تعبير لفظي عن الاتجاه ومن هنا تبين عمومية الاتجاه عن الرأي وأن الاتجاه يصعب تغييره بسرعة بينما الرأي أقل ثباتا وسهل التغيير(شفيق، دس، ص119).

ب. **القيم (Les valeurs):** تعتبر القيم الاجتماعية من بين أهم محددات السلوك الاجتماعي حيث قامت عليها كثيرا من الدراسات لعلماء الاجتماع **دوركايم** (Durkheim) الذي سماها بـ: "المثل الاجتماعية" وتعتبر القيم معايير تفضيلية من خلالها يتم الحكم على مختلف المواضيع داخل المجتمع.

والقيم هي مجموعة من الاتجاهات، أما الاتجاه فهو استجابة عامة للفرد إزاء موضوع معين، وعليه يمكن القول بأن القيمة هي التي تحدد الاتجاه وتشترك كل من القيمة والاتجاه في سلوك الفرد وبلورته ويختلفان في أن الاتجاه أقل ثباتا من القيمة بتراكمه يصبح قيمة أي أن القيمة وليدة الاتجاه (أحمد، 1999، ص73).

ت. **السمة (le trait):** السمة هي صفة أو خاصية للسلوك تتصف بقدر من الاستمرار ويمكن ملاحظتها وقياسها مثال: أن الشخصية تحتوي على أنواع عديدة من السمات. وأشار **جيلفورد (Guildford)** إلى أن الاتجاهات نوع من هذه السمات المتعلقة بالموضوع أو المسائل الاجتماعية، كذلك ميز **ألبورت** (Allport) بين الاتجاه والسمة على أساس أن الاتجاه يرتبط بموضوع معين أو بفئة من الموضوعات، بينما السمات ليست كذلك، فعمومية السمة تكون دائما أكبر من عمومية الاتجاه، ويتضمن الاتجاه عادة تقييما بالقبول أو الرفض للموضوع الذي يتجه إليه بينما السمات ليست كذلك (خليفة، 1986، ص31-32).

ث. **الاهتمام (l'intérêt):** أوضح **إيزنك** (Eysenck) أن هناك علاقة بين الاتجاهات والاهتمامات، فالاهتمامات عبارة عن اتجاهات ذات وجهات ايجابية حيال أشياء معينة ويشعر الفرد نحوها بجاذبية معينة وعلى الرغم من وجود علاقة بين مفهوم الاتجاه ومفهوم الاهتمام فإن هناك اختلافا بين المفهومين، فبينما يشير الاهتمام إلى بعض التفضيلات المهنية، يشير الاتجاه إلى أمور اجتماعية وسياسية أو غيرها من الأمور.

كما فرّق آخرون بين الاهتمامات والاتجاهات على أن الاهتمامات غالبا موجبة أو مرغوبة بينما الاتجاهات قد تكون موجبة أو سالبة أو محايدة، كما تتسم الاهتمامات بالتحديد والخصوصية، في حين تتسم الاتجاهات بالعمومية والشمولية(خليفة، 1986، ص33).

ج. **الميل (la tendance).:** عرف **إدوارد سترونج** (Edward Strong) الميل بأنه: "استجابة لرغبة في شيء أو استجابة لعدم الرغبة فيه" ومن خلال هذا يتضح أن الميل هو نتيجة لرغبة لا غير والأفراد يختلفون في ميولا تهم، فالميل يتعلق بما يحبه الفرد أو يكرهه (شفيق، دس،

ص120)، أو هو: "رغبات طويلة الأمد في الانغماس في أنواع معينة من النشاط، مثل العمل اليدوي أو التفكير أو النقاش مع الآخرين" (عويضة، 1996، ص85).

وهناك مجموعة من المدارس الكبرى التي حاولت تفسير الاتجاه، ولكل مدرسة من هذه المدارس توجهها ورؤيتها الخاصة في هذا التفسير وسيتم عرض هذه المدارس باختصار فيما يلي:

أ. **المدرسة المعرفية**: اندرج في إطار هذه المدرسة كل التصورات النظرية التي اهتمت أساسا بأثر المعلومات الملائمة للاتجاه على البناء المعرفي للفرد.

فنظرية الاتساق المعرفي **لرونزنبرج وأبلسون** (Obulson & Rosenberg) ذهبت إلى أن الاتجاه حالة وجدانية مع أو ضد موضوع أو فئة من الموضوعات ترتبط عادة بمجموعة من المعارف أو المعتقدات، وأن الاتجاهات ذات بنية نفسية منطقية وإنه إذا حدث تغيير في أحد المكونات أو العناصر فإن ذلك سيؤدي بالضرورة إلى تغيير في الآخر، وعليه فإن أي تغير في المكون الوجداني للاتجاه سيؤدي إلى تغير في المكون المعرفي والعكس صحيح، لذا لابد من وجود اتساق بين المكونين، وهذا الاتساق في بنية الاتجاه هو الذي يسمح بالتنبؤ بالسلوك.

ووصف **روزنبرج** ديناميات اتزان الاتجاه فقال: إذا كانت العناصر الوجدانية والمعرفية للاتجاه في حالة اتساق، كان الاتجاه ثابتا ومستقرا، أما إذا كانت هذه العناصر في حالة عدم اتساق بدرجة تفوق حدود احتمال الفرد فإن الاتجاه يكون في حالة عدم استقرار وفي هذه الحالة يحدث عادة تنظيم للاتجاه ينتج عنه إما رفض للرسائل أو القوى الجديدة التي أوجدت عدم الاتساق بين المكونين الوجداني والمعرفي، وعندها تستعاد حالة الاستقرار للاتجاه القديم، أو أن يحدث تفتيت للاتجاه عن طريق عزل العناصر المعرفية والوجدانية غير المتسقة عن بعضها، أو يحدث تغيير يؤدي إلى تكوين اتجاه جديد (درويش، 1993، ص104-110).

ب. **المدرسة السلوكية:** لتفسير الاتجاهات وتغييرها استخدمت وجهة نظر هذه المبادئ المستمدة من نظريات التعلم سواء نظريات الارتباط الشرطي أو نظريات التعزيز، فالاتجاهات هي عادات متعلمة من البيئة وفق قوانين الارتباط وإشباع الحاجات، إذ استخلص **روزنو** (Rosnaw) من تجارب اشتراطية أن الاتجاه استجابة متوسطة متعلمة، ويمكن تكوينه وتعديله باستخدام التعزيز اللفظي.

وأن استخدام صور من التعزيز الإيجابي اللفظي أو التعزيز اللفظي السلبي للحجج المؤيدة أو المعارضة للرأي، يؤدي إلى تغيير في الرأي نحو الحجة التي كانت قريبة زمنيا من التعزيز الإيجابي وبعيدة عن التعزيز السلبي، وافترض روزنو أن تغيير الرأي يؤدي إلى تغيير الاتجاه (وحيد، 2001، ص51-52).

ت. **المدرسة التحليلية:** أكدت هذه المدرسة أن لاتجاهات الفرد دورا حيويا في تكوين الأنا (ego)، والأنا يمر بمراحل مختلفة ومتغيرة من النمو منذ الطفولة إلى مراحل البلوغ، متأثرة في ذلك بمحصلة الاتجاهات التي يكونها الفرد نتيجة لخفض أو عدم خفض توتراته، وأن اتجاه الفرد نحو الأشياء يحدده دور تلك الأشياء في خفض التوتر الناشئ عن الصراع الداخلي لمتطلبات الهو (id) الغريزية وبين الأعراف والمعايير والقيم الاجتماعية الأنا الأعلى (super ego)، إذ يتكون

اتجاه إيجابي نحو الأشياء التي خفضت التوتر، أو يتكون اتجاه سلبي نحو الأشياء التي أعاقت أو منعت خفض التوتر، ويمكن لاتجاهات الفرد أن تتغير إذا ما تمّ دراسة ميكانيزمات الدفاع الذاتي لديه والحلول التي تقدمها وكذلك الأعراض التي من خلالها يخفض من توتراته، ويتم ذلك عن طريق إخضاع الفرد للتحليل النفسي، لتبصيره بأساس توافقاته المصطنعة وما يصاحبها من وجود اتجاهات قبول أو رفض.

تنبع أهمية دراسة الاتجاهات مما يأتي(همشري، 2003، ص288-289):

- احتلالها مكانًا بارزا في كثير من دراسات الشخصية ودينامية الجماعة، وفي كثير من المجالات التطبيقية مثل: الإدارة، علم النفس، علم الاجتماع، الصناعة، وغيرها.
- أهميتها كدوافع للسلوك، وبالتالي تلعب الاتجاهات أدوارًا مهمة في تحديد سلوكنا، فهي تؤثر في أحكامنا وإدراكنا للآخرين، وتؤثر على سرعة وكفاءة تعلمنا، وتحدد الجماعات التي نرتبط بها، والمهن التي نختارها، والفلسفة التي نعيش بها.
- تضفي على حياة الفرد اليومية معنى ودلالة ومغزى حين يتفق سلوكه مع اتجاهاته، ولذلك تعمل الاتجاهات على إشباع كثير من الدوافع والحاجات النفسية والاجتماعية لدى الفرد.
- تعمل على استجابات الفرد في المواقف التي لديه اتجاهات خاصة بها، فلا يبحث عن سلوك جديد في كل مرة يجابه فيها هذا الموقف، فهي تعمل على توجيه السلوك الإنساني، وتساعده على تفسير ما مر به من مواقف وخبرات وإعطائها معنى ودلالة.
- تساعد الفرد على التكيف مع الحياة الواقعية، وذلك عن طريق قبوله للاتجاهات التي تعتنقها الجماعة فيشاركهم فيها، وبالتالي يشعر بالتجانس معهم.

واختلف العلماء في تحديد مكونات الاتجاه، فرأى بعض العلماء أمثال أوزجود (Osgood). أن الاتجاه يتكون من مكون واحد فقط وهو يركز هنا على المكون المعرفي في الاتجاه، أما سميث (Smith) فركز على المكون السلوكي، غير أن هناك من العلماء من رأى بأن الاتجاه يتكون من ثلاثة مكونات أساسية متداخلة ومتفاعلة مع بعضها باستمرار. وعلى العموم فإن الاتجاهات تتكون من ثلاثة مكونات أساسية هي(نشواتي، 1998، ص474-475):

المكون المعرفي (Le Composant cognitif): يدل هذا المكون على الجوانب المعرفية التي تنطوي عليها وجهة نظر الفرد ذات العلاقة بموقفه من موضوع الاتجاه، وتوافر هذه الجوانب عادة من خلال المعلومات والحقائق الواقعية التي يعرفها الفرد حول موضوع الاتجاه، فالطالب الذي يظهر استجابات تقبلية نحو الدراسات الاجتماعية مثلا قد يملك بعض المعلومات حول طبيعة هذه الدراسات ودورها في الحياة الاجتماعية وضرورة تطويرها لإنجاز حياة مجتمعية أفضل وهي أمور تتطلب الفهم والتفكير والحكم...الخ.

المكون الانفعالي (Le Composant émotionnel): يشير هذا المكون إلى أسلوب شعوري عام، يؤثر في استجابة الفرد أو رفضه وقد يكون الشعور غير منطقي على الإطلاق، فقد يقبل الطالب على مادة الرياضيات أو يرفضها دون وعي منه للمسوغات التي دفعته للاستجابة بالقبول أو الرفض.

المكون السلوكي (Le Composant comportemental): يشير هذا المكون إلى نزعة الفرد للسلوك وفي أنماط محددة في أوضاع معينة، فالاتجاهات تعمل كموجهات للسلوك، تدفع الفرد للعمل وفق الاتجاهات التي يتبناها، فالطالب الذي له اتجاهات تقبلية نحو العمل المدرسي، يساهم في النشاطات المدرسية المختلفة ويثابر على أدائها بشكل جدي وفعال.

II-الطريقة والأدوات:

منهج الدراسة: من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحثان باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يحاول من خلاله وصف الظاهرة موضوع الدراسة (اتجاهات الشباب الجزائري نحو ثورات الربيع العربي وعلاقتها بالمواطنة). وتحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها والآراء التي تطرح حولها والعمليات التي تتضمنها والآثار التي تحدثها، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كميًا عن طريق جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة.

مجتمع الدراسة وعينته: تكون مجتمع الدراسة من جميع شباب ولاية المسيلة. وتكونت عينة الدراسة من (40) شابا وشابة من نفس الولاية. والجدولين الآتيين يوضحان خصائص العينة من حيث الجنس، الحالة العائلية، المؤهل العلمي، العمر والحالة المهنية.

جدول رقم (01): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس والحالة العائلية والمؤهل العلمي.

الجنس	العدد	النسبة المئوية	الحالة العائلية	العدد	النسبة المئوية	المؤهل العلمي	العدد	النسبة المئوية
ذكر	26	% 65,00	أعزب	26	65,00 %	بكالوريا فما دون	10	25,00 %
أنثى	14	% 35,00	متزوج	14	35,00 %	أولى جامعي فما فوق	30	75,00 %
المجموع	40	% 100,00	المجموع	40	100,00 %	المجموع	40	100,00 %

تبين البيانات الإحصائية الواردة في الجدول رقم (01) أن نسبة الذكور بلغت (65,00 %) وهي حوالي ثلثي أفراد العينة تقريبا، مقابل (35,00 %) من الإناث. وهذه النسب تتوافق والحالة العائلية، وأما بالنسبة لعينة من يحملون المؤهل العلمي بكالوريا فما دون فقد بلغت نسبتهم (25,00 %) أو حوالي ربع أفراد العينة، في مقابل (75,00 %) من ذوي المؤهل العلمي جامعي فما فوق. ويلاحظ أن هناك مستوى مرضٍ من التعليم نوعا ما لأفراد العينة.

جدول رقم (02): توزيع أفراد عينة الدراسة حسب العمر والحالة المهنية.

العمر	العدد	النسبة المئوية	الحالة المهنية	العدد	النسبة المئوية
20 - 26	18	% 45,00	طالب	10	% 25,00
27 - 33	14	% 35,00	عامل	27	% 67,50
34 - 40	08	% 20,00	عاطل عن العمل	03	% 07,50
المجموع	40	% 100,00	المجموع	40	% 100,00

يتضح من الجدول (02) أن نسبة أفراد العينة الذين تتراوح أعمارهم بين (20 - 26) سنة من إجمالي العينة قد بلغت (45,00 %) وهي تمثل أعلى نسبة، علما بأن عدد الشباب من إجمالي السكان في الجزائر لا يقل عن ثلثي المجتمع (75,00 %) وقد يزيد بعض الشيء، في حين بلغت نسبة المستجوبين الذين تتراوح أعمارهم بين (27 - 33) سنة في العينة حوالي (35,00 %)، تليها الفئة العمرية (34 - 40) في المركز الأخير وبنسبة (20,00 %).

أما فيما يتعلق بالحالة المهنية فقد تبين أن نسبة العاملين من بين أفراد العينة بلغت (67,5 %). تليها في المرتبة الثانية نسبة الطلاب فقد بلغت (25,00 %). بينما شكلت الفئة الأخيرة المتمثلة في العاطلين عن العمل ما نسبته (07,50 %) من العينة الإجمالية.

حدود الدراسة: تتمثل حدود الدراسة في الإطار الزمني لتنفيذها الذي كان في عام 2015 وبداية 2016، ومكان إجرائها المحدد في إطار ولاية المسيلة، وبخصائص العينة المكونة من ذكور وإناث، عزاب ومتزوجين، طلاب وعاملين وعاطلين عن العمل، وبمؤهلات علمية بكالوريا فما دون وأولى جامعي فما فوق. وعلى واقع نوع علاقة اتجاهات الشباب نحو ثورات الربيع العربي بالمواطنة.

أدوات الدراسة: تم بناء استبيانين يعول عليهما في تحقيق أهداف الدراسة وتكون الاستبيان الأولى من (46) عبارة والثاني من (30) بندا، كل بند تمثل قيم المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية.

الخصائص السيكومترية لأداتي الدراسة:

صدق أدوات الدراسة: قام الباحثان بالتحقق من صدق الاستبيانين عن طريق صدق المحكمين، إذ تم عرض الاستبيانين في صورتهما الأولية على مجموعة من أساتذة جامعيين من المتخصصين في علم النفس وعلوم التربية وعلم الاجتماع، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة بنودهما، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وفي ضوء تلك الآراء تم استبعاد بعض البنود وتعديل بعضها الآخر ليصبح عدد بنود الاستبيان الأول الخاص بقيم المواطنة (46) بندا، والاستبيان الثاني الخاص بالاتجاه نحو ثورات الربيع العربي (30) بندا، كما هو مشار إليهما في الجدولين رقم (03). ورقم (04). على التوالي.

المعالجة الإحصائية المتبعة في الدراسة: لقد قام الباحثان بتفريغ وتحليل الاستبيان من خلال برنامج (SPSS) الإحصائي وتم استخدام الأساليب الإحصائية التالية: التكرارات والمتوسط الحسابي والنسب المئوية- اختبار (T.Test) للفروق بين متوسطات عينتين مستقلتين- تحليل التباين الأحادي (One Way Anova) للفروق بين متوسطات ثلاث عينات فأكثر- اختبار شيفيه البعدي (Scheffée).

III- النتائج ومناقشتها:

يتم عرض نتائج الدراسة وتفسيرها وفقا للفرضيات المتعلقة بمشكلة الدراسة.

النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى: وتتعلق هذه النتائج بالإجابة عن الفرضية الأولى، ونصها: **اتجاه عينة البحث نحو ثورات الربيع العربي الحالية إيجابي،** ولدراسة اتجاه عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي هل هو إيجابي أم سلبي، تمَّ الاعتماد على حساب التكرارات لمجموع استجابات أفراد العينة من الشباب وحساب النسب المئوية لها، ويتم عرض ذلك كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (03): تكرارات استجابات عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل بند من بنود استبيان اتجاه عينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي.

الرقم	البند	مجموع الاستجابات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
01	أشعر بالألم كلما شاهدت ضحايا ثورات الربيع العربي.	40	2,92	0,34	% 97,33	02
02	تزعجني المشاكل الواقعة على مستوى دول ثورات الربيع العربي.	40	2,92	0,26	% 97,33	02
03	آمل في النهوض بمستقبل بلدي بالعمل السلمي فقط.	40	2,77	0,53	% 92,33	05
04	أرحب بكل عمل يطيح بالأنظمة الديكتاتورية.	40	2,39	0,62	% 79,66	12
05	تضايقني الأعمال المسلحة في دول الربيع العربي.	40	2,90	0,37	% 96,66	04
06	أنظر إلى مستقبل الدول العربية في ثوراتها.	40	2,05	0,84	% 68,33	18
07	أتجنب مشاهدة أخبار ثورات الربيع العربي.	40	1,87	0,93	% 62,33	25
08	أعتقد أن تغيير أنظمة الحكم بالقوة أفضل وسيلة.	40	1,45	0,74	% 48,33	29
09	أحب أن أتطوع في أعمال لصالح الثوار.	40	1,92	0,69	% 64,00	23
10	أفضل الحفاظ على المكتسبات على التغيير الفوضوي.	40	2,52	0,71	% 84,00	09
11	أفضل التغيير السلمي على التغيير الدموي.	40	2,77	0,57	% 92,33	05
12	تغمرني السعادة حين أسمع انتصارات الثوار.	40	2,17	0,59	% 72,33	14
13	احترم أراء المعارضة ضد الأنظمة.	40	2,57	0,59	% 85,66	08
14	أشعر بالرضا على أداء الأنظمة العربية كلها.	40	1,37	0,58	% 45,66	30
15	التزم باحترام النظام القائم مهما كان توجهه.	40	2,00	0,75	% 66,66	20
16	أحرص على مساندة ثورات الربيع العربي.	40	1,92	0,61	% 64,00	23
17	أحس بالفخر عند ذكر محاسن ثورات الربيع العربي.	40	2,15	0,66	% 71,66	16

18	أتأثر لحال عدم استقرار الدول العربية.	40	2,97	0,15	% 99,00	01
19	أعتقد أن ثورات الربيع العربي تشكل أعباء إضافية.	40	2,42	0,71	% 80,66	11
20	أحس بالحرج عندما تحدث ثورة في بلد عربي.	40	2,45	0,74	% 81,66	10
21	تعجبني حركات التحرر ضد الأنظمة القائمة.	40	2,15	0,73	% 71,66	16
22	تعتبر الثورة جزءًا مهمًا في التغيير.	40	2,17	0,78	% 72,33	14
23	يسهم الولاء للحكام في تقدم المسيرة التنموية.	40	1,95	0,71	% 65,00	21
24	أعتقد بأن البلاد العربية بحاجة ماسة للثورات من أجل التغيير الإيجابي.	40	2,05	0,78	% 68,33	18
25	تسهم الثورة في بناء دول قوية ومزدهرة.	40	1,85	0,73	% 61,66	26
26	أتابع أخبار ثورات الربيع العربي بشغف.	40	1,92	0,82	% 64,00	23
27	ثورات الربيع العربي هي الحل الوحيد في لم شمل الأمة	40	1,55	0,71	% 51,66	28
28	أساند فتوى تحريم الخروج عن الحاكم ولو كان ظالما.	40	1,77	0,71	% 59,00	27
29	اقتناعي بعدم جدوى ثورات الربيع العربي الحالية.	40	2,37	0,77	% 79,00	13
30	تزيد الثورات من تأخر التنمية في الدول المعنية بها.	40	2,60	0,63	% 86,66	07
الدرجة الكلية للاستبيان		1200	2,23	0,16	% 74,33	

من الجدول رقم (03) يتضح أن الأهمية النسبية لعبارات استبانة الاتجاهات تراوحت مابين (45,66 %) و (99,00 %) وأن أعلى أهمية نسبية كان للبند رقم (18) والتي كان نصها: "أتأثر لحال عدم استقرار الدول العربية"، وأن أقل أهمية نسبية كانت للبند (14) والتي تنص: "أشعر بالرضا على أداء الأنظمة العربية كلها". وبشكل عام يلاحظ أن الاتجاه العام لعينة الدراسة نحو ثورات الربيع العربي الحالية كان إيجابيا حيث بلغت أهميته النسبية (74,33 %).

النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: وتتعلق هذه النتائج بالإجابة عن الفرضية الثانية، ونصها: **درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة عالية**. ولدراسة درجة ممارسة عينة الدراسة لقيم المواطنة، تمَّ الاعتماد على حساب التكرارات لمجموع استجابات أفراد العينة من الشباب وحساب النسب المئوية لها، ويتم عرض ذلك كما هو موضح في الجدول الآتي:

جدول رقم (04): تكرارات استجابات عينة الدراسة لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي بند من بنود استبيان قيم المواطنة.

الرقم	البند	مجموع الاستجابات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
01	مشاركة الشباب في إدارة شؤون المجتمع تسهم في تعزيز الأمن الوقائي.	46	3,00	0,00	% 100,00	01
02	سبق أن تقدمت بالشهادة ضد سلوك يخالف الأنظمة والسلامة العامة.	46	1,80	0,72	% 60,00	42
03	لا تستطيع الأجهزة الأمنية القيام بأعمالها على	46	2,85	0,53	% 95,00	07

	أكمل وجه دون مشاركة المواطن.					
04	تجنب السلوكيات المنحرفة من أنواع المشاركة غير المباشرة في تعزيز الأمن الوقائي.	46	2,72	0,55	% 90,66	22
05	تعاوني مع الأجهزة الأمنية هو لاقتناعي التام بأن الأمن والسلامة مسؤولية الجميع.	46	2,87	0,33	% 95,66	05
06	مشاركة المواطن للأجهزة الأمنية في أعمالها تقابل بتقدير الآخرين.	46	2,05	0,84	% 68,33	35
07	أتجنب المشاركة والتعاون مع رجال الأمن لغلظتهم.	46	1,62	0,70	% 54,00	43
08	سبق أن أبلغت الأجهزة الأمنية عن سلوك مخالف.	46	1,57	0,71	% 52,33	44
09	سبق أن تطوعت في أعمال للمصلحة العامة دون مقابل.	46	2,70	0,60	% 90,00	28
10	أتجنب التعاون مع أجهزة الأمن لإجراءاتها المعقدة.	46	2,22	0,83	% 74,00	34
11	سبق أن قدمت مقترحات هادفة لتحقيق مصلحة عامة.	46	2,30	0,82	% 76,66	33
12	تعاوني مع الأجهزة الأمنية هدفه الحصول على المكافآت المقررة نظاماً.	46	1,25	0,54	% 41,66	46
13	احترام الأنظمة والقوانين من علامات رقي الشعوب وتطورها.	46	2,95	0,31	% 98,33	02
14	التقيد بالنظام يسهم في تعزيز السلامة والأمن الوقائي في جميع المجالات.	46	2,92	0,26	% 97,33	03
15	التزم بالأنظمة والقوانين بدافع الرقابة الذاتية.	46	2,72	0,64	% 90,66	22
16	أحرص على اتباع الإجراءات الوقائية لتجنب المشكلات والأخطار.	46	2,90	0,44	% 96,66	03
17	أتقيد بالأنظمة والتعليمات داخل الوطن.	46	2,80	0,51	% 93,33	14
18	أتقيد بالأنظمة والتعليمات خارج الوطن.	46	2,72	0,55	% 90,00	22
19	ألتزم بالأنظمة والقوانين خوفا من العقوبات.	46	1,95	0,93	% 65,00	38
20	الأنظمة والقوانين تسبب بعض القيود، لذا أضطر أحياناً لمخالفتها.	46	1,85	0,80	% 61,66	41
21	لا أتقيد بالأنظمة والتعليمات لأنها لا تطبق على الجميع على قدم المساواة.	46	1,90	0,74	% 63,33	39
22	الالتزام بالأنظمة والقوانين يعوق التطور والأعمال الناجحة.	46	1,42	0,71	% 47,33	45
23	عدم تناسب الدخل مع غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار.	46	2,72	0,59	% 90,66	22
24	عدم إيجاد وظائف مناسبة للشباب.	46	2,57	0,74	% 85,66	31
25	انتشار الواسطة والعلاقات الشخصية.	46	2,82	0,54	% 94,00	12
26	انتشار الفساد الإداري.	46	2,77	0,61	% 92,33	17
27	تقاعس بعض المسؤولين عن نقل متطلبات المواطن بكل شفافية لأصحاب القرار.	46	2,77	0,46	% 92,33	17
28	ضعف توعية الأفراد بحقوقهم للمطالبة بها عند الحاجة.	46	2,87	0,61	% 95,66	05
29	انتشار الإنفاق البذخي لطبقة من المجتمع.	46	2,75	0,63	% 91,66	20
30	ضعف المساءلة عند محاسبة المقصرين.	46	2,80	0,56	% 93,33	14

31	عدم عدالة توزيع مشاريع الخدمات العامة كالصحة والتعليم وغيرها على جميع المناطق.	46	2,67	0,69	% 89,00	29
32	اقتناعي بعدم جدوى المشاركة.	46	1,90	0,77	% 63,33	39
33	القيود على حرية الصحافة.	46	2,05	0,78	% 68,33	36
34	تدني احترام أجهزة الأمن لحقوق الإنسان.	46	2,10	0,77	% 70,00	35
35	اعتقاد البعض أن أمن الوطن مسؤولية رجال الأمن فقط.	46	2,77	0,95	% 92,33	17
36	توفير الاحتياجات الأساسية للأسر المحتاجة.	46	2,80	0,51	% 93,33	14
37	الاستقرار والإحساس بالأمان.	46	2,67	0,61	% 89,00	29
38	مكافحة الفساد بشتى صوره.	46	2,85	0,42	% 95,00	07
39	تمتع المواطن بحقوقه مقابل الواجبات المطلوبة منه.	46	2,72	0,64	% 90,66	22
40	معالجة مشكلة التعصب بكافة أشكاله.	46	2,85	0,36	% 95,00	07
41	تهيئة الظروف الملائمة لتحقيق تكافؤ الفرص أمام الجميع عند التوظيف وتقلد المناصب.	46	2,75	0,63	% 91,66	20
42	إظهار القدوة الصالحة.	46	2,85	0,48	% 95,00	07
43	تنمية الوعي بالعمق الاستراتيجي والديني للوطن إقليميا وعربياً وإسلامياً وعالمياً.	46	2,85	0,42	% 95,00	07
44	التأصيل الشرعي لمسألة المواطنة وحب الوطن في الخطاب الدعوي والتربوي.	46	2,82	0,50	% 94,00	12
45	تقليص إجراءات الأجهزة الأمنية الروتينية عند التعامل مع المواطن.	46	2,52	0,67	% 84,00	32
46	الاحتفاء الهادف بالمناسبات الوطنية.	46	2,72	0,55	% 90,66	22
الدرجة الكلية للاستبيان		1840	2,50	0,18	% 83,33	

يشير الجدول رقم (04) إلى أن الدرجة الكلية لمستوى آراء أفراد العينة في درجة ممارسة قيم المواطنة في ولاية المسيلة، قد بلغت (2,50) بنسبة مئوية مقدارها (83,33 %)، وهي تمثل درجة ممارسة عالية جدًا.

النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ 0,05) **بين المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية.** لإيجاد العلاقة بين المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية اسْتُخْدِم معامل الارتباط لبيرسون ونتائج الجدول الآتي تبين ذلك.

جدول رقم (05): نتائج معامل الارتباط بيرسون للعلاقة بين المواطنة والاتجاه نحو ثورات الربيع العربي الحالية لدى الشباب.

درجة قيم المواطنة		درجة الاتجاه		(ر)	الدلالة
المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	0,322	0,05
2,50	0,18	2,23	0,63		

وبالنظر للجدول رقم (05) يلاحظ أن معامل الارتباط بين المتغيرين يساوي (**0,322**)، وهو دال إحصائيا، وبما أن طبيعة هذا الفرض تعتمد على توضيح مدى العلاقة بين اتجاهات عينة الدراسة لثورات الربيع العربي الحالية ودرجة ممارستهم لقيم المواطنة، فما بينته النتيجة السابقة هو وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين (علاقة ضعيفة)، فإن هذا يقود إلى رفض

الفرض الصفري وقبول الفرض البديل وهو وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرين المدروسين، وهذا ما توقعه الباحثان.

النتائج المتعلقة بالفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq$ 0,05) **بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الجنس.**

للتحقق من هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار (T - Test) والجدول الأتي يوضح ذلك:

جدول رقم (06): المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) للاستبيان تعزى لمتغير الجنس.

الاستبيان	الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ف	قيمة الدلالة	قيمة (ت)	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	ذكر	26	2,529	0,20	0,288	0,595	0,977	0,335	0,05
	أنثى	14	2,466	0,14					

يتضح من الجدول السابق أن هناك فرقاً في درجة ممارسة قيم المواطنة بين الإناث والذكور لصالح الذكور حيث بلغ متوسط درجة ممارسة قيم المواطنة للذكور (**2,529**)، مقابل (**466,2**) للإناث، أي بفرق يبلغ (**0,063**) لصالح الذكور. إلا أن هذا الفرق كما يتضح من اختبار (ت) (ضئيل جدا) أي غير دال إحصائياً حيث بلغت قيمة (ت) = (**0,977**) بمستوى دلالة إحصائية (**0,335**). وعليه فإن هذه النتيجة تدعم فرضية الدراسة.

النتائج المتعلقة بالفرضية الخامسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq$ 0,05) **بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير العمر.**

للتحقق من هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، والجدول الأتي يوضح ذلك:

جدول رقم (07): مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة (ف) ومستوى الدلالة تعزى لمتغير العمر.

الاستبيان	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	بين المجموعات	0,16	2	0,08	2,695	0,081	0,05
	داخل المجموعات	1,14	37	0,03			
	المجموع	1,30	39				

يتضح من الجدول رقم (07) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير العمر على درجة ممارسة قيم المواطنة حيث كانت قيمة (ف) = (**2,695**) وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى (α = 0,05) وقد يعزى ذلك أن قيم المواطنة ليست مقصورة على فئة عمرية محددة،و من ثم فالنتيجة تدعم فرضية الدراسة.

النتائج المتعلقة بالفرضية السادسة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ 0,05) **بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير المؤهل العلمي،** للتحقق من هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار (T - Test) والجدول الأتي يوضح ذلك:

جدول رقم (08): المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) للاستبيانتعزى لمتغير المؤهل العلمي.

الاستبيان	المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ف	قيمة الدلالة	قيمة (ت)	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	بكالوريا فما دون	10	2,51	0,13	0,377	0,543	0,182	0,857	0,05
	أولى جامعي فما فوق	30	2,50	0,19					

يتضح من جدول (08) أن هناك فرقاً في درجة ممارسة قيم المواطنة بين عينة الدراسة ذوي مستوى البكالوريا فما دون وذوي مستوى الأولى جامعي فما فوق لصالح ذوي مستوى البكالوريا فما دون، حيث بلغ متوسط درجة ممارسة قيم المواطنة لذوي مستوى البكالوريا فما دون (2,51)، مقابل (2,50) لذوي الأولى جامعي فما فوق، أي بفرق يبلغ (0,01) لصالح ذوي مستوى البكالوريا فما دون. إلا أن هذا الفرق كما يتضح من اختبار (ت) غير دال إحصائياً حيث بلغت قيمة (ت) = (0,182) بمستوى دلالة إحصائية (0,857). وعليه فإن هذه النتيجة تدعم فرضية الدراسة إلى حد كبير.

النتائج المتعلقة بالفرضية السابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq$ 0,05) **بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة المهنية.** للتحقق من هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار تحليل التباين الأحادي (One Way Anova)، والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (09): مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة (ف) ومستوى الدلالة تعزى لمتغير الحالة المهنية.

الاستبيان	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	بين المجموعات	0,137	02	0,069	2,171	0,128	0,05
	داخل المجموعات	1,171	37	0,032			
	المجموع	1,308	39				

يتضح من الجدول رقم (09) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الحالة المهنية على درجة ممارسة قيم المواطنة حيث كانت قيمة (ف) = (**2,171**) وهي قيمة غير دالة إحصائيا عند مستوى ($\alpha = 0,05$) وقد يعزى ذلك إلى أن قيم المواطنة ليست مقصورة على وضعية الفرد المهنية.

النتائج المتعلقة بالفرضية الثامنة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة($\alpha \leq 0,05$) بين متوسطات تقديرات الشباب لدرجة ممارستهم لقيم المواطنة تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية، للتحقق من هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار (T - Test)، والجدول الأتي يوضح ذلك:

جدول رقم (10): المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) للاستبيان تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

الاستبيان	الحالة العائلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ف	قيمة الدلالة	قيمة (ت)	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
الدرجة الكلية	أعزب	26	2,52	0,184	0,606	0,441	1,058	0,297	0,05
	متزوج	14	2,46	0,180					

يتضح من الجدول (10) أن هناك فرقاً في درجة ممارسة قيم المواطنة بين عينة الدراسة العازبين والمتزوجين لصالح العازبين، حيث بلغ متوسط درجة ممارسة قيم المواطنة للعازبين (2,52)، مقابل (2,46) للمتزوجين، أي بفرق يبلغ (0,06) لصالح العازبين، إلا أن هذا الفرق كما يتضح من اختبار (ت) غير دال إحصائياً حيث بلغت قيمة (ت) = (1,058) بمستوى دلالة إحصائية (0,297)، وعليه فإن هذه النتيجة تدعم فرضية الدراسة.

مقترحات الدراسة: في ضوء النتائج السابقة يمكن تقديم المقترحات التالية:

- ضرورة تفعيل دور مؤسسات الدولة العليا ومؤسسات المجتمع المدني.
- ترسيخ مبادئ الديمقراطية في تسيير الشأن العام.
- الاعتزاز بالهوية الوطنية والعربية والإسلامية.
- احترام الحريات الأساسية والفردية.
- الاهتمام بالتربية والتعليم والاعتماد على الاستشراف لغاية بناء حضارة متكاملة.

خلاصة:

لا بد من تعزيز ثقافة المواطنة، من خلال ما تقرره النصوص القرآنية من دلالات تعبر عن البعد التعبدي للتعلق بالوطن والدعاء له ومحبته، مع ضرورة الاستغلال الإيجابي للتعددية والفسيفسائية الموجودة في المجتمع بتهذيبها، واستثمار تنوُّعها، من خلال تحقيق خلق الانسجام المتوائم، هذا بالإضافة إلى الاستفادة من التجربة العتيدة الممتدة لأمة الإسلام في معالجة مفهوم المواطنة، ولا بد من دعم عملية التنمية الحيوية المثمرة، التي تعززها المصداقية والشفافية، من خلال تطويرها وَفق متطلبات العصر في ظل تسارُع المدنية والحداثة، وما يفرضه شكل الدولة المعاصر من قوانين وتشريعات.

قائمة المراجع:

1. أحمد، أحمد يوسف(2011، أكتوبر 17). عثرات الربيع العربي. محاولة للفهم. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2015/04/16، على الرابط http://ahmed youssef.com/ArticlesDétails.aspx ? ArticleID=61
2. أحمد، سهير كامل(1999). التوجيه والإرشاد النفسي. ط 1. مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.
3. الأسود، شعبان الطاهر(2003). علم الاجتماع السياسي قضايا العنف السياسي والثورة. مصر: الدار المصرية اللبنانية.
4. بدوي، أحمد زكي(1982). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. لبنان: مكتبة لبنان.
5. بودبوس، رجب(2011). محاضرات في علم الثورة. مصر: المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر.
6. تاج الدين، أحمد سعيد(2011). ثورة 25 يناير ثورة شعب. مصر: الهيئة العامة للاستعلامات.
7. جابر، جابر عبد الحميد؛ وكاظم، أحمد خيري(1978). مناهج البحث في التربية وعلم النفس. مصر: عالم الكتب.
8. الحارثي، زايد بن عجير(1992). بناء الاستفتاءات وقياس الاتجاهات. ط1. المملكة العربية السعودية: دار الفنون للطباعة والنشر.
9. حسيب، خير الدين(2011). حول الربيع الديمقراطي العربي الدروس المستفادة. مجلة المستقبل العربي، (386)، 07 – 15.
10. خلف، الشيخ محمد(1999). المواطنة الصالحة. ط1. المملكة العربية السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.
11. خليفة، عبد اللطيف محمد(1986). سيكولوجية الاتجاهات. مصر: دار غريب للطباعة والنشر.
12. دار المشرق(2003). المنجد في اللغة والأعلام. ط40. لبنان: المؤلف.
13. درويش، زين العابدين(1993). علم النفس الاجتماعي. ط 1. مصر: مطابع زمزم.
14. راشد، سامح(2011). حصاد الربيع العربي في عامه الأول. مجلة شؤون عربية، (148)، 16 - 26.
15. زيدان، محمد مصطفى(1986). علم النفس الاجتماعي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
16. السكران، جابر(2000). الثورة، تعريفها، مفهومها، نظرياتها، جريده الجريدة. تم الاطلاع عليه بتاريخ: 2015/04/16، على الرابط http://ahmed youssef.com/ArticlesDétails.aspx ? ArticleID=613
17. شخمان، محمد(2010). مفهوم المواطنة. ع4. الكويت: مكتب التوجيه المجتمعي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
18. شفيق، محمد(دس). مقدمة في السلوك الإنساني ومهارات القيادة والتعامل. مصر: دار النشر للكتاب.
19. طاهر، أحمد؛ والسعودي، أحمد(2011). الثورات الشعبية. الطريق الثالث للتغيير التجربة المصرية نموذجًا. مصر: الربيع للمطبوعات التجارية.
20. عبد الرحمن، سعد(1983). السلوك الإنساني. ط3. مصر: مكتبة الفلاح.
21. عز الدين، ناهد(2012). خريطة محدودة ثبات الفاعلين وتغير الأدوار بعد ثورات الربيع العربي، مجلة السياسة الدولية، (188).
22. علوي، مصطفى(2011). كيف يتعامل العالم مع ثورات الربيع العربي، مجلة السياسة الدولية، (184).
23. عويضة، كامل محمد محمد(1996). علم النفس بين الشخصية والفكر. ط 1. لبنان: دار الكتب العلمية.
24. العيسوي، عبد الرحمن(1973). علم النفس بين النظرية والتطبيق. مصر: دار الكتاب الجامعية.
25. كاظم، ثائر رحيم(2009). العولمة والمواطنة والهوية. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، 8 (01)، 253 – 272.

26.مسني، محمود عبد الحميد وآخرون(2002). المدخل إلى علم النفس التربوي. مصر: مركز الإسكندرية للكتاب.
27.نشواتي، عبد الحميد(1991). علم النفس التربوي. الأردن: دار الفرقان للنشر والتوزيع.
28.نشواتي، عبد الحميد(1998). علم النفس التربوي. ط 9. لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
29.همشري، عمر أحمد. (2003). التنشئة الاجتماعية للطفل. ط 1, الأردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.
30.وحيد، أحمد عبد اللطيف. (2001). علم النفس الاجتماع. الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

31.Michael G. Roskin; & Robert L. Cord; & James A. Medeiros; & Walter S. Jones(2008). Political Science An Introduction. New Jeresy: Pearson Education . Inc.
32.Miller,David; & Coleman, Janet; & Connolly, William, & Ryan, Alan(1995). The Blackwell Encyclopaedia of Political Thought. Blackwell.
33.Encyclopaedia Britannica Inc(1992). The New Encyclopaedia. Britannica, University of Chicago volume 20. Knowledge in Depth. 15 th ed.

تمثلات الطالب الجامعي لطرق تدريس الأساتذة: طلبة علم اجتماع التنظيمات نموذجا

Student representation of teaching methods of teachers: Students of organizational sociology

د. بن هامل جميلة، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان-الجزائر

ملخص: لقد مرت الجامعة الجزائرية بمراحل مختلفة، تبعا للتحولات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي حدثت، مما انعكس على التدريس والبحث العلمي سواءً من الناحية الكمية أو الكيفية، ما يجعلنا نتحدث عن حقيقة هذا الانعكاس، وعن طرق التدريس وطبيعة المعلومات التي يقدمها الأساتذة، وهل هي قادرة على تكوين إطارات كفؤة؟

فمن جهة عرفت برامج التدريس استاتيكية أمام التحولات التي عرفتها الجامعة، ومن جهة أخرى بقيت طرق التدريس تفتقر للفعالية، ما جعل منظومة التعليم الجامعي تعرف مفارقة بين ما يُدرّس وكيف يُدرّس، ومدى ارتباط ذلك بالواقع.

الكلمات المفتاحية: الجامعة، التدريس، البحث العلمي، الأستاذ، الطالب.

Abstract: The University of Algeria has gone through different stages depending on the changes and the economic, social and technological changes that have occurred in the teaching and scientific research, both quantitatively or how we are talking about the reality of this reflection and the methods of teaching and the nature of the information provided by the professors and are able to form efficient tires.

On the one hand, the teaching programs were static in the face transformations experienced by the university. On the other hand, teaching methods remained ineffective, which made the university education system a paradox between what is taught and how it is taught and how relevant it is to reality.

Key words: the University, Teaching, Research, the professor, the student.

مقدمة:

تعتبر الجامعة أساس خدمة المجتمع، فالعلاقة بينهما هي علاقة تبادلية، وقد أخذت هذه الأخيرة أشكالا متعددة في ضوء التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري، ذلك أن مهمة الجامعة الأساسية هي تطوير المعرفة وخدمة المجتمع ومتطلباته، من خلال الوظائف المختلفة التي تقدمها من تعليم ونشر المعارف والبحوث وتنميتها ونشر القيم المجتمعية، وإعداد كوادر عالية قادرة على تلبية المتطلبات والاحتياجات، والتي تعتبر محركا أساسيا وفعالا للتنمية، وبالتالي يمكن القول أن التعليم الجامعي هو الوسيلة الأساسية لنقل التراث بين الأجيال والحفاظ عليه، وبالمقابل يعتبر الأستاذ الجامعي الركيزة الأساسية لأداء هذه المهمة، التي تتطلب وعيا مهنيا وأخلاقيا في نفس الوقت.

لقد مرت الجامعة الجزائرية بمراحل مختلفة تبعا للتحولات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي حدثت، فالجامعة لا تؤدي وظائفها بمعزل عن البيئة الاجتماعية، إذ عرفت تقلبات عديدة وجملة من الإصلاحات انعكست على التدريس والبحث العلمي، فقد عرفت فترة إصلاحات، والتي تضمنت الديموقراطية والتعريب والجزأرة والتوجه العلمي والتكنولوجي، يليها الثورة المعلوماتية والتكنولوجية، كل هذا انعكس على التعليم من الناحية الكمية والكيفية، حيث ازداد عدد الطلبة وازداد تبعا لذلك عدد الجامعات والمعاهد والمدارس العليا، ما يجعلنا نتساءل عن حقيقة الانعكاس الكيفي.

ففيما يخص الجزأرة فقد شملت تدخل الدولة على نطاق واسع في برامج التعليم ومقرراته، وجزأرة الإطارات لشغل الوظائف الشاغرة للأجانب، ثم تعريب العلوم بحجة استعادة اللغة العربية لمكانتها، وتثمين التوجه العلمي والتكنولوجي على حساب التوجه الاجتماعي باعتباره أساس التنمية الاقتصادية والاجتماعية بعد فشل التجربة التنموية.

يعتبر الطالب الجامعي أحد أهم أطراف العملية التعليمية، فهو الإطار المستقبلي الذي يُعول عليه في خدمة وتلبية احتياجات ومتطلبات المجتمع، وذلك من خلال تكوين جيد، سواءً من ناحية المضمون، أو من ناحية المكونين؛ طرق التدريس ومهارة وكفاءة الأستاذ، فمخرجات الجامعة مرتبطة أكثر بالدور الذي يقوم به المكونين، ما يجعلنا نتساءل عن طبيعة هذا الأخير في هذا الإطار.

مشكلة الدراسة:

يرتبط البحث بالتدريس، إذ تعرف هذه العلاقة إشكالية مفادها أنه هناك من يفضل البحث على التدريس، وهناك من يفضل التدريس على البحث، أي الفصل بينهما، في حين هناك من يجمع بينهما بتقديم الأول على الثاني أو العكس، وهذا كله له تأثير على الطالب بالدرجة الأولى، سواءً من حيث طرق التدريس أو المعلومات المقدمة، فالأستاذ الجامعي هو محور العملية التعليمية، وهو يمثل قدوة للطالب، ومن بين ما ينبغي أن يتوفر في الأستاذ الجامعي المهارة والذكاء والحنكة والفطنة والابداع، والقدرة على التكيف مع مستجدات الحياة، بما في ذلك تعديل البرامج إذا استدعى الأمر لذلك، تحديث طرق التدريس، تقديم معلومات حديثة.

واستنادا لما سبق يمكن التأكيد على العلاقة بين مخرجات الجامعة وطبيعة التكوين والمكونين من جهة، ومن جهة ثانية ارتباط التعليم الجامعي بأنظمة تعليمية غربية، ما يحيلنا إلى طرح التساؤلات التالية: هل ترتبط المواد المدرسة بالتخصص بما يسمح بذلك للطلبة من إمكانية الفهم والتطبيق؟ هل البرامج المتبعة في التدريس ترتبط بهدف معين؟ وهل هي محل تساؤل ونقاش وتجديد؟

هل الطريقة المعتمدة في التدريس فعالة وترتبط بأهداف معينة؟ وهل هناك تقويم للكفاءات في الجامعة الجزائرية؟

إذن ما هي طبيعة تمثلات الطلبة لطرق تدريس الأستاذة؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى محاولة معرفة مدى رضا الطلبة عما يُقدم لهم، والطرق التي يتم بها تقديم المعرفة من جهة، ومن جهة أخرى معرفة مدى استعداد الأساتذة نحو القيام بواجبهم المهني، في الوقت الذي نلاحظ فيه طغيان الجانب الكمي على الكيفي، واختلال المنظومة الجامعية في ظل نظام تكويني لقي انتقادات كثيرة.

فرضيات الدراسة:

- ارتباط تمثلات الطلبة بطرق تدريس الأساتذة.
- ارتباط تمثلات الطلبة بطبيعة المعلومات التي يقدمها الأساتذة.

تحديد مصطلحات الدراسة:

التمثلات: هي مجموعة من الأفكار والآراء والتصورات المرتبطة بالقيم والمعايير والعادات والتقاليد والممارسات والسلوكات وغيرها.

الطالب الجامعي: هو أحد أفراد العملية التعليمية في الجامعة، يسعى إلى طلب العلم والمعرفة.

الأستاذ الجامعي: هو كل متحصل على شهادة عليا في الجامعة ماجستير أو دكتوراه، يمارس بموجبها مهام التدريس والبحث العلمي خدمة للطلبة والجامعة والمجتمع ككل.

الجامعة: تعتبر الجامعة مؤسسة علمية ذات هيكل تنظيمي تُناط بمهام التدريس والبحث العلمي، وخدمة المجتمع وإعداد كوادر بشرية من مختلف التخصصات، فالمهمة الأساسية للجامعة هي وضع جميع إمكاناتها البشرية والمادية في خدمة المجتمع.

التدريس: يعتبر التدريس من بين أهم الوظائف الرئيسية للجامعة، إذ بموجبه يتم إعداد كوادر بشرية مؤهلة، وتكوين مواهب وشخصيات.

الدراسات السابقة:

دراسة واقع علم الاجتماع في الجزائر حالة جامعة عنابة، انطلقت الدراسة التي قام بها عبد الحميد ومنصوري فؤاد سنة 2004 من تساؤل مفاده معرفة مكانة وواقع علم الاجتماع، من خلال التطرق إلى الإنتاج والتكوين لمساءلة طلبة علم الاجتماع بجامعة عنابة، وقد تطرقت الدراسة إلى العناصر التالية: أهمية علم الاجتماع كتخصص، وظيفة عالم الاجتماع في المجتمع الجزائري، طرق التدريس، البرامج، علم الاجتماع وسوق العمل، وقد شمل التحقيق الميداني مئة طالب كعينة عشوائية متوزعة على السنوات الأربع، وتوصلت النتائج فيما يخص العنصر الخاص بطرق

تدريس الأساتذة إلى ما يلي: انقسام آراء الطلبة إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى لديها اتجاه ايجابي نحو طرق تدريس الأساتذة بنسبة 29%، والفئة الثانية لديها اتجاه مقبول نحو طرق تدريس الأساتذة بنسبة 34 %، والفئة الثالثة لديها اتجاه سلبي نحو طرق تدريس الأساتذة بنسبة 37%، وقد ربطا الباحثين هذه النسبة الأخيرة بإشكالية تكوين ورسكلة الأساتذة فيما يخص الطرق والوسائل البيداغوجية الحديثة.

دراسة تدريس سوسيولوجيا العمل في البحث عن المعنى التي قامت بها أمينة قادري مساعد، سنة 2002، هدفت الدراسة التي قامت بها هذه الأخيرة إلى مساءلة تدريس علم الاجتماع العمل في الجزائر، وخلصت فيها إلى أن السوسيولوجيا عاشت في حضن الدولة مما أثر على مضامين التعليم، وربطت التدريس بفترتين مهمتين، فترة السبعينات فترة إصلاح التعليم الجامعي، الفترة التي طبعت بالخطاب الاشتراكي الشعبوي أين كانت النزعة الماركسية هي المهيمنة، ثم فترة الثمانينات إلى غاية اليوم والتي شهدت تزايد عدد الحاصلين على البكالوريا من سنة لأخرى، ضعف أو تراجع المستوى العلمي والثقافي للتدريس مما أدى تدريجيا إلى الافتقار على المستوى الكيفي، وبالمقابل بينت أن البرامج كانت دائما تابعة ومصاحبة للمشاريع السياسية للدولة مثل الثورة الزراعية، الصناعية والثقافية، وبالتالي التدريس في علم الاجتماع لم يكن له هدف بيداغوجي أو مهني واضح ومحدد.

دراسة التكوين والبحث السوسيولوجي في الجزائر التي قام بها خالد محمد، انطلق خالد محمد من تساؤل مفاده: ألا يمكن للفرد أن يتناول تجربته الذاتية انطلاقا من التكوين الذي تلقاه مرورا إلى الممارسة التي يقوم بها حاضرا؟ وقد بين الباحث أن التكوين الذي كان يقدم كان في خدمة الاتجاه السياسي والايديولوجي، إلا أنه يمكن التغلب على هذه الوضعية بإعادة النظر في برامج التكوين بوضعها محل المناقشة والتساؤل عما إذا كانت تمكن من تكوين باحثين بالمستوى العلمي المطلوب، أما نوعية ومضمون التكوين الخاص بالدراسات السوسيولوجية فهو في معظمه أجنبي المصدر.

لقد ارتبط تدريس علم الاجتماع العمل والتنظيم في الجزائر بمختلف التغيرات والتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري، خاصة فترة ربطه بالمشروع التنموي، إذ يمكن الحديث في هذا السياق عن ثلاث مراحل أساسية:

مرحلة ما بعد الاستقلال: أهم ما يمكن قوله في هذه المرحلة سعي علماء الاجتماع إلى التوفيق بين الرصيد السوسيولوجي الموروث من جهة، ومن جهة ثانية مشروع الدولة الوطنية الذي سعت إليه الجزائر، إلا أن التوجه الفرانكفوني بقي مسيطرا في الجامعة الجزائرية حتى أواخر السبعينات.

المرحلة الثانية. من السبعينات إلى منتصف الثمانينات: وهي المرحلة الهامة من عمر علم الاجتماع، إذ حدثت القطيعة مع الإرث الكولونيالي، ويتجلى ذلك من خلال مشروع الدولة الجزائرية الذي تبنته الجزائر، هذا المشروع أريد له أن يكون مشروعا تحديثيا، ومهمة موكلة لعلماء الاجتماع، كما عرفت هذه المرحلة بداية إصلاح التعليم العالي سنة 1971 وعلم الاجتماع

خاصة، جزأرة التعليم والشروع في التعريب وتغيير النظم البيداغوجية وتكوين الإطارات استجابة لمتطلبات التنمية.

المرحلة الثالثة ما بعد الثمانينات إلى غاية اليوم: المرحلة التي انعطف فيها مسار السوسيولوجيا، وأصبح علما منبوذا وغير مرغوب فيه، وأصبح الاتجاه نحو العلوم الطبيعية والتقنية باعتبارها أساس تنمية الاقتصاد الوطني على حساب العلوم الأخرى، كما أثرت ظواهر العنف والإرهاب وأحداث أكتوبر 1988على التدريس والبحث السوسيولوجي، ما دفعنا إلى المساءلة عن طرق التدريس ومحتواه وتوجهاته.

المنهج المستخدم: تمثل المناهج الخلفية النظرية لتحليل وتفسير مختلف مواضيع العلوم الاجتماعية، إذ هناك علاقة بين المنهج والموضوع، حيث أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج المستخدم، فالمناهج العلمية تختلف باختلاف مواضيع وإشكاليات البحث، فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع المعطيات أولا ثم تحليلها وتفسيرها، "جمع الحقائق والمعلومات ومقارنتها وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات مقبولة"(جيدير مانيو، دس، ص101)، وهذا ما ينطبق على جميع الدراسات دون استثناء، وعلم الاجتماع خاصة، فالتحليل خاصية علم الاجتماع، أي تقديم المعرفة على شكل وصف، ثم تحليل مضمونها وتفسيره.

عينة البحث: اعتمدت الدراسة على جميع طلبة علم الاجتماع ماستر 01 وماستر02 تخصص علم اجتماع التنظيمات والعمل، ليبلغ حجم العينة 43 مفردة.

الجدول رقم 01 توزيع أفراد العينة حسب الجنس

	التكرارات	%
ذكر	22	50,0
أنثى	22	50,0
المجموع	44	100,0

يبين الجدول تساوي نسب الذكور مع نسب الإناث ب 50%.

الجدول رقم 02 توزيع أفراد العينة حسب السن.

	التكرارات	%
ما بين 20 و 30سنة	11	25,0
أكثر من 30 سنة	33	75,0
المجموع	44	100,0

يبين الجدول أن سن أفراد العينة أكثر من ثلاثين سنة بلغ أعلى نسبة ب 75%، تليه النسبة الثانية والذين تتراوح أعمارهم ما بين عشرين وثلاثين سنة بنسبة 25%.

الجدول رقم 03 سن الطلبة حسب الجنس.

			العمر	
			ما بين 20 و30 سنة	أكثر من 30 سنة
جنس الطلبة		ذكر	81,8	39,4
		أنثى	18,2	60,6
		المجموع	100,0	100,0

يبين الجدول أن أعلى نسبة من الإناث ب 60.60% فاق الثلاثين سنة، و18.20% ما بين عشرين وثلاثين سنة، في حين بلغت أعلى نسبة لدى الذكور 81.80% ما بين عشرين وثلاثين سنة، و39.40% أكثر من ثلاثين سنة.

حدود الدراسة: ارتبط المجال المكاني للدراسة بجامعتي تلمسان ووهران بالغرب الجزائري، وقد كان اختيارنا لهاتين الجامعتين باعتبارهما الوحيدتين اللتين يوجد بهما هذا التخصص، أما فيما يخص المجال الزمني فقد امتدت الدراسة ما بين 2014 و 2017، بين الاستطلاع، وجمع المادة العلمية، وبناء الموضوع، وغيرها من مراحل البحث العلمي.

أدوات الدراسة:

اعتمدنا في هذا الدراسة على تقنية الاستمارة، وذلك حتى نتمكن من جميع الطلبة، وقمنا بعرضها على بعض الأساتذة لأجل التحكيم، وقد تضمنت أسئلة مغلقة في أغلبها وأخرى مفتوحة، كما اعتمدنا في عملية بناء هذه الأخيرة وصياغة الأسئلة على كل من الدراسة الاستطلاعية التي قمنا بها ميدانيا في بداية الأمر، إضافة إلى الدراسات السابقة في هذا المجال، وقمنا بتقسيم أسئلة الاستمارة إلى ثلاثة محاور، محور خاص بالبيانات الشخصية لعينة البحث، محور مرتبط بطرق التدريس، ومحور مرتبط بطبيعة المعلومات المقدمة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة: في ما يخص تقنيات التحليل فقد استعنا في معالجة البيانات بالبرنامج الإحصائي Statistical Package for the Social Sciences SPSS من خلال جداول بسيطة، ويستخدم هذا البرنامج لتحليل المعلومات الإحصائية في علم الاجتماع.

تحليل النتائج:

الفرضية الأولى: ارتباط تمثلات الطلبة بطرق تدريس الأساتذة.

لقد اختلفت أجوبة أفراد العينة بناءً على فرضيتي البحث فيما يخص طرق التدريس وطبيعة المعلومات المقدمة، ذلك ما تبينه الجداول الآتية، فبالنسبة للفرضية الأولى فقد بين الجدول التالي ما يلي:

يوضح الجدول طرق تدريس الأساتذة حسب العينة.

	التكرارات	%
جيدة	7	15,9
متوسطة	19	43,2
متوسطة جدا	10	22,7
آخر	8	18,2
المجموع	44	100,0

فقد أفادت العينة في هذا الجدول أن طرق تدريس الأساتذة "متوسطة" بنسبة 43.20%، تليها نسبة 22.70% "متوسطة جدا"، بينما تقاربت النسب ما بين 15 و18.20% "جيدة" و"آخر"، وفي هذا الإطار نجد أن الطلبة غير راضين وغير مقتنعين بطرق تدريس الأساتذة، فمن جانب الأساتذة "يوجد بعض الأساتذة غير متمكنين في طريقة التدريس وإيصال المعلومات للطالب".

ذكر، 24 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وفلسفة، ماستر 01، تلمسان.

"البعض منهم يلقون المحاضرات كأنها حصة مطالعة، والبعض الأخر غير مبال بإيصالها للطلبة".

ذكر، 33 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وعلوم إنسانية، ماستر 02، جامعة تلمسان.
ما أهمية ذكر العينة هنا يرجى التوضيح.

وفي هذا الصدد نجد أحمد موسى بدوي يقول "أما بالنسبة إلى وضع المحاضرة راهنا، فلأن معظم هذا الجيل صار عضوا في هيئة التدريس عبر مرحلة التهاون في منح الدرجات العلمية، فإنه لا يحمل من المهارات ما يسوّغ له تقديم شيء جديد في المحاضرة، بل أن المحاضرة تظهر العيوب والمشكلات المعرفية لدى عضو هيئة التدريس"(أحمد بدوي، 2014، ص104)، "وبذلك فإن التعليم الجامعي يحدد فاعليته انطلاقا من مهارة الأستاذ الجامعي وقدرته على تهيئة المناخ التدريسي للتعلم، وتنمية الإثارة العقلية لدى طلابه، والتواصل الإيجابي فيما بينه وبينهم"(العرباوي عمر، 2010، ص59)، إذن تختلف طرق التدريس باختلاف الأساتذة وباختلاف المقاييس، فلكل طريقة تدريسه الخاصة ومنهجيته الخاصة، سواءً كان محاضرا أو مطبقا، هذا ما جعل إحدى الطلبة يقول "أغلبيتها غير بيداغوجية لا تحتكم إلى منهج متفق عليه".
ذكر، 48 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وفلسفة، ماستر02، جامعة تلمسان، ما أهمية ذكر العينة هنا يرجى التوضيح

وفي قول آخر "لكي تحصل على نتيجة جيدة عليك أن تعيد لهذا الأستاذ بضاعته، وتسبح للآخر في فلك ماركس ولينين وللأخر دوركايم وفيبر وكونت والمدرسة الألمانية والمدرسة الفرنسية واحذر أن تتعرض لهم بالنقد لئلا تجد نفسك زمرة المغضوب عليهم"(العرباوي عمر، 2010، ص59)، في حين اعتبرت بعض الحالات أن طرق التدريس قديمة وغير فعالة، تعتمد على الإملاء مع شرح قليل، وهذا يعتمد على خبرة وكفاءة الأساتذة، فإذا ما أخذنا عامل الخبرة نجد أن غالبية الأساتذة ذوو خبرة، لكن الخبرة لوحدها لا تكفي، إذن يبقى المشكل مشكل كفاءة ومشكل تكوين "نوعية التكوين لا تؤخذ بعين الاعتبار، أغلب الأساتذة لا يبدون الجدية في التكوين، بالإضافة إلى التهاون في الحضور وعدم إتمام المحاضرات".
ذكر، 25 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وفلسفة، ماستر01، جامعة وهران. ما أهمية ذكر العينة هنا يرجى التوضيح

إن طريقة تدريس الأساتذة الجيدة وفسح المجال للطالب، هي التي تشجعه على الإبداع وإبراز قدراته "بعض الأساتذة يشجعونك على التقدم في الدراسة وفيه نوع آخر يحطم معنوياتك"، وفي هذا الإطار نجد الأستاذ طيبي غماري يقول "انعكست وضعية التضخم في تعدادات الطلبة على مستوى التكوين والمكونين، فكانت النتيجة تطعيم الجسم الأستاذي بمختلف الأشكال والأصناف والأنواع من الأساتذة والمكونين، المعضلة مع الجسم الأستاذي الجامعي هو انعدام تكوين المكونين والرقابة والتقييم، وهذا يعني أن الشاب عندما يصل إلى الجامعة ويصبح أستاذ لا يملك أمامه إلا نماذج الأساتذة الذين سبق وتعامل معهم، ومن هنا يبدأ الارتجال، البريكولاج، إلى أساتذة يمكن أن يفعلوا أي شيء إلا التدريس والبحث العلمي، إلى آخرين يمكن أن يتغيب عن الدرس إذا انقطعت الانترنت مدة طويلة من الزمن، وأساتذة لا يتورعون عن الإملاء من الكتب مباشرة، أو يقضون الدرس إذا حضروا في رواية مغامراتهم ومراحل حياتهم الشخصية، وهناك من اصفرت

أوراقه وهو لا يتذكر حتى آخر مرة حضر فيها درسه، وهناك من لا يعرف حتى معنى تحضير الدرس"(غماري طيبي، (2017)، الفاسبوك).

إن الحديث عن التكوين يجعلنا نتكلم عن نظامين مختلفين النظام القديم الكلاسيكي، والنظام الجديدLMD ليسانس، ماستر، دكتوراه، هذا الأخير الذي لقي انتقادا كبيرا، فكلما أُثيرت مسألة التكوين نجد تعقيبا ونقدا لهذا النظام، لقد حُمل هذا النظام المسؤولية عن الوضعية الحالية للتكوين والجامعة بصفة عامة، وفي هذا الإطار نجد الأستاذ طيبي غماري يقول "فعندما تكون المدرسة الجزائرية فاشلة بكل المقاييس وبشهادة كل الخبراء والمحللين، فلا نأتي لنلوم نظام LMD لأنه عجز في خمس سنوات عن تصحيح اعوجاج تسببت فيه مدرسة احتضنت هذا الطالب كتلميذ لمدة تفوق 12 سنة" (غماري طيبي، (2017)، الفاسبوك)، ليصبح التكوين ما قبل الجامعي هو الآخر محل تساؤل ونقد.

الفرضية الثانية: ارتباط تمثلات الطلبة بطبيعة المعلومات التي يقدمها الأساتذة.

أما فيما يخص هذه الفرضية، فقد بين الجدولين الآتيين ما يلي:

يوضح الجدول طبيعة المعلومات المقدمة من طرف الأساتذة.

	التكرارات	%
معلومات مرتبطة بالتخصص	16	36,4
معلومات سطحية	14	31,8
معلومات كلاسيكية ونظرية أكثر	14	31,8
المجموع	44	100,0

نلاحظ من خلال الجدول تقارب نسب الإجابات الخاصة بهذا التساؤل، حيث أفادت نسبة 36.40% بأن طبيعة المعلومات التي يقدمها الأساتذة هي "معلومات مرتبطة بالتخصص"، في حين تساوت النسب في باقي الفئتين 31.80% "معلومات سطحية"، و"معلومات كلاسيكية ونظرية أكثر".

إن طبيعة المعلومات التي يقدمها الأساتذة ترتبط بطرق تدريسها، ما يجعل هذا الجدول تتمة للجدول السابق، وبالتالي يمكن القول حسب النسب أن المعلومات مرتبطة بالتخصص، إلا أنها من جهة كلاسيكية ونظرية أكثر ترتبط بالرواد الكلاسيكيين وببرامج قديمة، مع تكرار بعض المقاييس كل سنة، ذلك ما لاحظناه في دراستنا لمحتوى البرامج، معلومات لا تتماشى مع الواقع المعاش ومستمدة من دراسات سابقة، "معرفة علمية تجاوزها الزمن بحكم ظهور نظريات حديثة".

ذكر، 48 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وفلسفة، ماستر02، جامعة تلمسان. ما أهمية ذكر العينة هنا يرجى التوضيح

ومن جهة ثانية تتسم هذه المعلومات بالسطحية، ما جعل أحد الطلبة يقول أن هذه المعلومات هي في شكل "ثقافة عامة".

ذكر، 27 سنة، تخصص الباكالوريا تسيير واقتصاد، ماستر02، جامعة تلمسان.

يمكن القول بناءً على هذه المعطيات أن الطلبة واعون بأهمية ارتباط هذا التخصص بالجانب الميداني وبالواقع المعاش في ظل التحولات المتسارعة التي يعيشها المجتمع الجزائري، فأزمة

هذا التخصص حسب الطلبة تكمن في التنظير، تخصص بعيد عما نعيشه، تخصص ببرامج قديمة تفتقر للتجديد والتحيين، وبطرق تدريس لا زالت قديمة تحد من تطوير المعارف، "عدم التجاوب مع استفسارات الطلبة بحجة ضيق الوقت".

ذكر، 25 سنة، تخصص الباكالوريا آداب وفلسفة، ماستر02، جامعة وهران.

فما نراه اليوم أن الأساتذة لا يفسحون للطلبة مجالا للمناقشة وكشف قدراتهم، باستثناء القلة، ذلك ما أكده كل من الأستاذ طيبي غماري " ويمكن لمن يريد التأكد أن يفتح للطلبة فضاء يتكلمون فيه بكل حرية بدون أن تلحقهم تبعات سلبية، وعندئذ ستكون المفاجئات كبيرة ومدوية"(غماري ط، (2017)، الفاسبوك)، وجمال غريد "الباحث أو المدرس يتجاوز ضعف الطلاب ليس بالتدريس وإنما بالتنظير من خلال تعليم الطلاب على التفكير والمساءلة" Benguerna (Mohammed,2006, p80). فمكانة الأستاذ الجامعي ومواصفاته تنطلق من الدور الذي يقوم به.

يوضح الجدول رأي العينة في برامج علم الاجتماع.

	التكرارات	%
مناسبة	18	40,9
نوعا ما	23	52,3
غير مناسبة	3	6,8
المجموع	44	100,0

أجابت أغلبية العينة 52.30% ب"نوعا ما"، أي عدم رضاها عن هذه البرامج، في حين أجابت نسبة 40.90% بأن برامج علم الاجتماع التنظيم والعمل "مناسبة"، بينما بلغت آخر نسبة ب 6.80% "غير مناسبة".

ويمكن القول أن عدم رضا العينة بهذه البرامج راجع لمحتواها: برامج قديمة، تعتمد أكثر على ما هو نظري لا ميداني واقعي، وبالتالي لا يبقى اللوم فقط على التدريس، حتى وإن كان الأستاذ يتحمل جزء من المسؤولية حول طبيعة البرامج، إذ بإمكانه المساءلة والنقد والتجديد كلما دعت الضرورة لذلك.

نتائج الدراسة: يمكن حصر بعض نتائج الدراسة فيما يلي:

-عدم رضا الطلبة عن محتوى البرامج التعليمية باعتبارها تتضمن معارف غربية وبعيدة عن الواقع.

-عدم رضا الطلبة عن طرق التدريس باعتبارها غير فعالة وغير مجدية أمام ما تعرفه الجامعة والمجتمع ككل من تغيرات.

-عدم رضا الطلبة عن الظروف المحيطة بالعملية التعليمية لاسيما تلك المتعلقة بالطالب كعدم فسح المجال له للمناقشة، والمتعلقة بالأستاذ كالفاءة.

-وعي الطالب بكل ما يحيط بالعملية التعليمية مما انعكس عل انطباعاتهم وتمثلاتهم في هذا المجال.

خاتمة:

يمكن القول من خلال هذه الدراسة، وبناءً على تمثلات الطلبة أن التدريس في الجامعة الجزائرية يتم بناءً على: برامج ذات طابع نظري تكراري، والمتمثلة أساسا في معارف غربية ورواد غربيين بعيدة عن الواقع وبعيدة عن التجديد والمساءلة، مما انعكس على التكوين وطبيعة التدريس والمعلومات المقدمة من طرف الأساتذة، ومخرجات الجامعة ككل، فما نجده نظريا يختلف عما هو واقعي، في ظل غياب التجديد والإبداع، وفقر البرامج البيداغوجية وضعف الكفاءات العلمية، إذ تختلف طرق التدريس فيما بين الأساتذة أنفسهم، ما يثبت أن التدريس يفتقر لخطة ولهدف معين وواضح، وبالتالي يمكن القول في هذا الإطار أن فاعلية التعليم الجامعي تتحدد من خلال برامج متجددة ومتكيفة مع الواقع، وتدريس يحتكم لخطة وهدف واضح، إضافة إلى كفاءة ومهارة المكونين، وتهيئة مختلف الظروف المحيطة بالعملية التعليمية سواءً بالنسبة للأستاذ أو الطالب.

وعليه يمكن القول أن اللوم لا يقع فقط على التدريس سواءً تعلق الأمر بمضمونه أو بطرق تدريسه، وإنما بالمنظومة الجامعية ككل، فقد ساهمت هذه الأخيرة في زيادة نسبة الطلبة من سنة لأخرى، انطلاقا من سياسة لكل ناجح مقعد في الجامعة، مما انعكس على العملية التعليمية ككل.

قائمة المراجع:

1. أحمد موسى بدوي(2014)، التكوين العلمي في العلوم الاجتماعية، حالة المشرق العربي، مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ط1، نوفمبر، لبنان.
2. جيدير مانيو(دس)، منهجية البحث، دليل الباحث المبتدئ في موضوعات البحث ورسائل الماجستير، تر ملكة أبيض.
3. خالد محمد(2000)، التكوين والبحث السوسيولوجي في الجزائر، الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، ع01، جامعة الجزائر، الجزائر.
4. طيبي غماري(2017)، في حديثه عن نقابة أساتذة التعليم العالي ونقدها لنظام ل م د والإطارات المسيرة للجامعة، في صفحته على الفاسبوك. من المفروض وضع تاريخ الإطلاع. فيما يخص التاريخ بالتحديد لا يوجد عندي.
5. عبد الحميد قرفي، فؤاد منصوري(2004)، واقع علم الاجتماع في الجزائر، دراسة حالة بجامعة عنابة، علم الاجتماع والمجتمع في الجزائر، دار القصبة للنشر، الجزائر.
6. عمر العرباوي(2010)، تعليمية العلوم الاجتماعية في فلسفة الإصلاحات الجديدة، قراءة للعلاقة البيداغوجية بين الأستاذ والطالب قسم علم الاجتماع نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع08، جامعة معسكر، معسكر، الجزائر.
7. مليكة جابر(2014/2013)، التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين ما بعد التدرج لفرص العمل بعد التخرج، دراسة ميدانية من طلبة ما بعد التدرج، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر.

8. Kadri Hasna Amina, 2004, L’enseignement de la sociologie du travail ; à la recherche d’un sens, sociologie et société en Algérie, éditions casbah, Alger.

9. Mohamed Benguerna(2006), sociologue et sociologie en Algérie L’épreuve du terrain, revue Kalim, entretien avec Djamel Guerid, Alger.

الواقع السوسيولساني للطلبة المغاربة من خلال تمثلاتهم للغات المُدَرَّسة

The sociolinguistic reality of Moroccan students through their representations of school languages

أ.جليلة مراوحي، باحثة في اللسانيات، جامعة ابن طفيل-المغرب

ملخص: يبدو أن مشكل اللغة من أكثر المشاكل تعقيدا والتي تطرح تحديا أمام الأنظمة التربوية؛ فغالبا ما يكون السؤالان: أي لغة نَدْرُس وبأي لغة نُدَرِّس؟ سؤالين عسيرين عن الإجابة وعن الحسم لتداخل السياسي فيهما بالتربوي. ولعل ذلك يدفعنا إلى الحديث عن السياسة اللغوية والتخطيط للغات في التربية، فما هي دلالة هذه المفاهيم؟ وكيف يتم التخطيط للغات في المغرب؟ وما هي النتائج المحصل عليها بهذا الخصوص؟

سنحاول معالجة الإشكالات السالفة عبر تقديم أرضية نظرية موجزة تؤطر المفاهيم المتداولة في العرض. بالرجوع إلى الوثائق الرسمية، سنعمل على تسليط الضوء على بعض الاختلالات التي تعرفها السياسة اللغوية المتبعة حاليا في المنظومة التربوية، لنختم العمل بمحاولة لتقييم نتائج هذه السياسة عبر تقديم نتائج بحث ميداني قمنا بإنجازه خلال الموسم الجامعي (2015/2014)، بغرض التحقق من فرضيات البحث.

إن طبيعة الأهداف التي نطمح بلوغها، تفرض علينا اعتماد المقاربة السوسيولسانية. لتجميع المعطيات، قمنا بتوزيع استمارات على (600) طالب ينتمون لمختلف الجامعات المغربية، وقد تمت المعالجة الآلية باعتماد برنامج (SPSS).

الكلمات المفتاحية: السياسة اللغوية، لغات المدرسة المغربية.

Abstract: It seems that the problem of language is one of the most complicated problems which pose a big challenge in the educational systems. The two frequent questions: Which language we study and which language we teach are very difficult to understand and to resolve because of the overlap between political and educational issues.

This leads us to speak about language policy and language planning in education. So what is the significance of these concepts and how languages are planned in Morocco? And what are the outcomes?

We will try to examine the problematic mentioned above by presenting a brief theoretical framework. With reference to the official documents, we will shed light on certain distortions that appear in the language policy dealt with in the educational system, and finally we will evaluate the outcomes of this policy based on the findings of an empirical research that we conducted during the university season: 2014 /2015.

The nature of the research forced us to adopt the sociolinguistic approach. To collect data, we handed out questionnaires to 600 university students belonging to different Moroccan universities; the statistical analysis relied on SPSS program.

Key words: language policy, The Moroccan school languages.

مقدمة

رغم أهمية ما أُنجز في السابق، إلا أنه يبقى غير كافٍ لتحديد الخصائص اللسانية-الاجتماعية للمجتمع المغربي بالنظر للتغيرات الراهنة التي عرفتها السياسة اللغوية من انفتاح على اللهجات وحماية قانونية للغة الأمازيغية عبر ترسيمها، من هذا المنطلق، تصبح أولى أهداف الدراسة الحالية هي التعرف على السياسة اللغوية الجديدة للبلاد وتحديد المرتكزات التي تقوم عليها ثم الكشف عن الخصائص اللسانية-الاجتماعية التي واكبت هذا التحول، في محاولة للجواب على السؤال التالي: هل فعلا يوظف المتعلم اللغات المُعتمدة في النظام التعليمي كما تم التخطيط لها؟

في إطار مقاربة سوسيولسانية، سنحاول إبراز مدى نجاح السياسة اللغوية في تحقيق الأهداف التي سطرتها بشأن اللغات الرسمية واللغات الأجنبية، وذلك عن طريق فحص طبيعة التمثلات والمواقف التي يتخذها الطلبة من تلك اللغات، وبالتالي قياس قدرة السياسة اللغوية على التأثير في العلاقة التي يقيمها الطالب مع اللغات التي يتلقاها.

1.السياسة اللغوية في الوثائق الرسمية:

قبل رصد مواقف الطلبة من اللغات، قمنا بقراءة في الوثائق الرسمية التي تحدد اللغات المعتمدة في المنظومة التعليمية ومجالات استعمالها وكيفية توزيعها في الجدول الزمني المخصص للغات، انطلاقا من دستور الدولة ومرورا بالميثاق الوطني للتربية والتكوين وما جاء به الكتاب الأبيض فيما يخص السياسة اللغوية، إلى أحدث الوثائق والمذكرات والتقارير الصادرة عن المجلس الأعلى للتعليم والتي تهتم بنفس الموضوع، سنعمل على عرض الإجراءات التي تبناها المشرع على مستوى التخطيط للغات للوقوف على مدى انسجامها مع فلسفة المنهاج التعليمي ومدى التزام الدولة بما ألزمت نفسها به على مستوى السياسة اللغوية في التعليم.

1.1 اللغات في الميثاق ودستور 2011:

في أكتوبر من سنة 1999، صدر الميثاق الوطني للتربية والتكوين الذي سيعرض للسياسة اللغوية مع التركيز على وضع اللغة العربية داخلها. في المجال الثالث وتحديدا الدعامة التاسعة، تتحدد اللغة العربية كلغة رسمية وحيدة للبلاد بمقتضى الدستور القديم (1996). هذه المكانة الرفيعة، سياسيا، أعطت الامتياز للعربية تربويا، فالميثاق الوطني للتربية والتكوين (1999) الدعامة 111، يدعو إلى تعزيزها وتعميم تعليمها واستعمالها في مختلف مجالات العلم والحياة باعتبارها مطلبا وطنيا لا محيد عنه، ويمكن الاستعانة بالدوارج للاستئناس وتسهيل عملية تعلم الفصحى في المراحل الأولى من التمدرس (الدعامة 115)، على أن تترك للقَيِّمين على الشأن التربوي في كل جهة حرية اختيار اللهجة - الوسيط - إن كانت العربية المغربية أو الأمازيغية، حسب ما يراعي الخصوصية الثقافية والتعدد اللغوي للمناطق.

2.1 الإصلاح وفق الكتاب الأبيض:

على مستوى اللغات، لأول مرة ستُدرَّس اللغة الأمازيغية في السنوات الأربع للسلك الأول من التعليم الابتدائي مع توسيع تدريس اللغة الأجنبية الأولى إلى السنة الثانية من نفس السلك عوض الثالثة، وتدريس اللغة الأجنبية الثانية في الإعدادي وفي السنتين الأخيرتين من التعليم الابتدائي.

تدريس اللغة الأمازيغية: إن ما يبرر إدراج الأمازيغية إلى جانب العربية مع التأكيد على حضور اللغات الأجنبية والحث على تعلمها في مراحل متقدمة من المسار التعليمي للتلميذ، هي المقاربة الشمولية التي اعتمدها واضعو المنهاج عند تناول الإنتاج المعرفي الوطني في علاقته بالإنتاجات الكونية مع الحفاظ على ثوابتنا الأساسية، كما ركزت التوجيهات الرسمية في شأن الأمازيغية على ضرورة الحفاظ على الحمولة الثقافية والحضارية للغة خلال مسارات تحول المجتمع المغربي الحديث في اتجاه الكونية.

بالنسبة لتدريس اللغة الأمازيغية، فقد شُرِع في تعليمها منذ السنة الأولى من السلك الأساسي حتى السنة الرابعة منه. أما الإطار العام الذي يندرج فيه تدريس هذه اللغة فهو لا يعكس بما يكفي المستوى المطلوب بلوغه مع المتعلمين والغايات الكبرى من تدريسها، عدا التصريح بضرورة الحفاظ على المكتسبات اللغوية الوطنية. خلال السنتين الأولى والثانية يتلقى التلميذ ما مجموعه (204 ساعة) لتعلم الأمازيغية موزعة بشكل متساو على السنتين معا، بينما يتلقى في نفس الفترة (340 ساعة) لتعلم اللغة العربية، في المرحلة الموالية، سيُعزَّز حضور العربية بما يقارب الضعف (748 ساعة) في السنتين الثالثة والرابعة، أما الأمازيغية فقد حافظت على نفس الإيقاع ولم تتجاوز سقف (204 ساعة) التي حظيت بها في التعليم الأولي، لينحصر تدريسها في هذه المرحلة.

إن الفرق الذي يفصل بين حضور اللغتين في هذا المستوى ليس بالفارق البسيط الذي يمكن تجاهله؛ بل يعكس بوضوح المكانة المتميزة التي تمنحها مناهج 2002 للغة العربية على مستوى التخطيط، رغم إشراك اللغتين في نفس الصفة على مستوى الفلسفة التعليمية، باعتبارهما إنتاجا معرفيا وطنيا يجب الحفاظ عليه وتنميته، وهذا يدفعنا لطرح السؤال حول حقيقة الموقف الرسمي من اللغة الأمازيغية من جهة، كما يدفعنا لتقييم المجهود المبذول داخل المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية واستجابته للطلب التربوي على هذه اللغة، من جهة أخرى تُطرح إشكالية مدى قابلية المغاربة واستعدادهم لاكتساب اللغة الأمازيغية بالنظر لوضعها الخاص كلغة اتسمت بطابعها الشفوي وما تزال حديثة العهد بالكتابة، خصوصا أن التوجيهات الرسمية ترمي إلى تعميم تدريس اللغة الأمازيغية لجميع المتمدرسين في مجموع التراب الوطني وفي مختلف الأسلاك التعليمية.

تدريس اللغة العربية: خلال مرحلة التعليم الابتدائي بطوريه بلغ عدد الساعات المخصصة لدرس اللغة العربية (1615 ساعة)، نال منها الجزء الثاني من هذه المرحلة حصة الأسد(867 ساعة)، باعتماد منطق التدرج في الانتقال من مرحلة إلى مرحلة، يتولى مجموع الحصص الموزع على طول الزمن المدرسي تحقيق الكفايات التالية: التواصل عن طريق اللغة العربية قراءة وكتابة وتعبيرا في السلك الأساسي مع استضمار البنيات الأسلوبية والتركيبية والصرفية للغة العربية وفقا لما يسمح به نمو الطفل العقلي والمعرفي، والمطلوب من استعمال اللغة العربية في هذا المستوى جعل التلميذ قادرا على إدراك بعض القيم الإسلامية والوطنية والإنسانية، لتتأصل في كيانه وشخصيته(الكتاب الأبيض، ج2).

جاء السلك الإعدادي كمرحلة تتوسط السلك الابتدائي والسلك التأهيلي. فيه يعمل المتعلم على تطوير المكتسبات المتحصلة في درس اللغة العربية في السلك الأول ويستعد لما سيتلقى لاحقا في

السلك التأهيلي. شكلت النصوص أرضية للانطلاق في الدرس اللغوي، وسعى المقرر في شموليته إلى إكساب المتعلم القدرة على التواصل كتابيا وشفهيا بلغة عربية سليمة. ينضاف إلى ذلك مكونا التعبير والإنشاء يتم من خلالهما تتبع مدى اكتساب الكفايات السابقة وقدرة التلاميذ على توظيفها في التعبير كتابة وفي المحادثة، وقد توزعت الجدولة الزمنية الكفيلة بإنجاز البرنامج على حصص متساوية، تحددت في أربع ساعات أسبوعية مدرجة بنفس القدر على امتداد السنوات الثلاث الخاصة بهذا السلك(الكتاب الأبيض، ج3).

في السلك الثانوي التأهيلي بلغت حصص اللغة العربية خمس ساعات أسبوعية، خُصصت للجدعين المشتركين آداب وعلوم إنسانية وتعليم أصيل. وهي الحصة الأكبر على أساس تقليص ساعات العربية إلى تقريبا النصف(ساعتان في الأسبوع) بالنسبة للجدعيين المتبقيين، لعل التقسيم المعتمد يسمح بقراءات متعددة، فمن جهة، تبقى شعبة العلوم الأصيلة وطبيعة المواد التي تدرس بها من تفسير وحديث وفقه وأصول، تستوجب مما لا شك فيه إتقانا جيدا للغة العربية حتى يتمكن التلميذ من تعميق فهمه وسبر غور النصوص الدينية.

من جهة أخرى لا نلمس مبررا معقولا لرفع عدد ساعات هذه اللغة في شعبة الآداب والعلوم الإنسانية وخفضه في الشعب العلمية، فإذا كان هذا الإجراء بمثابة إعداد تلميذ الشعبة الأولى وتأهيله لينهل من ينابيع العلوم الإنسانية باعتماد اللغة العربية، فلماذا تم حرمانه من هذا الامتياز في باقي الشعب العلمية؟ هل يحمل واضعو البرامج تصورا معينا عن لغة العلم ولغة الأدب ولغة التعبد... دفعهم إلى تبني هذا التقسيم؟.

تدريس اللغات الأجنبية: من جديدٍ إصلاح 2002 على مستوى تدريس اللغات الأجنبية، يلاحظ الشروع في تدريس اللغة الأجنبية الأولى في السنة الرابعة أساسي من المرحلة الابتدائية، بمجموع 51 ساعة سنويا، على التلميذ أن يكون قادرا على التواصل الوظيفي بها قراءة وتعبيرا، كما عليه النطق بلغة أجنبية ثانية في نهاية المرحلة. بعد اختفاء الأمازيغية عن درس اللغات في السنوات الأربع الموالية، سيتم إغراق جدول الحصص ببرنامج ثقيل للغة الأجنبية الأولى (1072 ساعة) تتوزع على السنوات الأربع الأخيرة، اللغة العربية نفسها لم تستطع مقاومة هذا الاكتساح لتكتفي ب (867 ساعة)، في حين حظيت اللغة الأجنبية الثانية فقط ب (50 ساعة) لا يتم تصريفها إلا في السنتين الأخيرتين من الابتدائي.

في السلك الإعدادي، تغيب أيضا الأمازيغية عن البرامج وتتم المساواة بين الحصيص الزمني المخصص للغتين العربية والفرنسية باعتبارها اللغة الأجنبية الأولى (أربع ساعات أسبوعية)، وتحضر اللغة الأجنبية الثانية (الإنجليزية) خلال السنة النهائية من هذا السلك بحضور محتشم لا يتعدى ساعتين في الأسبوع، في سلك الباكالوريا، تم تخصيص أسبوعيا لتعليم اللغات الأجنبية وتعلمها ما بين خمس وعشر ساعات وذلك حسب المسالك. ففي مسلك التعليم الأصيل، يدرس التلاميذ ما مجموعه أربع ساعات أسبوعية خاصة باللغة الأجنبية الأولى، وثلاث ساعات خصصت للغة الأجنبية الثانية، وهو ما يمكن اعتباره استمرارا لسياسة تحديث التعليم التقليدي على الشاكلة الاستعمارية حين حاولت فرنسا تحديث التعليم العتيق، في مسلك الآداب والعلوم

الإنسانية، يتراوح عدد الحصص بين أربع وخمس ساعات أسبوعية مخصصة بنفس القدر للغتين الأجنبيتين معا.

سيتقلص هذا العدد في مجموعه عند الانتقال إلى المسالك التقنية الصناعية ومسلك الفنون، حيث يدرس التلاميذ ما مجموعه أربع ساعات أسبوعية خاصة باللغة الأجنبية الأولى، وثلاث ساعات بالنسبة للغة الأجنبية الثانية. سيزداد انخفاض العدد بالنسبة لتلاميذ مسلك علوم الاقتصاد والتدبير، فمن اللغة الأجنبية الأولى لم يظفروا سوى بساعتين، بينما تمت مساواتهم مع البقية فيما يخص اللغة الأجنبية الثانية بحصة ثلاث ساعات أسبوعية، ويبقى السؤال الذي يفرض نفسه بإلحاح هنا: كيف تتم قراءة هذه الأرقام على ضوء المرجعية الفلسفية التي يتبناها الإصلاح؟ وعلى ماذا اعتمد واضعو المنهاج في تحديدهم للمدد الزمنية الخاص بكل شعبة وبكل لغة؟

3.1 اللغات في المخطط الاستعجالي: ظهر للوجود سنة (2009) المخطط الاستعجالي الذي تعكس تسميته مدى وعي الوزارة الوصية بضرورة التدخل السريع لإصلاح ما فشلت الإصلاحات السابقة، على تعددها، في إصلاحه، لقد تم الوقوف على اختلالين رئيسيين، يتحدد الأول في إشكالية لغة التدريس، أما الخلل الثاني فيتمثل في ضعف الكفايات اللغوية لدى المتعلمين. إن منطوق الوثيقة يتحدث عن محاولة استكشاف معالم سياسة لغوية تعتمدها مدرسة الغد، تتقوى فيها اللغتين الوطنيتين (العربية الفصحى والأمازيغية) ويتحسن بها التحكم في اللغات الأجنبية، إلا أن الوزارة الوصية تعترف بعدم أهليتها للبث في موضوع شائك من حجم ملف اللغات في المنظومة التعليمية، فأحالته إلى المجلس الأعلى للنظر في القضايا المتشعبة ومنها: تعيين لغة تدريس وتحديدا المواد العلمية والتقنية، وتتبع وضعية اللغة الأمازيغية في المنظومة التعليمية، ثم اختيار اللغات الأخرى التي يتعين تدريسها وإيجاد صيغ أكثر فعالية لتعلمها.

لتتبع وتقييم حصيلة المخطط الاستعجالي وما تحقق على مستوى اللغات، سننتقل فيما يلي إلى قراءة الوثائق المرتبطة بالإشكالية اللغوية والصادرة خلال فترة الإصلاح:"وثيقة البرامج والتوجهات الخاصة بسلك التعليم الابتدائي (2011)".

4.1 اللغات في وثيقة برامج للتعليم الابتدائي: (2011): ما يلاحظ على الوثيقة اهتمامها بإعادة توزيع الغلاف الزمني الإجمالي للغات. فالأمازيغية سيتأكد حضورها بوضع منهاج ممتد يشمل باقي سنوات السلك الابتدائي ويحافظ على نفس الحصيص الزمني (3ساعات أسبوعية). وهذا يؤكد عزم الجهات الرسمية على جعل الإصلاح الجديد امتدادا واستمرارية للخطوات والقرارات الجريئة التي تم تبنيها في شأن اللغة الأمازيغية سابقا، عدد الساعات المخصصة للعربية سيعرف انكماشا طفيفا مع حذف بعض الدروس المهمة كدروس قواعد اللغة العربية في الإعدادي والثانوي، ففي السلك الأساسي والسنة الرابعة ابتدائي ستُنزع ساعة أسبوعية من كل مستوى، وستعرف باقي سنوات التمدرس في الابتدائي تقليص حصة اللغة العربية بمعدل نصف ساعة من مجموع الحصص الأسبوعية.

على مستوى اللغات الأجنبية، اللغة الفرنسية تستفيد من حيز زمني مهم يفوق ذلك المخصص للغتين الرسميتين للبلد، ومع ذلك فهي أيضا لم تسلم من قرار التقليص الذي يبدأ بحذف ثلاثين

دقيقة ليصل أحيانا لحدود ساعة كاملة من مجموع ما خصص للمادة أسبوعيا، أما اللغة الأجنبية الثانية، فبعدما استفادت من 45 دقيقة في الكتاب الأبيض حرمت منها في المخطط الاستعجالي.

إن الحاجة إلى إعادة تكييف البرامج مع الغلاف الزمني الأسبوعي بالتعليم الابتدائي فرضها إدراج اللغة الأمازيغية بجميع المستويات، إلا أن التعديل لم يكن متوازنا ونجده غير متكافئ بالشكل الذي يدعم تعددا لغويا يقوي ويطور الخاص ويعزز الانفتاح السلس والمفيد على العام. لم تحظى الأمازيغية بنفس مكانة الفرنسية التي ظلت مسيطرة لا تنافسها إلا العربية على مستوى المدة الزمنية، على الأقل داخل أسوار المؤسسات التعليمية، وهذا لا يخدم مبدأ الانطلاق الذي يجعل للخاص أولوية على الكوني والذي بتعزيزه يتعزز المشترك العالمي.

من جهة أخرى، فإن إسقاط الإنجليزية من البرنامج يضعنا أمام فرضيتين، الأولى تشي بالتردد الذي يسم القرار الرسمي وعدم القدرة على الحسم بشأن اللغات ذات الأولوية، ليتأكد بالتالي عدم استقلال القرار التربوي أمام الضغوط السياسية والمصالح الاقتصادية التي تجمع المغرب بفرنسا، والافتراض الثاني ذو طبيعة مادية ويحيل على ما أكده وزير التربية الوطنية أحمد أخشيشن من محدودية قدرة الوزارة على توفير الموارد البشرية الكافية(جريدة العدالة والتنمية، 2009).

لقد صار الأمر شبيها نوعا ما بالتدافع اللغوي؛ فإخلاء حيز ملائم نسبيا لتواجد لغة ما بات رهينا بالتضييق على أخرى أو إقصائها تماما من المنهاج. ولعل مجموع هذه المعطيات يؤكد من جديد غياب الرؤية الواضحة والموقف الثابت فيما نتصور عليه المواطن المغربي، إن على المدى القريب أو المتوسط، أما الحديث عن رؤية عميقة وبعيدة الأمد فيصعب طرحه في ضوء المعطيات الراهنة.

5.1 اللغات في تقارير المجلس الأعلى للتعليم: عمِل المجلس الأعلى للتعليم على اقتراح سياسة لغوية بديلة تتمسك فيها بخيار التعدد اللغوي دون التفريط في أي من اللغات المتداولة حاليا في المنظومة التعليمية، مع اعتماد مبدأ التناوب اللغوي، فما هو إذن التصميم الذي يقدمه المجلس للخروج بالمخطط الجديد لحيز لتنفيذ؟

يهدف المخطط إلى جعل التلاميذ يستفيدون من تعلم ثلاث لغات في المرحلة الابتدائية، وقد ظلت اللغة العربية لغة أساسية في هذه المرحلة واعتُمِدت الأمازيغية لغة للتواصل، أما الفرنسية فقد احتفظت بمكانتها كلغة أجنبية أولى توكل إليها وظيفة الانفتاح. ابتداء من السنة الأولى إعدادي ستنضاف اللغة الانجليزية إلى الفرنسية، ليصبح التلميذ مطالبا بامتلاك ناصية لغتين وطنيتين ولغتين أجنبيتين، وله أن يختار دراسة لغة أجنبية ثالثة في السنة الأولى من الثانوي التأهيلي. ويقصد مصممو الخطة اللغوية الجديدة بالتناوب اللغوي إمكان اعتماد أكثر من لغة في تدريس بعض المواد، أما اللغات التي سيشملها هذا المبدأ، فهي لغات الانفتاح وخصوصا الفرنسية والإنجليزية اللتان ستتناوبان على تدريس بعض المضامين والمجزوءات، قصد مساعدة المتعلم على التمكن منهما(المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، 2015، ص3).

2. التمثلات والسياسة اللغوية

تشير مصطلحات التمثل والمُتَخيَّل اللغوي عند(Branca-Rosoff, 1996, p79) إلى مجموع الصور التي يلصقها المتحدث باللغات التي يستعملها، إن كان ذلك على مستوى القيمة أو الجمالية

أو الأحكام المعيارية التي يصدرها، وبشكل عام تحيل التمثلات اللغوية على الخطاب الذي يشكله المتكلم حول اللغات التي يتداولها، فالفاعل الاجتماعي يبني ويشكل تمثلاته من مصادر متعددة مثل: السياق والعلاقات التي يقيمها مع المجموعات البشرية المختلفة والإيديولوجيات الجديدة والقرارات السياسية الرسمية، وتجتمع هذه العناصر لتؤثر في أشكال الخطاب والاختيارات السوسيولسانية للمتكلمين.

وفي مجال السياسات اللغوية، يعرف (لويس جان كالفي، 2007، ترجمة محمد يحياتن، 2009، ص10-14) السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي باعتبارهما التناول العلمي للأوضاع السوسيولسانية، وبلورة نوع من التدخل في هذه الأوضاع والوسائل الكفيلة بذلك. فمواقف الحكومات تؤثر في النظام الاجتماعي والإيديولوجي، وهذا يؤثر بدوره في المواقف من اللغات وأنماط السلوك أثناء المحادثة وفي قيمة اللغة داخل السوق اللسنية، فيصبح كل استعمال للغة مرافقا بتمثل معين لها بحيث يصعب فصل التمثل عن الممارسة اللغوية.

1.2 البحث الميداني وخصائص العينة المبحوثة: إن المعطيات التي نرتكز عليها في هذه الورقة هي عبارة عن نتائج بحث ميداني أنجز في الموسم الجامعي 2015/2014، تأتي هذه الدراسة كمحاولة لرصد السياسة اللغوية في علاقتها بالسياسة التعليمية المعتمدة في المغرب، عبر طرح السؤال المحوري التالي: إلى أي حد يستجيب تدريس اللغات بالمغرب لمقتضيات سياسته اللغوية ولخصوصية الواقع الاجتماعي الذي يتسم بالتعددية اللغوية؟

واستهدف عينة مكونة من (600) طالب جامعي موزعين على جميع الجامعات المغربية (13 جامعة)، حيثما وجدت في الخريطة السوسيولسانية، ينتمون لشعب علمية وأدبية مختلفة من سلك الإجازة، وتتراوح أعمار أغلبهم ما بين 18 و22سنة، حيث شكلت نسبة تواجد هذه الفئة بالعينة 69,2% من مجموع المستجوبين، في حين بلغت نسبة الذكور منهم 48,2% في مقابل 51,8% للإناث.

نظرا لأهمية المحددات السوسيوقتصادية في قياس الشروط الاجتماعية التي تحكم وجود الجماعات البشرية، قمنا بتتبع متغير مصدر الباكالوريا ومتغير الدخل الشهري للأسرة ومتغير وسط الإقامة، بلغت نسبة الطلبة الذين حازوا باكالوريا من مدارس عمومية 83.5%، في حين لم تتجاوز نسبة الطلبة الذين استفادوا من تعليم خاص 13.7%.

إذا كانت 67.5% من أسر الطلبة في العينة تعيش بمبلغ شهري لا يتعدى حدود 5000 درهم، فهذا يدل على المستوى المعيشي المتدني لفئة مهمة من المستجوبين 21.5% فقط تعيش بدخل متوسط يتراوح شهريا بين 5100 إلى 10000 درهم، في حين لم تتجاوز نسبة الميسورين نسبيا سقف 8.2% من خلال هذه الأرقام، يمكن القول أن الجامعات المغربية تستقطب الفقراء من أبناء الشعب.

فيما يخص متغير الطبقة الاجتماعية، نجد أكثر من نصف العينة ينتمي للطبقة الشعبية، مع العلم أن العينة احتمالية ولم نقصد عند انتقائها استحضار فئة وتغييب أخرى. الطبقة المتوسطة حسب ذات التصنيف تشكل (21,5%)، وهو طبعا رقم لا يرقى إلى حجم الرقم السابق، تنضاف إليه النسبة التي تشير إلى الطبقة العليا والتي لم تتجاوز بدورها (9,0%) من مجموع أفراد العينة. كما

لمسنا بأن الأغلبية المستجوبة تنتمي للوسط الحضري (72,2%) في حين (27,0%) فقط من الطلبة تعيش في الوسط القروي. لضمان توزيع متكافئ للأفراد في العينة، اعتمدنا تقنية العينة العشوائية الطبقية، وكانت الاستمارة هي أداة البحث المعتمدة.

2.2 الموقف من اللغة العربية الفصحى: فيما يلي سنحاول إبراز طبيعة التمثلات والمواقف التي يتخذها الطلبة من لغات المنظومة التربوية مع توضيح التفاعل بينها وبين السياسة اللغوية المعتمدة. لرصد مواقف الطلبة من اللغة العربية سننطلق من الافتراض التالي: إن واضعي القرار السياسي الخاص بلغات المنظومة التعليمية يرسخون صورة نمطية عن اللغة العربية الفصحى تجعل منها لغة تدين لا لغة علم، هذا هو الافتراض الذي سنحاول من خلال النتائج المحصل عليها التحقق من مدى صحته.

مقارنة مع باقي اللغات جاءت مواقف الطلبة من اللغة العربية جد إيجابية، فنصفهم يختار استعمال الفصحى أولا إن تواجد في وضعية تواصل قد تسمح له باستعمال لغات أخرى غيرها. عند تعليل أجوبتهم، يظهر أن الطلبة يفضلون استعمال اللغة العربية الفصحى أساسا لأنها لغة الهوية (143 طالبا)، كما نجد عند البعض الآخر أجوبة ترتبط بطبيعة النظام التعليمي الذي يعود له الفضل، في تصورهم، إلى جعل هذه اللغة لغة مفضلة لدى (63 طالبا)، في حين يفضل (52 طالبا) استعمال الفصحى لأنها الأسهل والأكثر انتشارا في نظره، وهي عموما تبريرات يمكن إلحاقها بالمجموعة الثانية على اعتبار أن النظام التعليمي يبقى هو المسئول الأول عن موقف الطلبة من هذه اللغة.

عندما سُئل الطلبة عن اللغات التي يعتبرونها ضرورية، انقسموا إلى ثلاث مجموعات كبرى متقاربة من حيث العدد. بحيث لاحظنا أن اللغة العربية الفصحى لغة ضرورية بنسبة (54,0%) عند المجموعة الأولى من الطلبة (تقريبا نصف العينة). لا تنافس الفصحى على مكانتها هذه، إلا اللغتين الأجنبيتين: الفرنسية بنسبة (46,8%) والإنجليزية بنسبة (53,8%)، لكن فحص أجوبة الطلبة الذين اعتبروا الفصحى لغة ضرورية، يوحي باستبعاد هذه اللغة من المجالات الحيوية كالشغل أو العلم؛ فهي ضرورية في تصورهم لأنها لغة القرآن والهوية، حتى أن العديد من الطلبة ذهب إلى حدود اعتبارها لغته الأم. ظهر هذا النوع من الأجوبة عند (184 طالبا)، في حين اللغة العربية هي لغة ضرورية للبحث عن عمل عند فقط (24 طالبا) من أفراد العينة.

بخصوص جمالية اللغة، فالفصحى لغة جميلة بنظر (60%) من الطلبة، وهي بذلك تعتبر اللغة الأجمل من بين جميع اللغات المستعملة من قبل أفراد العينة، عند جرد التعاليق المعَلِّلة لموقف الطلبة من جمالية العربية، تمكنا من تصنيفها ضمن مجموعتين رئيسيتين: مجموعة أولى وتشكل الأغلبية (176طالبا) تفسر اختيارها بالارتباط الوجداني بهذه اللغة، باعتبارها لغة التدين ورمزا للهوية، أما المجموعة الثانية فكانت أقرب إلى الحديث عن مواصفات جمالية تهم اللغة ذاتها كجمالية الحرف وعمق العربية وغناها، إلا أن هذه المجموعة كانت الأقل من حيث العدد مقارنة مع المجموعة الأولى (118طالبا) فقط، نستخلص مما سبق أن اللغة العربية الفصحى تتحصن بشكل كبير داخل قلاع الهوية بكل روافدها، ويبقى الدين أهم رافد يغذي التمثلات الإيجابية للطلبة

اتجاه الفصحى. هي إذن لغة تدين وتعبد في تصور الطلبة، وبهذا يصعب عليهم تقبلها ضمن إطار مغاير، ولعل هذا ما يعزز الفرضية الجزئية الأولى بشأن اللغة العربية.

إن القراءة الأولية لتصريحات الطلبة بخصوص وضع اللغة العربية في الجامعة، تشير إلى نوع من الارتباك اللغوي الذي يعيشه الطالب بعد قطعه لمسار دراسي يعزز، إلى حد ما، مكانة هذه اللغة في الحياة المدرسية للتلميذ، ومهما اختلف موقف الطلبة من اللغة العربية، فإن النسبة الأهم(64,2%) ترى أن الفصحى لغة في المتناول وهي تستطيع أن تكون لغة سهلة إلى سهلة جدا. لكنها لغة صعبة التعلم إلى لغة جد صعبة عند (34,8%) من الطلبة، يُرجع الطلبة الذين تواجههم مشاكل في تعلم اللغة العربية إلى صعوبات من داخل اللغة وأخرى ترتبط بالتخطيط للغة والاكراهات الخارجية، حسب هذه الدراسة، فالمشاكل الأكثر إرهاقا للطالب تأتيه من طبيعة اللغة ذاتها وخصوصا تلك المتعلقة بصعوبة قواعد النحو وفقر المعجم ثم تعقد الأسلوب (56,9% من الأجوبة صبت في هذا المنحى)، أما العوامل الخارجة، فبالرغم من أهميتها إلا أنها أخف تأثيرا من سابقاتها، فضعف منهجيات التعليم والتعلم وكفاءة المدرسين والبنية التحتية الضعيفة لا تعرقل تعلم اللغة الفصيحة إلا بنسبة (43,1%) في تصور طلبة العينة، مقارنة بباقي اللغات، فدرس اللغة العربية يعتبر الدرس الأكثر إمتاعا؛ (63,7%) من الأجوبة تُقر بذلك، ويمر درس الفصحى بشكل عادي لدى (28,8%) منهم. قلة هم المستجوبون الذين يتأففون من حصص الفصحى، فلم تتجاوز نسبتهم في العينة حدود (6,3%) من مجموع الطلبة.

نخلص إذن من خلال تحليلنا لأجوبة الطلبة أن سياسة التعريب السابقة، رغم المشاكل التي إعترضتها إلا أنها نجحت إلى حد ما في تمهيد الطريق أمام السياسة اللغوية الحالية لتعزيز مكانة اللغة العربية داخل المنظومة التعليمية، فالتمثلات التي يشكلها الطلبة اتجاه هذه اللغة تظل إيجابية في عمومها ومشجعة، وهذه النتيجة تتقاطع مع ما خلصت إليه دراسات سابقة (De Ruiter, 2006, p84) اهتمت بوضع الفصحى في النسيج الاجتماعي المغربي، لكن التحول الذي شهدته السياسة اللغوية بانفتاحها على العاميات وحثها على الاستعانة بالدوارج لدعم تعلم اللغات الرسمية في مراحله الأولية جعل الوضع اللغوي يتبدل، وما اجتياح العاميات للفصول الدراسية إلا دليل على اختلال آخر يشهد على عدم قدرة التخطيط اللغوي على ضبط وظائف اللغات في المدرسة؛ بحيث لا تتعدى اللغة حدود المطلوب منها في ظل سياقات تعليمية معينة.

3.2 الموقف من اللغة الأمازيغية: إن رصد وضع اللغة الأمازيغية في المنظومة التربوية سيكون هو الآخر موجها بالافتراض التالي: إن ترسيم الأمازيغية في الدستور والشروع في تدريسها بهدف تقوية تواجدها في المجتمع، لم يخدم كثيرا وضع الأمازيغية كلغة مُدَرَّسة، نقرأ ذلك على الأرجح في التعاطي الحذر مع هذه اللغة والمواقف السلبية التي يعبر عنها الطلبة اتجاه تدريسها.

بعد استطلاع آراء الطلبة ومواقفهم من اللغات المفضلة، نجد بأن الأمازيغية مفضلة عند فقط (9,8%)منهم، وهم يعللون اختيارهم بالقدرة على التواصل بها بطلاقة كونها لغتهم الأم، الأمازيغية هي لغة غير ضرورية عند أغلب الطلبة (90,3%)، أما الفئة القليلة التي ترى أن امتلاك ناصيتها هو أمر مهم، فهي تربط ذلك بمسألة الهوية وضرورة الحفاظ على التعدد اللغوي عبر تشجيع استعمالها إلى جانب اللغات الأخرى.

إذا كانت مجموع التمثلات السابقة تنحوا منحى سلبيا، فإن الحكم على جمالية اللغة الأمازيغية يسير في نفس الاتجاه؛ فلا تعد الأمازيغية لغة جميلة إلا بنظر مجموعة قليلة العدد لم تتجاوز نسبتها في العينة (12,5%) من مجموع الطلبة، يفسرون هذا الموقف بعراقة اللغة وارتباطها بتاريخ المغاربة والهوية المشتركة، وأساسا وتحديدا هي لغة جميلة لأنها تظل اللغة الأم لهذه المجموعة.

ومنه نخلص إلى أن أغلب التصورات والآراء التي يشكلها الطلبة حول اللغة الأمازيغية تحيل على موقف سلبي من هذه اللغة، وهي بذلك تعيش وضعية سوسيولسانية لا تساعد كثيرا على الارتقاء بها كلغة مميزة، إلا أنها تظل لغة حاضرة في المنهاج وتطمح إلى تعزيز مكانتها في المنظومة التعليمية، فهل عبَّد واضعو البرامج الطريق للأمازيغية حتى تصير، فعليا، مكسبا لغويا وطنيا يتمتع به جميع المغاربة على حد سواء؟

لمعالجة الإشكال السابق، سنحاول تتبع خطاب الطلبة وما تحمله تعليقاتهم حول حضور الأمازيغية كلغة مُدرسَّة وتجليات هذا الحضور.

بعد مساءلة الطلبة حول إلزامية تدريس اللغة الأمازيغية، نجد أن (80%) منهم يعبرون عن رغبتهم في تمتيعهم بحرية الاختيار فيما يخص تعلم هذه اللغة، فلا يُقدِم على تعلمها إلا من كان راغبا في ذلك، لكن السياسة اللغوية المعتمدة تُلزم الجميع بضرورة تعلم الأمازيغية دون استثناء، وأمام ضعف تحمُّس الطلبة وعدم إبداء الاستعداد الكافي والإقبال على تعلمها، قد تكون السياسة اللغوية أمام عائق آخر ينضاف إلى جملة المشاكل التي تعرقل تدريس الأمازيغية، الأمر الذي يستوجب منها العمل على تهيئ الواقع السوسيولساني بما يخدم أهدافها التربوية، إذا كان الفاعل التربوي الرسمي قد قرر تدريس لغة أمازيغية موحَّدة وموحِّدة لجميع اللهجات الأمازيغية، فإن الطلبة لم يبدوا نفس الحَسْم الصادر عن الموقف الرسمي، بحيث يُعبر (39,8%) عن ارتياحهم لهذا القرار في حين (35%) ترفض الأمر، وظلت نسبة (24,7%) من الطلبة غير قادرة على تكوين تصور واضح حول مشروع معيرة اللغة الأمازيغية.

المستفاد من الأرقام أن فئة مهمة من الطلبة لم تحسم بعد أمرها مع إشكالية توحيد لهجات اللغة الأمازيغية، وأن معيرة هذه اللغة ما تزال مصدر تردد والموقف منها يظل متذبذبا لا حسم فيه بل ينحو إلى رفضها، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار النسب المتقاربة للرافضين والمؤيدين ثم الذين اكتفوا بالجواب 'لا أعلم'، بالرجوع إلى تعليقات الطلبة، نجد أن أغلب الآراء الداعمة لمبدأ تدريس أمازيغية موحدة تنطق من الصفة الرسمية التي تتمتع بها هذه اللغة (32 جوابا يركز على هذا الجانب)، وهو الوضع الذي يفرض على الدولة اعتماد لغة موحدة على غرار اللغة العربية. بذلك فقط تستطيع الدولة- في تصور هذه الفئة من العينة- الحفاظ على تجانس المجتمع (45 مرة تكرر الأمر على لسان الطلبة)، والحفاظ على الأمازيغية كثرات وطني (74 طالبا يزكي هذا المطلب).

أما الفئة التي ترفض اللغة الموحدة، فهي تبرر هذا الرفض بكون التعدد اللهجي قد يشكل عائقا أمام تعلم الأمازيغية وبالتالي من الأفضل الاحتفاظ على اللهجات تيسيرا للتعلم. كما أن اللغة المِخبرية- في تصورهم- قد تضر بالأصل (36 مرة تكرر هذا الموقف في أجوبة الطلبة)، لكن معظم الأجوبة في هذا الصدد لم تكن تعبر في جوهرها عن موقف معين من إشكالية المعيرة أكثر

مما جاءت معبرة عن موقف من اللغة الأمازيغية في حد ذاتها ومن إدراجها كلغة مدرَّسة في المنظومة التربوية، فنجد مثلا آراء تعتبر تعلمها غير ضروري وقد يكون غير نافع في نظر البعض الآخر كونها لغة محصورة (70 طالبا أوردوا هذا الجواب في تعليقاتهم)، مِن الطلبة مَن يجد اللغة الأمازيغية لغة صعبة لا يفهمها إلا أهلها (60 طالبا يؤكدون ذلك) ويفضلون الاكتفاء باللغة العربية كلغة موحدة لجميع المغاربة (11 طالبا اتفقوا على هذا الموقف من الأمازيغية).

على الرغم من ترسيمها وإقرار تعميم تدريسها إلا أن تنفيذ السياسة اللغوية فيما يخص اللغة الأمازيغية ما يزال متعثرا بشكل كبير. أما الطلبة الذين درسوا اللغة الأمازيغية، فهم يشهدون على قلة تداولها خلال الحصة الدراسية. نستشف إذن أن وضع اللغة الأمازيغية في المدرسة المغربية هو وضع حرج ولا يرقى إلى الغايات الكبرى التي وضعتها السياسة اللغوية ولا إلى انتظارات النشطاء الأمازيغ في هذا المجال.

4.2 الموقف من اللغات الأجنبية: في إطار السياسة اللغوية البديلة التي يقترحها المجلس الأعلى للتعليم، نلمس دائما التشبث بخيار التعدد اللغوي مع محاولة خلق توازن بين اللغات المتداولة، بحيث لا يطغى وجود لغة على وجود لغة أخرى، ولعل اعتماد مبدأ التناوب اللغوي فيما يخص لغة التدريس يسير في هذا الاتجاه. لكن ماذا عن واقع تدريس اللغات الأجنبية؟ وهل نجحت فعلا السياسة اللغوية في خلق التوازن اللغوي المنشود؟

سنحاول معالجة هذا الإشكال على ضوء الافتراض التالي: نفترض وجود عدم توافق بين السياسة اللغوية والتحولات السوسيولسانية للمجتمع المغربي فيما يخص التخطيط للغات الأجنبية، يظهر ذلك في صيغة:

1. مستوى الطلبة في اللغة الفرنسية لا يوازي المكانة المميزة التي يعطيها التخطيط لهذه اللغة.
2. التمثلات الإيجابية للطلبة حول اللغة الإنجليزية لا يستثمرها التخطيط الحالي في تعزيز وضع هذه اللغة كلغة أجنبية، تعد أكثر قدرة على ربط المغاربة بالإنتاج العالمي من العلوم.

إن قبول اللغات الأجنبية لا يعني ارتياح الطلبة للوضع اللغوي الحالي؛ فهي تشكل عائقا حقيقيا يحد من قدرتهم على التواصل بأريحية داخل المدرجات ومتابعة الدراسة الجامعية بشكل أقل تعقيدا؛ فما يقارب (70%) من طلبة العينة يعانون من ضعف مستواهم في اللغات الأجنبية، الشيء الذي يزيد من متاعبهم ويضعف من قدرتهم على التركيز، لعل ضعف المستوى في اللغات الأجنبية هو ما يفسر النسب المرتفعة للطلبة الذين يستبعدونها من دائرة اللغات المفضلة، حيث نجد فقط (%4,3) منهم يحبذون استعمال اللغة الفرنسية و(%3,3) يستمتعون باستعمالهم للغة الإنجليزية. في المقابل، تظل اللغات الوطنية خصوصا منها العربية المغربية والفصحى لغات ذات إقبال وهي الأكثر انتشارا بين الطلبة.

اللغة العربية الفصحى لا تنافسها إلا اللغتين الأجنبيتين: الفرنسية والإنجليزية من حيث هي لغات ضرورية بالنسبة للطلبة، لكن تختلف الأسباب والاعتبارات. فإذا كانت الفصحى ضرورية لأنها لغة التدين وتحيل على الهوية والانتماء، فإن الإنجليزية ضرورية بنفس القدر (%53,8) لكن لاعتبارات مختلفة؛ فهي لغة العصر لدى (251 طالبا)، ولغة العلم عند (61 طالبا)، ولغة

مطلوبة في سوق الشغل عند (31 طالبا)، ثم التعدد اللغوي مقبول بل مرغوب فيه لدى (29 طالبا) مما يعني ضرورة الانفتاح على الإنجليزية.

بعدما ظلت اللغة الفرنسية مهيمنة على الوضع اللغوي فيما سبق، فهي وفق هذه الدراسة تعرف تراجعا أمام اللغتين العربية الفصحى واللغة الإنجليزية. ما تزال اللغة الفرنسية ضرورية ولكن بنسب أقل، (46,8 %) من الطلبة يقرون هذا الأمر وذلك للأسباب التالية: أولا الفرنسية هي لغة العصر عند (83 طالبا)، ولغة للعلم لدى (39 طالبا)، وهي لغة للشغل عند (41 طالبا)، وتفرضها لغة التدريس في الجامعة عند (15 طالبا)، وبالتالي فهي لغة مهيمنة عند (64 طالبا)، والتعدد اللغوي مهم بالنسبة ل (17 طالبا) منهم هو ما يبرر لديهم قبول اللغة الفرنسية في المجتمع المغربي.

إذا ما قمنا بمقارنة الأسباب المبررة لوجود اللغة الإنجليزية بتلك المرتبطة باللغة الفرنسية نجد أنها تصب تقريبا في نفس المنحى؛ الذي يرى في اللغتين معا لغات للتواصل مع مجتمع موسع، يعتبر أكثر كونية بالنسبة للغة الإنجليزية، كما أن اللغة الإنجليزية هي الأقدر في تصور الطلبة على ربطهم بمجالات العلم والمعرفة، إلا أن اللغة الفرنسية تتخذ طابع الإلزامية أكثر من طابع المرغوبية ونلمس ذلك من خلال فرضها كلغة تدريس، خصوصا في الجامعة، ومن خلال عدد الطلبة الذين يربطون وجودها بنيل فرصتهم في سوق الشغل مما جعل جملة: "الفرنسية لغة مهيمنة" تتكرر مرارا في تعليقات الطلبة. وتجدر الإشارة إلى أن الطلبة في العينة رغم تعبيرهم عن رغبتهم في تعلم لغات أجنبية أخرى كالألمانية والإسبانية، إلا أنهم لا يعتبرونها لغات ضرورية بما يوازي المكانة التي تحتلها اللغتين الأجنبيتين: الفرنسية والإنجليزية.

عن جمالية اللغات الأجنبية في نظر الطلبة، نقرأ مواقف غير متوقعة من اللغة الفرنسية التي يخصص لها التخطيط التربوي حيزا زمنيا وموارد مالية تفوق أحيانا ما هو مخصص لتعلم اللغات الوطنية. نجد فقط (19,8%) من الطلبة يعتبرون لغة موليير لغة جميلة، في حين اللغة الإنجليزية هي لغة أجمل عند (34,8%) مع العلم أن اللغة الإنجليزية هي الأخرى لا تتمتع بالامتياز الذي تحظى به الفرنسية في الخطة التربوية، وتستقي اللغة الإنجليزية جاذبيتها من يُسر تعلمها (يتحدث 64 طالبا عن ارتباط جمالية اللغة بالسهولة في تعلمها)، ولطابعها الكوني باعتبارها لغة العصر عند (36 طالبا ممن اشتركوا في هذا الحكم).

إن الحصص الأكثر إمتاعا هي تلك المخصصة للغة الإنجليزية ((54%) يؤكدون الأمر). تليها حصص اللغة الفرنسية بنسبة (35,8%)، ثم اللغة الإسبانية بنسبة (17,3%). ويبقى درس اللغة الفرنسية "عاديا" بالنسبة ل (42,8%) من الطلبة، بينما درس اللغة الإنجليزية هو درس "عادي" عند (25,2%) منهم، ويشترك في نفس الرأي (20,8%) من الطلبة الذين درسوا اللغة الإسبانية. درسا اللغتان الفرنسية والاسبانية مملان بنسب متقاربة، نجد تباعا النسبتين: (5,15%) و(17,5%) في حين لا يعبر الطلبة عن هذا الرأي إلا بنسبة (9%) عندما يتعلق الأمر بدرس اللغة الإنجليزية.

3.نتائج الدراسة:

يتبين مما سبق أن السياسة اللغوية متشبثة بخيار التعدد اللغوي وتطمح إلى تقوية اللغتين الرسميتين مع تحسين مستوى اللغات الأجنبية، لكن المعطيات التي توصل إليها البحث الميداني بهذا الصدد، تشير إلى وجود مجموعة من الاختلالات فيما ما يخص حصيلة التخطيط اللغوي الحالي، فعلى مستوى اللغتين الرسميتين، تمكنا من إثبات أن التمثلات التي يحملها الطلبة في العينة عن هاتين اللغتين لا تخدم مطلب تقوية الرأسمال اللغوي الوطني، حيث يبدو العرض اللغوي/التعليمي من العربية الفصحى أوفر حظا وأكثر قدرة على استقطاب الطلبة مما هو عليه الأمر بالنسبة للغة الأمازيغية، فبالرغم من تمتعهما بنفس المكانة الاعتبارية قانونيا، إلا أن الواقع الاجتماعي للغتين لا يعرف نفس التكافؤ.

تعيش اللغة الأمازيغية وضعية سوسيولسانية غير مشجعة للارتقاء بها كلغة ممعيرة، نظرا لحداثة تجربتها، وقد لمسنا ذلك من خلال مواقف الطلبة السلبية اتجاه هذه اللغة، يصعب جدا في الظرفية الراهنة قبول الأمازيغية في المدرسة المغربية، فكيف سيسهل عليها إيجاد مكانا لها ضمن لغات العلوم؟ إن المواقف الايجابية من هذه اللغة، على قلتها، تربط وجودها بعراقة اللغة والمشترك التاريخي والهوية المغاربية، ولأنها تظل اللغة الأم للكثير من المدافعين عن وجودها في المنظومة التربوية، أما الوضع في عمومه فهو يشكل تحديا كبيرا للفاعل الرسمي، الذي يبدي طموحا إلى جعلها رأسمال لغوي يشترك فيه جميع المغاربة، الأمر الذي يتطلب العمل على تهيئ الواقع السوسيولساني بما يخدم الأهداف التربوية المسطرة من قبل السياسة اللغوية.

تمكنا أيضا من إثبات أن واضعي القرار السياسي الخاص بلغات المنظومة التعليمية يرسخون صورة نمطية عن اللغة العربية الفصحى تجعل منها لغة تدين لا لغة علم. وهذه النتيجة يمكن اعتبارها سيف ذو حدين، فالمقدس يسند ويدعم وجود اللغة العربية ويجعل تغلغلها في النسيج الاجتماعي أكثر عمقا، لكن الخطر الذي يتهدد العربية من هذه الناحية هو احتجازها في قبضة التصور الجامد للمقدس والذي قد يعيق تطورها كلغة حية تستطيع أن تعيش زمانها وتعبر عن هموم جيله وتخدم مطالبهم في الارتقاء بنفس آليات العصر من علوم وفنون وتكنولوجيا.

ارتباطا بنفس اللغة، نلمس محدودية في قدرة التخطيط اللغوي على تعزيز مكانة الفصحى في المنظومة التربوية بعد الانتقال من سياسة التعريب إلى سياسة الانفتاح على العاميات. فالدارجة تجتاح الفصول الدراسية وعدم القدرة على تقنين الانفتاح على العاميات والتحديد الدقيق لوظيفة كل لغة على حدة، أساء إلى تعلم اللغة أكثر مما ساهم في خدمها، رغم ذلك ومهما عانت الفصحى من تضييق، فهي تظل في تصور الطلبة لغة في المتناول. أما مصدر صعوبات التعلم فتأتي تارة من داخل اللغة وتارة أخرى من التخطيط اللغوي والاكراهات الخارجية، بنسب لا تتباعد بشكل كبير عن بعضها البعض.

إن الرغبة في متابعة الدراسة الجامعية دون اصطدام بحاجز اللغة، هي عموما ما يوجه انفتاح الطلبة على اللغات الأجنبية، وهو السبب الرئيسي الذي جعل السياسة اللغوية البديلة التي يقترحها المجلس الأعلى للتعليم تحاول خلق توازن ما بين اللغات المتداولة عبر طرح فكرة تناوب اللغات على مستوى لغة التدريس، إلا أن المشكل يبدو أعمق من ذلك، خصوصا بعدما لمسنا عند الطلبة

حماسا لاكتساب لغات أجنبية أخرى كاللغة الإنجليزية والألمانية وتفضيلها على اللغة الفرنسية التي تحظى بمكانة متميزة في السياسة اللغوية، وكأننا أمام سياسة لغوية مفارقة، لا تراعي الحاجيات السوسيولسانية للطلبة الذين يبدون استعدادا لتعلم لغات أوسع انتشارا وأكثر قدرة على ربطهم بما ينتجه العالم من أدب وعلم وفنون.

4.**مقترحات وتوصيات:**

غالبا ما يرخي السياسي والاقتصادي بظلاله على التربوي، فعدم التمكن من اللغة لا يكون دائما نتيجة مناهج تربوية غير لائقة، أو انعدام الحافز، أو بنيات تحتية ضعيفة، بل إن المشكل يكمن في القوى السياسية التي تعمل على خلق أوضاع لا تساعد على تعلم اللغة. فالدولة تبدي استعدادا لتسخير ميزانيات ضخمة لاكتساب لغة السلطة (اللغة الفرنسية في المغرب)، ولكنها تتقاعس على سن وتفعيل قوانين لغوية تهم اللغات الوطنية المفترض أنها اللغات الرسمية للبلد.

شرط آخر يقتضيه تحقيق سياسة لغوية ديمقراطية، ويتعلق الأمر بمدى قدرة المخططين على الانفتاح على الواقع واستفتاء المغاربة في شأن اختياراتهم اللغوية. فاللغات لا تفرض بقرار، بل تفرزها ممارسة الجماعات اللغوية المتعايشة، وتتطور وفق الشروط التاريخية والاجتماعية التي تتحكم في الوضع اللغوي، لذلك، كان لزاما على أصحاب القرار اللجوء إلى معطيات تصف وصفا دقيقا الأوضاع اللغوية ومشاكلها، والبحث في المواقف والعلاقات التي يقيمها المتكلمون مع اللغات.

من النتائج التي توصل إليها البحث الميداني، نستشف قفز المشرع على الخصائص اللغوية-الاجتماعية للمجتمع المغربي، ومحاولته فرض سياسة لغوية لا تراعي حاجات المواطن في التواصل بلغاته الوطنية وكذلك في الانفتاح على العالم بلغات تضمن له الانخراط الفعال في سياق الكونية، نلمس ذلك من خلال وضع اللغة الأمازيغية من معيرة وتعميم، ومحاولة احتجاز الفصحى في براثين المقدس الجامد، وكذلك وضع لغات الانفتاح وانتصار الفرنسية المفروضة بقوة السياسة اللغوية على حساب اللغة الانجليزية التي يميل الطلبة إلى جعلها لغة الانفتاح الأولى، إن مجموع هذه المعطيات يجعلنا، حقا، نقف موقف المشكك في غايات المشرِّع وأهداف التخطيط.

لكن تبني الموقف التشكيكي العدمي لن يطور النقاش حول المسألة اللغوية، وسيكون من الأجدى الانخراط في التفكير والبحث عن الصيغ والبدائل الفضلى لتدبير الوضع. في ظل الجهوية الموسعة، تنحو الدولة منحى تأهيل الجهات وتمتيعها بمزيد من الاستقلالية في تدبير شؤونها المحلية، فقد تجد المدرسة المغربية ولغاتها مكانا لها في مخططات الجهات. في هذا السياق، نرى بأن اعتماد الجهوية هي المقاربة الأنسب في حل المسألة اللغوية بالمغرب.

يمكن اقتراح خطة عملية تقوم على أساس إدراج الخصائص اللسانية والاجتماعية للجهات في التقطيع الجهوي، وتصبح السياسة اللغوية مدعوة إلى تعزيز البعد الهوياتي للمنطقة من خلال تدريس التنوعات الأمازيغية والعربية في مواد خاصة بالثقافة الشفوية. لكن المقترح يواجه تحدي التوفيق بين المطلب الهوياتي والتخطيط الاستراتيجي للغات، ويصطدم من جهة أخرى بخطر

التقوقع والتمركز حول الذات والإقصاء العنصري للآخر، سيكون من الأجدى تعزيز المشترك وتطويره والبحث في نفس الآن عن قنوات تواصل مع الغير المختلف.

إذا كان المشترك بين المغاربة هو الوطن والهوية المتعددة، فالمغاربة الأمازيغ في ظل جهوية موسعة يمكن أن يعملوا على تطوير اللغة الأمازيغية وتأهيلها ومراكمة الإنتاج الفكري والثقافي الناطق بها، وللجهات أن تبدع في ذلك بما تزخر به من مؤهلات محلية. وينكب المغاربة المعربون على تقوية الفصحى وتعزيز مكانتها مع الاعتناء بالتنوعات العربية المتفرعة عنها. لمد جسور الربط بين المكونين الثقافيين، يجب أن تنشط عملية الترجمة في اتجاهين: الأول من الفصحى إلى الأمازيغية ومن الأمازيغية نحو الفصحى والثاني من اللغات الوطنية إلى الإنجليزية ومن اللغات الأجنبية عموما إلى إحدى اللغتين الرسميتين، ويشرف على العملية المؤهلون من المكون اللغوي المترجم إليه.

درءا لخطر التفرقة والعنصرية، تكون الدولة مطالبة بتعزيز وتقوية برامج التربية على المواطنة في سياستها التعليمية. وفي سياستها اللغوية عليها محاربة التمثلات السلبية تجاه لغات الوطن، ثم العمل على فتح أسواق لغوية تروج بشكل منصف وعادل للرأسمال المحصل عليه من المكونيين معا؛ الأمازيغي والعربي.

خلاصة:

ختاما نقول: إن التخطيط للغات يجب أن يخدم كل الفئات الاجتماعية وليس مصالح فئة بعينها، لذلك وجب على السياسة اللغوية إثبات القيمة الاقتصادية للغات الوطنية كأول خطوة نحو الديمقراطية اللغوية والعمل على محاربة التمثلات اللغوية السلبية التي تعكس عدم ثقة المواطن في قدرة اللغة الوطنية على الحلول محل اللغة الأجنبية، لأن الممارسات اللغوية النخبوية لأصحاب النفوذ السياسي والاقتصادي تدفع المواطن العادي إلى تبخيس الذات والتخلي عن لغته طمعا فيما تتيحه لغة الآخر من فرص في التعليم الجيد والشغل الأعلى أجرا.

أما الانفتاح على العالم، فيجب أن يكون فعلا عقلانيا واختيارا حرا مستقلا للدولة، تمارس من خلاله سيادتها عبر انتقاء اللغة الأجنبية الأكثر قدرة على إلحاق المملكة بعالم المعرفة، دون إغفال دور الترجمة في ربط المحلي بالكوني وضرورة إيلاء العملية ما يلزم من العناية والاهتمام داخل المدارس، مع الحسم في شأن اللغة الأجنبية المترجم منها وإليها.

قائمة المراجع:

1. البرنامج الاستعجالي 2009-2011(2007).
2. التقرير التحليلي(2014).
3. التقرير التركيبي(2008).
4. التقرير التركيبي للمخطط الاستعجالي(2009).
5. التوجيهات والاختيارات التربوية الخاصة بمادة الترجمة(2007).
6. الدستور المغربي(2011).
7. الكتاب الأبيض: ج 2، ج3.
8. لويس جان كالفي(2007)، السياسات اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان.

9. المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي(2015).
10. الميثاق الوطني للتربية والتكوين(1999).
11. وثيقة البرامج والتوجهات الخاصة بسلك التعليم الابتدائي(2011)
12. Jan Jaap De Ruiter(2006). Les jeunes Marocains et leurs langues, L'Harmattan, Paris.
13. Josette Virasolvit(2005). La dynamique des représentations sociolinguistiques en contexte plurilingue, L'Harmattan, Paris.
14. Sonia Branca-Rosoff(1996). Sociolinguistique, territoires et objets, Delachaux et Niestlé, Lausanne.

مرفقات

استمارة: اللغات في المجتمع وفي المنظومة التعليمية بالمغرب

يسرنا أن نضع بين يديكم الاستبيان الذي يتضمن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بوضع اللغات بالمغرب، تدخل هذه الدراسة في إطار بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب من جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، ونثير انتباهكم إلى أنه ليس هناك جواب صحيح أو جواب خاطئ، فأفضل الأجوبة هي تلك التي تعبر بوضوح وبصدق وموضوعية عن آرائكم الخاصة، ونؤكد لكم أن أجوبتكم لن تستعمل إلا لأغراض علمية محضة، ومن ثمة، فإننا نضمن لكم سريتها ونلتزم أخلاقيا بذلك. لكم الشكر الجزيل لتعاونكم معنا.

1-السن..........2-الجنس: ذ أنثى 3-مستوى الدراسي............4-الشعبة...........5-الكلية........ 6 - مصدر الباكالوريا:1 قطاع عام 2 قطاع خاص 7-مهنة الأب............. 8-مهنة الأم............. 9-الدخل الشهري للأسرة: أقدم لك أسفله أصنافا من المداخل الشهرية بالدرهم، المرجو منك تحديد الصنف الذي يعبر على الدخل الشهري لأسرتك:

1. أقل من 1000درهم
2. من 1100درهم إلى 3000درهم
3. من 3100درهم إلى 5000درهم
4. من 5100إلى 7000درهم
5. من 7100إلى 10000درهم
6. أكثر من 10000درهم

10-وسط إقامة الأسرة: 1 قروي 2 حضري 11-اللغة الأم (اللغةالأولى)...............

الجزء الأول : اللغة/اللهجة ومستوى التحكم فيها

12- ماهي درجة تمكنك من اللهجات المغربية؟ (ضع اللهجات التي تتكلمها في الخانة المناسبة. من بين اللهجات: 1.الحسانية، 2.العربية المغربية "الدارجة"، 3. تاشلحيت، 4. تامازيغت، 5.تاريفيت، 6.أمازيغية الجنوب الشرقي، 7.الأمازيغية الزناكية

	1.جيد جدا	2.جيد	3.متوسط	4.أقل من المتوسط	5.لا أجيدها مطلقا
1.التحدث					
2.الاستماع (الفهم دون التحدث)					

13- ماهي درجة تمكنك من اللغة العربية الفصحى؟(ضع العلامة x أمام الجواب المناسب)

	1. جيد جدا	2. جيد	3. متوسط	4.أقل من المتوسط	5.لا أجيدها مطلقا

1.التحدث					
2.الفهم					
3.القراءة					
4.الكتابة					

14- ماهي درجة تمكنك من اللغة الفرنسية؟ (ضع العلامة x أمام الجواب المناسب)

	1.جيد جدا	2.جيد	3.متوسط	4.أقل من المتوسط	5.لا أجيدها مطلقا
1.التحدث					
2.الفهم					
3.القراءة					
4.الكتابة					

15- ماهي درجة تمكنك من اللغات الأجنبية الأخرى ؟ (ضع اللغة أو اللغات التي تتكلمها في الخانة المناسبة. من بين تلك اللغات: الإنجليزية، الإسبانية، الألمانية...)

	1.جيد جدا	2.جيد	3.متوسط	4.أقل من المتوسط	5.لا أجيدها مطلقا
1.التحدث					
2.الفهم					
3.القراءة					
4.الكتابة					

الجزء الثاني: استعمال اللغات ومجالات توظيفها

16- رتب حسب اختيارك، من 1إلى4، استعمالك للغة أو اللهجات المذكورة في الأوضاع التالية:

1. المنزل الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها).....................
2. العبادة الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...................

3. المطالعة الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...................
4. رسالة قصيرة الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)..................
5. لائحة للتسوق الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها).....................
6. مشاهدة التلفاز الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها).....................
7. الاستماع للأغاني الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...................
8. تصفح النيت الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...................
9. المدرسة (مع الطلبة) الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسيه ☐ لغة أخرى ☐ (حددها).....................
10. الإدارة الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...........................
11. الشارع الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...........................
12. ندوة الفصحى ☐ اللهجة ☐ الفرنسية ☐ لغة أخرى ☐ (حددها)...........................

الجزء الثالث: آراء ومواقف من اللغات

17-1. من بين اللغات التالية (1.الفصحى، 2. الفرنسية، 3. الإنجليزية، 4. الإسبانية، 5. لغة أخرى) رتب اللغات التي تتحدث بها حسب الأفضلية:

1...........2...........3............4............5..............................

17-2. لماذا؟..

18- من بين اللغات التالية (1.الفصحى، 2. الفرنسية، 3. الإنجليزية، 4. الإسبانية، 5. لغة أخرى)، ما هي اللغات التي لا تجيدها وترغب في التحدث بها (رتبها حسب الأفضلية)

1.......................2.........................3..........................4....................5........
...

19-1. من بين اللغات التالية، ماهي اللغة التي تعتبرها ضرورية؟

☐ العربية الفصحى 2. ☐ الأمازيغية 3. ☐ الفرنسية 4. ☐ الإنجليزية 5. لغة أخرى (حددها) ☐

19-2 لماذا؟...

20- 1. من بين اللغات التالية، ماهي اللغة التي تعتبرها جميلة؟

☐ العربية الفصحى ☐ الأمازيغية ☐ الفرنسية ☐ الإنجليزية ☐ لغة أخرى (حددها)

20-2. لماذا؟..

21- هل الدارجة المغربية مدعاة فخر بالنسبة لك؟ ☐ نعم ☐ لا ☐ لا أدري

22- هل اللغة العربية الفصحى مدعاة فخر بالنسبة لك؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

23- هل اللغة الأمازيغية مدعاة فخر بالنسبة لك؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

1-24. هل تتفق مع المزج بين العامية المغربية واللغة الأجنبية في الحياة اليومية؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

2-24. لماذا؟ ....

25-ما هي اللغة التي تستعملها للاعتذار لشخص أخطأت في حقه؟

....

الجزء الرابع: اللغات في النظام التعليمي

26-داخل الفصل الدراسي، هل كانت لغة التدريس (شرح الدروس) هي1. العربية الفصحى ☐ 2. العامية ☐ 3. الفرنسية ☐ 4. الانجليزية ☐ 5. لغة أخرى(حددها)....................

1-27. لو تُرك الخيار لك، ما هي اللغة أو اللهجة التي تفضل أن تتعلم بها القراءة والكتابة؟

2-27.لماذا؟..

1-28.هل أنت متفق مع استعمال العاميات في التعليم؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

2-28. لماذا؟...

1-29.هل أنت متفق مع تدريس أمازيغية موحدة؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

2-29.لماذا؟..

30 -في نظرك، هل تعلم الأمازيغية يجب أن يكون : إلزاميا ☐ أم اختياريا ☐ ؟

1-31.ما هو رأيك في عملية تعريب المواد الدراسية مع ☐ ضد ☐ لا أعلم ☐

2-31.لماذا؟..

32-تعتبر العربية الفصحى، لغة: سهلة ☐ سهلة جدا ☐ في المتناول ☐ صعبة صعبة جدا

33-إذا اعتبرت الفصحى لغة صعبة، فهل مصدر الصعوبة هو:(رتيب الاختيارات من 1 إلى 7، بدءا بالأكثر صعوبة)

1. فقر المعجم
2. صعوبة قواعد النحو
3. صعوبة الخط
4. تعقد الأسلوب
5. ضعف منهجيات التعليم والتعلم
6. كفاءة المدرسين
7. ضعف البنية التحتية (اكتظاظ الأقسام، قلة المدارس..

34-كيف تجد درس اللغة؟

	العربية الفصحى	الأمازيغية	الفرنسية	الإنجليزية	الإسبانية
ممتع					
عادي					
ممل					

35- خلال حصة اللغات، هل تتحدث في القسم باللغة التي أنت بصدد تعلمها؟ (ضع علامة في الخانات المناسبة)

	العربية الفصحى	الأمازيغية	الفرنسية	الإنجليزية	الإسبانية
غالبا					
من وقت لآخر					
نهائيا					

36-خلال مسارك التعليمي، هل سبق أن استفدت من دروس في الترجمة؟ نعم ☐ لا

37-إذا كان الجواب "نعم"، ماهي اللغات المترجَم منها وإليها؟ ....

38-الانفتاح على اللغات الأجنبية يشكل تهديدا للغات الوطنية؟ نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

39-من بين اللغات الأجنبية التالية، ما هي اللغات التي تعتبر تعلمها ضروريا (رتبها حسب الأولوية) ☐

الفرنسية ☐ الإنجليزية ☐ الإسبانية ☐ لغات أخرى (حددها) ☐

40- هل تشكل اللغة الأجنبية عائقا أمام ولوجك بعض التخصصات في الجامعة؟ نعم ☐

☐

تقييم الإصدارات الصوتية واللغوية عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقعي من خلال تطبيق إختبار MUSS

Evaluation of the language sounds in deaf child with cochlear implant through the application of MUSS test

د. فني سمير، جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

ملخص: تندرج الدراسة المنجزة ضمن الدراسات المتعلقة بالأبحاث الخاصة بالعلوم العصبية ،حيث تم التطرق من خلالها إلى تقييم الاصدارات الصوتية واللغوية عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقعي من خلال تطبيق اختبار MUSS الخاص بتقييم القدرات الصوتية واللغوية، وللإجابة على التساؤل المطروح و الفرضية المقدمة تم اختيار لعينة بحث تتكون من 12 حالة استفادت من جهاز الزرع القوقعي وبإتباع منهج دراسة حالة ومن خلال النتائج المقدمة تم الإجابة على التساؤل المطروح بقبول الفرضية القائلة بوجود فاعلية لجهاز الزرع القوقعي في تنمية القدرات الصوتية و اللغوية عند الطفل.

الكلمات المفتاحية: الإعاقة السمعية، الزرع القوقعي، الأصوات اللغوية.

Abstract: In the context of neuroscience research our study aims to demonstrate by its problematic: the impact of the cochlear implant on the production of language sounds in the deaf child.

To achieve our goal, a sample of 12 deaf children implanted was selected considering several variables such as age of implantation, degree and types of deafness. And after having passed the MUSS test over successive periods, pre-implantation and at 3 months, 12 months and 18 months post-implantation. And after a quantitative and qualitative analysis of the results collected we have accepted our hypothesis that there is a correlation between the cochlear implant and the production language sounds in deaf child.

Keywords: hearing loss, cochlear implant, language sounds.

مقدمة

تكتسي الإعاقة السمعية أهمية كبرى في ميدان البحث العلمي من خلال تعدد طرق التكفل وتعدد المعينات السمعية وظهور أدوات طبية وتقنية حديثة كلها تهدف إلى الحد من الضعف السمعي وتطوير النمو اللغوي بهدف إعطاء المصاب فرصة أمثل للتواصل والاندماج، ومن أحدث هذه التقنيات العالمية الجديدة "جهاز الزرع القوقعي" وهو عبارة عن جهاز الكتروني مصمم لالتقاط الأصوات وفهم الكلام المحيط بالأشخاص الذين يعانون من فقد السمع الحسي العصبي سواء كانوا أطفالا أو بالغين والذين لا يمكنهم الاستفادة من المعينات السمعية التقليدية التي غالبا ما تكون ذات قدرة محدودة على تحسين التقاط الكلام وفهمه، حيث يعتبر السمع من أكثر المتغيرات التي تؤثر في عملية الكلام.

ومع توفر كل هذه التقنية بين أيدينا فان استخدام أسلوب التربية السمعية والإدراكية للصوت والكلام يعتبر أول خيار في التكفل بالأطفال المستفيدين من تقنية الزرع القوقعي، فبإتباع هذه الطريقة بجميع مراكز الزرع القوقعي قد يترتب عن ذلك تحسن ملحوظ في عمليات الإدراك السمعي للصوت و التعرف عليه والإدراك السمعي للكلام وطرق إنتاجه هذا ما ينعكس ايجابيا على تحسين اللغة وطرق التواصل(خولة محمد الزبن، 2004، ص3).

أما اليوم وبفضل التقدم التقني فان غالبية الأطفال الذين يعانون من ضعف سمعي أصبحوا قادرين على تعلم جميع الأصوات اللغوية بالاعتماد على حاسة السمع، إلا أن مجرد تزويد الطفل بالجهاز السمعي أو بالزرع القوقعي لا يعني أنه سيصبح قادرا على استقبال وتفسير الأصوات بشكل تلقائي، إذ يجب على الطفل أن يتعلم كيفية الاستماع باستخدام الأجهزة (سواء أجهزة المعينات السمعية أو أجهزة القوقعة السمعية الإلكترونية)، ويتم ذلك من خلال تعلم سماع وتفسير هذه الأصوات وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة قدرة الطفل على تطوير اللغة المنطوقة.

ومن خلال ما تقدم تبرز أهمية اعتماد برنامج التأهيل السمعي على تنمية مهارات الإدراك السمعي للصوت والتمييز بين الأصوات بطريقة متدرجة قائمة على الخصائص الفونولوجية للأصوات، بالإضافة إلى الإدراك السمعي للكلام والطرق المساعدة على إنتاجه حتى يتمكن الأطفال الذين يستفيدون من المعينات السمعية أو أجهزة زراعة القوقعة السمعية الالكترونية من تطوير لغتهم اللفظية بطريقة تحاكي التطور الطبيعي لدى أقرانهم العاديين.

وعلى هدا الأساس جاء موضوع بحثنا ليسلط الضوء حول جهاز الزرع القوقعي وأهميته في تنمية الإصدارات الصوتية واللغوية عند الطفل الأصم وذلك من خلال تطبيق اختبار MUSS، حيث تم تطبيق هذا الاختبار على اثنتي عشر 12 حالة من الأطفال المستفيدين من عملية الزرع القوقعي آخذين بعين الاعتبار بعض المتغيرات أهمها عامل السن أثناء عملية الزرع، أما تمرير الاختبارات فقد تم على عدة فترات بداية من فترة ما قبل الزرع القوقعي ثم في نهاية الشهر الثالث03 بعد عملية الزرع، يليها الشهر الثاني عشر 12 شهرا و أخيرا في الشهر الثامن عشر 18 بعد العملية.

وبالنظر إلى مجموع شروط نجاح عملية الزرع القوقعي وبلوغ غايتها المنتظرة ارتأينا طرح التساؤل التالي:

هل للاستفادة من جهاز الزرع القوقعي فاعلية في تنمية الإصدارات الصوتية واللغوية عند الطفل الأصم ؟

الفرضية: للزرع القوقعي فاعلية في تنمية الإصدارات الصوتية و اللغوية عند الطفل الأصم.

أهمية الدراسة ومبررات إجراءها: لهذه الدراسة أهمية نظرية وعملية في آن واحد يمكن توضيحهما فيما يلي:

الأهمية النظرية: تبرز أهمية هذه الدراسة على الصعيد النظري من خلال فتح المجال أمام الباحثين في مجال الإعاقة السمعية للإهتمام بعملية الزرع القوقعي وإبراز أهميتها في تنمية الإصدارات الصوتية واللغوية وطرق التواصل عند الطفل الأصم، كما تساعد هذه الدراسة كذلك على توضيح أهمية العمر الزمني عند الزرع و العمر عند الإصابة في إنجاح العملية و مسايرة الطفل الأصم للطفل السليم سمعيا بمحاكاته لنفس المراحل الطبيعية للنمو اللغوي.

الأهمية التطبيقية: تتلخص الأهمية التطبيقية للدراسة في كونها تمثل مرجعية علمية في دراسة الجانب السمعي واللغوي عند الطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقعي، باعتبارها دراسة طولية - عرضية تأخذ بعين الإعتبار عدة متغيرات أهمها السن باعتباره متغير أساسي يضاف إلى متغيرات أخرى يلعب كل منهما دورا فعالا في تنمية الثروة القدرات المعرفية عند الطفل الأصم من خلال التركيز على الإصدارات الصوتية والكلامية واستراتيجيات الاتصال التي يستعملها.

أهداف الدراسة: بالنظر للإشكالية المطروحة و للفرضية المقترحة ومن خلال الأهمية النظرية والتطبيقية للدراسة الحالية تم تحديدنا لأهداف الدراسة في النقاط التالية:

-تقييم الإصدارات الصوتية للطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقعي.

-تقييم الإصدارات اللغوية واستراتيجيات التواصل للطفل الأصم الحامل لجهاز الزرع القوقعي.

-توضيح أهمية التجهيز المبكر (جهاز الزرع القوقعي) في تنمية الإصدارات الصوتية والكلامية عند الطفل الأصم.

تحديد المصطلحات:

الزرع القوقعي: هو حاسوب صغير يزرع في الأذن الداخلية ويحتوي على عدة إلكترودات (أقطاب) تسمح بتنشيط ألياف العصب السمعي لنقل السيالة العصبية إلى المخ ويستعمل هذا الجهاز لحالات الصمم العميق ذو الأصل الوراثي أو المكتسب، كما يعرف كذلك على أنه عبارة عن إلكترودات (أقطاب) توضع جراحيا داخل القوقعة في الأذن الداخلية ويستعمل في حالة عدم فعالية المعين السمعي لحالات الصمم الإدراكي العميق سواء كان ذو أصل وراثي أو مكتسب، أما العملية الجراحية فتجرى بتخدير عام وإحداث شق خلف صوان الأذن منه يتم زرع الإلكترودات داخل القوقعة والتي بدورها تعمل على تنشيط الخلايا الحسية للأذن الداخلية وترسل السيالات العصبية إلى المخ عبر العصب السمعي (Dumant A, 1997 p32).

الصمم: يعرف (القريوتي وعبد العزيز السرطاوي وجميل الصماوي، 1995، ص139) الأصم بأنه الفرد الذي يعاني من عجز سمعي إلى درجة فقدان سمعي يصل إلى 70 ديسبل فأكثر يحول دون اعتماده على حاسة السمع في فهم الكلام سواء باستخدام المعينات السمعية أو بدونها، كما

يعرف كذلك بأنه "الفرد الذي فقد حاسة السمع لأسباب وراثية فطرية أو مكتسبة سواء منذ الولادة أو بعدها الأمر الذي يحول بينه وبين متابعة الدراسة وتعلم خبرات الحياة مع أقرانه العاديين وبالطرق العادية لذلك فهو في حاجة ماسة إلى تأهيل يتناسب وقصوره الحسي"(سمير محمد عقل، 2012، ص57).

الصوت: يعرف الصوت على أنه الأثر السمعي الناتج عن ذبذبة مستمرة ومطردة لجسم من الأجسام قد يسمع ذلك من خلال احتكاك جسم بجسم آخر أو اصطدامه به أو يسمع من الآلات الموسيقية الوترية والنفخية أو من جهاز النطق عند الإنسان، فالأثر السمعي من حيث هو ظاهرة ينتقل عبر واسطة قد تكون محيطا غازيا أو سائلا أو صلبا وبذلك يتم التواصل و تتحقق العملية الإبلاغية(أحمد حساني ، 1999، ص69).

ويعرف الصوت اللغوي على أنه مجموع الإحساسات السمعية والحركات النطقية للوحدة المسموعة والمنطوقة والتي تربطهما علاقة اشتراطية فالصوت إذن وحدة مركبة تتدخل في كل سلسلة كلامية (F De saussure, 2002 , p63).

الكلام : الكلام هو الإنتاج الصوتي للغة والقدرة على تشكيل وتنظيم الأصوات اللغوية في اللغة اللفظية ويصف الخطيب 2001 الكلام على أنه عملية دينامية تتضمن إنتاج الأصوات الكلامية بهدف التواصل والأصوات الكلامية هي نتاج أربعة عمليات مترابطة هي: (1) التنفس فهو يعمل بمثابة القوة المحركة للكلام (2) حالة الصوت وهو اقتراب الأوتار الصوتية من بعضها البعض مما ينجم عنه اهتزاز في الهواء (3) الرنين وهو تعديل أو تشكيل نوعية الصوت الصادر عن اهتزاز الهواء أثناء مروره عبر الفم و الحلق و أحيانا الأنف (4) النطق وهو تشكيل أصوات كلامية محددة باستخدام الشفتان واللسان والأسنان والفم(ايناس محمد عليان عليمات، 2009، ص10).

المنهج المستخدم: لقد تم اختيارنا لمنهج دراسة الحالة عن المناهج الأخرى وذلك لكونه يهدف إلى التعرف على وضعية واحدة معينة وبطريقة تفصيلية دقيقة(عمار بوحوش، 2007، ص130)، ويعرف هذا المنهج بأنه "المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء كانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما"(كشرود عطية، 2007، ص280)، وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة، أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها، وذلك بقصد الوصول إلى تعليمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المتشابهة(عبد الباسط حسن، 1963، ص329).

حدود الدراسة:

الحدود البشرية: اقتصرت هذه الدراسة على عينة من الأطفال فاقدي السمع والذين استفادوا من أجهزة الزرع القوقعي بالمستشفى الجامعي الدربان–عنابة– الجزائر.

الحدود الزمنية: أجريت هذه الدراسة في الفترة الممتدة مابين شهر مارس 2013 إلى غاية شهر جوان 2015. و هذا بداية من فترة ما قبل الزرع القوقعي إلى غاية نهاية الشهر الثامن عشر(18) لما بعد الزرع القوقعي، حيث تم تمرير اختبارات muss على فترات متلاحقة بداية

بمرحلة ما قبل الزرع ثم الشهر الثالث (03) ما بعد الزرع يليها الشهر الثاني عشر (12) و في الأخير الشهر الثامن عشر(18).

الحدود المكانية: شملت هذه الدراسة مجموعة من الأطفال الذين يتابعون عملية التكفل ما بعد الزرع القوقعي على مستوى مصلحة الأذن والأنف والحنجرة بالمستشفى الجامعي الدربان بعنابة، بالإضافة إلى ذلك فقد تم متابعة بعض الحالات الذين استفادوا من عملية الزرع القوقعي بالمستشفى الجامعي–الدربان-عنابة ثم أعادوا الالتحاق مرة أخرى بمدرسة صغار الصم البوني ولاية عنابة.

عينة الدراسة وخصائصها: بهدف الإجابة على التساؤل المطروح في الإشكالية وبهدف تحقيق أهداف البحث ومن خلال الدراسة الاستطلاعية التي قمنا بها بمستشفى الدربان مصلحة الأذن والأنف والحنجرة وبمدرسة صغار الصم بالبوني عنابة، تم اختيارنا لعينة الدراسة مراعين في ذلك عدة متغيرات أهمها:

عامل السن: عينة الأطفال تتراوح مابين سنتان ونصف إلى ثمانية 08 سنوات.

السن	تقارب السنتان والنصف	من 4 إلى 5 سنوات	من 7 إلى 8 سنوات
عدد الحالات	04	04	04

نوع الإعاقة السمعية: كل أفراد العينة يعانون من صمم إدراكي خلقي..

درجة الإعاقة السمعية: كل أفراد العينة يعانون من صم حاد إلى صمم عميق أي أن العتبة السمعية لديهم تتجاوز 80 db.

الاضطرابات المصاحبة: لا توجد أي اضطرابات مصاحبة أخرى يعاني منها أي فرد من أفراد العينة كما أن نتائج الفحوصات والاختبارات المستعملة قبل عملية الزرع كلها سليمة.

أدوات البحث: للإجابة على التساؤل المطروح تم اختيارنا لأداة البحث التالية:

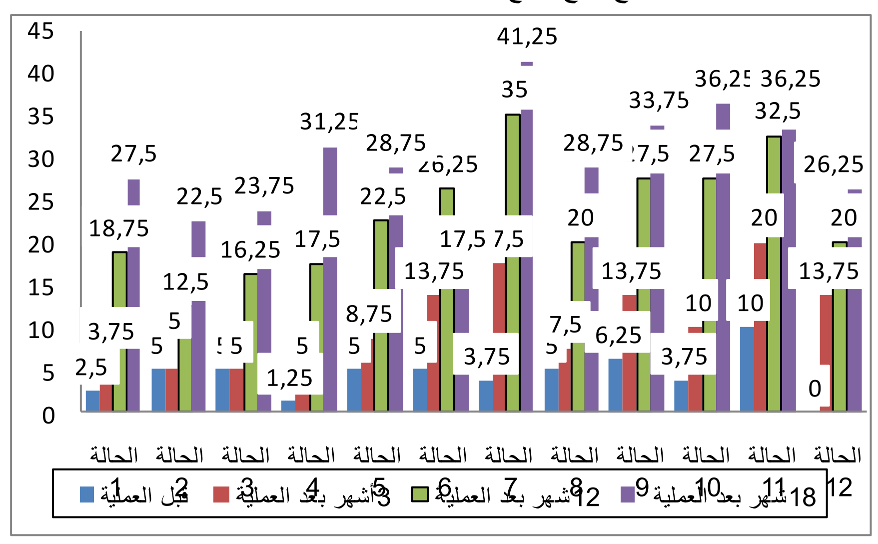
مقياس تقييم قدرة الطفل على إصدار الأصوات اللغويةMUSS(أشرف أبو العز، 2004، ص56): هو عبارة عن استبيانين أحدهما موجه للأولياء و الأخر موجه للشخص المكلف بمتابعة الطفل بعد عملية الزرع القوقعي ويطبقان هذان الاستبيانان على شكل مقابلة تتم بين الباحث والأولياء وبين الباحث والأخصائي الأرطفوني وخلال هذا الاستبيان يتم طرح عدة أسئلة على كل منهما (الأولياء والمختص) تهدف إلى تقييم قدرة الطفل على إصدار الأصوات اللغوية، ويتكون هذا الاستبيان من 10 أسئلة لكل سؤال أربعة 04 أجوبة احتمالية مع إضافة التعليق لتوضيح الإجابة المختارة أو إضافة ملاحظات لم تذكر في الإجابات المقترحة ، كما أن الأسئلة المقترحة موزعة على ثلاثة مجموعات المجموعة الأولى: من السؤال 1 إلى السؤال3 وتمثل إصدار الأصوات، أما المجموعة الثانية: من السؤال 4 إلى السؤال 8 تمثل الأصوات الكلامية في حين السؤالين 9 و 10 فيوضحان لنا استراتيجيات التواصل، مع العلم أن هذا الاستبيان صالح للتطبيق على كل الأعمار، أما تقدير النتائج فتتراوح ما بين 0 الى 4 وذلك على النحو التالي:

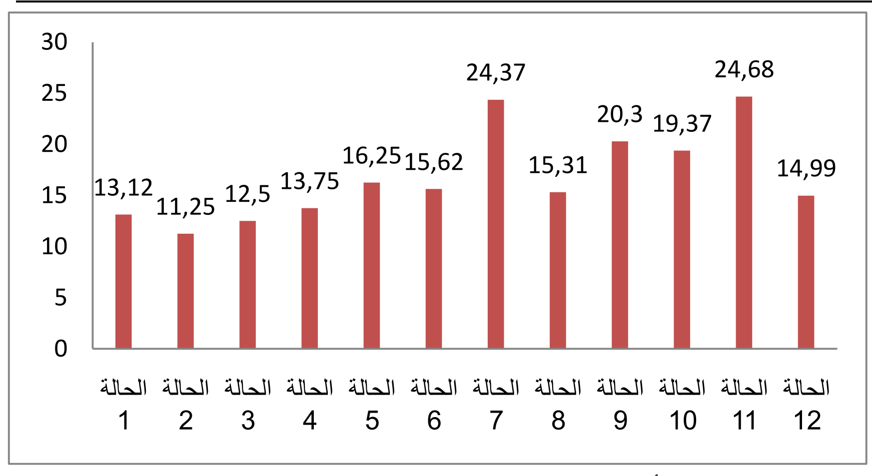
0ـــــــ أبدا، 1 ـــــــــ نادرا، 2 ـــــــأحيانا، 3 ـــــــ غالبا، 4 ـــــــ دائما.

النتائج المتحصل عليها:

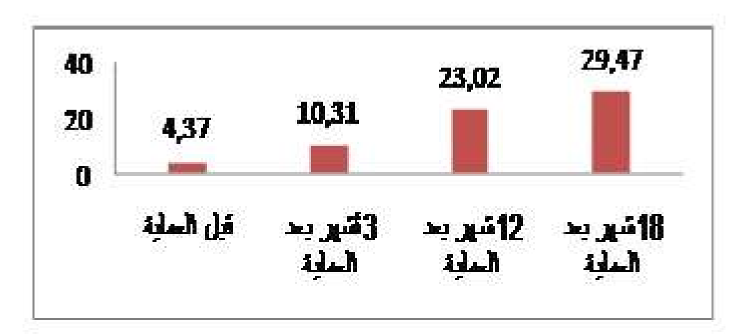
الحالة	قبل العملية	3أشهر بعد العملية	12شهر بعد العملية	18شهر بعد العملية	متوسط النتائج بعد العملية	متوسط النتائج
1	2,5	3,75	18,75	27,5	16,66	13,12
2	5	5	12,5	22,5	13,33	11,25
3	5	5	16,25	23,75	14,99	12,5
4	1,25	5	17,5	31,25	17,91	13,75
5	5	8,75	22,5	28,75	20	16,25
6	5	13,75	26,25	17,5	19,16	15,62
7	3,75	17,5	35	41,25	31,25	24,37
8	5	7,5	20	28,75	18,74	15,31
9	6,25	13,75	27,5	33,75	25	20,3
10	3,75	10	27,5	36,25	24,58	19,37
11	10	20	32,5	36,25	29,58	24,68
12	0	13,75	20	26,25	20	14,99
متوسط النتائج	4,37	10,31	23,02	29,47	20,93	16,79

جدول يوضح نتائج جميع الحالات لاختبار MUSS





أعمدة تبين متوسط النتائج لاختبارMUSS



أعمدة بيانية توضح تطور متوسط نتائج جميع الحالات في اختبار MUSS عبر مراحل التمرير

تحليل النتائج:

أ.التحليل الكمي للنتائج:

التحليل الكمي لنتائج الحالة الأولى: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 13.12%، فقدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 2.5% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 27.5% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 3.75 % و 18.75% على التوالي وعليه فقد حققت هذه الحالة نسبة نجاح ما بعد العملية قدرت بـ 16.66%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الثانية: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 11.25% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 05% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 22.5 % في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 05 % و 12.5 % على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية تقدر بـ 13.33%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الثالثة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 12.49% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 05% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 23.75% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 05% و 16.25% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 15%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الرابعة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 13.74% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 01.25% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 31.25% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 05% و 17.5% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 91.17%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الخامسة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 16.24% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 05% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 28.75% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 08.75% و 22.5% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 20%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة السادسة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 15.62% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 05% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثاني عشر 12 والتي قدرت بـ 26.25 % في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثامن عشر 18 بـ 13.75 % و 17.5% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 16.19%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة السابعة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 24.37% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 3.75% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 41.25% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 17.5% و 35% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 25.31%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الثامنة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 15.31% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 05% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 28.75% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 7.5% و 20% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 18.75%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة التاسعة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 20.3% وحيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 6.25% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 33.75% في حين

قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 13.75% و 27.5% على التوالي. وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 25%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة العاشرة: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 19.37% وحيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 3.75% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثامن عشر 18 والتي قدرت بـ 36.25% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثاني عشر 12 بـ 10 % و 27.5% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 58.24%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الحادية عشر: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 24.68% حيث قدرت نسبة النجاح في مرحلة ما قبل الزرع بـ 10% أما أعلى نسبة ما بعد عملية الزرع القوقعي فقد سجلت في الشهر الثاني عشر 18 والتي قدرت بـ 36.25% في حين قدرت النتائج المسجلة في الشهر الثالث03 والشهر الثامن عشر 18 بـ 20 % و 32.5% على التوالي، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدر بـ 58.29%.

التحليل الكمي لنتائج الحالة الثانية عشر: يتضح لنا أن متوسط النجاح في اختبار MUSS قدر بـ 14.99% حيث أن هذه الحالة لم تسجل أي نتيجة تذكر قبل عملية الزرع في حين حققت نسبة نجاح تقدر بـ 13.75% في الشهر الثالث بعد عملية الزرع أما في الشهر الثاني عشر فقد وصلت هده النسبة إلى 20% في حين بلغت أعلى درجة مسجلة في الشهر الثامن عشر والمقدرة بـ 26.25%، وعليه فقد حققت هذه الحالة متوسط نسبة نجاح ما بعد العملية قدرت بـ 20%.

ملخص التحليل الكمي لاختبار MUSS لجميع أفراد العينة: يتضح لنا من خلال النتائج الموضحة بالأعمدة البيانية أن متوسط النجاح في اختبار MUSS لجميع الحالات قدر بـ 16.79% والملاحظ أن النتائج المسجلة عبر مختلف المراحل في تحسن مستمر مقارنة بكل مرحلة وسابقتها والتي تليها حيث سجلت عينة الدراسة نسبة نجاح تقدر بـ 04.37% في مرحلة ما قبل العملية ومباشرة في الشهر الثالث بعد العملية ارتفعت هده النسبة إلى 31.10% لتصل في الشهر الثاني عشر بعد العملية إلى 23.02% أما أعلى نسبة فقد تم تسجيلها في الشهر الثامن عشر و المقدرة بـ 29.47%، وعليه فقد سجلت عينة الدراسة متوسط نجاح بعد العملية قدر بـ 20.93%.

ب.التحليل الكيفي:

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الأولى: العمر سنتان الجهاز Med-el: اختبار MUSS عبارة عن اختبار يهدف إلى تقييم مدى قدرة الطفل على إصدار الأصوات اللغوية ويتكون من جزأين يمثلان استبيانين أحدهما موجه للوالدين والآخر موجه للمختص المكلف بإعادة التربية وكل منهما يتكون من 10 عشرة أسئلة وفي تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للسؤال (1،2،3) نلاحظ أن الحالة لم تحقق نتائج تذكر في أول مرحلة ما بعد عملية الزرع القوقعي بل جاءت النتائج مطابقة للنتائج المسجلة قبل عملية الزرع باعتبار أن الحالة في هذه المراحل نادرا ما تستخدم الصوت لجذب الانتباه بل تعتمد كثيرا على الحركات الإيمائية وذلك راجع لعدم تعودها على الأصوات واستعمالها لها في تلبية الحاجيات وتحقيق الأهداف لكن في المراحل الأخرى المتقدمة فقد تمكنت

الحالة من إصدار الكثير من الأصوات والاستعانة بها في جلب الانتباه مع محاولة إعطاءها بعض التطابق مع الأصوات الكلامية وتركيب المقاطع وذلك راجع إلى التقدم الملحوظ في التربية السمعية التي تعتمد على ربط الصوت بالمعنى، أما في الأسئلة المتعلقة بالأصوات الكلامية أي السؤال (4،5،6،7،8) فلم تسجل الحالة أي نتيجة تذكر في مرحلة ما قبل الزرع وحتى في الشهر الثالث ما بعد الزرع في حين سجلت نتائج ضعيفة في المرحلتين المتبقيتين أي في الشهر 12 والشهر 18 باعتبار أن الحالة لا تزال غير قادرة على توظيف مكتسباتها اللغوية في تلبية حاجياتها أو التعبير عن رغباتها واهتماماتها بالاعتماد فقط على التواصل الشفوي بالإضافة إلى ذلك فالحالة لم تتمكن بعد من التصحيح الذاتي للإصدارات الصوتية واللغوية باعتبار أن ذلك يتطلب نضجا كافيا وتمرنا مكثفا ووعيا فونولوجيا للتمكن من مراقبة مختلف الإصدارات الصوتية واللغوية وتصحيحها وهذا ما توضحه نتائج السؤال (9 و10)، في حين أن النتائج المسجلة في استبيان المختص توضح بعض الفروقات خاصة في الشهر الثاني عشر12 حيث لم تسجل الحالة أي نتيجة تذكر في إصدار الأصوات الكلامية في حين سجلت نتائج مرضية في إصدار الأصوات و استعمالها في تلبية حاجياتها وتحقيق رغباتها أما في الشهر الثامن عشر 18 فقد حققت الحالة تطورا ملحوظا خاصة في إصدار الأصوات والأصوات الكلامية وهذا ما يتفق تقريبا مع النتائج المتحصل عليها في استبيان الوالدين.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الثانية: العمر 7 سنوات، الجهاز Med-el: من خلال تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للسؤال (1،2،3) الخاصة بإصدار الأصوات نلاحظ أن الحالة قد استجابة بصورة جيدة للسؤال الأول المتعلق بإصدار الأصوات لجذب انتباه الآخرين سواء في الشهر الثالث بعد العملية أو الثاني عشر إضافة إلى ذلك فقد تمكنت الحالة في الشهر الثامن عشر بعد عملية الزرع القوقعي من استخدام الصوت أكثر من 50% من الوقت لكن بألفاظ غير مميزة وعلى وتيرة واحدة كما باستطاعة هذه الحالة كذلك التحكم في علو وانخفاض الصوت لمدة طويلة وما يفسر مجموع هذه النتائج هو الاستعمال اليومي للجهاز اثناء أوقات اليقظة ومحاولة توظيف المكتسبات اللغوية في الاتصال بالإضافة إلى الالتزام ببرنامج التكفل الأرطفوني خاصة في جوانب التحليل والإدراك السمعي في حين لم تسجل الحالة نتائج تذكر في الجزء الثاني من الأسئلة والمتعلق بالأصوات الكلامية أي السؤال 4،5،6،7،8 باعتبار أن هذه الأسئلة تتطلب تمرنا مكثفا ونفس الشيء تم تسجيله في الأسئلة الأخيرة المتعلقة باستراتيجيات التواصل فهي الأخرى تتطلب إعادة تربية سمعية مكثفة مع توفير الكثير من الأدوات والوسائل التي تساعد على ذلك، أما عن نتائج استبيان المختص فإنها تقريبا مماثلة للنتائج المسجلة من طرف الأولياء خاصة في الأسئلة المتعلقة بإصدار الأصوات حيث أظهرت النتائج قدرة الحالة على الانتباه للأصوات وإصدارها للعديد منها سواء في الشهر الثاني عشر 12 آو الثامن عشر 18 ويتضح ذلك خاصة أثناء اللعب أو عند محاولتها الاتصال بالآخرين إلا أن الأصوات الصادرة لازالت بعيدة نوعا ما عن ما يميز الأصوات الكلامية.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الثالثة: العمر 5 سنوات، الجهاز Med-el: في تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين و بالنظر للأسئلة (1،2،3) المتعلقة بإصدار الأصوات نلاحظ أن النتائج المسجلة

قبل العملية مطابقة للنتائج المسجلة في الشهر الثالث بعد العملية حيث لوحظ على هذه الحالة في هذه الفترة إصدار الكثير من الأصوات لكن بطريقة عشوائية وغير منتظمة بحيث لا توحي بمحاولة جلب انتباه الآخرين والسبب في ذلك مرده تعود الحالة على النشاطات الجماعية قبل العملية باعتبار أن هذه الحالة قد التحقت بالمدرسة لمدة ثلاث سنوات كاملة وقد استفادت خلال هذه المرحلة من برنامج إزالة الخرس وإعادة التنطيق لكن ومع مرور الزمن والتعود على حمل جهاز الزرع القوقعي والاستفادة من برنامج تكفلي متكامل تمكنت الحالة من تحقيق نتائج جيدة في الشهر الثاني عشر والثامن عشر على التوالي حيث أصبحت الأصوات التي كانت تصدر سابقا تستعمل لجلب الانتباه كما أصبحت تستخدم الصوت أثناء عملية التواصل تقريبا 50% من الوقت بالإضافة إلى القدرة على التحكم في تلك الإصدارات الصوتية في علوها و التغير في طبقتها لكن الملاحظ في نتائج هذا الاختبار نقص في استعمال الأصوات اللغوية حتى ولو كانت ضعيفة في الشهر الثامن عشر ما بعد العملية والسبب في ذلك يرجع إلى الصعوبة من التخلص من العادات السابقة في التواصل والتي تعتمد على التواصل الاشاري فيمكن القول أن اكتساب لغة الإشارة والاعتماد على المجال البصري قد يكون حاجزا في تطوير الانتباه السمعي واكتساب اللغة الشفوية، كما أن النتائج المسجلة في استبيان المختص هي تقريبا نفس النتائج المسجلة في استبيان الأولياء حيث أن الإصدارات الصوتية المتنوعة لم ترقى بعد إلى أصوات كلامية ولا إلى استراتيجيات للتواصل اللغوي، لكن بالرغم من ذلك يوجد هناك تطور في النتائج بالنظر إلى كل مرحلة وسابقتها.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الرابعة: العمر سنتان، الجهاز Bionics: في تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للسؤال (1،2،3) نلاحظ أن الحالة تقوم في بعض الأحيان بإصدار بعض الأصوات اللغوية لجذب انتباه الآخرين لكنها لم تتمكن بعد من استعمال تلك الأصوات بطريقة منتظمة وهادفة بل أن مجموع تلك الإصدارات عبارة عن إصدارات لأصوات لغوية بطريقة عشوائية لكن سرعان ما بدأت هذه الإصدارات الصوتية في الانتظام وأصبح الطفل كثيرا ما يستعملها لجذب انتباه الآخرين أو عند الإحساس بالانزعاج أو التوتر خاصة عند رغبته في بعض الحاجيات الضرورية وهذا ما توضحه نتائج الشهر الثاني عشر والثامن عشر، أما في الأسئلة المتعلقة بالأصوات الكلامية أي السؤال (4،5،6،7،8) فلم تسجل الحالة أي نتيجة تذكر في المرحلة ما قبل الزرع وحتى في الشهر الثالث والشهر الثاني عشر ما بعد الزرع كما سجلت نتائج ضعيفة في الشهر 18 باعتبار أن الحالة لا تزال غير قادرة على توظيف إصداراتها الصوتية و اللغوية في تلبية حاجياتها أو التعبير عن رغباتها واهتماماتها بل لازالت تعتمد على التواصل الإشاري وبالإيماءات الوجهية بالرغم من تحقيقها لنتائج جيدة في التمييز السمعي بالإضافة إلى ذلك فالحالة لم تتمكن بعد من التصحيح الذاتي للإصدارات الصوتية واللغوية باعتبار أن ذلك يتطلب نضجا كافيا وتمرنا مكثفا للتمكن من مراقبة مختلف الإصدارات الصوتية واللغوية وهذا ما توضحه نتائج السؤال(9 و10) أما عن استبيان المختص فنلاحظ بعض الفروقات خاصة في الشهر الثاني عشر12 والشهر الثامن عشر18 حيث أكد المختص على تعدد الإصدارات الصوتية وتنوعها و محاولة الحالة استخدام الصوت لفترات طويلة أثناء التواصل

خاصة عندما يطلب منها ذلك ومراقبتها في عدم استعمال اللغة الإشارية ومحاولة التواصل باللغة الشفوية لذا فقد تم تسجيل الكثير من الأصوات الكلامية والتي لم ينتبه إليها الأولياء للعمل على إثراءها وتدعيمها، والملفت للانتباه كذلك هو توافق الأولياء المختص في تسجيلهم للضعف الملاحظ في استراتيجيات التواصل وهذا ما توضحه نتائج السؤال 9 و 10.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الخامسة: العمر 5 سنوات، الجهاز Bionics: في تحليل الاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للأسئلة(3،2،1) المتعلقة بالإصدارات الصوتية نلاحظ أن الحالة قد استجابة بصورة جيدة للسؤال الأول المتعلق بإصدار الأصوات لجذب انتباه الآخرين سواء في الشهر الثالث بعد العملية أو الثاني عشر أو الثامن عشر، كما لوحظ كذلك على هذه الحالة بداية استخدام الصوت للتواصل بالآخرين منذ الشهر الثالث بعد العملية إلا أن هذا الاستخدام للصوت تطور أكثر في الشهر الثاني عشر والثامن عشر إلى أن أصبح باستطاعة الحالة استخراج الصوت بطريقة مغايرة حسب المضمون والرسالة في اغلب فترات التواصل ولقد نتج عن هذه الإصدارات الصوتية المتنوعة ظهور بعض الأصوات الكلامية التي أصبحت الحالة تستعملها في كل محاولات التواصل بالآخرين لفترات طويلة من الزمن قد تستغرق أكثر من 50% من الوقت وهذا ما يفسر بداية انتظام الإصدارات الصوتية المتنوعة ومحاولة إعطاءها معنى من خلال عملية التواصل، لكن وبالرغم من النتائج المحققة في الوضعيات السابقة إلا أن الحالة لم ترقى بعد إلى تحقيق عملية التواصل بكافة شروطها ومبادئها، كما أن الرسالة اللغوية التي يقدمها الطفل تفتقد إلى الوضوح وصعبة الفهم خاصة عند الأشخاص الأجانب، أما عن استبيان المختص فقد جاءت نتائجه تقريبا مماثلة لنتائج استبيان الأولياء إلا أن المختص الأرطفوني قد أوضح بعض القدرات في إصدار الأصوات والأصوات اللغوية منذ الشهر الثالث بعد العملية خاصة في محاولة جلب انتباه الآخرين ومحاولة استخدام الصوت أثناء عملية التواصل أما بقية النتائج المسجلة في الشهر الثاني عشر والثامن عشر فهي تقريبا مماثلة لنتائج استبيان الأولياء وبالرغم من ذلك تعد هذه النتائج نجاحا واسعا تم تحقيقه من خلال عملية الزرع القوقعي فمن التواصل بالإشارة إلى محاولة التواصل الشفوي وإصدار أصوات متنوعة في فترة زمنية قصيرة يعتبر ذلك نجاحا كبيرا في عالم التجهيز السمعي.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة السادسة: العمر 8 سنوات جهاز Bionics: في تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين و بالنظر للسؤال (3،2،1)الخاصة بإصدار الأصوات نلاحظ أن الحالة قد استجابة بصورة جيدة للسؤال الأول المتعلق بإصدار الأصوات لجذب انتباه الآخرين في مختلف مراحل تمرير الاختبار كما بدا واضحا استخدامها للصوت خاصة في الشهر الثالث والشهر الثاني عشر سواء من جانب التحكم في الصوت أو من جانب طول مدة استخدامه في حين لوحظ أن هناك تراجعا في الإصدارات الصوتية في الشهر الثامن عشر سواء من ناحية الكم أو الكيف بحيث أصبح الطفل قليلا ما يستخدم الصوت أثناء عملية التواصل كما لوحظ كذلك بداية ظهور الأصوات اللغوية أثناء عملية التواصل خاصة في الشهر الثاني عشر إلا أنها سرعان ما اختفت في الشهر الثمن عشر بعد العملية والسبب في هذا التراجع يكمن في التغيب المتكرر للحالة عن حصص التكفل الأرطفوني بالإضافة إلى نقص اهتمام الأولياء عما كان عيه في السابق، ونتيجة

لهذا التراجع فلم تسجل الحالة أي نتائج تذكر في الأسئلة المتعلقة باستخدام الصوت في عمليات التواصل خلال جميع فترات تمرير الاختبار وهذا ما وضحته نتائج كل من استبيان الأولياء والمختص، وعليه يمكن القول أن النقص في الإصدارات الصوتية واللغوية ينتج عنه صعوبات كبيرة في عملية التواصل الشفوي وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات المتعلقة بشروط اكتساب اللغة الشفوية عند الطفل.

التحليل الكيفي للحالة السابعة: العمر سنتان، الجهاز Cochleaire: من خلال تحليل الاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للسؤال (1،2،3) نلاحظ أن الحالة كانت تستعمل الصوت لجلب انتباه الآخرين و قد يكون ذلك بطريقة عفوية غير هادفة وفي أول مرحلة ما بعد عملية الزرع القوقعي أصبحت الحالة تستعمل الصوت بطريقة هادفة خاصة بعد أول تنشيط للالكترودات حيث أصبحت الحالة كثيرا ما تستعمل الصوت خلال عملية التواصل مع الآخرين كما أبدت الحالة تحكمها في الإصدارات الصوتية خاصة في بعض الخصائص الفيزيائية كالارتفاع والطابع، وفي الشهر الثاني عشر بعد العملية تمكنت الحالة من تطوير تلك الإصدارات الصوتية المختلفة إلى أصوات كلامية خاصة أثناء التواصل التلقائي مع الوالدين حيث أصبحت الحالة تتواصل لغويا مع الوالدين لكن سرعان ما تفشل في تحقيق ذلك خاصة إذا تعلق الأمر بالأجانب وهذا ما توضحه الأسئلة رقم (4,5,6,7)كما أن الحالة في الشهر الثامن عشر بعد العملية أصبح بمقدورها إصدار الكثير من الأصوات والاستعانة بها في جلب الانتباه مع محاولة إعطاءها بعض التطابق مع الأصوات الكلامية وتركيب المقاطع و ذلك راجع إلى التقدم الملحوظ في التربية السمعية التي تعتمد على ربط الصوت بالمعنى إلا أنها لم تتمكن بعد من التصحيح الذاتي للإصدارات الصوتية واللغوية باعتبار أن ذلك يتطلب نضجا كافيا وتمرنا مكثفا للتمكن من مراقبة مختلف الإصدارات الصوتية واللغوية وهذا ما توضحه نتائج السؤال(9 و10)، في حين أن النتائج المسجلة في استبيان المختص توضح بعض الاختلافات خاصة في الشهر الثاني عشر12 وبالتحديد في جانب الأصوات الكلامية حيث لم تسجل الحالة أي نتيجة تذكر في إصدار الأصوات الكلامية في حين سجلت نتائج مرضية في إصدار الأصوات واستعمالها في تلبية حاجياتها وتحقيق رغباتها، وفي الشهر الثامن عشر 18 حققت الحالة تطورا آخرا في التحكم في الإصدارات الصوتية وتنوعها والتي بدأت تظهر نتائجها في ظهور بعض الأصوات الكلامية خاصة أثناء التواصل مع الوالدين.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الثامنة: العمر7 سنوات، الجهازCochleaire: في تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وللمختص وبالنظر للسؤال (1،2،3) الخاصة بإصدار الأصوات نلاحظ أن الحالة قد استجابة بصورة مقبولة للسؤال الأول المتعلق بإصدار الأصوات لجذب انتباه الآخرين سواء في الشهر الثالث بعد العملية أو الثاني عشر إلا أن في هذا الأخير قد أبدت الحالة قدرتها عل استخدام الصوت خلال عملية التواصل مع الآخرين وكذلك محاولتها لاستخراج الصوت بطريقة متغايرة حسب المضمون والرسالة وهذا ما أكدته النتائج مرة أخرى في الشهر الثامن عشر سواء في استبيان الأولياء أو المختص والسبب في ذلك راجع لدرجة الانتباه السمعي الذي أصبحت توليه الحالة لمختلف المنبهات والمثيرات السمعية منذ الاستفادة من جهاز الزرع القوقعي وهذا ما سمح بالقدرة على التحليل السمعي لمختلف المثيرات في حين قد فشلت الحالة في

تطوير تلك المكتسبات السمعية والصوتية في إصدار الأصوات الكلامية واستعمالها في مختلف وضعيات التواصل باعتبار أن الانتقال من الإصدارات الصوتية إلى الأصوات الكلامية يتطلب تمرنا مكثفا ومتابعة مستمرة ونفس الشيء تم تسجيله في الأسئلة الأخيرة المتعلقة باستراتيجيات التواصل هي الأخرى تتطلب إعادة تربية سمعية مركزة مع توفير الكثير من الأدوات والوسائل التي تساعد على ذلك.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة التاسعة: العمر 05 سنوات جهاز Cochleaire: من خلال تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وللمختص وبالنظر للأسئلة المتعلقة بالإصدارات الصوتية نلاحظ أن الحالة قد حققت تطورا ملحوظا من مرحلة إلى أخرى حيث نسجل الكثير من الإصدارات الصوتية لجلب انتباه الآخرين بداية من الشهر الثالث بعد العملية إلى الشهر الثاني عشر والثامن عشر، بالإضافة إلى ذلك فالحلة كثيرا ما تستعمل الصوت في الاتصال مع الآخرين وبالرغم من تسجيل ذلك قبل العملية لكن ليس بالدرجة التي سجلت بعد التنشيط الالكترودي خاصة في الشهر الثاني عشر والثامن عشر بعد العملية ولقد نتج عن هذه الإصدارات الصوتية المختلفة ظهور بعض الأصوات الكلامية خاصة في الشهر الثامن عشر وهذا ما سجله كل من الأولياء والمختص، لكن تبقى هذه الأصوات قليلة وغير متنوعة بحيث لا يمكن أن تقدم بعد كلاما واضحا، مفهوما وتلقائيا باعتبار أن تحقيق استراتيجيات التواصل يتطلب جهدا كبيرا وعملا مستمرا ومنسقا بين كل الأطراف المعنية بعملية التكفل، وبالرغم من ذلك تعد هذه النتائج نجاحا واسعا تم تحقيقه من خلال عملية الزرع القوقعي فمن التواصل بالإشارة إلى محاولة التواصل الشفوي من خلال إصدار أصوات متنوعة في فترة زمنية قصيرة ويعتبر ذلك انتصارا ملحوظا في عالم التجهيز السمعي خاصة وأن هذه الحالة لم يسبق لها و أن استفادة من إعادة التربية الأرطفونية قبل العملية.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة العاشرة: العمر سنتان، الجهازDigisonic: من خلال تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين نلاحظ أن الحالة كانت تستعمل الصوت في جلب انتباه الآخرين قبل العملية كما تحاول استخدامه في عملية التواصل معهم لكنها تستعين في نفس الوقت بلغة الإشارة والتي تبقى هي المسيطر الأول في هذه المرحلة، أما بعد عملية الزرع وبعد أول تنشيط الكترودي أبدت الحالة اهتماما كبيرا بالأصوات وبالمثيرات السمعية حيث أصبح استعمالها للصوت لجذب انتباه الآخرين أو لاستخدامه في عملية التواصل معهم جد مهم و هذا ما تم تأكيده في الشهر الثاني عشر و لثامن عشر بعد العملية حيث بدأت تظهر الكثير من الأصوات الكلامية أثناء عملية التواصل و التي تعبر عن بعض الحاجيات الأساسية التي غالبا ما تكون مفهومة من طرف الأولياء في حين لم ترقى بعد تلك الأصوات الكلامية إلى مستوى الوعي الفونولوجي الذي يمكن الحالة من التصحيح الذاتي للإصدارات اللغوية أو تقديم طرق توضيحية أخرى عندما يرى أن كلامه غير مفهوم لدى الناس المألوفين لديه، أما النتائج المسجلة في استبيان المختص فنلاحظ أن الحالة بعد العملية تصدر القليل من الأصوات لجلب انتباه الآخرين كما أنها نادرا ما تستعمل الصوت في التواصل معهم، وفي الشهر الثاني عشر بعد العملية ونتيجة للتكفل الأرطفوني المكثف و للمتابعة الأسرية تمكنت الحالة في هذه المرحلة والمرحلة التي تليها من تنويع

الإصدارات الصوتية ومحاولة توظيفها في عمليات التواصل المختلفة إلا أنها لم ترقى بعد تلقائيا لأصوات لغوية ذات معنى بالرغم من أن الحالة بإمكانها في هذه المرحلة من تكرار عدة مقاطع صوتية وكلمات إذا طلب منها ذلك لكنها تفشل في استعمالها بطريقة تلقائية وهذا ما يفسر غياب عملية التواصل الشفوي.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الحادية عشر: العمر5 سنوات، الجهاز Digisonic: من خلال تحليل الاستبيان المقدم للوالدين وبالنظر للأسئلة المتعلقة بالإصدارات الصوتية قبل العملية نلاحظ أن الحالة قبل العملية كانت تصدر بعض الأصوات لجلب انتباه الآخرين كما أنها تحاول في بعض الأحيان استعمال الصوت أثناء عملية التواصل مع الآخرين وهذا ما لم يتم ذكره في استبيان المختص في نفس المرحلة أما بعد العملية وبعد التنشيط الالكترودي الذي تم في اليوم الأربعون بعد العملية تمكنت الحالة من مضاعفة إصداراتها الصوتية سواء في جلب انتباه الآخرين أو في محاولة استعمالها في عملية التواصل وهذا ما أوضحه كذلك المختص الأرطفوني لكن بدرجة أقل، وما يسجل كذلك في هذه المرحلة الثانية هو عدم ظهور أصوات كلامية بطريقة تلقائية واستعمالها أثناء عملية التواصل حيث تم تسجيل عدة تكرارات للأصوات اللغوية في اختبارات سابقة لكن توظيفها بطريقة إرادية وتلقائية في عمليات التواصل يبقى بعيد التحقيق في هذه المرحلة، لكن ومع مرور الزمن ومع التكفل الأرطفوني المستمر والمتابعة الأسرية تمكنت الحالة في الشهر الثاني عشر والثامن عشر بعد العملية من مضاعفة استعمالها للصوت لجلب انتباه الآخرين ومحاولة التواصل معهم حيث لوحظ قدرة الحالة على التحكم في الصوت من خلال استخراجه بطريقة متغايرة حسب الرسالة والمضمون وذلك بالتحكم في خصائصه سواء الطابع، الارتفاع أو الشدة وهذا ما نتج عنه في هذه المراحل الأخيرة بداية ظهور الأصوات الكلامية الدالة، خاصة مع الأولياء والأقربون لكن تبقى هذه الأصوات الكلامية قليلة وغير متنوعة بحيث لا يمكن أن تقدم بعد كلاما واضحا، مفهوما وتلقائيا باعتبار أن تحقيق استراتيجيات التواصل يتطلب جهدا كبيرا وعملا مستمرا ومكثفا بين كل الأطراف المعنية بعملية التكفل من أجل إيصال الحالة إلى مستوى يمكنها من التصحيح التلقائي للكلام أو استخدام طرق توضيحية عندما يكون الكلام غير مفهوم.

التحليل الكيفي لنتائج الحالة الثانية عشر: العمر 08 سنوات، الجهاز Digisonic: من خلال تحليلنا للاستبيان المقدم للوالدين وللمختص نسجل أن هذه الحالة تصدر الكثير من الأصوات لجذب انتباه الآخرين كما تحاول في بعض الحالات استعمال الصوت خلال عملية التواصل بالآخرين خاصة إذا أظهر الآخرين عدم فهمهم للرسالة اللغوية باستعمال لغة الإشارة، أما في الشهر الثاني عشر و إضافة إلى الإصدارات الصوتية المختلفة سواء لجذب الانتباه أو لاستعمالها في عملية التواصل فقد أبدت الحالة قدرتها على تنويع الصوت واستخراجه بطريقة مغايرة يتوافق ومضمون الرسالة، ونفس الملاحظات تم تسجيلها في الشهر الثامن عشر بعد العملية لكن يضاف إليها استعمال بعض الأصوات الكلامية أثناء عملية التواصل مع الآخرين خاصة الوالدين وهذا ما وضحه كل من الأولياء والمختص.

الاستنتاج العام: تعتبر المعينات السمعية الحديثة من أهم انجازات الهندسة الطبية الحديثة التي ساهمت في تقديم أمل جديد للمعاق سمعيا، ومن أهم هذه الأجهزة جهاز الزرع القوقعي والذي يساعد المعاقين سمعيا على سماع الأصوات والتمييز بينها، فمن خلال النتائج المتحصل عليها عند أفراد العينة جميعا باختلاف أعمارهم وباختلاف نوع الجهاز الذي يستخدمونه ومن خلال التحليل الكمي والكيفي لتلك النتائج يتضح لنا أن جميع أفراد العينة قد سجلوا تطورا ملحوظا بعد عملية الزرع القوقعي وبعد أول تنشيط للالكترودات وهذا ما يجعلنا نتقبل الفرضية القائلة بوجود فاعلية للزرع القوقعي في تنمية الإصدارات الصوتية والكلامية عند الطفل الأصم وبالرغم من أن هذه الفاعلية سجلت عند جميع أفراد العينة إلا انه يوجد هناك تفاوت في النتائج بين حالة وأخرى وذلك راجع للاختلاف المسجل في تاريخ كل حالة والذي لديه ارتباطا وثيقا بشروط الترشح لعملية الزرع القوقعي وعوامل نجاحها، وهذا ما أثبتته الكثير من الدراسات السابقة التي تم التعرض إليها والتي توضح جميع الشروط والعوامل الواجب توفرها لنجاح عملية الزرع القوقعي، ومن أهمها الدراسة التي قام بها peng et al 2004 ودراسة Tomblin et al 2005 ودراسة Geers 2007 & Nickolas Summerfield2008 ودراسة كل من Bertschy ,Tyler,Kelsay ,Gantz & Woodworth,1997 فجميع هذه الدراسات برهنت على فاعلية جهاز الزرع القوقعي في تنمية الإصدارات الصوتية والكلامية عند الطفل الأصم وأهمية دلك في خلق إستراتيجية تواصل تساعد الطفل الحامل لجهاز الزرع القوقعي على التكيف النفسي والدمج الاجتماعي.

خاتمة:

في ضوء الخبرة والتجربة الحالية، يمكن القول أن عملية الزرع القوقعي تقدم فرصة جيدة لتنمية القدرة على الإصدارات الصوتية واللغوية، إلا أنه لا يجب الإكتفاء بزرع القوقعة للطفل والإنتظار على أمل أن تنمو المهارات الصوتية واللغوية دون تدخل، إذ من المتوقع أن يعمل التدريب المركز على الإستماع على التعجيل بالمكاسب المنتظرة من الجهاز، وعليه فقد خلصت هذه الدراسة إلى تقديم جملة من المقترحات والتوصيات على أمل أن يعتبرها باحثون آخرون ذات أهمية كبرى من خلال إدراجها في بحوثهم وحسب ما يتطلبه البحث العلمي ومن أهم هذه الإقتراحات والتوصيات ما يلي:

-ينبغي تشجيع الطفل على الإستجابة إلى الأصوات البيئية التي تحدث بشكل طبيعي في المنزل والمدرسة، لذا ينبغي أن يعزز المعلمون والمختصون دائما استجابة الطفل إلى الصوت.

-الحرص على تفعيل وتنشيط دائرة التغذية الراجعة الكلامية/السمعية في أي نشاط سمعي، لذا يجب أن توفر ممارسة الإستماع الفرصة لتقديم الإستجابة الإنتاجية وإشعار الطفل بالعلاقة بين الإستماع والتحدث.

-تشجيع الوالدين على استخدام الصوت الكامل عند الإشارة.

-التركيز على أساليب التدريب السمعي التي تعتمد على استخدام الكلمات والجمل عن أساليب التدريب السمعي التي تعتمد على التمييز السمعي بين الأصوات المنفصلة، وهذا حسب نتائج الدراسات التي قدمها(Stacey & Summerfield, 2008).

-تعتبر تنمية القدرة على إدراك وإنتاج الكلام الهدف الرئيسي لزرع القوقعة، لهذا ينبغي استخدام الكلام الذي له معنى أو مدلول كمدخلات لمهام الإستماع. (Loundon N., & Busquet D.,2009)

وعليه يمكن القول أن جهاز الزرع القوقعي يقدم خدمات إضافية للطفل الأصم مقارنة بالمعينات السمعية فبعد متوسط ثلاثة سنوات من أول تنشيط إلكترودي يصبح الأطفال الحاملون للجهاز قادرون على الإدراك السمعي وهذا ما خلصت إليه دراسة(Briec J., 2012) في أطروحة الدكتوراه، لذا فجهاز الزرع القوقعي يمثل أداة تصحيحية عند الأصم فقد أثبتت الدراسات أنه في الستة أشهر الأولى بعد الزرع يظهر الطفل نموا سريعا في العتبة السمعية تتراوح بين 20 و 30 db ونفس الشيء في قدراته اللغوية وتواصله الشفوي، وهذا النمو يستمر لفترات طويلة إلى سنتين من حمل الجهاز، فالأطفال يتمكنون من تحقيق كفاءات لغوية تقترب من الكفاءات المسجلة عند الطفل السليم سمعيا.

قائمة المراجع:

1. أحمد حساني(1999)، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
2. أشرف أبو العز(2004)، تقويم الاستجابة السمعية للكلام، مستشفى المغربي للعيون والأذن جدة ، المملكة العربية السعودية.
3. سمير محمد عقل(2012)، التدريس لذوي الإعاقة السمعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
4. عمار بوحوش، محمد محمود الذنيبات(2007)، مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، بن عكنون، الجزائر.
5. عبد الباسط حسن(1963)، أصول البحث الاجتماعي، مطبعة لجنة البيان العربية، الإسماعيلية.
6. عطية كشرود(2007)، "مناهج البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والسلوكية، ط1، عمان الأردن.
7. Dumant A(1997), Implantations cochléaires: Guide pratique d'évaluation et de rééducation, L'ortho édition.
8. De saussure F(2002), Cour de linguistique générale », Ed, Talantikit Bejaia.
9. Loundon N., & Busquet D(2009), Implant cochléaire pédiatrique et rééducation orthophonique », Médicine- science Flammarion, paris.

دور البرنـامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال في تحسين القراءة عند الطفل الأصّم الحامل للزرع القوقعي(دراسة حالة)

The role of reeducation protocol for visual agnosia of forms in improving reading the deaf child with cochlear implant (Case Study)

د.مريم بن بوزيد، جامعة الجزائر 02 "أبو القاسم سعد الله-الجزائر

أ.تـهمي عبلة، قسم خاص بالأطفال المدمجين الحاملين للزرع القوقعي-الجزائر

ملخص: تهدف الدراسة الحالية لمعرفة دور البرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال في تحسين القراءة عند الطفل الأصم الحامل للزرع القوقعي، تكونت مجموع الدراسة من حالة واحدة تبلغ من العمر 11سنة وهي تعاني من اضطرابات في الأقنوزيا البصرية وصعوبات في القراءة، ولتحقيق هدف الدراسة قامت الباحثتان بتطبيق رائز الذكاء" كاتل" لاستبعاد الإعاقة العقلية وبروتوكول تقييم الأقنوزيا البصرية للتأكد من وجود الاضطراب، واختبار القراءة العطلة "غلاب صليحة"، والبرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال، وأظهرت النتائج وجود فرق في القياس القبلي والقياس البعدي لاختبار القراءة بعد تطبيق خطوات البرنامج التدريبي.

الكلمات المفتاحية: الأقنوزيا البصرية للأشكال، القراءة، الأطفال الصم الحاملين للزرع القوقعي، البرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال.

Abstract: The present study aims to investigate the role of reeducation protocol for visual agnosia of forms in improving reading the deaf child with cochlear implantation. The study consisted of a single case of 11 years of age ;suffering from disorders of visual agnosia and difficulties in reading.

To achieve the goal of the study, the two researchers applied the "Catel" IQ to exclude mental disability, Evaluation protocol visual agnosia to confirm the disorder , the reading test "vacancy" of "Galab Saliha" and the reeducation program visual agnosia forms.

The results showed that there was a difference in pre-measurement and post-measurement to the reading test after applying the reeducation program.

KeywordsVisual agnosia of forms, reading, deaf children with cochlear implants, reeducation program for visual agnosia forms

مقدمة:

يعدّ موضوع التعلّم من المحاور الأساسية في حياة الأطفال ذوي الإعاقة السمعية خاصة بعد ظهور تقنية الزرع القوقعي، وقد أصبح أساس الأبحاث التي تدور حول هذه الشريحة، حيث يعتمد إدراك هؤلاء الأطفال للتعلم على المعلومات التي يستقبلها عبر الحواس (السمع، البصر، الشم، الذوق)، وإن فقدان أحد هذه الحواس أو حدوث خلل في واحدة أو أكثر ينجم عنه عدّة صعوبات.

و أشار Frith إلى أنّ الأطفال العاديين ذوي الإعاقة السّمعية لا يختلفون كثيراً عن الأطفال العاديين في أدائهم الذّهني وأنّ نموهم الذهني يتبع المراحل الأساسية نفسها بالرغم من أنه وفي بعض الحالات قد يكون معدّل النمو أبطأ بالنسبة للأطفال ذوي الإعاقة السّمعية (Frith,1940).

ولقد اهتم الدارسين في ميدان الأرطوفونيا (أمراض اللغة والتواصل) بمشكلة الإعاقة السّمعية وقدرات هؤلاء الأطفال في التعليم عامّة والقراءة كعملية معرفية معقدة ونشاط تتداخل فيه ميكانيزمات عديدة، وتعتبر من بين المهارات التي تتأثر جرّاء الإصابة في حاسة السّمع ، و لقد توصلت الأبحاث إلى وجود ارتباط وثيق بين الإعاقة السّمعية والقدرات القرائية وعوامل معرفية أخرى والتي تعدّ من العوامل الرئيسية المرتبطة بتراجع مستوى القراءة وتحسّنه.

فأصبحت عملية القراءة تدرس مع بقية النشاطات المعرفية الأخرى وتستدعي تداخل الوظائف المعرفية وسلامة الجهاز العصبي خاصّة الذاكرة العاملة التي تشارك بصفة مباشرة في التعرّف على الكلمات المكتوبة بالخصوص نظام المفكرة البصرية.

إن الصفات المميزة للأشياء (الألوان، الأشكال، الإضاءة، الرنة...) تحتوي على مثيرات خاصة يمكن تمييزها عبر أعضاء الحس، التي تعتبر مناطق الإدراك الأولى، ولكي يأخذ الشيء صورة في الذهن يجب أن يخضع للتحليل، الإدماج والمقارنة مع الأشكال التي تم مصادفتها ضمن التجارب السابقة، وهذه السياقات الإدراكية هي التي تقودنا من الإحساس الخام إلى التعرف على محيطنا وتعرف بمصطلح الڨنوزيا والتي تدل على القدرة التي تسمح لنا بالتعرف على الأشياء وتمثيلها والاحتفاظ بمعناها من خلال التعرف البصري، السمعي، كما تساهم في فكّ ترميز الكلمة المكتوبة وغالبا ما تؤثر اضطراباتها واختلالها بصورة سلبية على مستوى اكتساب القراءة وتدعى حينها بالأڨنوزيا وهو لفظ يدل على عدم القدرة على التحليل والتعرف لما نراه أو نسمعه أو نلمسه رغم أن أعضاء الحس غير مضطربة، أي هي إصابة العمليات التحليلية المعرفية والمميزة بعجز واضح في القدرة على التعرف على الأشياء والأشكال.

ومن خلال خبرتنا في ميدان الأرطوفونيا ولعدة سنوات ،ومن خلال اطلاعنا لأعمال الباحث ميشال حبيب حول الأڨنوزيا البصرية، وانطلاقا ممّا سبق ذكره ارتأينا تسليط الضوء على اضطراب الأڨنوزيا البصرية وارتباطها بعملية القراءة وفكّ ترميز الكلمة المكتوبة عند ذوي الإعاقة السّمعية، ومن جهة أخرى تمّ اختيارنا لهذا الموضوع لما له من أهمية كبيرة وخاصّة أنّ أغلب الدّراسات لم تتطرق لهذه الزاوية عند الطفل ذو الإعاقة السّمعية، وكما هو معروف أن هؤلاء الأطفال يعتمدون على حاستهم البصرية لتعويض النقص السمعي، و لكن بمرور مراحل اكتسابها وزيادة تعقيدها فهذه النظرية يمكن أن تنقد لما تحمله من تداخل للعمليات المعرفية فكلّ

هذه المعلومات ساقتنا لمحاولة التعرّف على دور البرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية عند الأطفال الصمّ الحاملين الزرع القوقعي في تحسين عملية القراءة، والتي تعدّ مرحلة أولية لمعالجة المعلومات البصرية، لدى تلاميذ ذوي إعاقة سمعية و الحاملين للزرع القوقعي.

ولتحقيق أهداف الدراسة قمنا بتطبيق رائز الذكاء " كاتل " لاستبعاد وجود إعاقة ذهنية، وبروتوكول تقييم وظائف الأقنوزيا البصرية للأشكال PEGV على حالة تعاني من الأقنوزيا البصرية والحاملة للزرع القوقعي، والبالغة من العمر 11سنة.

كما قمنا بتطبيق اختبار القراءة "نص العطلة"، وذلك قبل و بعد تطبيق برنامج تدريبي للأقنوزيا البصرية، وتم مقارنة نتائج تطبيق الاختبار القبلي والبعدي.

الجانب النظري

الإشكالية:

تعتمد مختلف الدراسات والاجتهادات في ميدان الإعاقة السّمعية على القضاء على الأفكار الخاطئة عن فاقدي السمع حيث اعتبروا في وقت من الأوقات غير قابلين للتعلّم وأنهم شريحة تمّ تصنيفها من باب عدم المعرفة كشريحة تعاني اضطرابات عقلية حيث اعتبروا أنّ عجزهم عن الكلام دليل على ذلك إلاّ أنّ هذا الربط غير منطقي، إذ أنّ إعاقة السمع لا تعني إعاقة في القدرات المعرفية وقد يرجع ذلك لعدم إجراء التعديل المناسب لاختبارات الذكاء والاختبارات المعرفية لدراسة تأثير الفقدان السّمعي على النموّ اللّغوي ودور العمليات العقلية كالذاكرة والانتباه والذكاء عند الطفل الفاقد السّمع (منديل فيرون، 1979)، ولقد اختلفت الآراء فيما يخصّ الطبيعة المميّزة لذوي الإعاقة السّمعية وتتراوح هذه الآراء بين من يحللون وجود فرق إلى أدنى درجة مع الأطفال العاديين وإلى من يشير وجود أوجه تشابه كبيرة (Stuart,2000). إذ يعتمد المعاق سمعياً كباقي الأفراد على ما يسمى بالوظائف العقلية الأساسية العليا كونها تشكل لبنة المكتسبات الأوّلية كالبراكسيا والقنوزيا، وهي ما يسمى بمرحلة ما قبل اللّسان انتقالا إلى مرحلة تعلم مختلف مهارات الحساب والقراءة وغيرها، وأي خلل يصيب هذه المكتسبات يؤدي بدوره إلى اضطراب على مستوى هذه المهارات، ومن خلال القراءة يعمل الطفل على تحليل الكلمات والرّموز الموجودة أمامه ليحصل على فكرة أو معنى.

ونظراً لأهمية هذه العملية والتي تشكل القاعدة الأساسية في تنمية المهارات، نشأ الاهتمام بها فيما يخص اختلال مجموع السياقات التي تساهم في تحسين عملية القراءة كالتعرّف البصري والقنوزيا البصرية والذي تعتبر أساس لفكّ الترميز وهي عبارة عن وظيفة معرفية تتمثل في التعرّف، الإدراك، التمييز وفكّ الترميز، كما تعدّ مجموع وظائف إدراكية مؤثرة على تعرّف الأشياء، الأوجه، الأشكال والألوان مع غياب كل عجز للحدّة البصرية أو نقص في الذكاء والتي تنتقل بدورها إلى المفكّرة البصرية وهي إحدى أنظمة الذاكرة العاملة أو النشطة وعن الاحتفاظ والمعالجة المؤقتة للمعلومة ذات الطبيعة الفضائية كالصور والمثيرات وتأثيرها على الإدراك يساهم مع عناصر أخرى في تكوين سيرورة معرفية سواء تعلّق بما هو شفهي أو ما هو مكتوب فأي اضطراب يصيب عنصر من العناصر سيؤثر على اكتساب ميكانيزمات القراءة.

وحسب ما أشار إليه الباحثان (Share, Horme) أنّ قدرة الطفل على فكّ الترميز تمثل جوانب إيجابية حيث تسمح له بتكوين متدرّج لرصد التمثيلات الخطّية في الذاكرة، كما تسمح له بفكّ تميز الكلمات الجديدة أو سواء كانت مألوفة أو غير مألوفة فيظهر شبه انتظام بين الأشكال الكتابية والأشكال المنطوقة والتي تكون مؤشر للتعرّف على الكلمة.

ومن بين الدراسات التي استطعنا الاطلاع عليها حول الأڤنوزيا البصرية دراسة أجريت عام 2013 من طرف مجموعة باحثين يترأسها أخصائي في علم الأعصاب "دكتور ميشال حبيب "منسق الشبكة الإقليمية للمختصين في ميدان التعلم، استعمل من خلالها التصوير المغناطيسي والذي سمح بمعرفة مناطق المخّ النشطة في حالة أي نشاط معرفي فلاحظ أنّ منطقة التعرّف البصري للأشكال لا تنشط عند الأطفال الذين يعانون من مشاكل في القراءة وقد أرجع ذلك إلى بنية السياقات التي تتدخل فيها هذه العملية منها الڤنوزيا البصرية للأشكال وأرجع أنّ اختلالها يؤدي إلى تجمد القدرة على التعرّف وعدم استقرارها يؤثر على الذاكرة العاملة(ميشال حبيب، 2013).

كما تمّ تناول موضوع الأڤنوزيا البصرية للأشكال وتأثيرها على الذاكرة العاملة لدى الأطفال الذين يعانون من صعوبات في القراءة من طرف الطالبة "بديعة عبد الحفيظ "في إطار رسالة ماستر، و بينت الدراسة التي طبقت على مجموعة من التلاميذ الذين يعانون من صعوبات في القراءة أنّ عدم القدرة على فكّ ترميز الكلمات المكتوبة يرجع في مرحلة أولى إلى مشكل في الڤنوزيا البصرية والتي تعدّ المرحلة الأولى من معالجة المعلومات البصرية(بديعة عبد الحفيظ، 2014).

ومن خلال خبرتنا الميدانية مع الأطفال ذوي الإعاقة السّمعية الحاملين الزرع القوقعي تبيّن أنّ هذه الفئة بالرغم من أنّها تعرف تطوّرا كبيراً للغة الشفوية إلاّ أنّها تعاني من مشاكل على مستوى القراءة وأنّه من الصعب عليهم فكّ ترميز الكلمات المكتوبة.

وممّا سبق ذكره تمّ طرح تساؤل الإشكالية كالتالي:

هل للبرنامج التدريب للأڤنوزيا البصرية للأشكال دور في تحسين القراءة عند الأطفال الصمّ الحاملين الزرع القوقعي؟.

فرضية الدراسة:

-للبرنامج التدريبي للأڤنوزيا البصرية للأشكال دور في تحسين القراءة عند الأطفال الصمّ الحاملين الزرع القوقعي.

دوافع اختيار البحث:

-دراسة وظيفة الأڤنوزيا البصرية عند الطفل المعاق سمعيا لما لها من أهمية في اكتساب ميكانيزمات القراءة، والتي تعرف شحاً من ناحية الدراسات.

-خطورة مشكل القراءة عند الأطفال ذوي الإعاقة السّمعية وتناول وظيفة من الوظائف المعرفية المهمة " الڤنوزيا" الذي يساهم اختلالها واضطرابها إلى تدهور في مستوى القراءة عند هذه الفئة.

أهداف البحث: وضعنا مجموعة من الأهداف لهذه الدراسة تنقسم بين أهداف نظرية وأخرى تطبيقية:

الأهداف النظرية:

-إثراء المعرفة العلمية وزيادة الرصيد النظري حول وظيفة القْنوزيا البصرية عامّة والنظر لهذه الوظيفة عند فئة المعاقين سمعياً.

-تسليط الضوء على ظاهرة تعلّم القراءة عند المعاق سمعياً لفهم أكثر لمشكلة صعوبات القراءة عند المعاق سمعياً.

الأهداف التطبيقية:

-تقييم وظيفة القْنوزيا البصرية للأشكال لدى المعاق سمعياً الحامل الزرع القوقعي وما إذا كان يعاني من اضطراب على مستواها.

-الأخذ بعين الاعتبار اضطراب الأقْنوزيا البصرية ، هذه القدرة المعرفية التي تعيق تحسّن القراءة عند الطفل المعاق سمعياً، وبالتالي إعداد برامج وبروتوكولات للتكفّل.

تحديد المفاهيم:

القْنوزيا البصرية: هي قدرة معرفية تجمل ثلاث وظائف معرفية هي التعرف، التمييز، الإدراك فهي مجموع وظائف إدراكية مؤثرة على تعرف الأشياء، الأوجه، الأشكال، الألوان، المعلومات المكانية عن طريق البصر مع غياب كل عجز للحدة البصرية أو نقص في الذكاء.

الأقْنوزيا البصرية: اضطراب عصبي يتمركز على مستوى القشرة الدماغية ويظهر كاضطراب يمس التعرف رغم إدراك المعلومات الحسية.(cambier. J, 2002).

كما يعرف على أنه اضطراب عدم القدرة على التعرف الأشياء المعروضة لإدراكنا، وهذا الاضطراب لا ينجم عن أي عسر حسي أو خاص بالانتباه أو عسر على مستوى الوعي(Barbizet. J,1977).

ميكانيزمات القراءة: تعتبر القراءة عملية معقدة تتفاعل فيها ميكانيزمات بصرية، سمعية، حركية إذ يتم من خلالها فك الرموز المكتوبة وربطها بالأصوات التي تناسبها من أجل إدراك وتمييز معانيها ومن ثمة الاحتفاظ وتخزينها واسترجاعها وقت الحاجة.

الإعاقة السّمعية: هي تلك المشكلات التي تحول دون أن يقوم الجهاز السمعي عند الفرد بوظائفه أو تقلل من قدرة الفرد على سماع الأصوات المختلفة، وتتراوح الإعاقة السّمعية في شدّتها من الدرجات البسيطة والمتوسطة التي ينتج عنها ضعف سمعي إلى الدرجات الشديدة جدا والتي ينتج عنها صمم.

الزرع القوقعي: تقنية موجهة للأشخاص المصابين بصمم عميق والذين لا يستطيعون الاستفادة من التجهيز العادي الكلاسيكي، فهو جهاز ينبه مباشرة العصب السّمعي عن طريق إلكترودات مزروعة داخل القوقعة وهو مصنّف ضمن المعينات السّمعية.

الجانب التطبيقي

منهج البحث: المنهج المناسب لهذه الدراسة هو منهج دراسة حالة، وهو منهج يهدف إلى التعرّف على وضعية واحدة معيّنة وبطريقة تفصيلية دقيقة، حيث يرى "جي آن " أن الطابع العميق لدراسة الحالة يجعل من الممكن عمليا بحث عدد من الحالات ودراستها دراسة معمّقة، حيث تفيدنا في الدراسات الاستطلاعية(غريب سيد أحمد، 1983).

مكان البحث: لقد تمّ إجراء البحث بالأقسام الخاصة المدمجة في المدارس العادية، وهي ابتدائية عقبة بن نافع (عين بنيان، الجزائر العاصمة).

مجموعة البحث: يعتبر اضطراب الأقنوزيا البصرية من الاضطرابات النادرة ، وبالصدفة وعند قيامنا بعملنا كأخصائيين أرطوفونيين بالأقسام المدمجة للأطفال المصابين بالإعاقة السمعية والحاملين للزرع القوقعي لاحظنا وجود حالة تعاني من هذا الاضطراب.

اشتملت مجموعة البحث على حالة واحدة تعاني من اضطراب في الأقنوزيا البصرية وصعوبات في القراءة، تبلغ من العمر 11 سنة.

دراسة حالة:

استمارة البيانات:

الاسم: (أ).

اللّقب:(ب).

تاريخ الميلاد: 11.06.2007

العمر:11 سنة

المستوى الدراسي: الخامسة ابتدائي.

المدرسة: عقبة بن نافع (عين البنيان).

عدد الأخوة: 03.

رتبة الطفل بين الإخوة: الثانية.

اللّغة المستعملة في البيت: العربية الدارجة.

بيانات خاصّة بالصمم:

طبيعة الصمم: حاد، أحادي.

سنّ الإصابة بالصمم: صمم خلقي.

سن الزرع القوقعي: 36 شهراً.

هل خضع للكفالة المبكرة: نعم.

اللّغة الشفوية: مكتسبة.

بيانات خاصّة بالمدرسة:

سن الالتحاق بالمدرسة: 6 سنوات.

هل أدمج في الأقسام العادية: أدمج في قسم خاص.

هل أعاد السنة: نعم.

هل يتواصل مع زملائه لغويا أو إشاريا: لغويا.

هل هو مندمج مع زملائه: قليلا.

أدوات البحث:

تم استخدام الأدوات التالية:

المقابلة نصف موجهة: وهي ميزانية يتم فيها جمع المعلومات البيانات اللازمة حول الحالات التي نحن بصدد دراستها علما أنه كما ذكرنا سابقا استخدام منهج دراسة حالة فإنه من الضروري أن نستخدم المقابلة كأداة من أدوات بحثنا هذا.

الملاحظة: تمّ استخدام الملاحظة كأداة لجمع المعلومات حول الحالة، حيث قمنا بحضور حصص أين قامت المعلمة بإعطاء نص للمفحوص ليقرأه لنلاحظ طريقة قراءته ومختلف الأخطاء التي يرتكبها للتأكد من توفر أعراض صعوبة تعلم القراءة قبل مرحلة تطبيق اختبار القراءة.

الملف الطبي للتلميذ: تم الاطلاع على الملف الطبي للتلميذ، وتم التأكد من عدم وجود اضطرابات مصاحبة.

الاختبارات المستعملة:

اختبار الذكاء كاتل catell**:** عبارة عن سلسلة من الاختبارات أطلق عليها اسم اختبارات الذكاء المتحررة من أثر الثقافة (culture free tests) يقيس هذا الاختبار العامل العام للذكاء أو التفكير المنطقي ونقصد بالعامل العام القدرة العامة في حل المشاكل وتعد هده الأخيرة من أهم القدرات العقلية التي تسمح بتحليل الوضعية .عدد أسئلة الرائز ككل 100 سؤال يطبق فرديا وجماعيا، وقمنا بتطبيق هذا الاختبار من أجل إقصاء الإعاقة الذهنية عند عينة الدراسة.

اختبار القراءة "العطلة": هو عبارة عن نصّ عنوانه العطلة يتكون من 267 وحدة مرفولوجية تمّ إعداده من طرف "غلاب صليحة"، يقيس الاختبار زمن القراءة وعدد الكلمات المقروءة الصحيحة أي دقة القراءة، سرعة القراءة ، ونقصد بها معدّل الكلمات في زمن محدّد وتسارع القراءة ونعني به تغيير سرعة القراءة بين زمن 1 وزمن 2 من قراءة النص، يتم ضبطه بين الزمن الأوّل وهو 60 ثانية الأولى من زمن القراءة الكلّي، والزّمن الثاني أي معدّل عدد الكلمات المقروءة في الزمن الثاني وهو 60 ثانية، لأن الزمن الثالث غالبا ما قد يكون أقلّ من 60 ثانية، ويفيد قياس التسارع في الحكم على القراءة هل هي متسارعة أو متباطئة.

يراعي الفاحص في التصحيح وتقييم القراءة بحساب زمنها عدد الكلمات الكلّية في النّص، عدد الكلمات المقروءة خلال ثلاثة دقائق، عدد الكلمات الصحيحة، عدد الأخطاء أثناء الدقائق الثلاثة الأولى. (بالإضافة إلى مجموع أنواع الأخطاء المرتكبة من حذف، إبدال، قلب، إضافة).

بروتوكول تقييم الأقنوزيا البصرية: هو اختبار مستخلص من بروتوكول تقييم وظائف القنوزيا البصرية

Protocole dévaluation des gnosies visuelles ⟵ PEGV

والذي بدوره مستخلص من بروتوكول MT.86، قمنا باختيار اختبارين من هذا البروتوكول:

اختبار الصور المتشابهة: يختبر قدرات الفرد على التعرّف على عنصر من بين مجموعة عناصر متشابهة وتحديد العنصر المطابق.

اختبار الصور المتشابكة: من الخصائص الأساسية لهذا الاختبار أنه:

-يختبر قدرات التمييز والتعرّف على عناصر خطّية التي تدمج سيرورات معرفية متعدّدة(من خلال طبيعة المثيرات المستعملة) ومعقّدة (من خلال طبيعة العمليات العقلية المطلوبة).

-اختبار الصور المتشابكة لا يقيم القدرة على إعطاء حكم لخاصية مماثلة أو مختلفة لعنصرين خطيين إنما يقيم ويختبر أيضاً القدرة على الاقتطاف وبالتالي العناصر المختلفة المكونة لصورة هدف معقدة.

البرنامج التدريبي للأڤنوزيا البصرية للأشكال: هو عبارة عن اقتراح طريقة منظمة للتكفّل باضطراب الأڤنوزيا البصرية حيث يمكن لأي مختص أن يستلهم من هذه الطريقة وأن يقدّم برنامج يختاره أو أن يقدّم طريقة مختلفة مع مراعاة المبادئ الأساسية. ولتطبيق برنامجنا قمنا باختيار الأشكال من البرنامج التقييمي للأڤنوزيا البصرية للأشكال، حيث قمنا بتطبيق تمارين مختلفة سواء بالنسبة للصور المتشابهة أو بالنسبة للصور المتشابكة.

أ.المبادئ النظرية للبرنامج:

-تنمية القدرة على التمييز والتعرّف على الأشكال المتشابهة والمتشابكة للأڤنوزيا البصرية.

-تنبيه المناطق العصبية التي من شأنها معالجة المعلومة (المفكرة البصرية).

-تنمية التعرف، الإدراك، التمييز وفكّ الترميز والتي تعتبر أهمّ الوظائف المعرفية للأڤنوزيا البصرية.

ب.تنظيم حصص الكفالة:

-اختبار التقنية خلال ثلاث حصص تجريبية.

-اقتراح 24 حصّة لتطبيق البرنامج، بمعدل حصتان في اليوم ، واحدة في الصباح والأخرى في المساء بمعدّل مرتين في الأسبوع أي ما يعادل 4 حصص في الأسبوع لمدّة شهر ونصف.

-مدّة الحصص من 20 إلى 30 دقيقة حسب وتيرة المفحوص.

-اختيار تمرين أو أكثر في الحصّة حسب نوع التمرين أو وتيرة المفحوص.

ج.مكونات البرنامج وتقنية التكفل:

الصور المتشابهة: يتكوّن من 12 لوحة للصور المتشابهة كل لوحة تحتوي على 7 صور.

-نقوم بفصل هذه الصور كل واحدة على حدى للحصول على 7 صور منفصلة ممّا يعطينا 7 صور على اللّوحة و7 صور منفصلة (نطبق هذه العملية على 12 لوحة للصور المتشابهة).

-نقوم بفصل الصور عن اللّوحة مرتين لنتحصل على 14 صورة منفصلة(تطبق هذه العملية على 12 لوحة).

-يتم تقديم لوحات التكفّل للصور المتشابهة ونطلب من الطفل التعرّف على الصورة كما هو محدّد في اللوحات(بدون تقييم أو تسجيل الأخطاء).

التعليمة: أرني من بين الرّسومات الستّة الصورة التي تشبه هذه الصورة مع استعانة الفاحص بالإشارة للصور.

-يتم تقديم لوحة الصور المتشابهة مع 7 صور منعزلة لنفس اللّوحة ونطلب من الطفل وضع كل صورة مع الصورة التي تشبهها، مما يعطينا 7 صور أي مثيرات على اللّوحة تكون الهدف و7 صور أي مثيرات أخرى، يتم إعطاءها للمفحوص.

التعليمة: ضع كل صورة من بين الصور التي معك مع الصورة التي تشبهها على الطاولة.

-نقوم بإعطاء 3 اختيارات من الصورة أي مثيرات للصور المتشابهة وصورة منعزلة نطلب من الطفل تحديد الصورة الهدف.
-تكون الاختيارات عشوائية يعني اختيارين خاطئان واختيار صحيح مثال: يمكن استعمال كل المثيرات وتكرار العملية باختيار إجابة صحيحة وإجابتين عشوائيتين (إجابة صحيحة + إجابة خطأ يسار+ خطأ آخر) (إجابة صحيحة + إجابة مرآة + إجابة خطأ يمين).
التعليمة: من بين الصور الثلاث أين هي التي تشبه هذه الصورة (يستعين المفحوص بالإشارة للصور).
الصور المتشابكة: يتكوّن من 15 لوحة للصور المتشابكة، كل لوحة تحتوي على 8 صور، مثيرات + الصورة الهدف والتي تتمثل في صور الأشكال المتشابكة.
-نقوم بفصل صور المثيرات للحصول على ثمانية صور.
-نقوم بفصل الصورة الهدف والتي تتمثل في 3 صور المتشابكة.
-يتم تقديم لوحات التكفّل للصور المتشابكة ونطلب من الطفل التعرّف على الصورة كما هو محدّد في اللوحات(لا نقوم بتقييم أو تسجيل الأخطاء).
التعليمة: أرني من بين الرّسومات الثمانية الصورة الثلاث المكونة لهذه الصورة مع استعانة الفاحص بالإشارة على الصور.
-نقدّم للمفحوص مجموعة من المثيرات تحتوي على ثلاث صور صحيحة مكوّنة للصورة الهدف + صورة خاطئة ونطلب من المفحوص تحديد الصورة الخاطئة. يمكن اختيار الصور الخاطئة عشوائيا.
التعليمة: أرني من بين هذه الصور الأربع الصورة التي لا توجد بين هذه الصورة(نشير إلى الصورة الهدف).
عرض وتحليل نتائج اختبار تقييم الأقنوزيا البصرية: سيتم عرض وتحليل نتائج اختبار تقييم الأقنوزيا البصرية للحالة (أ – ب).

1.نتائج اختبار الصور المتشابهة للأقنوزيا البصرية

جدول رقم (01): نتائج اختبار الصور المتشابهة للأقنوزيا البصرية للحالة (أ – ب)

اللوحات	الوقت	الأجوبة						T	
		الإجابة الصحيحة	خطأ إهمالي يميني	خطأ إهمالي يساري	خطأ مرآة	أخطاء أخرى	لا يعرف	< 30 ثا	30 > ثا

1	12 ثانية	4	6	1	3	2 5		×	
2	07 ثانية	2	4	3		5 6			
3	07 ثانية	1	6	5	2 1	3 4		×	
4	06 ثانية		1	4	5	3 2		×	
5	09 ثانية	2 6		5	3	1 6			
6	10 ثانية	4	6 4	1	2	3			
7	18 ثانية	1	4	3	5	4			
8	07 ثانية		2	5	1	4		×	
9	09 ثانية	6	4	1	6	2 3		×	
10	11 ثانية	5 3	6	5	4	1 2		×	
المجموع		06	01		01	02		06	
مجموع الإجابات صحيحة 30 ثا>		06							

من خلال الجدول رقم 01 لاحظنا أن مجمل الوقت في كلّ لوحة لم يتجاوز 30 ثانية، وقد تحصلت الحالة في اختبار الصور المتشابهة على 6 اجابات صحيحة من أصل 10 إجابات وهو ما يشير لوجود اضطراب في الأقنوزيا البصرية للأشكال لديها.

2.نتائج اختبار الصور المتشابكة للأقنوزيا البصرية

جدول رقم (02): نتائج اختبار الصور المتشابكة للأقنوزيا البصرية للأشكال للحالة (أ- ب)

اللوحات	الزمن	الإجابات			ع إ ص أقل من 90ثا
		الإجابة الصحيحة	الإجابات الخاطئة	لا يعرف	
1	18 ثانية	1 5	1 3 4 6 8		× × ×
2	17 ثانية		2 5 6 7 8		× × ×
3	28 ثانية	2	3 4 6 7		× ×
4	21 ثانية	8 8	1 2 6 7		X ×
5	26 ثانية	3 5 7	1 1 5		×
6	20 ثانية	4	1 7		× × ×
7	15 ثانية	2	3 1		×
8	24 ثانية	6 8	8 2		× ×
9	28 ثانية		1 2 3 5		× × ×
10	15 ثانية 16		1 2 3		× ×
11	11 ثانية		2 4 6		× × ×
12	ثانية	1 3 4 5 4	1 2 5 6 5 7		× ×
النقاط	مجموع	28	08		28

من خلال جدول رقم 02 لاحظنا أن مجمل الوقت في كلّ لوحة لم يتجاوز 90 ثانية، وقد تحصلت الحالة في اختبار الصور المتشابكة على 28 إجابات صحيحة من أصل 36 إجابات وهو ما يشير لوجود اضطراب في الأڤنوزيا البصرية للأشكال لديها.

عرض وتحليل اختبار القراءة "العطلة":

1.عرض نتائج التطبيق القبلي والبعدي لاختبار القراءة للحالة (أ- ب):

طبق هذا الاختبار على مرحلتين المرحلة الأولى قبل تطبيق البرنامج التدريبي (قياس قبلي) والمرحلة الثانية بعد تطبيق البرنامج التدريبي (قياس بعدي)، وهذا من خلال أربع مراحل تمثلت في:

-الملاحظة الدقيقة للحالة وتسجيلها أثناء قراءة النص لتحديد الأخطاء والزمن المستغرق لتكون النتائج موضوعية.

-حساب عدد الأخطاء المرتكبة وتسجيل المدّة المستغرقة والنوعية.

-حساب مؤشر القراءة.

-حساب مؤشر التسارع.

جدول رقم (03): نتائج التطبيق القبلي والبعدي لاختبار لقراءة للحالة (أ – ب)

الحالة	السنّ بالأشهر	زمن القراءة	الكلمات المقروءة	عدد الأخطاء	الكلمات المقروءة الصحيحة	الكلمات المقروءة في د1	الكلمات المقروءة في د2	مؤشر التسارع	مؤشر القراءة	
قياس قبلي	126	384 ثانية	267	73	194	57	53	4	0.72	%72.65
قياس بعدي	127	264 ثانية	267	47	220	43	41	2	0.82	%82.39

تحليل نتائج التطبيق القبلي والبعدي لاختبار القراءة:

أ.التحليل الكمي: من خلال الجدول السابق و بعد تطبيقنا لاختبار القراءة على الحالة تطبيق قبلي لاحظنا أن الكلمات الصحيحة قدّرت ب 194 كلمة صحيحة قبل تطبيق البرنامج التدريبي و 220 كلمة صحيحة بعد تطبيق البرنامج التدريبي والتي تقدر ب 267 كلمة من مجموع الكلمات المقروءة وهي كلمات النّص حيث أنّ الحالة تمكنت من قراءة مجمل كلمات النّص.

كما سجلنا أيضا الكلمات المقروءة في الدقيقة الأولى والتي قدرت ب 57 كلمة، وقدّر عددها في الدّقيقة الثانية ب53 كلمة أما فيما يخص مّدّة قراءة النّص قدّرت ب384 ثانية.

وفي الأخير استخرجنا من المعطيات التي سبقت مؤشر القراءة و التي تحصلنا عليه عن طريق تقسيم عدد الكلمات الصحيحة على العدد الكلي لكلمات النّص والذي قدّر ب 0.72 وهذا قبل تطبيق البرنامج التدريبي.

أما فيما يخص الكلمات المقروءة بعد تطبيق البرنامج التدريبي في الدقيقة الأولى والتي قدرت ب: 43 كلمة، وقدّر عددها في الدّقيقة الثانية ب:41 كلمة، ولقد سجّلنا أيضا مّدّة قراءة النّص والتي قدّرت ب:264 ثانية.

وفي الأخير استخرجنا من المعطيات التي سبقت مؤشر القراءة و الذي تحصلنا عليه عن طريق تقسيم عدد الكلمات الصحيحة على العدد الكلي لكلمات النّص والذي قدّر ب:0.82.

مؤشر القراءة= عدد الكلمات الصحيحة ÷ عدد الكلمات المقروءة.

كما قمنا باستخراج مؤشر التسارع حيث تحصلنا عليه من خلال طرح عدد الكلمات المقروءة في الدقيقة الثانية من عدد الكلمات المقروءة في الدقيقة الأولى وقدرت النتيجة ب:4 قبل تطبيق البرنامج التدريبي و 2 بعد تطبيق البرنامج.

مؤشر التسارع= عدد الكلمات المقروءة في الدقيقة الثانية – عدد الكلمات المقروءة في الدقيقة الأولى

الأخطاء المرتكبة في اختبار القراءة قبل وبعد تطبيق البرنامج التدريبي:

جدول (04) نتائج التطبيق القبلي والبعدي للأخطاء المرتكبة في اختبار القراءة

الأخطاء الحالة	الحذف	الإبدال	القلب	الإضافة
قبل التطبيق	49	17	0	07
النسبة المئوية	%67.12	% 23.28	%0	% 9.58
بعد التطبيق	23	22	00	02
النسبة المئوية	%48.93	% 46.08	%0	% 04.25

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن النسبة المئوية المستخلصة للحالة قد تمّ الحصول على نتائجها عن طريق ضرب عدد الكلمات الصحيحة في 100 وتقسم النتيجة على العدد الإجمالي لكلمات النّص وهو 267.

النسبة المئوية = عدد الكلمات الصحيحة × 100 ÷ عدد كلمات النّص.

قدرت النسبة المئوية للحالة ب: 72.65% ، أمّا فيما يخص تحليل نتائج الأخطاء المرتكبة في اختبار "العطلة" فلقد سجلنا عدد الأخطاء والتي تقدر ب 73 كلمة وهو مجموع عدد الأخطاء من مجموع الكلمات المقروءة. والتي قدّرت نسبتها المئوية ب:27.34% هذا قبل تطبيق البرنامج التدريبي.

أمّا فيما يخصّ النسبة المئوية المستخلصة للحالة بعد تطبيق البرنامج فقد قدرت النسبة المئوية للحالة ب: 82.39%.

أمّا فيما يخص تحليل نتائج الأخطاء المرتكبة في اختبار "العطلة" فلقد سجلنا عدد الأخطاء والتي تقدر ب:47 كلمة وهو مجموع عدد الأخطاء من مجموع الكلمات المقروءة. والتي قدّرت نسبتها المئوية ب: 17.60%.

التحليل الكيفي:

من خلال النتائج المتحصّل عليها في اختبار القراءة (نص العطلة) أن **زمن القراءة** قدر في التطبيق القبلي ب:384 ثانية، أمّا بالنسبة للتطبيق البعدي فقدّر ب: 264 ثانية وحدّد الفرق بين الزمن الأول والثاني ب:120 ثانية، وهنا نستنتج أنّ زمن القراءة الكلّي تحسّن بمعدّل فرق

120ثانية، أما **الكلمات المقروءة** الصحيحة فقدّر عدد الكلمات الصحيحة في التطبيق القبلي ب:194 كلمة صحيحة، أمّا بالنسبة للتطبيق البعدي فسجّلنا 220 كلمة صحيحة. وحدّد الفرق بين التطبيق القبلي والبعدي ب:26 كلمة صحيحة، وهنا نستنتج وجود تحسّن في عدد الكلمات الصحيحة بفرق 26 كلمة، **مؤشر القراءة**: سجلنا نسبة 0.72 بالنسبة للتطبيق القبلي، ونسبة 0.82 بالنسبة للتطبيق البعدي فسجّلنا تحسّن بفرق 0.01 بالنسبة لمؤشر القراءة، **مؤشر التسارع**: فقدّر ب:4 بالنسبة للتطبيق القبلي، ونسبة 2 بالنسبة للتطبيق البعدي وهنا نسجّل تحسّن بمعدّل فرق درجتين ، نلاحظ تحسن في النتائج وهذا بعد تطبيق البرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال.

أمّا فيما يخصّ النسبة المئوية المستخلصة للحالة فقد سجّلنا نسبة 72.65% بالنسبة للتطبيق القبلي أي تحسّن بفرق 9.74 % بالنسبة للتطبيق البعدي والذي قدّر ب:82.39% وهنا نستنتج وجود تحسّن في النسبة المئوية للقراءة عند الحالة وهذا بعد تطبيق البرنامج التدريبي للأقنوزيا البصرية للأشكال.

أمّا بالنسبة لأنواع الأخطاء فلقد سجّلنا:

في التطبيق القبلي 49 خطأ بالنسبة للحذف، و23 خطأ حذف بالنسبة للتطبيق البعدي، أي بمعدّل فرق 26 خطأ حذف، ممّا نستنتج وجود تحسّن في عدد الأخطاء بالنسبة للحذف.

أمّا بالنسبة للإبدال فقد سجّلنا17 كلمة في التطبيق القبلي و22 كلمة بالنسبة للتطبيق البعدي ممّا نستنتج أنّه لم يسجل أي تحسّن بالنسبة للكلمات الخاطئة بالنسبة للإبدال.

وفيما يتعلّق بالإضافة، فقد سجّلنا 07 كلمات في التطبيق القبلي و02 كلمتين بالنسبة للتطبيق البعدي أي بمعدّل فرق 05 كلمات.

وهنا نستنتج وجود تحسّن في عدد الكلمات بالنسبة لخطأ الإضافة.

الاستنتاج العام:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على أثر تدريب الأقنوزيا البصرية للأشكال في تحسين القراءة عند الطفل الأصمّ الحامل الزرع القوقعي، وبعد تطبيق مختلف الاختبارات واستخراج النتائج وتحليلها تمّ التحقق أنّ الحالة تعاني من اضطراب على مستوى الأقنوزيا البصرية للأشكال وتعاني من صعوبات في القراءة ،حيث لاحظنا أن القراءة في التطبيق القبلي لاختبار القراءة كانت ضعيفة ومتقطعة وكثيرة الأخطاء وهذا راجع لعدم تفريق الحالة بين الحروف، ولم تتمكن من فكّ رموز الكلمات إلاّ أنّ التدريب المقترح للأقنوزيا البصرية حسّن من مستوى قراءتها وهذا حسب النتائج المسجلة في التطبيق البعدي لاختبار القراءة وكان أداءها أحسن على مستوى زمن القراءة والكلمات المقروءة الصحيحة والأخطاء مقارنة بنتائج التطبيق القبلي إذ أنّ الهدف من التدريب هو تحسين القراءة ولو بنسبة صغيرة، كما سجّلنا تحسّن على مستوى أنواع الأخطاء (الحذف، القلب، الإبدال، الإضافة).

وتوصلنا إلى أن للتدريب على الأقنوزيا البصرية للأشكال دور في تحسين القراءة عند الطفل الأصم الحامل للزرع القوقعي.

حيث تتفق هذه الدراسة مع دراسات أخرى تناولت موضوع الأڤنوزيا البصرية للأشكال وتأثيرها على الذاكرة العاملة عند أطفال يعانون من صعوبات في القراءة منها دراسة بديعة عبد الحفيظ ، ودراسة بوخزار آسيا التي قامت بدراسة تأثير المفكرة البصرية الفضائية على تعلم مهارة القراءة لدى التلاميذ المتمدرسين إذ تعتبر الأڤنوزيا البصرية وظيفة من وظائف المفكرة البصرية.

كما أكدت دراسة الدكتور ميشال حبيب أنّ الأطفال الذين يعانون من مشاكل في القراءة لا تنشط عندهم منطقة التعرّف البصري للأشكال (الأڤنوزيا البصرية).

ودراسة X.Seron أنّ الأڤنوزيا البصرية تمسّ اللّغة المكتوبة فتشمل التعرّف على الرموز الخطّية بحيث لا يمكن للمصاب القراءة.

وبناء على ما قدّمناه ومن خلال معظم الدراسات التي تطرّقنا إليها ومن خلال النتائج المتحصّل عليها توصلنا إلى أنه يوجد فروق في القراءة بعد تطبيق البرنامج التدريبي للأڤنوزيا البصرية للأشكال عند الطفل الأصمّ الحامل للزرع القوقعي وبالتالي تحققت فرضية للدراسة والتي تنصّ على أن لتدريب الأڤنوزيا دور تحسين القراءة عند الطفل الأصمّ الحامل للزرع القوقعي.

أهم نتائج الدراسة:

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أنه يمكن علاج حالات تعاني من الأڤنوزيا البصرية وهذا عن طريق تطبيق خطوات البرنامج العلاجي لهذا الاضطراب، وهذا من أجل التكفل الأمثل بهذه الفئة والتي تعرف شحا كبيرا من حيث الدراسات، فكلما كان التشخيص مبكرا ،كانت الكفالة مبكرة وبالتالي الحصول على نتائج أفضل تساعد هؤلاء الأطفال على الاندماج مع أقرانهم.

خاتمة:

يطمح كل ميدان علمي إلى تقييم مادّة علمية وفق استراتيجيات تأخذ بعين الاعتبار أهمّ المعطيات، ويعتبر ميدان الأرطفونيا (أمراض اللغة التواصل) من بين هذه الميادين إذ يعتمد على عملية التقييم بهدف التشخيص والتدريب ومن ثم التكفل ثم العلاج، ولقد حاولنا من خلال هذه الدراسة النظرية والميدانية إبراز العلاقة الموجودة بين اضطراب الأڤنوزيا البصرية ومهارة القراءة عند الأطفال الصمّ الحاملين الزرع القوقعي من خلال تبيان أهمّ المشاكل والصعوبات التي تنجم عنه، إذ تعتبر القراءة من أكثر العمليات التي تعرف اهتماما عند ذوي الإعاقة السمعية، ومع وجود تطوّر من هذه الناحية لا تزال الكثير من الجوانب المتعلقة به تحتاج اكتشاف وتفسير ومحاولة منّا لفهم معظم العمليات المعرفية التي تساهم في عملية القراءة، فلقد جاءت هذه الدراسة كامتداد لدراسات سابقة عن الأڤنوزيا البصرية وعلاقتها بالقراءة حيث طرحنا مجموعة من الأسئلة تتعلّق باضطراب الأڤنوزيا البصرية وإمكانية التكفل به.

ولتحقيق الهدف الذي سطرناه في هذه الدراسة، وضعنا برنامج تدريبي للأڤنوزيا البصرية للأشكال وذلك باقتراح مجموعة من النشاطات وبعد مناقشة النتائج توصلنا إلى أنّ تدريب الأڤنوزيا البصرية للأشكال يؤدي إلى تحسين مستوى القراءة وهذا راجع إلى أنّ الأڤنوزيا البصرية تمسّ اللّغة المكتوبة لما تشمل التعرّف على رموز خطّية.

وممّا سبق نقول أن النتائج المتحصل عليها من خلال مختلف المراحل سمحت بالحصول على بعض النتائج الملموسة منها بروتوكول تقييم الأڤنوزيا البصرية للأشكال المتشابهة والمتشابكة وأداة تقييم القراءة "نص العطلة" بالإضافة إلى البرنامج التدريبي المستلهم من برنامج تقييم الأڤنوزيا البصرية والذي يمكن لأي باحث الاعتماد عليه، وهذا ما يفتح المجال للباحث لمواصلة التدقيق في مثل هذه النتائج والأدوات.

ومن خلال كلّ ما سبق يمكن تقديم مجموعة من الاقتراحات للأبحاث في المستقبل.

-دراسة الأڤنوزيا البصرية عند ذوي الإعاقة السّمعية ومقارنتها مع الطفل العادي.

-القيام ببرامج تدريبات لمختلف العمليات المعرفية عند المصابين باضطراب الأڤنوزيا.

-تقييم الأڤنوزيا البصرية وعلاقتها ببعض المتغيرات (صعوبات الكتابة، صعوبات الحساب...).

قائمة المراجع:

1. بديعة حاج عبد الحفيظ (2013-2014)، أثر الأڤنوزيا البصرية للأشكال على المفكرة البصرية-الفضائية لدى التلميذ المصاب بصعوبات تعلّم القراءة، مذكرة لنيل شهادة ماستر في الأرطوفونيا تخصص علوم عصبية معرفية، قسم الأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.
2. بوخزار آسيا(2010-2011)، المفكرة البصرية- الفضائية وأثرها على تعلّم القراءة لدى تلاميذ السنة الثالثة والرابعة ابتدائي، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في علم النفس اللّغوي المعرفي، قسم الأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.
3. غلاب صليحة(2012-2013)، عسر القراءة في الوسط العيادي الجزائري تناول معرفي لساني في التعريف والتشخيص والتدريب من خلال تعيير اختبار تقييم القراءة واقتراح برنامج للفحص والتدريب على القراءة، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأرطوفونيا، قسم الأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر.
4. Barbi. J, Duizabo. PH(1977), Abrège de neuropsychologie, Ed, Masson, paris.
5. Cambien, J (2002), La mémoire, Ed, le cavalier bleu, Paris.
6. Fnith. U (1985), Beneath the Surface of developmental dyslexia, in K.E Patterson, J.C, Marshall, coltheart.
7. Habib. M(1997) , Trouble du langage (diagnostic et rééducation), Ed, pierre Mardaga, Belgique.

كفاية العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني المتعلقة بجرائم الإزدراء في محافظة إربد الديني من وجهة نظر القضاة والمحامين

The adequacy of the penalties in Jordanian Penal Code relating to crimes of Blasphemy from the point of view of judges and lawyers in the governorate of Irbid

د. نوح سليمان صالح درادكه، كلية العلوم الإجتماعية جامعة مؤتة- الأردن

ملخص: يحاول الباحث من خلال هذه الدراسة التعرف على مدى كفاية العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960 وتعديلاته المُتعلقة بجرائم الإزدراء الدِّيني من وجهة نظر القضاة والمحامين في محافظة اربد، حيث تناولها القانون في المواد (273-278) تحت عنوان الجرائم التي تمس الدين والأسرة، وتمهيداً تمَّ تناول مفهوم الإزدراء الدِّيني وإشكاليّة هذا المفهوم في سياقه التاريخي، ثمّ تمَّ التطرق إلى الجرائم التي تصدى لها قانون العقوبات الأردني بهذا الخصوص والتي شملت إطالة اللسان علناً على أرباب الشرائع من الأنبياء، الإفطار العلني في رمضان، تدنيس أماكن العبادة، التشويش على الشعائر الدّينيَّة، الإعتداء على أماكن دفن الموتى، وإهانة الشعور الدّيني، وكانت أهم النتائج التي تم التوصل إليها قصور العقوبات المشار إليها وعدم تناسبها مع تلك الجرائم وخطورتها وبدرجات مختلفة، الأمر الذي يقتضي إجراء مراجعات على المستوى الرسمي لتعديل المواد القانونية بما يتضمن تغليظ العقوبة لتحقيق هدفها في الردع العام والردع الخاص.

الكلمات المفتاحية: العقوبة، الجريمة، الإزدراء الديني، القاضي، المحامي، محافظة اربد.

Abstract: In this study, the researcher tries to identify the adequacy of the penalties stipulated in the Jordanian Penal Code No.(16) for the year 1960 and its amendments concerning the crimes of blasphemy from the point of view of the judges and lawyers in Irbid governorate. The researcher address the concept of blasphemy and the problematic nature of this concept in its historical context, and then to address the crimes in the Jordanian Penal Code in this regard, which included blasphemy against the prophets, breakfast in Ramadan, Desecration of places of worship, jamming of religious rites, the attack on the burial places of the dead, and insulting religious feeling.

The most important results were the inadequacy of these penalties and their disproportionality to those crimes and their seriousness. This requires conducting formal reviews to amend the legal articles, including the intensification of the punishment, to achieve its goal of general deterrence and private deterrence.

Keywords: penalty, Crime, blasphemy, Judge, Lawyer, Irbid Governorate

خلفية الدراسة:

يُعدُّ الدِّين من أهم العناصر الأساسيَّة التي تُشكِّل ثقافة الفرد والمُجتمع، فهو من جهة حاضر بقوة في أعماق النفس البشريَّة، شديد التأصيل فيها، ومن جهة أُخرى لديه حضوره الإجتماعي المُحاط بهالةٍ من المهابة والتقديس والإحترام.

إنَّ ميل الإنسان الفطري إلى البحث عن وجود خالق لهذا الكون البديع، وجنوح العقل البشري إلى التدبُّر في الوجود وخلود النفس والحياة الآخرى، وغيرها من المسائل التي كانت تُشكِّل حالة من التحدِّي لهذا العقل عبر مراحل التَّاريخ المختلفة الموغلة في القِدم، لهو أصدقُ دليل على أهميَّة الرِّسالات السماويَّة ودورها المحوري في حياة الأفراد والمُجتمعات، حيث لم تُقدِّم هذه الرِّسالات تفسيراً لتلك المسائل العقليَّة فحسب، بل عمدت إلى تنظيم علاقة الإنسان بنفسه وخالقه ومُجتمعه.

إنَّ التديُّن ظاهرة إجتماعيَّة ليست بالجديدة، بل برزت منذ فجر التاريخ، فلا تكاد تخلو حضارة من الحضارات القديمة من هياكل وتماثيل يُشار إليها كآلهة، ويُرسم على جدران مدنها صوراً تُمثِّل الطقوس المُتعلِّقة بها، فضلاً عن المعابد وأمّاكن تقديم القرابين وغيرها، وعليه كان الدِّين وما يزال سبباً في التقاء أفراد المُجتمع، بإعتباره أحد أهم القواسم المشتركه التي تجمعهم، وحتى يبقى الدّين بمكانه الصحيح، يمارس دوره السامي الفاعل في المجتمع، لا بد من حماية رموزه حماية تبقيه بمنأى عن كافة أشكال الإزدراء، الأمر الذي يجعل مسألة ازدراء الأديان مسألة بالغة الخطورة والحساسيَّة، تستوجب الإهتمام المجتمعي والتنظيم القانوني.

إنَّ الهدف من سن قوانين منع ازدراء الأديان هو حماية المُقدَّسات الدّينيّة، ومنع تمدُّد مشاعر الكراهيَّة ضد الأديان، لأن انتشارها يهدد التعايش السلمي داخل المجتمعات من جهة، وبين الأمم والشعوب من جهة أخرى، ويشكل أيضاً مساساً خطيراً بالكرامة الإنسانية، ويفرض قيوداً على الحرية الدّينيّة للمؤمنين بها.

إنَّ المساس بالدِّين يترك أثراً بالغ الخطورة في النفوس، ويستفزها إلى إحداث رد فعل مضاد، لإخماد الشعور المتأجِّج الناجم عن الإعتداء على قُدسيَّة الإعتقاد الدّيني أو الشعور الدّيني، الأمر الذي يدفع البعضَّ أحياناً إلى تجاوز الحدّ الطبيعي في التعبير عن الرفض، واللجوء إلى أفعال مُتطرّفة، تكون مُحصلتها النهائيَّة مقابلة الجريمة بجريمة مضادة قد لا تقل خطورتها عن الأولى.

مُشكِلة الدِّراسة:

يُعطي ارتفاع نسبة التديُّن في أي مجتمع من المجتمعات مؤشراً واضحاً على شدَّة وحجم الرَّد المجتمعي الذي قد يحدث ضدَّ مَنْ يرتكب جرائم الإزدراء الدِّيني، والمملكة الأردنيَّة الهاشميَّة هي إحدى الدّول التي يُمثل الدِّين قيّمة بالغة الأهميَّة في نفوس مواطنيها، هذا ما دلَّلت عليه عدد من الدِّراسات العلميَّة، ومنها على سبيل المثال: استطلاع رأي نفَّذه المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الصادر في شهر أذار من عام 2017 والذي يحمل عنوان: المُؤشِّر العربي لعام 2016، في اثني عشر بلدًا عربيًا هي: الأردن، وموريتانيا، والسعوديَّة، والمغرب، والعراق، وفلسطين، والجزائر، والسودان، ومصر، ولبنان، وتونس، والكويت، حيث تمَّ جمع البيانات في الأردن في الفترة ما بين 13 تشرين أول إلى 20 تشرين أول عام 2016 من عيّنة بلغت (1807)، وكانت النتائج فيما يَخُص فقرة التديُّن والممارسات الدّينيَّة : أنَّ (85%) من مواطني

المنطقة العَربيَّة يصفون أنفسهم بـالمتدينين إلى حدٍّ ما، والمتدينين جداً، وعند سؤال مُستجيبي الأردن كانت النسبة (96%)، حيث أفاد (85%) منهم بأنَّهم يُعرّفون أنفسهم بـالمتدينين إلى حدٍّ ما، و(11%) متدينين جداً، وهذا يوضح بجلاء النسبة المرتفعة لظاهرة التديُّن في الأردن(المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2017، ص241).

وعلى الرغم من أنَّ المُجتمع الأردني هو مُجتمع مُتسامح، وقادر على التعايش بين جميع مكوناته، بعيداً عن الطائفيَّة أو العنصريَّة أو الكراهيَّة، إلّا أنَّه واجه نتيجة ارتكاب البعضَّ جرائم تُسئ إلى الرُّموز الدّينيَّة، الكثير من حالات الإحتقان المُجتمعي، تمثَّلت بصورٍ كثيرةٍ منها: المُشادَّات الكلاميَّة، والتهديد بالعُنف، والإحتجاجات والاعتصامات، والتراشق الكلامي والتعنيف اللفظي عبر وسائل التواصل الإجتماعي، وأحياناً مُمارسة العُنف بشكل فعلي والذي وصل إلى حد ارتكاب جرائم القتل أو الايذاء، مما يؤدي إلى الإضرار بالوحدة الوطنيَّة أو السلم المُجتمعي، وفتح باب التطرُّف في رد الفعل على مصراعيه، هذا كله يتطلب وبشكل ملح إلى مراجعة المعالجات القانونية والإجتماعية والإعلامية المتعلقة بمثل هذا النوع من الجرائم ومنها العقوبات القانونيَّة الورادة في قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960.

أسئلة الدِّراسة:

-ما مدى كفايَّة العقوبات القانونيَّة الواردة في قانون العقوبات الأردني في الحد من جرائم ازدراء الأدْيان من وجهة نظر القضاة والمحامين ؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى ($\alpha \leq 0.5$) في اتجاهات القضاة والمحامين، تُعزى إلى مُتغيّراتهم الشخصيَّة (النوع الإجتماعي، الحالة الزواجيَّة، العمر، الدّيانة، مكان الإقامة، الدَّخل، المؤهل التعليمي) والمتغيرات الوظيفيَّة (المهنة، سنوات الخبرة).

أهداف الدراسة:

تنحصر أهداف الدِّراسة في التعرف على مدى كفاية العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني وقدرتها على التصدي لجرائم إزدراء الأديان كإحدى المعالجات الضرورية لهذا النوع من الجرائم، ثم التعرف على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين مفردات عينة الدِّراسة تُعزى إلى متغيراتهم الشخصية والوظيفية قد تؤثر على نتائج الدِّراسة.

أهميَّة الدِّراسة:

تكمن أهمية هذه الدِّراسة من الناحية النظريَّة في محاولتها توضيح المفاهيم القانونية المُتعلّقة بجرائم إزدراء الأديان، في ظل عدم وجود مرجع فقهي قانوني تناول هذا الموضوع في الأردن، ومن الناحية التطبيقيَّة تنبع أهميّة الدِّراسة من كونها تناولت موضوعاً هاماً وحساساً، وهو جرائم الإزدراء الدِّيني، فهي من الخطورة بمكان، بحيث إنَّ ارتكاب جريمة واحدة من هذا النوع يُمكن أن يُهدِّد السِّلم المجتمعي، الأمر الذي يجعل تناول هذا الموضوع حاجة مُلحة في ضوء التطورات المتسارعة التي تجتاح المجتمعات، وتُهدِّد قيمها الإجتماعيَّة، ووضع التوصيات المناسبة أمّام المُشرِّع الأردني حول مدى كفايَّة العقوبة القانونيَّة ونجاعتها في التصدي لهذه الجرائم.

منهج الدِّراسة:

اعتمدت الدِّراسة على منهج المسح الاجتماعي لجمع البيانات الميدانية، من مُجتمع الدِّراسة الإحصائي المستهدف حيث كان عددهم حسب الأرقام الرَّسميَّة التي تمَّ الحصول عليها من نقابة المُحامين الأردنيين، ومن المجلس القضائي الأعلى (1766) قاضي ومحامي، مقسمين إلى (126) قاضي، و(1640) محامي، تمَّ إختيار عيّنة الدِّراسة بطريقة العيّنة العشوائية الطبقية لكل من طبقتي القُضاة والمُحامين، حيث تمَّ توزيع (250) استبانة من قبل الباحث نفسه، وتمَّ استعادة الإستبانات جميعها، حيث تمَّ استبعاد (11) استبانة، كانت غير قابلة للتحليل، بينما كانت (239) استبانة قابلة للتحليل بنسبة بلغت (95.6%)، وهي تُشكِّل (13.5%) من مُجتمع الدِّراسة الكلي.

بلغ عدد المحامين في عينة الدِّراسة (204) محامي، بنسبة بلغت (12.4%) من مجموع المحامين في مجتمع الدِّراسة الكلي، في حين بلغ عدد القضاة (35) قاضي، بنسبة بلغت (27.77%) من مجموع القضاة في مجتمع الدِّراسة الكلي، الجدول التالي يظهر توزيع أفراد العيّنة وفقاً للمُتغيّرات الدِّيمُغرافيَّة:

جدول (1) توزيع أفراد عيّنة الدِّراسة وفقاً للمُتغيّرات الدِّيمُغرافيَّة (ن=239)

المُتغيّر	المستوى	التكرار	النسبة المِئويَّة
النوع الإجتماعي	ذكر	197	82.4
	أنثى	42	17.6
	المجموع	239	100
العُمر	23-30 سنة	94	39.3
	31-40 سنة	47	19.7
	40 سنة فأكثر	98	41
	المجموع	239	100
المُؤهّل التعليمي	بكالوريوس	183	76.6
	دراسات عليا	56	23.4
	المجموع	239	100
الدّيانة	مسلم	229	95.8
	مسيحي	10	4.2
	المجموع	239	100
مكان الإقامة	مدينة	182	76.2
	ريف	53	22.2

	باديَّة	2	0. 8
	مخيم	2	0. 8
	المجموع	239	100
الدَّخل	أقل من 500 دينار	131	54.8
	501- 1000 دينار	65	27.2
	أكثر من 1000 دينار	43	18
	المجموع	239	100
الحالة الزواجيَّة	متزوج	173	72.4
	أعزب	61	25.5
	أرمل	1	0.4
	مُطلَّق	4	1.7
	المجموع	239	100
المهنة	قاضي	35	14.6
	محامي	204	85.4
	المجموع	239	100
سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	79	33.1
	6-10 سنوات	76	31.8
	11-15 سنة	38	15.9
	أكثر من 15 سنة	46	19.2
	المجموع	239	100

أداة الدِّراسة:

تمَّ إعداد استبانة لجمع بيانات الدِّراسة، وقد اشتملت الاستبانة على جزأين، تناول الجُزء الأول منها المُتغيّرات الدِّيمُغرافيَّة والوظيفية والتي تضمنت (النَّوع الإجتماعي، العُمر، المُؤهّل التعليمي، الدّيانة، مكان الإقامة، الدَّخل، الحالة الزواجيَّة، المهنة، سنوات الخبرة)، أمّا الجزء الثاني وتكوّن من (11) عبارة لقياس مدى كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان، وقد تمَّ تدريج المقياس حسب معيار ليكرت الخماسي (Likert) إلى: موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة، صُنفت حسب الأوزان التالية: موافق بشدة ويمثل (5) درجات، موافق ويمثل (4) درجات، محايد ويمثل (3)

درجات، غير موافق ويمثل درجتين، غير موافق بشدة ويمثل درجة واحدة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن قيَّم المُتوسِّطات الحِسابيَّة التي توصلت إليها الدِّراسة للاتجاه العام للمجال إجمالاً سيتم التعامل معها لتفسير المُتوسِّطات الحِسابيَّة على النحو التالي: مرتفع (3.68 -5)، مُتوسِّط (2.34-3.67)، منخفض (1- 2.33)، وبناءً على ذلك، فإذا كانت قيَّمة المُتوسِّط الحسابي العام أكثر من (3.68) فيكون مستوى الاتجاهات مرتفعاً، وإذا كانت قيَّمة المُتوسِّط الحسابي (2.34-3.67) فإنَّ مستوى الاتجاهات يكون مُتوسِّطاً، وإذا كان المُتوسِّط الحسابي (1-2.33) فيكون مستوى الاتجاهات منخفضاً.

المبحث الثاني. الإزدراء الديني: وسيتم تناوله في ثلاث مطالب رئيسية؛ يبحث المطلب الأول في المعنى اللغوي والإصطلاحي، أما المطلب الثاني فيسلط الضوء على إشكالية مفهوم الإزدراء الديني، أما المطلب الثالث فيتناول جرائم الإزدراء الديني في قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960.

المطلب الأول. المعنى اللغوي:

ازدَرَى: والمصدر ازدراء، والجذر زَرَى ومعناه عابَهُ وعاتَبَهُ، وأزرى بأخيه: أي أدخل عليه عيباً أو أمراً يُلبِسَ عليه به، والمُزدَري: أي المُحتَقِر (مجد الدين الفيروز ابادي، 2005، ص1292).

ازدرى بخصمه: أي حقّره واستخفَّ به، والازدراء أقسى أنواع التأنيب(أحمد مختار عمر، 2008، ص983).

الدِّين: كلمة الدِّين مأخوذة من الجذر الثلاثي دَان يَدِيْنُ دِيناً وديانة، أي: خَضَعَ وذلَّ وأنقاد، وأطاع، ومعنى دان بالإسلام: أي اتخذه ديّنا، وتعَّبدَ به وأعتنقهُ(أحمد مختار عمر، 2008، ص795).

المعنى الاصطلاحي. ازدراء الأدْيان هو: استخدام أو إساءة استخدام اللُّغة، أو الأفعال السلوكيَّة التي تَسخُر من وجود أو طبيعة أو قوة رموز مُقدَّسة، وهذا لا يشمل الإلة فقط بل أيضاً الرُّموز المُقدَّسة الأُخرى كمريم العذراء، والرسول محمد عليه السلام، والصليب، الكتب المُقدَّسة وغيرها(christoph Baumgartner, 2013).

وقد عرَّفه قانون ازدراء الأديان الإماراتي رقم (2) لسنة 2015 بأنَّه: كل فعل من شأنه الإساءة إلى الذات الإلهيَّة أو الأديان أو الأنبياء أو الرسل أو الكتب السماويَّة أو دور العبادة (المادة : 1).

عرَّفه القانون العربي الاسترشادي لمنع ازدراء الأدْيان بموجب قرار وزراء العدل العرب الصادر بتاريخ 29 تشرين ثاني 2013 على أنه الإتيان بأحد الأفعال الآتية:

-التطاول على الذات الإلهيَّة أو الطعن فيها أو المساس بها.

-الإحتقار أو الإساءة أو الاستخفاف إلى أي من الأدْيان أو تجريحها أو التطاول عليها أو السخريَّة منها أو المساس بها.

-التعدّي على أي من الكتب السماويَّة وذلك بالإساءة أو التحريف أو التدنيس أو المساس.

-الإستهزاء بأحد الأنبياء أو الرُّسل أو الرُّموز المُقدَّسة لهذه الأدْيان أو زوجاتهم أو آلهم أو صحابتهم أو التطاول عليهم أو السُخريَّة منهم أو المساس بهم.

-التخريب أو التكسير أو الإتلاف أو الإساءة لأي من دور العبادة بغرض التعدّي على الأدْيان أو الدعوة إلى ذلك.

ازدراء الأدْيان في اللغة الأنجليزيَّة (Blasphemy) يعني: عدم إظهار التقدير أو الإحترام تجاه شخصيات مُقدَّسة في ديانة ما أو تجاه رموز ديِّنيَّة(حمدي الاسيوطي ومجدي خليل، 2015).

المطلب الثاني. إشكالية مفهوم الإزدراء الدِّيني:

لا يمكن أن نجد إجابة سهلة مُيسَّرة لتساؤل: ما الازدراء الدِّيني؟ وذلك لوجود العديد من الإعتبارات التي لا يُمكن تجاهلها، الأمر الذي يجعل هذا المفهوم أمراً جدليَّاً لا يُمكن الحسم بحدوده بسهولة، ولعلَّ على رأس هذه الإعتبارات، الجهة التي ستُعرِّف، والهدف من التعريف، وهل هو تعريف قانوني أم إجتماعي أم ديني، لذلك فهو مفهوم مُعقَّد، ومُتلون ولا يمكن تحديده، وعلى أية حال يُمكن اعتباره بشكلٍ عام الخرق الذي يحدث للحاجز الفاصل بين المُقدَّس والمُدنَّس بطريقة بغيضة وغير مناسبة (Jermey Patrick,2013).

وردت في العهد القديم مصطلحات تُشير إلى مفهوم الإزدراء الدِّيني، وهي (Naats)، (Naqab)، وتعني هذه الكلمات الخرق، أو اللدغة، وأيضاً وردت كلمة (Gadaph)، ومعناها السبّ، حيث تشير هذه الكلمات في مجملها إلى معنى الهجوم الذي يُسبِّب الألم، ويكون هذا الهجوم موجهاً للخالق عزوجل، وفي الفكر الإسلامي ينطوي الإزدراء الدِّيني على معنى كلمة (السبّ) وتكون موجهة لله عزوجل أو للرسول محمد عليه السلام أو لأي رموز مقدسة أخرى (Neville Cox BL, 2013).

يُمكن فهم مصطلح ازدراء الأديان من ثلاث منظورات: ديني، وقانوني، وثقافي إجتماعي، أمّا المفهوم الدِّيني للإزدراء ــــ وهو الأكثر شيوعاً ــــ فهو يختلف من دين إلى آخر، ويحدث عندما يتعرَّض أتباع ديانة أو طائفة دينيَّة مُعيَّنة إلى أتباع ديانة أو طائفة دينيَّة أخرى بالإنتقاد أو الإزدراء، أما المفهوم القانوني للإزدراء الدِّيني وخاصة في القوانين الغربية، فهو الاستخدام المقصود للكلمات المُتعلِّقة بالخالق عزوجل، لتحطيم أو إضعاف صفة التقديس، أو الإحترام، أو الثقة به كخالق يتصف بصفات الكمال من الحكمة والقدرة على تدبير شؤون الكون، في حين يتمحور المفهوم الثقافي الإجتماعي للإزدراء الدّيني حول نظرية الحداثة والعقلانية وتطور المجتمعات، بحيث يتمُّ إنتاج وطرح قيّم ومفاهيم إجتماعية جديدة تتطلب الدفاع عنها في سوق الأفكار، وكل مجتمع من المجتمعات تطرأ على ثقافته بعض المفاهيم التي تقع خارج حدود سيطرته تعمد إلى إنتقاد الثقافة السائدة (Jermey Patrick, 2013).

إنَّ مفهوم الازدراء الدّيني كان حاضر في المجتمعات اليونانية والرومانية القديمة، حيث ارتبط بأعمال الخيانة ضد الدولة، وكان أشهرها جريمة إساءة استخدام أسم الله عزوجل وإساءة استخدام الصور الدّينيَّة، وفي العصور الوسطى حيث انتشرت جريمة الهرطقة، وتبني عقيدة كاذبة، والرِّدة عن تعاليم الكنيسة الارثوذكسية، والتي كان يُنظر إليها على أنَّها جريمة إظهار عدم الإحترام لله عزوجل، والإشراك به، والإستهزاء من سلطاته، وفي العصر الحديث ظهر ازدراء الأديان كقنبلة قابلة للإنفجار، ومعضلة قانونيَّة وفلسفيَّة تُواجه الحكومات الغربيَّة يحتاج فهمها إلى إدراك أربعة عناصر هي: المظهر الذي يُصوّر ارتباط الناس بالخالق عزوجل وكل ما هو مُقدَّس،

ثمَّ السلطة السياسيَّة والدّينيَّة ومدى رفضها للإزدراء، ثمَّ التفاعل الإجتماعي المُعيب الذي يتجاوز معايير الأخلاق والسلوك المقبول، وأخيراً التجريم القانوني لسلوكات الإزدراء الدِّيني(David Nash, 2007).

وعطفاً على العنصر الأخير وهو التجريم القانوني لإزدراء الأديان؛ فقد عمدت 47% من دول العالم إلى وضع قوانين تعاقب على ازدراء الأديان، تصل العقوبة أحياناً إلى الإعدام كما في القانون الجزائي الباكستاني، في حين خصصت 22% من دول العالم قوانين لمكافحة ازدراء الأديان، رافق ذلك حملات ملحوظة عبر التاريخ لمناهضة الإزدراء الدِّيني، خاصة في العالم الإسلامي، أمّا دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فقد وضعت 65% منها قوانين عاقبت على الإزدراء الديني، في حين وضعت 18% منها قوانين لمكافحة الإزدراء الديني(Joelle Fiss, 2016).

المطلب الثالث. جرائم ازدراء الأدْيان في القانون الأردني:

حاول المُشرِّع الأردني الإحاطة بالأفعال الجُرميَّة التي تشكل الرُّكن المادي لجرائم ازدراء الأدْيان، والتي تدور حول الإساءة إلى المُعتَقد الدّيني، أو الشعور الدّيني، أو الرُّموز الدّينيَّة، فجاءت في الكتاب الثاني من الباب السادس في الفصل الأول لقانون العقوبات رقم (16) لسنة 1960 وتعديلاته، تحت عنوان الجرائم التي تمس الدِّين والتعدّي على حرمة الأموات، وكما يلي:

المادة - 273 إطالة اللسان على ارباب الشرائع من الأنبياء.

المادة -274 الإفطار العلني في رمضان.

المادة -275 تدنيس أمّاكن العبادة.

المادة - 276 التشويش على الشعائر الدّينيَّة.

المادة - 277 الإعتداء على أماكن دفن الموتى.

المادة - 278 إهانة الشعور الدّيني.

وفيما يلي عرض وتوضيح للمفاهيم الواردة في النصوص القانونيَّة:

أولا. إطالة اللسان على الأنبياء: نصت المادة 273 على أنَّه: "من ثبتت جرأته على إطالة اللسان علناً على أرباب الشرائع من الأنبياء يُحبس من سنة إلى ثلاث سنوات"، تنطوي هذه الجريمة على الرُّكن المادي الذي يقوم على سلوك إيجابي لفظي صادر عن الفاعل، يقع على الصفة أو المكانة التي يمثلها هؤلاء الأنبياء في النفوس، ويندرج تحت الرُّكن المادي ألفاظ تتضمن معنى الازدراء أو السخريَّة كالسبّ والشتم والذم والتحقير والقدح وغيرها.

أمّا الرُّكن المعنوي لهذة الجريمة فيقوم على القصد الجنائي بعنصريَّة العلم والإراده كونها جريمة عمديَّة لا يُتصوّر فيها الخطأ، ويُقصَّد بالعلم تحقُّق إحاطة المتهم بالوقائع والقانون المطبق، والعلم بالوقائع هو معرفة طبيعة السُلوك الجرمي، أمّا العلم بالقانون فهو علم مفترض، ولا يجوز الاعتذار بالجهل بالقانون، ولقاضي الموضوع استخلاص توافر العلم من ظروف الدعوى وملابساتها(خالد مصطفى فهمي، 2012، ص127)، ويجدر الذكر أنَّ جميع جرائم ازدراء الأدْيان ينطبق عليها ما يَخُص الرُّكن المعنوي لهذه الجريمة، إلا ما تتطلب منها قصداً خاصاً، وهو ما سيتم توضيحه في حينه.

وتُعدُّ العلانيَّة هنا في هذه الجريمة ركن من أركان الجريمة لورود كلمة "علناً" في النص القانوني وطرق العلانيَّة متُعدُّده قد تكون بالقول المباشر، أو من خلال النشر بوسائل الإعلام المرئيَّة والمقروءة والمسموعة، والعلانيَّة هي عنصر جوهري في هذه الجريمة لا تقوم إلاّ به، وتقع هذة الجريمة على أحد الأنبياء الذين بعثهم الله عزوجل، والنبي هو صاحب النبوة المُخبر عن الله تعالى، وهو إنسان يصطفيه اللهُ من خلقه ليُوحى إليه بدين أو شريعة سواء كُلِّف بالإبلاغ أم لا(أحمد مختار عمر، 2008، ص2153).

ثانيا. الإفطار العلني في رمضان: حيث نصّت المادة 274 على أنَّه " من ينقض الصيام في رمضان علناً، يُعاقَب بالحبس حتى شهر واحد أو بالغرامة حتى خمسة عشر ديناراً " وفي هذه الجريمة يدور السؤال حول الحكمة من تجّريم فعل يتعلق بعلاقة الإنسان مع خالقه، إنَّ الإجابة على هذا التساؤل تكمن في ركن العلنيَّة، بمعنى أنَّ التجّريم لا يقع على فعل الإفطار وإنّما على المجاهرة فيه، الأمر الذي ينمُّ عن الإستخفاف بأحد الرُّموز الدّينيَّة، وهو صوم رمضان الرُّكن الرابع من أركان الإسلام، وهذا بدوره يُؤدي إلى الإساءة إلى المشاعر الدّينيَّة.

أمّا العلنيَّة المقصود بها في النص، فهي حسب ماورد في قانون العقوبات في المادة (73) والتي تتعلق بوسائل العلنيَّة، أن يحصل الإفطار في محل عام، أو مكان مباح للجمهور، أو مُعرَّض للأنظار.

ويُلاحظ أنَّ النص القانوني أشار إلى أنَّ العقوبة تكون موجَّهة إلى الأشخاص المفطرين من المسلمين دون غيرهم من أصحاب الدِّيانات الأخرى، بدليل كلمة "ينتقض" الواردة في النص لأن من ينتقض صيامه هو الصائم دون غيره، ويخرج من دائرة التجّريم أيضاً المسلم الذي يفطر سراً دون مجاهرة.

ثالثا. تدنيس أمّاكن العبادة. نصت المادة (275): " كل مَنْ خرَّب أو أتلف أو دنَّس مكان عبادة أو شعار أو أيّ شيء تُقدِّسه جماعة من النَّاس، قاصداً بذلك إهانة دين أيَّة جماعة من النَّاس، أو فعل ذلك مع علمه بأنَّ تلك الجماعة ستحمل فعله هذا على محمل الإهانة لدينها، يُعاقَب بالحبس من شهر إلى سنتين أو بغرامة من خمسة دنانير إلى خمسين دينار".

يقوم الرُّكن المادي لهذه الجريمة على سلوك التَّخريب أو الإتلاف أو التدّنيس، الذي يقع على مكان عبادة، أو شعار، أو رمز مُقدَّس، وهنا يجب التمييز بين أشكال السُلوك المذكورة في النَّص القانوني.

فالتَّخريب سلوك مادي بحت ينتج عنه ضرر مادي، يقع على محل الحمايَّة القانونيَّة من معابد أو رموز ديِّنيَّة مُقدَّسة، من شأن هذا الضرر أن يجعل مكان العبادة غير صالح للإستخدام إلا بالتغيير أو التبديل، ومثال ذلك حرق مكان العبادة أو تحطيم المقاعد، أو تحطيم النوافذ والأبواب(مصطفى مجدي هرجة، 1996، ص1133).

إذن فالتخريب يتضمن معنى التدمير والهدم وهو ما يتوافق مع المعنى اللغوي؛ فخرّب الدار هدمها ودمَّرها وصيّرها خراباً(أحمد مختار عمر، 2008، ص624).

أمّا الإتلاف فهو تدمير أو تكسير جزئي يقل جسامة عن التخريب، حيث يترتب عليه جعل مكان العبادة غير صالح بصورة جزئيَّة، أو أقل كفاءة من المستوى المعتاد في الإستخدام، مثل تشويَّة

الحائط، أو إتلاف النقوش والصور، إتلاف المحراب(رمسيس بنهام، 1999، ص636)، وهذا المعنى الإصطلاحي يتوافق مع المعنى اللغوي، فأتلف الشيء لغة يعني أفناه(مجد الدين الفيروز ابادي، 2005، ص794).

أمّا التدّنيس فهو يعني وضع كل ما هو مُستقذر في مكان العبادة، من أوساخ، أو دمّ، أو أشياء ذات روائح كريهة، أو غير ذلك، وهذا يجعل المكان غير صالح لإقامة العبادة فيه، إلا بعد تطهيره وإزالة النّجاسة عنه(خالد مصطفى فهمي، 2012، ص131)، والمعنى اللغوي لفعل التدّنيس يعني اتَّسخ وتلطَّخ بمكروه، أو قبيح، أو قذارة، أو فَعَلَ بالشيء ما يُشينه والمدانس هي المعايب أو الأشياء الدّنيَّة(بطرس البستاني، 1987، ص294)، وقد يكون التدّنيس عملاً معنويَّاً كالقيام بأعمال مُخلَّة بالآداب، أو خادشة للحياء كالزنا داخل المعبد(مصطفى مجدي هرجة، 1972، ص1133)، وعموماً فإنَّ تقدير أفعال التخريب والإتلاف والتدّنيس مسألة موضوعيَّة متروكة لقاضي الموضوع، يحسمها في ضوء المعايير الإجتماعيَّة السائدة في المُجتمع(عمار تركي الحسيني، 2013، ص98).

ويكون الإعتداء الوارد بأشكاله الثلاث على مكان عبادة، أو شعار، أو شئ مُقدَّس عند جماعة معيّنة، وأمّاكن العبادة هي الأمّاكن التي تُقام فيها الشعائر الدّينيَّة كالصلاة وغيرها، وهي تشمل المساجد والكنائس والمعابد(خالد مصطفى فهمي، 2012، ص126)، وفي الأردن تكون القدسيَّة للمساجد الإسلاميَّة، إضافة للكنائس المسيحيَّة التي تخص الطوائف المسيحيَّة الواردة في قانون الطوائف المسيحيَّة، ولم يرد في القانون أيّ ذكر لأقليات دِيّنيَّة أُخرى موجودة في المملكة، وحصر القانون الطوائف المعترف بها وهي: الروم الأرثذوكس، والروم الكاثوليك، والأرمن، واللاتين، والبروتستانت الإنكليكانيَّة (الأنجيليَّة الأسقفيَّة العَربيَّة)، والمارونيَّة، والأنجيليَّة اللوثريَّة، والسريان الأرثذوكس، والأدفنتست السبتيين، وكنيسة العنصرة الدَّوليَّة، وأقباط الأرثذوكس، وهذا بطبيعة الحال ينطبق على أمّاكن العبادة والرُّموز الخاصة بها.

أمّا الرُّموز الدّينيَّة فهي كل ما هو مُعظَّم، أو له قُدسيَّة جاءت به الشرائع السماويَّة، ووضعت له منزلة ومكانة، سواء من الأماكن، أو الكتب، أو الأشخاص، أو العلامات، وحرَّمت الإساءة إليها(سليمان بن محمد بن عبدالله العيدي، 2013، ص78).

أمّا التعريف القانوني للرُّموز بشكل عام: فهي صورة رمزيَّة تهدف إلى تمثيل دولة، أو جماعة أو فريق من النَّاس، أو حزب أو مذهب(كورنو جيرار، 2008، ص726)، وبذلك ينطبق النص القانوني على الإعتداء على الكتب السماويَّة، الصليب، والتماثيل في الكنائس المسيحيَّة، رجال الدِّين وغيرها.

أمّا الرُّكن المعنوي للجريمة وهو توافر عنصري العلم والإرادة، العلم يجب أن يكون الفاعل عالماً بكافة عناصر الرُّكن المادي المكوِّنه للجريمة، ومُحيط بطبيعة مكان العبادة أو الرَّمز الدّيني، فأيّ إعتداء دون معرفة ذلك فلا يُسأل على أساس هذه المادة، ويُمكن أن يسأل على أساس مادة قانونيَّة أُخرى، وأيضاً يجب أن يكون الفاعل عالماً بأنَّ فعله يُؤدي إلى إهانة دين معين، أو أنَّه يتوقع من أتباع هذا الدِّين أن تعتبر فعله مهيناً، أمّا الإرادة فيتعين أن تتجه إلى الفعل وإلى

النتيجة التي تترتب عليه من التخريب أو التدنيس أو الإتلاف، إضافة إلى تحقُّق الإهانة التي يشعر بها أتباع الدِّين.

رابعاً. التشويش على الشعائر الدّينيَّة. حيث نصت المادة 276: " كل من أزعج قصداً جمعاً من النَّاس اجتمعوا ضمن حدود القانون لإقامة الشعائر الدّينيَّة، أو تعرَّض لها بالهُزء عند إقامتها، أو أحدث تشويشاً أثناء ذلك، أو تعدّى على أي شخص يقوم ضمن حدود القانون بالشعائر الدّينيَّة في ذلك الإجتماع، أو على أيّ شخص آخر موجود في ذلك الإجتماع، دون أن يكون له مبرر أو عذر مشروع، يُعاقَب بالحبس حتى ثلاثة أشهر أو بغرامة حتى عشرين دينار".

ينطوي الرُّكن المادي لهذه الجريمة على معنى الإهانة الدّينيَّة، ويتضح ذلك من خلال إستخدام أربعة مصطلحات هي: الإزعاج، الهزء، التشويش، والتعدّي، وهي ما تُشكِّل قوام الرُّكن المادي للجريمة، حيث يقوم الرُّكن المادي للجريمة بها جميعاً أو بواحد منها؛ فالإزعاج لغة يعني القلق والمضايقة(مجد الدين الفيروز ابادي، 2005، ص191)، لذلك فإنَّ أي عمل مادي أو معنوي يُؤدي إلى الإقلاق وعدم ممارسة الشعائر بحريَّة كإصدار الأصوات، أو العُنف، أو التهديد، أو المنع يعد إزعاجا يُعاقَب عليه القانون.

أمّا التعرض بالهزء لللشعائر الدّينيَّة فيُمكن أن تتمّ بصور مختلفة منها التقليد، وهو الإتيان بالطقوس أو الشعائر الدّينيه ومحاكاتها مع إدخال الإسفاف بقصد إثارة السخريَّة منها في النفوس، وقد يكون التعرُّض لها بالهُزء من خلال القيام بحركات، أو إصدار أصوات القصد منها الإستخفاف بالشعائر الدّينيَّة وإهانة أصحابها (عمار تركي الحسيني، 2013، ص109-110).

أمّا التشويش فهو مسألة موضوعيَّة يرجع في تقديرها إلى كل حالة على حدة، وحسب أجتهاد قاضي الموضوع، وعموماً يُمكن أن يحصل التشويش بالغناء، أو الصراخ، أو إحداث الضجيج، ويُمكن أن يكون بالعُنف أو التهديد ، والتشويش لا يعني بالضرورة تعطيل إقامة الشعائر بالكامل، بل يكفي مجرد التأثير سلباً على سيرها، أو إعاقة سيرها كالمعتاد (عمار تركي الحسيني، 2013، ص95)، وهذا ما يتوافق مع المعنى اللغوي للتشويش فشوّش يعني اختلط والتبس، وتشوّشت أفكاره بمعنى ارتبك ولم يعد يميّز الأمور، وشوّش النظام العام بمعنى أفسده وأحدث فيه اضطراباً(أحمد مختار عمر، 2008، ص1247).

أمّا التعدّي فيكون على أحد المشتركين في إقامة الشعائر الدّينيَّة، أو على أي شخص يتواجد في مكان إقامة الشعائر، ويشترط المُشرِّع هنا أن يكون الإعتداء بدون عذر مشروع كممارسة العُنف دفاعاً عن النفس، والتعدّي يُمكن أن يكون بالضرب أو بالتهديد أو بالسب والشتم وغيرها.

خامساً. الإعتداء على أمّاكن دفن الموتى: حيث نصت المادة 277 على:

1.كلُّ مَنْ اعتدى على مكان يُستعمل لدفن الموتى، أو على مكان مخصص لإقامة مراسيم الجنازة، أو لحفظ رفات الموتى أو أنصاب الموتى، أو دنَّسه أو هدمه أو أنتهك حرمة ميت، يُعاقَب بالحبس مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر ولا تزيد على سنتين.

2.كلُّ مَنْ سبّب إزعاجاً لأشخاص مُجتمعين بقصد إقامة مراسم الجنازة، قاصداً بذلك جرح عواطف ايّ شخص أو إهانة دينه، أو كان يعلم بأنَّ فعله هذا يحتمل أن يجرح عواطف أيّ شخص

أو أن يُؤدي إلى أيّ إهانة ديِّنيَّة، يُعاقَب بالحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر أو بغرامة لا تزيد على مائة دينار أو بكلتا هاتين العقوبتين."

حاول المُشرِّع الأردني في الفقرة الأولى أن يجمع شتى صور الإعتداء التي يُمكن أن تقع على المقابر، وما تحويه من قبور، أو الأمّاكن التي تُحفظ فيها جثث الموتى، أو الأمّاكن المخصصة لإقامة مراسيم الجنائز، فذكر الإعتداء أولاً، ثُمَّ التدنيس والهدم، وهي مصطلحات عامة تتحقق بكل فعل مادي أو معنوي من شأنه الاخلال بواجب الإحترام تجاة الموتى أو المقابر أو أمّاكن إقامة مراسيم الجنائز.

إنَّ إنتهاك المقابر والقبور يعكس الازدراء والإحتقار تجاهها وتجاة الراقدين فيها، ويُمكن أن يكون ذلك بالهدم أو الإتلاف، ويُمكن أن يكون بكتابة عبارات بذيئة، أو لصق منشورات لا تليق بحرمتها، أو النقش على حجارتها، ويُمكن أن يكون تدنيساً بوضع أشياء أو قاذورات، أو ممارسة أفعال منافيَّة خادشة للحياء، مثل ممارسة الجنس، أو شرب الخمور، أو الرقص، أو غيرها، وهذا وبلا شك لا ينتقص من حرمة القبور فحسب، بل يتُعدُّاه إلى المساس بمشاعر ذوي الموتى وأقاربهم، والكثير من القاطنين في منطقتهم (عمار تركي الحسيني، 2013، ص100).

وفي نهايَّة الفقرة الأولى من المادة أشار المُشرِّع الأردني إلى جريمة أنتهاك حرمة الميت، والإنتهاك هو كل فعل من شأنه المساس غير المشروع بجثة المتوفى، سواء قبل الدفن أو بعده، ومن صور هذا الإنتهاك سرقة الجثة، فهي ليست مال، ولا مملوكة لاحد، ولا ينطبق عليها النصوص الخاصة بتجّريم السرقة، ومن الصور الآخرى لأنتهاك حرمة الميت كشف الكفن عنها، وأيضاً رفع الحجارة عنها ونبش التراب، وأيضاً إخراج االنعش أو الجثة أو العظام أو الرفات، وأيضاً التمثيل بها أو إستئصال جزء منها، وعموماً فالأمر متروك للقضاء لتقدير فعل الإنتهاك في ظل الأعراف الإجتماعيَّة السائدة(عمار تركي الحسيني،2013، ص100).

وتكمن الحكمة التشريعيَّة من تجّريم إنتهاك حرمة الميت في حجم الضرر المعنوي الكبير الذي يلحق بالمُتوفى وأهله، وأيضاً لتضمنه إساءة واضحة للدِّين والمُعتَقدات الدّينيَّة (خالد مصطفى فهمي، 2012 ، ص137).

أمّا الفقرة الثانيَّة من المادة (277) فقد أشارت إلى جريمة إزعاج النَّاس المُجتمعين لإقامة مراسيم الجنازة، الإزعاج لغة يعني الإقلاق والمضايقة(مجد الدين الفيروز ابادي، 2005، ص191)، لذلك فإنَّ أيّ عمل مادي أو معنوي يُؤدي إلى الإقلاق وعدم ممارسة الشعائر بحريَّة كإصدار الأصوات، أو العُنف، أو التهديد، أو المنع يعد إزعاجاً يُعاقب عليه القانون على أساس هذه المادة.

ويُشير المُشرِّع هنا إلى الدافع الذي جعل المجرم يرتكب جريمته، وهو جرح العواطف أو إهانة الدِّين أو قابليَّة الفعل الجرمي لتحقيق ذلك، وعليه لا بد من إثبات توافر هذا الدافع حتى تقوم الجريمة؛ بدليل نص المادة (67) من قانون العقوبات الأردني التي نصت في الفقرة الأولى منها على أنَّ الدافع هو العلَّة التي تحمل الفاعل على الفعل، أو الغايَّة القصوى التي يتوخاها، وفي الفقرة الثانيَّة أفادت بأنَّه لا يكون الدافع عنصراً من عناصر التجّريم إلا في الأحوال التي عيَّنها القانون، وهي تنطبق على هذه الجريمة، والمقصود بجرح العواطف الألم النفسي الذي يحدثة فعل

الإزعاج الصادر من المجرم، والمعنى اللغوي لجرح العواطف يتفق مع هذا المعنى فيقال جرَح عواطفَه: أساء إليه قولاً أو فعلاً، وجرَح قلبه: سبّب له حُزْنًا وألمًا(أحمد مختار عمر، 2008، ص359).

سادساً. إهانة الشعور الدّيني: حيث نصت المادة: 278على أنَّه: " يُعاقَب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة أشهر، أو بغرامة لا تزيد على عشرين ديناراً كل من:

1.نشر شيئاً مطبوعاً أو مخطوطاً أو صورةً أو رسماً أو رمزاً، من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني لأشخاص آخرين، أو إلى إهانة مُعتَقَدهم الدّيني.

2.تفوه في مكان عام، وعلى مسمع من شخص آخر بكلمة أو بصوت، من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور أو المُعتَقَد الدّيني لذلك الشّخص الآخر.

تقوم جريمة إهانة الشعور الدّيني على ركن أساسي وهو ركن العلانيَّة، الذي يقوم على النشر في إحدى وسائل الإعلام المرئيَّة أو المقروءة أو المسموعة، وهو ما بدأت بها الفقرة الأولى من المادة، أمّا الفقرة الثانيَّة فتناولت ركن العلانيَّة بطريقة إستخدام حاسة النطق في التعبير، وهو إصدار ألفاظ أو أقوال في مكان عام، وهو مكان مباح للجمهور، أو مُعرَّض للأنظار، والقصد من كلتا الطريقتين وصول أو قابليَّة وصول مايُراد إلى الجمهور أو جَمْع من النَّاس، وتُعدُّ من وسائل العلنيَّة حسب المادة (73) من قانون العقوبات الأردني:

1.الأعمال والحركات إذا حصلت في محل عام، أو مكان مباح للجمهور، أو مُعرَّض للأنظار، أو حصلت في مكان ليس من المحال المذكورة غير أنَّها جرت على صورة يستطيع معها أن يشاهدها أيّ شخص موجود في المحال المذكور.

2.الكلام أو الصراخ سواء جهر بهما أو نقلاً بالوسائل الآليَّة، بحيث يسمعها في كلا الحالتين من لا دخل له في الفعل.

3.الكتابة والرسوم والصور اليدويَّة والشمسيَّة والأفلام والشارات والتصاوير على اختلافها، إذا عُرضت في محل عام أو مكان مباح للجمهور، أو مُعرَّض للأنظار أو بيعت أو عرضت للبيع أو وزعت على أكثر من شخص.

المادة المطبوعة أو المخطوطة لا تختلفان من حيث المضمون، ولكنهما تختلفان من حيث الشكل، فالأولى يتم أنتاجها بطريقة آليَّة أمّا الثانيَّة فتكون بطريقة يدويَّة، ولكنهما في الاصل هما وسيلة واحدة أساسهما الكتابة(عمار تركي الحسيني، 2013، ص114).

أمّا الصور والرسوم والرُّموز فلا تقوم على الكتابة، فالصورة لغةً :الشَّكْلُ، والتمثالُ المُجسّم، أمّا الرَّسم لغةً فهو رسَم الشَّيءَ: خطّه، رسَم مُربَّعًا، صورةً، شكلاً ، رسَم تصوُّرًا: أعدّ خطةً أو نموذجًا أو تصميماً لتنفيذ شيء، أمّا الرَّمز لغة فهو : تعبير عن المعاني بالإيحاء، أو هو علامة تَدل على معنًى له وجود قائم بذاته ، فتمثِّله وتحل محلَّه (أحمد مختار عمر، 2008، ص941، 890، 1334).

إنَّ محل الحمايَّة الجنائيَّة لهذه الجريمة تتمحور حول حمايَّة المُعتَقَد الدّيني والشعور الدّيني، وإهانتهما هو الدافع والغايَّة التي يتوخاها المجرم من جريمته، وبالتالي فإنَّ إثبات توافر هذا الدافع لا بد منه لقيام الجريمة.

المبحث الرابع. النتائج المتعلقة بمدى كفايَّة العقوبة القانونيَّة في الحدّ من جرائم ازدراء الأدْيان:

للإجابة على سؤال الدراسة الأول تمَّ استخراج المُتوسّطات الحِسابيَّة والإنحرافات المعياريَّة والأهميَّة النسبيَّة لإجابات أفراد العيّنة عن محور "كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني"، مُرتبة تنازليًا، الجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (2) المُتوسّطات الحِسابيَّة والإنحرافات المعياريَّة لإجابات القضاة والمحامين عن عبارات محور "كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني "

الرُّتبة	الفقرة	المُتوسّط الحسابي	الإنحراف المعياري	الأهميَّة النسبيَّة (%)	درجة التقيّيم	الرَّقم
1	عقوبة نشر مطبوع أو مخطط أو رسم أو رمز يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة	4.15	0.93	83. 0	مرتفعة	6
1	العقوبات الماليَّة لجرائم ازدراء الأدْيان الواردة في قانون العقوبات الأردني والتي تتراوح بين خمسة دنانير ومئة دينار هي عقوبات غير رادعة	4.15	1.01	83. 0	مرتفعة	8
3	عقوبة التفوه في مكان عام أو على مسمع شخص أخر بكلمة أو بصوت من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة	3.97	1.05	79. 4	مرتفعة	7
4	لا أويد عقوبات الحبس التي يُمكن إستبدالها بغرامة فيما يتعلق بجرائم ازدراء الأدْيان	3.96	1.15	79.2	مرتفعة	9
5	عقوبة الإزعاج لاتباع ديانة تقيِّم شعائرها الدّينيَّة دون مبرر مشروع والتي تصل في حدِّها الاقصى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة	3.85	1.10	77.0	مرتفعة	3
6	عقوبة تدنيس أو إتلاف أو تخريب أمّاكن العبادة بقصد الإهانة والتي تصل في حدِّها الاقصى السجن لمدة سنتين هي عقوبة غير رادعة	3.81	1.19	76. 2	مرتفعة	2
7	الحد الأعلى لعقوبة جريمة إطالة اللسان على أرباب الشرائع من الأنبياء علناً والبالغة الحبس ثلاث سنوات هي عقوبة غير رادعة	3.78	1.28	75. 6	مرتفعة	1
8	عقوبة إزعاج أشخاص مُجتمعين لإقامة مراسم الجنازة والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ستة أشهر هي عقوبة غير رادعة	3.67	1.14	73. 4	مُتوسّطة	5
9	عقوبة الإعتداء على أمّاكن تستعمل لدفن الموتى أو لإقامة مراسيم الجنازة أو لحفظ رفات الموتى والتي تصل في حدِّها الاقصى الحبس لمدة سنتين هي عقوبة غير رادعة	3.63	1.14	72. 6	مُتوسّطة	4
10	أويد الاقتصار فقط على العقوبات الماليَّة فيما يتعلق بجرائم ازدراء الأدْيان .	2.57	1.36	51. 4	مُتوسّطة	10

11	أويد عدم جواز تجّريم كل ما يتعلق بازدراء الأدْيان وأعتبار ذلك نقداً مشروعاً	2.50	1.44	50. 0	مُتوسِّطة	11
المحور ككل		3.64	0.79	72. 8	مُتوسِّطة	

يتضح من الجدول (2) أنَّ المُتوسِّطات الحِسابيَّة لإجابات أفراد العيّنة عن فقرات محور "كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني" تراوحت بين (2.50-4.15)، جاءت في المرتبة الأولى الفقرتين (6 /8) وتنصان على التوالي: "عقوبة نشر مطبوع أو مخطط أو رسم أو رمز يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة"، "العقوبات الماليَّة لجرائم ازدراء الأدْيان الواردة في قانون العقوبات الأردني والتي تتراوح بين خمسة دنانير ومئة دينار هي عقوبات غير رادعة" بمُتوسِّط حسابي بلغ (4.15) بدرجة تقيّيم مرتفعة، وفي المرتبة الثالثة جاءت الفقرة (7) ونَصُّها: "عقوبة التفوه في مكان عام أو على مسمع شخص أخر بكلمة أو بصوت من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني، والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة" بمُتوسِّط حسابي بلغ (3.97) بدرجة تقيّيم مرتفعة، وجاءت في المُرتبة قبل الأخيرة الفقرة (10) ونَصُّها: "أويد الاقتصار فقط على العقوبات الماليَّة فيما يتعلق بجرائم ازدراء الأدْيان" بمُتوسِّط حسابي بلغ (2.57) وبدرجة تقيّيم مُتوسِّطة، بينما جاءت في المُرتبة الأخيرة الفقرة (11) نصُّها: "أويد عدم جواز تجّريم كلّ ما يتعلق بازدراء الأدْيان وأعتبار ذلك نقداً مشروعاً" بمُتوسِّط حسابي بلغ (2.50) بدرجة تقيّيم مُتوسِّطة، وبلغ المُتوسِّط الحسابي للمحور ككل (3.64) بدرجة تقيّيم مُتوسِّطة.

أما عن النتائج المُتعلِّقة بسؤال الدِّراسة الثاني فقد تمَّ تطبيق اختبار (T) (Independent Samples T-Test) تبعًا لمُتغيّرات (النوع الإجتماعي، المُؤهّل العلمي، الدّيانة، المهنة)، وتمَّ تطبيق التحليل الأحادي (ANOVA) تبعاً لمُتغيّرات (العُمر، مكان الإقامة، الدَّخل، الحالة الزواجيَّة ، سنوات الخبرة)، وكما يلي.

جدول (3) نتائج تطبيق اختبار (Independent Samples T-Test) تبعاً لمُتغيّر (النوع الإجتماعي)

النوع الإجتماعي	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	T	الدَّلالة الإحصائيَّة
ذكر	3.63	0.79	-0.25	0.77
أنثى	3.67	0.79		

يظهر من جدول (3) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة ($\alpha \leq 0.05$) في إجابات القضاة والمحامين تبعاً لمُتغيّر النوع الإجتماعي، حيث كانت قيَّم (T) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (4) نتائج تطبيق تحليل الأحادي (ANOVA) تبعاً لمُتغيّر (الحالة الزواجيَّة)

الحالة الزواجيَّة	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	F	الدَّلالة الإحصائيَّة
متزوج	3.64	0.76	0.39	0.76
أعزب	3.64	0.87		
أرمل	2.91	0.00		
مُطلّق	3.86	0.73		

يظهر من الجدول (4) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدلالة (α ≤0.05) في إجابات أفراد العيّنة تبعاً لمُتغيّر الحالة الزواجيَّة، حيث كانت قيَّم (F) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (5) نتائج تطبيق تحليل الأحادي (ANOVA) تبعاً لمُتغيّر (العُمر)

العُمر بالسنوات	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	F	الدَّلالة الإحصائيَّة
30-23	3.75	0.80	2.26	0.11
40-31	3.68	0.77		
41 فأكثر	3.51	0.77		

يظهر من الجدول (5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة (α ≤ 0.05) في إجابات أفراد عيّنة الدِّراسة، حيث كانت قيَّم (F) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (6) نتائج تطبيق اختبار (T) (Independent Samples T-Test) تبعاً لمُتغيّر (الدّيانة)

الدّيانة	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	T	الدَّلالة الإحصائيَّة
مسلم	3.66	0.78	2.27	0.80
مسيحي	3.09	0.82		

يظهر من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالـــة (≤ α0.05) في إجابات أفراد عيّنة الدِّراسة تبعاً لمُتغيّر الدّيانة، حيث كانت قيَّم (T) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (7) نتائج تطبيق تحليل الأحادي (ANOVA) تبعاً لمُتغيّر (مكان الإقامة)

مكان الإقامة	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	F	الدَّلالة الإحصائيَّة
مدينة	3.69	0.74	5.74	0.00
ريف	3.55	0.85		
باديَّة	3.82	0.13		
مخيم	1.50	0.71		

يُظهر الجدول (7) وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة (α ≤ 0.05) في آراء أفراد العيّنة حول "مدى كفايَّة العقوبـات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان" تُعزى لمُتغيّر مكان الإقامة، حيث بلغت قيَّمة (F) (5.74) وهي قيَّمة دالة إحصائيَّاً، وللتعرُّف على مصادر الفروق بين آراء أفراد العيّنة حول محور "مدى كفايَّة العقوبـات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان" تُعزى لمُتغيّر مكان الإقامة، تم تطبيق طريقة شيفيه (Scheffe) للمقارنات المحوريَّة، الجدول التالي يوضح ذلك.

جدول (8) نتائج تطبيق طريقة شيفيه (Scheffe) للمقارنات المحوريَّة تبعاً لمُتغيّر (مكان الإقامة)

مكان الإقامة	المُتوسِّط الحسابي	مدينة	ريف	باديَّة	مخيم
مدينة	3.69		-0.14	0.13	*-2.19
ريف	3.55			0.27	-2.05
باديَّة	3.82				*-2.32
مخيم	1.50				

*دالة إحصائيَّاً عند مستوى الدَّلالة (α ≤ 0.05).

يظهر من الجدول (8) أن مصادر الفروق كانت بين أمّاكن الإقامة (مدينة، مخيم) لصالح مكان الإقامة في المدينة بمُتوسِّط حسابي بلغ (3.69)، بينما بلغ المُتوسِّط الحسابي لمكان الإقامة في

المخيم (1.50)، وأظهرت مصادر الفروق بين مكان الإقامة في الباديَّة والمخيم، لصالح مكان الإقامة في الباديَّة بمُتوسِّط حسابي بلغ (3.82).

جدول (9) نتائج تطبيق تحليل الأحادي ANOVA تبعاً لمُتغيّر (الدَّخل)

الدَّخل	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	F	الدَّلالة الإحصائيَّة
أقل من 500 دينار	3.64	0.83	0.29	0.75
501-1000 دينار	3.69	0.74		
أكثر من 1000 دينار	3.57	0.74		

يظهر من الجدول (9) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة ($\alpha \leq 0.05$) في إجابات أفراد عيّنة الدِّراسة، حيث كانت قيَّم (F) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (10)نتائج تطبيق اختبار (T) (Independent Samples T-Test) تبعا لمُتغيّر (المُؤهّل التعليمي)

المُؤهّل التعليمي	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	T	الدَّلالة الإحصائيَّة
بكالوريوس	3.70	0.77	2.25	0.46
دراسات عليا	3.44	0.80		

يظهر من الجدول (10) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة ($0.05 \geq \alpha$) في إجابات القضاة والمحامين تبعاً لمُتغيّر المُؤهّل التعليمي، حيث كانت قيَّم (T) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (11)نتائج تطبيق اختبار (T) (Independent Samples T-Test) تبعاً لمُتغيّر (المهنة)

المهنة	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	T	الدَّلالة الإحصائيَّة
القاضي	3.35	0.76	-2.37	0.72
المحامي	3.69	0.78		

يظهر من جدول (11) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة ($\alpha \leq 0.05$) في إجابات القضاة والمحامين نحو مدى كفايَّة العقوبـات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان، تبعاً لمُتغيّر المهنة، حيث كنت قيَّم (T) غير دالة إحصائيَّاً.

جدول (12)نتائج تطبيق تحليل الأحادي (ANOVA) تبعاً لمُتغيّر (سنوات الخبرة)

سنوات الخبرة	المُتوسِّط الحسابي	الإنحراف المعياري	F	الدَّلالة الإحصائيَّة
أقل من 5 سنوات	3.72	0.86	0.94	0.42
6-10 سنوات	3.69	0.73		
11-15 سنة	3.49	0.69		
أكثر من 15 سنة	3.56	0.81		

يظهر من الجدول (12) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى الدَّلالة ($\leq \alpha 0.05$) في إجابات أفراد عيّنة الدِّراسة حول مدى كفايَّة العقوبـات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان، تبعاً لمُتغيّر سنوات الخبرة، حيث كانت قيَّم (F) غير دالة إحصائيَّاً.

المبحث الخامس. مناقشة النتائج:

جاءت النتائج بشكل عام مؤكِّدة لحساسيّة جرائم ازدراء الأدْيان، ومتسقة مع الخصوصيَّة الثقافيَّة للمجتمع الأردني، فالدِّين والرُّموز الدّينيَّة هي إحدى أهم الثوابت الحاضرة بقوة في الوعاء

الثقافي والوعي الجمعي، رغم ظهور وتنامي العديد من الظواهر العالميَّة التي باتت تغزو المجتمعات بلا هوادة، وعلى رأسها ظاهرة العولمة بإعلامها المفتوح وفضاءاتها التي لا تعرف الحدود، يُمكن تصنيف نتائج التحليل الإحصائي بخصوص كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني إلى قسمين: القسم الأول حصل على درجة تقيّيم مرتفعة، ويشير إلى وجود حاجة مُلحّة إلى تغليظ العقوبة القانونيَّة وإعتبار العقوبة الحاليَّة عقوبة غير رادعة، ثانيهما حصل على درجة تقيّيم مُتوسِّطة، ويُشير إلى الحاجة لتغليظ العقوبة ولكن بدرجة أقل، أمّا عن عبارات القسم الأول فجاءت بدرجة تقييم مرتفعة، مرتبة تنازليّاً وكما يلي:

1.تصدرت جريمة نشر مطبوع أو مخطط أو رسم أو رمز يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني قائمة الجرائم التي تعتبرها عيّنة الدِّراسة ذات عقوبة غير رادعة، ويبدو هذا الأمر طبيعياً لسببين: ضآلة العقوبة التي لم تتجاوز في حدِّها الأقصى الحبس لمدة ثلاثة أشهر مقارنة بجسامة الفعل وخطورته، الأمر الذي يخل بمبدأ التناسب وضرورة أن تتصف العقوبة بالقسوة الكافيَّة للردع، والسبب الثاني إرتباط الأذهان بمجموعة الجرائم التي نشرت الرُّسوم الكاريكاتوريَّة المُسيئة للرسول محمد عليه السلام وما أحدثته من ردّ فعل كبير على مستوى العالم.

2.عدم تأييد عيّنة الدِّراسة لجميع العقوبات الماليَّة الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان، حيث بلغ المتوسط الحسابي لعينة الدِّراسة (4.15)، وهذه العقوبات تتراوحت قيمتها في المُجمل من خمسة دنانير إلى مئة دينار، وعدم تأييد هذه العقوبات هو أمر طبيعي جداً، حيث فُرضت منذ عام 1960 ولم يجري عليها أي تُعدُّيل.

3.أمّا عن جريمة التَفوّه في مكان عام أو على مسمع شخص أخر بكلمة أو بصوت من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني، فقد أيدت عيّنة الدِّراسة وبدرجة تقيّيم مرتفعة أنَّ عقوبتها البالغة في حدِّها الأقصى الحبس لمدة ثلاثة أشهر أنَّها عقوبة غير رادعة، والسبب أنَّ الإساءة إلى الرُّموز الدّينيَّة في هذه الجريمة تُرتكب علناً وفي مكان عام من شأنه أن يفتح المجال للعُنف والردّ المباشر، وكذلك الأمر يُقال عند إسماع شخص بطريقة مباشرة كلمة نابيَّة أو صوت مُسيء يعبر عن الاستهزاء أو الازدراء بدِّينه، مما يُشكِّل حدثاً مستفزاً قد يتسبب بالعُنف.

4.لم تؤيد عيّنة الدِّراسة وبدرجة تقيّيم مرتفعة جميع عقوبات الحبس التي يُمكن إستبدالها بالغرامة، وحسب القانون الأردني فإنَّ كل عقوبة حبس لا تتجاوز حد الثلاثة شهور، فإنَّ القاضي يُمكن إستبدالها بغرامة ماليَّة، والحقيقة هنا أنَّ عقوبة الحبس لمعظم جرائم الازدراء بحد ذاتها هي عقوبات غير رادعة خاصة التي لا تتجاوز مدة الثلاثة شهور، فيكون من باب أولى رفض إستبدالها بغرامات ماليَّة بسيطة، وهنا تجدر الإشارة أنَّ العقوبات الماليَّة البسيطة لا يُمكن أن تحتفظ بخاصيَّة الردع للأغنياء من مرتكبي هذا النوع من الجرائم.

5.أيدت عيّنة الدِّراسة وبدرجة تقيّيم مرتفعة عدم ردعيَّة عقوبة جريمة الإزعاج لإتباع ديانة تقيِّم شعائرها الدّينيَّة دون مبرر مشروع، والتي تصل في حدِّها الأقصى الحبس لمدة ثلاثة شهور، وعدم التأييد هذا يُمكن إرجاعه إلى الأسباب التي ذكرت سابقاً وهي الإخلال بمبدأ التناسب بين الجريمة والعقوبة بحيث يجب أن تزيد العقوبة قليلاً عن اللذة أو المنفعة التي يحصل عليها

الشّخص بسبب فعله المنحرف، وهذا المبدأ هو أحد أراء بكاريا الإصلاحيَّة التي قامت عليها المدرسة الكلاسيكيَّة، يُضاف إليه أنَّ العقوبة يجب أن تكون قادرة على الردع في المستقبل كهدف للضبط الإجتماعي وحتى تكون كذلك يجب أن تتميز بالتأكيد والسرعة والقسوة المناسبة غير المبالغ فيها(عايد عواد الوريكات، 2013، ص45-46).

6.إنَّ جميع الجرائم السابقة كانت ذات عقوبات بسيطة لم تتجاوز الحبس لمدة ثلاثة شهور، تلتها جريمتين وبدرجة تقيّيم مرتفعة أيضاً، ولكن بمُتوسِّط حسابي أقل وهما على التوالي: "جريمة تدنيس أو إتلاف أو تخريب أمّاكن العبادة بقصد الإهانة" و"جريمة إطالة اللسان على أرباب الشرائع من الأنبياء علناً"، حيث كانت عقوبة الأولى في حدِّها الأقصى الحبس لمدة سنتين، وكانت عقوبة الثانيَّة في حدِّها الأقصى الحبس لمدة ثلاث سنوات، وهنا رغم إنتقال المُشرِّع الأردني في العقوبة من مستوى الحبس بالشهور إلى مستوى الحبس بالسنوات، إلا أن عيّنة الدِّراسة أقرت بعدم قدرتها على الردع، ويُعزى ذلك إلى أن محل الحمايَّة الجنائيَّة هو رموز ديّنِيَّة أكثر تقديساً فهي أمّاكن العبادة، والأنبياء عليهم السلام.

أمّا عن العبارات التي حصلت على درجة تقيّيم مُتوسِّطة فكانت كمايلي مرتبة تنازليّاً:

1.جاء تأييد عيّنة الدِّراسة لعقوبة جريمة "إزعاج أشخاص مُجتمعين لإقامة مراسم الجنازة"، والتي تصل في حدِّها الأقصى إلى ستة شهور، بدرجة تقيّيم مُتوسِّطة، حيث تبدو هذه العقوبة مناسبة إلى حدٍ ما لهذه الجريمة.

2.وكذلك الأمر يُمكن أن يقال بالنسبة لعقوبة جريمة "الإعتداء على الأمّاكن التي تُستخدم لدفن الموتى أو لإقامة مراسيم الجنازة أو لحفظ رفات الموتى" والتي تصل في حدِّها الأقصى الحبس لمدة سنتين، فهي عقوبة مناسبة حسب وجهة نظر عيّنة الدِّراسة.

3.جاءت في المرتبة قبل الأخيرة، وبدرجة تقيّيم مُتوسِّطة، وبمُتوسِّط حسابي بسيط وصل إلى (2.57)، وبأهميَّة نسبيَّة بلغت (51.4%)عبارة "تأييد الاقتصار على العقوبات الماليَّة لجرائم ازدراء الأدْيان"، وهذا يفيد بالمعنى المخالف إلغاء عقوبات الحبس، وهو ما لم تؤيده عيّنة الدِّراسة.

4.جاء في المرتبة الأخيرة عبارة "عدم جواز تجّريم كل ما يتعلَّق بازدراء الأدْيان واعتباره نقداً مشروعاً، حيث جاءت بدرجة تقيّيم مُتوسِّطه إقتربت كثيراً من درجة التقييم المنخفضة، وبأقل المُتوسِّطات الحِسابيَّة لجميع العبارات، حيث بلغ المتوسط الحسابي (2.50)، وبأهميَّة نسبيَّة بلغت (50%)، مما يعني إنخفاض تأييد عيّنة الدِّراسة لإعتبار الجرائم القوليَّة المُتعلِّقة بجرائم ازدراء الأدْيان حريَّة رأي أو من باب النقد المشروع.

أظهرت النتائج المُتعلِّقة باختبار السؤال الثاني والهادف إلى الكشف عن الفروق في اتجاهات القُضاة والمُحامين في محافظة اربد، تجاة كفاية العقوبات المتعلقة بجرائم ازدراء الأدْيان، والتي تُعزى لاختلاف مُتغيّراتهم الشّخصيَّة والوظيفيَّة التاليَّة: النوع الإجتماعي، الحالة الزواجيَّة، العُمر، الدّيانة، مكان الإقامة، المهنة، الدَّخل، المُؤهّل التعليمي، سنوات الخبرة، حيث لم تظهر نتائج التحليل أية فروق تبعاً لجميع المتغيرات عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بإستثناء متغير مكان الإقامة حيث أظهرت نتائج التحليل بالنسبة لهذا المُتغيّر وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند

مستوى ($\alpha \leq 0.05$) تجاة مدى كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان"، حيث جاءت مصادر الفروق بين مكان إقامة (مدينة ، مخيم) لصالح مكان الإقامة في المدينة، بمُتوسِّط حسابي بلغ (3.69)، وجاءت أيضاً مصادر الفروق بين مكان الإقامة (باديَّة، مخيم) لصالح مكان الإقامة في الباديَّة بمُتوسِّط حسابي بلغ (3. 82).

وهنا يجدر الذكر أنَّ غالبيَّة القُضاة والمُحامين تركزوا من حيث مكان الإقامة في المدينة، حيث كان عددهم (182) قاضي ومحامي، ثُمَّ في الريف وكان عددهم (53) قاضي ومحامي، بحيث لا توجد أيَّة فروق دالة إحصائياً مصدرها الريف مقارنة بالمدينة، أمّا الباديَّة والمخيم فلم يتجاوز عدد القاطنين بهما أربع مفردات من عيّنة الدِّراسة، وبالتالي فلا يُمكن أن نعوّل كثيراً على الفروق المرتبطة بهما.

إنَّ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيَّة عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$) تجاه مدى كفايَّة العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان بين مفردات العينة يدلل على الإتفاق على ضرورة إجراء المراجعة المناسبة لتلك العقوبات بما يحقق مصلحة إجتماعية تتسق مع الخصوصية الثقافية للمجتمع الأردني.

التوصيـــــــات: بناءً على نتائج الدِّراسة تمَّ التوصُّل إلى توصية مفادها دعوة السلطتين التشريعيَّة والتنفيذيَّة إلى مراجعة العقوبات المفروضة على جرائم ازدراء الأدْيان، وتغليظها بما يُحقّق الردع العام والردع الخاص، كجزء من المعالجات الضرورية للتصدي لهذه الجرائم.

قائمة المراجع:

1. أحمد مختار عمر(2008). معجم اللغة العَربيَّة المعاصرة، المجلد الأول، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
2. بطرس البستاني(1997). قاموس محيط المحيط، ساحة الصلح للنشر، بيروت، لبنان.
3. حمدي الأسيوطي، ومجدي خليل(2015). ازدراء الأدْيان في مصر، منتدى الشرق الأوسط للحريات، القاهرة، مصر.
4. خالد مصطفى فهمي(2012). الحمايَّة القانونيَّة للمُعتَقدات وممارسة الشعائر الدّينيَّة، دار الفكر الجامعي، الاسكندريَّة، مصر.
5. الدّستور الأردني الصادر عام 1952 مع كافة تعديلاته.
6. رمسيس بنهام(1999). قانون العقوبات القسم الخاص، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
7. سليمان بن محمد بن عبد الله العيدي(2013). دراسة بعنوان تجّريم الإساءة للرُّموز الدّينيَّة في نظم دول مجلس التعاون الخليجي، جامعة نايف للعلوم الأمنيَّة، الرياض، السعوديَّة.
8. عايد عواد الوريكات(2013). نظريات علم الجريمة، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
9. عمار تركي الحسيني(2013). الجرائم الماسة بالشعور الدّيني، ، منشورات الحلبي الحقوقيَّة، بيروت، لبنان.
10. قانون ازدراء الأديان الإماراتي رقم (2) لسنة 2015
11. قانون الطوائف المسيحية رقم (28) لسنة 2014.
12. قانون العقوبات الأردني رقم (16) لسنة 1960 مع كافة تعديلاته.
13. كورنو جيرار(2008). معجم المصطلحات القانونيَّة، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
14. مجد الدِّين الفيروز أبادي(2005).القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

15. مجلس وزراء العدل العرب(2013). القانون العربي الاسترشادي لمنع ازدراء الأدْيان، جامعة الدول العَربيَّة ، القاهرة ، مصر.
16. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات(2017). المؤشّر العربيّ لسنة2016 برنامج قياس الرأي العامّ العربيّ، الدوحة، قطر.
17. مصطفى مجدي هرجة(1972). التعليق على قانون العقوبات في ضوء القضاء والفقة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
18. مصطفى مجدي هرجة(1996). الموسوعة القضائيَّة الحديثة: التعليق على قانون العقوبات، دار محمود للنشر، القاهرة، مصر.
19. الميثاق الوطني الأردني الصادر عام 1991 م.
20. Neville Cox BL(2013), The Development of Irish Blasphemy law. https://www.constitution.ie/AttachmentDownload.ashx?mid=54533e30-c843-e311-8571-005056a32ee4 (تارخ الدخول 2018/4/2 الساعة 1800)
21. Christoph Baumgartner(2013), Blasphemy As Violence: Trying to Understand the Kind of Injury That Can Be Inflicted by Acts and Artefacts That Are Construed As Blasphemy, Journal of Religion in Europe 6 (2013) 35–6
22. David Nash(2007), Blasphemy in the Christian World: A History,OUP Oxford ProQuest Ebook Central. http://ebookcentral.proquest.com/lib/uosebooks/detail.action?docID=415126 (تاريخ الدخول 2018/4/2 الساعة2200)
23. Jeremy Patrick(2013), The Curious Persistence of Blasphemy: Canada and Beyond, Osgoode Hall Law School Ph.D. Dissertation, Lecturer, University of Southern Queensland.
24. Joelle Fiss(2016**),** Anti-blasphemy offensives in the digital age: When hardliners take over, Analysis Paper, The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, Brookings Institution, Washington, D.C.

الملحق (أ) أداة الدّراسة

إستبانة

الأخت الفاضلة / الأخ الفاضل:

يقوم الباحث بإجراء دراسة بعنوان: "مدى كفاية العقوبات الواردة في قانون العقوبات الأردني حول جرائم ازدراء الأدْيان "، يرجي الإجابة على كافة الفقرات الواردة في هذه الاستبانة بوضع إشارة (x) في المكان المخصص لها، علماً بأن الإجابات ستُعامل بسريَّة تامة، ولن تُستخدم إلا لإغراض البحث العلمي فقط، شاكرين حسن تعأونكم وأنتم الأقرب لهموم المُجتمع وقضاياة .

واقبلوا فائق الإحترام والتقدير

الباحث: نوح سليمان صالح الدرادكه

الجزء الأول: المتغيرات الديمغرافية		
1	النوع الإجتماعي	(1) ذكر (2) أنثى
2	العُمر	(1) 23– 30 (2) 31 – 40 (3) 41 فأكثر
3	المُؤهّل التعليمي	(1) بكالوريس (2) دراسات عليا
4	الدّيانة	(1) مسلم (2) مسيحي
5	مكان الإقامة	(1) مدينة (2) ريف (3) باديَّة (4) مخيم
6	الدَّخل	(1) أقل من 500 دينار (2) 501 – 1000دينار (3) أكثر من 1000دينار
7	الحالة الزواجيَّة	(1) متزوج (2) أعزب (3) أرمل (4) مُطلَّق
8	المهنة	(1) قاضي (2) محامي
9	سنوات الخبرة	(1) أقل من 5 سنوات (2) 6 – 10سنوات (3) 11-15 سنة (4) أكثر من 15سنة

الجزء الثاني :

فقرات الاستبانة مدى كفايَّة العقوبـات الواردة في قانون العقوبات الأردني فيما يَخُص جرائم ازدراء الأدْيان

الرقم	العبـــــــــــــارة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	الحد الأعلى لعقوبة جريمة إطالة اللسان على أرباب الشرائع من الأنبياء علناً والبالغة الحبس ثلاث سنوات هي عقوبة غير رادعة					
2	عقوبة تدنيس أو إتلاف أو تخريب أمّاكن العبادة بقصد الإهانة والتي تصل في حدّها الاقصى السجن لمدة سنتين هي عقوبة غير رادعة					
3	عقوبة الإزعاج لإتباع ديانة تقيِّم شعائرها الدّينيَّة دون مبرر مشروع والتي تصل في حدِّها الأقصى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة					
4	عقوبة الإعتداء على أمّاكن تستعمل لدفن الموتى أو لإقامة مراسيم الجنازة أو لحفظ رفات الموتى والتي تصل في حدِها الأقصى الحبس لمدة سنتين هي عقوبة غير رادعة					
5	عقوبة إزعاج أشخاص مُجتمعين لإقامة مراسم الجنازة والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ستة أشهر هي عقوبة غير رادعة					
6	عقوبة نشر مطبوع أو مخطط أو رسم أو رمز يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني والتي تصل في حدّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة					

7	عقوبة التفوه في مكان عام أو على مسمع شخص أخر بكلمة أو بصوت من شأنه أن يُؤدي إلى إهانة الشعور الدّيني أو المُعتَقد الدّيني والتي تصل في حدِّها الأعلى الحبس لمدة ثلاثة أشهر هي عقوبة غير رادعة					
8	العقوبات الماليَّة لجرائم ازدراء الأدْيان الواردة في قانون العقوبات الأردني والتي تتراوح بين خمسة دنانير ومئة دينار هي عقوبات غير رادعة					
9	لا أويد عقوبات الحبس التي يُمكن إستبدالها بغرامة فيما يتعلق بجرائم ازدراء الأدْيان					
10	أويد الاقتصار فقط على العقوبات الماليَّة فيما يتعلق بجرائم ازدراء الأدْيان.					
11	أويد عدم جواز تجّريم كل ما يتعلق بازدراء الأدْيان وأعتبر ذلك نقداً مشروعاً					

السجن ودلالاته في مذكرات "سيدي عمر" للنائب محمد أبي طير

The jails and its connotations in the diaries of "Sedi Omar" for the deputy Mohammad Omar.

د.فادي صقر عصيدة، جامعة بيرزيت- فلسطين

ملخص: يعرض هذا البحث لقضية السجن في مذكرات "سيدي عمر" التي كتبها النائب محمد أبو طير، حيث عاش في سجون الاحتلال فترة زادت عن ثلث القرن، لذلك فهو تحدث عن هذه السجون بتفاصيلها كلها، وبدلالاتها المختلفة، وقد هدف البحث إلى بيان وصف حياة الكاتب داخل السجون الصهيونية، وبيان أبرز مظاهر الألم والمعاناة في هذه السجون، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الاستقصائي الذي يستقصي أبرز أحداث السجن، ومصطلحاته، والمنهج الوصفي الذي يصف هذه الأحداث أو المصطلحات الخاصة بالسجن، والمنهج التحليلي الذي يقوم بتحليل أبعادها، وبيان وجهة نظر الكاتب فيها، وقد خلص البحث إلى عدد من النتائج أبرزها: السجن المكان الأبرز الذي تحدث عنه الكاتب في مذكراته، كما كان للكاتب موقف من العديد من قضايا السجن وأحداثه، إضافة إلى مشاركته في العديد من الأحداث المهمة داخل السجون، وتركت آثارها خارجها.

الكلمات المفتاحية: المذكرات، السجن، المعاناة، صفقات التبادل.

This research shows the issue jails in the diaries of "Sedi Omar" which was written by deputy Mohammad Abu Ter. He stayed in the jails of occupation for a period of more than thirty years. He talked about all the details of these jails and their significance. This study is to describe the writer's life inside these Zionist jails. It also shows all the features of pain and suffering in these jails. The nature of this study followed the inductive method that investigates the main events and terms of jails. It also uses the analytical method that analyses these events. It also discusses the events from the writer's point of view.From the findings of this research is that the prison is the main event that the writer talks about in his diaries. Another finding is that the writer has an opinion about many of the jail issues and events. In addition, the writer himself has participated and experienced many of these events inside the jails which has left a great impact later in his life.

Keywords: diaries, jails, suffering, exchange deals.

مقدمة:

تعد كتب الذكريات أو المذكرات – بصفتها الحالية - من الأجناس الأدبية التي ظهرت حديثا في أدبنا العربي، وهي ذات قيمة عظيمة عند الأمم والشعوب، ذلك أن من تصدوا لكتابتها كانوا غالبا ممن اغتنت حياتهم بالتجارب والمعارف والخبرات، لذلك تتسابق دور النشر لمثل هؤلاء العظماء لكي تحصل منهم على شرف نشر مثل هذه الكتب التي تسجل مرحلة مهمة من مراحل حياة هذه الأمم وغالبا ما تكون هذه الأحداث مغلفة بطابع السرية والكتمان.

ونحن في هذا البحث سنقف عند كاتب فلسطيني ومقاوم مقدسي تجرع ألم الغربة، وقاسى ظلمة السجن طويلا، إنه الشيخ محمد أبو طير النائب في المجلس التشريعي الفلسطيني، حيث سجل أحداث حياته في كتاب أصدره العام الماضي (2017)، تحدث فيه عن تجاربه وحياته طوال سنوات عمره التي قاربت على السبعين قضى قرابة النصف منها متنقلا في سجون الاحتلال الصهيوني، وكان شاهدا حيا على أحداث القضية الفلسطينية بكل مراحلها ومنعطفاتها، لذلك جاء كتابه الذي أسماه "ذكريات" حافلا بمعلومات قيمة، وزاخرا بأحداث جسام مست الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده في فلسطين وخارجها، وكذلك في السجون التي ضمت بين جدرانها مئات الآلاف من خيرة أبناء الشعب المقاوم.

وقد تنوعت الأماكن التي شهدتها أحداث حياة كاتبنا وكانت شاهدة على مراحل حياته كلها، لذلك فهي شكلت مادة تستحق أن نقف عندها بالدراسة والتحليل، ولكثرة هذه الأماكن فقد ارتأينا أن نختار أبرزها وأهمها والتي كان لها الدور الهام في صناعة أحداث مهمة في حياة الشيخ وحياة الشعب الفلسطيني ألا وهو السجن.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج الاستقصائي الذي هدف لاستقصاء المكان موضع الدراسة (السجن)، واختياره دون غيره من الأماكن، واستقصاء أبرز مظاهر المعاناة، وأهم الأحداث التي تحدث عنها الكاتب، والمنهج الوصفي الذي وصف الأمكنة موضع الدراسة، وكذلك المنهج التحليلي الذي وقف عند هذه الأمكنة تحليلا وتفصيلا، وبيَّن وجهة نظر الكاتب في هذه الأمكنة، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وقسمين إضافة لخاتمة؛ ففي التمهيد عرضنا تعريفا بسيطا بالكاتب، وأهم مراحل حياته، وتعريف بكتابه المسمى "سيدي عمر"، كما وضحنا باختصار تعريف المكان ودوره في العمل الأدبي ومنها هذه المذكرات، أما القسم الأول فكان حول مظاهر الألم والمعاناة في السجن، متمثلة في لحظة الاعتقال، والتحقيق والتعذيب، وفي جدران السجن وبنائه، وغيرها من مظاهر المعاناة، أما القسم الثاني فحوى أبرز الأحداث التي عاشها الكاتب في السجن وكان لها تأثيرها في حياته الشخصية، وفي حياة الشعب الفلسطيني عامة، كتأسيس الجماعة الإسلامية في السجون، والإضراب عن الطعام، وصفقات التبادل لتحرير الأسرى، وخُتم البحث بخاتمة لأبرز النتائج.

أهمية الدراسة وأهدافها:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على قضية أدبية مهمة هي أدب السجون، الذي سجل جزءا من تاريخ الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني، فهي رسمت صورة واضحة لهذا المكان الذي ضم بين جدرانه مئات الألوف من الفلسطينيين طوال سنوات الاحتلال، وذلك

كما رواها من عاش التجربة، وقاسى ألم السجن وعذاباته، وقد هدفت هذه الدراسة إلى بيان وصف حياة الكاتب داخل السجون الصهيونية، وبيان أبرز مظاهر الألم والمعاناة في هذه السجون، وتوضيح موقفه من هذه السجون وإداراتها وسجانيها، إضافة إلى بيان أبرز الأحداث المهمة التي حصلت مع الكاتب داخل السجون، وشارك فيها وفي صناعتها.

أولا. التعريف بالكاتب محمد أبي طير (محمد أبو طير، 2017، ص567)**:**

1951/4/16 ولادة الشيخ أبو طير في قرية أم طوبا، إحدى القرى الواقعة بين القدس وبيت لحم.

صيف :1972 الشيخ أبو طير يسافر إلى بيروت للمرة الأولى للالتحاق بحركة فتح.

1974/9/12 قوات الاحتلال تعتقل الشيخ ، أبو طير للمرة الأولى.

أواخر :1976 الشيخ أبو طير يفارق تنظيم حركة فتح في السجن، ليلتحق بمجموعة من الأسرى ليشكلوا لاحقاً الجماعة الإسلامية في سجن الرملة.

2006/1/25الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة يختار كتلة التغيير والإصلاح لتكون الكتلة الأكبر في المجلس التشريعي وعلى رأسها الشيخ أبو طير.

2006/6/30 اعتقل الشيخ، أبو طير للمرة السادسة وجاء الاعتقال ضمن حملة استهدفت وزراء ونواب حركة المقاومة الإسلامية حماس وكتلة التغيير والإصلاح.

ثانيا. التعريف بكتاب "سيدي عمر"(أسامة الأشقر، الجزيرة نت، 2017/8/10):

يُعدُّ هذا الكتاب من أبرز الكتب المعاصرة التي نُشرت في تجربة الأسرى الفلسطينيين في السجون (الإسرائيلية)، وهو يؤرخ لما يزيد عن أربعين سنة من هذه التجربة. ويشرح الشيخ محمد أبو طير فيه تجربته مذ كان في حركة فتح مرورا بالجماعة الإسلامية، وانتهاء بحماس.

هذا السِّفر الذي بين أيدينا كتاب من القطع الكبير في أكثر من ستمئة صفحة، تشتمل على 12 فصلا وثلاثة ملاحق، إضافة إلى تزمين تاريخي للمحطات الفاصلة من سيرة الشيخ المقدسي محمد أبو طير في الكتاب، الذي حمل عنوان "سيدي عمر: ذكريات الشيخ محمد أبو طير". وفي الصفحات الداخلية يتوسع العنوان ليضاف إليه "ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة و33 عاما من الاعتقال".

الكتاب صادر عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات في بيروت، ... هذا الكتاب من تحرير الباحث بلال محمد شلش، الذي بدأ تحرير الكتاب مع الشيخ أبو طير أواسط سنة 2011، قدم للسيرة الشيخ صالح العاروري عضو المكتب السياسي لحركة حماس، وأحد مؤسسي العمل العسكري في الضفة الغربية، وأحد رفاق الشيخ أبو طير في الأسر.

ثالثا. المكان وأهميته في العمل الأدبي:

يُعد المكان في العمل الأدبي عاملاً مهماً، وعنصراً رئيسًا في تشكيل بنية العمل، فلا يمكن إغفاله أو تجاوزه، لأن شخصيات العمل الأدبي تتحرك فيه، وكذلك الزمان يحتاجه ليحل فيه والأحداث لا تحدث إلا به"(جميلة النتشة، 2012، ص4)، وعلاقة الإنسان بالمكان تبدأ من لحظة ميلاده، فتتنامى وتتفاعل، وتتجذر أحياناً أخرى، وتندمج معه أحياناً، وتتخذ معادلات ذهنية ونفسية تنعكس في المعادلات الفنية"(عبد الحميد المحادين، د. ت، ص12).

ولعل صلاح صالح أوجز أهمية المكان في العمل الأدبي وأنه محور الشخصيات والسرد، والزمان فقال: "إن الشخصيات تحتاج مكاناً لحركتها، والزمان يحتاج مكاناً يحل فيه، ويسير منه وإليه، والأحداث لا تحدث في الفراغ، وسردها يستحيل إذا تم اقتطاعها وعزلها من الأمكنة، فلا شيء يجري ما لم يجد ما ينشئ جريانه عليه"(صلاح صالح، دس، ص12، غاستون باشلار، 2006، ص6).

"والمكان حقيقة معايشة ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طياته قيماً نتنج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي"(مهدي عبيدي، 2011، ص33) فما هو المكان الذي نقصده في العمل الأدبي سواء أكان قصة أم رواية أو سيرة ذاتية أم ذكريات ومذكرات كما هو الحال مع موضوع دراستنا؟

معنى المكان:

إذا عدنا إلى معاجم اللغة سنرى أن المكان مأخوذ من الجذر الثلاثي (ك و ن) وهو على (مَفْعَل) أي أنه اسم مكان من الناحية الصرفية وهو بمعنى موضع الشيء، أي المحل الذي يحل فيه ويتموضع، والفضاء الذي يحيط به، ويحدر موقعه بالقياس إلى آخر... والمكان الموضع والجمع أمكنة، وأماكن جمع الجمع(جمال الدين بن منظور، د.س، مادة كون).

والمكان لغة " الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك الحاوي للشيء المستقر، وهو تنوع شكلاً، وحجماً ومساحةً، إن الأمكنة شكل من أشكال الواقع"(أيوب الكفوي، 1981، 223/2).

وقد اختلف العلماء والمفكرون والباحثون قديماً وحديثاً في نظرتهم للمكان وتعريفاتهم له سواء من الناحية الفلسفية أو الاجتماعية أو الفنية(مهدي عبيدي، 2011، ص27، خالد خضرة، 2012، ص118)، ونحن هنا سنضع تعريفاً مختصراً للمكان من الناحية الفنية كونه جزءاً أصيلاً من العمل الفني الأدبي، وقد اهتم به الكُتّاب والنقاد كثيراً، فالمكان هو ذلك "العالم الشامل والواسع الذي يضم عناصر العمل السردي والعلاقات الرابطة بينها والذي لا يكون الحيز فيه إلا عنصراً مؤثثاً له من بين مجموعة أخرى من العناصر كالشخوص، والزمن والأحداث"(خالد خضرة، 2012، ص118)، ويمكن تقسيم الأماكن التي تجري فيها أحداث العمل الأدبي إلى ذلك المكان المحبب الأليف هو ذلك المكان الذي تشعر به الشخصية بالراحة والأمان وهو مصدر الحب والاطمئنان، بغض النظر عن مكان تواجده، ولعل البيت هو أول هذا الأماكن المحببة والأليفة للإنسان، وهذا ما ذكره (باشلار) حيث يقول: "حين نحلم بالبيت الذي ولدنا فيه، وبينما نحن في أعماق الاسترخاء القصوى تنخرط في ذلك الدفء الأصلي... هذا هو المناخ الذي يعيش الإنسان المحمي في داخله" (ابراهيم جنداري جمعة، 1990، ص200).

وكذلك "البيت الذي ولدنا فيه، بيت مأهول وقيم الألفة موزعة فيه، وليس من السهل إقامة التوازن بينهما، فالبيت الذي ولدنا فيه محفور بشكل عادي وفي داخلنا، إنه يصبح من العادات العفوية"(غاستون باشلار، 2006، ص45).

أما المكان المعادي فهو ذلك المكان الذي يكون سببا لألم الشخصيات، المادي أو المعنوي وتنظر له الشخصيات نظرة سوداوية، وهذا ما لاحظناه في السجن الذي كان من أكثر الأماكن عداوة للكاتب لما فيه من الألم والحسرة.

السجن في ذكريات "سيدي عمر"

قضى النائب أبو طير ما يزيد عن نصف عمره في سجون الاحتلال، متنقلاً من سجن لآخر، فكان من الطبيعي أن يسهب الكاتب في ذكرياته ومذكراته بالحديث عن السجن وأبرز الأحداث التي حدثت مع الشيخ في سجنه، وسنقوم بالحديث عن السجن عند أبي طير في ذكرياته من عدة زوايا كونه شكل مكاناً مهماً في حياته، ومسرحاً لأحداث جسام حصلت معه، وغيرت من حياته وسلوكياته، وستكون دراستنا للسجن عنده لإظهار المعاناة والروتين اليومي للأسرى، ووصف للسجون التي عاشها والألم الذي عانه فيها، وموقفه من السجان وإدارة السجون، وسنوضح أبرز الأحداث التي شارك في صنعها الكاتب في هذا المكان، كما سنقف عند السجن في حياة أبي طير كونه ملتقى للأحباب وفرصة لاجتماع الأصحاب.

القسم الأول. السجن ومظاهر المعاناة:

كان السجن- ولا زال- مصدر الألم والمعاناة لأي إنسان يدخله، أو حتى يراه، وقد عاش فيه الكاتب سنوات قاربت على الخمسة والثلاثين، بدءاً من مطلع السبعينيات حتى كتابة هذه السطور، وذلك على فترات مختلفة، لذلك فقد وصف الكاتب هذا المكان وما فيه من ألم ومعاناة، بدءا من لحظة الاعتقال، مرورا بالجدران والغرف، ولم يغفل الطعام والبوسطة والمحاكم وإدارة السجون وسجانيها، وغيرها الكثير، وفي السطور القادمة سنقف عند هذه المظاهر، ونرى موقف الكاتب منها.

لحظة الاعتقال:

يُعد الاعتقال ومحاصرة البيت أو مكان تواجد الشخص المراد اعتقاله أولى عمليات الاعتقال، وربما أصعبها وأكثرها تأثيرا في النفس، وقد عرض الشيخ أبو طير للحظة الأولى لاعتقاله الأول، حيث كان هذا عام 1974م، حيث تم اعتقال الشيخ من بيته، وبعد محاصرة شديدة من عدة أجهزة للاحتلال، فوصف عملية الاعتقال وما فيها من ترهيب وتعذيب، وما تشكله من صدمة للمعتقل خاصة إن كانت تجربته الأولى في الاعتقال كما حصل مع الكاتب في هذا الاعتقال الذي يصفه بقوله: "وفي 12-9-1974م ليلاً، دهمت قوة عسكرية إسرائيلية، وبقيادة جهاز الأمن العام (الشاباك) Israel Security Aency—Isa (Shabak) وشرطة الاحتلال بيتنا، بعد حصار فرضوه على محيط البيت وعلى القرية. ودخلوا البيت بالقوة وفتشوه، وبأمر اعتقال وضعوا القيد في يدي، وبعد أن أنهوا مهمتهم في التفتيش ساقني جنود عن اليمين وعن الشمال إلى ناقلة من ناقلاتهم، ومضوا بي إلى المسكوبية، ذات الشهرة والصيت البشع في التحقيق(محمد أبو طير، 2017، ص69).

من النص السابق يمكن لنا رؤية الحصار والترهيب الذي فرضه الاحتلال على البيت، ثم وصفه لطريقة الاعتقال وربط المعتقل بالقيود إضافة إلى تفتيش البيت ولكل ما له علاقة بالمعتقل، وذلك لفرض الترهيب وزيادة الخوف في نفس المعتقل وأهله.

والأمر عند الشيخ أبي طير لم يختلف كثيرا في هذا الاعتقال عن غيره فالطريقة واحدة، من حيث حصار البيت، وتقييد الأيدي، وبعدها الاصطحاب إلى المعتقل حيث يقول:" بتاريخ 1989/2/1 جاءت قوة من حرس الحدود والشرطة والشاباك، وأحاطوا بالبيت، وهم مدججون

بالسلاح، وبأمر اعتقالي أخذوني إلى المسكوبية، لأنام تلك الليلة في زنازينها. ثمّ سفروني إلى تحقيق الجلمة." (محمد أبو طير، 2017، ص178، 190- 191، 284).

لقد حرص الشيخ أبو طير على نقل الحقيقة بكل صراحة ووضوح، فهو حين يتعرض للأذى في أثناء الاعتقال يصدح به بكل جرأة ودون وجل، وإذا كان ذلك الاعتقال يخلو من همجية الاحتلال المعتادة نراه يصف ذلك دون تردد أو خجل، فالحقيقة عنده أحق أن تعرف، ففي اعتقال عام 2013م تحدث عن طريقة هذا الاعتقال والطريقة المحترمة التي عومل بها من سلطات الاحتلال التي حضرت إلى البيت لاعتقاله، فقال: "وفي ليلة 3/ 7/ 2013، وإذا بجيش الاحتلال يطرق علينا الباب، فقمت فزعاً، وفتحت لهم الباب بعدما أخذ أهلي وقتهم، كان ذلك قريباً من الساعة الواحدة والنصف ليلاً، حسب التوقيت المحلي لمدينة القدس، وقد أعياني ليلتها التعب، وأنا أتابع مجريات الأحداث في مصر المبتلاة بحكم العسكر الذي أفسد الحياة وأفقر البلد.

طرق علينا الاحتلال الباب ليلة الانقلاب، ففتحت لهم الباب، وقالوا: نريدك أن تذهب معنا أيها الشيخ، فاقتادوني دون أي يعبثوا بالبيت، بعد ليلةٍ سهرها أرحم مِنْ نومِها، لأن قليل النوم يتعب ولا يريح. فاصطحبت ما يلزم مِنَ الثياب والدواء، ودون أن يضعوا القيد في يدي، ولا العصبةُ على عينيّ، والاحترام هو سيد الموقف مِنَ البيت، وحتى معسكر بيت إيل شمالي مدينة البيرة، ولا يكون هذا إلا بتعليمات"(محمد أبو طير، 2017، ص411).

لقد رسم الشيخ أبو طير صورة منفرة مرعبة للحظة الاعتقال، فهذا المحتل ينشر الرعب في نفوس السكان كبارا وصغارا، حيث يكون وقت الاعتقال ليلا، مما يسبب الخوف والفزع، وكذلك تنوع القوات التي تشارك في الاقتحام وضخامة عددها، كما أنه بين معاناة الأسرى وتعرضهم للضرب والإهانة من قبل الجنود المدججين بكل أنواع الأسلحة.

السجن وأبنيته:

أما السجون وأبنيتها وما تسببه من ألم ومعاناة فقد أسهب في وصفها والألم الذي تتركه في نفوس المعتقلين، فقال عن المسكوبية وزنازينها: "والعيش في المسكوبية ممرض، لأن الرطوبة أكلت من جدرانها، وأبنية قديمة جداً قبل العثمانيين، وهي مستأجرة من الكنيسة الأرثوذكسية"(محمد أبو طير، 2017، ص385).

من الوصف السابق نرى الكاتب جمع بين الوصف الحسي ووصف البناء والجدران، ووصف الأثر الذي تتركه هذه السجون في نفوس الأسرى وتأثيرها على حياتهم وصحتهم، وهذا الوصف أعادة في أكثر موضع فهذه الزنزانة وشتاؤها القاسي نلمحه في العبارات الآتية للشيخ، حيث يقول: "أما ،شتاء الزنازين فزمهرير، والبرد قارس، فموقع المحاكم قطعة من صقيع رام الله، وعن البرد في رام الله حدّث ولا حرج، وزبانية(البوسطة) لا يسمحون لك أن تتزود بالملابس الداخلية الشتوية من شدة هوسهم الأمني، لا يسمحون بأكثر من بنطلون ترتديه، ولا يسمحون لك بملابس داخلية طويلة تقيك من برد الشتاء.

والزنازين في الشتاء ثلاجة، وأي ثَلاجة؟ ومن هنا يأتيك المرض، فهذا البرد مع صقيعه ينهشان جسدك، بل لا تستطيع أن تتكئ على حائط الزنزانة لشدة بردها وما يرشح منها من ماء وبرد، ولا تستطيع الجلوس على الأرض، أو على المقاعد المصنوعة من الباطون من شدة

صقيعها. وكيف بك أن تتحرك؟ لتخرج من برودة المكان، لعلك تبعث بالدفء إلى شرايين قلبك؟ لأن فرائصك ترتعد من البرد، وحشاشة قلبك ترقص وتتلوى من البرد، وأضراسك في فمك يصك بعضها بعضاً من شدة البرد". (محمد أبو طير، 2017، ص3500).

وفي موضع آخر نرى السجن عند الكاتب هو القبر الذي يريده المحتل لهذا الشعب، حيث يقول: "ولكن الاحتلال لا يريدنا إلا في السجون أو نمت تحت التراب وكلها قبور(محمد أبو طير، 2017، ص410).

فعبارة "وكلها قبور" توحي بمدى الألم والمعاناة التي تسببها هذه السجون؛ إنها كالموت الذي يُفرق بين الأهل والأحبة.

والصورة المرعبة الآتية توحي لنا بعظم المأساة التي كان يعيشها المعتقلون في السجون الصهيونية، حيث يقول واصفا أحد الأقسام التي كان فيها المعتقلون: "وفي قسم تحت الأرض كانت مصلحة السجون تستخدمه ممراً للبوسطات وللتنقلات، وللمحاكم، ويسمى "معباراً" بلغتهم، وهذا القسم بلغ من السوء مبلغاً لا يطاق، فهو مزرعة للفئران والجرذان، والرطوبة فيه قاتلة، وحشرنا فيه حشراً كل اثنين في حجرة كالزنازين، بل ربما كانت الزنازين أرحم، والبعوض والحشرات والإنارة الضعيفة التي تضعف الرؤية، وتؤدي إلى العمى مع الزمن، أما الجدران والأبواب، فلها دهان خاص ومتعب للنظر، يتفننون في الإجرام وقد كنت نزيلاً فيه، يوم أن اتخذ مدير مصلحة السجون قراره بشأن العزل، ومن ورائه سياسة عليا للشاباك بصماته واضحة فيها"(محمد أبو طير، 2017، ص186-187).

وفي موضع آخر يختار الكاتب عنواناً يشي بمدى الظلم الذي يعانيه الأسرى في هذا المكان وهو السجن، وهو عنوان (السجن ظل ثقيل) جاء تحته "هو السجن ظله ثقيل، حتى ممن تعايشهم: وهذا من نكد الدنيا، ظل ثقيل على ظل ثقيل والاحتلال هو السبب من وراء هذه الحالة، فالاحتلال والاعتقال كوابيس"(محمد أبو طير، 2017، ص446).

حرص الكاتب من خلال وصفه للسجون وأبنيتها على أن يجمع بين أمرين اثنين، أولهما مادي حسي، وذلك بوصفه لتلك المباني وغرفها وساحاتها، حيث كانت تبنى بطريقة تزيد الألم والمعاناة، فالرطوبة قاتلة، وضيق المكان ألم، والإنارة قد تسبب العمى، والبرد مصدر لكل الأمراض والأوجاع، وكذلك بيان القذارة في تلك الأبنية وامتلائها بالحشرات والقوارض، وحرص الاحتلال على عدم الاهتمام بنظافتها لتكون معاناة فوق معاناة، وألما يزيد جرح الأسير اتساعا، أما الأمر الآخر فكان حسيا معنويا؛ حيث رأينا الألم النفسي الذي يحدثه السجن في نفوس الأسرى، وما استعمال الكاتب لألفاظ مثل "قبر، وثلاجة، وظل ثقيل" إلا دليل واضح على مدى الألم الذي يزرعه السجن في نفوس ساكنيه المرغمين.

التحقيق والتعذيب:

بعد انتهاء المرحلة الأولى من حياة الأسير وهي مرحلة الاعتقال يُقاد هذا المعتقل الجديد إلى معتقلات الاحتلال المنتشرة فوق ربوع الوطن، وعندما يصل إلى أحدها أولى الإجراءات تبدأ معه هي إجراءات التحقيق، وهذا التحقيق يختلف من شخص لآخر ومن قضية لأخرى، لكنه في أحسن أحواله هو موت ودفن في الحياة، وبعض أسماء مراكز التحقيق تثير في نفوس الفلسطينيين

الكثير من الرعب والخوف، وذلك لارتباطها بالتعذيب والموت الذي يبدع في صناعته محققون بارعون في تحطيم الإنسان نفسيا وجسديا.

والشيخ أبو طير تحدث عن ذلك كثيرا في أثناء اعتقاله، فعن اعتقاله الأول يقول: "ساقني جنود عن اليمين وعن الشمال إلى ناقلة من ناقلاتهم، ومضوا بي إلى المسكوبية، ذات الشهرة والصيت البشع في التحقيق، وما إن وصلنا حتى باشروا التحقيق بأسئلة من هنا وهناك، ويصاحب ذلك ضربٌ لحصار النفس وكسر كبريائها (محمد أبو طير، 2017، ص69)، فالمسكوبية ذائعة الصيت، واسعة الشهرة في التعذيب والإهانة وبخاصة التعذيب النفسي الذي يكون كل هدفه قتل المعتقل نفسيا قبل الجسدي.

وكان سجن الجلمة وتحقيقه من السجون التي زارها الشيخ، وقد وصف لنا التحقيق في زنازين الجلمة بعبارات تشي عما في نفسه من كره وحقد لهذه السجون فقال:" ثمّ سفروني إلى تحقيق الجلمة، وهناك كان المسلخ، وسميتها سلخانة، وهي كذلك، وتحقيق جامد، وضرب وخلع، ودكّ بحائط مدبب كالم سامير— نقول له "مشبرس" بظهري حتى تمزّقت ملابسي، وسال الدم من ظهري، وبقيت على هذه الحال في التحقيق شهراً على التمام حتى يئسوا مني"(محمد أبو طير، 2017، ص178).

إن استعمال الكاتب لبعض الكلمات في حديثه عن التعذيب تشي بمدى الظلم الذي يلحق بالأسرى في سجون الاحتلال، فهو يترك للقارئ رسم الصورة التي يريدها، فبمجرد قراءة كلمات مثل: "ذات الشهرة والصيت البشع في التحقيق، وسلخانة، وضرب، ودك بحائط" وغيرها، فإن صورة الظلم والبشاعة، والجراح الجسدية والنفسية ستظهر بوضوح في ذهنه، ولن يجد صعوبة في فهم حياة الذل والمهانة التي يعيشها الأسرى، وهذا ما أراده الكاتب وهو نقل الحقيقية المرة إلى القُراء في كل مكان.

الطعام:

تحرص إدارة السجون الصهيونية على أن يعيش الأسرى حياة هي أقرب للموت منها للحياة، لكنها لا تسمح لهم بالموت، فلذلك فهي تحرص على إذلالهم بكل الوسائل والطرق، ومنها الطعام الذي يُقدم للأسرى، وقد حرص الاحتلال على أن يكون هذا الطعام إحدى وسائل التعذيب ضد الأسرى، فكان هذا الطعام تفوح منه رائحة الحقد والذل التي يتفنن المحتل بممارستها وجعل الفلسطيني يعيش في دوامتها طوال الوقت، فالشيخ أبو طير يصف الطعام الذي يُقدم للأسرى بقوله:" الطعام في السجن سيء جدا، ولا يُقيت رجالاً كما يقولون، وهذه سياسة إدارة السجن ومصلحة السجون "النتسيق"، وما هي إلا تصبير، وكم من الليالي وأبي وسوانا طوينا جائعين!"(محمد أبو طير، 2017، ص73).

ومن القضايا التي أثارها الكاتب حول قضية الطعام هي صناعة الطعام الذي يُقدم للأسرى، حيث إن إدارة السجون لا توظف طباخين لصناعة الطعام، بل تُوكِل هذه المهمة للسجناء الجنائيين، حيث تجعلهم مسؤولين عن المطبخ وصناعة الطعام، وهذا من زيادة الإذلال والإهانة، فقال: "وكنت ذكرت من قبل أن الطعام في السجن سيء، لكن مَنْ يعمل في مطبخ السجانين، عرب جاؤوا على قضايا جنائية، وتعرفت إليهم. وكان من بينهم من يعمل في مطبخ السجانين،

ذهبت بعمامتي إلى عمال المطبخ، ... فقلت للعمال: نحن جئنا إلى السجن على خلفية وطنية، والمطلوب منكم أن تحسنوا الطعام وتزيدوا في الكمية، قالوا: ليس بأيدينا، قلت بإمكانكم أن تتعاونوا في ذلك... وإلا والله يا فلان أبعث إلى أهل غزة، وأطلب منهم أن يعلقوك على عمود كهرباء في شارع عمر المختار". (محمد أبو طير، 2017، ص75).

من النص السابق وبالأخص من عبارة (ليس بأيدينا) نرى كم تحرص إدارة السجون على منع الطعام الجيد، بل بالعكس توصي الطباخين بأن يكون الطعام سيئا، ولا يفي كما ونوعا، بل هي كل همها زيادة معاناة الأسرى وزيادة قهرهم وإذلالهم، وهذه الصورة الإنسانية تطلعنا على استغلال الاحتلال لأبسط حاجات الإنسان من أجل المساومة والإذلال، فالطعام في السجون وسيلة من وسائل الاحتلال لابتزاز والمساومة.

المحاكمات:

يُصر الاحتلال على تلميع وجهه القبيح دوما، فرغم قساوة الاعتقال ومرارة التعذيب والألم الذي يعيشه المعتقل يأتي الاحتلال بشيء صوري لتجميل الصورة، وهو ما يُعرف بالمحاكم، التي يُعرض عليها المعتقلون الفلسطينيون، التي قد تصل مدة بعضها إلى سنوات، هذه المحاكم هي محاكم عسكرية تخضع للقانون العسكري الصهيوني الذي يحكم الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذه المحاكم هي محاكم صورية ظالمة، تتكون من قضاة عسكريين، وكل شيء فيها صهيوني احتلالي لذلك فهي أبعد ما تكون عن العدل، والعدالة هي الغائب الوحيد عن هذه المحاكم، "بعد الاعتقال والتعذيب يأتي دور المحكمة العسكرية، تلك المحكمة المنحازة دائماً، فهي محكمة إسرائيلية، والقضاة إسرائيليون، فكيف تكون عادلة؟، وإذا كان القاضي والجلاد على نفس المبدأ، كيف يكون الحكم؟. ولكن إسرائيل لكي تثبت للعالم وليس للفلسطينيين أنها دولة ديمقراطية وتطبق القانون، ولا تسجن شخصاً دون محاكمة، تقدم المعتقل إلى المحاكمة لكي يواجه مصيره المقرر سلفاً أمام القاضي.. وتكون الأحكام العسكرية الإسرائيلية التي توقعها بحق الشباب الفلسطيني قاسية وجائرة، فهي تحكم بالسجن، ولكن النية مبيته لا خروج إلا في حالة واحدة هي الموت أو انتظار الموت، وهذا الواقع العنصري المأساوي الذي تحاول من خلاله سلطات الاحتلال تعطيل الفلسطيني عن الفعل، تناولته الرواية بشكل مفصل ومؤثر"(ناهض زقوت، 2017، 26 / 4 / 2017م، موقع المجموعة 194).

وأبو طير عرض لهذه المحاكم التي عُرض عليها كثيرا، حيث حرص على ذكر معاناته ومعاناة الأسرى للوصول إلى المحكمة، وهي النقل إلى المحكمة بواسطة سيارات نقل الأسرى، المعروفة باسم (البوسطة)، وما يعانيه فيها الأسرى من تعذيب وألم، فقال عن محاكمته الأولى: "كانوا ينقلوننا إلى المحكمة بوسائل نقل تابعة لمصلحة السجون تسمى "بوسطة"، ولمرتين قبل الحكم علينا، حيث قدمت النيابة لائحة اتهام للسيد الوالد ولي شخصياً"(محمد أبو طير، 2017، ص75).

أما الحكم الذي صدر عليه فقد وصفه بأنه جائر وقاس وكان هذا حكمه الأول، فقال:" وصدر الحكم ضدي ستة عشر عاما نافذة وفعلية، و37 عاماً مع وقف تنفيذ، وكان الحكم قاسياً ومفاجئاً؛ لأن لائحة الاتهام لا توجب بنودها حسب قانونهم هذا الحكم الجائر، فحمدت الله واحتسبت.

وقبل النطق بالحكم، طلب القاضي أن أقدم بين يدي المحكمة استرحاماً، فقلت: الرحمة لا تطلب إلا من الله، واستأنفت ضدّ الحكم فيما بعد، وخفّض من الحكم الأول ثلاث سنوات، فأصبح الحكم ثلاث عشرة سنة"(محمد أبو طير، 2017، ص76).

ومن مفارقات القدر ومهازل المحاكم الصهيونية ما يُعرف عندهم بالاعتقال الإداري الذي كان نصيب الشيخ منه كبيرا، وهذا الاعتقال الإداري قمة الظلم والإجحاف بحق الفلسطينيين لكنه يُغلَّفُ أيضا بقرار قضائي حيث يقول:" صدر قرار القاضي بحكم إداري احترازي ستة أشهر"(محمد أبو طير، 2017، ص191).

كان الكاتب حريصا على بيان الوجه البشع والحقيقي للاحتلال، الذي يحاول دوما تجميله وتغليفه بالطابع القانوني، فالمحكمة هي الوجه المزيف للاحتلال الذي يمارس أبشع الجرائم بحق الأسرى، لذلك رأينا الكاتب يعري هذه المحاكم، سواء في قسوة أحكامها، أو في تلقيها الأوامر من الضابط العسكري، أو في الاعتقال الإداري الذي يعد أقسى مظاهر الظلم، فلفظة (احترازي) تشي بعظم الظلم الذي يعيشه الفلسطيني، فأي ظلم أعظم من الاعتقال وتقييد الحرية دون سبب، وذلك كله بسبب احترازي وليس لتهمة معينة، بل هي مخاوف أمنية فقط.

إدارة السجون:

عايش الشيخ أبو طير السجانين أكثر مما عايش أهله وأقرباءه، وذلك لطول المدة التي قضاها في معتقلات الاحتلال، وقد تكونت عنده صورة واضحة حول السجان ومصلحة السجون الصهيونية، وبعد الاطلاع على ما كتبه في مذكراته نرى أن السجان عنده قسمان، وذلك حسب طبيعة عمله وتصرفه مع الشيخ في فترة الاعتقال، والنظرة الأولى نحو السجان كانت نظرة عامة لكل مصلحة السجون وسجانيها، حيث مارست القمع والتنكيل بحق الأسرى كافة، فهذه الإدارة وسجانوها يمنعون خطب الجمعة في الساحات، ويرفضون إطلاق المعتقلين لحاهم، بل والاعتداء عليهم والتنكيل بهم، فقال في منع خطب الجمعة:" في سجن عسقلان منعت إدارة السجن خطبة الجمعة في الساحة كل غرفة لها خطبتها من غرف الجماعة"(محمد أبو طير، 2017، ص98).

أما اللحية فلها بين المعتقلين والإدارة قصة، إذ كانت تمنعها بالقوة العسكرية، وقد خاض المعتقلون لذلك حربا شرسة، وإضرابا عن الطعام لأجل ذلك، فقال:" كانت إدارة السجن بادئ الأمر تمنعنا من تربية لحانا والأخوة في عسقلان قبل وصولنا إليهم أضربوا عن الطعام سبعة عشر يوما من أجل تربية لحاهم، وكانت إدارة السجن تستعمل الزرنيخ (مادة إزالة الشعر) بالقوة لكل من أطلق لحيته"(محمد أبو طير، 2017، ص100).

والأمر نفسه بالنسبة للأذان الذي كان ممنوعا من الإدارة (محمد أبو طير، 2017، ص100) فموقف أبي طير من إدارة السجون موقف واضح هو موقف العداء والحرب، فهذه الإدارة بسياستها تعمل على قمع المعتقلين وإهانتهم وتحارب الدين وكل مظهر فلسطيني إسلامي.

أما السجان فقد كان بعضهم قاسيا وصعبا، بل جزء منهم يشكل عصابة كما وصفه الشيخ سجاني سجون الشمال وهم من الدروز، حيث قال:" فسجون الشمال يكون أكثر السجانين من الدروز سجون قاسية جدا في المعاملة، وهم - أي الدروز- في كل سجن يشكلون عصابة خارجة عن السياسة العامة للسجون وينصرون أخاهم ظالما أو مظلوما، فجميعهم يشاركون الضرب،

ولهم ألسنة حداد في الشتيمة والسباب، وبألفاظ نابية، ولديهم حقد عجيب لا أدري ما أسبابه وما هي دوافعه"(محمد أبو طير، 2017، ص188-189).

وهذا المشهد للسجان الذي يمارس الحقد السب والشتم نراه لسجان آخر اسمه عصام كان يعمل سجانا في زنازين الخليل، حيث يرسم الشيخ صورة مقززة لمثل هذا السجان، فقال:" وفي زنازين التحقيق في الخليل كان سجان درزي اسمه عصام يعلو صوته بالشتيمة والسباب على من في الزنازين من المعتقلين"(محمد أبو طير، 2017، ص200).

مقابل هذه الصورة البشعة للسجان وإدارة السجون يرى الكاتب أن من السجانين من أجبرتهم الظروف على العمل في إدارة السجون، وبخاصة السجانين العرب وحتى بعض اليهود، بل كان بعضهم فيه من الأدب والأخلاق الكثير، ولعل حديثه عن بعض ضباط الاحتلال وسجانيه في سجن (عوفر) يدل على هذا الكلام، فهو يُنصف هؤلاء الضباط ويُعطي كل واحد حقه ووصفه، فقال:" ومنهم ضابط قسمنا نور نصر الدين فلفلة في التعامل مع الأسرى في القسم، نور ضابط مؤدب ومحترم وأول ما يلقي عليّ السلام يسأل عن صحتي، وقد جاءنا بدلاً من ضابطة يهودية اسمها "أورنا"، تتعامل مع عائلاتنا في الزيارة باحترام، بعدما تركت قسمنا، ولم تُسئ الأدب معنا يوم أن كانت في القسم. ومنهم الضابط سليم عزام، الذي لا يتحدث إليك إلا على أدب جمّ وخجل" (محمد أبو طير، 2017، ص412).

من النصوص السابقة التي تحدث فيها الكاتب عن إدارة السجون وموظفيها، نراه يحرص على نقل الصورة الحقيقية لهم، فهم موظفون في دولة احتلال وكل تصرفاتهم وقوانينهم هي للتضيق على الأسرى ولزيادة معاناتهم، فهم حريصون على حرمان الأسرى من أبسط حقوقهم كإطلاق اللحى، أو حتى القيام بالعبادات والشعائر الدينية، وفي ذلك كله كان منصفا في حديثه عنهم، فمن أساء ذكر إساءته، ومن أحسن وتعامل مع الأسرى بشيء من الإنسانية لم يهضمه الكاتب حقه، ولم ينسب له أفعال غيره.

البوسطة:

ومن الأماكن المتعلقة بالسجن وجاءت في ذكريات أبي طير السجن المتحرك أو ما يعرف بلغة السجون (بالبوسطة)، وقد عرض الشيخ لهذا المكان المتحرك، وما أحدثه في نفسه وجسده من ألم ومعاناة، وقد تحدث الشيخ عن هذه (البوسطة) رفيقة الأسرى في تنقلاتهم للمحاكم أو في التنقل بين السجون، فهي موطن للحشرات ومستقر للأمراض، وبخاصة حشرة (البق) التي يعرفها الأسرى جيداً فهو يقول:" فقد غزانا البق عن طريق البوسطات أو السفريات القادمة من السجون الأخرى"(محمد أبو طير، 2017، ص450).

من الوصف السابق لهذا المكان نرى أن الشيخ قد عَدَّ هذه المكان (البوسطة) مستقراً وناقلاً للحشرات وما تسببه هذه الحشرات من أمراض ومصائب للأسرى.

وفي موضع آخر نرى الشيخ يتحدث بإسهاب ليصف هذا المكان المسمى (البوسطة) بعباراتٍ تحمل فظاعة هذا المكان، والمعاناة التي يتحملها الأسرى وهم يتحركون داخل هذا المكان فهو يقول: "هذا الدعاء فيه من الندى ما يُثلج الفؤاد ويقرُّ النفس، لعله يخفف عنا المعاناة ليوم اسمه "البوسطة"، فمن الساعة السادسة صباحاً توضع القيود في رجليك وفي معصميك، ولا تفارقك

عند الأكل والصلاة، أو الذهاب إلى دورة المياه، أو وأنت جالس في قاعة المحكمة، إلى أن تعود ليلاً قريباً من العاشرة مساءً إلى غرفتك في السجن الذي أنت فيه .وعلى هذه" البوسطة "فرقة اسمها (النحشون)، رجالها غلاظ القلوب، مشبعون بالفحش والفجور، محرومون من الرحمة، وكثيراً ما اعتدوا على الأسرى وكسروا لهم أسنانهم .وعند التفتيش ولا نحمل معنا شيئاً إلا أوراق التواليت التي يحتاجها الأسير إن كان مريضاً بالإنفلونزا أو نزلة البرد، ثمّ يصادرونها ويلقون بها أرضاً .وأنت مكبل في معصميك ورجليك يطلبون منك أن تخلع الحذاء والجوارب، ثمّ تعود إلى لبس ذلك%(محمد أبو طير، 2017، ص348)، فهذا المكان (البوسطة) يحمل الألم والمعاناة والموت البطيء للأسرى وقد زاد هذا المكان سوءاً بوجود الفرقة المسؤولة عنه المسماة (نحشون) وما تفعله مع الأسرى من تفتيش وإذلال لتزيد هذا المكان سوءاً ومعاناة.

مما سبق نرى الوصف الدقيق الذي قدمه الكاتب لوسيلة نقل الأسرى (البوسطة)، كونها إحدى وسائل الاحتلال في تعذيب الأسرى وزيادة معاناتهم، ولم يُغفل الأثر الجسدي والنفسي الذي تتركه على الأسرى، حيث تزداد سوءا بتصرفات الاحتلال من منع للطعام والشراب وحتى الذهاب لدروات المياه.

الموت:

من مظاهر الألم التي تقسو على الإنسان في هذا المكان المسمى سجناً مظهر الموت لأحد أقرباء الأسير، حيث يشعر الإنسان بالعجز والألم قد تجمع من كل الدنيا، وجاء ليستلقي على ظهره، وهذا ما حصل مع أبي طير في السجن، حيث يروي لنا قصة موت والد أحد الأسرى وكيف تم تبليغه بالأمر وما فيه من ألم وحسرة، فقال:" على كل حال، أتينا بالأخوين ماهر والأستاذ عدنان خطاب، وقدمنا بين يديهما حديثاً عن الموت، يُفهم من خلاله أن المتوفى يخصهما، وأن الموت سُنة جارية، وكأس دائرة على الجميع، وطالب لا يمل الطلب .والأخ ماهر يحوقل، والأستاذ عدنان صامت لا يعلق، وفي ظنّ ماهر أن المتوفى هي والدة الأستاذ عدنان، وهي عمته لماهر وأخته لأبيه، فقلنا: يا ماهر، رحم الله أباك، فقد وافته المنية صباح هذا اليوم، فاصبر واحتسب، فما كان منه إلا أن رفع برأسه إلى صدري وقد أجهش بالبكاء فرحم الله أبا ماهر، وفتحنا غرفتنا للعزاء، وأخذنا بخاطر الأخوين ماهر في والده، والأستاذ عدنان في خاله"(محمد أبو طير، 2017، ص419، ص370).

كان حديث الكاتب عن قضية الموت داخل السجون ذا أهمية في إبراز قضية التعاطف والتلاحم بين الأسرى في هذا المصاب الجلل، حيث تُفتح بيوت العزاء ويشارك فيها الأسرى كافة، مما يساهم في تخفيف المصاب وتُشعر الأسير أنه ليس وحيدا في مصابه.

القسم الثاني. السجن مكان لأحداث هامة:

لقد أراد الاحتلال بهذا السجون المنشرة فوق الأرض الفلسطينية من بحرها لنهرها أن يعزل أبناء هذا الشعب عن بعضهم البعض، وأن يجعل هذه السجون مقبرة لمن يدخلها، وأن تكون هذه الأماكن شاهداً على نهاية الثورة الفلسطينية، ولكن هذا لم يحصل عبر سنوات النضال الفلسطيني كلها، وبما أن الشيخ أبو طير قد عاش في السجون قرابة الثلث قرن فإنه قد نقل لنا في كتابه تجربة مهمة خاضتها الحركة الأسيرة في هذا المكان القذر والحقير معنوياً ومادياً.

تأسيس الجماعة الإسلامية:

من أهم الأحداث الهامة التي حصلت في السجون كما عايشها أبو طير قضية تأسيس الجماعة الإسلامية في السجون، وما عاناه المعتقلون الإسلاميون من التنظيمات العلمانية واليسارية حتى استطاعوا تأسيس الإطار العام للجماعة الإسلامية داخل السجون، وهذا ما أفرد له الشيخ باباً كاملاً تحت عنوان (المفاصلة: الجماعة الإسلامية في السجون)، والشيخ يرى في هذا المكان (السجن) حلبة صراع قوية كانت بين الفصائل الإسلامية، والأحزاب اليسارية والعلمانية ولعل عباراته الآتية توضح إلى أي مدى وصل الصراع بينهم حيث يقول:" الغرفة الأولى التي نزلت بها عند وصولي إلى سجن الرملة، لم تكن مريحة أبداً؛ تريد أن تباشر عبادتك، أن تقوم للوضوء صباحاً، والقوم لا يصلون وأي حركة تزعجهم، تريد أن تجهر بالصلاة صباحاً مشكلة .غربة للدين ما مثلها غربة، وكيف تكون الحال والرجل يعيّر بصلاته وصيامه كما تُعير العاهرة؟ ولقد والله عُيرنا بهذا، وصبرنا كما يقولون صبر الخشب تحت المناشير" (محمد أبو طير، 2017، ص83).

لعل العبارات السابقة واختيار الشيخ لبعض الألفاظ توحي بمدى البعد ومدى الخصومة التي شهدتها السجون في تلك المرحلة، وهذا ما حكاه بعد ذلك، حيث كان السجن المكان الذي أعلن فيه الشيخ تحوله من حركة فتح وانتقاله إلى الجماعة الإسلامية التي أسسها مع مجموعة من المعتقلين، وكانت ذخراً فيما بعد لحركة حماس التي انطلقت عام 1987م، وهذا ما سجله الشيخ في هذا المكان حيث يقول:" و أخذت قراري بمفاصلة التنظيم، وخرجت إلى من يعنيه الأمر، وبلّغت الجميع، حتى الفصائل الأخرى، أن هذه الساعة هي آخر عهدي بحركة فتح، وقلت لهم : ‘‘هذا فراق بيني وبينكم، أنتم في وادٍ و أنا في وادٍ"، قالوا :يا شيخ أنت الشيخ، شيخ الثورة الفلسطينية "(محمد أبو طير، 2017، ص84).

كان تأسيس الجماعة الإسلامية في السجون من أخطر الأحداث التي حصلت في تاريخ القضية الفلسطينية، لذلك وجدنا الكاتب يخصص لها جزءا كبيرا في كتابه، وذلك لأهمية الحدث وتأثيره على القضية، حيث تحدث عن إرهاصات التأسيس والظروف التي أدت في النهاية إلى إنشاء هذه الجماعة والتي يفخر الكاتب كثيرا أنه من أحد أعمدتها الرئيسة ومن مؤسسيها الأوائل.

الإضراب عن الطعام:

ومن الأحداث الهامة التي لها تأثيرها على الشعب الفلسطيني في كل أماكن تواجده، وتمس شرائح المجتمع كافة تلك الإضرابات عن الطعام التي شهدتها السجون وسجلها الكاتب في مذكراته، وقد كانت هذه الإضرابات التي تحدث في هذا المكان تؤثر على كل السجون وعلى خارج السجون، بدءاً من إضراب منتصف السبعينيات وانتهاء بإضراب الأسرى الإداريين عام 2014.

كان الإضراب عن الطعام الوسيلة القوية التي يلجأ إليها الأسرى إما لتحقيق مطالب إنسانية معاشية داخل السجون، أو احتجاجا على بعض العقوبات أو القرارات التي تتخذها إدارة السجون ضد الأسرى أو ذويهم، وقد يصل الهدف من الإضراب عن الطعام إلى وقف سياسات عليا للاحتلال مثل الإضراب الذي خاضه الأسرى عام 2014 لوقف الاعتقال الإداري.

وقد تحدث أبو طير عن مثل هذه الإضرابات التي عاشها بنفسه، وربما شارك في صناعتها أو قيادتها، وقد وصف الإضراب بأنه:" معركة قاسية بين إرادتين، تستعمل كل إرادة إمكانياتها على توظيف هذه الإمكانيات في سبيل كسب المعركة؛ فإرادة الأسرى قائمة على الصبر وعلى العزيمة، وعلى هدوء الأعصاب وعلى النفس الطويل، وعلى الماء الذي هو ضروري أكثر من كل شيء الذي يُحافظ على الجسم من فقد المناعة، وعلى نجاعة الإعلام وتضامن الأهالي وجموع الشعب"(محمد أبو طير، 2017، ص207)، فالكاتب يصف الإضراب عن الطعام بأنه معركة بين الأسرى والسجان والذي ينتصر فيها هو صاحب الإرادة الأقوى.

لقد تحدث الكاتب عن الإضرابات التي خاضها الأسرى طويلا وأسهب في وصف الإجراءات التي يتخذها الأسرى قبل الإعلان عن هذه الخطوة الحاسمة القوية، والتي يعدها البعض الطلقة الأخيرة تجاه مصلحة السجون، لذلك فهذه الخطوة التصعيدية تحتاج إلى إعداد جيد، وتشاور بين مختلف السجون المنتشرة في الوطن، وهذا ما نراه عند الكاتب حيث عمد إلى توضيح الإجراءات والتمهيدات التي تسبق الدخول في الخطوة؛ فمثلا يتحدث عن إضراب عام (2012م) حيث عرض للرسائل بين الإدارة والأسرى وانسداد الأفق مما أدى إلى الدخول في الإضراب، فقال:" قبل البدء في الإضراب رفع إخواننا برسائل كثيرة إلى مصلحة السجون، تطالبها بأن تتحرك إيجابياً على صعيد العزل، وأن تحدد جدولاً زمنياً لعلاج هذه الظاهرة، لكن مصلحة السجون بقائدها لم تتفاعل مع هذه الرسائل، إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة. فشكلت لجنة قبل الإضراب بأيام لم يسعفها الوقت، وغير مؤهلة لقرارات ملزمة تلبي القليل من مطالب الأسرى، ومهمتها فقط أن ترفع انطباعات عن حالة الأسرى، ولا حلّ إلاّ على مزاج قائد المصلحة"(محمد أبو طير، 2017، ص 400).

وعن التنسيق بين السجون تمهيدا لخوض الإضراب نرى الشيخ يسهب في الحديث حوله في إضراب عام (2014م) فقال:" لذلك توجه الإخوة للاجتماع فتداولوا الأمر بينهم، وأشبعوه رأياً وشورى، وتشجعوا له، وتواصلوا مع الإخوة في "النقب" و"مجدو". وتشكلت لجان هنا في "عوفر"، وهناك في "النقب"، ليدخل الجميع إضراباً مفتوحاً عن الطعام، وشعاره الخلاص من الاعتقال الإداري، أو إلغاء سياسة الاعتقال الإداري. واتفق السجنان عوفر والنقب على انتهاج خطوات تصعيدية تبدأ بمقاطعة العيادة، ثمّ مقاطعة الدواء، ثم إضراب عن الطعام ليومين في الأسبوع حتى الوصول إلى اليوم المتفق عليه لخوض غمار معركة الأمعاء الخاوية"(محمد أبو طير، 2017، ص420).

إن حديث الكاتب عن قضية الإضراب عن الطعام كان مطولا ومسهبا، وذلك لأنه من أخطر القضايا التي تواجه الأسرى وذويهم، فهو مصيبة يشترك فيها الأسير وذويه خارج السجن، لذلك رأينا الكاتب يُفصل الحديث عن إرهاصات الإضراب والأسباب التي تدفع الأسرى لمثل هذه الخطوة الأكثر خطورة على جميع الأصعدة، ورأيناه يذكر الآراء المختلفة للفصائل داخل السجون، كون هذه الخطوة لا تحظى بإجماع بين الأسرى، بل هي من عوامل الفرقة بين الأسرى وفصائلهم، لذلك فهي تحتاج للمشاورات المطولة بين السجون كافة وهذا ما حرص الكاتب على نقله في ذكرياته.

صفقات التبادل:

ما أن يضع الاحتلال قيوده في أيدي المعتقل الفلسطيني إلا والحرية وحلمها لا يفارق خياله، فالحرية هي الهدف والمأمول لكل الأسرى، وخاصة أولئك الذين حكم عليهم الاحتلال بأحكام عالية أو مؤبدة، فهؤلاء لا أمل لهم بالحرية إلا من خلال صفقات التبادل التي تعقدها فصائل المقاومة الفلسطينية مع الاحتلال الصهيوني، وقد تمت عدّة صفقات تبادل بين المقاومة والاحتلال، وكان أبو طير شاهدا عليها كلها، بل شارك في معظمها بالتخطيط والمفاوضات والمساومات وهذه الصفقات كانت الهواء الذي يتنفسه الأسرى.

لقد تحدث أبو طير في كتابه عن عدة صفقات لتبادل الأسرى، وأكثر ما كان يلفت الانتباه في تلك الصفقات هي القضايا النفسية التي كان يعيشها الأسرى كلما لاح في الأفق خبر عن صفقة، ولعل عبارة الكاتب:" انتهت أجواء الإحباط، وأقبلت أجواء التفاؤل، برسائل متبادلة بيننا وبين الأخ حافظ الدلقموني، تبين لنا أن عند القيادة العامة جنود صهاينة، وتوجد مفاوضات حثيثة والحديث يدور عن صفقة جديدة"(محمد أبو طير، 2017، ص143) توحي بمدى تأثر الأسرى بهذه الصفقات وأخبارها.

من القضايا التي تحدث عنها حول الصفقات المفاوضات الطويلة بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال، وعن دور الصليب الأحمر الدولي في هذه الصفقات، منها مثلا ما تحدث عنه حول صفقة عام 1985، وتحفظ الاحتلال – كعادته- على أسماء بعض الأسرى، فقال:" جلست مع مدير الصليب الأحمر من قبل، ولكن هذه المرة جاءني، وفي جعبته الأخبار الأخيرة حول الصفقة، وأن الترتيبات على قدم وساق، وأن (إسرائيل) تحفظت على 36 من الأسرى، وفي النهاية قبل الطرفان بالفيتو: 18 للقيادة العامة، و18 تحفظت عليهم (إسرائيل)، وأن في الصفقة عملية تخيير، فمن أراد أن يبقى في البلاد فله ذلك"(محمد أبو طير، 2017، ص151).

أما الصفقة الأشهر في تاريخ الحركة الأسيرة (صفقة وفاء الأحرار) التي عقدتها المقاومة الفلسطينية في غزة مع الاحتلال الصهيوني عام 2011م حيث شارك الشيخ أبو طير في عدة جولات من المفاوضات مع الاحتلال، وذلك بطلب من الشاباك الذي يلجأ إلى الأسرى وقادتهم لعلهم يكونون وسطاء لعقد الصفقة، حيث جاء عند الكاتب:" بعد أن فشل أولمرت بعد أن فشل أولمرت، رئيس وزراء دولة الاحتلال، في عقد صفقة تبادل الأسرى مقابل الجندي شاليط، توجه إلينا الشاباك، يطلب منا الوساطة في هذا الأمر، ففي 15 / 3/ 2009 جاءني ضابط استعلامات السجن بعد عدد المساء، وقال: غداً أنت راحل إلى (النقب)، وكان ذلك"(محمد أبو طير، 2017، ص378).

وبعد ذلك تحدث عن ماهية هذه الصفقة وشروطها وكيفية تنفيذها، فقال:" استيقظ الناس داخل السجون وخارجها على الأخبار التي تحمل في طياتها أن اليوم، يوم الثلاثاء 18 / 10 / 2011، هو يوم تحرير أسرانا من سجون الاحتلال، بموجب صفقة تمّ الاتفاق عليها وعلى تنفيذها برعاية مصرية وعلى مرحلتين؛ المرحلة الأولى بالإفراج عن قائمة قدمتها حماس، وعدد أفرادها 477 أسيراً، وفي المرحلة الثانية 550أسيراً، وكل ذلك مقابل الجندي الصهيوني الأسير من أرض المعركة جلعاد شاليط"(محمد أبو طير، 2017، ص396).

ولم ينس أبو طير في حديثه عن هذه الصفقة - وهي آخر صفقة عقدت مع الاحتلال للآن- أن يتذكر الصفقة الأولى التي جرت عام 1985م، وعقد مقارنة بين الصفقتين، وأهمية هذه الصفقة عن تلك كونها الأولى التي تعقد مع المقاومة داخل فلسطين المحتلة، وأن الأسرى الصهاينة محتجزون في فلسطين المحتلة وليس خارجها كما كانت تلك الصفقات (محمد أبو طير، 2017، ص396).

أما فرحة الأسرى داخل السجون وفرحة ذويهم والشعب عامة بمثل هذه الصفقات فقد صورها الكاتب في أكثر من موضع في كتابه، فمثل هذه المشاعر لا يمكن وصفها أو الشعور بها إلا ممن عاشها، فقال عن صفقة (وفاء الاحرار) وفرحة الأسرى فيها، وعنّف على من انتقدوا الصفقة كرها وحسدا من عند أنفسهم، وحقدا على المقاومة التي حققت مثل هذا الإنجاز التاريخي:" لقد خرج الأسرى في جو احتفالي مهيب وشملت الصفقة جميع التنظيمات دون استثناء. وكان لحركة فتح حظ وافر في هذه الصفقة، إلا أن بعض النفوس الرديئة لا بدّ وأن تبخس هذه الصفقة؛ وهذا شأن الموتورين العاجزين، الذين لم يعجبهم ذلك، فخرجوا علينا بألسنة حداد شداد، أشحةً على الخير. وصدق الله: {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ} وإني لقريب من هؤلاء الناس الذين خرجوا في هذه الصفقة وأعلم جيداً أن منهم مَنْ يكيدون لنا، ويتآمرون علينا داخل السجن وخارجه، لكنها الرحمة بعائلاتهم وأهلهم وذويهم، رحمة بأبنائهم وبناتهم"(محمد أبو طير، 2017، ص397).

أما فرحة الأهالي بخروج أبنائهم فقد سجلها ونقلها بعبارات وكلمات أهلها وأصحابها، حيث قال:" احتفلت فلسطين في الضفة احتفلت فلسطين هنا في الضفة المحاصرة المكبلة، وكسرت الجماهير حاجز الخوف، ورفرفت رايات حماس الخضراء في مقر المقاطعة، وقالت أختنا المجاهدة أم عناد شقيقة الأخوين المجاهدين (نائل البرغوثي) أبو النور (وعمر البرغوثي) أبو عاصف: "بقدر ما فرحت لخروج نائل من السجن، إلا أن فرحتي كانت أكبر وأنا أرى رايات حماس ترفرف داخل المقاطعة" (محمد أبو طير، 2017، ص398).

لقد تميز حديث الكاتب عن صفقات تبادل الأسرى بالشمولية لكل مجريات أحداث تلك الصفقات، حيث شمل تأثيرها مختلف فئات المجتمع الفلسطيني، لذلك وجدنا الكاتب يغوص في أسرارها وخفاياها، وما ضمته من (كولسات) ومباحثات في معظم السجون، كما أنه رصد بكل دقة تأثيرها على الأسرى كافة، سواء من شملتهم تلك الصفقات، أو من استثنتهم، كما أنه لم يُغفِل ما أحدثته تلك الصفقات في نفوس أهالي الأسرى وذويهم، فعبر بكل دقة عن مشاعر الفرح التي كان الشعب الفلسطيني يعيشها بسببها.

العبادة ونشر الفكر:

كان الشيخ أبو طير يرى في السجن مكاناُ مهماً للعبادة، ونشر الوعي الديني والوطني وذلك عن طريق الدروس الدينية والتنظيمية، وبالأخص خطبة الجمعة التي كان الشيخ يستغلها بشكل كبير لنشر أفكاره ومبادئه وبث روح الهمة في النفوس حول القضايا الدينية العامة والخاصة، حيث يقول بعد وصوله لسجن عوفر عام 2013:" وما أن استقر الحال، حتى عهدوا إليَّ بإمامة الصلاة في الحجرة وفي الساحة، فاعتمدت الدعاء والقنوت في كل صلاة جامعة أن يرفع الله البلاء عن إخواننا في مصر، أن ينصرهم، وأن يمكن لهم في الأرض، و أن ينصر الله إخواننا في سورية،

وغزة، وتونس، وليبيا، وتركيا، وفي الأرض كل الأرض، و أن ينتقم الله مِنَ الظالمين ...مِنَ المجرمين... مِنْ قادة الانقلاب في مصر"(محمد أبو طير، 2017، ص412، 128).

وفي موضوع آخر يرى الشيخ أبو طير السجن مكاناً لترويض النفس ومساعدتها على الجهاد وتحمل المصائب والمشاق، وكان الشيخ دائماً يعيش مع الكتب وبخاصة كتاب الظلال في تفسير القرآن لسيد قطب رحمه الله لما له من دورٍ "في صقل شخصيتي، وبناء نفسيتي، وهو المرجعية في تربية النخبة داخل سجون الاحتلال، بل إن سيد في كلماته، وكتاباته، لك أنه يُطل علينا مِنْ علياء الخلود، ولا أراه إلا مبتسماً، فرحم الله سيد، فكلما قرأت الظلال، أو حفظت نصاً مما كتب، استشعرت بعملقته، واستشعرت باستعلاء على هذه الجاهلية التي تموج في الأرض(محمد أبو طير، 2017، ص447-448).

لم يكن السجن عند الكاتب إلا فرصة للنفس لتغذيتها معنويا وروحيا، فالقراءة ملازمة له، والدعوة دائمة في كل أعماله، فهو كان دائم الاطلاع على أحداث الأمة، ويستغل كل منبر لنشر أفكاره ومبادئه، سواء أكانت دينية أو أخلاقية أو تربوية.

لقاء الأحباب:

لم يكن السجن - المكان الأسوء في هذا العالم - كله مساوئ وسوء في نظر أبي طير، بل كان له فوائد قد لا يجدها الإنسان خارجه، خاصة في حالتنا الفلسطينية التي لا تكاد تخلو عائلة من معاناة السجن وآلامه، والسجن عند أبي طير كان في كثير من الأحيان فرصة نادرة للقاء الأصدقاء والأحباب، ولعل الأسماء الكثيرة جداً الواردة في هذه المذكرات توحي بالكم الهائل من الأصحاب والأصدقاء الذين تعرف عليهم الكاتب في رحلته الطويلة داخل السجون الصهيونية، وكان الشيخ في كل سجن يدخله يجد أصحابه وأصدقاءه، حيث كان يحرص على الاجتماع واللقاء بهم سواء أشاركوه الغرفة الواحدة أم شاركوه القسم أم السجن، فلنأخذ لذلك مثالاً يدل على اجتماع الأصحاب والاصدقاء داخل السجن وعاطفتهم الجياشة حيث يقول:" وصلنا إلى ساحة عسقلان، واستقبلنا إخواننا بعاطفتهم جياشة، والعاطفة بيننا عارمة ومحروم منها كثير من الناس، وملأنا الفراغ الموجود في السجن"(محمد أبو طير، 2017، ص117).

وهذا ما كان يحصل مع الشيخ دوماً، فهو عندما أنهى أربعه شهور في تحقيق المسكوبية وعانى فيها ما عان تم نقله إلى عسقلان حيث يتحدث عن لقائه بالأحبة والأصدقاء، فقال ذاكراً أسماء هؤلاء الشباب ومحبته لهم ومحبتهم له: "ولما وصلتُ إلى ساحة السجن بعد التفتيش والإجراءات، استقبلني مَنْ في الساحة كأنه لم يسبق ذلك وداع .فاستقبلتني دموع الحاج أبو السكر، والمجاهد عبد الحكيم حنيني، والحاج ماجد الجعبة، وصهيب العجولي، وهارون ناصر الدين، وفراس جرار، ومن في الساحة جميعاً، وقد أوجعهم ما جرى لي"(محمد أبو طير، 2017، ص289).

وليس أدل على حبه للقاء الأصدقاء والأصحاب داخل السجن مما كتبه تحت عنوان (لحظات غالية) من أسطر أربعة وصف فيها لحظات جميلة في السجن وهي لقاؤه بأحبته – كما أسماها- وقد تشرفت أن أكون أحدهم، مع أن المدة التي قضيتها معه لم تتجاوز الأشهر الأربعة، إلا أن الشيخ عَدَّ الإفراج عن المعتقلين ممن أحبهم لحظات نادرة السعادة والفرح في ليل السجن الحالك، حيث يقول تحت عنوان (لحظات غالية):"ومِنَ اللحظات الغالية في السجن، أن جاء اليوم الذي

غادرنا فيه الأخوان الحبيبان أبو عماد سيف الإسلام دغلس، وأبو قتادة الدكتور فادي عصيدة، بعدما أنهيا محكوميتهم. وعلى شرف هذا الإفراج احتفل قسمنا بلقاءٍ جامعٍ لوداع الأخوين الكريمين، ووُزع ما تيسر مِنَ الحلوى والشراب، كان ذلك في / 13 جمادى الآخرة1435 /، الموافق 2014 /4 / 13، والحمد لله ربّ العالمين (محمد أبو طير، 2017، ص451).

رغم أن الكاتب كان من أكبر الموجودين في السجن سنا، وأكثرهم إقامة فيه إلا أنه كان مشاركا لإخوانه الأسرى في أفراحهم وأتراحهم، وقد عرض الكاتب لهذه القضية الاجتماعية كثيرا في كتابه، فهو يحرص على ذكرها دوما، لما تبعثه من همة وعزيمة في النفوس، ولتكون رسالة قوية للسجان بأن الأسرى جسم واحد يجمعهم الهم والفرح ولا تفرقهم حزبية أو فصائلية.

خاتمة:

وبعد أن وصلنا إلى نهاية هذا البحث، نرى أن نسجل أبرز النتائج التي توصل لها البحث بالآتي:

-سجل السجن حضورا بارزا في حياة الكاتب، كونه عاش فيه سنوات طويلة.

-رسم الكاتب صورة قاتمة للسجن، حيث وصف جدرانه، ورفاقه، ومعناته، وحراسه، وطعامه وكل شيء له علاقة بالسجن وكان سببا في معاناة الأسرى وألمهم.

-لم يكن السجن كله عند أبي طير محنة وألما، بل قد استطاع الكاتب ورفاقه أن يحول هذا المكان إلى منحة وذلك بحسن الاستغلال والاستفادة من الأوقات.

-شهد السجن في حياة أبي طير العديد من الأحداث الهامة التي أثرت على القضية الفلسطينية برمتها، كإنشاء الجماعة الإسلامية، وعقد صفقات التبادل وغيرها.

-أبدع الكاتب في وصف السجن وشخصياته وأحداثه، وفي كل هذا امتاز الكاتب بدقة النقل، وروعة الوصف، حسن الاختيار، إضافة للصراحة وعدم التردد في كشف الحقائق مهما كانت صعبة وقاسية.

قائمة المراجع

1. إبراهيم جنداري جمعة(1990)، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل.
2. أيوب بن موسى الحسيني الكفوي(1981)، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ترجمة عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق.
3. جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور(دس)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
4. جميلة النتشة(2012)، المكان في روايات سحر الخليفة، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العربية، جامعة الخليل، فلسطين.
5. خالدة خضر(2012)، المكان في رواية الشماعية للروائي عبد الستار ناصر، مجلة كلية الآداب ع102، جامعة بغداد، العراق.
6. صلاح صالح، (1997)، قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، ط1، دار شرقيات، القاهرة.
7. عبد الحميد المحادين(2001)، جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، ط1، دار الفارس، الأردن.
8. غاستون باشلار(2006)، جماليات المكان، ط6، ترجمة غالب محلسا، المدرسة الجامعية، بيروت.

9. محمد أبو طير(2017م-1438هـ)، سيدي عمر- ذكريات الشيخ محمد أبو طير في المقاومة وثلاثة وثلاثين عاماً من الاعتقال-، تحرير بلال محمد شلش، ط1، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت.
10. مهدي عبيدي(2011)، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
11. ناهض زقوت، (2017/4/26)، دلالات السجن الإسرائيلي في الرواية الفلسطينية، موقع المجموعة 194.
12. أسامة الأشقر(2017/8/10)، "سيدي عمر" مذكرات الشيخ محمد أبو طير، الجزيرة نت.

مشكلة الإسكان في الجزائر، مقاربة سوسيو تاريخية من سنة 2000 إلى 2018.

The housing problem in algeria, socio.s historical approach from 2000 to 2018.

أ.عقون عبد الوهاب، جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر

أ.د محمد صالح بوطوطن، جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مشكلة الإسكان في الجزائر، التي تعتبر أحد محكات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وذلك من خلال توضيح وتسجيل أهم التغيرات الحاصلة في تطور هذه العملية بمقاربة سوسيو تاريخية ضمن الفترة الزمنية المحصورة بين سنة 2000 و2018، والتطرق إليها بنوع من التفصيل بنظرة تحليلية استشرافية انطلاقا من الإطلاع على أهم التقارير الإحصائية المختلفة التي توفرها وزارة السكن والعمران ومختلف المراسيم التنفيدية في هذا المجال.

الكلمات المفتاحية: السكن، مشكلة الإسكان، البرامج والسياسات السكنية.

Abstract: This study aimed to identify the housing problem in Algeria, which is one of the drivers of social and economic development, by clarifying and making note of the most important changes that have occurred in the development of this process with a historical socio approach from 2000 to 2018 AD, and It was discussed in some detail with an analytical view Foresight based on reviewing the most important statistical reports provided by the Ministry of Housing and Urbanism and the various executive decrees in this field.

Key words: housing, housing problem, housing programs and policies.

مقدمة:

بعد الاستقرار السياسي والمؤسساتي الذي عرفته الحكومة الجزائرية، وبعد القفزة النوعية التي حققها ارتفاع أسعار البترول منذ 1999 وما صاحبه من انعكاس على مختلف القطاعات وعلى السياسة السكنية في بلادنا، إذ تشير مصادر رسمية إلى أن البرنامج الخاص بالسكن في الخماسي الأول ما بين 1999- 2004 قد سمح ببناء 810 آلاف مسكن، في حين بلغت الحظيرة السكنية ما بين 2005-2009 حوالي 912 ألف مسكن، فيما بلغت ما بين 2010-2014 حوالي 1.2 مليون مسكن، فيما أشارت البيانات إلى أنه بصدد استكمال 800 ألف مسكن ما بين 2015-2018. (وزارة السكن والعمران والمدينة، 2011، ص6-8)

ورغم البرامج التي انتهجتها الدولة في السنوات العشرة الأخيرة، مازال البلد يعيش مشكلة الإسكان بكل تجلياتها، إذ تشير الدراسات والتقارير الأممية إلى أن المشكلة لا تعود إلى نقص الوحدات السكنية، بل ترتبط أيضا بمجموعة من المشاكل والتي ساهمت بشكل أو بآخر في تعميقها، إذ تتمثل على وجه التحديد في اكتظاظ المساكن، ووجود أحياء قصديرية، مساكن عشوائية تفتقر إلى أدنى شروط الحياة واستمرار الممارسة في تأجير أماكن ضيقة مثل الغرف والكاراجات ومساكن للأفراد، والمضاربة على أسعار الإيجار، وارتفاع حالات الإخلاء بناء على مبادرة أشخاص، واستمرار الإقامة في مساكن مخصصة لحالات الطوارئ، وهشاشة المباني القديمة الموروثة عن الحقبة الاستعمارية وتدهور الرصيد السكني الذي بنته الدولة الجزائرية، وتشير البيانات من قبل الحكومة بأن هناك أزمة تتعلق بالسكن إلا أنها قلصت بشكل كبير، في إشارة إلى وجود بيانات كمية والنوعية في مجال الطلب على المساكن ونقص عدد المساكن، ويبدو أن تطور عدد معدل الإقامة في المساكن أي عدد الأشخاص المقيمين في كل مسكن والذي يستخدم كأحد المؤشرات لتقييم تطور الأزمة. (المرسوم التنفيدي رقم 01 ــــ 105، 2001، ص18).

إشكالية الدراسة:

يعتبر قطاع السكن من القطاعات الحساسة التي تستدعي الاهتمام والعناية كونه المحرك الأساسي لاقتصاديات الدول، وهذا ما جعلها توليه أهمية بالغة باعتباره دعامة القطاعات الأخرى قصد تحقيق التوازن بين عدد السكان وبين الاحتياجات

السكنية في المجتمع، وهو ما أدى إلى ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية وفي مقدمتها مشكلة الإسكان التي أرهقت كاهل الدول والحكومات.

والجزائر كغيرها من الدول بذلت جهود معتبرة وأعطت أهمية بالغة لهذا القطاع مند السنوات الأخيرة، إذ تزايد الطلب على السكن مند مطلع الألفية الجديدة في مقابل عدم قدرة الحكومة على توفير

سكنات لائقة للسكان، وقد شكل ذلك عائقا أمام الأسر الجزائرية لتدني مستواها المعيشي، في مقابل قلة السكنات الجاهزة، مما دفع الحكومات المتعاقبة إلى انتهاج جملة من الإصلاحات وتبني العديد من السياسات والبرامج السكنية قصد التخفيف من حدة المشكلة، وضبط وتوجيه الحركة السكانية التي تختلف باختلاف ظروف المجتمع مع استغلال كل الطاقات في توجيه قطاع السكن.ومن خلال الطرح السابق أمكننا أن نثير التساؤل الرئيس التالي: **ما هي السياسات والبرامج السكنية التي تبنتها الحكومة الجزائرية مند مطلع الألفية الجديدة إلى يومنا الحالي؟**

1. مشروع الإنعاش الاقتصادي والتوجهات الجديدة في سياسة الإسكان:

شكلت أفكار السلم والوئام المدني والمصالحة الوطنية ثلاثية شكلت العناصر التي جاء بها الرئيس الأسبق عبد العزيز بوتفليقة، والتي كانت بمثابة مرافعات طيلة فترة حكمه، من أجل وقف العنف واستئناف التنمية الاجتماعية وبناء اقتصاد وطني، انعكست آثاره على برامج التنمية بوجه عام، ومثله قطاع الإسكان بوجه خاص، عن طريق صدور جملة من الإصلاحات والتي شملت العديد من البرامج والصيغ السكنية والتي نستهلها من:

البرنامج الوطني لدمج الأحياء الفوضوية في الوسط الحضري: لقد كان هذا البرنامج برعاية البنك العالمي للإنشاء والتعمير بقرض قيمته 150 مليون دولار والذي كلفت به وزارة السكن والعمران والمدينة، وكان الهدف من هذا البرنامج إزالة الأكواخ عبر التراب الوطني، ومن أولوياته في المرحلة الأولى تهديم 100 حي عبر التراب الوطني، وقد شرع فيه يناير1999، ويتضمن إزالة 870 حي قصديري عبر 12 ولاية منها وهران بسبعة مواقع، وولاية عنابة وولاية قسنطينة بثمانية مواقع، وولاية تيبازة بستة مواقع، وولاية البليدة بخمس مواقع، وولاية تبسة وولاية سكيكدة بعشرة مواقع، وولاية قالمة بثمانية مواقع، وولاية المسيلة بعشرة

مواقع، وولاية المدية بأربعة مواقع وولاية الجزائر العاصمة بخمسة مواقع، أما تكلفة المصاريف فقد بلغت حوالي 16476789000 دج إلى غاية 31 مارس سنة 2000، أما بالنسبة لأشغال هذا المشروع فقد تم إنجاز هذا البرنامج، 8 مشاريع بولاية عنابة، وولاية قسنطينة وولاية تيبازة، مع العلم أنه تمت دراسة 84 مشروعا على المستوى الوطني.(مجلس حقوق الإنسان، 2009، ص 12- 18)

حيث تمت الموافقة على 22 مشروعا من قبل البنك العالمي، فيما تبق 24 مشروعا قيد الدراسة وقد استهلكت هذه المشاريع حوالي 300 000 000 2 دج، وتوقعت المصالح المعنية ارتفاع هذا المبلغ إلى 200 000 00 7 دج إلى غاية ديسمبر سنة 2000.

كما تم تسطير برنامج لإنجاز 6000 مسكن مخصصة للقضاء على الأحياء القصديرية، كما قامت السلطات بتجهيز برنامج سكني بصيغة السكن التساهمي يتكون من 663 مسكن و130 مسكن يساهم فيه المواطن ب 30 مليون سنتيم والباقي يدفعه البنك، في كل من ولاية قسنطينة في إطار النظام الجديد الذي أقرته الحكومة آنذاك، وقد أطلقت مباشرة استخراج الوثائق الإدارية وتسليمه إلى وكالة تحسين السكن وتطويره عبر مختلف ولايات الوطن، والتي كانت ستوفر 4500 سكن اجتماعي في نهاية 31 ديسمبر 2001، بإشراف مصالح ديوان الترقية والتسيير العقاري بمدينة قسنطينة، حيث يتم المواطن دفع الأقساط وفق عدد الغرفات وعلى مراحل وعلى مدار 20 عاما، أما البناءات المهددة بالانزلاق فقد تم ترحيل أصحابها إلى 521 مسكن، كما تم توزيع حوالي 787 مسكن اجتماعي على باقي الفئات من سكان المدينة(الديوان الوطني للإحصائيات، 2000، ص6).

برنامج السكن الإيجاري المدعم من الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره :AADL

بعد صدور المرسوم التنفيذي رقم 01-105 المؤرخ في 13 أبريل2001 والمحدد لشروط شراء المساكن المنجزة بأموال عمومية في إطار البيع بالإيجار (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2001، ص 18) موجه للطبقات المتوسطة ظهر توجه جديد الدولة الجزائرية في مجال السياسة السكنية والتي استندت إلى صيغة جديدة تتمثل في السكن الإيجاري إذ خصص بذلك حوالي 35.6 مليار دينار من

إجمالي الأغلفة المالية القطاعية، وبهذا أصبح للمستفيد دور هام من خلال التمويل النسبي، كما أسندت مهمة التكفل والإشراف وتسيير عملية البيع بالإيجار للوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره AADL والذي ركز على إطار تشريعي وتنظيمي للمعروض السكني وتطوير القروض العقارية الموجهة للسكنات حيث تلقت العديد من طلبات السكن من قبل المواطنين بهذه الصيغة الجديدة، حيث أنها مقتصرة على المواطنين الذي ليس لديهم ملكية أي مسكن، والتي تفوق مداخيلهم ببن 24000 دج وستة أضعاف الدخل الوطني، بحيث لا يتعدى سن المستفيد 65 سنة، ومن مميزات هذه الصيغة أنها سريعة في وتيرة الإنجاز والمقدرة ما بين 18 و24 شهرا، كل برنامج سكني بهذه الصيغة يتكون من 50% من مسكن بثلاث غرف بتكلفة تقدر بـ 140 مليون سنتيم، و50% مكونة من مساكن بأربع غرف سعره 170 مليون سنتيم. (المرسوم التنفيذي رقم 01 ـــ 105، 2001، ص18)

برنامج عدل 2001: يقدر عدد السكنات بـ 20000 وحدة سكنية، حيث طبقت في ثمانية ولايات من االتراب الوطني مثل عنابة، قسنطينة، الجزائر، البليدة، تيبازة، وهران، كما يؤخذ في الحسبان هذا البرنامج احتياج المواطنين للتجهيزات المرافقة للمسكن، وقد أشرف على إنجازه عدة شركات جزائرية مثل كوسيدار وشركات متعددة الجنسيات صينية ومصرية وكوبية.

برنامج عدل 2002: كان هذا المشروع يسعى إلى إنجاز 35000 وحدة سكنية عبر 24 ولاية وقد بدأ هذا المشروع في 25 سبتمبر 2002، وحدد أجل 18 شهر كأقصى حد لبناء مسكن لكل عائلة وقد أوكلت مهمة الإنجاز إلى الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط، عن طريق إبرام عقد مع وزارة السكن

والعمران والمدينة بتاريخ 12 سبتمبر 2002، قصد تمويل إنجاز 65000 سكن موجهة إلى صيغة البيع بالإيجار، وقد تم وضع شروط من أجل الحيازة على هذه السكنات في البرنامجين عدل (2002-2001) وقد تم الاتفاق على دفع ما قيمته 75% من قيمة المسكن على مدى 20 سنة، ويقدر بـ 1% بالنسبة للسكنات بحجم ثلاث غرف، وبمعدل 2% بالنسبة للسكنات ذات الأربع غرف، وقد بدأت الانجاز مند جوان 2004 لشريحة قدرت بـ 10107 من أصل 65000 سكن، يتم توزيعهم في 24 شهر وقد شمل ذلك 17 ولاية. (ميمش سلمى، 2017، ص9)

برنامج عدل 2013: عملت الدولة من خلال هذا البرنامج على بناء 230000 وحدة سكنية عبر التراب الوطني، حيث يتضمن صيغتين 150000 بصيغة عدل و80000 بصيغة الترقوي ثم يتم تحويله إلى عدل (El mowatin Logement : L'Algérie mise sur la diversification de ses partenaires étrangers , le www/ elmowatin ;dz) والذي لا يتجاوز دخلهم الشهري 108000 والذين لا يمكنهم الاستفادة من سكن اجتماعي أو سكن ترقوي مدعم (El koraia : logement AADL en Algérie, www :elkeria ;dz)

برنامج السكن الاجتماعي المدعم من الصندوق الوطني للسكن CNL:
يعتبر هذا الصندوق من بين المؤسسات العمومية المتخصصة في مجال الإسكان، من خلال حجم الإعانات التي يقدمها للفئات الاجتماعية متوسطة الدخل، والذي تم إنشاؤه بموجب المرسوم التنفيذي رقم 91-144، والذي يهدف إلى المشاركة في تحديد سياسة تمويل السكن، حيث نشأت جملة من البرامج السكنية بدعم مالي مباشر منه والمتمثلة في:

برنامج السكن الاجتماعي التساهمي (LPP) وتعويضه (الترقوي المدعم LPA): استحدثت هذه الصيغة سنة 2010 بصيغة الترقوي المدعم لتعويض الصيغة القديمة والمعروفة بالسكن الاجتماعي التساهمي (ميمش سلمى،2017، ص10) التي عرفت بموجب صدور المرسوم التنفيذي رقم 03 -269 والمؤرخ في 7 أوت 2003، والمتعلق بشروط الحصول على ملكية عقارية تابعة للدولة أو الدواوين والتسيير العقاري فسمحت الدولة بالتنازل عن أملاكها وبالتالي أصبح السكن قابل للبيع لفائدة المستفيد وفق شروط تتعلق بالمرسوم المذكور أعلاه" يمكن للأشخاص الحائزين على ملكية سكن اجتماعي بصفة الإيجار أن يحصلوا على سكناهم بصفة الشراء من قبل الدولة آخذين بعين الاعتبار أقساط البناء المدفوعة في تكلفة السكن الاجتماعي، موجه للفئات المتوسطة الدخل بالدرجة الأولى شرط أن لا يتجاوز دخلهم 6 أضعاف الدخل الوطني (18000 دج)، كما يمكن للمستفيد من هذا السكن أن يدفع مبلغ السكن دفعة واحدة، أو على شكل أقساط، ويستفيد من إعانة من البنك الوطني للإسكان، وفي حالة ما دفع المستفيد الأقساط دفعة واحدة يستفيد من تخفيض بقيمة 10%، وإذا قام المستفيد بدفع مبلغ السكن على شكل أقساط فتمنح له مدة 20 سنة كأقصى حد لدفع المبلغ المتبقي، ويجب على المستفيد دفع قيمة أولية تقدر بـ

5% من المبلغ، حيث حدد السعر المرجعي بـ 12000 دج للمتر الواحد باتفاق مشترك بين وزارة السكن ووزارة المالية (المرسوم التنفيذي رقم 03 ــ 369، 2003، ص10)

وهو سكن الذي يتم إنجازه أو شراؤه عن طريق إعانة تمنحها الدولة وتسمى الإعانة للحصول على الملكية وذلك تطبيقا للمرسوم التنفيذي رقم 94-308 المؤرخ في 4 أكتوبر 1994 والذي يحدد قواعد تدخل الصندوق الوطني للسكن في مجال الدعم المالي للأسر وهذا النوع من السكن موجه إلى فئة المجتمع المتوسطة التي لا يمكنها الحصول على ملكية سكن دون الحصول على إعانة من الدولة(المرسوم التنفيذي رقم 94 ــ 308، 1994، ص5).

لقد عرفت هذه الصيغة الجديدة ترحابا من قبل المواطنين، بعد صدور التعليمة الوزارية والتي بموجبها تم مراجعة حجم الإعانة التي تقدمها الدولة عن طريق الصندوق الوطني للسكن CNL والمقدرة بـ 40 مليون سنتيم سنة 2001، حيث قدر السعر الأعلى للسكن والمقدر بـ 200 مليون سنتيم(بوستة إيمان، 2015، ص385).

السكن الاجتماعي الإيجاري: بدأت هذه الصيغة بموجب القانون رقم 334-04 المؤرخ في 24 أكتوبر 2004، وكان الهدف منها معالجة مشكلة السكن الهش، وكان ممول من قبل الدولة، وموجه للمواطنين دوي الدخل الضعيف والذي يقل راتبهم عن 24000 دج، وكان الهدف منها إنشاء 120000 وحدة سكنية، أما في ظل المخطط الثاني كان الهدف إنشاء 925345 وحدة سكنية، وقد تم استلام 991.777 وحدة إلى غاية نهاية سنة 2014. (ميمش سلمى، 2017، ص9)

برنامج السكن الريفي المدعم : يهدف هذا النمط إلى تشجيع السكان على إنجاز سكنات لائقة في المحيط الريفي عن طريق البناء الذاتي وهو يخضع إلى تقديم إعانات مالية لفائدة سكان الأرياف من طرف الصندوق الوطني للسكن تتراوح 40 و50 مليون سنتيم حسب الدخل لبناء سكن جديد، و25 مليون سنتيم للتهيئة أو توسيع مسكن موجود وهو موجه غلى فئات المجتمع المتوسطة، والذي جاء امتداد لتطبيق المرسوم التنفيذي رقم 03-369 المؤرخ في 7 أوت 2003 (المرسوم التنفيذي رقم 03 ــ 369، 2003، ص10).

2.وضعية السكن في إطار المخطط التكميلي لدعم النمو الاقتصادي (2004-2009):

خصص لهذا البرنامج 4202.7 مليار دينار موزعة على كل القطاعات، أما فيما يخص قطاع السكن فقد استفاد من ميزانية قدرت بـ 555 مليار دينار، بما يقارب 29.08% خصص كبرنامج لتحسين حياة السكان قصد إنشاء مليون وحدة سكنية، ولقد كان الهدف من هذا المخطط تقييم مستويات العجز في السكن على مستوى البلديات والدوائر والولايات بهدف تغطية العجز في مدة لا تتجاوز 5 سنوات(سلمى مميش، 2017، ص8).

تشير البيانات الإحصائية الصادرة عن وزارة السكن والعمران والمدينة إلى أن وضعية السكن عرفت تقدما ملحوظ، ويرجع ذلك حسب مراقبين إلى حالة الاستقرار التي عرفتها البلاد من الناحية الأمنية إضافة إلى ارتفاع عائدات البترول وهو ما دعم وتيرة الإنجاز، إضافة إلى سياسة التي توليها الحكومة الجزائرية للسكن من خلال دعم المشاريع السكنية وتولي مسؤولية الإنجاز، إذ بلغت الحضيرة السكنية في الجزائر حوالي 20450023 وحدة سكنية منجزة في المخطط الخماسي المذكور أعلاه (وزارة السكن والعمران والمدينة، 2019)، تتوزع وفق الجدول التالي:

الجدول رقم (1): وضعية السكنات في المخطط الخماسي 2004-2008

السنوات	التساهمي الإيجاري	التساهمي الاجتماعي	البيع بالإيجار	الترقوي	البناء الذاتي	الوضعية الحضرية	الريفي	المجموع
2004	72850	25028	49115	38068	0	185061	49607	419729
2005	112053	84184	0	3837	0	200074	132765	532913
2006	38698	57538	2696	5558	39160	143641	137017	424308
2007	35145	32288	4941	5558	28647	110609	78852	296040
2008	67053	43736	837	7956	26637	146219	79595	372033

المصدر: من إعداد الباحث باعتماد وثائق من وزارة السكن والعمران والمدينة.

من خلال الشواهد الإحصائية المبينة أعلاه، يلاحظ جليا أن قطاع السكن أحرز تقدما من خلال الإنجازات التي بلغت حوالي 20450023 وحدة سكنية طيلة فترة الخماسي الممتدة من 2004-2008

وقد سجلت أعلى معدلات الإنجاز بشكل عام في السنوات الثلاث الأولى من 2004 إلى غاية 2007 إذ سجل أعلى معدلات إنجاز في سنة 2005 إذ بلغت عدد السكنات

المنجزة بحوالي 532913 وحدة سكنية، فيما سجلت سنة 2006 ثاني نسبة والقدرة 424308 وحدة سكنية، لتشهد انخفاض محسوس على مستوى السكنات سنة 2004 والبالغ عددها حوالي 419729 وحدة سكنية، لتتراجع نسبيا سنة 2008 بمجموع 372033 وحدة سكنية، لتتراجع مرة ثانية سنة 2007 إذ سجلت 296040.

وما يمكن ملاحظته كذلك بناء على الإحصائيات المقدمة أن أعلى معدلات الإنجاز عرفها السكن التساهمي الإيجاري بلغ أعلى معدلاته سنة 2005 بوتيرة إنجاز بلغت **112053**، ليتراجع سنة 2008 عند 67053 وحدة سكنية عند سنة 2008.

أما السكن التساهمي الاجتماعي عرف هو الآخر تطورا ملحوظ في سنة 2005 حوالي **84184** وحدة سكنية، في حين بلغ سنة 2008، حوالي **43736** وحدة سكنية.

على خلاف السكن الإيجاري عرف أعلى معدلات الإنجاز سنة 2004 إذ بلغت السكنات حوالي **49115** وحدة سكنية فيما عرفت صيغت السكن الإيجاري تراجع سنة 2008 بعدد يقارب **837** وحدة سكنية.

أما السكن الترقوي فعرف هو الآخر تقدم ملحوظ في ميدان الإنجاز إذ بلغ سنة 2004 حوالي **38068** وحدة ليتراجع سنة 2008 إذ بلغت أعداد المساكن ما يقارب **7956** وحدة سكنية.

على خلاف **البناء الذاتي** الذي لم يكن ضمن أولويات وبرامج الحكومة من 2004 حتى سنة 2006 إذ سجل **39160** وحدة، فيما سجل ارتفاع سنة 2008 وبلغ **26637** وحدة سكنية بسبب ارتفاع حجم الإعانات.

أما السكن الريفي فقد سجل هو الآخر قفزة نوعية إذ بلغ سنة 2004 حوالي**49607** وحدة سكنية فيما ارتفعت سنة 2008 إلى **79595** وحدة سكنية**.**

ومن خلال البيانات الرسمية المتحصل عليها من وزارة السكن والعمران، يمكن أن نقدم قراءتنا التحليلية لوضعية السكن والإسكان المعبر عنها في برنامج السكن الخماسي الممتد من 2004-2008 من زوايا بناء على السياق التاريخي والنظري والمعرفي لظاهرة محل الدراسة وتجدر الإشارة أننا حاولنا التركيز على قيمتين عدديتين نحاول من خلالها تقديم صورة عن وضعية السكن تمكننا من فهمها فهما بسيطا وفق نسق نظري ومنهجي محكم يفسر السياقات التي ظهرت فيها برامج السكن التي تبنتها الحكومة الجزائرية على النحو التالي:

ـــمن ناحية السياق المجتمعي يمكن أن نفسر هذا الارتفاع المحسوس بشكل عام انطلاقا من الجانب الأمني واستقرار الأوضاع في الجزائر ما جعل المناخ الاقتصادي في الجزائر يستقر نوعا ما خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001 وتغير خريطة العالم السياسية من خلال تجربة الجزائر والإرهاب، وانعكاساتها الإيجابية ما جعلها محطة أنظار العديد من الشركات خاصة الشركات الكبرى التي حاولت ان تنقل تجاربها الإسكانية إلى الجزائر هذا من جهة، إذ يؤكد الخبراء والمختصين على أن نجاح برمج التنمية مقرون بمدى انتشار الأمن والسلام.

ـــ إضافة أن أحداث برجي أمريكا سنة 2001 ساعدت على ارتفاع أسعار البترول في الأسواق العالمية وقد كان السبب المباشر في بروز دور جديد للجزائر في منظمة الأوبيك إذ عملت على إعطاء الحيوية للمنظمة برفع معدلات الإنتاج اليومية والتحكم في الأسعار بتنسيق الجهود الدولية للمنظمة، وهذا من شأنه أن يساهم بشكل عام في انتعاش شريان الحياة الاقتصادية للدولة الجزائرية على اعتبار أن الاقتصاد الوطني ريعي بالدرجة الأولى ويعتمد على 98% من عائدات البترول وقد انعكس ذلك جليا على حيوية الخزينة العمومية، وإطلاق برنامج الإنعاش الاقتصادي 2004-2009، عن طريق ضخ الأموال في البنوك وتخصيص ميزانيات محترمة للقطاعات السيادية خاصة وزارة السكن والعمران من خلال إطلاق برنامج استعجالي يخص السكن والإسكان.

ـــ وجود إرادة سياسية لدى الدولة الجزائرية من خلال تبنيها للعديد من المواثيق والاتفاقيات الدولية والتي من خلالها حاولت تدارك النقص الفادح في السكن وعملت على تعويض النقص المتعلق بالحضيرة السكنية، والتي بموجبها التزمت بتوفير السكن اللائق للمواطنين من خلال العديد من الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية العهد من خلال التوقيع على برتكول تعاون سنة 2004، كما قدمت الجزائر تقريرا مفصلا للمبعوثة الأممية حول وضعية السكن الإسكان في الجزائر.
ـــ أما من الناحية التشريعية والتنظيمية فقد سارعت الدولة الجزائرية إلى إطلاق سلسلة من الإصلاحات المتعلقة بقطاع السكن مثل المرسوم التنفيذي رقم 03-369 والمرسوم التنفيذي رقم 94-98، حيث فتحت الأبواب للمبادرات الفردية والقطاع الخاص وتبنت سياسة السكن من خلال التدخل المباشر في إنجاز قطاع السكنات قصد التخفيف من تكاليف الإنجاز، أو عن طريق مؤسسات ذات طابع عمومي مثل

ديوان الترقية والتسيير العقاري، إضافة إلى صدور مراسيم تتعلق بصناديق الإسكان التي وجهت إعاناتها للفئات المتوسطة، كما أعطت الدولة أولوية للملكية الفردية من خلال تقديم إعانات وتحفيزات تساعد المستفيدين على امتلاك المساكن من خلال الصندوق الوطني للسكن والوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره.

ـــ أما من الناحية الاجتماعية فقد كان المواطن الجزائري محور التنمية الاجتماعية التي باشرتها الحكومة الجزائرية من خلال توفير مسكن يتلاءم وقدراته المالية وسعيا منها إلى تمليكه، وتوفير المرافق والرفاه الاجتماعي له، من خلال إطلاق برامج سكنية بمختلف الصيغ والتي تعمل من خلالها إلى تقليص العجز بما يتوافر مع الإمكانيات المادية والبشرية للدولة وما يتواءم مع تطلعات المواطنين من خلال التقليل من طلباتهم للسكن نتيجة النمو الديمغرافي التي عرفه المجتمع الجزائري نتيجة ارتفاع في نسبة المواليد والخصوبة.

ـــ ملائمة التركيبة الجغرافية والجيولوجية لبرامج السكن، من أجل تصميم نماذج تتوافق مع النمط المعماري الجزائري، كعامل يساعد على تبني سياسة إسكانية طبقتها الحكومة الجزائرية، وتوفر العقار الفلاحي كذلك عامل مهم جدا استرجعت الدولة الأرضي بموجبها وخصصت لإطلاق البرامج السكنية بقوة القانون إضافة إلى تقديم تحفيزات وتسهيلات للمرقين العقاريين من تولي مسؤولية الانجاز.

ـــ إعطاء الحكومة الجزائرية الأهمية لقطاع البناء والسكن نتيجة النمو الديمغرافي بشكل عام، كما أنه يساهم في تنشيط الاقتصاد الوطني عن طريق رفع معدلات التشغيل العام من اليد العاملة المؤهلة والرخيصة مقارنة مع العمالة الأجنبية والتي ساهمت في تراجع معدلات البطالة في المجتمع الجزائري بوجه عام.

3.الحظيرة السكنية في إطار مخطط توطيد النمو الاقتصادي 2010-2014:

تجدر الإشارة أننا حاولنا من خلال هذا العنصر تفادي التكرار في صيغ السكنات لأننا تطرقنا لها في العنصر المادي فركزنا على السكنات المنجزة من خلال تقديم قراءة تحليلية معمقة استقيناها من قاعدة البيانات المتوفرة على مستوى وزارة السكن والعمران والمدينة.

وبعد اطلاعنا على برنامج تنفيذ عمل الحكومة من 2010- 2014 والمتوفرة في الموقع الرسمي للوزارة الأولى يلاحظ أن الحكومة الجزائرية خصصت ميزانية 21803 مليار دينار جزائري من أجل إنجاح البرنامج بشكل عام، وقد استفاد قطاع السكن بوجه خاص من ميزانية قدرها 3700 مليار دينار أي بنسبة قدرها

16.97% قصد إنشاء مليوني سكن وتسليم 1.2 مليون وحدة سكنية، وبذلك قد استفاد قطاع السكن من أكبر غلاف مالي منذ الاستقلال بعد قطاع الأشغال العمومية والنقل، وقد أولت الحكومة الجزائرية اهتمام كبير بهذا القطاع واعتبرته قطاع استراتيجي يوفر خدمة اجتماعية ويحقق مكاسب اقتصادية (سلمى مميش، 2017، ص 8)

وتشير البيانات الإحصائية المتحصل عليها من وزارة السكن والعمران والمدينة، أنه تم توزيع حوالي 21000000 وحدة سكنية مابين 1999- 2011 بمختلف الصيغ، وقد سعت السلطات من ورائها إلى تحقيق العديد من الأهداف:

-التركيز على الطبقات الاجتماعية الهشة من خلال التمويل الكامل لبرامج السكن، أو من خلال تدعيم أسعار الإيجار (أسعر إيجار رمزية).

-تقديم مساعدات مالية من قبل الدولة عن طريق مشاركة البنوك في التمويل العقاري.

-تنويع العرض في السكنات من خلال خلق أنماط سكنية جديدة.

-تحسين نوعية المساكن من خلال التحسين لنوعية البناءات المنجزة.

وقد ظهرت العديد من صيغ السكن في هذه المرحلة كما يشير الجدول أدناه:

الجدول رقم (2): توزيع السكنات بمختلف الصيغ من 2009 -2012

السنوات	العمومي الإيجاري	الإجتماعي التساهمي	البيع بالإيجار	السكن الترقوي	السكن الريفي
2009	55550	23607	0	10808	70853
2010	61316	10737	2080	8159	70853
2011	74317	24962	2749	11040	130012
2012	175044	48464	1895	12439	213740
المجموع	366227	107770	6724	42446	485458

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على على احصائيات وزارة السكن والعمران

من خلال الشواهد الإحصائية المبينة أعلاه، يلاحظ جليا أن قطاع السكن أحرز تقدما من خلال الإنجازات التي بلغت حوالي 1008625 وحدة سكنية طيلة الفترة الممتدة من 2009- 2012

وقد سجلت أعلى معدلات الإنجاز للسكنات بشكل عام في السنة 2009 فيما يخص **السكن الريفي** إذ بلغت عدد السكنات المنجزة بحوالي 70853 وحدة سكنية، وقد حافظت على نفس النسبة سنة 2010 فيما سجلت سنة 2011 حوالي 130012 وحدة سكنية، لتشهد ارتفاع محسوس على مستوى السكنات سنة 2012 والبالغ عددها حوالي 213740 وحدة سكنية، لتحتل الصدارة بمجموع قدره **485458** وحدة سكنية.

وما يمكن ملاحظته كذلك بناء على الإحصائيات المقدمة أن أعلى معدلات الإنجاز عرفها السكن **العمومي الإيجاري** بلغ أعلى معدلاته سنة 2009 بوتيرة إنجاز بلغت 55550، ليرتفع سنة 2010 إلى 61316 وحدة سكنية، فيما عرف تطور ملحوظ سنة 2011 بلغ 74317 وحدة سكنية، ليستقر عند أعلى رقم فيما يخص الإنجاز سنة 2012 والبالغ عدده **107770** وحدة سكنية.

أما السكن **الاجتماعي التساهمي** فعرف هو الآخر تقدم ملحوظ في ميدان الإنجاز، مقارنة مع السنوات الماضية، إذ بلغ سنة 2009 حوالي 23607 وحدة سكنية، ليتراجع سنة 2010 إذ بلغت أعداد المساكن ما يقارب 10737 وحدة سكنية، ليرتفع بعد ذلك سنة 2011 وقد بلغ حوالي 24962 وحدة سكنية، ليحافظ على ارتفاع وتيرة الإنجاز حيث بلغ سنة 2012 حوالي 48464 وحدة سكنية، أي بمجموع عام قدره **107770** وحدة سكنية.

على خلاف البيع بالإيجار الذي لم يكن ضمن أولويات وبرامج الحكومة من 2009 إذ لم تبنى ولو شقة، فيما سجل سنة 2010 حوالي 2080 وحدة سكنية، فيما سجل ارتفاع سنة 2011 بلغ حوالي 2749 وحدة سكنية، ليستقر في 2012 عند 1895 وحدة سكنية أي بمجموع عام قدره **6724** وحدة سكنية.

أما السكن الترقوي فقد سجل هو الآخر قفزة نوعية إذ بلغ سنة 2009 حوالي 10808 وحدة سكنية ليتراجع سنة 2010 إلى 8159 وحدة سكنية، ويشهد ارتفاع سنة 2011 إذ بلغ حوالي 11040 وحدة سكنية، ليحافظ على القفزة النوعية سنة 2012 إذ بلغ 12439 وحدة سكنية أي بمجموع عام قدره **42446** وحدة سكنية.

ومن خلال البيانات الرسمية المتحصل عليها من وزارة السكن والعمران، يمكن أن نقدم قراءتنا التحليلية لوضعية السكن والإسكان المعبر عنها في برنامج السكن الخماسي الممتد من 2009-2012 من زوايا متعددة بناء الأدبيات والمعارف النظرية لظاهرة محل الدراسة وتجدر الإشارة أننا حاولنا التركيز على قيمتين

عدديتين فقط نحاول من خلالها استنطاق الأرقام عن طريق تقديم صورة عن وضعية السكن تمكننا من فهمها فهما بسيطا وفق نسق نظري ومنهجي محكم يفسر السياقات التي ظهرت فيها برامج السكن التي تبنتها الحكومة الجزائرية على النحو التالي:

ـــ من الناحية لأمنية يمكن أن نفسر التقدم في الانجاز بشكل عام انطلاقا من استقرار الأوضاع في الجزائر ونهاية الحرب الأهلية نتيجة توقيف المسار الانتخابي سنة 1991، ما جعلها تقوم بدور على المستوى الإقليمي والدولي ونقل التجربة الجزائرية في ميدان مكافحة الإرهاب، وتقديمها للعديد من مبادرات السلام وحل أزمة الساحل بشمال مالي في الجزائر ما جعلها تستقطب كبرى الشركات في مجال المال والأعمال خاصة الشركات الكبرى للإسكان مثل شركة إعمار الإماراتية، فعامل الاستقرار زاد في وتيرة التنمية بالجزائر، إذ خصصت ميزانيات معتبرة لقطاع السكن لم يشهدها مند الإستقلال.

ـــ إضافة إلى تفتح الدولة على التجارب الرائدة في قطاع الإسكان ومحاولة التكيف مع الأسواق العالمية وسوق العقار، إذ عملت على تحيين المنظومة التشريعية انتعاش شريان الحياة الاقتصادية للدولة الجزائرية على اعتبار أن الاقتصاد الوطني ريعي بالدرجة الأولى إطلاق برنامج النمو الاقتصادي 2010-2014 عن طريق ضخ الأموال في البنوك وفتح الاستثمار في الرهن العقاري وتقديم المساعدات والقرض للفئات الهشة.

ـــ توجهات سياسية جديدة لدى الدولة الجزائرية حاولت من خلالها تدارك النقص الفادح في السكن وحل مشكل الإسكان عن طريق إنجاز حوالي مليوني سكن وتوزيع حوالي 1.2 مليون وحدة سكنية، والتي بموجبها التزمت الدولة بتدعيم الحظيرة السكنية بالجزائر.

ـــ أما من الناحية التشريعية والتنظيمية فقد سارعت الدولة الجزائرية إلى إطلاق سلسلة من الإصلاحات المتعلقة بقطاع السكن مثل المرسوم التنفيذي رقم 04-137 المؤرخ في 17 أفريل 2004 والمعدل والمتمم للمرسوم التنفيذي رقم 01-105 المؤرخ في 21 أفريل 2001 والمحدد لشروط شراء المساكن المنجزة بأموال عمومية في إطار البيع بالإيجار أو مصادر بنكية أو تمويلات أخرى في إطار البيع بالإيجار إضافة إلى مجموعة من القوانين مثل المرسوم التنفيذي رقم 04-340

المؤرخ في المؤرخ في 2 نوفمبر 2004، والمرسوم التنفيذي رقم 12-432 المؤرخ في 25 ديسمبر 2012 وكلها متعلقة بشراء المساكن المنجزة بأموال عمومية، حيث فتحت الأبواب لمضاعفة المساعدات من قبل السلطات الجزائرية للفئات الهشة الغير قادرة على بناء مسكن أو شراء قطعة أرض وتبنت سياسة السكن من خلال التدخل المباشر في إنجاز قطاع السكنات قصد التخفيف من تكاليف الإنجاز، عن طريق المرقيين العقاريين والشركات الدولية للبناء وهو ما حدث في مشاريع عدل 1 وعدل 2 سنة 2001 و2002 على التوالي، كما أعطت الدولة أولوية للملكية الفردية من خلال تقديم إعانات وتحفيزات تساعد المستفيدين على امتلاك المساكن من خلال الصندوق الوطني للسكن والوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره.

ـــ أما من الناحية الاجتماعية فقد كان المواطن الجزائري متوسط الدخل محور التنمية الاجتماعية التي باشرتها الحكومة الجزائرية منذ 1999 من خلال توفير مسكن يتلاءم وقدراته المالية وسعيا منها إلى تمليكه، وتوفير المرافق و الرفاه الاجتماعي له، من خلال إطلاق برامج سكنية بمختلف الصيغ مثل برامج عدل السالفة الذكر وبرامج السكن التساهمية والترقوية والتي تعمل من خلالها إلى تقليص العجز بما يتوافر مع الإمكانيات المادية والبشرية للدولة وما يتواءم مع تطلعات المواطنين من خلال التقليل من طلباتهم للسكن نتيجة النمو الديمغرافي التي عرفه المجتمع الجزائري نتيجة ارتفاع في نسبة المواليد والخصوبة.

ـ تخصيص العقار الفلاحي لإنجاز السكنات، من أجل تصميم نماذج تتوافق مع النمط المعماري الجزائري، كعامل يساعد على تبني سياسة إسكانية طبقتها الحكومة الجزائرية، وتوفر العقار الفلاحي عامل مهم جدا استرجعت الدولة الأرضي بموجبها وخصصت لإطلاق البرامج السكنية بقوة القانون إضافة إلى تقديم تحفيزات وتسهيلات للمرقين العقاريين من تولي مسؤولية الانجاز.

ـــ إعطاء الحكومة الجزائرية الأهمية لقطاع البناء والسكن نتيجة النمو الديمغرافي بشكل عام، كما أنه يساهم في تنشيط الاقتصاد الوطني عن طريق رفع معدلات التشغيل العام من اليد العاملة المؤهلة والرخيصة مقارنة مع العمالة الأجنبية والتي ساهمت في تراجع معدلات البطالة في المجتمع الجزائري بوجه عام.

4.تجسدات أزمة السكن والإسكان في الجزائر:

بعد تعرضنا للسياق المعرفي للظاهرة محل الدراسة في الفترة الممتدة من 1999 إلى 2014 والتي حاولنا من خلال الوصول إلى فهم معمق لظاهرة الإسكان في الجزائر من خلال استنطاق الأرقام وإيجاد تفسير علمي لها، بناء على الشواهد الإمبريقية المتوصل إليها حاولنا تشخيص الواقع الفعلي للظاهرة محل الدراسة انطلاقا من تقديم بعض الاستنتاجات العامة المتوصل إليها من خلال المعالم العامة لأزمة الإسكان وبعد اطلاعنا على مختلف المشاريع المخصصة لتنفيذ عمل الحكومة والميزانيات الضخمة المخصصة لبرامج السكن والإسكان بالجزائر مند 1999-2014 توصلنا إلى ما يلي:

-رغم الإعتمادات المالية الضخمة والمخصصة لقطاع السكن إلا أنه يعاني بشكل عام من نقص كبير فيما يتعلق بالعرض الإسكاني.

-ارتفاع تكاليف إنجاز السكنات بشكل عام أصبح يمثل عبئ أرهق كامل الخزينة العمومية وهو ما يتجسد في الإعانات المقدمة من الصندوق الوطني للسكن.

-وجود مشكل يتعلق بالعقار الفلاحي من أجل بناء سكنات للمواطنين خاصة مكتتبي عدل 1 في 2001 وعدل 2 في 2002.

-وجود اختلال صريح وواضح المعالم بين العرض والطلب في سوق الإسكان بالجزائر.

-وجود مضاربة في سوق العقار وارتفاع أسعار السكنات أصبح يمثل عائق أمام المواطنين للحصول على سكن وامتلاكه مقارنة مع المداخيل الضعيفة للأسر.

-اعتماد المواطنين على إعانات الدولة وعلى الصناديق الوطنية للسكن زاد من حدة الأزمة الإسكانية مقارنة مع الإنجازات المقدرة بمليوني وحدة سكنية.

-انتشار الأحياء الفقيرة والهامشية عمق في أزمة الإسكان وانتشار الفوضى، إذ لم تنظم الدولة السكنات المبنية والتي أصبح مضطرة لهدمها فيما بعد وتحمل أعباء الهدم والبناء بحيث تضاعفت التكاليف.

-تقديم امتيازات كبيرة للمرقيين العقاريين ساهم في رفع المضاربة والأسعار وساهم بشكل كبير في تعميق أزمة السكن.

-تأخر وتيرة الإنجاز للسكنات، أثر على نوعيتها وزاد في سعر السكنات وعمق مشكلة الإسكان مثل برامج عدل وانسحاب العديد من الشركات ووقوع مشاكل لدى المكتتبين.

5.آفاق السياسة السكنية و تداعيات انهيار أسعار المحروقات ما بين2015-2019:

بعد انتهاج الحكومة الجزائرية للعديد من المخططات والسياسات العامة في مجال السكن وعلى الرغم من المبالغ الخيالية التي استفاد منها القطاع، إلا أنها أظهرت العديد من العيوب على حد تعبير الخبراء والمتخصصين، وعجزت عن تقديم بدائل حقيقية لأزمة السكن، في ظل وجود العديد من الإرهاصات والمتعلقة أساسا بتراجع أسعار البترول والتي تمثل 98% من مداخيل الخزينة العمومية، إذ عجزت هذه الأخيرة عن إيجاد بديل للاقتصاد الوطني وتحذيرات الخبراء متواصلة بانهيار الاقتصاد الجزائري إذا استمرت الحكومة في عدم التطبيق الفعال للحلول الكفيلة بالنهوض، وسنلجأ للاستدانة الخارجية مجددا، وقد تبنت الدولة برنامجا للتنمية عرف بالنموذج الاقتصادي الجديد Le neveau modèle économique والذي يحمل أبعاد استشرافية، لإيجاد بدائل عن المحروقات.(Made in algeria ,les banques algériennes commencent à prendre le relaisdans le (financement du legement www ; made in algeria , com

6.البرامج والإنجازات المتوقعة في مجال السكن خلال 2015-2019:

عملت الحكومة الجزائرية على انتهاج سياسة جديدة والتوجه نحو اقتصاد السوق فيما يتعلق بقطاع السكن، بهدف تنويع المعروض السكني، وإيجاد بدائل لأزمة السكن، لذلك عملت السلطات على توفير كل الوسائل وتنويع الصيغ السكنية قصد تلبية طلبات جميع المرشحين المؤهلين وحل أزمة السكن في نهاية 2019، وذلك من خلال توزيع 800000 سكن عمومي إيجاري، و400000 سكن بالإيجار و 400000 سكن ريفي(وزارة الكن والعمران والمدينة، 2015، ص3-8).

أما فيما يتعلق بالمساعدات المالية المقدمة للقطاع فتتمثل في مبلغ مالي قدره 1000000 دج مخصص لملكية المنازل، أو لإعادة التأهيل أو التمديد، وتخفيض القيمة السوقية من 80 إلى 95% للمساكن المدعمة، وتخفيض القيمة السوقية لسكنات LPP من 60 إلى 95% حسب الموقع الجغرافي وعلى حسب التقدم في الإنجاز، أما فيما يخص بالسكن الريفي تصل الإعانات إلى 100 مليون سنتيم أما في ولايات الجنوب 70 مليون سنتيم، إضافة إلى تسهيل الإجراءات خاصة الحصول على رخصة البناء والإعانات المتعلقة بالسكن الريفي وتقديم دفعتين بدل

ثلاث دفعات، واستبدال كلمة الملكية بالحيازة في المناطق غير المساحية، وبموجب هذه الإجراءات أعلن وزير السكن والعمران والمدينة بتاريخ 3 فيفري 2015 عن صيغة جديدة تمثلت في البناء الذاتي، والتي تعطي فرصة للمواطنين للحصول على سكن في مقر إقامتهم بعد حصولهم على الإعانة المالية وهي مخصصة لسكان الريف والجنوب، إلى جانب مشاركة المواطن في تمويل السكن مما يقلل حجم تمويل الدولة للسكنات، إضافة إلى تعزيز سوق العقارات في تمويل السكن وتطوير الإئتمان العقاري.

7.التسهيلات الإدارية المتخذة في قطاع السكن مابين 2015-2019:

عملت الحكومة الجزائرية على تبسيط الإجراءات المتعلقة بالسكن، وذلك من خلال جملة القرارات الاحترازية والتي في مجملها كانت لفائدة المواطنين بالدرجة الأولى، إضافة إلى محاولة التقليل من العبء المالي على الخزينة العمومية ومراقبة حركة الأموال الموجهة إلى الإعانات وصناديق الإسكان، ومن بين الإجراءات التي شددت وزارة السكن على اتخاذها في الفترة الممتدة مابين 2015-2019.

الشفافية في تخصيص السكن: وذلك من خلال البطاقية الوطنية للسكن التي أنشأتها وزارة السكن والعمران والمدينة، قصد الرقابة الصارمة والموثوق بها لإرساء العدالة الاجتماعية في توزيع المساكن، وفق المرسوم التنفيذي رقم 08- 142 المؤرخ في 11 ماي 2008، وتشمل القرارات المتعلقة بتخصيص السكن، كما يحدد الملف جميع الطلبات وطنيا، والكشف عن مقدمي الطلبات غير المؤهلين التي بحوزتهم مساكن أو استفادت من إعانات حكومية أولديهم أراضي لبنائها، حيث يتم استبعادها مباشرة. (مميش سلمى، 2017، ص16).

تحسين الرفاه المعيشي للمواطن: حيث وضعت الحكومة راحة المواطن ضمن أولويات هذا البرنامج، وقد دعت إليها وزارة السكن والعمران والمدينة، وربطتها بمعدل إشغال المسكن، حيث وصلت الحضيرة السكنية في نهاية 2014 إلى 8325186 وحدة سكنية ومن المتوقع أن تصل سنة 2019 إلى 9900000 وحدة سكنية، أي بزيادة قدرها 18.92 %، وبالتالي ستتحسن ظروف السكن حسب تقديرات الديوان الوطني للإحصائيات. (الديوان الوطني للإحصائيات،2017، ص 6)

القضاء على السكن الفوضوي والهش: حيث تهدف من خلال هذا البرنامج إلى تقليل المخاطر حيث وصل عدد السكنات الهشة 561000 وحدة سكنية، يتوقع القضاء عليها في الفترة الممتدة مابين 2015-2019، وتعويضه بمساكن اجتماعية للإيجار تمولها الدولة كاملة، و182000 وحدة تتطلب تأهيل، بمساعدات مالية تصل غلى 700000 دج لكل وحدة سكنية، حيث وصلت الإعانات المقدمة من قبل الدولة سنة 2015 إلى 95000 مساعدة.

تحسين نوعية البناء:بما أن حياة المواطنين ضمن أولويات هذا البرنامج فقد سعت الدولة إلى تحسين نوعية المسكن، من خلال جودة المواد وتقنيات البناء، وتوفير المرافق والخدمات العامة، وتزويد السكنات بوسائل الراحة، مع إلغاء السكنات ذات الغرفة الوحيدة أو الغرفتين مما يسمح بإقامة أكثر اتساعا، إضافة إلى ضرورة مراعاة التصاميم الحديثة في البناء والأخذ في الحسبان الجوانب المناخية والجغرافية وحتى الثقافية منها، حيث صدر مرسوم تنفيذي في 2014 يحدد أنظمة التخطيط الحضري.(وزارة السكن والعمران والمدينة، 2015، ص4-8).

خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن القول أن قطاع السكن يعتبر قطاع مهم يدعم باقي القطاعات الأخرى، كما أنه يلبي الاحتياجات السكنية للسكان من جهة أخرى، وبالتالي يحتاج هذا القطاع إلى عملية ضبط وتوجيه من خلال جملة من الإصلاحات والبرامج والسياسات التي تبنتها الحكومة الجزائرية قصد تحقيق التوازن بين حجم السكان والاحتياجات السكنية للتخفيف من حدّة المشكلة الإسكانية.

قائمة المراجع:

1. بوستة إيمان(2015). قواعد تدخل الصندوق الوطني للسكن في مجال الدعم المالي للأسر، مجلة المفكر، االمجلد 2، العدد 1.
2. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: الصادرة بتاريخ 29 أفريل 2001، العدد 25.
3. الديوان الوطني للإحصائيات: نشرية جويلية 2017.
4. الديوان الوطني للإحصائيات: نشرية حول السكن والإسكان، جويلية 2000.
5. سلمى مميش(2017). اقتصاد السكن في الجزائر، مجلة العلوم الإدارية والمالية، العدد 1، المجلد1.
6. مجلس حقوق الإنسان .(2009). تقرير الجمعية العامة الأمم المتحدة، الدورة التاسعة، البند الثالث من جدول الأعمال.

7. المرسوم التنفيذي رقم 01-105: المؤرخ في 23 أفريل 2001، المواد من 6-8.
8. المرسوم التنفيذي رقم 03-369 المؤرخ في 7 أوت 2003.
9. المرسوم التنفيذي رقم 94-308: المؤرخ في 4 أكتوبر 1994، المادة 2.
10.وزارة السكن والعمران والمدينة .(2011). مجلة السكن، العدد 2.
11.وزارة السكن والعمران والمدينة: الموقع الرسمي، يوم 14 ديسمبر 2019 على الساعة 15.30.
12.وزارة السكن والعمران والمدينة: مخطط تنفيذ عمل الحكومة، الجزائر، 2015.
13.وزارة السكن والعمران والمدينة: مخطط عمل الحكومة، سبتمبر 2015.
14.El koraia : logement AADL en Algérie vu le 24 décembre 2019 à 21 : 35 , www :elkeria ;dz
15.El mowatin Logement : L'Algérie mise sur la diversification de ses partenaires étrangers ,vu le 24 décembre 2019 à 21 : 30 , www/ elmowatin ;dz.
16.Made in algeria ,les banques algériennes commencent à prendre le relaisdans le financement du legement vu le 24 décembre 2019 à 23h www ; made in algeria , com

تقاطعات الرحلة والتاريخ من خلال مراجعة الترجمة العربية لكتاب، الرحالة الفرنسيون في بلاد المغرب (من القرن السادس عشر إلى ثلاثينات القرن العشرين) لصاحبه رولان لوبيل / تعريب حسن بحراوي، الطبعة الأولى2017، دار الأمان، الرباط، المغرب.

Roland lebel: The French travelers to Morocco. Moroccan Exoticism in Travel Naratives, Roland le bel (Paris: Colonial and Orientalist Bookstore Larose, 1936), 406p.

د.ربيع رشيدي، أستاذ باحث في التاريخ الديني والأنثربولوجية الثقافية الرباط-المغرب

ملخص: يعتبر كتاب الرحالة الفرنسيون في بلاد المغرب لصاحبه رولان لوبيل (Roland le belle)، المترجم حديثا إلى اللغة العربية على يد الناقد المغربي حسن بحراوي، مصدرا مهما من مصادر التاريخ المغربي لما يحتويه من أحداث تاريخية سياسية واجتماعية وثقافية، فقد حاول صاحبه الإحاطة بجميع الرحلات الفرنسية إلى المغرب مابين القرن الخامس عشر الميلادي والربع الأول من القرن العشرين، ورغم خلفيات صاحبه الذي كان محاضرا في معهد الدراسات العليا بالرباط (Institute of High Moroccan Studies) خلال ثلاثينيات القرن الماضي، أمام طلابه الذين اختلفت مشاربهم من ضباط الاستعلامات، ومراقبين عامين وأطر إدارة الحماية حيث ستوكل إليهم مهام إدارية سامية، إلا أن الكتاب يعد مصدرا لا مناص عنه بالنسبة للباحثين في العلوم الاجتماعية وبخاصة التاريخ والأنثروبولوجيا، فصاحبه الذي أعده انطلاقا من أبحاث ميدانية سيكون له السبق في مقاربة مواضيع كان مسكوتا عنها ولم يسبق لأحد تناولها، اللهم من باب تناولها في إطار الأدب العجائبي الكولونيالي، يجول بنا رولان لوبيل عبر أرجاء المغرب من خلال تسليط الضوء على رحلات غنية بمعلومات همت الجانب الاجتماعي والسياسي والثقافي لهذا البلد من خلال إماطة اللثام على مواضيع حساسة كما هو الحال بالنسبة للوضعية السياسية للمغرب خلال فترات الصراع حول الحكم، والحياة الخاصة لسلاطين الدولة العلوية كعلاقة السلاطين بحريمهم، وكذا معاناة الأقليات كالأسرى واليهود والمغضوب عنهم من طرف الدولة. كما أسهب صاحب الكتاب في وصف حالة المغرب مقارنة بدول الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط من خلال وضعية الجهاد البحري الذي كانت تمتهنه ساكنة سلا والتجاوزات التي قام بها القراصنة في حق الدول الجوار، وفي هذا الإطار يمكن الحديث انطلاقا من هذا الكتاب إن صاحبه عبر لطلابه عن حالة التجاوز التي ظل عليها المغرب خلال ستة قرون دون أن يصلح أحوال البلاد والعباد، إن الكتاب موضوع القراءة النقدية لا يمكن أن نرتاح إلى مضانه سيما وأن الفترة التي طبع فيها تزامنت مع احتلال فرنسا للمغرب كما لا يخفى انه أعد لا ضفاء المشروعية على المشروع الكولونيالي لدولة فرنسا.

الكلمات المفتاحية: الرحلات الفرنسية، الأدب الغرائبي، أدب الرحلة، الأسرى المسيحين، اليهود المغاربة، المخزن، الأدب السياحي، الأدب الحربي، الصحافة الحربية، القرصنة، الجهاد البحري.

Abstract: French Travelers to Morocco: Moroccan Exoticism in Travel Narratives by Roland Lebel (1936) is an important historical source as it lays very significant historical, political, social and cultural events. It provides accounts on almost all the French travels from the fifteenth century to the beginning f the twentieth century. Despite the author’s background as a lecturer in the Higher Institute of Moroccan Studies whose main concern was to train officials who would serve in the colonial administration later, this book remains an unavoidable reference for researchers in the field of humanities namely in history and anthropology. In this book, Roland Lebel explores many travel

narratives and unveils different delicate topics related to the political life in Morocco, the conflict over power, the private life of the Sultans (kings), the conditions of minority groups like Jews, war prisoners, and the oppressed. He also draws a comparison between the situation in Morocco and the Mediterranean area regarding the issues of peace and safety for sailors especially with the growing danger that was intrigued by the pirates from the Moroccan coast of Sali. However, this book should be read with a critical mind as it was written during the French colonialism of Morocco.

Keywords: French travels, exotic literature, travel narratives, Moroccan Jews, Almakhzen, war literature, war journalism, piracy, marine Jihad**.**

في سنة 2017 صدر عن دار الأمان بالرباط كتاب الرحالة الفرنسيون في بلاد المغرب (من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين) لصاحبه الفرنسي رولان لوبيل (Roland Le bill) مترجما إلى العربية، وقد صدر لأول مرة في نسخته الفرنسية الأصلية سنة 1936 بباريس، أما ترجمته إلى اللغة العربية فلم تتم إلا مؤخرا على يد الناقد المغربي حسن بحراوي. وهو كتاب من الحجم المتوسط يقع في حوالي ثلاث مائة وأربع وثلاثين صفحة؛ بين دفتيه مقدمتان إحداهما للمؤلف والأخرى للمترجم، وستة وعشرون فصلا كرونولوجيا، وجدول تاريخي بالمؤلفات المذكورة في متن الكتاب.

وأصل الكتاب، كما ورد على لسان صاحبه في المقدمة، عبارة عن محاضرات ألقاها على طلبته إذ ذاك في معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط (Institute of High Moroccan Studies) خلال ثلاثينيات القرن الماضي. وقد اختلفت مشارب هؤلاء الطلبة الذين كانوا في مجملهم من المراقبين المدنيين العامين، وضبّاط الاستعلامات، والشؤون الأهلية، وأطر إدارة الحماية بالمغرب الذين ستُوكل إليهم مهام إدارية سامية، ويقر صاحب الكتاب أن معظم فصوله أصلها أبحاث ميدانية ستهدف إلى صياغة دروس عن الأدب الغرائبي ـــ الكولونيالي وسيضيف إليها بعض العناصر الضرورية لاستكمال التدرج التاريخي للوقائع من أجل الربط بين أجزائها المتفرقة، وتقديمها بشكل متناسق.

يصنف هذا الكتاب ضمن جنس الأدب الغرائبي المتصل بالمغرب، والمتضمن في مؤلفات الرحالين الفرنسيين الذين زاروا المغرب، أو أقاموا فيه ما بين سنتي 1556و1935. وهؤلاء الرحالة في معظمهم ينتمون إلى فئات تشمل السفراء، والقناصل، ورجال الدين، والعبيد، والضباط، والجنود، والمستكشفين، والجغرافيين والتجار، والموظفين، والأدباء، والصحفيين، والسياح؛ وهو ما انعكس على مؤلفاتهم حيث يظهر أنها متباينة من حيث الجدة والموضوعية، فهي متنوعة بين الأخبار التوثيقية، والمقالات التصويرية، والذكريات، والمراسلات، وكنانيش الأسفار، والتحقيقات، والمذكرات اليومية إلخ، وتندرج جميع هذه الكتابات المختلفة شكلا ومضمونا؛ سواء كانت انطباعات سريعة لمسافر عابر، أو روايات موضوعية ناتجة عن إقامة طويلة في البلد بفعل الأسر، أو القيام بمهام السفارة، في عنوان عام هو أدب الرحلة.

يستهل رولان لوبيل كتابه برصد النصوص الرحلية الأولى في المغرب؛ وهي في الأصل رسائل ومذكرات مخطوطة ومحفوظة في أرشيفات المكتبات الوطنية الفرنسية، ويعود الفضل في

مراجعتها لهنري دوكاستري (H. De Castries) الذي انكبت جهوده على النبش في حفريات المصادر الغميسة لتاريخ المغرب(Les sources inédites de l'histoire du Maroc) ويؤكد صاحب الكتاب أن ما ألفه هذا الأخير، أو غيره ممن كان لهم السبق في هذا المجال لا يعدو أن يكون مقدمة، أو رابطا للمحاضرات التي سيلقيها في المركز السالف الذكر؛ مما يفيد أن هذه المحاضرات كانت أداة ووسيلة سيعتمدها الضباط، وموظفو إدارة الحماية استجابة لنظر المقيم العام ليوطي(Lyautey) الذي كان يسعى إلى ضرورة تزويد هذه الفئات بالحدّ المعقول من المعرفة باللّغات الرّائجة بالبلاد، والقدر الضّروري من تاريخها الاجتماعي والثقافي، بما في ذلك عادات وتقاليد السكّان وأنظمتهم القبلية و المخزنية وغيرها، بشكل يقلّل من اعتمادهم على المترجمين، ويسهّل مهامّهم في المناطق النّائية التي سيتمُ تعيينهم بها.

تأتي المؤلفات الرحلية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقدمة النصوص الرحلية، التي وظفها أو استشهد بها رولان لوبيل في محاضراته، باعتبارها النواة الأولى التي تدور في فلكها باقي الرحلات وأهمها مؤلفات جان موكي (J.Moqet) و جان أرمان (Jean Armand)، وفرنسوا دانجي (François D’Angers)، هذا الأخير كان له الفضل في تجميع الرحلات الأولى في كتاب موسوم بـ"تاريخ بعثة الرهبان إلى مملكة المغرب"، ولعل الرابط الأساس بينها كون أصحابها انكبوا على وصف عادات وتقاليد ساكنة المغرب الحديث، ومعاناتهم معهم ومع المخزن وكذا التطرق إلى الأمراض التي كانت تفتك بهم، كالطاعون، بالإضافة إلى رصد خطة ووقائع معركة وادي المخازن، ورصد الصراع حول الحكم بين الدولة العلوية والإمارات المناهضة للمشروع العلوي في بدايته الأولى أيضا، والصراع الذي اندلع بين أفراد الأسرة الحاكمة. كما تطرق هؤلاء إلى حيثيات افتداء الأسرى من لدن عائلاتهم، ومظاهر التعايش الذي ساد إذ ذاك بين المسلمين واليهود, والجدير بالذكر أن معظم الذين دونوا رحلاتهم خلال هذه الفترة، إما سقطوا كأسرى على يد أطقم الجهاد البحري السلاوي، أو كانوا مبعوثين للقيام بأعمال السفارة. ويختم صاحب الكتاب هذا الفصل بالتذكير بأهم رحلة عرفها تاريخ المغرب الحديث؛ ويتعلق الأمر برحلة السيد جيرمان موييت(G.Mouette) إلى المغرب سنة 1680 والتي سيعود إليها بالتدقيق في فصل لاحق.

ينتقل رولان لوبيل في فصل ثانٍ معنون "بسرود الأسر في المغرب" ويخلص فيه إلى أن معظم الأدب المتصل بالمغرب كان في بدايته مشكّلا من سرود الأسر، أو بعثات الافتداء، ونظرا لضخامة الإنتاج الأدبي في هذا الموضوع فإنه ركز على أجود دراسة تطرقت لمحنة السيد جيرمان موييت، وهو كتاب يعد ضمن أعمق الشهادات تأثيرا في حياة ومعاناة الأسرى الأجانب في المغرب، إن القاسم المشترك بين المؤلفات الرِّحْلية خلال هذه الفترة أنها تطرقت إلى معاناة الأسرى وواقع الجهاد البحري من خلال وصف الجانب المادي للأسطول، والجانب المعنوي للمجاهدين، والذخيرة الحربية التي كان يستخدمها هؤلاء، وأساليب المكر والخداع التي اعتمدوها للإطاحة بأساطيل بحرية رفيعة المستوى والتنظيم، كما تطرق هؤلاء إلى النهاية المأساوية التي كان يتعرض لها الأسرى؛ فمنهم من لقى نحبه، ومنهم من وجد نفسه عبدا عند السلطان كحارس شخصي سخرهم لخدمة مشاريعه العمرانية بمكناس في إطار السخرة، وحسب ذات المصادر

الرحلية فإن هذه الفئة كانت مادة دسمة لاغتناء المغاربة حيث تساق لتباع في المزاد العلني. أو من خلال افتدائهم بعد جمع الصدقات من لدن البعثات، أو توسط اليهود لفكهم. ومن جانب آخر لفت انتباه هؤلاء الرحالة نظام الزطاطة والنظام الاقتصادي السائد آنذاك بالمغرب إذ تحسر بعضهم، كما هو الحال مع الأب دو لامورسي (De La Mercy)، على الحالة المزرية التي كانت عليها الأراضي الفلاحية الواقعة بين فاس ومكناس مقترحا في ذلك الوقت أن تخصص لإنتاج الكروم. والجدير بالذكر أن هذه الرحلات ركزت بشكل كبير على مدينة مكناس، العاصمة آنذاك، والتي كان يسعى السلطان مولاي إسماعيل، حسب ما جاء في النصوص الرحلية، للسمو بها إلى مكانة رفيعة تضاهي فرساي الفرنسية، ولم يفت هؤلاء التطرق إلى الجوانب الاجتماعية للأقلية اليهودية، إذ كان لهم السبق في تناول هذا الموضوع مقدمين صفحات جديدة حول الحياة الاجتماعية والثقافية لليهود. ويخلص هذا الفصل إلى أن توغل الرحالة في المناطق الداخلية للمغرب لم يتم إلا مع القرن التاسع عشر حيث ستختلف مواضيع الرحالة من مواد تلمس الجرح الحساس المتصل بالأسرى والمسائل المرتبطة بهم إلى مواضيع مختلفة أكثر حساسية وجاذبية.

ينتقل صاحب الكتاب إلى تخصيص الفصول المتبقية لرحلات تحمل عناوين افتراضية مع إدراج أسماء أصحابها؛ ففي الفصل الثالث سيكون معرضا للحديث عن وقائع وحيثيات رحلة لامارتينير (la Martinière) وقد عنون هذا الفصل ب "رحلة رواية مغامرات بربرية" وأصل هذه الرحلة رواية في المغامرات ذات خلفية جغرافية وهي عبارة عن كتاب صغير عبارة عن وقائع حقيقية لصاحبها الذي انتهى به الحال أسيرا لدى القراصنة المغاربة الذين الزموه بممارسة مهنته كجراح داخل السفينة، ويسرد صاحب الرحلة وقائع وأحداث طاقم السفينة المغربية في المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط، والتطرق إلى المعتقدات التي لازمت طاقم السفينة لطرد سوء الطالع، وهي معلومات جديدة في آداب الرحلة. والملاحظ حسب رولان لوبيل أن صاحب الرحلة تمكن من ناصية فن المزج بطريقة خلاقة بين الحقيقة والخيال مما يجعل هذا الكتيّب يسمو فوق المجلدات التي ألفت حول الأسر وسرود الأسرى.

خصص رولان لوبيل الفصل الرابع من الكتاب للمسكوت عنه في رحلة السيد موييت، وهذه الرحلة عبارة عن كتاب يقع في حوالي ثلاثمائة صفحة نشرت بباريس سنة 1682 وهي ذات أهمية قصوى لمجريات تاريخ المغرب في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر.

يتطرق صاحب الرحلة إلى حكاية أسره، بمعية رفاقه، وقساوة تعامل المغاربة معهم، ورغم قساوة المشهد في الرحلة إلا أن صاحبها يميط اللثام عن مواضيع أقل قتامة، ونظرا لطول مدة الأسر، التي تجاوزت إحدى عشرة سنة، فقد تمكن موييت من ناصية العربية والاسبانية مما مكنه من التعبير والاستخبار عن أحوال المناطق التي قضى بها هذه المدة؛ ومنها طبائع وعوائد الساكنة وطرائق عيشها وأسلوبها في التقاضي في المحاكم وتعاملاتها التجارية، ووقائع تاريخ الصراع الأخوي بين مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل.

أما بخصوص الفصل الخامس المعنون ب"السفارات والأدب" فرولان لوبيل يعترف أنه وجد صعوبة للفصل بين ما هو غرائبي كولونيالي في متون الرحلات المكتوبة، وما يتصل مباشرة بخانة الديبلوماسية التاريخية، وأهم حدث استوقف صاحب الكتاب هو وقائع سفارة بن عيسى

مبعوث مولاي إسماعيل إلى لويس الرابع عشر (1699ــ 1698) و التي أثارت انتباه العديد من الفرنسين الذين تفصح كتاباتهم عن جوانب من العشق والغرام الذي ارتمى فيه السلطان مولاي إسماعيل منبهرا بالأوصاف الجميلة التي نقلها مبعوثه الشخصي عن ابنة الملك لويس الرابع عشر الآنسة دو كانتي(De Kanti) (اضطرت السلطان للسفر متنكرا إلى قصر الأميرة. وسواء أكانت هذه الرواية، المتكررة في العديد من النصوص الرحلية، صحيحة أم ضربا من الخيال، فإن هذه الرحلة الغرائبية تُخفي في طياتها جوانب نقدية لسياسة مولاي إسماعيل الخارجية، ونقدا لاذعا للأخلاق الفرنسية.

تعتبر رحلة القنصل العام الفرنسي لويس دوشينيي(L .De Chénier) (30ماي 1767) آخر رحلة في تاريخ مغرب القرن الثامن عشر، وهو مؤلف سينشره بعد تقاعده بعنوان "أبحاث تاريخية حول المغاربة وتاريخ إمبراطورية المغرب"، ما زال يفرض ذاته بإلحاح لدى المؤرخين المهتمين بالعلاقات المغربية الفرنسية، وحسب رولان لوبيل فالجزء الثالث من هذا المؤلف هو الذي يكتسي أهمية قصوى حيث تقصّى صاحبه التاريخ المحلي للمغرب من زمن الامبراطوريات إلى دولة الشرفاء، متطرقا للجوانب الاقتصادية للمجتمع المغربي، ووصف الحياة البدائية للمغاربة، وجوانب من تاريخ المخزن العلوي. خلص رولان لوبيل في هذا الفصل إلى أن الإنتاج الأدبي يتقوى في فترة الأزمات ويضعف في فترات السلم مما جعل ظهور المغرب في المجال الأدبي متوقفا بالاهتمام به سياسيا.

ينتقل صاحب الكتاب في الفصول اللاحقة إلى رصد وتتبع الرحلات إلى المغرب خلال القرن التاسع عشر وأهمها رحلة الرسام أوجين دولاكروا (Eugène Delacroix) عضو سفارة م.دو مورناي، وترتبط رحلته هاته بحادث احتلال الجزائر سنة (1830) ، ولعل أهمية أوجين دولاكروا، حسب رولان لوبيل، لا تكمن فقط في اللوحات التي رسمها، وإنما في الدفتر الذي نشره على شكل "مذكرات فنان"، والمراسلات التي تبادلها مع أصدقائه في فرنسا، والتي تضمنتها "رسائل المغرب" على شكل مجلد حمل عنوان "مراسلات فنان"، ومن خلال مذكراته اليومية أسدل الستار عن العالم العتيق للمغرب من خلال خلفية الحياة المغربية ولعل هذا ما كان يغذي لوحاته الفنية.

اعتبر رولان لوبيل هزيمة المغرب في وقعة إيسلي (1844) فرصة لانتعاش الكتابة حول المغرب سواء من لدن المخبرين أو العسكريين أو دعاة المسيحية، وبهذا الصدد يمكن الحديث عن ثلاثة مؤلفات لرحالة فرنسيين زاروا المغرب في فترات متقاربة وهم م. راي(M .Rey)، وشارل ديديي (Ch.Didier)، و ألكسندر دوما(Alexandre Dumas)؛ يتناول الأول والثاني الظروف الداخلية للمغرب قبل وقعة إيسلي فيما يُصوّر الثالث عن قرب ظروف التوقيع على اتفاقية السلم التي تلت هذه الهزيمة.

بالنسبة لصاحب الرحلة الأولى فقد زار الدار البيضاء والرباط وعاد إلى طنجة راصدا في كتابه مظاهر التوتر والشنآن التي كانت قائمة في المغرب زمن الرحلة والتي كانت تنذر بمعركة إيسلي، وهو ما سيعكسه صاحب الرحلة الثانية الذي أكد في مقدمة رحلته أنه سيولي أهمية كبرى للمسألة المغربية الفرنسية، ويظهر من خلال ما دونه انحيازه إلى الطرف الفرنسي من خلال

كشف عيوب الإدارة المغربية والحالة المزرية التي كان عليها المغاربة، ذلك أن الموظفين أخلوا بواجبهم المهني، وهو ما دفعه للتعبير عن أريحيته لتقوم واقعة إيسلي من أجل وضع حد لمخاتلات السلطان الذي استسلم في وقت أقصر، وفي سنة 1846 حل بالمغرب السائح الكسندر دوما ورغم قصر مقامه بالمغرب، إلا أن رحلته مكنت من التعرف على الوجه الآخر لليهود الذين أصبحوا يتغنون في أعراسهم بحادث قصف طنجة من لدن البحرية الفرنسية، كما لم تفته الفرصة للإشادة بالدعم المادي الذي قدمه الذّمّي دافيد للبحرية الفرنسية مقابل عبوره أحياء المساجد دون خلعه نعليه، وقد اختتم كاتبه هذا برصد جوانب من المهمش في التاريخ الجزائري من خلال إماطة اللثام عن مسجوني الأمير عبد القادر الجزائري وطريقة افتدائهم، تعد هذه الرحلة حسب رولان لوبيل آخر ما كتب حول أصداء إيسلي وما تلاها من نزاع ديبلوماسي، مما سيجعلنا ننتظر إلى حين اندلاع حرب تطوان والتي ستكون مناسبة لظهور صنف جديد من الكتابة، تقوى مع انتعاش المراسلات الحربية، وضمن هذا النوع من الكتابة ظهر شارل إيريارت (Ch.Yriarte) مبعوث مجلة "العالم المصور"، حيث نشر مذكراته مرفوقة بصور في شكل كتاب نُشر سنة 1863، وأهميته تكمن في كونه يقدم شهادة حية عن أهم مراحل حرب تطوان(1859– 1860) مما جعله يتبوأ مكانة أول مراسل حربي في المغرب استطاع تقريب القارئ من مشاهد هذه الحرب القاسية. ومرة أخرى يعود رولان لوبيل لاقتفاء آثار البعثات السفارية في فصل فريد متحدثا فيه عن الحياة اليومية للباشدور داخل الأراضي المغربية عبر طريق طنجة إلى مكناس، أو فاس عبر العرائش وسهول الغرب ، أو عبر مراكش عبر أحد موانئ الساحل الغربي، ولعل اهتمام صاحب الكتاب بهذا الفصل نابع من كون كل السفراء وأعضاء البعثات الديبلوماسية الذين دونوا رحلاتهم قاموا بتصوير عبورهم لهذه البقاع، وما بين 1875 و1890 ظهرت للوجود ستة مؤلفات من هذا النوع في المكتبات الفرنسية وكلها تجمع على خطورة المنافسة الدبلوماسية للإمبراطورية الشريفة. وكامتداد للرحلات السفارية التي ظهرت خلال حقبة التنافس الامبريالي نشر بيير لوتي(P.Loti) كتابه الموسوم "في المغرب" سنة 1890، ويرى رولان لوبيل أنه حظي بمكانة متميزة في جنس الأدب العجائبي الكولونيالي الفرنسي، باعتباره أول كتاب وصفي نجح في إثارة الانتباه إلى المغرب من الزاوية الغرائبية، وأدخل المغرب إلى حظيرة الأدب الفرنسي. وبعيدا عن الرحلات السفارية ظهر شارل دوفوكو (Ch. De Foucauld) ضمن خانة الاستكشاف الجغرافي والإستعلامات العامة وقبل أن يخوض تجربته في المغرب تلقى سابقا دروسا في اللغة العربية وجمع وثائق عن المغرب بإمكانها أن تذلل الصعاب في سبيل استكشافه والاحاطة به من كل الجوانب، وقد ظل كتابه مفقودا إلى حدود سنة 1935 وهي السنة التي كان يحاضر فيها رولان لوبيل أمام طلبته وخلالها طلب منهم الرجوع إلى كتاب "في المغرب على طريق فوكو" لصاحبه لادريت دولاشارنيير أو كتاب "شارل دوفوكو مستكشف المغرب وناسك الصحراء" لمؤلفه روني بازان(R.Pazan).

ينتقل رولان لوبيل في فصل لاحق إلى رصد الرحلات التي خصصها أصحابها للنبش في حفريات المغرب المجهول وأهمها مؤلف أوغست موليراس (A .Mouliéras) وهو عبارة عن استجوابات قام بها، همت المسلمين الذين سبق لهم أن سافروا إلى منطقتي الريف وجبالة وهما

منطقتان ظلتا مجهولتين في كتب الجغرافيين مما جعل هذا المؤلف حسب لوبيل محورا لمحاضراته باعتباره مؤلفا لا يدخل ضمن أدب الرحلة، ومن بين هذه الرحلات كذلك بعثة دو سوكونزاك (De Segonzac) مكتشف الأطلس، و الإثنوغرافي إدموند دوتي(Edmond Douté) المتخصص في الظواهر الدينية في شمال إفريقيا. لقد ركز رولان لوبيل على هذا الكتاب وأعطى مؤلفه ما يستحق من العناية من خلال المحاضرات التي كان يلقيها على طلبته؛ فالكتاب في نظره إطار مرجعي لسياسة التهدئة (la pacification) التي نهجها ليوطي فيما بعد، كما أنه دليلٌ لفهم الساكنة المراد احتلالها واستيعاب ثقافتها، بل أنه يتقاطع مع السياسة الحضارية للمشروع الفرنسي بالمغرب.

ومن المغرب المجهول ينتقل رولان لوبيل إلى المغرب العتيق، حيث رصد في كتابه كل المؤلفات التي تناولت هذه البقاع وتوقف عندها بالدرس والتحليل؛ وأهمها كتاب "المغرب اليوم " لأُجين أُبان (E.Aubin) وميزته أنه يعرض لآليات الحياة المغربية والحكومة الشريفة. وكتاب القنصل هنري غايار (H.Gaillard) الذي نفذ فيه عميقا إلى الروح القديمة لفاس العاصمة الدينية والسياسية. وكتاب غابريل فير(G.Veyre) مهندس مولاي عبد العزيز والذي أعطى نظرة دونية حول بلاط السلطان وهو كتاب لم يرق إلى المستوى المطلوب من لدن الجهات العليا في الإدارة الفرنسية حسب رولان لوبيل؛ إذ لم يتفطن صاحبه إلى الدور الذي كان عليه أن يقوم به لصالح فرنسا.

ومع عهد الحماية لم يعد الأمر حسب، رولان لوبيل، يتعلق بنصوص رحلية وإنما بكتب ذكريات وفي هذا السياق يندرج كتاب "أصول المغرب الفرنسي" لروني تايلانديي (Saint René Taillandier) الذي يتمحور حول وقائع بعثة (1906/1901)، ورغم مكانته في الجهاز الحكومي الفرنسي إلا أن ما قدمه لا يشفي غليلا بخصوص السياسة المغربية العتيقة، وهو ما جعل رولان لوبيل يحيط طلبته علما أنه لابد من الرجوع إلى كتاب دولامارتينير سنة 1882 الأركيولوجي الذي مكنته مهمته من التجول عبر أرجاء المغرب بكل أريحية والاهتمام بالتاريخ المحلي من خلال التركيز على الخبايا الصغيرة لفهم الأحداث الكبيرة.

وفي فصل آخر ركز رولان لوبيل على الرحلات النسائية ويسرد تفاصيل رحلة السيدة لادريت دو لاشاريير(Ladreit De Lacharrière) التي تزامنت مع ظروف صعبة شهدها المغرب سنة 1911 وهي سنة تذكر حسب صاحب المؤلف بانفلات أمني وقع في فاس وباقي أرجاء المغرب، مما يفسر أهمية هذه السيدة التي جابت الطريق العسكري وحاولت حسب صاحب المؤلف أن تقرب القارئ من قادة الحملة العسكرية الفرنسية. إنه كتاب يرصد المغرب البطولي حسب ذات المؤلف وميزته أنه يقدم نفسه كيوميات خام لم تخضع لأي تغيير أو إضافة. وخلال هذه الأثناء ظهر في الساحة رحالة آخر استقر به المقام ما بين فاس ومراكش، يتعلق الأمر بالمثقف أندري شوفيريون (André Chevrillon) الذي تمحورت كتاباته حول المغرب ضمن ما أسماه رولان لوبيل بالتحليل النفسي للمغرب في لحظة حرجة من تاريخه. وقد توج شوفريون مساره في المغرب بتأليف كتابين جادين هما "أفول الإسلام" و "مراكش بين النخيل" وتدور أحداثهما حول التاريخ المحلي لهاتين المدينتين خلال مدة مقامه بهما محيطا برؤية ثاقبة وفهم

عميق ودقة في الملاحظة كل صغيرة وكبيرة تهم المغرب. أما بالنسبة للأدب الحربي فرولان لوبيل يرى أنه تزامن مع الحملة الفرنسية على سهول الشاوية و وجدة، وأهم المؤلفات بهذا الصدد كتاب فريد للقبطان إيميل نولي (E.Nolly) "رجال الحرب في المغرب" وهو عبارة عن مقالات نشرت قبل في مجلة باريز، وميزة هذا الكتاب حسب رولان لوبيل أنه تطرق بالرصد والتحليل للطّابور الحربي الذي أنزل بميناء الدار البيضاء سنة 1911، ولم يخل الكتاب من الإشارة إلى تضحيات الجنود الفرنسيين ووصف نفسيتهم أثناء أداء مهامهم في ظروف صعبة. ونظرا لكثرة الإنتاج في مجال الأدب الحربي فإن رولان لوبيل انتقى أجود ما كتب في هذا الصدد، حسب زعمه، معتمدا معايير محددة سلفا، ويتعلق الأمر بالمؤلفات التي ألفها محاربون أو مراسلون حربيون معتمدين من لدن إدارة الجيش الفرنسي؛ وفي نظره هناك كتب بعينها يمكن الوقوف عندها؛ كرسائل جاك روز(J.Roze) المنشورة سنة 1912 والتي تتمحور مضامينها حول أحداث عمليات الحدود الجزائرية المغربية، وعشية عملية التهدئة الكبرى تضاعف الإنتاج الأدبي الحربي نتيجة كثرة تقارير الضباط المشاركين في هذه العملية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، تقارير الجنرال داماد (Damad)التي يمكن قراءتها ضمن أوراق القبطان كراس (Kraci)ولرصد وقائع حملة الشاوية ألح رولان لوبيل في كتابه، الذي قلنا عنه سابقا انه محاضرات موجه لطلبته لتدليل الصعاب أمام مهامهم الإدارية أو العسكرية، بضرورة العودة إلى مذكرات الكولونيل أزام (Col.Azam) وكذا المقالات التي حررها الصحفيون والمنشورة في جريدة "رواية الشاهد". غير أن رولان لوبيل سيبدي أهمية كتابين كان بيير خورت(P.Khorat) قد استخلصهما من مذكرات رحلته ذات الصلة بحملتي 1912/1911، الأول بعنوان "في صفوف جنودنا" 1913، والثاني موسوم ب" مشاهد من التهدئة المغربيية" 1914. وأما عن السرود الحربية فلوبيل تحدث عن كتابين أو ثلاثة حول هذا الجنس الأدبي الأول لِلُكابرون(L.Capperron) "في نجدة فاس" 1912، والكتاب اللامع على حد تعبير المؤلف، "الأيام الدامية لفاس"1913، للكولونيل أزان، وهما كتابان، في نظره، يعدان بمثابة نموذجين لمذكرات حملة عسكرية تطبعها الحيوية واليقظة والرصانة. يرى هذا الأخير أن سنة 1914، التي تزامنت مع إعلان الحرب في فرنسا، غيرت مجريات الأحداث في المغرب، وهو ما جعله يحث طلبته على ضرورة الرجوع إلى كتاب روني فانلاند (R.Vanlande) المعنون "في المغرب تحت قيادة ليوطي" حيث يحكي صاحبه وقائع احتلال بلاد زيان والأطلس المتوسط والحالة النفسية التي كان عليها الجنود الفرنسيون وشهادته الخالية من المجاملة، على حد تعبير لوبيل، في حق قائد الطابور الحربي. وقد اختتم لوبيل حديثه عن الأدب الحربي بضرورة العودة إلى مؤلفات مارسيال دوز(M.Doze) الرجل الذي امتلك معرفة جيدة بالمغرب، ولعل صفحات عن اللفيف الأجنبي لتعد أجمل ما فيه يقول المؤلف. وصحبة الطبيب بول شاتينيير (P.Chatinières)ينتقل بنا صاحب المؤلف من الأدب الحربي الذي أُنتج زمن الحملة العسكرية، إلى أدب آخر حرر في أوقات الاختراق السلمي لبلاد المغرب؛ هذا الطبيب حسب المؤلف رسخ جوا من الثقة بين الفرنسيين والمغاربة وهي التي مكنته من نشر كتابه المعنون "عبر الأطلس الكبير المغربي"1919، فقد تنقل هذا الطبيب بمعية الكولونيل دو لاموط (C. De Lamothe)

إلى مجال سوس ثم بعد ذلك إلى تِلوات حيث قصبة التهامي الكلاوي، فورزازات حيث يقدم شهادات حية عن طريقة تقديمه للعلاجات والاسعافات الأولية للمغاربة بمن فيهم النساء، ومحاربته لوباء التيفوس في منطقة تارودانت ابتداء من سنة 1928، إن أهمية ما كتبه هذا الطبيب حول المغرب تكمن حسب المؤلف في شخصيته المنعزلة أثناء اشتغاله ولعل الرسالة التقديمية التي وضعها ليوطي بمناسبة صدور مؤلفه لخير دليل عن ذلك يقول المؤلف.

وفي فصل معنون ب"بلاد المفارقات" سيسلط رولان لوبيل الضوء على بعض الفنانين الفرنسين الذين كان لهم نصيب في إغناء الساحة الأدبية والتاريخية بمؤلفاتهم المتنوعة ويأتي في مقدمة هؤلاء المهندس المعماري طرانشان دو لونال(Tranchant De Lunel) الذي حل بالمغرب ما بين 1901 و1902، وعين سنة 1912 مديرا لمصلحة الفنون الجميلة وهي المهمة التي ظل يزاولها إلى حدود سنة 1923. وبعد سنة من إنهاء مهامه الإدارية سيؤلف كتابه الموسوم "في بلاد المفارقات". يكتسي هذا الكتاب أهمية قصوى، حسب لوبيل، إذ كشف فيه صاحبه المفارقات التي ظلت تعانيها الإيالة الشريفة ومنها الاتصال الذي حدث بين فرنسا والمغرب متسائلا عن الأسباب التي مكنت حضارتين مختلفتين زمانا ومكانا من الاستمرار. وفي فصل آخر معنون بالثلاثية المغربية لجيروم وجان طارو، (J.et J.Tharaud) والمقصود بها مؤلفاتهما الثلاثة (الرباط أو الأوقات المغربية، مراكش أو سادة الأطلس، فاس أو أثرياء الإسلام) يسلط رولان لوبيل الضوء على أهمية الإنتاج الأدبي لهاذين الأخوين إلى درجة أكسبهما حق المواطنة بفعل الإقبال المتزايد على إنتاجهما سواء في الرباط أو باريز، وبخصوص الأدب السياحي تطرق رولان لوبيل إلى عدة مؤلفات تندرج ضمن هذا الجنس الأدبي الجديد و أهمها كتاب الفرنسي كيديك بعنوان "دليل المسافر إلى المغرب" والسلسلة التي حررها الكونت بيرينيي (Camte De Périgny) مابين1917و1919 تحت عنوان "في المغرب" و الكتاب الذي نشرته دار هاشيت (Hachètte) ضمن سلسلة الدلائل الزرقاء بعنوان "المغرب" وهو بمثابة وصف للجنوب المغربي، لقد سعى هؤلاء إلى خدمة راحة وطمأنينة السياح الأجانب الذين سيتوافدون على المغرب تباعا خلال القرن العشرين، غير أن هذا النوع من الأدب يتراوح بين ما هو غرائبي ساذج، وبحث رصين ومتفهم حسب رولان لوبيل.

وفي الفصل ما قبل الأخير تطرق رولان لوبيل إلى المقالات التي صدرت سنة 1930 في شكل كتاب بعنوان "أحاديث لأحد قدماء المغرب" لصاحبه الذمي موسى ناهون (M.Nahon) الذي اشتغل في بدايته معلما تم معمرا بأراضي سهل الغرب عائدا إليه من الجزائر بعد عقد معاهدة الحماية، وأصل هذا الكتاب مقالات واظب صاحبها على نشرها في جريدة لافيجي ماروكان، إن الهدف من استحضار هذا الكتاب حسب رولان لوبيل، هو التعريف بالمعمر وكشف وجهه الإنساني من خلال نموذج الذمي ناهون؛ فالمستوطن يقوم بعمل مادي ملموس، ومهامه اليومية في البادية تبدو شاقة ومع ذلك فهو لا يحظى باحترام "الأهالي" وساكنة الحواضر، وموسى ناهون فالأمر لا يعدو أن يكون مجرد سوء تفاهم لا يمنع من إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المعمر في إطار المشروع الفرنسي الذي يشارك فيه بحضوره وعنائه.

اختتم رولان لوبيل مؤلفه بتخصيصه فصل فريد للنبش فيما ألفه أوبير ليوطي فيما بين 1900و1926 الذي تَدَرَّج من جنرال بالجزائر ومدغشقر إلى مقيم عام بالمغرب بين 1912و1925، ويعتبر كتابه "كلمات من الميدان" الذي نشر سنة1927 واحدا من إنتاجاته التي استدعت توقف رولان لوبيل وهو يحاضر أمام الإداريين والعسكريين في معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط مذكرا إياهم أنه كتاب يسمو فوق كل الكتب التي تطرق إليها. ولربما التطرق إلى الإنتاج الأدبي عند ليوطي في نهاية الكتاب له ما يبرره إذ كان الغرض من ذلك أن يحدو طلاب رولان لوبيل حدو هذا المقيم العام الذي اعتبر نفسه "حيوانا ميدانيا" وعبر في أكثر من مقام بضرورة ترك هامشٍ من الحرية للمتعاونين، واعتماد مبدأ الليونة في تطبيق القوانين سيما وأن المغرب بلدٌ حديث الاستعمار، مع إلحاحه المستمر بمنح مناصب المسؤولية وفق ما يتوفر عليه الشخص من قدرات، وليس بناء على رتبته العسكرية أو شهاداته. إنها رسالة وجهها رولان لوبيل لطلبته مستشهدا بالخطب التي القاها ليوطي بين 1900و1926، فالفرنسيون الذين ستسند لهم مهام المسؤولية والقيادة الميدانية لا مجال أن يفكروا بمنطق العقلية التراتبية أو الوظائف السامية في تدبيرهم لمقاطعاتهم أو النواحي التي سَتُسند إليهم.

خاتمة:

ختاما لما سبق تعتبر الترجمة العربية التي قام بها الناقد حسن بحراوي لكتاب (الرحالة الفرنسيون في بلاد المغرب)، لصاحبه رولان لوبيل، إضافة نوعية للمكتبة العربية والمغربية على وجه الخصوص، ويتضح أن المترجم قام بمجهود مضنٍ لا يقل عن ذلك الذي قام به رولان لوبيل الذي كان له الفضل في تجميع وتصنيف وتحليل الرحلات التي قام بها الفرنسيون إلى بلاد المغرب ما بين القرن السابع عشر والقرن العشرين، فالباحث اليوم ومن خلال هذا الكتاب يسهل عليه جرد وتصنيف هذه الرحلات والذهاب إلى مصادرها الأم دون عناء، ومن جهة أخرى فالملاحظ أن هذا الكتاب لا يمكن بتاتا أن نخرجه من خانة الإنتاج الكولونيالي الموجه لخدمة المشروع الاستعماري الفرنسي بالمغرب، وبالرغم من أن رولان لوبيل انتقد وأثنى على البعض ممن تم الاستشهاد بمؤلفاتهم ليبرز مدى موضوعيته في تحليل وتمحيص، وأحيانا في نقد هذه المصادر، إلا أن مرجعتيه وخلفيته تكشف عنها الجهة المتلقية وأغلبهم من ضباط الشؤون الأهلية ورؤساء النواحي الذين أسندت إليهم مهام تدبير المغرب زمن الحماية الفرنسية، كما لا يمكننا أن نرتاح إلى مظان هذا الكتاب ما لم تتم مقابلته بالوثائق الوطنية والمخطوطات التي تزامنت مع هذه الرحلات، وعلى مستوى الشكل فإن الكتاب موضوع القراءة يحتاج إلى مماثلة أسماء الأعلام الواردة فيه باللغة الفرنسية حتى لا يقع الخلط في بعض الأسماء المتشابهة . وأخيرا فإن الكتاب يطرح قضايا مشوقة ما تزال بكرا في منظومة البحث العلمي، يمكن أن تكون مشروعا لأطاريح جامعية؛ كموضوع الأدب الحربي والأدب السياحي الكولونيالي والصحافة الحربية وموضوع الأسرى والعبيد وتاريخ الأقليات.

DU RECOURS AU MODE DE TRANSPORT *ZEMIDJAN* A COTONOU: QUAND LA PRESSION SOCIALE ET LES CONDITIONS DE VIE DITENT LA LOI

إستخدام الدارجة النارية(Zémidjan) في مدينة كوتونو في ظل العوامل الاجتماعية وظروف المعيشة والقانون.

Dr. Bruno MONTCHO

Enseignant-Chercheur à l'Université d'Abomey-Calavi (Bénin)

Abstract: The Zemidjan is one phenomen, borning in Porto Novo capital of Benin, has developed in several cities, including Cotonou. This city is identified by the large number of motorcycle taxi drivers in yellow uniform. The question that comes in mind is to analyze the socio-economic factors that underlie and favored this profession. Mixed in nature, the empirical data were analyzed on the basis of Boudon's methodological individualism (1986), Blumer's (1937) symbolic interactionism, and Gonzalez's deftness (2010) in order to understand the motivations and foundations. social actors to use this mode of transport. Weber's Comprehensive Theory (1921) was useful in that it made it possible to understand the reasons justifying the choices and the significance of the behavior of Cotonou zemidjans in given situations. The interview, the questionnaire and the observation were the techniques mobilized on a sample of 150 actors chosen randomly and reasoned. The results show that membership and recourse to this occupation are due to the ease of access conditions, unemployment to the lack of alternatives and the insufficient income of some employees and workers in other sectors. It also appears that some private and even state officials do so according to them rounding up the salary of the month.

Keywords: Transport mode, Zemidjan's job, unemployment, employment, Cotonou.

ملخص: وُلدت ظاهرة الدراجة النارية (Zémidjan) في مدينة بورتو نوفو عاصمة دولة بنين، وتطورت في عديد من المدن كمدينة كوتونو، تُعرف هذه المدينة بعدد كبير من قائدي الدرجات النارية الأجرة ذوو الرداء الأصفر الموحد، السؤال الذي يبادر إلى الذهن هو تحليل العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تكمن وراء هذه المهنة وتفضيلها، وبطبيعة مختلطة، قد تم تحليل البيانات التجريبية بالاعتماد على الفردية المنهجية لبودون (1986) والتفاعل الرمزي لبلومر (1937) والتدبر لجونزاليس (2010) لفهم الدوافع وأسس العوامل الاجتماعية لاستخدام هذا النوع كوسيلة مواصلات. وتُعد النظرية الشاملة لويبر (1921) مفيدة بحيث أنها سمحت بفهم الأسباب التي تبرر الاختيارات ومغزى سلوكيات قائدي هذه الدراجات (Zémidjans) في

كوتونو في مواقف معينة. وكانت المقابلة والاستبيان والملاحظة هي الأساليب التي تم استخدامها على عينة مكونة من 150 شخصًا تم اختيارهم بشكل عشوائي ومنطقي، وأظهرت النتائج أن القبول واللجوء لهذه المهنة يرجعان إلى سهولة شروط العمل بها، والبطالة، ونقص البدائل وعدم كفاية الدخل لبعض الموظفين والعاملين في القطاعات الأخرى. ويبدو أيضا أن بعض موظفي القطاع الخاص وموظفي الدولة يقمون بذلك وفقًا لراتب الشهر.

الكلمات المفتاحية: وسيلة مواصلات، مهنة قائد دراجة نارية أجرة (Zémidjans)، البطالة، العمل، كوتونو.

RESUME: Le phénomène de Zémidjan, né à Porto Novo capital du Bénin, s'est développé dans plusieurs villes, dont Cotonou. Cette ville s'identifie par le nombre important de conducteurs de taxi-motos en uniforme jaune. La question qui vient en esprit est d'analyser les facteurs socio-économiques qui fondent et qui ont favorisé ce métier. De nature mixte, les données empiriques ont été analysées en s'appuyant sur l'individualisme méthodologique de Boudon (1986), l'interactionnisme symbolique de Blumer (1937) et la débrouille de Gonzalez (2010) aux fins de comprendre les motivations et fondements des acteurs sociaux à recourir à ce mode de transport. La théorie compréhensive de Weber (1921) a été d'une utilité dans la mesure où elle a permis de comprendre les raisons qui justifient les choix et la signification des comportements des zémidjans de Cotonou dans des situations données. L'entretien, le questionnaire et l'observation ont été les techniques mobilisées sur un échantillon de 150 acteurs choisis de façon aléatoire et raisonnée. Les résultats montrent que l'adhésion et le recours à ce métier sont dus à la facilité des conditions d'accès, au chômage au manque d'alternative et à l'insuffisance de revenu de certains employés et ouvriers d'autres secteurs. Il ressort également que certains fonctionnaires du privé et même d'Etat le font pour selon eux arrondir le salaire du mois.

Mots clés: Mode de transport, métier de Zémidjan, chômage, emploi, Cotonou.

INTRODUCTION

La croissance démographique et l'extension urbaine que connaissent tous les pays conduisent les acteurs à réfléchir à divers moyens pour s'adapter aux nouvelles réalités qui s'imposent à eux. Ainsi, de nombreuses innovations sont apportées aussi bien dans le domaine des Technologies de l'Information et de la Communication (TIC) que dans

celui du transport pour améliorer les conditions de vie et de travail des hommes.

Les mobilités sociales sont inévitablement au cœur des dynamiques urbaines et territoriales et le secteur du transport n’est pas resté en marge des préoccupations humaines. Ce qui conduit les acteurs à réfléchir et œuvrer pour le développement de plusieurs modes de transport. Les pays développés font l’expérience de divers moyens de transport en commun comme le métro, le RER (Réseau Express Régional), le bus, le Train à Grande Vitesse (TGV) et le tramway. Les pays en voie de développement quant à eux, en dehors des moyens de transport en commun comme les taxi-ville, mini-bus, développent d’autres moyens de transport individuels(les motos et les vélos) qui dominent surtout dans les grandes villes. Dans cette diversification de moyens de transport, le Bénin a connu dans les années 1980 un mode de transport très particulier: les taxi-motos communément appelés Zémidjan ont vu le jour. Cette appellation en gungbe (langue nationale du sud-est du Bénin) Zémidjan est formé de trois éléments : zé= prends, mi= moi et djan qui exprime l'idée de rapidité, et peut en outre signifier secouer et tamiser. Littéralement, Zémidjan signifie « prends-moi vite ». Porto-Novo, la capitale administrative du Bénin, a connu il y a bien des années l’ancêtre du Zémidjan, le taxi-kanan (vélo-taxi) qui servait à transporter les marchandises des commerçantes et surtout l’Akassa (pâte à base de lait de maïs détrempé) qui compose l’une des spécialités culinaires béninoises : le Monyo, un plat préparé à base d’Akassa, de poisson à la tomate, d’oignon et de piment. La moto a progressivement remplacé le vélo à la fin des années 1980 avec l’apparition des premiers conducteurs de taxis-motos. Face aux conditions imposées par les Programmes d’Ajustement Structurels (PAS) de la Banque mondiale, le régime marxiste-léniniste de l’époque a mis fin en 1986 à l’Etat-providence et ses recrutements systématiques dans la fonction publique. Il en a résulté une hausse vertigineuse du taux de chômage. La banqueroute consécutive à la mauvaise gestion des sociétés d’Etat ayant entraîné la cessation de paiement des salaires des fonctionnaires, les Béninois ont décuplé d’ingéniosité pour faire face à la crise économique. La moto est donc devenue une ressource détournée pour les fonctionnaires et les chômeurs. De Porto-Novo, cette trouvaille s’est propagée dans tout le pays et même dans certaines villes des pays frontaliers. Les taxis-motos ont ainsi bouleversé les modes de transport urbains dominés par les taxis voitures et les minibus. La ville de Cotonou s’est rapidement vu envahir par les Zémidjans jugés très pratiques et réservés au départ pour les populations à

faibles revenus. Ce mode de transport s'est considérablement accru dans les grandes villes du Bénin, non seulement grâce à l'émergence de l'importation d'engins à deux roues d'Europe et d'Asie exonérés de droit de douane, mais aussi et surtout grâce au succès qu'il a rencontré auprès des populations qui ont trouvé en lui une utilité commode, pratique, économique et rapide.

En 1996, dans le cadre de l'étude du plan de circulation de la ville de Cotonou, le groupement de bureaux d'études TRANSITEC-AUXI-BTP, était parvenu au terme de son analyse sur les déplacements à Cotonou, aux principales conclusions ci-après: « Les deux roues sont le mode de déplacement majoritaire à Cotonou et représentent près des deux tiers (2/3) des déplacements de personnes au centre-ville ; les véhicules particuliers représentent entre un quart (1/4) et un tiers (1/3)des déplacements de personnes à l'intérieur de la ville ; le transit est insignifiant et le trafic d'échange est faible. Le trafic interne est très important et représente neuf (9) trajets sur dix (10) dont les trois quarts (¾) s'effectuent exclusivement dans la zone ouest de la ville. » Direction de la Prospective et du Développement Municipal (DPDM), 2008.La recrudescence des taxi-motos à Cotonou est sous-tendue par plusieurs facteurs aussi bien sociaux qu'économiques. Nous nous proposons par ce travail d'investiguer sur ces fondements.

1. Du Zémidjan à Cotonou : un mode de transport de proximité irrésistible ?

Le mode de transport communément appelé Zémidjan est aujourd'hui très répandu dans le domaine de transport à Cotonou. Les conducteurs de taxi-motos se font de plus en plus nombreux aux dépens de transport en commun (bus) et des taxis villes. L'arrêté n°021 du 12 novembre 1992 réglementant la profession de taxis-motos a permis de recenser les conducteurs dont le nombre s'élève à la date du 05 octobre 1995 à 24.463 unités. En janvier 2012, le nombre de taxi-motos est supérieur à 160.000 selon les informations fournies par la mairie de Cotonou.

Face à cette ampleur, les dirigeants du Bénin ont effectué plusieurs tentatives de reconversion des conducteurs de *Zémidjans* dans d'autres secteurs d'activités. C'est ce qui a par exemple donné naissance au projet manioc qui concernait toutes les régions du Bénin où le phénomène est développé. En effet, les autorités gouvernementales, sous le mandat de l'ex-président de la république, Mathieu Kérékou et grâce aux chercheurs du NEPAD, ont mis sur pied le « projet manioc » pour favoriser le retour à la terre des jeunes, la réduction du taux du chômage et surtout la reconversion des conducteurs de *Zémidjan* dans ce secteur. Ce projet

initié en 2000, invitait les conducteurs de *Zémidjan* à retourner au champ. Un milliard (1.000.000.000) de francs a été débloqué pour la promotion de la culture et de la transformation du manioc qui s'est malheureusement soldé par un échec. De plus, il a été prévu pour les *zémidjans* lors du premier mandat du président Thomas Boni Yayi « la reconversion des détenteurs d'une qualification dans des activités plus adaptées à leur formation et l'accompagnement des autres dans une meilleure organisation de cette activité par une formation adéquate et à travers un mécanisme de vente à crédit permettant l'acquisition d'engins neufs plus rentables et moins polluants » (L'Autre Fraternité du 16 décembre 2010). Malgré ces différents projets, les hommes en jaune[1] se font toujours remarquer en grand nombre aux abords des rues de Cotonou.

Selon les autorités, la reconversion des conducteurs de Zémidjan entrainera une baisse considérable de la pollution occasionnée surtout dans la ville de Cotonou par les engins à deux roues. En effet, le constat est que certains motocyclistes se déplacent avec un masque sur le nez (communément appelé "cache nez") pour éviter de respirer le gaz dégagé par les moteurs. Imorou Orou-Djeri, (2012), évoque le fait que « les enquêtes menées en 2007 ont montré que chez les conducteurs de motocyclettes, les infections respiratoires aigües sont les principales maladies pour 76 % des cas, 1,6 % développent des bronchites chroniques et 8 % de l'asthme. A tout cela s'ajoute le risque de divers cancers ou des coupures de brins d'ADN faisant craindre des problèmes génétiques pour les générations futures ».Slate Afrique, 2011. Outre ces aspects liés aux Zémidjans, il est remarqué que la conduite du taxi-moto ne peut être aisément exercée pendant 25 à 30 ans de sorte à garantir une retraite paisible aux conducteurs. Le Zémidjan se révèle ainsi être un métier qui ne garantit pas un emploi durable.

Au regard de l'ensemble de ces constats, nous nous sommes posées la question de savoir quels sont les facteurs et raisons qui amènent à recourir à l'activité de Zémidjan dans la ville de Cotonou?

2. Méthodologie de la recherche et cadre de l'étude

2.1 Méthodologie de la recherche

De nature qualitative et quantitative, cette recherche a pour but la compréhension et l'explication des déterminants socio-économiques du métier de Zémidjan au Bénin en général et dans la ville de Cotonou en particulier. Pour mieux appréhender le phénomène et recueillir des

[1] La couleur jaune est la couleur de l'uniforme des conducteurs de taxi moto à Cotonou

informations fiables, nous avons mobilisé un échantillon stratifié (voir tableau ci-dessous) de (150) acteurs sociaux choisis de façon raisonnée et aléatoire. Les outils de collecte sont le guide d'entretien individuel et de groupe, la grille d'observation et le questionnaire. Ces données empiriques ont été analysées en s'appuyant sur les modèles théoriques comme: l'individualisme méthodologique de Boudon (1986), l'interactionnisme symbolique de Blumer (1937), la débrouille de Gonzalez (2010) et théorie compréhensive de Weber (1921). Le choix de faire le Zémidjan à Cotonou s'inscrit dans la démarche d'une quête personnelle et collective de satisfaction qui a un sens pour eux. Il s'est agi de saisir et de comprendre les motivations qui fondent ce choix à partir des explications qu'ils en donnent eux-mêmes. Etant donné que la vie sociale, pour Weber, Blumer, Boudon et Roche part des actions individuelles enchâssée dans le champ d'un environnement dominé par une concurrence permanente de survivre, nous avons pu se positionner par rapport aux agissements des uns et des autres aux de parvenir à une analyse holistique de cette réalité sociale et sociologique.

Tableau I : Groupes cibles interviewés

Acteurs sociaux ciblés	Effectifs
Conducteurs de taxi-mots	124
Agents de la mairie de Cotonou	6
Usagers de la route.	20
Total	150

Source: Données de terrain, 2017

2.2 Où s'est déroulée la recherche?

«En sciences sociales, il ne suffit pas de savoir les types de données à collecter, encore faudrait-il que le champ des analyses empiriques soit circonscrit dans l'espace géographique et social » (Montcho B. 2015, p.131). Le cadre de recherche ainsi choisi est la ville de Cotonou (Voir carte géographique ci-dessous). Capitale économique de la République du Bénin, Cotonou abrite la quasi-totalité des institutions économiques, diplomatiques, politiques, les services administratifs majeurs, les agences de coopération, le marché international etc. du Bénin, et constitue le point de transit d'une partie des échanges commerciaux des pays enclavés de l'hinterland. Toutes choses qui créent et occasionnent la pression démographique puis de l'attraction. La ville de Cotonou (département du Littoral) comporte cent cinquante-sept (157) entreprises industrielles sur quatre cent dix (410) que comporte le Bénin. (RGE2, INSAE, 2008).

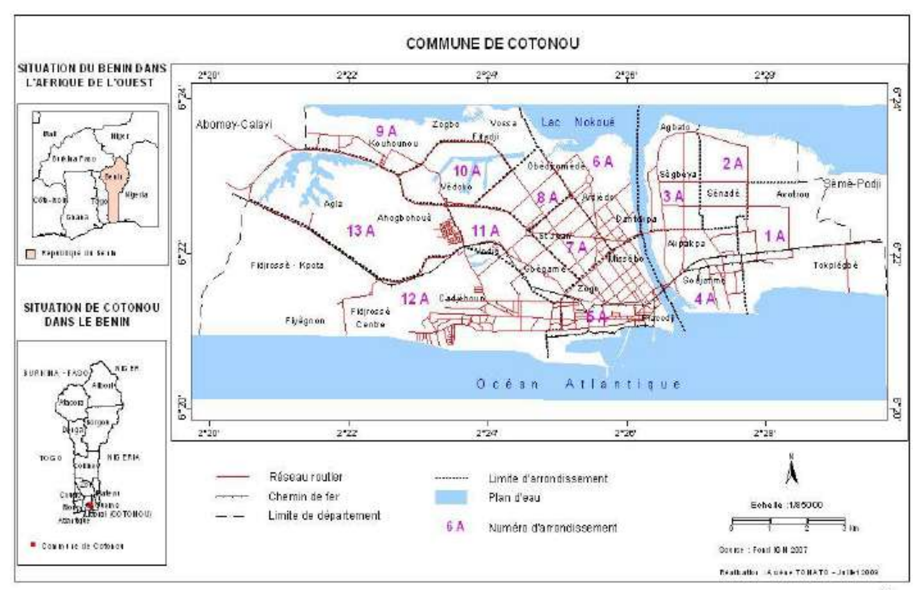


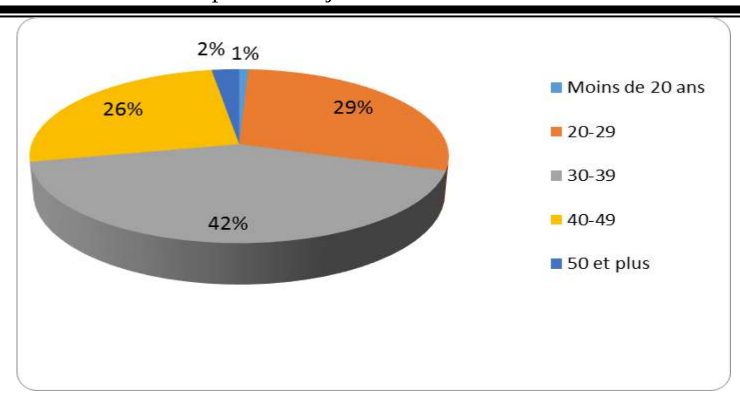
Figure n° 1 **Situation géographique de la Commune de Cotonou**

3.De la disqualification sociale au métier du Zémidjan à Cotonou

Les différentes informations reçues sur le terrain montrent que plusieurs facteurs entrent en ligne de compte pour expliquer la prolifération du phénomène de Zémidjan dans la ville de Cotonou.

3.1 Profil social des Zémidjans à Cotonou.

Les enquêtes de terrain ont permis de recueillir des informations sur l'acteur principal de la profession de Zémidjan qu'est le conducteur. Quelles sont les caractéristiques de cet acteur en termes d'âge, de maitrise du code de la route ou de la région de provenance ? La classe d'âge permet de faire le lien entre la profession et la charge familiale du conducteur de taxi-moto. Le tableau ci-dessous nous renseigne sur les classes d'âge des conducteurs de taxi-motos enquêtés :



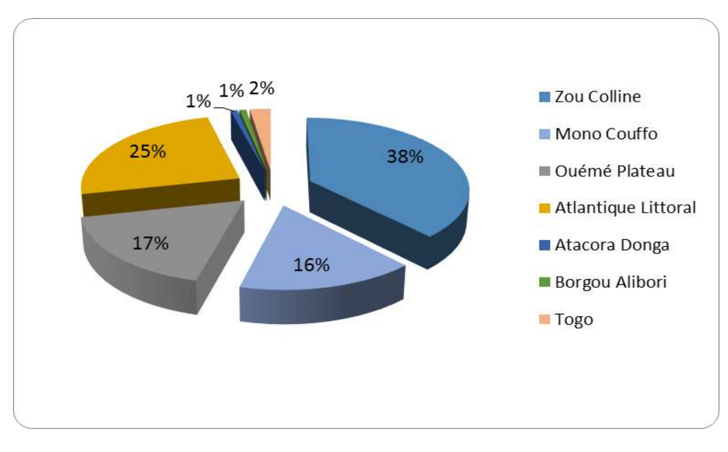
Source: Enquête de terrain, 2016

La classe d'âge la plus concernée par la conduite de taxi-motos est celle des 30 à 39 ans : 41,94 % des enquêtés se retrouvent dans cette catégorie. Après cette classe d'âge, suivent la catégorie des 20 à 29 ans (29,03 %) et celle des 40 à 49 ans (25,81 %) qui n'est pas négligeable. Il faut remarquer aussi que les catégories extrêmes, c'est-à-dire celle de moins de 20 ans et celle de plus de 50 ans ont une faible valeur.

3.2 Quand le métier de Zémidjan est source d'immigration à Cotonou!

Les Zémidjans qui exerçant à Cotonou proviennent de diverses régions de notre pays. La figure suivante en est une illustration.

Graphique 2: Région de provenance des conducteurs de taxi moto



Source: Enquête de terrain, 2016

Le graphique montre que la région Zou-collines (38 %) constitue le lieu de provenance de la majeure partie des Zémidjans de Cotonou. A la suite de cette région, nous avons l'Atlantique et le Littoral (25 %). Cet état de chose, à savoir la présence massive des ressortissants du Zou à Cotonou pour exercer ce métier, ne s'explique-t-il par l'exode rurale ? L'abandon des terres cultivables surtout dans la région du Zou ? L'exode rural et l'émigration privent le département du zou de ses bras valides. Selon les agents du ministère de la Décentralisation, de la gouvernance locale, de l'administration et de l'aménagement du territoire, environ 8.000 de ses bras valides sont touchés par l'exode rural par an. Les jeunes préfèrent donc exercer un métier qui leur procure rapidement des ressources financières. Ils migrent alors vers les grandes villes en quête d'emplois. Ce qui les mène vers le métier de Zémidjan.

3.3 Et le Zémidjan apparaît comme une issue de secours!

Les conducteurs de taxi motos sont regroupés en deux catégories suivant le temps qu'ils accordent à l'exercice du métier. Certains pratiquent le métier en plein temps alors que d'autre le pratiquent à temps partiel. Le tableau suivant récapitule le temps d'occupation par le métier.

Tableau 4: Temps d'exercice du métier

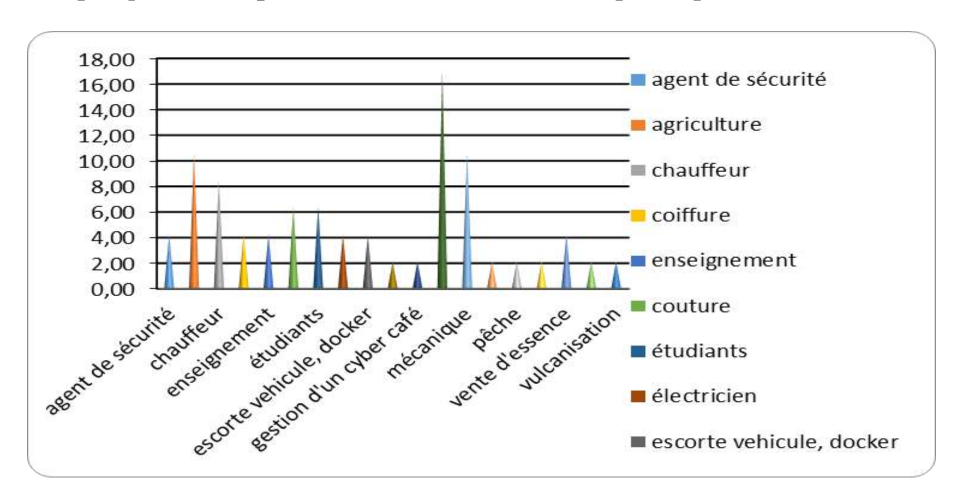
Temps d'exercice	Nombre	Fréquence (%)
Plein temps	77	62,10
Temps partiel	47	37,90
Total général	124	100

Source: Enquête de terrain, 2016

Plus de la moitié des enquêtés (62,10 %) exercent le métier de Zémidjan comme activité à plein temps et n'ont pas d'autres occupations en dehors de cette activité. Le reste des enquêtés, soit 37,90 %, exerce le métier de Zémidjan comme activité secondaire pour arrondir les fins de mois. Cela nous montre qu'un nombre non négligeable de conducteurs de taxi-motos accède à cette activité pour avoir une deuxième source de revenue en complément à la première.

Les enquêtés de cette catégorie sont répartis suivant leur activité principale dans le graphique ci-dessous.

Graphique 3 : Répartition suivant l’activité principale exercée



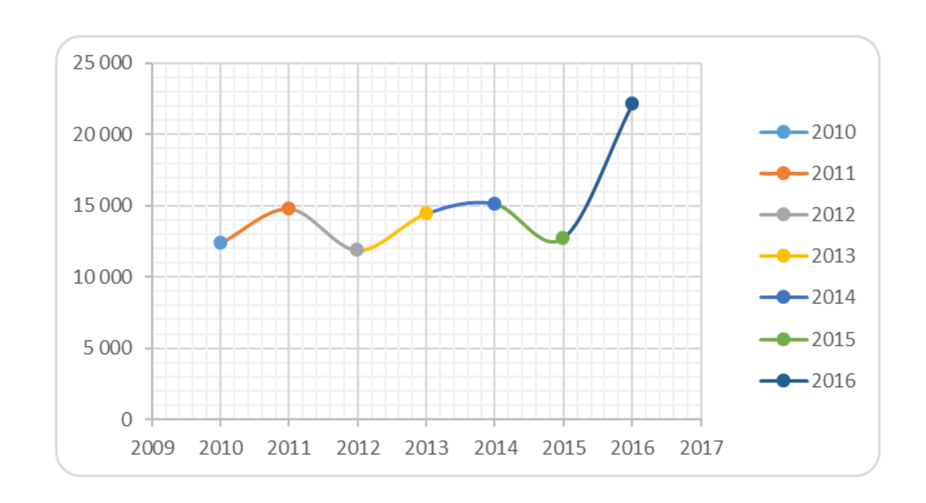
Source: Enquête de terrain, 2017

Parmi les conducteurs de taxi-motos qui exercent l’activité à temps partiel, 17,02 % consacrent la seconde partie de leur temps journalier à des travaux liés au bâtiment comme la maçonnerie, la menuiserie, la peinture ou la plomberie. Les autres activités auxquelles s’adonnent les conducteurs de taxi motos à temps partiel sont la mécanique (10,64 %), l’agriculture (10,64 %), la conduite de véhicule (8,51 %). On note également des étudiants, des couturiers, des agents de sécurité et des enseignants vacataires dans le lot.

3.4 La prolifération de la profession de taxi-moto, une réalité!

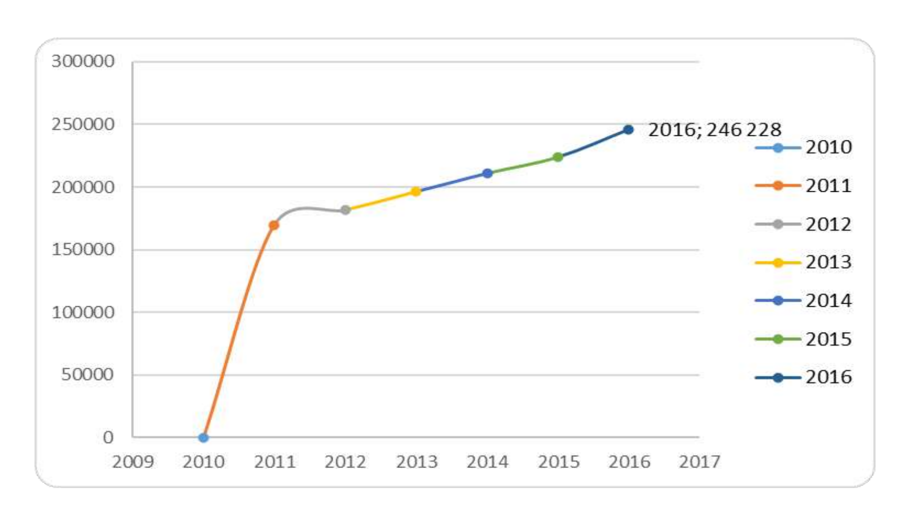
Pour mieux apprécier la prolifération du Zémidjan à Cotonou, une enquête a été effectuée à la Mairie de Cotonou, organe de gestion des zémidjans. Le graphique suivant montre l’évolution du Zémidjan de 2010 à 2016. Notons que le premier recensement effectué en 1992 par la Circonscription Urbaine de Cotonou a donné un effectif de 3.842 conducteurs de taxi-motos. A la fin de l’année 2009, le total cumulé donne 142.774 conducteurs.

Graphique4 : Evolution du nombre de zémidjans enregistrés par la mairie de Cotonou de 2010 à 2016



Source: Mairie de Cotonou, 2016

Graphique5: Cumul des conducteurs enregistrés (2010 à 2016)



Source: Réalisé à partir des données de la mairie de Cotonou, 2016

L’immatriculation des taxi-motos a commencé en 1992 avec un effectif de 3842 taxi-motos pour cette même année. De 2010 à 2016, le nombre de taxis motos enregistrés à la Mairie de Cotonou a considérablement évolué. Cet effectif varie suivant les années (graphique 4). A décembre 2016, le nombre cumulé des conducteurs de taxi-motos immatriculés est de 246.228 conducteurs alors qu’il est de 155.141 conducteurs en 2010 (graphique 5). Il s’agit là de l’effectif des conducteurs de taxi-motos déclarés. Selon les enquêtés, même dans le secteur des *zémidjans*, le secteur informel a également pris le dessus. Bon nombre de conducteurs de *zémidjans* circulent et exercent le métier dans la ville sans être déclarés. Les agents de la Mairie sont en pleine réflexion pour mettre en place un outil de contrôle.

4.Des facteurs explicatifs a la prolifération du Zémidjan à Cotonou

Cette partie aborde les différents facteurs qui expliquent la prolifération du phénomène de Zémidjan à Cotonou. Il aborde d’une part, l’impact du chômage sur le phénomène de taxi-moto et d’autre part les différents facteurs explicatifs de la prolifération du phénomène.

4.1 Le chômage et la profession de Zémidjan

«Selon l'OIT, le chômage est la situation de la main-d’œuvre disponible à travailler qui est à la recherche d'un emploi mais ne réussit pas à en trouver. La définition du chômage et de ce qu'est la main-d’œuvre disponible à travailler varie selon les pays. Le calcul peut également être influencé par de nombreuses variables. En milieu agricole, par exemple, les données d'une enquête peuvent changer de façon importante selon la période de l'année où elle a lieu » (Banque Mondiale). Le recueil des données sur le chômage a porté sur le niveau plus global du Bénin alors que l’étude s’effectue sur la ville de Cotonou. En effet, le choix de cette option se justifie par le fait que nombre de conducteurs de taxi-motos, selon les enquête de terrain, migrent vers la ville de Cotonou pour exercer ce métier parce que chômeurs dans leurs régions d’origine.

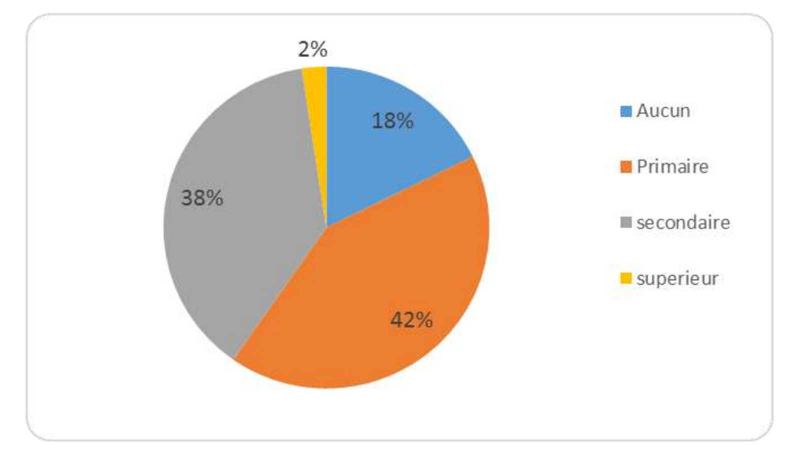
Depuis quelques années, le chômage, en particulier celui des jeunes, constitue une préoccupation à l’échelle mondiale. Au Bénin, l’absence de statistiques administratives périodiques pour la mesure du chômage rend difficile son suivi. Les enquêtes ménages restent la seule source actuelle de mesure du chômage. La série des enquêtes EMICoV initiées depuis2006 permet d’analyser la dynamique du chômage au Bénin. Ainsi, on note une augmentation du chômage depuis 2010. En effet, le chômage qui avait atteint 2,3 % en 2006 avant de connaître une baisse en 2007, a atteint le niveau de 2,7 % en 2011. Selon le milieu de résidence, deux constats se dégagent : une évolution erratique du taux de chômage à

Cotonou depuis 2006, passant de 9,3 % à 3,2 % en 2010 avant de connaître une hausse en 2011 pour s'établir à 6,1 %. La baisse du taux de chômage à Cotonou entre 2006 et 2010 coïncide avec la série des grands travaux et les réformes initiées par le gouvernement au cours de cette période. En 2011, la crise mondiale et la baisse de la croissance économique dans le pays sont à l'origine de la hausse du chômage. Le second constat est l'augmentation du chômage amorcée dans le monde rural depuis 2007 (0,2 %) qui s'est poursuivie pour s'établir à 1,5 % en 2011. Ce taux a pratiquement doublé par rapport à celui atteint en 2006 (0,8 %). C'est dans le groupe d'âge 20-24 ans que le taux de chômage est le plus élevé (6,8 %) ce qui coïncide avec la fin des études supérieures et la recherche d'un premier emploi. A la fin de la vie active, on note une augmentation des personnes à la recherche d'un emploi due à la précarité de l'emploi pendant la période active et à l'absence de protection sociale. Le taux de chômage augmente avec le niveau d'instruction. Il atteint 12,5 % pour les individus de niveau supérieur et 8,4 % pour ceux de niveau secondaire 2. Le taux de chômage des individus de niveau supérieur est environ 10fois plus élevé que celui des individus non instruits. En moyenne, un chômeur a passé 48,3 mois (soit 4 ans) dans le chômage et 50 % des chômeurs ont passé 26 mois dans le chômage. L'analyse selon le sexe montre que les femmes passent plus de temps dans le chômage que les hommes : 41,3 mois de chômage pour les hommes et 53,7 mois pour les femmes, soit environ 12 mois de plus pour les femmes. La durée du chômage augmente avec l'âge : plus l'âge augmente, plus l'individu passe du temps en situation de chômage. L'accès à un emploi devient difficile à partir de 35 ans pour les individus en chômage. Malgré le niveau de chômage faible dans le milieu rural, les victimes y restent longtemps puisqu'en moyenne un individu passe 64 mois à la recherche d'un emploi contre 41 mois en milieu urbain. La durée moyenne de chômage à Cotonou est de 36,1 mois (soit 3 ans). La durée de chômage baisse lorsque le niveau d'instruction augmente (32,6 mois pour le secondaire 2 et 25,8 mois pour le supérieur). Ainsi, le niveau d'instruction est un facteur déterminant pour l'accès à un emploi au Bénin (EMICoV, 2011).

4.2 Niveau d'instruction des conducteurs de *zémidjans*

Les données d'enquête relatives au niveau d'instruction des enquêtés sont illustrées par le graphique suivant:

Graphique 6: niveau d’instruction des enquêtés



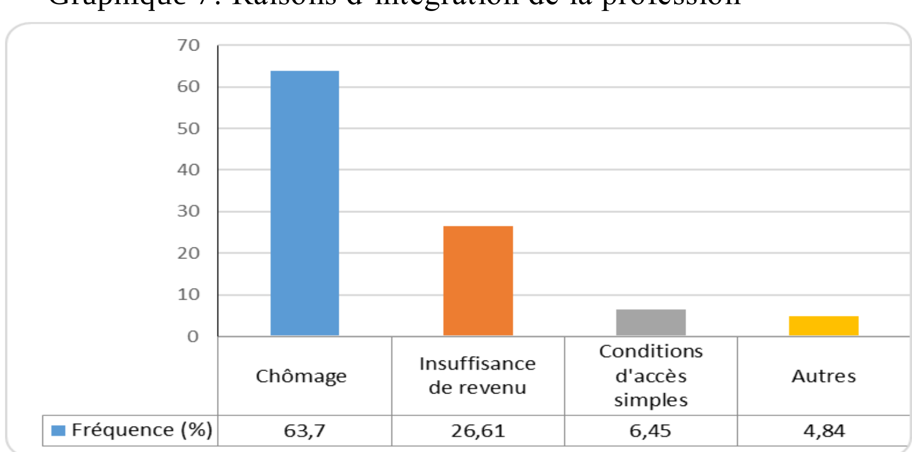
Source: Enquête de terrain, 2016

Plus de la moitié (soit 17, 74 % et 41,94 %) des zémidjans ont un niveau inférieur ou égal au niveau d’étude primaire. L’accès au métier de Zémidjan n’est donc pas fonction d’un niveau élevé d’instruction contrairement à certains autres métiers. On retrouve dans le monde des Zémidjans autant des conducteurs non instruits que des diplômés des écoles supérieures.

4.3 Raisons d’intégration du métier

Plusieurs raisons poussent les acteurs à accéder au métier de Zémidjan. Le graphique N°7 ci-après en donne les précisions.

Graphique 7: Raisons d’intégration de la profession



Source: Enquête de terrain, 2017

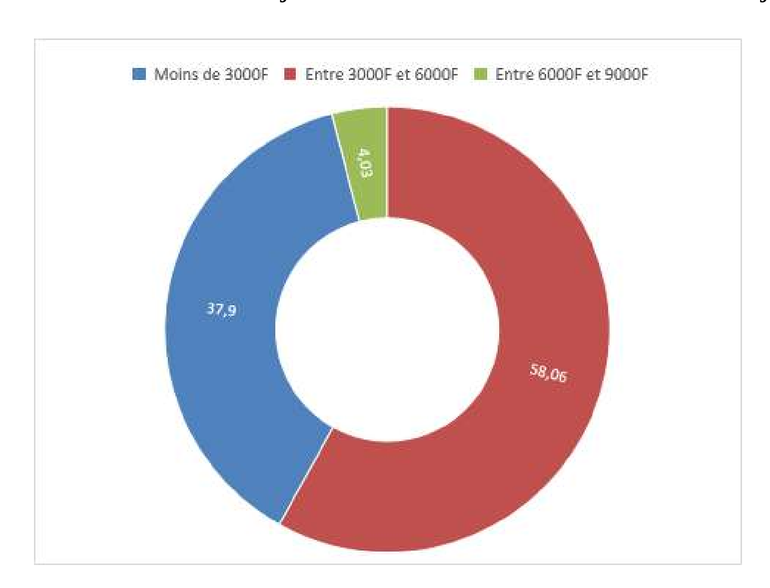
Les informations recueillies sur le terrain montrent que sur 124 enquêtés, 63,70 % pratiquent ce métier comme seule activité, parce que chômeurs, alors que 26,61 % le pratiquent parce que le revenu de leur activité principale est insuffisant. Le chômage est donc la principale raison d'accès à l'activité de Zémidjan. En témoigne les propos de ces enquêtés:

Kokou, jeune homme de 17 ans : « La situation de misère dans laquelle je vis avec mes parents, ne nous permet pas de satisfaire nos besoins élémentaires, je conduis le taxi-moto pour venir en aide à mes parents».

Abraham « Je suis apprenti menuisier, je conduis la moto, tôt le matin et à la sortie de l'atelier le soir. Cela me permet de satisfaire mes besoins et d'envoyer un peu de sous au village ».

« Il n'y a pas de sots métiers, je suis diplôme de maitrise en Philosophie, et comme je n'ai pas trouvé un boulot, je me suis trouvé mon gagne-pain à travers la conduite du zémidjan » (Albert, 30 ans).

Nous avons ensuite cherché à savoir les revenus journaliers de ces acteurs qui opèrent dans ce secteur. Le graphique suivant donne les informations sur la recette journalière des conducteurs de Zémidjan.



Source: Enquête de terrain, 2017

Les résultats d'enquête montrent que 58,06 % des conducteurs de taxi-motos gagnent entre trois mille (3000) francs et six mille (6000) francs par jour dans l'exercice de cette activité. 37,90 % ont un revenu journalier

de moins de 3000F ; un nombre très peu élevé de conducteurs soit 4,03 % ont un revenu journalier qui varie entre six mille (6000) francs et neuf mille (9000) francs. Ceux qui ont un revenu journalier compris entre six mille (6000) francs et neuf mille (9000) francs ne sont pas nombreux. C'est la catégorie de conducteurs qui pratiquent l'activité aussi bien le jour que la nuit. Ils y mettent tout leur effort parce que n'ayant pas d'autres activités. Il ressort des entretiens avec ces derniers qu'ils passent environ quinze (15) heures au travail par jour. Or, selon les normes de l'OIT, nombre d'heures règlementaires de travail est de huit (08) heures. Le conducteur de taxi motos qui pratique presque le double de l'heure règlementaire de travail abime progressivement sa santé.

Les informations relatives à la recette journalière montrent que la plupart des enquêtés ont un revenu journalier compris entre trois mille (3000) francs et six mille (6000) francs, soit une recette mensuelle située entre soixante-dix-huit mille (78000) francs et cent cinquante-six mille (156 000) francs (en considérant que 30 jours par mois et un jour de repos par semaine, soit vingt-six (26) jours de travail par mois). Cependant, pour bien apprécier le gain du conducteur de Zémidjan, il importe de mettre un accent sur les charges auxquelles il fait face dans l'exercice de l'activité. Selon les enquêtés, les différentes charges liées à l'exercice de l'activité sont: les frais de carburant et les frais d'entretien de la moto (vidange, panne etc.) Ces frais s'élèvent en moyenne à mille cinq cent (1500) francs par jour selon la même source. Dans la même logique et en considérant vingt-six (26) jours de travail par mois, les dépenses des conducteurs de taxi-motos pour l'exercice de l'activité s'élèvent en moyenne à trente-neuf mille (39000) francs, compte non tenu des frais liés aux maladies contractées lors de l'exercice du métier. Le revenu net de charge d'un conducteur de taxi moto est ainsi compris entre trente-neuf mille (39000), [78000-39000] et cent dix-sept mille (117000), [158000 - 39000]. Le travail de Zémidjan permet au conducteur de gagner rapidement un revenu plus ou moins conséquent. Il reste ainsi un métier attractif. Il est le recours autant des diplômés sans emplois que des non diplômés. Cet état de chose montre que la recherche de gain rapide est un facteur déterminant pour l'accès au métier de Zémidjan.

5.Mode d'accès au métier de Zémidjan à Cotonou

«Pas besoin de se gêner longtemps pour conduire le *Zémidjan*. Il suffit d'avoir une moto et de s'inscrire à la mairie. C'est surtout pour cette raison que j'ai choisi faire cette activité au lieu de passer mon temps à apprendre un métier » (Gabriel).

Voilà parmi tant d'autres discours, les réalités d'accès au métier de Zémidjan au Bénin en général puis à Cotonou en particulier. L'intégration formelle au métier par l'enregistrement auprès de la municipalité est la seule forme d'accès indiquée. Cependant l'informel s'est installé et on note une catégorie importante de conducteurs non enregistrés à la Mairie de Cotonou.

5.1 Gestion formel du métier de Zémidjan par la mairie de Cotonou

Le métier de Zémidjan a été réglementé par la Circonscription Urbaine de Cotonou qui a été autorisée par lettre n°1996/MISAT/DC/DAI/SA du 08 Octobre 1992 du Ministre de l'intérieur, à prendre un arrêté pour la ville de Cotonou. Ainsi, par arrêté n°021/CUC/SG/DAPSC du 1er Avril 1992, portant règlementation de la profession de Zémidjan sur l'étendue du territoire de la Circonscription Urbaine de Cotonou, le Chef de cette circonscription a précisé les formalités requises pour l'exercice de ladite profession dans la ville de Cotonou. Certaines dispositions du même arrêté précisent les mesures de sécurité auxquelles sont astreints les conducteurs, de même que les sanctions qui pourraient être appliquées en cas du non-respect des dispositions de l'arrêté. L'accès au métier de zémidjan à cette époque était sujet au paiement d'une taxe municipale mensuelle fixée à mille (1000) francs CFA. Mais par décision n°001/CUC/SG/DSM du 31 Janvier 1994, le montant de la taxe est ramené à six cents (600) francs CFA. Des entretiens effectués auprès des agents de la Mairie de Cotonou concernés, il ressort que les formalités pour intégrer le métier de Zémidjan ont été modifiées avec le temps. Ainsi, actuellement, pour toute entrée dans le métier de Zémidjan, il faut :

-avoir à sa disposition une moto (adaptée) accompagnée des pièces d'achat de la moto ;

-payer une redevance annuelle de 12.000 FCFA ; Au premier paiement, les agents de la Mairie attribuent au conducteur de Zémidjan un numéro de série ; ce dernier est inscrit sur une carte de membre qui est automatiquement remise au conducteur ;

-disposer une chemise jaune et y faire imprimer le logo de la Mairie de Cotonou et le numéro de série attribué par la Mairie.

Notons que de 1992 à 2016, la Mairie de Cotonou a enregistré 246 228 conducteurs de taxi-motos. Ce qui signifie que la corporation de Cotonou compte 246 228 conducteurs de Zémidjan à fin 2016. Cependant, aucun document ne fait cas des zémidjans qui auraient abandonné le métier pour une raison ou pour une autre ; Ceux de l'informel échappent aussi au contrôle municipal.

5.2 L'informel, l'autre voie d'accès au métier de Zémidjan à Cotonou

L'informel est d'usage en République du Bénin et aucun secteur d'activités n'y échappe. Ce secteur à lui seul mobilise 94 % des actifs occupés et moins d'un actif sur dix (10) est salarié EMICoV, (2011). Dans le lot des conducteurs de taxi-motos, on en retrouve également. Les observations de terrains nous ont permis de remarquer que certains conducteurs de taxi-motos, une fois à Cotonou, se lancent simplement dans l'activité avec une moto et un maillot jaune sur lequel ils griffent eux-mêmes un numéro fictif. Un des responsables syndical nous avait confié ce qui suit:

« Un seul maillot peut être utilisé par plusieurs personnes à la fois ou plusieurs frères du même village. Ils ont plusieurs stratégies pour satisfaire leurs besoins. Des maillots qui portent les mêmes numéros par différentes personnes qui opèrent de façon rotative. Nous avons beaucoup de difficultés à identifier ces zémidjans là qui travaillent avec nous dans la ville sans que la mairie ne réussisse à mettre la main sur eux ! Ils commettent souvent des actes qui amènent les clients à nous insulter tout le temps ! » (Jean, 46 ans avec 15 ans d'ancienneté).

Au-delà de ces propos, en voici un autre qui confirme le caractère informel favorisé par le métier et même des acteurs (conducteur et client).

«Il est interdit par exemple de circuler en maillot jaune à l'intérieur du campus on ne sait pourquoi. Mais nous avons trouvé la solution de simplement enlever nos maillots jaunes avant d'entrer à l'intérieur et donc on circule paisiblement sans être inquiété. Dès que je vois que dans la ville ça chauffe un peu, je viens comme beaucoup d'autre surtout pendant les heures de pointe pour faire clandestinement mon Zémidjan ».

«Moi je suis étudiant en 2ème de géographie, et je fais zém à l'intérieur du campus. Comme on ne porte pas de maillot jaune, je me positionne surtout au niveau du garde vélo de l'ENAM (Ecole Nationale d'Administration et de Magistrature) et dès que les étudiants sortent, je les amène au grand portail et je trouve mon compte. Je pense qu'à quelque chose malheur est bon dit-on souvent. Cette décision du recteur Sinsin d'interdire la circulation des Zémidjans à l'intérieur du campus me profite dans tous les cas même si ce n'est pas une bonne chose mais comment faire ? C'est que d'aller voler non!».

Il importe de connaître le niveau d'aptitude des conducteurs de Zémidjan dans le code de la route, ceci ne faisant pas partie des critères à remplir pour obtenir une autorisation d'accès au métier.

6. De la recherche du gain rapide à la prolifération du Zémidjan à Cotonou

La classe d'âge est un critère déterminant dans le choix du métier de Zémidjan. En effet, dans la tranche d'âge de 20 à 29 ans, l'individu essaie de construire sa vie indépendamment de ses géniteurs. C'est généralement l'âge où les jeunes pensent à fonder leur foyer et à être autonome. Cette autonomie nécessite un certains moyens financiers. Dans un contexte économique très précaire pour les jeunes où l'emploi est très rare, la plupart d'entre eux sont amenés vers certains métiers tels que celui de Zémidjan. Dans la tranche d'âge de 30 à 39 ans, l'individu recherche des moyens afin de faire face à ses charges familiales. L'individu a alors une conjointe, des enfants à charge. Il lui faut trouver donc des ressources nécessaires pour subvenir à ces besoins et à ceux de sa famille. Il se tourne alors vers le métier de Zémidjan. Concernant la classe d'âge de 40 à 49 ans, l'individu est face aux charges familiales encore plus élevée. Il doit assumer les coûts de scolarité parfois exorbitants des enfants. Il a encore plus besoin de revenus. Ce qui le maintien dans l'activité. Ces observations montrent que le besoin pressant de faire face aux charges, amène tous acteurs sociaux à s'inscrire dans le rang des conducteurs de taxi-motos.

6.1 Quand le Zémidjan est un issu de secours des fonctionnaires publics et privés!

Lors des investigations sur le terrain, il a été constaté une forte relation entre le recours au métier de Zémidjan et les activités de base des conducteurs. Ainsi, les enquêtés qui exercent les activités comme maçonnerie, menuiserie, peinture, plomberie, sécurité, agriculture, conduite de véhicule (chauffeur), coiffure, enseignement, agents de sécurité privée, couture, etc. pratiquent pour la plupart le métier de Zémidjan à temps partiel. La pratique de l'activité à temps partiel leur permet de trouver un complément de ressources à celles générées par leur activité principale jugée la plupart du temps insignifiantes par rapport aux charges auxquelles ils doivent faire face. Le travail de Zémidjan permet au conducteur de gagner un revenu de subsistance et reste ainsi un métier attractif. En témoigne les propos de cet enquêté:

«Moi je suis un Suntrev (gardien), je gagne 28750 F CFA. J'ai du mal à m'en sortir et satisfaire les besoins conjugaux. J'ai trouvé la solution de faire le *Zémidjan* dès que je sors chaque matin. Je me suis arrangé pour trouver un maillot jaune et je ne regrette pas. Avec les ressources que trouve dedans, j'ai souscrit à une tontine qui me sauve car je paie les frais de scolarité de mes cinq (05) enfants sans difficulté surtout pour mon garçon qui est à l'école privé "Clé

de la Réussite" puisqu'il travaille bien, je me bataille pour que lui il sorte très vite et aller à l'université comme il le souhaite».

Et à un autre d'ajouter:

«Je suis conducteur de véhicule administratif au ministère de la fonction publique. Vous savez, le salaire qu'on gagne ne permet pas de rester et de vivre à Cotonou. Avant on avait quelque primes qui nous soulageait mais à l'arrivée du nouveau président (Talon), il a coupé tout ça et nous sommes réduit à notre salaire. Dès que je sors à 18 heures 30 minutes, je fais *Zém* jusqu'à 23 heures comme ça. Sans vous mentir, ça me soulage beaucoup. Ces fonds que je trouve dedans me permettent de payer les factures d'eau, d'électricité et surtout l'argent de "*popote*" à ma femme ».

Ces propos entre autres confirment cette affirmation de Montcho, 2015, p.224) à la suite de Bellot, (2013, p.3@) qui pense qu'avec la problématique de l'émergence d'une jeunesse en difficulté face aux impératifs de performance, de réalisation de soi, de singularisation et d'individuation des trajectoires, les populations repensent quotidiennement à de nouvelles pratiques et méthodes de survie.

6.2 Le Zémidjan dans son environnement

Les conducteurs de Zémidjan se remarquent rapidement à Cotonou, de par leur tenue de travail, le maillot jaune.



Photo 3 : Conducteurs de Zémidjan à un feu tricolore



Source: données de terrain, 2017

Le métier de Zémidjan présente bons nombres d'avantages. Le conducteur de taxi-moto est un important vecteur de communication. En effet, il n'est pas rare de lire sur les maillots des conducteurs des messages à caractères publicitaires provenant aussi bien des organismes internationaux (UNICEF) que des partis ou regroupements de partis

politiques (périodes électorales) tels que la FCBE, la RB, Réseau ATAO, etc. Les Zémidjans sont très silicatés pour les escortes et les grands regroupements publics. De plus, le conducteur lui-même véhicule facilement les messages (actualités) de bouche à oreille. Il constitue ainsi un puissant relaie d'information.


Photo4 : Dos du maillot, vecteur de communication



Source: Enquête de terrain, 2017

On observe aussi une forte solidarité entre les conducteurs de Zémidjan. Lorsqu'un seul conducteur de taxi-moto se retrouve dans une situation difficile (accident de circulation, dispute, agression...) un attroupement d'autres conducteurs de constate très rapidement pour apporter leur soutien et solution à leur confrère. S'il arrive des situations conflictuelles où le conducteur est en faute, il est difficile pour l'usager de se faire entendre, car il se retrouve seul contre plusieurs maillots jaunes. Pour les usagers, c'est un moyen de transport rapide et très pratique. Le Zémidjan conduit son client même dans les recoins inaccessibles à la voiture. Il permet aussi de désenclaver les zones mal desservies par les modes de transport classiques. Les Zémidjan peuvent conduire à des endroits que le client ne connait pas. Dans des situations de trafics très serrés où la circulation est tendue, les zémidjans trouvent toujours un chemin pour faire gagner du temps. Cependant la pratique du métier de Zémidjan regorge d'inconvénients. Dans un passé récent, certains zémidjans ayant

quitté leurs villages se retrouvent sans abris dans la ville. Les dessous des passages supérieurs de Steinmetz et de Houéyiho leur servaient d'abris (Photo 5).

Photo 5: Zémidjan sans domicile



Source: Enquête de terrain, 2017

Cet état de chose a été très vite proscrit. Car, par le communiqué n°8/0044/DEP-LIT/SG/SCAD/SA publié le 20 Janvier 2017, le Préfet du département du Littoral (M. Modeste Toboula) a annoncé qu'aucun conducteur de taxi moto n'est autorisé à occuper illégalement les espaces publics de Cotonou pour y passer la nuit.

Aussi, note-t-on au niveau des conducteurs, l'ignorance et le mépris du code de la route qui entrainent de nombreux accidents de la route. Le grand nombre de motos pour la plupart mal entretenues crée la pollution atmosphérique. Cette pollution rend l'air de la ville quelque peu piquant. Ce qui entraine l'irritation des yeux, l'encombrement des voies respiratoires, la prolifération des maladies cardio-vasculaires, les troubles du système nerveux et une augmentation du risque de cancer notamment celui du poumon et la diminution des défenses du système immunitaire. Les secousses qu'ils subissent à longueur de journée fragilisent leurs corps et irritent leurs nerfs ; ce qui les rend toujours nerveux. Leurs postures de travail et les conditions de travail, outre les problèmes liés à la

pollution peuvent leur causer plusieurs maux comme la perte de virilité, les douleurs lombaires et les courbatures constantes. Certains d'entre les conducteurs pratiquent l'activité à des heures tardives. Ce qui les expose à l'insécurité. Ils sont ainsi victime de braquage où leurs motos leurs sont arrachées comme en témoigne ce conducteur:

«Il y a un frère de mon village qui avait été victime de braquage la nuit dans le quartier de Tanto. C'est son client qui l'avait amené jusque dans la main des bandits qui lui avait fait la fête. Il s'en était sorti avec des blessures graves en plus la perte de sa moto Badjaj qui lui avait été confiée sur contrat » (Marcellin, père de 04 enfants et âgé de 38 ans).

Un autre ajoute ce qui suit:

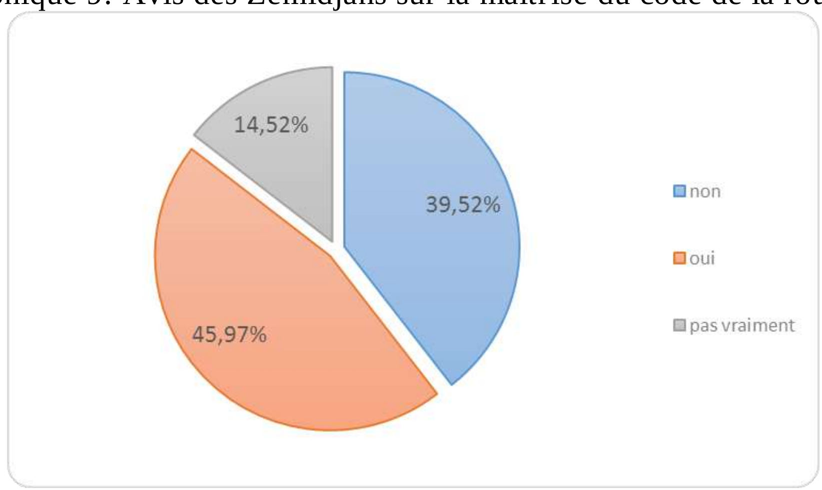
« C'est plutôt un client femme qui a fait endormi on ne sait comment un des nôtres et c'est trois jours après qu'il a retrouvé ses sens sans sa moto ni aucun de son argent dans sa poche. Nous sommes tellement exposés dans ce travail alors que c'est un service que nous rendons ! » (Marc, célibataire avec 02 enfants).

Autant de situations d'insécurité auxquelles sont confrontées les Zémidjans de Cotonou.

6.4 Le Zémidjan et le code de la route

Que ce soit de manière formelle ou informelle, l'exercice du métier de Zémidjan ne nécessite-t-il pas un certain nombre d'aptitudes dont la maitrise du code de la route ? Un regard sur le graphique N°5 nous permet de mieux apprécier la maitrise ou non du code de la route par les conducteurs de taxi-motos.

Graphique 9: Avis des Zémidjans sur la maîtrise du code de la route



Source: Enquête de terrain, 2017

La lecture de ce graphique fait remarquer que 39,52 % des enquêtés ne maitrisent pas le code de la route. De plus, 14,52 % des personnes

interrogées ne le maitrisent pas vraiment. Ce qui laisse penser à la qualité du service fourni par les conducteurs de Zémidjan.

«(…), en tout cas, personne ne m'a appris à conduire moto dans un centre ni auto-école si ce n'est ce que nous faisons souvent au clair de lune dans nos villages ! Moi, pour la première fois, j'ai fait les frais de sens interdit à Gbégamey et les policiers m'ont arrêté. J'ai dû payer 5000 francs pour retirer ma moto. Après, j'ai bien maîtrisé et je suis au top niveau maintenant. Si tu es nouveau dans un milieu, tu vas subir les normes de ce milieu d'abord ! C'était ça mon baptême dans la ville de Cotonou » (Didier, âgé de 32 ans, père de 02 enfants).

Un autre affirme ce qui suit:

« Il m'avait suffi de bien observer comment les gens partageaient la route à mes tout début et c'est fini ! Ce sont les chauffeurs qui ont besoin de permis de conduire. Les deux roux n'en ont pas besoin. Je suivais le sens de mes collègues zémidjans sur la route, les débats au lieu de regroupement et je connais bien au jour d'aujourd'hui le code. A mon âge, je ne peux plus aller m'asseoir pour apprendre un code fut-il de la route ! » (Agossa, âgé de 54 ans et père de 08 enfants).

Pour ce dernier, dans sa tête, la route apparaît comme un espace public et donc n'est la propriété de personne selon ses appréhensions de départ. Il n'est donc pas utile de recevoir une quelconque formation pour conduire. Ce qui pose véritablement la question des conditions d'accès, d'attribution de numéro puis d'enregistrement des zémidjans. De ce fait, ne s'avère-t-il pas nécessaire que le permis de conduire soit une obligatoire pour intégrer la profession?

CONCLUSION

Au terme de cette recherche qui s'est basé sur l'analyse des fondements socio-économiques du métier de taxis-motos surnommé Zémidjan à Cotonou, plusieurs points peuvent être dégagés. Le phénomène de Zémidjan est un fait social total à la Mauss au Bénin en général et donc à Cotonou. Vu leur présence incontestable et même incontournable dans toutes les ruelles de la capitale économique, il est important de chercher à mieux comprendre les causes de ce phénomène autant sur le plan social qu'économique. Au terme, les résultats ont prouvé que le Zémidjan a évolué dans le temps depuis son apparition. Le besoin pressant de faire face aux différentes charges, amène l'individu à s'inscrire dans le rang des conducteurs de taxi-motos. Ce travail de Zémidjan leur permet de gagner un revenu de subsistance et reste ainsi un métier attractif. Il est le recours des diplômés sans emplois et des ouvriers en quête d'un complément de revenu. Le moyen règlementaire d'accès au métier de taxi-moto à Cotonou est l'inscription dans le registre de la municipalité.

Cependant, plusieurs pratiquants de l'activité échappent à cette formalité et continuent d'exercer dans l'informel. Cette activité tout en palliant une situation le chômage, en crée d'autres comme : pollution atmosphérique, accidents de circulation, difficulté de moderniser le transport urbain et plusieurs autres maux.

Références bibliographiques

1. ANSART, P.,&Al., 2007, Entre travail, retraite et vieillesse. Le grand écart, L'Harmattan, Paris.
2. Akoun A. et Ansart P., 1999, Dictionnaire de sociologie, Paris, Robert/Seuil, p592.
3. ARDOINO, J. & Al, 1998, La sociologie en France, Paris, Découverte, p140..
4. AVOCE VIAGANNOU F., 2002, La régulation de la pollution atmosphérique d'origine motocycle : Cas des taxis-moto "zémidjans" dans la ville de Cotonou, Université Cocody Abidjan – DEA, EN LIGNE.
5. AGOSSOU NOUKPO, 2003, La diffusion des innovations : l'exemple des Zémidjan à travers l'espace Béninois, in Revue de Géographie du Cameroun vol XV n°1 :52-67.
6. AMOUSSOU GUENOU M.P. A., 1995, Contribution à l'étude du secteur informel du transport à Cotonou : cas des taxi-motos ou Zémidjan, Rapport de fin de cycle, Université de Technologie de Compiègne.
7. BOAD, 2002, Atelier régional sur l'impact du transport urbain à deux roues et ses perspectives de développement dans les pays de l'UEMOA (BENIN, NIGER ET TOGO).
8. BRESSON M., 2007, Sociologie de la précarité. Armand Colin, collection Sociologie, p126-128.
9. Carpentier N. et White D., 2013, Perspective des parcours de vie et sociologie de l'individuation, Sociologie et sociétés, vol. 45, n° 1, p. 279-300 http://id.erudit.org/iderudit/1016404ar , consulté le 17 /09/ 2018 à 02:07.
10. DUBAR C. et TRIPIER P., 1998, Sociologie des professions, Paris, Armand Colin, collection " U ", p251.
11. DUJARIER Marie-A., 2006, L'idéal au travail, Editions La Ronde PUF.
12. DURAND J. P., 1999, Dictionnaire de Sociologie, Le Robert Seuil, p180.
13. DURKHEIM, E., 2004, Les règles de la méthode sociologique, Paris : PUF 10e édition, p149.
14. EMICOV, 2011et 2014 Rapport Préliminaire
15. FRIEDMANN, G. (1962), Traité de sociologie du travail, Paris, A. Colin, p397-425.
16. GBENAHOU M. B. H., 2002, Problématique d'emplois durables faces aux impacts socio-sanitaires du travail en République du Bénin : cas des conducteurs de taxis motos à Cotonou, mémoire de Maitrise en Sociologie-Anthropologie, sous la direction de Monsieur Claude ASSABA, UNB.

17.Gonzalez O. L., 2010, Violence homicide en Colombie : déviance ou débrouille ? http://www.sociologos.revues.org/2495 consulté ce 27/10/2013 à 19h07.
18.GTZ /MEHU, Stratégie Nationale de lutte contre la pollution atmosphérique en République du Bénin.
19.HOUENINVO T., 2000, L'utilisation des instruments économiques dans la lutte contre la pollution atmosphérique en milieu urbain au Bénin : Cas de la ville de Cotonou, document de travail N°003/2000, CAPE.
20.MEHU, 2000, Etude sur la qualité de l'air en milieu urbain : cas de Cotonou, Rapport final.
21..MENDRAS H., Eléments de Sociologie, Paris, Armand Colin, 2001, p268.
22.MONTCHO B. 2015, Commercialisation de l'essence "kpayo" à Cotonou : entre déviance et débrouille ? Thèse de Doctorat unique, UAC-Bénin, p338.
23.MTPT, 1993, Document préparatoire de la table ronde sectorielle des transports, Annexe1 : étude stratégie.
24.TERY L., 2006, Le travail intenable. Résister collectivement à l'intensification du travail. Editions La Découverte.
25.TIDJANI A., 1986-1987, Impact socio-économiques des taxis-motos dits 'Zemi-Jan' à Porto-Novo (Province de l'), mémoire de Maitrise en Sociologie-Anthropologie, sous la direction de Monsieur Dah-Lokonon Bodehou GBENOUKPO.
26.WISNER A., 1974, Contenu des taches et charge du travail, Sociologie du travail

Testing for asymmetric effect of industrial production index on unemployment rates- study case the Arab countries

اختبار عدم تماثل اثر مؤشر الإنتاج الصناعي على معدلات البطالة –دراسة حالة البلدان العربية

Djaballah Mustapha, Department of economy, university of M'sila – Algeria

Abstract: This paper aims to study the relationship between the industrial production index and the unemployment rates in the Arab countries. The study concluded that there is a nonlinear relationship between the two variables. The researcher proposes one method of estimation based on the hypothesis of asymmetry. The researcher suggested the application of an estimation method represented in the non-linear regression of distributed distributions. As for the results in concrete reality, the researcher reached the industrial production index of the Arab countries with different effect on the unemployment rates. This variation in effect is due to the negative and positive effect.

Key words: Arab countries; unemployment rate;IPI; asymmetry

Jel classification: C34 J64

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة تلك العلاقة الموجودة ما بين مؤشر الإنتاج الصناعي ومعدلات البطالة في الدول العربية، وقد توصلت إلى وجود علاقة غير خطية بين المتغيرين، ما جعل الباحث يقترح إحدى طرق التقدير القائمة على فرضية عدم التناظر، وبما أن العلاقة تعتمد على الديناميكية فقد اقترح الباحث تطبيق منهج تقدير متمثل في الانحدار غير الخطي للإبطاء الموزع، أما عن النتائج في الواقع الملموس فقد توصل الباحث إلى مؤشر الإنتاج الصناعي للدول العربية متباين في تأثيره على معدلات البطالة وهذا التباين في التأثير مرده إلى عدم تماثل الأثر الموجب والسالب للمتغير المستقل في فترة الدراسة.

الكلمات المفتاحية :الدول العربية، معدلات البطالة، مؤشر الانتاج الصناعي، اللاتماثل.

تصنيف Jel: C34 J64

1- Introduction:

The industry in the Arab world until recently was very late; because it was limited to many handicraft industries related to population activity and providing the necessary necessities of individuals such as clothes, food and some household items, which were in all simple, can be controlled by hands, But the revitalization of industry and its emergence from the cycle of underdevelopment is due to the periods that followed the independence of many Arab countries, as most Arab countries developed development programs that include the promotion of the industry as one of the top priorities of the governments of these countries(Tawhid Zuhairi, 2003, p94)

Problem statement of the study:

As most of the Arab industries are consumer industries, due to the acquisition of raw materials in production and the availability of equipment and technical and administrative skills. Necessary to sustain them.

In addition, most of the industrial establishments in the Arab world are small in size, which means low industrial productivity and not relying on modern technology. In addition, most of the Arab industries rely on agricultural and animal materials, and a few of them rely on mineral materials. This affects negatively the rate of industrial development. They differ from one country to another in the Arab world, so the industrial output constitutes only a small percentage of national income(Ahmed Asaf, Hocein Wadi, 2010, p145).

The research on the dialectic existing in the relationship of industrial production and unemployment requires us to raise several questions, especially in the clear discrepancy between the Arab countries in containing the unemployment rates, and affected the latter status of the economies of the Arab countries, and therefore we must research the answer to the following question The relationship between the industrial output index and unemployment rates, and how far can this relationship be asymmetric?)

- **Study hypothesis**:

From the problematic point of view, the relationship between the index of industrial production can be

1. Their effect is not asymmetric

2-The relationship between the industrial production index and unemployment is a long-term co-integration

3-The negative effect of the Industrial Production Index on the unemployment rate in the Arab countries is more than the positive effect. This is because of the stagnation of the other sectors. In the case of the industrial production index, unemployment rates in most of the Arab countries are increasing. Other sectors are unable to absorb these labor, Depend on industries, especially extractive.

Objectives of study:

-Standard experimental exploration of the non-linear relationship between the index of industrial production and unemployment in the Arab countries.

-To come up with a set of explanatory and illustrative results for this relationship, which can help provide guidance to economic decision-makers and development partners in different Arab countries.

-To address the dimensions of the relationship between the two variables from other angles not addressed

-Analysis of the employment situation in Arab countries and its relation to industry, and the extent of the impact of industrial production rate on unemployment rates.

the importance of study:

The study is an attempt to uncover the relationship between two macro-economic variables, the unemployment rate and the industrial production index, to examine the extent of the change in the relationship between them. The importance of this study is that it did not focus on a specific Arab country, But rather studied in the framework of conceptual and applied

Literature review:

Although the topics of industry have been addressed in many literature and academic research, with a scarcity of studies on the reality of industry

in the Arab countries, we will highlight the previous studies that developed standard approaches to the index of industrial production and some other variables similar to Unemployment rate, and these studies include:

A study conducted by(David Mardsen in, 1995, p53) included the countries of the OECD and focused on research on the impact of industrial production on unemployment in these countries. It concluded that industrial production is efficient in reducing unemployment rates, unless these countries overstate the use of capital technology Employment Account.

Another study by(Mueen Nasir and Archad Hassan Zafar, 2010, p53) dealt with the impact of the industrial production index on inflation, oil prices and unemployment, as well as the balance of the goods and services market in Pakistan. The nardl models were used and came out with a series of results, Of prices, but it is significant to the unemployment rate.

A study by(Ihej Irika and Warri Branch, 2012, p16)

The efficiency of using the index of industrial production and industrial profits distributed in the State of Nigeria and concluded the need for government intervention in the formulation of industrial policy of the country to avoid some of the negative effects on the rate of employment, and has(Arched Noman, 2017, p22) estimated the relationship between the industrial production index and the unemployment rates in Bangladesh in 2017 using nardl models and found a proof of the asymmetry hypothesis of the industrial production index on the unemployment rate in that country.

Another study by Korhan Gokmenoglu, Vahid Azin and Nigar Taspinar on the relationship between industrial production, GDP, inflation and oil prices in Turkey in 2016. This study confirmed the long-term correlation between these variables.

Rodriguez Agustín Alonso studied the index of industrial production and its effect on a set of macroeconomic variables such as unemployment and inflation in both Japan and South Korea in 2016 and concluded that there is a non-linear relationship between this index and Korea is more

significant than the Japanese model. In the long term, Other nonlinear Such as nardl approach.

Rohana Kamurddin and Kamaru zama Jusoff have reached their conclusions on the approach of non-linear self-regression to estimate the impact of food and food industries on the economic growth path of Malaysia.

We add another study by Guido Bulligan, Roberto Golinelli and Giuseppe Parigi on the prediction of the industrial production index and the role of information and the appropriate method of estimation in Italy. Several estimation methods such as ARIMA and ARCH have been used. The NARDL method is the most efficient in estimating the relationship between the production index Industrial and some economic variables in Italy depending on the role of information in it.

While Levent Erdogan, Ahmed Tiryaki and Resat Ceylan discussed the relation between selected macroeconomic variables and the return of capital in Turkey. Several relationships were used in this regard. The most important of these was the nonlinear relationship between the industrial production index and the return on capital with an asymmetric effect, This study recommended the trend towards small and medium industries as the productivity index has an impact on capital return

2-Econometric approach:

In this part of our study we will seek to uncover the economic and standard relationship between unemployment as a whole variable and another variable is the industrial production index.

Standard economic studies have assumed that the linearity of models based on the existence of linear relationships between variables similar to the widely used ARMA models in most standard studies, However, the expansion of economic studies and their comprehensiveness of many motives, such as the economic cycle, positive and negative impact of explanatory variables.

Oil prices affect economic growth but there is no similarity between prices in case of rise and decline (D E Sichel, 1993, p224).

This analysis has resonated widely in the field of financial markets, economic cycles (Abd Rahim Chibi, 2013, p196).

Standardists have limited nonlinear models through two categories:

1. Class 1: Nonlinear process through variance An example of this is the ARCH Family and depends on the velocity and volatility of the random limit and examples of examples such as Arch, Garch,
Egarch.

2. Class (2): Non-linear process through the mean, an extension of ARMA models, examples:

Linear double models: developed by Granger and Andersen in 1978;

1) Models of nonlinear moving averages: developed by Robenson (1977);

2) Nonlinear self-regression models: They are the most diverse and diverse of nonlinear models and are also called threshold models.

They can appear in several transmission mechanisms, including: TAR .STAR. LSTAR. ESTAR

3):along with models of transition or models of change of systems, and its features that the effect of the independent variable, unobserved and depend on the economic cycle.

The nonlinear autoregressive distributed lags (NARDL)

This is a special case of the ARDL regression models and their non-linearity features because the independent variable is not symmetric, meaning that the independent variable effect on the dependent variable (positive effect) is not the same or not equal to the effect of the independent variable (negative effect)

This evidence of non-linear relationship, mathematical formulation of these models can be written as follows:

$Y_t = Ø0 + Ø1 \sum_{i=0}^{k} x + \xi_t$

By distinguishing the positive effect from the negative effect we find

$Y_t = Ø0 + Ø1\, xt^{+} + Ø2\, Xt^{-}$ (Ibrahim Mansor, 2015, p12)

Note that Ø is the vector of long-term coefficients and the effect of homogeneity is evident when the positive effect (+) is separated from the negative effect (-), where Xt + and Xt - are parts of the Xt effect on the Yt When we separate the effect we find

$xt^{+} = \sum \Delta xt = \max(xi ; 0)$

$Xt^{-} = \sum \Delta X^{-}t = \sum_{i=0}^{k} x \sum \max(xi ، 0)$ (Gracia, 2005, p05).

The effect of the long-term relationship between Tak and the positive shock in the explanatory variable on the dependent variable can be determined by parameter 1 by positive sign while the parameter 2 Ø represents the relationship between the negative shock caused by the explanatory variable in the dependent variable and this is by negative sign , And both are not alike(Ibrahim Mansor, 2015, p09)

$Ø1 \neq Ø2$

The above equation can be written in the UECM format as follows

$$\Delta yt = \alpha 0 + \alpha 1Yt\text{-}1 + \alpha 2\ x^{+}t\text{-}1 + \alpha 3X\ t^{-}1 + \beta 1i\Delta \sum yt\text{-}i + \beta 2^{i} \sum x^{+}t\text{-}i + \beta 3i \sum X^{-}\ t\text{-}i\ \ Ut$$

P; m; n represent the dynamic relationship gaps between the two variables, and the relationship effect of the variable

The explanatory effect of positive xt^{+} long term is $Ø1 = \alpha 2 / \alpha 1$

The same variable with its negative effect $X\ t^{-}$ is $Ø2 = \alpha 3 / \alpha 1$

In the short term the parameters are not equal

$\Sigma\ i = 0; \beta 2i \neq \Sigma\ i = 0; \beta 3i$

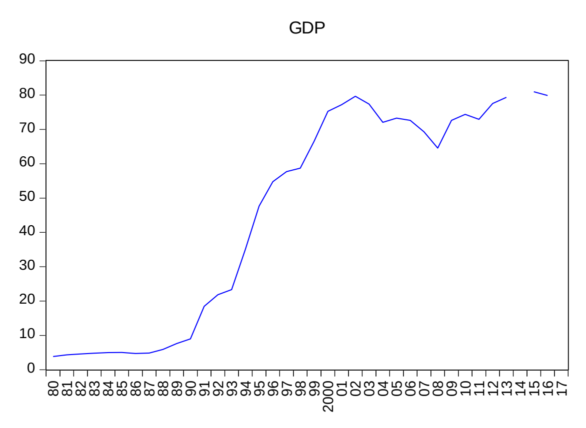
This is one of the characteristics of the non-linear regression models of the NARDL, which applies to the same conditions as the ARDL model, including the integration of the variables at the level or the first difference or their co-integration is a combined of this (M Hashem Pesaran et all p10)

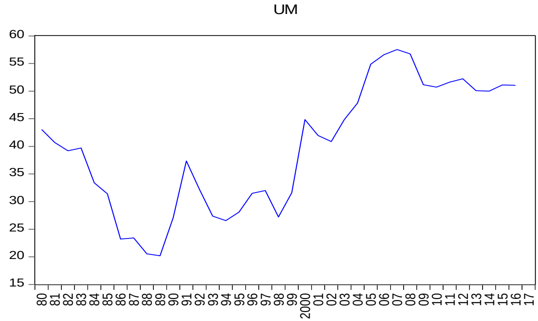
Which suggests an asymmetric effect of the independent variable on the dependent variable

3-Representing study variables:

To illustrate the study, we examined the relationship between the two variables, the unemployment rate in the Arab world (um), which is the dependent variable, and the independent variable is the industrial production index of the Arab countries (ind), and other variables were generated based on this study

Fig 1 Unemployment rate and gdp curves in Arab countries





The direct observation of the previous two forms suggests that many of the refractions are in the path of the curve of um and ind. This can be explained by the general economic situation that many Arab countries have experienced, such as the transition between capitalist and socialist economic approaches, geopolitical changes and oil price fluctuations. An attempt to estimate the relationship between the two variables considered below

- There is a non-linear relationship between the two variables
- The effect of the independent variable in the dependent variable is not identical

Therefore, we will take the following steps in our standard study:

1 - Develop variables that are consistent with the curriculum of the study
2 - Studying the stability or silence group using one of the stability tests
3 - Estimate the relationship between the two variables using the gradual gradient stepwise least squares
4 - Conduct some tests such as asymmetry
5 – Perform residual diagnostic tests

In the following we develop the parameters of the equilibrium relationship between the two variables after they were generated from the two variables(ind) And(um)according to the following table

Description	Variable in long term	Description	Variable in short term
Dep variable	Um	Diff of dep variable	DUM
Dep variable lag 1	Um(-1)	Diff of indep variable	DIND
Indep variable leg 1	IND (-1)	Diff of indep variable leg 1	DIND (-1)
Indep variable positive	IND_p	Diff of indep variable positive	DIND_p
Indep variable negative	IND_n	Diff of indep variable negative	DIND_n

By using (genr) on eviews

Lag length Criteria:

The gaps depend on the situation studied according to the delay criteria, namely, one delay gap, p = 1, as we will see

This is confirmed by test delay criteria

Using the e views program in its ninth version for an annual sample of 41 views: For the dynamic process of the time series, we set the delay or delay times

Since the method of this method depends on the distribution of delays or delays, we may obtain delay data for the model variables we specified in the following table

HQ	SC	AIC	FPE	LR	variable
1	1	1	1	1	UM
1	1	1	1	1	IND

he delay process is determined by the LM test or the serial self-correlation. Delays are stopped on the basis of this test. If there is no self-correlation, the delay periods can be added. If the self-correlation is confirmed, stop the delay. That the two variables were ideally delayed by one period depending on the smallest value in each standard and thus the model is NARDL (1.1)

- We will test the relation or impact of the industrial production index whether positive or negative on the speed of unemployment rates in the Arab countries and the state of variation of this effect. The relationship does not become linear between the two variables. If there is a long-term integrative relationship with different stability of the variables between the level and the difference First (without 2and difference), the conditions for the application of ARDL models are available. If the effect of the independent variable is different between the positive and negative effects, the relationship does not become linear and becomes Non linear ARDL models.

The first formula: does not contain an intercept and a trend

$$\Delta y_t = y_{t-1} + \lambda u_t$$

The second formula: contains only the intercept

$$\Delta y_t = c + \lambda y_{t-1} + u_t$$

The third formula: contains the the intercept and trend

$$\Delta y_t = c + B_t + \lambda y_{t-1} + u_t$$

In the case of nonlinearity, some statisticians recommend using other tests like Kapitanos Shin Snell (KSS). After testing, we get the following table. Based on the results of the stability test, the UM time series is still at the same level as the IND series It is noted here that the integration of time series is a combination between I (0) and I (1). This is a condition of using the ARDL approach

Kss test (1)

1st difference		Level		rank	series
Intercept and trend	Intercept	Intercept and trend	Intercept		
/	/	* -5.06	* -5.12	I(0)	Um
* -4.00	* -4.03	/	/	I(1)	Ind

*sig at 1% ** sig at 5%

Based on the results of the KSS test, we have confirmed that the rank of the two variables is a combination between I (0) and I (1), one of the conditions for the use of ARDL as linear or nonlinear

Simultaneous Integration Testing:

As previously mentioned, NARDL models are more effective in small samples and therefore their integration test requires a special type of testing called the Wald test compared non-standard values of Fisher distribution

H0: F.Wald stat value less than I (1)

There is no co-integration

H1: FWald calculated value greater than I (1) There is a long-term co-integration between the studied variables and I (0) and I (1) are the limits of co-integration.

K	Prob	F-stat	relationship
2	0.007	5.26	F(um/,ind ,)
	I(1)	I(0)	Bounds
	5.23	3.93	1%
	4.25	3.12	5%
	3.79	2.75	10%

Based on the table above, we have two hypotheses

H0: = C4 = C3 = C2 = 0 There is no cointegration

H1: C4 ≠ C3 ≠ C2 ≠ 0 There is a cointégration

Hence, since the value of F.Wald = 5.26 is greater than at I(1) 1%, which is greater than 5.23, and thus we ensure that there is a joint integration between um and the industrial production index positive and negative effects, and this in the long term and in terms of Statistics The existence of a ointegration relationship between the two variables can be recognized in the long term

4 -Estimation method:

After confirming the existence of a long-term cointegration relationship, we come to the next step, which is to choose the appropriate method of estimation of the studied case. Some statisticians are advised to use the stepwise least squares rather than the (Arched 2017)

prob	Estimated value	,Variable
0,0047	1.54	C
0.0000	-0.24	Um(-1)
0.015	- 0,04	ind_p (-1)
0.0318	- 0,8	Ind_n(-1)
0.35	0.029-	Dind_n (-1)
0.39	0.03-	Dind_n)

2,03	DW	0.935	R^2
1.99	AIC	0.79	Adj R^2
0.000	Prob F	23.98	F

Since the characteristics of NARDL models are characterized by short-term separation from long, according to the elasticities, this effect can be divided into two parts:

Long term: By dividing the long term coefficients ie -c (3) / c (2) equals to -0.16 /0.24 = 0,04. This negative effect

The positive effect is calculated as -c (4) / c(2) and equals -0.8 /-0.24=3.33

Ultimately, we get the next long-term relationship model following

um=1.54 +3 .33 ind_p-0.16 ind_n

We note that the elasticity of the positive effect is greater than the negative effect and this is evidence that the industrial production index affects the unemployment index more than the positive effect of positive effect, although both parameters are significant according to t-student test In the sense that in the case of the decline of the industrial production index, unemployment rates are increasing in most Arab countries and other sectors are unable to absorb these labor, because the Arab countries' economies depend on industries, especially extractive ones

Asymmetry test:

This test is based on the acceptance or non-acceptance of the idea of symmetry or symmetry of influence in the sense of whether the index of industrial production affects equally the unemployment rates? or not? If the answer is yes, the relationship between the two variables is linear and

therefore the long-term impact is the same because the relationship is a long-term relationship and vice versa if the answer is no and the relationship between the two variables is nonlinear and not equal. This leads us to test the following hypotheses

H0: C (3) / C (2) = C (4) / C (2) There is no asymmetry in the relationship

H1: C (3) / C (2) ≠ C (4) / C (2) There is asymmetry in the relationship

Using the WALD test, we find

Decision	prob	F-Wald stat	Hypothesis
H0 rejected There is an asymmetry of the long-term effect between ind_p and ind_n on um	0.04	4.27	H0 : C(3)/C(2)=C(4)/C(2) H1: C(3)/C(2) ≠C(4)/C(2)

Residual diagnostic tests:

Test	Value	Prob	The desicion
Reset	F=0.032	0. 8	Model has a misspecification.
Jarque-bera	J B=1.68	0.43	Residuals are normaly distributed
LM	$n.R^2=1.93$	0.47	Residuals have not a serial correlation
ARCH	$n.R^2=1.47$	0.25	Model has not heteroskedasticity

Through this paper, which includes the study of the relationship between the industrial production of the Arab countries and their relation to unemployment rates, the following results can be obtained:

1- **theoretical section results** :

-The industry in the Arab countries still suffers from great difficulties, which can be summarized in the following points:

Economic challenges have become one of the realities of living in the Arab countries at the present time, and one of the most serious challenges that bothers everyone interested in the Arab world.

There are different patterns and images of the economic challenges facing the Arab countries, and perhaps the most important challenge for these countries is to diversify the economy and phase out dependence on oil revenues.

These economic challenges have many adverse effects on the future of Arab development.

Arab economic action is no longer a developmental necessity, but a necessity, a reality and a future for economic blocs

-Most industries in the Arab countries are concentrated on strategic industries

-The relative delay in technology ownership has made most Arab countries lagging behind in the industrial sector transformation, which is clearly lagging behind

The intra-Arab trade and joint Arab action can contribute to highlighting these challenges in the coming period, which will revive the industrial sector. The latter will contribute to reducing the unemployment rates in the Arab countries because the manufacturing industries need qualified and trained workers.

There is no doubt that the ability of the economic system of the Arab countries to meet the challenges if identified elements of Arab responsibility, it can achieve the Arab countries some economic balances and high rate of economic growth, and this is an important criterion to judge the degree of success of that experience or failure, and therefore needs the Arab economic system In order to be successful and effective, to take firm and rapid steps in the face of economic challenges and improve growth rate.

There is a clear difference between the Arab countries in the indicators of industrial production if we rely on the comparison to the extractive industries.

2-application section results:

-Nonlinear models have become a reflection of the fact of many economic relations characterized by instability, and asymmetry, especially in the dynamics of rise and fall, as well as the impact of variables not seen as economic cycles

-Nardl models are a special case of ardl models and are based on the nonlinear formula ie non-self-distributive models with distributed decomposition, and are based on the idea that the dynamic effect of the independent variable on the dependent variable is asymmetric

-Due to the multiplicity of parameters that were generated from the two variables over the short and long term, we used the stepwise least squres method, which differs from the method of the lower squares in the fact that they distinguish significant explanatory variables from variables that have no statistical significance

-The effect of the explanatory variable on positive and negative factors is not symmetric, but that the negative effect exceeds the positive effect. This is supported by the economic theory and the reality of industry in the Arab world because if the industrial production index in the Arab countries rises, this affects the unemployment rate and will decrease according to the ratio and the relationship referred to But in the case of low industrial production will rise unemployment but not the same proportion, but a larger proportion because unemployment can not be absorbed in other sectors such as agriculture and tourism, and this is because of the contribution of industry, especially extractive in reducing unemployment in most Arab countries, and Based on this relationship is not identical in both cases came the idea of non-linear relationship

The diagnostic tests of the model and the booths came to support the validity of the relationship between the two variables such as Ramsey test, which confirmed this, but tests of the model locks have supported the econometric approach of the model

5-Conclusion:

Non-linear models have become a reflection of the fact that many economic relations are characterized by instability, asymmetry, especially

in the dynamics of rise and fall, as well as the impact of variables not seen as economic cycles

- nardl models are a special case of ardl models and are based on the nonlinear formula and are based on the idea that the dynamic effect of the independent variable on the dependent variable is asymmetric

Due to the multiplicity of parameters that were generated from the two variables over the short and long term, we used the stepwise least squares method, which differs from the method of the least squares in the fact that they distinguish significant explanatory variables from variables that have no statistical significance

The effect of the explanatory variable on positive and negative factors is not symmetric, but that the negative effect exceeds the positive effect. This is supported by the economic theory and the reality of industry in the Arab world because if the industrial production index in the Arab countries rises, this affects the unemployment rate and will decrease according to the ratio and the relationship referred to But in the case of low industrial production will rise unemployment but not the same proportion, but a larger proportion because unemployment can not be absorbed in other sectors such as agriculture and tourism, and this is because of the contribution of industry, especially extractive in reducing unemployment in most Arab countries, and Based on this relationship is not identical in both cases came the idea of non-linear relationship

- The diagnostic tests of the model and the booths came to support the validity of the relationship between the two variables such as Ramsey test, which confirmed this, but tests of the model locks have supported the standard approach of the model

Appendix:

test. KSS root unit, which is abbreviated in the KSS code relative to Kapetanios Snell Shin

Of the unit roots and study the stability of the strings but in a nonlinear form. The latter is synonymous with the ADF test and the following nonlinear formula is:

$\Delta Yt = \rho 1 Yt\text{-}1 + \rho 2\ Yt\text{-}1 F(qt\ ;\gamma, c) + \varepsilon t$:

$\sigma y^{3} t\text{-}1 + error = \Delta Yt$

NLadf= ß/SE(ß) The approximate distribution of this test is non-standard and therefore the table of critical values for the test is approximate.

model / sig level	NLADF1	NLADF2	NLADF3
99%	-2.82	-3.48	-3.93
95%	-2.22	-2.93	-3.40
90%	-1.92	-2.66	-3.13

Referances:

1. Archad Hasan Zafar Mueen Nasi(2010). Nardl analyze of relationship between industrial production index inflation oil prices in Pakistan.
2. Agustin Alonso Rodriguez(2016).The industrial production index of Japan and South Korea .dynamic relationship. Korean social science journal vol 43.
3. Cunado J Gracia F P .oil prices economies activity and inflation .evidence from some Asian countries . economy and finance revue vol 45(1) 2005.
4. D A Peel & AEH Speight(2000).thereshold nonlinearities in unemployment rates.
5. David Mardsen(1995) The impact of industrial relation practice of employment and unemployment .centre of economic performance , London , UK.
6. Fillipo Alssimo ad G L Violante(1994) the nonlinear dynamics of output and unemployment in the united states off america. Journal of applied econometrics.vol 16 issue 4.
7. Goldfield S M and Quandt R E(1973) a Markov switching regression journal of econometrics vol 1.
8. Guido Bulligan Roberto Golinelli Givseppe Parigi .forcasting industrial production the role of information and methods – IFC bulletin .Roma Italy
9. Ibrahim Mansor H .oil and food prices in Malaysia a nonlinear ARDL analysis agricultural and food economics 31, 2015.
10.Ihejirika Peters Warri Branch (2012à)capacity utilization industrial production index payout policy in Nigeria .Reseach Journal of finance and accounting vol 3 n6.
11.Korhan Gokmenoglu Vahid Azin Nigar Taspinar(2015).The relationship between industrial production index gdp inflation and oil price .case of Turkey . Procedia economics and finance vol 25 Prague.

12.Levent Erdogan Ahmed Tiryaki(2011). The relationship between selected macro economic variables and stock returns in Turkey.

13.M Hashem Pesaran . Yongcheol Shin Richard J Smith(2002).Boundes testing approaches to the analysis of level relationships . Journal of applied econometric s Vol 16.

14.Noman Archad(2017). nexus between industrial production index and unemployment rate in Bangladesh .empirical economic review vol 1

15.P. Pastpipatkul, S. Sriboonchitta and W. Yamaka(2016). A Bayesian Change Point with Regime switching Model. Thai Journal of Mathematics p91.

16.Rohana Kamruddin Kamaru Zaman Jussof(2009). an nardl approach in food and beverages industry growth process in Malaysia international business research vol 2 n3.

17.Sichel D E(1993). Business cycle asymmetry a deeper look .economy inquiry Vol 31 n°2; p224.

18.Teräsvirta T(1994). estimation and evaluation of smooth transition autoregressive models. journal of American statistical association vol 89, p 208.

19.Tong H(1990). nonlinear time series .a dynamical system approach .Oxford university . UK.

20.Uctem Ramzy(2007). économétrie a changement des modèles de régimes un essaie de synthèse .Revue d analyse économique vol 83 n° 04; p457.

The Impact of Age and Gender Stereotypes on Teachers' Performance: Case Study of High School Teachers in Tiaret Province

تأثير الأفكار النمطية عن الجنس والعمر على مردودية الأساتذة: دراسة حالة أساتذة التعليم الثانوي لولاية تيارت

PhD Student, Founes Oussama, University of Mostaganem-Algeria

Professor, Benneghrouzi Fatima Zohra, University of Mostaganem-Algeria

Abstract : This paper probes the injustice caused by the sociolinguistic variables of age and gender. Differences do not amount solely to numbers or physiques but to the groups having divergent behaviours and values. Such discrepancies are due to being raised in different environments where each cohort is steeped in a set of beliefs that it naturalizes and embraces while rejecting and condemning those opposing its own. In order for this sociological investigation to be conducted, we opted for the survey method to examine teachers' attribution of negative adjectives to four different cohorts. This study demonstrates how high school teachers surveyed make are gender/age insensitive which results the perpetuation of stereotypes and thus of biased practices.

Keywords: Age; Gender; Stereotypes; Education; Awareness

ملخص: يركز هذا المقال على الإجحاف الذي يسببه المتغيرين الاجتماعيان العمر والجنس. الفرق ليس فقط في أرقام عمرية أو مظاهر جسدية ولكن في خلق مجموعات بأفكار وقيم متباعدة، هاته التناقضات تعود إلى كل مجموعة ترعرعت في محيط مختلف أين كل جيل يستسيغ مجموعة من الأفكار التي تصبح بعد ذلك عبارة عن قواعد لا يجوز إختراقها. من الظاهر أنكل جيل في المجتمع يميل إلى رفض الأفكار والممارسات التي تختلف عنه. من أجل القيام بهذا الاستقصاء الاجتماعي إخترنا منهجية الاستبيان لفحص إلى أي المجموعات الأربعة يسبغ الأساتذة هاته الصفات السلبية. تبين الدراسة مدى إنعدام الوعي لدى الأساتذة بالمتغيران الإجتماعيان الجنس والعمر والذي يسبب دوام سيطرة الأحكام المسبقة والممارسات المجحفة كنتيجة حتمية.

الكلمات المفتاحية: العمر، الجنس، النمطية، التعليم، النوعية.

1. INTRODUCTION

Social interactions and relationships are often governed by a set of conceptions or representations that are not necessarily true. The beliefs individuals have about the other may seem insignificant because they remain mere standpoints, but in fact, they drastically influence our thinking and consequently our behaviours and choices. The impact of either believing in stereotypes about age and gender is probably more critical to educators whose job is to transfer not only the knowledge but also the values; these often interfere with personal opinions and judgments. The interference of stereotypes in the teaching setting influences students' understanding of themselves and others. They may either underestimate or cherish cohorts or genders based on the attributed descriptionsto young/old, male/female individuals. The survey below aims at uncovering teachers' sensitivity or awareness about age and gender differences

2. Survey About "Positive and Negative" Adjectives' Attribution Among Teachers

Attributes	Young Men 20-30	Old Men 50-60	Young Women 20-30	Old Women 50-60
Passive	4	2	3	1
Talkative	3	4	1	2
Lazy	3	1	4	2
Pessimistic	3	1	4	2
Agressive	1	2	3	4
Irrational	4	3	2	1
Hesitant	4	3	1	2
Gossipy	3	4	1	2
Rude	1	3	2	4
Fearful	3	4	1	2
Lack discipline	1	4	2	3
Naggy	2	4	1	3
Impatient	2	4	1	3
Submissive	3	4	2	1
Arrogant	1	4	2	3
Stubborn	1	3	2	4
Delicate	3	4	1	2
Indecisive	3	4	1	2
Reliant	3	4	1	2
Negligent	1	3	2	4

2.1 Variables

The survey considers the intersection of the two social variables age and gender, and how these are perceived by teachers in secondary schools. Both gender and age were divided to two groups; old males, young males, old females, young females.

2.2 Hypothesis

The two surveys handed to teachers include a set of 20 adjectives in each. Teachers were asked to attribute positive or negative adjectives to the group that applies most to them. The survey's hypothesis is to put into question teachers understanding of stereotypical adjectives and if they classify generically conforming the dominating perceptions laymen adopt.

2.3 Reliability

In order for the study to be reliable, we propose two opposing surveys, one with 20 positive adjectives and another 20 negative ones. Teachers will assign the adjectives to a particular group either positively or negatively. This allowed us to have a grasp of the most stereotyped or privileged group.

3. Teachers' Attribution of "Negative" Adjectives

This survey is for assessing Algerian Secondary School Teachers' attribution of "negative" adjectives. Please order your answers from most to least using number 1,2,3,4

3.1 Description of the survey

Teachers in 4 High Schools are handed this survey which uncovers to which group they ascribe or associate negative adjectives. People in the survey are divided up to 4 groups. The survey is distributed randomly to 80 teachers in High Schools. The main purpose of this survey is to find out to which gender or cohort teachers ascribe negative attributes.

Group 1: Young Men between the ages of 20 and 28
Group 2: Old Men between the ages of 55 and 60
Group 3: Young Women between the ages of 20 and 28
Group 4: Old Women between the ages of 55 and 60

4. Negative Attributes Survey

The first survey includes a set of 20 positive adjectives along with the above mentioned 4 groups. Teachers are questioned to fill in the table with numbers from 1 to 4. Number 1 is given to the group which applies most to the adjective and number 4 is given to the group with least appliance to the adjective.

4.1 Results Analysis

The survey consists of 20 negative stereotypes, as it was given to 100 thigh school teachers. It aims at uncovering which group is the most stereotyped. Young women were the most stereotyped due to the intersection of young age and female gender, teachers answered that **Talkative, Hesitant, Gossipy, Fearful, Naggy**, **Impatient**, **Delicate**, **Indecisive** and **Reliant** all apply to young women. These stereotypes believed to be mainly as characters of young women demonstrates how teachers surveyed are influenced by prejudice and preconceived notions just like the society does. What is alarming is that most of the attributions chosen fall under the umbrella gender stereotypes. Unlike men, young women were described as weak and all they master is being talkative, naggy and gossipy; these three adjectives demonstrate how women's language is considered as deviant from the so called norm "men language". In addition, describing them as hesitant, fearful, indecisive and reliant imply that women are unable to make decisions or to confront obstacles on their own. Thus, we may say that even teachers contribute to the reinforcement and invisibility of women. Per contra, young men were stereotyped differently in the sense that adjectives such as; **Aggressive**, **Rude, Lack discipline, Arrogant, Stubborn** and **Negligent** were ascribed to them which contributes to the idea of men are superior to women because men are physically stronger. In similar vein, we noticed that despite the 20 negative adjectives, teachers chose the dominant perceptions about youth in Algeria. i.e. even young men are stereotyped particularly by elders, for instance: it is common to hear an old men or women complaining the behaviours of their young son lacking discipline, being stubborn and rude with his parents. Youth in Algeria are also accused of being negligent and not committed compared to the older generation. Older women were also stereotyped as **Passive**, **Irrational** and **Submissive** which is an obvious perpetuation of traditional gender roles. Older men were the least stereotyped group but still described as **Lazy** and **Pessimistic**, this implies that old age is associated with being inactive and feeble. Pessimistic reinforces also the belief that elders are frustrated as they are in last phase of their lives which coincides with a different lifestyle of youth that causes the generational misunderstand and conflict.

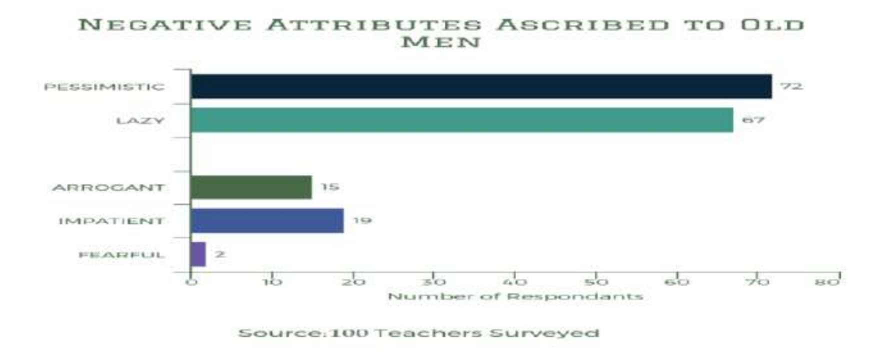


Fig.1: Negative attributes ascribed to old men

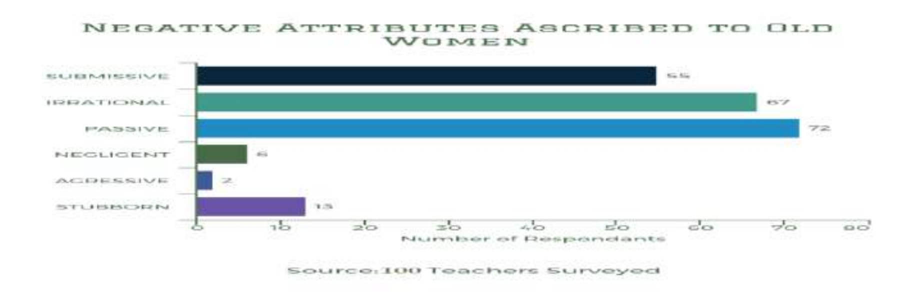


Fig.2: Negative attributes ascribed to old women

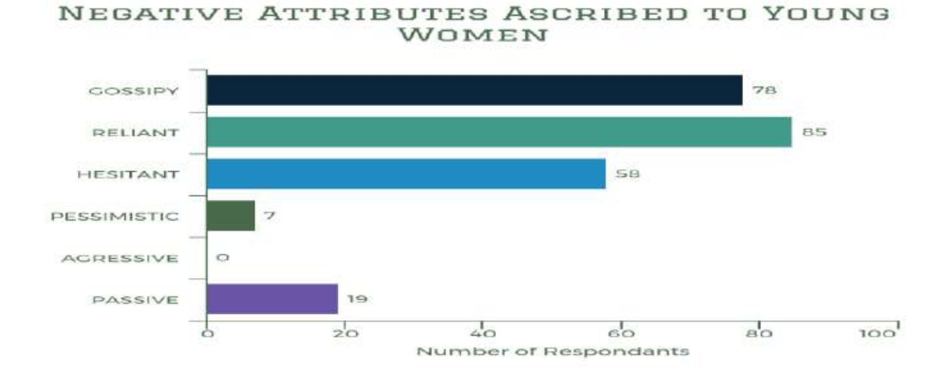


Fig.3: Negative attributes ascribed to young women

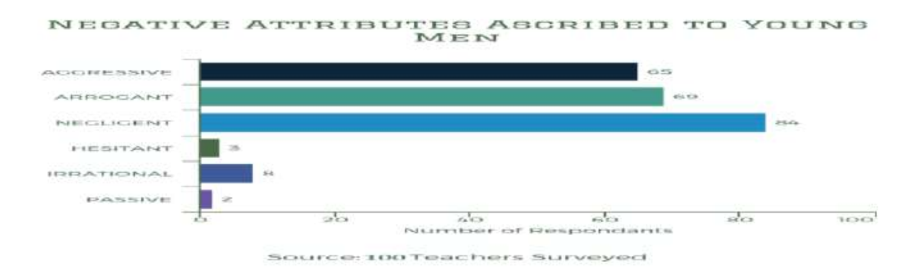


Fig.4: Negative attributes ascribed to young men

5. Algerian Teachers' Understanding of Age Differences

Tensions between generations may be universal issue, however in Algeria and particularly among teachers, the results have shown how the situation is much more complex than in other countries. The elder generation seems to be conforming to the social traditional roles and perceptions about notions of ageing and youthfulness. For instance, they some elders have some preconceived judgments about youngsters such as: the expression of "youth of today" which has various negative connotations, it means that youth nowadays are not "strong, committed and even respectful" the way their ancestors did. Youth nowadays are accused of being negatively absorbed by technology, while technology is used by many youngsters in a good manner. On the other hand, we have a younger generation accusing elders of doubting their capacities and thus, excluding them to be active citizens contributing to the building of their countries. Since ours ample was teachers, it was noticeable that youth were divided to two groups; one that is confident about his achievements and future career, and another that is frustrated by that feeling of inferiority and inexperience. The former group when questioned or interviewed demonstrated their understanding of ageing stereotypes, and how a teacher should think beyond prejudice and stereotypes in order for him to teach values of tolerance and acceptance of the other. Still, some other teachers were affected by comments directed to them or treatments which they considered as unfair. Young and novice teachers especially complained being rejected by some older teachers. For instance, a teacher of English questioned about this problem answered as follows:

I strongly believe that there a real generational gap in schools and even outside schools, I was told many times that my master's degree is not worth a BA decades ago, despite being an excellent student in university, I was told that I can never teach like an experienced old teacher does,

even people in general do not hesitate to show their disapproval of what is known as " nowadays teachers". For this, I want to confirm that there is indeed a generational clash depicted in scornful treatments of the younger generation or at least the belittling of their accomplishments"

The above mentioned quote reveals significantly how some teachers are affected by stereotypes and prejudices. These, will in no way help the sector of education to foster but merely hinders the two generations to work in a collaborative environment. Teachers regardless of their age need to accept the other and create an appropriate atmosphere of mutual respect and exchange of expertise. Bowen stresses that Baby Boomers should not look at a new generation worker as a threat but look at this opportunity to learn new concepts from them. (Bowen 2011). Looking at a new generation either as deficient or a threat to elders' positions and status will only reinforce divergence which affects productivity in the workplace and since education's product or outcome is educated future generations, this is more insidious because we all need to work together to raise a generation that thinks beyond stereotypes and understand that age is a fluid social variable that we are all affected by, i.e. no one remains young or old forever.

Stereotypes tend to put an entire community or group of people sharing same interests and objectives in one basket, while people from any generation in workplace need to know people as individual and show respect to each other (Murphy and Raines 2007). This respect can be embodied in communication with the other which allows one to infer how differences between generations are that obstacle but judgments are. Chad Nelson (2009), emphasizes how it is important to understand each other's personality in order for one to have a quality communication. When teachers communicate without being influenced by prejudices, this will decrease the severity of divergence and allows them to make use of each generation's competences. In fact, it's undeniable that an older generation holds considerable experience in the workplace which may benefit the younger one. Per contra, the younger generation holds control of ICT's and technology in general. The fusion of elders' experience along with youth's innovation will create a productive environment rather than void accusations.

Scholars and specialists suggested various solutions to the problem of generational gap; among them the model introduced by Wood and Stefanie (2005), where generation gap is replaced by "generation united". According to them uniting generations should undergo four phases. The first step is that employees have to be able to do self-criticism and spot

the mistakes they have done. This way they develop their wisdom which should be consequently shared with their colleagues. The next step is that the older generation ought to be committed as mentors to future generations. That is elders need to play a positive role of transferring values and knowledge to the younger generation whose duty is to accept being followers of their elders and try to demonstrate their skills and flexibility modestly and without any negative preconceived judgments of the other. The last step is about tolerance that is generations need to accept the fact that each cohort has certain competences that if shared with the opposing generation will generate fruitful insights for self-development. Houlihan and Anne, (2007) argue that each generation carry loads of valid values that might be motivating to the other.

Baby Boomers generation is decreasing in the workplace due to getting retired, but generation X is witnessing an increase. Thus, it will be rewarding to bridge *Old* teachers with *younger* ones in order not to lose the expertise and help new teachers to make use of a heritage of experience that will smooth the performance of their job. On the other hand, the newer generation is known for its manipulation of ICTs, internet and technology in general, these skills can be useful if integrated with the experience and wisdom elders have. Still, sharing same beliefs, standpoints and thoughts among one generation is not a must or a reality, it may also to happen and frequently that we find members of the same generation believing in different or even opposing ideas. For instance, it is a fact that there are many old teachers who are adequate with ICTs control and maybe better than a young can do. The same goes with the younger generation which may have conforming ideas and beliefs with members of the older generation. These all depend on a person's personality and socialization. Ergo, it is immature to judge or prejudice an entire community or cohort just because they were born in the same year or they belong to a certain era.

Indulging in conversations and dealings with the opposite generation without any negative preconceived notions results a sense of integration and tolerance. The latter allows employees for instance to create an atmosphere of cooperation and productivity. The exchange of expertise among generations is in itself a force for a better workplace, while weaknesses can be compensated through the complementary strengths of each generation.

Algerian teachers should understand the issue of age gaps and work on sensitizing their students on how generations may differ only in experiences and values which necessarily results different strengths and

weakness. For example, elders in Algeria speak French eloquently and probably better than most youth, this was due to the colonial era when they were taught by native speakers and French was used in administrations and even everyday life. This has forced elders at that time to master the language. Algerian youth nowadays are keen on learning English also for certain reasons, one is globalization and the position English is having worldwide. Algerian youth are fond of English because it is a language that allows them to communicate with foreigners both native and non-native ones. Thence, looking at differences as diversity enables generations to integrate in an exchange of expertise that will decrease the tension and give reign to rewarding collaboration.

6. CONCLUSION

The hypothesis suggesting teachers' stereotypical understanding of age and gender is significantly demonstrated in the answers provided. The attribution of certain attributes whether positive or negative to a certain cohort or gender shows how teachers are not in isolation of the trending traditional and stereotypical adjectives influencing laymen. Thus, it would not have been possible for feminist schools to be without a beforehand set agenda addressing injustices caused by stereotypes. Ergo, one may point out that it is high time for the ministry of education to consider organizing workshops and trainings for teachers, who will adopt gender pedagogy methods for schools advocating mutual understanding and respect, regardless of the biased categorization which served none but divergence and alienation.

REFERENCES

1. Chad Nelson(2009). Boomers, Xers and Yers. Hitachi consulting, 8.
2. Duckitt, J.(2007). Culture, personality, and prejudice. New York: New York University Press.
3. Glick, P., & Fiske, S. T(1996). The Ambivalent Sexism Inventory: Differentiating hostile and benevolent sexism. *Journal of Personality and Social Psychology, 70*(3), 491-512.
4. Houlihan, Anne(2007). Accept what you cannot change. How to lead different generation in the workplace.8-9,11
5. Kathleen Connelly & Martin Heesacker(2012). Why Is Benevolent Sexism Appealing? Volume: 36 issue: 4, page(s): 432-443
6. Nelson, T. D. (Ed.)(2002). Ageism: Stereotyping and prejudice against older adults. Cambridge, MA: MIT Press.
7. Palmore, E(1999). Ageism: Negative and positive (2nd Ed). New York: Springer.
8. Patty Bowen(2011 November 30) Eliminating Communication Barriers Among Generations: An Interview with Patty Bowen. Generation gaps.

9. Susan A. Murphy, PhD, and Claire Raines(2007). Leading a multigenerational workforce. NW, Washington, DC: AARP
10.Wood, Stephanie(2005). Generation united. Spanning the generation gap in the workplace,97,86-87,89

Citations:

-Bowen stresses that Baby Boomers should not look at a new generation worker as a threat but look at this opportunity to learn new concepts from them. (Bowen 2011).

-Stereotypes tend to put an entire community or group of people sharing same interests and objectives in one basket, while people from any generation in workplace need to know people as individual and show respect to each other (Murphy and Raines 2007).

-Chad Nelson (2009), emphasizes how it is important to understand each other's personality in order for one to have a quality communication.

-Wood and Stefanie (2005), where generation gap is replaced by "generation united".

-Houlihan and Anne, (2007) argue that each generation carry loads of valid values that might be motivating to the other.

Democratic Arabic Center for
Strategic,Political and Economic Studies

Berlin- Germany

Journal of social sciences

International, scientific refereed Journal

Legal deposit V.R33616

ISSN 2568-6739